تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

• التفسير للإمامين الجليلين •

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد المحلي

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

• والحاشية لأبي عبد الرحمن •

د. هشام بن محمد سعيد آل برغش

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراوي

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة مراجعة المصحف بالأزهر

وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر سابقاً

تفسير الجلالين

وَمَعَهُ حَاشِيَةُ هِدَايَةِ الْمُوَحِّدِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

طبعة عام

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
(ولا يجوز نسخ أو إستعمال أي جزء من الكتاب
دون إذن خطي من المؤلف)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٢٤٧٧ / ٢٠٠٨

دار الوطن للنشر

جمهورية مصر العربية

00201018290000

sales@al-fostat.com

يطلب من جميع فروع مكتبة جرير

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين الجليلين

جلال الدين
محمد بن أحمد بن محمد المحلي

جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

والحاشية لأبي عبد الرحمن
د. هشام بن محمد سعيد آل برغش

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد عيسى المعصراوي
شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة مراجعة المصحف بالأزهر
وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر (سابقاً)

مدار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد عيسى المعصراوي

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف:١-٢].

أمّا بعد: فإنَّ لِلقُرآنِ الكريمِ أكبرَ شأنٍ في أمرِ الإسلامِ، فهو هَديهم في شَريعتِهم، وهو المنارُ الذي يُستضاءُ به في أساليبِ البَلاغةِ العربيَّةِ، بَل هو المنبعُ الصَّافي الذي يَنهلونَ منه فَلسفتَهم الرُّوحِيَّةُ والخُلُقِيَّةُ، وكما جعلَ المولى عَزَّوَجَلَّ النُّبُوَّةَ بنبيِّنا ﷺ مُختتمةً، وجعَلَ شَرائعَ غَيرِ المُسلِمينَ بِشريعَةِ الإسلامِ مِنْ وَجهٍ مُنتَسخَةً، ومِنْ وَجهٍ آخَرَ مُكمَّلَةً ومُتمَّمةً، حيثُ قالَ تعالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة:٣] فقدْ جعَلَ المَولى عَزَّوَجَلَّ كِتابَه المُنزَلَ على نَبيِّه ﷺ مُتضمِّنًا ثَمرَةَ كُتُبِه التي أَولاها أوائلَ الأُمَمِ؛ فقالَ سُبحانَه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة:٢-٣].

وجَعلَ مُعجزةَ هذا الكِتابِ أنَّه مَع قِلَّةِ الحَجمِ، فهُو مُتَضمِّنٌ لِلمَعنى الجَمِّ، وأنَّه لا يخلُو النَّاظرُ فيه مِنْ نُورِ ما يُريه، ونَفعِ ما يُوليه، فهو كَما قَالَ الشَّاعِرُ:

كَالْبَـدرِ مِـنْ حَيْـثُ الْتَفَـتَّ رَأَيْتَـهُ ... يُهْـدِي إِلَى عَيْنَيْـكَ نُـورًا ثَاقِبًـا

كَالشَّـمْسِ فِي كَبْـدِ السَّـمَاءِ وَضَـوْؤُهَا ... يَغْشَـى الـبِلَادَ مَشَـارِقًا وَمَغَارِبًـا

ومع ذلك فإنَّ محاسِنَ أنوارِه لا تُدرِكُها إلَّا البَصائِرُ الجَليَّةُ، وأطايبَ ثَمرِه لا تَقطِفُها إلَّا الأيدِي الزَّكيَّةُ، ومَنافِعَ شِفائِه لا تَنالُها إلَّا النُّفوسُ النَّقِيَّةُ، فهو كَما قالَ سُبحانَه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩].

ولِذلكَ يُعدُّ عِلمُ التَّفسيرِ هو مِنْ أجَلِّ العُلومِ التي تُوضِّحُ ما في القُرآنِ مِن مَعنًى ومَبنًى، وعِلمُ التَّفسيرِ في غِنًى أنْ يُشادَ بجلالَتِه، وشِدَّةِ اعتِناءِ الأُمَّةِ به، فإنَّه يَستحِقُّ ذلك وأكثرَ، لجَلالَةِ ما يُضافُ إليه في هذا المَحلِّ، ويُعَدُّ مِنْ أجَلِّ القُرباتِ التي يَتقرَّبُ بها العَبدُ إلى ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو تَعلُّمُ كِتابِه وتَعليمُه النَّاسَ؛ حيثُ قالَ سُبحانَه: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩] وقالَ ﷺ: «خَيْرُكُم مَنْ تَعلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[١]، فالخَيريَّةُ تَتأتَّى بِتعلُّمِ القُرآنِ وتَعليمِه مَعَ العَمَلِ به، ولِذلكَ كانت مَعرفةُ تَفسيرِ آياتِ القُرآنِ مِنْ أجَلِّ المعارِفِ.

---

(١) أخرَجهُ البُخاريُّ في كتابِ فضائلِ القُرآنِ، عَنْ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ، حديث رقم (٥٠٢٧).

وبَينَ أَيدينَا تَفسيرٌ مِنْ تَفاسِيرِ القُرآنِ التي اشتهَرَتْ بَينَ أَهلِ العِلم؛ ألا وهو: «تَفسيرُ الجَلالَينِ»، الذي كانَ ولا يَزالُ مَوضعَ اهتِمامِ العُلَماءِ وحَفاوتِهم، وذلكَ لِسُهُولَةِ تَعبيرِه ودِقَّةِ عَرضِه، والتي عَبَّرَ عنها الإمَامُ السُّيوطيُّ بِقولِه: «وهو ذِكْرُ ما يُفهمُ به كَلامُ الله تعَالَى، والاعتِمادُ عَلى أَرجَحِ الأَقوَالِ، وإعرابُ مَا يُحتاجُ إِليه، وتنبيهٌ عَلى القِراءَاتِ المُختَلِفةِ المَشهُورَةِ على وَجهٍ لَطيفٍ وتَعبيرٍ وَجيزٍ، وتَركُ التَّطوِيلِ بِذِكْرِ أَقوالٍ غَيرِ مَرضِيَّةٍ، وأَعاريبَ مَحلُّها كُتبُ العَربيَّةِ».

فالكتابُ على ذلك مُوجَزٌ، اقتَصرَ فيه على ما هو ضَروريٌّ لِفَهمِ النَّصِّ إجمالًا، مَع بَعضِ الاستطرَادَاتِ في العَربيَّةِ أَوِ القِرَاءَاتِ، ومِنْ ثَمَّ رَآه العُلَماءُ في حَاجَةٍ إِلى تِلكَ الحَواشِي لِشَرحِه وتَوضِيحِه.

وقد بَلغَ هذا التَّفسِيرُ مِنَ الإيجازِ حَدًّا دَفَعَ بَعضَ عُلَماءِ اليَمنِ إِلى أَنْ يَعُدَّ حُروفَه، فَوَجَدَها مُسَاوِيةً لِحُروفِ القُرآنِ إِلى سُورَةِ المُزمِّلِ، ولَقَد عَبَّرَ الدَّاوُوديُّ عَنْ أَهميَّةِ هذا التَّفسيرِ بِقولِه عَنِ الجَلالِ المَحلِّيِّ: «وأَجلُّ كُتبِه التي لم تَكملْ: تَفسيرُ القُرآنِ العَظِيمِ، كَتَبَ مِنْ أَوَّلِ سُورةِ الكَهفِ إِلى آخِرِ القُرآنِ»[1].

ويُؤَكِّدُ الإِمَامُ السُّيوطيُّ هَذا الكَلامَ بِقَولِه في مُفتَتَحِ تَأليفِه لِلجُزءِ البَاقِي، حَيثُ قالَ: «هذَا مَا اشتَدَّتْ إِليه حَاجَةُ الرَّاغِبينَ في تَكمِلَةِ تَفسِيرِ القُرآنِ الكَريمِ الذي أَلَّفَه الإمَامُ العَلَّامَةُ المُحقِّقُ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَدَ المَحلِّيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وتَتمِيمِ مَا فَاتَه، وهو مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرةِ إِلى آخِرِ سُورَةِ الإِسرَاءِ؛ بِتَتِمَّةٍ على نَمَطِه».

ولَقَدْ طُبعَ هذا التَّفسِيرُ طَبَعَاتٍ كَثِيرَةً على مَرِّ العُصُورِ، ومِنْ هذه الطَّبَعَاتِ الطَّبعةُ التي بَينَ أَيدِينا، والتي بَذَلَ فيها مُحقِّقُها فَضيلةُ الشيخِ الدكتور هشامُ بَرغَش، جُهدًا كَبيرًا استطَاعَ أَن يُخرِجَ إِلينَا نُسخَةً مُحقَّقَةً ومُوثَّقةً تُسَاعِدُ القَارِئَ على فَهمِ النُّصُوصِ وتَوثيقِها مِنْ مَصَادرِها الأَسَاسِيَّةِ، وتَخرِيجِ جَميعِ الأَحَادِيثِ، مِمَّا يُعطي لِلقَارِئِ الثِّقَةَ فِيما بَينَ يَديه، إِضَافَةً إِلى تَلافِيها لِلأَخطَاءِ الوَاقِعَةِ في الطَّبَعَاتِ السَّابِقَةِ إِنْ شَاءَ الله.

واللهَ أَسأَلُ أَنْ يَنفعَنا بِهذا العَمَلِ، وأَنْ يَكونَ في مِيزَانِ حَسناتِ كُلِّ مَنْ قامَ به، وأَنْ يُسَخِّرَنا لِخِدمَةِ كِتابِه، وصَلى اللهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ عَلى نَبيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِه وصَحبِه أَجمَعِينَ.

وكَتَبَه

أ.د. أحمدُ عيسَى المعصراوي

شَيخُ عُمومِ المَقارِئِ المصريَّةِ

ورئيسُ لَجنةِ المُصحَفِ بِالأَزهرِ الشَّريفِ وأُستاذُ الحَدِيثِ وعُلومِه بِجَامِعَةِ الأَزهَرِ

---

(١) طبقاتُ المفسِّرينَ لِلدَّاوودِيِّ (٢/ ٨٥).

مُقدمةُ الطبعةِ الأولى والثانيةِ

الحَمدُ لله الذي أَنزلَ عَلى عَبدِه الكِتابَ ولَم يَجعلْ له عِوَجًا، أَحمَدُه سُبحانَه حَمدًا يُوافي نِعمَه، ويُكافِئُ مَزيدَه، وأَشهد أَنْ لا إِله إِلَّا اللهُ وَحدَه لا شَريكَ له، وأَشهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبدُه ورَسُولُه.

أَمَّا بَعدُ:

فإِنَّ هذا التَّفسَيرَ؛ «تَفسِيرَ الجلالَينِ» مِنْ أَوجَزِ التَّفَاسِيرِ وأَدقِّها عِبارَةً، وأَكثرِها انتِشارًا؛ لِما تَميَّزَ به مِنْ سُهولَةِ العِبارَةِ ودِقَّتِها، مَعَ الاهتمامِ بِأَرجَحِ الأَقوالِ، والبُعدِ -في الجُملةِ- عَنِ الأَقوالِ الشَّاذَّةِ.

إِضَافَةً إِلى مَا يَحويه التَّفسِيرُ مِنْ أَسبَابِ النُّزولِ، والنَّاسِخِ والمَنسُوخِ، ووُجُوهِ القِراءَاتِ المَشهُورَةِ والإِعرَابِ، وشَرحِ الغَريبِ، مَعَ إِشارَاتٍ مُفِيدَةٍ إِلى آيَاتِ الأَحكَامِ؛ حتَّى بَاتَ هَذا التَّفسِيرُ خُلاصَةً مِنْ خُلاصَاتِ العُلومِ.

ولَا عَجَبَ أَنْ يَقولَ عنه صَاحِبُ (كَشفِ الظُّنُونِ): «وهُو -مع كَونِه صَغيرَ الحَجمِ- كَبيرُ المَعنَى؛ لِأَنَّه لُبُّ لُبَابِ التَّفاسِيرِ».

ولا يُدرِكُ قِيمَتَه ويَعرِفُ مَنزلَتَه إِلَّا مَنْ طَالعَ ودَرَسَ كُتُبَ التَّفسِيرِ بِمَدَارِسِها المُختَلِفَةِ، وإِلَّا العُلَماءُ الأَفذاذُ وطَلَبةُ العِلمِ النَّابِهُونَ.

ولِذَا كانَ هذا التَّفسيرُ مَوضِعَ اهتمَامِ الشَّارِحِينَ والدَّارِسِينَ، وأُلِّفَتْ فيه حَواشٍ وشُرُوحٌ كَثِيرَةٌ.

وقد انتشَرَ هَذا التَّفسِيرُ انتشَارًا وَاسِعًا، ومِمَّا سَاعَدَ على ذلك طِباعتُه على هَوامِشِ المُصحَفِ الشَّريفِ.

غَيرَ أَنَّ هذا التَّفسِيرَ رَغمَ مَكانَتِه هَذه لَمْ يَخلُ مِنْ مُؤاخَذاتٍ، ولَمْ يَحظَ بِما يَستحِقُّهُ مِنْ عِنَايةٍ كَافيَةٍ وتَنبِيهٍ عَلى ما فيه مِنْ مُؤاخَذاتٍ وأَخطَاءٍ، **وأَهَمُّ هَذه المُؤاخَذَاتِ عَلى تَفسيرِ الجَلالَينِ هِي:**

١- الوُقوعُ في تَأوِيلِ الصِّفَاتِ.

٢- اشتِمالُه عَلى بَعضِ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ والمَوضُوعَةِ ورِوَايَاتٍ لا أَصلَ لَها.

٣- وُجُودُ بَعضِ الإِسرَائِيلِيَّاتِ.

٤- بَعضُ الاختيَارَاتِ المَرجُوحَةِ في تَفسِيرِ بَعضِ الآيَاتِ.

وقد تَتبَّعَ العُلَماءُ والمُفسِّرُونَ جُملَةً مِنْ هَذهِ الأخطاءِ، وقَامُوا بالتنبيهِ عَليها، ومِنهُم القَاضِي مُحمَّد كُنعَان في طبعةِ المكتبِ الإسلاميِّ ببَيرُوت: (قُرَّةُ العَينَينِ على تَفسيرِ الجَلالَينِ)، إلَّا أنَّ الكِتَابَ لَم يَستوعِبْ جُملةً مِنَ الأخطَاءِ التي وَقَعَ فيها مُفسِّرا الجَلالَينِ، إضافةً إلى بَعضِ الأَخطَاءِ التي وَقَعَ فيها القَاضي كَنعَانُ نَفسُه في التَّعلِيقِ، كما ذَكَرَ الشَّيخُ مُحمَّد جَميل زِينُو في كِتَابِه: (تنبيهاتٌ مُهمَّةٌ عَلى قُرَّةِ العَينَينِ وتَفسيرِ الجَلالَينِ).

وكَذا هناكَ تَعلِيقَاتٌ وتَعقِيبَاتٌ نَفِيسَةٌ لِلدكتورِ محمَّد عبد الرحمنِ الخَمِيسِ في رِسَالةٍ صَغِيرَةٍ بِعُنوَانِ: (أنوارُ الهِلاَلَينِ في التَّعقُّبَاتِ عَلى الجَلالَينِ).

كما قامَ الشيخُ صَفيُّ الرَّحمنِ المُبَاركفُورِي رَحِمَهُ اللهُ بِالتَّعلِيقِ عَلى التَّفسِيرِ المَذكُورِ في طَبعةٍ لِدَارِ السَّلامِ، تَعقَّبَ فيها الجَلالَينِ في تَأويلِهما لِبَعضِ الصِّفَاتِ... إلَّا أنَّه لَم يَستوعِبْ ما وَقَعَ في الجَلالَينِ مِنْ تَأوِيلٍ.

وقد شَرَحَ اللهُ صَدري لاقتِرَاحِ أَحدِ الفُضَلَاءِ -جَزَاهُ الله خَيرًا- عَليَّ؛ أَنْ أَضعَ تَعلِيقًا مُختَصَرًا عَلى مَا وَقعَ في هذا التَّفسِيرِ مِنْ تَأوِيلٍ لآيَاتِ الصِّفَاتِ؛ أُبيِّنُ فيه عَقيدَةَ أَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ ومَنهَجهم، وبَيَانِ مَا وَقعَ فيه مِنْ إسرَائِيلِيَّاتٍ وأَقوَالٍ مَردُودَةٍ، أو مَرجُوحَةٍ؛ مَعَ كَشفِ بَعضِ غَوامِضِه وعِبَارَاتِه المُبهَمَةِ، فاشتَغَلتُ بذلك عَلى عَجزِي آمِلًا أَنْ أَنضمَّ لِهذهِ الكَوكَبَةِ المُبَارَكَةِ، مِنْ أَهلِ العِلمِ والفَضلِ، في خِدمَةِ هذا التَّفسِيرِ المُبَارَكِ، لِيَعظُمَ به النَّفْعُ. وذَلكَ إِضَافَةً إلى ضَبطِ النَّصِّ ومُقابَلَتِه عَلى أَكثر مِنْ نُسخَةٍ مَطبُوعَةٍ.

ومِنْ هذه الطبعَات:

١- طَبعَةُ دَارِ إحياءِ الكُتُبِ العَربيَّةِ، البَابي الحَلَبِي مَعَ حَاشيةِ الصَّاوي.

٢- طَبعَةُ المكتبة التجارية مع حاشية الجمل.

٣- طَبعَةُ دارِ المعرفةِ - بيروت ١٤١٦هـ.

٤- طَبعَةُ دَارِ البَشائرِ الإِسلاميَّةِ - دمشق ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٥- طَبعَةُ دَارِ السَّلام - الرِّياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٦- طَبعَةُ دارِ البَشائِرِ الإسلاميَّةِ - بيروت، الطبعة السَّادِسَة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، المُسمَّى (قُرَّة العَينَينِ على تَفسيرِ الجَلالين) لِلقَاضِي الشيخ مُحمَّد أَحمد كنعَان.

وقد جَعلتُ طَبعةَ دَارِ إحياءِ الكُتُبِ العَربيَّةِ مَع حَاشيةِ الصَّاوِي هي الأَصلَ المُعتمَدَ لِدقَّتِها وقِلَّةِ أَخطَائِها، وإذا حَدَثَ اختِلافٌ في النُّسَخ، أَعتَمِدُ الأَقربَ منها، الأَوفقَ لِلسِّياقِ والمَعنَى، وأَضعُ النَّصَّ المُعتمدَ بينَ مَعكُوفَينِ؛ هَكَذَا []، وأُشيرُ إلى ذلكَ في الحَاشيةِ.

التَّعريفُ بالتَّفسيرِ والمُفسِّرَيْنِ

أَمَّا التَّفسيرُ:

فلَم يَضَعِ الجلالَانِ -رَحِمَهما الله تَعالَى- لِهَذا التَّفسيرِ اسمًا، بَلْ عُرِفَ بَينَ العُلَماءِ بِـ(تَفسِيرِ الجَلالَينِ) وبِـ(الجَلالَينِ) -اختِصارًا- نِسبةً إليهما، وسَمَّاه بَعضُهم: (كِتابَ الجَلالَينِ في تَفسيرِ القُرآنِ العَظِيم).

وقدْ اعتمَدَ الجَلالَانِ في تَفسيرِهما هَذا عَلى عَددٍ مِنَ التفاسِيرِ، أَشارَ إليها الجَلالُ السُّيوطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابِه: (**بُغيةُ الوُعاةِ في تَراجِمِ اللُّغَوِيينَ والنُّحاةِ**) عِندَ تَرجمتِه للإمَامِ مُوفَّقِ الدِّينِ: (أَحمدَ بنِ يوسفَ الكواشِي) المَوصِليِّ المُفسِّرِ، المُتوفَّى عَامَ سِتِّينَ وثَمانِمائةٍ (٨٦٠هـ، الموافق ١٤٥٥م) حَيثُ قالَ:

«وله التَّفسِيرُ الكَبيرُ والصَّغيرُ، جَوَّدَ فيه الإِعرَابَ، وحَرَّرَ أَنواعَ الوُقُوفِ[١]، وأَرسلَ منه نُسخَةً إِلى مَكَّةَ والمدينَةِ والقُدسِ. قُلتُ[٢]: وعليه اعتَمَدَ الشَّيخُ جَلالُ الدِّينِ المَحلِّيُّ في تفسيرِه، واعتمدْتُ عَليه أَنا في تَكمِلتِه مَعَ الوَجيزِ[٣]، وتَفسيرِ البَيضَاويِّ، وابنِ كَثيرٍ».

ولَم يَكتُبِ الجَلالُ المَحلِّيُّ مُقدِّمَةً ولا خَاتمَةً لِلقِسمِ الذي فَسَّره، أَمَّا الجَلالُ السُّيوطيُّ فَقدْ كَتَبَ مُقدمَةً مُختَصرَةً في أَوَّلِ سُورةِ (البَقرةِ)، وكَتَبَ خَاتمةً لِلقسمِ الذي فَسَّرَه، في آخِرِ تَفسيرِ سُورَةِ (الإِسراءِ).

وقد رَأيتُ -في هذه الطبعةِ الثَّالثَةِ- نَقلَ هذِه الخَاتمةِ مِنْ مَوضِعِها في آخرِ سُورةِ الإِسراءِ إِلى هذا الموضعِ، مع الاكتفَاءِ بالإِشَارَةِ إِلى مَوضِعِها هنالِكَ؛ لإِفسَاحِ المجَالِ ثَمَّ لِلتفسيرِ، مَعَ بَيانِ مَا أُلحِقَ بِالخَاتمَةِ، وهذَا نَصُّها:

خاتِمَةُ السُّيوطيِّ

قَالَ مُؤَلِّفُهُ: «هذا آخِرُ ما كَمَّلْتُ به تَفسيرَ القُرآنِ الكَريمِ، الذي أَلَّفَهُ الشيخُ الإِمَامُ العَالمُ المُحقِّقُ جلالُ الدِّين المَحلِّيُّ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقَدْ أَفرغْتُ فيه جُهدِي، وبَذلتُ فِكري فيه، في نَفائِسَ أَرَاها -إِنْ شَاءَ الله تعَالَى- تُجدِي، وأَلَّفتُه في مُدَّةٍ قَدرِ مِيعَادِ الكَليمِ[٤]، وجَعلتُه وَسِيلةً لِلفوزِ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ. وهو -في الحَقِيقَةِ-

(١) قَولُه: «وحَرَّرَ أنواعَ الوُقوفِ» أي: بيَّنَ مَواضِعَ الوَقفِ في القُرآنِ الكَريمِ وأَنواعَها؛ كَالوَقفِ التَّامِّ والحَسَنِ والقَبيحِ... إلخ.

(٢) قَولُه: «قلتُ» أي: الجَلال السُّيوطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) قَولُه: «مع الوَجيزِ»: هو تفسيرٌ مُختَصرٌ لِلشيخِ أَبي الحَسَنِ: عليِّ بنِ أَحمدَ الوَاحديِّ النَّيسَابُوريِّ، المتوفَّى عام ٤٦٨هـ.

(٤) وهو أَربَعُونَ يومًا؛ حَيثُ فرغَ مِنْ جَمعِه وتَسويدِه، أَمَّا تحريرُه ونقلُه مِنَ المُسوَّدَةِ فإِلى سَادسِ صَفَر، وهي مُدَّةُ أَربعَةِ أَشهرٍ إِلَّا أَربعَةَ أَيَّامٍ، كَما سيَأتي في نِهايةِ كَلامِه.

مُستفادٌ مِنَ الكِتَابِ المُكمَّلِ، وعليه في الآيِ المُتَشَابِهَةِ الاعتِمادُ والمُعَوَّلُ، فرَحِمَ اللهُ امرأً نَظَرَ بِعَينِ الإنصَافِ إليه، ووَقفَ فيه على خطَأٍ؛ فأطلَعَني عليه. وَقَدْ قُلْتُ:

حَمِـــــدتُ اللهَ رَبِّي إذْ هَـــــدَانِي ... لِـــمَا أَبْـدَيْتُ، مَـع عَجْـزِي وَضَـعْفِي

فَـمَـــــنْ لِي بِالخَطَـــا، فَـــأُرُدَّ عَنْـــهُ ... وَمَـــنْ لِي بِـــالْقَبُولِ، وَلَـــوْ بِحَـــرْفِ؟

هذا، ولم يكن قطُّ في خَلَدي أن أَتَعَرَّضَ لِذلكَ؛ لِعِلمِي بِالعَجزِ عَنِ الخَوضِ في هذه المَسَالِكِ، وعَسَى اللهُ أَنْ يَنفعَ به نَفْعًا جَمًّا؛ يَفتحُ به قُلوبًا غُلْفًا، وأعينًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وكأَنِّي بِمَنِ اعتَادَ المُطوَّلَاتِ، وقَدْ أَضْرَبَ عَن هَذه التَّكمِلَةِ وأَصلِها حَسْمًا[1]، وَعَدَلَ إِلى صَرِيحِ العِنَادِ، ولَم يُوجِّه إِلى دَقَائِقِها فَهمًا: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. رَزَقَنا اللهُ به هِدايةً إِلى سَبِيلِ الحَقِّ وتَوفِيقًا، واطِّلَاعًا على دَقَائِقِ كَلِماتِه وتَحقِيقًا، وجَعلَنا به ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2].

وفُرِغَ مِنْ تَألِيفِه يومَ الأَحَدِ عَاشِرِ شَوَّالٍ سَنَةَ سَبعِينَ وثَمانِمائةٍ، وكَانَ الابتِدَاءُ في يَومِ الأَربعَاءِ مُستَهَلَّ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ المَذكُورَةِ، وفُرِغَ من تَبييضِه يومَ الأَربعَاءِ سَادسَ صَفر سَنَةَ إِحدَى وسَبعِينَ وثَمانِمَائةٍ[3]. [واللهُ أَعلَمُ بِالصَّوابِ، وإِليه المَرجِعُ والمَآبُ][4].

قَالَ الشيخُ شَمسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَبي بَكرٍ الخَطيبُ الطُّوخِيُّ: أَخبرَني صَدِيقِي الشيخُ العَلَّامَةُ كَمالُ الدِّينِ المَحلِّيُّ أَخُو شَيخِنا الشيخِ جَلالِ الدِّينِ المَحلِّيِّ -رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى- أَنَّه رَأى أَخاهُ الشيخَ جَلالَ الدِّينِ المذكورَ في النَّومِ، وبينَ يَدَيه صَدِيقُنا الشيخُ العَلَّامَةُ المُحقِّقُ جَلالُ الدِّينِ السُّيوطيُّ، مُصَنِّفُ هذه التَّكمِلَةِ، وقَد أَخَذَ الشيخُ هذه التَّكمِلةَ في يَدِه وتَصفَّحَها، ويَقولُ لِمُصنِّفِها المذكُورِ: أَيُّهما أَحسنُ: وَضعِي أَو وَضعُكَ؟ فقَالَ: وَضعِي. فقَالَ: انظرْ، وعَرَضَ عليه مَواضِعَ فيها، وكَأَنَّه يُشِيرُ إِلى اعتِرَاضٍ فيها بِلُطفٍ، ومُصنِّفُ هذه التَّكمِلَةِ كُلَّما أَوردَ عليه شَيئًا يُجِيبُه والشَّيخُ يَبتَسِمُ ويَضحَكُ.

قالَ شَيخُنا الإِمامُ العَلَّامَةُ جَلالُ الدِّينِ عبدُ الرَّحمَنِ بنُ أَبي بَكرٍ السُّيوطيُّ، مُصَنِّفُ هذه التَّكمِلةِ:

(١) أَضرَبَ: أَعرَضَ وامتَنَعَ. والحَسْمُ: المَنعُ. يَعني: أَعرَضَ إِعرَاضًا قَاطِعًا.

(٢) الآية: (٦٩) مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ثمانيمائة).

(٤) في الأَصْلِ: (والله أَعلَمُ)، والمُثبَتُ مِنْ نسخةِ: (قُرَّةِ العَينَينِ). وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (على يدِ مُؤلِّفِه العَلَّامَةِ جَلالِ الدِّينِ بن عبدِ الرَّحمَنِ ابنِ أَبي بَكرٍ السُّيوطيِّ) والذي يَظهرُ -كَما قَالَ القَاضِي كَنعَان- أَنَّ هذه الزِّيَادَةَ مِنْ كَلامِ بَعضِ النُّسَّاخِ، والله أعلم، وهو ما قاله الصَّاوي أَيضًا في حاشيته.

الذي أَعتقِدُه وأَجزمُ به أَنَّ الوَضعَ الذي وَضعَه الشيخُ جَلالُ الدِّينِ المَحلِّيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى- في قِطعَتِه أَحسَنُ مِنْ وَضعِي أَنا بِطبقَاتٍ كَثيرَةٍ؛ كيفَ وَغالِبُ ما وَضعتُه هنا مُقتبَسٌ مِنْ وَضعِه، ومُستفَادٌ منه، لا مِريَةَ عِندِي في ذلكَ، وأَمَّا الذي رُئِيَ في المَنامِ المكتُوبِ أَعلاه؛ فلَعَلَّ الشَّيخَ أَشارَ به إِلى المَواضِعِ القَلِيلَةِ التي خالَفْتُ وَضعَه فيها؛ لِنُكتَةٍ، وهي يَسِيرَةٌ جِدًّا، ما أَظُنُّها تَبلُغُ عَشرَةَ مَواضِعَ؛ مِنْهَا: أَنَّ الشَّيخَ قالَ في (سُورَةِ ص): والرُّوحُ جِسمٌ لَطِيفٌ يَحيا به الإِنسَانُ بِنفُوذِه فيه. وكُنتُ تَبِعتُه أَوَّلًا؛ فذَكَرتُ هذا الحَدَّ في (سُورَةِ الحِجرِ)، ثُمَّ ضَربتُ عليه؛ لِقَولِه تَعالَى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ الآيَةَ، فهي صَرِيحَةٌ أَو كَالصَّرِيحَةِ في أَنَّ الرُّوحَ مِنْ عِلمِ اللهِ -تَعالَى- لا نَعلَمُه؛ فالإِمسَاكُ عَنْ تَعرِيفِها أَوْلَى. ولِذَا قالَ الشَّيخُ تاجُ الدِّينِ بنِ السُّبْكِيِّ في (جَمعِ الجَوامِعِ): والرُّوحُ لَم يَتكَلَّمْ عَليها مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فنُمْسِك عنها.

وَمِنْهَا: أَنَّ الشَّيخَ قالَ في (سُورَةِ الحَجِّ): الصَّابِئُونَ فِرقةٌ مِنَ اليَهُودِ. فذَكَرتُ ذلكَ في (سُورَةِ البَقَرَةِ)، وزِدتُ: أَوِ النَّصَارَى؛ بَيَانًا لِقَولٍ ثَانٍ؛ فإِنَّه المَعرُوفُ؛ خُصُوصًا عندَ أَصحَابِنا الفُقَهاءِ، وفي (المِنهَاجِ): وإِنْ خالَفَتِ السَّامِرَةُ اليَهُودَ والصَّابِئَةُ النَّصَارَى في أَصلِ دِينِهم، وفي «شُروحِه»: أَنَّ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ نَصَّ على أَنَّ الصَّابِئِينَ فِرْقَةٌ مِنَ النَّصَارَى، ولا أَستَحضِرُ الآنَ مَوضِعًا ثالثًا؛ فكَأَنَّ الشَّيخَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى- يُشِيرُ إِلى مِثلِ هذا» انتَهَتْ خاتِمَةُ السُّيوطيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

وأَمَّا المُفسِّرَانِ:

فقَدْ أَلَّفَ هذا التَّفسيرَ عالِمَانِ جَليلَانِ؛ لَقَبُ كُلٍّ منهما: (جَلالُ الدِّينِ):

الأَوَّلُ هو: أَبو عبد الله: «مُحَمَّد بنُ أَحمدَ بنِ مُحَمَّد بنِ إِبراهيمَ بنِ أَحمدَ المَحلِّيُّ»، نِسبَةً إِلى (المَحلَّة الكُبرَى) -مَدينةٍ في مِصرَ- المُتوَفَّى عامَ أَربعةٍ وستِّينَ وثَمانِمِائَةٍ (٨٦٤هـ، الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فَسَّرَ: (فَاتحةَ الكِتَابِ) ومِنْ أَوَّلِ سُورةِ (الكَهفِ) حتَّى آخِرِ سُورَةِ (الناس).

والثاني هو: أَبو الفَضلِ: «عبدُ الرَّحمَنِ بنُ كمالِ الدِّينِ -أَبي بكر- الأَسيوطيُّ، أَوِ السُّيوطيُّ» -نِسبَةٌ إِلى (أُسيوط أَو سُيوط) بِضَمِّ الهَمزَةِ والسِّينِ- عَلى خِلافٍ بَينَ العُلَماءِ - إِحدَى مُدُنِ الجَنُوبِ في مِصرَ، وتُعرَفُ الآنَ بـ(أَسيوط) بِفَتحِ الهَمزَةِ، المُتوَفَّى عامَ أَحَدَ عَشرَ وتِسعِمائَةٍ (٩١١هـ، الموافق ١٥٠٥م).

وهو الذي فَسَّرَ التَّتِمَّةَ، أَي: مِنْ أَوَّلِ سُورةِ (البقرة) إِلى آخِرِ سُورَةِ (الإِسرَاءِ)، -وقد وَهَمَ صَاحِبُ (كَشفِ الظنُونِ) في نِسبَةِ هذا القِسمِ إِلى الجَلالِ المَحلِّيِّ-. وكان عُمرُه إِذْ ذَاكَ اثنَتَينِ وعِشرِينَ سَنَةً أَو أَقَلَّ منها بِشُهُورٍ، وكان ذلكَ بَعدَ وَفَاةِ الجَلالِ المَحلِّيِّ بِستِّ سِنِينَ.

مَكانةُ هذا التَّفسيرِ بينَ العُلَماءِ وعِنَايَتُهم به :

لَمّا كانَ كِتابُ الجلالَينِ مِنْ أَجَلِّ كُتُبِ التَّفسيرِ، فقَدْ أَجمَعَ عَلَى الاعتِنَاءِ بِه جَمٌّ غَفِيرٌ مِنْ أَهلِ البَصَائِرِ والتنويرِ، وتَوجَّهَتْ هِمَمُهم لِخدْمتِه، فكَانَ مَوضِعَ اهتِمامِ الشَّارِحِينَ والدَّارِسِينَ، وأُلِّفَتْ فيه حَواشٍ وشُرُوحٌ كَثيرةٌ؛ تُوضِّحُ مُجمَلَه، وتُزِيلُ غَامِضَه، وتُبيِّنُ دَقَائِقَه، ومِنْ أَهمِّها:

١- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحمَنِ العَلقَمِيِّ، المُتوفَّى (٩٦٩هـ) سَمَّاها: (قَبَسُ النَّيِّرَينِ على تَفسيرِ الجَلالَينِ) فَرَغَ من تأليفِها عام (٩٥٢هـ). ولا تزالُ مَخطوطةً في المكتبةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِدِمَشق.

٢- حَاشِيَةٌ للشَّيخِ محمَّد بن محمد الكرخي، المتوفَّى عام (١٠٠٦هـ) سمَّاها: (مَجمَعُ البحرينِ ومَطْلِعُ البَدْرَيْنِ على الجلالَينِ) في أربعةِ مجلَّداتٍ، وله حاشيةٌ أخرى صغرى عليه في مجلَّدَينِ (غير مطبوعتين).

٣- حَاشِيَةٌ للشَّيخِ الحافظِ الملا علي بن محمَّد القاري، المتوفَّى عام (١٠١٠هـ) سمَّاها: (حاشيةُ الجمالَينِ على الجلالَينِ) فَرَغَ من تأليفِها عام (١٠٠٤هـ) طُبِعَ جزءٌ منها.

٤- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ سُليمانَ بنِ عُمرَ العجيليِّ الأزهريِّ المَعرُوفِ بِـ(الجَمَلِ)، المتوفَّى عام (١٢٠٤هـ) سَمَّاها: (الفتوحاتُ الإلهيَّةُ بِتَوضِيحِ تفسيرِ الجَلالَينِ لِلدقَائِقِ الخَفيَّةِ)، وهي في أربعةِ مُجلَّداتٍ، مَطبوعةٍ مَعروفةٍ.

٥- حَاشِيَةٌ لِتلميذِ الشَّيخِ الجَملِ، معروفةٌ بِـ(حَاشيةِ الصَّاوِي على الجَلالَينِ)، أَلَّفَها الشَّيخُ: أحمدُ بنُ مُحمَّدٍ الخلوتي الصَّاوي، نِسبةً إلى بَلدةِ (صاءِ الحجر) في إقليمِ الغَربيَّةِ بِمِصرَ، المُتوفَّى عَام (١٢٤١هـ).

٦- وهاتَانِ الحَاشيتَانِ هما المَشهُورَتَانِ، المُتَداوِلَتَانِ مِنْ شُروحِ (تَفسيرِ الجَلالَينِ).

٧- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ سَلامِ الله الدَّهلَوِيِّ، سَمَّاها: (حَاشِيَةُ الكَمالَينِ على الجَلالَينِ)، طُبِعَتْ عَامَ (١٢٨١هـ).

٨- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ مُحمَّدِ بنِ صَالح أَبي السُّعودِ السباعيِّ الحِفناويِّ المَصريِّ، المُتوفَّى عَامَ (١٢٦٨هـ)، في ثَلاثَةِ مُجلَّدَاتٍ -مخطوطة-.

٩- حَاشِيَةٌ للشَّيخِ سعد الله بن غلام القندهاري، سمَّاها: (كشفُ المحجوبين عَن خَدَّي تفسير الجلالَينِ) أو: (على تفسيرِ الجلالَينِ).

١٠- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ مُصطفى الدُّومِي، المَعرُوفِ بالدُّوماني، ثُمَّ الصَّالحاني، المُتوفَّى في أَوائِلِ القَرنِ الثَّالثِ عشر الهِجريِّ، في مُجلَّدَينِ، سَمَّاهَا: (ضَوءُ النَّيرَيْنِ لِفَهمِ تَفسيرِ الجَلالَينِ).

١١- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ عَليِّ بنِ مُحمَّد عفيف الدِّينِ العقيبيِّ الأنصارِيِّ الشَّافِعِيِّ، مُحَدِّثِ الدِّيَارِ اليَمَنيَّةِ، المُتوفَّى عامَ (١١٠١هـ).

١٢- شَرحٌ على الجلالَينِ لِلشَّيخِ إسماعيل بنِ عبدِ البَاقي اليَازِجيِّ، المُتوفَّى عامَ (١١٢١هـ).

١٣- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ عَطيةِ الله بنِ عَطيةِ البُرهَانيِّ الأجهورِيِّ، المُتوفَّى عامَ (١١٩٠هـ)، وسَمَّاها: (كتابُ الكوكَبينِ النَيِّرَينِ في حَلِّ أَلفَاظِ الجلالَينِ).

١٤- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُحَمَّد التَّطْوانيِّ الحَائِكِ، المُتوفَّى عامَ (١٢٣٧هـ).

١٥- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ عبدِ الله بنِ مُحمَّد النَّبَراوِيِّ المِصريِّ، المُتوفَّى عامَ (١٢٧٥هـ)، سَمَّاها: (قُرَّةُ العَينِ ونُزهةُ الفُؤادِ) في أَربعةِ مُجلَّداتٍ، لا تَزالُ بِخَطِّه مَحفوظةً في المكتبةِ الأَزهريَّةِ.

١٦- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ أَحمد بنِ عبد الكريم التَّرمَانِينيِّ -نِسبة إلى (ترمانين) إحدى قُرى حَلَب- المُتوفَّى عامَ (١٢٩٣هـ).

١٧- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الله الحُسَينِيِّ الزَّواك الحديديِّ الزَّيديِّ، المُتوفَّى عامَ (١٣١١هـ).

١٨- حَاشِيَةٌ لِلشَّيخِ عبدِ الرَّحمَنِ بنِ مُحَمَّد القَصريِّ الفَاسِيِّ، المُتوفَّى عامَ (١٠٣٦هـ).

١٩- (مَسَرَّةُ العَينَينِ على تفسيرِ الجَلالَينِ) لِلشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ خَليل القَاوقجيِّ الطرابلسيِّ، المُتوفَّى عامَ (١٣٠٥هـ)[١].

٢٠- (قُرَّةُ العَينَينِ على تفسيرِ الجَلالَينِ) لِلقَاضِي الشَّيخ مُحَمَّد أَحمد كنعَان.

٢١- (المُفصَّلُ في تَفسيرِ القرآنِ الكريمِ المَشهورِ بِتَفسيرِ الجَلالَينِ) لِلدكتور فَخرِ الدِّينِ قَباوَة.

٢٢- حَاشِيَةٌ (ضَوءُ القَمَرَينِ على تَفسيرِ الجَلالَينِ) لِلشَّيخِ عبدِ الله بنِ فَيصَل الأَهدَل.

٢٣- هذه الحَاشيةُ التي سَمَّيتُها ابتداءً: (حَاشِيةُ هِدايةِ المُوحِّدينَ على تَفسيرِ الجَلالَينِ).

(١) نقلًا عن مقدِّمةِ القاضي كنعان في (قرَّةِ العينينِ) بتصرف يسير.

منهجُ العمَلِ في الكِتَابِ

١- قُمتُ بِضَبطِ النَّصِّ وتَصحيحِه ومُقابَلَتِه عَلى النَّسخِ المَطبُوعةِ المُعتَمَدَةِ، وجَعلتُ طَبعَةَ (دَار إحياءِ الكُتُبِ العَربيَّةِ مَع حَاشِيَةِ الصَّاوِي) هِي الأَصلَ المُعتَمَدَ؛ لِدِقَّتِها وقِلَّةِ أخطائِها، وعَدَمِ وُجُودِ سَقطٍ بها، ثُمَّ نُسخَةَ القَاضِي كنعَان؛ (قُرَّةُ العَينَينِ على تَفسيرِ الجَلالَينِ)، ثُمَّ نُسخَةَ الشيخ صَفِيِّ الرَّحمنِ، وفي هذه الطبعَةِ الثالثةِ اعتَمدتُ نُسخَةَ: (المُفصَّلُ في تَفسيرِ القُرآنِ الكَريمِ المَشهُورِ بِتَفسِيرِ الجَلالَينِ) لِلدكتور فَخرِ الدِّينِ قَبَاوَة، بَعدَ نُسخَةِ حَاشيةِ الصَّاوي، وقَدَّمتُها على نُسخَةِ القَاضِي كنعَان، ونُسخَةِ الشيخ صَفِيِّ الرَّحمنِ، وأُشيرُ لها في الحَاشِيَةِ بـ(نُسخَة قَبَاوَة)، وعِندَ وُجودِ اختلافٍ جَوهريٍّ، أَو سَقطٍ، أَعتمِدُ ما جاءَ في نُسخَةِ حَاشيةِ الصَّاوِي إِلَّا ما ظَهرَ لي خَطؤُه، وهو نَادرٌ جَدًّا مع الإِشارَةِ إلى الاختلافِ أَوِ السَّقطِ في نُسخَةِ قَبَاوَة خَاصَّةٍ، وَوَجهِ ذلك.

أَعتمِدُ إِثباتَ عِبارَةِ: (ﷺ) عندَ ذكرِه صَلى الله عليه وسَلَّمَ، إذا كانتْ مُثبَتَةً في الأَصلِ؛ سَواء أُثبِتَت في غَيرِها مِنَ النُّسَخِ أَم لا، دُونَ تَحَرِّي الإِشارَةِ إِلى ذلك الاختِلافِ، وإِذا لَم تَكنْ مُثبَتَةً في الأَصلِ، ولكنَّها مُثبَتَةٌ في إِحدى النُّسَخِ الأُخرى المُعتَمَدَةِ لَدَيَّ؛ أُثبِتُها مَع التنبيهِ عَلى ذلك الاختلافِ.

٢- تَتبَّعتُ ما وقعَ في الجَلالَينِ مِنْ تأويلٍ لآيَاتِ الصِّفَاتِ، وبَيَّنتُ وَجهَ مُخالَفتِها لِعَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ ومَذهبِ السَّلفِ، وبيَّنتُ عَقيدةَ أَهلِ السُّنَّةِ ومَذهبَ السَّلفِ في تَفسيرِ هذه الآيَاتِ، في كُلِّ مَوضِعٍ وَقفتُ فيه على شيءٍ مِنْ ذلك، ولَم أَكتفِ بِتناوُلِ بَعضِها والإِحالَةِ عليه.

وكانَ هذا الأَمرُ هو مَقصُودَ الكِتَابِ الأَوَّلِ عندَ بَدءِ العَملِ فيه، وقَدِ استفدتُ في هذا البَابِ بِما كَتَبه المُفسِّرُونَ الذين اعتَمَدوا طَرِيقَةَ السَّلفِ ونَصروا عَقيدةَ أَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ؛ كابنِ جَريرٍ، وابنِ كَثيرٍ، والبَغويِّ، وابنِ سعديٍّ.

كما استفدتُ كثيرًا مِمَّا كتبَه بَعضُ المتأخِّرينَ مِنْ أَهلِ العِلمِ مِمَّنْ عُرِفَ بِسلَامةِ اعتقَادِه، ونُصرَتِه لِعَقيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في بابِ الأَسماءِ والصِّفَاتِ؛ مِمَّنْ تَعقَّبَ بَعضَ ما في الجَلالَينِ مِنْ تأويلٍ، ومِنْ ذلك:

أ- (أَنوارُ الهِلالَينِ في التعقُّبَاتِ على الجَلالَينِ) لِلدكتور مُحمَّد بنِ عبدِ الرَّحمنِ آل خميس.

ب- (تَنبيهاتٌ مُهِمَّةٌ على قُرَّةِ العَينَينِ وتفسيرِ الجَلالَينِ) لِلشيخِ مُحمَّد بن جَميل زِينُو.

جـ- تعليقاتُ الشَّيخ عبدِ الرزَّاقِ عَفِيفي رَحِمَهُ اللَّهُ على تَفسيرِ الجَلالَينِ؛ مِنْ سُورَةِ غَافرٍ إِلى سُورَةِ النَّاسِ.

د- (المُفسِّرُونَ بينَ التأويلِ والإِثبَاتِ في آيَاتِ الصِّفَاتِ) لِلشيخِ مُحمَّد بن عبدِ الرحمن المغراوي.

إِضَافَةً إِلى بَعضِ الكُتبِ والرَّسَائِلِ المُتفرِّقَةِ في هذا البَابِ؛ كَالعَقيدَةِ الوَاسِطيَّةِ لِشيخِ الإِسلَامِ ابنِ تيميَّةَ وشُروحِها.

٣- بَيَّنتُ ما وَقعَ في الجلالَينِ مِنْ إسرائيليَّاتٍ؛ مِمَّا لا يَجوزُ نِسبتُه إِلى أَنبيَاءِ الله الكِرَامِ أَوِ الملائِكَةِ، وذَكرتُ أَقوالَ السَّلفِ وكلامَ أَهلِ التفسيرِ في كُلِّ ذلكَ.

٤- قُمتُ بِضَبطِ وشَكلِ الكَلماتِ التي قد يُشكِلُ على القَارئِ فَهمُها أَو نُطقُها النُّطقَ الصَّحِيحَ.

٥- كما اجتهدتُ في وَضعِ عَلامَاتِ الترقيمِ بِمَا يُحقِّقُ تَوضيحَ المَعنَى وفَهمَ العِبارَةِ، وإِزالَةَ ما قدْ يَعتَرِيها مِنْ لَبسٍ أَو غُمُوضٍ.

٦- كما بَيَّنتُ مَا وقعَ في الجَلالَينِ مِنْ عِبَارَاتٍ غَامِضَةٍ أَو كَلِماتٍ مُشكِلَةٍ.

وقد جَعلتُ الآيَاتِ التي يتنَاولُها المُفسِّرَانِ بِالتفسِيرِ بِلَونٍ مُغَايرٍ لِغَيرِها مِنَ الآيَاتِ التي يَذكرُها المُفسِّرَانِ في ثنايَا الشَّرحِ؛ لِلتَّسهِيلِ على القَارِئِ في الوُصُولِ إِلى الآيَاتِ مَوضِعِ الشَّرحِ، وحتَّى لا تَلتَبِسَ عليه بِغَيرِها مِنَ الآيَاتِ؛ حَيثُ إِنَّني اعتمَدتُ رَسمَ المُصحَفِ في الآيَاتِ كُلِّها، ولَيسَ فِيما يُفسِّرُه المُفسِّرَانِ أَصَالةً في كُلِّ سُورَةٍ.

٧- بَيَّنتُ أَوجُهَ القِراءَاتِ المُختلِفَةِ التي تَعرَّضَ لها المُفسِّرَانِ، وعَزوتُها لِأَصحَابِها، مَع بَيَانِ المُتواتِرِ منها مِنَ الشَّاذِّ، واقتصَرتُ على ذِكْرِ السَّبعيَّةِ؛ وذلكَ بِالرُّجوعِ إِلى كُتُبِ هذا الفَنِّ ومُتَخصِّصِيه.

٨- تَعقَّبتُ ما اعتمَدَه المُفسِّرَانِ مِنْ أَقوالٍ مَرجُوحَةٍ، وذَكرتُ قَولَ جَماهِيرِ المُفسِّرِينَ في هذه المَوَاضِعِ، وما اختارَه مُحقِّقُوهم كَالطبَريِّ وابنِ كَثيرٍ.

٩- قُمتُ بِعَزوِ الآيَاتِ التي وَردَتْ في ثنَايَا التفسِيرِ، كَما قُمتُ بِتَخرِيجِ الأَحَادِيثِ والآثَارِ تَخرِيجًا مُختَصرًا، مَع بَيَانِ دَرجَتِها مِنَ الصِّحَةِ والضَّعفِ -إِذا كَانت في غَيرِ الصَّحِيحَينِ أَو أَحدِهما- بِالرُّجوعِ إِلى عُلماءِ هذا الفَنِّ، وكانَ جُلُّ اعتمادِي على كَلامِ الشيخِ الأَلبَانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومَا لَمْ أَقفْ له فيه على قَولٍ؛ فكُنتُ أَرجِعُ فيه لِكلامِ الشيخِ أَحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَوِ الشيخ الأَرناؤوطِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وإِلَّا فَإِلى كَلامِ المُتقدِّمِينَ في ذلكَ كالهَيثمِيِّ وابنِ حجرٍ وغَيرِهما.

١٠- أَثبَتُّ في الحَاشِيةِ الأُولَى ما جَاءَ مِنْ صَحيحِ أَسبَابِ النُّزُولِ، مُكتَفيًا بِما جَاءَ في الكُتُبِ السِّتَّةِ ومُسنَدِ الإِمَامِ أَحمدَ.

واقتصَرتُ فيه على الصَّحِيحِ فَقَط؛ مُعتَمِدًا في ذلك على ما صَحَّحه الشَّيخُ الأَلبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كُتبِه، وأَمَّا ما لَمْ أَقفْ فيه على كلامِه، كما في مُسنَدِ الإِمَامِ أَحمدَ -غَالبًا-. فقد رَجعتُ فيه إِلى كَلامِ الشيخ أَحمد شاكر

رَحِمَهُ اللَّهُ في الجزءِ الذي أَتمَّه مِنَ المسنَدِ، وكذا رَجَعتُ لِتَعليقَاتِ الشَّيخِ شُعَيبِ الأَرناؤوطِ رَحِمَهُ اللَّهُ في المُسنَدِ.

واكتفيتُ في أَسبَابِ النُّزولِ -في هذه الحَاشيةِ- بِمَا صَحَّ في هذه الكُتُبِ فقط.

وأَمَّا ما جَاءَ في أَسبَابِ النُّزُولِ -مِمَّا تَعرَّضَ له المُفسِّرَانِ- مِمَّا لَمْ يَصِحَّ في هذه الكُتُبِ السِّتَّةِ ومُسنَدِ الإِمَامِ أَحمدَ فقدْ جَعلتُه في الحَاشِيَةِ الثَّانيةِ.

وكذلكَ ما ذَكرَهُ المُفسِّرَانِ في أَسبَابِ النُّزُولِ في غَيرِ الكُتُبِ السِّتَّةِ ومُسنَدِ أَحمدَ -سَواءً أكانَت صَحيحةً أَمْ لا- فقدْ عَلَّقتُ عليها بِالعَزوِ والتَّصحِيحِ أَوِ التَّضعِيفِ، في الحَاشيةِ الثانيةِ.

كما جَعلتُ في هذه الحَاشِيةِ بَعضَ الفَوائدِ المُتعلِّقَةِ بِبعضِ السُّورِ أَوِ الآيَاتِ مِنْ خِلالِ الأَحَاديثِ الصَّحِيحةِ في الكُتُبِ السِّتَّةِ ومُسنَدِ الإِمَامِ أَحمدَ.

١١- اعتَمدتُ مُصحَفَ المدينَةِ لانتِشارِه ولِجَمالِ خَطِّه، واجتَهدتُ قَدرَ الإِمكانِ أَنْ أَجعَلَ التفسِيرَ وحَواشيَه مُتوافِقةً مَع صَفَحَاتِ المُصحَفِ الشَّريفِ، إِلَّا في مَواضِعَ قَليلَةٍ اضطررتُ إِليها لِضيقِ المَجَالِ المُتَاحِ.

١٢- حيثُ إِنَّ (الجَلالَينِ) لَم يَتقيَّدا في تَفسيرِهما بِقِرَاءَةٍ أَو رِوَايَةٍ وَاحِدَةٍ، ولَمْ يَلتزِمَا بِتقدِيمِ قِرَاءَةٍ بِعَينِها، مَع ارتباطِ تَفسيرِهما بِالقِراءَةِ أَوِ الرِّوايَةِ التي اعتَمدَاها؛ فقَدْ تَعذَّرَ اعتِمادُ رِوَايةٍ بِعَينِها مِثلِ حَفصٍ عَنْ عَاصمٍ، أَو وَرشٍ، أَو غيرِهما؛ ومِنْ ثَمَّ فقد اعتمدتُ ما اعتمدَاه مِنْ قِرَاءَاتٍ أَو رِوَاياتٍ، ومَا خَالفَ قِراءَةَ حَفصٍ جَعلتُه بَينَ مَعقُوفَينِ؛ هَكذا [ ]. مَع بَيَانِ قِراءَةِ حَفصٍ في الحَاشيةِ الثَّانيةِ.

وقدْ استغرَقَ العَملُ في هذا الكِتَابِ المُبارَكِ قُرَابَةَ عَشرِ سَنوَاتٍ كَامِلَةٍ، حَرَصتُ خِلالَها على عَرْضِه على كَثيرٍ مِنْ أَهلِ العِلْمِ مِمَّنْ لهم عِنايَةٌ خَاصَّةٌ بِالتَّفسيرِ والقُرآنِ وعُلومِه، واستفدتُ مِنْ تَوجِيهَاتِهم ونَصَائِحِهم، وقد حَازَ الكِتَابُ-بِحَمدِ الله- إِعجَابَهم وحَظِيَ بِثنَائِهم، وشَجَّعُوا على إِتمَامِه وإِخرَاجِه، حتَّى يَسَّرَ الله عَزَّوَجَلَّ إِخرَاجَه على هذه الصُّورةِ الطَّيِّبةِ، فلَه سُبحانَه الحَمدُ أَوَّلًا وآخِرًا، وظَاهِرًا وبَاطِنًا.

وصلَّى الله وسلَّم وباركَ على خاتمِ النَّبيِّينَ والمُرسَلينَ وسَيِّدِ الأَوَّلينَ والآخِرينَ، وعلى آله وصحبِه أَجمعينَ، والتَّابِعينَ لهم بِإِحسَانٍ إِلى يَومِ الدِّينِ.

وكَتَبَهُ/ أبو عبد الرحمن هشام بن محمد سعيد آل برغش

الإِسكندرية -ليلة الجُمُعَةِ- غُرَّة جُمادَى الأُولى ١٤٢٨هـ

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمدُ لله الذي أَنزلَ على عَبدهِ الكِتابَ ولَمْ يَجعلْ له عِوَجًا، أَحمَدُه سُبحانَه حَمدًا يُوافي نِعَمَه، ويُكافئُ مَزِيدَه، وأَشهدُ أَنْ لا إِله إِلَّا الله، وَحدَه لا شريكَ له، وأَشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورَسولُه.

أَمَّا بعدُ:

فقدْ صَدرتِ الطَّبعةُ الأُولَى مِنْ هذا التَّفسيرِ المباركِ عامَ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، وقدْ لَاقَتْ والحَمدُ لله قَبولًا وانتشَارًا بينَ أَهلِ العِلْمِ، وقامَ بِتدرِيسِها ثُلَّةٌ مِنْ أَهلِ العِلْمِ والفَضلِ في عِدَّةِ دُوَلٍ خَاصَّةً في إِفريقيا، وبَعضِ الدُّولِ الأَسيويَّةِ، وقد نَفدَتْ هذه الطبعةُ سَريعًا، فصدَرتِ الطبعةُ الثانيةُ عامَ ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، واشتملَت على إِضافاتٍ محدُودةٍ، واقتَصَرَتْ على تَعدِيلَاتٍ طَفيفةٍ في التنسيقِ والإِخْراجِ.

ومعَ الرَّغبةِ المُلِحَّةِ في إخراجِ طَبعةٍ جَديدةٍ مُنَقَّحَةٍ تُستدرَكُ فيها بَعضُ الأَخطَاءِ والملاحَظاتِ التي وقَعَت في سَابِقتَيْها، والتي وَقفتُ على بَعضِها بِنفسِي، ونَبَّهَني إِلى بَعضِها الآخَرِ بعضُ الفُضلَاءِ، جَزاهُم الله خيرًا، وجعلَه في ميزانِ حَسناتِهم؛ فقد اقترحَ كثيرٌ مِنْ أَهلِ الفَضلِ زِيادةَ حَجمِ خَطِّ الكِتابِ، لِيَسهُلَ الانتفَاعُ به وقِراءَتُه، وكانَ يَحولُ دُونَ تنفيذِ ذلك الطَّلبِ المُهِمِّ الحِرصُ على أَمرٍ آخَرَ لا يَقِلُّ أَهميَّةً، وهو المحافَظةُ على عَددِ صَفَحَاتِ الحَاشيةِ والتَّعليقِ، وارتباطِها بِعَددِ صَفحَاتِ المُصحَفِ الشَّريفِ؛ لِيجمَعَ التَّفسِيرُ مَعَ حَاشيتِهِ بَينَ الأَمرَينِ؛ أَنْ يَكتفِيَ به قَارِئُ القُرآنِ عَنْ نُسخَةِ التَّفسيرِ، وقَارئُ التَّفسيرِ عَنْ نُسخَةِ المُصحَفِ.

وكان البَحثُ الجادُّ عَنْ كيفيَّةِ حلِّ هذه المُعضِلةِ وإِخراجِ نُسخةٍ تُحقِّقُ الأَمرَينِ معًا، حتَّى يسَّرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ يقومُ بإِعادةِ تنسيقِ وإِخرَاجِ الكِتَابِ في هذا القَالَبِ بِمَا يُحقِّقُ الأَمرَينِ- إِلى حدٍّ كبيرٍ- بِإِذنِ اللهِ تَعالى.

ولم يَكُـنِ الأَمرُ سَهلًا واستغرَقَ جُهدًا ووَقتًا، مِنَ الأَخِ الكـريمِ المسئولِ عَنْ طِباعةِ الكِتَابِ، والأَخِ الكَـريمِ القَائمِ عَلى الإِخرَاجِ والتَّنسيقِ، والذي أَجهدتُّـه كَثيرًا؛ فجَزَاهُما اللهُ خَيرًا، وجعلَ ذلكَ في مِيزانِ حَسناتِهما.

الجديد في هذه الطبعة:

١- ضَبطُ النَّصِّ، ومُراجعةُ نَصِّ الكِتابِ عَلى عِدَّةِ نُسَخٍ أُخرَى محقَّقةٍ، لمْ تكنْ مُتاحَةً أَو مَطبُوعةً وقتَ صُدورِ الطَّبعَتَينِ السَّابِقتَينِ، وإِثباتُ الفَرقِ بينَ هذهِ النُّسْخَةِ وغَيرِها عندَ وُجودِ اختلافٍ بينها، ومِنْ هذه

الكُتبِ: كِتابُ (المُفصَّل في تَفسيرِ القُرآنِ الكَريمِ المَشهورِ بتفسِيرِ الجلالَينِ) - تحقيق: د. فَخر الدِّين قَباوَة، طبعة مكتبة لبنانَ، نَاشِرُونَ، ط١-٢٠٠٨م. حيثُ قَابلتُ هذه النُّسخَةَ عليها، وأثبتُّ ما بينهما مِنْ الفروقِ، كما استفدَتُّ مِنْ كتابِ: (ضَوءُ القمَرينِ على تَفسيرِ الجلالَينِ)، لِلشيخِ عبدِ الله بن فيصل الأَهدل، وما عليه مِنْ تَعليقاتٍ نفيسةٍ.

٢- تَشكيلُ نُصوصِ الآثَارِ والأَحاديثِ التي وَرَدَتْ في ثَنايَا الكِتابِ، وكذلك تَشكيلُ أَغلَبِ كَلماتِ التَّفسيرِ، مِمَّا رَأيتُ فائدةً أَوْ حاجةً إلى ذلك.

٣- استكمالُ تَخريجِ مَا قدْ فَاتَ مِنْ نصوصِ الأَحاديثِ والآثارِ التي جَاءتْ في الكتابِ.

٤- استدرَاكُ بَعضِ مَا فاتَنِي مِنْ تَعليقاتٍ على ما وَقَعَ مِنَ المُفسِّرَينِ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ مِنْ تَأويلٍ لِبَعضِ الصِّفَاتِ.

٥- إِضَافةُ بَعضِ الفَوائدِ واللطائفِ التي رأَيتُ تَضمينَها الكِتابَ، مِمَّا لَمْ يَتسنَّ لي تضمينُها في الطبعَتينِ السَّابِقَتينِ؛ بِسببِ طَبيعةِ التنسيقِ التي حَالت دُونَ ذلك؛ حِرصًا على التوافقِ بين التفسيرِ والحاشِيَتَينِ ونُسخَةِ مُصحَفِ المدِينةِ.

وبعدُ؛ فهذا غَايةُ بَذلي واجتِهادي؛ فما كانَ فيه مِنْ صَوَابٍ وسَدَادٍ فمِنَ الله وَحدَه وبتوفيقِه، وما كان فيه بخلافِ ذلك فمِنْ نَفسي ومِنَ الشَّيطانِ، واللهُ ورسولُه منه بَراءٌ، وحَسبي أنِّي قدْ بَذلتُ غَايةَ جُهدي في تحرِّي الصَّوابِ، واتِّبَاعِ مَنهج سَلفِنا الصَّالحِ وأئِمَّتِهم مِنْ عُلماءِ التَّفسيرِ، والوُقُوفِ على أقوالِهم، واختيَارِ ما أَراهُ أقربَ إلى الصَّوابِ.

وكما هي طبيعَةُ العَملِ والقُصور البَشريِّ؛ فلا يُمكِنُ لِعَمَلٍ بَشَرِيٍّ أنْ يَبلغَ الكَمالَ؛ بَلْ لابُدَّ مِنْ وجُودِ قُصورٍ وخَللٍ، فرَحِمَ الله امرأً وَقفَ على خَطأٍ فصَحَّحَه، وكَتَبَ به إليَّ لِتدارُكِه.

وأسأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يَتقبَّلَ مِنِّي هذا العَملَ بأَحسنِ قَبولٍ؛ فهو سُبحانَه أكرمُ مَسئولٍ، وأرجَى مَأمولٍ، كما أسألُه سُبحانَه أنْ يجعلَ هذا العَملَ خَالِصًا لِوجهِهِ الكريمِ، نَافِعًا لِعبَادِه الموحِّدِينَ.

اللهُمَّ آنِسْ به في القَبرِ وَحشَتي، وفَرِّجْ به يَومَ القِيامَةِ كُربَتِي، ويَمِّنْ به يَومَ النُّشُورِ صَحِيفَتِي، وثَبِّتْ به على الصِّرَاطِ مَحَجَّتِي.

كما أَسألُه سُبحَانَه وتَعالَى أنْ يجعَلَني مِنْ خَادِمِي كِتابِه العَزِيزِ، وأنْ يجعَلَني مِنْ أَهلِه وخَاصَّتِه العَامِلِينَ به، وأنْ يتجَاوزَ عَنْ خَطئِي وتَقْصِيرِي، وأنْ يتوفَّاني مسلمًا ويُلحِقَني بالصَّالحِينَ.

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ على خَاتَمِ النَّبِيِّينَ والمُرسَلِينَ وسَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، وعلى آله وصَحبِه أجمَعِينَ، والتَّابِعينَ لهم بإِحسَانٍ إلى يَومِ الدِّينِ، والحَمدُ لله رَبِّ العَالمينَ.

وكَتَبَهُ/ أبو عبد الرحمن هشام بن محمد سعيد آل برغش

مكة المكرمة- الاثنَين- ١٥ رَجب ١٤٤٤هـ

Dr.hesham.bargash@gmail.com

+٩٠٥٤٦٤٧٩٨٣٣٨

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين الجليلين

جلال الدين
محمد بن أحمد بن محمد المحلّي

جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

والحاشية لأبي عبد الرحمن
د. هشام بن محمد سعيد آل برغش

راجعه وقدّم له

فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد عيسى المعصراوي
شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة مراجعة المصحف بالأزهر
وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر (سابقاً)

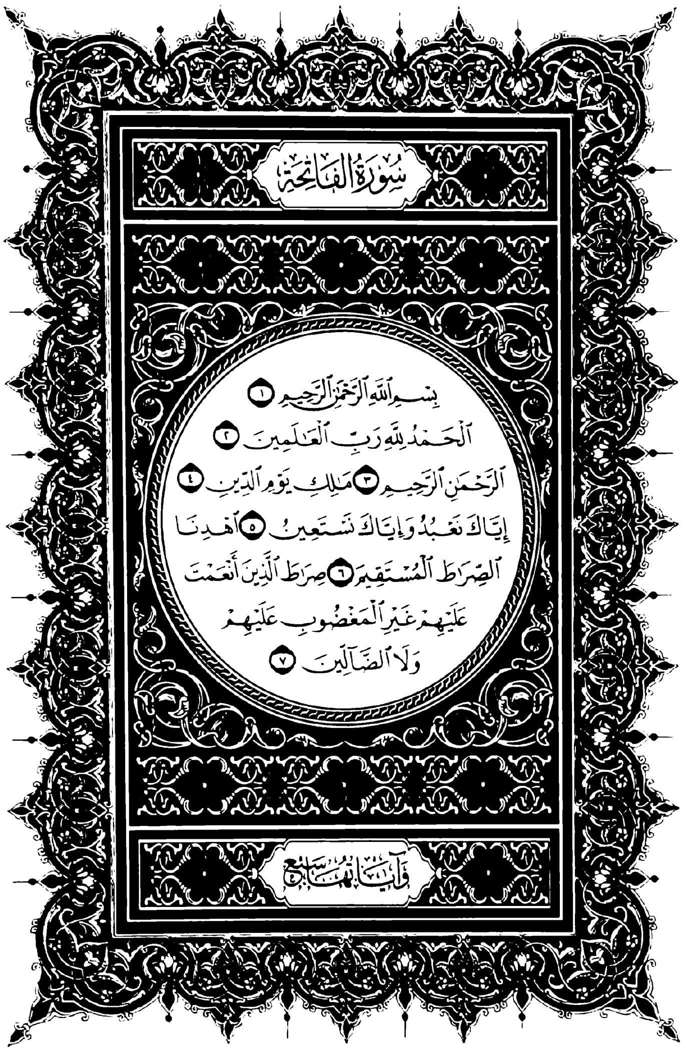

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الفَاتِحَة

مَكِّيَّةٌ سَبْعُ آيَاتٍ بِالبسمَلَةِ إِنْ كانت منها، والسَّابعةُ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ إِلى آخِرِها، وإِنْ لمْ تكنْ منها؛ فالسَّابِعةُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ إِلى آخِرِها، ويُقَدَّرُ فِي أَوَّلِها: «قُولُوا»؛ لِيَكُونَ ما قَبلَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مَناسِبًا له بكونِها مِنْ مَقُولِ العِبَادِ[*](1).

[١] ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

[٢] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جملةٌ خبريَّةٌ قُصِدَ بها الثَّنَاءُ على اللهِ بمضمُونِها على أنَّه -تَعَالَى-: مَالِكٌ لِجَمِيعِ الحَمدِ مِنَ الخَلْـقِ، أو مُستَحِقٌّ لِأَنْ يَحمَـدُوه. و«الله» عَلَمٌ على المعبُودِ بِحَقٍّ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: مَالِكِ جَمِيعِ الخَلقِ؛ مِنَ الإِنْسِ والجِنِّ والملائِكَةِ والدَّوابِّ وغيرِهم. وكلٌّ منها يُطلَقُ عليه عالَم؛ يُقَالُ: عالَمُ الإِنسِ وعالَمُ الجنِّ، إِلى غيرِ ذلك، وغُلِّبَ في جمعِه بِاليَاءِ والنُّونِ أُولُو العِلمِ عَلى غَيرِهم، وهو(2) مِنَ العَلامَةِ؛ لِأَنَّهُ عَلامَةٌ على مُوجِدِه.

[٣] ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: ذِي الرَّحمةِ؛ وهي: إِرادةُ الخَيرِ لِأَهلِه(3).

[٤] ﴿[مَلِكِ](4) يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: الجَزاءِ؛ وهو: يومُ القِيامةِ، وخُصَّ بِالذِّكرِ؛ لأنَّه لا مُلْكَ ظاهرًا فيه لِأَحدٍ إِلَّا لله -تَعالَى- بِدليلِ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ﴾(5)، وَمَنْ قَرأَ: ﴿مَٰلِكِ﴾ فَمَعْنَاهُ: مَالِكِ الأَمْرِ كُلِّه في يَومِ القِيامَةِ، أَوْ(6) هو مَوصُوفٌ بِذلكَ دَائمًا؛ كَـ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾(7)؛ فَصَحَّ وُقُوعُهُ صِفَةً لِلمعرِفَةِ.

[٥] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نَخُصُّكَ بِالعِبَادةِ مِنْ تَوحيدٍ وغَيرِه، ونَطلبُ(8) المعونَةَ على العِبَادةِ وغَيرِها.

[٦] ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: أَرشِدْنا إليه، ويُبْدَلُ مِنْهُ(9):

[٧] ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهِدَايةِ، وَيُبْدَلُ مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بِصِلَتِهِ(10): ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهُمُ اليَهُودُ ﴿وَلَا﴾: وغَيرِ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾[**] وهُمُ النَّصارَى. ونُكتَةُ البَدلِ إِفادَةُ(11) أَنَّ المهتَدِينَ لَيسُوا يَهودًا ولَا نَصارَى(12).

---

[*] **فَائِدَةٌ**: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، قال: **بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ»**. قال: **«هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»**. مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤٣) فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأخرج النَّسَائِيُّ عن أُبَيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي»**. النَّسَائِيُّ - كتاب الافتتاح (١١) باب (٢٦)، وأخرجه الترمذي مطولًا، وفيه: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا»** - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١). (صحيح) صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٣٠٧).

[**] **فَائِدَةٌ**: آخِرُ الفاتحةِ هو قولُهُ تَعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وأمَّا لفظُ: «آمين» فليس منها ولا مِنَ القرآنِ مُطلقًا؛ بل هو سُنَّةٌ، وهو اسمُ فِعلٍ؛ بمعنى: «اللهمَّ استجِبْ». أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**. البُخَارِيُّ - كتاب تفسير القرآن (٦٥) باب (٢) ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

---

(١) في الأَصْلِ -مِنْ حيثُ وضعُ نُسخِ الجلالِ (أي السيوطي)-: أَورَدَ تفسيرَ سورةِ الفاتحةِ بعدَ سورةِ النَّاسِ؛ حَيثُ إِنَّ المحلِّيَّ هو الذي فَسَّرها بعدَ سُورةِ النَّاسِ؛ فجعلَها السيوطيُّ خَاتِمَةَ وآخرَ التفسيرِ؛ لِيكونَ تَفسيرُ المحلِّيِّ مُنضمًّا بَعضُه إلى بعضٍ. وإِنَّما قدَّمناها إلى أَوَّلِ الكِتابِ لمتابعَةِ نَسَقِ السُّوَرِ في المُصحَفِ العُثمانِيِّ.

(٢) أي: العَالَم.

(٣) وهذا التأويلُ هو مذهبُ المُتَأَوِّلَةِ مِنْ أشعريَّةٍ ومُعتزلةٍ وغيرِهما. ومَذهبُ السَّلَفِ إِثباتُ هذه الصِّفَةِ وغيرِها، مِمَّا ثَبَتَ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبْحَانَهُ-، ومِنْ لوازِمِها إِرادةُ الخَيرِ والإِحسانِ والإِنعامِ لِـمَنْ يَرحمُه.

(٤) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وحَمزةَ، وقرأَ عاصمٌ والكِسَائِيُّ: ﴿مَٰلِكِ﴾.

(٥) غافر: ١٦.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي:).

(٧) غافر: ٣.

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ونطلبُ منكَ)، وفي نسخة حاشية الجمل: (وبطَلَبِ المعونةِ).

(٩) أي: بدلُ كلٍّ مِنْ كلٍّ، وهو قولُه بعدَها: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وفائدتُه التوكيدُ والتنصيصُ على أَنَّ صِراطَ المسلمينَ هو المشهودُ عليه بالاستقامةِ على آكَدِ وَجهٍ وأَبلَغِه.

(١٠) أي: إِنَّ ﴿غَيْرِ﴾ بدلٌ مِنَ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وقيلَ: هي نعتٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أفادت)؛ بِالتَّاءِ المُثَنَّاةِ المفتوحةِ.

(١٢) في الأَصْلِ زيادَة: (والله أَعلمُ بِالصَّوابِ، وإِليه المرجعُ والمآبُ...)، وفي نِسبتِها إلى السيوطيِّ أو تَلامِذَةِ المَحلِّيِّ خِلافٌ، وقد نقلتُها إلى نهايةِ التَّفسيرِ، وأَشرتُ إلى ذلك الخِلافِ؛ فلتُراجَعْ ثَمَّ.

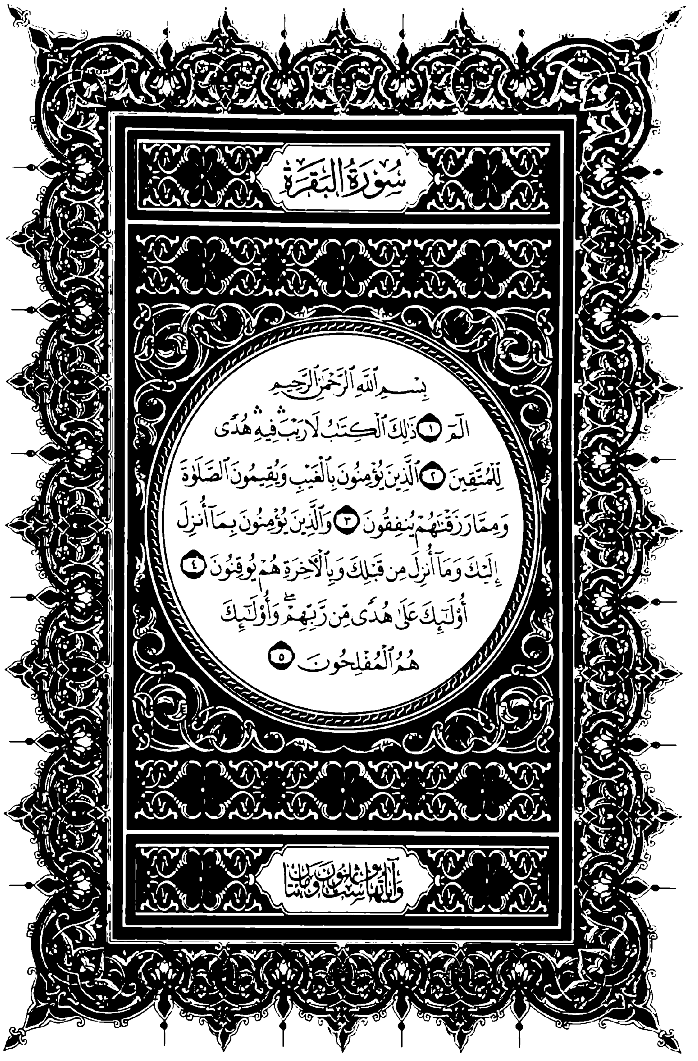

سُورَةُ البَقَرَةِ[*]

مَدنيَّةٌ، مِائتانِ(١) وسِتٌّ أَوْ: سَبعٌ وثَمانُونَ آيَةً(٢)

[قالَ الإمامُ جلالُ الدِّين السيوطيُّ رحمه الله](٣):

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمدُ لله حمدًا مُوافيًا لنِعَمِه، مُكَافِئًا لمزِيدِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على [سيِّدنا](٤) محمَّدٍ وآلِه وَصحبِه وجُنودِه. هذا ما اشتَمَلَتْ عليه حَاجَةُ الرَّاغِبِينَ في تكمِلَةِ تفسيرِ القُرآنِ الكَريمِ الذي أَلَّفه الإمامُ العلَّامَةُ(٥) المُحقِّقُ جلالُ الدِّين محمَّد بن أحمد المحلِّيُّ الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتتميمِ ما فاتَه، وهو مِنْ أَوَّلِ(٦) سُورةِ «البقرةِ» إلى آخِرِ «الإسراءِ». بِتتمَّةٍ عَلى نَمَطِه؛ مِنْ ذِكْرِ ما يُفهَمُ به كلامُ الله -تَعَالَى- والاعتمادِ على أرجَحِ الأقوالِ، وإعرابِ ما يُحتاجُ إليه، وتنبيهٍ على القِراءَاتِ المُختلِفةِ المَشهورَةِ، على وَجهٍ لَطيفٍ، وتَعبيرٍ وَجيزٍ، وتَرْكِ التطويلِ بذِكْرِ أقوالٍ غيرِ مَرضيَّةٍ وأَعَاريبَ محلُّها كُتبُ العربيَّةِ، واللهَ أسألُ النَّفعَ به في الدُّنيَا، وأحسنَ الجزاءِ عليه في العُقْبَى بِمَنِّه وكَرَمِه.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اللهُ أَعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ.

[٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هذا ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي يقرؤه محمَّدٌ ﴿لَا رَيْبَ﴾: لا شَكَّ ﴿فِيهِ﴾ أنَّه مِنْ عندِ الله، وجملةُ النَّفي خبرٌ؛ مُبتدَؤُه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ والإشارَةُ به لِلتَّعظيمِ ﴿هُدًى﴾: خَبَرٌ ثَانٍ؛ أي: هَادٍ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الصَّائِرينَ إلى التَّقوى؛ بِامتِثَالِ الأَوامِرِ واجتنابِ النَّواهِي، لاتِّقائِهم بذلك النَّارَ.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصدِّقُونَ ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: بِما غَابَ عنهم مِنَ البَعْثِ والجَنَّةِ والنَّارِ ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أَي: يأْتونَ بها بِحقُوقِها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أَعطيناهُم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طَاعةِ الله.

[٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أَي: القُرآنِ ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: التَّوراةِ والإنجِيلِ وغَيرِهما ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: يَعلَمُونَ(٧).

[٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المَوصُوفُونَ بِما ذُكِرَ ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفَائِزُونَ بالجَنَّةِ النَّاجُونَ مِنَ النَّارِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عن يُوسُفَ بْنِ مَاهَكٍ، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ، وَمَا يَضُرُّكَ؟! قَالَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أَرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ، قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ. قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ المُصْحَفَ، فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ. البُخاريُّ كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (٦) تأليف القرآن.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وهي مِائتَانِ).

(٢) مَنشأُ هذا الخلافِ: اختلافُ المُصحفِ الكُوفيِّ وغيرِه في رُءوسِ بعضِ الآيِ، واختلافُ الرِّواياتِ في تحديدِ أواخرِ بعضِها؛ أي: الفواصلِ المعروفةِ بين الآياتِ.

(٣) مِنْ هنا إلى آخرِ سُورةِ الإسراءِ مِنْ وَضعِ السيوطيِّ، وكان المحلِّيُّ قد بدأ في تَفسيرِ البَقرةِ، وبعدَ أن مَضى في تفسيرِ آياتٍ يَسيرةٍ تَوفَّاه الله، وَلَيس لدينا عِلمٌ عَنْ كم ما فسَّره المَحلي مِنْ آياتٍ.

(٤) في نُسخَة حاشيةِ الصَّاوي على الجَلالَينِ طَبعةِ بُولاقٍ -والتي يُشار إليها بعدَ ذلك بـالأَصل- بِدونِ زِيادةِ: (سَيِّدنا)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، ونُسخَةِ قُرَّةِ العَينَينِ على الجَلالينِ للقاضي كنعان.

(٥) كلمةُ: (العلَّامة) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) في هذا تَسامحٌ مِنَ السُّيوطيِّ؛ حيثُ إنَّه سبقَ الإشارةُ إلى أنَّ المحلِّيَّ قد بدأ في تفسيرِ البَقرةِ، وبعدَ أن مَضى في تَفسيرِ آيَاتٍ يَسيرةٍ توفَّاهُ الله.

(٧) أي: عِلمًا قَطعيًّا لا شَكَّ فيه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ
أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ
وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ
هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣ وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ
فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦

[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبي جهلٍ وأبي لهبٍ ونحوِهما ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ - بِتحقيقِ الهمزتَينِ، وإِبدَالِ الثانيةِ ألِفًا، وتَسهيلِها، وإِدخالِ ألِفٍ بَينَ المُسهَّلةِ والأُخرى، وترْكِه[1] - ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لِعِلْمِ اللهِ منهم ذلكَ؛ فلا تَطمَعْ في إِيمانِهم - والإِنذارُ: إِعلامٌ مَع تَخويفٍ -.

[٧] ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: طَبَعَ عليها واستَوثَقَ؛ فلا يَدخُلُها خيرٌ ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ أي: مَواضِعِه[2]؛ فلا يَنتفِعُونَ بما يَسمعونَه مِنَ الحقِّ ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾: غِطَاءٌ؛ فلا يُبصِرُونَ الحَقَّ ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: قَويٌّ دَائِمٌ.

[٨] ونَزَلَ في المنافِقِينَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أي: يَومِ القِيامَةِ؛ لِأنَّهُ آخِرُ الأيَّامِ ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ رُوعِيَ فيه معنَى: ﴿مَن﴾، وفي ضَميرِ: ﴿يَقُولُ﴾: لَفظُها.

[٩] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِإظهارِ خِلَافِ ما أبطنُوه مِنَ الكُفْرِ؛ لِيَدْفَعُوا عنهم أحكَامَهُ الدُّنيويَّةَ ﴿وَمَا [يُخَادِعُونَ][3] إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لِأَنَّ وَبَالَ خِدَاعِهم رَاجِعٌ إِليهم؛ فَيَفتَضِحُونَ في الدُّنيَا بِإِطلَاعِ اللهِ نبيَّهُ على ما أبطنُوه، وَيُعَاقَبُونَ في الآخِرَةِ ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: يَعلَمُونَ أَنَّ خِدَاعَهم لِأَنفُسِهم. والمُخَادَعَةُ هنا مِنْ وَاحِدٍ[4]؛ كَـ«عَاقبتُ اللصَّ». وذِكْرُ اللهِ فيها تَحسينٌ[5]. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: شَكٌّ ونِفَاقٌ، فهو يُمرِضُ قُلوبَهم؛ أي: يُضعِفُها ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ بِما أَنزَلَه مِنَ القُرآنِ لكُفرِهِم به ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾: مُؤلِمٌ ﴿بِمَا كَانُواْ [يُكَذِّبُونَ][6]﴾ بِالتَّشديدِ؛ أي: نبيَّ الله، وبالتَّخفيفِ؛ أي: في قَولِهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ أي: لِهَؤلَاءِ: ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بِالكُفْرِ والتَّعويقِ عَنِ الإِيمانِ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ وليسَ ما نَحنُ فيه بِفَسَادٍ. قالَ الله -تَعالَى- رَدًّا عليهم:

[١٢] ﴿أَلَآ﴾ - لِلتنبيهِ - ﴿إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ بذلكَ.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: أصحابُ[7] النَّبِيِّ ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾: الجهَّالُ؟ أي: لا نَفعَلُ كفِعْلِهم. قالَ -تَعالَى- رَدًّا عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾: أصلُه: «لَقِيُوا»؛ حُذِفَتِ الضَّمَّةُ؛ لِلاستثقالِ، ثُمَّ اليَاءُ؛ لِالتقَائِها ساكنةً مَعَ الوَاوِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾ منهم ورَجَعُوا ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾: رُؤسَائِهِم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ في الدِّينِ ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ بهم بِإِظهَارِ الإيمانِ.

[١٥] ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾: يُجَازِيهِم بِاستهزَائِهم[8] ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾: يُمهِلُهُم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ بِتجَاوزِهِم الحَدَّ في الكُفْرِ ﴿يَعۡمَهُونَ﴾: يَتَرَدَّدُونَ تَحَيُّرًا؛ حالٌ[9].

[١٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: استبدَلُوها به ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي: ما رَبِحُوا فيها؛ بَلْ خَسِرُوا؛ لمصِيرِهم إِلى النَّارِ المؤبَّدَةِ عليهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ فيما فَعَلُوا.

---

(١) قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وقالونُ وهشامٌ وورشٌ بتسهيلِ الهَمزةِ الثانيةِ، لكِنِ الأكثرونَ عَنْ وَرشٍ إِبدالُها ألِفًا خالِصَةً والمَدُّ قدرَ أَلِفٍ، فإذا كان بعدَها ساكنٌ مُدَّ لِلساكنَينِ. وفصلَ أبو عمرٍو وقالونُ وهشامٌ بِخُلفٍ عنه بَينَ الهمزتَينِ بالألِفِ. وهكذا في جميعِ النَّظائرِ مِنْ كلِّ همزتَينِ مُجتمعتَينِ في كلمةٍ، إِلَّا ما يأتي النَّصُّ على خِلافِه، وبيانه إنْ شاءَ الله. وأجمعُوا على عَدمِ الفَصلِ في قوله تعالَى: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ﴾ وسَهَّلَ همزَتَها الثانيةَ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ. فحاصِلُ القِراءَاتِ خَمسٌ: قراءَتانِ مَع التَّحقيقِ، وقِراءَتانِ مَع التَّسهيلِ، وقِراءةٌ مَع الإِبدالِ، وكلُّها سَبعيَّةٌ.

(٢) إنَّما قُدِّرَ ذلك المضافُ؛ لأنَّ السمعَ معنًى من المعاني لا يَصحُّ إسنادُ الختمِ له. حاشية الصاوي (١/ ٩).

(٣) هذه قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقرأ البَاقُونَ: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾.

(٤) أي: ليسَت عَلى بابِها؛ بأن تكونَ مِنَ الجانبَينِ؛ لاقتِضاءِ المفَاعلةِ ذلك؛ كالمُقاتَلةِ والمُضارَبةِ. والصَّوابُ إثباتُ هذه الصِّفةِ لله عَزَّوَجَلَّ على ما يَليقُ بِجَلالِه، وهِيَ إذا أُطلِقَتْ مَع مُقابِلِها لا تكونُ نَقصًا؛ فهو جلَّ وعلَا يُخادِعُ الذين يُخادِعُون أولياءَه.

(٥) أي: لِلكلامِ، وكأنَّه إِجابةُ سُؤالٍ تَقديرُه: كيف يُخادَعُ اللهُ؛ أي: يُحتَالُ عليه وهو يَعلَمُ الضَّمائِرَ؟! فيُجابُ عنه بما ذُكِرَ.

(٦) التَّشديدُ فِي الذَّالِ معه ضَمُّ اليَاءِ، والتَّخفيفُ معه فتحُها، ولاحِظْ أنَّ التَّشديدَ يَلزمُه فتحُ الكَافِ، والتَّخفيفَ يَلزمُه إِسْكَانُها، والتَّشديدُ قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، والتَّخفيفُ قِراءةُ البَاقينَ.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: أصحابُ).

(٨) وهذا تأويلٌ. والصَّوابُ في هذا ونحوِه إثباتُه على ما يَليقُ بجلالِ الله وعَظمتِه مِنْ غيرِ أنْ يُشتَقَّ له اسمُ صفةٍ؛ فلا يُقَالُ: ماكِرٌ ولا مُخادِعٌ ولا مُستهزِئٌ -تَعالى اللهُ عن ذلِكَ. قال ابنُ القيِّم: «وقد قِيلَ: إنَّ تسميةَ ذلك مَكرًا وكَيدًا واستهزَاءً وخِداعًا مِنْ بابِ الاستعارةِ ومَجازِ المُقابَلةِ... وقيلَ -وهو الصَّوابُ-: بل تَسميةُ ذلك حَقيقةٌ على بابِه...» إعلامُ المُوقِّعينَ (٣/ ٢١٣، ٢١٨). ومِنْ ذلك ما أخبرَ -سُبْحَانَهُ- أنَّه يَفعلُه بالمنافِقِينَ في قولِه تَعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، وهذا عَدلٌ منه -سُبْحَانَهُ-، وحِكمَةٌ، وإنصَافٌ.

(٩) أي: إنَّ جملةَ: ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ في مَحلِّ نَصبٍ على الحَالِ، إمَّا مِنَ الضَّميرِ في: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾، أو مِنَ الضَّميرِ في: ﴿طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ
ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ
يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟
بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ
ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صِفتُهم في نِفاقِهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾: أوقدَ ﴿نَارًا﴾ في ظُلمةٍ ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾: أنارَتْ ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ فأبْصَرَ واستَدْفأَ وأَمِنَ مِمَّا[١] يخافُه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أطفَأَهُ- وجُمِعَ الضَّميرُ مُراعاةً لِمَعنَى: ﴿ٱلَّذِى﴾[٢]- ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ ما حَولَهُم، مُتَحيِّرينَ عَنِ الطَّريقِ خائِفِينَ، فكذلك هؤلاءِ أَمِنُوا بإظهارِ كَلِمةِ الإيمانِ؛ فإذا مَاتُوا جَاءَهم الخَوفُ والعَذابُ.

[١٨] هُم ﴿صُمٌّۢ﴾ عَنِ الحقِّ فلا يسمَعُونَه سَماعَ قَبولٍ ﴿بُكْمٌ﴾: خُرسٌ عَنِ الخَيرِ فلا يَقُولُونَه[٣] ﴿عُمْىٌ﴾ عَنْ طَريقِ الهُدَى فلا يَرونَه[٤] ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عَنِ الضَّلالةِ.

[١٩] ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي: كأصحابِ مَطَرٍ- وأصلُه: «صَيْوِبٌ» مِنْ: صَابَ يَصُوبُ-أي: يَنزِلُ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: السَّحابِ ﴿فِيهِ﴾ أي: السَّحابِ[٥] ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ مُتكاثِفةٌ[٦] ﴿وَرَعْدٌ﴾ هو المَلَكُ الموكَّلُ به، وقِيلَ: صَوتُه[٧] ﴿وَبَرْقٌ﴾: لَمَعانُ سَوْطِهِ الذي يَزجُرُه به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أَصحابُ الصَّيِّبِ ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أي: أَنامِلَهُم ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ أَجلِ ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾: شِدَّةِ صَوتِ الرَّعدِ؛ لِئَلَّا يَسمَعُوها ﴿حَذَرَ﴾: خَوفَ ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ مِنْ سَماعِها؛ كذلك هؤلاءِ إِذَا نَزَلَ القُرآنُ، وفيه ذِكْرُ الكُفرِ المُشبَّهِ بالظُّلُماتِ، والوَعيدُ عليه المُشبَّهُ بالرَّعدِ، والحُجَجُ البَيِّنَةُ المُشبَّهَةُ بالبَرقِ يَسدُّونَ آذانَهم؛ لِئَلَّا يَسمَعُوه فيَمِيلُوا إلى الإيمانِ وتَرْكِ دِينِهم، وهو عِندَهم مَوتٌ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عِلْمًا وقُدْرةً[٨]؛ فلا يَفُوتُونَه.

[٢٠] ﴿يَكَادُ﴾: يَقرُبُ ﴿ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾: يَأخُذُها بِسُرعةٍ ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ أي: في ضَوئِه ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾: وَقَفُوا. تمثيلٌ لإزعاجِ ما في القُرآنِ مِنَ الحُجَجِ قلوبَهُم، وتَصديقِهم لِمَا[٩] سَمِعُوا فيه مِمَّا يُحِبُّونَ، ووُقوفِهم عمَّا يكرَهُونَ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنَى: أسماعِهم ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ الظَّاهِرةِ. كَما ذَهبَ بالباطِنةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ شاءَهُ[١٠] ﴿قَدِيرٌ﴾ ومنه إذْهابُ ما ذُكِرَ.

[٢١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾: وَحِّدُوا ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾: أنشأَكُم ولَمْ تكونُوا شيئًا ﴿وَ﴾ خلَقَ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بِعبادَتِه عِقابَهُ- و«لَعلَّ» في الأصلِ لِلتَرَجِّي، وفي كَلامِه -تعالَى- لِلتحقيقِ-.

[٢٢] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾: خلَقَ ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾: حالٌ[١١]: بِساطًا يُفتَرَشُ، لا غايةً في الصَّلابَةِ أوِ الليونةِ، فلا يُمكِنَ الاستقرارُ عليها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سَقفًا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ﴾ أنواعِ ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تأكُلُونَه وتَعلِفُونَ به دَوابَّكُم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شُرَكاءَ في العِبادةِ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّه الخالقُ ولا يَخلُقُونَ، ولا يكونُ إلهًا إلَّا مَنْ يَخلُقُ. [٢٣] ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ مُحمَّدٍ مِنَ القُرآنِ، أنَّه مِنْ عِندِ اللهِ ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: المنزَّلِ، و﴿مِّن﴾ للبَيانِ؛ أي: هي مِثلُهُ في البَلاغةِ وحُسْنِ النَّظْمِ والإخبارِ عَنِ الغَيبِ - والسُّورةُ: قِطعةٌ لها أوَّلٌ وآخِرٌ، أقلُّها ثَلاثُ آياتٍ-[١٢]، ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾: آلهتَكُم التي تَعبُدُونَها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِه لِتُعِينَكُم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّ مُحمَّدًا قَالَه مِنْ عِندِ نَفسِه فافعَلُوا ذلكَ؛ فإنَّكُم عَربيُّونَ فُصَحاءُ مِثلُه. ولَمَّا عَجَزُوا عَن ذلكَ قالَ تعالَى: [٢٤] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ ما ذُكِرَ لِعَجزِكُم- ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ذلكَ أبدًا؛ لِظهورِ إعجازِه، اعتراضٌ[١٣]- ﴿فَٱتَّقُوا۟﴾ بالإيمانِ باللهِ، وأنَّه[١٤] لَيسَ مِنْ كَلامِ البَشرِ ﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾: الكُفَّارُ ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كأصنامِهم منها؛ يَعني: أنَّها مُفرِطةُ الحَرارةِ تَتقِدُ بِما ذُكِرَ، لا كَنارِ الدُّنيا تَتقِدُ بالحَطَبِ ونَحوِه ﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئَتْ ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ يُعذَّبونَ بها. جُملةٌ مُستأنَفةٌ[١٥] أو حالٌ لازِمةٌ[١٦].

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ما).　(٢) وهو جَعلُها بمعنَى: الذين.　(٣) أي: قَولًا مُطابِقًا للواقعِ؛ لِمَا سَبقَ أنَّهم مُؤمنونَ ظاهرًا.　(٤) أي: رُؤيةً نافعةً.

(٥) وظاهرُ النَّظمِ، وكَلامُ كَثيرٍ مِنَ المُفسِّرينَ أنَّ الضَّميرَ راجعٌ للصيِّبِ.　(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بتكاثفه).

(٧) أخرج الإمامُ أحمدُ (٢٤٨٣)، والترمذيُّ (٣١١٧) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللهُ» فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «زَجْرُه بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ» قَالُوا: صَدَقْتَ. وصحَّحَ أحمدُ شاكر إسنادَه في تعليقه على المُسنَدِ، وهو في الصحيحة (١٨٧٢).

(٨) قالَ البيهقيُّ في الأسماءِ والصِّفات (ص٤٠): «قالَ الحَليميُّ: ومعناه: الذي لا يُقدَرُ على الفِرارِ منه، وهذه الصِّفةُ ليستِ حقًّا إلَّا لله جَلَّ ثناؤه، وهي راجعةٌ إلى كَمالِ العِلْمِ والقُدْرةِ، وانتفاءِ الغَفلةِ والعَجزِ عنه». وقالَ ابنُ تيميةَ في مجموع الفتاوى (٦/ ٥٦٧): «والله تعالى مُحيطٌ بالمخلوقاتِ كُلِّها إحاطةً تَليقُ بجلالِه؛ فإنَّ السماواتِ السبعَ والأرضَ في يدِه، أصغرُ مِنَ الحِمَّصةِ في يدِ أحدِنا».

(٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بما).

(١٠) القُدرةُ صِفةٌ أزليَّةٌ أبديَّةٌ شامِلةٌ لِمَا شَاءَ ومَا لمْ يَشأْهُ، لَكنْ مَا شَاءَه سُبحانَه وَقَعَ ومَا لَمْ يَشَأْهُ لَمْ يَقَعْ، والآياتُ في ذلك كَثيرةٌ.

(١١) أي: مِنَ الأرضِ، وهذا بناءً على ما جَرَى عليه مِن أنَّ: ﴿جَعَلَ﴾ بِمَعنَى: «خلَقَ» المتعدِّي لِواحِدٍ، وهو الأرضُ، وجَرَى غيرُه على أنَّه بِمَعنَى: «صَيَّرَ»، وأنَّ: ﴿فِرَٰشًا﴾ المفعولُ الثاني.

(١٢) بيانٌ لِحالِها مِنَ الواقعِ؛ فإنَّ أقصَرَ سُورةٍ ثَلاثُ آياتٍ، وليسَ مِنَ التَّعريفِ، ولو فُرِضَ أنَّها آيتانِ لَعَجَزُوا أيضًا.

(١٣) أي: جملةُ: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ مُعترِضةٌ بَينَ الشَّرطِ وجَوابِه، ومَعنَى الاعتراضِ في الغالبِ التوكيدُ.　(١٤) أي: وبأنَّه؛ أي: القُرآن.

(١٥) أي: لا ارتباطَ لها بِما قَبلَها، وَقعتْ في جَوابِ سُؤالٍ مُقدَّرٍ، تَقديرُه: هذه النَّارُ التي وقودُها النَّاسُ والحِجارةُ؛ لمنْ؟

(١٦) أي: والتقديرُ: فاتَّقُوا النَّارَ حالَ كونِها مُعَدَّةً ومُهيَّأَةً لِلكافِرينَ، ودَفَعَ بِقولِه: «لازِمةٌ» ما قِيلَ: إنَّها مُعدَّةٌ للكافِرينَ اتَّقَوا أمْ لمْ يَتَّقُوا. حاشية الصاوي.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا
يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ
إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ
مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ
فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

ربع الحزب ١

[٢٥] ﴿وَبَشِّرِ﴾: أخبِر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: صدَّقوا بالله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنَ الفُروضِ والنَّوافِلِ ﴿أَنَّ﴾ أي: بأَنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾: حَدائقَ ذاتَ شَجرٍ ومَساكِنَ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ أي: تَحتِ[1] أشجارِها وقُصورِها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: المياهُ فيها، والنَّهرُ: الموضعُ الذي يَجْرِي فيه الماءُ؛ لِأنَّ الماءَ يَنْهَرُه أي: يَحفِرُه. وإسنادُ الجَري إليه مَجازٌ ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾: أُطعِمُوا مِنْ تلكَ الجنَّاتِ ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي﴾ أي: مِثْلُ ما ﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِه في الجنَّةِ[2]؛ لِتشَابُهِ ثِمارِها، بِقَرينَةِ: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾ أي: جِيئُوا بالرِّزقِ ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾: يُشبِهُ بَعضُهُ بعضًا لونًا ويَختلفُ طَعمًا ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾ مِنَ الحُورِ وغَيرِها[3] ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ مِنَ الحَيضِ وكُلِّ قَذَرٍ[4] ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ماكِثُونَ أبدًا، لا يَفنَوْنَ[5]، ولا يُخرَجُونَ. ونَزَلَ[6] رَدًّا لِقَولِ اليَهُودِ لَمَّا ضَرَبَ اللهُ المَثَلَ بِالذُّبابِ في قَولِه: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾[7]، والعَنكَبُوتِ في قَولِه: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾[8]: ما أَرادَ اللهُ بِذِكْرِ هَذهِ الأَشياءِ الخَسِيسَةِ؟:

[٢٦] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ[9] أَن يَضْرِبَ﴾: يَجعَلَ ﴿مَثَلًا﴾: مَفعُولٌ أوَّلُ ﴿مَّا﴾: نَكِرَةٌ مَوصُوفَةٌ بِما بَعدَها، مَفعُولٌ ثانٍ؛ أي: أيَّ مَثَلٍ كانَ، أو زائِدَةٌ لِتأكِيدِ الخِسَّةِ[10]. فَما بَعدَها المفعُولُ الثَّاني ﴿بَعُوضَةً﴾: مُفرَدُ البَعُوضِ؛ وهو صِغارُ البَقِّ ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: أكبَرَ منها؛ أي: لا يَترُكُ بَيانَه لِما فيه مِنَ الحِكَمِ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المَثَلَ ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ الواقِعُ مَوقِعَه ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؟: تَمييزٌ[11]؛ أي: بِهذا المَثَلِ. و«ما» استفهامُ إنكارٍ مُبتدأٌ، و«ذا»: بِمَعنَى: «الذي» بِصِلَتِه خَبرُهُ. أي: أيُّ فائِدَةٍ فيه؟ قالَ -تَعالَى- في جَوابِهِم: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ أي: بِهذا المَثَلِ ﴿كَثِيرًا﴾ عَنِ الحَقِّ لِكُفْرِهِم به ﴿وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ مِنَ المؤمِنينَ لِتَصدِيقِهِم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: الخارِجِينَ عن طَاعَتِه.

[٢٧] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نَعتٌ ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾: ما عَهِدَه إليهم في الكُتُبِ مِنَ الإيمانِ بِمُحَمَّدٍ ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: تَوكِيدِه عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ مِنَ الإيمانِ بِالنَّبِيِّ والرَّحِمِ وغَيرِ ذلك، و﴿أَن﴾: بَدَلٌ مِنْ ضَميرِ: ﴿بِهِۦ﴾ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بِالمعاصِي والتَّعوِيقِ عَنِ الإيمانِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الموصُوفُونَ بِما ذُكِرَ ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لِمَصِيرِهِم إلى النَّارِ المُؤبَّدَةِ عليهم.

[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ -يا أهلَ مَكَّةَ- ﴿بِٱللَّهِ وَ﴾ قَدْ ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾: نُطَفًا في الأَصْلابِ ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ في الأَرْحامِ والدُّنيا بِنَفخِ الرُّوحِ فيكم. والاستفهامُ لِلتَّعجِيبِ[12] مِنْ كُفرِهِم مَعَ قِيامِ البُرهانِ، أوْ لِلتَّوبِيخِ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عندَ انتهاءِ آجالِكُم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بِالبَعثِ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تُرَدُّونَ بَعدَ البَعثِ، فيُجازيكم بِأعمالِكُم؟ وقالَ دليلًا على البَعثِ، لَمَّا أَنكَرُوهُ:

[٢٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الأرضَ وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لِتَنتَفِعُوا به وتَعتَبِرُوا ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ بعدَ خَلْقِ الأَرضِ؛ أي: قَصَدَ[13] ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ الضَّمِيرُ يَرجِعُ إلى السَّماءِ؛ لأنَّها في مَعنَى الجُملَةِ الآيِلَةِ إليه؛ أي: صَيَّرَها؛ كما في آيَةٍ أُخرَى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾[14] ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مُجمَلًا ومُفصَّلًا، أفَلا تَعتَبِرُونَ أنَّ القادِرَ على خَلْقِ ذلك ابتداءً -وهو أَعظَمُ مِنكُم- قادِرٌ على إعادَتِكُم؟!

---

(١) في نُسْخَةِ قَباوَة: (من تحت).

(٢) أشارَ بذلك إلى رَدِّ ما قِيلَ: إنَّ المُرادَ بِقولِه: ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الدُّنيَا. وقَولُه: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: أي: يُشبِهُ ثَمَرَ الدُّنيَا في الصُّورَةِ.

(٣) أي: نِساءُ الدُّنيا، وهُنَّ يَكُنَّ أجمَلَ مِنَ الحُورِ العِينِ -كما جاءَ به الحديثُ-.

(٤) كالنِّفاسِ والمُخاطِ والبُصاقِ. (٥) أي: ولا يَمرَضُونَ.

(٦) أي: قَولُه تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦]، أخرجَ ابنُ جَريرٍ (١/ ١٣٨)، وابنُ أبي حاتمٍ (١/ ٦٩)، عَنْ قَتادَةَ بإسنادٍ صحيحٍ قالَ: «لَمَّا ذَكَرَ اللهُ العَنكَبُوتَ وَالذُّبابَ» قالَ المُشرِكُونَ: «ما بالُ العَنكَبُوتِ وَالذُّبابِ يُذْكَرانِ؟» فَأنزَلَ اللهُ الآيَةَ. (٧) الحج: ٧٣. (٨) العَنكبوت: ٤١.

(٩) ومعنى: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ أي: لا يَستَنكِفُ، وقِيلَ: لا يَخشَى. (١٠) فلَيستْ زِيادَةً مَحضَةً، وكذا أيُّ زائِدٍ في القُرآنِ عِندَ مَنْ يَقولُ بِهِ.

(١١) أي: مِن اسمِ الإشارةِ تَمييزُ نِسْبَةٍ، وهي نِسبَةُ التَّعجُّبِ والإنكارِ إلى المشارِ إليه.

(١٢) مُرادُ المُصنِّفِ: لِتَعجِيبِ المُخاطَبِ، وذلكَ لِلفِرارِ مِنْ إثباتِ صِفَةِ التَّعجُّبِ لله عَزَّوَجَلَّ، على الوَجهِ اللائِقِ به، كما هو مَذْهَبُ السَّلَفِ.

(١٣) وكذا فَسَّرَه ابنُ كثيرٍ هنا (١/ ٢١٣): «أي: قَصَدَ إلى السَّماءِ، وَالإستِواءُ هَاهُنا تَضَمَّنَ مَعنَى القَصْدِ وَالإقبالِ؛ لِأنَّهُ عُدِّيَ بِإلَى». وهذا التفسيرُ مُخالِفٌ لما رَواهُ البُخارِيُّ في صَحِيحِه (٩/ ١٢٤)؛ حيث نقلَ عن أبي العَالِيَةِ في مَعنَى ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾: أي: «ارْتَفَعَ»، وعَنْ مُجاهِدٍ: أي: «عَلَا». واختارَه الطبريُّ (١/ ٤٥٧). وقال ابنُ عُثَيمِين: «إنَّ لِأَهلِ السُّنَّةِ في تَفسِيرِها قَولَينِ: أحدهما: أنَّها بِمَعنَى ارتفعَ إلى السَّماءِ... القولُ الثاني: أنَّ الاستواءَ هنا بِمَعنَى القَصدِ التَّامِّ، وإلى هذا القولِ ذَهبَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِ سُورةِ البَقرةِ، والبَغويُّ في تَفسيرِ سُورةِ فُصِّلَت... وهذا الكلامُ ليسَ صَرفًا لِلكلامِ عَنْ ظَاهِره؛ وذلك لأنَّ الفِعلَ ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ اقترنَ بِحَرفٍ يَدلُّ على الغَايةِ والانتهاءِ؛ فانتقلَ إلى مَعنَى يُناسِبُ الحرفَ المقترنَ به...» القواعدُ المُثلَى لابنِ عُثيمين (ص٥٧، ٥٨).

(١٤) فُصِّلَت: ١٢.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ
ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ
أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ
لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ
أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ
فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا
يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا
ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ
ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

[٣٠] ﴿وَ﴾ اذكُرْ - يا مُحَمَّد- ﴿إِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يَخلُفني في تَنفِيذِ أحكَامِي فيها، وهو آدَمُ[١] ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بِالمَعَاصِي ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: يُرِيقُها بِالقَتلِ؛ كما فَعَلَ بَنُو الجَانِّ، وكانُوا فيها، فلمَّا أفسَدُوا أرسلَ اللهُ عليهم الملائكةَ فطرَدُوهم إلى الجزائرِ والجِبالِ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ مُتلبِّسينَ[٢] ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نَقولُ: سُبحانَ اللهِ وبِحَمْدِه ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: نُنَزِّهُكَ عمَّا لا يَليقُ بكَ؟ فاللامُ زَائِدةٌ[٣]، والجُملةُ حَالٌ[٤]؛ أي: فَنحنُ أحقُّ بِالاستخلَافِ[٥] ﴿قَالَ﴾ تعَالَى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنَ المَصلَحَةِ في استخلَافِ آدَمَ، وأنَّ ذُرِّيَّتَه فيهم المُطِيعُ والعَاصِي؛ فيَظهَرُ العَدْلُ بينهم، فَقالُوا[٦]: «لنْ يَخلُقَ رَبُّنا خَلقًا أكرَمَ عليه مِنَّا ولا أعلَمَ؛ لِسَبْقِنا له[٧]، ورُؤيتِنا ما لمْ يرَهْ»[٨]؛ فخَلَقَ اللهُ -تعَالَى- آدَمَ مِنْ أدِيمِ الأرضِ؛ أي: وَجْهِها؛ بِأنْ قَبضَ منها قَبْضَةً مِنْ جَمِيعِ ألوَانِها[٩]، وَعُجِنَتْ بِالمِياهِ المختَلِفَةِ، وَسَوَّاهُ، ونَفَخَ فيه الرُّوحَ؛ فصَارَ حيوانًا حَسَّاسًا بَعدَ أنْ كانَ جَمادًا.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ أي: أَسماءَ المُسَمَّياتِ ﴿كُلَّهَا﴾ حتَّى القَصْعَةَ والقُصَيْعَةَ والفَسْوَةَ والفُسَيَّةَ والمِغرفةَ[١٠]؛ بِأنْ ألقَى في قَلبِه عِلمَها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: المُسَمَّياتِ- وفيه تَغْلِيبُ العُقَلاءِ[١١]- ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تَبكِيتًا: ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾: أخبِرُوني ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المُسَمَّياتِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنِّي لا أخلُقُ أعلَمَ منكم، أو أنَّكم أحَقُّ بِالخِلافةِ. وجَوابُ الشَّرطِ دَلَّ عليه ما قَبلَهُ.

[٣٢] ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾: تَنزِيهًا لكَ عَنِ الاعتِرَاضِ عَليكَ! ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ إِيَّاهُ ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾: تَأكِيدٌ للكَافِ ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يَخرجُ شيءٌ عَنْ عِلْمِه وحِكْمَتِه.

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ تعَالَى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ أي: الملائكَةَ ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أي: المُسَمَّيَاتِ. فَسَمَّى كُلَّ شيءٍ باسمِه، وَذَكَرَ حِكمَتَه التي خُلِقَ لها ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾ -تعَالَى- لهُم مُوَبِّخًا: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما غَابَ فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تُظهِرُونَ مِنْ قَولِكُم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ إلخ[١٢] ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: تُسِرُّونَ مِنْ قَولِكُم: «لنْ يَخلُقَ اللهُ[١٣] أكرَمَ عليه مِنَّا ولا أعلَمَ»؟

[٣٤] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سُجُودَ تَحِيَّةٍ بِالانحِنَاءِ[١٤] ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجِنِّ[١٥]، كانَ بَينَ الملائِكَةِ ﴿أَبَىٰ﴾: امتنعَ مِنَ السُّجُودِ ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: تكَبَّرَ عنه، وقَالَ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[١٦]، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في عِلْمِ اللهِ.

[٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾: تَأكِيدٌ لِلضميرِ المستَتِرِ؛ لِيُعْطَفَ عليه: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حوَّاءُ -بِالمَدِّ- وكانَ خَلَقَهَا مِنْ ضِلَعِه الأيسَرِ[١٧] - ﴿ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكْلًا ﴿رَغَدًا﴾: وَاسِعًا لا حَجْرَ فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بِالأكْلِ منها؛ وهي: الحِنطةُ أوِ الكَرْمُ أو غَيرُهما[١٨] ﴿فَتَكُونَا﴾: فَتَصِيرَا ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: العَاصِينَ.

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: إِبْلِيسُ أذهَبَهُما. وفي قِرَاءَةٍ[١٩]: ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾: نَحَّاهُما ﴿عَنْهَا﴾ أي: الجَنَّةِ؛ بِأنْ قَالَ لهما: «هَلْ أَدُلُّكُما عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ»؟ وقَاسَمَهُما بِاللهِ إِنَّه لهما لمنَ النَّاصِحِينَ. فأكَلَا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ مِنَ النَّعِيمِ ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ إلى الأرضِ؛ أي: أنتما بِما اشتَمَلتُما عليه مِنْ ذُرِّيَّتِكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾: بَعضُ الذُّرِّيَّةِ ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِنْ ظُلمِ بَعضِهم بَعْضًا ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: مَوضِعُ قَرَارٍ ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: ما تَتَمتَّعُونَ به مِنْ نَباتِها ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: وَقْتِ انقِضَاءِ آجالِكُم. [٣٧] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾: أَلْهَمَهُ إِيَّاهَا. وفي قِرَاءَةٍ[٢٠]: بِنَصْبِ «آدَمَ» ورَفْعِ «كَلِماتٌ»؛ أي: جَاءَهُ؛ وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[٢١] الآيَةَ. فَدَعَا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قَبِلَ تَوْبَتَهُ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عِبَادِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِهِم.

---

(١) قال ابنُ كثيرٍ (١/ ٢١٦) في تفسيرِ هذهِ الآيةِ: «أي: قَومًا يَخلُفُ بَعضُهُم بَعضًا قَرنًا بَعدَ قَرنٍ، وَجِيلًا بَعدَ جِيلٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وقَالَ: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾... وَلَيسَ المُرادُ هَاهُنا بِالخَلِيفَةِ آدَمَ، عَلَيهِ السَّلامُ فَقَط، كَما يَقُولُهُ طَائِفَةٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ..؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَم يُرِدْ آدَمَ عَينًا؛ إِذْ لَو كَانَ كَذَلِكَ لَمَا حَسُنَ قَولُ المَلائِكَةِ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾».

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ملتبسين). (٣) أي: لِتَأكِيدِ التَّخصِيصِ، ويحتملُ أنَّها للتعديَةِ والتعليلِ؛ أي: نُنزِّهُكَ لكَ، لا طَمعًا ولا خوفًا؛ وإنَّما لِذَاتِكَ فقط. (٤) أي: جملةُ قولِه: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

(٥) ليسَ المقصودُ مِنْ ذلك الاعتراضَ على اللهِ، ولا احتقارَ آدَمَ، وإنَّما ذلك لِطَلَبِ جوابٍ يُرِيحُهم مِنَ العَناءِ؛ حَيثُ وَقَعَ الإعلامُ مِن اللهِ لهُم. (٦) أي: سِرًّا. (٧) فنحنُ أكرَمُ. (٨) أي: فنحنُ أعلَمُ.

(٩) أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرضِ، فَجَاءَ مِنهُمُ الأَحمَرُ وَالأَبيَضُ وَالأَسوَدُ وَبَينَ ذَلِكَ، وَالسَّهلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ» قال الترمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصَحَّحَه الألبَانيُّ في صحيحِ سُنَنِ الترمذيِّ (٣١٤٣). (١٠) كلمةُ: (المغرفة) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة. والأثَرُ أخرَجَ نحوَه وكِيعٌ، وابنُ جَرِيرٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، كما في الدُّرِّ المنثُورِ (١/ ١٢٠)، وفي هذا إشارةٌ إلى كونِه تعلَّمَ جَمِيعَ الأسماءِ؛ شَرِيفةً وخَسِيسَةً، وحِكمَتَها أيضًا. (١١) أي: في الضميرِ في: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ تغليبُ «العُقَلاءِ»؛ وهم: الجِنُّ والإِنسُ والملائكةُ، على غيرِ العُقَلاءِ والجَماداتِ؛ حيثُ لمْ يَقُلْ: «عَرَضَها». وذلك في هذا الموضعِ وفيما يأتي من التفسيرِ كُلِّه. (١٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إلى آخره).

(١٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: ([ربُّنا]). (١٤) وحكى القُرطبيُّ (١/ ٢٩٣) عَنِ الجُمهُورِ: «كَانَ هَذَا أَمرًا لِلمَلائِكَةِ بِوَضعِ الجِبَاهِ عَلَى الأَرضِ، كَالسُّجُودِ المُعتَادِ فِي الصَّلاةِ، لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ السُّجُودِ فِي العُرْفِ وَالشَّرْعِ».

(١٥) نُقِلَ هذا القولُ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ ومُجاهِدٍ وقَتادةَ والحَسنِ البَصريِّ وغيرِهم. كما في تفسيرِ الطبريِّ (١/ ٥٠٧)، والدرِّ المنثورِ (٥/ ٤٠٢). وهو قولُ أكثرِ أهلِ العِلْمِ. (١٦) الأعراف: ١٢، و ص: ٧٦.

(١٧) وهذا القولُ هو قولُ جُمهورِ المُفَسِّرينَ، وقد ذكرَ المفسِّرونَ أنَّ حوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدمَ عليهما السَّلامُ، وذكروا في ذلكَ رِوَاياتٍ كثيرةً مَوقُوفةً، ورجَّحَ محمَّد رَشيد رِضا والألبانيُّ أنَّها مِنَ الإسرائيليَّاتِ. وقال الألبانيُّ في الضعيفة (١٣/ ١١٤٠): «إنَّه لم يثبتْ حديثٌ في خَلقِ حوَّاءَ مِن ضِلَعِ آدمَ». لكنْ لا يخفى ثبوتُ خِلقَتِها مِنْ ضِلَعٍ، كما ثَبَتَ عِندَ البُخاريِّ (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «استَوصُوا بِالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ المَرأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعوَجَ شَيءٍ فِي الضِّلَعِ أَعلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعوَجَ، فَاستَوصُوا بِالنِّسَاءِ». قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مُسلم (١٠/ ٥٧): «وَفِيهِ دَلِيلٌ لِمَا يَقُولُهُ الفُقَهَاءُ أَو بَعضُهُم أَنَّ حَوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ ...». وقد جزمَ به شيخُ الإسلامِ في الجوابِ الصَّحيحِ (٤/ ٥٥).

(١٨) الأَوْلَى ألَّا تُعيَّنَ مِن غيرِ دليلٍ قاطعٍ. (١٩) لِحمزةَ. (٢٠) لابنِ كثيرٍ. (٢١) الأعراف: ٢٣.

قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ
ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ (الحزب ١)
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

[٣٨] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾: مِنَ الجَنَّةِ ﴿جَمِيعًا﴾ كَرَّرَهُ؛ لِيُعْطَفَ عليه: ﴿فَإِمَّا﴾: فيه إِدْغَامُ نُونِ «إِنْ» الشَّرطِيَّةِ في «مَا» الزَّائِدَةِ ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾: كِتَابٌ ورَسُولٌ ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ فَآمَنَ بِي وعَمِلَ بطَاعَتِي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرَةِ؛ بِأَنْ يَدخُلوا الجَنَّةَ.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: كُتُبِنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: مَاكِثُونَ أَبَدًا، لا يَفْنَونَ ولا يُخرَجُونَ.

[٤٠] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أولادَ يَعقُوبَ ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عَلى آبائِكُم مِنَ الإِنجاءِ مِنْ فِرعَونَ، وفَلْقِ البَحْرِ، وتَظليلِ الغَمامِ، وغَيرِ ذلك؛ بِأَنْ تَشكُرُوها بِطَاعَتِي ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ الذي عَهِدْتُه إِليكُم مِنَ الإِيمانِ بِمُحَمَّدٍ ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عَهِدتُه إِليكُم، مِنَ الثَّوَابِ عليه بِدخُولِ الجَنَّةِ ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾: خَافُونِ في تَرْكِ الوَفَاءِ به دونَ غَيرِي.

[٤١] ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ مِنَ التَّوراةِ بِمُوافَقَتِه له في التَّوحِيدِ والنُّبوَّةِ ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ لِأَنَّ خَلَفَكُمْ تَبَعٌ لكُم؛ فإِثْمُهُم عَلَيكُم ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾: تَستَبدِلُوا ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ التي في كِتابِكُم مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عِوَضًا يَسيرًا مِنَ الدُّنيا؛ أي: لا تَكتُمُوها خَوفَ فَوَاتِ ما تَأْخُذُونَه مِنْ سِفْلَتِكُمْ[1] ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾: خَافُونِ في ذلك دُونَ غَيرِي.

[٤٢] ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ﴾: تَخلِطُوا ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الذي أَنزلتُ عليكُم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي تَفْتَرُونَه[2] ﴿وَ﴾ لا ﴿تَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾: نَعْتَ مُحَمَّدٍ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّه الحَقُّ.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: صَلُّوا مَعَ المُصلِّينَ؛ مُحَمَّدٍ وأَصْحَابِه. وَنَزَلَ في عُلمائِهِم[3] -وكانوا يَقُولُونَ لأَقربَائِهِمُ المُسلِمينَ: «اثبُتُوا عَلى دِينِ مُحَمَّدٍ؛ فإِنَّه حَقٌّ»-:

[٤٤] ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بِالإِيمانِ بِمُحَمَّدٍ ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: تَترُكُونَها فلا تَأْمُرُونَها به ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ، وفيها الوَعيدُ على مُخالَفَةِ القَولِ العَمَلَ؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُوءَ فِعْلِكُمْ فتَرْجِعُونَ؟ فجُملةُ النِّسيَانِ مَحَلُّ الاستفهَامِ الإِنكَارِيِّ[4].

[٤٥] ﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾: أُطلُبُوا المَعُونَةَ على أُمورِكُم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾: الحَبْسِ لِلنَّفسِ على ما تَكرَهُ ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ؛ تَعظِيمًا لِشَأْنِها، وفي الحَديثِ: «كانَ ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمرٌ، بَادَرَ إِلى الصَّلاةِ»[5]. وقِيلَ: الخِطابُ لِليَهودِ لَمَّا عَاقَهُمْ عَنِ الإِيمانِ الشَّرَهُ وحُبُّ الرِّيَاسَةِ؛ فَأُمِرُوا بِالصَّبْرِ وهو الصَّومُ؛ لِأَنَّه يَكسِرُ الشَّهوةَ، والصَّلاةِ؛ لِأَنَّها تُورِثُ الخُشُوعَ وتَنفِي الكِبْرَ ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصَّلاةَ ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثَقِيلَةٌ ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: السَّاكِنِينَ إِلى الطَّاعَةِ.

[٤٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يُوقِنُونَ ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ بِالبَعْثِ[6] ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخِرَةِ؛ فيُجَازِيهِم.

[٤٧] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بِالشُّكْرِ عليها بِطاعَتِي ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: آباءَكُم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عَالَمِي زَمَانِهِم.

[٤٨] ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: خَافُوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ - هو يومُ القِيَامَةِ- ﴿وَلَا [تُقْبَلُ]﴾ بِالتَّاءِ[7] واليَاءِ ﴿مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي: لَيسَ لها شَفَاعَةٌ فتُقبَلَ ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾[8] ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فِداءٌ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ الله.

---

(١) أي: عامَّتكم.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تُغَيِّرونه).

(٣) ذَكَرَه الوَاحِدِيُّ -مُعلَّقًا- في أَسبَابِ النُّزُولِ (ص١٤)، قال سليمٌ الهِلاليُّ في الاستيعابِ في بيانِ الأَسبابِ (١/ ٢٤): «وهو حديثٌ كَذِبٌ؛ لِأَنَّ الكَلبيَّ وشَيخَه كذَّابانِ». وسكتَ عنه الحافظُ ابنُ حَجرٍ في كتابِه: العُجَابِ في بيانِ الأَسبَابِ (١/ ٢٥٢). وذَكَرَهُ السُّيوطيُّ في الدُّرِّ المنثورِ (١/ ١٥٦) وقالَ: « وَأَخرجَ الثَّعْلَبِيُّ والوَاحِديُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَت هَٰذِه الآيَةُ فِي يَهودِ أَهلِ المَدِينَة، كَانَ الرَّجُل مِنْهُم يَقُول لِصِهرِه ولِذَوي قَرَابَته وَلمنْ بَينه وَبينهمْ رضَاعٌ مِنَ المُسلمينَ: «اثبتْ على الدِّينِ الَّذِي أَنْت عَلَيْهِ وَمَا يَأْمُرك بِهِ هَذَا الرَّجُلُ - يَعنُون بِهِ مُحَمَّدًا - فَإِنَّ أَمرَه حَقٌّ»، وَكَانُوا يَأْمُرونَ النَّاسَ بذلكَ وَلَا يَفعَلُونَهُ».

(٤) أي: فلَيسَ الإِنكارُ مُنصَبًّا على الأَمرِ بالبِرِّ، وإِنَّما على نِسيَانِ النَّفسِ.

(٥) رواه أَحمدُ (٢٢٧٨٨)، وأَبو دَاودَ (١٣١٩)، وهو في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٦) وهو لِقاءٌ حَقِيقيٌّ كيفما يَشَاؤهُ ربُّنا عَزَّوَجَلَّ.

(٧) لابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٨) الشُّعراء: ١٠٠.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ
ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم
مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

[٤٩] ﴿وَ﴾ اذكُرُوا ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ أي: آباءَكُم- والخِطابُ به وبِما بَعدَهُ لِلمَوجُودِينَ في زَمَنِ نَبِيِّنا، بِما أَنعَمَ اللهُ على آبائِهم؛ تَذكِيرًا لهم بِنِعمَةِ(1) الله -تعَالَى-؛ لِيُؤمِنُوا- ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يُذِيقُونَكُمْ ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أَشَدَّهُ. والجُملَةُ حالٌ مِنْ ضَميرِ: ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ ﴿يُذَبِّحُونَ﴾: بَيانٌ لِمَا قَبلَه ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولُودِينَ ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يَسْتَبقُونَ ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لِقَولِ بَعضِ الكَهَنَةِ له: إِنَّ مَولُودًا يُولَدُ في بَنِي إِسرَائيلَ يَكونُ سَبَبًا لِذَهَابِ مُلْكِكَ(2) ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ العَذَابِ أَوِ الإِنجَاءِ(3) ﴿بَلَآءٌ﴾: ابتلاءٌ(4) أو إِنعَامٌ(5) ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٥٠] ﴿وَ﴾ اذكُرُوا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾: فَلَقْنَا ﴿بِكُمُ﴾: بِسَبَبِكُم(6) ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ حتَّى دَخَلتُمُوه هَارِبِينَ مِنْ عَدوِّكُم ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ مِنَ الغَرَقِ ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: قَومَه معه ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إِلى انطبَاقِ البَحرِ عليهم.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ -بِأَلِفٍ ودُونِها(7)- ﴿مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نُعطِيه -عِندَ انقِضَائِها- التَّورَاةَ؛ لِتَعمَلُوا بها ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ الذي صَاغَهُ لكُمُ السَّامِرِيُّ إِلَهًا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بَعْدِ ذَهَابِه إِلى مِيعَادِنا ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتِّخَاذِه؛ لِوَضعِكُم العِبَادَةَ في غَيرِ محلِّها.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾: مَحَوْنَا ذُنُوبَكُم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الاتِّخاذِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعمَتَنا عليكُم.

[٥٣] ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّورَاةَ ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾: عَطفُ تَفسِيرٍ؛ أي: الفَارِقُ بينَ الحَقِّ والبَاطِلِ، والحَلالِ والحَرَامِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به مِنَ الضَّلَالِ.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الذين عَبَدُوا العِجْلَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إِلَهًا ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾: خَالِقِكُم، مِنْ عِبادَتِه ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لِيَقتُلِ البَرِيءُ منكُم المجْرِمَ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القَتلُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفَّقَكُم لِفِعْلِ ذلك، وأَرسَلَ عليكُم سَحَابَةً سَودَاءَ؛ لِئَلَّا يُبصِرَ بَعضُكُم بَعضًا فيَرحَمَه؛ حتى قُتِلَ منكُم نحو سَبعينَ أَلْفًا(8) ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: قَبِلَ تَوبَتَكُم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقَدْ خَرَجْتُم مَع مُوسَى؛ لِتَعتَذِرُوا إِلى اللهِ مِنْ عِبَادَةِ العِجْلِ، وسَمِعتُم كَلامَه: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: عِيَانًا ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: الصَّيحَةُ؛ فَمُتُّم ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ما حَلَّ بكُم.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾: أَحيَيناكُم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعمَتَنا بذلك.

[٥٧] ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾: سَترنَاكُم بِالسَّحَابِ الرَّقِيقِ مِنْ حَرِّ الشَّمسِ في التِّيهِ ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هُما التَّرُنْجَبِينُ(9)، والطَّيرُ السُّمَانَى، بِتَخفِيفِ المِيمِ والقَصرِ، وقُلنا: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ولا تَدَّخِرُوا. فكَفَرُوا النِّعْمَةَ وادَّخَرُوا؛ فقُطِعَ عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بِذلكَ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لِأَنَّ وَبَالَهُ عليهم.

---

(1) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِنِعَمِ الله) بِالجمعِ، وبِدُونِ كَلمةِ: (تعالى).

(2) رواه الطبريُّ في تَفسِيرِه (٢/ ٤٣) (٨٩٢) موقوفًا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وقالَ أَحمدُ شاكر: إِسناده إِلى ابنِ عبَّاسٍ صحيحٌ. وفي نُسْخَةِ (هَجَر) بِتَحقِيقِ د.عبد الله التركي (١/ ٦٤٧)؛ قال مُحقِّقه: وأبو سعد البَقَّالُ-أحد رِجالِ الإِسنادِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ-ضعيفٌ.

(3) أي: مِنْ حيثُ عَدمُ الشُّكرِ عليه؛ فصارَ بَلاءً.

(4) رَاجِعٌ لِلعذابِ.

(5) رَاجِعٌ لِلإِنجاءِ.

(6) أي: لِأَجْلِكُم.

(7) بِدُونِ أَلِفٍ لأَبِي عَمرٍو.

(8) رواه الطبريُّ بِنحوِه في تَفسِيرِه (٢/ ٧٤) (٩٣٦) مَوقوفًا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «أَمَرَ مُوسَى قَوْمَهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ، قَالَ: فَاحْتَبَى الَّذِينَ عَكَفُوا عَلَى الْعِجْلِ فَجَلَسُوا، وَقَامَ الَّذِينَ لَمْ يَعْكُفُوا عَلَى الْعِجْلِ وَأَخَذُوا الْخَنَاجِرَ بِأَيْدِيهِمْ وَأَصَابَتْهُمْ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. فَانْجَلَتِ الظُّلْمَةُ عَنْهُمْ، وَقَدْ أَجْلَوْا عَنْ سَبْعِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ، كُلُّ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ كَانَتْ لَهُ تَوْبَةٌ، وَكُلُّ مَنْ بَقِيَ كَانَتْ لَهُ تَوْبَةٌ». وقال أحمدُ شاكر: إسنادُه إلى ابنِ عبَّاس صحيحٌ.

(9) مَادةٌ صَمغِيَّةٌ حُلوَةٌ؛ كَالعَسَلِ تَسقُطُ على الشَّجَرِ؛ كما يَسقُطُ الطَّلُّ.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ
خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ
مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا
وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ
أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

ربع الحزب ١

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعدَ خروجِهم مِنَ التِّيهِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيتَ المَقدِسِ(١) أو أَرِيحَا ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: وَاسِعًا لا حَجْرَ فيه ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي: بَابَها ﴿سُجَّدًا﴾: مُنْحَنِينَ ﴿وَقُولُوا۟﴾: مَسْأَلَتُنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: أَنْ تَحُطَّ عنَّا خطايانا ﴿نَّغْفِرْ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: بالياءِ(٢)، والتَّاءِ(٣)، مَبنيًّا لِلمَفعُولِ فيهما- ﴿لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطَّاعَةِ ثوابًا.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقَالُوا: حَبَّةٌ في شَعَرَةٍ. ودَخلُوا يَزحفُونَ على أستاهِهِم(٤) ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ - فيه وَضعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَرِ؛ مُبالَغَةً في تَقبِيحِ شَأنِهِم- ﴿رِجْزًا﴾: عَذَابًا طَاعُونًا(٥) ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: بِسَبَبِ فِسقِهِم؛ أي: خُروجِهم عَنِ الطَّاعَةِ؛ فهَلكَ منهم في سَاعةٍ سَبعُونَ ألفًا(٦) أو أَقَلُّ.

[٦٠] ﴿۞ وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي: طَلَبَ السُّقْيَا ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وقدْ عَطَشُوا في التِّيهِ ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ وهو الذي فَرَّ بِثَوبِهِ[*]، خَفِيفٌ مُرَبَّعٌ، كَرأسِ الرَّجُلِ، رُخَامٌ، أَو كَذَّانٌ(٧)، فضَرَبَه(٨) ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾: انشقَّتْ وسَالَتْ ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بِعَدَدِ الأَسبَاطِ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سِبْطٍ منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾: مَوضِعَ شُرْبِهِم؛ فلا يَشرَكُهم فيه غيرُهم. وقُلنَا لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: حَالٌ مُؤَكِّدةٌ لِعَامِلِها(٩)، مِنْ «عَثِيَ» بِكسرِ المثلَّثةِ: أفسَدَ.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: نَوعٍ منه ﴿وَٰحِدٍ﴾ وهو المَنُّ والسَّلوَى ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شَيئًا ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ﴾: لِلْبَيَانِ ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾: حِنطَتِها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ﴾ لهم مُوسَى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾: أَخسُّ ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾: أَشرَفُ؛ أي: أتأخُذونَه بَدَلَهُ؟ والهَمزَةُ لِلإنكَارِ، فَأَبَوْا أَنْ يَرجِعُوا، فَدَعَا اللهَ -تعالَى(١٠)، فقالَ تَعَالَى: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾: انزِلُوا ﴿مِصْرًا﴾ مِنَ الأمصَارِ ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ مِنَ النَّبَاتِ ﴿وَضُرِبَتْ﴾: جُعِلَتْ ﴿عَلَيْهِمُ﴾(١١) ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: الذُّلُّ والهَوانُ ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي: أثَرُ الفَقرِ؛ مِنَ السُّكونِ والخِزيِ؛ فهي لَازِمةٌ لهم -وإنْ كانُوا أغنيَاءَ- لُزومَ الدِّرهمِ المَضرُوبِ لِسِكَّتِه(١٢) ﴿وَبَآءُو﴾: رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ﴾ أي: الضَّرْبُ والغَضَبُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بِسَبَبِ أنَّهم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كزَكَرِيَّاءَ ويَحيَى ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: ظُلمًا ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾: يَتجاوَزُونَ الحَدَّ في المَعاصِي. وكَرَّرَهُ(١٣) لِلتأكِيدِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخَارِيُّ ومسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ...». البُخاريُّ- كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب حَديث الخَضِرِ مع موسى عليهما السلام، ومسلمٌ- كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤٢) من فضائل مُوسَى ﷺ.

---

(١) قال ابنُ كثيرٍ (١/ ٢٧٣): «أصحُّ القولَينِ أنَّ هذه البَلدةَ هي بيتُ المقدسِ».

(٢) أي: ﴿يُغفَرْ﴾؛ وهي قِراءةُ نافعٍ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وبالتَّاءِ). وهذه القِراءةُ؛ ﴿تُغفَرْ﴾ لابنِ عامرٍ.

(٤) جمعُ: سَته؛ وهو: الدُّبُرُ؛ أي: أدبَارهم.

(٥) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٠٤٠) (٢/ ١١٧) عنِ ابنِ زَيدٍ. وقال مُعقِّبًا في مَوضِعٍ آخَرَ (٢/ ١١٨): «وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى أَنَّ تَأْوِيلَ «الرِّجْزِ»: العَذَابُ. وَعَذَابُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَصْنَافٌ مُخْتَلِفَةٌ.... وَلَا دَلَالَةَ فِي ظَاهِرِ القُرْآنِ وَلَا فِي أَثَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ثَابِتٍ، أَيُّ أَصْنَافِ ذَلِكَ كَانَ. فَالصَّوَابُ مِنَ القَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بِفِسْقِهِم». ثُمَّ قَالَ: «غَيْرَ أَنَّهُ يَغْلِبُ عَلَى النَّفْسِ صِحَّةُ مَا قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ؛ لِلْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي إِخْبَارِهِ عَنِ الطَّاعُونِ أَنَّهُ رِجْزٌ، وَأَنَّهُ عُذِّبَ بِهِ قَوْمٌ قَبْلَنَا. وَإِنْ كُنْتُ لَا أَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَقِينًا». يُشيرُ إلى ما رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٧٣)، ومسلمٌ (٢٢١٨)، عن أُسامةَ بنِ زَيدٍ، قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...» الحديث.

(٦) لم أقفْ عليه مُسنَدًا، وذكَرَه البغويُّ في تَفسِيرِه (١/ ١٢١) ولم يَعزُهُ لِأحدٍ.

(٧) الحَجَرُ اللَّيِّنُ.

(٨) يَحكِي كثيرٌ مِنَ المُفسِّرينَ -ومنهم: ابنُ كثيرٍ- هنا أقوالًا كَثيرَةً وغَريبةً في وَصفِ الحَجَرِ، ومِنْ أَينَ جِيءَ به، وكلُّها لا دليلَ عليها، وَتَعارُضُهَا يُدَلِّلُ على عَدمِ صِحَّتِها، والظاهرُ أنَّها مِنَ الإسرائيليَّاتِ، ثُمَّ لا حَاجةَ لنا في العِلمِ بذلك، بَلْ لَعَلَّ القولَ الأرجَحَ هو مَا ذكرَه الزَّمَخشَرِيُّ -وحكاه عنه ابنُ كثيرٍ (١/ ٢٧٩)- بقوله: «... وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ لِلْجِنْسِ لَا لِلْعَهْدِ، أَيِ اضْرِبِ الشَّيْءَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الحَجَرُ، وَعَنِ الحَسَنِ: لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يَضْرِبَ حَجَرًا بِعَيْنِهِ، قَالَ: وَهَذَا أَظْهَرُ فِي المُعْجِزَةِ، وَأَبْيَنُ فِي القُدْرَةِ».

(٩) أي: لِأَنَّ معناها قد فُهِمَ مِنْ عَامِلِها، وحَسَّنَ ذلك اختلافُ اللفظَينِ؛ كما في قوله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [براءة:٢٥].

(١٠) كلمةُ: (تعالى) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١١) أي: وعلى ذُرِّيَّاتِهم ومَنْ نَحَا نَحوَهُمْ إلى يومِ القِيامَةِ.

(١٢) الكلامُ على القلبِ؛ أي: لزومِ السِّكَّةِ لِلدِّرهَمِ؛ والمُرادُ بالسِّكَّةِ: أثرُها؛ لِأَنَّ السِّكَّةَ اسمٌ لِلحَديدةِ المنقوشَةِ، يُضرَبُ عليها الدَّراهمُ، فكذلكَ لا يَخلُو يهوديٌّ مِنْ آثارِ الفقرِ. حاشية الصَّاوي (١/ ٣٤).

(١٣) أي: اسمُ الإشارةِ؛ وهو لفظُ: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم
مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ
أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا
تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

١٠

[٦٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِالأَنبِيَاءِ مِنْ قَبلُ[1] ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ هُمُ اليَهودُ ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: طَائِفَةٌ مِنَ اليَهُودِ، أَوِ النَّصَارَى[2] ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ في زَمَنِ نبيِّنا ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بِشَرِيعَتِه ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: ثَوابُ أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رُوعِيَ في ضَميرِ ﴿ءَامَنَ﴾ و﴿عَمِلَ﴾ لفظُ: ﴿مَنْ﴾، وفيما بعده معنَاها.

[٦٣] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾: عَهدَكُم بِالعَمَلِ بِما في التَّوراةِ ﴿وَ﴾ قدْ ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبَلَ، اقْتَلَعْنَاهُ مِنْ أَصْلِهِ عليكم، لَمَّا أَبيتُم قَبولَها، وقُلنَا: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدٍّ واجتِهَادٍ ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ بِالعَمَلِ به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النَّارَ أَوِ المعَاصِيَ.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: أعرَضتُم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الميثَاقِ عَنِ الطَّاعَةِ ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لَكمُ بِالتَّوبَةِ، أو تَأْخِيرِ العَذَابِ ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: الهَالِكِينَ.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿عَلِمْتُمُ﴾: عَرَفتُم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ﴾: تجاوَزُوا الحَدَّ ﴿مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بِصَيدِ السَّمَكِ، وقدْ نَهيناهُم عنه- وهُم أَهْلُ أَيلَةَ[3]- ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾: مُبْعَدِينَ. فكَانُوها، وهَلَكُوا بعدَ ثَلاثةِ أَيَّامٍ[4].

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: تِلكَ العُقُوبَةَ ﴿نَكَٰلًا﴾: عِبرَةً مَانِعَةً مِنِ ارتِكَابِ مِثْلِ ما عَمِلُوا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: لِلأُمَمِ التي في زَمانِها وبَعدَها[5] ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ اللهَ، وَخُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهم المنتَفِعُونَ بها، بِخلافِ غَيرِهِم.

[٦٧] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ -وقَدْ قُتِلَ لهم قَتِيلٌ لا يُدْرَى قَاتِلُهُ، وسَأَلُوه أَنْ يَدْعُوَ اللهَ أَنْ يُبيِّنَهُ لهم؛ فَدعَاه-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا [هُزُؤًا]﴾[6]: مَهْزُوءًا بِنَا؛ حيثُ تُجِيبُنا بِمِثْلِ ذلكَ؟ ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾: أمتَنِعُ ﴿بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: المُستَهزِئِينَ[7].

[٦٨] فلَمَّا عَلِمُوا أنَّه عَزمٌ ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أي: مَا سِنُّهَا؟ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: اللهَ ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾: مُسِنَّةٌ ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: صَغِيرَةٌ ﴿عَوَانٌۢ﴾: نَصَفٌ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذْكُورِ مِنَ السِّنِينَ ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ به مِنْ ذَبحِها.

[٦٩] ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: شَدِيدُ الصُّفرَةِ ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ إليها بِحُسْنِها؛ أي: تُعجِبُهم.

---

(١) أي: قَبلَ بَعثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وأَمَّا مَنْ آمنَ بِعِيسَى وأَدرَكَ مُحَمَّدًا ﷺ ولم يُؤمِنْ به فإِنَّه كَافِرٌ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ في النَّارِ -كما في سُورتي المَائِدَةِ والبَيِّنَةِ-، وكما صَحَّتْ بذلك الأَحادِيثُ، فعِندَ مُسْلِم (١٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

(٢) وقال مجاهِدٌ: الصَّابِئُونَ: قَومٌ بينَ المجُوسِ واليَهُودِ والنَّصَارَى. الطبريُّ (٢/ ١٤٦). وقِيلَ: قَومٌ يَعبُدونَ الملائكةَ. وقِيلَ: قومٌ يَعبُدُون الكَواكِبَ. وقِيلَ غير ذلك. وقال ابنُ كثيرٍ (١/ ٢٨٧): «وَأَظْهَرُ الْأَقْوَالِ، واللهُ أَعْلَمُ، قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَمُتَابِعِيهِ، وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَيْسُوا عَلَى دِينِ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى وَلَا الْمَجُوسِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ بَاقُونَ عَلَى فِطْرَتِهِمْ وَلَا دِينٌ مُقَرَّرٌ لَهُمْ يَتْبَعُونَهُ وَيَقْتَفُونَهُ». وهذا من المواضعِ القَليلةِ التي خَالفَ فيها السيوطيُّ شَيخَه المَحلِّيَّ؛ كما قالَ في مُقدِّمَتِه: «وَمِنْهَا-أي: المَواضعِ القَليلةِ التي خَالَفْتُ وَضعَه فيها؛ لِنُكتَةٍ-: أَنَّ الشيخَ قالَ في (سورة الحجِّ): «الصَّابِئُونَ فِرقَةٌ مِنَ اليَهُودِ». فذكرتُ ذلك في (سورة البقرة)، وزِدتُ: «أَوِ النَّصارَى»؛ بيانًا لِقَولٍ ثَانٍ؛ فإِنَّه المعروفُ؛ خُصُوصًا عندَ أصحَابِنا الفُقَهَاءِ، وفي (المنهاج): وإِنِ خَالفتِ السَّامِرةُ اليَهودَ، والصَّابِئةُ النَّصَارَى في أَصلِ دِينِهم، وفي «شروحه»: أَنَّ الشَّافِعيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَصَّ على أَنَّ الصَّابِئِينَ فِرقَةٌ مِنَ النَّصَارَى».

(٣) رواه الطبريُّ (١٥٢٦١) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف:١٦٣]، قَالَ: «هِيَ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا: أَيْلَةُ، بَيْنَ مَدْيَنَ وَالطُّورِ».

(٤) قال ابنُ كثيرٍ (١/ ٢٨٩): «وَقَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: فَمَسَخَهُمُ اللهُ قِرَدَةً بِمَعْصِيَتِهِمْ، يَقُولُ: إِذْ لَا يَحْيَوْنَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: وَلَمْ يَعِشْ مَسْخٌ قَطُّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ وَلَمْ يَنْسَلْ».

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أو بعدها).

(٦) قرأ حفصٌ بِإِبدَالِ الهَمزَةِ وَاوًا، مَعَ ضَمِّ الزَّايِ؛ ﴿هُزُوًا﴾، وبَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِضَمِّ الهَمْزَةِ، ﴿هُزُؤًا﴾، وسَكَّنَ حَمزةُ الزَّايَ، والبَاقُونَ بِضَمِّها، ويَقِفُ حَمزةُ بِنقلٍ وإِبدالِ وَاوًا، مع سُكُونِ الزَّايِ.

(٧) فَائِدَةٌ: قال المَاوَرديُّ: «وإِنَّما أُمِر -والله أعلَمُ- بِذَبحِ البَقرةِ دُونَ غَيرِها؛ لِأَنَّها مِنْ جِنسِ ما عَبَدُوه مِنَ العِجْلِ؛ لِيَهُونَ عندَهم ما كَانوا يرونَه مِنْ تَعظِيمِه، ولِيَعلَمَ بِإِجابتِهم زَوالَ ما كانَ في نُفُوسِهم مِنْ عِبادتِه». تفسير الماورديِّ (١/ ١٣٧).

قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ
ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ (٧١) وَإِذۡ
قَتَلۡتُمۡ نَفۡسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٌ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ
(٧٢) فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ
مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ
(٧٤) ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ الحزب ٢
يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ
يَعۡلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ
عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (٧٦)

[٧٠] ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: أَسَائِمَةٌ أم عامِلَةٌ؟ ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ﴾ أي: جِنسَهُ المنعُوتَ بِمَا ذُكِرَ ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ لِكَثْرَتِه؛ فلَمْ نَهْتَدِ إلى المقصُودَةِ ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ إليها. وفي الحَديثِ: «لَوْ لَمْ يَسْتَثْنُوا لَمَا بُيِّنَت لَهُمْ آخِرَ الأَبَدِ»(١).

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾: غَيرُ مُذَلَّلَةٍ بِالعَمَلِ ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾: تُقلِّبُها لِلزِّرَاعَةِ. والجُملَةُ صِفَةُ: ﴿ذَلُولٌ﴾ دَاخِلَةٌ في النَّفي(٢) ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾: الأَرضَ المُهيَّأَةَ لِلزِّرَاعَةِ ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مِنَ العُيُوبِ وآثَارِ العَمَلِ ﴿لَّا شِيَةَ﴾: لَونَ ﴿فِيهَاۚ﴾ غَيرُ لَونِها ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾: نَطَقْتَ بِالبَيَانِ التَّامِّ، فطَلَبُوها؛ فوَجَدُوها عِندَ الفَتَى البَارِّ بِأُمِّه؛ فاشتَرَوهَا بِملءِ مَسْكِها(٣) ذَهَبًا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ لِغَلَاءِ ثَمَنِها. وفي الحَدِيثِ: «لَوْ ذَبَحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ كَانَتْ، لأَجْزَأَتْهُمْ، وَلَكِنْ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ»(٤).

[٧٢] ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾ - فيه إِدغَامُ التَّاءِ في الأَصْلِ في الدَّالِ(٥)- أي: تَخاصَمتُم وتَدَافعتُم ﴿فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٌ﴾: مُظهِرٌ ﴿مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ مِنْ أَمْرِها. وهذا اعتِرَاضٌ(٦) وهو أَوَّلُ القِصَّةِ(٧).

[٧٣] ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ﴾ أي: القَتِيلَ ﴿بِبَعۡضِهَاۚ﴾ فضُرِبَ بِلسَانِها أو عَجْبِ ذَنَبِها؛ فَحَيِيَ، وقالَ: «قَتَلَني فُلانٌ وفُلانٌ»؛ لابنَيْ عَمِّه. وماتَ؛ فَحُرِمَا المِيراثَ وقُتِلَا. قال تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإِحياءِ ﴿يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: دَلَائِلَ قُدرَتِه ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: تَتَدَبَّرُونَ؛ فتعلَمُونَ أَنَّ القَادِرَ على إِحيَاءِ نَفسٍ وَاحِدةٍ قَادرٌ على إِحيَاءِ نُفُوسٍ كَثِيرةٍ؛ فتُؤمِنُونَ.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ -أيُّها اليَهودُ-: صَلُبَتْ عَنْ قَبُولِ الحَقِّ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ مِنْ إِحيَاءِ القَتِيلِ، ومَا قَبلَه مِنَ الآيَاتِ ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ في القَسْوَةِ ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ - فيه إِدغَامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الشِّينِ- ﴿فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ﴾: يَنزِلُ مِنْ عُلوٍّ إلى سُفلٍ ﴿مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ وقُلُوبُكُم لا تَتأَثَّرُ ولا تَلِينُ ولا تَخشَعُ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ وإِنَّما يُؤخِّرُكُم لِوَقتِكُم. وفي قِرَاءَةٍ(٨): بِالتحتَانِيَّةِ(٩)، وفيه التِفَاتٌ عَنِ الخِطَابِ.

[٧٥] ﴿۞ أَفَتَطۡمَعُونَ﴾ - أَيُّها المؤمِنُونَ- ﴿أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾ أي: اليَهُودُ ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ﴾: طَائفةٌ ﴿مِّنۡهُمۡ﴾: أَحبَارِهِم ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ في التَّورَاةِ ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾: يُغَيِّرُونه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فَهِمُوه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أَنَّهم مُفتَرُونَ؟ والهَمزَةُ لِلإِنكَارِ؛ أي: لا تَطمَعُوا؛ فلَهم سَابِقَةٌ في الكُفرِ.

[٧٦] ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ أي: مُنَافِقُو اليَهُودِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بِأَنَّ مُحمَّدًا نَبِيٌّ، وهو المُبَشَّرُ به في كِتَابِنَا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: رَجَعَ ﴿بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ﴾ أي: رُؤسَاؤُهم الذين لَمْ يُنَافِقُوا لِمَنْ نَافَقَ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي: المُؤمِنِينَ ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: عَرَّفَكُمْ في التَّورَاةِ مِنْ نَعتِ مُحمَّدٍ ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ لِيُخَاصِمُوكُم - واللَّام لِلصَّيرُورَةِ(١٠)- ﴿بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ في الآخِرَةِ، ويُقِيمُوا عليكُم الحُجَّةَ في تَرْكِ اتِّبَاعِهِ مَعَ عِلمِكُم بِصِدْقِهِ؟ ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أَنَّهم يُحاجُّونكُم إذا حَدَّثتُمُوهُم، فتَنتَهُوا؟!

---

(١) أَخرجَه ابنُ جَريرٍ (١٢٤٢) عَنِ ابنِ جُريجٍ. قالَ أَحمدُ شاكر في تعليقِه (٢/ ٢٠٥): «وهو مُرسَلٌ لا تَقومُ به حُجَّةٌ». وأَخرجَه بِنَحْوِهِ سَعيدُ بنُ مَنْصُورٍ، عَن عِكْرِمَةَ مَرْفُوعًا مُرْسَلًا، وذكرَه ابنُ كثيرٍ في تَفسِيرِه (١/ ١٩٤)، قال: «قالَ ابنُ جُريجٍ: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا أُمِرُوا بِأَدْنَى بَقَرَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا شَدَّدُوا شَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَثْنُوا لَمَا بُيِّنَتْ لَهُمْ آخِرَ الأَبَدِ»».اهـ. فالحديثُ فيه انقطاعٌ. وذكرَه بِنحوِه مَرفوعًا عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، ثُمَّ قالَ: «وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ أَبِي هُرَيْرَةَ». تفسيرُ ابنِ كثيرٍ (١/ ٣٠٠).

(٢) أي: لَيسَتْ مُذَلَّلَةً لِعَمَلٍ ولا مُثِيرةً لِلأَرضِ.

(٣) أي: جِلدِها. والقِصَّةُ أَخرجَها الطبريُّ (٢/ ٨٠)، وابنُ أَبِي حَاتمٍ وعبدُ بن حميدٍ بإِسنادٍ صحيحٍ - كما قال الحافظُ في الفتحِ (٤/ ٤٤٠) - عن محمدِ بنِ سِيرِينَ عَن عُبيدةَ بنِ عمرٍو السلمانيِّ، أَحدِ كِبَارِ التَّابِعينَ.

(٤) ذكرَه ابنُ كثيرٍ كَما تقدَّمَ وضَعَّفَه.

(٥) في نُسخةِ حَاشيةِ الجَمَلِ: (فيه إِدغَامُ الدَّالِ في التَّاءِ).

(٦) أي: جُملةٌ مُعترِضَةٌ بينَ المَعطُوفِ؛ وهو: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ﴾ الآيَةَ [البقرة:٧٣]، والمعطُوفِ عليه؛ وهو: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ [البقرة:٧١].

(٧) وإِنَّما أَخَّرَهُ لِيوصِلَ قَبَائحَ بَني إِسرائيلَ بَعضَها بِبَعضٍ.

(٨) لابنِ كثيرٍ.

(٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِالتَّحتيَّةِ).

(١٠) أي: يصيرون مُحَاجِّينَ لكُم.

أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ
فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ
أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ
تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ
وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا
مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ
إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ
لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٧] قالَ تَعالَى: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ﴾ - الاستفهامُ لِلتَّقرِيرِ(١)، والوَاوُ الدَّاخِلُ(٢) عليها لِلعَطفِ- ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾: ما يُخفُونَ وما يُظهِرُونَ مِنْ ذلك وغَيرِه؛ فَيَرْعَوُوا(٣) عَنْ ذلكَ؟!

[٧٨] ﴿وَمِنۡهُمۡ﴾ أي: اليَهودِ ﴿أُمِّيُّونَ﴾: عَوامٌّ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التَّورَاةَ ﴿إِلَّآ﴾: لكِنْ ﴿أَمَانِيَّ﴾: أكاذِيبَ تَلَقَّوها مِنْ رُؤَسَائِهم فاعتمَدُوها ﴿وَإِنۡ﴾: مَا ﴿هُمۡ﴾ في جَحْدِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ وغَيرِه مِمَّا يَختَلِقُونَه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظَنًّا ولا عِلْمَ لهم.

[٧٩] ﴿فَوَيۡلٞ﴾: شِدَّةُ عَذابٍ ﴿لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: مُختَلَقًا مِنْ عِندِهُم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ مِنَ الدُّنيَا؛ وهُمُ اليَهودُ غَيَّرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ في التَّورَاةِ، وآيَةَ الرَّجمِ وغَيرَها، وكَتَبُوها على خِلَافِ ما أُنزِلَ ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ مِنَ المُختَلَقِ ﴿وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ مِنَ الرِّشا(٤).

[٨٠] ﴿وَقَالُواْ﴾ لَمَّا وَعَدَهُمُ النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾: تُصِيبَنا ﴿ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾: قَليلةً، أربَعينَ، مُدَّةَ عِبادةِ آبائِهمُ العِجْلَ ثُمَّ تَزُولُ ﴿قُلۡ﴾ لهم - يا مُحَمَّد-: ﴿أَتَّخَذۡتُمۡ﴾ - حُذِفَتْ منه هَمزةُ الوَصْلِ استغنَاءً بِهمزَةِ الاستفهَامِ- ﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا﴾: مِيثَاقًا منه بذلكَ ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ﴾ به؟ لا ﴿أَمۡ﴾: بَلْ ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

[٨١] ﴿بَلَىٰۚ﴾ تَمَسُّكُم وتَخلُدُونَ فيها ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾: شِرْكًا ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بِالإفرَادِ والجَمْعِ(٥)؛ أَي: استَولَتْ عليه وأحدَقَتْ به مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ بِأَنْ مَاتَ مُشرِكًا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ - رُوعِيَ فيه معنَى: ﴿مَن﴾-.

[٨٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ في التَّورَاةِ، وقُلنا: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾ -بِالتَّاءِ والياءِ(٦)- ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خَبَرٌ بِمَعنَى النَّهيِ- وَقُرِئَ(٧): «لا تَعبُدُوا»- ﴿وَ﴾ أحسِنُوا ﴿بِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾: بِرًّا ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: القَرابَةِ، عَطفٌ على: «الوَالِدَينِ» ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ﴾ قَولًا ﴿[حَسَنٗا]﴾ مِنَ الأَمْرِ بِالمعرُوفِ، والنَّهيِ عَنِ المنكَرِ، والصِّدقِ في شَأنِ مُحَمَّدٍ، والرِّفقِ بهم. وفي قِرَاءَةٍ(٨): بِضَمِّ الحَاءِ وسُكُونِ السِّينِ؛ مَصدَرٌ، وُصِفَ به مُبالَغَةً ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فَقَبِلْتُمْ ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: أعرَضْتُم عَنِ الوَفَاءِ به- فيه التِفَاتٌ(٩) عَنِ الغَيبَةِ؛ والمرَادُ آبَاؤُهم- ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عنه؛ كَآبائِكُم.

---

(١) أي: على سَبيلِ التَّوبِيخِ؛ حيثُ اعتقَدُوا أنَّ المُنافِقَ يُؤاخذُ، والكَافرَ الأَصليَّ لا حُجَّةَ عليه، وله عُذرٌ قائمٌ عند ربِّه!

(٢) أي: «ألَا يعلَمُون»، ثُمَّ دَخلَت وَاوُ العَطفِ بَينَ هَمزةِ الاستفهَامِ، و«لَا» النَّافيةِ لِلجِنسِ. والوَاوُ الدَّاخلُ الاستفهامُ عليها لِلعَطفِ على مَحذوفٍ تَقديرُه: أَيَلُومُونَهم على التحديثِ بما ذُكِرَ، ولا يعلَمُون... إلخ.

(٣) أي: يَنكَفُّوا وَيَنزَجِرُوا.

(٤) بِتَثليثِ الرَّاءِ؛ بِفتحِها وضَمِّها وكَسرِها: جَمعُ رِشوةٍ.

(٥) بالإفرادِ؛ أي: باعتبارِ ذَاتِ الشِّرْكِ. والجَمعِ؛ أي: باعتبارِ أفرادِه، وقَرأها نافعٌ بِالجَمعِ: ﴿خَطِيٓـَٔاتُهُۥ﴾، والبَاقُونَ بِالإفرادِ: ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾.

(٦) بالياءِ لِحَمزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ.

(٧) قِراءةٌ شاذَّةٌ، وقَاعِدةُ المُفسِّرِ غالبًا أنَّه يُشِيرُ لِلشَّاذَّةِ بِقولِه: «قُرِئَ»، والسَّبعيَّةِ بِقولِه: «في قِرَاءةٍ».

(٨) بِفتحِ الحاءِ والسِّينِ لِحَمزَةَ والكِسَائِيِّ، جعلَاه صِفةً لِمَصدَرٍ مَحذُوفٍ، تَقديرُه: وقُولُوا لِلنَّاسِ قَولًا حَسَنًا، وبِضَمِّ الحَاءِ وسُكونِ السِّينِ؛ ﴿حُسۡنٗا﴾ قَرأَ البَاقُونَ.

(٩) إذ التقديرُ أنْ يقولَ: «ثُمَّ تولَّوا إلَّا قليلًا منهم وهُم مُعرِضُون»؛ فالتفتَ عَنْ ضَمائرِ الغَيبةِ إلى ضَمائرِ الخِطابِ بما ذُكِرَ، وحِكمتُه الاستلذاذُ لِلسَّامعِ وعَدمُ المَلَلِ منه، وهو مِنَ المُحَسِّناتِ.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ
فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ
بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا
غُلْفٌۢ ۚ بَلْ لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وقُلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: تُرِيقُونَها بِقَتْلِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾: لا يُخرِجُ بَعْضُكُم بَعْضًا مِنْ دارِهِ ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: قَبِلْتُمْ ذلك المِيثاقَ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسِكُم.

[٨٥] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ بِقَتْلِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ [تَظَّاهَرُونَ]﴾[1] -فيه إدغامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الظَّاءِ. وفي قِراءَةٍ: بِالتَّخفِيفِ؛ على حَذفِها[2]-: تَتَعاوَنُونَ ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾: بِالمعصِيَةِ ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظُّلم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ وفي قِراءَةٍ[3]: ﴿أَسْرَىٰ﴾ ﴿[تَفْدُوهُمْ]﴾[4]، وفي قِراءَةٍ: ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾: تُنقِذُوهُم مِنَ الأَسْرِ بِالمالِ أو غَيرِه، وهو مِمَّا عُهِدَ إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي: الشَّأنُ[5] ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: مُتَّصِلٌ بِقولِه: ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾، والجُملةُ بينَهما[6] اعتِراضٌ؛ أي: كما حُرِّمَ تَرْكُ الفِدَاءِ. وكَانت قُرَيْظَةُ حالَفُوا الأَوسَ، والنَّضِيرُ الخَزرَجَ؛ فكانَ كُلُّ فَرِيقٍ يُقاتِلُ مَعَ حُلفَائِه، ويُخَرِّبُ دِيارَهُم، ويُخرِجُهم، فإذا أُسِرُوا فَدَوْهُم، وكانُوا إذا سُئِلُوا: لِمَ تُقاتِلونَهم وتَفدُونَهم؟! قالوا: أُمِرْنا بِالفِداءِ. فيُقالُ: فَلِمَ تُقاتِلونَهم؟! فيَقولُونَ: حَياءً أَنْ يُستَذَلَّ حُلفاؤنا. قال تَعالَى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[7] -وهو الفِداءُ- ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾؟ وهو تَرْكُ القَتْلِ والإِخراجِ والمُظَاهَرةِ ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾: هَوانٌ وذُلٌّ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقَدْ خَزُوا بِقَتلِ قُرَيظَةَ، ونَفْيِ النَّضِيرِ إلى الشَّامِ، وضَرْبِ الجِزيَةِ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا [يَعْمَلُونَ]﴾ بالياءِ والتَّاءِ[8].

[٨٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ بِأَنْ آثَرُوها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمْنَعُونَ منه.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: أَتْبَعْناهُم رَسُولًا في أَثَرِ رَسُولٍ[9] ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجِزاتِ؛ كَإِحياءِ الموتَى، وإِبراءِ الأَكْمَهِ والأَبرَصِ ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قَوَّيْناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ - مِنْ إِضافَةِ الموصُوفِ إلى الصِّفَةِ- أي: الرُّوحِ المُقَدَّسةِ جِبرِيلَ؛ لِطَهارَتِه، يَسِيرُ معه حَيثُ سَارَ، فلَمْ تَستَقِيمُوا ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾: تُحِبُّ ﴿أَنفُسُكُمُ﴾ مِنَ الحَقِّ ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تَكَبَّرتُم عَنِ اتِّباعِه، جَوابُ: «كُلَّما»، وهو مَحَلُّ الاستفهامِ[10]، والمُرادُ به التَّوبِيخُ ﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كَعِيسَى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾؟ المُضارِعُ لِحِكايةِ الحالِ الماضِيَةِ؛ أي: قَتَلتُم؛ كَزَكَرِيَّاءَ ويَحيَى.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا۟﴾ لِلنَّبِيِّ استِهزاءً: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾: جمعُ أَغلَفَ؛ أي: مُغشَّاةٌ بِأَغطِيَةٍ؛ فلا تَعِي ما تَقولُ. قال تَعالَى: ﴿بَل﴾ لِلإِضرابِ[11] ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أَبعَدَهُم مِنْ رَحمَتِه وخَذَلَهم عَنِ القَبُولِ ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ ولَيسَ عَدَمُ قَبُولِهم لِخَلَلٍ في قُلُوبِهم[12] ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: ﴿مَّا﴾ زائِدةٌ؛ لِتأكِيدِ القِلَّةِ؛ أي: إيمانُهم قَليلٌ جِدًّا.

---

(١) وهي قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ.

(٢) أي: بِحَذفِ التَّاءِ الثانيةِ التي لَيست لِلمُضارَعةِ، وهي قِراءةُ عاصِمٍ وحَمزةَ والكِسائِيِّ.

(٣) لِحَمزةَ.

(٤) لِحَمزةَ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقرأَ نافعٌ وعاصِمٌ والكِسائِيُّ: ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾.

(٥) ويُقالُ: ضَميرُ القِصَّةِ يُفسِّرُه ما بعدَه. قال ابنُ هشامٍ: ويختَصُّ بِخَمسةِ أَشياءَ: كَونُه مُفردًا -ولو كان مَرجِعُه مُثنًّى أو مجمُوعًا-، وتَأخيرُ مَرجِعِه، وكونُه جُملةً، ولا يَعمَلُ فيه إِلَّا الابتداءُ والنَّاسِخُ، ولا يتبع.

(٦) الجُملةُ هي قولُه: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ وقوله: «بينهما»؛ أي: بينَ المَعطوفِ؛ وهو قولُه: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الآيَة، والمَعطوفِ عليه؛ وهو جُملةُ: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾؛ لِأَنَّها حَالٌ.

(٧) رَوى الطَّبَرِيُّ (١٤٧١) (٢/ ٣٠٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: «وَفِي حُكْمِ التَّوْرَاةِ: أَنْ لَا يُقْتَلَ وَلَا يُخْرَجَ مِنْ دَارِه، وَلَا يُظَاهَرَ عَلَيْهِ مَنْ يُشْرِكُ بالله وَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ ابْتِغَاءَ عَرَضٍ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا...» وفي الآيةِ وهذا الأثرِ في تَفسِيرِها حُجَّةٌ لمنْ قَالَ: إِنَّ الموالاةَ المُكفِّرةَ لا يُشترَطُ أَن تَكونَ النُّصرَةُ فيها لأَجلِ دِينِهم؛ بلْ لو كانَ كذلكَ لِأَجلِ الدُّنيَا؛ كما هي هنا، وقَدْ جَعلَ الله ذلكَ كُفرًا ببعضِ الكتابِ. يُنظرُ: ضَوءُ القَمَرينِ على تفسيرِ الجلالَينِ، لِلشيخِ عبدِ الله الأهدلِ، في تعليقِه على تفسيرِ الآيَةِ: ٨٥ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٨) بالياءِ: لنافعٍ وابنِ كثيرٍ وشعبةَ. وقرأَ البَاقُونَ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾.

(٩) ظاهِرُه أَنَّه لا يجتمعُ رَسولَانِ في زَمَنٍ وَاحِدٍ، وليسَ كذلكَ، فإِنَّ زَكَرِيَّاءَ ويَحيى كانَا في زَمنٍ واحِدٍ، وكذا داودُ وسليمانُ. حاشية الصَّاوي (١/ ٤٣).

(١٠) أي: إِنَّ مَحَلَّ الاستفهامِ هو الاستكبارُ، ولَيس مجيءَ الرُّسلِ.

(١١) أي: الإبطاليّ.

(١٢) أي: كما ادَّعوا مِنْ أنها مُغطَّاة، فهذا هو الخَلَلُ.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا
جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا
مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ
ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا
يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

الحزب ٢

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ مِنَ التَّوراةِ؛ هو: القُرآنُ ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: قبلِ مجيئِه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يَستنصِرُونَ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يقولُونَ: اللهُمَّ انصرْنا عليهم بِالنَّبِيِّ المبعوثِ آخِرَ الزَّمانِ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ مِنَ الحَقِّ؛ وهو: بِعثةُ النَّبِيِّ ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ حَسَدًا وخوفًا على الرِّياسَةِ. وجَوابُ «لَمَّا» الأُولَى دَلَّ عليه جوابُ الثَّانيةِ ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟﴾: بَاعُوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: حَظَّها مِنَ الثَّوابِ. و«مَا» نكِرَةٌ؛ بِمَعنَى: شَيئًا؛ تمييزٌ لِفَاعِلِ «بِئسَ». والمَخصُوصُ بِالذَّمِّ: ﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ أي: كُفرُهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿بَغْيًا﴾: مَفعولٌ له لِـ﴿يَكْفُرُوا۟﴾؛ أي: حَسَدًا على ﴿أَن [يُنزِلَ] ٱللَّهُ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[1] - ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: الوَحيَ ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ لِلرِّسالَةِ ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو﴾: رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ مِنَ اللهِ بكُفرِهم بما أنزلَ اللهُ -والتَّنكِيرُ للتَّعظِيمِ- ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ استحقُّوه مِنْ قَبلُ، بِتَضييعِ التَّوراةِ والكُفرِ بِعِيسَى ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذُو إِهَانَةٍ.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: القُرآنِ وغَيرِه ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أَي: التَّوراةِ. قالَ تَعالَى: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾: الوَاوُ لِلحَالِ ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: سِوَاهُ أو بَعدَه مِنَ القُرآنِ ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: حالٌ ﴿مُصَدِّقًا﴾: حالٌ ثانيةٌ[2] مُؤكِّدةٌ ﴿لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي: قَتَلتُم ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بِالتَّوراةِ، وقَدْ نُهِيتُمْ فيها عَنْ قَتلِهم؟ والخِطَابُ لِلمَوجُودِينَ في زَمَنِ نَبِيِّنا بِمَا فَعَلَ آباؤُهم لِرِضَاهُم به.

[٩٢] ﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ؛ كالعَصَا، واليَدِ، وفَلْقِ البَحْرِ ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إِلَهًا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِنْ[3] بَعدِ ذَهابِه إلى المِيقاتِ ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بِاتِّخاذِه.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ على العَمَلِ بِما في التَّوراةِ ﴿وَ﴾ قَدْ ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجَبَلَ، حِينَ امتَنَعتُم مِنْ قَبولِها؛ لِيَسقُطَ عليكُم، وقُلنا: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدٍّ واجتِهادٍ ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ مَا تُؤمَرُونَ به سَماعَ قَبُولٍ. ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ قَولَكَ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أَمْرَكَ ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: خالَطَ حُبُّهُ قُلوبَهُمْ؛ كما يُخالِطُ الشَّرابُ ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾[4] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بِئْسَمَا﴾ شيئًا ﴿يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ بِالتَّوراةِ عِبادةُ العِجْلِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بها، كما زَعَمتُم! المَعنَى: لَستُم بِمُؤمِنِينَ؛ لِأَنَّ الإِيمانَ لا يَأمُرُ بِعبادَةِ العِجْلِ؛ والمُرادُ: آباؤُهم؛ أي: فكذلكَ أنتُم لَستُم بِمُؤمِنِينَ بِالتَّوراةِ وقَدْ كَذَّبْتُم مُحَمَّدًا، والإِيمانُ بها لا يَأمُرُ بِتكذِيبِه.

---

(١) بِالتَّخفيفِ في الزَّايِ: قَرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو. وقرأَ البَاقُونَ بِالتَّشدِيدِ؛ ﴿يُنَزِّلَ﴾. ولاحِظْ أَنَّ التَّخفِيفَ يَلزمُه إسكَانُ النُّونِ، والتَّشديدَ يَلزمُه فَتحُها.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ثابتة)، وقالَ في الحاشيةِ (١/ ٤٤): «وفي الأَصْلِ والنُّسَخ والمطبوعاتِ: (ثانية)، وهو تَصحيفٌ ظاهرٌ». وفي حاشية الصاوي (١/ ٣٩) قال: «وقوله: (ثانية) أي في التأكيدِ، وإلَّا فهي ثالثةٌ».

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: بعدَ ذَهابِه)؛ بِزِيَادَةِ: (أي)، وبِدونِ: (مِن).

(٤) أي: بِسبَبِ كُفرِهم.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن
يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ
يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ
ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن
كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ
ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

[٩٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ أي: الجَنَّةُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾: خَاصَّةً ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ كما زَعَمتُم ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ تعلَّقَ بِتَمَنِّيهِ(١) الشَّرطَانِ، على أنَّ الأوَّلَ قَيدٌ في الثَّاني(٢)؛ أي: إِنْ صَدَقْتُم في زَعْمِكُم أنَّها لكُم، ومَنْ كانَت له يُؤثِرُها، والموصِلُ إليها الموتُ، فتَمَنَّوْهُ.

[٩٥] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنْ كُفْرِهِم بِالنَّبِيِّ المستَلزِمِ لِكَذِبِهِم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ؛ فيُجَازِيهِم.

[٩٦] ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾: لامُ قَسَمٍ ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَ﴾ أحرَصَ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ المُنكِرِينَ لِلبَعْثِ عليها؛ لِعِلْمِهِم بِأَنَّ مَصِيرَهُم النَّارُ دُونَ المُشرِكِينَ؛ لِإنكَارِهِم له ﴿يَوَدُّ﴾: يَتَمَنَّى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: ﴿لَوْ﴾ مَصدَرِيَّةٌ؛ بِمَعنَى: «أَنْ»، وهي بِصِلَتِها في تَأوِيلِ مَصْدَرٍ مَفعولُ ﴿يَوَدُّ﴾ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: أَحَدُهُم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾: مُبعِدِه ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: النَّارِ ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾: فَاعِلُ «مُزَحزِحِه»؛ أي: تَعمِيرُه ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ(٣)- فيُجازِيهم. وسَأَلَ ابنُ صُورِيا(٤) النَّبِيَّ أو عُمَرَ عَمَّنْ يَأتِي بِالوَحْيِ مِنَ المَلائِكَةِ؟ فقَالَ: «جِبرِيلُ»؛ فقالَ: هو عَدُوُّنا، يَأتِي بِالعَذَابِ، ولو كانَ مِيكَائِيلَ لآمَنَّا؛ لِأَنَّه يَأتِي بِالخِصْبِ والسِّلمِ(٥). فنَزَلَ:

[٩٧] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ فليَمُتْ غَيظًا ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾: بِأَمْرِ ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قَبْلَه مِنَ الكُتُبِ ﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ بِالجَنَّةِ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[*].

[٩٨] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ - بِكَسرِ الجِيمِ وفَتحِها، بِلا هَمزٍ وبه، بِيَاءٍ ودُونِها(٦)- ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾: عَطفٌ على المَلائِكَةِ، مِنْ عَطفِ الخَاصِّ على العَامِّ(٧)- وفي قِرَاءَةٍ: ﴿مِيكَائِيلَ﴾ بِهَمزَةٍ ويَاءٍ(٨)، وفي أُخرَى بِلَا يَاءٍ(٩)- ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أوقَعَه مَوقِعَ «لَهُم» بَيَانًا لِحَالِهِم.

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ -يا مُحَمَّدُ- ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: وَاضِحَاتٍ: حَالٌ؛ رَدٌّ لِقَولِ ابنِ صُورِيا لِلنَّبِيِّ: مَا جِئتَنا بِشَيءٍ(١٠) ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿أَ﴾ كَفَرُوا بها ﴿وَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟﴾ اللهَ ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمانِ بالنَّبيِّ إنْ خَرَجَ، أوِ النَّبيَّ أنْ لا يُعاوِنوا عليه المُشرِكِينَ ﴿نَّبَذَهُۥ﴾: طَرَحَه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ بِنَقْضِهِ؟ جوابُ ﴿كُلَّمَا﴾، وهو مَحَلُّ الاستفهَامِ الإنكَارِيِّ؟! ﴿بَلْ﴾ لِلانتقَالِ ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: التَّوراةَ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: لَمْ يَعمَلُوا بِما فيها مِنَ الإيمانِ بِالرَّسُولِ وغَيرِه ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها مِنْ أَنَّه نَبِيٌّ حَقٌّ، أَوْ أَنَّها كِتَابُ اللهِ.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٩٧) وما بعدها: أَخرَجَ أَحمَدُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ اليَهُودِ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَومًا، فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلالٍ نَسأَلُكَ عَنهُنَّ لَا يَعلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ... الحديث، وفي آخره: قَالُوا: وأَنتَ الآنَ فَحَدِّثْنَا مَنْ وَلِيُّكَ مِنَ المَلائِكَةِ فَعِندَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نُفَارِقُكَ. قال: «فَإِنَّ وَلِيِّي جِبرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَبعَثِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا قَطُّ إِلا وَهُوَ وَلِيُّهُ». قَالُوا: فَعِندَهَا نُفَارِقُكَ، لَوْ كَانَ وَلِيُّكَ سِوَاهُ مِنَ المَلائِكَةِ لَاتَّبَعنَاكَ، وَصَدَّقنَاكَ، قَالَ: «فَمَا يَمنَعُكُمْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟»، قَالُوا: هُوَ عَدُوُّنَا، فَعِندَ ذَلِكَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إِلَى قَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَعِندَ ذَلِكَ ﴿بَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ الآيَة. المُسنَدُ (١/ ٢٧٨) - (إِسنادُه صحيحٌ) شاكر (٢٥١٤).

---

(١) في العِبارةِ قَلبٌ، والأَصلُ تَعلُّقُ تَمنِّيهِ بِالشَّرطَينِ؛ لِأَنَّ «تَمَنَّوا» هو الجوابُ، وهو مُتعلِّقٌ بِالشَّرطَينِ.

(٢) حَاصِلُهُ: أنَّه إذا اجتمعَ شَرطَانِ وتوسَّطَ بينهما جوابٌ؛ كان الأَوَّلُ قيدًا في الثاني؛ بِمَعنَى: أَنَّه مِنْ تَمَامِ مَعنَاه.

(٣) ظاهِرُهُ أنَّهما سَبعِيَّتانِ، ولَيسَ كذلك، بَلِ التَّاءُ عَشرِيَّةٌ؛ قَرَأَ بها يَعقوبُ، واختُلِفَ فيما زادَ عن السَّبعِيَّةِ؛ هل يُلحقُ بها فتَجوزُ القِراءةُ والصَّلاةُ بها، أم بِالشَّواذِّ فيَمتَنِعانِ؟ والمُعتَمَدُ الأَوَّلُ.

(٤) واسمُه عبدُ الله، وكان مِنْ أحبارِ اليَهودِ.

(٥) مُسنَد أحمد (٢٥١٠). ورَوَى البُخارِيُّ في كتاب التفسير (٤٤٨٠) عَنْ أنسٍ نحوَ هذا في عبد الله بنِ سَلامٍ قُبَيلَ إسلَامِه، وليسَ فيه أنَّه سَبَبُ نُزولِ الآيَةِ.

(٦) جَبْرِيل وجَبْرَئِل وجَبْرَئيل، لابنِ كثيرٍ، ثُمَّ شُعبةَ، ثُمَّ حمزةَ والكِسائِيِّ، على التَّرتيبِ، جِبْرِيل لنافعٍ وأبي عَمرٍو وابن عامرٍ وحفصٍ.

(٧) والنُّكتَةُ: شَرَفُهما وعِظَمُهما وكونُ النِّزاعِ فيهما. (٨) لابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ وشُعبةَ وحَمزةَ والكِسائِيِّ. (٩) لِنافعٍ.

(١٠) أخرجَه ابنُ إسحاقَ في السيرة (٢/ ١٩٩)، ومن طريقه الطبريُّ (١٦٣٧)، وابنُ أبي حاتمٍ (٩٧٠)، وغيرُهما عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وذكرَه الحافظُ في العُجَابِ (١/ ٣٠١)، وسَكتَ عنه. وضعَّفَ الهلاليُّ إسنادَه في الاستيعاب (١/ ٤٦).

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا
تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ
اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا
وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَاتَّبَعُوا﴾: عَطفٌ على ﴿نَبَذَ﴾[١] ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي: تَلَتِ ﴿الشَّيَاطِينُ عَلَى﴾ عَهدِ ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ مِنَ السِّحرِ. وكانَتْ دَفَنَتْهُ تحتَ كُرسِيِّه لَـمَّا نُزِعَ مُلْكُه[٢]، أَو كانَتْ تَستَرِقُ السَّمْعَ، وتَضُمُّ إليه أكاذِيبَ، وتُلقِيه إلى الكَهَنَةِ؛ فيُدَوِّنونَه، وفَشَا ذلكَ، وشَاعَ أنَّ الجِنَّ تَعلَمُ الغَيبَ؛ فجَمَعَ سُليمانُ الكُتُبَ ودَفَنَها، فلَمَّا مَاتَ دَلَّتِ الشَّياطِينُ عليها النَّاسَ؛ فاستخرَجُوها، فوَجَدُوا فيها السِّحرَ، فقَالوا: إنَّما مَلَكَكُم بهذا فتعلَّمُوه. فرفَضُوا كُتُبَ أنبيَائِهم[٣]. قالَ -تَعَالَى- تَبرِئَةً لِسُليمانَ ورَدًّا على اليَهودِ في قَولِهم: «انظُرُوا إلى محُمَّدٍ يَذكرُ سُليمانَ في الأَنبيَاءِ، وما كانَ إلَّا سَاحِرًا»[٤]-: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: لم يَعمَلِ السِّحْرَ؛ لِأَنَّه كُفْرٌ ﴿وَلَكِنَّ﴾ بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ[٥] ﴿الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾: الجُملةُ حالٌ مِنْ ضَميرِ: ﴿كَفَرُوا﴾ ﴿وَ﴾ يُعلِّمُونَهم ﴿مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ أي: أُلهِمَاهُ مِنَ السِّحرِ[٦]، وقُرِئَ بِكَسرِ اللَّامِ[٧]، الكَائِنَينِ ﴿بِبَابِلَ﴾: بَلَدٍ في سَوادِ العِرَاقِ ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾: بَدَلٌ أو عَطفُ بيَانٍ للمَلَكَينِ. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: هما سَاحِرَانِ، كانَا يُعلِّمانِ السِّحْرَ. وقِيلَ: مَلَكَانِ أُنزِلَا؛ لِتَعلِيمِه ابتلاءً مِنَ اللهِ لِلنَّاسِ ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾: زَائِدَةٌ ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نُصْحًا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بَلِيَّةٌ مِنَ اللهِ إلى النَّاسِ؛ لِيَمتَحِنَهُم بتَعلِيمِه؛ فَمَنْ تَعلَّمَهُ كَفَرَ، وَمَنْ تَرَكَه فهو مُؤمِنٌ ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتَعلُّمِهِ. فإنْ أَبى إلَّا التَّعلِيمَ علَّمَاهُ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ بِأَنْ يُبَغِّضَ كُلًّا[٨] إلى الآخَرِ ﴿وَمَا هُم﴾ أي: السَّحَرَةُ ﴿بِضَارِّينَ بِهِ﴾: بِالسِّحْرِ ﴿مِنْ﴾: زَائِدَةٌ ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِرَادَتِه[٩] ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخِرَةِ ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وهو السِّحْرُ ﴿وَلَقَدْ﴾: لَامُ قَسَمٍ ﴿عَلِمُوا﴾ أي: اليَهُودُ ﴿لَمَنِ﴾: لَامُ ابتِدَاءٍ مُعَلِّقَةٌ لِمَا قَبلَها[١٠]، و«مَنْ» مَوصُولةٌ ﴿اشْتَرَاهُ﴾: اختَارَهُ أوِ استبدَلَه بِكتَابِ اللهِ ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: نَصِيبٍ في الجَنَّةِ ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾: شَيئًا ﴿شَرَوْا﴾: بَاعُوا ﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: الشَّارِينَ؛ أي: حَظَّها مِنَ الآخِرَةِ أَنْ تَعلَّمُوه؛ حَيثُ أوجَبَ لهمُ النَّارَ! ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حَقِيقَةَ ما يَصِيرُونَ إليه مِنَ العَذابِ ما تعلَّمُوه.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي: اليَهودَ ﴿آمَنُوا﴾ بِالنَّبِيِّ والقُرآنِ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عِقَابَ اللهِ بتَركِ مَعَاصِيهِ؛ كَالسِّحرِ. وجَوابُ «لَوْ» محذُوفٌ؛ أي: لأُثِيبُوا؛ دَلَّ عليه: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾: ثَوابٌ، وهو مُبتدأٌ، واللَّامُ فيه لِلقَسَمِ ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خَبرُه، مِمَّا شَرَوا به أنفُسَهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّه خيرٌ لَمَا آثَرُوه عليه.

[١٠٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ لِلنَّبِيِّ: ﴿رَاعِنَا﴾: أَمْرٌ مِنَ المُرَاعَاةِ، وكانُوا يَقُولُونَ لَهُ ذلك، وهي بِلُغَةِ اليَهُودِ سَبٌّ؛ مِنَ الرُّعُونَةِ[١١]، فَسُرُّوا بِذلكَ، وخَاطَبُوا بها النَّبِيَّ؛ فنُهِيَ المُؤمِنونَ عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بَدَلَها: ﴿انظُرْنَا﴾ أي: انظُرْ إلينا[١٢] ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تُؤمَرُونَ به سَمَاعَ قَبُولٍ ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ هو النَّارُ.

[١٠٥] ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ مِنَ العَرَبِ، عَطفٌ على أَهْلِ الكِتَابِ، و﴿مِنْ﴾ للبَيَانِ ﴿أَن [يُنْزَلَ][١٣] عَلَيْكُم مِنْ﴾: زَائِدَةٌ ﴿خَيْرٍ﴾: وَحْيٍ ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ حَسَدًا لَكُم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾: نُبُوَّتِه[١٤] ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

---

(١) استُشكِلَ بِأَنَّ المعطوفَ على الجَوابِ جَوابٌ، وقولُه: ﴿اتَّبَعُوا﴾ لا يَصلُحُ أن يكونَ جَوابًا؛ لِعَدمِ تَرتُّبِه على الشَّرطِ؛ لأنَّهُ سَابِقٌ على بِعثَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فالأحسَنُ عَطفُهُ على جُملةِ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ الآيَة، فهو بَيَانٌ لِسُوءِ حَالِهم.

(٢) هذه التَّفاصِيلُ مِنْ قِصَّتِهِ مَعَ الجِنِّ والكُتُبِ وما وَجَدُوه منها مِنْ سِحرٍ ونحوِه ظَاهِرُها مِنَ الإسرَائيليَّاتِ، التي تُخالِفُ مَناصِبَ الأنبياءِ وعِصمَتَهُم وشَأنَهم، ولا يُمكِنُ التَّصدِيقُ بِصِحَّتِها.

(٣) أخرجَ الحاكمُ (٣٠٥٠)، والطبريُّ (١٦٦٢)، وغيرُهما، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَوقوفًا، قال: «...كَانَتِ الشَّيَاطِينُ يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَيَأْتِي أَحَدُهُمْ بِكَلِمَةٍ حَقٍّ قَدْ سَمِعَهَا، فَإِذَا حَدَثَ مِنْهُ صِدْقٌ كَذَبَ مَعَهَا سَبْعِينَ كِذْبَةً، قَالَ: فَيُشْرِبُهَا قُلُوبَ النَّاسِ؛ فَأَطْلَعَ اللهُ عَلَيْهَا سُلَيْمَانَ فَدَفَنَهَا تَحْتَ كُرْسِيِّهِ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ قَامَ شَيْطَانٌ بِالطَّرِيقِ فَقَالَ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ المُمَنَّعِ الَّذِي لَا كَنْزَ مِثْلُهُ؟ تَحْتَ الْكُرْسِيِّ. فَأَخْرَجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ. فَتَنَاسَخَهَا الْأُمَمُ، حَتَّى بَقَايَاهُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ. فَأَنْزَلَ اللهُ عُذْرَ سُلَيْمَانَ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾». وصحَّحَه الذهبيُّ. وأخرجَ نحوَه النَّسائيُّ في الكبرى (١/ ١٧٩)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١/ ٢٩٧) عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ عنه به، وحسَّنَه في الاستيعابِ (١/ ٤٨).

(٤) أخرجَه الطَّبَريُّ (١٦٦٦) عن شهرِ بنِ حَوشَبٍ به، وضعَّفَ الهلاليُّ سندَه في الاستيعاب (١/ ٥١).

(٥) بتخفيفِ نُونِ ﴿لكِنِ﴾ ورفعِ ﴿الشَّيَاطِينُ﴾: قِراءَةُ ابنِ عامرٍ وحمزةَ والكِسَائيِّ.

(٦) وقيلَ: ﴿مَا﴾ نافيةٌ؛ أي: لم يَنزِلْ على المَلَكَينِ. قال ابنُ الأنباريِّ: وهذا الوجهُ ضَعِيفٌ جِدًّا؛ لأنَّه خِلافُ الظَّاهِرِ والمعنَى.

(٧) وهي قِراءةٌ شَاذَّةٌ. (٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِأَنْ يُبَغَّضَ كُلٌّ) بِالبناءِ لِلمَجهُول. (٩) الصَّحيحُ أنَّ تفسيرَ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: بأَمرِه، كما فسَّرَه في قَولِه تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وهذا يَقتَضِي إثبَاتَ الكَلامِ للهِ عَزَّوَجَلَّ، كما هو مَذهبُ السَّلَفِ الصَّالحِ؛ حَيثُ يُثبِتُونَ الكَلامَ على الحَقيقَةِ بحَرفٍ وصَوتٍ، على ما يَليقُ بجَلالِه تَعَالَى.

(١٠) أي: تَعلُّقه عَنِ العَمَلِ لَفظًا لا محَلًّا. (١١) أي: الحُمقُ، والجَهلُ، وقِلَّةُ العَقلِ، وهي بهذا المعنَى عَربيَّةٌ، وقِيلَ: هي عِبرَانِيَّةٌ، أو سِريَانِيَّةٌ. ومَعنَاها: اسمَعْ لا سَمِعتَ.

(١٢) فَائِدَةٌ: هذه الآيَةُ أَصلٌ في قَاعِدةِ سَدِّ الذَّرائِعِ: ومَعنَاها: وُجُوبُ سَدِّ الذَّرِيعَةِ المُفضِيَةِ إلى المُحرَّمِ؛ فلَمَّا كانَتْ مَثَلُ هذه العِبارَةِ تُفضِي إلى مَعنًى فاسِدٍ مُنِعَ منها. ومِثلُها: كُلُّ قَولٍ أو فِعلٍ يُوهِمُ أَمرًا بَاطِلًا -وإنْ كانَ في نَفسِه حَقًّا- فالوَاجِبُ اجتِنَابُه والبُعدُ عنه. (١٣) بتخفِيفِ الزَّايِ، وسُكُونِ النُّونِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُنَزَّلَ﴾؛ بِتَشدِيدِ الزَّايِ وفَتحِ النُّونِ.

(١٤) تفسِيرُهُ الرَّحمةَ بِالنُّبُوَّةِ خِلافُ الظَّاهِرِ. وفي الآيَةِ إثباتُ صِفَةِ الرَّحمَةِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائقِ بجَلالِه -سُبحَانَهُ-، ومِنْ آثارِ رَحمتِه النُّبُوَّةُ والشَّرْعُ الذي شَرعَهُ لِنَبيِّه ﷺ ولأُمَّتِه.

﴿* مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

[١٠٦] ولَـمَّا طَعَنَ الكفَّارُ في النَّسخِ، وقَالُوا: «إِنَّ مُحَمَّدًا يأمُرُ أصحَابَه اليومَ بِأَمْرٍ ويَنْهَى عنه غَدًا»، نَزَلَ(١): ﴿ ۞ مَا ﴾: شَرطيَّةٌ ﴿نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي: نُزِلْ حُكمَها؛ إمَّا مَعَ لَفْظِها أَوْ لَا. وفي قِرَاءَةٍ(٢): بِضَمِّ النُّونِ؛ مِنْ: أَنسَخَ؛ أي: نَأمُرُك أو جِبريلَ بِنَسْخِها ﴿أَوْ [نَنسَأهَا]﴾: نُؤخِّرْها؛ فلا نُزِلْ حُكمَها، ونَرفَعُ تِلاوَتَها، أو نُؤخِّرْها في اللَّوحِ المَحفُوظِ. وفي قِرَاءَةٍ: بِلا هَمْزٍ(٣)؛ مِنَ النِّسيَانِ(٤)؛ أي: نُنْسِكَهَا؛ أي: نَمْحُهَا مِنْ قَلبِكَ، وجَوابُ الشَّرطِ: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾: أنفعَ لِلعبادِ في السُّهُولَةِ، أو كَثْرَةِ الأَجْرِ ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في التَّكلِيفِ والثَّوابِ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النَّسخُ والتَّبدِيلُ؟ والاستِفهامُ لِلتَّقرِيرِ.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يَفعَلُ ما يَشَاءُ ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿مِن﴾: زَائِدَةٌ ﴿وَلِىٍّ﴾ يحفَظُكُم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمنَعُ عَذَابَهُ عَنكُم إِنْ أَتاكُم؟

ونَزَلَ لَـمَّا سَأَلَه أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُوسِّعَها، ويَجعَلَ الصَّفَا ذَهَبًا(٥):

[١٠٨] ﴿أَمْ﴾: بَلْ أَ ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ أي: سَأَلَه قَومُه ﴿مِن قَبْلُ﴾ مِنْ قَولِهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾(٦)، وغَيرَ ذَلكَ؟ ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: يَأْخُذْهُ بَدلَه بِتَرْكِ النَّظَرِ في الآياتِ البيِّناتِ واقتِرَاحِ غَيرِها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطأَ الطَّرِيقَ الحَقَّ -والسَّواءُ في الأَصلِ: الوَسَطُ-.

[١٠٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾: مَصدَرِيَّةٌ ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾: مَفعُولٌ له، كَائِنًا ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي: حَمَلَتْهُم عليه أنفُسُهم الخَبِيثَةُ ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التَّورَاةِ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ(٧) ﴿فَٱعْفُوا۟﴾ عنهم؛ أي: اترُكُوهم ﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾: أعرِضُوا، فلا تُجازُوهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فيهم مِنَ القِتَالِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: طَاعَةٍ؛ كَصِلَةٍ وصَدَقَةٍ ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثَوابَهُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيكُم به.

[١١١] ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾: جَمْعُ هَائِدٍ ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ قالَ ذلكَ يَهُودُ المَدِينةِ ونَصارَى نَجْرانَ، لَـمَّا تَناظَرُوا بينَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أي: قال اليَهُودُ: لَنْ يَدْخُلَها إِلَّا اليَهُودُ. وقالَ النَّصارَى: لَنْ يَدْخُلَها إِلَّا النَّصارَى(٨)، ﴿تِلْكَ﴾ القَولَةُ ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: شَهَواتُهم البَاطِلَةُ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: حُجَّتَكُم على ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه. [١١٢] ﴿بَلَىٰ﴾ يدخُلُ الجَنَّةَ غَيرُهُم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: انْقَادَ لِأَمْرِه، وخُصَّ الوَجْهُ؛ لِأَنَّهُ أَشرَفُ الأَعضَاءِ؛ فَغَيرُهُ أَوْلَى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مُوحِّدٌ ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ثَوابُ عَمَلِه الجَنَّةُ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرَةِ.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أنزلَ الله).

ولم نَقفْ على نسبةِ ذلك القولِ لأَحدٍ. وهو قَرِيبٌ ممَّا جاءَ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:١٠١]؛ قالَ ابنُ كثيرٍ (٤/ ٦٠٣): «يُخبِرُ تَعالَى عَنْ ضَعفِ عُقُولِ المُشْرِكِينَ وَقِلَّةِ ثَبَاتِهِمْ وَإِيقَانِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُمُ الإِيمَانُ وَقَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاوَةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا تَغْيِيرَ الأَحكَامِ نَاسِخِهَا بِمَنْسُوخِهَا قَالُوا لِلرَّسُولِ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ أي: كَذَّابٌ، وَإِنَّمَا هُوَ الرَّبُّ تَعَالَى، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ».

وأخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ في تفسِيرِه (١٠٦٥) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - الْوَحْيُ بِاللَّيْلِ وَيَنْسَاهُ بِالنَّهَارِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ وضعَّفَ الهلاليُّ إسنادَهُ في الاستيعاب (١/ ٥٥-٥٦).

(٢) لابنِ عامرٍ.

(٣) أي: مَعَ ضَمِّ النُّونِ؛ ﴿نُنسِها﴾ لنافعٍ وابن عامرٍ وعاصمٍ وحمزةَ والكِسَائِيِّ، والقِراءةُ المُفَسَّرَةُ؛ ﴿نَنسَأهَا﴾: لابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٤) الأَوْلَى أنْ يَقولَ: مِنَ الإِنسَاءِ؛ لِأنَّه مَصدرُ الرُّباعِيِّ الذي الكلامُ فيه.

(٥) أخرجَه ابنُ جَريرٍ في جامع البيان (١/ ٣٨٥)، وابنُ أبي حَاتمٍ في تَفسِيرِه (١٠٨٢)، مِنْ طُرُقٍ عَنْ مُجَاهِدٍ. واستُشكِلَ ذلك بأَنَّ هذه السُّورةَ مَدنيَّةٌ، والسؤالُ مِنْ أهلِ مَكَّةَ كانَ قبلَ الهِجرةِ، فالحَقُّ أن يُقالَ: إِنَّ سببَ نُزولِها سُؤالُ يهودِ المدينةِ إنزالَ كتابٍ مِنَ السَّماءِ؛ لأنَّ السياقَ في مخاطَبةِ اليَهودِ، ويَكونُ قَولُه: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ أي: مُحمَّدًا ﷺ لأَنَّهُ رَسُولُ الخَلْقِ أجمعِينَ.

(٦) النساء: ١٥٣.

(٧) في الأَصلِ: (في شَأنِ النَّبيِّ)، دُونَ عِبارةِ: (ﷺ) والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٨) أخرجه ابنُ إسحاقَ في السِّيرةِ (١/ ٥٤٨)، ومِنْ طَريقِه الطبريُّ في تَفسِيرِه (١/ ٣٩٤)، وفي إسنادِه مُحمَّدُ بنُ أحمدَ؛ مجهولٌ.

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن
مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ
أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ
وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ
كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ
قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ مُعْتَدٍّ بِهِ، وكَفَرَتْ بِعِيسَى ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ مُعْتَدٍّ بِهِ، وكَفَرَت بِمُوسَى ﴿وَهُمۡ﴾ أي: الفَرِيقَانِ ﴿يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾ المنَزَّلَ عَلَيهِم، وفي كِتَابِ اليَهودِ تَصدِيقُ عِيسَى، وفي كتابِ النَّصارَى تَصدِيقُ مُوسَى، والجُملَةُ حالٌ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما قالَ هؤلاءِ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: المُشرِكُونَ مِنَ العَرَبِ وغَيرهم ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾: بَيَانٌ لمَعنَى ذلك؛ أي: قَالُوا لِكُلِّ ذِي دِينٍ: لَيسُوا عَلى شَيءٍ ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ؛ فيُدخِلُ المُحِقَّ الجَنَّةَ والمُبطِلَ النَّارَ.

[١١٤] ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ أي: لَا أَحَدَ أَظْلَمُ ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ بِالصَّلَاةِ والتَّسبِيحِ ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾ بالهَدْمِ أَوِ التَّعطِيلِ؟ نَزَلَتْ إِخبَارًا عَنِ الرُّومِ الذينَ خرَّبُوا بَيتَ المَقْدِسِ، أو في المُشرِكِينَ لَمَّا صَدُّوا النَّبِيَّ ﷺ عامَ الحُدَيبِيَةِ عَنِ البَيتِ[١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾: خَبَرٌ بِمَعنَى الأَمْرِ؛ أي: أَخِيفُوهُم بِالجِهَادِ؛ فلا يَدخُلْها أَحَدٌ آمِنًا. ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾: هَوَانٌ بِالقَتْلِ والسَّبْيِ والجِزْيَةِ ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ هو النَّارُ.

ونَزَلَ لَمَّا طَعَنَ اليَهُودُ في نَسْخِ القِبلَةِ، أَوْ في صَلَاةِ النَّافِلةِ على الرَّاحِلَةِ في السَّفَرِ حَيثُما تَوجَّهَتْ[٢]: [١١٥] ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ أي: الأَرضُ كُلُّها؛ لِأَنَّهما نَاحِيَتَاها ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾ وُجُوهَكُم في الصَّلاةِ بِأَمْرِه ﴿فَثَمَّ﴾: هنَاكَ ﴿وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾: قِبلَتُه[٣] التي رَضِيَها[٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾: يَسَعُ فَضلُهُ كُلَّ شَيءٍ[٥] ﴿عَلِيمٞ﴾ بتَدْبِيرِ خَلْقِهِ[*].

[١١٦] ﴿وَقَالُواْ﴾ - بِوَاوٍ ودُونِها[٦]-: اليَهُودُ والنَّصَارَى، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ المَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾. قَالَ تَعالَى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾: تَنزِيهًا له عنه! ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مُلْكًا وخَلْقًا وعَبِيدًا. والمُلكيَّةُ تُنَافِي الوِلَادَةَ. وعُبِّرَ بـ﴿مَا﴾ تَغْلِيبًا لِمَا لَا يَعقِلُ[٧] ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مُطِيعُونَ، كُلٌّ بِمَا يُرَادُ منه، وفيه تَغلِيبُ العَاقِلِ.

[١١٧] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: مُوجِدُهُما لا عَلَى مِثَالٍ سَبَقَ ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾: أَرَادَ ﴿أَمۡرٗا﴾ أي: إِيجَادَه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يَكونُ. وفي قِرَاءَةٍ[٨] بِالنَّصبِ[٩]؛ جَوابًا لِلأَمْرِ.

[١١٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ[١٠] لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿لَوۡلَا﴾: هَلَّا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ أَنَّكَ رَسُولُه ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾ مِمَّا اقْتَرَحناه على صِدْقِكَ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ مِنْ كُفَّارِ الأُمَمِ المَاضِيَةِ لِأَنبِيَائِهِم ﴿مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ﴾ مِنَ التَّعَنُّتِ وطَلَبِ الآيَاتِ ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ في الكُفْرِ والعِنَادِ. فيه تَسلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ. ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾: يَعلَمُونَ أَنَّها آيَاتٌ فيُؤْمِنُونَ، فاقتِرَاحُ آيَةٍ مَعها تَعَنُّتٌ.

[١١٩] ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ -يا مُحَمَّد- ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالهُدَى ﴿بَشِيرٗا﴾ مَنْ أَجَابَ إِلَيه بالجَنَّةِ ﴿وَنَذِيرٗاۖ﴾ مَنْ لَمْ يُجِبْ إِلَيه بِالنَّارِ ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾: النَّارِ؛ أَيِ: الكُفَّارِ مَا لهم لَمْ يُؤْمِنُوا؟ إِنَّمَا عَلَيكَ البَلَاغُ. وفي قِرَاءَةٍ بِجَزْمِ ﴿تَسْـَٔلْ﴾: نَهيًا[١١].

---

[*] **ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١١٥)**: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ مُقبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ. قالَ: وفيه نَزَلَتْ: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ مسلمٌ - كِتَابُ صَلَاةِ المُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا (٦) بابُ (٤) جَوازِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ عَلَى الدَّابَّةِ فِي السَّفَرِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ. وأَخرَجَ التِّرمِذِيُّ: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَلَمْ نَدْرِ أَيْنَ القِبْلَةُ، فَصَلَّى كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا عَلَى حِيَالِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ الترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣) سورة البقرة. (حَسَنٌ) صحيحُ سُنَنِ الترمذيِّ (٥٨٤، ٢٣٥٧).

---

(١) اختارَ القُرطبيُّ (٢/ ٧٧) أَنَّها عَامَّةٌ في كُلِّ مَسجِدٍ إلى يومِ القِيامَةِ؛ لِأَنَّ اللفظَ عامٌّ وَرَدَ بِصِيغَةِ الجمعِ، فتَخصِيصُها ضَعيفٌ. (٢) انظر الحديثَ وتخريجَه في حَاشِيَةِ أسبابِ النُّزولِ.

(٣) وفيه إِثباتُ الوَجهِ لله -تَعالَى- على الوَجهِ اللائِقِ به -تَعالَى-، وأَنَّ لله وَجهًا لا تُشبِهُهُ الوُجوهُ. (٤) هذا قولُ مجاهد، كما حكاه عنه الطبريُّ (٢/ ٤٥٧). قال ابنُ القَيِّمِ في الصَّواعِقِ المُرسَلة «أَنَّهُ لَا يُعرَفُ إِطلَاقُ وَجهِ الله عَلَى القِبلَةِ لُغَةً وَلَا شَرْعًا وَلَا عُرْفًا، بَلِ القِبلَةُ لَهَا اسمٌ يَخُصُّهَا، وَالوَجهُ لَهُ اسمٌ يَخُصُّهُ...، وَأَيضًا فَمِنَ المَعلُومِ أَنَّ قِبلَةَ الله الَّتِي نَصَبَهَا لِعِبَادِهِ هِيَ قِبلَةٌ وَاحِدَةٌ...فَكَيفَ يُقَالُ: أَيُّ وِجهَةٍ وُجِّهتُمُوهَا وَاستَقبَلتُمُوهَا فَهِيَ قِبلَةُ الله؟!... وَحَملُ الآيَةِ عَلَى استِقبَالِ المُسَافِرِ فِي التَّنَفُّلِ عَلَى الرَّاحِلَةِ عَلَى حَالِ الغَيمِ وَنَحوِهِ بَعِيدٌ جِدًّا عَن ظَاهِرِ الآيَةِ وَإِطلَاقِهَا وَعُمُومِهَا وَمَا قُصِدَ بِهَا...وَذَلِكَ أَنَّ الآيَةَ لَا تَعَرُّضَ فِيهَا لِلقِبلَةِ وَلَا لِحُكمِ الاستِقبَالِ، بَل سِيَاقُهَا لِمَعنًى آخَرَ وَهُوَ بَيَانُ عَظَمَةِ الرَّبِّ تَعَالَى وَسَعَتِهِ، وَأَنَّهُ أَكبَرُ مِن كُلِّ شَيءٍ، وَأَعظَمُ مِنهُ، وَأَنَّهُ مُحِيطٌ بِالعَالَمِ العُلوِيِّ وَالسُّفلِيِّ، فَذَكَرَ فِي أَوَّلِ الآيَةِ إِحَاطَةَ مُلكِهِ فِي قَولِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ [البقرة:١١٥]، فَنَبَّهَنَا بِذَلِكَ عَلَى مُلكِهِ لِمَا بَينَهُمَا، ثُمَّ ذَكَرَ عَظَمَتَهُ سُبحَانَهُ، وَأَنَّهُ أَكبَرُ وَأَعظَمُ مِن كُلِّ شَيءٍ، فَأَينَ مَا وَلَّى العَبدُ وَجهَهُ فَثَمَّ وَجهُ الله، ثُمَّ خَتَمَ بِاسمَينِ دَالَّينِ عَلَى السَّعَةِ وَالإِحَاطَةِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:١١٥]...فَالمَقَامُ مَقَامُ تَقرِيرٍ لِأُصُولِ التَّوحِيدِ وَالإِيمَانِ وَالرَّدِّ عَلَى المُشرِكِينَ، لَا بَيَانِ فَرعٍ مُعَيَّنٍ جُزئِيٍّ». وقد أفاضَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ في الرَّدِّ على مَنْ قَالَ: إِنَّ لَفظَ الوَجهِ مَجازٌ، وبَيَّنَ بُطلانَ هذا القولِ مِنْ سِتَّةٍ وعِشرِينَ وَجهًا. يُنظَرُ: مختصر الصَّواعِقِ المُرسَلة (ص٤١٣-٤١٩).

(٥) الوَاسِعُ مِنْ أَسماءِ الله تعالى، ويُشتَقُّ منه صِفَةُ: السَّعةِ؛ على ما يَليقُ به ذاتًا وصِفةً وفِعلًا. (٦) بِدُونِ الواوِ لابنِ عامرٍ. (٧) أي: عُبِّرَ بـ«مَا» تَغلِيبًا لِغَيرِ العَاقِلِ لِكَثرَتِه، وإنَّما غَلَّبَه لِأَنَّه في سِياقِ القَهرِ، وهو مُناسِبٌ لِغَيرِ العَاقِلِ بخِلافِ «قَانِتُونَ»؛ فإنَّه في سِيَاقِ الطَّاعَةِ. حاشيةُ الصَّاوي (١/ ٧٤). (٨) لابنِ عامرٍ. (٩) بـ «أن» مُضمَرَة بَعدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ.

(١٠) تقدَّمَ الإِشكالُ بِأَنَّ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وأَنَّ السَّائِلَ له يَهودُ المَدِينَةِ، وقِيلَ: ويُمكِنُ أَنْ يَكونَ كُفَّارُ مَكَّةَ أَرسَلُوا ذلكَ السؤالَ له وهو بالمَدِينَةِ. (١١) مع فَتحِ التَّاءِ لِنَافعٍ. والمَعنَى على هذه القِرَاءَةِ: لا تَسأَلْنَا يا مُحَمَّد عَنْ صِفَاتِهم وأحوالِهم؛ فإنَّها شَنِيعَةٌ فَظِيعَةٌ، لا يَسعُكَ السُّؤالُ عنها لِهَولِها، أوِ المَعنَى: لا تَسأَلْنَا الشَّفاعَةَ فيهم؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ العَذابِ حَقَّتْ عليهم. حاشيةُ الصَّاوي (١/ ٧٥).

وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ
إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن
يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ
ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا
لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ
فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ
لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ
وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ
﴿١٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ
مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

ربع الحزب ٢

[١٢٠] ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾: دِينَهُم ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي: الإِسلَامَ ﴿هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ ومَا عَدَاه ضَلَالٌ ﴿وَلَئِنِ﴾: لَامُ قَسَمٍ ﴿ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ التي يَدْعُونَكَ إِليها فَرْضًا[1] ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: الوَحْيِ مِنَ الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يَحفَظُكَ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمنعُكَ منه.

[١٢١] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: مُبتَدَأٌ ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يَقرَءُونَه كَما أُنزِلَ. والجُملَةُ حَالٌ، و﴿حَقَّ﴾ نُصِبَ عَلَى المَصْدَرِ، والخَبَرُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ نَزَلَتْ في جَمَاعةٍ، قَدِمُوا مِنَ الحَبَشَةِ وأَسلَمُوا ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ﴾ أي: بِالكِتَابِ المُؤتَى بِأَنْ يُحَرِّفَهُ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ لمَصِيرِهم إِلى النَّارِ المُؤَبَّدَةِ عليهم.

[١٢٢] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ -تَقَدَّمَ مِثلُه-.

[١٢٣] ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: خَافُوا ﴿يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي﴾: تُغنِي ﴿نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ﴾ فيه ﴿شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾: فِدَاءٌ ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾: يُمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ الله.

[١٢٤] ﴿۞ وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ﴾: اخْتَبَرَ ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿[إبراهام]﴾[2]- ﴿رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾: بِأَوَامِرَ ونَوَاهٍ كلَّفَهُ بها؛ قِيلَ: هي مناسِكُ الحَجِّ، وقِيلَ: المَضْمَضَةُ، والاستِنشَاقُ، والسِّوَاكُ، وقَصُّ الشَّارِبِ، وفَرْقُ الشَّعْرِ، وقَلْمُ الأَظفَارِ، ونَتْفُ الإِبِطِ، وحَلْقُ العَانَةِ، والخِتَانُ، والاستنجاءُ[3] ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أَدَّاهُنَّ تَامَّاتٍ ﴿قَالَ﴾ -تَعَالَى- له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾: قُدْوَةً في الدِّينِ ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: أَولَادِي: اجْعَلْ أَئِمَّةً ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي﴾[4] بِالإِمَامَةِ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ منهم؛ دَلَّ على أَنَّه يَنَالُ غيرَ الظَّالِمِ.

[١٢٥] ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ﴾: الكَعبَةَ ﴿مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ﴾: مَرْجِعًا يَثُوبُونَ إِليه مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿وَأَمۡنٗا﴾: مَأْمَنًا لهم مِنَ الظُّلمِ والإِغَارَاتِ الوَاقِعَةِ في غَيرِه؛ كانَ الرَّجُلُ يَلقَى قَاتِلَ أَبِيهَ فيه فلا يُهَيِّجُهُ ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ - أَيُّها النَّاسُ- ﴿مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ هُو الحَجَرُ الذي قَامَ عليه عِندَ بِنَاءِ البَيتِ ﴿مُصَلّٗى﴾: مَكَانَ صَلَاةٍ؛ بِأَنْ تُصَلُّوا خَلفَه رَكعَتَي الطَّوَافِ. وفي قِرَاءَةٍ: بِفتحِ الخَاءِ، خَبَرٌ[5] ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾: أَمَرْنَاهُما ﴿أَن﴾ أي: بِأَنْ ﴿طَهِّرَا بَيۡتِيَ﴾ مِنَ الأَوثَانِ ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾: المُقِيمِينَ فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: جَمعُ رَاكِعٍ وسَاجِدٍ: المُصَلِّينَ.

[١٢٦] ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا﴾ المكَانَ ﴿بَلَدًا ءَامِنٗا﴾: ذَا أَمْنٍ- وقَدْ أَجَابَ اللهُ دُعَاءَه؛ فجَعَلَه حَرَمًا، لا يُسفَكُ فيه دَمُ إِنسَانٍ، ولا يُظلَمُ فيه أَحَدٌ، ولا يُصَادُ صَيدُه، ولا يُختَلَى خَلَاه[6]- ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ - وقَدْ فَعَلَ بِنَقْلِ الطَّائِفِ مِنَ الشَّامِ إِليه[7]، وكانَ أَقفَرَ لا زَرعَ فيه ولا مَاءَ- ﴿مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿أَهۡلَهُۥ﴾، وخَصَّهُم بِالدُّعَاءِ لهم مُوافَقَةً لِقَولِه: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى: ﴿وَ﴾ أَرْزُقُ ﴿مَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ[8]- في الدُّنيَا بِالرِّزقِ ﴿قَلِيلٗا﴾: مُدَّةَ حَيَاتِه ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾: أُلجِئُهُ في الآخِرَةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ فلا يَجِدُ عنها مَحِيصًا ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هي!

---

(١) أي: على فَرْضِ وُقُوعِه.

(٢) قرأ هشامٌ عنِ ابنِ عَامِرٍ في جميع هذه السُّورةِ بِفتحِ الهَاءِ وأَلِفٍ بَعدَها، واختُلِفَ عَن ابنِ ذَكوان في هذه السُّورَةِ فَقَط؛ فلَه وَجْهَانِ: الأَوَّلُ كَهِشامٍ. والثاني: بِكَسرِ الهَاءِ ويَاءٍ بَعدَها؛ كَقِرَاءةِ البَاقِينَ.

(٣) رواه الطبريُّ (١٩١٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ بنحوِه، وصَحَّحَ إِسنادَه الحافظُ في الفتح (١٠/ ٣٣٧)، وأحمدُ شاكر في تعليقه على المُسنَدِ (٢/ ٩)، ورواه الحاكمُ في المُستدرَكِ (٢/ ٢٦٦)، وقال: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شَرطِ الشيخَينِ، ولَم يُخرِّجَاه»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ. وهذه هي سُنَنُ الفِطرةِ وخِصَالُها، ومِمَّا أُمِرَ به إبراهيمُ غيرُ ذلك فوَفَّاه وأَتَمَّه: ذَبحُ وَلَدِه، ومُوَاجَهَةُ نُمرودٍ وقومِه بِمَا يَكرَهُونَ، وغيرُ ذلك بِما استحَقَّ به الإِمَامَةَ في الدِّينِ.

(٤) قِراءةُ حفصٍ عن عاصمٍ، وحمزةَ: ﴿عَهۡدِي﴾؛ بِإِسكَانِ يَاءِ الإِضَافَةِ، وقَرأَ البَاقُونَ: ﴿عَهْدِيَ﴾ بِفَتحِ يَاءِ الإِضَافَةِ.

(٥) أي: ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾، لِنافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٦) أي: حَشِيشُه.

(٧) نقلُ الطَّائفِ مِن الشَّامِ رواهُ الأزرقيُّ في تاريخِ مَكَّةَ (١/ ٥٢)، عن مُحمَّدِ بنِ المنكَدِرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وهو مع إرسالِه فيه إبراهيمُ بنُ مُحمَّدٍ، وهو مَترُوكٌ. ورَوَى ابنُ أبي حَاتِمٍ في تَفسِيرِه (١/ ٢٣٠) عن الزُّهرِيِّ قال: «إِنَّ الله نَقَلَ قَريَةً مِنْ قُرَى الشَّامِ فَوَضَعَهَا في الطَّائِفِ لِدَعوَةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله». ولَمْ يَصِحَّ عن المعصومِ ﷺ في ذلك شَيءٌ.

(٨) بالتَّخفيف قرأ ابنُ عامرٍ، وبالتَّشديدِ قرأ البَاقُونَ.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ
إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

[١٢٧] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾: الأُسُسَ أوِ الجُدُرَ ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يَبنيهِ، مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿يَرْفَعُ﴾ ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾: عَطْفٌ على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾، يَقولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بِناءَنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلقَولِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِالفِعْلِ.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾: مُنقَادَينِ ﴿لَكَ وَ﴾ اجعَلْ ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾: أولَادِنا ﴿أُمَّةً﴾: جَماعَةً ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ - و﴿مِن﴾ لِلتَّبعيضِ، وأتى به؛ لِتَقَدُّمِ قَولِه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ - ﴿وَأَرِنَا﴾: عَلِّمْنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: شَرائعَ عِبادتِنا أو حَجِّنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سَأَلَاهُ التَّوبَةَ مَعَ عِصمَتِهِما، تَواضُعًا وتَعليمًا لِذُرِّيَّتِهما.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: أَهْلِ البَيتِ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: مِنْ أَنفُسِهم- وقَدْ أَجابَ اللهُ دُعاءَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ- ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾: القُرآنَ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي[1]: مَا فيه مِنَ الأَحكَامِ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُم مِنَ الشِّرْكِ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه[2].

[١٣٠] ﴿وَمَن﴾ أي: لَا ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ فيترُكُها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: جَهِلَ أنَّها مَخلُوقَةٌ للهِ، يَجِبُ عليها عِبادَتُه، أوِ استخَفَّ بها وامتَهَنَها ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾: اخْتَرْنَاه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بِالرِّسَالَةِ وَالخُلَّةِ ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الذِينَ لَهمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى.

[١٣١] وَاذْكُرْ[3] ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾: انقَدْ للهِ وأَخْلِصْ له دِينَكَ ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّىٰ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ[4]: ﴿أَوْصَىٰ﴾- ﴿بِهَآ﴾: بِالمِلَّةِ ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ بَنِيهِ، قَالَ: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: دِينَ الإِسْلَامِ ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ نَهى عَنْ تَرْكِ الإِسلَامِ، وأَمَرَ بِالثَّباتِ عليه إلى مُصادَفَةِ الموتِ.

وَلَمَّا قالَ اليَهُودُ لِلنَّبِيِّ: أَلَسْتَ تعلَمُ أَنَّ يَعقُوبَ، يَومَ مَاتَ، أَوصَى بَنِيهِ بِاليَهُودِيَّةِ؟ نَزَلَ[5]:

[١٣٣] ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حُضُورًا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿إِذْ﴾ قَبلَه[6] ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾: بَعْدَ مَوتِي ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ - عَدُّ إِسماعِيلَ مِنَ الآباءِ تَغليبٌ، ولِأَنَّ العَمَّ بِمَنزِلَةِ الأَبِ- ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿إِلَٰهَكَ﴾ ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، و﴿أَمْ﴾ بِمَعنَى هَمْزَةِ الإِنكَارِ[7]؛ أي: لَمْ تَحضُرُوه وَقتَ مَوتِه، فكَيفَ تَنسِبُونَ إليه مَا لا يَلِيقُ به؟!

[١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾: مُبتَدأٌ، والإِشَارَةُ إلى إبراهِيمَ ويَعقُوبَ وبَنِيهِما، وَأُنِّثَ؛ لِتَأنِيثِ خَبَرِه ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: سَلَفَتْ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مِنَ العَمَلِ؛ أي: جَزاؤُه، استِئنَافٌ ﴿وَلَكُم﴾: الخِطَابُ لِليَهودِ ﴿مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كَما لا يُسأَلُونَ عَنْ عَمَلِكُم. والجُملَةُ تَأكِيدٌ لِمَا قَبلَها.

---

(١) كَلِمةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَباوَة.

(٢) الأَولَى: التَّعمِيمُ في مُتَعَلَّقِ الحِكْمَةِ؛ فيُقَالُ: الحَكِيمُ في كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُئونِه: مِنْ صُنعِهِ، وقَدَرِه، وتَشرِيعِه، وجَزَائِه، وإِرسَالِه رُسُلَه، وإِنزَالِه كُتُبَه،... إلخ. وكذا يُقَالُ في كُلِّ مَوضِعٍ قَصَرَ فيه المُفَسِّرانِ الحِكْمَةَ على صُنْعِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَقَطْ.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (اذْكُرْ)؛ بِدُونِ الوَاوِ.

(٤) لِنافِعٍ وابنِ عامِرٍ.

(٥) ذَكَرَه الوَاحِدِيُّ في أَسبَابِ النُّزُولِ (ص٢٥)، ولَمْ يُسنِدْهُ لِأَحَدٍ. قَالَ المناويُّ في الفتح السَّماويِّ (١/ ١٨٤): «قالَ السيوطيُّ: لمْ أَقِفْ عليه». وقالَ ابنُ حجرٍ في العُجابِ ((١/ ٣٧٩): «ذَكَرَه مقاتِلُ بنُ سليمانَ بِلَفْظِه، وذَكَرَه الوَاحِدِيُّ في (الوسيط)... بغيرِ سَنَدٍ، وذَكَرَ نحوَه الثعلبيُّ عَنْ عَطَاءٍ».

(٦) أي: بَدَلُ اشتِمالٍ.

(٧) أي: فتارَةً تُفَسَّرُ بها وَحْدَها، كما هنا، وتَارَةً تُفَسَّرُ بها وبِـ«بَلْ»، وتَارةً تُفسَّر بِـ«بَلْ» وَحدَها.

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن
رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ
فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾
أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ
ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

[١٣٥] ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ ﴿أَوْ﴾: لِلتَّفصِيلِ، وقَائِلُ الأَوَّلِ: يَهُودُ المَدِينَةِ، والثَّاني: نَصَارَى نَجْرَانَ[1] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلْ﴾ نَتَّبِعُ ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ﴾: حَالٌ مِنْ ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، مَائِلًا عَنِ الأَديَانِ كُلِّها إلى الدِّينِ القَيِّمِ ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٣٦] ﴿قُولُوٓاْ﴾ - خِطَابٌ لِلمُؤمِنِينَ -: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ مِنَ الصُّحُفِ العَشْرِ[2] ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولَادِه ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ مِنَ التَّورَاةِ ﴿وَعِيسَىٰ﴾ مِنَ الإِنجِيلِ ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ مِنَ الكُتُبِ والآيَاتِ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ فنُؤمِنَ بِبَعضٍ ونَكفُرَ بِبَعضٍ؛ كَاليَهودِ والنَّصَارَى ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[*].

[١٣٧] ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾ أي: اليَهودُ والنَّصارَى ﴿بِمِثْلِ﴾ «مِثْلِ» زَائِدٌ[3] ﴿مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عَنِ الإِيمانِ به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ﴾: خِلَافٍ مَعكُم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ يا مُحَمَّد: شِقَاقَهُمْ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأَقوَالِهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِأَحوَالِهم، وقَدْ كَفَاه إِيَّاهُم بِقَتلِ قُرَيظَةَ، ونَفْيِ النَّضِيرِ، وضَرْبِ الجِزيَةِ عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ﴾: مَصدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِـ﴿آمَنَّا﴾، ونَصْبُه بِفِعلٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: صَبَغَنَا اللهُ؛ والمُرَادُ بِها: دِينُه الذي فَطَرَ النَّاسَ عليه؛ لِظُهُورِ أَثَرِهِ على صَاحِبِه؛ كَالصَّبغِ في الثَّوبِ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لَا أَحَدَ ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ﴾؟ تَمييزٌ ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾.

قالَ اليَهودُ لِلمُسلِمِينَ: «نَحنُ أَهلُ الكِتَابِ الأَوَّلِ، وقِبلَتُنا أَقدَمُ، ولَمْ تَكُنْ الأَنبِياءُ مِنَ العَرَبِ، ولو كانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا، لَكَانَ مِنَّا». فنَزَلَ[4]:

[١٣٩] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾: تُخَاصِمُونَنا ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ أَنِ اصطَفَى نَبِيًّا مِنَ العَرَبِ ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فلَه أَنْ يَصطَفِيَ مَنْ يَشَاءُ ﴿وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا﴾ نُجازَى بِها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ تُجَازَوْنَ بِهَا؛ فلا يَبعُدُ أَنْ يَكُونَ في أَعمَالِنا ما نَستَحِقُّ به الإِكرَامَ ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ الدِّينَ والعَمَلَ دُونَكُم؟ فنَحنُ أَولَى بِالاصطِفَاءِ. والهَمزَةُ لِلإِنكَارِ، والجُمَلُ الثَّلاثُ أَحوَالٌ.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾: بَلْ أَ﴿تَقُولُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[5] -: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ أي: اللهُ أَعلَمُ، وقَدْ بَرَّأَ منهما إِبرَاهِيمَ بِقَولِه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[6]، والمَذكُورُونَ مَعهُ تَبَعٌ له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾: أَخفَى عَنِ النَّاسِ ﴿شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ﴾ كَائِنَةً ﴿مِنَ ٱللَّهِۗ﴾؟ أي: لَا أَحَدَ أَظلَمُ منه. وهم: اليَهودُ؛ كَتَمُوا شَهَادَةَ اللهِ في التَّورَاةِ لِإِبرَاهِيمَ بِالحَنِيفِيَّةِ[7] ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تَهدِيدٌ لهم.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ -تَقَدَّمَ مِثلُهُ-.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ عبدِ الله بنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقرَأُ فِي رَكعَتَيِ الفَجرِ فِي الأُولَى مِنهُمَا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآيَةَ الَّتِي فِي البَقَرَةِ، وَفِي الآخِرَةِ مِنهُمَا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. مسلم. كتاب صلاةِ المسافرينَ وقَصْرِها (٦) باب (٣٨) القراءة في ركعتي الفجر.

---

(١) رَوى الطَّبَرِيُّ (٢٠٩٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «قَالَ عَبدُ الله بْنُ صُورِيَا الأَعوَرُ لِرَسُولِ الله ﷺ: مَا الهُدَى إِلَّا مَا نَحنُ عَلَيهِ، فَاتَّبِعنَا يَا مُحَمَّدُ تَهتَدِ. وَقَالَتِ النَّصَارَى مِثلَ ذَلِكَ. فَأَنزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ فِيهِم: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾». وأخرجَه ابنُ إسحاقَ في السيرةِ (٢/ ٢٠٢) -ومن طريقه ابنُ أبي حاتمٍ في التفسير (١٢٩٠، ١٣٢٢)، وضَعَّفَ الهلاليُّ إسنادَه في الاستيعاب (١/ ٧٣).

(٢) أخرجَه ابنُ حِبَّانَ (٢/ ٧٦) عَنْ أَبي ذَرٍّ، مَرفوعًا في حديثٍ طويلٍ، وفيه: «...وَأُنزِلَ عَلَى إِبرَاهِيمَ عَشرُ صَحَائِفَ». وقال الأرناؤوطُ في تعليقِه عليه (٢/ ٧٩): «إسنادُه ضعيفٌ جدًّا».

(٣) في نُسخَةِ القَاضِي كَنعانَ: (زائدة). قَالَ البَيضَاوِيُّ في أنوارِ التنزيلِ (١/ ١٠٩): «﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ مِنْ بابِ التَّعجِيزِ والتَّبكِيتِ؛ كقولِه تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾؛ إذ لَا مِثلَ لِما آمَنَ به المُسلِمونَ، ولا دِينَ كَدِينِ الإسلامِ. وقيلَ: الباءُ لِلآلَةِ دُونَ التعدِيَةِ، والمَعنَى: إِنْ تَحَرَّوا الإيمانَ بِطريقٍ يَهدي إلى الحَقِّ مِثلِ طَرِيقِكُم... أو مَزيدةٌ لِلتَّأكِيدِ؛ كَقولِه تعالى: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾، والمَعنَى: فإنْ آمنوا باللهِ إيمانًا مِثلَ إيمانِكم به، أوِ المِثْلُ مُقحَمٌ؛ كَمَا في قولِه: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي: عليه». قال الصَّاوي في حاشيته على الجلالَين (١/ ٨٤): «مِثْلِ» زَائِدَةٌ: أي: لِأَنَّ المَعنَى على أصالَتِها فَاسِدٌ؛ لأنَّه يُوهِمُ أَنَّهم مَأمُورُونَ بِالإيمانِ بِمِثلِ الله، ومِثلِ ما أُنزِلَ على مُحَمَّدٍ... إلخ، وهذا بَاطِلٌ». قال قباوةُ في المفصَّل في تفسير القرآن الكريم (١/ ٦٦): «والصَّوابُ أَنَّ الأَسماءَ لا تُزادُ؛ فَالمِثلُ هنا بِمَعنَى حَقِيقَةِ الشَّيءِ وذَاتِه، لِلمُبالغةِ في التوكيدِ، لا لِلتشبيهِ والتنظيرِ؛ أي: آمَنُوا بِنفسِ مَا آمَنتُم به».

(٤) ذكرَه ابنُ حجرٍ في العُجاب (١/ ٣٨٥)؛ قالَ: «قالَ ابنُ ظفر: كانوا قالوا لِلمُسلِمِينَ: نحنُ أبناءُ الله وأَحِبَّاؤه وأَولَى به منكم. فَنَزَلَتْ هذه الآيَةُ» ولَم يَعزُهُ لِأَحدٍ.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَةَ: (بِاليَاءِ والتَّاءِ)؛ بِتقديمِ قِرَاءةِ اليَاءِ؛ وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وشُعبَةَ.

(٦) آل عمران: ٦٧.

(٧) أي: ولِمُحَمَّدٍ ﷺ بِالرِّسَالةِ؛ حيثُ ذَكَرَ اللهُ أوصَافَه وأَخلاقَه في كُتُبِهم، فغَيَّرُوها وبَدَّلُوها.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ
عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ
بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ
وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

[١٤٢] ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الجُهَّالُ ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: اليهودِ والمُشرِكِينَ: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: أيُّ شَيْءٍ صَرَفَ النَّبيَّ والمؤمِنينَ ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾: على استقبالِها في الصَّلاةِ؟ وهي: بيتُ المَقدِسِ- والإتيانُ بالسِّينِ الدَّالَّةِ على الاستقبالِ مِنَ الإخبارِ بالغَيبِ- ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾ أي: الجِهاتُ كُلُّها؛ فيَأمُرُ بالتَّوجُّهِ إلى أيِّ جِهَةٍ شاءَ، لا اعتراضَ عليه ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ هِدايتَهُ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَريقٍ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: دِينِ الإسلامِ؛ أي: ومنهم أنتُم[1]؛ دَلَّ على هَذا:

[١٤٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما هَدَيناكُم إليه ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ - يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ- ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: خِيارًا عُدُولًا ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يومَ القِيامَةِ: أنَّ رُسُلَهم بلَّغَتْهُم ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ أنَّه بلَّغَكُم ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾: صَيَّرْنا ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾ لكَ الآنَ الجِهَةَ ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أوَّلًا- وهي: الكَعبةُ. وكانَ ﷺ يُصَلِّي إليها، فلَمَّا هاجَرَ، أُمِرَ باستقبالِ بيتِ المَقدِسِ؛ تألُّفًا لليَهودِ؛ فصَلَّى إليه سِتَّةَ أو سَبعةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ حُوِّلَ[2]- ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ عِلْمَ ظُهورٍ ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيُصَدِّقُه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ أي: يَرجِعُ إلى الكُفرِ؛ شَكًّا في الدِّينِ، وظنًّا أنَّ النَّبيَّ ﷺ في حَيرةٍ مِنْ أمرِه- وقدِ ارتَدَّ لِذلكَ جَماعةٌ[3]- ﴿وَإِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقيلَةِ، واسمُها مَحذوفٌ؛ أي: وإنَّها ﴿كَانَتْ﴾ أي: التَّوليَةُ إليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾: شاقَّةً على النَّاسِ ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ أي: صَلاتَكم إلى بيتِ المَقدِسِ[4]؛ بل يُثيبُكُم عليه. لِأنَّ سَبَبَ نُزولِها السُّؤالُ عمَّنْ ماتَ قَبلَ التَّحويلِ[5] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾: المؤمِنينَ ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ في عَدَمِ إضاعَةِ أعمالِهم. والرَّأفَةُ: شِدَّةُ الرَّحمَةِ. وقُدِّمَ الأبلَغُ لِلفاصِلَةِ[6].

[١٤٤] ﴿قَدْ﴾: لِلتَّحقيقِ[7] ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾: تَصَرُّفَ ﴿وَجْهِكَ فِي﴾ جِهَةِ ﴿ٱلسَّمَآءِۖ﴾ مُتَطَلِّعًا إلى الوَحيِ ومُتَشوِّقًا[8] لِلأمرِ باستقبالِ الكَعبةِ. وكانَ يَوَدُّ ذلكَ؛ لأنَّها قِبلَةُ إبراهيمَ، ولأنَّه أدعَى إلى إسلامِ العَرَبِ ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: نُحَوِّلَنَّكَ ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ﴾: تُحِبُّها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾: استَقبِلْ في الصَّلاةِ ﴿شَطْرَ﴾: نَحوَ ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ أي: الكعبةِ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ - خِطابٌ لِلأُمَّةِ- ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصَّلاةِ ﴿شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: التَّوَلِّيَ إلى الكَعبةِ ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ ﴿مِن رَّبِّهِمْۗ﴾ لِما في كُتُبِهم مِنْ نَعتِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ أنَّه يَتَحَوَّلُ إليها ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا [تَعْمَلُونَ]﴾[*] بالتَّاءِ[9]: أيُّها المؤمِنونَ مِن امتِثالِ أمرِه، وبالياءِ: أي: اليَهودُ؛ مِنْ إنكارِ أمرِ القِبلَةِ.

[١٤٥] ﴿وَلَئِنْ﴾: لامُ قَسَمٍ ﴿أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ على صِدقِكَ في أمرِ القِبلَةِ ﴿مَّا تَبِعُواْ﴾ أي: يَتَّبِعونَ[10] ﴿قِبْلَتَكَۚ﴾ عِنادًا ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ﴾ قَطعٌ لِطَمَعِه في إسلامِهم وطَمَعِهم في عَودِه إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ﴾ أي: اليَهودُ قِبلَةَ النَّصارَى، وبالعَكسِ ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يَدعُونَكَ إليها ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: الوَحيِ ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ - إنِ اتَّبَعتَهُم فَرْضًا- ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٤٤): أخرجَ البُخاريُّ عَنِ البَراءِ بنِ عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ صَلَّى نَحوَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ فتوجَّه نَحوَ الكَعْبَةِ... البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) - (٢) سورة البقرة باب (٢).

---

(١) أي: مِنَ المهتدينَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(٢) أي: نُسِخَ استقبالُ المسجدِ الحَرامِ باستقبالِ بيتِ المقدِسِ، ثُمَّ نُسِخَ استقبالُ بيتِ المقدسِ باستقبالِ المسجدِ الحَرامِ.

(٣) أخرجَ ابنُ جَريرٍ (٢/ ٦٤١) : عَنِ ابنِ جُرَيْجٍ قالَ: «بَلَغَني أنَّ ناسًا مِمَّنْ أسلَمَ رَجَعُوا فقالُوا مَرَّةً: هاهُنا وَمَرَّةً هاهُنا». وهو مُرسَلٌ، مع كونِه بَلاغِيًّا. ومُرسَلُ ابنِ جُرَيْجٍ هذا لَيسَ بِشيءٍ، قال أحمدُ: بَعضُ هذه الأحاديثِ التي كان يُرسِلُها ابنُ جُرَيْجٍ، أحاديثُ مَوضوعَةٌ، كان لا يُبالي مِن أينَ يأخُذُها. راجع «الميزان» (٢/ ٦٥٩).

(٤) عَبَّرَ بالإيمانِ عَنِ الصَّلاةِ؛ لِأنَّها أعظمُ أركانِ الإسلامِ بعدَ الشَّهادتَينِ، وفيه أنَّ الأعمالَ داخِلةٌ في مُسمَّى الإيمانِ.

(٥) أخرَجَهُ البُخاريُّ في التفسيرِ مِنْ حَديثِ البراء (٤٤٨٦).

(٦) أي: مع أنَّ العادةَ العَكسُ؛ لِيكُونَ لِلأبلَغِ بعدَ غيرِه فائدةٌ؛ فيُقالُ: عالِمٌ نِحريرٌ، ولا يُقالُ: نِحريرٌ عالِمٌ. والفاصِلةُ هي الكَلمةُ آخِرَ الآيَةِ، كقافِيَةِ الشِّعرِ وقرينةِ السَّجعِ.

(٧) وقيلَ: لِلتكثيرِ. وهي بالنَّظرِ لِفِعلِ النَّبيِّ ﷺ لا لِرُؤيةِ الله، وهو خِطابُ تَوَدُّدٍ.

(٨) في نُسخَةِ قَباوَة: (ومُتَشوِّفًا)؛ بالفاءِ.

(٩) قرَأَ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ بالتَّاءِ، وقرَأَ الباقُونَ بالياءِ.

(١٠) أي: ما يتَّبِعُونَ.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ
هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ
جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟
عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: مُحَمَّدًا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ بِنَعْتِهِ في كُتُبِهم. قالِ ابنُ سَلامٍ: «لقدْ عَرفتُه حِينَ رَأيتُه؛ كما أعرِفُ ابْنِي، ومَعرِفَتِي لِمحَمَّدٍ أَشَدُّ»[١] ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: نَعْتَه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هَذا الذِي أنتَ عَليه:

[١٤٧] ﴿ٱلْحَقُّ﴾: كَائِنًا ﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فيه؛ أي: مِنْ هَذا النَّوعِ. فهو أَبْلَغُ مِنْ: «لا تَمْتَرِ».

[١٤٨] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنَ الأُمَمِ ﴿وِجْهَةٌ﴾: قِبْلَةٌ ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وَجْهَهُ في صَلاتِه. وفي قِرَاءَةٍ[٢]: ﴿مُوَلَّاهَا﴾ ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: بَادِرُوا إِلى الطَّاعَاتِ وقَبُولِها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾: يَجْمَعْكُم يومَ القِيامَةِ؛ فيُجازِيَكُم بِأَعمالِكُم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٤٩] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لِسفَرٍ[٣] ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ -بِالتَّاءِ والياءِ[٤]- تَقدَّمَ مِثْلُه. وكَرَّرَه؛ لِبَيَانِ تَساوِي حُكْمِ السَّفرِ وغَيرِه.

[١٥٠] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ كَرَّرَه لِلتَّأْكِيدِ[٥] ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: اليَهُودِ أَوِ المُشرِكِينَ ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مُجَادَلَةٌ في التَّوَلِّي إلى غَيرِه؛ لِتَنتَفِيَ مُجَادَلَتُهم لكُم؛ مِنْ قَولِ اليَهُودِ: «يَجحَدُ دِينَنا ويَتَّبِعُ قِبْلَتَنا». وقَولِ المُشرِكِينَ: «يَدَّعِي مِلَّةَ إبراهِيمَ ويُخَالِفُ قِبْلَتَه»[٦]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بِالعِنَادِ؛ فَإِنَّهم يَقُولُونَ: «ما تَحَوَّلَ إليه إِلَّا مَيلًا إلى دِينِ آبَائِه». والاستِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ؛ والمَعنَى: لا يَكونَ لِأَحدٍ عَليكُم كَلامٌ إِلَّا كَلامُ هَؤلاءِ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: تَخافُوا جِدالَهم في التَّوَلِّي إليها ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ بِامتِثَالِ أَمْرِي ﴿وَلِأُتِمَّ﴾: عَطفٌ على: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ ﴿نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ بِالهِدَايَةِ إلى مَعالِمِ دِينِكُم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحَقِّ.

[١٥١] ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾: مُتَعلِّقٌ بِـ«أُتِمَّ»؛ أي: إِتمَامه[٧] كَإِتمَامِها بِإرسَالِنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾: القُرآنَ ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يُطَهِّرُكُم مِنَ الشِّركِ ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ما فيه مِنَ الأَحْكَامِ ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

[١٥٢] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ بِالصَّلاةِ والتَّسبِيحِ ونَحوِه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ أُجازِكُمْ[٨]. وفي الحَديثِ عَنِ اللهِ: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَئِهِ»[٩] ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ نِعمَتِي بِالطَّاعَةِ ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بِالمَعصِيَةِ.

[١٥٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟﴾ على الآخِرَةِ ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطَّاعَةِ والبَلاءِ ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ خَصَّهَا بِالذِّكْرِ؛ لِتَكَرُّرِها وعِظَمِها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بِالعَونِ[١٠].

---

(١) ذكرَه الثعلبيُّ في تفسيرِه (٢/ ١٣) مِن طريقِ السُّدِّي الصَّغيرِ عَنِ الكَلبيِّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، والكلبيُّ متروكٌ.

(٢) لابنِ عامرٍ.

(٣) ظاهرُه فرْضًا ونفْلًا، ولكنَّ السنَّةَ خصَّصَتْ ذلك بالفريضةِ، وأمَّا النَّافلةُ فتجوزُ في السَّفرِ لغيرِ القِبلةِ بِشُروطٍ.

(٤) بالياءِ لأبي عمرٍو.

(٥) لِغَرابةِ الحُكمِ حِينئذٍ؛ لِأنَّه أوَّلُ ما وَرَدَ مِنَ النَّسخِ.

(٦) ذكرَه جماعةٌ مِنَ المُفسِّرِينَ دُونَ نِسبتِه لِأحَدٍ. يُنظَرُ: تفسيرُ البيضاويِّ (١/ ١١٣)، مراح لبيد لكشف مَعنى القُرآنِ المَجيدِ (١/ ٥٢)، محاسِنُ التأويلِ (١/ ٤٣١).

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (إِتمامًا).

(٨) صَنيعُ المُفسِّرِ هذا لِيهرُبَ مِنْ إِثبَاتِ صفةِ الذِّكرِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به، كما هو ظاهرُ الآيَةِ والحَديثِ الذي سَاقَه المُصنِّفُ. قال أبو عثمانَ النَّهديُّ: «إِنِّي لأَعلمُ حِينَ يَذكرُني ربِّي. قالوا: وكيفَ ذاكَ؟ قال: إنَّ اللهَ يقولُ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ فإذا ذكرتُ اللهَ ذَكَرَني» مُصنَّف ابنِ أبي شَيبَةَ (٧/ ٢٠٦).

(٩) البُخاريُّ (٧٤٠٥)، ومُسلمٌ (٢٦٧٥).

(١٠) في الآيةِ إثباتُ صفةِ المعيَّةِ لله عَزَّوَجَلَّ، ومَعناها: الصُّحبةُ، على الوَجهِ اللائِقِ به، ولا يَستلزِمُ ذلك اختِلاطًا ولا حُلولًا.

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾
ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
ربع الحزب ٣ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ
وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ
وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾
وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هُم ﴿أَمْوَٰتٌ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ﴾ أرواحُهُمْ في حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ في الجَنَّةِ حيثُ شاءَتْ؛ لِحديثٍ بِذلك[1] ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: تعلَمُونَ ما هم فيه. [١٥٥] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ لِلعدوِّ ﴿وَٱلْجُوعِ﴾: القَحْطِ ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بِالهَلاكِ ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بِالقَتْلِ والموتِ والأمراضِ ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بِالجوائحِ. أي: لَنختبِرَنَّكُم؛ فننظُرَ أتصبِرُونَ أم لا؟ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البَلاءِ، بِالجَنَّةِ. [١٥٦] هُمُ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: بَلاءٌ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ﴾ مُلْكًا وعَبِيدًا، يَفعلُ بِنا ما يَشاءُ ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخِرَةِ؛ فيُجازِينا. في الحَديثِ: «مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ آجَرَهُ اللهُ فِيهَا، وأَخْلَفَ عَلَيْهِ خَيْرًا»[2]. وفيه أَنَّ مِصباحَ النَّبِيِّ ﷺ طَفِئَ؛ فاسترجَعَ؛ فقَالتْ عَائِشةُ: إِنَّما هذا مِصباحٌ! فقالَ: «كُلُّ مَا سَاءَ الْمُؤْمِنَ فَهُوَ مُصِيبَةٌ». رواه أبو داودَ في مَراسِيلِه[3]. [١٥٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ﴾: مَغفِرَةٌ ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾: نِعمَةٌ[4] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الصَّوابِ.

[١٥٨] ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: جَبَلانِ بِمَكَّةَ ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: أَعْلامِ دِينِه، جَمعُ شَعِيرَةٍ ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ أي: تَلَبَّسَ بِالحَجِّ أَوِ العُمرَةِ، وأَصلُهُما القَصْدُ والزِّيارَةُ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾: إِثْمَ عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾ فيه إِدْغامُ التَّاءِ في الأَصْلِ في الطَّاءِ ﴿بِهِمَا﴾ بِأَنْ يَسعَى بينَهما سَبْعًا. نَزَلَتْ لَمَّا كَرِهَ المُسلِمُونَ ذلك؛ لِأَنَّ أَهلَ الجاهِليَّةِ كانوا يَطَّوَّفُونَ بهما، وعليهما صَنَمانِ يَمسحُونَهما. وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ السَّعيَ غيرُ فَرْضٍ؛ لِمَا أَفادَهُ رَفْعُ الإِثْمِ مِنَ التَّخْيِيرِ. وقالَ الشافعيُّ وغيرُه: رُكْنٌ. وَبَيَّنَ ﷺ فَرضِيَّتَه بِقَولِه: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ»[5] رواه البيهقيُّ وغيرُه. وقال: «[أَبْدَأُ] بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ»[6] يَعْنِي الصَّفَا. رواهُ مُسلمٌ ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ وفي قِراءَةٍ[7]: بِالتَّحتِيَّةِ وتَشدِيدِ الطَّاءِ مجزُومًا، وفيه إِدْغامُ التَّاءِ فيها ﴿خَيْرًا﴾ أي: بِخَيرٍ؛ أي: عَمِلَ[8] مَا لَمْ يَجِبْ عليه مِنْ طَوافٍ وغيرِه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لِعَمَلِه بِالإِثابَةِ عليه[9] ﴿عَلِيمٌ﴾ به[*].

[١٥٩] ونَزَلَ في اليَهودِ[10]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ النَّاسَ ﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ كآيَةِ الرَّجْمِ ونَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: يُبعِدُهم مِنْ رَحمتِه ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: الملائِكَةُ والمُؤمِنُونَ، أو كُلُّ شَيءٍ، بِالدُّعاءِ عليهم بِاللَّعنَةِ. [١٦٠] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾: رَجَعُوا عَنْ ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ عَمَلَهُمْ ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ مَا كَتَمُوا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أَقْبَلُ تَوبَتَهُم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بِالمُؤمِنِينَ.

[١٦١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: حالٌ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: هُم مُستَحِقُّونَ ذلك في الدُّنيا والآخِرَةِ، ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ قِيلَ: عامٌّ. وقِيلَ: المؤمِنونَ.
[١٦٢] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللَّعنَةِ، أوِ النَّارِ المدلُولِ بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ طَرْفَةَ عَينٍ ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمْهَلُونَ لِتَوبَةٍ أو مَعذِرَةٍ. [١٦٣] ونَزَلَ لَمَّا قالُوا: «صِفْ لَنَا رَبَّكَ»[11]: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾: المُستَحِقُّ لِلعِبادَةِ منكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: لا نَظِيرَ له؛ لا في ذاتِه ولا في صِفاتِه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾. وطَلَبُوا آيَةً على ذلك؛ فنَزَلَ[12]:

---

[*] **ما جاءَ في نُزولِ الآيَةِ (١٥٨)**: أخرجَ البُخاريُّ عنِ الزُّهريِّ، قالَ عُروةُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللهِ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فو الله مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَلَّا يطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ! قالت: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عليه، كَانَتْ لا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الأَنْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ، عِندَ المُشَلَّلِ، فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ لَهَا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذلكَ؛ قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قالتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الطَّوَافَ بينهما، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بينهما. ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ، وَإِنِّي مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَذْكُرُونَ أَنَّ النَّاسَ -إِلَّا مَنْ ذَكَرَتْ عَائِشَةُ مِمَّنْ كَانَ يُهِلُّ لِمَنَاةَ- كَانُوا يَطُوفُونَ كُلُّهُمْ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الطَّوَافَ بِالبَيْتِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الطَّوَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، كُنَّا نَطُوفُ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ؟ وإِنَّ اللهَ أنزلَ الطوافَ بِالبيتِ ولم يَذكرِ الصَّفا، فهل علينا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ؟ فأنزلَ اللهُ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَسْمَعُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا. البُخاريُّ - كتاب الحجِّ (٢٥) باب (٧٩) وجوب الصفا والمروة.

---

(١) وهو قوله ﷺ: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طُيُورٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ». مسلمٌ (١٨٨٧) مِنْ حَديثِ ابنِ مسعودٍ. (٢) مسلمٌ (٩١٨) بِنَحوِه مِنْ حَديثِ أُمِّ سَلَمَةَ. (٣) رقم (٤١٢)، وضعَّفَه الألبانيُّ في ضعيف الجامع (٤٢٣٣). (٤) الصَّوابُ إثباتُ هذه الصِّفةِ لله عَزَّ وَجَلَّ على الوجهِ اللائقِ به، ومِنْ لازمِها إنعامُه على مَنْ يَرحمُ.
(٥) في السُّنَنِ الكبرى، باب وجوب الطواف (٩٤٤٠، ٩٤٤١) بإسنادَينِ ضعيفَينِ- مِنْ حَديثِ صَفيَّةَ بنتِ شَيبَةَ، عن بنتِ أبي تجراةَ، وتَمْلِك- وهي تَمْلِكُ الشيبيَّةُ، أُمُّ ولدِ شَيبَةَ، وهي صَحابيَّةٌ كما في التهذيب-، ورواه أحمدُ في المُسنَدِ (٢٧٤٧٤) بإسنادٍ ضعيفٍ - كما قالَ الأرناؤوطُ في تعليقِه على المُسنَدِ (٤٥/ ٣٦٧)- مِنْ حَديثِ حبيبةَ بنتِ أبي تجراةَ، وله شاهدٌ عند الطبرانيِّ (١١٤٣٧)، مِنْ حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ، صَحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٩٦٨). (٦) في الأصلِ: (ابْدَءُوا) والمُثبتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة. وهو لفظُ مُسلم (١٢١٨). وصَحَّ بلفظِ: «نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ». والحديثُ ضعيفٌ بِصِيغَةِ الأمرِ. إرواء الغليل (٤/ ٣١٨-٣١٩). (٧) لِحَمْزَةَ والكِسائيِّ. (٨) في نُسخَةِ قَباوَة: (فَعمِلَ). (٩) نُثبِتُ صِفةَ الشُّكرِ له سُبحانه على ما يَليقُ بِجَلالِه وكَمالِه، والإثابَةُ إنَّما هي أثرٌ له. قال ابنُ القيِّم: «وأمَّا شُكرُ الرَّبِّ تعالى فله شَأنٌ آخَرُ كَشأنِ صَبرِه؛ فهو أولى بِصِفَةِ الشُّكرِ مِن كلِّ شَكُورٍ، بل هو الشَّكُورُ على الحقيقةِ». عِدَة الصابرين (ص٢٨٠). (١٠) رَواهُ ابنُ أبي حاتِمٍ في تفسيره (١٤٣٩)، والطبريُّ (٢٣٧٠)، بِسَندٍ حَسَنٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ به -كما قال الحميدانُ في تعليقِه على أسبابِ النُّزولِ لِلنَّيسابوريِّ (ص٤٧)- ، وذكرَه ابنُ حَجَرٍ في العُجاب (١/ ٢١١)، وضعَّفَ الهلاليُّ إسنادَه في الاستيعاب (١/ ٩٠). (١١) ذَكرَه الوَاحِديُّ في الوسيط (١/ ٢٤٥) مِنْ رِوايةِ الكَلبيِّ عن أبي صَالحٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. وقال في الاستيعابِ في بيانِ الأسبابِ (١/ ٩٠): مَوضُوعٌ.
(١٢) أخرجه الطَّبريُّ (٢٤٠٠)، وغيرُه بسندٍ حسنٍ عن أبي الضُّحى به، وذكرَه الواحديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص٢٩)، ورجالُه ثِقاتٌ، لكنَّه مُرسَلٌ، كما في الاستيعاب (١/ ٩١).

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ (١٦٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فِيهما مِنَ العَجائبِ ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بِالذَّهابِ والمَجِيءِ، والزِّيادَةِ والنُّقصانِ ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾: السُّفُنِ ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ ولا تَرسُبُ، مُوَقَّرةً[1] ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِنَ التِّجاراتِ والحَمْلِ ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾: مَطَرٍ ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بِالنَّباتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يُبْسِها ﴿وَبَثَّ﴾: فَرَّقَ وَنَشَرَ بِهِ ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لِأَنَّهم يَنمُونَ بِالخِصْبِ الكائِنِ عنه ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تَقْلِيبِها جَنُوبًا وشِمالًا، حارَّةً وبارِدَةً ﴿وَٱلسَّحَابِ﴾: الغَيمِ ﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المذَلَّلِ بِأَمْرِ الله -تَعالَى-، يَسيرُ إلى حَيثُ شاءَ اللهُ ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بِلا عِلاقةٍ[2] ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالَّاتٍ[3] على وَحدانِيَّته -تَعالَى- ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

[١٦٥] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿أَندَادًا﴾: أَصْنامًا[4] ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بِالتَّعظِيمِ والخُضوعِ ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: كَحُبِّهم له ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ مِنْ حُبِّهم لِلأَنْدادِ؛ لِأَنَّهم لا يَعدِلُونَ عنه بِحالٍ ما، والكفَّارُ يَعدِلُونَ في الشِّدَّةِ إلى الله ﴿وَلَوْ [تَرَى]﴾[5]: تُبصِرُ -يا مُحَمَّد- ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بِاتِّخاذِ الأَنْدادِ ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ -بِالبِناءِ لِلفاعِلِ والمفعُولِ[6]-: يُبصِرُونَ[7] ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ لَرَأَيتَ أَمْرًا عَظِيمًا، و﴿إِذْ﴾ بِمَعنَى: إذَا ﴿أَنَّ﴾ أي: لِأَنَّ ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾: القُدْرَةَ والغَلَبَةَ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: حالٌ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ وفي قِراءَةٍ: ﴿يَرَى﴾ بِالتَّحتانِيَّةِ[8]، والفاعِلُ ضَميرُ السَّامِعِ[9]، وقِيلَ: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾؛ فهي بِمَعنَى: يَعلَمُ. و﴿أَنَّ﴾[10] وما بَعدَها[11] سَدَّتْ مَسَدَّ المفعُولَينِ[12]، وجَوابُ «لَوْ» مَحذُوفٌ. والمعنَى: لَوْ عَلِمُوا في الدُّنيا شِدَّةَ عَذابِ اللهِ، وأَنَّ القُدرَةَ للهِ وَحدَه وَقْتَ مُعايَنَتِهم لَه -وهو يومُ القِيامَةِ- لَما اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَندادًا. [١٦٦] ﴿إِذْ﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿إِذْ﴾ قَبلَه ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ أي: الرُّؤَساءُ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: أَنكَرُوا إِضْلالَهُم ﴿وَ﴾ قَدْ ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾: عَطفٌ على: ﴿تَبَرَّأَ﴾ ﴿بِهِمُ﴾: عَنهُمُ ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: الوُصَلُ التي كانَتْ بينَهم في الدُّنيا، مِنَ الأَرْحامِ والمَوَدَّةِ. [١٦٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رَجْعَةً إلى الدُّنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: المتبُوعِينَ ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ اليومَ. و«لَوْ»: لِلتَّمَنِّي. و«نَتَبَرَّأَ»: جَوابُه. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي[13]: كَما أَراهُم شِدَّةَ عَذابِه، وتَبَرَّأَ بَعضُهم مِنْ بَعضٍ ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السَّيِّئَةَ ﴿حَسَرَٰتٍ﴾: حالٌ: نَداماتٍ[14] ﴿عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بَعدَ دُخُولِها.

[١٦٨] ونَزَلَ فِيمَنْ حَرَّمَ السَّوائبَ ونَحوَها[15]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾: حالٌ ﴿طَيِّبًا﴾: صِفَةٌ مُؤكِّدَةٌ[16]؛ أي: مُسْتَلَذًّا[17] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ﴾: طُرُقَ ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: تَزيِينَه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ العَداوَةِ. [١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: الإِثْمِ ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: القَبِيحِ شَرْعًا ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنْ تَحْرِيمِ ما لَمْ يُحَرَّمْ وغَيرِه.

---

(١) أي: مُثقلَةً. أَشارَ به إلى مُتَعلَّقِ قولِه: ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾. وفي نُسخَةِ قَباوَة: «موقورة».

(٢) العِلاقَةُ: ما يُوصَلُ به بينَ الأَشياءِ لِتَثبيتِها.

(٣) في نُسخَةِ قَباوَة: (دلالات).

(٤) هذا مِنْ تفسيرِ الكَلِمَةِ بِبَعضِ مُفرَداتِها، والأَندادُ أَعَمُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الأَصنامِ والأَوثانِ وَحدَها، فقد تَكُونُ مِنَ البَشَرِ الذين يَتَّخِذُونَهم أولياءَ. وفي حديثِ ابن عبَّاسٍ: لَمَّا قالَ رجُلٌ للنَّبيِّ ﷺ: ما شاءَ اللهُ وشِئْتَ. فقال ﷺ: «أَجَعَلْتَني للهِ نِدًّا؟ قُلْ: ما شاءَ اللهُ وَحدَه» وإِسنادُه صَحِيحٌ، كما قالَ الأرناؤوطُ في تعليقِه على زادِ المعادِ (٢/ ٤٢٩)، وحَسَّنَه الألبانيُّ في الصحيحة (١٣٩).

(٥) وهي قِراءةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ. وقَرأَ الباقُونَ: ﴿يَرَى﴾.

(٦) أي: بِضَمِّ الياءِ لابنِ عامرٍ. وقَرأَ الباقُونَ: ﴿يَرَوْنَ﴾؛ بالبناءِ لِلفاعِلِ.

(٧) على القِراءَةِ الأُولى: يُبْصِرُون، وعلى الثانيةِ: يُبَصَّرُونَ.

(٨) في نُسخَةِ قَباوَة: (بِالتحتيَّة).

(٩) لو قالَ: ضَمِير الرَّائي؛ لَكَانَ أظهرَ. وفي نُسخَةِ قَباوَة: (والفاعِلُ؛ قيل: ضَميرُ السَّامِعِ).

(١٠) أي: الأُولَى مَع مَعمُولَيْها.

(١١) وهو «أَنَّ» الثانية مع مَعمُولَيْها.

(١٢) أي: فلِذَلكَ وَجَبَ فتحُها، وإِنْ لَمْ يَصِحَّ تَأويلُها بِالمفرَدِ؛ لِأَنَّ وُجُوبَ الفَتحِ مَدارُه على أحدِ أَمرَينِ: إِمَّا تَأويلها بِالمصدَرِ، وإِمَّا وُقُوعها مَوقِعَ المَفعُولَينِ لِـ«عَلِمَ» -كما هنا- مَعَ عَدمِ التَّعليقِ باللامِ. حاشية الجمل (١/ ١٣٣).

(١٣) كلمة: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قباوة.

(١٤) جمعُ: نَدَامَة.

(١٥) ذَكَرَه الواحِدِيُّ في أَسبابِ النُّزُولِ (ص ٢٩) مُعلَّقًا. وسندُه ضعيفٌ جِدًّا، كما في الاستيعاب (١/ ٩٤).

(١٦) لِأَنَّ مَعنَى الطيِّب: الحَلالُ. حاشية الصاوي (١/ ٧٦).

(١٧) أي: إنّ ﴿طَيِّبًا﴾ صِفةٌ مخصِّصَةٌ لا مُؤكِّدَة؛ لِأَنَّ بعضَ الحَلالِ قد لا يكونُ مُستلَذًّا؛ كالدَّواء مثلًا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا
عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ
ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: الكُفَّارِ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ التوحيدِ وتَحليلِ الطيِّباتِ ﴿قَالُوا۟﴾: لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾: وَجَدْنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ مِنْ عِبادَةِ الأَصنَامِ وتحريمِ السَّوائِبِ والبَحائرِ. قال تَعالَى: ﴿أَ﴾ يَتَّبِعُونَهم ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقِّ؟! والهَمزَةُ لِلإِنكَارِ.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ومَنْ يَدعُوهُم إلى الهُدَى ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾: يُصَوِّتُ ﴿بِمَا[1] لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ أي: صَوتًا، وَلا يَفهمُ معناه؛ أي: هُمْ في سَماعِ الموعِظَةِ وعَدَمِ تَدَبُّرِها؛ كَالبهَائِمِ؛ تَسمَعُ صَوتَ رَاعِيها ولا تَفهَمُه[2]. هُم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعِظَةَ.

[١٧٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾: حَلالَاتِ ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ على ما أَحَلَّ لكُم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ أي: أَكْلَها؛ إِذِ الكَلَامُ فيه، وكذَا ما بَعدَها. وهِي: مَا لَمْ يُذَكَّ شَرْعًا، وأُلحِقَ بها بِالسُّنَّةِ ما أُبِينَ مِنْ حَيٍّ؛ وخُصَّ منها السَّمَكُ والجَرَادُ ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أَي: المَسْفُوحَ؛ كَما في «الأَنعَامِ»[3] ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ خُصَّ اللَّحمُ؛ لِأَنَّه مُعظَمُ المقصُودِ، وغَيرُه تَبَعٌ له ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أَي: ذُبِحَ على اسمِ غَيرِه. والإِهلالُ: رَفْعُ الصَّوتِ. وكانوا يَرفَعُونَه عِندَ الذَّبحِ لآلِهَتِهم ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي: أَلجأَتْهُ الضَّرُورَةُ إلى أَكْلِ شَيءٍ مِمَّا ذُكِرَ، فأَكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: خَارِجٍ على المسلِمينَ ﴿وَلَا عَادٍ﴾: مُتَعَدٍّ عليهم بِقَطعِ الطَّرِيقِ[4] ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أَكْلِهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِأَولِيَائِه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِأَهلِ طَاعَتِه؛ حَيثُ وسَّعَ لهم في ذلك. وخَرَجَ البَاغِي والعَادِي، ويُلحَقُ بهما كُلُّ عَاصٍ بِسَفَرِه؛ كَالآبِقِ والمَكَّاسِ[5]؛ فلا يَحِلُّ لهم أَكلُ شَيءٍ مِنْ ذلك، مَا لَمْ يَتُوبُوا. وعليه الشافعيُّ.

[١٧٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المشتَمِلِ على نَعتِ مُحَمَّدٍ- وهُمُ اليَهُودُ- ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنيا، يَأْخُذُونَه بَدَلَه مِنْ سَفِلَتِهم، فلا يُظهِرُونَه؛ خَوفَ فَوتِه عليهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لِأَنَّها مَآلُه ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ غَضَبًا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُم مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ هو النَّارُ.

[١٧٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: أَخَذُوها بَدَلَه في الدُّنيا ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ المُعَدَّةِ لهم في الآخِرَةِ لو لَمْ يَكتُمُوا ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: مَا أَشَدَّ صَبرَهم! وهو تَعجِيبٌ لِلمُؤمِنينَ[6] مِنِ ارتِكَابِهم مُوجِبَاتِها مِنْ غَيرِ مُبَالاةٍ. وَإِلَّا فأَيُّ صَبرٍ لهم؟

[١٧٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ مِنْ أَكْلِهِمُ النَّارَ، ومَا بَعدَه ﴿بِأَنَّ﴾: بِسَبَبِ أَنَّ ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿نَزَّلَ﴾؛ فاختَلَفُوا فيه؛ حَيثُ آمَنُوا بِبَعضِه، وكَفَرُوا بِبَعضِه بِكَتْمِهِ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ بِذَلِكَ -وهم اليَهُودُ، وقِيلَ: المُشرِكُونَ في القُرآنِ؛ حيثُ قَالَ بعضُهم: شِعرٌ. وبَعضُهم: سِحرٌ. وبَعضُهُم: كِهانَةٌ- ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾: خِلَافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾ عَنِ الحَقِّ.

---

(١) البَاءُ بِمَعنَى: عَلى.

(٢) وقِيلَ في تَفسِيرِه -أَيضًا-: المَثَلُ مَضروبٌ لِتشبيهِ الكافِرِ في دُعَائِه لِلأَصنَامِ بِالنَّاعِقِ على البَهَائِمِ. وقيلَ غير ذلك.

(٣) سورة الأنعام الآية (١٤٥).

(٤) وقِيلَ: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: في المَيتةِ. أي: غَيرَ طَالِبٍ لِلمُحرَّمِ مع قُدرتِه على الحَلالِ، أو مع عَدمِ جُوعِه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: مُتجَاوِزِ الحدَّ في تناولِ ما أُبيحَ له اضطرارًا؛ أي: لا يَشبعُ منها.

(٥) الآبِق: العَبدُ الهارِبُ مِنْ سَيِّدِه. والمَكَّاس: «المَكس»: بفتح الميم: الخِيانَة، والمُرَادُ به: الذي يأخذُ الضريبةَ ظُلمًا.

(٦) مُرَادُ المُصنِّفِ: لِتَعجِيبِ المُؤمنِينَ. ولجَأَ لِذلكَ فرارًا مِن إثباتِ صِفَةِ التَّعجُّبِ لله عَزَّوَجَلَّ، على الوَجهِ اللائِقِ بِه، كما هو مذهبُ السَّلفِ.

الحزب ٣

۞ لَيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ
وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ
وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ
بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ
بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي
ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ
أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ
بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ
فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١

[١٧٧] ﴿۞ لَيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ في الصَّلاةِ ﴿قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ نَزَلَ رَدًّا على اليَهُودِ والنَّصارَى؛ حَيثُ زَعَمُوا ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾ أي: ذَا البِرِّ. وقُرِئَ[1]: «البَارَّ» ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: الكُتُبِ ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ﴾: مَعَ ﴿حُبِّهِۦ﴾ له ﴿ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: القَرابَةِ ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُسافِرَ ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: الطَّالِبِينَ ﴿وَفِي﴾ فَكِّ ﴿ٱلرِّقَابِ﴾: المكاتَبِينَ والأَسْرَى ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضَةَ، وما قَبلَه في التَّطوعِ ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾ اللهَ أَوِ النَّاسَ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: نُصِبَ عَلى المَدحِ[2] ﴿فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾: شِدَّةِ الفَقرِ ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المَرَضِ ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾: وَقتَ شِدَّةِ القِتالِ في سَبيلِ الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصُوفُونَ بما ذُكِرَ ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ في إيمانِهم أوِ ادِّعاءِ البِرِّ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ اللهَ.

[١٧٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾: المُماثَلةُ ﴿فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ وَصْفًا[3] وفِعْلًا[4]: ﴿ٱلۡحُرُّ﴾ يُقتَلُ ﴿بِٱلۡحُرِّ﴾ ولا يُقتَلُ بالعَبدِ ﴿وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾. وبَيَّنَتِ السُّنَّةُ أَنَّ الذَّكَرَ يُقتَلُ بها[5]، وأنَّه تُعتَبَرُ المُماثَلةُ في الدِّينِ؛ فلا يُقتَلُ مُسلِمٌ، ولو عَبْدًا، بِكافِرٍ، ولو حُرًّا[6] ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ﴾ مِنَ القَاتِلِينَ ﴿مِنۡ﴾ دَمِ ﴿أَخِيهِ﴾ المقتُولِ ﴿شَيۡءٞ﴾ بِأَنْ تُرِكَ القِصاصُ منه. وتَنكِيرُ ﴿شَيۡءٞ﴾ يُفيدُ سُقوطَ القِصاصِ بالعَفوِ عَنْ بعضِه[7]، ومِنْ بَعْضِ الوَرَثَةِ. وفي ذِكرِ ﴿أَخِيهِ﴾ تَعطُّفٌ[8] داعٍ إلى العَفوِ، وإيذانٌ بأنَّ القَتْلَ لا يَقطَعُ أُخُوَّةَ الإيمانِ[9]. و«مَنْ»: مُبتَدأٌ شَرطِيَّةٌ، أو مَوصُولَةٌ، والخَبَرُ: ﴿فَٱتِّبَاعُۢ﴾ أي: فَعَلَى العَافِي اتِّباعٌ لِلقَاتِلِ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بِأَنْ يُطالِبَهُ بالدِّيَةِ بِلا عُنفٍ. وتَرتِيبُ الاتِّباعِ على العَفوِ يُفيدُ أَنَّ الوَاجِبَ أَحَدُهما. وهو أَحَدُ قَولَيِ الشَّافِعِيِّ، والثَّاني: الوَاجِبُ القِصَاصُ، والدِّيَةُ بَدلٌ عنه. فلو عَفَا ولَمْ يُسَمِّها فَلا شَيءَ، ورُجِّحَ[10] ﴿وَ﴾ على القَاتِلِ ﴿أَدَآءٌ﴾ لِلدِّيَةِ ﴿إِلَيۡهِ﴾ أي: العَافِي؛ وهو الوَارِثُ ﴿بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾: بِلا مَطلٍ ولا بَخسٍ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحُكمُ المذكُورُ، مِنْ جَوازِ القِصَاصِ والعَفوِ عنه على الدِّيَةِ ﴿تَخۡفِيفٞ﴾: تَسهِيلٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ عليكم ﴿وَرَحۡمَةٞۗ﴾ بكم؛ حَيثُ وَسَّعَ في ذلك، ولم يُحَتِّمْ وَاحِدًا منهما؛ كما حَتَّمَ على اليَهُودِ القِصَاصَ[11]، وعلى النَّصارَى الدِّيَةَ[12] ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾: ظَلَمَ القَاتِلَ بِأَنْ قَتَلَه ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: العَفوِ ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مُؤلِمٌ في الآخِرَةِ بِالنَّارِ، أو في الدُّنيَا بِالقَتْلِ.

[١٧٩] ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ أي: بَقاءٌ عَظِيمٌ ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: ذَوِي العُقُولِ؛ لِأَنَّ القَاتِلَ إذا عَلِمَ أنه يُقتَلُ ارتَدَعَ؛ فَأَحيَا نفسَهُ وَمَنْ أَرادَ قَتلَهُ؛ فشُرِعَ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ القَتْلَ؛ مَخافَةَ القَوَدِ.

[١٨٠] ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: أسبابُه[13] ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾: مالًا ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ﴾: مَرفُوعٌ بِـ﴿كُتِبَ﴾[14]، ومُتَعَلِّقُ ﴿إِذَا﴾ إِنْ كانَتْ ظَرفِيَّةً[15]، ودالٌّ على جَوابِها إِنْ كانَتْ شَرطِيَّةً. وجَوابُ ﴿إِن﴾ [مَحذُوفٌ][16]: أي: فليُوصِ ﴿لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾: بِالعَدلِ؛ بِأَنْ لا يَزِيدَ على الثُّلُثِ، ولا يُفَضِّلَ الغَنِيَّ ﴿حَقًّا﴾: مَصدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَضمُونِ الجُملَةِ قَبلَه ﴿عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ اللهَ. وهذا مَنسُوخٌ بِآيَةِ المِيراثِ، وبحدِيثِ: «لا وَصِيَّةَ لِوارِثٍ»[17] رَواه التِّرمِذِيُّ.

[١٨١] ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ أي: الإيصَاءَ مِنْ شَاهِدٍ وَوَصِيٍّ ﴿بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾: عَلِمَهُ ﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ﴾ أي: الإيصَاءِ المُبَدَّلِ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ﴾ – فيه إِقامَةُ الظَّاهِرِ مَقامَ المُضمَرِ[18]– ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَولِ المُوصِي ﴿عَلِيمٞ﴾ بِفِعلِ الوَصِيِّ؛ فَمُجازٍ عَلَيْهِ.

---

(١) أي: شُذُوذًا. (٢) وَليسَ المُرادُ أنَّه يُقدَّرُ عَامِلٌ مِن مادةِ «مَدَحَ» فقط؛ بَلِ المُرادُ أنَّه معمولٌ لفِعلٍ مَحذُوفٍ؛ كَأَخُصُّ أو أَذكُرُ أو أَمدَحُ؛ وهو لِلتنبيهِ على فَضيلَةِ الصَّبرِ.

(٣) بِأَنْ يَكونَ القَاتِلُ مِثلَ المقتُولِ أو أدنَى منه، وإلَّا فلا قَوَدَ. (٤) أي: فلو قَتَلَ بسيفٍ فإنَّه يُقتَلُ به، أو بِغَيرِه فبِغَيرِه. (٥) كما عِندَ البُخارِيِّ (٢٤١٣)، ومسلم (١٦٧٢) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ؛ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِرَضِّ -دَقِّ- رَأسِ يَهُودِيٍّ بَينَ حَجَرَينِ؛ لِرَضِّه رَأسَ جَارِيَةٍ. (٦) كما عِندَ البُخارِيِّ (٣٠٤٧)، ومسلم (١٣٧٠) مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ مَرفوعًا: «لا يُقتَلُ مُسلِمٌ بكافِرٍ».

(٧) أي: القِصَاصُ، ولو شيئًا يَسِيرًا كَعُشرِه، وذلك إذا كان الوليُّ واحِدًا وعَفا عَنْ بعضِ القِصَاصِ. (٨) أي: مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ. (٩) خِلافًا لِلخَوارِجِ القَائِلِينَ بِقَطعِ الإيمانِ بالمَعاصِي.

(١٠) أي: ورُجِّحَ أَنَّ الدِّيَةَ بَدلٌ عَنِ القِصَاصِ؛ أي: إنَّ قَتْلَ العَمْدِ مُوجِبٌ لِلقَوَدِ وَحدَه، وهو وَحدَه بَدَلُ النَّفسِ؛ فإِنْ عُدِلَ عنه إلى الدِّيَةِ كانَت بَدَلًا مِنَ القَوَدِ، فيَصِيرُ بَدلًا عَنِ النَّفسِ.

(١١) أَخرَجَ البُخارِيُّ (٤٢٢٨) في صَحِيحِه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ القِصَاصُ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهِمُ الدِّيَةُ...» الحديث، وعِندَ ابنِ حِبَّان (٦٠١٠) عنه: «كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يَقتُلُونَ القَاتِلَ بِالقَتِيلِ، لَا تُقبَلُ مِنْهُ الدِّيَةُ».

(١٢) رَوى الطَّبَرِيُّ (٢٥٩٧) عَنْ قَتَادَةَ، قَولَه: «﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ وَإِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ؛ رَحِمَ الله بِهَا هَذِهِ الأُمَّةَ؛ أَطْعَمَهُمُ الدِّيَةَ، وَأَحَلَّهَا لَهُمْ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُمْ. فَكَانَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ إِنَّمَا هُوَ القِصَاصُ أَوِ العَفْوُ، وَلَيسَ بَيْنَهُمَا أَرْشٌ. وَكَانَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ إِنَّمَا هُوَ عَفْوٌ أُمِرُوا بِهِ، فَجَعَلَ الله لِهَذِهِ الأُمَّةِ القَوَدَ، وَالعَفْوَ وَالدِّيَةَ، إِنْ شَاءُوا، أَحَلَّهَا لَهُمْ، وَلَمْ تَكُنْ لِأُمَّةٍ قَبْلَهُمْ».

(١٣) أي: عَلاماتُه؛ كالأَمراضِ الشَّدِيدَةِ والجِراحاتِ التي يُظَنُّ منها الموتُ عادَةً. (١٤) أي: على أنَّه نائِبُ فاعِلٍ.

(١٥) أي: مَحْضَة، لَمْ يكنْ فيها مَعنَى الشَّرطِ، بلِ المُرادُ منها الوَقتُ والزَّمَنُ. وتقديرُ الكلامِ: «كُتِبَ عليكُم الوصيَّةُ إذا حَضَرَ؛ أي: وقتَ حُضورِ الموتِ».

(١٦) كلمةُ: (محذوف): لَيسَتْ في الأصلِ، وأثبَتُّها مِن نُسخَةِ قَباوَة.

(١٧) صحيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٢١٨). (١٨) أي: مَع مُراعَاةِ مَعنَى: «مَنْ»، ولو رَاعَى لَفظَها؛ لَقَالَ: «على الذي» بدلَه. ولو أَضمَرَ؛ لَقَالَ: «عليه».

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ
مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى
ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا
فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
(١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ -مُخَفَّفًا وَمُثَقَّلًا[١]- ﴿جَنَفًا﴾: مَيلًا عَنِ الحَقِّ خطأً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بِأَنْ تعمَّدَ ذلك بِالزِّيَادَةِ على الثُّلُثِ أو تَخصِيصِ غَنِيٍّ مَثَلًا ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بَينَ المُوصِي وَالمُوصَى لَهُ بِالأَمْرِ بِالعَدْلِ ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٨٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الأُمَمِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المَعَاصِيَ -فإِنَّه يَكسِرُ الشَّهوَةَ التي هي مَبْدَؤُها-.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا﴾: نُصِبَ بِـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، أو بِـ«صُومُوا» مُقدَّرًا ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي: قَلَائِلَ، أو مُؤَقَّتَاتٍ بِعَدَدٍ مَعلُومٍ؛ وهي: رَمَضَانُ؛ كَما سَيأتي، وَقَلَّلَهُ تَسهِيلًا على المُكَلَّفِينَ ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ حِينَ شُهُودِهِ ﴿مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مُسَافِرًا سَفَرَ القَصْرِ، وأَجهَدَه الصَّومُ في الحَالَينِ؛ فأَفْطَرَ ﴿فَعِدَّةٌ﴾: فعَلَيهِ عِدَّةٌ[٢] ما أفطَرَ ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يَصُومُها بَدَلَه ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ لِكِبَرٍ أو مَرَضٍ لا يُرْجَى بُرْؤُه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: قَدْرُ مَا يَأكُلُه في يَومِه. وهو: مُدٌّ مِنْ غَالِبِ قُوتِ البَلَدِ لِكُلِّ يوم. وفي قِرَاءَةٍ بِإِضَافَةِ ﴿فِدْيَةُ﴾[٣]، وهي لِلبَيَانِ. وقِيلَ: «لَا» غيرُ مقدَّرَةٍ[٤]، وكَانُوا مُخَيَّرِينَ في صَدْرِ الإِسلَامِ بَينَ الصَّومِ والفِدْيَةِ، ثُمَّ نُسِخَ بِتَعيِينِ الصَّومِ، بِقَولِه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٥]. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: إِلَّا الحَامِلَ والمُرضِعَ، إذا أفطَرَتَا خوفًا على الوَلَدِ؛ فإِنَّها بَاقِيَةٌ بِلَا نَسْخٍ في حَقِّهِما[٦]. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: بِالزِّيَادَةِ على القَدْرِ المذكُورِ في الفِدْيَةِ ﴿فَهُوَ﴾ أي: التَّطَوُّعُ ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾: مُبتَدَأٌ، خَبَرُه: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنَ الإِفْطَارِ والفِدْيَةِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خيرٌ لكُم فَافعَلُوه.

[١٨٥] تِلكَ الأَيَّامُ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ مِنَ اللَّوحِ المَحفُوظِ إلى السَّمَاءِ الدُّنيَا في لَيلَةِ القَدْرِ[٧] منه ﴿هُدًى﴾: حَالٌ؛ هَادِيًا مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾: آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾: مِمَّا يَهدِي إِلى الحَقِّ مِنَ الأَحكَامِ ﴿وَ﴾ مِنَ ﴿ٱلْفُرْقَانِ﴾: مِمَّا يُفَرِّقُ بَينَ الحَقِّ والبَاطِلِ ﴿فَمَن شَهِدَ﴾: حَضَرَ ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ، وكُرِّرَ؛ لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ نَسْخُهُ بِتَعمِيمِ «مَنْ شَهِدَ»[٨] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ - ولِذَا أَبَاحَ لَكُمُ الفِطْرَ في المَرَضِ والسَّفَرِ- ولِكَونِ ذلكَ في معنَى العِلَّةِ أَيضًا لِلأَمْرِ بِالصَّومِ[٩]، عُطِفَ عَلَيهِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ -بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[١٠]- ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: عِدَّةَ صَومِ رَمَضَانَ ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عِندَ إِكمَالِها ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: أَرْشَدَكُم لِمَعَالِمِ دِينِه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلكَ.

[١٨٦] وسأَلَ جَمَاعَةٌ النَّبِيَّ ﷺ: «أَقَرِيبٌ رَبُّنا فَنُنَاجِيَهُ أَم بَعِيدٌ فَنُنَادِيَهُ؟» فَنَزَلَ[١١]: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ منهم بِعِلْمِي[١٢]؛ فَأَخْبِرْهُم بِذلكَ ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بِإِنَالَتِه ما سَأَلَ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ دُعَائِي بِالطَّاعَةِ ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟﴾: يَدُومُوا[١٣] على الإِيمَانِ ﴿بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: يَهتَدُونَ.

---

(١) بِفتحِ الوَاوِ وتَشدِيدِ الصَّادِ، لِحَمزَةَ والكِسَائِيِّ وشُعبَةَ.   (٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (عدد).   (٣) لِنَافِعٍ وابنِ ذَكوان، ومَع جَمْعِ ﴿مَسَٰكِينَ﴾ لِنافِعٍ وابنِ عامِرٍ.

(٤) أي: لَفظَةُ «لا» غَيرُ مُقَدَّرَة في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾، وعلى التفسيرِ الأَوَّلِ بتقديرِ «لَا» تكونُ الآيَةُ مُحكَمَةً، وعِندَ عدمِ التَّقدِيرِ تَكُونُ مَنسُوخَةً.   (٥) رَوى مُسْلِمٌ في صَحِيحِه (١١٤٥) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ كَانَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفْطِرَ وَيَفْتَدِيَ، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا فَنَسَخَتْهَا».

(٦) رَوَى البُخَارِيُّ في صَحِيحِه (٤٥٠٥) عَنْ عَطَاءٍ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقْرَأُ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ، هُوَ الشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالمَرْأَةُ الكَبِيرَةُ، لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا، فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا».

(٧) أخرجَه الطَّبَرِيُّ في تَفسِيرِه (٢٨١٥-٢٨١٩) بِأَسَانِيدَ يُقَوِّي بَعضُها بعضًا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَوقُوفًا به، وروى النَّسَائِيُّ في الكُبرى (٧٩٣٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «نَزَلَ القُرْآنُ فِي رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ، فَكَانَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَانَ الله، عَزَّ وَجَلَّ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ شَيْئًا نَزَّلَ، فَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ عِشْرُونَ سَنَةً»، وقالَ الأرناؤوطُ في تعليقِه (٧/ ٢٤٧): تفرَّدَ به النَّسَائِيُّ مِن بينِ أصحابِ الكُتبِ السِّتَّةِ. قالَ ابنُ تيميةَ في مجموعِ الفَتاوى (١٢/ ١٢٧): «... فَإِنَّ كَوْنَهُ مَكْتُوبًا فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ وَفِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي المَلَائِكَةِ، لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ جِبْرِيلُ نَزَلَ بِهِ مِنَ اللهِ، سَوَاءٌ كَتَبَهُ اللهُ قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَ بِهِ جِبْرِيلَ أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ قَدْ أَنْزَلَهُ مَكْتُوبًا إِلَى بَيْتِ العِزَّةِ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ القَدْرِ فَقَدْ كَتَبَهُ كُلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُنَزِّلَهُ. والله تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ وَكَتَبَ أَعْمَالَ العِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوهَا، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي صَرِيحِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَأْمُرُ المَلَائِكَةَ بِكِتَابَتِهَا بَعْدَ مَا يَعْمَلُونَهَا؛ فَيُقَابِلُ بِهِ الكِتَابَةَ المُتَقَدِّمَةَ عَلَى الوُجُودِ وَالكِتَابَةَ المُتَأَخِّرَةَ عَنْهُ، فَلَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا تَفَاوُتٌ. هَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ -وَهُوَ حَقٌّ- فَإِذَا كَانَ مَا يَخْلُقُهُ بَائِنًا مِنْهُ قَدْ كَتَبَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ، فَكَيْفَ يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَكْتُبَ كَلَامَهُ الَّذِي يُرْسِلُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَهُمْ بِهِ؟! وَمَنْ قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ أَخَذَ القُرْآنَ مِنَ الكِتَابِ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ اللهِ كَانَ هَذَا بَاطِلًا مِنْ وُجُوهٍ...» ثُمَّ سَاقَ هذه الوُجُوهَ.

(٨) فإنَّه يَعُمُّ المُسَافِرَ وغَيرَه والمَرِيضَ وغَيرَه.   (٩) أي: صَومُ القَضَاءِ؛ يَعنِي: مِنْ غيرِ تَقيِيدٍ بِتَتَابُعٍ أو غَيرِه.   (١٠) أي: بِتَشدِيدِ المِيمِ مَعَ فَتحِ الكَافِ لِشُعبَةَ.

(١١) أخرجَه ابنُ جرير (٢٩٠٤)، وابنُ أبي حاتم (١٦٦٧)، وغيرُهم، مِن طريقِ الصُّلْبِ بنِ حَكِيمٍ عن أبيه عن جَدِّه. وضعَّفَه أحمدُ شاكِر في تَعليقِه على جامعِ البَيَانِ (٣/ ٤٨١).

(١٢) أَمَّا أنَّه سُبحانَه قَرِيبٌ بِعِلْمِه وقُدرَتِه وتَدبِيرِه مِنْ جَمِيعِ خَلقِه، لَم يَزَلْ بهم عَالِمًا ولم يزلْ عليهم قَادِرًا؛ فَهذا مَذهَبُ جَمِيعِ أَهلِ السُّنَّةِ وعَامَّةِ الطَّوَائِفِ، وأَمَّا قُربُه سُبحانَه مِنْ عِبادِه حَقِيقَةً، أو قُربُهم منه سُبحانَه، على الوَجهِ اللائِقِ به، فلَيسَ مُمتَنِعًا عِندَ الجَمَاهِيرِ مِنَ السَّلَفِ وأَتبَاعِهِمْ مِن أهلِ الحَدِيثِ والفُقَهَاءِ والصُّوفِيَّةِ وأَهلِ الكَلَامِ... والإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِن خَلقِه، وما ذُكِرَ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ - مِن قُربِه ومَعِيَّتِه - لا يُنَافِي ما ذُكِرَ مِن عُلُوِّهِ وفَوقِيَّتِه؛ فَإِنَّهُ سُبحَانَهُ لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ في جَمِيعِ نُعُوتِه، وَهُوَ عَلِيٌّ في دُنُوِّه، قَرِيبٌ في عُلُوِّه. مجموع الفتاوى لابن تيمية بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ (٦/ ١٣)، و(٣/ ١٤٣).

(١٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (يُدِيمُوا).

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ
لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ
تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ
بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ
ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ
عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟
أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ
لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ — الحزب ٣
وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ
مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

[١٨٧] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ بِمَعنَى الإِفضَاءِ ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ بِالجِماعِ. ونَزَلَ نَسْخًا لِما كانَ في صَدرِ الإسلَامِ مِنْ تَحرِيمِه وتَحرِيمِ الأكلِ والشُّربِ بَعدَ العِشَاءِ(١) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾: كِنَايَةٌ عَنْ تعانُقِهِما، أوِ احتِيَاجِ كُلٍّ منهما إلى صَاحِبِه ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ(٢)﴾: تَخُونُونَ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بِالجِماعِ لَيلَةَ الصِّيَامِ؛ وَقَعَ ذلكَ لِعُمَرَ وغَيرِه(٣)، واعتَذَرُوا إِلى النَّبِيِّ ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: قَبِلَ تَوبَتَكُمْ ﴿وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ﴾: إِذْ أُحِلَّ لكُم ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾: جَامِعُوهُنَّ ﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾: اطْلُبُوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أَبَاحَهُ مِنَ الجِمَاعِ، أَوْ قَدَّرَهُ مِنَ الوَلَدِ ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ اللَّيلَ كُلَّهُ ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾: يَظْهَرَ ﴿لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: الصَّادِقِ. بَيانٌ لِلخَيطِ الأَبيَضِ، وبَيَانُ الأَسْوَدِ مَحذُوفٌ؛ أي: مِن اللَّيلِ. شُبِّهَ ما يَبدُو مِنَ البَيَاضِ ومَا يَمتَدُّ مَعَه مِنَ الغَبَشِ(٤) بِخَيْطَينِ أبيَضَ وأسْوَدَ في الامتِدَادِ ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ﴾ مِنَ الفَجْرِ ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: إِلى دُخُولِهِ بِغُرُوبِ الشَّمسِ ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ أي: نِسَاءَكُم ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ﴾: مُقِيمُونَ بِنِيَّةِ الاعتِكَافِ ﴿فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ مُتَعلِّقٌ بِـ﴿عَٰكِفُونَ﴾، نَهْيٌ لِمَنْ كانَ يَخرُجُ وهو مُعتَكِفٌ فيُجَامِعُ امرَأتَه ويَعُودُ ﴿تِلْكَ﴾ الأَحكَامُ المذكُورَةُ ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حَدَّهَا لِعِبادِهِ؛ لِيَقِفُوا عِندَها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلَغُ مِنْ: «لا تَعتَدُوهَا» المُعَبَّرِ به في آيَةٍ أُخْرَى(٥) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَما بَيَّنَ لكُم مَا ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ مَحَارِمَه[*].

[١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾ أي: يَأكُلْ بَعضُكُم مَالَ بَعضٍ ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: الحَرَامِ شَرْعًا؛ كَالسَّرِقَةِ والغَصْبِ ﴿وَ﴾ لَا(٦) ﴿تُدْلُوا۟﴾: تُلقُوا(٧) ﴿بِهَآ﴾ أي: بِحُكُومَتِها(٨) أو بِالأَموَالِ رِشْوَةً ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟﴾ بِالتَّحَاكُمِ ﴿فَرِيقًا﴾: طَائِفَةً ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ مُلتَبِسِينَ ﴿بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّكُم مُبْطِلُونَ.

[١٨٩] ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ جَمعِ هِلَالٍ: لِمَ تَبْدُو دَقِيقَةً، ثُمَّ تَزِيدُ حتَّى تَمتَلِئَ نُورًا، ثُمَّ تَعُودُ كَما بَدَتْ، ولا تَكُونُ على حَالَةٍ وَاحِدَةٍ؛ كالشَّمْسِ(٩)؟ ﴿قُلْ﴾ لهُم: ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ﴾: جَمْعُ مِيقَاتٍ ﴿لِلنَّاسِ﴾: يَعلَمُونَ بها أوقَاتَ زَرْعِهِم، ومَتَاجِرِهِم، وَعِدَدِ نِسَائِهِم، وصِيَامِهِم، وإِفطَارِهِم ﴿وَٱلْحَجِّ﴾: عَطْفٌ عَلى «النَّاسِ»؛ أي: يُعْلَمُ بِهَا وَقْتُهُ؛ فَلَوِ استَمَرَّتْ عَلى حَالَةٍ، لم يُعْرَفْ ذَلكَ ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ في الإِحْرَامِ؛ بِأَنْ تَنقُبُوا فيها نَقْبًا، تَدْخُلُونَ منه وتَخْرُجُونَ، وتَترُكُوا البَابَ، وكانُوا يَفعَلُونَ ذلك، ويَزعُمُونَه بِرًّا ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ذَا البِرِّ ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ اللهَ بِتَرْكِ مُخَالَفَتِه ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ في الإِحْرَامِ كَغَيرِهِ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُونَ[**].

[١٩٠] وَلَمَّا صُدَّ ﷺ عَنِ البيتِ عامَ الحُدَيبِيَةِ، وَصَالَحَ الكُفَّارَ عَلى أنْ يَعُودَ العَامَ القَابِلَ، وَيُخْلُوا له مَكَّةَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، وَتَجَهَّزَ لِعُمرَةِ القَضَاءِ، وخَافُوا أنْ لَا تَفِيَ قُرَيْشٌ ويُقَاتِلُوهُم، وكَرِهَ المسلِمُونَ قِتَالَهُم في الحَرَمِ والإِحرَامِ والشَّهرِ الحَرَامِ، نَزَلَ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لإِعلَاءِ دِينِهِ ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: الكُفَّارَ ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ عليهم بالابتِدَاءِ بالقِتَالِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المُتَجَاوِزِينَ مَا حُدَّ لَهُمْ. وهذا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ «براءة»(١٠)، أَوْ بقولِه:

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٨٧): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ». فَأَنْزَلَ الله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة (٢) باب (٢٧). وأخرجَ أيضًا عن البَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ، لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، وَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ! فَأَصْبَحَ صَائِمًا، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، ونَزَلَتْ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب الصوم (٣٠) باب (١٥).

[**] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٨٩): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عن أبي إسحاقَ قال: سمعتُ البراءَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يقولُ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا، كَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاءُوا، لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ، فَكَأَنَّهُ عُيِّرَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ =

---

(١) أي: دُخُولِ وَقتِها أو بعدَ النَّومِ ولو قَبلَها، كما حَصَلَ لقيسِ بنِ صِرْمَةَ؛ فغُشِيَ عليه نِصفَ النَّهارِ مِنَ الجُوعِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٩١٥) وهو في حَاشِيَةِ أَسبَابِ النُّزُولِ. (٢) لم يَقُلْ: «تَخُونُونَ»؛ لِأنَّه لم تكنْ منهم الخِيَانَةُ، بلْ كانَ منهم الاختِيَانُ؛ وهو: تَحَرُّكُ الإِنسانِ للوُقُوعِ في الخِيَانَةِ. المفردات للأصفهاني (ص٣٠٥). (٣) رواه أحمد في المسند (١٥٣٦٨) مِن حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قالَ: كَانَ النَّاسُ فِي رَمَضَانَ إِذَا صَامَ الرَّجُلُ، فَأَمْسَى فَنَامَ حَرُمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ، وَالشَّرَابُ، وَالنِّسَاءُ حَتَّى يُفْطِرَ مِنَ الْغَدِ، فَرَجَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَقَدْ سَهِرَ عِنْدَهُ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ قَدْ نَامَتْ، فَأَرَادَهَا فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ نِمْتُ، قَالَ: مَا نِمْتِ ثُمَّ وَقَعَ بِهَا، وَصَنَعَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ مِثْلَ ذَلِكَ، فَغَدَا عُمَرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ وحسَّنَ الأرناؤوطُ إسنادَه في تعليقِه على المُسنَدِ (٢٥/ ٨٦). (٤) بَقِيَّةِ الليلِ أو ظُلْمَةِ آخِرِ الليلِ، والمُرَادُ بامتدادِه معه اتِّصالُه به على سَبِيلِ التَّعاقُبِ.

(٥) هي الآية ٢٢٩ من هذا السُّورَةِ. (٦) إِشَارَةٌ إلى أنَّ ﴿تُدْلُوا۟﴾ مَجزُومٌ عَطفًا عَلى النَّهيِ، ويُؤيِّدُه قِراءةُ أُبَيٍّ: ﴿وَلَا تُدْلُوا﴾ بِإِعَادَةِ «لَا» النَّاهِيَةِ.

(٧) أي: تُسرِعُوا وتُبَادِرُوا؛ أي: لا تُسْرِعُوا بِالخُصُومَةِ على الأَموَالِ إلى الحُكَّامِ؛ لِيُعِينُوكُم على إِبطَالِ حَقٍّ أو تَحقِيقِ بَاطِلٍ. (٨) أي: بِإِقَامَةِ الدَّعوى بها بَاطِلًا. (٩) وهذه صِيغَةُ سُؤَالِهِم.

(١٠) وهي قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [براءة:٣٦]، قال ابن كثير (١/ ٥٢٤) بعدَ أنْ حكى هذا القولَ: «وَفِي هَذَا نَظَرٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ إِنَّمَا هُوَ تَهْيِيجٌ وَإِغْرَاءٌ بِالأَعْدَاءِ الَّذِينَ هِمَّتُهم قِتَالُ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، أي: كما يُقَاتِلُونَكُمْ فَقَاتِلُوهُمْ أَنْتُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ﴾ =

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ
وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

[١٩١] ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وَجَدْتُمُوهُم ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: مِنْ مَكَّةَ، وَقَدْ فُعِلَ بهم ذلكَ عَامَ الفَتْحِ ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾: الشِّرْكُ منهم ﴿أَشَدُّ﴾: أعْظَمُ ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحَرَمِ والإِحْرَامِ الذي اسْتَعْظَمْتُمُوهُ ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: في الحَرَمِ ﴿حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه. وفي قِرَاءَةٍ: بِلا أَلِفٍ في الأَفعَالِ الثَّلاثَةِ[1] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ القَتْلِ والإِخْرَاجِ ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. [١٩٢] ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عَنِ الكُفْرِ وأسلَمُوا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم. [١٩٣] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾: تُوجَدَ ﴿فِتْنَةٌ﴾: شِرْكٌ ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾: العِبَادَةُ ﴿لِلَّهِ﴾ وَحدَه، لا يُعْبَدَ سِوَاهُ ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عَنِ الشِّرْكِ؛ فلا تَعتَدُوا عَليهِم؛ دَلَّ على هذا: ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾: اعتِدَاءَ بِقَتلٍ أو غَيرِه ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وَمَنِ انتَهَى فلَيسَ بِظَالِمٍ؛ فلا عُدْوَانَ عليه. [١٩٤] ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾: المُحرَّمُ مُقَابَلٌ ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فَكَما قَاتَلُوكُم فيه، فاقْتُلُوهُم في مِثْلِهِ، رَدٌّ لاستِعْظَامِ المُسلِمينَ ذَلكَ ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾: جَمعُ حُرْمَةٍ: مَا يَجِبُ احتِرَامُه ﴿قِصَاصٌ﴾ أي: يُقْتَصُّ بِمِثْلِهَا إِذا انْتُهِكَتْ ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بِالقِتَالِ في الحَرَمِ أَوِ الإِحرَامِ أَوِ الشَّهرِ الحَرَامِ ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: سَمَّى مُقابَلَتَه اعتِدَاءً؛ لِشَبَهِهَا بِالمُقَابَلِ به في الصُّورَةِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الانتِصَارِ وتَرْكِ الاعتِدَاءِ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بِالعَونِ والنَّصرِ[2]. [١٩٥] ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: طَاعَتِه؛ الجِهَادِ وغَيرِه ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: أَنفُسِكُم، والبَاءُ زَائِدَةٌ ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾: الهَلاكِ؛ بِالإِمسَاكِ عَنِ النَّفَقَةِ في الجِهَادِ[*]، أو تَرْكِهِ؛ لِأَنَّه يُقَوِّي العَدُوَّ عليكُم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بِالنَّفَقَةِ وغَيرِها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: يُثِيبُهُم[3]. [١٩٦] ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: أَدُّوهُما بِحُقُوقِهِما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: مُنِعْتُمْ عَنْ إِتمَامِهِما بِعَدُوٍّ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾: تَيَسَّرَ ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عَليكُم؛ وهو شَاةٌ ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي: لَا تَتَحَلَّلُوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ المَذْكُورُ ﴿مَحِلَّهُ﴾ حَيثُ يَحِلُّ ذَبْحُه؛ وهو: مَكَانُ الإِحْصَارِ عِندَ الشَّافِعِيِّ؛ فيُذْبَحُ فيه بِنِيَّةِ التَّحَلُّلِ، ويُفَرَّقُ على مَسَاكِينِه، ويُحْلَقُ. وبه يَحصُلُ التَّحَلُّلُ. ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ كَقَمْلٍ وصُدَاعٍ، فَحَلَقَ في الإِحْرَامِ ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ ثَلاثَةِ[4] أَيَّامٍ ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بِثَلاثَةِ آصُعٍ مِنْ غَالِبِ قُوتِ البَلَدِ على سِتَّةِ مَسَاكِينَ ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ أي: ذَبحِ شَاةٍ، و﴿أَوْ﴾: للتَّخْيِيرِ، وأُلحِقَ به مَنْ حَلَقَ لِغَيرِ عُذْرٍ؛ لِأَنَّه أَوْلَى بِالكَفَّارَةِ. وكذَا مَنِ استَمتَعَ بغَيرِ الحَلْقِ؛ كالطِّيبِ واللُّبْسِ والدُّهنِ لعُذْرٍ أَوْ غَيرِه ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ العَدُوَّ، بِأَنْ ذَهَبَ، أَوْ لَمْ يَكُنْ ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾: استَمْتَعَ ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أي: بِسَبَبِ فَرَاغِهِ منها بِمَحْظُورَاتِ الإِحرَامِ[5] ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾[6] أي: إلى الإِحْرَامِ به بأَنْ يَكُونَ أَحرَمَ بها في أَشْهُرِه ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تَيَسَّرَ ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عَلَيهِ؛ وهو: شَاةٌ يَذْبَحُها بَعدَ الإِحرَامِ به، والأَفضَلُ يَومَ النَّحرِ[7] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهَدْيَ؛ لِفَقْدِه أو فَقْدِ ثَمَنِه ﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعَلَيه صِيَامُ ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: في حَالِ الإِحرَامِ به؛ فَيَجِبُ حِينَئِذٍ أَنْ يُحْرِمَ قَبلَ السَّابعِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، والأَفضَلُ قَبلَ السَّادِسِ؛ لِكرَاهَةِ صَوم يَوم عَرفَةَ. ولا يَجُوزُ صَومُها أَيَّامَ التَّشرِيقِ على أَصَحِّ قَولَيِ الشَّافِعِيِّ ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى وَطَنِكُم مَكَّةَ أو غَيرِها. وقِيلَ: إِذا فَرَغتُم مِنْ أَعمَالِ الحَجِّ. وفيه التِفَاتٌ عَنِ الغَيبَةِ[8]. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: جُملَةٌ تَأكِيدٌ لِمَا قَبلَها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحُكْمُ المَذكُورُ، مِنْ وُجُوبِ الهَدْيِ أَوِ الصِّيَامِ على مَنْ تَمَتَّعَ ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بِأَنْ لَم يَكُونُوا عَلى دُونِ مَرحَلَتَينِ مِنَ الحَرَمِ عِندَ الشَّافِعِيِّ، فإِنْ كانَ فلا دَمَ عَليهِ ولَا صِيَامَ، وإِنْ تَمَتَّعَ. وفي ذِكرِ الأَهلِ إِشعَارٌ بِاشتِرَاطِ الاستِيطَانِ؛ فلَوْ أَقامَ قَبلَ أَشهُرِ الحَجِّ ولَم يَستَوطِنْ وتَمَتَّعَ؛ فعَلَيهِ ذلكَ. وهو أَحَدُ وَجهَينِ عِندَ الشَّافِعِيِّ[9]، والثَّاني: لَا، والأَهلُ كِنَايَةٌ عَنِ النَّفسِ[10]. وأُلحِقَ بِالمُتَمَتِّعِ -فيما ذُكِرَ بالسُّنَّةِ- القَارِنُ؛ وهو: مَنْ أَحرَمَ[11] بالعُمرَةِ والحَجِّ مَعًا، أو يُدْخِلُ الحَجَّ عليها قَبلَ الطَّوَافِ[12] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما يَأمُرُكُم به ويَنهَاكُم عنه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ خَالَفَهُ.

= وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾» البُخَارِيُّ - باب (١٨) كتاب العمرة (٢٦). وفي رِوَايَةٍ عَنِ البَرَاءِ قَالَ: «كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ أَتَوُا البَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ، فأَنزَلَ اللهُ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا...﴾» الآية. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٢٩).

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٩٥): أَخرَجَ أبو دَاوُدَ عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: غَزَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ نُرِيدُ القُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَعَلَى الجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ، وَالرُّومُ مُلْصِقُو ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ المَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى العَدُوِّ، فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؛ لَمَّا نَصَرَ اللهُ =

= أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: لِتَكُنْ هِمَّتُكُمْ مُنْبَعِثَةً عَلَى قِتَالِهِمْ، كَمَا أَنَّ هِمَّتَهُمْ مُنْبَعِثَةٌ عَلَى قِتَالِكُمْ، وَعَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنْ بِلَادِهِمُ الَّتِي أَخْرَجُوكُمْ مِنْهَا، قِصَاصًا. وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا تَعْتَدُوا فِي ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ ارْتِكَابُ المَنَاهِي -كَمَا قَالَهُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ- مِنَ المُثْلَةِ، والغُلُولِ، وَقَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالشُّيُوخِ الَّذِينَ لَا رَأْيَ لَهُمْ وَلَا قِتَالَ فِيهِمْ، وَالرُّهْبَانِ وَأَصْحَابِ الصَّوَامِعِ، وَتَحْرِيقِ الأَشْجَارِ وَقَتْلِ الحَيَوَانِ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ...».

(١) لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ. (٢) وفيه إِثباتُ مَعِيَّةِ اللهِ الخَاصَّةِ للمُتَّقِينَ، على النَّحوِ اللائِقِ به سُبْحَانَه، ولا مُنَافَاةَ بينها وبَينَ عُلُوِّهِ على عَرشِه. (٣) وهذا مَذْهَبُ الأَشَاعِرَةِ الذين يُؤَوِّلُونَ الصِّفَاتِ بدَعوى أنَّها تُوهِمُ نَقصًا في حَقِّ الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ أمَّا أهلُ السُّنَّةِ فيُثبِتُونها للهِ على ما يَلِيقُ بجَلالِه سُبْحَانَه، كما يُثبِتُونَ لَازِمَها، وهو: إِرَادَتُه -سُبْحَانَهُ- إكرامَ أهلِ محبَّتِه وإثابَتَهُم. (٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (لِثَلاثَةِ).
(٥) مُتَعَلِّقٌ بمَحذُوفٍ؛ أي: واستَمَرَّ تَمَتُّعُه وانتِفَاعُه بالمحظُوراتِ إلى الحَجِّ. (٦) مُتَعَلِّقٌ بـ«تمتع». (٧) هذا قولُ الشَّافِعِيِّ. والجُمهُورُ على أنَّ وَقتَ ذَبحِه يوم النَّحرِ، فلا يجوزُ ذَبحُ الهَدْيِ قَبلَه كالأُضحِيَةِ.
(٨) حَيثُ رُوعِيَ معنى ضَمِيرِ الجمعِ ﴿مَن﴾، ولو رُوعِيَ اللفظُ لقِيلَ: إذا رَجَعَ، بضميرِ الغَيبَةِ. (٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (عندنا). (١٠) وهو مَعنًى بَعِيدٌ، والأَولَى ما قالَه غَيرُه: مِنْ أَنَّ المُرَادَ بالأَهلِ: الزوجةُ والأولادُ دونَ الآباءِ والإخوَةِ، ومَعدُومُ الأهلِ المتوطِّنُ بنَفسِه كذلك، وإنَّما عُبِّرَ بالأهلِ لكونِ شأنِ التَّوطُّنِ يكونُ بذلك. (١١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (يحرم). (١٢) أي: قبلَ الشُّروعِ في طوافِها.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا
رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ
وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ
لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ
رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ
﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

[١٩٧] ﴿الْحَجُّ﴾: وَقتُه ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾: شوَّالٌ وذو القَعدَةِ وعَشْرُ لَيَالٍ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، وقِيلَ: كُلُّه ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ على نَفسِه ﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ بالإحرَامِ به ﴿فَلَا [رَفَثُ]﴾: جِمَاعٌ فيه ﴿وَلَا [فُسُوقُ][1]﴾: مَعَاصٍ ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: خِصَامَ ﴿فِي الْحَجِّ﴾ وفي قِرَاءَةٍ: بفتحِ الأَوَّلَيْنِ[2]. والمُرادُ في الثَّلاثَةِ النَّهيُ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ كَصَدَقَةٍ ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ فيُجَازِيكُم به. وَنَزَلَ في أَهْلِ اليَمَنِ -وكانوا يَحُجُّون بِلَا زَادٍ، فيَكُونُونَ كَلًّا على النَّاسِ[*]-: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ مَا يُبَلِّغُكُم لِسَفَرِكُم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾: مَا يُتَّقَى به سُؤالُ النَّاسِ وغَيرُه ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: ذَوِي العُقُولِ.

[١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾: تَطْلُبُوا ﴿فَضْلًا﴾: رِزْقًا ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بِالتِّجَارَةِ فِي الحَجِّ. نَزَلَ رَدًّا لِكَرَاهَتِهِم ذلك[**] ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم﴾: دَفَعْتُم ﴿مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ بَعدَ الوُقُوفِ بها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بَعدَ المَبِيتِ بِمُزْدَلِفَةَ بِالتَّلْبِيَةِ والتَّهلِيلِ والدُّعاءِ ﴿عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو جَبَلٌ في آخِرِ المُزْدَلِفَةِ، يُقَالُ له: قُزَحُ[3]. وفي الحَدِيثِ: «أَنَّهُ ﷺ وَقَفَ بِهِ، يَذْكُرُ اللهَ وَيَدْعُو؛ حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا»[4]. رواه مُسلمٌ ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ لِمَعَالِمِ دِينِه ومَنَاسِكِ حَجِّه. والكَافُ لِلتَّعلِيلِ ﴿وَإِن﴾: مُخَفَّفَةٌ ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِ﴾: قَبلِ هُدَاهُ ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾.

[١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ يا قُرَيشُ ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي: مِنْ عَرَفَةَ؛ بِأَنْ تَقِفُوا بها مَعَهم- وكَانُوا يَقِفُونَ بِالمُزدَلِفَةِ؛ تَرَفُّعًا عَنِ الوُقُوفِ معَهُم. و﴿ثُمَّ﴾ لِلتَّرتِيبِ في الذِّكْرِ- ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ مِنْ ذُنُوبِكُم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم[***].

[٢٠٠] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾: أَدَّيْتُمْ ﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾: عِبَادَاتِ حَجِّكُم؛ بِأَنْ رَمَيْتُمْ جَمْرَةَ العَقَبَةِ وَطُفْتُمْ وَاسْتَقْرَرْتُم بِمِنًى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بِالتَّكبِيرِ والثَّنَاءِ ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾: كَمَا كُنتُم تَذْكُرونَهم عِندَ فَراغِ حَجِّكُم بِالمُفَاخَرَةِ[5] ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ مِنْ ذِكْرِكُم إِيَّاهُم. ونَصبُ ﴿أَشَدَّ﴾ على الحَالِ مِنْ ﴿ذِكْرًا﴾ المنصُوبِ بِـ«اذْكُرُوا»؛ إِذْ لَوْ تَأَخَّرَ عنه لكَانَ صِفَةً له ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾ نَصِيبَنا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فَيُؤْتَاهُ فيها ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: نَصِيبٍ. [٢٠١] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: نِعمَةً ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجَنَّة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بِعَدَمِ دُخُولِها، وهذا بَيَانٌ لِمَا كانَ عليه المشرِكُونَ، ولِحَالِ المُؤمِنِينَ. والقَصْدُ به الحَثُّ على طَلَبِ خَيرَيِ الدَّارَينِ، كَمَا وَعَدَ بِالثَّوَابِ عليه بقَولِه: [٢٠٢] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: ثَوَابٌ ﴿مِّمَّا﴾: مِنْ أَجلِ ﴿مَا كَسَبُوا﴾: عَمِلُوا مِنَ الحَجِّ والدُّعاءِ ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: يُحَاسِبُ الخَلْقَ كُلَّهُم في قَدْرِ نِصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنيا؛ لِحَدِيثٍ بِذَلِكَ[6].

= نبيِّه، وَأَظْهَرَ الإِسْلَامَ، قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فأنزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؛ فَالإِلْقَاءُ بِالأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ: أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الجِهَادَ... أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٣)، وصَحَّحه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ أَبي دَاودَ (٢١٩٣).

وأَخرَجَ البُخَارِيُّ عَن حُذَيفَةَ: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال: «نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣١).

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٩٧): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٦) قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا...﴾.

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٩٨): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَتْ عُكَاظٌ، وَمَجَنَّةُ، وَذُو المَجَازِ، أَسْوَاقًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الإِسْلَامُ، فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾». البُخَارِيُّ - كتاب البيوع (٣٤) باب (١).

[***] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٩٩): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالمُزْدَلِفَةِ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ العَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلَامُ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾».

---

(١) قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالَ﴾ بتنوينِ ورفعِ «رفثٌ» و«فسوقٌ». وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾.

(٢) أي: ﴿رَفَثَ﴾ و﴿فُسُوقَ﴾ وهي قراءةُ بقيَّةِ السبعةِ كما تَقَدَّمَ. (٣) على وزن: عُمَر. (٤) مسلم (١٢١٨).

(٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَقِفُونَ فِي المَوَاسِمِ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: كَانَ أَبِي يُطْعِمُ وَيَحْمِلُ الحَمَالاتِ، وَيَحْمِلُ الدِّيَاتِ، لَيْسَ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرَ فِعَالِ آبَائِهِمْ، فَأَنزَلَ اللهُ: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا...﴾». أخرجه ابنُ أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٥٥ رقم ١٨٧)، والسيوطيُّ في الدُّرِّ المنثور (١/ ٥٥٧). وحسَّنه في الاستيعاب (١/ ١٤٢، ١٤٣).

(٦) لقد سَها الجلالُ السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في وَصفِه نِصفَ النَّهارِ بأنَّه مِنْ أَيَّامِ الدُّنيا، والصَّحيحُ أنَّه نِصفُ يومٍ مِقدارُه خمسونَ ألفَ سَنةٍ، كما جاء في حديثِ ابن حبَّان عن أَبي هُرَيرَةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ...»، وفي الصَّحيحَينِ مِنْ حديثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عِقابِ مانِعي الزَّكاةِ في المَحشَرِ - قوله ﷺ: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ...» البُخَارِيُّ (١٣١٤)، ومسلمٌ (١٦٤٧)، وقد تكرَّر هذا السَّهوُ مِنَ السيوطيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في ثلاثةِ مَواضعَ غيرِ هذا، وهي في تفسيرِه لقولِه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٩٩ مِن آل عِمرانَ، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ٥١ مِن سُورةِ إبراهيمَ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ آية ٦٢ مِن سُورةِ الأنعامِ. ووقعَ مِثلُه مِنَ الجلالِ المحلِّيِّ في تفسيرِه قولَه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٧ مِنْ سُورةِ غافرٍ، وقد نبَّه على ذلك القاضي كنعانُ في «قُرَّةِ العَيْنَيْنِ على تفسيرِ الجلالَيْنِ».

الحزب ٤

۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ
ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾
وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ
وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ
أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ
ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ
مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

[٢٠٣] ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ بالتَّكبيرِ عِندَ رَمْيِ الجَمَراتِ ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي: أيَّامِ التَّشرِيقِ الثَّلاثَةِ ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استعْجَلَ بِالنَّفْرِ مِنْ مِنى ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثَانِي أيَّامِ التَّشرِيقِ بَعدَ رَمْيِ جِمَارِه ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بِالتَّعجِيلِ ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حَتَّى بَاتَ لَيْلَةَ الثَّالِثِ ورَمَى جِمَارَه ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بِذَلكَ؛ أي: هُم مُخَيَّرُونَ في ذَلِكَ. ونَفْيُ الإثْمِ: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ اللهَ في حَجِّه؛ لِأنَّه الحاجُّ في[1] الحَقِيقَةِ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخِرَةِ؛ فيُجَازِيكُم بِأَعمالِكُم.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولا يُعجِبُكَ في الآخِرَةِ؛ لمُخالَفَتِه لاعتِقَادِه ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أنَّه مُوافِقٌ لِقَولِه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾: شَدِيدُ الخُصُومَةِ لَكَ ولِأَتباعِكَ؛ لِعَدَاوَتِه لَكَ؛ وهو: الأَخنَسُ بنُ شَرِيقٍ؛ كانَ مُنَافِقًا حُلوَ الكَلَامِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَحلِفُ أنَّه مُؤمِنٌ به ومُحِبٌّ له؛ فيُدْنِي مَجلِسَه؛ فأَكْذَبَه اللهُ في ذلكَ، وَمَرَّ بِزَرْعٍ وَحُمُرٍ لِبَعضِ المُسلِمِينَ فأَحْرَقَهُ وعَقَرَها لَيلًا[2]؛ كما قالَ تعَالَى:

[٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: انصَرَفَ عَنكَ ﴿سَعَىٰ﴾: مَشَى ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ مِنْ جُملَةِ الفَسادِ ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ أي لَا يَرضَى به[3].

[٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فِعْلِك ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ حَمَلَتْهُ الأَنفَةُ والحَمِيَّةُ على العَمَلِ ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ الذي أُمِرَ بِاتِّقَائِه ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾: كَافِيهِ ﴿جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفِرَاشُ هي!

[٢٠٧] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى﴾: يَبِيعُ ﴿نَفْسَهُ﴾ أي: يَبذُلُها في طَاعَةِ الله ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: رِضَاهُ؛ وهو: صُهَيبٌ، لَمَّا آذاهُ المُشرِكُونَ هَاجَرَ إلى المدِينَةِ وتَرَكَ لهم مَالَه[4] ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ حَيثُ أرشَدَهُم لِمَا فيه رِضَاهُ.

[٢٠٨] ونَزَلَ في عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ وأصحَابِه لَمَّا عَظَّمُوا السَّبتَ[5] وكَرِهُوا الإِبِلَ[6] بَعْدَ الإِسلَامِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى [ٱلسَّلْمِ]﴾ بِفَتحِ السِّينِ وكَسرِها[7]: الإِسلَامِ ﴿كَآفَّةً﴾: حَالٌ مِنَ: ﴿ٱلسِّلْمِ﴾؛ أي: في جَمِيعِ شَرَائِعِه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾: طُرُقَ ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: تَزيِينَه بالتَّفرِيقِ ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ العَدَاوَةِ.

[٢٠٩] ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: مِلْتُم عَنِ الدُّخُولِ في جَمِيعِه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الحُجَجُ الظَّاهِرَةُ على أنَّه حَقٌّ ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لَا يُعجِزُه شَيءٌ عَنِ انتِقَامِه مِنكُم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِه.

[٢١٠] ﴿هَلْ﴾: مَا ﴿يَنظُرُونَ﴾: يَنتَظِرُ التَّارِكُونَ الدُّخُولَ فيه ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أَمْرُه[8]؛ كَقَولِه: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[9] أي: عَذَابُه ﴿فِى ظُلَلٍ﴾: جمع ظُلَّةٍ ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾: السَّحَابِ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: تَمَّ أَمْرُ هَلَاكِهِم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ -بالبِنَاءِ لِلمفْعُولِ والفَاعِلِ[10]- في الآخِرَةِ؛ فيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِه[11].

= البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) باب (٣٥)، وفي رواية قال: «وَأَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الحُمْسِ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ قَالَ: كَانُوا يُفِيضُونَ مِنْ جَمْعٍ، فَدُفِعُوا إِلَى عَرَفَاتٍ» البُخاريُّ - كتاب الحج (٢٥) باب (٩١) الوقوف بعرفة.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (على).

(٢) أخرجَه الطَّبَريُّ (٢/ ٣٢٤) في تَفسِيرِه عَنِ السُّدِّيِّ مُرسَلًا، وضَعَّفه جِدًّا في الاستيعابِ (١/ ١٤٤، ١٤٥).

(٣) وهذا من تأويلِ صِفةِ المحبَّةِ التي يُثبتُها أهلُ السُّنَّةِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به، وهو مِنْ تأويلِ الصِّفَةِ ببعضِ لَوازِمِها، وسَبَقَ بيانُ ذلك.

(٤) أخرجَه الحاكمُ في مُستَدرَكِه (٥٧٠٠) مِنْ حَدِيثِ أنسٍ، وقال: «صحيحٌ على شرط مُسلم، ولم يُخرِّجاه»، ووافقَه الألبانيُّ، وصحَّحه بشواهدِه في تعليقِه على فقه السيرة للغزالي (ص١٦٦).

(٥) أي: احْتَرَمُوهُ بتحريمِ الصَّيدِ فيه، كَما كانَ في شَرعِ مُوسَى. وَالأثر أخرجَه الطَّبَريُّ (٢/ ١٨٩) من طريق ابن جريج عن عكرمةَ به. وهو مُرسَلٌ ضعيفٌ، كما في الاستيعاب (١/ ١٤٨).

(٦) حيثُ حرَّمُوا أكلَ لُحومِها وشُربِ ألبانِها.

(٧) بِالفتحِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ والكِسَائيِّ، وقَرأَ البَاقونَ بِالكَسرِ: ﴿ٱلسِّلْمِ﴾.

(٨) وهذا تأويلٌ تَأباهُ النُّصوصُ وكلامُ السَّلَفِ، وهو مذهبُ المبتَدِعَةِ، أمَّا الذي عليه السَّلفُ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ: أنَّ الإتيَانَ والمَجِيءَ صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ الفِعْلِ له -سُبْحَانَهُ-، وهما مِنْ أفعالِه الاختيَارِيَةِ التي يُثبِتُونها لله -سُبْحَانَهُ- على الوَجْهِ اللائقِ بِجَلالِه وعَظَمَتِه، مُنَزَّهًا عَنْ جميعِ التَّشبيهِ الذي يَخطُرُ في عقولِ المعَطِّلَةِ. يُنظَرُ: المفسِّرونَ بينَ الإثباتِ والتَّأويل (٢/ ٣٧٩).

(٩) النَّحل: ٣٣. وفي التنزيلِ أيضًا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]. فلا مَناصَ مِنْ إثباتِ صِفَةِ الإتيَانِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به سُبحانَه، ولا يُشبِهُ إتيانُه إتيانَ المَخلُوقِينَ. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

(١٠) قولُه: «بالبناءِ للمفعُولِ» يَعني مِنَ الرَّجعِ وهو الردُّ. وقولُه: «والفَاعِلِ» يعني مِنَ الرُّجُوعِ؛ فـ«رَجَعَ» يُستَعمَلُ لَازِمًا ومُتَعَدِّيًا. وقَرأَها ابنُ عامرٍ وحَمزةُ والكِسَائيُّ بِالبنَاءِ لِلفَاعِلِ، والبَاقُونَ بِالبنَاءِ للمفعُولِ.

(١١) عِبارَة: (كُلًّا بعَمَلِه) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ
ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

٣٣

[٢١١] ﴿سَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تبكيتًا: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ ﴿كَمْ﴾: استفهاميةٌ مُعلِّقةٌ[(١)] ﴿سَلْ﴾ عَنِ المفعولِ الثَّاني، وهي ثاني مَفعُولَي: «آتينا»[(٢)]، ومُميِّزُها[(٣)]: ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾: ظاهرةٍ؛ كفَلْقِ البَحرِ وإنزالِ المَنِّ والسَّلوى، فبدَّلُوها كُفرًا؟ ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أنعَمَ به عليه مِنَ الآياتِ؛ لِأَنَّها سَببُ الهِدايَةِ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ كُفرًا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له.

[٢١٢] ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بِالتَّمويه[(٤)]، فأحبُّوها ﴿وَ﴾ هُمْ ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لِفَقْرِهم؛ كبِلالٍ وعمَّارٍ وصُهَيبٍ[(٥)]؛ أي: يَستهزِئُونَ بِهم، ويَتَعالَونَ عَلَيهم بِالمالِ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّرْكَ؛ وهُم هؤلاءِ ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رِزقًا واسِعًا في الآخِرَةِ أو الدُّنيا؛ بِأَنْ يُملِّكَ المَسْخُورَ منهم أموالَ السَّاخِرِينَ ورِقابَهم.

[٢١٣] ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الإيمانِ، فاختَلَفُوا بِأَنْ آمَنَ بَعْضٌ وكَفَرَ بَعْضٌ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَنْ آمَنَ بِالجَنَّةِ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَنْ كَفَرَ بِالنَّارِ ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بِمعنَى: الكُتُبَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مُتعلِّقٌ بِـ﴿أَنزَلَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ مِنَ الدِّينِ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدِّينِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: الكِتابَ؛ فآمَنَ بَعْضٌ وكَفَرَ بَعْضٌ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الحُجَجُ الظَّاهِرَةُ على التَّوحِيدِ، و﴿مِنۢ﴾ مُتعلِّقَةٌ بِـ﴿ٱخْتَلَفَ﴾، وهي ومَا بَعدَها مُقدَّمٌ على الاستثناءِ في المعنَى ﴿بَغْيًۢا﴾ مِنَ الكافِرِينَ ﴿بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ﴾: لِلبَيانِ ﴿ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾: بِإرادَتِه[(٦)] ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هِدايتَهُ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: طَريقِ الحَقِّ.

[٢١٤] ونَزَلَ في جَهْدٍ أَصابَ المُسلِمينَ[(٧)]: ﴿أَمْ﴾ بَلْ أ ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لَمْ[(٨)] ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾: شِبهُ ما أَتَى ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ مِنَ المُؤمِنِينَ مِنَ المِحَنِ؛ فتَصبِرُوا كَما صَبَرُوا ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾: جُملَةٌ مُستأنَفَةٌ مُبيِّنَةٌ ما قَبلَها ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾: شِدَّةُ الفَقرِ ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾: المَرَضُ ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: أُزعِجُوا بِأنواعِ البَلاءِ ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾: بِالنَّصبِ والرَّفعِ[(٩)]؛ أي: قالَ ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ استِبطاءً لِلنَّصرِ؛ لِتَناهِي الشِّدَّةِ عليهم: ﴿مَتَىٰ﴾ يَأتِي ﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ الذي وُعِدْناهُ؛ فأُجِيبُوا مِنْ قِبَلِ اللهِ: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانُه.

[٢١٥] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمَّد: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: الذي يُنفِقُونَه[(١٠)]، والسَّائلُ عَمرو بنُ الجَمُوحِ، وكانَ شَيخًا ذا مالٍ، فسَألَ النَّبيَّ ﷺ عمَّا يُنفِقُ وعلى مَنْ يُنفِقُ[(١١)]؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: بَيانٌ لِـ﴿مَآ﴾، شامِلٌ لِلقَليلِ والكَثيرِ، وفيه بَيانُ المُنفَقِ الذي هو أَحَدُ شِقَّيِ السُّؤالِ، وأَجابَ عَنِ المَصرِفِ الذي هُو الشِّقُّ الآخَرُ بقولِه: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: هُم أَولَى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: إنفاقٍ أَوْ[(١٢)] غَيرِه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمُجازٍ عليه.

---

(١) التَّعليقُ: هو إبطالُ العَمَلِ لَفظًا لا مَحلًّا، والإلغاءُ: إبطالُه لَفظًا ومَحلًّا، فتكونُ جملةُ: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ في المعنَى في مَحلِّ المفعولِ الثاني لِـ﴿سَلْ﴾. والتَّعليقُ مُختَصٌّ بأفعالِ القُلوبِ، والسؤالُ وإنْ لم يكنْ مِنْ أعمالِ القُلوبِ، إلَّا أنَّه سببٌ لِلعِلمِ، والعِلمُ منها، فأُعطِيَ حُكمَها مِنْ نَصبِ المفعولَينِ وصِحَّةِ التَّعليقِ.

(٢) أي: إنَّ ﴿كَمْ﴾ هي المفعولُ الثاني لِـ«آتينا»، ومَفعولُ «آتينا» الأوَّلُ هو: الهاءُ مِنَ الضَّميرِ «هُم»، وهذا مَذهبُ الجُمهورِ.

(٣) إنَّما زِيدَتْ؛ لِيُعلَمَ بِها أنَّ مَدخُولَها وهو قولُه: ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ مُميِّزٌ، لا مَفعولًا ثانيًا لِـ﴿ءَاتَيْنَٰهُم﴾.

(٤) الباءُ سببيَّةٌ؛ أي: بسببِ التَّمويهِ؛ أي: الزَّخرفَةِ والبَهجَةِ.

(٥) في نُسخةِ (قباوة): (كعمَّارٍ وبلال وصُهيب).

(٦) الصَّحيحُ أنَّ تفسيرَ ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمرِه، كما سبقَ بيانُ ذلك في تفسيرِ الآيةِ (١١٢) من السُّورةِ.

(٧) أخرجَ عبد الرزَّاقِ في تفسيرِه (١/ ٣٣٢) عَنْ قَتادَةَ؛ قالَ: نَزَلَتْ فِي يَوْمِ الأَحْزابِ، أَصابَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحابَهُ يَوْمَئِذٍ بَلاءٌ وَحَصْرٌ... ومن طريقه ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ في جامعِ البيانِ (٤٠٦٥). ورِجالُه ثِقاتٌ؛ لكنَّه مُرسَل، كما قال في الاستيعاب (١/ ١٤٩). وذكره السيوطيُّ في الدُّرِّ المنثورِ (١/ ٥٨٤)، وزادَ نِسبتَه لابنِ المنذر.

(٨) هناك فروقٌ بينهما؛ فـ«لمَّا» حرفُ جزمٍ معناهُ النَّفيُ كـ«لم»، لكن هو أبلَغُ مِنَ النَّفيِ بـ«لم»، لأنَّها لا تَنفِي إلَّا الزمانَ المتَّصِلَ بزمانِ الحالِ. والفرقُ بينَها وبينَ «لم» من وُجوهٍ: أحدُها: أنَّه قد يُحذَفُ الفِعلُ بعدَها في فَصيحِ الكلامِ إذا دلَّ عليه دَليلٌ. ومنها: أنَّها لِنَفيِ الماضي المتَّصلِ بزمانِ الحالِ، و«لم» لنَفيِه مُطلقًا أو مُنقطِعًا. ومنها: أنَّ «لمَّا» لا تَدخُلُ على فِعلِ شَرطٍ ولا جزاءٍ بخلافِ «لم». يُنظَرُ: الدرُّ المصونُ في عُلومِ الكِتابِ المكنونِ، لِلسَّمينِ الحلَبي (٢/ ٣٨١).

(٩) بِالرَّفعِ: قِراءَةُ نافعٍ. وبالنَّصبِ بِـ«أن» مُضمَرةً: قِراءَةُ الباقِينَ، و﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنَى: إلى، وهي تَنصِبُ المضارعَ بَعدَها إذا كان مُستقبَلًا. والرَّفعُ بِاعتِبارِ ما بَعدَها حالًا مُقارِنًا لِمَا قبلَها، أو أنَّ الفعلَ بعدَه ماضٍ؛ بمعنَى: أنَّ القولَ والزلزالَ قد مَضَى.

(١٠) عبارة: (أي: الذي يُنفِقُونَه) لَيسَتْ في نُسخةِ (قباوة). وفيها: (ـه)؛ بعد: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾.

(١١) ذكَرَه الواحِديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص٤٠)، وابنُ الجوزيِّ في زادِ المسير (١/ ٢٣٣)، مِن طريقِ الكَلبيِّ عن أبي صالح عَنِ ابنِ عبَّاسٍ به. والكَلبيُّ وأبو صالح مُتَّهمانِ بِالكَذِبِ؛ فهو مَوضوعٌ، وذكَرَ السيوطيُّ في الدُّرِّ المنثُورِ (١/ ٥٨٥) نحوَه، دونَ تَسميةِ السَّائلِ، وعَزاه لِعَبدِ بنِ حميد.

(١٢) في نُسخة قباوة: (و) بَدَلًا من (أوْ).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ
لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ
اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ
أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ
يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن
يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ الحزب ٤
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ
مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

[٢١٦] ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ لِلكُفَّارِ ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾: مَكرُوهٌ ﴿لَّكُمْ﴾ طَبْعًا، لِمَشَقَّتِه ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لَمِيلِ النَّفسِ إلى الشَّهَوَاتِ المُوجِبَةِ لِهَلَاكِها، ونُفُورِها عَنِ التَّكلِيفَاتِ المُوجِبَةِ لِسَعَادَتِها؛ فلَعَلَّ لكُم في القِتَالِ -وإنْ كَرِهتُمُوه- خيرًا؛ لِأَنَّ فيه إمَّا الظَّفَرَ والغَنِيمَةَ، أوِ الشَّهَادةَ والأَجْرَ، وفي تَرْكِه -وإنْ أحبَبْتُمُوه- شَرًّا؛ لِأَنَّ فيه الذُّلَّ والفقْرَ وحِرمَانَ الأَجْرِ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مَا هُو خيرٌ لَكُم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فبادِرُوا إلى مَا يأْمُرُكُم به.

[٢١٧] وَأرْسَلَ النَّبِيُّ أوَّلَ سَرَايَاهُ وعليها عبدُ الله بنُ جَحْشٍ[١]؛ فقَاتَلوا المُشْرِكِينَ وقَتَلُوا ابْنَ الحَضْرَمِيِّ آخِرَ يومٍ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ، وَالْتَبَسَ عَليهم بِرَجَبٍ؛ فَعَيَّرَهُمُ الكُفَّارُ باستِحلَالِه؛ فنزَلَ[٢]: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ المُحرَّمِ ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾: بَدَلُ اشتِمَالٍ[٣] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عَظِيمٌ وِزرًا[٤]، مُبْتَدأٌ وخَبَرٌ، ﴿وَصَدٌّ﴾: مُبْتَدَأٌ[٥]: مَنْعٌ لِلنَّاسِ ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دِينِهِ ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾: باللهِ ﴿وَ﴾ صَدٌّ عَنِ[٦] ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مَكَّةَ ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وهُمُ النَّبِيُّ ﷺ والمُؤمِنُونَ، وخَبَرُ المُبتَدَإِ[٧]: ﴿أَكْبَرُ﴾: أعْظَمُ وِزْرًا ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ مِنَ القِتَالِ فيه ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾: الشِّركُ منكُم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكُم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أيُّها المُؤمِنُونَ ﴿حَتَّىٰ﴾: كَي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ إلى الكُفْرِ ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصَّالحَةُ ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتِدَادَ بِها ولا ثَوابَ عَليها- والتَّقْيِيدُ بِالموتِ عليه يُفِيدُ أنَّه لو رَجَعَ إلى الإِسلَامِ لَمْ يَبْطُلْ عَمَلُه؛ فيُثَابُ عليه، ولا يُعِيدُه؛ كَالحَجِّ مَثَلًا. وعليه الشَّافِعيُّ- ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَلَمَّا ظَنَّ السَّرِيَّةُ أنَّهم إنْ سَلِمُوا مِنَ الإثْمِ فلا يَحصُلُ لهم أجْرٌ؛ نَزَلَ[٨]:

[٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: فَارَقُوا أوطَانَهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لِإِعلَاءِ دِينِه ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾: ثَوَابَه[٩] ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

[٢١٩] ﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾: القِمَارِ، ما حُكمُهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تَعَاطِيهِما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: عَظِيمٌ. وفي قِرَاءَةٍ: بالمُثَلَّثَةِ[١٠]؛ لِمَا يَحصُلُ بِسَبَبِهِما مِنَ المُخَاصَمةِ والمُشَاتَمَةِ وَقَوْلِ الفُحْشِ ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ بِاللَّذَّةِ والفَرَحِ في الخَمْرِ، وإِصَابَةِ المَالِ بِلا كَدٍّ في المَيْسِرِ ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ أي: مَا يَنشَأُ عنهُما مِنَ المَفَاسِدِ ﴿أَكْبَرُ﴾: أعظَمُ ﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾. ولَمَّا نَزَلَتْ شَرِبَها قَوْمٌ، وامتَنَعَ عنها آخَرُونَ، إلى أنْ حَرَّمَتْها آيَةُ «المَائِدَةِ»[*]. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: مَا قَدْرُه؟ ﴿قُلِ﴾: أنفِقُوا ﴿الْعَفْوَ﴾ أي: الفَاضِلَ عَنِ الحَاجَةِ، ولا تُنفِقُوا ما تَحتَاجُونَ إليه وتُضَيِّعُوا أنفُسَكُم. وفي قِرَاءَةٍ: بِالرَّفعِ[١١] بِتَقدِيرِ: «هُوَ» ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي[١٢]: كَما بَيَّنَ لكُم مَا ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[*].

---

[*] **مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢١٩)**: أخرَجَ أبو دَاودَ عَن عُمرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قالَ: لَمَّا نَزَلَ تَحرِيمُ الخَمْرِ، قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا في الخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي في البَقَرَةِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. أبو دَاودَ - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صَحِيحُ سُنَنِ أبي دَاودَ (٣١١٧)، وسيأتي الحديثُ بِتَمامِه في سُورةِ المائدةِ الآية (٩١).

---

(١) لم تكُنْ سَرِيَّةُ عَبدِ الله بنِ جَحشٍ أُولَى السَّرَايا؛ بل كانت خَامِسَتَها وثَامِنةَ التَّحرُّكَاتِ العَسكَرِيَّةِ، وقدْ ذَكَرَ أهلُ السِّيَرِ أنَّهم قَتَلُوا ابنَ الحَضرَمِيِّ في آخِرِ يومٍ مِنْ رَجَبٍ، والتبسَ عليهم بأوَّلِ يومٍ مِنْ شَعبَانَ.

(٢) أخرجَ نحوَه البيهقيُّ في السُّننِ الكبرى (٩/ ١٢)، وفي دلائلِ النُّبوَّةِ (٣/ ١٧) مِنْ حَدِيثِ عُروةَ بنِ الزُّبيرِ، وهو مُرسَلٌ. وأخرجَه أبو نُعَيم في مَعرفةِ الصحابة (٥/ ٢٧٢٩ رقم ٦٥١٣) مِنْ حَدِيثِ ابنِ عبَّاسٍ، بإسنادٍ ضعيفٍ، كما ذكرَ في الاستيعاب (١/ ١٤٥)، وأخرجَه ابنُ جريرٍ في تفسيرِه (٢/ ٢٠٤) عَنْ قَتادَةَ مُرسَلًا، وذكرَه السيوطيُّ في الدُّرِّ المنثورِ (١/ ٦٠٢).

(٣) أي: مِنَ الشَّهرِ؛ إذ هو مُشتَمِلٌ على القِتَالِ لِوُقُوعِه فيه.

(٤) أي: إنْ كانَ عَمدًا، فإنْ كانَ خَطأً كفِعْلِ السَّرِيَّةِ؛ فلا إثْمَ فيه.

(٥) أي: مع ما عُطِفَ عليه، وجُملتُها أربعةٌ فأخبرَ عنها بقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾؛ لأنَّه أفعلُ تفضِيلٍ، وهو يستوي فيه الوَاحِدُ والأكثرُ، إذا كان مُجرَّدًا مِنْ «أل» والإضَافَةِ.

(٦) إشَارةٌ إلى أنَّ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ معطُوفٌ على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(٧) أي: وما عُطِفَ عليه -كما سَبَقَ-.

(٨) أخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ في تَفسِيرِه (٢٠٤٠) عَنْ جُندُبِ بْنِ عَبدِ الله، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ رَهطًا، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبدَ الله بْنَ جَحْشٍ، فَقَالَ بَعْضُ المُشْرِكِينَ [هكذا]: إنْ لَمْ يَكُونُوا أصَابُوا وِزرًا فَلَيْسَ لَهُمْ أجْرٌ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وحسَّنه ابنُ حَجَر في العُجَابِ (١/ ٥٣٨)، وأخرجَه بنحوه ابنُ إسحاقَ في السِّيرة (٢/ ٢٣٩، ٢٤٠) من طريق عُروةَ بنِ الزُّبير مُرسَلًا، والبيهقيُّ في دلائلِ النُّبُوَّةِ (٣/ ١٨)، والطبريُّ في تَفسِيرِه (٢/ ٢٠٧). وضَعَّفه في الاستيعابِ لإرساله (١/ ١٥٤).

(٩) الثوابُ الحَاصلُ هو مُقتَضَى رحمة الله، وفي الآيةِ إشارةٌ إلى أنَّ إتيانَ العَبدِ بهذه الأعمالِ العَظِيمةِ وغيرِها، لا يَنبَغِي أن يُعتَمَدَ عليها، ويُعَوَّلَ عليها؛ بل يَرجُو رَحمةَ ربِّه بِقَبُولِ أعمالِه، ومَغفِرَتِه ذنوبَه، وسترِه عيوبَه.

(١٠) أي: كَثِيرٌ، وهي قراءةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ.

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وقراءةُ الرَّفع). وهي: لأبي عَمرٍو؛ أي: خبرٌ لمحذُوفٍ تقديرُه: هو.

(١٢) كلمة: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ
خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ
ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ
﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ
خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ
أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ
بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾
وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي
ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ
مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ
﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ
لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ
وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

[٢٢٠] ﴿فِي﴾ أمرِ ﴿ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فتأخُذُونَ بالأصلَحِ لكُم فيهما ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ وما يَلقَونَه مِنَ الحَرَجِ في شَأنِهم؛ فإنْ وَاكَلُوهُمْ يَأثَمُوا، وإنْ عَزَلُوا مَالَهم مِنْ أموالِهم وَصَنَعُوا لهم طَعَامًا وَحدَهُم فَحَرَجٌ؟ ﴿قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ﴾ في أموالِهم؛ بِتَنمِيَتِها ومُدَاخَلَتِكُم ﴿خَيۡرٞ﴾ مِن تَرْكِ ذلك ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ﴾ أي: تَخلِطُوا نَفَقَتَكُم بِنَفَقَتِهم ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ أي: فَهُم إِخوَانُكُمْ في الدِّينِ، ومِنْ شَأنِ الأخِ أنْ يُخالِطَ أخَاه؛ أي: فلكُم ذَلِكَ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ﴾ لِأموالِهم بِمُخَالَطَتِه ﴿مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ بها؛ فيُجَازِي كُلًّا منهما ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡ﴾: لَضَيَّقَ عليكم بِتَحرِيمِ المُخَالَطَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ على أمرِهِ ﴿حَكِيمٞ﴾ في صُنْعِه[*].

[٢٢١] ﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾: تَتَزَوَّجُوا، أيُّها المُسلِمُونَ ﴿ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ أي: الكَافِرَاتِ ﴿حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ﴾ حُرَّةٍ؛ لِأَنَّ سَبَبَ نُزُولِها العَيبُ(١) على مَنْ تَزوَّجَ(٢) أَمَةً، وتَرغِيبُه في نِكَاحِ حُرَّةٍ مُشرِكَةٍ ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾ لِجَمَالِها ومَالِها، وهذا مَخصُوصٌ بِغَيرِ الكِتَابِيَّاتِ بِآيَةِ ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾(٣) ﴿وَلَا تُنكِحُواْ﴾: تُزَوِّجُوا ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: الكُفَّارَ المُؤمِنَاتِ ﴿حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾ لِمَالِه وجَمَالِه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: أهلُ الشِّرْكِ ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بِدُعَائِهم إلى العَمَلِ المُوجِبِ لها فلا تَلِيقُ مُنَاكَحَتُهُم ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ﴾ على لِسَانِ رُسُلِه ﴿إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ أي: العَمَلِ المُوجِبِ لهما ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بِإِرَادَتِه(٤)؛ فَتَجِبُ إِجَابَتُه بِتَزوِيجِ أولِيَائِه ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ.

[٢٢٢] ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ﴾ أي: الحَيضِ أو مَكَانِه: مَاذَا يُفعَلُ بالنِّسَاءِ فيه؟ ﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾: قَذَرٌ أو مَحَلُّه ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾: اترُكُوا وَطأَهُنَّ ﴿فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ أي: وَقتِه أو مَكَانِه(٥)، ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾ بِالجِمَاعِ ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ بِسُكُونِ الطَّاءِ، وتَشدِيدِها والهَاءِ، وفيه إدغَامُ التَّاءِ في الأَصْلِ في الطَّاءِ(٦)؛ أي: يَغتَسِلْنَ بَعدَ انقِطَاعِه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ﴾ لِلجِمَاعِ ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بِتَجَنُّبِه في الحَيضِ؛ وهُوَ: القُبُلُ، ولا تَعْدُوهُ إلى غَيرِه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾: يُثِيبُ ويُكرِمُ(٧) ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ مِنَ الأَقذَارِ(٨)[**].

[٢٢٣] ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ أي: مَحَلُّ زَرْعِكُم الوَلَدَ ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ﴾ أي: مَحَلَّهُ؛ وهو: القُبُلُ ﴿أَنَّىٰ﴾: كيفَ ﴿شِئۡتُمۡ﴾ مِنْ قِيَامٍ وقُعُودٍ واضطِجَاعٍ وإِقبَالٍ وإِدبَارٍ. وَنَزَلَ رَدًّا لِقَولِ اليَهُودِ: «مَنْ أَتَى امرَأَتَه في قُبُلِها -أي: مِنْ جِهَةِ دُبُرِهَا- جَاءَ الوَلَدُ أَحْوَلَ»(٩)[***] ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ العَمَلَ الصَّالِحَ؛ كَالتَّسمِيَةِ عِندَ الجِمَاعِ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أمرِه ونَهيِه ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ بِالبَعْثِ(١٠)؛ فيُجَازِيكُم بِأَعمَالِكُم ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الذينَ اتَّقَوهُ بِالجَنَّةِ.

[٢٢٤] ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: الحَلِفَ به ﴿عُرۡضَةٗ﴾ عِلَّةً مَانِعَةً(١١) ﴿لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [أي: لِمَا حَلَفتُم عليه. سُمِّيَ بِاليَمِينِ لِمُلَابَسَتِه له. أنْ تَفعَلُوه لِـ](١٢) ﴿أَن﴾ لا ﴿تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ﴾ فتُكرَهُ اليَمِينُ

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢٢٠): أَخرَجَ أبو دَاودَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قال: لَمَّا أَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢]، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ الآيَةَ [النساء:١٠]، انطَلَقَ مَنْ كَانَ عِندَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ. أبو داود - كتاب الوصايا (١٢) باب (٧) مخالطة اليتيم في الطعام...

[**] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢٢٢): أَخرَجَ مُسلِمٌ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ المَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي البُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ...﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ اليَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ. مسلم - كتاب الحيض (٣) باب (٣) جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله.

[***] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢٢٣): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عنِ ابنِ المُنكَدِرِ قال: سَمِعتُ جَابِرًا رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: «كَانَتِ اليَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣٩).

(١) أي: التَّعيِيبُ مِنَ المسلمين. (٢) يُشِيرُ إلى ما أخرجه الواحِديُّ في أسبابِ النُّزُولِ (ص٤٥)، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الآيَةَ نَزَلَت في عبد الله بن رَوَاحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ؛ كانت عنده أَمَةٌ سَودَاءُ فأعتَقَها وتَزَوَّجَها؛ فأبوا عليه ذلك وعَابُوه؛ فأنزَلَ الله: ﴿وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ﴾. وضَعَّفَ إسنادَه في الاستيعاب (١/ ١٦٨). (٣) المائدة: ٥. (٤) الصَّحِيحُ أَنَّ تفسيرَ ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: أي: بِأمرِه، كما سَبَقَ في التعليق على الآية رقم (١٠٢). (٥) فهو مَصدَرٌ مِيمِيٌّ يَصلُحُ لِلحَدَثِ والزَّمَانِ والمَكَانِ. (٦) بِتَشدِيدِ الطَّاءِ وفَتحِها وفتحِ الهَاءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وشُعبَةَ، وقرأَ البَاقونَ بِسُكُونِ الطَّاءِ وضَمِّ الهَاءِ وتَخفِيفِها. (٧) وهذا تأوِيلٌ لِصفَةِ المحبَّةِ ببعضِ لَوازِمِها، وسَبَقَ بَيَانُ المذهبِ الحَقِّ في ذلك وإثباتِها على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبحَانَهُ-. (٨) الحِسِّيَّةِ والمَعنَوِيَّةِ.

(٩) البُخَارِيُّ (٤٥٢٨)، ومُسلِمٌ (١٤٣٥) مِن حَدِيثِ جابر. وانظر مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ. (١٠) هو لِقَاءٌ حقيقيٌّ كيفما يَشَاؤُه رَبُّنا عَزَّ وَجَلَّ. كما سبقَ بَيَانُه في التعليقِ على الآيَةِ (٤٦) من السورة.

(١١) المعنى: لا تَجعَلُوا الحَلِفَ بالله سَبَبًا مَانِعًا لكُم مِنَ البِرِّ والتَّقوَى؛ يُدعَى أحَدُكُم إلى بِرٍّ أو صِلَةِ رَحِمٍ؛ فيقولُ: قد حَلَفتُ بالله لا أفعلُه؛ فيَعتَلُّ بِيَمِينِه في تَركِ البِرِّ والإصلاحِ.

(١٢) قوله: «أي: لِمَا حلفتُم عليه، سُمِّيَ باليمينِ لِمُلابَسَتِه له، أنْ تفعلُوه لِـ» مُثبَتٌ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة. وفي الأصل وبعض النسخ: (أي: نُصُبًا لها بأنْ تُكثِرُوا الحَلِفَ به) ويكونُ المعنى وِفقًا لهذا: أي: عَرَضًا مَانِعًا مِنْ فِعلِ البِرِّ، وهذا تفسيرٌ آخر للآيَةِ؛ أي: لا تُكثِرُوا الحَلِفَ، وإنْ كنتُم بَارِّينَ مُتَّقِينَ مُصلِحِينَ؛ لِمَا فيه مِن ابتذالِ اسمِهِ -تعالَى- في كُلِّ شيءٍ، وكانَ المُنَاسِبُ أن يقولَ: «أو أن تكثِروا...» بَدَلًا مِن قوله: «بأن تُكثِروا». لكن قال قباوي (ص١١٦) مُعلِّقًا على ذلك الاختلافِ: «وفيه اضطرابٌ ومُخالفةٌ لِمَا وردَ قَبْلُ، ولِمَا سَيَرِدُ بعدُ...» والله أعلمُ بالصَّوَابِ.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا
الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ
إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي
ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا
مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا
غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

على ذلك، ويُسَنُّ فيه الحِنْثُ، ويُكفِّرُ، بخِلَافِها على فِعْلِ البرِّ ونَحوِه، فهيَ طَاعَةٌ ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المَعنَى: لا تَمتَنِعُوا مِنْ فِعْلِ ما ذُكِرَ مِنَ البرِّ ونَحوِه إذا حَلَفْتُم عليه، بَلِ ائتُوه وكَفِّرُوا؛ لِأَنَّ سَبَبَ نُزُولِها الامتِنَاعُ مِنْ ذلكَ[1] ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأَقوالِكُم ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَحوالِكُم.

[٢٢٥] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكَائِنِ ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ – وهو ما يَسبِقُ إليه اللسَانُ مِنْ غَيرِ قَصْدِ الحَلِفِ؛ نَحو: لَا واللهِ، وبَلى واللهِ؛ فلَا إِثْمَ فيه، ولا كَفَّارَةَ[*] – ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قَصَدَتْهُ مِنَ الأَيمَانِ إِذا حَنِثْتُم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِمَا كَانَ مِنَ اللغْوِ ﴿حَلِيمٌ﴾ بِتَأخِيرِ العُقُوبَةِ عَنْ مُستَحِقِّها.

[٢٢٦] ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ أي: يَحلِفُونَ أَنْ لا يُجامِعُوهُنَّ ﴿تَرَبُّصُ﴾: انتِظَارُ ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو﴾: رَجَعُوا فيها أو بَعدَها، عَنِ اليَمِينِ إِلى الوَطْءِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُم مَا أَتَوْهُ مِنْ ضَرَرِ المَرأةِ بِالحَلِفِ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: عَليهِ؛ بِأَنْ لَا يَفِيئُوا؛ فَلْيُوقِعُوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَولِهِم ﴿عَلِيمٌ﴾ بِعَزْمِهِم. المَعنَى: لَيسَ لَهُم بَعدَ تَربُّصِ مَا ذُكِرَ[2] إِلَّا الفَيئَةُ أَوِ الطَّلَاقُ.

[٢٢٨] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لِيَنتَظِرْنَ[3] ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ عَنِ النِّكَاحِ ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[**] تَمضِي مِنْ حِينِ الطَّلَاقِ، جَمعُ قَرْءٍ؛ بفَتْحِ القَافِ[4]؛ وهو: الطُّهْرُ[5]، أوِ الحَيضُ[6]، قَولَانِ. وهذا في المَدْخُولِ بِهِنَّ، أمَّا غَيرُهِنَّ؛ فلا عِدَّةَ عَلَيهِنَّ؛ بِقَولِه: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾[7]، وفي غَيرِ الآيِسَةِ والصَّغِيرَةِ: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، والحَوَامِلِ: فعِدَّتُهُنَّ ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[8] كَما في سُورَةِ «الطَّلَاقِ»، والإِمَاءُ: فعِدَّتُهُنَّ قَرْءَانِ بِالسُّنَّةِ[9]. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ مِنَ الوَلَدِ أوِ الحَيضِ ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: أَزوَاجُهُنَّ ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: بِمُرَاجَعَتِهِنَّ، ولَوْ أَبَيْنَ ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي[10]: في زَمَنِ التَّرَبُّصِ ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بينَهُما؛ لَا إِضرَارَ المَرأةِ[11]. وهو تَحرِيضٌ عَلى قَصْدِه لا شَرطٌ لِجَوازِ الرَّجعَةِ، وهذا في الطَّلَاقِ الرَّجْعِي. و﴿أَحَقُّ﴾: لَا تَفضِيلَ فيه؛ إِذْ لا حَقَّ لِغَيرِهِم مِنْ نِكَاحِهِنَّ[12] في العِدَّةِ. ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأَزوَاجِ ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ مِنَ الحُقُوقِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شَرْعًا؛ مِنْ حُسْنِ العِشْرَةِ وتَرْكِ الضِّرَارِ ونَحوِ ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: فَضِيلَةٌ في الحَقِّ؛ مِنْ وُجُوبِ طَاعَتِهِنَّ لهم لِمَا سَاقُوهُ مِنَ المَهْرِ والإِنفَاقِ ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في مُلْكِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دَبَّرَهُ لِخَلْقِه.

[٢٢٩] ﴿الطَّلَاقُ﴾ أي: التَّطلِيقُ الذي يُرَاجَعُ بَعْدَهُ ﴿مَرَّتَانِ﴾ أي: اثنَتَانِ ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ أي: فعَلَيكُم إِمسَاكُهُنَّ بَعدَه؛ بِأَنْ تُرَاجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِنْ غَيرِ ضِرَارٍ ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ أي: إِرْسَالٌ لَهُنَّ ﴿بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أَيُّها الأَزوَاجُ ﴿أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ مِنَ المُهُورِ ﴿شَيْئًا﴾ إذا طَلَّقْتُمُوهُنَّ[13] ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا﴾ أي: الزَّوجَانِ ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: لَا يَأتِيَا بِمَا حَدَّهُ لهما مِنَ الحُقُوقِ. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿يُخَافَا﴾[14] بِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ. فَـ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾: بَدَلُ اشتِمَالٍ مِنَ الضَّمِيرِ فيه. وقُرِئَ: بِالفَوقَانِيَةِ[15] في الفِعلَينِ[16] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نَفْسَها مِنَ المَالِ لِيُطَلِّقَها؛ أي: لا حَرَجَ على الزَّوجِ في أَخْذِه، ولا الزَّوجَةِ في بَذْلِهِ ﴿تِلْكَ﴾ الأَحكَامُ المَذْكُورَةُ ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٢٣٠] ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزَّوجُ بَعدَ الثِّنْتَيْنِ ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ﴾ أي: بَعدِ الطَّلقَةِ الثَّالِثَةِ ﴿حَتَّى تَنكِحَ﴾: تَتزَوَّجَ ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويَطَأَهَا؛ كَما في الحَدِيثِ. رَواه الشَّيخَانِ[17] ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي[18]: الزَّوجُ الثَّانِي ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: الزَّوجَةِ والزَّوجِ الأَوَّلِ ﴿أَن يَتَرَاجَعَا﴾ إِلى النِّكَاحِ بَعدَ انقِضَاءِ العِدَّةِ ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ﴾ المَذْكُورَاتُ ﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يَتَدَبَّرُون.

---

[*] **مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢٢٥)**: أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قالت: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾: أُنزِلَتْ في قَولِه: لَا واللهِ، وبَلَى واللهِ. البخاري – كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٤).

[**] **مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢٢٨)**: أخرَجَ أبو دَاودَ: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، أَنَّهَا: «طُلِّقَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُطَلَّقَةِ عِدَّةٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ طُلِّقَتْ أَسْمَاءُ بِالْعِدَّةِ لِلطَّلَاقِ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ أُنْزِلَتْ فِيهَا الْعِدَّةُ لِلْمُطَلَّقَاتِ». أبو داود – كتاب الطلاق (٧) باب (٣٦) (في عِدَّةِ المُطَلَّقَةِ) حسن. صَحِيحُ سُنَنِ أبي دَاودَ (١٩٩٦).

---

(١) ذكر البَغَوِيُّ في معالمِ التنزيل (١/ ٢٦٢)، والواحديُّ في الوسيط (١/ ٣٣٠) عن ابن جريج؛ قال: نَزَلَت في أبي بكرٍ حِينَ حَلَفَ: لا ينفقُ على مِسطَحٍ؛ حِينَ خَاضَ في حَدِيثِ الإِفْكِ.

(٢) أي: الأربعة أشهر. (٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ينتَظِرْنَ).

(٤) إِنَّما ضَبطَه المُفسِّرُ بِالفَتحِ فقط مَعَ أنَّه يَصِحُّ فيه الوَجهَانِ؛ بالضَّمِّ والفَتحِ؛ لأجلِ جَمْعِه في الآيةِ على «قُرُوءٍ»؛ فمُفردُها: «قَرء»، أمَّا «قُرء» فجمعُها «أقراء».

(٥) وهو مذهبُ الجمهورِ.

(٦) وهو مذهبُ أبي حنيفةَ وأحمد في روايةٍ، وهو الرَّاجحُ بأدِلَّةٍ كَثيرةٍ جَمعَها ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٢٢٥).

(٧) الأحزاب: ٤٩. (٨) الطلاق: ٤. (٩) سيأتي تخريجُه عند تفسير الآية: ٢٣٤ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ. (١٠) كلمة: (أي) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة. (١١) فتَحرُمُ الرَّجعَةُ إذْ ذاك.

(١٢) صَوابُه أنْ يَقولَ: فلا حَقَّ لِغَيرِهم في رَدِّهنَّ ورَجْعَتِهِنَّ، كَما عبَّر به غيرُه.

(١٣) أي: وأمَّا إن كانَت في عِصمتِه ووهبَت له صَدَاقَها أو بَعْضَه فلا بأسَ بذلك. (١٤) لِحَمزةَ. (١٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بالفوقيَّة). (١٦) وهي قِراءَةٌ شَاذَّةٌ.

(١٧) البُخاريُّ (٢٦٣٩)، ومسلمٌ (١٤٣٣) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا. (١٨) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة، والجمل.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

الحزب ٤

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قَارَبْنَ انقِضاءَ عِدَّتِهِنَّ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بِأَنْ تُراجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِنْ غَيرِ ضِرَارٍ ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتْرُكُوهُنَّ حتَّى تَنقَضِيَ عِدَّتُهنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرَّجْعَةِ ﴿ضِرَارًا﴾: مَفعُولٌ لِأَجْلِه ﴿لِّتَعْتَدُوا۟﴾ عَليهِنَّ بالإِلجاءِ إلى الافتِدَاءِ، والتَّطلِيقِ(١)، وتَطوِيلِ الحَبْسِ(٢) ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بِتَعرِيضِها إلى عَذَابِ الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ [هُزُؤًا]﴾(٣): مَهْزُوءًا بِها بِمُخَالَفَتِها(٤) ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإِسلَام ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: مَا فيه مِنَ الأَحكَامِ ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ بِأَنْ تَشكُرُوها بِالعَمَلِ به ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولا يَخفَى عليه شَيءٌ.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقَضَتْ عِدَّتُهنَّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خِطَابٌ لِلأَولِيَاءِ؛ أَي: تَمنَعُوهُنَّ مِنْ ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ المُطَلِّقِينَ لَهُنَّ؛ لِأَنَّ سَبَبَ نُزُولِها: أَنَّ أُخْتَ مَعقِلِ ابنِ يَسَارٍ طَلَّقَها زَوجُها، فأَرَادَ أَنْ يُرَاجِعَها؛ فمَنَعَها مَعقِلُ بنُ يَسَارٍ(٥)؛ كما رَوَاه الحَاكِمُ(٦)[*] ﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟﴾ أَي: الأَزوَاجُ والنِّسَاءُ ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شَرْعًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنِ العَضْلِ ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لِأَنَّه المنتَفِعُ به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أَي: تَرْكُ العَضْلِ ﴿أَزْكَىٰ﴾: خَيرٌ ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكُم و[لَهُنَّ](٧)، لِمَا يُخشَى على الزَّوجَينِ مِنَ الرِّيبَةِ بِسَبَبِ العَلَاقَةِ بينَهما ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلَحَةُ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ فاتَّبِعُوا أَمْرَهُ.

[٢٣٣] ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ أَي: لِيُرْضِعْنَ ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾: عَامَينِ ﴿كَامِلَيْنِ﴾: صِفَةٌ مُؤَكِّدَةٌ(٨)، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ ولَا زِيَادَةَ عَلَيهِ ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أَي: الأَبِ ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: إِطْعَامُ الوَالِدَاتِ ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ عَلَى الإِرْضَاعِ إذا كُنَّ مُطَلَّقَاتٍ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بِقَدْرِ طَاقَتِه ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طَاقَتَها ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ أَي: بِسَبَبِه؛ بِأَنْ تُكْرَه على إِرْضَاعِه إِذا امتَنَعَتْ ﴿وَلَا﴾ يُضَارَّ ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ بِسَبَبِه؛ بِأَنْ يُكَلَّفَ فَوقَ طَاقَتِه. وإِضَافَةُ الوَلَدِ إلى كُلٍّ منهما في المَوْضِعَينِ لِلاستِعْطَافِ(٩) ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ أَي: وَارِثِ الأَبِ؛ وهو: الصَّبِيُّ؛ أَي: على وَلِيِّه في مَالِه(١٠) ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ الذي عَلى الأَبِ لِلوَالِدَةِ مِنَ الرِّزْقِ والكِسْوَةِ ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أَي: الوَالِدَانِ ﴿فِصَالًا﴾ فِطَامًا له قَبْلَ الحَوْلَينِ، صَادِرًا ﴿عَن تَرَاضٍ﴾ اتِّفَاقٍ ﴿مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما؛ لِتَظهَرَ مَصلَحَةُ الصَّبِيِّ فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾ - خِطَابٌ للآبَاءِ- ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ مَرَاضِعَ غَيرَ الوَالِدَاتِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إِليهِنَّ ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أَي: أَرَدْتُم إِيتَاءَه لَهُنَّ مِنَ الأُجْرَةِ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بِالجَمِيلِ؛ كَطِيبِ النَّفْسِ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا يَخفَى عليه شَيءٌ منه.

---

[*] **مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢٣٢):** أَخرَجَ البُخَارِيُّ عنِ الحَسَنِ، قالَ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ، قَالَ: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ، فَطَلَّقْتَهَا، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا، لَا واللهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا. وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ المَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ. فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، فَقُلْتُ: الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «فَزَوِّجْهَا إِيَّاهُ». البُخَارِيُّ - كتاب الطلاق (٢٧)، باب (٧٥) نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث.

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أو التَّطلِيقِ).

(٢) أي: العِدَّةِ.

(٣) قَرأَ حفصٌ بإِبدَالِ الهَمزةِ وَاوًا، مَع ضَمِّ الزَّايِ؛ ﴿هُزُوًا﴾، وبَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِضَمِّ الهَمزةِ، ﴿هُزُؤًا﴾، وسَكَّن حَمزةُ الزَّايَ، والبَاقُونَ بِضَمِّها، ويَقِفُ حَمزةُ بِنَقلٍ وإِبدَالٍ وَاوًا، مع سُكونِ الزَّايِ.

(٤) أَطلَقَ الاستِهزَاءَ وأَرادَ المُخَالفةَ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مَعقِلٌ)، دُونَ (بنُ يَسارٍ).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٥٢٩)، والحاكم (٢/ ٢٨٠).

(٧) في الأصل: (لهم)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، وهو الصَّوَابُ.

(٨) وفَائِدتُها اعتبَارُ الحَولَينِ مِنْ غَيرِ نَقصٍ.

(٩) وتنبيهٌ على أنّه حَقِيقٌ بِأَنْ يَتَّفِقَا على استصلَاحِه والإِشفَاقِ عليه؛ فلا يَنبَغِي أَنْ يُضِرَّا به أو يَتَضَارَّا بِسببِه.

(١٠) أي: في مَالِ الوَارثِ، الذي هو: الصَّبِيُّ.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى
الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ
فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ
أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

[٢٣٤] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾: يَمُوتُونَ ﴿مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾: يَتْرُكُونَ ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لِيَتَرَبَّصْنَ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بَعْدَهُمْ عَنِ النِّكَاحِ ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ مِنَ اللَّيَالِي- وهذا في غَيرِ الحَوامِلِ، أمَّا الحَوامِلُ: فعِدَّتُهنَّ: ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بِآيَةِ الطَّلَاقِ، وَالأَمَةُ على النِّصفِ مِنْ ذلك بِالسُّنَّةِ(١)- ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقَضَتْ مُدَّةُ تَرَبُّصِهِنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّها الأَولِيَاءُ ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ مِنَ التَّزَيُّنِ والتَّعرُّضِ لِلْخُطَّابِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شَرْعًا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عَالِمٌ بباطِنِه كظَاهِرِه.

[٢٣٥] ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم﴾: لَوَّحْتُمْ ﴿بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المُتَوَفَّى عَنهُنَّ أزوَاجُهُنَّ في العِدَّةِ- كَقَولِ الإِنسَانِ -مَثَلًا-: إِنَّك لَجَمِيلَةٌ، وَمَنْ يَجِدُ مِثلَكِ؟ وَرُبَّ رَاغِبٍ فِيكِ- ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾: أَضْمَرْتُم ﴿فِي أَنفُسِكُمْ﴾ مِنْ قَصْدِ نِكَاحِهِنَّ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بِالخِطْبَةِ ولا تَصبِرُونَ عَنهنَّ؛ فأَبَاحَ لَكُم التَّعْرِيضَ ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نِكَاحًا ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: ما عُرِفَ شَرْعًا مِنَ التَّعْرِيضِ، فلَكُم ذَلكَ ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: عَلى عَقْدِهِ ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المَكتُوبُ مِنَ العِدَّةِ ﴿أَجَلَهُ﴾ بأَنْ يَنتَهِيَ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ مِنَ العَزْمِ وغَيرِه ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ أَنْ يُعَاقِبَكُم إِذَا عَزَمْتُم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَنْ يَحْذَرُه ﴿حَلِيمٌ﴾ بتَأخِيرِ العُقُوبَةِ عَنْ مُستَحِقِّها.

[٢٣٦] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾- وفي قِرَاءَةٍ(٢): ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾- أي: تُجَامِعُوهُنَّ ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مَهْرًا. و﴿مَا﴾: مَصدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ؛ أي: لا تَبِعَةَ عَليكُم في الطَّلَاقِ زَمَنَ عَدَمِ المَسِيسِ والفَرْضِ بإِثْمٍ ولا مَهْرٍ، فَطَلِّقُوهُنَّ ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أَعْطُوهُنَّ مَا يَتَمَتَّعْنَ به ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾: الغَنِيِّ مِنكُم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾: الضَّيِّقِ الرِّزْقِ ﴿قَدَرُهُ﴾ يُفِيدُ أنَّه لا نَظرَ إلى قَدرِ الزَّوجَةِ ﴿مَتَاعًا﴾: تَمتِيعًا ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شَرْعًا: صِفَةُ ﴿مَتَاعًا﴾ ﴿حَقًّا﴾: صِفَةٌ ثَانِيةٌ، أو مَصْدَرٌ مُؤكِّدٌ ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: المُطِيعِينَ.

[٢٣٧] ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يَجِبُ لَهنَّ، ويَرجِعُ لَكُم النِّصفُ ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ أي: الزَّوجَاتُ؛ فَيَترُكْنَهُ ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الزَّوجُ؛ فيَترُكَ لها الكُلَّ. وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: الوَلِيُّ، إذا كَانَت مَحجُورَةً(٣)؛ فلا حَرَجَ في ذلك(٤) ﴿وَأَن تَعْفُوا﴾: مُبتَدأٌ، خبَرُه: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أَنْ يَتَفَضَّلَ بَعضُكُم على بَعضٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجَازِيكُم به.

(١) أي: عِدَّةُ الأَمَةِ المُطَلَّقَةِ؛ كما في حديثِ عَائِشةَ مَرفُوعًا: «طَلَاقُ الأَمَةِ تَطلِيقَتَانِ وَعِدَّتُها حَيْضَتَانِ». رواه الترمذيُّ (١١٨٢) وضَعَّفه، وأبو داودَ (٢١٨٩)، وابنُ ماجه (٢٠٨٠)، وضعَّفه الألبانيُّ في ضعيف سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (١١٩٩). ورواه الدارقطنيُّ عن عُمرَ مَوقوفًا ومرفُوعًا، وصَحَّح الموقوفَ، كما في التلخيصِ الحبيرِ (٢/ ٢١٣)، ورواه البيهقيُّ عنه بلفظ: «عِدَّةُ الأَمَةِ إذا لَم تَحِضْ شَهرَينِ كَعِدَّتِها إذا حَاضَت حَيضتَينِ» وصَحَّحَه الألبانيُّ في إرواء الغليل (٧/ ١٥٠).

(٢) لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ.

(٣) أي: مَجْبُورَةً.

(٤) أخرجَ البيهقيُّ في السُّننِ الكبرى (١٤٥٧٠)، والطبريُّ في تَفسِيرِه (٥٢٧٥)، وغيرهما، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قال: «...وهو أبو الجَارِيَةِ البِكرِ؛ جَعَلَ الله العَفوَ إِلَيه، لَيسَ لَها مَعَه أَمرٌ إذا طُلِّقَت، ما كانت في حَجرِه».

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ
فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا
وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ
خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ
مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ
بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن
ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

الحِزْبُ ٤

[٢٣٨] ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الخَمْسِ، بِأَدَائِهَا في أوقَاتِها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[*] هي العَصرُ أَوِ الصُّبْحُ أَوِ الظُّهرُ أو غيرُها، أقوَالٌ. وأفرَدَها بِالذِّكرِ؛ لِفَضْلِهَا ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في الصَّلَاةِ ﴿قَٰنِتِينَ﴾ قِيلَ: مُطِيعِينَ لِقَولِهِ ﷺ: «كُلُّ قُنُوتٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ»[1]. رواه أحمد وغيرُه. وقِيلَ: سَاكِتِينَ؛ لِحَدِيثِ زَيدِ بنِ أرقَمَ: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ؛ فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ»[2]. رواه الشيخَانِ.

[٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ مِنْ عَدُوٍّ أو سَيلٍ أو سَبُعٍ ﴿فَرِجَالًا﴾: جَمْعُ رَاجِلٍ؛ أي: مُشَاةً، صَلُّوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: جَمْعُ رَاكِبٍ؛ أي: كَيْفَ أَمْكَنَ؛ مُستَقبِلِي القِبْلَةِ أو غَيرِها، ويُومَأُ بِالرُّكُوعِ والسُّجُودِ ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ مِنَ الخَوفِ ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: صَلُّوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ قَبْلَ تَعلِيمِه؛ مِنْ فَرَائِضِها وحُقُوقِها، والكَافُ بِمَعنَى: مِثل، و«مَا» مَصدَرِيَّةٌ أو مَوصُولَةٌ[3].

[٢٤٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ فليُوصُوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفي قِرَاءَةٍ: بالرَّفعِ[4]؛ أَي: عَلَيهِم ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ ويُعطُوهُنَّ ﴿مَّتَٰعًا﴾: مَا يَتَمَتَّعنَ به، مِنَ النَّفَقَةِ والكِسوَةِ ﴿إِلَى﴾ تَمامِ ﴿ٱلْحَوْلِ﴾ مِنْ مَوتِهِم، الوَاجِبِ عَلَيهِنَّ تَربُّصُه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: حَالٌ؛ أَي: غَيرَ مُخرَجَاتٍ مِنْ مَسكَنِهِنَّ ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بِأَنفُسِهِنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أَولِيَاءَ المَيِّتِ ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ شَرْعًا؛ كالتَّزَيُّنِ، وتَرْكِ الإِحدَادِ، وقَطْعِ النَّفَقَةِ عَنها ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في مُلْكِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِهِ. والوَصِيَّةُ المَذكُورَةُ مَنسُوخَةٌ بِآيَةِ المِيرَاثِ، وتَرَبُّصُ الحَولِ بِآيَةِ ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ السَّابِقَةِ المُتَأَخِّرَةِ في النُّزُولِ، والسُّكنَى ثَابِتَةٌ لَها عِندَ الشَّافِعِيِّ[5].

[٢٤١] ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ يُعطَونَه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بِقَدْرِ الإِمكَانِ ﴿حَقًّا﴾ نُصِبَ بِفِعْلِه المُقَدَّرِ[6] ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ اللهَ -تَعالَى-. كَرَّرَه لِيَعُمَّ المَمْسُوسَةَ أيضًا؛ إِذِ الآيَةُ السَّابِقَةُ في غَيرِها.

[٢٤٢] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَما بَيَّنَ لكُم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تَتَدَبَّرُونَ.

[٢٤٣] ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾: استِفهَامُ تَعجِيبٍ[7] وتَشوِيقٍ[8] إلى استِماعِ ما بَعدَه؛ أي: يَنتَهِ عِلْمُكَ[9] ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: أَربَعَةٌ، أو ثَمانِيَةٌ، أو عَشرٌ، أو ثَلاثُونَ، أو أَربَعُونَ، أو سَبعُونَ أَلفًا[10] ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: مَفعُولٌ له، وهُم قَومٌ مِنْ بَنِي إِسرَائِيلَ وَقَعَ الطَّاعُونُ بِبِلَادِهِم؛ فَفَرُّوا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فَماتُوا ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ بَعدَ ثَمانِيَةِ أَيَّامٍ أو أَكثَرَ؛ بِدُعَاءِ نَبِيِّهِم «حِزْقِيل» -بِكَسْرِ المُهمَلَةِ والقَافِ وسُكُونِ الزَّايِ-؛ فَعَاشُوا دَهرًا عَلَيهِم أَثَرُ المَوتِ لا يَلبَسُونَ ثَوبًا إِلَّا عَادَ كَالكَفَنِ، واستَمَرَّتْ في أَسبَاطِهِم؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه إِحيَاءُ هَؤُلَاءِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ - هُمُ الكُفَّارُ- ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ والقَصْدُ مِنْ ذِكرِ خَبَرِ هَؤُلَاءِ تَشجِيعُ المُؤمِنِينَ عَلى القِتَالِ؛ ولِذَا عُطِفَ عليه:

[٢٤٤] ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لِإِعلَاءِ دِينِه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِأَقوَالِكُم ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَحوَالِكُم فمُجَازِيكُم.

[٢٤٥] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بِإِنفَاقِ مَالِه في سَبِيلِ اللهِ ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِأَنْ يُنفِقَهُ للهِ عَزَّوَجَلَّ[11] عَنْ طِيبِ قَلْبٍ ﴿[فَيُضَٰعِفَهُۥ]﴾ وفي قِرَاءَةٍ[12]: ﴿فَيُضَعِّفَهُ﴾ بالتَّشدِيدِ ﴿لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ مِنْ عَشرٍ إلى أَكثَرَ مِنْ سَبعِمِائَةٍ؟ -كما سَيأتِي- ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾: يُمسِكُ الرِّزقَ عَمَّنْ يَشَاءُ ابتِلَاءً ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾: يُوَسِّعُه لِمَنْ يَشَاءُ امتِحَانًا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخِرَةِ بِالبَعْثِ؛ فيُجَازِيكُم

---

[*] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٢٣٨)**: أَخرَجَ أبو دَاودَ عَنْ زَيدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي صَلَاةً أَشَدَّ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهَا، فَنَزَلَتْ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وَقَالَ: «إِنَّ قَبْلَهَا صَلَاتَيْنِ، وَبَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ» أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (٥) في وقت صلاة العصر (صحيح) صَحِيح سُنَنِ أَبِي دَاودَ (٣٩٧). وأَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ شَقِيقِ بْنِ عُقْبَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ» فَقَرَأْنَاهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ نَسَخَهَا اللهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾» فَقَالَ رَجُلٌ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ شَقِيقٍ لَهُ: هِيَ إِذَنْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَقَالَ الْبَرَاءُ: «قَدْ أَخْبَرْتُكَ كَيْفَ نَزَلَتْ، وَكَيْفَ نَسَخَهَا اللهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ». مُسلِمٌ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب (٣٦) الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر. وأَخرَجَ مُسلِمٌ عن زيدِ بنِ أَرقَمَ قال: كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ، يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ فِي الصَّلَاةِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ. مسلم - المساجد ومواضع الصلاة (٥) باب (٧) تحريم الكلام في الصلاة.

---

(١) أخرجَه أحمد بِنحوه (٣/ ٧٥)، وضَعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٢٥). (٢) البُخارِيُّ (١٢٠٠)، ومُسلِمٌ (٥٣٩). (٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مَوصُولَةٌ أو مَصدَرِيَّةٌ). (٤) لِنَافِعٍ وابنِ كثيرٍ والكِسَائِيِّ وشُعبةَ. (٥) أي: أربعةَ أشهُرٍ وعشْرًا. (٦) وتقديرُه: أُحِقُّه حقًّا. (٧) أي: إيقاعٌ لِلمخاطَبِ في العَجَبِ، ويُستفادُ مِنَ الآيةِ أنَّ المُخاطَبَ لَمْ يَسبِقْ له عِلْمٌ بتلك القِصَّةِ قَبلَ نُزولِها. وفيها إثباتُ صِفَةِ التَّعَجُّبِ لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليقُ بجلالِه. (٨) أي: إيقاعُه في الشَّوقِ؛ لأَنَّ ما سِيقَ بَعدَ الطَّلَبِ أَلَذُّ مِمَّا سِيقَ بِلَا تَعَبٍ، وعَطفُ التَّشوِيقِ عَلى التَّعجِيبِ مِنْ عَطفِ المُسبَّبِ على السَّبَبِ. (٩) فيه إشارةٌ إلى أنَّ الرؤيةَ عِلميَّةٌ، وضُمِّنَ الفِعلُ معنَى الانتهاءِ؛ لِيَصِحَّ تَعدِيَتُه بـ«إلى»؛ أي: أَلَمْ يَنتَهِ عِلمُكَ إلى كذا. (١٠) ذَكَرَ المفَسِّرُ سِتَّةَ أقوالٍ، وقد أخرجَها الطبريُّ في تفسيرِه (٤/ ٤١٤-٤٢٣)، وأخرجَها ابنُ أبي حاتم (٢٤١٣، ٢٤١٤، ٢٤١٥) وغيرُهما، عَنْ جُملَةٍ مِنَ الصَّحابةِ والتَّابِعينَ، وفي سَندِ أغلَبِها مَقالٌ، ولا يُفيدُ مَعرفةُ عَدَدِهم بالتَّفصِيلِ، ويَكفي مَعرفةُ أنَّهم كثيرٌ؛ لِأَنَّ أُلوفًا جَمعُ كَثرةٍ، ومَبدَؤُه بَعدَ العَشَرات. واختارَه الطبري (٤/ ٤٢٣). (١١) جُملةُ: عَزَّوَجَلَّ لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة. (١٢) القِراءةُ المفَسَّرةُ لِحَمزَةَ والكِسائِيِّ ونافعٍ وأبي عَمرٍو: بِرفعِ الفاءِ مَعَ التَّخفيفِ ومع إثباتِ الألِفِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ: بالتَّشديدِ مَعَ الرَّفعِ، وابنُ عامرٍ: بالتَّشديدِ مَعَ النَّصبِ، وعاصِمٌ: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بِالنَّصبِ مع التَّخفيفِ وإثباتِ الألِفِ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

بِأَعمالِكُم[*].

[٢٤٦] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾: الجَماعَةِ ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ﴾ مَوتِ ﴿مُوسَىٰٓ﴾ أي: إلى قِصَّتِهم وخَبَرِهم ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ هو شَمْوِيل: ﴿ٱبْعَثْ﴾: أَقِمْ ﴿لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ﴾ مَعَه ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تنتَظِمُ به كَلِمَتُنا ونَرجِعُ إِليه. ﴿قَالَ﴾ النَّبيُّ لهُم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بِالفَتْحِ والكَسْرِ[1] ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾؟ خَبَرُ «عَسى»، والاستفهامُ لِتَقْرِيرِ التَّوقُّعِ بها[2] ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ بِسَبْيِهِم وقَتلِهم؟ وقدْ فَعَلَ بِهِم ذلك قَومُ جالُوتَ. أي: لا مَانِعَ لنا منه مَع وُجُودِ مُقتَضِيه. قال تَعالَى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟﴾ عنه وَجَبُنُوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهُم الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهرَ مَعَ طَالُوتَ -كما سَيأتي- ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فمُجَازِيهِم. وسَأَلَ النَّبيُّ[3] ربَّه إِرسَالَ مَلِكٍ؛ فأَجَابَه إِلى إِرسَالِ طَالُوتَ.

[٢٤٧] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ﴾: كَيفَ ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لِأَنَّه لَيسَ مِنْ سِبطِ المَملَكَةِ ولا النُّبوَّةِ، وكانَ دَبَّاغًا أو رَاعِيًا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ يَستَعِينُ بها عَلى إِقَامَةِ المُلْكِ؟ ﴿قَالَ﴾ النَّبيُّ لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾: اختَارَه لِلمُلْكِ ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾: سَعَةً ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ وكان أَعْلَمَ بَنِي إِسرَائِيلَ يومَئِذٍ وأَجمَلَهُم وأَتَمَّهُم خَلْقًا ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ إِيتَاءَه لا اعتِرَاضَ عليه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فَضْلُهُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَنْ هو أَهْلٌ له.

[٢٤٨] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لَمَّا طَلَبُوا منه آيةً على مُلْكِه: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾: الصُّندُوقُ، كان فيه صُوَرُ الأَنبياءِ[4]، أَنزَلَه على آدمَ واستَمَرَّ إِليهم؛ فغَلَبَهُم العَمالِقَةُ عليه وأَخَذُوه، وكانُوا يَستَفتِحُونَ به على عَدُوِّهِم، ويُقَدِّمُونَه في القِتَالِ، ويَسكُنُونَ إِليه[5]؛ كما قَالَ تَعالَى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾: طُمَأنِينَةٌ لِقُلُوبِكُم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ أي: تَرَكَاه هُما. وهِي نَعْلا[6] مُوسَى وعَصَاهُ وعِمَامَةُ هَارُونَ، وقَفِيزٌ مِنَ المَنِّ الذي كان يَنزِلُ عَليهم، ورُضَاضٌ[7] مِنَ الأَلْوَاحِ ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: حَالٌ مِنْ فَاعِلِ ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ﴾ على مُلْكِه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فحَمَلَتْهُ المَلائِكَةُ بَينَ السَّماءِ والأَرضِ، وهم يَنظُرُونَ إِليه، حتَّى وَضَعَتْهُ عِندَ طَالُوتَ؛ فأَقَرُّوا بِمُلْكِه وتَسارَعُوا إِلى الجِهَادِ؛ فاختَارَ مِنْ شَبابِهِم[8] سَبْعِينَ أَلفًا.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ أحمَدُ عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، و﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَائِطِي الَّذِي بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، وَاللهِ لَوِ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُسِرَّهَا لَمْ أُعْلِنْهَا. فَقَالَ: «اجْعَلْهُ فِي فُقَرَاءِ أَهْلِكَ» أحمد - المسند (٣/ ١٤١) وأصلُه في الصَّحِيحَينِ مُطَوَّلًا، وسيأتي في سُورةِ آلِ عِمرانَ، الآيَة (٩٢)، وانظر روايةَ الترمذيِّ عند الآية (١١) مِن سُورةِ الحَدِيد.

---

(١) أي: بِفَتحِ السِّينِ وكَسرِها، والكَسرُ قِراءةُ نافعٍ.

(٢) والمعنَى: أترَقَّبُ منكم عدَمَ القِيامِ بالقتالِ. حَاشيةُ الصَّاوي (١/ ١٥٣).

(٣) أي: النَّبيُّ المذكُورُ في الآيَةِ السَّابقَةِ.

(٤) لَم يَثبُتْ في ذلك شيءٌ صَحِيحٌ يُعوَّلُ عليه، بَلِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ عنه ﷺ تَدُلُّ على خِلافِه.

(٥) الكلامُ عَنِ التَّابُوتِ وهَيئتِه وتوارُثِه... إلخ لَم يَثبُتْ فيه شَيءٌ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، وإنَّما هذه مِنْ أَخبارِ بَني إسرائيلَ، التي نَقَلَها إلينا مُسلِمَةُ أَهلِ الكِتَابِ، وحَمَلَها عنهم بعضُ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ، ومَرجِعُها إلى وَهبِ بنِ مُنَبِّه، وكَعبِ الأَحبارِ، وأَمثالِهما، والإسرائيليَّاتُ على ثَلاثةِ أَقسامٍ: الأَوَّلُ: مَا عُلِمَ صِحَّتُه بالنَّقلِ الصَّحِيحِ، أو كانَ له شَاهِدٌ مِنَ الشَّرعِ يُؤَيِّدُه؛ فهذا صَحِيحٌ مَقبُولٌ. الثاني: ما عُلِمَ كَذِبُه مِنْ شَرعِنا، أو كانَ لا يَتَّفِقُ مَع العَقلِ؛ فهذا لا يَصِحُّ قَبُولُه ولا رِوايتُه. الثالث: ما سُكِتَ عنه؛ لا هُو من قَبِيلِ الأَوَّلِ، ولا قَبِيلِ الثاني؛ فهذا نَتوقَّفُ فيه لا نُكَذِّبُه ولا نُصَدِّقُه. قَالَ الإمامُ ابنُ جرير الطبريُّ (٥/ ٣٣٤): «وَأَوْلَى الأَقوالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخبَرَ عَنِ التَّابُوتِ الَّذِي جَعَلَهُ آيَةً لِصِدْقِ قَوْلِ نَبِيِّهِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، الذي قَالَ لِأُمَّتِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ أَنَّ فِيهِ سَكِينَةً مِنْهُ، وَبَقِيَّةً مِمَّا تَرَكَهُ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ تِلْكَ البَقِيَّةُ: العَصَا، وَكِسَرَ الأَلْوَاحِ، وَالتَّوْرَاةَ، أَوْ بَعْضَهَا وَالنَّعْلَيْنِ، وَالثِّيَابَ، وَالجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضَ ذَلِكَ. وَذَلِكَ أَمْرٌ لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ مِنْ جِهَةِ الاسْتِخْرَاجِ، وَلَا اللُّغَةِ، وَلَا يُدْرَكُ عِلْمُ ذَلِكَ إِلَّا بِخَبَرٍ يُوجِبُ عَنْهُ العِلْمَ، وَلَا خَبَرَ عِنْدَ أَهْلِ الإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ لِلصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْنَا. وَإِذْ كَانَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ فِيهِ تَصْوِيبُ قَوْلٍ وَتَضْعِيفُ آخَرَ غَيْرِهِ، إِذْ كَانَ جَائِزًا فِيهِ مَا قُلْنَا مِنَ القَوْلِ».

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهو نعلا)، وفي نسخة حاشية الجمل: (وهي نَعل).

(٧) رُضَاض؛ بِضَمِّ الرَّاءِ: أي: فُتَات؛ أي: كِسَرٌ صغيرة من الألواحِ. والأثرُ أخرجَه الطَّبَرِيُّ (٤/ ٤٧٣)، وابنُ أبي حاتمٍ (٢٤٨٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، فِي هَذِهِ الآيَةِ: قَالَ: «عَصَا مُوسَى، وَرُضَاضُ الأَلوَاحِ».

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (شُبَّانِهم).

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾: خَرَجَ ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ مِنْ بَيتِ المقْدِسِ، وكانَ حَرًّا شَدِيدًا وطَلَبُوا منه الماءَ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: مُختَبِرُكُم ﴿بِنَهَرٍ﴾ لِيَظهَرَ المُطِيعُ مِنكُم والعَاصِي. وهو: بَينَ الأُرْدُنِّ وفَلسطِين(١) ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: مِنْ مَائِه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: مِنْ أَتباعِي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: يَذُقْهُ ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ [غَرْفَةً]﴾ بِالفَتْحِ والضَمِّ(٢) ﴿بِيَدِهِ﴾ فَاكتَفَى بها ولَمْ يَزِدْ عليها؛ فإِنَّه مِنِّي ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لَمَّا وَافَوْهُ، بِكَثْرَةٍ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فَاقتَصَرُوا على الغَرْفَةِ. رُوِيَ أَنَّها كَفَتْهُم لِشُرْبِهم ودَوَابِّهم، وكانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وبِضعَةَ عشَرَ رَجُلًا[*] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهُمُ الذينَ اقتَصَرُوا على الغَرفَةِ ﴿قَالُوا﴾ أي: الذِينَ شَرِبُوا(٣): ﴿لَا طَاقَةَ﴾: قُوَّةَ ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: بِقِتَالِهم. وجَبُنُوا ولَمْ يُجاوِزُوهُ ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يُوقِنُونَ ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ﴾ بِالبَعْثِ(٤)، وهُمُ الذِينَ جاوَزُوهُ: ﴿كَم﴾: خَبَرِيَّةٌ؛ بِمعنَى: كَثِيرٌ ﴿مِّن فِئَةٍ﴾: جَمَاعَةٍ ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِرادَتِه(٥)! ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالعَونِ والنَّصْرِ(٦).

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظَهَرُوا لِقِتَالِهم وتَصَافُّوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أي: اصْبُبْ ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بِتَقْوِيَةِ قُلُوبِنَا على الجِهَادِ ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُم﴾: كَسَرُوهُم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِرادَتِه(٧) ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ﴾ وكانَ في عَسكَرِ طَالُوتَ ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾ أي: دَاودَ ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في بَنِي إِسرَائِيلَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: النُّبُوَّةَ بَعْدَ مَوتِ شَمْوِيلَ وطَالُوتَ، ولم يَجتَمِعَا لِأَحَدٍ قَبْلَه(٨) ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كَصَنْعَةِ الدُّرُوعِ، ومَنْطِقِ الطَّيرِ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم﴾: بَدَلُ بَعْضٍ مِنَ ﴿النَّاسَ﴾ ﴿بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بِغَلَبَةِ المُشْرِكِينَ وقَتْلِ المسلِمِينَ وتَخرِيبِ المَسَاجِدِ ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فَدَفَعَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾: هَـٰذِه الآياتُ ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾: نَقُصُّها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصِّدْقِ ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التَّأكيدُ بـ«إنَّ» وغيرِها(٩) رَدٌّ لِقَولِ الكُفَّارِ له: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾(١٠).

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخارِيُّ عن أبي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا: «أَنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ، الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ النَّهَرَ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ». قَالَ البَرَاءُ: «لَا وَاللهِ مَا جَاوَزَ مَعَهُ النَّهَرَ إِلَّا مُؤْمِنٌ». البُخارِيُّ - كتاب المغازي (٦٤) - بَابُ عِدَّةِ أصحابِ بدرٍ.

---

(١) رَوى الطَّبَرِيُّ (٤/ ٤٨٤) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾، قَالَ: «هُوَ نَهَرٌ بَيْنَ الأُرْدُنِّ، وَفِلَسْطِينَ». ورواه أيضًا ابنُ أبي حاتمٍ (٢٤٩٩) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

(٢) أي: فَتحِ الغَينِ وضَمِّها، وبِالفتحِ: مَصدرٌ لِلمرَّةِ. وبِالضَّمِّ: اسمٌ لِلماءِ المغتَرَفِ. والفَتحُ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿غُرْفَةً﴾؛ بِالضَّمِّ.

(٣) أي: العُصَاةُ، وعلى هذا التَّفسيرِ يكونُ قولُهم تَسويغًا لنُكُولِهم، وأكثرُ المفسِّرينَ على أنَّهم قَالوا هذا القولَ بَعدَمَا عَبَرُوا النَّهرَ مَعَ طَالُوتَ ورَأَوا جَالُوتَ وجُنُودَه. وبعضُ المفسِّرينَ -ومنهم المصنِّفُ- أنَّ العُصَاةَ لم يَعبُرُوا النَّهرَ، بل وَقَفُوا بساحِلِه وقَالُوا مُعتَذِرينَ عَنِ التَّخَلُّفِ مُنَادِينَ ومُسمِعِينَ لطَالُوتَ والمؤمنينَ معه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ﴾ الآيَةَ؛ ولذا قال المصنِّفُ: «... وجَبُنُوا ولَمْ يُجاوِزُوه». ويَحتَمِلُ أنْ يكونَ القائِلُون هم طَائِفَةً مِمَّنْ عَبَرُوا مَعَ طالوتَ ولم يَشرَبُوا مِنَ النَّهرِ، ولكن حَصَلَ معهم نَوعُ استضعافٍ لأنفسِهم فشَجَّعَهم على الثباتِ والإقدامِ أهلُ الإيمانِ الكَامِلِ واليَقِينِ الرَّاسِخِ.

(٤) هو لِقاءٌ حقيقيٌّ كيفما يَشاؤه ربُّنا عَزَّ وَجَلَّ. كَما سبقَ بَيَانُه في التعليقِ على الآيَةِ (٤٦) من السورة..

(٥) الصَّحِيحُ أنَّ تَفسِيرَ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: بِأَمرِه، ولَيس «بِإرادَتِه»، كما قالَ المُفسِّرُ. ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآية (١٠٢).

(٦) هذا مِن لوازِمِ مَعِيَّتِه -سُبْحَانَهُ- الخَاصَّةِ بعِبَادِه المؤمنينَ. ومَعِيَّتُه -سُبْحَانَهُ- مع خَلقِه نوعانِ؛ عامَّةٌ وخاصَّةٌ، وقَدِ اشتملَ القرآنُ على النَّوعَينِ. وحَقِيقَتُها: الصُّحبَةُ اللائقةُ، وقد أخبَرَ -سُبْحَانَهُ- أنَّه مَعَ خَلقِه، مع كونِه مُستَوِيًا على عَرشِه، وقَرَنَ بَينَ الأمرينِ في آيَةِ الحديدِ -كما سيأتي-، وكِلَاهما حَقٌّ.

(٧) يُنظَرُ التَّعليقُ السابقُ قَريبًا. ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآيَةِ (١٠٢).

(٨) في هذا نَظَرٌ؛ فقد اجتمعا لِيُوسفَ عليه السلام، وهو قَبلَه، كما قالَ تعالى على لسانِه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:١٠١].

(٩) وهو: اللامُ، والجُملةُ الاسميَّةُ الدَّالَّةُ على الثباتِ والدَّوامِ.

(١٠) سُورة الرَّعد: ٤٣.

الجزء ٣ الحزب ٥

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟
مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا
بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ
ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ
بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

[٢٥٣] ﴿۞ تِلْكَ﴾: مُبتدأٌ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾: صِفةٌ، والخبرُ: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بِتخْصيصِه بِمَنْقَبَةٍ لَيستْ لِغَيرِه ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ كَمُوسَى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي: مُحَمَّدًا ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ على غَيرِه؛ بِعُمُومِ الدَّعْوَةِ، وخَتمِ النُّبُوَّة، وتَفْضِيلِ أُمَّتِه على سَائِرِ الأُمَمِ، والمُعجِزاتِ المُتَكاثِراتِ، والخَصَائِصِ العَدِيدَةِ ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قَوَّيناهُ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جِبْرِيلَ، يَسِيرُ مَعَهُ حَيثُ سَارَ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هُدَى النَّاسِ جَمِيعًا ﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ بَعدِ الرُّسُلِ؛ أَي: أُمَمُهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ لِاختِلَافِهِم، وتَضلِيلِ بَعْضِهم بَعْضًا ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ لِمَشِيئَتِه ذلك ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾: ثَبَتَ على إِيمَانِه ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ كَالنَّصَارَى بَعدَ المَسِيحِ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾: تَأكِيدٌ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مِنْ تَوفِيقِ مَنْ شَاءَ، وخِذْلَانِ مَنْ شَاءَ.

[٢٥٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ زَكَاتَهُ ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا [بَيْعَ]﴾: فِدَاءَ ﴿فِيهِ وَلَا [خُلَّةَ]﴾: صَدَاقَةَ تَنفَعُ ﴿وَلَا [شَفَاعَةَ]﴾ بِغَيرِ إِذْنِه؛ وهو: يومُ القِيَامَةِ. وفي قِرَاءَةٍ: بِرَفْعِ الثَّلَاثَةِ[1] ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بِاللهِ، أو بِما فَرَضَ عليهم ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لِوَضْعِهِم أَمْرَ الله في غَيرِ مَحلِّه.

[٢٥٥] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي: لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ في الوُجُودِ ﴿إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾: الدَّائِمُ بِالبَقَاءِ ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: المُبالِغُ في القِيَامِ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾: نُعَاسٌ ﴿وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وخَلْقًا وعَبِيدًا ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ أي: لَا أحدَ ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ له فيها؟ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخَلْقِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: مِنْ أَمْرِ الدُّنيا والآخِرَةِ[2]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: لا يَعلَمُونَ شَيئًا مِنْ مَعلُومَاتِه ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أَنْ يُعلِمَهُم به منها؛ بِإِخْبَارِ الرُّسُلِ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قِيلَ: أَحَاطَ عِلْمُه بِهِما. وقِيلَ: مُلْكُهُ. وقِيلَ: الكُرسِيُّ نَفسُه[3] مُشتَمِلٌ عَلَيهِما لِعَظَمَتِه[4]. لِحَدِيثِ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيتْ فِي تُرْسٍ»[5] ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: يُثْقِلُه ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ فَوقَ خَلْقِه بِالقَهْرِ[6] ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: الكَبِيرُ.

[٢٥٦] ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ على الدُّخُولِ فيه ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ أي: ظَهَرَ بِالآيَاتِ البَيِّنَاتِ أَنَّ الإِيمَانَ رُشْدٌ والكُفْرَ غَيٌّ. نَزَلَتْ فِيمَنْ كانَ له مِنَ الأَنصَارِ أَولَادٌ، أَرَادَ أَنْ يُكْرِهَهُم على الإِسْلَامِ[*][7] ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: الشَّيطَانِ أَوِ الأَصْنَامِ، وهو يُطلَقُ على المُفْرَدِ والجَمعِ[8] ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾: تَمَسَّكَ ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: بِالعَقْدِ المُحكَمِ ﴿لَا ٱنفِصَامَ﴾: انقِطَاعَ ﴿لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يُقَالُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِما يُفْعَلُ.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٢٥٦): أخرجَ أبو دَاودَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قال: كَانَتِ المَرْأَةُ تَكُونُ مِقْلَاةً فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ فَقَالُوا: لَا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا، فَأَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾. المِقْلَاةُ: الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٢٦) في الأَسير يكره على الإسلام. وصَحَّحه الأَلبَانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ أبي دَاودَ (٢٣٣٣).

---

(١) والقِرَاءةُ المُفسَّرةُ بِالفتحِ مِنْ غَيرِ تنوينٍ: لابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو، وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: بِرفعِ الثلاثةِ مَعَ التنوينِ: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾.

(٢) الأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ: المُرَادُ بِـ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما يُستقبَلُ مِنْ أَمْرِ الدُّنيا والآخِرةِ، وبِـ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: مَا انقَضَى مِنْ أَمْرِ الدُّنيَا. حاشية الصَّاوي (١/ ١٦٠)..

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (بِعَينِه).

(٤) الصَّحِيحُ أَنَّ الكُرْسِيَّ مَوضِعُ القَدَمَينِ الشَّرِيفَتَينِ، كما صَحَّتْ بذلك الآثَارُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ وغَيرِه، وأَمَّا تَفسِيرُه بِالعِلْمِ فهو قَولٌ ضَعِيفٌ، ويُنسَبُ إِلى ابنِ عَبَّاسٍ، والمحفوظُ عنه ما تَقَدَّمَ.

(٥) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (٣/ ١٠) عن ابنِ زيدٍ عن أبيه مَرفوعًا به. وابنُ زيدٍ هو عُمَرُ بنُ محمَّد بن زيد بن عبد الله بن عُمَرَ بن الخطاب، وهو ثِقَةٌ مِنْ رِجَالِ الشَّيخَينِ، يَروي عنه ابنُ وهبٍ وغيرُه. وأبوه محمَّدُ بنُ زيدٍ ثِقَةٌ مِثلُه رَوَى عن العَبادِلَةِ الأَربَعَة. فالحَديثُ مُنقَطِعٌ. وجاءَ نَحوه عن أبي ذرٍّ مَرفُوعًا بِلَفظِ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلَقَةِ» وهو في الصَّحِيحة (١٠٩).

(٦) والوَاجِبُ إِثباتُ العُلوِّ لله -سُبْحَانَهُ- بِأَقسَامِه الثَّلَاثَةِ، وهي عُلُوُّه بِذَاتِه فَوقَ عَرشِه، وعُلُوُّه بِالقَهرِ والغَلَبَةِ فَوقَ خَلْقِه، وعُلُوُّ شَأنِه بِتَعَالِيه عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ والعُيُوبِ.

(٧) رُوِي عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّه: الحصين من بني سالم بن عوف، كان له ابنانِ فتنصَّرا قبلَ مَبعثِ النَّبِيِّ ﷺ، فأَحبَّ أن يُكرِهَهُما على الإسلامِ، فأَخذَهُما إلى النَّبِيِّ ﷺ فنزَلَتْ - ذكرَه ابنُ جرير في «جامع البيان» (٣/ ١٠)، وهو ضَعِيفٌ جدًّا؛ كما في الاستيعاب في بيان الأسبابِ (١/ ١٩٦). وانظر حاشيةَ أسبابِ النُّزولِ.

(٨) وقد حدَّه ابنُ القَيِّم حدًّا جامِعًا، فقال في إعلام المُوقِّعِينَ (١/ ٤٠): «وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ؛ فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مَنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ الله ورَسُولِه، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ الله، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ الله، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لله». فإذا تأمَّلتَ هذا التَّعريفَ عَرفتَ أَنَّ حُكمَ القَانونِ مِنَ الطَّاغُوتِ، وأَنَّ الحُكمَ القَانونيَّ طَاغُوتٌ؛ لأنه يَحكُمُ بِتَشرِيعٍ وَضعِيٍّ، لا يَستَنِدُ إلى القُرآنِ أَوِ السُّنَّةِ أَو إِجمَاعِ الأُمَّةِ. يُنظَر: تطهير الجَنَانِ والأركان عن دَرَنِ الشِّركِ والكُفران (ص ١٠).

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى
مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ
هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ
قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل
لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ
وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

[٢٥٧] ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾: نَاصِرُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفْرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإِيمَانِ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ذِكْرُ الإِخْرَاجِ؛ إِمَّا فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، أو في كُلِّ مَنْ آمَنَ[1] بِالنَّبِيِّ قَبْلَ بِعْثَتِهِ[2] مِنَ اليَهُودِ ثُمَّ كَفَرَ به[3] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾: جَادَلَ ﴿إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ لِـ[4] ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي: حَمَلَهُ بَطَرُهُ بِنِعْمَةِ الله على ذلك، وهو: نُمرُوذُ ﴿إِذْ﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿حَآجَّ﴾[5] ﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ﴾ -لَمَّا قَالَ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟»-: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: يَخْلُقُ الحَيَاةَ والموتَ في الأَجْسَادِ ﴿قَالَ﴾ هُو: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ بِالقَتْلِ والعَفْوِ عنه. ودَعَا بِرَجُلَينِ، فقَتَلَ أَحَدَهُما، وتَرَكَ الآخَرَ. فلَمَّا رَآهُ غَبِيًّا[6] ﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ﴾ مُنتَقِلًا إلى حُجَّةٍ أَوْضَحَ منها: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنتَ ﴿مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾: تَحَيَّرَ وَدَهِشَ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بِالكُفْرِ إلى مَحَجَّةِ الاحتِجَاجِ.

[٢٥٩] ﴿أَوْ﴾ رَأيتَ[7] ﴿كَٱلَّذِى﴾ الكَافُ: زَائِدَةٌ ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هي بَيتِ المَقْدِسِ[8]، رَاكِبًا على حِمَارٍ، ومَعه سَلَّةُ تِينٍ وقَدَحُ عَصِيرٍ؛ وهو: عُزَيرٌ[9] ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: سَاقِطَةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سُقُوفِها، لَمَّا خَرَّبَها «بُخْتَنَصَّرُ»[10] ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾: كَيفَ[11] ﴿يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ استِعظَامًا لِقُدرَتِه -تعَالَى[12]- ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ وَأَلْبَثَهُ ﴿مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾: أَحيَاهُ لِيُرِيَهُ كَيفِيَّةَ ذلك ﴿قَالَ﴾ -تَعَالَى- له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾: مَكَثْتَ هنا؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لِأَنَّهُ نَامَ أَوَّلَ النَّهَارِ؛ فقُبِضَ، وأُحيِيَ عِندَ الغُرُوبِ؛ فَظَنَّ أَنَّه يومُ النَّومِ ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾: التِّينِ ﴿وَشَرَابِكَ﴾: العَصِيرِ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يَتَغَيَّرْ مع طُولِ الزَّمَانِ. والهاءُ؛ قِيلَ: أَصلٌ مِنْ: «سَانَهْتُ»[13]، وقيلَ: لِلسَّكْتِ مِنْ: «سَانَيْتُ»[14]. وفي قِرَاءَةٍ: بِحَذْفِها[15] ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيفَ هُو؟ فرَآه مَيِّتًا وعِظَامُه بِيضٌ تَلُوحُ! فَعَلْنَا ذلك لِتَعْلَمَ، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً﴾ على البَعْثِ ﴿لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ مِنْ حِمَارِكَ ﴿كَيْفَ [نُنشِرُهَا]﴾: نُحْيِيها[16]؛ بِضَمِّ النُّونِ، وقُرِئَ: بِفَتحِها[17] مِنْ: «أَنشَرَ، ونَشَرَ» لُغَتَانِ[18]. وفي قِرَاءَةٍ: بِضَمِّها، والزَّايِ[19]: نُحَرِّكُها ونَرفَعُها[20] ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾؟ فنَظَرَ إِليه وقَدْ تَرَكَّبَتْ وكُسِيَتْ لَحمًا ونُفِخَ فيه الرُّوحُ وَنَهَقَ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ ذلك بِالْمُشَاهَدَةِ ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قِرَاءَةٍ: ﴿ٱعْلَمْ﴾[21] أَمْرٌ مِنَ الله له.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة، وحاشية الجمل: (فيمَن آمَن).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بَعثِه).

(٣) قوله: «ذِكْرُ الإِخراجِ... إلخ» جوابٌ عَنْ سُؤالٍ مُقدَّرٍ حَاصِلُه: أَنَّ الكُفَّارَ لَم يكونُوا في نُورٍ حَتَّى يُخرَجُوا منه إلى الظُّلُماتِ، فكَيفَ ذلك؟ أَجابَ المُفَسِّرُ بِجَوابَينِ: الأَوَّلُ: أَنَّه مُشَاكَلَةٌ لِمَا قَبلَه، والمُرادُ مَنْعُهم مِنْ أَصْلِ النُّورِ. والثَّاني: أَنَّه إِخْرَاجٌ حَقِيقِيٌّ، وهو في كُلِّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَبلَ مَبْعَثِه ثُمَّ ارتدَّ بعدَ ذلك.

(٤) أي: إِنَّ قولَه: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ مَفعولٌ لِأَجلِه، وهو مجرورٌ بِاللامِ لِفَقدِ أَحَدِ شُروطِه؛ وهو: عَدَمُ اتِّحادِ الفَاعِلِ؛ لأَنَّ فَاعِلَ المُحَاجَجَةِ هو نُمرُوذ، وفَاعِلَ إِيتاءِ المُلْكِ هو الله، وإِنَّما حُذِفَتِ اللَّام لِأَنَّ حَذفَها مُضطَرِدٌ مَع «أَنْ» و«إنْ». (٥) أي: بَدَلُ اشتِمالٍ.

(٦) حيثُ لَمْ يَفْهَم مَعنَى الكَلامِ؛ لأَنَّ معنَى: ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: يَخلُقُ الحَياةَ والموتَ، وما أَجابَ به اللَّعِينُ ليس فيه خَلْقٌ لهما، كما هو ظَاهِرٌ؛ ومِنْ ثَمَّ فلم يُدَقِّق عليه إبراهيمُ في ذلك وانتقلَ إلى حُجَّةٍ أُخرى أَظْهَرَ.

(٧) أَشارَ بهذا إلى أَنَّ ﴿كَٱلَّذِى﴾ مَعمُولٌ لمحذُوفٍ يَدلُّ عليه السِّياقُ، وبه قال بَعضُهم، لكن مَنْ قَالَ به يَجعلُ الكافَ اسمًا بمعنَى: «مِثلَ» لا زائدة. أَمَّا مَنْ جَعلَها زائدةً جَعَلَ مَدخُولَها مَعطُوفًا على المَوصُولِ، ولا يَكونُ في الكَلامِ حَذفُ عَامِلٍ، فلفَّقَ الشَّارحُ بينَ القَولَينِ على وَجهٍ أَوجَبَ صعوبةَ الفَهْمِ.

(٨) وقيلَ: هي القَريةُ التي خَرجَ منها الأُلوفُ حَذَرَ الموتِ. وقيلَ: غيرهما.

(٩) وهذا هو القولُ المشهورُ، وقيلَ: غير ذلك. وصحَّحَ البعضُ أَنَّه رجلٌ شَاكٌّ في البَعْثِ، كما هو ظَاهِرُ الآيةِ... ولعلَّه الأقربُ مِنْ هذه الحادثةِ والتي قبلَها، كدَليلَينِ عَظِيمَينِ على قُدرَةِ الله، وعَلى البَعْثِ، ولا فائدةَ في الانشغالِ بِتَعيِينِ ما أَبهمَه الله في كتابِه، والله أعلم.

(١٠) «بُخت»: معناه: ابن، و«نَصَّر»: اسم لِلصَّنَمِ؛ سُمِّيَ بذلك لأَنَّ أُمَّه لَمَّا وَلَدَتْه وضعَتْه عندَه، فلَمَّا وَجدُوه قالُوا: بُختَنَصَّر. أَي: ابن الصَّنَمِ، وكانَ كَافِرًا، مَلَكَ الأَرض مَشرِقًا ومَغرِبًا.

(١١) وقيل: بمعنَى: متَى. (١٢) أي: لا يَقْدِرُ على ذلك إِلَّا صَاحِبُ القُدْرةِ العَظِيمَةِ.

(١٣) أي: فهي لام الكَلِمةِ، والفِعْلُ مجزومٌ بِسكُونِ الهَاءِ، فأَصلُ سنة: سَنهة، وهي ثابتة وَصْلًا ووَقفًا.

(١٤) أي: فهي زائدةٌ، ولامُ الكلمةِ واوٌ، والفِعْلُ مجزومٌ بِحَذفِ حَرفِ العِلَّةِ، وتُثبَتُ الهَاءُ في الوَقفِ لا في الوَصلِ، وهي قراءةُ حمزةَ والكِسَائيِّ.

(١٥) أي: وَصْلًا، وظَاهِرُه أَنَّها قِراءةٌ مُستَقِلَّةٌ وليسَ كذلك؛ وإِنَّما هي بقيةُ قراءةِ حمزةَ والكِسَائِيِّ، فهي عندهما تَثبُتُ وَقْفًا وتُحذَفُ وَصْلًا.

(١٦) هذا التفسيرُ لا يَلتئِمُ مع قَولِه بعدَها: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾؛ فإِنَّ الإِحياءَ قَبلَه لا بَعدَه، ويُمكِنُ أَنْ يُرادَ بِالإِحيَاءِ جَمْعُها وضَمُّ بَعضِها إلى بَعضٍ، وهو معنَى قِراءةِ الزَّايِ المُعْجَمةِ.

(١٧) وهي قِراءةٌ شَاذَّةٌ. (١٨) لَفٌّ ونَشرٌ مُرتَّبٌ؛ أي: نُنشِرُها مِنْ أَنشَرَ، ونَنشُرُها مِنْ نَشَرَ. (١٩) وبها قرأ ابنُ عامرٍ وعَاصِمٌ وحَمزةُ والكِسَائيُّ، وبَقِيَّةُ السَّبعَةِ بالرَّاءِ.

(٢٠) أي: نَرفعُها مِنَ الأَرضِ، ونَرُدُّها إلى مَكانِها مِنَ الجَسَدِ، ونُركِّبُ بَعضَها على بَعضٍ. (٢١) لِحَمزَةَ والكِسَائِيِّ.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ
يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ
أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ
يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ
رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ
صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ
عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

ربع الحزب ٥

[٢٦٠] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ﴾ -تَعَالَى- له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بِقُدْرَتي على الإحياءِ؟ سَأَلَه مَعَ عِلْمِه بِإيمانِه بذلك؛ لِيُجِيبَه بما سَأَلَ؛ فيعْلَمَ السَّامِعُونَ غَرَضَه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنتُ ﴿وَلَٰكِن﴾ سألتُكَ ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾: يَسْكُنَ ﴿قَلْبِي﴾ بالمُعَايَنَةِ المَضمُومَةِ إلى الاستدْلَالِ ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ [فَصِرْهُنَّ] إِلَيْكَ﴾ بِكَسرِ الصَّادِ وضَمِّها(١): أَمِلْهُنَّ إِلَيكَ(٢) وقَطِّعْهُنَّ واخلِطْ لَحمَهُنَّ ورِيشَهُنَّ ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ مِنْ جِبَالِ أرضِكَ ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ إليكَ ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: سَرِيعًا ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعْجِزُه شيءٌ ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِهِ. فأَخَذَ طَاووسًا ونِسْرًا وغُرَابًا ودِيكًا(٣)، وفَعَلَ بِهِنَّ ما ذُكِرَ، وأَمسَكَ رُءوسُهُنَّ عِندَه، ودَعَاهُنَّ؛ فتطَايَرتِ الأَجْزَاءُ إلى بَعْضِها حتَّى تَكَامَلَتْ، ثُمَّ أَقبَلَتْ إلى رُءوسِها.

[٢٦١] ﴿مَّثَلُ﴾: صِفَةُ نَفَقَاتِ(٤) ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طَاعَتِه ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ فكَذلكَ نَفَقَاتُهم تُضاعَفُ لِسَبعِمِائَةِ ضِعْفٍ ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثَرَ مِنْ ذلكَ ﴿لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾(٥) فَضْلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَنْ يَستَحِقُّ المُضاعَفَةَ.

[٢٦٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾ على المُنْفَقِ عليه؛ بِقَولِهم -مَثَلًا-: «قَدْ أَحْسَنْتُ إليه وَجَبَرْتُ حَالَهُ» ﴿وَلَآ أَذًى﴾ له بِذِكْرِ ذلكَ إلى مَنْ لا يُحِبُّ وُقُوفَه عليه، ونَحوِه، ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثَوابُ إِنفَاقِهِم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرَةِ.

[٢٦٣] ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: كَلامٌ حَسَنٌ، وَرَدٌّ على السَّائِلِ جَمِيلٌ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له، في إلحاحِه ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ بِالمَنِّ، وتَعْيِيرٌ له بِالسُّؤالِ ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عَنْ صَدَقَةِ العِبَادِ ﴿حَلِيمٌ﴾ بِتَأخِيرِ العُقُوبَةِ عَنِ المَانِّ وَالمُؤْذِي.

[٢٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ أي: أُجُورَها ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ إبْطَالًا ﴿كَٱلَّذِي﴾ أي: كَإِبْطَالِ نَفَقَةِ الذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مُرائِيًا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وهو المُنافِقُ ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حَجَرٍ أَمْلَسَ ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مَطَرٌ شَدِيدٌ ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: صُلْبًا أملَسَ لا شيءَ عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ استئنافٌ(٦)، لِبَيَانِ مَثَلِ المُنافِقِ المُنْفِقِ رِئاءَ النَّاسِ(٧). وجُمِعَ الضَّمِيرُ بِاعتبَارِ مَعنى «الَّذي» ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾: عَمِلُوا. أي: لا يَجِدُونَ له ثَوابًا في الآخِرَةِ، كَما لا يُوجَدُ على الصَّفْوانِ شَيءٌ مِنَ التُّرابِ الذي كانَ عليه لإِذْهَابِ المَطَرِ له ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) بِالكَسرِ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾؛ بِالضَّمِّ.

(٢) تَفسِيرٌ لِلفِعْلِ على كلٍّ مِنَ القِراءَتَينِ، وأَمْرُه بِإمَالَتِهِنَّ إليه وتَقرِيبِهِنَّ منه؛ لِيَتحقَّقَ أَوصَافَهُنَّ، حتَّى يَعلَمَ بَعدَ الإحياءِ أنَّه لَمْ يَنتقِلْ جُزءٌ منها عَنْ مَوضِعِه الأَوَّلِ أَصلًا.

(٣) رَوى الطَّبَرِيُّ (٤/ ٦٣٤)، وابنُ أبي حَاتِمٍ (٢٧٠٣) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «الأَرْبَعَةُ مِنَ الطَّيْرِ: الدِّيكُ، وَالطَّاوُوسُ، وَالغُرَابُ، وَالحَمَامُ». وهذا وإن كان سَنَدُه صَحِيحًا إلى مجاهد؛ لكنه لا ينتهض حُجَّةً؛ حيثُ لَم يَرِدْ تَحدِيدُهُنَّ وتَعيِينُهُنَّ في شَيءٍ مِنَ الأَخبَارِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ، فَالأَوْلَى الاقتصارُ على إطلاقِ القُرآنِ دُونَ تَعيينٍ. قال ابنُ كثيرٍ (١/ ٦٨٩): «اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي هَذِهِ الأَرْبَعَةِ: مَا هِيَ؟ وَإِنْ كَانَ لَا طَائِلَ تَحْتَ تَعْيِينِهَا، إِذْ لَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ مُهِمٌّ لَنَصَّ عَلَيْهِ القُرْآنُ».

(٤) لا بدَّ مِنْ تَقدِيرِ مُضَافٍ في أَحدِ الجانِبَينِ؛ أي: مَثَلُ نَفَقَتِهم كَمَثَلِ حَبَّةٍ، أو مَثَلُهم كَمَثَلِ بَاذِرِ حَبَّةٍ، والشَّارِحُ سَلَكَ الأَوَّلَ.

(٥) غَنِيٌّ يُعْطِي عَن سَعَةٍ. قالَ الخَطَّابِيُّ: «(الوَاسِعُ): هو الغَنِيُّ الذي وَسِعَ غِنَاهُ مَفَاقِرَ عِبَادِه، ووَسِعَ رِزْقُه جَمِيعَ خَلْقِه. والسَّعَةُ في كلامِ العَرَبِ: الغِنَى. ويُقَالُ: الله يُعطِي عَنْ سَعَةٍ؛ أي: عَنْ غِنًى». شَأنُ الدُّعَاءِ (ص٧٢). و(الوَاسِعُ) يَشمَلُ -كما قالَ السَّعدِيُّ- جَمِيعَ الصِّفَاتِ والنُّعُوتِ، فهو الوَاسِعُ في عِلْمِه، وهو الوَاسِعُ في غِنَاه، وهو الوَاسِعُ في فَضْلِه وإِنعَامِه وجُودِه، وهو الوَاسِعُ في قُوَّتِه وعَظَمَتِه وجَبَرُوتِه، وهو الوَاسِعُ في قُدرَتِه، الوَاسِعُ في حِكمَتِه، وهو الوَاسِعُ في مَغفِرَتِه ورَحمَتِه.

(٦) الجُملةُ استئنافٌ مَبنِيٌّ على السُّؤالِ؛ كأنَّه قِيلَ: فماذا يكونُ مآلُهم حِينَئِذٍ؟ فقِيلَ: لا يَقدِرُون... إلخ.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (رِيَاءَ) بدلًا من: (رِئاءَ النَّاسِ).

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ
جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ
ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ
وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ
﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ﴾ نَفقَاتِ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[١] ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تَحقِيقًا لِلثَّوابِ عليه، بِخِلَافِ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ لا يَرجُونَه لِإنكَارِهم له- و﴿مِّنْ﴾ ابتدائيَّةٌ[٢]- ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: بُستَانٍ ﴿[بِرُبْوَةٍ]﴾ بِضَمِّ الرَّاءِ وفَتحِها[٣]: مَكَانٍ مُرتَفِعٍ مُستَوٍ ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ﴾: أعطَتْ ﴿أُكُلَهَا﴾ بِضَمِّ الكَافِ وسُكُونِها[٤]: ثَمَرَها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مِثْلَي ما يُثْمِرُ غيرُها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: مَطَرٌ خَفِيفٌ يُصِيبُها ويَكفِيها لارتِفَاعِها. المَعنَى: تُثْمِرُ وتَزكُو، كَثُرَ المطَرُ أَمْ قَلَّ؛ فكَذلِكَ نَفَقَاتُ مَنْ ذُكِرَ تَزكُو عِندَ الله كَثُرَتْ أَمْ قَلَّتْ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجَازِيكُم به.

[٢٦٦] ﴿أَيَوَدُّ﴾: أيُحِبُّ ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بُستَانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا﴾ ثَمَرٌ ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَ﴾ قَدْ ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ فَضَعُفَ مِنَ الْكِبَرِ عَنِ الْكَسْبِ ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: أَولَادٌ صِغَارٌ لا يَقْدِرُونَ عليه ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾: رِيحٌ شَدِيدَةٌ ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ ففَقَدَهَا أَحْوَجَ ما كانَ إِليها، وبَقِيَ هو وأَولَادُه عَجَزَةً مُتَحَيِّرِينَ لا حِيلَةَ لهم؟ وهذا تَمْثِيلٌ لِنَفَقَةِ المُرائِي والمَانِّ، في ذَهَابِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، أَحْوَجَ ما يَكُونُ إِليها في الآخِرَةِ. والاستفهَامُ بِمَعنَى النَّفْيِ[٥]. وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: هو لِرَجُلٍ عَمِلَ بالطَّاعَاتِ، ثُمَّ بُعِثَ له الشَّيطَانُ فَعَمِلَ بِالمَعَاصِي حتَّى أَحْرَقَ أَعمَالَهُ[٦] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَما بَيَّنَ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتَعتَبِرُونَ.

[٢٦٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ أي: زَكُّوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: جِيادِ ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ مِنَ المالِ[٧] ﴿وَمِـ﴾ـنْ طَيِّبَاتِ ﴿مَآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ الحُبُوبِ والثِّمَارِ ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾: تَقْصِدُوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الرَّدِيءَ ﴿مِنْهُ﴾ أي: مِنَ المذْكُورِ ﴿تُنفِقُونَ﴾ ـهُ في الزَّكَاةِ: حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ: ﴿تَيَمَّمُوا۟﴾ ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي: الخَبِيثِ لو أُعطِيتُمُوه في حُقُوقِكُم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ بِالتَّسَاهُلِ وغَضِّ البَصَرِ. فكيفَ تُؤَدُّونَ منه حَقَّ الله؟! ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عَنْ نَفَقَاتِكُم ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ على كُلِّ حَالٍ[*].

[٢٦٨] ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ يُخَوِّفُكُم بِه إِنْ تَصَدَّقتُم؛ فتُمْسِكُوا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: البُخْلِ ومَنْعِ الزَّكَاةِ ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإِنفَاقِ ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لِذُنُوبِكُم ﴿وَفَضْلًا﴾: رِزْقًا خَلَفًا منه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾[٨] فَضْلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بِالمُنفِقِ.

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: العِلْمَ النَّافِعَ المُؤَدِّي إلى العَمَلِ ﴿مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لِمَصِيرِه إلى السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ فيه إِدْغَامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الذَّالِ: يَتَّعِظُ ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَصْحَابُ العُقُولِ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢٦٧): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ البَرَاءِ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ قالَ: «نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، كُنَّا أَصْحَابَ نَخْلٍ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْلِهِ عَلَى قَدْرِ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِالقِنْوِ وَالقِنْوَيْنِ فَيُعَلِّقُهُ فِي المَسْجِدِ، وَكَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى القِنْوَ فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ فَيَسْقُطُ مِنَ البُسْرِ وَالتَّمْرِ فَيَأْكُلُ، وَكَانَ نَاسٌ مِمَّنْ لَا يَرْغَبُ فِي الخَيْرِ يَأْتِي الرَّجُلُ بِالقِنْوِ فِيهِ الشِّيصُ وَالحَشَفُ، وَبِالقِنْوِ قَدِ انْكَسَرَ فَيُعَلِّقُهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ قَالُوا: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ مِثْلُ مَا أَعْطَى، لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا عَلَى إِغْمَاضٍ أَوْ حَيَاءٍ». قَالَ: «فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي أَحَدُنَا بِصَالِحِ مَا عِنْدَهُ». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣) سورة البقرة. صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٣٨٩).

---

(١) أي: طَلَبَ رِضَا الله، وفيها إِثباتُ صِفَةِ الرِّضَا له -سُبْحَانَهُ- على الوَجهِ اللائِقِ بِه.
(٢) كقولِه تَعَالَى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩]، والمعنى هنا: أي: تَثبيتًا؛ مُبتَدَأً مِنْ أَصلِ أَنفُسِهِم، لا مِنْ جِهَةٍ أُخرَى.
(٣) بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ السَّبعَةِ، عدا ابنِ عامرٍ وعَاصِمٍ؛ حيث قَرَأَا: ﴿بِرَبْوَةٍ﴾؛ بِفَتحِ الرَّاءِ.
(٤) بالسُّكونِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِضَمِّ الكَافِ.
(٥) أي: فهو استفهَامٌ إِنكَارِيٌّ؛ يَعنِي: لا يُحِبُّ المسلمُ ذلك.
(٦) تفسير الطبريّ (٣/ ٧٥). والظَّاهِرُ أَنَّ أَوَّلَ قَائِلٍ لِهذِهِ العِبَارَةِ هو عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَهَا لابنِ عَبَّاسٍ، كما رَوَى البُخَارِيُّ (٤٢٦٤) عن عبيد بن عُمير. ضوء القَمَرَين (ص ٩٠).
(٧) وهو النَّقدُ والمواشِي وعُرُوضُ التِّجَارَةِ.
(٨) واسِعُ الصِّفَاتِ كَثِيرُ الهِبَاتِ. وانظر التعليق على الآية ٢٦١، مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبۡدُواْ
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا
ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن
سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيۡسَ
عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا
تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا
ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ
وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ
يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم
بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ
خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم
بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ
رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

الحزب ٥

[٢٧٠] ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: أَدَّيتُم مِنْ زَكَاةٍ أو صَدَقَةٍ ﴿أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ﴾ فوَفَيْتُمْ به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ فيُجَازِيكُم عليه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بِمَنْعِ الزَّكَاةِ والنَّذْرِ، أو بِوَضْعِ الإِنفَاقِ في غَيرِ مَحِلِّه مِنْ مَعَاصِي الله ﴿مِنۡ أَنصَارٍ﴾: مَانِعِينَ لهُم مِنْ عَذَابِه.

[٢٧١] ﴿إِن تُبۡدُواْ﴾: تُظهِرُوا ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: النَّوافِلَ ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي: نِعْمَ شَيئًا إِبْدَاؤُها! ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا﴾: تُسِرُّوها ﴿وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِنْ إِبدَائِها وإِيتَائِها الأَغنِيَاءَ- أَمَّا صَدَقَةُ الفَرْضِ فالأَفضَلُ إِظْهَارُها؛ لِيُقْتَدَى به، ولِئلَّا يُتَّهَمَ، وإِيتَاؤُهَا الفُقَرَاءَ مُتَعيِّنٌ- ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ - بِاليَاءِ، وبِالنُّونِ[1]؛ مَجزُومًا بِالعَطفِ على مَحَلِّ: ﴿فَهُوَ﴾[2]، ومَرفُوعًا على الاستئنَافِ- ﴿عَنكُم مِّن﴾ بَعْضِ ﴿سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: عَالِمٌ بباطِنِه كَظَاهِرِه، لَا يَخفَى عليه شَيءٌ منه.

[٢٧٢] ولَمَّا مَنَعَ ﷺ مِنَ التَّصَدُّقِ على المُشْرِكِينَ لِيُسلِمُوا، نَزَلَ[3]: ﴿۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾ أَي: النَّاسِ إِلى الدُّخُولِ في الإِسْلَامِ، إِنَّما عليكَ البَلَاغُ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ هِدَايتَه إِلى الدُّخُولِ فيه ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾: مَالٍ ﴿فَلِأَنفُسِكُمۡ﴾ لِأَنَّ ثَوَابَه لها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ﴾[4] أي: ثَوَابِه[5] لا غَيرِه مِنْ أعرَاضِ الدُّنيَا، خَبَرٌ بِمَعنَى النَّهْيِ[6] ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ جزَاؤُه ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾: تُنقَصُونَ منه شيئًا. والجُملَتَانِ[7] تأكِيدٌ لِلأُولَى[8].

[٢٧٣] ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾: خَبَرُ مُبتَدَأٍ مَحذُوفٍ؛ أَي: الصَّدَقَاتُ[9] ﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: حَبَسُوا أنفُسَهم على الجِهَادِ- نَزَلَتْ في أَهْلِ الصُّفَّةِ؛ وهُم: أَربَعُمِائَةٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ، أَرْصَدُوا لِتَعَلُّمِ القُرآنِ والخُرُوجِ مَعَ السَّرَايَا[10]- ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا﴾: سَفَرًا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لِلتِّجَارَةِ والمَعَاشِ لِشُغْلِهِم عنه بِالجِهَادِ ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ﴾ بِحَالِهِم ﴿أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[*] أَي: لِتَعَفُّفِهم عَنِ السُّؤالِ وتَرْكِه ﴿تَعۡرِفُهُم﴾ - يا مُخَاطَبًا[11]- ﴿بِسِيمَٰهُمۡ﴾: عَلَامَتِهم مِنَ التَّوَاضُعِ وأَثَرِ الجُهْدِ ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ﴾ شَيئًا فيُلحِفُونَ ﴿إِلۡحَافٗا﴾[12] أَي: لا سُؤَالَ لَهم أَصْلًا؛ فلا يَقَعُ منهم إِلحَافٌ؛ وهو: الإِلحَاحُ ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمُجَازٍ عليه.

[٢٧٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلاَ اللُّقْمَةُ وَلاَ اللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا المِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ» -يَعنِي قَولَه تَعَالَى-: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٤٨). وأخرجه مسلم - كتاب الزكاة (١٢) باب (٣٤) المسكين الذي لا يَجِدُ غنى، ولا يُفطَنُ له، فيُتَصدَّق عليه.

---

(١) بِالنُّونِ مع الجَزمِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وحَمزَةَ والكِسَائِيِّ، وبِالنُّونِ مَعَ الرَّفعِ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو وشُعبَةَ، وقَرأَ ابنُ عامرٍ وحفصٌ بِاليَاءِ ورَفعِ الرَّاءِ.

(٢) أَي: مع خَبَرِه، ومَحَلُّه جُزمَ لِوُقوعِه جَوابَ الشَّرطِ.

(٣) رَواهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ (٢٨٥٣) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَرفُوعًا، وحَسَّنَ الأَلبَانِيُّ إِسنادَه في الصَّحيحةِ عند الحديث (٢٧٦٦).

(٤) وفيها إِثباتُ صِفَةِ الوجهِ لله -سُبْحَانَهُ- على الوَجهِ اللائِقِ به.

(٥) وبَيَّنَ ابنُ القيم إلى أَنَّ حَمْلَهُ -أي الوَجهِ- عَلَى الثَّوَابِ المُنْفَصِلِ مِنْ أَبطَلِ البَاطِلِ، فَإِنَّ اللُّغَةَ لا تَحْتَمِلُ ذَلِكَ وَلَا يُعْرَفُ أَنَّ الجَزَاءَ يُسَمَّى وَجْهًا لِلْمَجَازِيِّ. كما أَنَّ الثَّوَابَ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ صَحَّ عنه ﷺ أَنَّهُ اسْتَعَاذَ بِوَجْهِ الله فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكَرِيمِ أَنْ تُضِلَّنِي...». ولا يُظَنُّ برسولِ الله ﷺ أن يَستعِيذَ بمخلوقٍ...وقَدْ أَفَاضَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ في الرَّدِّ على مَنْ قَالَ: إِنَّ لَفظَ الوَجهِ مَجَازٌ، وبَيَّنَ بُطلَانَ هَذا القَولِ مِنْ سِتَّةٍ وعِشرِينَ وَجهًا في الصَّوَاعِقِ المُرْسَلَةِ. المفسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)، ومختصر الصواعق (ص٤٠٩). وانظرِ التَّعلِيقَ على الآيَةِ (٢٠) من سُورةِ الليلِ.

(٦) أَي: لا تُنفِقُوا إِلَّا ابتِغَاءَ وَجهِ الله.

(٧) أَي: قَولُه: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾، وقولُه: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾.

(٨) أَي: لِلشَّرطِيَّةِ الأُولَى، وهي: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡ﴾.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الصَّدقاتُ لهم).

(١٠) قال ابنُ حَجَر في العُجَاب (١/ ٦٣٣): «قالَ مُقَاتِلٌ هم: أَهلُ الصُّفَّة، منهم أبو هريرةَ وابنُ مَسعودٍ والموالي أربَعُمِائَة رَجُل لا أَموَالَ لهم بِالمَدِينةِ، فإذا كانَ الليلُ أَوَوْا إلى الصُّفَّةِ، فأَمر الله بِالنَّفَقَةِ عليهم. وقَالَ ابنُ ظفر: قال ابنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَت في الفُقَراءِ أَهلِ الصُّفَّةِ مُهَاجِرةِ الأَعرابِ».

(١١) نَكِرَةٌ غيرُ مَقصُودَةٍ، لِلإِشَارَةِ إِلى أَنَّ حَالَهم ظَهَرَ لِكُلِّ أَحَدٍ.

(١٢) مَفعُولٌ مُطلَقٌ عَامِلُه مَحذُوفٌ، كما قَدَّرَه المُفَسِّرُ، ويَصِحُّ أن يكونَ مَفعولًا لِأَجلِه؛ أَي: لا يَسأَلُونَ لِأَجلِ الإِلحَافِ، ويَصِحُّ أَن يَكُونَ حَالًا؛ أَي: مَصدرًا مِن مَوضِعِ الحَالِ، تَقدِيرُه: لَا يَسأَلُونَ مُلحِفِينَ.

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ
مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ
مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ
عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ
فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ
أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

[٢٧٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يَأْخُذُونَه- وهو الزِّيادةُ في المُعامَلَةِ بالنُّقودِ والمَطعُوماتِ في القَدْرِ[1] أَوِ الأَجَلِ[2]- ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ مِنْ قُبُورِهِم ﴿إِلَّا﴾ قِيامًا ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾: يَصْرَعُه ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾: الجُنُونِ بهم[3]، مُتَعلِّقٌ بـ﴿يَقُومُونَ﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نَزَلَ بهم ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: بسَبَبِ أَنَّهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ في الجَوازِ. وهذا مِنْ عَكسِ التَّشبيه، مُبالَغَةً[4]؛ فقالَ -تعالَى- رَدًّا عليهم: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ﴾: بلَغَهُ ﴿مَوۡعِظَةٞ﴾: وَعْظٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عَنْ أَكْلِهِ ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قَبْلَ النَّهيِ؛ أي: لا يُسْتَرَدُّ منه ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ﴾ في العَفْوِ عنه ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ﴾ إلى أَكْلِهِ مُشَبِّهًا له بالبَيعِ في الحِلِّ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٢٧٦] ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: يُنقِصُه ويُذْهِبُ بَرَكَتَه ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾: يَزِيدُها ويُنْمِيها ويُضاعِفُ ثَوابَها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بِتَحليلِ الرِّبَا ﴿أَثِيمٍ﴾: فَاجِرٍ بِأَكْلِه؛ أي: يُعاقِبُه[5].

[٢٧٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

[٢٧٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ﴾: اتْرُكُوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ صَادِقِينَ في إِيمانِكُم، فإنَّ مِنْ شَأنِ المُؤمِنِ امتِثالَ أَمْرِ الله -تعالَى-، نَزَلَتْ لَمَّا طالَبَ بعضُ الصَّحابةِ بَعْدَ النَّهيِ بِرِبًا كان له قَبْلُ[6].

[٢٧٩] ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ ما أُمِرتُم به ﴿فَأۡذَنُواْ﴾: اعلَمُوا ﴿بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ لَكُم، فيه تَهديدٌ شَديدٌ لهم، لَمَّا نَزَلَتْ قَالُوا: «لا يَدَيْ[7] لنا بِحَرْبِه» ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ﴾: رَجَعتُم عنه ﴿فَلَكُمۡ رُءُوسُ﴾: أُصُولُ ﴿أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ﴾ بِزِيادَةٍ ﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ بِنَقْصٍ[*].

[٢٨٠] ﴿وَإِن كَانَ﴾: وَقَعَ[8] غَرِيمٌ ﴿ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ﴾ له؛ أي: عَليكُم تَأخِيرُه ﴿إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ﴾ بِفَتحِ السِّينِ وضَمِّها[9]؛ أي: وَقتِ يُسْرٍ ﴿وَأَن [تَصَدَّقُوا]﴾ - بِالتَّشْدِيدِ على إِدغامِ التَّاءِ في الأَصلِ في الصَّادِ، وبِالتَّخفيفِ على حَذْفِها[10]- أي: تَتَصَدَّقُوا على المُعْسِرِ بِالإِبْرَاءِ[11] ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أَنَّه خَيرٌ فَافعَلُوه. في الحَدِيثِ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ»[12]. رواه مسلم.

[٢٨١] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ﴾ بِالبِناءِ للمَفعُولِ: تُرَدُّونَ، ولِلفَاعِلِ: تَسِيرُونَ[13] ﴿فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ هو يَومُ القِيامَةِ ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾ جَزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتۡ﴾: عَمِلَت مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ بِنَقْصِ حَسَنَةٍ أو زِيادَةِ سَيِّئَةٍ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قال: «آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ آيَةُ الرِّبَا». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٥٠).
وأَخرَجَ أيضًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قالَتْ: لَمَّا أُنزِلَتِ الآيَاتُ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي الرِّبَا، «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المَسْجِدِ فَقَرَأَهُنَّ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَرَّمَ تِجَارَةَ الخَمْرِ». البُخَارِيُّ - كتاب الصلاة (٨) باب (٣٧) تحريم تجارة الخمر في المسجد.

---

(١) وهو رِبَا الفَضْلِ، ولا يكونُ إِلَّا عِندَ اتِّحَادِ الجِنْسِ مِنَ الأَصنافِ الرِّبَوِيَّةِ؛ كأَنْ يَبِيعَ صَاعَينِ مِنْ تَمْرٍ بِصَاعٍ واحِدٍ حالٍّ يَدًا بِيَدٍ.
(٢) وهو رِبَا النَّسَاءِ، ويَكونُ في مُتَّحِدِ الجِنْسِ ومُختَلِفِه، وهو البيعُ مع تَأجيلِ العِوَضَينِ أو أَحدِهما؛ كأَنْ يَبِيعَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ بِصَاعٍ مُؤَجَّلٍ مِنْ تَمْرٍ أو شَعِيرٍ، أو نحو ذلك مِنَ الأَصنافِ الرِّبَوِيَّةِ.
(٣) أي: الكائنِ بهم؛ أي: بِالذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا.
(٤) أي: فقد جَعَلُوا المشبَّهَ مُشَبَّهًا به؛ فجَعَلُوا الرِّبَا أَصلًا في الحِلِّ والبَيعَ مَقِيسًا عليه.
(٥) وهذا التأويلُ هو مَذهَبُ الأَشَاعِرَةِ؛ يَنفُونَها بِدَعوى أَنَّها تُوهِم نَقصًا؛ فيُرجِعُونَها إلى مَعنَى إِرَادَةِ الثَّوَابِ والعِقَابِ. ومَذهَبُ السَّلَفِ إِثباتُ صِفَةِ المَحَبَّةِ لله عَزَّ وَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبْحَانَهُ-، دُونَ أن يَقتَضِيَ ذلك عندَهم نَقصًا ولا تَشبِيهًا، كما يُثبِتونَ لَازِمَ المحبَّةِ وهو الإِكرَامُ والإِثابَةُ، ولَازِمَ ضِدِّها وهو الإهانةُ والعِقَابُ. أَمَّا المُعتَزِلَةُ؛ فلأَنَّهم لا يُثبِتُونَ إِرَادَةً قَائِمَةً به؛ فيُفَسِّرُونَ المَحبَّةَ بِأَنَّها نفسُ الثَّوابِ الوَاجِبِ عندَهم على الله، وضِدَّها بالعِقَابِ الوَاجِبِ عِندَهم على الله؛ بِناءً على مَذهَبِهم في وُجُوبِ إِثابَةِ المُطِيعِ وعِقَابِ العَاصِي.
(٦) ذَكَرَ البَغَوِيُّ في مَعَالِمِ التنزيلِ (١/ ٣٤٤)، والوَاحِدِيُّ في أَسبَابِ النُّزُولِ (ص٥٩) مُعَلَّقًا دون سندٍ، عَن عَطَاءٍ وعِكرِمَةَ: نَزَلَت هذه الآيَةُ: في العَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ وعُثمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.
(٧) في نسخة حاشية الجمل: (لا يَدَ) بِصيغَةِ الإِفرادِ، وفي أكثرِ النُّسَخِ بِصيغَةِ التثنيةِ؛ «لا يَدَي»، وحُذِفَتِ النُّونُ تخفيفًا، والمعنَى على كلٍّ منهما: لا قُدرَةَ ولا طَاقَةَ لنا.
(٨) أَشارَ بذلك إلى أَنَّ ﴿كَانَ﴾ تامَّة، و﴿ذُو﴾ فاعلُها، وهو الأقربُ، ويَصِحُّ كَونُها نَاقِصَةً، و﴿ذُو﴾ اسمُها، وخبرُها محذوفٌ تقديرُه: غَرِيمًا لكُم.
(٩) بالضَّمِّ: قِرَاءَةُ نافع.
(١٠) التشديدُ: قِرَاءَةُ السَّبعةِ عَدا عَاصِم.
(١١) مِنْ كُلِّ الدَّينِ أو بَعضِه.
(١٢) مسلمٌ (٣٠٠٦).
(١٣) أي: ﴿تَرجِعُونَ﴾، وهي قِرَاءَةُ أَبي عَمرٍو.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم﴾: تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كَسَلَمٍ وقرضٍ ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معلومٍ ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ استيثاقًا ودفعًا للنزاع(١) ﴿وَلْيَكْتُب﴾ كتابَ الدَّين ﴿بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾: بالحقِّ في كتابتِه، لا يزيدُ في المالِ والأجلِ ولا ينقصُ ﴿وَلَا يَأْبَ﴾: يمتنعْ ﴿كَاتِبٌ﴾ مِنْ ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ إذا دُعِيَ إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي: فضَّلَهُ بالكتابةِ؛ فلا يبخلْ بها. و«الكافُ» مُتعلِّقةٌ بـ﴿يَأْبَ﴾(٢) ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾: تأكيدٌ ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾: يُمِلَّ الكاتبَ ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدَّينُ؛ لِأنَّه المشهودُ عليه، فيُقِرُّ لِيُعْلَمَ ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في إملائِه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾: يُنقِصْ ﴿مِنْهُ﴾ أي: الحقِّ ﴿شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾: مُبذِّرًا ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عَنِ الإملاءِ لِصِغَرٍ أو كِبَرٍ ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لِخَرَسٍ أو جَهْلٍ باللغةِ أو نحوِ ذلكَ ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾: مُتولِّي أمرِه مِنْ والدٍ ووصيٍّ وقيِّمٍ ومُترجِمٍ ﴿بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا﴾: أشهِدُوا على الدَّينِ ﴿شَهِيدَيْنِ﴾: شاهِدَينِ ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أي: بالِغِي المسلمينَ الأحرارِ ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي: الشاهدانِ ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ يشهدونَ ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لِدينِه وعدالتِه. وتعدُّدُ النساءِ لِأجْلِ ﴿أَن تَضِلَّ﴾: تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادةَ لِنقصِ عقلِهنَّ وضبطِهنَّ ﴿[فَتُذَكِّرَ]﴾ بالتخفيفِ والتشديدِ(٣) ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الذاكِرةُ ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ الناسيةَ- وجملةُ الإذكارِ محلُّ العلةِ؛ أي: لِتُذكِرَ أنْ ضلَّتْ. ودخلتْ على الضلالِ؛ لِأنَّه سببُه(٤). وفي قراءةٍ: بكسرِ(٥) ﴿إِن﴾ شرطيةٌ، ورفعِ «تُذكِّرُ»(٦) استئنافٌ(٧)، جوابُه- ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾: زائدةٌ ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمُّلِ الشهادةِ وأدائِها ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾: تملُّوا مِنْ ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي: ما شهِدتُّم عليه مِنَ الحقِّ لِكثرةِ وقوعِ ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كانَ ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾: قليلًا أو كثيرًا ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ وقتِ حُلولِه. حالٌ مِنَ الهاءِ في ﴿تَكْتُبُوهُ﴾(٨) ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الكَتْبُ ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدلُ ﴿عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أعونُ على إقامتِها؛ لِأنَّه يذكِّرُها ﴿وَأَدْنَىٰ﴾: أقربُ إلى ﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: تشكُّوا في قدرِ الحقِّ والأجلِ ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ﴾: تقعَ ﴿[تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ]﴾(٩) وفي قراءةٍ: بالنصبِ، فـ﴿تَكُونَ﴾ ناقصةٌ، واسمُها ضميرُ «التجارة»(١٠) ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقبِضونَها، ولا أجلَ فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ والمرادُ بها المُتَّجَرُ فيه ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه؛ فإنَّه أدفعُ لِلاختلافِ. وهذا وما قبلَهُ أمرُ ندبٍ ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحبَ الحقِّ ومَنْ عليه؛ بتحريفٍ أوِ امتناعٍ مِنَ الشهادةِ أوِ الكتابةِ، أوْ لا يضُرَّهما صاحبُ الحقِّ بتكليفِهما ما لا يليقُ في الكتابةِ(١١) والشهادةِ ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ ما نُهيتُم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾: خروجٌ عنِ الطاعةِ لاحقٌ ﴿بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمرِه ونهيِه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مصالحَ أمورِكم- حالٌ مقدَّرةٌ، أو مستأنفٌ(١٢)- ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) أشارَ بذلك إلى أنَّ الأمرَ في الآيةِ للإرشادِ لا للوجوبِ، وهو مذهبُ الجمهورِ.

(٢) عبارةُ غيرِ المفسِّرِ: مُتعلِّقةٌ بـ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ وهي الصوابُ؛ لأنَّ التعلُّقَ المذكورَ على وجهِ التعليلِ للنهيِ عنِ الإباءِ؛ أي: يحرُمُ عليه الإباءُ المذكورُ؛ أي: الامتناعُ مِنَ الكتابةِ؛ لِأجلِ تعليمِ اللهِ -تعالى- إيَّاها؛ فيجبُ عليه أنْ يبذُلَها كما أمرَهُ اللهُ -تعالى- ولا يبخلَ بها؛ فالكافُ للتعليلِ، و«ما» مصدريةٌ، والهاءُ للكاتبِ.

(٣) بالتخفيفِ: قراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو، ولازِمُه سكونُ الذالِ، فتكون: ﴿فَتُذْكِرَ﴾، قال البعضُ: مِنَ «الذَّكَرِ» الذي هو ضِدُّ الأنثى؛ والمعنى: إنَّ المرأةَ الثانيةَ إذا شهِدتْ مع الأولى ذكَّرتها؛ أي: جعلتْها كالذَّكرِ؛ أي: كالرجلِ الذي لا يحتاجُ إلى غيرِه في الشهادةِ. وقرأ حمزةُ بتشديدِ الكافِ، ويلزَمُه فتحُ الذالِ ورفعُ الراءِ. والباقونَ كذلكَ لكنْ مع نصبِ الراءِ: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾.

(٤) أي: لِأنَّ الضلالَ سببُ الإذكارِ، والإذكارُ مُسبَّبٌ عنه؛ فنزَلَ منزلتَه؛ ومِنْ شأنِ العربِ إذا كانَ للعلةِ علةٌ قدَّموا ذكرَ علةِ العلةِ، وجعلُوا العلةَ معطوفةً عليها بالفاءِ؛ لِتحصلَ الدلالتانِ معًا بعبارةٍ واحدةٍ، وهذا مما يُعوَّلُ فيه على المعنى، ويُهجَرُ فيه جانبُ اللفظِ، فلا يرِدُ: كيفَ جعلَ ﴿أَن تَضِلَّ﴾ علةً لاستشهادِ المرأتينِ بدلَ رجلٍ، مع أنَّ علتَه إنَّما هي التذكيرُ. ينظر: تفسير أبي السعودِ (١/ ٢٧٠)، والسِّراج المنير في الإعانةِ على معرفةِ بعضِ معاني كلام ربِّنا الحكيم الخبير (١/ ١٨٧)، والتحرير والتنوير (٣/ ١١١).

(٥) لِحمزةَ.

(٦) أي: مع التشديدِ فقط.

(٧) أي: إنَّ أداةَ الشرطِ لم تعملْ في لفظِه، وجملةُ «تُذكِّرُ» خبرٌ لِمبتدإٍ محذوفٍ؛ أي: «فهي تُذكِّرُ»، والجملةُ في محلِّ جزمِ جوابُ الشرطِ.

(٨) أي: لا تُهمِلُوا الأجلَ في الكتابةِ، وإنَّما تقولونَ: ثبتَ كذا مؤجلًا بكذا.

(٩) قراءةُ السبعةِ عدا عاصمٍ. وقرأ عاصمٌ بالنصبِ: ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾.

(١٠) أي: اسمُها مُضمَرٌ فيها، وتقديرُه: إلَّا أنْ تكونَ المعامَلةُ أوِ المبايعةُ أوِ التجارةُ.

(١١) مثلُ أنْ يأمُرَه بكتابةِ ما لم يطَّلعْ عليه، أو يمتنِعَ مِن إعطائِه أجرتَه له.

(١٢) والأَوْلى الاقتصارُ عليه؛ لِأنَّ جعلَه حالًا خلافُ القاعدةِ النحويةِ: أنَّ الجملةَ المضارعةَ المثبتةَ إذا وقعتْ حالًا؛ فإنَّ الضميرَ يلزمُها وتخلو مِنَ الواوِ، ولا يصحُّ أيضًا عطفُها على جملةِ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ لِأنَّه يلزَمُ منه عطفُ الخبرِ على الإنشاءِ.

الحزب ٥

* وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ
وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا
وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا
وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

[٢٨٣] ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ أي: مُسافِرينَ وتَدايَنتُم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا [فَرُهُنٌ]﴾[1] وفي قِراءَةٍ: ﴿فَرِهَانٌ﴾: جَمعُ رَهْن[2] ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ تَستَوثِقُونَ بها. وَبَيَّنَتِ السُّنَّةُ جَوازَ الرَّهْنِ في الحَضَرِ[3] ووجُودِ الكاتِبِ، فالتَّقييدُ بما ذُكِرَ؛ لِأَنَّ التَّوثِيقَ فيه أَشَدُّ[4]. وأَفادَ قَولُه: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ اشتِراطَ القَبضِ في الرَّهْنِ، والاكتِفاءَ به مِنَ المُرتَهِنِ ووَكِيلِه ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: الدَّائنُ المَدِينَ على حقِّهِ؛ فلمْ يرتَهِنْ ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ أي: المَدِينُ ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾: دَينَه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أدائِه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا دُعِيتُم لِإقامَتِها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ خُصَّ بِالذِّكرِ؛ لِأنَّه مَحلُّ الشَّهادَةِ، ولِأنَّه إذا أَثِمَ تَبِعَه غيرُه[5]؛ فيُعاقَبُ عليه مُعاقَبةَ الآثِمِينَ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يَخفَى عليه شيءٌ منه.

[٢٨٤] ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا﴾: تُظْهِرُوا ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مِنَ السُّوءِ والعَزْمِ عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: تُسِرُّوه ﴿يُحَاسِبْكُم﴾: يُخبِرْكُم[6] ﴿بِهِ ٱللَّهُ﴾ يومَ القِيامَةِ ﴿[فَيَغْفِرْ] لِمَن يَشَآءُ﴾ المَغفِرةَ له ﴿[وَيُعَذِّبْ] مَن يَشَآءُ﴾ تعذِيبَه. والفِعْلانِ بِالجَزْمِ؛ عَطفٌ على جَوابِ الشَّرطِ، والرَّفعِ[7]؛ أي: فهو. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه مُحاسَبَتُكم وجَزاؤُكم.

[٢٨٥] ﴿ءَامَنَ﴾: صَدَّقَ ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ عَطفٌ عليه[8] ﴿كُلٌّ﴾ تَنوِينُه عِوَضٌ[9] مِنَ المُضافِ إليه ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ بالجمعِ والإفرادِ[10] ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ يَقُولُونَ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ فنُؤمِنَ بِبَعضٍ ونَكفُرَ بِبَعضٍ، كَما فعلَ اليَهودُ والنَّصارَى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: ما أُمِرْنا به سَماعَ قَبُولٍ ﴿وَأَطَعْنَا﴾. نَسأَلُكَ ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ بِالبَعْثِ.

ولَمَّا نَزَلَتِ الآيَةُ قَبلَها شَكَا المُؤمِنُونَ مِنَ الوَسوَسَةِ، وَشَقَّ عليهم المُحاسَبَةُ بها؛ فَنَزَلَ:

[٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تَسَعُهُ قُدْرَتُها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مِنَ الخَيرِ؛ أي: ثَوابُه ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ مِنَ الشَّرِّ؛ أي: وِزْرُه. ولا يُؤاخَذُ أَحَدٌ بِذَنبِ أَحَدٍ، ولَا بِما لَمْ يَكسِبْه مِمَّا وَسوَسَتْ به نَفسُه. قُولُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ بِالعِقابِ ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: تَرَكْنا الصَّوابَ لا عَنْ عَمْدٍ، كَما آخَذْتَ به مَنْ قَبلَنا- وقَدْ رَفَعَ اللهُ ذلك عَنْ هَذِه الأُمَّةِ؛ كَما وَرَدَ في الحَدِيثِ[11]. فسُؤالُه اعتِرافٌ بِنِعْمةِ الله- ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: أَمْرًا يَثْقُلُ علينا حَمْلُه ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي: بَني إِسرائِيلَ؛ مِنْ قَتلِ النَّفسِ في التَّوبَةِ، وإِخراجِ رُبعِ المالِ في الزَّكاةِ، وَقَرْضِ مَوضِعِ النَّجاسَةِ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾: قُوَّةَ ﴿لَنَا بِهِۦ﴾ مِنَ التَّكالِيفِ والبَلاءِ ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: امْحُ ذُنُوبَنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ في الرَّحمَةِ زِيادَةٌ على المَغفِرَةِ ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: سَيِّدُنا ومُتَوَلِّي أُمورِنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بِإقامَةِ الحُجَّةِ والغَلَبَةِ في قِتالِهم. فإِنَّ مِنْ شَأنِ المَولَى أَنْ يَنصُرَ مَوالِيَه عَلى الأَعداءِ. وفي الحَدِيثِ: «لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ فَقَرَأَها ﷺ قِيلَ له عَقِبَ كُلِّ كَلِمَةٍ: قَدْ فَعَلْتُ»[12][*].

---

[*] **مَا جاءَ في نُزُولِ الآيَاتِ (٢٨٤-٢٨٦)**: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ أَبي هُرَيرَةَ قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقالُوا: أَيْ رَسُولَ الله، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلاةَ وَالصِّيامَ وَالجِهادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ». قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا القَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قَالَ: نَعَمْ. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قَالَ: نَعَمْ. =

---

(١) لابنِ كَثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿فَرِهَٰنٌ﴾. (٢) أي: كلٌّ مِن: «رُهُن» و«رِهان» جَمعُ «رَهْن»؛ مثل سَقف وسُقُف، وكَعْب وكِعاب. (٣) أخرَجَ البُخارِيُّ في صَحِيحِه (٢٥٠٨) عَنْ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ... وقد بوَّبَ له البُخارِيُّ بقولِه: باب الرَّهن في الحَضَر. (٤) في نسخة قباوة: (التوثُّق). وذلك لأنَّ الغالبَ في السَّفرِ عدمُ وُجودِ الكاتِبِ، ونِسيانُ الدَّينِ، والتعرُّضِ للموتِ. وبيَّنَت السُّنَّة جوازَ الرَّهنِ في الحضَرِ، كما في حديث أنسٍ المتقدِّم. (٥) أي: في الإثمِ، لأنَّه مَلِكُ الأعضاءِ، إذا صَلَحَ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه، وإذا فَسَدَ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّه كما في حَديثِ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ في الصَّحِيحَينِ؛ البُخارِيِّ (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩). (٦) قوله: «يُخبِرْكم»: جوابٌ عَنْ سُؤالٍ وهو: أنَّه كيفَ قالَ في الإخفاءِ: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، مع أنَّ حَدِيثَ النَّفسِ لا إِثْمَ فيه ما لمْ يَفعَلْ؛ لِلحديثِ المشهورِ فيه؟ فأجابَ: بِأَنَّ المرادَ بِالمحاسَبةِ مُجَرَّدُ الإخبارِ به لا المُعاقَبةُ عليه. ولا حامِلَ على هذا التَّقديرِ؛ إذ إِنَّ المُؤاخَذةَ إمَّا أَنْ تَكونَ مَنسُوخَةً بقولِه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كما في حَديثِ مسلم. أو أَنْ تَكونَ المُؤاخَذةُ على ما أخفَوْه مِنَ العَزمِ القاطِعِ والاعتِقادِ الجازِمِ، وليسَ مُجَرَّدَ حَديثِ النَّفسِ والوَسوَسَةِ.

(٧) أي: على الاستئنافِ. والجزْمُ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وحمزةَ والكِسائيِّ وأبي عَمرٍو. (٨) وهو أحدُ الوَجْهَينِ. والوَجهُ الثاني: ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: مُبتَدأٌ، و﴿كُلٌّ﴾: مُبتَدأٌ ثانٍ خَبَرُه: ﴿ءَامَنَ﴾.

(٩) أي: عَن ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ و﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. (١٠) بِالإفرادِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ. (١١) وهي قوله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»، رواه ابن ماجه مِنْ حديثِ أبي ذرٍّ الغفاريِّ مرفوعًا به، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (١٧٣١). (١٢) مسلم (١٢٦)، وانظر الحديث وتخريجه في حاشية أسباب النزول.

سورة آل عمران | ترتيبها ٣ | آياتها ٢٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ
عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ
ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ
ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ
مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ
إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ
رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ
إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ
إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

سورة آل عمران

مَدَنِيَّةٌ، مِائَتَانِ أو: إلَّا آيَةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ. [٢] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾. [٣] ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ مُلتَبِسًا(1) ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بِالصِّدقِ في أخبارِه ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: قَبلَه مِنَ الكُتُبِ ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾. [٤] ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: قَبلِ تَنزِيلِه(2) ﴿هُدٗى﴾: حَالٌ(3)؛ بِمَعنَى: هَادِيَينِ مِنَ الضَّلالَةِ ﴿لِّلنَّاسِ﴾ مِمَّنْ تَبِعَهما. وعَبَّر فيهما بِـ﴿أَنزَلَ﴾ وفي القُرآنِ بِـ﴿نَزَّلَ﴾ المُقتَضِي لِلتَّكرِيرِ؛ لِأَنَّهما أُنزِلَا دُفعَةً وَاحِدَةً بِخِلَافِه(4) ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ بِمَعنَى: الكُتُب الفَارِقَة بَينَ الحَقِّ والبَاطِلِ. وذَكَره بَعدَ ذِكرِ الثَّلاثَةِ؛ لِيَعُمَّ مَا عَدَاها(5)، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القُرآنِ وغَيرِه ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾: غَالِبٌ على أمرِه؛ فَلا يَمنَعُه شيءٌ مِنْ إنجازِ وَعْدِه ووَعِيدِه(6) ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: عُقُوبَةٍ شَدِيدَةٍ مِمَّنْ عَصَاه، لا يَقدِرُ عَلَى مِثْلِها أَحَدٌ.

[٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ كَائِنٌ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لِعِلمِه بِمَا يَقَعُ في العَالَمِ مِنْ كُلِّيٍّ وجُزئِيٍّ- وخَصَّهُما بِالذِّكرِ؛ لِأَنَّ الحِسَّ لا يَتَجاوَزُهما-. [٦] ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ مِنْ ذُكُورَةٍ وأُنوثَةٍ، وبَيَاضٍ وسَوَادٍ، وغَيرِ ذَلِكَ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه. [٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾: وَاضِحَاتُ الدِّلَالَةِ ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أَصْلُه المُعتَمَدُ عليه في الأَحكَامِ ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾: لا تُفْهَمُ مَعَانِيها؛ كَأَوَائِلِ السُّوَرِ. وجَعلَه كُلَّه مُحكَمًا في قَوْلِهِ: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾(7) بِمَعنَى: أَنَّه لَيسَ فيه عَيْبٌ، وَمُتَشَابِهًا في قَوْلِهِ: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾(8) بِمَعنَى: أَنَّه يُشبِهُ بَعضُه بَعْضًا في الحُسنِ والصِّدْقِ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾: مَيْلٌ عَنِ الحَقِّ ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ لِجُهَّالِهِمْ بِوُقُوعِهم في الشُّبُهَاتِ واللَّبسِ ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾: تَفسِيرِه ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾: تَفسِيرَه ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وَحدَه(9) ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾: الثَّابِتُونَ المُتَمَكِّنُونَ ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾: مُبتَدَأٌ خَبَرُهُ: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بِالمُتَشَابِهِ؛ أَنَّه مِنْ عِندِ الله، ولَا نَعلَمُ مَعنَاه ﴿كُلّٞ﴾ مِنَ المُحكَمِ والمُتَشَابِه ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ - بِإِدغَامِ التَّاءِ في الأَصلِ في الذَّالِ- أي: يَتَّعظُ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أَصحَابُ العُقُولِ. [٨] ويَقُولُونَ أَيْضًا إِذَا رَأَوْا مَنْ يَتَّبِعُهُ(10): ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾: تُمِلْهَا عَنِ الحَقِّ، بِابتِغَاءِ تَأوِيلِه الذي لا يَلِيقُ بِنَا؛ كَمَا أَزغَتَ قُلُوبَ أُولئِكَ ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾: أَرشَدْتَنا إِلَيه ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾: مِنْ عِندِكَ ﴿رَحۡمَةًۚ﴾: تَثبِيتًا(11) ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾.

[٩] يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾: تَجمَعُهُم ﴿لِيَوۡمٖ﴾ أي: في يَوْمِ ﴿لَّا رَيۡبَ﴾: لا شَكَّ ﴿فِيهِۚ﴾ هو يَومُ القِيَامَةِ؛ فَتُجَازِيهِم بِأَعمَالِهم؛ كَمَا وَعَدْتَ بِذَلِكَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾: مَوعِدَه بِالبَعْثِ. فيه التِفَاتٌ(12) عَنِ الخِطَابِ، ويَحتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِه تَعَالَى(13). والغَرَضُ مِنَ الدُّعَاءِ بِذَلِكَ بَيَانُ أَنَّ هَمَّهُمْ أَمْرُ الآخِرَةِ؛ ولِذَلِكَ سَأَلُوا الثَّبَاتَ عَلى الهِدَايَةِ؛ لِيَنَالُوا ثَوَابَها. رَوَى الشَّيخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَتْ: «تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ إلى آخِرِهَا، وَقَالَ: «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**»(14)، ورَوَى الطَّبَرَانِيُّ في «الكَبِيرِ» عَنْ أَبِي مُوسَى(15) الأَشعَرِيِّ أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ...**» وذَكَرَ مِنْهَا: **أَنْ يُفْتَحَ لَهُمُ الْكِتَابُ؛ فَيَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ يَبْتَغِي تَأْوِيلَهُ، وَلَيْسَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ**، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾»(16) الحَدِيثَ.

= مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٥٧) بيان تجاوز الله عن حديث النفس.

فَائِدَة (١): وأَخرَجَ مُسلِمٌ أيضًا: عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**». سبق تخريجه في تفسير سورة الفاتحة.

---

(١) أَشارَ به إلى أنَّ قولَه: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ مُتعلِّقٌ بِمَحذُوفٍ؛ فيكون في مَحَلِّ نَصبٍ على الحَالِ. (٢) أي: قبلَ تَنزِيلِ الكِتَابِ الذي هو القُرآنُ. (٣) أي: مِنَ التوراةِ والإِنجِيلِ.

(٤) قال الشيخُ صفيُّ الرَّحمنِ المباركفوريُّ في تعليقه على تفسيرِ الجلالَين (ص٥٩): «هذا التوجيه لِبَيانِ الفرقِ بين الإنزالِ والتَّنزِيلِ غيرُ صَحِيحٍ، وقد جَرى على هذا الخطأ كثيرٌ مِن أهلِ العِلمِ؛ فقدْ وَقعَ التَّعبيرُ عَن نُزولِ القُرآنِ بالإنزالِ ومُشتقَّاتِه بِنَحو مِائَةِ مَرَّةٍ، أمَّا التعبيرُ بالتنزيلِ ومُشتَقَّاتِه فقدْ وقَع ما بَينَ ثَلاثِينَ وأربَعينَ مَرَّةً فقط». (٥) فهو من عَطفِ العَامِّ على الخَاصِّ؛ فالمُرادُ بـ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ هنا: الفَارِقُ بَينَ الحَقِّ والبَاطِلِ لا خُصُوص القُرآنِ؛ فالفُرقَانُ وَصفٌ لِجَميعِ كُتُبِ اللهِ؛ لأنَّها تَفرقُ بَينَ الحَقِّ والبَاطِلِ. (٦) في نُسخَةِ قَباوَة: (وَعِيده ووَعده). (٧) هُود: ١. (٨) الزُّمَر: ٢٣. (٩) أَشارَ به إلى أنَّ الوَقفَ على ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وهو مَذهبُ الأكثَرِينَ، وهو أقيسُ بِالعَربيَّةِ وأشبهُ بِظَاهِرِ الآيَةِ. (١٠) أي: يَتبَعُ المُتَشابَهَ بِالعَمَلِ بِظَاهِرِه؛ أو بِتأويلِه تَأويلًا لا يَلِيقُ. (١١) تَفسيرُه الرَّحمةَ بِالتَّثبِيتِ جَريًا على مَذهبِه في تَأويلِ الرَّحمةِ، وسبقَ بيَانُ المَذهَبِ الحَقِّ. والتَّثبِيتُ مِن لَازِمِ الرَّحمَةِ، كَما قَالَ ابنُ كثيرٍ (١/ ٣٢٩): «﴿رَحۡمَةًۚ﴾ تُثَبِّتُ بها قُلوبَنا وتَجمَعُ بها شَملَنا وتَزيدُنا بها إيمَانًا وإيقَانًا». (١٢) هَذا على أنَّه مِن كَلامِ الرَّاسِخِينَ؛ فيه التفاتٌ مِنَ الخطابِ في قَولِهم: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ إلى الغَيبَةِ في قولِهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾. (١٣) فلا يَكونُ فيه التفاتٌ على مَذهبِ الجُمهورِ، وفيه التفاتٌ عَنِ التَّكَلُّمِ على مَذهَبِ السَّكَّاكِيِّ.

(١٤) البُخاريُّ (٤٥٤٧)، ومسلمٌ (٢٦٦٥). (١٥) في نُسخَةِ قَباوَة: (أبي مَالِكٍ). (١٦) الحديثُ أخرجَه الطبرانيُّ في «الكبيرِ»، وضَعَّفَه الألبانيُّ في ضعيفِ الترغيبِ والترهيبِ (٨٠).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟
سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾
قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ
ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ
مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ
وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ
مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ
أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

الحزب ٦

٥١

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ﴾: تَدفَعَ ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عَذَابِه ﴿شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ بِفَتحِ الوَاوِ[١]: مَا تُوقَدُ بِهِ[٢].

[١١] دَأْبُهُمْ ﴿كَدَأْبِ﴾: كَعَادَةِ ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الأُمَمِ؛ كَعَادٍ وثَمُودَ ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أهلَكَهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ والجُملَةُ[٣] مُفَسِّرَةٌ لِمَا قَبْلَها[٤] ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وَنَزَلَ -لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ اليَهُودَ بِالإِسلَامِ، مَرْجِعَهُ مِنْ بَدْرٍ؛ فَقَالُوا: «لَا يَغُرَّنَّكَ أَنْ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيشٍ أَغمَارًا لَا يَعرِفُونَ القِتَالَ»[٥]-:

[١٢] ﴿قُل﴾ يا مُحَمَّد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنَ اليَهُودِ: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ بِالتَّاءِ واليَاءِ[٦]، في الدُّنيَا بِالقَتلِ والأَسرِ وضَربِ الجِزيَةِ. وقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ - بِالوَجهَينِ[٧]- في الآخِرَةِ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فَتَدخُلُونَها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفِرَاشُ هي!

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾: عِبرَةٌ. وَذُكِّرَ الفِعْلُ[٨] لِلْفَصْلِ ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾: فِرقَتَينِ ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ يومَ بَدْرٍ لِلقِتَالِ ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طَاعَتِه؛ وهُم: النَّبِيُّ [ﷺ][٩] وأَصحَابُه، وكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَعَهُم فَرَسَانِ وَسِتُّ أَدرُعٍ، وثَمَانِيَةُ سُيوفٍ، وأَكثَرُهُم رَجَّالَةٌ ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي: المُسلِمِينَ؛ أي: أَكثَرَ منهم، وكَانُوا نَحوَ أَلْفٍ ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي: رُؤيَةً ظَاهِرَةً مُعَايَنَةً. وقَد نَصَرَهم الله مَع قِلَّتِهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾: يُقَوِّي ﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ نَصرَه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: لِذَوِي البَصَائِرِ؛ أَفَلَا تَعتَبِرُونَ بِذَلِكَ فَتُؤمِنُونَ؟

[١٤] ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: ما تَشتَهِيه النَّفسُ وتَدعُو إِليه، زَيَّنَهَا الله[١٠] ابتِلَاءً، أَوِ الشَّيطَانُ[١١] ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾: الأَموَالِ الكَثِيرَةِ ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: المُجَمَّعَةِ ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: الحِسَانِ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: الإِبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾: الزَّرعِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكورُ ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يُتَمَتَّعُ بِهِ فيها ثُمَّ يَفنَى ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾: المَرجِعِ. وهُو الجَنَّةُ؛ فَيَنبَغِي الرَّغبَةُ فيه، دُونَ غَيرِه.

[١٥] ﴿ ۞ قُلْ﴾ يا مُحَمَّد لِقَومِكَ: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾: أُخبِرُكُم[١٢] ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ المَذكُورِ مِنَ الشَّهَوَاتِ؟ استِفهَامُ تَقرِيرٍ[١٣] ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّركَ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خَبرٌ مُبتَدَؤُهُ: ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي: مُقَدَّرِينَ الخُلُودَ[١٤] ﴿فِيهَا﴾ إِذَا دَخَلُوها ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ مِنَ الحَيضِ وغَيرِه مِمَّا يُستَقذَرُ ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ - بِكَسرِ أَوَّلِه وضَمِّه؛ لُغَتَانِ[١٥]- أي: رِضًا[١٦] كَثِيرٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾: عَالِمٌ[١٧] ﴿بِٱلْعِبَادِ﴾ فَيُجَازِي كُلًّا منهم بِعَمَلِه.

= فَائِدَة (٢): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ النُّعمَانِ بنِ بَشِيرٍ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله كَتَبَ كِتَابًا قَبلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ، وَلَا تُقرَآنِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ». التِّرمِذِيُّ - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٤) ما جاء في آخر سورة البقرة. صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٣١١).

فَائِدَة (٣): أَخرَجَ البُخَارِيُّ ومُسلِمٌ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». البُخَارِيُّ (٥٠٠٩)، ومُسلِمٌ (٨٠٨). «كَفَتَاهُ»: حَفِظَتَاه مِنَ الشَّرِّ، ووَقَتَاه مِنَ المَكرُوهِ. وقِيلَ: أَغنَتَاه عَن قِيامِ اللَّيلِ؛ وذلك لِمَا فيهما مِن مَعَانِي الإِيمَانِ، والإِسلَامِ، والالتِجَاءِ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والاستِعَانَةِ به، والتَّوَكُّلِ عليه، وطَلَبِ المَغفِرَةِ والرَّحمَةِ منه.

---

(١) وهي قِرَاءَةُ العَشَرَةِ، وقَرَأَ الحَسَنُ بِضَمِّ الوَاوِ؛ مَصدَرٌ بِمَعنَى: الإِيقَادِ. (٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ما يوقد به).

(٣) أي: جملة: ﴿كَذَّبُوا۟...﴾ الآية. (٤) وهي قَولُه: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية [آل عمران: ١١].

(٥) أَخرَجَه أبو دَاودَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وضَعَّفَه الأَلبَانِيُّ في ضَعِيفِ سُنَنِ أَبِي دَاودَ (٦٤٧). وحسَّنه في الاستيعَابِ بِمَجمُوعِ طُرُقِه. الاستيعاب في بيان الأسباب (١/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(٦) بالياءِ قِرَاءةُ حمزة والكِسَائِيِّ. (٧) أي: بالتَّاءِ واليَاءِ، بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٨) وهو ﴿كَانَ﴾ ذُكِّرَ لِلفَصلِ والجَارِّ والمَجرُورِ، وهو قوله: ﴿لَكُمْ﴾. (٩) كَلِمَةُ: (ﷺ) لَيسَتْ في الأَصلِ، وأَثبَتنَاها من نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١٠) كما في قَولِ عُمَرَ: «اللَّهُمَّ لا صَبْرَ لَنَا عَلَى مَا زَيَّنْتَ لَنَا إلا بِكَ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ مُعَلَّقًا في الرِّقَاقِ، بَابُ قَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَذَا المَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ».

(١١) أي: بِالوَسوَسَةِ. (١٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أأخبرُكم).

(١٣) وليسَ المُرادُ به هنا طَلَبَ الإِقرَارِ، والاعترافَ مِنَ المُخَاطَبِينَ، كما هو مَعنَى الاستفهام التَّقرِيرِيِّ في الأَصلِ، بَلِ المُرادُ به التَّحقِيقُ والتَّثبِيتُ في نفوسِ المُخَاطَبِينَ.

(١٤) أي: فهي حَالٌ مُقَدَّرَةٌ. (١٥) وهُما قِراءَتَانِ، والضَّمُّ قِرَاءَةُ شُعبَةَ.

(١٦) أَشَارَ بذلِكَ إلى أَنَّ كُلًّا مِنَ المَكسورِ والمَضمومِ مَصدرُ «رَضِي»؛ فهما بِمعنى وَاحِد، وإِنْ كانَ الثاني سَمَاعِيًّا والأَوَّل قِيَاسِيًّا.

(١٧) وهذا تَأوِيلٌ لِصِفَةِ البَصَرِ الثَّابِتَةِ لله عَزَّوَجَلَّ بِالكتابِ والسُّنَّةِ على الوَجهِ اللائِقِ بِه، دون أن يَقتَضِيَ ذلكَ تَمثِيلًا له بِالمَخلُوقِ، كما قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ
وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ
أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا
بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ
عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ
فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ
وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ
ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نعتٌ، أو بَدَلٌ مِنَ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قَبلَه ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾: صَدَّقنَا بِكَ وبِرَسُولِكَ ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

[١٧] ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الطَّاعَةِ وعَنِ المَعصِيَةِ: نَعتٌ ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإِيمَانِ(١) ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾: المُطِيعينَ لله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: المُتَصدِّقِينَ ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ اللهَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لَنَا» ﴿بِٱلْأَسْحَارِ﴾: أَوَاخِرِ اللَّيلِ. خُصَّتْ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّها وَقتُ الغَفلَةِ ولَذَّةِ النَّومِ.

[١٨] ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: بَيَّنَ(٢) لِخَلقِه بِالدَّلَائِلِ والآيَاتِ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي: لا مَعبُودَ(٣) في الوُجُودِ بِحَقٍّ ﴿إِلَّا هُوَ وَ﴾ شَهِدَ بِذلِكَ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بِالإِقرَارِ ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ مِنَ الأَنبيَاءِ والمُؤمِنِينَ بِالاعتِقَادِ واللَّفظِ ﴿قَآئِمًۢا﴾ بِتَدبِيرِ مَصنُوعَاتِه. وَنَصْبُهُ على الحَالِ(٤)، والعَامِلُ فيها مَعنَى الجُملَةِ؛ أي: تَفَرَّدَ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كَرَّره تَأْكِيدًا ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه.

[١٩] ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ المَرْضِيَّ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو ﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أي: الشَّرعُ المَبعُوثُ به الرُّسُلُ، المَبنِيُّ عَلى التَّوحِيدِ. وفي قِرَاءَةٍ بِفَتحِ ﴿أَنَّ﴾(٥) بَدَلٌ مِنْ «أنه... إلخ»، بَدَلُ اشتِمَالٍ(٦) ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليَهُودُ والنَّصَارَى في الدِّينِ؛ بِأَنْ وَحَّدَ بَعضٌ وَكَفَرَ بَعضٌ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بِالتَّوحِيدِ ﴿بَغْيًۢا﴾ مِنَ الكَافِرِينَ ﴿بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: المُجَازَاةِ له.

[٢٠] ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾: خَاصَمَكَ الكُفَّارُ يَا مُحَمَّد في الدِّينِ ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾: انقَدْتُ لَهُ أَنَا ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ وخُصَّ الوَجهُ بِالذِّكْرِ؛ لِشَرَفِه؛ فغَيرُه أَوْلَى. ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليَهُودِ والنَّصَارَى ﴿وَٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾: مُشرِكِي العَرَبِ: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾؟ أي: أَسْلِمُوا ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ مِنَ الضَّلَالِ ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عَنِ الإِسلَامِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ أي: التَّبلِيغُ لِلرِّسَالَةِ ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فمُجَازِيهم(٧) بِأَعمَالِهم. وهذَا قَبلَ الأَمرِ بِالقِتَالِ(٨).

[٢١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قِرَاءَةٍ: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾(٩) ﴿ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُمُ: اليَهُودُ. رُوِيَ أَنَّهم قَتَلُوا ثَلاثَةً وأَربَعِينَ نَبيًّا؛ فنَهَاهُم مِائَةٌ وسَبعُونَ مِنْ عُبَّادِهِمْ؛ فقَتَلُوهم مِنْ يَومِهِم ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: أَعْلِمْهُمْ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِمٍ. وَذِكْرُ البِشَارَةِ تَهَكُّمٌ بِهِم. ودَخَلَتِ الفَاءُ في خَبَرِ ﴿إِنَّ﴾؛ لِشَبَهِ اسمِهَا المَوصُولِ بِالشَّرطِ(١٠).

[٢٢] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: مَا عَمِلُوا مِنْ خَيرٍ؛ كَصَدَقَةٍ وصِلَةِ رَحِمٍ ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلا اعتِدَادَ بها؛ لِعَدَمِ شَرطِهَا ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَانِعِينَ مِنَ العَذَابِ.

---

(١) بِالتَّصدِيقِ بِالقَلبِ واللِّسَانِ، والانقِيَادِ بِالقَلبِ واللِّسَانِ والجَوَارِحِ.

(٢) قَالَ الصَّاوِي (١/ ١٩١): «الشَّهَادَةُ هي الإِقرَارُ بِاللِّسَانِ والإِذعَانُ بِالقَلبِ. وذلك مُستَحِيلٌ على الله». ولِذَا فَسَّرها السُّيُوطِي بِما ذُكِرَ جَريًا عَلى مَذهبِه مِنَ القَولِ بِالكَلامِ النَّفسِي. ومَذهَبُ السَّلفِ إِثباتُ الكَلامِ الحَقِيقِي المَسمُوعِ بِحَرفٍ وصَوتٍ، عَلى ما يَلِيقُ بِجَلالِ الله تَعالى، مِنْ غَيرِ تَحريفٍ ولا تَعطِيلٍ ولا تَكييفٍ ولا تَمثِيلٍ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مَعبودَ)؛ بِدُونِ: (أي: لَا)، وفي حَاشِيةِ الجَمَلِ: (لا مَعبودَ)؛ بِدُونِ: (أي).

(٤) إِمَّا مِنْ لَفظِ الجَلالَةِ، أو مِنَ الضَّمِيرِ المُنفَصِلِ ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿إِلَّا﴾، والأَحسَنُ الثاني؛ لِيُفِيدَ أَنَّ الله شَهِدَ شَهَادَتَينِ؛ الأُولى: أَنَّه لا إِلَه إِلَّا هو، والثَّانِيةُ: أَنَّه قَائِمٌ بِالقِسطِ، ومُتَعَلَّقُ الأُولى: تَنزِيهُ ذَاتِه، ومُتَعَلَّقُ الثانِيَةِ: تَنزِيهُ صِفَاتِه.

(٥) وهي قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ، والتَّقدِيرُ: شَهِدَ الله أَنَّه لَا إِلهَ إِلَّا هُو، وشَهِدَ أَنَّ الدِّينَ عِندَه هو الإِسلَام.

(٦) وهذا بِنَاءً عَلى تَفسِيرِه الإِسلَام بِأَنَّه الشَّرعُ؛ لأَنَّ وَحدَانِيَّةَ الله اشتَمَلَ عَلَيها الإِسلَامُ، أَمَّا إِذا فُسِّرَ بِالإِيمَانِ أَوِ التَّوحِيدِ، كَانَ بَدَلَ كُلٍّ مِنْ كُلٍّ. وذَكَرَ الرضي: أَنَّ بَدَلَ الاشتِمَالِ أَن يَكونَ المُخَاطَبُ مُنتظِرًا لِلبدلِ عِندَ سَمَاعِ المُبدَلِ منه، وهنا لَيسَ كَذلِكَ.

(٧) في نُسخَةِ حَاشِيةِ الجَمَلِ: (فيَجزِيهم).

(٨) أي: فهو مَنسُوخ.

(٩) الصَّوابُ ذِكْرُ هَذه العِبَارَةِ بعدَ قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ﴾ الآية [آل عمران:٢١]؛ لِأَنَّ القِرَاءَتَينِ إِنَّما هُما في الثانيةِ، أَمَّا الأُولى فهي: ﴿يَقْتُلُونَ﴾ لَا غَيرَ؛ فَذِكْرُهَا هُنَا سَبقُ قَلَمٍ مِنَ الشَّارِحِ.

(١٠) واسمُهَا المَوصُولُ هو ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وهُو في الأَصلِ مُبتَدَأٌ، والمُبتَدَأُ مَتى وَقَعَ اسم موصولٍ ولو مَنسُوخًا قُرِنَ خَبرُه بِالفَاءِ، إِلَّا إِذا نُسِخَ بـ«ليتَ، ولَعلَّ، وكأَن» فتمتنع الفَاءُ عندَ الجَمِيعِ؛ لِتَغيُّرِ المَعنَى لانتِفَاءِ مَعنَى الخَبرِيَّةِ؛ فلا يَبقى الكَلامُ مُحتَملًا لِلصِّدقِ والكَذِبِ، بِخِلافِه بعدَ دُخُولِ «إِن».

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ
ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ
وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن
تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن
تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ
تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ
مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٥٣

[٢٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنظرْ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾: حظًّا ﴿مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: التَّوراةِ ﴿يُدْعَوْنَ﴾: حالٌ ﴿إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عَن قَبُولِ حُكْمِه. نَزَلَ في اليَهُودِ؛ زَنَى منهم اثنانِ؛ فتحاكَمُوا إلى النَّبيِّ ﷺ؛ فحكَم عليهما بالرَّجْمِ، فأَبوا، فجِيءَ بالتَّوراةِ، فوُجِدَ فيها؛ فرُجِما[1]؛ فغَضِبُوا.

[٢٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّولِّي والإعراضُ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ أي: بِسببِ قَولِهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أربعِينَ يومًا، مُدَّةَ عِبادةِ آبائِهمُ العِجلَ، ثُمَّ تَزُولُ عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم﴾: مُتَعلِّقٌ بِقَولِه: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مِنْ قَولِهم ذلِكَ.

[٢٥] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالُهم ﴿إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يومٍ ﴿لَّا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ﴾ هو يومُ القِيامَةِ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ مِنْ أهلِ الكِتابِ وغيرِهم جزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: عَمِلتْ مِنْ خيرٍ وشَرٍّ ﴿وَهُمْ﴾ أي: النَّاسُ ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بِنَقْصِ حَسنَةٍ أو زِيادةِ سيِّئةٍ؟

[٢٦] ونَزَلَتْ -لَمَّا وَعَدَ ﷺ أُمَّتَه مُلْكَ فارِسَ والرُّومِ؛ فقالَ المُنافِقُونَ: «هَيهاتَ»[2]-: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ يا اللهُ ﴿مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى﴾: تُعطِي ﴿ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ مِنْ خلْقِكَ ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بِإيتائِه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بِنَزعِه منه ﴿بِيَدِكَ﴾: بِقُدْرتِكَ[3] ﴿ٱلْخَيْرُ﴾ أي: والشَّرُّ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٧] ﴿تُولِجُ﴾: تُدخِلُ ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾: تُدخِلُه ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيَزِيدُ كُلٌّ مِنهُما بِما نَقصَ مِنَ الآخرِ ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسانِ والطَّائرِ مِنَ النُّطفةِ والبيضةِ ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ كالنُّطفةِ والبيضةِ ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رِزقًا واسِعًا.

[٢٨] ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ يُوالُونَهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي: غيرِ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: يُوالِهم[4] ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ دِينِ ﴿ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: مَصدرُ تَقيْتُه؛ أي: تَخافُوا مَخافَةً، فلَكم مُوالاتُهم بِاللِّسانِ دُونَ القلبِ. وهذا قَبلَ عِزَّةِ الإسلامِ، ويَجرِي فِيمَنْ هو في بَلَدٍ ليسَ قَوِيًّا فيها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾: يُخَوِّفُكُمُ ﴿ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أنْ يَغضَبَ عَليكم[5] إن والَيتُمُوهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ؛ فيُجازِيكُم.

[٢٩] ﴿قُلْ﴾ لَهم: ﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: قُلُوبِكُم مِنْ مُوالاتِهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾: تُظهِرُوه ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَ﴾ هُو ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تَعذِيبُ مَنْ والاهُم.

---

(١) أخرجَ البُخاريُّ (٣٦٣٥)، ومسلمٌ (١٦٩٩) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ اليَهُودَ جاءُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟». فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ، إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ. فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ الله ﷺ فَرُجِمَا. الحديث. وليس فيه أَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ ذلِكَ.

(٢) أخرجَه ابنُ جريرٍ (٥/ ٣٠٣) عَنْ قَتادةَ مُرسَلًا، وذكرَه النَّيسابُوريُّ في أَسبابِ نُزولِ القُرآنِ (ص١٠٢)، والواحِديُّ (ص٦٣) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ وأنسٍ دُونَ إسنادٍ.

(٣) وهذا تأويلٌ كالِحٌ، ومَعنًى رَكِيكٌ. ومَذهبُ السَّلفِ الصَّالحِ إثباتُ ما أَثبتَه اللهُ لِنفسِه وأَثبتَه له رَسُولُه ﷺ مِن غَيرِ تَحرِيفٍ ولا تكييفٍ ولا تَمثيلٍ ولا تَعطيلٍ. ثُمَّ ماذا يَقُولُ هؤلاءِ في قولِه ﷺ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «يَدُ اللهِ مَلأَى لا يَغِيضُها نَفَقَةٌ»؟ وغيرِ ذلكَ مِنَ الأحاديثِ الكَثيرةِ التي فيها إثباتُ صِفةِ اليَدِ والأصبعِ وغيرِها، على الوَجهِ الذي يَلِيقُ بِرَبِّنا جَلَّ وَعَلَا؟ ثُمَّ إنَّ يَدَ القُدرةِ والنِّعمةِ لا يُعرفُ استعمالُها ألبَتَّةَ إلَّا في حَقِّ مَنْ له يَدٌ حَقِيقيَّةٌ.

(٤) في نُسخةِ حاشِيةِ الجَمَلِ: (يُوالِيهم).

(٥) يُشيرُ بذلكَ إلى أنَّ المُرادَ بِقولِه -تعالَى-: ﴿نَفْسَهُۥ﴾ أي: غَضَبَ نفسِه، وهذا مَذهبُ المُؤوِّلةِ، وأمَّا السَّلَفُ فيُثبِتُونَ النَّفسَ لله عَزَّ وَجَلَّ، ولكنَّهم اختلَفُوا أَهِي صِفةُ ذاتٍ أم هِيَ الذَّاتُ نفسُها؟ فإلى الأوَّلِ ذهبَ ابنُ خُزيمةَ؛ حيثُ ترجَمَ في صَحيحِه: بابُ ذِكرِ البَيانِ مِنْ خَبرِ النَّبيِّ ﷺ في إثباتِ النَّفسِ لله، أمَّا ابنُ تيميَّةَ فقدْ رَجَّحَ أنَّها بِمعنَى الذَّاتِ، ونَسبَه لجُمهورِ العُلَماءِ. مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٢).

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ
نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

ربع الحزب ٦

[٣٠] اذْكُرْ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ ـهُ ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ ـهُ ﴿مِن سُوٓءٍ﴾ مُبتَدأٌ خَبَرُهُ: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾: غَايَةً في نِهَايَةِ البُعْدِ، فلا يَصِلُ إِليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ كُرِّرَ لِلتَأْكِيدِ ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

[٣١] وَنَزَلَ -لَمَّا قَالُوا: «مَا نَعبُدُ الأَصنامَ إِلَّا حُبًّا لله؛ لِيُقَرِّبُونا إِليه»(١)-: ﴿قُلْ﴾ لهم يَا مُحَمَّد: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ بِمَعنَى: أَنَّه يُثِيبُكم(٢) ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِـمَنِ اتَّبَعَنِي مَا سَلَفَ منه قَبلَ ذلِكَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ به.

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ لَهم: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فِيمَا يَأْمُرُكُم به مِنَ التَّوحِيدِ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أَعرَضُوا عَنِ الطَّاعَةِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. فيه إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ المُضمَرِ؛ أَي: لا يُحِبُّهم؛ بِمَعنَى: أَنَّه يُعَاقِبُهم(٣).

[٣٣] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: اختَارَ ﴿ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ بِمَعنَى: أَنفُسَهما ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٤) بِجَعْلِ الأَنبِيَاءِ مِنْ نَسلِهم.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ﴾ وَلَدِ ﴿بَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٣٥] اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ «حَنَّةُ»(٥) لَمَّا أَسَنَّتْ واشتَاقَتْ لِلوَلَدِ؛ فدَعَتِ اللهَ، وأَحَسَّتْ بِالحَمْلِ: يَا ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ﴾ أَنْ أَجعَلَ ﴿لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾: عَتِيقًا، خَالِصًا مِنْ شَوَاغِلِ الدُّنيَا لِخِدمَةِ بَيتِكَ المُقَدَّسِ ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلدُّعَاءِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِالنِّيَّاتِ. وَهَلَكَ عِمرَانُ وهِي حَامِلٌ(٦).

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ وَلَدَتْها جَارِيةً، وكَانَت تَرجُو أَن يَكُونَ غُلَامًا؛ إِذْ لَم يَكُنْ يُحَرَّرُ إِلَّا الغِلمَانُ ﴿قَالَتْ﴾ مُعتَذِرَةً: يَا ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أَي: عَالِمٌ ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ جُملَةُ اعتِرَاضٍ مِن كَلامِه -تَعَالَى-. وفي قِرَاءَةٍ: بِضَمِّ التَّاءِ(٧)، ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ﴾ الذِي طَلَبَتْ ﴿كَٱلْأُنثَىٰ﴾ التي وُهِبَتْ(٨)؛ لِأَنَّه يُقصَدُ لِلخِدمَةِ، وهِي لا تَصلُحُ لها لِضَعفِها وعَورَتِها ومَا يَعتَرِيها مِنَ الحَيضِ ونَحوِه ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أَولَادَها ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: المَطرُودِ. في الحَدِيثِ(٩): «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ؛ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**»(١٠). رَوَاهُ الشَّيخَانِ.

[٣٧] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أَي: قَبِلَ مَريَمَ مِنْ أُمِّها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: أَنشَأَهَا بِخَلْقٍ حَسَنٍ؛ فكَانَت تَنبُتُ في اليَومِ؛ كَمَا يَنبُتُ المَولُودُ في العَامِ(١١)، وأَتَتْ بِها أُمُّها الأَحبَارَ سَدَنَةَ بَيتِ المَقدِسِ، فقَالَتْ: دُونَكُم هَذه النَّذِيرَةَ. فتَنَافَسُوا فيها؛ لِأَنَّها بِنتُ إِمَامِهم؛ فقَالَ زَكَرِيَّاءُ: أَنا أَحَقُّ بها؛ لِأَنَّ خَالَتَها عِندِي. فقَالُوا: لَا حَتَّى نَقتَرِعَ. فانطَلَقُوا وهُم تِسعَةٌ وعِشرُونَ إِلى نَهرِ الأُردُنِّ، وأَلقَوا أَقلَامَهم على أَنَّ مَنْ ثَبَتَ قَلَمُه في المَاءِ وصَعِدَ أَوْلَى بها، فثَبَتَ قَلَمُ زَكَرِيَّاءَ؛ فأَخَذَها، وبَنَى لها غُرفَةً في المَسجِدِ بِسُلَّمٍ لا يَصعَدُ إِلَيها غَيرُه(١٢). وكَانَ يَأتِيها بِأَكلِها وشُربِها ودُهنِها، فيَجِدُ عِندَها فَاكِهَةَ الصَّيفِ في الشِّتَاءِ، وفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ في الصَّيفِ(١٣)؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَ[كَفَلَهَا زَكَرِيَّاءُ]﴾: ضَمَّهَا إِليه. وفي قِرَاءَةٍ: بِالتَّشدِيدِ(١٤)، ونَصبِ «زَكَرِيَّاءَ» مَمدُودًا ومَقصُورًا(١٥)، والفَاعِلُ: «اللهُ» ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا [زَكَرِيَّاءُ] ٱلْمِحْرَابَ﴾: الغُرفَةَ- وهِي أَشرَفُ المَجَالِسِ- ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ﴾: مِنْ أَينَ ﴿لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ﴾ وهي صَغِيرَةٌ: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يَأتِينِي به مِنَ الجَنَّةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رِزقًا وَاسِعًا بِلَا تَبِعَةٍ.

---

(١) يُشِيرُ إِلى مَا أَخرَجَه الوَاحِدِيُّ بنحوه عَن جُوَيبِر عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ به. قَالَ الحَافِظُ في العُجَابِ (٢/ ٦٧٨): «وهذا مِن مُنكَرَاتِ جُوَيبِر؛ فإِنَّ «آل عِمرَانَ» مَدَنِيَّةٌ، وهَذِه القِصَّةُ إِنَّما كَانَت بِمَكَّةَ قبلَ الهِجرَةِ، ولَعَلَّ الذي نَزَلَ فيها في أَوائلِ «الزُّمَر»»، وضَعَّفَه جدًّا في الاستيعابِ (١/ ٢٤٢).

(٢) وهذا تَأوِيلٌ لِصِفَةِ المَحَبَّةِ التي أَثبَتَها اللهُ لِنَفسِه وأَثبَتَها له رَسُولُه ﷺ بِبَعضِ لَوازِمِها. وسَبَقَ بَيَانُ مَذهَبِ السَّلَفِ في ذلك وأَنَّهم يُثبِتُونَها على الوَجهِ الذي يَلِيقُ به -سُبحَانَهُ-.

(٣) وهذا تَأوِيلٌ مُخَالِفٌ لِظَاهِرِ اللفظِ ومَذهَبِ السَّلَفِ. وَسَبَقَ بَيَانُ ذلكَ مِرَارًا، ومِنْ لَازِمِ عَدَمِ مَحَبَّتِه -سُبحَانَهُ- لَهم أَنَّه يُعَاقِبُهم.

(٤) المُرَادُ: عَالَمُو زَمَانِهم.

(٥) لَم يَثبُتْ اسمُها بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، وإِنَّما رُوِيَ ذلِكَ مِن طُرُقٍ ضَعِيفَةٍ، كَما عندَ الطبريِّ (٦٨٥٦) عَنِ ابنِ إِسحَاقَ، و(٦٨٧٥) عَن عِكرِمَةَ.

(٦) أَخرَجَه الطَّبَرِيُّ (٦٨٥٨) عَنِ ابنِ إِسحَاقَ، وفيه شَيخُ الطبريِّ وهو مُحَمَّدُ بنُ حميد، وهو ضَعِيفٌ جدًّا.

(٧) لابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ. وعلى هذه القِرَاءَةِ يَكونُ ذلكَ مِن كَلامِها اعتِذَارًا.

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وَهَبْتُ)؛ بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ.

(٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وفي الحَدِيثِ) بِإِثبَاتِ الوَاوِ.

(١٠) البُخَارِيُّ (٣٤٣١)، ومُسلِمٌ (٢٣٦٦) مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ؛ بِلَفظِ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**».

(١١) قَالَ الصَّاوِي (١/ ٢٠٠): «أَي: في العَقلِ والمَعرِفَةِ، وإِلَّا فالكَلام مِن قَبِيلِ المُبَالَغَةِ».

(١٢) رَوَاهُ ابنُ عَسَاكِر (٧٠/ ٧٧-٧٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ بِإِسنَادٍ ضَعِيفٍ جدًّا-كَما ذَكَر في ضَوءِ القَمرينِ (ص١٠٩)-، وذَكَرَه مُقَاتِلٌ في تَفسِيرِه (١/ ٢٧٣).

(١٣) رَوَى ابنُ أَبِي حَاتِمٍ في تَفسِيرِه (٣٤٤٥) عَنْ عِكرِمَةَ، مُرسَلًا، قَالَ: «فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ».

(١٤) والقِرَاءَةُ المُفَسَّرَةُ بِالتَّخفِيفِ، لِنَافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ.

(١٥) بِالمَدِّ؛ أَي: زَكَرِيَّاء، لِمَنْ سَبَقَ ومَعَهم شُعبَةُ.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ
يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ
مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر
رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي
وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ
وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ
وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى
ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: لَمَّا رَأى زَكَرِيَّاءُ ذَلِكَ، وعَلِمَ أنَّ القَادِرَ عَلى الإتيَانِ بالشَّيءِ في غيرِ حِينِه قَادِرٌ عَلى الإتيَانِ بالوَلَدِ على الكِبَرِ، وكَانَ أهلُ بَيتِه انقَرَضُوا(١) ﴿دَعَا [زَكَرِيَّاءُ] رَبَّهُۥ﴾ لَمَّا دَخَلَ المِحرَابَ(٢) لِلصَّلَاةِ جَوفَ الليلِ ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: مِنْ عِندِكَ ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: وَلَدًا صَالِحًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ(٣)﴾: مُجِيبُ ﴿ٱلدُّعَآءِ﴾.

[٣٩] ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: جِبرِيلُ(٤) ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: المَسجِدِ ﴿أَنَّ﴾ أي: بِأَنَّ- وفي قِرَاءَةٍ: بالكَسرِ(٥) بِتَقدِيرِ القَولِ- ﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ مُثَقَّلًا ومُخَفَّفًا(٦) ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ﴾ كَائِنَةٍ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بِعِيسَى أنَّه رُوحُ الله، وَسُمِّيَ كَلِمَةً؛ لِأنَّه خُلِقَ بِكَلِمَةِ: «كُنْ» ﴿وَسَيِّدًا﴾: مَتبُوعًا ﴿وَحَصُورًا﴾: مَنُوعًا مِنَ النِّسَاءِ ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ رُوِيَ أنَّه لَم يَعمَلْ خَطِيئَةً ولَمْ يَهِمَّ بها(٧).

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كَيفَ ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾: وَلَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: بَلَغْتُ نِهَايَةَ السِّنِّ مِائَةً وعِشرِينَ سَنَةً ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بَلَغَتْ ثَمَانِيَ وتِسعِينَ سَنَةً(٨)؟ ﴿قَالَ﴾: الأَمْرُ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِنْ خَلْقِ الله غُلَامًا(٩) مِنكُمَا ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ لا يُعجِزُه عنه شَيءٌ. ولإظهَارِ هذه القُدرَةِ العَظِيمَةِ أَلهَمَهُ السُّؤَالَ؛ لِيُجَابَ بِهَا. ولَمَّا تَاقَتْ نَفسُه إلى سُرعَةِ المُبَشَّرِ بِهِ:

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: عَلَامَةً على حَمْلِ امْرَأَتِي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تَمتَنِعَ مِنْ كَلَامِهِم بِخِلَافِ ذِكْرِ الله -تَعَالَى- ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: بِلَيَالِيهَا ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إِشَارَةً ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾: صَلِّ ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: أَوَاخِرِ النَّهَارِ وأَوَائِلِه.

[٤٢] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: جِبرِيلُ: ﴿يَٰمَرْيَمُ(١٠) إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾: اختَارَكِ ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ مِنْ مَسِيسِ الرِّجَالِ(١١) ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أَهلِ زَمَانِكِ(١٢).

[٤٣] ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾: أَطِيعِيه ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: صَلِّي مَعَ المُصَلِّينَ.

[٤٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ، مِنْ أَمْرِ زَكَرِيَّاءَ ومَريَمَ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أَخبَارِ مَا غَابَ عنكَ ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ في المَاءِ، يَقتَرِعُونَ؛ لِيَظهَرَ لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾: يُرَبِّي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كَفَالَتِها؛ فَتَعرِفَ ذلِكَ؛ فَتُخبِرَ به. وإِنَّمَا عَرَفتَه مِنْ جِهَةِ الوَحيِ.

[٤٥] اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: جِبرِيلُ: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: وَلَدٍ ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ - خَاطَبَها بِنِسبَتِه إِلَيها تَنبِيهًا عَلى أَنَّها تَلِدُه بِلَا أَبٍ؛ إِذْ عَادَةُ الرِّجَالِ نِسبَتُهم إلى آبَائِهم- ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جَاهٍ ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بِالنُّبُوَّةِ ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بِالشَّفَاعَةِ والدَّرَجَاتِ العُلَا ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عِندَ الله.

---

(١) انقِرَاضُ أهلِ بَيتِه؛ أخرجَه الطَّبَرِيُّ (٦٩٤٣) عَنِ ابنِ إِسحَاقَ، قَالَ: «حدَّثني بعضُ أهلِ العِلمِ...» وذَكَره. وفيه ابنُ حميد، شيخُ الطبريِّ، ضَعِيفٌ جِدًّا.

(٢) أي: المَسجِد.

(٣) فيه إثبَاتُ صِفَةِ السَّمعِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبْحَانَهُ-.

(٤) فهو من تَسمِيَةِ الخَاصِّ باسمِ العَامِّ تَعظِيمًا له.

(٥) لِحَمزَةَ وابنِ عامرٍ.

(٦) بِالتَّخفِيفِ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ، ويَكُونُ بِفَتحِ اليَاءِ وسُكُونِ البَاءِ وضَمِّ الشِّينِ.

(٧) رُوِيَ مِن عِدَّةِ طُرُقٍ بعضُها ضَعِيفٌ وبعضُها يَقبَلُ التَّحسِينَ بِمَجمُوعِ طُرُقِه؛ ولِذَا ذَكَرَه الألبَانِيُّ في الصَّحِيحَةِ (٢٩٨٤) بِلَفظِ: «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِلَّا قَدْ أَخطَأَ، أو هَمَّ بِخَطِيئَةٍ، لَيسَ يَحيَى ابنُ زَكَرِيَّا».

(٨) في نُسخَةِ حَاشِيَةِ الجَمَلِ: (ثَمانِيةً وتِسعِينَ) ودُونَ كَلِمَةِ: (سَنَة). وهذا الأَثَرُ ذَكَرَه البَغَوِيُّ (٢/ ٣٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. ورَوى الطَّبَرِيُّ (١٥/ ٤٦٦) بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ في قولِه تعالى في سُورَةِ مَريَمَ: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، قَالَ: «سِنًّا، وَكَانَ ابنَ بِضعٍ وَسَبعِينَ سَنَةً».

(٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة، وحَاشِيَةِ الجَمَلِ: (مِن خَلقِ غُلامٍ بينكما).

(١٠) «لَعَلَّ الحِكمَةَ في أنَّ الله لَم يَذكُرْ في القُرآنِ امرَأَةً بِاسمِها إِلَّا هِيَ الإِشارَةُ بِطَرَفٍ خَفِيٍّ إلى رَدِّ ما قاله الكُفَّارُ من أنَّها زَوجَتُه، فإِنَّ العَظِيمَ عَالِيَ الهِمَّةِ يَأنَفُ مِن ذِكرِ اسمِ زَوجَتِه بَينَ النَّاسِ؛ فَكَأَنَّ الله يَقُولُ: لو كَانَت زَوجَةً لي لَمَا صَرَّحتُ بِاسمِها». حاشيةُ الصَّاوِي على الجَلالَينِ (١/ ٢٠٣).

(١١) أي: ومِن الحَيضِ والنِّفَاسِ وكُلِّ قَذَرٍ.

(١٢) رَوى الطَّبَرِيُّ (٧٠٣٦) عَنِ ابنِ جُرَيجٍ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «ذلِكَ للعَالَمِينَ يَومَئِذٍ»، وقد جَاءَ في السُّنَّةِ ما يَدُلُّ على أَنَّ مَريَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أفضَلُ النِّسَاءِ عَلى الإِطلَاقِ، ومِن ذلكَ ما رَوَاهُ الطبرانيُّ في الكبيرِ (١٢١٧٩) وغيرُه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَرفُوعًا: «سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهلِ الجَنَّةِ بَعدَ مَريَمَ بِنتِ عِمرَانَ: فَاطِمَةُ، وَخَدِيجَةُ، وآسِيَةُ امرَأَةُ فِرعَونَ»، وهو في الصَّحِيحة (١٤٢٤).

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ
﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ
﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ
فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

نصف الحزب ٦

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طِفلًا قبلَ وَقتِ الكَلامِ ﴿وَكَهْلًا[١] وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كَيفَ ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بِتَزوُّجٍ ولا غَيرِه؟ ﴿قَالَ﴾: الأَمْرُ ﴿كَذَٰلِكِ﴾ مِنْ خَلقِ وَلَدٍ مِنكِ بِلَا أَبٍ ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾: أَرادَ خَلْقَه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهُو يَكُونُ.

[٤٨] ﴿[وَنُعَلِّمُهُ]﴾ -بِالنُّونِ والياءِ[٢]- ﴿الْكِتَابَ﴾: الخَطَّ[٣] ﴿وَالْحِكْمَةَ[٤] وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾.

[٤٩] ﴿وَ﴾ نَجعلُه ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في الصِّبَا أو بَعدَ البُلُوغِ. فنَفَخَ جِبرِيلُ في جَيبِ دِرْعِها؛ فَحَمَلَتْ، وكَانَ مِنْ أَمْرِها مَا ذُكِرَ في سُورَةِ «مَريَمَ». فلَمَّا بَعَثَه اللهُ إلى بَني إِسرائِيلَ، قَالَ لَهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿أَنِّي﴾ أي: بِأَنِّي ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾: عَلَامَةٍ على صِدْقِي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هي: ﴿أَنِّي﴾ - وفي قِراءَةٍ[٥]: بِالكَسْرِ؛ استِئنَافًا- ﴿أَخْلُقُ﴾: أُصَوِّرُ ﴿لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: مِثلَ صُورَتِه؛ فالكَافُ اسمٌ مَفعُولٌ ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضَّمِيرُ لِلكَافِ[٦] ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ - وفي قِراءَةٍ[٧]: ﴿طَائِرًا﴾- ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِرَادَتِه[٨]، فخَلَقَ لَهُمُ الخُفَّاشَ- لِأَنَّه أَكمَلُ الطَّيرِ خَلْقًا؛ فكَانَ يَطِيرُ وهُم يَنظُرُونَه، فإذَا غَابَ عَن أَعيُنِهم سَقَطَ مَيْتًا- ﴿وَأُبْرِئُ﴾: أَشفِي ﴿الْأَكْمَهَ﴾: الذي وُلِدَ أَعمَى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وَخُصَّا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهما دَاءَا إِعيَاءٍ[٩]، وكان بَعْثُه في زَمَنِ الطِّبِّ؛ فأَبرَأَ في يَومٍ خَمسِينَ أَلْفًا بِالدُّعَاءِ بِشَرْطِ الإِيمَانِ ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ - كَرَّرَه؛ لِنَفْيِ تَوهُّمِ الأُلُوهِيَّةِ فيه- فأَحيَا «عَازَرَ» -صَدِيقًا له- وابنَ العَجُوزِ، وابنةَ العَاشِرِ؛ فعَاشُوا ووُلِدَ لَهم، و«سَامَ بنَ نُوحٍ» ومَاتَ في الحَالِ ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾: تَخبَئُونَ ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مِمَّا لَم أُعَايِنْه. فكَانَ يُخبِرُ الشَّخْصَ بِمَا أَكَلَ وبِمَا يَأكُلُ بَعدُ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذْكُورِ ﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَ﴾ جِئتُكُم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: قَبلِي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيها- فأَحَلَّ لَهُم مِنَ السَّمَكِ والطَّيرِ مَا لا صِيصِيَةَ له[١٠]. وقِيلَ: أَحَلَّ الجَمِيعَ؛ فبَعضٌ بِمَعنَى «كُلّ»- ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ - كَرَّرَه تَأكِيدًا، ولِيُبنَى عليه-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فِيمَا آمُرُكُم به مِنْ تَوحِيدِ اللهِ وطَاعَتِه.

[٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا﴾ الذي آمُرُكُم به ﴿صِرَاطٌ﴾: طَرِيقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾. فكَذَّبُوه، ولَم يُؤمِنُوا به.

[٥٢] ﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ﴾: عَلِمَ ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأَرَادُوا قَتْلَه ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي﴾: أَعوَانِي ذَاهِبًا[١١] ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لِأَنصُرَ دِينَه؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾: أَعوَانُ دِينِه- وهُم أَصفِيَاءُ عِيسَى، أَوَّلُ مَنْ آمَنَ به، وكَانُوا اثنَيْ عَشَرَ رَجُلًا[١٢] مِنَ الحَوَرِ؛ وهو: البَيَاضُ الخَالِصُ. وقِيلَ: كَانُوا قَصَّارِينَ يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ؛ أي: يُبَيِّضُونَها[١٣]- ﴿آمَنَّا﴾: صَدَّقنَا ﴿بِاللَّهِ وَاشْهَدْ﴾ يا عِيسَى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

---

(١) أي: ويُكَلِّمُهم بِأَنْ يَدعُوهم إلى دِينِ الله حَالَ كونِه كَهْلًا. والكَهْلُ: ما بينَ الغُلَامِ والشَّيخِ، وقِيلَ: مَنْ له ثَلَاثٌ وثَلَاثُونَ سَنَةً، وقِيلَ: مَنْ نَاهَزَ الأَربَعِينَ، وقِيلَ: في الآيَةِ إِشَارَةٌ إلى نُزُولِه عَلَيهِ السَّلَامُ في آخِرِ الزَّمَانِ؛ ففِيها إِخبَارٌ عَن مُعجِزَتَينِ وحُجَّتَينِ.

(٢) بِالنُّونِ: قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عَدَا عَاصِمٍ ونَافِعٍ؛ فَقَرَآ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾؛ بِاليَاءِ.

(٣) أي: الكِتَابَة، وقِيلَ: المُرَادُ جِنسُ الكُتُبِ الإِلهِيَّةِ.

(٤) قِيلَ: المُرَادُ بها: العِلمُ. وقِيلَ: تَهذِيبُ الأَخلَاقِ. وقِيلَ: قُوَّةُ الفَهمِ وحُسْنُ التَّدبِيرِ لِلأُمُورِ بِوَضعِها في مَوَاضِعِها.

(٥) لِنَافِعٍ.

(٦) ويَصِحُّ أَن يَعُودَ على الطِّينِ. وحِكمَةُ المُغَايَرَةِ بين مَا هنا ومَا يَأتِي في آخِرِ المَائِدَةِ: أَنَّ المُتَكَلِّمَ هنا عِيسَى، وهُنَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

(٧) لِنَافِعٍ.

(٨) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على آيَة (١٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، في التَّفرِيقِ بَينَ الإِذنِ والإِرَادَةِ والأَمرِ.

(٩) أي: أَعْيَا الأَطِبَّاءَ الذين كَانُوا في زَمَنِه.

(١٠) أي: شَوكَةٌ يُؤذِي بها، وأَمَّا مَا لَهُ صِيصِيَةٌ فهو بَاقٍ على حِلِّه لَم يُحَرَّمْ.

(١١) حَمَلَهُ المُفَسِّرُ على أَنَّه مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ، على أَنَّه حَالٌ مِنَ اليَاءِ في ﴿أَنصَارِي﴾ أي: مَن أَنصَارِي حَالَ كَونِي ذَاهِبًا إلى اللهِ؛ أي: مُلتَجِئًا إلى اللهِ وشَارِعًا في نُصرَةِ دِينِه؟ وقَالَ السُّدِّيُّ وابنُ جُرَيجٍ: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:٥٢]: مع الله. وقَالَ الحَسَنُ وأَبو عُبَيدَةَ: ﴿إِلَى﴾ بِمَعنَى: «في»؛ أي: مَنْ أَعوَانِي في اللهِ؛ أي: في ذَاتِ اللهِ وسَبِيلِه.

(١٢) رَوَاهُ الطَّبرِيُّ (٢٢/ ٦٢٢) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَوقُوفًا.

(١٣) رَوَاهُ الطَّبرِيُّ (٥/ ٤٤٣) عَنْ أَبِي أَرْطَاةَ، قَالَ: «الحَوَارِيُّونَ: الغَسَّالُونَ، الَّذِينَ يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ يَغسِلُونَها». قَالَ ابنُ جَرِيرٍ (٥/ ٤٤٤): «وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَوَارِيُّو عِيسَى كَانُوا سُمُّوا بِالَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ تَبيِيضِهِمُ الثِّيَابَ وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَصَّارِينَ، فَعُرِفُوا بِصُحبَةِ عِيسَى وَاختِيَارِهِ إِيَّاهُمْ لِنَفْسِهِ أَصْحَابًا وَأَنصَارًا، فَجَرَى ذَلِكَ الإِسمُ لَهُمْ وَاسْتُعْمِلَ، حَتَّى صَارَ كُلُّ خَاصَّةٍ لِلرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَنصَارِهِ حَوَارِيَّهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ» يَعْنِي خَاصَّتَهُ».

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ
﴿٥٤﴾ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ
بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم
مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ
عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ
﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ
نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٧

[٥٣] ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ﴾ مِنَ الإنجِيلِ ﴿وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ﴾ عِيسَى ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لَكَ بِالوَحدانيَّةِ ولِرَسُولِكَ بِالصِّدقِ.

[٥٤] قالَ تَعالَى: ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي: كُفَّارُ بَنِي إسرائيلَ بِعِيسَى؛ إذْ وَكَّلُوا به مَنْ يَقتُلُه غِيلَةً[1] ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بهم؛ بِأَنْ أَلقَى شَبَهَ عِيسَى عَلَى مَنْ قَصَدَ قَتلَه فقَتَلُوه[2]، ورُفِعَ عِيسَى إلَى السَّماءِ ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: أعلَمُهم به[3].

[٥٥] اذكُرْ ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: قَابِضُكَ ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ مِنَ الدُّنيا مِنْ غَيرِ مَوتٍ ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾: مُبعِدُكَ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ صَدَّقُوا بِنُبُوَّتِكَ مِنَ المُسلِمِينَ والنَّصارَى ﴿فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِكَ؛ وهُمْ: اليَهُودُ؛ يَعلُونَهم بِالحُجَّةِ والسَّيفِ ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمرِ الدِّينِ.

[٥٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بِالقَتلِ والسَّبْيِ والجِزيَةِ[4] ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَانِعِينَ منه.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ﴾ -بِالياءِ والنُّونِ[5]- ﴿أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: يُعاقِبُهم[6].

رُوِيَ أنَّ اللهَ أرسَلَ إليه سَحابَةً فَرَفَعَتْهُ؛ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ أُمُّهُ وَبَكَتْ؛ فقالَ لَها: إنَّ القِيامَةَ تَجمَعُنا. وكانَ ذلكَ لَيلَةَ القَدْرِ بِبَيتِ المَقدِسِ، وله ثَلاثٌ وثَلاثُونَ سَنَةً، وعَاشَتْ أُمُّه بَعدَه سِتَّ سِنِينَ[7]. ورَوى الشَّيخانِ حَدِيثَ: «أَنَّهُ يَنْزِلُ قُرْبَ السَّاعَةِ، وَيَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا، وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ وَالخِنْزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ»[8]. وفي حَدِيثِ مُسلِمٍ: «أَنَّهُ يَمْكُثُ سَبْعَ سِنِينَ»[9]. وفي حَدِيثٍ عِندَ أبي دَاودَ الطَّيالِسِيِّ: أربَعِينَ سَنَةً- ويُتَوفَّى ويُصَلَّى عَلَيهِ[10]. فَيَحْتَمِلُ أنَّ المُرادَ مَجمُوعُ لَبثِه فِي الأَرضِ قَبلَ الرَّفعِ وبَعدَه.

[٥٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ مِنْ أَمرِ عِيسَى ﴿نَتۡلُوهُ﴾: نَقُصُّه ﴿عَلَيۡكَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: حَالٌ مِنَ الهاءِ في ﴿نَتۡلُوهُ﴾، وعَامِلُه ما في ﴿ذَٰلِكَ﴾ مِنْ مَعنَى الإشارَةِ[11] ﴿وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾: المُحكَمِ؛ أي: القُرآنِ.

[٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾: شَأنَه الغَرِيبَ ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ كَشَأْنِهِ في خَلقِه مِنْ غَيرِ أَبٍ، وهُو مِنْ تَشبِيهِ الغَرِيبِ بِالأَغرَبِ؛ لِيَكُونَ أَقطَعَ لِلخَصمِ وأَوقَعَ في النَّفسِ ﴿خَلَقَهُۥ﴾ أي: آدَمَ: أي: قَالَبَه[12] ﴿مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ بَشَرًا ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فَكانَ؛ وكَذلِكَ عِيسَى قالَ له: «كُنْ» مِنْ غَيرِ أَبٍ؛ فَكانَ.

[٦٠] ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: خَبَرُ مُبتَدَإٍ مَحذُوفٌ؛ أي: أَمرُ عِيسَى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فيه.

[٦١] ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ﴾: جادَلَكَ مِنَ النَّصارَى ﴿فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ بِأَمرِه ﴿فَقُلۡ﴾ لهم: ﴿تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾ فَنَجمَعُهم ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾: نَتَضَرَّعْ في الدُّعاءِ ﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ بِأَنْ نَقُولَ: اللَّهُمَّ العَنِ الكاذِبَ في شَأنِ عِيسَى. وقد دَعا ﷺ وَفْدَ نَجرانَ لِذلِكَ لَمَّا حاجُّوه فيه؛ فقالُوا: حتى نَنظُرَ في أَمرِنا ثُمَّ نَأتِيكَ. فقالَ ذُو رَأيِهم: لَقَدْ عَرَفتُم نُبُوَّتَه، وأنَّه ما بَاهَلَ قَومٌ نَبِيًّا إلَّا هَلَكُوا، فَوادِعُوا الرَّجُلَ وانصَرِفُوا. فأَتَوهُ وَقَدْ خَرَجَ ومَعه الحَسَنُ والحُسَينُ، وفاطِمَةُ وعَلِيٌّ، وقالَ لَهم: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا»، فأَبَوا أنْ يُلاعِنُوا وصالَحُوه عَلَى الجِزيَةِ. رَواهُ أبو نُعَيمٍ[13]. وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: «لَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ، لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا»[14]. ورُوِيَ: «لَوْ خَرَجُوا لَاحْتَرَقُوا»[15].

---

(١) أي: خُفية.

(٢) وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: إنَّ الذي صُلِبَ شابٌّ مِنْ تلاميذِ المَسيحِ عَلَيهِ السَّلَامُ، رَضِيَ بِأَنْ يُلقَى عليه شَبَهُ المَسيحِ، ويُقتَلَ مَكانَه لِيَكونَ رَفيقَه في الجَنَّةِ. الدُّرُّ المنثورُ (٢/ ٧٢٧).

(٣) وفيه إثباتُ صِفَةِ المكرِ لله عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْ يَستَحِقُّه مِنَ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ ومَنْ هُو أَهلٌ له، على الوَجهِ اللائِقِ به، ويُنظَرُ التَّعليقُ على تَفسيرِ الآيَةِ (٣٠) من سورة الأنفال.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وأخذِ الجِزيَةِ). (٥) بِالنُّونِ: قِراءَةُ السَّبعَةِ عدا حَفصٍ. (٦) وهذا تَأويلٌ سَبَقَ التنبيه والرَّدُّ عليه، وإثباتُ صِفَةِ الحُبِّ لله عَزَّ وَجَلَّ على الوَجهِ الذي يَليقُ به سُبحانَه، ومِن لَازِمِ عَدَمِ مَحبَّتِه سُبحانَه لهم أنَّه يُعاقِبُهم. (٧) وهذا لَم تَأتِ به سُنَّةٌ صَحِيحَةٌ وهو أشبَه بالإسرائيليَّاتِ التي يُتَوقَّفُ في القَولِ بها. (٨) البُخاريُّ (٣٤٤٨)، ومُسلِمٌ (١٥٥). (٩) مُسلِمٌ (٢٩٤٠).

(١٠) وأخرَجه أحمدُ وأبو داودَ (٤٣٢٤)، وصَحَّحَه الألبانيُّ في صحيحِ سُنَنِ أبي داودَ (٣٦٣٥)، والصَّحيحَةِ (٢١٨٢)، مِنْ حَديثِ أبي هُرَيرَةَ، وفيه: «وَيُصَلِّي عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ».

(١١) لأنَّه مُضَمَّنٌ معنَى: «أُشيرُ»، واعتُرِضَ على ذلك بِأنَّ العامِلَ في الحالِ هو العامِلَ في صاحِبِها، و هو الهاءُ في: ﴿نَتۡلُوهُ﴾؛ فالعامِلُ هو: ﴿نَتۡلُوهُ﴾. قالَ بَعضُهم مُعتَذِرًا عَنِ المُفَسِّرِ: بِأنَّه خَلَطَ إعرابًا بِآخَرَ.

(١٢) أي: الجَسَدُ والصُّورَةُ.

(١٣) جُملَةُ: (رَواه أبو نُعَيم) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة. والأثَرُ أخرَجه أبو نُعَيم في الدَّلائِلِ كَما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ٢٣٢)، وأصلُه في البُخارِيِّ (٤٣٨٠) عَنْ حُذَيفَةَ، قالَ: جاءَ العاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صاحِبا نَجرانَ، إلَى رَسُولِ الله ﷺ يُرِيدانِ أنْ يُلاعِناهُ، قالَ: فَقالَ أَحَدُهُما لِصاحِبِهِ: لا تَفعَلْ، الله لَئِنْ كانَ نَبِيًّا فَلاعَنَّا لا نُفلِحُ نَحنُ، وَلا عَقِبُنا مِنْ بَعدِنا، قالا: إنَّا نُعطِيكَ ما سَأَلْتَنا... الحَدِيثَ.

(١٤) أخرَجه أحمدُ (٢٢٢٥)، والنَّسائيُّ في الكُبرَى (١٠٩٩٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، مَرفُوعًا. وهو في الصَّحيحَةِ (٧/ ٨٧٢).

(١٥) أخرَجه الطَّبَرِيُّ (٥/ ٤٧١) عَنِ السُّدِّيِّ يَرفَعُه، وهو مُرسَلٌ ضَعيفٌ.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ
﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ
تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾
إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المَذكُورَ ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾: الخبرُ ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شكَّ فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

[٦٣] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرَضُوا عَنِ الإِيمانِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فيُجازِيهم. وفيه وَضعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَرِ.

[٦٤] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: اليَهود والنَّصارَى: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: مَصدَرٌ؛ بِمَعنَى: مُستوٍ أمرُها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هِي: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ كَما اتَّخذتُم الأَحبارَ والرُّهبانَ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرَضُوا عَنِ التَّوحِيدِ ﴿فَقُولُوا﴾ أنتُم لَهُم: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: مُوَحِّدُونَ.

[٦٥] وَنَزَلَ -لَمَّا قالَ اليَهودُ: «إِبراهِيمُ يهودِيٌّ، ونَحنُ على دِينِه»، وقَالَتِ النَّصارَى كَذلِكَ-: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾: تُخاصِمُونَ ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بِزَعمِكُم أنَّه عَلى دِينِكُم ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾ بِزَمَنٍ طَوِيلٍ، وبَعدَ نُزُولِهِما حَدَثَتِ اليَهُودِيَّةُ والنَّصرَانِيَّةُ؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بُطلَانَ قَولِكُم[1]؟!

[٦٦] ﴿هَا﴾: لِلتَنبِيهِ ﴿أَنتُمْ﴾: مُبتَدَأٌ، يا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ والخَبَرُ: ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ مِنْ أَمْرِ مُوسَى وعِيسَى، وزَعمِكُم[2] أنَّكُم عَلى دِينِهِما ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ مِنْ شَأنِ إِبرَاهِيمَ؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شَأنَه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ـهُ.

[٦٧] قال – تَعَالَى- تَبرِئَةً لِإِبرَاهِيمَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: مَائِلًا عَنِ الأَديانِ كُلِّها إِلى الدِّينِ القَيِّمِ ﴿مُّسْلِمًا﴾: مُوَحِّدًا ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٦٨] ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾: أَحَقَّهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زَمَانِه ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ مُحَمَّدٌ؛ لِمُوافَقَتِه له في أَكثَرِ شَرْعِه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مِنْ أُمَّتِه؛ فهُم الذينَ يَنبَغِي أَنْ يَقُولُوا: «نَحنُ على دِينِه»، لَا أَنتُم ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[*]: نَاصِرُهُم وحَافِظُهم.

[٦٩] وَنَزَلَ -لَمَّا دَعَا اليَهُودُ مُعاذًا وحُذَيفَةَ وعَمَّارًا إِلى دِينِهِم-: ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لِأَنَّ إِثمَ إِضلَالِهم عَلَيهم، والمُؤمِنُونَ لا يُطِيعُونَهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بِذَلِكَ[3].

[٧٠] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: القُرآنِ المُشتَمِلِ عَلى نَعتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: تَعلَمُونَ أنَّه حَقٌّ؟!

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَن عَبدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيِّي مِنْهُمْ أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. التِّرمِذِيُّ – كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤) سورة آل عمران. وصَحَّحَه الألبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٣٩٤).

---

(١) أخرجَه ابنُ إسحاقَ في السِّيرةِ (٢/ ١٨٠، ١٨١)، ومِن طَرِيقِه ابنُ جريرٍ في تَفسِيرِه (٣/ ٢١٦)، والبَيهَقِيُّ في الدَّلائِلِ (٥/ ٣٨٤) عَن ابنِ عَبَّاسٍ، وضَعَّفَه في الاستيعاب (١/ ٢٥٩، ٢٦٠).

(٢) في نُسخَةِ قَباوَة: (وزَعمتم).

(٣) لَم أجِد مَا ذَكَره المُصنِّفُ في سببِ نُزُولِ هذه الآيةِ، وذكَرَ الوَاحِدِيُّ في الأَسبَابِ (ص١١٨): «قَالَ عِكرِمَةُ ومُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي ابنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيفَةَ، وذَلِكَ أَنَّ مَالِكَ بنَ الصَّيفِ، وَوَهْبَ بنَ يَهُوذَا اليَهُودِيَّينِ قَالَا لَهُمْ: إنَّ دِينَنَا خيرٌ مِمَّا تدعُونا إِلَيْهِ، وَنَحْنُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْكُمْ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾». وأَخرَجَ سُنَيدٌ في تفسيره؛ كَما في العُجاب (٢/ ٧٣٣) عَن عِكرِمَةَ: «نَزَلَتْ فِي ابنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ». ومن طريقه أخرجَه الطَّبَرِيُّ في جامعِ البيانِ (٥/ ٦٧٢). وذكَرَه الحافظُ في الفتحِ (٨/ ٢٢٥)، وقَالَ: «وللطبرانيِّ [وهو تصحيفٌ، صَوابُه: الطبري] من طريق ابنِ جريج عَن عِكرِمَةَ فذَكَرَه، وهذا مَوقُوفٌ فيه انقطاعٌ». اهـ

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٧١) وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
وَٰسِعٌ عَلِيمٞ (٧٣) يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ (٧٤) ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ
إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي
ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ
(٧٥) بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ
(٧٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا
أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ
إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٧٧)

الحِزب ٦

[٧١] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾: تَخلِطُونَ ﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بِالتَّحرِيفِ والتَّزوِيرِ ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: نَعتَ النَّبِيِّ ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنَّه حَقٌّ؟!

[٧٢] ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: اليَهُودِ لِبَعضِهِم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: القُرآنِ ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوَّلَه ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾ بِه ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: المُؤمِنِينَ ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ عَنْ دِينِهِم. إِذْ يَقُولُونَ: مَا رَجَعَ هَؤُلَاءِ عنه بَعدَ دُخُولِهِم فيه، وهُم أُولُو عِلمٍ، إِلَّا لِعِلمِهِم بُطلَانَه.

[٧٣] وقالوا أيضًا: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾: تُصَدِّقُوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللَّامُ زَائِدَةٌ[1] ﴿تَبِعَ﴾: وَافَقَ ﴿دِينَكُمۡ﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ﴾ لهم يَا مُحَمَّد: ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذِي هُو الإِسلَامُ، ومَا عَدَاه ضَلَالٌ. والجُملَةُ اعتِرَاضٌ[2] ﴿أَن﴾ أي: بِأَنْ ﴿يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ مِنَ الكِتَابِ والحِكمَةِ والفَضَائِلِ. و﴿أَن﴾ مَفعُولُ: ﴿تُؤۡمِنُوٓاْ﴾، والمُستَثنَى منه: ﴿أَحَدٞ﴾[3] قُدِّمَ عليه المُستَثنَى. المَعنَى: لا تُقِرُّوا[4] بِأَنَّ أَحَدًا يُؤتَى ذلكَ إِلَّا لِمَنْ[5] تَبِعَ دِينَكُم ﴿أَوۡ﴾: بِأَنْ[6] ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ أي: المُؤمِنُونَ: يَغلِبُوكُم ﴿عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ يَومَ القِيَامَةِ؛ لِأَنَّكُم أَصَحُّ دِينًا. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿ءَأَن﴾[7] بِهَمزَةِ التَّوبِيخِ[8]؛ أي: أَإِيتَاءُ[9] أَحَدٍ مِثلَه تُقِرُّونَ بِه؟! قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فَمِنْ أَينَ لَكُم أنَّه لا يُؤتَى أَحَدٌ مِثلَ مَا أُوتِيتُم؟! ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: كَثِيرُ الفَضلِ ﴿عَلِيمٞ﴾ بِمَنْ هو أَهلُه.

[٧٤] ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

[٧٥] ﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾ أي: بِمَالٍ كَثِيرٍ ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لِأَمَانَتِه؛ كَعَبدِ الله بنِ سَلَامٍ، أَودَعَه رَجُلٌ أَلفًا ومِائَتَي أُوقِيَّةٍ ذَهَبًا فَأَدَّاها إليه ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لِخِيَانَتِه ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ لا تُفَارِقُه. فَمَتَى فَارَقتَه أَنكَرَه؛ كَكَعبِ بنِ الأَشرَفِ استَودَعَه قُرَشِيٌّ دِينَارًا فَجَحَدَه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تَركُ الأَدَاءِ ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾ بِسَبَبِ قَولِهِم: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي: العَرَبِ ﴿سَبِيلٞ﴾ أي: إِثمٌ. لاستِحلَالِهِم ظُلمَ مَنْ خَالَفَ دِينَهُم، ونَسَبُوه إليه -تَعَالَى-. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ في نِسبَةِ ذلكَ إليه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أَنَّهم كَاذِبُونَ.

[٧٦] ﴿بَلَىٰ﴾[10] عليهم فيهم سَبِيلٌ، ﴿مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ﴾ الذي عَاهَدَ عليه، أو بِعَهدِ الله إليه مِنْ أَدَاءِ الأَمَانَةِ وغَيرِه ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ اللهَ بِتَركِ المَعَاصِي وعَمَلِ الطَّاعَاتِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ فيه وَضعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَرِ[11]؛ أي: يُحِبُّهم؛ بِمَعنَى: يُثِيبُهم[12].

ونَزَلَ في اليَهُودِ لَمَّا بَدَّلُوا نَعتَ النَّبِيِّ ﷺ وعَهدَ الله إليهم في التَّورَاةِ[13]، أو فِيمَنْ حَلَفَ كَاذِبًا في دَعوَى أو في بَيعِ سِلعَةٍ-:

[٧٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾: يَستَبدِلُونَ ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ إليهم، في الإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ وأَدَاءِ الأَمَانَةِ ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: حَلِفِهِم به -تَعَالَى- كَاذِبِينَ[14] ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنيَا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾: نَصِيبَ ﴿لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ غَضَبًا عليهم[15] ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾: يَرحَمُهم[16] ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾: يُطَهِّرُهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مُؤلِمٌ[*].

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٧٧): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَن عَبدِ الله بنِ أَبي أَوفَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ «أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلعَةً وَهُوَ فِي السُّوقِ، فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أَعطَى بِهَا مَا لَمْ يُعطِ لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ المُسلِمِينَ»، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾. البُخَارِيُّ – كتاب البيوع (٣٤) باب (٢٧) ما يكره من الحلف في البيع.

---

(١) الأَولَى أَنْ يُضَمَّنَ الإِيمانُ هنا مَعنَى الانقِيَادِ والتَّسلِيمِ والإِقرَارِ، فيَكُونَ المُرادُ: فَصَدِّقُوه واتَّبِعُوه مُنقَادًا لِمَا جَاءَ به، كَمَا هو مَعنَاهُ الشَّرعِيُّ؛ فلا تَكُونُ اللامُ زَائِدَةً، ونَظِيرُ ذلكَ قَولُه تَعَالَى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾. واللهُ أَعلَمُ.

(٢) أي: بَينَ العَامِلِ والمَعمُولِ.

(٣) هذا بِاعتِبَارِ أَنَّ اللامَ في قَولِه: ﴿لِمَن﴾ زَائِدَةٌ، أمَّا على عَدَمِ تَقدِيرِ زِيَادَتِها فالمُستَثنَى منه مَحذُوفٌ، تَقدِيرُه: ولا تُؤمِنُوا؛ أي: تُقِرُّوا وتَعتَرِفُوا وتُصَرِّحُوا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِأَنَّ أَحَدًا يُؤتَى مِثلَ مَا أُوتِيتُم مِنَ الفَضَائِلِ والكَمَالَاتِ إِلَّا لِشَخصٍ اتَّبَعَ دِينَكُم.

(٤) ضَمَّنَ المُفَسِّرُ ﴿تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ مَعنَى: تُقِرُّوا؛ لِتَكُونَ اللَّامُ في قَولِه: ﴿لِمَن﴾ أَصلِيَّةً.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مَنْ).

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أَنْ).

(٧) لابنِ كَثِيرٍ، وعلى هَذِه القِرَاءَةِ يَكُونُ هذا الكَلَامُ مُستَأنَفًا.

(٨) أي: بِهَمزَةِ الاستِفهَامِ الذي هُو لِلتَّوبِيخِ مَعَ الإِنكَارِ.

(٩) أَشَارَ بِذَلِكَ إلى أَنَّ قَولَه: ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ في تَأوِيلِ مَصدَرٍ مُبتَدَأً، خَبَرُه مَحذُوفٌ تَقدِيرُه: تُقِرُّونَ بِه.

(١٠) إِضرَابٌ إِبطَالِيٌّ، وهو مُغنٍ عن جُملَةٍ قَدَّرَها المُفَسِّرُ بِقَولِه: «عَليهِم فِيهِم سَبِيلٌ».

(١١) وكَانَ مُقتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ: «فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّه»، وهذا لِلاعتِنَاءِ بِشَأنِ المُؤمِنِينَ، وإِشَارَةٌ إلى عُمُومِه لِكُلِّ مُتَّقٍ.

(١٢) وهذا تَأوِيلٌ غَيرُ جَائِزٍ لِهَذِه الصِّفَةِ، وسَبَقَ بَيَانُ فَسَادِه، وبَيَانُ مَذهَبِ السَّلَفِ في صِفَاتِ الله عَزَّ وَجَلَّ مِرَارًا. وفيها إِثبَاتُ صِفَةِ المَحَبَّةِ لله عَزَّ وَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به.

(١٣) ذَكَرَه ابنُ حَجَرٍ في العُجَابِ (٢/ ٧٠٢) عَنِ الكَلبِيِّ عَن أَبي صَالِحٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وقَالَ في الفَتحِ (٨/ ٢١٣): «وقَصَّ الكَلبِيُّ في تَفسِيرِه في ذلكَ قِصَّةً طَوِيلَةً، وهي مُحتَمِلَةٌ أَيضًا، لَكِنِ المُعتَمَدُ في ذلكَ مَا ثَبَتَ في الصَّحِيحِ». والكَلبِيُّ وأبو صَالِحٍ مُتَّهَمَانِ بِالكَذِبِ؛ فالحَدِيثُ مَوضُوعٌ.

(١٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (كَاذِبًا).

(١٥) أي: لا يُكَلِّمُهُم كَلَامًا يَنفَعُهم ويَسُرُّهم، ولَكِن يُمكِنُ أَنْ يُكَلِّمَهم كَلَامًا يَسُوؤُهم كَمَا في قَولِه -سُبحَانَهُ- لَهُم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وفي هذه الآيَةِ وغَيرِها إِثبَاتُ صِفَةِ الكَلَامِ لله -سُبحَانَهُ- على الوَجهِ اللائِقِ به، كَمَا هو مَذهَبُ السَّلَفِ.

(١٦) أي: لا يَنظُرُ إِليهِم نَظَرَ رَحمَةٍ وإِحسَانٍ. ومِنْ لَازِمِها: إِثبَاتُ أَنَّه عَزَّ وَجَلَّ يَنظُرُ لِلمُؤمِنِينَ نَظَرَ رَحمَةٍ. وفي هَذَا إِثبَاتُ صِفَةِ البَصَرِ له سُبحَانَه على الوَجهِ اللائِقِ بِه، كَمَا جَاءَ صَرِيحًا في غَيرِ آيَةٍ.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ
ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن
تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم
مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم
مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٨] ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: أهلِ الكتابِ ﴿لَفَرِيقًا﴾: طائفةً؛ ككعبِ بنِ الأشرفِ ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: يعطِفُونها بقراءتِه عن المُنزَلِ إلى ما حرَّفُوه، مِن نعتِ النبيِّ ﷺ ونحوِه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: المُحرَّفَ ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذي أنزلَه اللهُ ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذِبونَ.

[٧٩] ونزَلَ لمَّا قالَ نصارى نَجرانَ: «إنَّ عيسى أمرَهم أنْ يتَّخِذُوه»[١] ربًّا، أو لمَّا طلَبَ بعضُ المسلمينَ السُّجودَ له ﷺ[٢]: ﴿مَا كَانَ﴾: ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ أي: الفهمَ للشَّريعةِ ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾ يقولُ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: علماءَ عاملينَ[٣] - منسوبٌ إلى الرَّبِّ، بزيادةِ ألِفٍ ونونٍ؛ تفخيمًا- ﴿بِمَا كُنتُمْ [تُعَلِّمُونَ]﴾ - بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[٤]- ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي: بسببِ ذلك؛ فإنَّ فائدتَه أن تعملُوا.

[٨٠] ﴿وَلَا [يَأْمُرَكُمْ]﴾ بالرَّفعِ[٥] استئنافًا؛ أي: اللهُ[٦]، والنَّصبِ عطفًا على ﴿يَقُولَ﴾؛ أي: البشرُ[٧] ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ كما اتَّخذَتِ الصَّابئةُ الملائكةَ، واليهودُ عُزيرًا، والنَّصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؟ لا ينبغي له هذا[٨].

[٨١] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ﴾: حينَ ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: عهدَهم ﴿لَمَآ﴾ بفتحِ اللَّامِ؛ للابتداءِ وتوكيدِ معنى القسَمِ[٩] الذي في أخذِ الميثاقِ، وكسرِها[١٠] متعلِّقةٌ بـ﴿أَخَذَ﴾، و«ما» موصولةٌ على الوجهينِ؛ أي: لَلَّذي[١١] ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ إيَّاه. وفي قراءةٍ: ﴿ءَاتَيْنَٰكُم﴾[١٢] ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ مِنَ الكتابِ والحكمةِ؛ وهو: محمَّدٌ ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ جوابُ القسَمِ، إنْ أدركتُموه. وأُمَمُهم تبعٌ لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾: قبِلتُم ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾: عهدي؟ ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ على أنفسِكم وأتباعِكم بذلك ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم.

[٨٢] ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاقِ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

[٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياءِ؛ أي: المُتولُّونَ، والتَّاءِ[١٣]، ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾: انقادَ ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾: بلا إباءٍ ﴿وَكَرْهًا﴾ بالسَّيفِ ومعاينةِ ما يُلجِئُ إليه ﴿وَإِلَيْهِ [تُرْجَعُونَ]﴾؟ - بالتَّاءِ والياءِ[١٤]- والهمزةُ للإنكارِ.

---

(١) ذكرَه ابنُ جريرٍ في تفسيرِه (٣/ ٣٢٥) والبيهقيُّ في دلائلِ النُّبوَّةِ (٥/ ٣٨٤)، عنِ ابنِ عبَّاسٍ، قالَ: قالَ أبو رافعٍ القُرَظيُّ حينَ اجتمعَتِ الأحبارُ مِنَ اليهودِ والنَّصارى مِن أهلِ نجرانَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ ودعاهم إلى الإسلامِ: أتريدُ يا محمَّدُ أنْ نعبُدَكَ كما تعبُدُ النَّصارى عيسى ابنَ مريمَ؟ فقالَ رجلٌ مِن أهلِ نجرانَ نصرانيٌّ، يُقالُ له الرِّبِّيسُ: أوَذاكَ تريدُ منَّا يا محمَّدُ وإليهِ تدعُونا؟ أو كما قالَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «معاذَ اللهِ أنْ نعبُدَ غيرَ اللهِ، أو نأمُرَ بعبادةِ غيرِه، ما بذلكَ بعثَني، ولا بذلكَ أمرَني»، أو كما قالَ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ في ذلكَ مِن قولِهم: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الآيةَ، إلى قولِه بعدُ: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. وضعَّفَه في الاستيعابِ (١/ ٢٦٨).

(٢) أخرجَه عبدُ بنُ حُميدٍ عنِ الحسنِ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ٢٥٠). وهو ضعيفٌ مُرسَلٌ كما في الاستيعابِ (١/ ٢٦٩).

(٣) روى الطَّبريُّ (٥/ ٥٢٦) عنِ الحسنِ، في قولِه: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ قالَ: «كونُوا فقهاءَ علماءَ». وروى مثلَه (٥/ ٥٢٧) عن قتادةَ. وقالَ البغويُّ (٢/ ٦٠): «وقيلَ: الرَّبَّانيُّونَ فوقَ الأحبارِ، والأحبارُ: العلماءُ، والرَّبَّانيُّونَ: الَّذينَ جمعُوا معَ العلمِ البصارةَ بسياسةِ النَّاسِ».

(٤) بالتَّخفيفِ: قراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو، ويكونُ معَ فتحِ التَّاءِ وسكونِ العينِ. وقرأَ بقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتَّشديدِ معَ ضمِّ التَّاءِ وفتحِ العينِ.

(٥) بضمِّ الرَّاءِ: قراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ والكسائيِّ. وقرأَ أبو عمرٍو وبخُلفٍ عنِ الدُّوريِّ: ﴿يَأْمُرْكُمْ﴾ بسكونِ الرَّاءِ، والوجهُ الثَّاني للدُّوريِّ اختلاسُ ضمَّةِ الرَّاءِ. وبقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿يَأْمُرَكُمْ﴾ بالفتحِ.

(٦) أشارَ بذلكَ إلى أنَّ فاعلَ ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ -بالرَّفعِ- ضميرٌ مستترٌ عائدٌ على «اللهِ».

(٧) أي: على هذا التَّقديرِ يكونُ فاعلُ ﴿يَأْمُرَكُمْ﴾ -بالنَّصبِ- ضميرًا مستترًا عائدًا على «بشرٍ».

(٨) أشارَ بهذا إلى أنَّ الاستفهامَ إنكاريٌّ تعجُّبيٌّ.

(٩) أي: مؤكِّدةٌ لليمينِ المأخوذِ منَ الميثاقِ؛ فإنَّه تقدَّمَ أنَّ معنى الميثاقِ عهدٌ مؤكَّدٌ بيمينٍ.

(١٠) أي: ﴿لِمَا﴾: على أنَّها للتَّعليلِ؛ أي: لرعايةِ وحفظِ ما آتيتُكم. وهي قراءةُ حمزةَ.

(١١) أي: (لَلَّذي) على قراءةِ الفتحِ، و(لِلَّذي) على قراءةِ الكسرِ.

(١٢) لنافعٍ.

(١٣) بالياءِ لأبي عمرٍو وحفصٍ، وبالتَّاءِ للباقينَ.

(١٤) بالياءِ: ﴿يُرْجَعُونَ﴾: قراءةُ حفصٍ، وقرأَ بقيَّةُ السَّبعةِ بالتَّاءِ.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ
يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ
ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ لهم يا مُحَمَّد: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولادِه ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بِالتَّصْدِيقِ والتَّكذِيبِ ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[*] مُخلِصُونَ في العِبادَةِ.

[٨٥] وَنَزَلَ فِيمَنْ ارتَدَّ ولحِقَ بِالكُفَّارِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لِمَصِيرِه إلى النَّارِ المُؤَبَّدَةِ عليه.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾ أي: وشَهادَتِهم ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قَدْ ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الحُجَجُ الظَّاهِرَاتُ على صِدْقِ النَّبِيِّ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكَافِرِينَ؟

[٨٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللَّعنَةِ أوِ النَّارِ المَدلُولِ بها عَلَيها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمْهَلُونَ.

[٨٩] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ عَمَلَهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهم ﴿رَّحِيمٌ﴾[**] بِهِم.

[٩٠] وَنَزَلَ في اليَهُودِ(١): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِعِيسَى ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بِمُوسَى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بِمُحَمَّدٍ ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إِذَا غَرغَرُوا أو مَاتُوا كُفَّارًا ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾: مِقدارُ ما يَملَؤُها ﴿ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ - أُدخِلَ الفاءُ في خَبَرِ ﴿إِنَّ﴾؛ لِشَبَهِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾(٢) بِالشَّرطِ، وإيذانًا بِتَسَبُّبِ عَدَمِ القَبولِ عَنِ المَوتِ على الكُفْرِ - ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَانِعِينَ منه.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ أبو دَاودَ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقرَأُ فِي رَكعَتَي الفَجرِ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى، وَفِي الرَّكْعَةِ الأُخرَى بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أو ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. أبو دَاودَ - كتاب الصلاة (٢) باب (٢٩٢) في تخفيفها. وحَسَّنَه الألبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ أبي دَاودَ (١١٢٢).

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (٨٦-٨٩): أخرَجَ النَّسَائِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ أَسلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالشِّرْكِ، ثُمَّ تَنَدَّمَ فَأَرسَلَ إِلَى قَوْمِهِ، سَلُوا لِي رَسُولَ الله ﷺ، هَلْ لِي مِن تَوْبَةٍ؟ فَجَاءَ قَوْمُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ فُلَانًا قَدْ نَدِمَ وَإِنَّهُ أَمَرَنَا أَنْ نَسأَلَكَ: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَسْلَمَ. النَّسَائِيُّ - كتاب تحريم الدم (٣٧)، باب (١٥) توبة المرتد، وصَحَّحَه الألبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٣٧٩٢). واسمُ هذا الأنصارِيِّ: الحارثُ بنُ سُوَيدٍ، كما في المَطالِبِ العَالِيَةِ لابنِ حَجَرٍ (٣/ ٣١٤).

---

(١) أخرجَ عبدُ الرزَّاقِ (٦٥٣)، وابنُ أبي حَاتِمٍ (٣٨٠١) عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ١٣٧] قَالَ: هَؤُلَاءِ اليَهُودُ، آمَنُوا بِالتَّوْرَاةِ، ثُمَّ كَفَرُوا بِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّصَارَى فَقَالَ: ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ [النساء:١٣٧] يَقُولُ: «آمَنُوا بِالإِنجِيلِ، ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ». وأخرج الطبريُّ (٥/ ٥٦٥) عَنْ دَاوُدَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا العَالِيَةِ، قَالَ: قُلْتُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قَالَ: «إِنَّمَا هُمْ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى وَاليَهُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا، فَهُمْ يَتُوبُونَ مِنْهَا فِي كُفْرِهِمْ».

(٢) فيه حِكَايَةٌ بالمعنى؛ إِذِ المذكورُ في الآيَةِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لَكِن حُكمُهما وَاحِدٌ.

الجزء ٤ الحزب ٧

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ * كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

[٩٢] ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ثَوابَه؛ وهو: الجنَّة ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾: تَصَدَّقُوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ مِن أموالِكُم ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فيُجازِي عليه[*]. [٩٣] ونَزَلَ - لَمَّا قالَ اليَهُودُ: «إنَّك تَزعُمُ أنَّكَ على مِلَّةِ إبراهِيمَ، وكَانَ لا يَأكُلُ لحُومَ الإِبلِ وألبَانَها»(١)-: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾: حَلالًا ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾: يَعقُوبُ ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وهُو الإبِلُ، لَمَّا حَصَلَ له عِرْقُ النَّسا، بِالفَتحِ والقَصْرِ؛ فنَذَرَ إنْ شُفِيَ لا يأكُلُها فحُرِّمَ عليهم ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ وذلكَ بَعدَ إبراهِيمَ، ولَم تكُنْ(٢) على عَهدِه حَرامًا، كَما زَعَمُوا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ لِيَتَبَيَّنَ صِدْقُ قَولِكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه. فبُهِتُوا ولَمْ يَأتُوا بها. قَالَ تَعالَى: [٩٤] ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: ظُهُورِ الحُجَّةِ، بِأنَّ التَّحرِيمَ إنَّما كَانَ مِنْ جِهَةِ يَعقُوبَ، لا عَلى عَهدِ إبراهِيمَ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المُتجاوِزُونَ الحَقَّ إلى البَاطِلِ. [٩٥] ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في هَذا؛ كَجَمِيعِ مَا أخبَرَ به ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ التِي أنا عَليها ﴿حَنِيفًا﴾: مَائِلًا عَنْ كُلِّ دِينٍ إلى الإسلَامِ ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[٩٦] وَنَزَلَ -لَمَّا قَالُوا: «قِبلَتُنا قبلَ قِبْلَتِكم»-: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ مُتَعَبَّدًا ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأَرضِ ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ - بِالبَاءِ، لُغَة في: «مَكَّةَ» سُمِّيَتْ بذلِكَ؛ لِأَنَّها تَبُكُّ أعناقَ الجَبابِرَةِ؛ أَي: تَدُقُّها. بَناهُ المَلائِكَةُ قبلَ خلْقِ آدَمَ، ووُضِعَ بَعدَه الأَقصَى، وبَينَهما أربَعُونَ سَنَةً؛ كَما في حَدِيثِ الصَّحِيحَينِ(٣). وفي حَدِيثٍ: «أَنَّهُ أَوَّلُ مَا ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ المَاءِ، عِنْدَ خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ، زُبْدَةً بَيْضَاءَ، فَدُحِيَتْ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِه»(٤)- ﴿مُبَارَكًا﴾: حَالٌ مِن «الذِي»؛ أي: ذَا بَرَكَةٍ ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لِأنَّه قِبْلَتُهم.

[٩٧] ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ منها(٥): ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: الحَجَرُ الذي قَامَ عليه عِندَ بِناءِ البَيتِ؛ فَأَثَّرَ قَدَمَاهُ فيه، وبَقِيَ إلى الآنَ، مَعَ تطَاوُلِ الزَّمَانِ وتَداوُلِ الأَيدِي عليه. ومنها: تَضعِيفُ الحسَناتِ(٦) فيه، وأَنَّ الطَّيرَ لَا يَعلُوه(٧) ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: لا يُتَعَرَّضُ إليه بِقَتلٍ أو ظُلْمٍ أو غيرِ ذلكَ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ وَاجِبٌ - بِكَسرِ الحاءِ وفَتحِها(٨)، لُغَتانِ في مَصدَرِ: حَجَّ؛ بِمعنَى: قَصَدَ -. ويُبدَلُ مِنَ(٩) ﴿ٱلنَّاسِ﴾: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا؛ فَسَّرَهُ ﷺ بِالزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ(١٠). رَواهُ الحاكِمُ وغَيرُه. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بِالله، أو بِما فَرَضَه مِنَ الحَجِّ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ والمَلائِكَةِ، وعَنْ عِبادَتِهم. [٩٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيكُم عليه؟

[٩٩] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾: تَصرِفُونَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دِينِه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بِتكذِيبِكُم النَّبِيَّ وَكَتْمِ نَعْتِهِ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي: تَطلُبُونَ السَّبِيلَ ﴿عِوَجًا﴾: مَصدَرٌ؛ بِمَعنَى: مُعوَجَّة؛ أي: مَائِلَةً عَنِ الحَقِّ ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ عَالِمُونَ بِأَنَّ الدِّينَ المَرضِيَّ هو القَيِّمُ دِينُ الإسلَامِ؛ كَما في كِتابِكُم؟ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الكُفرِ والتَّكذِيبِ، وإنَّما يُؤَخِّرُكُم إلى وَقتِكم؛ لِيُجازِيَكم(١١). ونَزَلَ -لَمَّا مَرَّ بَعضُ اليَهُودِ على الأَوسِ والخَزرَجِ، وغَاظَهم تَألُّفُهم؛ فذَكَّرُوهم بِما كانَ بَينَهم في الجاهِلِيَّةِ مِنَ الفِتَنِ؛ فتَشاجَرُوا وكَادُوا يَقتَتِلُونَ(١٢)-:

[١٠٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ البُخارِيُّ عَن أَنسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنصارِيٍّ بِالمَدِينَةِ نَخْلًا، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ الله يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ الله حَيْثُ أَرَاكَ الله، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ الله، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَفِي بَنِي عَمِّهِ. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (٥).

---

(١) ذَكَرَه الوَاحِدِيُّ في أسبَابِ النُّزولِ (ص٧٥-٧٦)، والحافِظُ في العُجابِ (٢/ ٧١٦)، عَنِ الكَلبِيِّ وأبي وَرقٍ، وهو مَوضُوعٌ كما في الاستيعاب (١/ ٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) في نُسخَةِ قَباوَة: (ولم يكُنْ).

(٣) البُخارِيُّ (٣٣٦٦)، ومسلمٌ (٥٢٠) مِنْ حَدِيثِ أَبي ذَرٍّ، ولَيسَ فيه أَنَّ الذي بَناه المَلائِكَةُ.

(٤) ذَكَرَه الطبريُّ (٥/ ٥٩١) عَن عبدِ الله بنِ عَمرٍو مَوقُوفًا. وأخرَجَه عنه بنحوِه الحاكِمُ (٣٩١١) وصَحَّحَه، والبيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ (٣٦٩٧).

(٥) أرادَ الشَّارِحُ بذلكَ أنَّ آيَاتِه لا تَنحَصِرُ في هَذينِ المِثالَينِ: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ وإنَّما خَصَّهُما بِالذِّكرِ؛ لِعظَمِهما، وأنَّهما تَقُومُ بهما الحُجَّةُ على الكُفَّارِ؛ إذ هُم مُدرِكُونَ لهما بِحَواسِّهم.

(٦) أمَّا مُضاعَفَةُ الصَّلاةِ؛ فصَحَّ ذلك عند أحمدَ (١٥٢٧١) وغيرِه، مِنْ حَدِيثِ جابِرٍ مَرفُوعًا: «صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ» وصَحَّحَه الأَلبانيُّ في صَحِيحِ الجامِعِ (٣٨٣٨)، وأمَّا مُضاعَفَةُ غَيرِها مِنَ الطَّاعَاتِ؛ فلَم يَثبُتْ فيها شَيءٌ تَقُومُ به الحُجَّةُ. ويُنظَر الضَّعِيفَة (٤٩٥، ٨٣٢).

(٧) قالَ ابنُ عُطيَّةَ (١/ ٤٧٦): «وهَذا كُلُّه عِندِي ضَعِيفٌ، والطَّيرُ تُعايَنُ تَعلُوه، وقَدْ عَلَته العُقَابُ التي أخَذَتِ الحَيَّةَ المُشرِفَةَ على جِدارِه، وتِلكَ كَانَت مِنْ آيَاتِه».

(٨) بِالفَتحِ: قِراءَةُ نافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ.

(٩) أي: بَدَلُ بَعضٍ مِنْ كُلٍّ، والعَائِدُ مَحذُوفٌ تَقدِيرُه: منهم.

(٨) أي: بَدَلُ بَعضٍ مِنْ كُلٍّ، والعَائِدُ مَحذُوفٌ تَقدِيرُه: منهم.

(١٠) الحاكِمُ في المُستدرَكِ (١٦١٣، ١٦١٤)، مِنْ حَدِيثِ أَنسٍ مَرفُوعًا، وقالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وضَعَّفَه الأَلبانيُّ في ضَعِيفِ الجامِعِ (٣٣٣٥). ورواه التِّرمذيُّ (٨١٣)، وابنُ مَاجه (٢٨٩٦)، مِنْ حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ. وقالَ الحافِظُ في التَّلخِيصِ (٢/ ٢٢١) بَعد سَردِ رِوايَاتِه: «وطُرُقُها كُلُّها ضَعِيفَةٌ، قالَ أبو بَكرٍ ابنُ المُنذِرِ: لَا يَثبُتُ الحَدِيثُ في ذَلكَ مُسنَدًا».

(١١) في نُسخَةِ قَباوَة: (فيُجازيكم).

(١٢) أخرجَه ابنُ إسحَاقَ في المَغازِي (٢/ ١٨٥) عَن زَيدِ بنِ أَسلَمَ، ومِن طَرِيقِه الطبريُّ في تَفسِيرِه (٤/ ١٦، ١٧)، وضَعَّفَ الحافِظُ إسنادَه في الإِصابة (١/ ٨٧)، وهذا اليَهُودِيُّ قِيلَ اسمُه: شاسُ ابنُ قيسٍ. وجَاء نَحوُه عَنْ مُجاهِدٍ كما في تفسيرِ الطبريِّ (٤/ ١٧). وضَعَّفهما في الاستيعابِ (١/ ٢٧٩، ٢٨٠).

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٠١
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ١٠٢ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ
ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ١٠٣ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧ تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٨

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهامُ تَعجيبٍ وتَوبيخٍ[١] ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم﴾: يَتمسَّكْ ﴿بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بـ«أنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى»[٢]؛ فقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَقْوَى عَلَى هَذَا؟ فَنُسِخَ بِقَولِه تَعالَى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٣]. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُوَحِّدُونَ.

[١٠٣] ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾: تَمَسَّكُوا ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دِينِه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ بَعدَ الإسلامِ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: إنعامَه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ - يَا مَعشَرَ الأَوسِ والخَزرَجِ- ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾ قبلَ الإسْلَامِ ﴿أَعْدَآءً فَأَلَّفَ﴾: جَمَعَ ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بِالإسلَامِ ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: فصِرتُم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ في الدِّينِ والوِلَايَةِ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾: طَرَفِ ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ لَيسَ بينكم وبَينَ الوُقُوعِ فيها إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا كُفَّارًا ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بِالإيمَانَ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَما بَيَّنَ لَكُم مَا ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾: الإسلَامِ ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الدَّاعُونَ الآمِرُونَ النَّاهُونَ ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفَائِزُونَ. و«مِنْ» لِلتَبعِيضِ[٤]؛ لأَنَّ مَا ذُكِرَ فَرضُ كِفَايَةٍ، لا يَلزَمُ كُلَّ الأُمَّةِ، ولا يَلِيقُ بِكُلِّ أَحَدٍ؛ كَالجَاهِلِ. وقِيلَ: زَائِدَةٌ؛ أي: لِتَكُونُوا أُمَّةً.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ عَن دِينِهم ﴿وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وهم اليَهُودُ والنَّصَارَى[٥] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يومَ القِيَامَةِ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ - وهم الكَافِرونَ- فيُلقَونَ في النَّارِ، ويُقَالُ لَهم تَوبِيخًا: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ يومَ أَخْذِ المِيثَاقِ؟ ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ - وهُمُ المُؤمِنُونَ- ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: جَنَّتِه[٦] ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيَاتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بِأَنْ يَأخُذَهم بِغَيرِ جُرمٍ.

---

(١) يَلجأُ المُصَنِّفُ -رَحِمَه اللهُ تعالى وعفَا عنه- لِذلكَ فِرَارًا مِنْ إثْبَاتِ صِفَةِ «العَجَبِ» لله عَزَّوَجَلَّ؛ فيَجعَلُها تَعَجُّبًا لِلسَّامِعِ أَوِ القَارِئِ، وهذَا تَكَرَّر منه في مَواضِعَ؛ فلَزِمَ التَّنبِيهُ هنا.
وصِفَةُ «العَجَبِ» مِن صِفَاتِ الله تعالَى الثَّابِتَةِ له بِالكتَابِ والسُّنَّةِ وإِجمَاعِ السَّلَفِ، فيَجِبُ إِثباتُها له سُبحانَه على الوَجهِ الحَقِيقِيِّ اللائِقِ به مِن غَيرِ تَحرِيفٍ ولا تَعطِيلٍ ولا تَكيِيفٍ ولا تَمثِيلٍ.

(٢) أخرجَه ابنُ المُبَارَكِ في الزُّهد (٢٢)، وعبدُ الرزَّاقِ (٤٤١)، والنَّسائيُّ في الكُبرى (١١٨٤٧)، وابنُ جرير (٥/ ٦٣٧)، وابنُ أبي حَاتم (٣٩٠٧)، والطبرانيُّ في الكبير (٨٥٠١)، وقالَ الهيثميُّ في مَجمَعِ الزَّوائِدِ ومَنبَعِ الفَوائِدِ (٦/ ٣٢٦): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ، رِجَالُ أَحَدِهِمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَالآخَرُ ضَعِيفٌ». والحاكمُ (٣١٥٩) وقالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذَّهَبِيُّ، كُلُّهم مَوقُوفًا عَنِ ابنِ مَسعُودٍ. وروِي مَرفُوعًا، وقالَ الألبَانيُّ في سِلسلَةِ الأحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ والمَوضُوعَةِ (١٤/ ٩٥٥): «مُنكَرٌ مَرفُوعًا»، وصَحَّحَ المَوقُوفَ.

(٣) التغابن: ١٦. والأثَرُ أخرَجَه البيهقيُّ في الزُّهدِ الكبيرِ (ص ٣٢٨) (٨٧٨) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَرفُوعًا. وقالَ الألبانيُّ في سِلسلَةِ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ والمَوضُوعَةِ (١٤/ ٩٥٧): «وهذا إِسنادٌ واهٍ».

(٤) وقيلَ: صِلَةٌ؛ كَقولِه تَعالَى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]؛ لَم يُرِدِ اجتنَابَ بعضِ الأَوثَانِ، بَل أَرادَ: فاجتَنِبُوا الأَوثَانَ. قالَ ابنُ كَثيرٍ (١/ ٣٦٨): «وَالمَقصُودُ مِن هَذِهِ الآيَةِ، أَنْ تَكونَ فِرقَةٌ مِن هَذه الأُمَّةِ مُتَصَدِّيَةً لِهَذَا الشَّأنِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الأُمَّةِ بِحَسْبِهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»».

(٥) رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ (٥/ ٦٦٣) عَنِ الحَسَنِ. قَالَ البَغويُّ (٢/ ٨٦): «هو قَولُ أَكثَرِ المُفَسِّرِينَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المُبْتَدِعَةُ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ». والآيَةُ تَحذِيرٌ لهذه الأُمَّةِ أَنْ يَسلُكُوا سَبيلَ التَّفَرُّقِ والاختلافِ في الدِّينِ، كما سَلَكَه مَنْ قَبلَهم مِنَ اليَهودِ والنَّصَارَى، حتى رُبَّما أَدَّى بهم إلى الكُفرِ -والعِيَاذُ بالله- بَعدَ إِيمَانِهم، فيُقَالُ لَهم كَما قِيلَ لِهَؤُلاءِ: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

(٦) الجَنَّةُ غَيرُ الرَّحمَةِ، بَلْ هِيَ مِن آثَارِ الرَّحمَةِ، ولَو قَالَ المُصَنِّفُ: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: الرَّحمَةِ، أَوِ الجَنَّةِ المَدلُولِ بها عليها، لَكَانَ ذَلك أَصوَبَ، كَما قَالَ ذلكَ عِندَ تَفسِيرِ قَولِه تعالى في سُورَةِ البَقَرَةِ الآيَة (١٦١-١٦٢): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنَةِ، أَوِ النَّارِ المَدلُولِ بها عليها.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ
(١٠٩) كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ
ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ
ٱلۡفَٰسِقُونَ (١١٠) لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ
يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ
ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ
بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ (١١٢) ۞ لَيۡسُواْ
سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ (١١٣) يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ
ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٤) وَمَا
يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ (١١٥)

الحزب ٧

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مُلْكًا وَخلقًا وَعَبِيدًا ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ﴾: تَصِيرُ ﴿ٱلۡأُمُورُ﴾.

[١١٠] ﴿كُنتُمۡ﴾ - يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - في عِلْمِ الله -تَعَالَى- ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ﴾: أُظهِرَتْ[1] ﴿لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ﴾ الإِيمانُ ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ كَعَبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَصْحَابِه ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[*]: الكَافِرُونَ.

[١١١] ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ﴾ أي: اليَهُودُ - يَا مَعشَرَ المُسلِمِينَ - بِشَيءٍ ﴿إِلَّآ أَذٗىۖ﴾ بِاللِّسَانِ مِنْ سَبٍّ وَوَعِيدٍ ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ مُنهَزِمِينَ ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ عليكُم؛ بَل لَكُم النَّصرُ عليهم.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾: حَيثُما وُجِدُوا؛ فلا عِزَّ لهم ولا اعتِصَامَ ﴿إِلَّا﴾ كَائِنِينَ ﴿بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2] ﴿وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: المُؤمِنِينَ؛ وهو: عَهدُهم إِلَيهم بِالأَمَانِ على أَدَاءِ الجِزيَةِ؛ أي: لَا عِصمَةَ لَهم غَيرُ ذلك[3] ﴿وَبَآءُو﴾: رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ﴾ أي: بِسَبَبِ أَنَّهم ﴿كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ﴾: تَأكِيدٌ ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ أَمْرَ الله ﴿وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾: يَتَجَاوَزُونَ الحَلالَ إِلى الحَرَامِ.

[١١٣] ﴿۞ لَيۡسُواْ﴾ أي: أَهلُ الكِتَابِ ﴿سَوَآءٗۗ﴾: مُستَوِينَ ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾: مُستَقِيمَةٌ ثَابِتَةٌ على الحَقِّ؛ كَعَبدِ الله بنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَصحَابِه ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي: في سَاعَاتِه ﴿وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾: يُصَلُّونَ - حَالٌ -.

[١١٤] ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المَوصُوفُونَ بِما ذُكِرَ ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومنهم مَنْ لَيسُوا كذلك، ولَيسُوا مِنَ الصَّالِحِينَ.

[١١٥] ﴿وَمَا [تَفۡعَلُواْ]﴾ - بِالتَّاء[4]: أَيَّتُها الأُمَّة، وبِاليَاءِ[5]؛ أي: الأُمَّةُ القَائِمَةُ - ﴿مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن [تُكۡفَرُوهُ]﴾: بِالوَجهَينِ[6]؛ أي: تَعدَمُوا ثَوابَه؛ بَلْ تُجَازَونَ عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾[**].

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ قال: «خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (٧) ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾.

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (١١٣-١١٥): أَخرَجَ أَحمَدُ عن ابنِ مَسعُودٍ قَالَ: أَخَّرَ رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ العِشَاءِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَيسَ مِنْ أَهْلِ الأَدْيَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ الله هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ». قَالَ: وَأَنْزَلَ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أحمد - المُسنَدُ (١/ ٣٩٦). قال أَحمدُ شاكر: إِسنَادُه صَحِيحٌ (٣٧٦٠).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أَي: أُظهِرَتْ).

(٢) يَعنِي: إِلَّا بِعَهدٍ مِنَ الله، وهو أن يُسلِمُوا.

(٣) لَكِنْ إِنْ كَانَ اعتِصَامُهم بِحبلٍ مِن الله بِأَنْ يُسلِمُوا ارتفَعَ عنهم الذُّلُّ وعَصَمُوا نُفُوسَهم وأَموَالَهم، وإِن كَانَ مِنَ النَّاسِ فقد عَصَمُوا نُفوسَهم وعَاشُوا في ذُلٍّ.

(٤) بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يَفۡعَلُواْ﴾؛ بِاليَاءِ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة، وحَاشِيَةِ الجَمَلِ: (أَيُّها الأُمَّةُ، واليَاءِ).

(٦) أي: اليَاءُ والتَّاءُ. وبِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يُكۡفَرُوهُ﴾؛ بِاليَاءِ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ
ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ
١١٨ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ
كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ
ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ
سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾: تَدفَعَ ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ عَذَابِه[1] ﴿شَيْـًٔا﴾ وخصَّهما بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الإِنْسَانَ يَدفَعُ عن نَفسِه تَارَةً بِفِدَاءِ المَالِ، وتَارَةً بِالاستِعَانَةِ بِالأَولَادِ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في عَدَاوَةِ النَّبِيِّ أو صَدَقَةٍ ونَحوِها[2] ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: حَرٌّ أو بَرْدٌ شَدِيدٌ ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾: زَرْعَ ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بِالكُفْرِ والمَعصِيَةِ ﴿فَأَهْلَكَتْهُۚ﴾ فلَم يَنتَفِعُوا به. فكَذلِكَ نَفَقَاتُهم ذَاهِبَةٌ لا يَنتَفِعُونَ بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بِضَيَاعِ نَفَقَاتِهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِالكُفْرِ المُوجِبِ لِضَيَاعِها.

[١١٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾: أصفِيَاءَ تُطلِعُونَهم على سِرِّكُم ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: غَيرِكُم؛ مِنَ اليَهُودِ والنَّصَارَى والمُنَافِقِينَ ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ - نُصِبَ بِنَزعِ الخَافِضِ- أي: لا يُقَصِّرُونَ[3] لَكُم في الفَسَادِ ﴿وَدُّواْ﴾: تَمَنَّوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عَنَتَكم- وهو: شِدَّةُ الضَّرَرِ- ﴿قَدْ بَدَتِ﴾: ظَهَرَتِ ﴿ٱلْبَغْضَآءُ﴾: العَدَاوَةُ لَكُم ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ بِالوَقِيعَةِ فيكُم وإِطلَاعِ المُشرِكِينَ على سِرِّكُم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ مِنَ العَدَاوَةِ ﴿أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِۖ﴾ على عَدَاوَتِهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلِكَ فلَا تُوَالُوهم.

[١١٩] ﴿هَا﴾: لِلتَّنبِيهِ ﴿أَنتُمْ﴾ يا ﴿أُوْلَآءِ﴾ المُؤمِنِينَ ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لِقَرَابَتِهم مِنكُم وصَدَاقَتِهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لِمُخَالَفَتِهم لَكُم في الدِّينِ ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي: بِالكُتُبِ كُلِّها، ولا يُؤمِنُونَ بِكِتَابِكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾: أَطرَافَ الأَصَابِعِ ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِۚ﴾: شِدَّةِ الغَضَبِ لِمَا يرون مِن ائتِلَافِكُم. ويُعَبَّرُ عَنْ شِدَّةِ الغَضَبِ بِعَضِّ الأَنَامِلِ مَجَازًا، وإِنْ لَم يَكُنْ ثَمَّ عَضٌّ ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ﴾ أي: ابقَوا عليه إلى المَوتِ[4]؛ فلَنْ تَرَوا مَا يَسُرُّكُم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِمَا في القُلُوبِ، ومنه مَا يُضمِرُه هَؤُلَاءِ.

[١٢٠] ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾: تُصِبكُم ﴿حَسَنَةٌ﴾: نِعمَةٌ؛ كَنَصرٍ وغَنِيمَةٍ ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تُحزِنْهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كَهَزِيمَةٍ وجَدْبٍ ﴿يَفْرَحُواْ بِهَاۖ﴾ - وجُملَةُ الشَّرطِ[5] مُتَّصِلَةٌ بِالشَّرطِ قَبْلُ[6]، وما بينَهما[7] اعتِرَاضٌ. والمَعنَى: أنَّهم مُتَنَاهُونَ في عَدَاوَتِكُم؛ فَلِمَ تُوَالُونَهُمْ؟! فَاجْتَنِبُوهم- ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على أذَاهُم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللهَ في مُوَالَاتِهم وغَيرِها ﴿لَا [يَضِرْكُمْ]﴾ -بِكَسرِ الضَّادِ، وسُكُونِ الرَّاءِ[8]، وضَمِّها وتَشدِيدِها[9]- ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بِاليَاءِ والتَّاءِ[10]، ﴿مُحِيطٌ﴾: عَالِمٌ[11]؛ فيُجَازِيهم به.

[١٢١] ﴿وَ﴾ اذكُرْ - يا مُحَمَّد- ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: مِنَ المَدِينَةِ ﴿تُبَوِّئُ﴾: تُنزِلُ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ﴾: مَرَاكِزَ يَقِفُونَ فيها ﴿لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأَقوَالِكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَحوَالِكم. وهو يَومُ أُحُدٍ؛ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَلفٍ أو إِلَّا خَمسِينَ رَجُلًا، والمُشرِكُونَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ، ونَزَلَ بِالشِّعْبِ يَومَ السَّبتِ سَابِعَ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الهِجرَةِ، وجَعَلَ ظَهرَه وعَسكَرَه إلى أُحُدٍ، وسَوَّى صُفُوفَهم، وأَجلَسَ جَيشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وأَمَّرَ عليهم عبدَ اللهِ بنَ جُبَيرٍ بِسَفحِ الجَبَلِ، وقَالَ: «انْضَحُوا عَنَّا بِالنَّبْلِ، لَا يَأْتُونَ مِنْ وَرَائِنَا، وَلَا تَبْرَحُوا؛ غُلِبْنَا أَوْ نُصِرْنَا»[12].

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَةَ: (عذابه) بِدُونِ: (مِنْ).

(٢) كَصِلَةِ الرَّحِمِ ومُوَاسَاةِ الفُقَرَاءِ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَةَ: زِيَادَةُ: (جُهدَهم).

(٤) في الآيَةِ دليلٌ ظَاهِرٌ على مَنعِ استِعمَالِ الكُفَّارِ والمُنَافِقِينَ في الوَظَائِفِ المُهِمَّةِ التي فيها اطِّلَاعٌ على أَسرَارِ المُسلِمِينَ ودَوَاخِلِهم. ويُؤَيِّدُ ذلكَ ما رَوَاهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (٤٠٣٨)، وابنُ أبي شَيبَةَ في مُصَنَّفِه كتاب (الأدب) باب: في اتِّخَاذِ كَاتِبٍ نَصرَانِيٍّ (٢٥٨٧٢) عَنِ أبي الدِّهقَانَةِ، قالَ: قِيلَ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: إِنَّ هَهنا غُلَامًا مِنْ أهلِ الحِيرَةِ، لم يُرَ قَطُّ أَحفَظَ منه، ولا أَكتَبَ منه، فإِنْ رَأَيتَ أَنْ تَتَّخِذَه كَاتِبًا بَينَ يَدَيكَ، إذا كَانَت لكَ الحَاجَةُ شَهِدَكَ، قالَ: فقالَ عُمَرُ: «قَدِ اتَّخَذْتُ إِذَنْ بِطَانَةً مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ». قالَ ابنُ كثيرٍ في تَفسِيرِه (٢/ ١٠٧): «فَفِي هَذَا الأَثَرِ مَعَ هَذِهِ الآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ أَهلَ الذِّمَّةِ لَا يَجُوزُ اسْتِعمَالُهُم فِي الكِتَابَةِ، الَّتِي فِيهَا اسْتِطَالَةٌ عَلَى المُسلِمِينَ، واطِّلَاعٌ عَلَى دَوَاخِلِ أُمُورِهِم، الَّتِي يُخْشَى أَنْ يُفْشُوهَا إِلَى الأَعدَاءِ مِنْ أَهلِ الحَربِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾».

(٥) وهي قولُه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾.

(٦) وهي قولُه: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ﴾.

(٧) وهي قولُه: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ﴾.

(٨) مِنْ ضَارَ يَضِيرُ، وهذه القِرَاءَةُ لِنَافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٩) أي: ﴿يَضُرُّكُمْ﴾؛ بِتَشدِيدِ الرَّاءِ، مَعَ ضَمِّ الضَّادِ مِنْ ضَرَّ يَضُرُّ، وهي قِرَاءَةُ بَقِيَّةِ السَّبعَةِ.

(١٠) قِرَاءَةُ العَشَرَةِ بِاليَاءِ، والقِرَاءَةُ بِالتَّاءِ قِرَاءَةٌ شَاذَّةٌ، وقَدْ سَهَا السيوطيُّ عن التنبيهِ إلى ذلك، كَمَا جَرَت عَادَتُه بِأَنْ يَقُولَ عَنِ القِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ: وقُرِئَ.

(١١) الإحاطةُ فيها مَعنًى زَائِدٌ عَنِ العِلمِ، واللهُ تعالى مُحِيطٌ بِالمخلُوقَاتِ كُلِّها إِحَاطَةً تَلِيقُ بِجَلَالِه؛ فهو -سُبحَانَهُ- مُحِيطٌ بهم وبِأَعمَالِهم ومَكَائِدِهم، حَافِظٌ لها، لا يَعزُبُ عنه شيءٌ منه.

(١٢) لم أعثرْ عليه بهذا اللفظِ، لكنْ أخرجَ البُخَارِيُّ (٣٧٣٧) مِنْ حديثِ البراءِ بنِ عَازِبٍ نحوَه.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ
وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ
لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

[١٢٢] ﴿إِذْ﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ﴾ قبلَه ﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ بَنُو سَلِمَةَ وبنو حارِثةَ جَناحا العَسكَرِ ﴿أَن تَفْشَلَا﴾: تَجْبُنا عَنِ القِتالِ وتَرجِعا؛ لَمّا رَجَعَ عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ المُنافِقُ وأصحابُه، وقالَ: عَلامَ نَقتُلُ أنفُسَنا وأولادَنا؟! وقالَ -لأبي جابرٍ السَّلَمِيِّ القائِلِ له: «أنشُدُكم اللهَ في نَبِيِّكم وأنفُسِكُم»-: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَٰكُمْ﴾. فثَبَّتَهما اللهُ ولم يَنصَرِفا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصِرُهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: لِيَثِقُوا به دُونَ غَيرِه.

[١٢٣] وَنَزَلَ -لَمّا هُزِمُوا؛ تَذكِيرًا لَهم بِنِعمةِ الله-: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: مَوضِعٍ بَينَ مَكَّةَ والمَدينةِ ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بِقِلَّةِ العَدَدِ والسِّلاحِ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَه(١).

[١٢٤] ﴿إِذْ﴾: ظَرْفٌ لِـ﴿نَصَرَكُمُ﴾ ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تُوعِدُهم تَطمِينًا: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾: يُعِينَكم ﴿رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾؟ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ(٢).

[١٢٥] ﴿بَلَىٰٓ﴾ يَكفِيكُم ذلك. وفي «الأنفال»: ﴿بِأَلْفٍ﴾؛ لِأنَّه أَمَدَّهم أوَّلًا بها، ثُمَّ صارَتْ ثَلاثةً، ثُمَّ صارَتْ خَمسةً؛ كما قالَ تَعالَى: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على لِقاءِ العَدُوِّ ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ اللهَ في المُخالَفةِ ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي: المُشرِكُونَ ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾: وَقتِهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بِكَسرِ الواوِ وفَتحِها(٣)؛ أي: مُعَلَّمِينَ. وقَد صَبَرُوا وأنجَزَ اللهُ وَعْدَه؛ بأنْ قاتَلَتْ معهم الملائِكةُ على خَيلٍ بُلْقٍ، عَليهم عَمائِمُ صُفْرٌ(٤) أو بِيضٌ(٥)، أرسَلُوها بَينَ أكتافِهم.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: الإمدادَ ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنَّصرِ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: تَسكُنَ ﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ فلا تَجزَعَ مِنْ كَثرةِ العَدُوِّ وقِلَّتِكُم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يُؤتِيه مَنْ يَشاءُ، ولَيسَ بِكَثرةِ الجُندِ.

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿نَصَرَكُمُ﴾؛ أي: لِيُهلِكَ ﴿طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقَتلِ والأَسرِ ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يُذِلَّهم بالهَزِيمةِ ﴿فَيَنقَلِبُوا۟﴾: يَرجِعُوا ﴿خَآئِبِينَ﴾ لَم يَنالُوا ما رامُوه.

[١٢٨] وَنَزَلَ -لَمَّا كُسِرَتْ رَباعِيَتُه ﷺ، وشُجَّ وَجهُه يَومَ أُحُدٍ، وَقالَ: «كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ خَضَبُوا وَجهَ نَبِيِّهِمْ بالدَّمِ؟!»(٦)[*]-: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ بَلِ الأمرُ للهِ؛ فاصبِرْ ﴿أَوْ﴾: بِمَعنَى: إِلى أَنْ ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلامِ ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بالكُفرِ.

[١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلقًا وَعَبِيدًا ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المَغفِرةَ له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تَعذِيبَه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِأَولِيائِه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِأَهلِ طاعَتِه.

[١٣٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ - بِأَلِفٍ ودُونِها(٧)- بِأَنْ تَزِيدُوا في المالِ عِندَ حُلُولِ الأَجَلِ وتُؤَخِّرُوا الطَّلَبَ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِتَركِه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزون.

[١٣١] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أَنْ تُعَذَّبُوا بها. [١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

---

[*] مَا جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٢٨): أخرجَ البُخارِيُّ عَنِ ابنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ إِذا رَفَعَ رَأسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ في الرَّكعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الفَجرِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ العَنْ فُلانًا وَفُلانًا وَفُلانًا، بَعْدَ ما يَقُولُ: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنا وَلَكَ الحَمْدُ»، فَأَنزَلَ الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ إِلى قَولِه: ﴿ظَٰلِمُونَ﴾. البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (٩). وأخرجَ مُسلِمٌ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كُسِرَتْ رَباعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ في رَأسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَباعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟»، فَأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ مُسلِمٌ - كتاب الجهاد والسير (٦٤) باب (٣٧) غزوة أُحُد.

قالَ الحافظُ في الفتح (٨/ ٧٥): «وطَرِيقُ الجَمعِ بَينَه وبَينَ حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ أنَّه ﷺ دَعا على المَذكُورِينَ بعدَ ذلكَ في صَلاتِه؛ فنَزَلَتِ الآيَةُ في الأَمرَينِ مَعًا؛ فِيما وَقَعَ مِنَ الأَمرِ المَذكُورِ، وفِيما نَشَأَ عنه مِنَ الدُّعاءِ عَلَيهم. وذلِكَ في أُحُد...».

---

(١) لم نَقِفْ عليه، وذكَرَ الرَّازِيُّ في تَفسِيرِه (٨/ ٣٤٥): «أَنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ بِالمَغَازِي زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ».

(٢) بِالتَّشدِيدِ، ومَعَه فَتحُ النُّونِ: قِراءَةُ ابنِ عامِرٍ.

(٣) قِراءَتانِ سَبعِيَّتانِ، وهِيَ بِالكَسرِ قِراءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو وعاصِمٍ: اسمُ فاعِلٍ؛ والمعنَى: مُعَلِّمِينَ أَنفُسَهم آدابَ الحَربِ، وبِالفَتحِ: اسمُ مَفعُولٍ؛ بِمعنَى: أَنَّ اللهَ عَلَّمَهم آدابَه، وبِالفَتحِ: قِراءَةُ حَمزَةَ والكِسائِيِّ ونافِعٍ وابنِ عامِرٍ.

(٤) رواه أبو نُعَيمٍ في «فضائِله» عَنْ عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ: «كَانَتْ عِمَامَةُ جِبْرِيلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَفْرَاءَ؛ فَنَزَلَتِ المَلائِكَةُ كَذَلِكَ».

(٥) رَواه إِسحاقُ والطبرانِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: «كَانَتْ سِيمَاءُ المَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمُهُمْ بِيضًا، مُعَلِّمِينَ بِالصُّوفِ الأَبْيَضِ فِي نَوَاصِي الدَّوَابِّ وَأَذْنَابِهَا»، وجُمِعَ بَينَ الرِّوايَتَينِ بِأَنَّ جِبرِيلَ كانَت عِمامَتُه صَفراءَ، وغَيرَه كانَت عِمامَتُه بَيضاءَ.

(٦) أخرجه ابنُ ماجه (٤٠١٧) وصَحَّحه الأَلبانِيُّ، وأحمدُ (١٢٣٦٦، ١٢٦٦٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مالِكٍ، وأخرجه مُسلِمٌ (٣٣٤٦) بِلَفظِ: «كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ شَجُّوا نَبِيَّهم وكَسَروا رَباعِيَتَه...».

(٧) أي: ﴿مُضْعَفَةً﴾ وهِيَ قِراءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وابنِ عامِرٍ، ومَعناها كَما ذَكَرَ المُفَسِّرُ، كانَ الطالِبُ يَقُولُ: أَتَقضِي أَم تُرْبِي؟ فرُبَّما فَعَلَ ذلكَ مِرارًا فيَزِيدُ الدَّينُ أضعافًا مُضعَفَةً. و﴿مُّضَٰعَفَةً﴾: إِشارَةٌ إِلى تَكرِيرِ التَّضعِيفِ عامًا بَعدَ عامٍ، كما كانُوا يُضعِّفُونَ، وهذا تَوبِيخٌ لا تَقيِيدٌ أو بِحَسبِ الواقِعَةِ.

الحزب ٧

* وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ
فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا
فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن
رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ
أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ
١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨
وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ
١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

[١٣٣] ﴿ * وَسَارِعُوٓاْ ﴾ - بِوَاوٍ ودُونِها(١) - ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: كَعَرضِهما لو وُصِلَتْ إحداهُما بالأُخرَى - والعَرضُ: السَّعَةُ - ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ اللهَ، بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ وتَرْكِ المَعَاصِي.

[١٣٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في طَاعَةِ الله ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: اليُسْرِ والعُسْرِ ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾: الكَافِّينَ عن إمضائِه، مَعَ القُدرَةِ ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ مِمَّنْ ظَلَمَهم؛ أي: التَّارِكِينَ عُقُوبَتَهم(٢) ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بِهذِه الأفعالِ؛ أي: يُثِيبُهم(٣).

[١٣٥] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾: ذَنبًا قَبِيحًا؛ كالزِّنا ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بِما دُونَه؛ كالقُبْلَةِ ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: وَعِيدَه ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ﴾: يُدِيمُوا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ بَلْ أقلَعُوا عنه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ الذي أتَوه مَعصِيَةٌ.

[١٣٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾: حَالٌ مُقَدَّرَةٌ؛ أي: مُقَدِّرِينَ الخُلُودَ فيها، إذَا دَخَلُوها ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ بِالطَّاعَةِ هذا الأَجرُ!

[١٣٧] وَنَزَلَ في هَزِيمَةِ أُحُدٍ(٤): ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾: مَضَتْ ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾: طَرَائِقُ في الكُفَّارِ، بِإمهَالِهم ثُمَّ أَخْذِهم ﴿فَسِيرُواْ﴾ - أيُّها المُؤمِنُونَ - ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ الرُّسُلَ؛ أي: آخِرُ أمْرِهم مِنَ الهَلَاكِ؟ فلَا تَحْزَنُوا لِغَلَبَتِهم؛ فأنا أُمهِلُهم لِوَقتِهم.

[١٣٨] ﴿هَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ كُلِّهم ﴿وَهُدٗى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ منهم.

[١٣٩] ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ تَضعُفُوا عَنْ قِتالِ الكُفَّارِ ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ على مَا أَصابَكُم بِأُحُدٍ ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ بِالغَلَبَةِ عليهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ حَقًّا. وجَوَابُه دَلَّ عليه مَجمُوعُ ما قَبلَه.

[١٤٠] ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ﴾: يُصِبكُم بِأُحُدٍ ﴿قَرۡحٞ﴾ - بِفَتحِ القَافِ وضَمِّها(٥) -: جَهْدٌ مِنْ جَرْحٍ ونَحوِه ﴿فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ﴾: الكُفَّارَ ﴿قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ بِبَدْرٍ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾: نُصَرِّفُها ﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ يومًا لِفِرقَةٍ ويومًا لِأُخرَى؛ لِيَتَّعِظُوا ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أَخلَصُوا في إيمانِهم مِنْ غَيرِهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ﴾ يُكرِمُهم بِالشَّهَادَةِ ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ؛ أي: يُعَاقِبُهم(٦)، وما يُنعِمُ به عَليهم استِدْرَاجٌ.

---

(١) إِثباتُ الوَاوِ قِراءةُ الجُمهُورِ عَطفًا تَفسِيرِيًّا على: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾؛ كَرَسمِ مَصَاحِفِ مَكَّةَ والعِرَاقِ، و«دُونَها» في قِراءَةِ نَافِعٍ وابنِ عامِرٍ على الاستِئنَافِ؛ كَرَسمِ المُصحَفِ الشَّامِيِّ والمَدَنيِّ.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَةَ: زِيَادَةُ: (عُقُوبَتَه)؛ بِالإفرَادِ.

(٣) وهذا تأويلٌ -كَما سَبَقَ مِرارًا- ومَذهَبُ السَّلَفِ إثباتُ هذه الصِّفَاتِ دُونَ أن يَقتَضِيَ ذلك نَقصًا في حَقِّ البَارِي عَزَّوَجَلَّ، كَما يَزعُمُ هَؤلاءِ المُؤوِّلَةُ وغَيرُهم مِنَ المُعَطِّلَةِ، ومِنْ لَازِمِ مَحَبَّتِه سُبحَانَهُ وتَعَالَى لِلمُحسِنِينَ أنْ يُثِيبَهم.

(٤) نَقَلَ الطَّبَرِيُّ في تَفسِيرِه (٦/ ٧٢) عَنِ ابنِ إسحَاقَ، قَالَ: «استَقبَلَ ذِكرَ المُصِيبَةِ الَّتي نَزَلَتْ بِهِمْ -يَعْني بِالمُسلِمِينَ يَومَ أُحُدٍ- وَالبَلَاءَ الَّذِي أَصَابَهُمْ، وَالتَّمْحِيصَ لِمَا كَانَ فِيهِمْ، وَاتِّخَاذَهُ الشُّهَدَاءَ مِنْهُمْ، فَقَالَ تَعزِيَةً لَهُمْ، وَتَعرِيفًا لَهُمْ فِيمَا صَنَعُوا وَمَا هُوَ صَانِعٌ بِهِمْ: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾».

(٥) بِالضَّمِّ: قِراءَةُ حَمزَةَ والكِسَائيِّ وشُعبَةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالفَتحِ. وهُما لُغَتانِ كَالضَّعفِ والضُّعفِ.

(٦) وهذا تَأويلٌ. ومَذهَبُ السَّلَفِ إثباتُ صِفاتِ رَبِّنا على الوَجهِ اللَّائِقِ به -سُبحَانَهُ-، ومِن لَازِمِ عَدَمِ مَحَبَّتِه لِلظَّالِمِينَ أنْ يُعَاقِبَهم.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن
قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ
وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟
وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن
قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ
ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

[١٤١] ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: يُطَهِّرَهم مِنَ الذُّنُوبِ بِمَا يُصِيبُهم ﴿وَيَمْحَقَ﴾: يُهلِكَ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿أَمْ﴾: بَلْ[1] أَ[2] ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: لَمْ[3] ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الشَّدَائِدِ؟

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ - فيه حَذفُ إِحدَى التَّاءَينِ في الأَصلِ[4]- ﴿ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ حَيثُ قُلتُم: لَيتَ لنا يومًا كَيوم بَدرٍ؛ لِنَنَالَ مَا نَالَ شُهَدَاؤُه[5]. ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: سَبَبَهُ: الحَربَ ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي: بُصَرَاءُ تَتَأَمَّلُونَ الحَالَ كيفَ هِيَ؟ فَلِمَ انهَزَمتُم؟

وَنَزَلَ في هَزِيمَتِهم، لَمَّا أُشِيعَ أَنَّ النَّبِيَّ قُتِلَ، وقالَ لهمُ المُنَافِقُونَ: «إِنْ كَانَ قُتِلَ فَارجِعُوا إِلى دِينِكُم»[6]:

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كَغَيرِه ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: رَجَعتُم إِلى الكُفرِ؟ والجُملَةُ الأَخِيرَةُ مَحَلُّ الاستِفهَامِ الإِنكَارِيِّ؛ أي: مَا كانَ مَعبُودًا فتَرجِعُوا ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ وإِنَّما يَضُرُّ نَفسَه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ نِعَمَهُ بِالثَّبَاتِ.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِقَضَائِه ﴿كِتَٰبًا﴾: مَصدَرٌ؛ أي: كَتَبَ اللهُ ذلك ﴿مُّؤَجَّلًا﴾: مُؤَقَّتًا، لا يَتَقَدَّمُ ولا يَتَأَخَّرُ. فَلِمَ انهَزَمتُم، والهَزِيمَةُ لا تَدفَعُ المَوتَ، والثَّبَاتُ لا يَقطَعُ الحَيَاةَ؟ ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بِعَمَلِه ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: جَزَاءَه منها ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ مَا قُسِمَ لَه، ولَا حَظَّ له في الآخِرَةِ ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي: مِنْ ثَوَابِها ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَأَيِّن﴾: كَمْ ﴿مِّن نَّبِىٍّ [قُتِلَ]﴾[7] - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿قَٰتَلَ﴾، والفَاعِلُ ضَمِيرُه[8]- ﴿مَعَهُۥ﴾: خَبَرٌ مُبتَدَؤُه: ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾: جَبُنُوا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الجِرَاحِ وقَتْلِ أَنبِيَائِهم وأَصحَابِهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ عَنِ الجِهَادِ ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: خَضَعُوا لِعَدُوِّهم؛ كَما فَعَلتُم حِينَ قِيلَ: قُتِلَ النَّبِيُّ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البَلَاءِ؛ أي: يُثِيبُهم[9].

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ عِندَ قَتْلِ نَبِيِّهم، مَعَ ثَبَاتِهم وصَبرِهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾: تَجَاوُزَنَا الحَدَّ ﴿فِىٓ أَمْرِنَا﴾ إِيذَانًا بِأَنَّ مَا أَصَابَهم لِسُوءِ فِعْلِهم، وهَضْمًا لِأَنفُسِهم ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بِالقُوَّةِ على الجِهَادِ ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: النَّصرَ والغَنِيمَةَ ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: الجَنَّةَ. وحُسْنُهُ: التَّفَضُّلُ فَوقَ الاستِحقَاقِ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

---

(١) ﴿أَمْ﴾ مُنقَطِعَةٌ؛ فلِذَا فَسَّرَها المُفَسِّرُ بـ«بَلْ» التي لِلإِضرَابِ الانتِقَالي.

(٢) الهَمزَةُ المُقَدَّرَةُ لِلاستِفهَامِ الإِنكَارِيِّ.

(٣) هناكَ فُرُوق بينَهما، ويُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآيَةِ (١١٤) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٤) جَاءَ ذلكَ عَن ابنِ إِسحَاقَ وقَتَادَةَ ومُجَاهِدٍ، كَما نَقَلَها الطبريُّ عنهم (٧/ ٢٤٨-٢٥٠)، وهو في سِيرَةِ ابنِ هِشَامٍ (٣/ ١١٧) بِسِيَاقٍ قَرِيبٍ.

(٥) أي: تَتَمَنَّونَ.

(٦) أخرجَه ابنُ جَرِيرٍ عنِ الضَّحَاكِ (٤/ ٧٤) مِن طريقِ جُويبر عنه به، وجُويبر ضَعِيفٌ جِدًّا، كَما في التَّقرِيبِ (١/ ١٣٦) وهُو مُرسَلٌ أيضًا، وضَعَّفه جدًّا في الاستِيعابِ (١/ ٣٠٥).

(٧) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقرأ البَاقُونَ: ﴿قَٰتَلَ﴾.

(٨) يَعُودُ إِلى النَّبِيِّ، ويَحتَمِلُ أن يَكُونَ الفَاعِلُ: ﴿رِبِّيُّونَ﴾، وعلى القِرَاءَةِ الأُولى: ﴿قُتِلَ﴾ يَكُونُ نَائِبُ الفَاعِلِ: ﴿رِبِّيُّونَ﴾، أو ضَمِيرًا مُستَتِرًا يَعُودُ إِلى ﴿نَّبِىٍّ﴾.

(٩) هذا تَأوِيلٌ سَبَقَ الرَّدُّ عليه مِرارًا، وبَيَانُ مَذهَبِ السَّلَفِ مِنْ إِثبَاتِ الصِّفَاتِ على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبحَانَهُ-. ومِنْ لَازِمِ مَحَبَّتِه سُبحانَه لِلصَّابِرِينَ أَنْ يُثِيبَهم ويُكرِمَهم.

[١٤٩] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فِيما يَأمُرُونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ إلى الكُفرِ ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾.

[١٥٠] ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: نَاصِرُكُم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ فأَطِيعُوه دُونَهم.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ - بِسُكُونِ العَينِ وضَمِّها[١] -: الخَوفَ. وقدْ عَزَمُوا بَعدَ ارتِحالِهم مِنْ أُحُدٍ على العَودِ واستِئصَالِ المُسلِمِينَ، فَرُعِبُوا ولَم يَرجِعُوا[٢] ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا۟﴾: بِسَبَبِ إِشرَاكِهم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾: حُجَّةً[٣] على عِبادَتِه - وهو: الأَصنَامُ - ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مَأْوَى ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ هيَ!

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ إِيَّاكُم بِالنَّصرِ ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: تَقتُلُونَهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بِإِرَادَتِه[٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جَبُنْتُم عَنِ القِتَالِ ﴿وَتَنَـٰزَعْتُمْ﴾: اختَلَفْتُم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: أَمرِ النَّبِيِّ ﷺ بِالمُقَامِ في سَفحِ الجَبَلِ لِلرَّمْيِ؛ فقالَ بَعضُكم: نَذهَبُ؛ فقَدْ نُصِرَ أَصحَابُنا. وبَعضُكم: لا نُخَالِفُ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أَمْرَه؛ فتَرَكتُم المَركَزَ؛ لِطَلَبِ[٥] الغَنِيمَةِ ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ اللهُ ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ مِنَ النَّصرِ. وجَوَابُ ﴿إِذَا﴾ دَلَّ عليه ما قَبلَه؛ أي: مَنَعَكُمْ نَصْرَهُ ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ فتَرَكَ المَركَزَ لِلغَنِيمَةِ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ فثَبَتَ به حتى قُتِلَ؛ كَعبدِ الله بنِ جُبيرٍ وأَصحَابِه[٦] ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ - عَطفٌ على جَوَابِ ﴿إِذَا﴾ المُقَدَّرِ -: رَدَّكُمْ بِالهَزِيمَةِ ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: الكُفَّارِ ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: لِيَمتَحِنَكُم؛ فيَظهَرَ المُخلِصُ مِنْ غَيرِه ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ مَا ارتَكَبتُمُوه ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالعَفوِ.

[١٥٣] اذكُرُوا ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تُبعِدُونَ في الأَرضِ هَارِبِينَ ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾: تُعَرِّجُونَ ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: مِنْ وَرَائِكم؛ يَقُولُ: «إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ»[٧] ﴿فَأَثَـٰبَكُمْ﴾: فجَازَاكم[٨] ﴿غَمًّۢا﴾: الهَزِيمَةَ ﴿بِغَمٍّ﴾ بِسَبَبِ غَمِّكُم لِلرَّسُولِ[٩] بِالمُخَالَفَةِ. وقِيلَ: البَاءُ بِمَعنَى: على؛ أي: مُضَاعَفًا على غَمِّ فَوْتِ الغَنِيمَةِ ﴿لِّكَيْلَا﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿عَفَا﴾، أو بِـ«أَثَابَكُم»؛ فـ«لَا» زَائِدَةٌ[١٠] ﴿تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ مِنَ الغَنِيمَةِ ﴿وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ﴾ مِنَ القَتْلِ والهَزِيمَةِ ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ
﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى
فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن
يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٧

---

(١) بِالضَّمِّ لابنِ عَامِرٍ والكِسَائِيِّ، وبِالسُّكُونِ لِلبَاقِينَ.

(٢) أخرجَه ابنُ جَريرٍ عَنِ السُّدِّيِّ (٤/ ٨١) وضَعَّفَه جدًّا في الاستيعابِ (١/ ٣٠٧).

(٣) سُمِّيَت سُلطَانًا؛ لِوُضُوحِها وإِنَارَتِها، أو لِقُوَّتِها ونُفُوذِها.

(٤) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على آية (١٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، في التفريقِ بينَ الإِذنِ والإِرَادَةِ والأَمرِ.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَةَ: (لأَجلِ).

(٦) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٣٠٣٩).

(٧) أخرجَه الطَّبَرِيُّ عَنِ السُّدِّيِّ (٨٠٥٠)، وأخرجَه بنحوِه (٨٠٥٤) عَنِ ابنِ جُرَيجٍ، قَالَ: قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: «إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ ارجِعُوا، إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ ارجِعُوا».

(٨) جعلَ الإثابةَ بِمَعنَى: العِقَاب، وأَصلُها في الحَسَنَاتِ؛ لأنَّه وَضَعَها مَوضِعَ الثَّوَابِ؛ ومعنَاه: جَعَلَ مَكَانَ الثَّوَابِ الذي كنتُم تَرْجُونَ ﴿غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾.

(٩) في نُسخَةِ قباوة: (الرَّسُول) بِدُونِ اللامِ.

(١٠) قولُه: «فـ«لا» زائدةٌ» راجعٌ إلى تعليقِ ﴿لِّكَيْلَا﴾ بِـ﴿فَأَثَـٰبَكُمْ﴾ فَقَط؛ والمعنى: فجَازَاكُم بالغَمِّ لأجلِ أن تَحزَنُوا، أمَّا إذا كانَت مُتَعَلِّقَةً بِـ﴿عَفَا﴾ فلا تكونُ زَائِدَةً؛ أي: عَفَا عَنكم لِأَجلِ أن ينتفيَ حُزنُكم.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ
مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟
وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾: أمْنًا[١] ﴿نُّعَاسًا﴾: بَدَلٌ[٢] ﴿يَغْشَىٰ﴾ - بالياءِ والتاءِ[٣]- ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المُؤمِنون؛ فكَانُوا يَمِيدُونَ تَحتَ الحَجَفِ[٤] وتَسقُطُ السُّيوفُ منهم[٥] ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: حَمَلَتهُم على الهَمِّ؛ فلا رَغبَةَ لهم إِلَّا نَجاتُها دُونَ النَّبيِّ وأَصحَابِه، فلَم يَنامُوا، وهُمُ المُنافِقُونَ ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ ظَنًّا ﴿غَيْرَ﴾ الظَّنِّ ﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي: كَظَنِّ ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ حَيثُ اعتَقَدُوا أَنَّ النَّبيَّ قُتِلَ[٦]، أو لا يُنصَرُ ﴿يَقُولُونَ هَل﴾ ما[٧] ﴿لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: النَّصرِ الذي وُعِدْناه ﴿مِن﴾: زَائِدَةٌ ﴿شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾ بِالنَّصْبِ: توكيدًا، و الرَّفعِ: مبتدأً خبرُهُ: ﴿لِلَّهِ﴾[٨]؛ أي: القَضاءَ له، يَفعَلُ مَا يَشاءُ ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ﴾: يُظهِرُونَ ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ - بَيانٌ لِما قَبلَه-: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي: لَو كَانَ الاختيَارُ إِلَينا، لَمْ نَخرُجْ؛ فلم نُقتَل، لَكِن أُخرِجنا كُرْهًا ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكُم مَنْ كَتَبَ اللهُ عليه القَتلَ ﴿لَبَرَزَ﴾: خَرَجَ ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾: قُضِيَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: مَصَارِعِهم؛ فيُقتَلُوا، ولَم يُنْجِهم قُعُودُهم؛ لأَنَّ قَضاءَه -تعَالَى- كَائِنٌ لا مَحالَةَ ﴿وَ﴾ فُعِلَ مَا فُعِلَ بِأُحُدٍ ﴿لِيَبْتَلِىَ﴾: يَختَبِرَ ﴿ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: قُلوبِكم مِنَ الإِخلَاصِ والنِّفاقِ ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يَمِيزَ ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في القُلُوبِ، لا يَخفَى عليه شَيءٌ. وإِنَّما يَبتَلي؛ لِيُظْهِرَ لِلنَّاسِ.

[١٥٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ عَنِ القِتالِ ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جَمْعُ المُسلِمِينَ وَجَمْعُ الكُفَّارِ بِأُحُدٍ- وهُمُ المُسلِمُونَ إِلَّا [اثني][٩] عَشَرَ رَجُلًا[١٠]- ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: أَزَلَّهُمُ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بِوَسوَسَتِه ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ مِنَ الذُّنُوبِ- وهُو مُخالَفَةُ أَمْرِ النَّبِيِّ[١١]- ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يَعجَلُ على العُصَاةِ.

[١٥٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: المُنافِقِينَ ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي: في شَأْنِهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾: سَافَرُوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فَماتُوا ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾: جَمْعُ غازٍ؛ فَقُتِلُوا: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ أي: لا تَقُولُوا كَقَولِهم ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ القَولَ في عَاقِبَةِ أَمْرِهم ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا يَمنَعُ عَنِ المَوتِ قُعُودٌ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[١٢]- ﴿بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيكم به.

[١٥٧] ﴿وَلَئِن﴾: لامُ قَسَمٍ ﴿قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجِهادِ ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ - بِضَمِّ المِيمِ وكَسرِها[١٣]؛ مِنْ مَاتَ يَمُوتُ[١٤] وَ يَماتُ[١٥]- أَي: أَتاكُم الموتُ فيه ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كَائِنَةٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لِذُنُوبِكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك. واللَّامُ ومَدخُولُها جَوابُ القَسَمِ[١٦]، وهو في مَوضِعِ الفِعلِ[١٧]، مُبتَدأٌ خَبرُهُ: ﴿خَيْرٌ مِّمَّا [تَجْمَعُونَ]﴾ مِن الدُّنيا، بِالتَّاءِ والياءِ[١٨].

---

(١) أَشارَ بذلكَ إلى أَنَّ الأَمَنَةَ والأَمنَ بمعنًى واحدٍ، وهو الطُّمَأْنِينَةُ؛ سَواءٌ زالَ الخوفُ أم لا؟ وقيل: إنَّ الأَمْنَ هو الطُّمَأْنِينَةُ مَعَ زَوالِ سَبَبِ الخَوفِ. والأَمَنَةُ هي الطُّمَأْنِينَةُ مَع وُجودِ أَسبابِه.

(٢) أي: بَدَلُ كُلٍّ مِن كُلٍّ، وهو ظاهر؛ لأَنَّ الأَمَنَةَ هي النُّعاسُ بِعَينِها. وقيلَ: بَدلُ اشتِمالٍ؛ لأَنَّ الأَمَنَةَ لَها اشتِمالٌ بِالنُّعاسِ، وهو له اشتِمالٌ بها؛ لأَنَّه لا يَحصُلُ النُّعاسُ إِلَّا لِلآمِنِ.

(٣) بِالتَّاءِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ. وعلى قِراءَةِ الياءِ: الضَّميرُ عائِدٌ على النُّعاسِ، وعلى قِراءَةِ التَّاءِ: الضَّميرُ عائِدٌ على الأَمَنَةِ.

(٤) أي: يَمِيلُونَ تحتَ الحَجَفِ؛ جمع حَجَفَة: اسم للتُّرسِ والدَّرَقَةِ.

(٥) أخرَجَ البُخارِيُّ في صَحِيحِه (٤٥٦٢) عن أنس أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ، قَالَ: «غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ».

(٦) أي: ولن يَظهرَ دِينُه ولا يَتِمُّ ما دَعَا إليه.

(٧) أَشارَ به إلى أَنَّه استِفهامٌ إِنكارِيٌّ مَعناهُ النَّفي.

(٨) وجُملة ﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾. والرَّفعُ: قِرَاءَةُ أَبي عَمرٍو.

(٩) في الأَصلِ: (اثنا)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة، ونسخة حاشية الجمل.

(١٠) أَخرَجَ البُخارِيُّ في صَحِيحِه (٣٠٣٩) عَنِ البَراءِ بْنِ عَازِبٍ، في حَدِيثِه الطَّوِيلِ عَنْ غَزوَةِ أُحُد- قَالَ: «فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا». وقد اختُلِفَ في عَدَدِ مَنْ ثَبَتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في أُحُد، فعِندَ مُسْلِم (١٧٨٩) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ. ويُمكِنُ أَنْ يُجمَعَ بَينَ الرِّوَاياتِ المُختَلِفَةِ -كَما ذَكَرَ الحَافِظُ في الفتح (٧/ ٣٦٢)- بِأَنْ تُحمَلَ تلكَ الأَعدادُ المذكُورَةُ على الابتِداءِ، مع انتِشارِ خَبَرِ وَفَاتِه ﷺ، ثُمَّ لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّه ﷺ حَيٌّ فَاءَ إليه بَقِيَّةُ الصَّحابَةِ، مِمَّنْ لَمْ يَنهَزِمْ ويَرجِعْ إلى المَدِينَةِ، وهُم قَلِيلٌ.

(١١) في نُسْخَةِ قَباوَة: (الرَّسُول).

(١٢) بالياءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ.

(١٣) بِالكسرِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ ونافعٍ.

(١٤) قوله: «مِنْ مَاتَ يَمُوتُ»، رَاجِعٌ إلى قِرَاءَةِ الضَّمِّ، مِنْ بَابِ: قَالَ يَقُولُ، وأَصلُه: يَمْوُتُ؛ بِسُكُونِ المِيمِ وضَمِّ الوَاوِ، نُقِلَتْ حَرَكَةُ الوَاوِ إلى السَّاكِنِ قَبلَها.

(١٥) قوله: (ويَماتُ)، رَاجِعٌ إلى قِرَاءَةِ الكسرِ؛ وهي مِنْ بَابِ: خَافَ يَخَافُ، وأَصلُه: مِنْ مَاتَ يَمْوَت؛ نُقِلَتْ فتحةُ الوَاوِ إلى السَّاكِنِ قبلَها، ثُمَّ تَحَرَّكَتِ الوَاوُ وانفتَحَ مَا قبلَها فقُلِبَتْ أَلِفًا.

(١٦) وجَوَابُ الشَّرطِ مَحذُوفٌ دلَّ عليه جَوَابُ القَسَمِ؛ لِقَولِ ابنِ مَالِكٍ: واحذِفْ لَدَى اجتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَمْ ... جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

(١٧) أي: لَغَفَرتُ لكم ورَحِمتُكم.

(١٨) بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عَدَا حفصٍ. وقَرَأَ حفصٌ: ﴿يَجْمَعُونَ﴾؛ بِالياءِ.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ
لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ
مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ
أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿وَلَئِن﴾: لَامُ قَسَمٍ ﴿مُّتُّمْ﴾ - بِالوَجهَينِ(١) - ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في الجِهَادِ وغيرِه ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيرِه(٢) ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخِرَةِ؛ فيُجازِيكم.

[١٥٩] ﴿فَبِمَا﴾: «مَا»: زَائِدَةٌ ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿لَهُمْ﴾ أي: سَهَّلتَ أخلَاقَكَ إذْ خَالَفُوكَ ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سَيِّئَ الخُلُقِ ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: جَافِيًا فأَغلَظتَ لهم ﴿لَٱنفَضُّوا﴾: تَفَرَّقُوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ﴾: تَجاوَزْ ﴿عَنْهُمْ﴾ مَا أَتَوه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذُنُوبَهم(٣) حتَّى أَغفِرَ لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾: استَخرِجْ آرَاءَهم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: شَأْنِكَ مِنَ الحَربِ وغيرِه؛ تَطيِيبًا لِقُلُوبِهم، وَلِيُسْتَنَّ بِكَ. وكَانَ ﷺ كَثِيرَ المُشَاوَرَةِ لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ عَلى إمضَاءِ ما تُرِيدُ، بَعدَ المُشَاوَرَةِ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثِقْ به لا بِالمُشَاوَرَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه.

[١٦٠] ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾: يُعِنكُمْ على عَدوِّكم؛ كيوم بَدْرٍ ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: يَترُكْ نَصرَكم؛ كَيوم أُحُدٍ ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بَعدِ خِذلَانِه؟ أي: لا نَاصِرَ لَكُم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا غَيرِه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: لِيَثِقِ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٦١] وَنَزَلَ -لَمَّا فُقِدَتْ قَطِيفَةٌ حَمرَاءُ يومَ بَدْرٍ؛ فقَالَ بَعضُ النَّاسِ: «لَعَلَّ النَّبِيَّ أَخَذَهَا»-: ﴿وَمَا كَانَ﴾(٤): ما يَنبَغِي ﴿لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾: يَخُونَ في الغَنِيمَةِ. فلا تَظُنُّوا به ذلكَ. وفي قِرَاءَةٍ بالبناءِ للمفعولِ(٥)؛ أي: يُنْسَبَ إلى الغُلُولِ ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حَامِلًا له على عُنُقِه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾: الغَالُّ وَغَيْرُهُ جَزَاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: عَمِلَتْ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شَيئًا[*].

[١٦٢] ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فأَطَاعَ ولَمْ يَغُلَّ ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾: رَجَعَ ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لِمَعصِيَتِه وغُلُولِه ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هي؟ لا(٦).

[١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: أصحَابُ دَرَجَاتٍ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: مُختَلِفُو المَنَازِلِ؛ فَلِمَنِ اتَّبَعَ رِضوَانَهُ الثَّوَابُ، وَلِمَنْ بَاءَ بِسَخَطِهِ العِقَابُ ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيهم به.

[١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: عَرَبِيًّا مِثلَهم؛ لِيَفهَمُوا عنه ويَشْرُفُوا به، لا مَلَكًا ولا عَجَمِيًّا ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القُرآنَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُم مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: السُّنَّةَ ﴿وَإِن﴾ مُخَفَّفَةٌ؛ أي: إِنَّهم ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِ بَعْثِه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ.

[١٦٥] ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بِأُحُدٍ بِقَتلِ سَبعِينَ مِنكُم(٧) ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ بِبَدْرٍ بِقَتْلِ سَبعِينَ وأَسْرِ سَبعِينَ منهم(٨) ﴿قُلْتُمْ﴾ مُتَعَجِّبِينَ: ﴿أَنَّىٰ﴾: مِن أَينَ لنا ﴿هَٰذَا﴾ الخِذلَانُ ونَحنُ مُسلِمُونَ ورَسُولُ الله فينا؟! والجُملَةُ الأَخِيرَةُ(٩) مَحَلُّ الاستِفهَامِ الإنكَارِيِّ(١٠) ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لِأَنَّكم تَرَكتُم المَركَزَ؛ فَخُذِلتُم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النَّصرُ ومَنْعُه، وقَدْ جَازَاكُم بِخِلَافِكُم.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٦١): أَخرَجَ أبو دَاودَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾، فِي قَطِيفَةٍ حَمرَاءَ، فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: بَعضُ النَّاسِ لَعَلَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَهَا، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. أبو داود - كتاب الحروف والقراءات (٢٤) رقم (٣٩٧١). وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ أَبي دَاودَ (٣٣٦٠).

---

(١) أي: بِضَمِّ الميم وكَسرِها، وبِالكَسرِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ ونَافِعٍ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (لا غيرِه).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (ذنبَهم).

(٤) رواه أبو داود (٣٩٧١)، والترمذيُّ (٣٠٠٩)، وانظر مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ، وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ أبي داودَ (٣٣٦٠).

(٥) لِحَمزَةَ والكِسَائِيِّ ونافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٦) قولُه: «لا»، جَوَابُ الاستفهَامِ.

(٧) أخرَجَ البُخَارِيُّ في صَحِيحِه (٤٠٧٨) عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ أَنَّهُ «قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ».

(٨) أخرَجَ البُخَارِيُّ في صَحِيحِه (٣٠٣٩) عنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ، في مَعرِضِ حَدِيثِه عَن غَزوَةِ أُحُدٍ- قَالَ: «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا».

(٩) وهي قَولُه: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾.

(١٠) أي: فهو بِمَعنَى النَّفيِ. والمَعنَى: لا تَقُولُوا ذلك حِينَ أَصَابَتكُم مُصِيبَةٌ؛ لِأَنَّه مِن عِندِ أَنفُسِكم؛ فَسَبَبُه ظَاهِرٌ لا يُتَعَجَّبُ منه.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ
بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

الحزب ٨

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بِأُحُدٍ ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِرَادَتِه[1] ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ اللهُ عِلْمَ ظُهُورٍ[2] ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًّا.

[١٦٧] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ﴾ الَّذِينَ ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لَمَّا انصَرَفُوا عَنِ القِتَالِ، وهُم: عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ وأصحابُه: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أعدَاءَه ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ عَنَّا القومَ بِتكثِيرِ سَوَادِكم، إِنْ لَم تُقَاتِلوا ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾: نُحْسِنُ[3] ﴿قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قالَ - تَعالَى- تكذِيبًا لَهم: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بِمَا أظهَرُوا مِنْ خِذْلَانِهِمْ لِلمُؤْمِنِينَ، وكَانُوا قَبْلُ أَقرَبَ إِلى الإِيمَانِ مِنْ حَيثُ الظَّاهِرُ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ولَو عَلِمُوا قِتَالًا لَم يَتَّبِعُوكُم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ مِنَ النِّفَاقِ.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ﴾: بَدلٌ مِنَ ﴿الَّذِينَ﴾ قَبلَه[4]، أَو نَعتٌ ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الدِّينِ ﴿وَ﴾ قَدْ ﴿قَعَدُوا﴾ عَنِ الجِهَادِ: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شُهَدَاءُ أُحُدٍ أو إِخوَانُنا، في القُعُودِ ﴿مَا قُتِلُوا قُلْ﴾ لهم: ﴿فَادْرَءُوا﴾: ادْفَعُوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أَنَّ القُعُودَ يُنجِي منه.

[١٦٩] وَنَزَلَ في الشُّهَدَاءِ: ﴿وَلَا [تَحْسِبَنَّ] الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[5]- ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لِأَجلِ دِينِه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هُم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أروَاحُهم في حَواصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ، تَسرَحُ في الجنَّةِ حَيثُ شَاءَتْ؛ كَما وَرَدَ في الحَدِيثِ[6] ﴿يُرْزَقُونَ﴾: يَأكُلونَ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ[*].

[١٧٠] ﴿فَرِحِينَ﴾: حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿يُرْزَقُونَ﴾ ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ﴾ هُم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يَفرَحُونَ ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ مِنْ إِخوَانِهم المُؤْمِنِينَ. ويُبدَلُ مِنَ ﴿الَّذِينَ﴾: ﴿أَ﴾ نْ؛ أي: بِأَنْ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الَّذِينَ لَمْ يَلحَقُوا بِهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرَةِ- المَعنَى: يَفرَحُونَ بِأَمنِهم وفَرَحِهم-.

[١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾: ثَوَابٍ ﴿مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: زِيَادَةٍ عليه ﴿وَأَنَّ﴾ - بِالفَتحِ عَطفًا عَلى «نِعمَة»، والكَسرِ استِئنَافًا[7]- ﴿اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بَلْ يَأجُرُهم.

[١٧٢] ﴿الَّذِينَ﴾: مُبتَدَأٌ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دُعَاءَهُ بِالخُرُوجِ لِلقِتَالِ؛ لَمَّا أَرَادَ أَبو سُفيَانَ وأَصحَابُه العَودَ، تَوَاعَدُوا[8] مَع النَّبِيِّ ﷺ سُوقَ بَدْرٍ العَامَ المُقبِلَ مِن يَومِ أُحُدٍ[9] ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بِأُحُدٍ[10]، وخَبَرُ المُبتَدَأِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِه ﴿وَاتَّقَوْا﴾ مُخَالَفَتَهُ ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هُو الجَنَّةُ.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ﴾: بَدَلٌ مِنَ ﴿الَّذِينَ﴾ قَبلَه، أَو نَعتٌ ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ أي: نُعَيمُ بنُ مَسعُودٍ الأَشجَعِيُّ[11]: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾: أَبَا سُفيَانَ وأَصحَابَه ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ الجُمُوعَ؛ لِيَستَأصِلُوكُم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ ولا تَأتُوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذَلكَ القَولُ ﴿إِيمَانًا﴾: تَصدِيقًا بِالله ويَقِينًا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: كَافِينا أَمرَهُمْ ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: المُفَوَّضُ إِليه الأَمرُ هو! وخَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَوافَوا سُوقَ بَدْرٍ، وأَلقَى اللهُ الرُّعبَ في قَلبِ أَبِي سُفيَانَ وأَصحَابِه؛ فلَم يَأتُوا. وكَان مَعهم تِجَارَاتٌ فبَاعُوا ورَبِحُوا[12]. قالَ اللهُ تَعالَى:

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٦٩): أَخرَجَ أبو دَاودَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخوَانُكُم بِأُحُدٍ جَعَلَ الله أَروَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنهَارَ الجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا، أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ». قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ. أبو داودَ، كِتاب الجهاد (٩) باب (٢٧) في فضل الشهادة. وحَسَّنَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيح سُنَنِ أَبي دَاودَ (٢١٩٩).

---

(١) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على آيَةِ (١٠٢) مِن سُورَةِ البَقَرَةِ، في التَّفرِيقِ بَينَ الإِذنِ والإِرَادَةِ والأَمرِ. (٢) أي: بِالنِّسبَةِ لِلخَلقِ.

(٣) وفي الآيَةِ قَولٌ آخَرُ لعلَّه الأَقرَبُ، وهو أَنَّ المعنَى: لَو نَعلَمُ أَنَّه سَيَكُونُ قِتَالٌ لَقَاتَلنا مَعَكم. وفي الإِتقَانِ (٢/ ١٢٧) قالَ الشَّيخُ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كَلامِه عَلى الحَذفِ: «نحو ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ أي: مَكَانَ قِتَالٍ، والمُرَادُ مَكَانًا صَالحًا لِلقِتَالِ، وإِنَّما كان كذلكَ لأَنَّهم كَانُوا أَخبَرَ النَّاسِ بِالقِتَالِ، ويَتَعَيَّرُونَ بِأَنْ يَتَفَوَّهُوا بِأَنَّهم لا يَعرِفُونَه، فالعَادَةُ تَمنَعُ أَن يُرِيدُوا: لَو نَعلَمُ حَقِيقَةَ القِتَالِ، فلِذلكَ قَدَّرَه مُجَاهِدٌ: مَكَانَ قِتَالٍ». (٤) وهو قولُه: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾.

(٥) بِالتَّشدِيدِ؛ ﴿قُتِّلُوا﴾: قِرَاءَةُ ابنِ عَامِرٍ. و﴿تَحْسِبَنَّ﴾؛ بِكسرِ السِّينِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو والكِسَائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾؛ بِفَتحِها.

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (حديث). والحَدِيثُ رَوَاهُ مُسلِمٌ (١٨٨٧)، وسَبَقَ ذِكرُه وتَخرِيجُه عند الآيةِ (١٥٤) مِن سُورَةِ البَقَرَةِ. (٧) بِالكَسرِ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ. (٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وتَوَاعَدُوا).

(٩) أَخرَجَ نَحوَه النَّسَائِيُّ في التفسيرِ (١/ ٣٤٣، ٣٤٥)، والطبرانِيُّ في الكبيرِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ (١١/ رقم ١١٦٣٢)، وقالَ الهَيثَمِيُّ في مَجمَعِ الزَّوَائِدِ (٦/ ١٢١): «ورِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيحِ غيرُ مُحَمَّدِ بنِ منصورٍ الجوازِ، وهو ثِقَةٌ»، وصحَّحه السيوطِيُّ في الدُّرِّ المنثورِ (١/ ٣٨٥). وقال الحافظُ في الفتحِ (٨/ ٢٢٨-٢٢٩): «المَحفُوظُ إِرسَالُه عَن عِكرِمَةَ ليس فيه ابنُ عبَّاسٍ...» وضعَّفَه في الاستيعاب (١/ ٣٣٤).

(١٠) فيه أَنَّ الَّذِينَ استَجَابُوا لله والرَّسُولِ ﷺ هُمُ الَّذِينَ حَضَرُوا أُحُدًا، ونَزَلَتْ في أَهلِ أُحُدٍ حينَ دَعَاهم لِلقِتَالِ ثَانِيَةً، وقال: «لا يَخْرُجْ مَعَنَا إِلَّا مَنْ شَهِدَ القِتَالَ». واستَجَابَ له المُسلِمُونَ على ما بهم مِنَ الجَرحِ الشَّدِيدِ والخَوفِ المَزِيدِ، وسَارَ ﷺ والمُسلِمُونَ مَعه حتى بَلَغُوا «حَمرَاءَ الأَسَدِ» على بُعدِ ثَمَانِيَةِ أَميَالٍ مِن المَدِينَةِ. فالآيَةُ لَيسَتْ في غَزوَةِ بَدرِ المَوعِدِ كَما ذَهَبَ المُصَنِّفُ. وقَولُ المُفَسِّرِ: «لَمَّا أَرادَ أبو سُفيَانَ وأَصحَابُه... إلخ» غَيرُ صَحِيحٍ؛ إِذ إِنَّ خُرُوجَه ﷺ والصَّحَابَةِ لم يَكُن نَتِيجَةَ إِرَادَةِ أَبي سُفيَانَ وأَصحَابِه العَودَ كَما ذَكَرَ.

(١١) ذَكَرَه الثَّعلَبِيُّ في تَفسِيرِه (٣/ ٣١٠) عَن مُجَاهِدٍ ومُقَاتِلٍ وعِكرِمَةَ والوَاقِدِيِّ. قالَ الطبرِيُّ (٣/ ٥٣٢): «والَّذِي قَالَ ذَلِكَ وَاحِدٌ، وَهُوَ فِيمَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ الأَشْجَعِيُّ».

(١٢) ذَكَرَه الوَاقِدِيُّ في مَغَازِيه (١/ ٣٨٤). وأَكثَرُ أَهلِ السِّيَرِ أَنَّ هذه الحَادِثَةَ كَانَت بَعدَ أُحُدٍ في حَمرَاءِ الأَسَدِ، ويُؤَيِّدُه ما جَاءَ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها -في تفسيرِ الآيَةِ (١٧٢)- قَالَت لِعُروَةَ: يَا ابنَ أُختِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنهُمْ: الزُّبَيرُ، وأَبو بَكرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ الله ﷺ مَا أَصَابَ يَومَ أُحُدٍ، وانصَرَفَ عَنهُ المُشرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرجِعُوا، قَالَ: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ».. الحديث. البُخَارِيُّ (٤٠٧٧)، ومسلمٌ (١٨٨١).

فَانقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ
رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ
شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ
شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا
نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ
عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ
عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ
ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ
بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ
مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾

[١٧٤] ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾: رَجَعُوا مِنْ بَدْرٍ ﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾: بِسَلَامَةٍ ورِبحٍ ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ مِنْ قتلٍ أو جَرْحٍ ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ بِطَاعَتِه ورَسُولَه في الخُرُوجِ ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهلِ طَاعَتِه.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي: القَائِلُ لَكُم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ إلَخ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ﴾ ـكُمْ ﴿أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾: الكُفَّارَ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾ في تَرْكِ أَمْرِي ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ حَقًّا.

[١٧٦] ﴿وَلَا [يُحۡزِنكَ]﴾ - بِضَمِّ اليَاءِ وكَسرِ الزَّايِ(1)، وبِفَتحِها وضَمِّ الزَّايِ؛ مِن: «حَزَنَهُ»؛ لُغَةٌ في: «أَحْزَنَهُ»(2)- ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾: يَقَعُونَ فيه سَرِيعًا بِنُصرَتِه- وهُم أهلُ مَكَّةَ أَوِ(3) المُنَافِقُونَ- أي: لا تَهتَمَّ لِكُفرِهم ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ بِفِعْلِهم؛ وإِنَّما يَضُرُّونَ أنفُسَهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا﴾: نَصِيبًا ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي: الجَنَّةِ(4)؛ فلِذلكَ خَذَلَهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النَّارِ.

[١٧٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: أَخَذُوه بَدَلَه ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾ بِكُفْرِهم ﴿شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مُؤلِمٌ.

[١٧٨] ﴿وَلَا [يَحۡسَبَنَّ]﴾ -بِاليَاءِ والتَّاءِ(5)- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي﴾ أي: إِملَاءَنَا ﴿لَهُمۡ﴾ بِتَطوِيلِ الأَعمَارِ وتَأْخِيرِهم ﴿خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ﴾ و«أَنَّ» ومَعْمُولَاها سَدَّتْ مَسَدَّ المَفعُولَينِ في قِرَاءَةِ التَّحتَانِيَّةِ، ومَسَدَّ الثَّانِي في الأُخرَى ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي﴾: نُمهِلُ ﴿لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ﴾ بِكَثْرَةِ المَعَاصِي ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: ذُو إِهَانَةٍ في الآخِرَةِ.

[١٧٩] ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾: لِيَترُكَ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ﴾ - أَيُّها النَّاسُ- ﴿عَلَيۡهِ﴾ مِنِ اختِلاطِ المُخلِصِ بِغَيرِه ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ -بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(6)-: يَفصِلَ ﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾: المُنَافِقَ ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾: المُؤمِنِ، بِالتَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ المُبَيِّنَةِ لِذلكَ؛ ففَعَلَ ذلكَ يومَ أُحُدٍ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ فتَعرِفُوا المُنَافِقَ مِنْ غَيرِه قَبلَ التَّمييزِ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي﴾: يَختَارُ ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ فيُطلِعُه عَلى غَيبِه؛ كَما أَطلَعَ النَّبِيَّ ﷺ على حَالِ المُنَافِقِينَ ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ النِّفَاقَ ﴿فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا [تَحۡسَبَنَّ]﴾ - بِالتَّاءِ واليَاءِ(7)- ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: بِزَكَاتِه ﴿هُوَ﴾ أي: بُخلَهم ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۖ﴾: مَفعُولٌ ثَانٍ، والضَّمِيرُ لِلفَصْلِ، والأَوَّلُ(8): «بُخلَهم» مُقدَّرًا قَبلَ المَوصُولِ على الفَوقَانِيَّةِ(9)، وقَبلَ الضَّمِيرِ عَلى التَّحتَانِيَّةِ(10) ﴿بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ أي: بِزَكَاتِه مِنَ المَالِ ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ بِأَنْ يُجعَلَ حَيَّةً في عُنُقِه تَنهَشُه؛ كَما وَرَدَ في الحَدِيثِ(11). ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: يَرِثُهما بَعدَ فَنَاءِ أَهلِهما ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ - بِالتَّاءِ واليَاءِ(12)- ﴿خَبِيرٞ﴾ فيُجَازِيكُم به.

---

(١) وهي قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٢) قَولُه: «مِنْ «حَزَنَهُ»... إلخ» رَاجِعٌ إلى القِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ بِفَتحِ اليَاءِ وضَمِّ الزَّايِ.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (و).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (في الجَنَّةِ).

(٥) قِرَاءَتَانِ سَبعِيَّتَانِ، وبِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ، وبِاليَاءِ قَرَأَ البَاقُونَ. وفَتَحَ السِّينَ ابنُ عَامِرٍ وعَاصِمٌ وحَمزَةُ وأبو جعفرَ، وكَسَرَها البَاقُونَ. وعلى قِرَاءَةِ التَّاءِ: الخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وقولُه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مَفعُولٌ أَوَّلُ لِـ «تَحسَبَنَّ»، وقولُه: ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ في مَحَلِّ المَفعُولِ الثَّانِي. وعَلى قِرَاءَةِ اليَاءِ -وهي قِرَاءَةُ البَاقِينَ-: يَكُونُ قَولُه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فَاعِلَ «تَحسَبَنَّ» وقَولُه: ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ...﴾ سَدَّ مَسَدَّ مَفعُولَيها، كَما ذَكَرَ المُفَسِّرُ.

(٦) بِالتَّشدِيدِ؛ ﴿يُمَيِّزَ﴾: قِرَاءَةُ حَمزَةَ. وقَرَأَ البَاقُونَ: ﴿يَمِيزَ﴾ بِالتَّخفِيفِ.

(٧) بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ، وبِاليَاءِ قَرَأَ البَاقُونَ.

(٨) أي: المَفعُولُ الأَوَّلُ.

(٩) أي: فتَقدِيرُه: «ولا تَحسَبَنَّ بُخلَ الذين يَبخَلُونَ... إلخ» خَيرًا لهم؛ فقَولُ المُفَسِّرِ: «بُخلَهم» فيه تَسَمُّحٌ؛ لأَنَّ المُقدَّرَ قَبلَ المَوصُولِ يَكُونُ مُضَافًا له لا لِلضَّمِيرِ، وإِنَّما المُضَافُ إِلى الضَّمِيرِ هو ما قُدِّرَ قَبلَه.

(١٠) أي: فتَقدِيرُه: «ولا يَحسَبَنَّ الذين يَبخَلُونَ... إلخ» بُخلَهم خَيرًا لهم.

(١١) وهو قولُه ﷺ: «يُمَثَّلُ مَالُ مَانِعِ الزَّكَاةِ بِشُجَاعٍ أَقرَعَ لهُ زَبِيبَتَانِ، يَأْخُذُ بِلِهزِمَتَيهِ، ويَقُولُ: أَنَا كَنزُكَ، أَنَا مَالُكَ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ...﴾ الآيَةَ. البُخَارِيُّ (٤٥٦٥)، ومسلمٌ (٩٨٨).

(١٢) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ، وأَبِي عَمرٍو، وبِالتَّاءِ: قَرَأَ البَاقُونَ.

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ
عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو
بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ
ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ
فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ (ربع الحزب ٨)
أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ وهُمُ اليَهُودُ، قَالُوه لَمَّا نَزَلَ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقَالُوا: «لَو كَانَ غَنِيًّا ما استَقرَضَنا»[1]. ﴿سَنَكْتُبُ﴾: نَأمُرُ بِكَتْبِ[2] ﴿مَا قَالُوا۟﴾ في صَحَائِفِ أعمالِهم؛ لِيُجازَوا عليه. وفي قِرَاءَةٍ: بالياءِ مَبنِيًّا لِلمَفعُولِ[3] ﴿وَ﴾ نكتبُ ﴿قَتْلَهُمُ﴾ بِالنَّصبِ والرَّفعِ[4] ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بِالنُّونِ، واليَاءِ[5]؛ أي: اللهُ لَهم في الآخِرَةِ على لِسانِ المَلائِكَةِ: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: النَّارِ. [١٨٢] ويُقَالُ لهم إذا أُلْقُوا فيها: ﴿ذَٰلِكَ﴾ العَذَابُ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عُبِّرَ بها عَنِ الإنسانِ؛ لِأَنَّ أكثَرَ الأَفعالِ تُزَاوَلُ بها[6] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي: بِذِي ظُلْمٍ[7] ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيُعَذِّبَهم بِغَيرِ ذَنبٍ.

[١٨٣] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نعتٌ لِـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قَبلَه ﴿قَالُوٓا۟﴾ لِمُحَمَّدٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قَدْ ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ في التَّورَاةِ ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾: نُصَدِّقَه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ فلا نُؤمِنُ لكَ حتى تَأتِيَنا به. وهو ما يُتَقَرَّبُ به إلى اللهِ، مِنْ نَعَمٍ وغيرِها. فإنْ قُبِلَ جَاءَتْ نَارٌ بَيضاءُ مِنَ السَّماءِ فأَحرَقَته، وإلَّا بَقِيَ مَكَانَه. وَعَهِدَ إلى بَنِي إسرَائِيلَ ذَلكَ، إلَّا في المَسِيحِ ومُحَمَّدٍ. قالَ تَعالَى: ﴿قُلْ﴾ لهم تَوبِيخًا: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ كَزَكَرِيَّاءَ ويَحيَى، فقَتَلتُمُوهم. والخِطَابُ لِمَنْ في زَمَنِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، وإنْ كانَ الفِعْلُ لِأَجدادِهم؛ لِرِضاهُم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أَنَّكُم تُؤمِنُونَ عِندَ الإتيانِ به؟

[١٨٤] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجِزاتِ ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ كَصُحُفِ إبراهِيمَ ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: بِإِثبَاتِ البَاءِ فيهما[8] - ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾: الوَاضِحِ؛ هو: التَّوراةُ والإنجِيلُ؛ فاصبِرْ كَما صَبَرُوا.

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾: جَزَاءَ أعمالِكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ﴾: بُعِّدَ ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: نَالَ غَايَةَ مَطلُوبِه[9] ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: العَيشُ فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: البَاطِلِ؛ يُتَمَتَّعُ به قَلِيلًا ثُمَّ يَفنَى.

[١٨٦] ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ﴾ - حُذِفَ منه نُونُ الرَّفعِ؛ لِتَوالي النُّوناتِ، والوَاوُ ضَمِيرُ الجَمعِ؛ لِالتِقاءِ السَّاكِنَينِ-: لَتُختَبَرُنَّ ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بِالفَرائِضِ فيها والجَوائِحِ ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بِالعِبادَاتِ والبَلاءِ ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: اليَهودِ والنَّصارَى[*] ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ مِنَ العَرَبِ ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ مِنَ السَّبِّ والطَّعْنِ والتَّشبِيبِ[10] بِنِسَائِكم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على ذلِكَ ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ اللهَ ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مِنْ مَعزُومَاتِها التي يُعزَمُ عليها؛ لِوُجُوبِها.

---

[*] **ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٨٦)**: أخرَجَ أبو دَاودَ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ يَهْجُو النَّبِيَّ ﷺ، وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَدِمَ المَدِينَةَ، وَأَهْلُهَا أَخْلَاطٌ، مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَالْيَهُودُ وَكَانُوا يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، فَأَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ بِالصَّبْرِ وَالْعَفْوِ، فَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦] الْآيَةَ...». أبو داود - كتاب الخراج والإمارة (١٤) باب (٢٢) كيف كان إخراج اليهود من المدينة. (صحيحُ الإسنَادِ) صَحِيح سُنَنِ أبي دَاودَ (٢٥٩٤).

---

(١) أخرَجَه بِنَحوِه ابنُ أبي حَاتِمٍ في تَفسِيرِه (٢/ ٤٦٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

(٢) وفيه إثبَاتُ صِفَةِ الكِتَابَةِ للهِ عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به، وقَدْ ثَبَتَتْ هذه الصِّفَةُ في أَحادِيثَ كَثيرَةٍ صَحِيحَةٍ؛ منها ما جَاءَ عند أحمد (٩٥٩٧)، والترمذيِّ (٣٥٤٣) وغيرِهما مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ مَرفُوعًا: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي» وصَحَّحَه الألبَانيُّ في صحيح الجامع (١٧٥٥)، وأَصلُه في الصَّحِيحَينِ. وفي حَدِيثِ احتِجَاجِ آدمَ ومُوسَى المُتَّفَقِ عليه؛ البُخَارِيِّ (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ مرفوعًا: «فَقَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ».

(٣) أي: ﴿سَيُكْتَبُ﴾ وهِي قِرَاءَةُ حَمزةَ.

(٤) لَفٌّ ونَشرٌ مُرَتَّبٌ؛ والنَّصبُ: ﴿وقَتْلَهُمْ﴾: على قِرَاءَةِ «النُّونِ» وهي قِرَاءَةُ غَيرِ حَمزَةَ، والرَّفعُ: ﴿وقَتْلُهُمْ﴾: على قِرَاءَةِ اليَاءِ لِحَمزَةَ.

(٥) على التَّفصِيلِ في الهَامِشِ السَّابِقِ. وظَاهِرُه الحَقِيقَةُ؛ أي قَائِلُ ذلكَ هو اللهُ - لا كَما قالَ المُصَنِّفُ - ويُؤيِّدُ ذلكَ قِرَاءَةُ اليَاءِ. واللهُ عَزَّوَجَلَّ يَتَكَلَّمُ حَقِيقَةً بِحَرفٍ وصَوتٍ متى شَاءَ، على ما يَلِيقُ بِجَلالِه.

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِهِما)، وذلك في المَوضِعَينِ: (عُبِّرَ بِهِما عَنِ الإنسانِ)، و (تُزَاوَلُ بِهِما).

(٧) دَفَعَ بِذلكَ ما يُقَالُ: إنَّ المَنفِيَّ: كَثرَةُ الظُّلمِ؛ فيُفِيدُ أنَّ أَصلَ الظُّلمِ ثَابِتٌ - فأَجَابَ بِأَنَّ هذه الصِّيغَةَ لِلنَّسَبِ لا لِلمُبالَغَةِ.

(٨) قَرَأَ هِشَامٌ: ﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالكِتَابِ﴾، وقَرَأَ ابنُ ذَكوَانَ: ﴿وَبِالزُّبُرِ وَالكِتَابِ﴾.

(٩) هذا التَّفسِيرُ -الذي هو أعظَمُ نَعِيمٍ وغَايَةُ مَطلُوبٍ- يُوهِمُ عَدَمَ إثباتِ رُؤيَةِ المُؤمِنِينَ رَبَّهم يومَ القِيامَةِ، وهو مَذهَبُ المُعتَزِلَةِ، كما قالَ البُلقِينِيُّ: «استخرجتُ من الكشَّاف اعتزالًا بالمناقيش من تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. قال: أي فوز أعظم من دخول الجنَّة؛ أشار به إلى عدم الرؤية». الإتقان (٤/ ٢٤٣). والمُصَنِّفُ مَذهَبُه إثبَاتُ الرُّؤيَةِ، كما في تَفسِيرِه قولَه تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: أي لا تراه، وهذا مَخصُوصٌ؛ لِرُؤيَةِ المُؤمِنِينَ له في الآخِرَةِ؛ لِقَولِه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وحَدِيثِ الشَّيخَينِ: «إنكم ستَرَوْنَ ربَّكم...».

(١٠) أي: بِذِكرِ مَحاسِنِهِنَّ وأَوصَافِهِنَّ بِالقَصَائِدِ، وتَنَاشُدِها بينهم، وكَانَ يَفعَلُ ذلكَ كَعبُ بنُ الأَشرَفِ، لَعَنَه اللهُ.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ
أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

[١٨٧] ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: العَهدَ عليهم في التَّوراةِ ﴿[لَيُبَيِّنُنَّهُۥ]﴾ أي: الكِتابَ ﴿لِلنَّاسِ وَلَا [يَكْتُمُونَهُۥ]﴾ أي: الكِتابَ- بِالياءِ والتَّاءِ في الفِعلَينِ(١)- ﴿فَنَبَذُوهُ﴾: طَرَحُوا المِيثاقَ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلَم يَعمَلُوا به ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ﴾: أَخَذُوا بَدَلَه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنيا مِنْ سَفِلَتِهم، بِرِيَاسَتِهم في العِلْمِ؛ فكَتَمُوه خَوفَ فَوتِه عليهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾: شِرَاؤُهُم هذا!

[١٨٨] ﴿لَا [تَحْسَبَنَّ]﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ(٢)- ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾: فَعَلُوا مِنْ إِضلَالِ النَّاسِ ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالحَقِّ، وهُم على ضَلَالٍ ﴿فَلَا [تَحْسِبَنَّهُم]﴾ - في الوَجهَينِ(٣)؛ تَأكِيدٌ- ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بِمَكَانٍ يَنجُونَ فيه ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ في الآخِرَةِ؛ بَلْ هُم في مَكَانٍ يُعذَّبُونَ فيه؛ وهُو جَهَنَّم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ فيها[*]- ومَفعُولا «يَحسِب» الأُولى دَلَّ عليهما مَفعُولا الثَّانِيةِ على قِرَاءَةِ التَّحتَانِيَّةِ(٤)، وعَلى الفَوقَانِيَّةِ حُذِفَ الثَّاني فَقَط(٥)-.

[١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خَزَائِنِ المَطرِ والرِّزقِ والنَّبَاتِ وغَيرِها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تَعذِيبُ الكَافِرِينَ وإِنجَاءُ المُؤمِنِينَ.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومَا فيهما مِنَ العَجَائِبِ ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بِالمَجِيءِ والذَّهَابِ، والزِّيَادةِ والنُّقصَانِ ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرَتِه -تَعالَى- ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: لِذَوي العُقُولِ.

[١٩١] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نَعتٌ لِمَا قَبلَه، أو بَدَلٌ ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: مُضطَجِعِينَ؛ أي: في كُلِّ حالٍ. وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: «يُصَلُّونَ كذلكَ حَسَبَ الطَّاقَةِ»(٦) ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لِيَستَدِلُّوا به على قُدْرَةِ صَانِعِهما، يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخَلْقَ الذي نَراهُ ﴿بَٰطِلًا﴾: حالٌ: عَبَثًا؛ بَل دَلِيلًا على كَمالِ قُدرَتِكَ ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: تَنزِيهًا لكَ عَنِ العَبَثِ! ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ لِلخُلُودِ فيها ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: أَهَنتَهُ ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ- فيه وَضعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ المُضمَرِ(٧)؛ إِشعَارًا بِتَخصِيصِ الخِزيِ بهم- ﴿مِنْ﴾: زَائِدَةٌ(٨) ﴿أَنصَارٍ﴾ يَمنَعُونهم مِنْ عَذَابِ الله -تَعالَى-.

[١٩٣] ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى﴾: يَدعُو النَّاسَ ﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي: إِليه؛ وهو: مُحَمَّدٌ، أَوِ القُرآنُ ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ بِه ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾: غَطِّ ﴿عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فلا تُظهِرْها بِالعِقَابِ عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾: اقبِضْ أَروَاحَنا ﴿مَعَ﴾: في جُملَةِ ﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾: الأَنبِيَاءِ والصَّالِحِينَ.

[١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾: أَعطِنَا ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ أَلسِنَةِ ﴿رُسُلِكَ﴾ مِنَ الرَّحمَةِ والفَضلِ. وسُؤَالُهُمْ ذَلِكَ -وإِنْ كَانَ وَعْدُهُ -تَعالَى- لا يُخلَفُ- سُؤَالُ أَنْ يَجعَلَهم مِنْ مُستَحِقِّيه؛ لِأَنَّهم لَم يَتَيَقَّنُوا استِحقَاقَهم له. وتَكرِيرُ ﴿رَبَّنَآ﴾ مُبَالَغَةٌ في التَّضرُّعِ ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: الوَعْدَ بِالبَعْثِ والجَزَاءِ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٨٨): أخرجَ البُخَارِيُّ عَن أَبي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ «أَنَّ رِجَالًا مِنَ المُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا»، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾ الآيَة. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (١٦).

---

(١) قِرَاءَةُ اليَاءِ لابنِ كَثِيرٍ وأَبي عَمرٍو وشُعبَةَ، وقَرأَ البَاقُونَ بِالتَّاءِ في المَوضِعَينِ: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ و﴿تَكْتُمُونَهُۥ﴾.

(٢) قَرأَ نَافِعٌ و ابنُ كَثِيرٍ وأبو عمرٍو بِاليَاءِ مَعَ كَسرِ السِّينِ وفَتحِ البَاءِ: ﴿لَا يَحْسِبَنَّ﴾، وقَرأَ ابنُ عَامِرٍ وأَبو جَعفَرَ بِاليَاءِ مع فَتحِ السِّينِ والبَاءِ: ﴿لَا يَحْسَبَنَّ﴾، وقَرأَ عَاصِمٌ وحَمزَةُ بِتَاءِ الخِطَابِ مَعَ فَتحِ السِّينِ والبَاءِ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾، وقَرأَ الكِسَائِيُّ ويَعقُوبُ وخَلفٌ بِتَاءِ الخِطَابِ مَع كَسرِ السِّينِ وفَتحِ البَاءِ: ﴿لَا تَحْسِبَنَّ﴾.

(٣) أي على القِرَاءَتَينِ بِالتَّاءِ واليَاءِ، وكُلٌّ على أَصلِه في فَتحِ السِّينِ وكَسرِها؛ وقَرأَ نَافِعٌ والكِسَائِيُّ ويَعقُوبُ وخَلفٌ بِتَاءِ الخِطَابِ مَعَ كَسرِ السِّينِ وفَتحِ البَاءِ: ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّهُم﴾، وقَرأَ ابنُ كَثِيرٍ وأَبو عَمرٍو بِيَاءِ الغَيبِ مَع كَسرِ السِّينِ مَعَ ضَمِّ البَاءِ: ﴿فَلَا يَحْسِبُنَّهُم﴾، وقَرأَ عَاصِمٌ وحَمزَةُ وابنُ عَامِرٍ وأَبو جَعفَرَ بِتَاءِ الخطَابِ مَعَ فَتحِ السِّينِ والبَاءِ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾.

(٤) والتَّقدِيرُ: أَنفُسَهم نَاجِينَ.

(٥) وتَقدِيرُه: نَاجِينَ مِن عَذَابِ الله.

(٦) لم نَقِفْ عليه بِهذَا اللَّفظِ. وأخرجَ ابنُ أَبي حَاتِمٍ (٥٩١٠) عَنِ الضَّحَّاكِ قَولَهُ: ﴿وَقُعُودًا﴾، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «يُصَلِّي الرَّجُلُ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَقَاعِدًا».

(٧) حيثُ قَالَ: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ ولَم يَقُلْ: «وما لهم».

(٨) لِلتوكِيد.

فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ
مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ
ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ
رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨ وَإِنَّ مِنۡ
أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ
وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠

سُورَةُ النِّسَاءِ — ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

[١٩٥] ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ دُعاءَهم ﴿أَنِّي﴾ أي: بأنِّي ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم﴾ كائنٌ ﴿مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ أي: الذُّكورُ مِنَ الإناثِ وبالعَكسِ. والجُملةُ مؤكِّدةٌ لِمَا قَبلَها؛ أي: هُم سَواءٌ في المُجازاةِ بالأعمالِ، وتَرْكِ تَضييعِها. نَزَلَتْ لَمَّا قالَتْ أُمُّ سَلَمةَ: «يا رَسُولَ اللهِ، إنِّي لا أَسمَعُ ذِكْرَ النِّساءِ في الهِجرةِ بِشَيءٍ»[*]. ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ مِن مَكَّةَ إلى المَدينةِ ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾: ديني ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ الكُفَّارَ ﴿وَقُتِلُواْ﴾ - بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ(١). وفي قِراءةٍ: بتَقديمِه(٢) - ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: أَستُرُها بالمَغفِرةِ ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا﴾: مَصدرٌ مِن مَعنى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ مؤكِّدٌ له ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ فيه التِفاتٌ عَنِ التَّكلُّمِ(٣) ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾: الجَزاءِ.

[١٩٦] ونَزَلَ -لَمَّا قالَ المُسلِمونَ: أَعداءُ اللهِ فيما نَرى مِنَ الخَيرِ، ونَحنُ في الجَهْدِ-(٤): ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: تَصرُّفُهم ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ بالتِّجارةِ والكَسبِ.

[١٩٧] هو ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ يَتمتَّعونَ به يَسيرًا في الدُّنيا(٥) ويَفنَى ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: الفِراشُ هي!

[١٩٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي: مُقدَّرينَ الخُلودَ ﴿فِيهَا نُزُلٗا﴾ وهو ما يُعَدُّ لِلضَّيفِ. ونَصبُهُ على الحالِ مِنْ ﴿جَنَّٰتٞ﴾، والعامِلُ فيها مَعنى الظَّرفِ ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوابِ ﴿خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ مِن مَتاعِ الدُّنيا.

[١٩٩] ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ كَعبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ وأَصحابِه، والنَّجاشيِّ[**] ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ أي: القُرآنِ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: التَّوراةِ والإنجيلِ ﴿خَٰشِعِينَ﴾: حالٌ مِن ضَميرِ ﴿يُؤۡمِنُ﴾ مُراعًى فيه مَعنى «مَن»؛ أي: مُتواضِعينَ ﴿لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي عِندَهُم في التَّوراةِ والإنجيلِ مِن نَعتِ النَّبيِّ ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ مِنَ الدُّنيا بأن يَكتُموها؛ خَوفًا على الرِّياسةِ؛ كَفِعلِ غَيرِهم مِنَ اليَهودِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾: ثَوابُ أَعمالِهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ يُؤتَونَهُ مَرَّتينِ؛ كَما في «القَصصِ»(٦) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: يُحاسِبُ الخَلقَ في قَدْرِ نِصفِ نَهارٍ مِن أَيَّامِ الدُّنيا(٧).

[٢٠٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ على الطَّاعاتِ والمَصائبِ، وعَنِ المَعاصي ﴿وَصَابِرُواْ﴾ الكُفَّارَ؛ فلا يَكونوا أَشدَّ صَبرًا مِنكُم ﴿وَرَابِطُواْ﴾: أَقيموا على الجِهادِ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جَميعِ أَحوالِكُم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: تَفوزونَ بالجنَّةِ وتَنجونَ مِنَ النَّارِ.

---

[*] ما جاءَ في نُزولِ الآيةِ (١٩٥): أَخرجَ التِّرمذيُّ عن أُمِّ سَلَمةَ قالَتْ: «يا رَسُولَ اللهِ لا أَسمَعُ اللهَ ذَكَرَ النِّساءَ في الهِجرةِ»؟! فأَنزَلَ اللهُ تَعالى: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ أَخرجَه التِّرمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النِّساءِ (صحيحٌ بِما قَبلَه) صَحيحُ سُنَنِ التِّرمذيِّ (٢٤٢٠).

[**] ما جاءَ في نُزولِ الآيةِ (١٩٩): أَخرجَ النَّسائيُّ في تفسيره (١/ ٣٥٦) عن أنسٍ قالَ: لَمَّا جاءَ نَعيُ النَّجاشيِّ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَلُّوا عَلَيهِ»، قالوا يا رَسُولَ اللهِ، نُصلِّي على عَبدٍ حَبَشيٍّ؟ فأَنزلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾، قالَ الهيثميُّ في مَجمَعِ الزَّوائدِ (٣/ ٣٨): «رواه البزَّارُ والطبرانيُّ في الأوسطِ، ورجالُ الطبرانيِّ ثِقاتٌ». اهـ. وذكَرَه الواحديُّ في أسبابِ النُّزولِ. وصَحَّحَ الألبانيُّ إسنادَه في الصَّحيحةِ (٣٠٤٤).

---

(١) بالتَّشديدِ: قِراءةُ ابنِ كَثيرٍ وابنِ عامرٍ.

(٢) أي: بتَقديمِ المَبنيِّ لِلمَفعولِ، لَكِن بالتَّخفيفِ، وتَكونُ الواوُ على هذهِ القِراءةِ بِمَعنى: مَعَ؛ أي: مَعَ كَونِهم قاتَلوا فلم يَفِرُّوا، بَل قُتِلوا في حالِ مُقاتَلَتِهمُ الأعداءَ، وهي قِراءةُ حَمزةَ والكِسائيِّ.

(٣) أي: وكانَ مُقتَضى الظَّاهِرِ أن يَقولَ: «ثَوابًا مِن عِندي»، وإنَّما أَظهَرَ مَحَلَّ الإضمارِ تَشريفًا لهم.

(٤) ذَكَرَه الواحديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص١٤٣)؛ قالَ: «نَزَلَتْ في مُشرِكي مَكَّةَ، وذلِكَ أنَّهم كانوا في رَخاءٍ ولِينٍ مِنَ العَيشِ، وكانوا يَتَّجِرونَ ويَتَنَعَّمونَ، فقالَ بَعضُ المُؤمِنينَ: إنَّ أَعداءَ اللهِ فيما نَرى مِنَ الخَيرِ، وقد هَلَكْنا مِنَ الجُوعِ والجَهْدِ. فنَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ». وعَزاهُ ابنُ حَجَرٍ في العُجابِ في بَيانِ الأسبابِ (٢/ ٨١٨) لِلثَّعلبيِّ.

(٥) في نُسخةِ قَباوةَ: (في الدُّنيا يَسيرًا)؛ بتَقديمِ عِبارةِ: (في الدُّنيا).

(٦) الآياتُ مِن ٥٠ حتى ٥٥ مِن سُورةِ القَصصِ.

(٧) سَبَقَ بَيانُ أنَّ هذا سَهوٌ مِنَ الجَلالِ السُّيوطيِّ رَحِمَهُ اللهُ في تفسيرِ آيةِ البَقَرةِ رقم (٢٠٢) -والصَّحيحُ أنَّ اللهَ يُحاسِبُ الخَلقَ في قَدرِ نِصفِ نَهارٍ مِقدارُه خَمسونَ ألفَ سَنةٍ؛ كَما في صَحيحِ ابنِ حِبَّانَ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «يَقومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمينَ مِقدارَ نِصفِ يَومٍ مِن خَمسينَ ألفَ سَنةٍ، يَهونُ ذلِكَ على المُؤمِنِ، كتَدَلِّي الشَّمسِ لِلغُروبِ إلى أن تَغرُبَ»، وفي الصَّحيحَينِ مِن حَديثِ أبي هُرَيرةَ في عِقابِ مانِعي الزَّكاةِ في المَحشَرِ - قولُه ﷺ: «في يَومٍ كانَ مِقدارُهُ خَمسينَ ألفَ سَنةٍ، حتَّى يُقضَى بَينَ العِبادِ...» البُخاريُّ (١٣١٤)، ومُسلِمٌ (١٦٤٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ
بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ
وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟
فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟
ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ
قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟
ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟
إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

مَدَنِيَّةٌ، وآيَاتُها(١) مِائَةٌ وخَمسٌ أو سِتٌّ أو سَبْعٌ وسَبْعُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ أي: عِقَابَه بِأَنْ تُطِيعُوه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: آدَمَ ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حَوَّاءَ -بِالمَدِّ- مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضلَاعِه اليُسرَى(٢) ﴿وَبَثَّ﴾: فَرَّقَ ونَشَرَ ﴿مِنْهُمَا﴾: مِنْ آدَمَ وحَوَّاءَ ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ كَثِيرَةً ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى [تَّسَآءَلُونَ]﴾ - فيه إِدغَامُ التَّاءِ في الأَصْلِ في السِّينِ(٣)، وفي قِرَاءَةٍ بِالتَّخفِيفِ بِحَذفِها- أي: تَتَسَاءَلُونَ ﴿بِهِۦ﴾ فِيما بينكم، حَيثُ يَقُولُ بَعضُكُم لِبَعضٍ: أَسأَلُكَ بِاللهِ، وأَنشُدُكَ بِالله ﴿وَ﴾ اتَّقُوا ﴿ٱلْأَرْحَامَ﴾ أَنْ تَقطَعُوها. وفي قِرَاءَةٍ(٤) بِالجَرِّ؛ عَطفًا عَلى الضَّمِيرِ في ﴿بِهِۦ﴾. وكَانُوا يَتَنَاشَدُونَ بِالرَّحِمِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: حَافِظًا لِأَعمَالِكُم؛ فيُجَازِيكُم بها؛ أي: لَم يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذلِكَ.

[٢] ونَزَلَ في يَتِيمٍ طَلَبَ مِنْ وَلِيِّه مَالَه فمَنَعَه(٥): ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾: الصِّغَارَ الأُلَى(٦) لا أَبَ لَهم ﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ إِذَا بَلَغُوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾: الحَرَامَ ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾: الحَلَالِ؛ أي: تَأخُذُوه بَدَلَه، كَما تَفعَلُونَ، مِنْ أَخذِ الجَيِّدِ مِنْ مَالِ اليَتِيمِ، وجَعْلِ الرَّدِيءِ مِنْ مَالِكُم مَكَانَه ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ مَضمُومَةً ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ﴾ أي: أَكلَهَا ﴿كَانَ حُوبًا﴾: ذَنبًا ﴿كَبِيرًا﴾: عَظِيمًا.

[٣] ولَمَّا نَزَلَتْ تَحَرَّجُوا مِنْ وِلَايَةِ اليَتَامَى، وكانَ فيهم مَنْ تَحتَه العَشرُ أَوِ الثَّمانُ(٧) مِنَ الأَزوَاجِ؛ فلا يَعدِلُ بَينَهُنَّ؛ فنَزَلَ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾: تَعدِلُوا ﴿فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ فتَحَرَّجتُم مِنْ أَمرِهم فخَافُوا -أَيضًا- أَنْ لَا تَعدِلُوا بَينَ النِّسَاءِ(٨) إذا نَكَحتُمُوهُنَّ ﴿فَٱنكِحُوا۟﴾: تَزَوَّجُوا ﴿مَا﴾ بِمعنَى: مَنْ ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ أي اثنَتَينِ اثنَتَينِ، وثَلَاثًا ثَلَاثًا، وأَربَعًا أَربَعًا، ولا تَزِيدُوا على ذَلكَ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ فِيهِنَّ بِالنَّفَقَةِ والقَسْمِ ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ انكِحُوها ﴿أَوْ﴾ اقتَصِرُوا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ مِنَ الإِمَاءِ؛ إِذْ لَيسَ لَهُنَّ مِنَ الحُقُوقِ مَا لِلزَّوجَاتِ(٩) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نِكَاحُ الأَربَعَةِ فَقَط، أَوِ الوَاحِدَةِ، أَوِ التَّسَرِّي ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أَقرَبُ إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾: تَجُورُوا[*].

[٤] ﴿وَءَاتُوا۟﴾: أَعطُوا ﴿ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾: جَمعُ صَدُقَة: مُهورَهُنَّ ﴿نِحْلَةً﴾: مَصدَرٌ(١٠): عَطِيَّةً، عَنْ طِيبِ نَفسٍ ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾: تَمييزٌ مُحَوَّلٌ عَنِ الفَاعِلِ؛ أي: طَابَتْ أَنفُسهنَّ لَكم عَنْ شَيءٍ مِنَ الصَّدَاقِ فوَهَبنَه لَكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾: طَيِّبًا ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾: مَحمُودَ العَاقِبَةِ، لَا ضَرَرَ فيه عَليكم في الآخِرَةِ. نَزَلَ رَدًّا على مَنْ كَرِهَ ذلكَ.

[٥] ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟﴾ - أَيُّها الأَولِيَاءُ- ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾: المُبَذِّرِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والصِّبيَانِ ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي: أَموَالَهم التي في أَيدِيكُم ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾: مَصدَرُ: «قَامَ»؛ أي: تَقُومُ بِمَعَاشِكُم وصَلَاحِ أَودِكم؛ فيُضَيِّعُوها في غَيرِ وَجهِهَا. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿قِيَمًا﴾(١١) جَمعُ: «قِيمَة»: مَا تُقَوَّمُ(١٢) به الأَمتِعَةُ ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أَطعِمُوهُم منها ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: عِدُوهُم عِدَةً جَمِيلَةً؛ بِإِعطَائِهِم أَموالَهم، إِذَا رَشَدُوا.

[٦] ﴿وَٱبْتَلُوا۟﴾: اختَبِرُوا ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قَبلَ البُلُوغِ: في دِينِهم، وتَصَرُّفِهم في أَحوَالِهم(١٣) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي: صَارُوا أَهلًا له؛ بِالاحتِلَامِ، أو السِّنِّ؛ وهو: استِكمَالُ خَمسَ عَشْرَةَ سَنَةً عِندَ الشَّافِعِيِّ(١٤) ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾: أَبصَرتُم(١٥) ﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾: صَلَاحًا في دِينِهم ومَالِهم ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أَيُّها الأَولِيَاءُ ﴿إِسْرَافًا﴾: بِغَيرِ حَقٍّ، حَالٌ ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مُبَادِرِينَ إلى إِنفَاقِها مَخَافَةَ ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾ رُشَدَاءَ؛ فيَلزَمَكم تَسلِيمُها إِلَيهم ﴿وَمَن كَانَ﴾ مِنَ الأَولِيَاءِ ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي: يَعِفَّ عَن مَالِ اليَتِيمِ، ويَمتَنِعْ مِنْ أَكلِه ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بِقَدْرِ أُجرَةِ عَمَلِه ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى اليَتَامَى ﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ أَنَّهم تَسَلَّمُوها، وبَرِئتُم؛ لِئَلَّا يَقَعَ اختِلَافٌ؛ فتَرجِعُوا إلى البَيِّنَةِ. وهذا أَمرُ إِرشَادٍ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ - البَاءُ: زَائِدَةٌ- ﴿حَسِيبًا﴾: حَافِظًا لِأَعمَالِ خَلقِه، ومُحَاسِبَهم!

---

[*] **مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٣):** أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ يَتِيمَةٌ فَنَكَحَهَا، وَكَانَ لَهَا عَذْقٌ، وَكَانَ يُمْسِكُهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١).

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وهي). (٢) يُنظَرُ ما تَقَدَّمَ مِن تَعلِيقٍ عَلى الآيَةِ (٣٥) مِن سُورَةِ البَقَرَةِ. (٣) فأَصلُه: تَتَسَاءَلُونَ؛ قُلِبَتِ التَّاءُ سِينًا ثُمَّ أُدغِمَت في السِّينِ؛ لِقُربِ مَخرَجِيهِمَا. وهي قِرَاءَةُ نَافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَسَآءَلُونَ﴾، مُخَفَّفًا. (٤) وهي قِرَاءَةُ حَمزَةَ. (٥) أَخرَجَه ابنُ أَبي حَاتِمٍ (٤٧٢٨) عَن سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ، وسَنَدُه ضَعِيفٌ كما في الاستِيعَابِ (١/ ٣٥٨). (٦) أي: الَّذِينَ. (٧) قَولُه: «الثَّمانُ»: هذه لُغَةٌ لِبَعضِ العَرَبِ، يَحذِفُونَ اليَاءَ ويَجعَلُونَ النُّونَ حَرفَ إِعرَابٍ. المُفَصَّل ص٢٥٩. (٨) أي: اليَتَامى. (٩) أي: فلا يَجِبُ العَدلُ بَينَهنَّ لا في القَسْمِ ولا في النَّفَقَةِ ولا في الكِسوَةِ. (١٠) مُؤَكِّدٌ مِنْ مَعنَى قَولِه: ﴿ءَاتُوا﴾. (١١) لِنَافِعٍ وابنِ عَامِرٍ. (١٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (يُقَوَّمُ). (١٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أموالهم).

(١٤) وكَذلِكَ هو عِندَ الحَنَابِلَةِ، وأَمَّا أَبو حَنِيفَةَ فقَالَ: بِبُلُوغِ الذَّكَرِ ثَمانِي عَشرَةَ سَنَةً، والجَارِيَةِ سَبعَ عَشرَةَ سَنَةً. وقَالَ مَالِكٌ: بِبُلوغِهما ثَمانِيَ عَشرَةَ سَنَةً. والأَرجَحُ الأَوَّلُ وهو قَولُ الجُمهُورِ.

(١٥) الأَفضَلُ أن يَقُولَ: عَلِمتُم؛ لِمُنَاسَبَتِه لِلرُّشدِ.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ
وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ
أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن
كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ
أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

[٧] ونَزَلَ رَدًّا لِمَا كانَ عليه الجاهِلِيَّةُ، مِنْ عَدَمِ تَورِيثِ النِّسَاءِ والصِّغَارِ[١]: ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ الأَولَادِ والأَقرِبَاءِ ﴿نَصِيبٌ﴾: حَظٌّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ المُتَوَفَّونَ ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي: المَالِ ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جَعَلَه اللهُ ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: مَقْطُوعًا بِتَسلِيمِه إليهم.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ لِلمِيرَاثِ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾: ذَوُو القَرَابَةِ مِمَّنْ لا يَرِثُ ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شَيئًا قَبْلَ القِسْمَةِ ﴿وَقُولُوا۟﴾ - أَيُّها الأَولِيَاءُ- ﴿لَهُمْ﴾ إذا كَانَ الوَرَثَةُ صِغَارًا ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: جَمِيلًا؛ بِأَنْ تَعتَذِرُوا إِليهم أَنَّكُم لا تَمْلِكُونَه وأَنَّه لِلصِّغَارِ[٢]. وهذا قِيلَ: إِنَّه مَنسُوخٌ، وقِيلَ: لا، ولَكِنْ تَهَاوَنَ النَّاسُ في تَرْكِه؛ وعَليه فهو نَدْبٌ، وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: وَاجِبٌ[٣].

[٩] ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي: لِيَخَفْ على اليَتَامَى ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾ أي: قَارَبُوا أَنْ يَتْرُكُوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: بَعدَ مَوتِهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾: أَولَادًا صِغَارًا ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الضَّيَاعَ ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أَمرِ اليَتَامَى، ولْيَأْتُوا إِليهم مَا يُحِبُّونَ أَنْ يُفْعَلَ بِذُرِّيَّتِهم مِنْ بَعدِهِم ﴿وَلْيَقُولُوا۟﴾ لِلمَيِّتِ[٤] ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صَوَابًا؛ بِأَنْ يَأْمُرُوه أَنْ يَتَصَدَّقَ بِدُونِ ثُلُثِه، ويَدَعَ البَاقِيَ لِوَرَثَتِه، ولَا يَتْرُكَهم عَالَةً.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾: بِغَيرِ حَقٍّ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ أي: مِلْأَهَا ﴿نَارًا﴾ لِأَنَّه يَئُولُ إِليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ - بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ والمَفعُولِ[٥]-: يَدخُلُونَ ﴿سَعِيرًا﴾: نَارًا شَدِيدَةً يَحتَرِقُونَ فيها.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يَأْمُرُكم ﴿ٱللَّهُ فِىٓ﴾ شَأْنِ ﴿أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ بِما يُذْكَرُ ﴿لِلذَّكَرِ﴾ مِنهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾: نَصِيبِ ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إِذا اجتَمَعَتَا مَعه فلَه نِصْفُ المَالِ ولَهُما النِّصفُ. فإِنْ كانَ مَعه وَاحِدَةٌ فلَها الثُّلُثُ ولَه الثُّلُثَانِ، وإِنِ انفَرَدَ حَازَ المَالَ ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي: الأَولَادُ ﴿نِسَآءً﴾ فَقَطْ ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المَيِّتُ، وكذَا الاثنَتَانِ؛ لِأَنَّه لِلأُختَينِ بِقَولِه: ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فهما أَوْلَى؛ ولِأَنَّ البِنتَ تَستَحِقُّ الثُّلُثَ مَعَ الذَّكَرِ؛ فمَعَ الأُنثَى أَوْلَى- ﴿وَفَوْقَ﴾ قِيلَ: صِلَةٌ، وقِيلَ: لِدَفعِ تَوَهُّمِ زِيَادَةِ النَّصِيبِ بِزِيَادَةِ العَدَدِ؛ لَمَّا فُهِمَ استِحقَاقُ البِنتَينِ[٦] الثُّلُثَينِ مِنْ جَعْلِ الثُّلُثِ لِلوَاحِدَةِ مَعَ الذَّكَرِ- ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المَولُودَةُ ﴿وَٰحِدَةً﴾ -وفي قِرَاءَةٍ: بِالرَّفعِ[٧]؛ فـ«كَانَ»: تَامَّةٌ- ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي: المَيِّتِ، ويُبدَلُ مِنهما: ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذَكَرٌ أو أُنثَى. ونُكتَةُ البَدَلِ: إِفَادَةُ[٨] أَنَّهما لا يَشتَرِكَانِ فيه. وأُلحِقَ بِالوَلَدِ وَلَدُ الابنِ، وبِالأَبِ الجَدُّ. ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فَقَطْ أو مَعَ زَوجٍ ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ - بِضَمِّ الهَمزَةِ وكَسْرِها[٩]؛ فِرَارًا[١٠] مِنَ الانتِقَالِ مِنْ ضَمَّةٍ إلى كَسرَةٍ؛ لِثِقَلِه في المَوضِعَينِ[١١]- ﴿ٱلثُّلُثُ﴾ أي: ثُلُثُ المَالِ، أو مَا يَبقَى بَعدَ الزَّوجِ، والبَاقِي لِلأَبِ ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنَانِ فَصَاعِدًا -[ذُكُورٌ أو إِنَاثٌ][١٢]- ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والبَاقِي لِلأَبِ، ولَا شَيْءَ لِلإِخوَةِ، وإِرْثُ مَنْ ذَكَرَ مَا ذُكِرَ ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ تَنفِيذِ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِى﴾ - بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ والمَفعُولِ[١٣]- ﴿بِهَآ أَوْ﴾ قَضَاءِ ﴿دَيْنٍ﴾ عليه[*].

وتَقْدِيمُ الوَصِيَّةِ على الدَّينِ، وإِن كَانَت مُؤَخَّرَةً عنه في الوَفَاءِ لِلاهتِمَامِ بها ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾: مُبتَدَأٌ خَبَرُهُ: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدُّنيَا والآخِرَةِ؟ فَظَانٌّ أَنَّ ابنَه أَنفَعُ لَه؛ فيُعطِيه المِيرَاثَ؛ فيَكُونُ الأَبُ أَنفَعَ، وبِالعَكسِ. وإِنَّما العَالِمُ بِذلكَ هو اللهُ؛ فَفَرَضَ لَكُمُ المِيرَاثَ ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَهُ لَهم؛ أي: لَم يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذلكَ.

---

[*] ما جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١١): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ: «عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلِمَةَ مَاشِيَيْنِ، فَوَجَدَنِي النَّبِيُّ ﷺ لَا أَعْقِلُ شَيْئًا، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ»، فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٤).

وأَخرَجَ أبو داوُدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى جِئْنَا امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْأَسْوَاقِ، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ بِابْنَتَيْنِ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَاتَانِ بِنْتَا ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ قُتِلَ مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَدِ اسْتَفَاءَ عَمُّهُمَا مَالَهُمَا وَمِيرَاثَهُمَا كُلَّهُ، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا إِلَّا أَخَذَهُ، فَمَا تَرَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَوَاللهِ لَا تُنْكَحَانِ أَبَدًا إِلَّا وَلَهُمَا مَالٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقْضِي اللهُ فِي ذَلِكَ»، قَالَ: وَنَزَلَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ الآيَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ادْعُوا لِي الْمَرْأَةَ وَصَاحِبَهَا» فَقَالَ لِعَمِّهِمَا: «أَعْطِهِمَا الثُّلُثَيْنِ وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَلَكَ»، أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (٤) ما جاء في ميراثِ الصُّلبِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «أَخْطَأَ بِشْرٌ فِيهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ».
ثُمَّ سَاقَ رِوَايَةً أُخرَى على الصَّوَابِ.

---

(١) أخرَجَه ابنُ أبي حاتِمٍ (٤٨٤٣) عَنْ مُجاهِدٍ، وأخرَجَ نحوَه الطبريُّ في جامعِ البيانِ (٤/ ١٧٦) عَنْ قَتادَةَ، وهو مُرسَلٌ صَحِيحُ الإِسنادِ كما في الاستيعابِ (١/ ٣٦٧). (٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لِصِغَارٍ)، نكرَة.

(٣) رَوَى البُخَارِيُّ (٤٥٧٦) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «هِيَ مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ». أَمَّا نَقلُ الوُجُوبِ عنه فلم نَقِفْ عليه، بَلْ أخرَجَ عبدُ الرزَّاقِ في تفسيرِه (٥٢٧) عنه ما يُفِيدُ خِلافَه؛ حيثُ رَوَى أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَسَمَ مِيرَاثَ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَائِشَةُ حَيَّةٌ، قَالَ: «فَلَمْ يَدَعْ فِي الدَّارِ مِسْكِينًا، وَلَا ذَا قَرَابَةٍ إِلَّا أَعْطَاهُ مِنْ مِيرَاثِ أَبِيهِ». قَالَ القَاسِمُ بن محمَّد -أَحَدُ رُوَاتِه-: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: «مَا أَصَابَ، لَيْسَ ذَلِكَ لَهُ، إِنَّمَا ذَلِكَ لِلْوَصِيَّةِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْوَصِيَّةِ، يُرِيدُ الْمَيِّتَ أَنْ يُوصِيَ لَهُمْ». (٤) أي: لِمَنْ حَضَرَته الوَفَاةُ.

(٥) بِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ: لابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ. (٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (البِنتَينِ). (٧) لِنَافِعٍ. (٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أَفَادَت). (٩) بِالكَسرِ: لِحَمزَةَ والكِسَائِيِّ. (١٠) رَاجِعٌ إلى قِرَاءَةِ الكَسرِ.

(١١) أي: في قَولِه: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾، وقَولِه: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾. (١٢) في الأَصلِ: (ذُكُورًا أو إِنَاثًا)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة. (١٣) بِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ: لابنِ كَثِيرٍ وابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ.

[١٢] ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾ منكم أو مِنْ غيرِكم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ - وأُلحِقَ بالوَلَدِ في ذلك وَلَدُ الابنِ بالإجماعِ- ﴿وَلَهُنَّ ﴾ أي: الزَّوجاتِ: تَعَدَّدْنَ أو لَا ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ﴾ مِنهُنَّ أو مِنْ غيرِهِنَّ ﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ ووَلَدُ الابنِ في ذلكَ كالوَلَدِ إجماعًا ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ ﴾: صِفَةٌ، والخبرُ[١]: ﴿كَلَٰلَةً ﴾ أي: لَا وَالِدَ له ولَا وَلَدَ ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ ﴾ تُورَثُ كَلَالَةً ﴿وَلَهُۥ ﴾ أي: لِلمُورِثِ كَلالَةً[٢] ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ أي: مِنْ أُمٍّ- وقَرَأ به ابنُ مَسعُودٍ وغَيرُه[٣]- ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ مِمَّا تَرَكَ ﴿فَإِن كَانُوٓا۟ ﴾ أي: الإخوَةُ والأَخَواتُ مِنَ الأُمِّ ﴿أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ أي: مِنْ وَاحِدٍ ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ﴾: يَستَوِي فيه ذَكَرُهُمْ وأُنثاهُمْ ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾: حالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿يُوصَىٰ ﴾؛ أي: غَيرَ مُدْخِلِ الضَّرَرَ على الوَرَثَةِ بِأَنْ يُوصِيَ بِأكثَرَ مِنَ الثُّلُثِ ﴿وَصِيَّةً ﴾: مَصدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِـ﴿يُوصِيكُمْ ﴾ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بِمَا دَبَّرَهُ لِخَلْقِه مِنَ الفَرائِضِ ﴿حَلِيمٌ ﴾ بتَأخِيرِ العُقُوبَةِ عَمَّنْ خالَفَه، وخَصَّتِ السُّنَّةُ تورِيثَ مَنْ ذُكِرَ بِمَنْ لَيسَ فيه مَانِعٌ مِنْ قَتلٍ[٤]، أوِ اختِلَافِ دِينٍ[٥]، أو رِقٍّ[٦].

[١٣] ﴿ تِلْكَ ﴾ الأَحكَامُ المَذكُورَةُ - مِنْ أَمْرِ اليَتَامَى ومَا بَعدَه- ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾: شَرَائِعُه الَّتِي حَدَّها لِعِبادِهِ؛ لِيَعمَلُوا بها، ولَا يَتَعَدَّوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فِيما حَكَمَ به ﴿يُدْخِلْهُ ﴾ - بِاليَاءِ، والنُّونِ[٧]: التِفاتًا[٨]- ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

[١٤] ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ ﴾ - بِالوَجْهَينِ[٩]- ﴿نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾: ذُو إِهَانَةٍ. رُوعِي[١٠] في الضَّمائِرِ في الآيَتَينِ لَفظُ «مَنْ»[١١] وفي ﴿خَٰلِدِينَ ﴾ مَعنَاهَا.

ربع الحزب ٨

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ
وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ
مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ
﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ
يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

---

(١) أي: خَبَرُ ﴿كَانَ ﴾، وهذا على أنَّها نَاقِصَةٌ، وأمَّا باعتِبارِها تَامَّةً؛ فتكُون ﴿كَلَٰلَةً ﴾ حالًا.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (المَورُوثِ الكَلَالَةِ).

(٣) وهي قِرَاءَةٌ شَاذَّةٌ. قَالَ الحَافِظُ في التَّلخِيصِ الحَبيرِ (٣/ ١٨٨): «حَدِيثُ ابنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ قَرَأَ: «وَإِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ». البَيْهَقِيُّ مِنْ رِوَايَةِ سَعْدٍ؛ قَالَ الرَّاوِي: أَظُنُّهُ ابْنَ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا كَذَلِكَ، وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ المُنْذِرِ عَنْ سَعْدٍ، وَحَكَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ عَنْهُ وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَلَمْ أَرَهُ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ».

(٤) الحَدِيثُ: «لَيْسَ لِلْقَاتِلِ مِنَ المِيرَاثِ شَيْءٌ»، أخرجَه البيهقيُّ في سُنَنِه (١٢٣٧٠)، والنَّسَائِيُّ في الكُبرى (٦٣٣٣)، عَنِ ابنِ عُمَرَ، مَرفُوعًا، وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ الجَامِعِ (٥٤٢٢).

(٥) الحَدِيثُ: «لَا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ وَلَا الكَافِرُ المُسْلِمَ»، أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤) عَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ، مَرفُوعًا.

(٦) لم أَقِفْ عَلَى مَا يَشهَدُ لِهَذا القَولِ مِنَ السُّنَّةِ المَرفُوعَةِ، لَكِن ذَكَرَ ابنُ قُدَامَةَ في المُغنِي (٦/ ٣٤٦): «(وَالعَبْدُ لَا يَرِثُ، وَلَا مَالَ لَهُ، فَيُورَثُ عَنْهُ) لَا نَعْلَمُ خِلَافًا فِي أَنَّ العَبْدَ لَا يَرِثُ، إِلَّا مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فِي رَجُلٍ مَاتَ وَتَرَكَ أَبًا مَمْلُوكًا، يُشْتَرَى مِنْ مَالِهِ، ثُمَّ يُعْتَقُ، فَيَرِثُ. وَقَالَهُ الحَسَنُ، وَحُكِيَ عَنْ طَاوُسٍ، أَنَّ العَبْدَ يَرِثُ، وَيَكُونُ مَا وَرِثَهُ لِسَيِّدِهِ، كَكَسْبِهِ».

(٧) بِالنُّونِ: لِنَافِعٍ وابنِ عَامِرٍ.

(٨) رَاجِعٌ لِلنُّونِ؛ وهو التِفَاتٌ مِنَ الغَيبَةِ لِلتَّكَلُّمِ.

(٩) أي: بِاليَاءِ والنُّونِ، وبِالنُّونِ لِنَافِعٍ وابنِ عَامِرٍ.

(١٠) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ورُوعِي)؛ بِزِيَادَةِ الوَاوِ.

(١١) أي: فأفرد في قوله: ﴿يُدْخِلْهُ ﴾ في المَوضِعَينِ، وفي قوله: ﴿وَلَهُۥ ﴾ أي: فجُمِعَ؛ مُرَاعَاةً لِمَعنَى ﴿مَن ﴾.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ
أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ
حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾
وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا
فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾
إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

[١٥] ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾: الزِّنَا ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡ﴾ أي: مِنْ رِجَالِكم[1] المُسلِمِينَ ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهِنَّ بها ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾: احبِسُوهُنَّ ﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ وامنَعُوهُنَّ مِنْ مُخالَطَةِ النَّاسِ ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: مَلائِكَتُه ﴿أَوۡ﴾ إلى أنْ ﴿يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾: طَرِيقًا إلى الخُرُوجِ منها. أُمِرُوا بِذلِكَ أوَّلَ الإِسلامِ ثُمَّ جَعَلَ لَهنَّ سَبِيلًا؛ بِجَلْدِ البِكْرِ مِائَةً وتَغرِيبِها عامًا؛ ورَجْمِ المُحْصَنَةِ. وفي الحَدِيثِ -لَمَّا بَيَّنَ الحَدَّ- قَالَ: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا». رَوَاهُ مُسلِمٌ[2].

[١٦] ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ - بِتَخفِيفِ النُّونِ وتَشدِيدِها[3] - ﴿يَأۡتِيَٰنِهَا﴾ أي: الفَاحِشَةَ: الزِّنَا أوِ اللِّوَاطَ[4] ﴿مِنكُمۡ﴾ أي: الرِّجَالِ ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ بِالسَّبِّ والضَّرْبِ بِالنِّعَالِ ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصۡلَحَا﴾ العَمَلَ ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ ولَا تُؤذُوهُما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا﴾ عَلى مَنْ تَابَ ﴿رَّحِيمًا﴾ به. وهذا مَنسُوخٌ بِالحَدِّ إِنْ أُرِيدَ بها الزِّنَا. وكَذَا إِنْ أُرِيدَ بها اللِّوَاطُ عِندَ الشَّافِعِيِّ. لَكِنَّ المفعُولَ به لا يُرجَمُ عنده -وإِن كَانَ مُحْصَنًا- بَلْ يُجلَدُ ويُغرَّبُ. وإِرَادَةُ اللِّوَاطِ أَظهَرُ؛ بِدَلِيلِ تَثنِيَةِ الضَّمِيرِ[5]. والأوَّلُ قَالَ: أَرَادَ الزَّانِي والزَّانِيَةَ. ويَردُّه تَبيِينُهما بِـ«مِنْ» المتَّصِلَةِ بِضَمِيرِ الرِّجَالِ[6]، واشتِرَاكُهُما في الأَذَى والتَّوبَةِ والإِعرَاضِ. وهو مَخصُوصٌ بِالرِّجَالِ لِمَا تَقَدَّمَ في النِّسَاءِ مِنَ الحَبْسِ.

[١٧] ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: التي كَتَبَ عَلى نَفسِه قَبُولَها بِفَضلِه ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾: المَعصِيَةَ ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾: حَالٌ؛ أي: جَاهِلِينَ [إِذْ][7] عَصَوا رَبَّهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زَمَنٍ ﴿قَرِيبٖ﴾ قَبلَ أَنْ يُغَرْغِرُوا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾: يَقبَلُ توبتَهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صُنْعِه بهم.

[١٨] ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الذُّنُوبَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ وأَخَذَ في النَّزْعِ ﴿قَالَ﴾ عندَ مُشَاهَدَةِ مَا هو فيه: ﴿إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ فلا يَنفَعُه ذلك، ولا يُقبَلُ منه ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ إِذا تَابُوا في الآخِرَةِ عِندَ مُعَايَنَةِ العَذَابِ؛ لا تُقبَلُ منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا﴾: أَعْدَدْنَا ﴿لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾: مُؤلِمًا.

[١٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: ذَاتَهنَّ ﴿كَرۡهٗاۖ﴾ - بِالفَتحِ والضَّمِّ، لُغَتَانِ[8] - أي: مُكْرِهِيهُنَّ عَلى ذلك -كَانُوا في الجَاهِلِيَّةِ[9] يَرِثُونَ نِسَاءَ أَقرِبَائِهم، فإِنْ شَاءُوا تَزَوَّجُوها بِلَا صَدَاقٍ، أو زَوَّجُوها وأَخَذُوا صَدَاقَها، أو عَضَلُوها؛ حتَّى تَفتَدِيَ بِها وَرِثَته، أو تَمُوتَ فَيَرِثُوها؛ فَنُهُوا عَن ذَلكَ[10] - ﴿وَلَا﴾ أَنْ ﴿تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ أي: تَمنَعُوا أَزوَاجَكم عَنْ نِكَاحِ غَيرِكُم؛ بِإمسَاكِهِنَّ ولَا رَغبَةَ لَكم فِيهِنَّ: ضِرَارًا ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ مِنَ المَهْرِ ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ [مُّبَيَّنَةٖۚ]﴾ - بِفَتحِ اليَاءِ وكَسْرِها[11] - أي: بُيِّنَتْ[12]، أو هِيَ بَيِّنَةٌ؛ أي: زِنًا أو نُشُوزٌ[13]؛ فلَكم أَنْ تُضَارُّوهُنَّ؛ حتَّى يَفتَدِينَ منكُم ويَختَلِعْنَ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ أي: بِالإِجمَالِ في القَولِ والنَّفَقَةِ والمَبِيتِ ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ فَاصْبِرُوا ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ولَعَلَّه يَجعَلُ فِيهِنَّ ذلك؛ بِأَنْ يَرزُقَكم مِنهُنَّ وَلَدًا صَالِحًا.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (رِجَالِ).

(٢) مسلمٌ (١٦٩٠). وتَمَامُه: «الثَّيِّبُ تُرْجَمُ، وَالْبِكْرُ تُجْلَدُ».

(٣) بِالتَّشدِيدِ مَعَ المَدِّ اللازِمِ لابنِ كثيرٍ.

(٤) قَولَانِ لِلمُفسِّرِينَ، ورَجَّحَ المُصنِّفُ الثانيَ بِقَولِه: «إِرَادَةُ اللوَاطِ أَظهَرُ... إلخ».

(٥) أي: في قولِه: ﴿وَٱلَّذَانِ﴾، وقَد يُقَالُ: إِنَّه فيه تَغلِيبُ الذَّكَرِ عَلى الأُنثَى.

(٦) وهو قولُه: ﴿مِنكُمۡ﴾.

(٧) في الأَصلِ: (إِذَا). والمُثبَتُ من نُسخَةِ قَبَاوَة، وحَاشِيَةِ الجَمَلِ.

(٨) وهُما قِرَاءَتَانِ، والضَّمُّ قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ.

(٩) أي: وفي صَدرِ الإِسلَامِ.

(١٠) رَوَى البُخَارِيُّ في صَحِيحِه (٤٥٧٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قال: «كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا وَإِنْ شَاءُوا زَوَّجُوهَا، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ».

(١١) بِالفَتحِ لابنِ كَثِيرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿مُّبَيِّنَةٖۚ﴾؛ بِالكَسرِ.

(١٢) أي: بَيَّنَها مَنْ يَدَّعِيها وأَوضَحَها وأَظهَرَها.

(١٣) خُرُوجٌ عن طَاعَةِ الزَّوجِ.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا
﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ
أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

[٢٠] ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي: أخذَها بدلَها بأنْ طلَّقتُموها ﴿وَ﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ أي: الزَّوجاتِ ﴿قِنطَارًا﴾: مالًا كثيرًا؛ صَداقًا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾: ظُلْمًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: بيِّنًا؟ ونَصبُهما على الحالِ. والاستِفهامُ لِلتَّوبيخ، ولِلإنكارِ في:

[٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي: بِأَيِّ وَجهٍ ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾: وَصَلَ ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بِالجِماعِ المُقرِّرِ لِلمَهرِ ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا﴾: عَهدًا ﴿غَلِيظًا﴾: شَديدًا؟ وهو: ما أمَرَ الله به، مِنْ إمْساكِهنَّ بِمَعروفٍ أو تَسريحِهنَّ بِإحسانٍ.

[٢٢] ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا﴾ بِمَعنَى: مَنْ ﴿نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ فِعلِكم ذلكَ؛ فإنَّه مَعفُوٌّ عنه ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: نِكاحَهُنَّ ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾: قَبيحًا ﴿وَمَقْتًا﴾: سَبَبًا لِلمَقْتِ مِنَ الله -وهو أَشَدُّ البُغضِ- ﴿وَسَآءَ﴾: بِئسَ ﴿سَبِيلًا﴾: طَريقًا ذلك!

[٢٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أنْ تَنكِحُوهُنَّ، وشَمَلَتِ الجَدَّاتِ مِنْ قِبَلِ الأَبِ أَوِ الأُمِّ ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشَمَلتْ بَناتِ الأولادِ وإنْ سَفَلْنَ ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ مِنْ جِهَةِ الأَبِ أَوِ الأُمِّ ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ أي: أخَواتُ آبائِكم وأجدادِكم ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ أي: أخَواتُ أُمَّهاتِكم وجَدَّاتِكم ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ ويَدخُلُ فِيهِنَّ [بَناتُ أولادِهم][1] ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قَبلَ استِكمالِ الحَوْلَيْنِ خَمسَ رَضَعاتٍ[2] -كما بيَّنه الحَديثُ- ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ويُلحَقُ بذلكَ -بالسُّنَّةِ- البَناتُ منها؛ وهُنَّ مَنْ أرْضَعَتْهُنَّ مَوْطُوأَتُه، والعَمَّاتُ والخالاتُ وبَناتُ الأخِ وبَناتُ الأُختِ منها؛ لِحَديثِ: «يَحرُمُ مِنَ الرَّضاعِ ما يَحرُمُ مِنَ النَّسَبِ». رواه البُخاريُّ ومُسلِمٌ[3].

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾: جَمعُ «رَبيبة»؛ وهي بِنتُ الزَّوجةِ مِنْ غَيرِه ﴿ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾: تَربُونَها- صِفَةٌ مُوافِقَةٌ لِلغالِبِ؛ فلا مَفهومَ لها- ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي: جامَعتُموهُنَّ ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نِكاحِ بَناتِهِنَّ إذا فارَقتُموهُنَّ ﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾: أزواجُ ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ بِخِلافِ مَنْ تَبَنَّيتُموهُم؛ فلَكُم نِكاحُ حَلائِلِهم ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ مِنْ نَسَبٍ أو رَضاعٍ؛ بِالنِّكاحِ. ويُلحَقُ بِها -بِالسُّنَّةِ- الجَمعُ بينَها وبَينَ عَمَّتِها، أو خالَتِها[4]. ويَجوزُ نِكاحُ كُلِّ واحِدَةٍ على الانفِرادِ، ومِلكُهُما مَعًا، ويَطَأُ واحِدَةً ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهِلِيَّةِ -مِنْ نِكاحِكُم بَعضَ ما ذُكِرَ- فلا جُناحَ عليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِما سَلَفَ منكم قَبلَ النَّهيِ ﴿رَّحِيمًا﴾ بِكُم في ذلك.

---

(١) في الأصلِ وحاشية الجَمَلِ: (ويَدخُلُ فيهنَّ أولادُهم). والمُثبَتُ من نُسخَةِ قَباوَة، وقرَّةِ العَينَينِ. أي: أولادُ الأخِ والأُختِ؛ بِتَغليبِ الأخِ على الأُختِ، والأولادِ يَشمَلُ الذُّكورَ والإناثَ؛ فشَمَلَتِ العِبارَةُ بِنتَ ابنِ الأخِ وإنْ سَفَلَ، وبِنتَ ابنِ الأُختِ وإنْ سَفَلَ.

(٢) وهو مَذهَبُ الشَّافِعِيِّ وأحمدَ، وهو الرَّاجِحُ؛ لِحَديثِ عائِشَةَ عِندَ مُسلِمٍ: «كانَ فِيما أُنزِلَ مِنَ القُرآنِ: عَشرُ رَضَعاتٍ مَعلوماتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمسٍ مَعلوماتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسولُ الله ﷺ وَهُنَّ فِيما يُقرَأُ مِنَ القُرآنِ».

(٣) البُخاريُّ (٢٦٤٥)، ومُسلِمٌ (١٤٤٧).

(٤) البُخاريُّ (٥١٠٨)، ومُسلِمٌ (١٤٠٨).

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟
بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ
مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم
مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ
مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

[٢٤] ﴿۞ وَ﴾ حُرِّمَتْ عليكم ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ أي: ذَوَاتُ الأزوَاجِ ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أنْ تَنكِحُوهُنَّ قبلَ مُفارَقَةِ أزوَاجِهِنَّ -حَرَائِرَ مُسلِمَاتٍ كُنَّ أوْ لَا- ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[*] مِنَ الإمَاءِ بِالسَّبْيِ؛ فَلكُم وَطؤُهُنَّ -وإنْ كَانَ لَهُنَّ أزوَاجٌ في دَارِ الحَربِ، بَعدَ الاستِبرَاءِ- ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: نُصِبَ على المَصدَرِ[1]؛ أي: كَتَبَ ذلك ﴿عَلَيْكُمْ [وَأَحَلَّ]﴾ - بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ، والمَفعُولِ[2]- ﴿لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: سِوى مَا حُرِّمَ عَليكم مِنَ النِّسَاء لِـ ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾: تطلُبُوا النِّسَاءَ ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾: بِصَدَاقٍ[3] أو ثَمَنٍ[4] ﴿مُّحْصِنِينَ﴾: مُتَزَوِّجِينَ[5] ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: زَانِينَ ﴿فَمَا﴾: فَمَنْ ﴿ٱسْتَمْتَعْتُم﴾: تَمَتَّعْتُم ﴿بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾: مِمَّنْ تزوَّجتُم بِالوَطْءِ ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهُنَّ التي فَرَضْتُم لَهُنَّ ﴿فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم﴾ أنتُم وهُنَّ ﴿بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾: مِنْ حَطِّهَا أو بَعْضِهَا أو زِيَادَةٍ عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمًا﴾ فِيما دَبَّرَهُ لهم.

[٢٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ أي: غِنًى لِـ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الحَرَائِرَ ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ - هو جَرْيٌ على الغَالِبِ؛ فلا مَفهُومَ له[6]- ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ يَنْكِحُ ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فاكتَفُوا بِظَاهِرِه، وكِلُوا السَّرَائِرَ إليه؛ فإنَّه العَالِمُ بِتَفصِيلِهَا، ورُبَّ أمَةٍ تَفْضُلُ الحُرَّةَ فيه. وهذا تَأنِيسٌ بِنِكَاحِ الإمَاءِ ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: أنتُم وهُنَّ سَوَاءٌ في الدِّينِ؛ فلا تَستَنكِفُوا مِنْ نِكَاحِهِنَّ ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: مَوَالِيهِنَّ ﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾: أعطُوهُنَّ ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهُنَّ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: مِنْ غَيرِ مَطْلٍ ونَقْصٍ ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾: عَفَائِفَ، حَالٌ ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾: زَانِيَاتٍ جَهْرًا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾: أخِلَّاءَ يَزنُونَ بِهِنَّ سِرًّا ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾: زُوِّجْنَ. وفي قِرَاءَةٍ بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ[7]: تَزَوَّجْنَ ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾: زِنًا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الحَرَائِرِ الأَبْكَارِ إِذَا زَنَيْنَ ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: الحدِّ. فَيُجْلَدْنَ خَمسِينَ ويُغَرَّبْنَ نِصفَ سَنَةٍ. ويُقَاسُ عَليهِنَّ العَبِيدُ. ولَم يُجْعَلِ الإحصَانُ شَرطًا لِوُجُوبِ الحَدِّ؛ [لِإفَادَةِ][8] أنَّه لَا رَجْمَ عَلَيهِنَّ أصلًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نِكَاحُ المَملُوكَاتِ عِندَ عَدَمِ الطَّوْلِ ﴿لِمَنْ خَشِىَ﴾: خَافَ ﴿ٱلْعَنَتَ﴾: الزِّنَا. وأصلُه المَشَقَّةُ؛ سُمِّيَ به الزِّنَا؛ لأنَّه سَبَبُهَا بِالحَدِّ في الدُّنيا والعُقُوبَةِ في الآخِرَةِ ﴿مِنكُمْ﴾ بِخِلَافِ مَنْ لا يَخافُه مِنَ الأَحرَارِ؛ فلا يَحِلُّ له نِكَاحُها، وكَذَا مَنِ استَطَاعَ طَوْلَ حُرَّةٍ؛ وعليه الشَّافِعِيُّ. وخَرَجَ بِقَولِه: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الكَافِرَاتُ؛ فلا يَحِلُّ له نِكَاحُها -ولو عَدِمَ وخَافَ[9]- ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عَنْ نِكَاحِ المَملُوكَاتِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لِئَلَّا يَصِيرَ الوَلَدُ رَقِيقًا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بِالتَّوسِعَةِ في ذلك.

[٢٦] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شَرَائِعَ دِينِكم ومَصَالِحَ أمْرِكم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾: طَرَائِقَ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الأنبِيَاءِ في التَّحلِيلِ والتَّحرِيمِ فتَتَّبِعُوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: يَرجِعَ بِكم عَن مَعْصِيَتِه التي كُنتُم عليها إلى طَاعَتِه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِكُم ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيما دَبَّرَهُ لَكُم.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢٤): أخرَجَ مُسلِمٌ عن أبي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَومَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشًا إلَى أوْطَاسَ، فَلَقُوا عَدُوًّا، فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيهِمْ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ تَحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ مِنْ أجْلِ أزْوَاجِهِنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في ذلك: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي: فَهُنَّ لَكمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ. مُسلمٌ - كتاب الرضاع (١٧) باب (٩) جواز وطء المَسبِيَّةِ بعدَ الاستبرَاءِ.

---

(١) أي: المُؤكِّد لِعَامِلِه المَعنَوِيِّ، المُستَفَاد مِن قَولِه: ﴿حُرِّمَتْ﴾؛ فإنَّ التَّحرِيمَ والفَرضَ والكَتْبَ بِمعنًى وَاحِدٍ.
(٢) بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ: قِرَاءَةُ نافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ ﴿وَأَحَلَّ﴾، وبِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ: قِرَاءَةُ البَاقِينَ ﴿وَأُحِلَّ﴾.
(٣) أي: بِالتَّزوِيجِ.
(٤) أي: بِالمِلكِ.
(٥) أو مُتَمَلِّكِينَ، بِدَلِيلِ قَولِه: «أو ثَمَنٍ».
(٦) وعلى هذا القَولِ فإنَّه إنْ قَدَر على طَوْلِ حُرَّةٍ كِتابِيَّةٍ فليسَ له أن يَتَزَوَّجَ أمَةً مُسلِمَةً، واختَارَه القرطبيُّ. والقَولُ الثَّاني: إنَّ له ذلك، والأَمَةُ المُؤمِنَةُ خَيرٌ مِنَ الحُرَّةِ الكِتَابِيَّةِ، واختَارَه ابنُ العَرَبِيِّ. وهو الأَولى والأَظهَرُ بِنَصِّ هذه الآيَةِ. واللهُ أعلَمُ.
(٧) وهي قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ وشُعبَةَ.
(٨) في الأَصلِ: (بَل لِإفَادَة)؛ بِزِيَادَةِ: (بَل)، والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة، وهو الأَقرَبُ لِلسِّيَاقِ.
(٩) أي: عَدِمَ الطَّوْلَ، وخَافَ العَنَتَ.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا
وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ
عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ
وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ
وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ
نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

[٢٧] ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ كَرَّرَهُ لِيَبنِيَ عليه: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: اليَهُودُ والنَّصارَى، أَوِ المَجُوسُ، أَوِ الزُّناةُ ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾: تَعدِلُوا عَنِ الحَقِّ؛ بِارتِكابِ ما حَرَّمَ عليكُم فتكُونُوا مِثلَهم.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾: يُسَهِّلَ عليكُم أحكَامَ الشَّرْعِ ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ لَا يَصْبِرُ عَنِ النِّساءِ والشَّهَوَاتِ.

[٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: بِالحَرَامِ في الشَّرْعِ؛ كَالرِّبَا والغَصْبِ ﴿إِلَّآ﴾: لَكِنْ[1] ﴿أَن تَكُونَ﴾: تَقَعَ ﴿[تِجَٰرَةٌ]﴾ وفي قِراءَةٍ بِالنَّصْبِ[2]؛ أَي: تَكُونَ الأَمْوَالُ أَمْوَالَ تِجارَةٍ، صَادِرَةٌ ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ وطِيبِ نَفسٍ؛ فلَكُم أَنْ تَأْكُلُوها ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ بِارتِكَابِ مَا يُؤَدِّي إِلى هَلَاكِها -أَيًّا كَانَ في الدُّنيَا أَوِ الآخِرَةِ- بِقَرِينَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ في مَنْعِه لَكُم مِن ذلِكَ.

[٣٠] ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي: مَا نُهِيَ عنه ﴿عُدۡوَٰنٗا﴾: تَجاوُزًا لِلحَلَالِ، حالٌ ﴿وَظُلۡمٗا﴾: تَأْكِيدٌ ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ﴾: نُدْخِلُهُ ﴿نَارٗاۚ﴾ يَحتَرِقُ فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: هَيِّنًا.

[٣١] ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ وهي مَا وَرَدَ عليها وَعِيدٌ؛ كَالقَتْلِ والزِّنا والسَّرِقَةِ. وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: هي إِلى السَّبعِمِائَةِ أَقرَبُ[3] ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ الصَّغائِرَ؛ بِالطَّاعَاتِ ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا﴾ بِضَمِّ المِيمِ، وفَتحِها[4]؛ أي: إِدْخَالًا، أو مَوْضِعًا[5] ﴿كَرِيمٗا﴾ هو الجَنَّة.

[٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ مِنْ جِهَةِ الدُّنيَا أَوِ الدِّينِ؛ لِئَلَّا يُؤَدِّيَ إِلى التَّحَاسُدِ والتَّبَاغُضِ ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ﴾: ثَوَابٌ ﴿مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ﴾: بِسَبَبِ مَا عَمِلُوا مِنَ الجِهَادِ وغَيرِه ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ مِنْ طَاعَةِ أَزوَاجِهِنَّ، وحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ - نَزَلَتْ[6] لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: «لَيتَنا كُنَّا رِجالًا فَجاهَدْنا؛ وكانَ لنا مِثْلُ أَجرِ الرِّجالِ»[7]- ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ بِهَمْزَةٍ، ودُونِها[8] ﴿ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ ما احْتَجْتُم إِليه يُعْطِكُم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾[*] ومنه مَحَلُّ الفَضلِ وسُؤالُكُم.

[٣٣] ﴿وَلِكُلّٖ﴾ مِنَ الرِّجَالِ والنِّساءِ ﴿جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾: عَصَبَةً، يُعْطَونَ ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ﴾ لهم، مِنَ المَالِ ﴿وَٱلَّذِينَ [عَٰقَدَتۡ]﴾ - بِأَلِفٍ، ودُونِها[9]- ﴿أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾: جَمْعُ «يَمِينٍ» بِمَعنَى القَسَمِ، أَوِ اليَدِ؛ أي: الحُلَفاءُ الذين عاهَدتُمُوهم في الجاهِلِيَّةِ على النُّصْرَةِ والإِرْثِ ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ﴾ الآنَ ﴿نَصِيبَهُمۡۚ﴾: حُظُوظَهم[10] مِنَ المِيراثِ؛ وهو: السُّدُسُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾: مُطَّلِعًا، ومنه حالُكُم. وهذا مَنسُوخٌ[11] بِقَولِه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾[12].

---

[*] مَا جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٣٢): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَن أُمِّ سلمةَ أَنَّها قالَتْ: «يَغزُو الرِّجالُ وَلا تَغزُو النِّساءُ، وَإِنَّما لَنا نِصفُ المِيراثِ»، فَأَنزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ وأَنزَلَ فيها: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾. التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء. (صحيح الإسناد) صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤١٩).

---

(١) أَشارَ بِذلكَ إِلى أَنَّ الاستِثناءَ مُنقَطِعٌ؛ لِأَنَّ التِّجارَةَ لَيسَتْ مِن جِنسِ الأَموالِ المَأكُولَةِ بِالبَاطِلِ، وخَصَّ التِّجارَةَ بِالذِّكرِ دُونَ غَيرِها؛ كَالهِبَةِ والصَّدَقَةِ والوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّ غالِبَ التَّصَرُّفِ في الأَموالِ بها.

(٢) والقِراءَةُ المُفَسَّرَةُ بِالضَّمِّ، لِنافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامِرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تِجَٰرَةً﴾؛ بِالفتح.

(٣) أي: منها لِلسَّبعِينَ التي قِيلَ بها. والأَثَرُ عنه أَخرجَه الطَّبَرِيُّ (٩٢٠٧)، وابنُ أَبي حاتِمٍ (٥٢١٧) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَن سَعيدِ بنِ جُبَيرٍ عنه.

(٤) والفَتحُ: قِراءَةُ نافِعٍ.

(٥) لَفٌّ ونَشرٌ مُرَتَّبٌ؛ فـ«إِدخالًا» على قِراءَةِ ﴿مُّدۡخَلٗا﴾؛ و«مَوضِعًا» على قِراءَةِ: ﴿مَدۡخَلٗا﴾ فيَكُون اسمَ كَانَ.

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (نَزَلَ).

(٧) أَخرجَ نَحوَه الطبريُّ عَن مُجاهِدٍ (٩٢٣٩، ٩٢٤٠) وأَيضًا عَن عَطاء (٩٢٤٥) ولكِنَّها مُبهَمَةٌ في النِّساءِ، وليسَ فيها تَعيينُ أُمِّ سَلَمَةَ. وتَقَدَّمَ حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ عندَ التِّرمِذِيِّ في حَاشِيَةِ أَسبابِ النُّزُولِ.

(٨) بِدُونِها: قِراءَةُ الكِسائِيِّ وابنِ كثيرٍ.

(٩) بالأَلِفِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامِرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿عَقَدَتۡ﴾؛ بِدُونِ أَلِفٍ.

(١٠) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (حظَّهم).

(١١) أي: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء:٣٣]. وأَخرجَ عبدُ الرَّزَّاق في تَفسِيرِه (١/ ٤٥١)، وعنه الطبريُّ في تَفسِيرِه (٩٢٦٩، ٩٢٧٠، ٩٢٧١) عَن قَتادَةَ في تَفسِيرِها؛ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِي الجَاهِلِيَّةِ يُعَاقِدُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: دَمِي دَمُكَ، وَتَرِثُنِي وَأَرِثُكَ وَتَطلُبُ بِي وَأَطلُبُ بِكَ؛ فَلَمَّا جَاءَ الإِسلَامُ بَقِيَ مِنهُم نَاسٌ، فَأُمِرُوا أَن يُؤتُوهُم نَصِيبَهُم مِنَ المِيرَاثِ، وَهُوَ السُّدُسُ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِالمِيرَاثِ؛ فقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ [الأنفال:٧٥]». وأَخرجَ أبو دَاودَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: «﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ [النساء:٣٣]: كَانَ الرَّجُلُ يُحَالِفُ الرَّجُلَ، لَيسَ بَينَهُمَا نَسَبٌ، فَيَرِثُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، فَنَسَخَ ذَلِكَ الأَنفَالُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾». وقال الألبانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ أبي داودَ (٣٥٣٥): حسن صحيح.

(١٢) تكرَّرَتِ الآيَةُ في مَوضِعَينِ؛ [الأنفال: ٧٥]، و[الأحزاب: ٦]، والنَّاسِخُ هنا هو آيَةُ الأنفالِ، كما صَرَّحَ قَتَادَةُ في رِوايَةِ الطبريِّ (٩٢٦٩)، وكَما ثَبَتَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ التَّصرِيحُ بذلك.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ
حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ
وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ربع الحزب ٩
وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ
وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

[٣٤] ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾: مُسَلَّطُونَ ﴿عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يُؤَدِّبُونَهُنَّ ويَأْخُذُونَ على أيدِيهِنَّ ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: بِتَفضِيلِه لهم عليهِنَّ بالعِلْمِ والعَقْلِ والوِلَايَةِ وغيرِ ذلِكَ ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟﴾ عليهِنَّ ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ مِنهُنَّ ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾: مُطِيعَاتٌ لِأَزوَاجِهِنَّ ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: لِفُرُوجِهِنَّ وغيرِها في غَيبَةِ أزوَاجِهِنَّ ﴿بِمَا حَفِظَ﴾ـهُنَّ(1) ﴿ٱللَّهُ﴾ حَيثُ أَوصَى عَلَيهِنَّ الأَزوَاجَ(2) ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: عِصيَانَهُنَّ لَكُم؛ بِأَنْ ظَهَرَتْ أَمَارَاتُه ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: فَخَوِّفُوهُنَّ اللهَ ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾: اعتَزِلُوا إِلى فِرَاشٍ آخَرَ، إِنْ أَظهَرْنَ النُّشُوزَ ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضَرْبًا غَيرَ مُبَرِّحٍ؛ إِنْ لَم يَرجِعْنَ بِالهِجْرَانِ ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يُرَادُ مِنهُنَّ ﴿فَلَا تَبْغُوا۟﴾: تَطلُبُوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا إِلى ضَربِهِنَّ ظُلمًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذَرُوه أَنْ يُعَاقِبَكم إِنْ ظَلَمتُمُوهُنَّ.

[٣٥] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾: عَلِمتُم ﴿شِقَاقَ﴾: خِلَافَ ﴿بَيْنِهِمَا﴾: بَينَ الزَّوجَينِ. والإِضَافَةُ لِلاتِّسَاعِ(3)؛ أي: شِقَاقًا بينَهما ﴿فَٱبْعَثُوا۟﴾ إليهما بِرِضَاهُما ﴿حَكَمًا﴾: رَجُلًا عَدْلًا ﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾: أَقَارِبِه ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ ويُوَكِّلُ(4) الزَّوجُ حَكَمَهُ في طَلَاقٍ وقَبُولِ عِوَضٍ عليه، وتُوَكِّلُ هي حَكَمَهَا في الاختِلَاعِ. فيَجتَهِدَانِ ويَأمُرَانِ الظَّالِمَ بِالرُّجُوعِ، أو يُفَرِّقَانِ؛ إِنْ رَأَيَاهُ. قال تَعَالَى: ﴿إِن يُرِيدَآ﴾ أي: الحَكَمَانِ(5) ﴿إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾: بَينَ الزَّوجَينِ(6)؛ أي: يُقَدِّرْهُمَا عَلى مَا هو الطَّاعَةُ مِن إِصْلَاحٍ أو فِرَاقٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِكُلِّ شَيءٍ ﴿خَبِيرًا﴾ بِالبَوَاطِنِ كَالظَّوَاهِرِ(7).

[٣٦] ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوهُ ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَ﴾ أَحْسِنُوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: بِرًّا ولِينَ جَانِبٍ ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القَرَابَةِ ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القَرِيبِ منكَ في الجِوَارِ أو النَّسَبِ ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: البَعِيدِ عنكَ في الجِوَارِ أو النَّسَبِ ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: الرَّفِيقِ في سَفَرٍ أو صِنَاعَةٍ، وقِيلَ: الزَّوجَةِ ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُنقَطِعِ في سَفَرِه ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ مِنَ الأَرِقَّاءِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾: مُتَكَبِّرًا ﴿فَخُورًا﴾ على النَّاسِ بِمَا أُوتِيَ.

[٣٧] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مُبتَدَأٌ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ بِمَا يَجِبُ عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ بِه ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ مِنَ العِلْمِ والمَالِ؛ وهُمُ اليَهُودُ. وخَبَرُ المُبتَدَأِ: «لَهم وَعِيدٌ شَدِيدٌ»(8) ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بِذلكَ وبِغَيرِه ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذا إِهَانَةٍ.

---

(١) أَشَارَ المُصَنِّفُ إِلى أَنَّ «ما» اسمٌ مَوصُولٌ، أو نَكِرَةٌ مَوصُوفَةٌ، والعَائِدُ مَحذُوفٌ قَدَّرَهُ بِقَولِه: «هُنَّ».

(٢) وقِيلَ: حِفظُ الله لَهُنَّ؛ أي: تَوفِيقُ الله لهنَّ. وقِيلَ: بِنَهيِهِنَّ عَنِ المُخَالَفَةِ.

(٣) يَعنِي أَنَّ «بينَ» هو في الأَصْلِ ظَرفٌ لِلشِّقَاقِ؛ أُضِيفَ إِليه الشِّقَاقُ إِضَافَةَ المَصدَرِ إِلى فَاعِلِه في المعنَى؛ تَوَسُّعًا في الكَلَامِ، نَحو: مَكْرُ اللَّيلِ. المُفَصَّل (ص٢٨٣).

(٤) اشتِرَاطُ التَّوكِيلِ هو مَذهَبُ الأَحنَافِ والشَّافِعِيَّةِ، لانحِصَارِ مُهِمَّةِ الحَكَمَينِ عِندَهم في الإِصلَاحِ، ولا يَحِقُّ لَهما التَّفرِيقُ بَينَ الزَّوجَينِ إِلَّا بِتَفوِيضٍ منهما، بِخِلَافِ المَذهَبِ المَالِكِيِّ الذي يُعطِي الحَكَمَينِ حَقَّ الحُكمِ بِالتَّفرِيقِ مِن غَيرِ تَوكِيلٍ منهما.

(٥) ويَحتَمِلُ أَن يَعُودَ الضَّمِيرُ على الزَّوجَينِ؛ والمَعنَى: إِن يُرِدِ الزَّوجَانِ إِصلَاحًا؛ مُعَاشَرَةً بِالمعرُوفِ وتَركَ ما يُسِيءُ، تَحصُلِ المُوَافَقَةُ بينهما.

(٦) ويَحتَمِلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ على الحَكَمَينِ؛ والمَعنَى: لا يَحصلِ اختِلَافٌ بَينَ الحَكَمَينِ؛ بَل تَحصلِ المُوَافَقَةُ بينهما.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (والظَّوَاهِر).

(٨) أي: مَحذُوفٌ، وهذا تَقدِيرُه.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ
سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ
أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً
فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ
ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: عَطْفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبلَه ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: مُرائِينَ لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ كالمُنافِقِينَ وأهلِ مَكَّةَ ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾: صاحِبًا؛ يعمَلُ بأمرِه: كَهَؤُلاءِ ﴿فَسَآءَ﴾: بِئسَ ﴿قَرِينًا﴾ هو!

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أيُّ ضَرَرٍ عليهم في ذلِكَ؟ والاستِفهامُ لِلإنكارِ، و﴿لَوْ﴾: مَصدَرِيَّةٌ[1]؛ أي: لا ضَرَرَ فيه، وإنَّما الضَّرَرُ فيما هُم عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيُجازِيهم بما عَمِلُوا.

[٤٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أحَدًا ﴿مِثْقَالَ﴾: وَزْنَ ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغرِ نَملَةٍ؛ بأنْ يَنقُصَها مِن حَسَناتِه أو يَزِيدَها في سَيِّئاتِه ﴿وَإِن تَكُ﴾ الذَّرَّةُ ﴿حَسَنَةً﴾ مِنْ مُؤمِنٍ- وفي قِراءَةٍ: بالرَّفعِ[2]؛ فـ«كانَ»: تامَّةٌ- ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ مِنْ عَشْرٍ إلى أكثَرَ مِنْ سَبعِمائَةٍ. وفي قِراءَةٍ: ﴿يُضَعِّفْهَا﴾ بالتَّشدِيدِ[3] ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ مِنْ عِندِه مَعَ المُضاعَفَةِ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يَقْدُرُه أحَدٌ.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالُ الكُفَّارِ ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ يَشهَدُ عليها بِعَمَلِها؛ وهو: نَبِيُّها[4] ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾؟

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ المَجِيءِ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أنْ ﴿تُسَوَّىٰ﴾ - بالبِناءِ لِلمَفعُولِ، والفاعِلِ[5] مَعَ حَذفِ إحدَى التَّاءَينِ في الأَصْلِ، ومَعَ إدغامِها في السِّينِ[6]- أي: تَتَسَوَّى ﴿بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ بأنْ يَكُونُوا تُرابًا مِثلَها؛ لِعِظَمِ هَولِه، كَما في آيَةٍ أُخرَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[7]- ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ عَمَّا عَمِلُوه. وفي وَقتٍ آخَرَ يَكتُمُونَه[8]، ويَقُولُونَ[9]: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[10].

[٤٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: لا تُصَلُّوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ مِنَ الشَّرابِ؛ لِأنَّ سَبَبَ نُزُولِها صَلاةُ جَماعَةٍ في حالِ السُّكْرِ[*] ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ بأنْ تَصْحُوا ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإيلاجٍ أو إنزالٍ- ونَصبُه على الحالِ، وهو يُطلَقُ على المُفرَدِ وغَيرِه- ﴿إِلَّا عَابِرِى﴾: مُجتازِي ﴿سَبِيلٍ﴾: طَرِيقٍ؛ أي: مُسافِرِينَ ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ فلَكُم أنْ تُصَلُّوا. واستِثناءُ المُسافِرِ[11]؛ لِأنَّ له حُكمًا آخَرَ سيأتي. وقِيلَ: المُرادُ النَّهيُ عَنْ قُربانِ مَواضِعِ الصَّلاةِ؛ أي: المَساجِدِ، إلَّا عُبُورَها مِنْ غَيرِ مَكْثٍ ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مَرَضًا يَضُرُّه الماءُ ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مُسافِرِينَ، وأنتُم جُنُبٌ أو مُحْدِثُونَ ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾: هو المَكانُ المُعَدُّ لِقَضاءِ الحاجَةِ؛ أي: أحدَثَ ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ - وفي قِراءَةٍ: بِلا ألِفٍ[12]، وكِلاهما بِمعنَى: اللَّمسِ[13]؛ وهُو: الجَسُّ باليَدِ. قالَه ابنُ عُمَرَ[14] -وعَلَيه الشَّافِعِيُّ- وألحَقَ به الجَسَّ بِباقِي البَشَرَةِ. وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ هو: الجِماعُ[15]- ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ تَتَطَهَّرُونَ[16] به لِلصَّلاةِ بَعدَ الطَّلَبِ والتَّفتِيشِ، وهو راجِعٌ إلى ما عَدا المَرضَى ﴿فَتَيَمَّمُوا۟﴾: اقصِدُوا بعدَ دُخُولِ الوَقتِ ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تُرابًا طاهِرًا، فاضرِبُوا به ضَربَتَينِ ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مَعَ المِرفَقَينِ منه[17]، و«مَسَحَ» يَتَعَدَّى بِنَفسِه[18] وبالحَرفِ[19] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾: حَظًّا ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ - وهم اليَهُودُ- ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ بالهُدَى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾: تُخطِئُوا الطَّرِيقَ الحَقَّ؛ لِتَكُونُوا مِثلَهم؟

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٤٣): أخرَجَ أبو داوُدَ عَن عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ أنَّ رَجُلًا مِنَ الأنصارِ دَعاهُ وعَبدَ الرَّحمٰنِ بنَ عَوفٍ، فسَقاهُما قَبلَ أنْ تُحَرَّمَ الخَمرُ، فأَمَّهُم عَلِيٌّ في المَغرِبِ، فقَرَأَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فخَلَطَ فيها، فنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾. أبو داوُدَ - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صَحِيحُ سُنَنِ أبي داوُدَ (٣٦٧١).

---

(١) أي: والكَلامُ على تقديرِ حَرفِ الجَرِّ «في» الدَّاخِلِ على المَصدرِ المُقَدَّرِ؛ أي: ومَاذا عليهم في إيمانِهم؟ (٢) لِنافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ. (٣) لابنِ كَثيرٍ وابنِ عامِرٍ. (٤) عِبارَةُ: (وهو نبيُّها) لَيسَتْ في قَباوَةَ.
(٥) في نُسخَةِ قَباوَةَ: (ولِلفاعِلِ). (٦) قَرَأَها ﴿تُسَوَّىٰ﴾ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وعاصِمٌ، وقَرَأَها ﴿تَسَّوَّىٰ﴾ حَمزةُ والكِسائِيُّ، وقَرَأَها ﴿تَسَوَّىٰ﴾ نافِعٌ وابنُ عامِرٍ. (٧) سُورةُ النَّبأ: آية ٤٠.
(٨) في بعضِ النُّسَخِ: (يكتمونَ)، بِدُونِ الهاءِ. (٩) كلمةُ: (ويَقولُونَ) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَباوَةَ. (١٠) سُورةُ الأنعام: آية ٢٣. (١١) في نُسخَةِ قَباوَةَ: (واستثنى المُسافِرَ).
(١٢) لِحَمزَةَ والكِسائِيِّ. (١٣) في نُسخَةِ قَباوَةَ: (بمعنًى. مِنَ اللَّمسِ). (١٤) أخرَجَ مالِكٌ في المُوطَّأِ (٦٤)، ومِنْ طَرِيقِه الشَّافِعِيُّ في الأُمِّ (١/ ٢٩) عن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، أنَّهُ كانَ يَقُولُ: «قُبْلَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَجَسُّهَا بِيَدِهِ، مِنَ المُلامَسَةِ، فَمَنْ قَبَّلَ امْرَأَتَهُ، أَوْ جَسَّهَا بِيَدِهِ، فَعَلَيْهِ الوُضُوءُ»، وصَحَّحَه الألبانيُّ في المشكاة (٣٣٠).
(١٥) وهذا هو الصَّحيحُ في تفسيرِ الآيَةِ -إن شاءَ اللهُ-، ولا يَنقُضُ الوُضُوءَ مُجَرَّدُ مَسِّ المَرأةِ ولَو بِشَهوةٍ...؛ لأنَّ الأصلَ عَدمُ النَّقضِ حتَّى يَقومَ دليلٌ صَحيحٌ صَريحٌ على ذلك، ولِما رَوَته عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ «قَبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»، كما أنَّ تفسيرَ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو المُناسِبُ لِسياقِ الآيةِ كما بَيَّنَهُ أهلُ العِلمِ، وإن كانوا قد اختلَفُوا في صِحَّةِ الحديثِ المذكورِ، والذي أخرجَه أحمدُ وأبو داودَ والترمذيُّ، فقد صحَّحه ابنُ عبدِ البَرِّ كما في «النَّيلِ»، وأمَّا ما وردَ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ فقد قالَ الشيخُ ابنُ عُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ ذلك صحَّ عنه، وهو الذي دَعا له النَّبيُّ ﷺ أنْ يُعَلِّمَه التأويلَ، وهو أَولَى من يُؤخَذُ قولُه في التَّفسيرِ، إلَّا أن يُعارِضَه مَنْ هو أرجحُ منه. الشرح الممتع (١/ ٢٣٩). (١٦) في نُسخَةِ قَباوَةَ: (تَطَهَّرون).
(١٧) أي: مِنَ الصَّعيدِ الطَّيِّبِ، وهو مَذهبُ الشَّافعيِّ في الجَديدِ، واستدلَّ بِحَديثٍ ضَعيفٍ، والرَّاجِحُ أنَّ التَّيممَ يكونُ بِمَسحِ الوَجهِ واليَدَينِ إلى الكَفَّينِ فقط، ويكونُ بِضَربةٍ واحدةٍ؛ كما في حَديثِ عَمَّارٍ المتَّفقِ عليه؛ البُخاريِّ (٣٤٧)، ومسلمٍ (١١٢)؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الأَرْضَ، ثُمَّ تَنْفُخَ، ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ، وَكَفَّيْكَ». وفي نُسخَةِ قَباوَةَ: (إلى المرفقَين منه). (١٨) فتكُون الباءُ زائدةً. (١٩) وتكونُ الباءُ لِلتعدِيَةِ.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ
وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا
مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ منكم؛ فيُخبركم بهم لِتَجتنبُوهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾: حافظًا لكم منهم! ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾: مانعًا لكم من كَيدِهم!

[٤٦] ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قَومٌ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يُغيِّرُونَ ﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ الذي أَنزلَ الله في التَّوراةِ، مِنْ نَعتِ مُحمَّدٍ ﷺ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وُضِع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلنَّبيِّ ﷺ إذا أمرهم بشيءٍ: ﴿سَمِعۡنَا﴾ قَولَك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمرَك ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾: حالٌ؛ بِمعنَى: الدُّعاء؛ أي: لا سَمِعتَ ﴿وَ﴾ يقولونَ له: ﴿رَٰعِنَا﴾ - وقَدْ نُهِيَ عَن خِطابِه بها؛ وهي كلمةُ سَبٍّ بلُغتِهم- ﴿لَيَّۢا﴾: تَحرِيفًا ﴿بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا﴾: قَدحًا ﴿فِي ٱلدِّينِۚ﴾: الإِسلامِ ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ بدَلَ: ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ ﴿وَٱسۡمَعۡ﴾ فقط ﴿وَٱنظُرۡنَا﴾: انظرْ إلينا بدَلَ: ﴿رَٰعِنَا﴾ ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ مِمَّا قَالُوه ﴿وَأَقۡوَمَ﴾: أعدَلَ منه ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدَهم عَن رَحمتِه ﴿بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ منهم، كَعبدِ الله بنِ سَلامٍ وأصحابِه.

[٤٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ مِنَ التَّوراةِ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾: نَمحُوَ ما فيها مِنَ العَينِ والأَنفِ والحَاجِبِ ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ فنَجعلَها كَالأَقفاءِ لوحًا وَاحِدًا ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾: نَمسخَهم قِردةً ﴿كَمَا لَعَنَّآ﴾: مَسخنَا ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: قَضاؤه ﴿مَفۡعُولًا﴾، ولَمَّا نَزلتْ أَسلمَ عبدُالله ابنُ سَلامٍ[1]. فقيلَ: كانَ وعِيدًا بِشرطٍ؛ فلَمَّا أَسلمَ بعضُهم رُفِعَ. وقيلَ: يكونُ طَمْسٌ ومَسْخٌ قبلَ قِيامِ السَّاعَةِ.

[٤٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ﴾ أي: الإِشراكَ[2] ﴿بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ﴾: سِوى ﴿ذَٰلِكَ﴾ مِنَ الذُّنوبِ ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ المغفرةَ له؛ بِأَنْ يُدخلَه الجنَّةَ بِلا عَذابٍ، ومَنْ شَاءَ عَذَّبه[3] مِنَ المؤمنينَ بِذنوبِه، ثُمَّ يُدْخلُه الجنَّةَ ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا﴾: ذنبًا ﴿عَظِيمًا﴾: كبيرًا.

[٤٩] ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾؟ وهم اليهودُ؛ حيثُ قالُوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾[4] أي: ليس الأمرُ بِتزكيَتِهم أنفسَهم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي﴾: يُطَهِّرُ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بالإِيمانِ ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾: يُنْقَصُونَ مِنْ أَعمالِهم ﴿فَتِيلًا﴾: قَدْرَ قِشرةِ النَّواةِ[5].

[٥٠] ﴿ٱنظُرۡ﴾ مُتعجِّبًا: ﴿كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ بذلك؟ ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾: بيِّنًا!

[٥١] ونَزَلَ فِي كَعبِ بْنِ الأَشْرفِ وَنحوِه مِنْ علماءِ اليَهودِ، لَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ؛ وَشَاهَدُوا قَتْلَى بَدْرٍ وَحَرَّضُوا المُشرِكِينَ عَلَى الأَخذِ بِثأرِهِمْ وَمُحارَبَةِ النَّبيِّ ﷺ[6]: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: صَنمانِ لِقُريشٍ ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أَبي سفيانَ[7] وأصحابِه؛ حِينَ قالُوا لهم: «أَنحنُ أَهْدَى سَبِيلًا، وَنَحْنُ وُلاةُ الْبَيْتِ؛ نَسْقِي الحَاجَّ، وَنَقْرِي الضَّيفَ، وَنَفُكُّ الْعَانِيَ، وَنَفعَلُ، أَمْ مُحَمَّدٌ، وَقَدْ خَالَفَ دِينَ آبَائِهِ، وَقَطَعَ الرَّحِمَ، وَفَارَقَ الحَرَمَ؟»: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ أقوَمُ طَرِيقًا؟

---

(١) ذكره ابنُ حجر في العُجاب في بيان الأسباب (٢/ ٨٨٣) عن الثعلبيِّ دُونَ أن يسنده لأحد. وقال البغويُّ (٢/ ٢٣١): «رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ سَلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، وَيَدُهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَأَسْلَمَ وَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا كُنْتُ أَرَى أَنْ أَصِلَ إِلَيْكَ حَتَّى يَتَحَوَّلَ وَجْهِي فِي قَفَايَ، وَكَذَلِكَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ أَسْلَمَ فِي زَمَنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ آمَنْتُ، يَا رَبِّ أَسْلَمْتُ، مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَهُ وَعِيدُ هَذِهِ الْآيَةِ». وخبرُ إسلامِ كعبِ الأحبارِ عند سَماعِه هذه الآيةَ أخرجَه الطَّبَرِيُّ (٩٧٢٥)، وابنُ أبي حاتمٍ (٥٤١٣)، وسندُهما ضعيفانِ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي: الإِشراكَ به).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ومَن يشأ يُعذِّبه).

(٤) المائدة: ١٨.

(٥) قِشرةُ النَّواةِ هي: القِطميرُ، وأمَّا الفتيلُ فهو: الخيطُ الذي في شَقِّ النَّواةِ. وقيلَ: الفتيلُ هو ما يخرجُ بينَ إِصبعَيك أو كَفَّيكَ مِن الوَسخِ إذا فتلتَهما، وقيلَ فيه غير ذلك.

(٦) أخرجَه الطَّبَرِيُّ في جامعه (٥/ ٨٥)، وابنُ أبي حاتمٍ في تَفسِيرِه (٣/ ٩٧٣)، وابنُ حِبَّان في صَحِيحِه (٦٥٧٢) عن عِكرمةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الصُّنْبُورِ الْمُنْبَتِرِ مِنْ قَوْمِهِ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ وَأَهْلُ السِّدَانَةِ وَأَهْلُ السِّقَايَةِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ. قَالَ: فَأُنْزِلَتْ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ وأُنزلَت عَلَيْهِ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾». قالَ الأرناؤوطُ: إسنادُه صحيحٌ على شرطِ الصَّحيحِ. وقالَ الوادعيُّ في الصحيح المُسنَدِ من أسبابِ النُّزولِ (ص٦٨): «ورجالُه رجالُ الصحيح. إلَّا أنَّ الرَّاجحَ إرسالُه، كما ذكر في تخريج تفسير ابن كثير». وصَحَّحَه الألبَانيُّ في صحيحِ السيرةِ النبويةِ (ص٢٢٥). و(الصُّنْبُور): الرجلُ الفردُ الضعيفُ الذليلُ بلا أهلٍ وعَقِبٍ وناصرٍ. لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٤٦٩)، و(المُنْبَتِر): الَّذِي لَا وَلَدَ لَهُ. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابنِ الأثير (١/ ٩٣).

(٧) وذلك قبلَ إسلامِه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ
يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾
فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ
جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ
أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ
أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن
تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا
بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

نصف الحزب ٩

[٥٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ﴾ ـهُ(١) ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾: مَانعًا مِنْ عَذابِه.

[٥٣] ﴿أَمۡ﴾: بَلْ أ ﴿لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ أي: ليسَ لهم شَيءٌ منه، ولو كانَ ﴿فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: شيئًا تافهًا قَدْرَ النُّقْرَةِ في ظهرِ النَّواةِ؛ لِفَرْطِ بُخْلِهم.

[٥٤] ﴿أَمۡ﴾: بَلْ أ ﴿يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: النَّبيَّ ﷺ ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ مِنَ النُّبوَّةِ وكَثْرَةِ النِّساءِ؟ أي: يَتمنَّونَ زوالَه عنه، ويقولونَ: لو كانَ نَبيًّا لاشتغلَ عَنِ النِّساءِ(٢) ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ جَدِّهِ؛ كَمُوسَى(٣) وداودَ وسُليمانَ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: النُّبوَّةَ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾ فكانَ لِداودَ تِسعٌ وتِسعُونَ امرأةً(٤)، ولِسُليمانَ ألفٌ(٥)؛ ما بينَ حُرَّةٍ وسُرِّيَّةٍ(٦).

[٥٥] ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: بِمُحمَّدٍ ﷺ ﴿وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ﴾: أَعْرَضَ ﴿عَنۡهُۚ﴾ فلم يُؤمنْ ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: عَذابًا لِمَنْ لا يُؤمِنُ!

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ﴾: نُدخِلُهم ﴿نَارٗا﴾ يَحترِقُونَ فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ﴾: احتَرَقَتْ ﴿جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ بِأنْ تُعادَ إلى حالِها الأوَّلِ؛ غَيرَ مُحترِقَةٍ ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾: لِيُقاسُوا شِدَّتَه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: لا يُعجِزُه شيءٌ ﴿حَكِيمٗا﴾ في خَلْقِه.

[٥٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ مِنَ الحيضِ وكُلِّ قَذَرٍ ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾: دائمًا لا تَنسَخُه شمسٌ؛ هو(٧): ظِلُّ الجنَّةِ.

[٥٨] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾: ما اؤتُمِنَ عليه مِنَ الحقوقِ ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ نَزَلتْ لَمَّا أخذَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مِفتاحَ الكعبةِ مِنْ عُثمانَ بنِ طَلحةَ الحَجَبِيِّ سَادنِها قَسْرًا، لَمَّا قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ مَكَّةَ عامَ الفَتحِ، ومَنَعَه؛ وقالَ: لَو عَلِمتُ أنَّه رسولُ الله لم أمنعْه. فأَمرَ رسولُ الله(٨) ﷺ بِرَدِّه إليه؛ وقالَ: «هَاكَ خَالِدَةً تَالِدَةً»(٩)، فعَجِبَ مِنْ ذلك؛ فقرأَ له عَلِيٌّ الآيةَ؛ فأَسلمَ(١٠). وأعطَاه عندَ موتِه لأَخِيه شَيبةَ، فبَقِيَ في وَلدِه. والآيةُ -وإنْ وَردَتْ على سَبَبٍ خَاصٍّ- فعُمُومُها مُعْتَبَرٌ بِقَرينةِ الجمعِ(١١) ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ يَأمُرُكم ﴿أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾ - فيه إدغامُ مِيمِ «نِعمَ» في «مَا» النَّكرةِ الموصُوفةِ؛ أي: نِعْمَ شيئًا- ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ تَأدِيةُ الأمانةِ والحُكمُ بالعَدلِ! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا﴾ لِما يُقالُ ﴿بَصِيرٗا﴾ بِما يُفعَلُ.

[٥٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي﴾: وأَصحابَ ﴿ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: الوُلاةَ ﴿مِنكُمۡۖ﴾ إذا أمرُوكم بطاعةِ الله ورسولِه[*] ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾: اختلفتُم ﴿فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى(١٢) كتابِه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ مُدَّةَ حياتِه، وبعدَه إلى سُنَّتِه؛ أي: اكشِفُوا عليه منهما ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: الرَّدُّ إليهما ﴿خَيۡرٞ﴾ لكم مِنَ التنازُعِ والقَولِ بالرأيِ ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾: مآلًا.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٥٩): أَخرجَ البُخاريُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: «نَزَلَتْ فِي عَبْدِ الله بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ؛ إِذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١١).

---

(١) ضمير (ـهُ) لَيسَ في قبَاوَة. (٢) والظاهرُ أنَّ المُرادَ بالنَّاسِ هنا: الرَّسولُ والمؤمنونَ، والفَضلِ: النُّبوَّةُ والكتابُ والعِزُّ والنَّصرُ والتمكينُ، حَسدتهم اليهودُ على ذلك، كما اختارَه طائفةٌ مِنَ المُفسِّرينَ؛ كالقاسميِّ والسعديِّ، ولا وجهَ ظاهرَ لإقحامِ ذِكرِ النِّساءِ، كما لا نقلَ صَحيح. والله أعلمُ. (٣) أي: جَدُّ النَّبيِّ ﷺ؛ والمُرادُ الجدُّ الأعلى، وآلُ إبراهيمَ ذُرِّيَّتُه، ومنهم مُوسَى وداودُ وسُليمانُ.

(٤) لم نقف على أثرٍ يُعتدُّ به في إثباتِ ذلك، ولَعلَّ المُفسِّرَ يشيرُ إلى ما اختارَه في تفسيرِ قوله تعالى في سُورة «ص» الآية: ٢٣-: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾؛ حيثُ فَسَّرَ النَّعجةَ في الآيةِ بالمرأةِ؛ فقالَ: «كان له تِسعٌ وتسعونَ امرأةً، وطلبَ امرأةَ شخصٍ ليسَ له غيرها» وقد بينَّا هناكَ خطأَ هذا القولِ وأنَّه من الإسرائيليَّاتِ، ويتنافى مع مَقامِ النُّبوَّةِ وعِصمتِها.

(٥) أخرجَ الحاكمُ في مُستدرَكِه (٤١٤١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: «بَلَغَنَا أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ... كَانَ لَهُ أَلْفُ بَيْتٍ مِنْ قَوَارِيرَ عَلَى الْخَشَبِ مِنْهَا ثَلَاثُ مِائَةِ صَرِيحَةٍ، وَسَبْعُ مِائَةِ سَرِيَّةٍ»، وسكتَ عنه الذهبيُّ، وسندُه ضعيفٌ مع إرسالِه. وقال ابنُ كثيرٍ في البداية والنهاية (٢/ ٣٤٨): «وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلف أَنَّه كَانَتْ لِسُلَيْمَانَ مِنَ النِّسَاءِ أَلْفُ امرأةٍ؛ سَبعُمِائَةٍ بِمُهورٍ، وثَلاثُمِائَةِ سَرَارِيٍّ وقيلَ: بالعَكسِ؛ ثَلاثُمِائَةِ حَرَائِر، وَسَبْعُمِائَةٍ مِنَ الإِمَاءِ». لكن هذا مُعارضٌ بما أخرجَهُ البُخاريُّ (٢٨١٩) عن أبي هُرَيرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله... »؛ فظاهِرُه أنهنَّ تِسعٌ وتسعونَ أو مِائةٌ، ولَيسَ أنَّهنَّ ألفٌ. والله أعلمُ.

(٦) المعنى: فقد جمعنا لأسلافِكم مِنْ ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ بينَ المُلكِ والنُّبوَّةِ، فلأيِّ شيءٍ تَخصُّونَ مُحمَّدًا ﷺ بالحسدِ دُونَ غيرِه مِمَّنْ أنعمَ الله عليه؟ وأمَّا تخصيصُ المُفسِّرِ المُلكَ العَظيمَ بتعدُّدِ الزوجاتِ ففيه نظرٌ، والصَّوابُ الإطلاقُ. والله أعلم. (٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهو). (٨) عبارة: (رسول الله) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٩) ذَكَرَه الوَاحِدِيُّ في أسبابِ النُّزُولِ (ص١٥٨) بدون ذكر جملةِ (هاك...)، وأخرجَ الطبرانيُّ (١١٢٣٤) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «خُذُوهَا يَا بَنِي طَلْحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً، لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ» يَعْنِي: حِجَابَةَ الْكَعْبَةِ. وإسنادُهما ضعيفٌ كما في الاستيعاب (١/ ٤١٤)، وأخرجَ ابن إسحاقَ بِسَنَدٍ صَحيحٍ في السِّيرةِ (٢/ ٤١١)، ونقله ابنُ كثيرٍ في تَفسِيرِه (١/ ٥٢٨) عن صفيةَ بنتِ شيبةَ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ لَمَّا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ، خَرَجَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ سَبْعًا عَلَى رَاحِلَتِهِ... فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ، دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، فَفُتِحَتْ لَهُ، فَدَخَلَهَا... ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السِّقَايَةِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟» فَدُعِيَ لَه، فقال: « هَاكَ مِفْتَاحُكَ يَا عُثْمَانُ، الْيَوْمُ يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ».

(١٠) ظاهِرُه أنَّ عثمانَ لم يكن مُسلمًا قبلُ، ولذلكَ نُسبَ إليه إنكارُ نُبوَّةِ الرَّسولِ ﷺ أيضًا، والصَّوابُ أنَّه أسلمَ في هُدنةِ الحُدَيبيةِ. يُنظرُ الاستيعاب في معرفة الأَصحاب (٣/ ١٠٣٤)، والإصابة (٤/ ٣٧٣).

(١١) وهو قولُه: ﴿ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ بالجمعِ، وليسَ: «الأمانةَ»، بالإفرادِ. (١٢) كلمةُ: (إلى) ليست في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[٦٠] ونَزَلَ لَمّا اختَصمَ يَهوديٌّ ومُنافقٌ؛ فدعَا المُنافِقُ إلى كعبِ بنِ الأشرفِ لِيَحكمَ بينهما، ودَعا اليَهوديُّ إلى النَّبيِّ ﷺ فأتياهُ فقَضى لِليهوديِّ؛ فلَم يَرْضَ المُنافِقُ، وأَتيا عُمَرَ؛ فذكَرَ له اليهوديُّ ذلك[1]، فقالَ لِلمُنافقِ: أكذلكَ؟ قالَ: نَعم. فقَتلَه[2]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾: الكثيرِ الطُّغيانِ- وهو: كعبُ بنُ الأشرفِ- ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ ولا يُوالُوه ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عَنِ الحَقِّ.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القُرآنِ مِنَ الحُكْم ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ لِيَحكُمَ بينكم ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾: يُعْرِضُونَ ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرِكَ ﴿صُدُودًا﴾.

[٦٢] ﴿فَكَيْفَ﴾ يَصنعونَ ﴿إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾: عُقوبةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنَ الكُفرِ والمَعاصي؛ أي: أيقدرونَ على الإعراضِ والفِرارِ منها؟ لا ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾: مَعطُوفٌ على: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ﴾: مَا ﴿أَرَدْنَآ﴾ بِالمُحاكَمةِ إلى غيرِك ﴿إِلَّآ إِحْسَـٰنًا﴾: صُلْحًا ﴿وَتَوْفِيقًا﴾: تَأليفًا بينَ الخَصمَينِ؛ بِالتقريبِ في الحُكْم، دُونَ الحَمْلِ على مُرِّ الحَقِّ.

[٦٣] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ مِنَ النِّفاقِ وكَذِبِهم في عُذْرِهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بِالصَّفحِ ﴿وَعِظْهُمْ﴾: خَوِّفْهُمُ اللهَ ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ﴾ شَأْنِ ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾: مُؤَثِّرًا فيهم؛ أَي: ازجُرْهُم لِيَرجِعُوا عَن كُفرِهم.

[٦٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يَأمُرُ به ويَحكمُ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِأَمرِه؛ لا لِيُعْصَى ويُخَالَفَ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتحاكُمِهم إلى الطاغُوتِ ﴿جَآءُوكَ﴾ تَائِبينَ ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ - فيه التِفَاتٌ عَنِ الخِطابِ؛ تَفخِيمًا لِشأنِه- ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمًا﴾ بِهم.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾[3] لا: زَائِدَةٌ[4] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾: اختلَطَ ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾: ضِيقًا أو شَكًّا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُوا۟﴾: يَنقادُوا لِحُكمِك ﴿تَسْلِيمًا﴾ مِنْ غيرِ مُعارَضةٍ[*].

= وأخرجَ أيضًا عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ». البُخارِيُّ - كتاب المغازي (٦٤) باب (٥٩).

[*] ما جاءَ في نُزولِ الآيةِ (٦٥): أَخرجَ البُخارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ فِي شَرِيجٍ مِنَ الحَرَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ»، وَاسْتَوْعَى النَّبِيُّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الحُكْمِ حِينَ أَحْفَظَهُ الأَنْصَارِيُّ، كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمَا بِأَمْرٍ لَهُمَا فِيهِ سَعَةٌ، قَالَ الزُّبَيْرُ: فَمَا أَحْسِبُ هَذِهِ الآيَاتِ إِلَّا نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. البُخارِيُّ - كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فذكر اليهوديُّ له ذلك).

(٢) أخرجه الواحديُّ (ص١٦٢) عن الكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. وقال الحافظُ في الفتح (٥/ ٣٨): «وهذا الإسنادُ وإن كان ضعيفًا؛ لكن تقوَّى بِطريقِ مجاهد، ولا يضرُّه الاختلافُ لإمكانِ التعدُّدِ». وتُعقِّبَ بأن في إسنادها الكلبيَّ وأبا صالح وهما كذَّابانِ. الاستيعاب (١/ ٤٢٤)، وأخرجَ الطبرانيُّ في الكبير (١١/ ٢٩٥/ ١٢٠٤٥) وابنُ أبي حَاتِمٍ في تَفسِيرِه (٥٥٤٧) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ أَبُو بُرْدَةَ الأَسْلَمِيُّ كَاهِناً يَقْضِي بَيْنَ اليَهُودِ، فَتَنَافَرُوا إِلَيْهِ أُنَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ مِنَ اليَهُودِ، فَأَنْزَلَ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ...﴾».

(٣) قال القرطبيُّ (٥/ ٢٦٦): «قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: المُرَادُ بِهَذِهِ الآيَةِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِمَّنْ أَرَادَ التَّحَاكُمَ إِلَى الطَّاغُوتِ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ،... وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: نَزَلَتْ فِي الزُّبَيْرِ مَعَ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَتِ الخُصُومَةُ فِي سَقْيِ بُسْتَانٍ...» وذَكَرَ القِصَّةَ.

(٤) وهو اختيار الزمخشريِّ (١/ ٥٢٨). وَقَالَ الطَّبَرِيُّ -كما في القرطبيِّ (٥/ ٢٦٦)-: «قَوْلُهُ: ﴿فَلَا﴾ رَدٌّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، تَقْدِيرُهُ: فَلَيْسَ الأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ القَسَمَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾» ويُنظرُ تفسير الطبريِّ (٧/ ٢٠٠).

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن
دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ
بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم
مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا
﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ ۚ
وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ
فَانفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن
مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

نصف الحزب ٩

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾: مُفَسِّرَةٌ(١) ﴿اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم﴾ كَما كتبنَا على بَني إِسرائِيلَ ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوبَ عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ - بِالرَّفعِ: على البَدلِ، والنَّصبِ: على الاستثناءِ(٢) - ﴿مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ مِنْ طَاعةِ الرَّسولِ ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: تحقيقًا لإِيمانِهم.

[٦٧] ﴿وَإِذًا﴾ أي: لو ثَبتُوا ﴿لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾: مِنْ عِندِنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنَّة.

[٦٨] ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

[٦٩] قالَ بعضُ الصحابةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: كيفَ نراكَ في الجنَّةِ، وأنت في الدَّرجاتِ العُلى، ونحنُ أسفلَ منك؟ فنزلَ(٣): ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما أَمرا به ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾: أَفاضِلِ أصحابِ الأَنبياءِ؛ لِمُبالَغتِهم في الصِّدقِ والتَّصديقِ ﴿وَالشُّهَدَآءِ﴾: القَتلى في سبيلِ الله ﴿وَالصَّٰلِحِينَ﴾ غيرِ مَنْ ذُكِرَ ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾: رُفَقاءَ في الجنَّةِ؛ بِأَن يُستمتَعَ فيها بِرُؤيتِهم وزِيارتِهم والحُضورِ معهم -وإِنْ كانَ مَقرُّهم في الدرجَاتِ العَاليَةِ(٤) بِالنِّسبةِ إلى غَيرِهم-.

[٧٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أَي: كَونُهم مَعَ مَنْ ذُكِرَ، مُبتدأٌ خَبرُه: ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ تفضَّلَ به عليهم، لا أَنَّهم نَالوه بِطَاعتِهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بثَوابِ الآخرةِ! أي: فثِقُوا بِما أخبرَكم به ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(٥).

[٧١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ مِنْ عدوِّكم؛ أي: احتَرِزُوا منه وتَيقَّظُوا له ﴿فَانفِرُوا۟﴾: انهضُوا إِلى قِتالِه ﴿ثُبَاتٍ﴾(٦): مُتفرِّقِينَ؛ سَرِيَّةً بعدَ أُخرى ﴿أَوِ انفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾: مُجتمِعينَ.

[٧٢] ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: لَيَتأَخَّرَنَّ عَنِ القِتالِ؛ كعبدِ الله بنِ أُبَيٍّ المُنافِقِ وأَصحابِه- وجَعْلُهُ منهم من حيثُ الظاهرُ(٧). واللامُ في الفِعلِ: لِلقَسَمِ- ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كَقَتْلٍ وهَزِيمَةٍ ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضرًا فأُصابَ.

[٧٣] ﴿وَلَئِنْ﴾: لامُ قَسمٍ ﴿أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفَتحٍ وغَنيمَةٍ ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نَادِمًا ﴿كَأَن﴾ - مُخَفَّفَةٌ، واسمُها: محذوفٌ- أي: كَأَنَّهُ ﴿لَّمْ [يَكُن]﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ(٨)- ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾: مَعرِفَةٌ وصَداقَةٌ- وهذا رَاجعٌ إِلى قولِه: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ﴾، اعْتِرَضَ(٩) به بينَ القَولِ ومَقُولِه؛ وهو-: ﴿يَا﴾ لِلتنبيهِ ﴿لَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: آخُذَ حَظًّا وَافِرًا مِنَ الغَنيمةِ.

[٧٤] قالَ تعالَى: ﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاءِ دِينِه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: يَبيعُونَ ﴿الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾: يُستَشْهَدْ ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾: يَظْفَرْ بِعَدُوِّهِ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: ثوابًا جَزيلًا.

---

(١) أي: بِمعنَى: أي، وضابطُها أن يتقدَّمَها جملةٌ فيها معنى القولِ دُونَ حروفِه.

(٢) أي: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وهي قِراءةُ ابن عامر.

(٣) أخرجَ نحوه بإسنادٍ حسنٍ بمجموع طرقه الطبرانيُّ في الصغير (١/ ٢٦)، والأوسطِ (١/ ١٥٢، ١٥٣ رقم ٤٧٧) مِنْ حَدِيثِ عَائِشةَ. قال الحافظُ ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٩١٤): «رجاله مُوثَّقون». وأخرجَ ابن أبي شيبةَ في مُصنَّفِه (١١/ ٥٠١) رقم (١١٨٢٣)، والطبريُّ في جامعه (٥/ ١٠٤) عن مسروقٍ مرسلًا، ويشهدُ له رواية الطبرانيِّ عن عائشةَ.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (درجات عالية).

(٥) سورة فاطر: آية ١٤.

(٦) جَمْعُ ثُبَةٍ، وَالثُّبَةُ: الْعَصَبَةُ؛ وَمَعْنَى الْكَلَامِ: فَانفِرُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ مُتَسَلِّحِينَ. تفسير الطبريِّ (٧/ ٢١٧).

(٧) أي: إنه ليس منهم في حقيقةِ الأَمر، بل هو عدوٌّ لهم.

(٨) بالياءِ: قِراءَةُ السَّبعةِ عدا حفصٍ وابن كثيرٍ.

(٩) في نُسخَة حاشيةِ الجملِ: (اعتراضٌ).

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا
﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى
سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ
كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ
عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟
يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ
يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ
عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ
فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾: استفهامُ توبيخٍ؛ أي: لا مانعَ لكم مِنَ القِتالِ ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ﴾ في تخليصِ ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الذينَ حبَسَهم الكُفَّارُ عَنِ الهجرةِ وآذَوْهم -قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كنتُ أنا وأُمِّي منهم[1]- ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعِينَ: يا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: مَكَّةَ ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بِالكُفرِ ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾: مِنْ عِندِكَ ﴿وَلِيًّا﴾: يتولَّى أمورَنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾: يَمنعُنا منهم؟ وقَد استجابَ اللهُ دُعاءَهم؛ فيَسَّرَ لِبعضِهم الخُروجَ، وبَقِيَ بعضُهم إِلى أنْ فُتِحَتْ مَكَّةُ، ووَلَّى [عليهم][2] ﷺ عتَّابَ بنَ أَسِيدٍ[3]؛ فأنصَفَ مَظلُومَهم مِنْ ظَالِمِهم.

[٧٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾: الشَّيطانِ ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ﴾: أنصارَ دِينِه؛ تَغلِبُوهم؛ لِقُوَّتِكم باللهِ ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بِالمُؤمنينَ ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾: وَاهِيًا؛ لا يُقَاوِمُ كَيْدَ اللهِ بِالكافرينَ.

[٧٧] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ عَنْ قِتالِ الكُفَّارِ، لَمَّا طلبُوه بِمَكَّةَ؛ لِأَذى الكُفَّارِ لهم- وهم: جماعةٌ مِنَ الصَّحابةِ[4]- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾: يخافُونَ ﴿ٱلنَّاسَ﴾: الكُفَّارَ؛ أي: عَذابَهم بِالقتلِ ﴿كَخَشْيَةِ﴾ ـهِمْ عَذَابَ ﴿ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ مِنْ خشيتِهم له؟ ونُصِبَ ﴿أَشَدَّ﴾ على الحَالِ، وجَوابُ «لَمَّا» دَلَّ عليه ﴿إِذَا﴾ وما بعدَها؛ أي: فاجأَهم الخَشيةُ ﴿وَقَالُوا۟﴾ جَزَعًا مِنَ الموتِ: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾: ما يُتَمَتَّعُ به فيها، أو الاستمتاعُ بها ﴿قَلِيلٌ﴾ آيِلٌ إلى الفَناءِ ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ أي: الجنَّةُ ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ عِقابَ اللهِ؛ بتَرْكِ معصيتِه ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ -بِالتَّاءِ واليَاءِ[5]-: تُنْقَصُونَ مِنْ أعمالِكم ﴿فَتِيلًا﴾: قَدْرَ قِشرةِ النَّواةِ[6]؛ فجَاهِدُوا[*].

[٧٨] ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ﴾: حُصُونٍ ﴿مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾: مُرْتَفِعةٍ؛ فلا تَخشَوا القتالَ خَوْفَ الموتِ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ أي: اليهودَ ﴿حَسَنَةٌ﴾: خِصْبٌ وسَعَةٌ ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جَدْبٌ وبَلاءٌ؛ كما حصَلَ لهم عندَ قُدومِ النَّبِيِّ ﷺ المدينةَ ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ﴾ يا مُحَمَّد؛ أي: بشُؤمِكَ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ مِنَ الحسنةِ والسيِّئةِ ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾: مِنْ قِبَلِهِ ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يُقارِبُونَ أَنْ يَفهمُوا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلْقَى إِليهم؟ و«مَا»: استفهامُ تَعجيبٍ[7] مِنْ فَرطِ جَهلِهم، ونَفْيُ مُقارَبةِ الفِعلِ أَشدُّ مِنْ نَفْيِه.

[٧٩] ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ - أيُّها الإنسانُ- ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾: خَيرٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ أتتكَ فَضْلًا منه ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: بَلِيَّةٍ ﴿فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ أتتكَ؛ حيثُ ارتكبتَ ما يستوجبُها مِنَ الذُّنوبِ ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ -يا مُحَمَّد- ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ﴾: حَالٌ مُؤَكِّدةٌ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رِسالتِكَ!

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٧٧): أخرجَ النَّسَائِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذِلَّةً، فَقَالَ: «إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تُقَاتِلُوا» فَلَمَّا حَوَّلَنَا الله إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَرَنَا بِالْقِتَالِ، فَكَفُّوا، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. أخرجه النَّسَائِيُّ - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد. وصَحَّحَه الأَلبَانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٢٨٩١).

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٥٨٧، ٤٥٨٨، ٤٥٩٧).

(٢) كلمةُ: (عليهم) لَيستْ في الأَصلِ، وأثبتناها مِن نُسخَةِ قَباوَة.

(٣) استخلافُ الرسولِ ﷺ لِعتَّابِ بنِ أَسِيدٍ على مكَّةَ مذكورٌ في المغازي لِلواقديِّ وفي سيرة ابن هشام. وحَسَّنَه الأَلبَانيُّ في فقه السيرة (ص٤٠٠)، «وجعلَ عتَّابَ بنَ أَسِيدٍ أميرًا على مكَّةَ».

(٤) يُنظرُ مَا جَاءَ في نُزولِ الآيَةِ (٧٧) من هذه السُّورة.

(٥) بالياءِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وابن كثير.

(٦) تقدَّمَ قريبًا عند الآية (٤٩)، أنَّ الفتيلَ هو الذي في شَقِّ النَّواةِ طُولًا، وليس هو قِشرَ النَّواةِ.

(٧) سبَقَ التنبيهُ على طريقةِ المُصنِّفِ في نَفيِ صِفةِ العَجَبِ عن الله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك في سورة آل عمران: آية (١٠١).

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ
بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ
لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ
أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ
مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾
فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا
وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟
بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

[٨٠] ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ عن طاعتِه[١] فلا يُهِمَّنَّكَ ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: حافِظًا لأعمالِهم، بَلْ نذيرًا، وإلينا أمرُهم؛ فنُجازِيهم. وهذا قبلَ الأمرِ بالقِتالِ.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المُنافقونَ -إذا جاءوكَ-: أمرُنا ﴿طَاعَةٌ﴾ لَكَ ﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟﴾: خَرجُوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ - بإدغامِ التَّاءِ في الطَّاءِ، وتَرْكِه[٢]- أي: أضْمَرَتْ ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ لكَ في حُضورِكَ مِنَ الطاعةِ؛ أي: عِصيانَكَ ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ﴾: يأمُرُ بكَتْبِ[٣] ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ في صَحائفِهم؛ ليُجازَوا عليه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصَّفحِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثِقْ به؛ فإنَّه كافيكَ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: مُفوَّضًا إليه!

[٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾: يتأمَّلونَ ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ وما فيه مِنَ المعاني البَديعةِ؟ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾: تناقُضًا في مَعانيه وتبايُنًا في نَظْمِه.

[٨٣] ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عَن سَرايا النَّبيِّ ﷺ بما[٤] حَصلَ لهم ﴿مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ بالنَّصرِ ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ بالهزيمةِ ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾: أفْشَوْهُ. نزلَ في جماعةٍ مِنَ المُنافقينَ، أو في ضُعفاءِ المُؤمنينَ كانوا يفعلونَ ذلكَ، فتَضعُفُ قلوبُ المُؤمنينَ ويتأذَّى النَّبيُّ ﷺ[٥] ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي: الخبرَ ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي: ذوي الرأيِ مِنْ أكابرِ الصَّحابةِ؛ أي: لو سَكَتُوا عنه حتَّى يُخبَرُوا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾: هَل هو ممَّا ينبغي أنْ يُذاعَ، أو لا؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: يتَّبِعُونَه ويَطلبونَ عِلْمَه؛ وهم: المُذيعونَ ﴿مِنْهُمْ﴾: مِنَ الرَّسولِ وأُولي الأمرِ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلامِ ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لَكم؛ بالقُرآنِ ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ فيما يأمُرُكم به مِنَ الفَواحشِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾[*].

[٨٤] ﴿فَقَٰتِلْ﴾ - يا مُحمَّدُ- ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فلا تهتمَّ بتخلُّفِهم عنكَ. المعنَى: قَاتِلْ -ولو وَحدَكَ- فإنَّكَ موعودٌ بالنَّصرِ ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: حُثَّهُمْ على القِتالِ، ورَغِّبْهُمْ فيه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ﴾: حربَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: تعذيبًا منهم. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَأَخْرُجَنَّ وَلَوْ وَحْدِي»[٦] فخرجَ بِسبعينَ[٧] راكبًا إلى بَدْرِ الصُّغرَى، فكَفَّ الله بأسَ الكُفَّارِ؛ بإلقاءِ الرُّعبِ في قُلوبِهم، ومَنْعِ أبي سُفيانَ[٨] عنِ الخُروجِ -كما تقدَّمَ في «آلِ عِمرانَ»-[٩].

[٨٥] ﴿مَّن يَشْفَعْ﴾ بَينَ النَّاسِ ﴿شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾: مُوافِقَةً للشَّرْعِ ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ﴾ مِنَ الأجرِ ﴿مِّنْهَا﴾: بِسببِها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾: مُخالِفَةً له ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ﴾: نَصيبٌ مِنَ الوِزْرِ ﴿مِّنْهَا﴾: بِسببِها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾: مُقتَدِرًا؛ فيُجازي كُلَّ أحدٍ بما عمِلَ.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ كأنْ قيلَ لكم: سَلامٌ عليكُم ﴿فَحَيُّوا۟﴾ المُحَيِّيَ ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ بأنْ تقولُوا له: عليكَ السَّلامُ ورحمةُ الله وبَركاتُه ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ بأنْ تقولُوا له كما قالَ؛ أي: الواجِبُ أحدُهما، والأوَّلُ أفضلُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾: مُحاسِبًا؛ فيُجازي عليه، ومنه رَدُّ السَّلامِ. وخَصَّتِ السُّنَّةُ الكافِرَ والمبتدعَ والفاسِقَ[١٠]، والمُسَلِّمَ على قاضِي الحاجةِ[١١]، ومَنْ في الحَمَّامِ[١٢]، والآكِلَ؛ فلا يجِبُ الرَّدُّ عليهم؛ بَلْ يُكرَهُ في غيرِ الأخيرِ. ويُقالُ لِلكافرِ: «وعَليكَ»[١٣].

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٨٣): أخرجَ مُسلِمٌ عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، قالَ: لَمَّا اعتزَلَ نبيُّ اللهِ ﷺ نِساءَهُ، قالَ: دَخلْتُ المسْجِدَ، فإذَا النَّاسُ يَنكُتُونَ بالحَصَى، ويَقولُونَ: طَلَّقَ رسُولُ اللهِ ﷺ نِساءَهُ، وذَلِكَ قَبْلَ أنْ يُؤمَرْنَ بالحِجابِ، فقالَ عُمَرُ، فقُلْتُ: لأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ اليَوْمَ... ثمَّ ساقَ الحديثَ إلى أنْ قالَ: فنَادَيتُ بأعْلَى صَوتِي، لَمْ يُطلِّقْ رسُولُ اللهِ ﷺ نِساءَهُ، ونَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ فكُنْتُ أنا استَنْبَطْتُ ذَلِكَ الأمْرَ، وأنزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ آيَةَ التَّخْيِيرِ. أخرجه مسلم - كِتَابُ الطَّلَاقِ (١٨) باب (٥) بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ...

---

(١) في نسخة حاشيةِ الجملِ: (أي عن طاعته). (٢) بالإدغامِ لحمزةَ وأبي عَمرٍو. (٣) وصفةُ الكتابةِ ثابتةٌ لله -سُبحانَهُ- على الوجهِ اللائقِ به، كما هو ظاهرُ هذه الآيةِ، والتي قَبلَها، وغيرِ ذلكَ مِنَ الآياتِ. وقد تقدَّمَ في تفسيرِ «آلِ عمرانَ»: الآية (١٨١). (٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ممَّا). (٥) أخرجَ نحوَه ابنُ جرير (٩٩٩٤) عَنِ ابنِ زيدٍ. (٦) ذكرَه البغويُّ عَنْ مُجاهِدٍ وعكرمةَ (٢/ ١٣٧)، ورواه البيهقيُّ في دلائلِ النُّبوةِ. وأخرجَه ابنُ سعد في الطبقات (٢/ ٥٩) من طريق ابن إسحاقَ ومُوسَى بن عقبةَ وغيرِهما. وأخرجَه الواقديُّ في المغازي (١/ ٣٨٧).

(٧) قال الواقديُّ وغيرُه من أهلِ السِّيَرِ: الصحيحُ أنه خرجَ في ألفٍ وخَمسِمائةٍ في السنةِ الرابعةِ للهجرةِ. (٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ومَنَعَ أبا سفيان). (٩) عند تفسير الآية (١٥١).

(١٠) ومن ذلكَ ما رَواهُ البُخاريُّ في الأدبِ المُفرَدِ (١٠٢٠)، بَابُ مَنْ تَرَكَ السَّلامَ عَلَى المتخلِّقِ وأصحابِ المَعاصِي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أبِي طَالِبٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ رَجُلٌ مُتَخَلِّقٌ بِخَلُوقٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَأَعْرَضَ عَنِ الرَّجُلِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعْرَضْتَ عَنِّي؟ قَالَ: «بَيْنَ عَيْنَيْهِ جَمْرَةٌ». وحَسَّنَه الألبانيُّ في صحيحِ الأدبِ المُفردِ (٧٨٢). و «الخَلوق»: طِيبٌ مَعْرُوفٌ، وإنَّما نَهَى عَنْهُ لِأنَّهُ مِنْ طِيبِ النِّساءِ. يُنظرُ النهاية لابنِ الأثير (٢/ ٧١). (١١) كما عِندَ مُسْلِمٍ في صَحيحِه (١١٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ رَجُلًا مَرَّ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَبُولُ، فَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ».

(١٢) قال البُخاريُّ في ترجمتِه: بَابُ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بَعْدَ الحَدَثِ وَغَيْرِهِ:... وَقَالَ حَمَّادٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ: «إِنْ كَانَ عَلَيْهِمْ إِزَارٌ فَسَلِّمْ، وَإِلَّا فَلَا تُسَلِّمْ». وثبتَ في الصَّحيحَيْنِ؛ البُخاريِّ (٣١٧١)، ومسلمٍ (٣٣٦) أَنَّ أُمَّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ، قالتْ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ فقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ»... الحديث.

(١٣) كما في الصَّحيحَيْنِ؛ البُخاريِّ (٦٢٥٨)، ومسلمٍ (٢١٦٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ».

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ
الحزب ١٠ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ
كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ
يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ
صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ
مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ
إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

[٨٧] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ واللهِ[1] ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ مِن قُبورِكم ﴿إِلَىٰ﴾: في ﴿يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِۗ وَمَنۡ﴾ أي: لا أَحَدَ ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾: قَوْلًا؟

[٨٨] ولَمَّا رَجعَ ناسٌ مِنْ أُحُدٍ اختلفَ النَّاسُ فيهم؛ فقالَ فريقٌ: اقتلْهم. وقالَ فريقٌ: لا. فنزلَ: ﴿۞ فَمَا لَكُمۡ﴾: ما شأنُكم صِرتُم ﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾: فِرقتَينِ؟ ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم﴾: رَدَّهُمْ ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ مِنَ الكُفرِ والمعَاصِي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ﴾ـهُ[2] ﴿ٱللَّهُۖ﴾ أي: تَعُدُّوهُمْ مِنْ جُملةِ المُهتدِينَ؟ والاستفهامُ في الموضِعَينِ للإنكارِ ﴿وَمَن يُضۡلِلِ﴾ـهُ[3] ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾: طريقًا إلى الهُدى[*].

[٨٩] ﴿وَدُّواْ﴾: تَمَنَّوْا ﴿لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهُم ﴿سَوَآءٗۖ﴾ في الكُفرِ ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ تُوالُونَهم -وإنْ أظهَروا الإيمانَ- ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ هِجرةً صَحيحةً تُحقِّقُ إيمانَهم ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وأقامُوا على ما هم عليه ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ بِالأَسْرِ ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا﴾ تُوالُونَه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: تنتصِرونَ به على عَدوِّكم.

[٩٠] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: يَلجأونَ ﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عَهدٌ بِالأمانِ لهم ولِمَنْ وَصلَ إليهم؛ كَما عاهدَ النَّبيُّ ﷺ هِلالَ بنَ عُويمِرٍ الأسلميَّ[4] ﴿أَوۡ﴾ الذينَ ﴿جَآءُوكُمۡ﴾ وقَدْ ﴿حَصِرَتۡ﴾: ضَاقَتْ ﴿صُدُورُهُمۡ﴾ عَنْ ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ مَع قومِهم ﴿أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ﴾ معكم؛ أَي: مُمْسِكِينَ عَن قِتالِكم وقتالِهم؛ فلا تتعرَّضُوا إليهم بِأَخْذٍ ولا قَتْلٍ -وهذا وما بعدَه منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ- ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تَسلِيطَهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ بِأَنْ يُقوِّيَ قُلوبَهم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ﴾ ولكنَّه لَم يَشأْهُ؛ فألَقى في قُلوبِهم الرُّعبَ ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الصُّلحَ؛ أَي: انقادُوا ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾: طريقًا بِالأَخْذِ والقَتْلِ.

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ﴾ بِإظهارِ الإيمانِ عندَكم ﴿وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ بِالكُفرِ إذا رَجعُوا إليهم؛ وهم: أَسدٌ وغَطَفانُ ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ﴾: دُعوا إلى الشِّركِ ﴿أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ﴾: وقعُوا أشدَّ وقوعٍ ﴿فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ﴾ بِتَرْكِ قِتالِكم ﴿وَ﴾ لم ﴿يُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ عنكم ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ بِالأَسرِ ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ﴾: وَجدتُموهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾: بُرهانًا بيِّنًا ظاهرًا، على قَتْلِهم وسَبْيِهم؛ لِغَدْرِهم.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٨٨): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَن زَيدِ بنِ ثَابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: لَمَّا خَرجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ رَجعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: نَقْتُلُهُمْ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: لَا نَقْتُلُهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾. وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا تَنْفِي الرِّجَالَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ». البُخَارِيُّ - كتاب فضائل المدينة (٢٩) باب (١٠) المدينة تنفي الخبث.

---

(١) أشارَ بذلك إلى أنَّ اللامَ في قوله: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ مُوطِّئةٌ لقَسَمٍ محذوف.

(٢) ضميرُ (ـهُ) ليسَ في نُسخةِ قَباوَة.

(٣) ضمير (ـهُ) ليسَ في نُسخةِ قَباوَة.

(٤) رَوَى ابنُ أبي حاتِمٍ مِنْ طريقِ مجاهِدٍ أنَّها نزلت في هلالِ بن عويمر الأسلميِّ، وكان بينه وبين المسلمينَ عهدٌ، وقصدَه ناسٌ من قومِه فكَرِهَ أن يُقاتِلَ المسلمينَ وكَرِهَ أنْ يُقاتِلَ قومَه. فتح الباري (٨/ ١٠٤).

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ
لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا
فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)

[٩٢] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي: ما ينبغي أنْ يَصدُرَ منه قتلٌ له ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾: مُخطئًا، في قتلِه مِنْ غيرِ قصدٍ ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بِأَنْ قَصَدَ رَميَ غيرِه؛ كَصيدٍ أو شجرةٍ، فأصابَه أو ضربَه بِما لا يَقتلُ غالبًا[١] ﴿فَتَحْرِيرُ﴾: عِتْقُ ﴿رَقَبَةٍ﴾: نَسمةٍ ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾: مُؤدَّاةٌ ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي: وَرثةِ المقتولِ ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾: يَتصدَّقُوا عليه بها؛ بِأَنْ يَعفُوا عنها. وبيَّنتِ السُّنَّةُ أنَّها مِائةٌ مِنَ الإبلِ: عِشرونَ[٢] بِنتُ مَخاضٍ، وكذا بَناتُ لَبونٍ وبنو لَبونٍ، وحِقاقٌ وجِذاعٌ، وأنَّها على عَاقِلةِ القَاتلِ[٣]- وهُم عَصَبتُه- إلَّا الأَصلَ والفَرعَ، مُوزَّعةً عليهم على ثَلاثِ سِنينَ؛ على الغَنيِ منهم نِصفُ دِينارٍ، والمتوسِّطِ رُبعٌ، كُلَّ سَنةٍ[٤]؛ فإنْ لم يَفُوا فَمِنْ بيتِ المالِ؛ فإنْ تعذَّرَ فعلى الجاني ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتولُ ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾: حَربٍ ﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتِلِه كفَّارةً، ولا دِيَةَ تُسلَّمُ إلى أهلِه؛ لِحرابَتِهم ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتولُ ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عَهدٌ؛ كأَهلِ الذِّمَّةِ ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ - وهي ثُلُثُ دِيَةِ المُؤمنِ؛ إنْ كانَ يهوديًّا أو نصرانيًّا[٥]، وثُلثا عُشرِها؛ إنْ كانَ مجوسيًّا[٦]- ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتلِه ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرَّقبةَ؛ بِأَنْ فقدَها وما يُحصِّلُها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفَّارةً- ولَم يَذكُرِ اللهُ- تَعالَى- الانتقالَ إلى الطَّعامِ كَالظِّهارِ، وبه أخذَ الشافعيُّ، في أَصحِّ قولَيه[٧]- ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مَصدرٌ، منصوبٌ بفعْلِه المُقدَّرِ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلقِه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرهُ لهم.

[٩٣] ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بِأَنْ يَقصِدَ قتلَه بِما يَقتلُ غَالبًا، عالمًا بإيمانِه ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾: أَبعدَهُ مِنْ رحمتِه ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النَّارِ. وهذا مُؤوَّلٌ بِمَنْ يَستحِلُّه، أو بِأَنَّ هذا جزاؤه إنْ جُوزِيَ، ولا بِدْعَ في خُلْفِ الوعيدِ؛ لِقولِه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٨]. وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أنَّها على ظاهِرِها، وأنَّها ناسخةٌ لِغيرِها مِنْ آياتِ المغفرةِ. وَبيَّنَتْ آيةُ «البقرةِ»: أنَّ قاتلَ العَمْدِ يُقتَلُ به، وأنَّ عليه الدِيَةَ إنْ عُفِيَ عنه -وسَبقَ قَدرُها-، وَبيَّنَتِ السُّنَّةُ أنَّ بينَ العَمْدِ والخَطإِ قَتْلًا يُسمَّى شِبهَ العَمْدِ[٩]؛ وهو: أن يَقتلَه بِما لا يقتلُ غَالبًا؛ فلا قِصَاصَ فيه، بَل دِيَةٌ كَالعمدِ في الصِّفةِ[١٠]، والخَطإِ في التأجيلِ والحمْلِ[١١]. وهو والعَمْدُ أَولى بِالكفَّارةِ مِنَ الخطإِ[١٢].

[٩٤] ونَزلَ -لَمَّا مَرَّ نَفرٌ مِنَ الصحابةِ بِرَجُلٍ مِنْ بني سُلَيمٍ وهو يَسوقُ غنمًا، فسلَّم عليهم، فقَالوا: ما سلَّم علينا إِلَّا تَقيَّةً. فقتَلوه واستَاقُوا غنمَه[١٣]-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾: سَافرتُم لِلجهادِ ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ - وفي قِراءَةٍ: [﴿فَتَثَبَّتُوا۟﴾][١٤] بِالمثلَّثةِ في الموضِعَينِ[١٥]- ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ -بِأَلِفٍ و دُونِها[١٦]- أي: التحيَّةَ، أَوِ الانقيادَ بِكلمةِ الشهادةِ، التي هي أَمارةٌ على الإِسلامِ[١٧]: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنَّما قُلتَ هذا تَقيَّةً لِنفسِكَ ومَالِكَ. فتقتلُوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾: تَطلبُونَ بذلكَ ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: مَتاعَها مِنَ الغَنيمةِ ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تُغنيكم عَنْ قَتْلِ مِثلِه لِمالِه ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ تُعْصَمُ دِماؤكُم وأموالُكم بِمُجرَّدِ قَولِكم الشَّهادةَ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بِالاشتهارِ بالإيمانِ والاستقامةِ ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ أن تقتلُوا مُؤمنًا، وافعلُوا بِالدَّاخلِ في الإسلامِ كَما فُعِلَ بكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجازِيكم به[*].

---

[*] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٩٤):** أَخرجَ البُخاريُّ ومسلمٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ المُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تِلْكَ الغُنَيْمَةُ. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٧)، ومسلمٌ - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٣٠٢٥).

---

(١) وهذا الأخيرُ هو قتل شِبهِ العَمدِ، والذي يقولُ به جمهورُ الفقهاءِ، والمشهورُ عن مالكٍ نَفيُه إلَّا في الابنِ مع أبيه، والصحيحُ قولُ الجمهورِ باعتباره. قالَ الشافعيُّ: شِبهُ العَمْدِ ما كان عَمْدًا في الضرب خطأً في القتلِ، والخطأُ ما كانَ خطأً فيهما جميعًا، والعَمْدُ ما كان عَمدًا فيهما جميعًا. بداية المجتهد (٢/ ٣٩٧). (٢) أخرجَه أحمد (٤٠٧٦)، وأبو داود (٣٩٣٩)، والترمذيُّ (١٣٠٧)، والنَّسائيُّ (٤٧٢٠) عنِ ابنِ مسعودٍ، وضعَّفه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٤٠١٢)، السلسلة الضعيفة (٤٠٢٠، ٢٦٢١)، لكن حسَّنَ الألبانيُّ أحاديثَ أُخَرَ وردَ فيها تفصيلُ المِائةِ: ثلاثونَ بنت مخاض، وثلاثونَ بنت لَبون، وثلاثونَ حِقَّة، وعَشرةٌ بني لَبونٍ. صحيح الجامع (٦٤٤٣)، وكذلك حسَّنَ الألبانيُّ أحاديثَ فيها ذِكرُ المِائةِ بدونِ تفصيلٍ في الإرواء (٢٢٠٤) و«بنتُ المَخاضِ»: هي أُنثى الإِبلِ التي أتمَّت السنةَ الأُولى. و«اللبون»: التي أتمَّتِ الثانيةَ. و«الحِقَّة»: التي أتمَّتِ الثالثةَ. و«الجَذَعَة»: التي أتمَّتِ الرابعةَ. (٣) أخرجَهُ البُخاريُّ (٦٧٧٣)، ومسلمٌ (١٦٨٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ. (٤) ذكره البيهقيُّ عن عُمرَ وعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ورواه ابنُ أبي شيبةَ من طريق إبراهيمَ النخعيِّ عن عُمرَ، وكذا رَواهُ عبدُ الرزَّاقِ من طريقِه عن عُمرَ [كما في تحفة الأحوذيِّ، شرح الحديث رقم (١٣٠٧)]، وضعَّفه الألبانيُّ في الإرواء (٢٣٠٨). (٥) لم أجده في السنَّةِ صريحًا. (٦) هذا مذهبُ الشافعيِّ، وأمَّا عندَ مالكٍ فهو على النِّصفِ مِنَ الحُرِّ المسلمِ؛ كأُنثى الحُرِّ المسلمِ. وكذلك قول أحمد إلَّا أنَّه ضعَّف الدِيَةَ على المسلم إذا قَتلَ ذِميًّا أو مُستأمنًا عَمْدًا، وأمَّا عند الحنفيَّةِ فدِيتُه كدِيَةِ المسلم. والراجحُ قولُ الإمامِ مالكٍ للحديثِ الواردِ في ذلك.
(٧) وهذا باتفاقٍ بين مالكٍ والشافعيِّ، وأُنثاهُ على النِّصفِ منه. (٨) سُورة النساء: آية ٤٨. (٩) أخرجَه النَّسائيُّ (٤٧٠٩)، وأبو داود (٣٩٤١)، وابنُ ماجه (٢٦١٧)، وأحمد (٦٧٩١)، عن عبد الله بن عمرو بن العاصِ مرفوعًا، وصَحَّحَه الألبانيُّ في الإرواء (٢١٩٧). (١٠) أي: كونها مِنْ ثلاثةِ أنواعٍ. (١١) أي: كون العَاقِلَةِ تحملها. (١٢) وهذا واضح في شبه العَمْدِ؛ لأنه يَجري مجرى الخطأ في نفيِ القصاص، وحَمْلِ العاقلة الدِيَةَ، وتأجيلِها في ثلاث سنين، فجرى مجراه في وجوب الكفَّارةِ، وهذا مذهبُ الحنفيَّةِ والشافعيَّةِ والحنابلةِ. أمَّا في العَمْدِ فالأقربُ عَدمُ وجوبِ الكفَّارةِ، كما هو ظاهرُ هذه الآياتِ، وهو قولُ الإمامِ مالكٍ والحنفيَّةِ والمشهورُ من مذهبِ الحنابلةِ، وأوجبَها الشافعيُّ بِأنَّ حاجتَه إلى تكفيرِ ذنبه أعظمُ. (١٣) رَواهُ البُخاريُّ (٤٥٩١)، ومسلمٌ (٣٠٢٥) وغيرهما. (١٤) لِحَمْزَةَ والكِسائيِّ. وسَقطتْ هذه القراءةُ من النُّسخِ والأُصولِ، وهي مُثبتةٌ من نُسخةِ قَباوَةَ. (١٥) أي: هنا، وقوله في آخرِ الآيةِ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، ويحتملُ أنَّه يقصدُ ما هنا بشقَّيه، وآيةَ الحُجراتِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، وهما كذلك. (١٦) بِدونِها: قِراءةُ نافعٍ وحمزةَ وابنِ عامرٍ. (١٧) في نُسخَةِ قَباوَةَ: (إِسلامِه).

لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ
قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن
يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن
يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ
وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي
ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

ربع الحزب ١٠

[٩٥] ﴿لَا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عَنِ الجهادِ ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ - بِالرَّفع صِفةً، والنَّصبِ(١) استثناءً- مِنْ زَمَانَةٍ أو عَمًى أو نحوِه ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لِضَرَرٍ ﴿دَرَجَةًۚ﴾: فَضيلةً لاستوائِهما في النيَّةِ وزِيادةِ المُجاهدينَ بِالمباشرةِ ﴿وَكُلًّا﴾ مِنَ الفَريقَينِ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾: الجنَّةَ ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لِغيرِ ضَرَرٍ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويُبدَلُ منه(٢)[*]:

[٩٦] ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾: منازلَ بعضها فوقَ بعضٍ مِنَ الكرامةِ ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ﴾: منصوبانِ بِفعلِهما المُقدَّرِ(٣) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائِه ﴿رَّحِيمًا﴾ بِأَهلِ طاعتِه.

[٩٧] ونَزَلَ في جماعةٍ أسلمُوا ولَم يُهاجِرُوا فَقُتِلُوا يوم بَدْرٍ مَعَ الكُفَّارِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بِالمُقامِ مَعَ الكُفَّارِ وتَرْكِ الهِجرةِ ﴿قَالُواْ﴾ لهم مُوبِّخينَ: ﴿فِيمَ كُنتُمْۖ﴾ أي: في أي شيءٍ كنتُم في أمْرِ دِينِكم؟ ﴿قَالُواْ﴾ مُعتَذِرينَ: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: عاجزينَ عن إقامةِ الدِّينِ ﴿فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾: أَرضِ مَكَّةَ ﴿قَالُوٓاْ﴾ لهم توبيخًا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ مِنْ أرضِ الكُفرِ إلى بلدٍ آخَرَ، كما فعلَ غيرُكم؟ قالَ الله تَعالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ هِي[**]!

[٩٨] ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الَّذينَ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: لا قُوَّةَ لهم على الهِجرةِ ولا نَفقةَ ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾: طريقًا إلى أرضِ الهِجرةِ.

[٩٩] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

[١٠٠] ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾: مُهاجَرًا ﴿كَثِيرًا وَسَعَةًۚ﴾ في الرِّزقِ ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ في الطريقِ؛ كما وَقَعَ لِجُنْدُعِ بنِ ضَمْرَةَ الليثيِّ(٤) ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾: ثَبَتَ ﴿أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتُم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بِأنْ تَردُّوها مِنْ أربعٍ إلى اثنتَينِ ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: ينالَكم بِمكرُوهٍ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾: بَيانٌ لِلواقعِ إِذْ ذاكَ(٥)؛ فلا مفهومَ له. وبيَّنَتِ السُّنَّةُ أنَّ المُرادَ بِالسَّفرِ: الطويلُ؛ وهو أربعةُ بُرُدٍ(٦)؛ وهي مَرحلتانِ(٧). ويُؤخذُ من قولِه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنَّه رُخصةٌ لا واجبٌ. وعليه الشافعيُّ(٨) ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: بَيِّنَ العَداوةِ.

= وفي روايةٍ لأحمدَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ (١/ ٢٢٩): «مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَسُوقُ غَنَمًا لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: مَا سَلَّمَ عَلَيْنَا إِلَّا لِيَتَعَوَّذَ مِنَّا، فَعَمَدُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، وَأَتَوْا بِغَنَمِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:...».

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٩٥): أخرجَ البُخاريُّ عَنِ ابنِ شِهابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ، أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ فِي المَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ: ﴿لَا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، واللهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ أَعْمَى، «فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٨).

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٩٧): أخرجَ البُخاريُّ عن مُحَمَّد بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ المَدِينَةِ بَعْثٌ، فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَنَهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ المُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ المُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ -أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ»- فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٩).

---

(١) بالنَّصبِ: قِرَاءَةُ نافع والكِسائيِّ وابن عامر.

(٢) أي: يُبدَلُ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ بدلًا مِن ﴿أَجْرًا﴾ وهو بدلُ كُلٍّ مِن كُلٍّ مُبيِّنٌ لكميَّةِ التفضيل.

(٣) أي: غفرَ لهم مغفرةً، ورحمهم رحمةً.

(٤) ذكره الطبريُّ مُرسلًا عَنْ قَتادَةَ في جامع البيان (٥/ ١٥١)، وكان شيخًا مريضًا كبيرًا، فلمَّا سمع الآيةَ قالَ: والله ما أنا ممَّن استثنى الله؛ فإنِّي لأجدُ حِيلةً، ولي مِن المالِ ما يبلغُني وأبعد منها، والله لا أبيتنَّ بمكَّةَ، أخرجوني. فخرجُوا به على سريرٍ حتى أتوا به التَّنعيمَ فأدركَه الموتُ... وأخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ في تفسيرِه (٣/ ١٠٥٠)، وأبو نُعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٩٥٣، ٩٥٤) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عنِ الزبيرِ بنِ العوَّام قال: هاجرَ خالدُ بنُ حِزام إلى أرضِ الحبشةِ؛ فنهشته حيَّةٌ في الطريقِ؛ فماتَ، فنزلَتْ فيه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ...﴾ الآيةَ.

(٥) أي: قولُه: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية، إلخ.

(٦) يُشيرُ إلى ما أخرجَه الدارقطنيُّ (١٤٤٧)، والبيهقيُّ في الكبرى (٥٤٧٠) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَهْلَ مَكَّةَ لَا تَقْصُرُوا الصَّلَاةَ فِي أَدْنَى مِنْ أَرْبَعَةِ بُرُدٍ؛ مِنْ مَكَّةَ إِلَى عُسْفَانَ»، وَهَذا حَدِيثٌ ضَعيفٌ، والصحيحُ أنَّ ذَلِكَ مِن قَولِ ابنِ عبَّاسٍ، كما قال البيهقيُّ (٦/ ١٣٤-١٣٥)، وكما في الإرواءِ (٥٦٥)، (٥٦٨). والبَريدُ: أربعةُ فراسِخ، وهو: اثنا عشر مِيلًا.

(٧) أي سيرُ يومَينِ مُعتدلَينِ على الأقدام، أو على الدَّوابِّ سَيرًا خَفيفًا. والمرحلةُ: بَريدانِ.

(٨) وعليه أيضًا جمهورُ أهلِ العِلمِ خِلافًا لِلحنفيَّةِ القائلينَ بِوُجوبه على المسافرِ.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ
وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِي
ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ - يا محمَّد- حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافونَ العدوَّ ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ - وهذا جَرْيٌ على عادةِ القرآنِ في الخِطابِ(١)، فلا مَفهومَ له- ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتَتأخَّرْ طائفةٌ ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ﴾ أي: الطائفةُ التي قامَتْ معكَ ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ أي: صَلُّوا ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ أي: الطائفةُ الأُخرى ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يَحرُسُونَ إلى أنْ تَقضُوا الصَّلاةَ، وتَذهبَ هذه الطائفةُ تَحرُسُ ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أنْ تقضُوا الصلاةَ. وقدْ فعلَ النَّبيُّ ﷺ كذلكَ بِبَطنِ نَخْلٍ. رواهُ الشيخانِ(٢) ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قُمتم إلى الصَّلاةِ ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ بِأَنْ يَحمِلُوا عليكم؛ فيأخذُوكم. وهذا عِلَّةُ الأمرِ بأَخذِ السِّلاحِ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تَحمِلُوها- وهذا يُفيدُ إيجابَ حَمْلِها عند عدمِ العُذرِ، وهو أحدُ قَولَينِ لِلشافعيِّ(٣)، والثاني: أنَّه سُنَّةٌ، ورُجِّحَ(٤)- ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ مِنَ العَدوِّ؛ أي: احترِزُوا منه ما استطعتُم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذا إهانةٍ[*].

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فَرَغتُم منها ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بِالتَّهليلِ والتَّسبيحِ ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: مُضطجِعينَ؛ أي: في كُلِّ حالٍ ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾: أَمِنتُم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أدُّوها بِحقوقِها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾ مَكتوبًا؛ أي: مَفروضًا ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي: مُقدَّرًا وَقتُها؛ فلا تُؤخَّرُ عنه.

[١٠٤] ونَزَلَ -لَمَّا بعثَ ﷺ طائفةً(٥) في طلبِ أبي سُفيانَ وأصحابِه، لَمَّا رَجَعُوا مِنْ أُحُدٍ فشَكَوا الجِراحاتِ(٦)-: ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: تَضعُفوا ﴿فِي ٱبْتِغَآءِ﴾: طَلَبِ ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ الكُفَّارِ لِتقاتِلُوهم ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾: تجدونَ أَلَمَ الجِراحِ ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: مِثلَكم، ولا [يَجبُنونَ](٧) على قِتالِكم؛ [فلا تَجبُنُوا عَنْ قِتالِهم](٨) ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ النَّصرِ والثَّوابِ عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هُم، فأنتم تَزيدونَ عليهم بِذلك؛ فينبغي أنْ تكونُوا أرغبَ منهم فيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِكُلِّ شيءٍ ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعِه.

[١٠٥] وسَرَقَ طُعْمَةُ بنُ أُبَيْرِقَ دِرْعًا وَخَبَّأَها عندَ يَهوديٍّ، فوُجِدَت عندَه، فرَمَاه طُعمَةُ بها، وحَلَفَ أنَّه ما سَرَقَها، فسألَ قومُهُ النَّبيَّ ﷺ أنْ يُجادِلَ عنه ويُبرِّئَه؛ فنزلَ(٩): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: مُتعلِّقٌ بـ«أنزلَ» ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ﴾: أعلَمَكَ(١٠) ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ كَطُعمَةَ ﴿خَصِيمًا﴾: مُخاصِمًا عنهم.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٠٢): عَنْ مُجاهِدٍ، عَنْ أَبِي عَيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعُسْفَانَ فَاسْتَقْبَلَنَا المُشْرِكُونَ عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ وَهُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القِبْلَةِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ، فَقَالُوا: قَدْ كَانُوا عَلَى حَالٍ لَوْ أَصَبْنَا غِرَّتَهُمْ، ثُمَّ قَالُوا: تَأْتِي عَلَيْهِمُ الآنَ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، قَالَ: فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الآيَاتِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. قَالَ: فَحَضَرَتْ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذُوا السِّلَاحَ، قَالَ: فَصَفَفْنَا خَلْفَهُ صَفَّيْنِ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ فَرَكَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ فَرَفَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّفِّ الَّذِي يَلِيهِ، وَالآخَرُونَ قِيَامٌ يَحْرُسُونَهُمْ، فَلَمَّا سَجَدُوا وَقَامُوا جَلَسَ الآخَرُونَ فَسَجَدُوا فِي مَكَانِهِمْ، ثُمَّ تَقَدَّمَ هَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ، وَجَاءَ هَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ... إلخ. أحمد - المسند (٤/ ٥٩-٦٠) وأخرجه أبو داودَ دُونَ التصريحِ بلفظِ الآيَةِ، وفيه نَزَلت آيةُ القَصْرِ. كتاب الصلاة (٢) باب (٢٨١) صلاة الخوف. وصَحيح سُنَنِ أبي دَاودَ (١٠٩٦).

---

(١) أي: لِلنَّبيِّ ﷺ؛ فلا يختصُّ هذا بوجودِه فيهم.

(٢) هذه الصفةُ لصلاةِ الخوفِ والتي ذكرَ المصنِّفُ أنَّها بِبَطنِ نَخْلٍ، جاءت عند النَّسائيِّ (١٥٥١) مِنْ حَدِيثِ أبي بكرةَ، وكذلك أخرجَها أبو داودَ (١٢٤٨) عنه، دُون ذِكرِ بطنِ نَخلٍ، وصَحَّحه الألبانيُّ في صحيح سُنن أبي داود (١١٣٥)، وأخرجه النَّسائيُّ في الكبرى (٥٢٢) مِنْ حَدِيثِ جابرِ بنِ عبدِ الله، وأخرجَ البُخاريُّ (٤١٣٧)، ومسلمٌ (٨٤٠) مِنْ حَدِيثِ جابرِ بنِ عبدِ الله، صورةً أُخرى مِن صُوَرِ صلاةِ الخوفِ. وليسَ فيها جميعًا ذِكْرُ بَطنِ نَخلٍ، وإنَّما جاءَ ذِكْرُها عند البيهقيِّ في السُّنَنِ الكبرى بعدَ الحديثِ (٦٠٣٤) بِصيغَةِ التمريضِ؛ حيثُ قالَ: «وقيلَ فيه عن يونُسَ: بِبَطنِ نَخلٍ»، وأخرجها الشافعيُّ في مُسنَدِه (٥٠٦) بِسَنَدٍ ضَعيفٍ.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أحد قَولَي الشافعيِّ).

(٤) قالَ في المجموعِ شرح المُهذَّب (٤/ ٤٢٣) في توجيهِ هذا القولِ: «لا يجبُ؛ لأنَّ السِّلاحَ إنَّما يجبُ حَمْلُه للقتالِ، وهو غيرُ مقاتلٍ في حالِ الصَّلاةِ؛ فلَم يَجِبْ حملُه».

(٥) وهم جميعُ من حضرَ أُحُدًا مِنَ المؤمنينَ النَّاجِينَ، وكانوا سِتَّمائةٍ وثلاثينَ.

(٦) ذكره البغويُّ في تَفسيرِه (٢/ ٢٨٢) نقلًا عن الكلبيِّ، وأخرجَه الطَّبَريُّ (١٠٤٠٧) عن عكرمةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وليس فيه عنده أنَّهم شَكَوا الجراحاتِ.

(٧) في الأصلِ: (يجبنوا). وقال في «حاشيةِ الصَّاوي»: «المناسب: «يجبنونَ» بالنُّونِ إلَّا أنْ يُقالَ: حُذفتْ تخفيفًا». وهي كذلكَ في نسخةِ قرَّةِ العَينينِ. ولم يُثبِتْ شيئًا منها في نُسْخَةِ قَبَاوَة، رَغم أنَّه أشارَ إليها، وأثبتَ فقط: «فلا تجبنُوا عن قتالِهم»، وكان المفترضُ وهو ظاهرُ السِّياقِ أن يثبتَها -وهو الذي اعتمدتُه في هذه الطبعةِ-، ولعلَّه سَبْقُ قَلَمٍ منه، أو سَقَطَ سهوًا، والله أعلم.

(٨) هذه الزيادة: (فلا تجبنُوا عن قتالِهم)، لَيستْ في الأَصلِ، وأثبتُّها من نُسخةِ قَباوة، وانظر التعليقَ السابقَ.

(٩) أخرجَ عبدُ بن حميد وابنُ جرير وابنُ المنذر عَنْ قَتَادَةَ نحوَه، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٢/ ٣٨٤)، ورواه الكلبيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، كما في تفسير البغويِّ (٢/ ٢٨٣)، ورواه الطبريُّ برقم (١٠٤١٤) عن ابنِ زيدٍ أيضًا (٩/ ١٨٤)، وذكرَه بنحوِه الترمذيُّ في سننِه (٣٠٣٦) في قِصَّةٍ طويلةٍ، وليسَ فيه أنَّه رَمَى به اليهوديَّ. وحَسَّنَه الألبانيُّ، وسَيأتي بتمامه في أسبابِ نزولِ الآياتِ (١٠٥-١١٦).

(١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (علَّمك).

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ
جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً
أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا
﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

[١٠٦] ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ مِمَّا هممتَ به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: يخونونَها بالمعاصي؛ لِأَنَّ وَبالَ خِيانتِهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾: كثيرَ الخِيانةِ ﴿أَثِيمًا﴾ أي: يُعاقبُه[1].

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طُعمةُ وقومُه، حياءً ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بِعِلْمِه[2] ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يُضمِرونَ ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ مِنْ عَزمِهم على الحَلِفِ على نَفْيِ السَّرقةِ ورَمْيِ اليَهوديِّ بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عِلمًا[3].

[١٠٩] ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ يا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ خِطابٌ لِقومِ طُعمةَ ﴿جَادَلْتُمْ﴾: خاصَمتُم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طُعمةَ وذَويه، وقُرِئَ: «عَنْهُ»[4] ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا عذَّبهم؟ ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: يتولَّى أمرَهم، ويَذُبُّ عنهم؟ أي: لا أحدَ يفعلُ ذلكَ[5].

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾: ذنبًا يَسوءُ به غيرَه؛ كرَمْيِ طُعمةَ اليَهوديَّ ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بِعملِ ذَنبٍ قاصرٍ[6] عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه؛ أي: يَتُبْ ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾: ذنبًا ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ لِأَنَّ وَبالَهُ عليها، ولا يَضُرُّ غَيْرَهُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صُنْعِه[7].

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾: ذَنبًا صغيرًا ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: ذَنبًا كبيرًا ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ منه ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ﴾: تَحَمَّلَ ﴿بُهْتَانًا﴾ بِرميِه ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾: بيِّنًا بِكسبِه.

[١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾[8] بِالعِصمةِ ﴿لَهَمَّتْ﴾: أضمَرَتْ ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ مِن قَومِ طُعمةَ ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عَنِ القَضاءِ بِالحقِّ، بِتلبيسهم عليكَ ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ﴾: زائدةٌ ﴿شَيْءٍ﴾؛ لِأَنَّ وَبالَ إِضلالِهم عليهم ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القُرآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأَحكامِ ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ مِنَ الأَحكامِ والغَيبِ ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلكَ وغَيرِه ﴿عَظِيمًا﴾.

---

(١) وهذا تأويلٌ من المُصنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ لصفةِ عدمِ المحبَّةِ من الله بلازِمِها. ومذهبُ السلفِ إثباتُ هذه الصفاتِ وغيرِها على ما يليقُ بجلالِ الله عَزَّوَجَلَّ.

(٢) يُنظَرُ التَّعليقُ على الآيتين (١٥٣)، و(٢٤٩) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، في بيانِ معنى المعيَّةِ بنوعيها.

(٣) قالَ البيهقيُّ في الأسماءِ والصفات (ص ٤٠): «قال الحليميُّ: ومعناه: الذي لا يُقدَرُ على الفِرارِ منه، وهذه الصِّفَةُ ليستِ حقًّا إلَّا لله جلَّ ثناؤه، وهي راجعةٌ إلى كَمالِ العِلْمِ والقُدْرَةِ، وانتفاءِ الغَفلَةِ والعَجزِ عنه». وقال ابنُ تيميةَ في مجموع الفتاوى (٦/ ٥٦٧): «والله تعالى مُحيطٌ بالمخلوقَاتِ كلِّها إحاطةً تَليقُ بجلالِه؛ فإنَّ السماواتِ السبعَ والأرضَ في يدِه، أصغرُ مِنَ الحِمَّصةِ في يدِ أحدِنا». وسبقَ بيانُ ذلك في التعليقِ على الآية (١٩) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٤) وهي قِراءةٌ شاذَّةٌ.

(٥) أشارَ بذلك إلى أنَّ الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنَى النَّفي.

(٦) في بعضِ النُّسخ: (يعمل ذنبًا قاصرًا).

(٧) سَبَقَ التنبيهُ في سُورَةِ البَقَرةِ آية (١٢٩) على أنَّ الأَولى التَّعميمُ في مُتعلَّقِ الحِكْمَةِ؛ فيُقَالُ: الحَكيمُ في كُلِّ شأنٍ مِنْ شُئونِه: مِنْ صُنعِهِ، وقَدَرِه، وتَشريعِه، وجَزَائِه، وإرسَالِه رُسُلَه، وإنزَالِه كُتُبَه،... إلخ. وكذا يُقَالُ في كُلِّ مَوضِعٍ قصرًا فيه المُفسِّرانِ الحِكمَةَ على صُنْعِهِ سُبْحَانَهُ وتعالى فَقَطْ.

(٨) وفيها إثباتُ صِفةِ الرحمةِ لله -سُبْحانَهُ-.

[١١٤] ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ أي: النَّاسِ؛ أي: ما يَتناجَونَ فيه ويتحدَّثونَ ﴿إِلَّا﴾ نَجْوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: عملِ بِرٍّ ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكورَ ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طلبَ ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا غيرِه مِنْ أُمورِ الدُّنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ - بالنُّونِ، والياءِ(١)؛ أي: اللهُ- ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١٥] ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾: يُخالِفِ ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاءَ به مِنَ الحقِّ ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾: ظهرَ له الحقُّ بالمُعجِزاتِ ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقًا ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقِهم الذي هم عليه مِنَ الدِّينِ؛ بِأَنْ يَكفُرَ ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نَجعلْه واليًا لِما تولَّاهُ مِنَ الضلالِ؛ بِأَنْ نُخلِّيَ بينَه وبينَه في الدُّنيا ﴿وَنُصْلِهِ﴾: نُدخِلْه في الآخِرةِ ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترِق(٢) فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: مَرجِعًا هي! [١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عَنِ الحقِّ[*].

[١١٧] ﴿إِن﴾: ما ﴿يَدْعُونَ﴾: يَعبدُ المشركونَ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ؛ أي: غيرَه ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾: أَصنامًا مُؤنَّثةً؛ كاللَّاتِ والعُزَّى ومَناةَ ﴿وَإِن﴾: ما ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدونَ بِعبادتِها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾: خارجًا عَنِ الطَّاعةِ؛ لِطاعتِهم له فيها؛ وهو: إبليسُ. [١١٨] ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبعدَه عن رحمتِه ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطانُ: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾: لأجعلنَّ لي ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾: حَظًّا ﴿مَّفْرُوضًا﴾: مقطوعًا، أَدعُوهم إلى طاعتِي. [١١٩] ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عَنِ الحقِّ بِالوَسوَسَةِ ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: أُلقِي في قُلوبِهم طُولَ الحياةِ، وأَنْ لا بَعْثَ ولا حِسابَ ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾: يُقطِّعُنَّ ﴿آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ - وقدْ فُعِلَ ذلكَ بِالْبَحائِرِ(٣)- ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ﴾: دِينَه(٤) بِالكُفرِ، وإِحلالِ ما حرَّمَ وتحريمِ ما أحلَّ ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ يتولَّاه ويُطيعُه ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيرِه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾: بيِّنًا لِمَصيرِه إلى النَّارِ المُؤبَّدةِ عليه. [١٢٠] ﴿يَعِدُهُمْ﴾ طُولَ العُمُرِ ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نَيلَ الآمالِ في الدُّنيا، وأَنْ لا بَعْثَ ولا جَزاءَ ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلكَ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطِلًا. [١٢١] ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: مَعدِلًا.

سُورَةُ النِّسَاءِ — الجُزْءُ الخَامِسُ — الحزب ١٠

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن
دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ
وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

---

[*] **مَا جاءَ في نُزُولِ الآياتِ: (١٠٥-١١٦)**: أَخرجَ التِّرمِذيُّ عنْ قَتادَةَ بْنِ النُّعمانِ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَّا يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو أُبَيْرِقٍ بِشْرٌ وَبُشَيْرٌ وَمُبَشِّرٌ، وَكَانَ بُشَيْرٌ رَجُلًا مُنَافِقًا يَقُولُ الشِّعْرَ يَهْجُو بِهِ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ يَنْحَلُهُ بَعْضَ العَرَبِ ثُمَّ يَقُولُ: قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ ذَلِكَ الشِّعْرَ، قَالُوا: والله مَا يَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ إِلَّا هَذَا الخَبِيثُ، أَوْ كَمَا قَالَ الرَّجُلُ، وَقَالُوا: ابْنُ الأُبَيْرِقِ قَالَهَا. قَالَ: وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ، فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، وَكَانَ النَّاسُ إِنَّمَا طَعَامُهُمْ بِالمَدِينَةِ التَّمْرُ وَالشَّعِيرُ. وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ لَهُ يَسَارٌ فَقَدِمَتْ ضَافِطَةٌ مِنَ الشَّامِ مِنَ الدَّرْمَكِ، ابْتَاعَ الرَّجُلُ مِنْهَا فَخَصَّ بِهَا نَفْسَهُ، وَأَمَّا العِيَالُ فَإِنَّمَا طَعَامُهُمُ التَّمْرُ وَالشَّعِيرُ، فَقَدِمَتْ ضَافِطَةٌ مِنَ الشَّامِ، فَابْتَاعَ عَمِّي رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ حِمْلًا مِنَ الدَّرْمَكِ فَجَعَلَهُ فِي مَشْرَبَةٍ لَهُ، وَفِي المَشْرَبَةِ سِلَاحٌ وَدِرْعٌ وَسَيْفٌ، فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنْ تَحْتِ البَيْتِ، فَنُقِبَتِ المَشْرَبَةُ، وَأُخِذَ الطَّعَامُ وَالسِّلَاحُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّهُ قَدْ عُدِيَ عَلَيْنَا فِي لَيْلَتِنَا هَذِهِ، فَنُقِبَتْ مَشْرَبَتُنَا فَذُهِبَ بِطَعَامِنَا وَسِلَاحِنَا. قَالَ: فَتَحَسَّسْنَا فِي الدَّارِ وَسَأَلْنَا فَقِيلَ لَنَا: قَدْ رَأَيْنَا بَنِي أُبَيْرِقٍ اسْتَوْقَدُوا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَلَا نَرَى فِيمَا نَرَى إِلَّا عَلَى بَعْضِ طَعَامِكُمْ، قَالَ: وَكَانَ بَنُو أُبَيْرِقٍ قَالُوا وَنَحْنُ نَسْأَلُ فِي الدَّارِ: والله مَا نُرَى صَاحِبَكُمْ إِلَّا لَبِيدَ بْنَ سَهْلٍ، رَجُلٌ مِنَّا لَهُ صَلَاحٌ وَإِسْلَامٌ، فَلَمَّا سَمِعَ لَبِيدٌ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَقَالَ: أَنَا أَسْرِقُ؟ فَوَالله لَيُخَالِطَنَّكُمْ هَذَا السَّيْفُ أَوْ لَتُبَيِّنُنَّ هَذِهِ السَّرِقَةَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنْهَا أَيُّهَا الرَّجُلُ فَمَا أَنْتَ بِصَاحِبِهَا، فَسَأَلْنَا فِي الدَّارِ حَتَّى لَمْ نَشُكَّ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهَا، فَقَالَ لِي عَمِّي: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ قَتَادَةُ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلَ جَفَاءٍ، عَمَدُوا إِلَى عَمِّي رِفَاعَةَ ابْنِ زَيْدٍ فَنَقَبُوا مَشْرَبَةً لَهُ، وَأَخَذُوا سِلَاحَهُ وَطَعَامَهُ، فَلْيَرُدُّوا عَلَيْنَا سِلَاحَنَا، فَأَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَآمُرُ فِي ذَلِكَ»، فَلَمَّا سَمِعَ بَنُو أُبَيْرِقٍ أَتَوْا رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: أُسَيْرُ بْنُ عُرْوَةَ فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ، فَاجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله إِنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ وَعَمَّهُ عَمَدَا إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلِ إِسْلَامٍ وَصَلَاحٍ، يَرْمُونَهُمْ بِالسَّرِقَةِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبَتٍ، قَالَ قَتَادَةُ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ: «عَمَدْتَ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ ذُكِرَ مِنْهُمْ إِسْلَامٌ وَصَلَاحٌ تَرْمِيهِمْ بِالسَّرِقَةِ عَلَى غَيْرِ ثَبَتٍ وَبَيِّنَةٍ»، قَالَ: فَرَجَعْتُ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ بَعْضِ مَالِي وَلَمْ أُكَلِّمْ رَسُولَ الله ﷺ فِي ذَلِكَ، فَأَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا صَنَعْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: الله المُسْتَعَانُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ القُرْآنُ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾... فَلَمَّا نَزَلَ القُرْآنُ أَتَى رَسُولُ الله ﷺ بِالسِّلَاحِ فَرَدَّهُ إِلَى رِفَاعَةَ، فَقَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا أَتَيْتُ عَمِّي بِالسِّلَاحِ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَشَا -أَوْ عَسَا- فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكُنْتُ أُرَى إِسْلَامُهُ مَدْخُولًا، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ بِالسِّلَاحِ قَالَ: =

---

(١) بِالياءِ: قِرَاءَةُ حمزة وأبي عَمرٍو.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لِيحترِقَ).

(٣) جمع بَحِيرةٍ، وهي أَنْ تلدَ النَّاقةُ أربعةَ بُطونٍ، وتأتي في الخامسِ بِذَكَرٍ، فكانوا لا يحملونَ عليها، ولا يأخذونَ نِتاجَها، ويجعلونَ لبنَها لِلطواغيتِ، ويشقُّونَ آذانَها عَلامةً على ذلك.

(٤) وقيلَ: المُرادُ بهذا التغييرِ: الوشمُ. والأقربُ كما اختاره بعضُ المُفسِّرينَ: أنَّه يشملُ تغييرَ الخِلقَةِ الظاهرةِ؛ بِالوَشْمِ وَالوَشْرِ وَالنَّمْصِ وَالتَّفْليجِ لِلحُسْنِ، ونحوَ ذلك، كما يشملُ تغييرَ الخِلقَةِ الباطنةِ؛ بِالشِّرْكِ والكُفرِ والفُسوقِ والعِصيانِ.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ
وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ
أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ
مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ
فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ
وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

[١٢٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ أي: وَعدَهم الله ذلك وَحقَّهُ حقًّا ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ أي: قولًا؟

[١٢٣] ونَزَلَ -لَمَّا افتخرَ المسلمونَ وأهلُ الكتابِ[1]-: ﴿لَّيۡسَ﴾ الأمرُ منوطًا ﴿بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ بَل بِالعَملِ الصَّالِحِ ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ إمَّا في الآخِرةِ[2]، أو في الدُّنيا بِالبلاءِ والمِحَنِ -كَما وردَ في الحديثِ[3]- ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرَه ﴿وَلِيّٗا﴾ يحفظُه ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ يمنعُه منه.

[١٢٤] ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ﴾ شيئًا ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ [يُدۡخَلُونَ]﴾ -بالبناءِ لِلمفعُولِ، والفَاعلِ[4]- ﴿ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾: قَدرَ نُقْرةِ النَّواةِ.

[١٢٥] ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحدَ[5] ﴿أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ أي: انقادَ وأخلصَ عملَه ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾: مُوَحِّدٌ ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الموافِقَةَ لِمِلَّةِ الإسلام ﴿حَنِيفٗاۗ﴾؟ حالٌ؛ أي: مائلًا عن الأديانِ كُلِّها إلى الدِّينِ القيِّمِ ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾: صَفِيًّا خَالِصَ المحبَّةِ له.

[١٢٦] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مُلْكًا وخَلْقًا وعَبيدًا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ عِلمًا وقَدرةً[6]؛ أي: لم يَزلْ مُتَّصفًا بذلك.

[١٢٧] ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ﴾: يطلبونَ منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأنِ ﴿ٱلنِّسَآءِۖ﴾ وميراثِهنَّ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ، مِنْ آيةِ الميراثِ، يُفتِيكم أيضًا ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿لَهُنَّ﴾ مِنَ الميراثِ ﴿وَتَرۡغَبُونَ﴾ -أيُّها الأولياءُ- عَنْ[7] ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لِدَمَامَتِهنَّ، وتَعضُلُوهنَّ[8] أن يَتزوَّجنَ طَمعًا في مِيراثِهنَّ؛ أي: يُفتِيكم أن لا تفعلُوا ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾: الصِّغارِ ﴿مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ أن تُعطُوهم حُقوقَهم[9] ﴿وَ﴾ يَأمرُكم ﴿أَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: بالعَدْلِ في الميراثِ والمَهْرِ ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ فيُجازِيكم به[*].

= يَا ابْنَ أَخِي، هُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَعَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ صَحِيحًا، فَلَمَّا نَزَلَ القُرْآنُ لَحِقَ بُشَيْرٌ بِالْمُشْرِكِينَ، فَنَزَلَ عَلَى سُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ ابْنِ سُمَيَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾... الحديث. الترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (حسن). صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٣٢). وأخرجه الحاكمُ في المستدرك (٨١٦٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وسكتَ عنه الذهبيُّ.

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٢٧): أَخرجَ البُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَن قولِ الله تعالَى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ إلى ﴿وَرُبَٰعَ﴾ فَقَالَتْ: «يَا ابْنَ أُخْتِي هِيَ اليَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا تُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ، فَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا، فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَنُهُوا أَنْ يُنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ، وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ». قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ، =

---

(١) أخرجَه ابنُ جَريرٍ وابنُ المنذر من طريق جويبر عن الضحَّاكِ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٢/ ٣٩٩).

(٢) أمَّا مَنْ مَاتَ كافرًا فهو مُحتَّمٌ في حقِّه، وأمَّا مَنْ مات عَاصيًا فهو تحت المشيئةِ.

(٣) يشيرُ إلى ما أخرجَه التِّرمِذِيُّ في سننه وضعَّفه، في نزولِ الآيةِ أنَّ أبا بكرٍ قال: يا رسولَ الله، وَأيُّنا لم يعملْ السُّوءَ؟ وإنَّا لَمجزيُّونَ بِكُلِّ سُوءٍ عملناه؟! فقال ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ المُؤْمِنُونَ فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا؛ حتَّى تَلْقَوْا اللهَ وليس عَلَيْكُمْ ذُنُوبٌ، وَأَمَّا الآخَرُونَ فَيُجْمَعُ لَهُمْ ذَلِكَ؛ حَتَّى يُجَازَوْا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» وضعَّفَ الألبانيُّ إسنادَه في ضعيفِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٣٢٤٣). وله شواهدُ يتقوَّى بها، كما قال في تخريجِ أحاديثِ وآثارِ كتاب في ظلال القرآن ص(١٣٧-١٣٨). وأخرجَ مُسلِمٌ في صَحِيحِه (٢٥٧٤) عن أبي هُرَيرةَ قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ بَلَغَتْ مِنَ المُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ المُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوِ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا».

(٤) بالبناءِ لِلمفعولِ: قِراءةُ ابنِ كثير وأبي عَمرو وشُعبةَ، وقرأ البَقِيَّةُ: ﴿يَدۡخُلُونَ﴾؛ بالبناءِ للفاعلِ.

(٥) أشارَ بذلكَ إلى أنَّ الاستفهامَ إنكاريٌّ.

(٦) يُنظرُ معنَى اسم الله المحيط في التعليق على الآية (١٩) مِنْ سُورةِ البَقَرةِ. وتقدَّمَ قريبًا.

(٧) هذا على أحد وجهي التفسيرِ، وأنَّ الرغبةَ بِمعنَى: الزهد، والبعضُ قدَّر «في» إشارة إلى أنَّ الرغبةَ بِمعنى: الحُبِّ، ويؤيِّدُه ما رَواهُ مُسلِمٌ في صَحِيحِه عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: «هَذِهِ اليَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ وَلِيِّهَا؛ فَيَرْغَبُ فِي جَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يُنْقِصَ صَدَاقَهَا؛ فَنُهُوا عَنْ نِكَاحِهِنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ فِي إِكْمَالِ الصَّدَقَةِ...» الحديث.

(٨) أي: تمنعوهنَّ.

(٩) وكانوا في الجاهليةِ لا يُورِّثُونَ الصِّبيانَ مُطلقًا ولا النِّسَاءَ.

[١٢٨] ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾: مرفوعٌ بِفعْلٍ[١] يُفسِّرُه: ﴿خَافَتْ﴾: تَوَقَّعَتْ ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾: زَوجِها ﴿نُشُوزًا﴾: تَرَفُّعًا عليها بِتَرْكِ مُضاجعَتِها، والتَّقصيرِ في نفقتِها، لِبُغْضِها وطموحِ عَينِه إلى أجمَلَ منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهِهِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن [يَصَّالَحَا]﴾ - فيه إدغامُ التَّاءِ في الأصلِ في الصَّادِ[٢]، وفي قِراءَةٍ: ﴿يُصْلِحَا﴾[٣]؛ مِنْ: «أصلَحَ» - ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القَسْمِ والنَّفقةِ؛ بِأَنْ تَتْرُكَ له شيئًا طلبًا لِبقاءِ الصُّحبةِ؛ فإنْ رَضِيتْ بذلكَ، وإلَّا فعلى الزَّوجِ أنْ يُوفِّيَها حقَّها أو يُفارِقَها ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ مِنَ الفُرقةِ والنُّشوزِ والإعراضِ. قال تَعالَى في بيانِ ما جُبِلَ عليه الإنسانُ: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾: شِدَّةَ البُخْلِ؛ أي: جُبِلَتْ عليه؛ فكأَنَّها حاضِرَتُه لا تَغيبُ عنه. المعنَى: أنَّ المرأةَ لا تكادُ تسمحُ بنصيبِها مِنْ زوجِها، والرَّجلَ لا يَكادُ يسمحُ عليها بنفسِه إذا أحبَّ غيرَها ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾ عِشْرَةَ النِّساءِ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجَورَ عليهنَّ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجازِيكم به[*].

[١٢٩] ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا﴾: تُسَوُّوا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المَحبَّةِ ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلكَ ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى التي تُحِبُّونَها، في القَسْمِ والنَّفقةِ ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي: تتركُوا المُمالَ عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أيِّمٌ، ولا هي ذاتُ بَعْلٍ ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ بِالعدلِ بِالقَسْمِ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجَورَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِما في قلبِكُم مِنَ المَيْلِ ﴿رَّحِيمًا﴾ بِكم في ذلكَ.

[١٣٠] ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي: الزَّوجانِ بِالطَّلاقِ ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ عن صَاحِبِه ﴿مِّن سَعَتِهِ﴾ أي: فَضلِه؛ بِأَنْ يرزُقَها زوجًا غيرَه ويَرزُقَه غيرَها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ لِخَلْقِه في الفضلِ ﴿حَكِيمًا﴾ فِيما دَبَّرَه لهم.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بِمَعنى: الكُتُب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: اليهودَ والنَّصارَى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ - يا أهلَ القُرآنِ - ﴿أَنِ﴾ أي: بِأَنِ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: خَافُوا عِقابَه؛ بِأَنْ تُطيعُوه ﴿وَ﴾ قلنا لَهم ولَكُم: ﴿إِن تَكْفُرُوا﴾ بِما وُصِّيتُمْ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلْقًا ومُلْكًا وعبيدًا؛ فلا يَضرُّه كُفْرُكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عَنْ خَلْقِه وعِبادتِهم ﴿حَمِيدًا﴾: محمودًا في صُنْعِه بهم.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ - كَرَّره تأكيدًا؛ لتقريرِ مُوجِبِ التَّقوى - ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: شهيدًا؛ بِأَنَّ ما فيهما له!

[١٣٣] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ بَدَلَكُمْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾.

[١٣٤] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعملِه ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لِمَنْ أرادَه، لا عندَ غيرِه، فلِمَ يَطْلُبُ أحدُهما[٤] الأخسَّ؟ وَهَلَّا طَلَبَ الأعلى بإخلاصِه له؛ حيثُ كانَ مَطلبُه لا يُوجَدُ إلَّا عندَه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

سورة النساء — الجزء الخامس

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ
وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا
بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا
كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ
وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا
﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا
﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ
اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ
ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

= فَأَنزَلَ اللهُ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾، وَالَّذِي ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ الآيَةُ الأُولَى، الَّتِي قَالَ فِيهَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقَوْلُ اللهِ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يَعْنِي هِيَ رَغْبَةُ أَحَدِكُمْ لِيَتِيمَتِهِ الَّتِي تَكُونُ فِي حَجْرِهِ، حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ المَالِ وَالجَمَالِ، فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا رَغِبُوا فِي مَالِهَا وَجَمَالِهَا مِنْ يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالقِسْطِ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ. البُخاريُّ - كتاب الشركة (٤٧) باب (٧) شركة اليتيم وأهل الميراث.

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٢٨): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قَالَتْ: الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ المَرْأَةُ لَيْسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا، يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا، فَتَقُولُ: أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي فِي حِلٍّ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٢٤).

وأخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَتْ: لَا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي، وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَفَعَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. فَمَا اصْطَلَحَا عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ جَائِزٌ». الترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح). صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٣٤).

(١) ولا يَصِحُّ جعلُه مبتدأً؛ لأَنَّ أداةَ الشرطِ لا يليها إلَّا الفعل ولو تقديرًا.

(٢) أي: «يتصالحا»؛ فأُدغِمت التَّاءُ في الصَّادِ؛ فأصبحتْ: ﴿يَصَّالَحَا﴾.

(٣) وهي قِراءةُ عاصم وحمزةَ والكِسَائِيِّ، وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَصَّالَحَا﴾.

(٤) في قرَّة العَينينِ وبعضِ المطبوعاتِ: (أحدكم).

الجزء الخامس — سورة النساء

ربع الحزب ١٠

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا
فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ
أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ
كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٠٠

[١٣٥] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾: قائمينَ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بِالعدلِ ﴿شُهَدَآءَ﴾ بِالحقِّ ﴿لِلَّهِ وَلَوْ﴾ كانتْ الشهادةُ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فاشهَدُوا عليها؛ بِأَنْ تُقِرُّوا بِالحقِّ ولا تكتُمُوه ﴿أَوِ﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ المشهودُ عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ منكم، وأعلَمُ بِمَصالِحِهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في شَهادتِكم؛ بِأَنْ تُحابُوا الغَنيَّ لِرضاهُ، أوِ الفقيرَ رَحمةً له لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَعْدِلُواْ﴾ عَنِ الحقِّ ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾: تُحرِّفوا الشهادةَ- وفي قِراءَةٍ[1] بِحَذفِ الواوِ الأُولى، تخفيفًا- ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ عن أدائِها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجَازِيكم به.

[١٣٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾: دَاوِمُوا على الإِيمانِ ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى [نُزِّلَ] عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ مُحمَّدٍ ﷺ؛ وهو: القُرآن ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ [أُنزِلَ] مِن قَبْلُ﴾ على الرُّسُلِ؛ بِمعنَى: الكُتُب. وفي قِراءَةٍ بِالبناءِ لِلفاعلِ، في الفِعلَينِ[2] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عَنِ الحقِّ.

[١٣٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِمُوسَى- وهمُ اليَهودُ- ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بِعِبادَةِ العِجْلِ ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ بعدَه ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بِعِيسَى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بِمُحمَّدٍ ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقامُوا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾: طريقًا إلى الحقِّ.

[١٣٨] ﴿بَشِّرِ﴾: أخبِرْ - يا مُحمَّد- ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِمًا- هو: عذابُ النَّارِ-.

[١٣٩] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدلٌ أو نعتٌ لِلمنافقينَ ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِمَا يتوهَّمونَ فيهم مِنَ القُوَّةِ ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾: يَطلُبونَ ﴿عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾؟ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لا يجدونَها عندَهم ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدُّنيا والآخرةِ، ولا ينالُها إلَّا أولياؤُه.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ - بِالبناءِ لِلفاعلِ والمفعولِ[3]- ﴿عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ في سُورةِ «الأنعامِ»[4] ﴿أَنْ﴾: مُخفَّفةٌ، واسمُها محذوفٌ؛ أي: أنَّه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنَ ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ أي: الكافرينَ والمُستهزئينَ ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا﴾: إن قَعدتُم معهم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ في الإِثمِ[5] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعُوا في الدُّنيا على الكُفرِ والاستهزاءِ.

---

(١) لِحمزةَ وابنِ عامر.

(٢) أي: ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أَنزَلَ﴾ والقِراءةُ المُفسَّرةُ هي قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامر.

(٣) ﴿نُزِّلَ﴾ بالبناءِ لِلمفعولِ: قِراءةُ السبعةِ عدا عاصم.

(٤) وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨].

(٥) أي: كُفرًا أو غيرَه؛ فالرَّاضي بالكفرِ كافرٌ، والرَّاضي بالمحرَّمِ عاصٍ.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ
أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ
أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا (١٤١) إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا
قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا (١٤٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ
أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا (١٤٤) إِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا
(١٤٥) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧)

[١٤١] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدلٌ مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قَبلَه(١) ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾: ينتظرونَ ﴿بِكُمْ﴾ الدَّوائرَ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾: ظَفَرٌ وغنيمةٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ﴾ لكم: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدِّينِ والجِهادِ؟ فأعطُونا مِنَ الغَنيمةِ ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ مِنَ الظَّفَرِ عليكم ﴿قَالُوٓاْ﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾: نَسْتَوْلِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونَقدِرْ على أَخْذِكم وقَتْلِكم فأَبقينا عليكم ﴿وَ﴾ أَلَم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنْ يظفَرُوا بِكم؛ بِتَخذِيلِهم ومُراسلَتِكم بِأخبارِهم؟ فلَنا عليكم المِنَّةُ. قالَ تَعالَى(٢): ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِأَنْ يُدخِلَكم الجنَّةَ ويُدخِلَهم النَّارَ ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾: طريقًا بِالاستئصالِ(٣).

[١٤٢] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بِإظهارِ خِلافِ ما أبطَنوه مِنَ الكُفرِ؛ لِيَدفعُوا عنهم أحكامَه الدُّنيويَّةَ ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾: مُجازِيهم(٤) على خِداعِهم(٥)؛ فيَفتَضِحونَ(٦) في الدُّنيا بِإطلاعِ اللهِ نَبيَّهُ على ما أبطنُوه، ويُعاقَبونَ في الآخِرةِ ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مَع المؤمنينَ ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: مُتثاقِلينَ ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بِصلاتِهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: يُصلُّونَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رِياءً.

[١٤٣] ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾: مُتردِّدينَ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكُفرِ والإيمانِ ﴿لَآ﴾ منسوبينَ ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: الكُفَّارِ ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: المؤمنينَ ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ـه(٧) ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الهُدى.

[١٤٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِمُوالاتِهم ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: بُرهانًا بيِّنًا على نِفاقِكم؟

[١٤٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ﴾: المكانِ ﴿ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ - وهو قَعْرُهَا- ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾: مانعًا مِنَ العَذابِ.

[١٤٦] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ مِنَ النِّفاقِ ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ عملَهم ﴿وَٱعْتَصَمُواْ﴾: وَثِقُوا ﴿بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ مِنَ الرِّياءِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يُؤتَونَه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخِرةِ؛ هو: الجنَّةُ.

[١٤٧] ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ نِعمَهُ ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ به؟ والاستفهامُ بِمعنى النَّفي؛ أي: لا يُعذِّبُكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمالِ المؤمنينَ بِالإثابةِ(٨) ﴿عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِه.

---

(١) وهو قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء:١٣٩]، والأحسنُ أنَّه نَعتٌ ثانٍ للمنافقينَ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فيُجازِيهم).

(٣) دفعَ بذلكَ ما يُقالُ: إنَّ الكفَّارَ بالمشاهدةِ لهم سبيلٌ على المؤمنينَ في الدُّنيا، فأجابَ بِأنَّ المعنَى: أنَّ الكُفَّارَ لا يستأصلونَ المؤمنينَ، ويُجابُ أيضًا: أنَّ المرادَ سبيلًا بالشرعِ؛ فإنَّ شريعةَ الإسلامِ ظاهرةٌ إلى يومِ القِيامةِ؛ فمِن ذلك أنَّ الكافرَ لا يرثُ المسلمَ، وليس له أن يملكَ عبدًا مسلمًا، ولا يُقتَلَ المسلمُ بِالذِّمِّي.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (قال الله تعالى).

(٥) وهذا تأويلٌ لهذه الصفةِ التي أثبتَها الله لنفسِه، وسبقَ بيانُ مذهبِ السلفِ فيها وفي أمثالِها في مواضعَ كثيرةٍ ووجوبِ الإيمانِ بها وإثباتِها لله على ما يليقُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دونَ تأويلٍ أو تعطيلٍ أو تمثيلٍ أو تكييفٍ.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فيُجازِيهم).

(٧) ضمير (ـهُ) ليس في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٨) نثبتُ صِفةَ الشُّكرِ له سبحانَه على ما يليقُ بجلالِه وكمالِه. والإثابةُ إنَّما هي أثرٌ له. قال ابنُ القَيِّم: «وأمَّا شُكرُ الربِّ تعالى فله شأنٌ آخرَ كشأنِ صَبرِه؛ فهو أولى بصفةِ الشُّكرِ مِن كلِّ شَكورٍ بل هو الشَّكورُ على الحقيقةِ». انظر عِدَة الصابرين (ص٢٨٠).

الجزء ٦ الحزب ١١

۞ لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ
أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ
ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا
عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

[١٤٨] ﴿۞ لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ مِنْ أَحدٍ؛ أي: يُعاقِبُه(١) عليه(٢) ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فلا يُؤاخِذُه بِالجهرِ به؛ بِأَنْ يُخبِرَ عَنْ ظُلْمِ ظَالِمِه ويَدعوَ عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لِما يُقالُ ﴿عَلِيمًا﴾ بِما يُفعَلُ.

[١٤٩] ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾: تُظهِروا ﴿خَيْرًا﴾ مِن أعمالِ البِرِّ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: تَعملُوه سِرًّا ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾: ظُلمٍ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

[١٥٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بِأَنْ يُؤمنوا به دُونَهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ مِنَ الرُّسلِ ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكُفرِ والإيمانِ ﴿سَبِيلًا﴾: طريقًا يذهبونَ إليه.

[١٥١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾: مَصدرٌ مُؤكِّدٌ(٣) لِمضمونِ الجُملةِ قبلَه ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذا إهانةٍ؛ هو: عَذابُ النَّارِ.

[١٥٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ كُلِّهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ [نُؤْتِيهِمْ]﴾ - بِالنُّونِ(٤) والياءِ- ﴿أُجُورَهُمْ﴾: ثَوابَ أعمالِهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لأَوليائِه ﴿رَّحِيمًا﴾ بِأَهلِ طَاعتِه.

[١٥٣] ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليَهودُ ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ جُملةً، كما أُنزِلَ على مُوسَى، تَعنُّتًا. فإنِ استكبرتَ ذلكَ ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟﴾ أي: آباؤُهم ﴿مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ﴾: أعظَمَ ﴿مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: عِيانًا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: الموتُ عِقابًا لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيثُ تَعنَّتوا في السؤالِ ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: المُعجزاتُ على وحدانيَّةِ الله ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ ولَم نَستأصِلْهم ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: تَسلُّطًا بَيِّنًا ظاهرًا عليهم؛ حيثُ أَمرَهم بقتلِ أنفسِهم توبةً فأَطاعُوه.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجَبلَ ﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾: بِسببِ أَخذِ الميثاقِ عليهم؛ لِيَخافُوا، فيَقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ وهو مُظِلٌّ عليهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾: بابَ القَريةِ(٥) ﴿سُجَّدًا﴾: سُجودَ انحناءٍ ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟﴾ - وفي قِراءَةٍ بِفتحِ العَينِ وتَشديدِ الدَّالِ(٦)، وفيه إدغامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الدَّالِ- أي: لا تعتَدُوا ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بِاصطيادِ الحِيتانِ فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك، فنَقَضُوه.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يُعاقِبُ).

(٢) وهذا تأويلٌ لِصفةِ المحبَّةِ التي أثبتَها لنفسِه ببعضِ لَوازِمها، وسبقَ بيانُ مذهبِ السلفِ في ذلك، وإثباتها على ما يليقُ بجلالِه -سُبْحَانَهُ-.

(٣) أي: وعامِلُه محذوفٌ، ويُقدَّرُ مؤخَّرًا عَنِ الجُملةِ المؤكِّدةِ لها، وتقديرُه: أحقُّه حقًّا.

(٤) بِالنُّونِ: قِرَاءَةُ السبعةِ عدا حفصٍ، وقرأ حفصٌ: ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ بِاليَاءِ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: بَاب القريةِ)، بزيادة: أي.

(٦) لِنافعٍ، واختلسَ قالونُ حركةَ العَينِ.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا
عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ
ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

[١٥٥] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: «ما»: زائدةٌ، و«الباءُ»: لِلسببيَّةِ، مُتعلِّقةٌ بِمحذوفٍ؛ أي: لَعنَّاهُم بِسَببِ نَقضِهم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ لِلنَّبيِّ ﷺ: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: لا تَعِي كلامَكَ ﴿بَلْ طَبَعَ﴾: خَتَمَ ﴿ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا تَعِي وَعْظًا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم؛ كَعبدِ الله بنِ سَلَامٍ وأصحابِه.

[١٥٦] ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانيًا بعِيسَى، وكَرَّرَ الباءَ لِلفصلِ بَينَه وبَينَ ما عُطِفَ عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ حيثُ رَمَوْها بِالزِّنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مُفتخِرينَ: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ في زَعمِهم[1]؛ أي: بِمَجمُوعِ ذلك عذَّبناهم. قال تَعالَى تكذِيبًا لهم في قَتلِه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتولُ والمَصلوبُ -وهو صاحبُهم- بِعِيسَى؛ أي: ألقَى الله عليه شَبَهَه فظنُّوه إيَّاه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: في عِيسَى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾: مِنْ قَتْلِه- حيثُ قالَ بعضُهم لَمَّا رأوا المقتولَ: الوجهُ وجهُ عِيسَى والجَسدُ ليسَ بِجَسدِه: فليسَ به. وقالَ آخرُونَ: بَلْ هُو هُو- ﴿مَا لَهُم بِهِۦ﴾: بِقَتْلِه ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾: استثناءٌ مُنقطِعٌ[2]؛ أي: لكنْ يتَّبِعونَ فيه الظنَّ الذي تخيَّلُوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾: حالٌ مُؤكِّدَةٌ لِنفيِ القَتْلِ.

[١٥٨] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في مُلْكِه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنْعِه.

[١٥٩] ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أحدٌ ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾: بعِيسَى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي: الكِتابيِّ، حِينَ يُعَايِنُ مَلائِكةَ الموتِ؛ فلا يَنفعُه إيمانُه. أو قبلَ مَوتِ عِيسَى[3]، لَمَّا يَنزِلُ قُربَ السَّاعةِ -كما وَرَدَ في حديثٍ[*]- ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عِيسَى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بِمَا فعلُوه، لَمَّا بُعِثَ إِليهم.

[١٦٠] ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ أي: فبسببِ ظُلمِ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هُمُ اليَهودُ ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ - هي التي في قولِه تَعالَى: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾[4] الآيَةَ- ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه صَدًّا ﴿كَثِيرًا﴾.

[١٦١] ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ في التَّوراةِ ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بِالرِّشَا في الحُكمِ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِمًا.

[١٦٢] ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: الثابتونَ ﴿فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كَعبدِ الله بنِ سَلامٍ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: المُهاجرُونَ والأنصارُ ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ مِنَ الكُتُبِ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نُصِبَ على المَدحِ[5]، وقُرِئَ بِالرَّفعِ[6] ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ - بِالنُّونِ والياءِ[7]- ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنَّةُ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ». ثم يقولُ أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. البُخاريُّ - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٩) نزول عيسى ابن مريم، وأخرجَه مسلمٌ - كتاب الإيمان (١) باب (٧١) نزول عِيسَى ابن مريم حاكمًا بشريعةِ نبيِّنا مُحمَّد ﷺ.

---

(١) مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿قَتَلْنَا﴾، وفي نُسخة: (في زَعْمِه) بِالإفرادِ؛ ويكونُ متعلِّقًا بقولِه: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾.

(٢) لِأنَّ اتِّباعَ الظَّنِّ ليسَ مِن جِنسِ العِلم.

(٣) وهذا وجهٌ آخرَ في التفسيرِ.

(٤) الأنعام: ١٤٦.

(٥) وذلك تَعظيمًا لِشأنهم.

(٦) وهي قِراءةٌ شَاذَّةٌ.

(٧) بالياءِ: قِراءةُ حمزة.

الحزب ١١

*إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
١٦٥ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ
طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ
مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠

[١٦٣] ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَ﴾ كما ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ ابنيه ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ بنِ إسحاقَ ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ أولادِه ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا﴾ أباهُ ﴿دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ بالفتحِ: اسمٌ لِلكتابِ المُؤتَى، والضَّمِّ[1]: مَصدرٌ بِمعنَى: مَزبورًا؛ أي: مَكتوبًا.

[١٦٤] ﴿وَ﴾ أرسلنَا ﴿رُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾ رُوِيَ أنّه -تَعَالَى- بَعثَ ثمانيةَ آلافِ نَبيٍّ؛ أربعةَ آلافٍ مِنَ إسرائيلَ، وأربعةَ آلافٍ مِنَ سائرِ النَّاسِ. قالَه الشيخُ[2] في سُورةِ «غافر»[3] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بِلا واسطةٍ ﴿تَكۡلِيمٗا﴾.

[١٦٥] ﴿رُّسُلٗا﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿رُسُلٗا﴾ قَبلَهُ[4] ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بِالثوابِ مَنْ آمنَ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بِالعقابِ مَنْ كَفَرَ، أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ تُقالُ ﴿بَعۡدَ﴾ إرسالِ ﴿ٱلرُّسُلِ﴾ إليهم فيَقُولُوا: ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[5] فبعثناهم لِقَطعِ عُذرِهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكِه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صُنعِه.

[١٦٦] ونَزَلَ -لَمَّا سُئِلَ اليَهودُ عَنْ نُبوَّته ﷺ فأنكرُوه[6]-: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾: يُبيِّنُ[7] نُبُوَّتَكَ ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ مِنَ القُرآنِ المُعجزِ ﴿أَنزَلَهُۥ﴾ مُلتبسًا ﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ أي: عالمًا به، أو: وفيه عِلْمُهُ ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ لكَ أيضًا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك.

[١٦٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِالله ﴿وَصَدُّواْ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِ الإسلامِ، بِكَتمِهِمْ نَعتَ مُحَمَّدٍ ﷺ- وهُمُ اليَهودُ- ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ عَنِ الحَقِّ.

[١٦٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِالله ﴿وَظَلَمُواْ﴾ نَبيَّه بكِتمانِ نَعتِه ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾ مِنَ الطُّرقِ.

[١٦٩] ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي: الطَّريقَ المؤدِّيَ إليها ﴿خَٰلِدِينَ﴾: مُقدَّرِينَ الخُلودَ ﴿فِيهَآ﴾ إذا دَخلُوها ﴿أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾: هَيِّنًا.

[١٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ﴾ به، واقصُدُوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ مِمَّا أنتم فيه ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مُلكًا وخَلقًا وعبيدًا؛ فلا يَضرُّه كُفرُكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صُنعِهِ بهم.

---

(١) وهي قِراءةُ حمزةَ.

(٢) أي: جَلالُ الدِّينِ المحليُّ.

(٣) أي: عند تفسيرِ قوله تَعالَى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر:٧٨].

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (قَبلُ).

(٥) القَصص: ٤٧.

(٦) أخرجه ابنُ إسحاقَ وابنُ جرير من طريقِه (١٠٨٥٠)، وابنُ المنذر والبيهقيُّ في الدلائل، كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٢/ ٤٣٩)، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قالَ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ جَمَاعَةٌ مِنْ يَهُودَ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنِّي والله أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ الله» فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ الله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾. وإسنادُه ضعيفٌ كما ذكرَ صاحب الاستيعاب (١/ ٥٢٠).

(٧) الشهادةُ كلامٌ، وكذلكَ البيانُ، والصَّوابُ إجراءُ الشهادةِ والكلامُ على ظاهرِها، كسائرِ الصفاتِ.

[١٧١] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: الإنجيلِ ﴿لَا تَغْلُوا﴾: تتجاوَزُوا الحدَّ ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا﴾ القولَ ﴿الْحَقَّ﴾ مِنْ تنزيهِه عَنِ الشَّريكِ والوَلدِ ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا﴾: أوصلَها اللهُ ﴿إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾ أي: ذُو رُوحٍ ﴿مِنْهُ﴾ أُضِيفَ إليه -تعالَى- تشريفًا له، ولَيسَ كما زَعمتُم ابنَ الله، أو إلهًا معه، أو ثالثَ ثلاثةٍ؛ لِأنَّ ذَا الرُّوحِ مُركَّبٌ، والإلَهَ مُنزَّهٌ عَنِ التركيبِ، وعَن نِسبةِ المُركَّبِ إليه[1] ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا﴾: الآلهةُ ﴿ثَلَاثَةٌ﴾: اللهُ وعِيسَى وأُمُّه ﴿انْتَهُوا﴾ عَن ذلكَ وائتُوا ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ منه؛ وهو: التوحيد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهًا له عَنْ ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا ومُلْكًا وعَبيدًا، والمُلْكِيةُ تُنَافي البُنُوَّةَ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: شَهيدًا على ذلكَ!

[١٧٢] ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾: يتكبَّرَ ويأنفَ ﴿الْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنَّه إلهٌ عَنْ ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عندَ الله لا يَستنكِفُونَ أن يَكونُوا عَبيدًا. وهذا من أَحسنِ الاستطرادِ. ذُكِرَ لِلرَّدِّ على مَنْ زعم أنَّها آلِهةٌ أو بَناتُ الله، كَما رُدَّ بِما قَبلَهُ على النَّصارَى -الزَّاعِمينَ ذلك- المقصودِ خِطَابُهُمْ ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ في الآخِرةِ.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: ثَوابَ أعمالِهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ «مَا لا عَينٌ رَأَتْ، ولا أُذنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ» ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عَنْ عِبادتِه ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِمًا؛ هو: عَذابُ النَّارِ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيرِه ﴿وَلِيًّا﴾ يَدفعُه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَمنعُهم منه.

[١٧٤] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾: حُجَّةٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عليكم- وهو: النَّبيُّ ﷺ- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾: بيِّنًا؛ وهو: القُرآنُ.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا﴾: طريقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ هو دِينُ الإسلامِ.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ
إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ
وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ
اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا
﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي
رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

(١) وهذه الألفاظُ مُحدَثةٌ ومُبهمةٌ، فإن كان يُقصَدُ منها نفيُ الصِّفات التي أثبتها الله لنفسِه أو أثبتَها له رسولُه ﷺ مِنَ اليدِ والقَدمِ وغيرِها؛ فهو باطلٌ، وإن كان يُقصَدُ منها نفيُ صفاتِ النَّقصِ عنه -سُبحانَه- فهو حقٌّ، ولكنِ التعبيرُ عن ذلك بعباراتِ السلفِ أَسلمُ وأَولى.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ
لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن
لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ
وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة — ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ
إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ
ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن
تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكَلالَةِ[1] ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ﴾: مرفوعٌ بِفعلٍ يُفسِّرُه[2] ﴿هَلَكَ﴾: مَاتَ ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: ولا وَالِدٌ- وهو: الكَلالَةُ- ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ مِنْ أبوينِ أو أبٍ ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ أي: الأخُ كذلكَ ﴿يَرِثُهَا﴾ جَميعَ ما تَركَتْ ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ فإنْ كان لها وَلَدٌ ذكرٌ؛ فلا شيءَ له، أو أُنثى فله مَا فَضلَ مِنْ نَصيبِها، ولو كَانت الأُختُ او الأخُ مِنْ أمٍّ؛ فَفَرْضُهُ السُّدُسُ -كَما تَقدَّمَ أوَّلَ السُّورَةِ- ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي: الأُختَانِ ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ أي: فصَاعِدًا؛ لِأنَّها نَزلتْ في جَابرٍ، وقد ماتَ عَنْ أَخَواتٍ[3] ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخُ ﴿وَإِن كَانُوا﴾ أي: الوَرَثةُ ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شَرائِعَ دِينِكم لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه المِيراثُ. رَوى الشيخَانِ عَنِ البَراءِ: أَنَّها آخرُ آيَةٍ نَزلتْ؛ أي: مِنَ الفَرائضِ[4][*].

سُورَةُ المائِدَةِ

مَدنيَّةٌ، مِائَةٌ وعِشرُونَ، أو: وثِنْتَانِ، أو: وثَلَاثُ آيَة[5]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: العُهودِ المؤكَّدةِ التي بينكم وبينَ الله والنَّاسِ ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾: الإبِلِ والبقرِ والغنمِ، أكْلًا بعدَ الذَّبحِ[6] ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمُه في: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾[7] الآيَةَ، فالاستثناءُ مُنقطعٌ. ويجوزُ أنْ يكونَ مُتَّصلًا، والتَّحريمُ لِمَا عَرَضَ مِنَ الموتِ[8]، ونحوِه ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: مُحْرِمُونَ. ونُصِبَ: ﴿غَيْرَ﴾ على الحالِ مِنْ ضميرِ: ﴿لَكُم﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ مِنَ التَّحليلِ وغيرِه، لا اعتراضَ عليه.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: جمعُ شَعِيرَةٍ؛ أي: مَعالمَ دِينِه؛ بِالصَّيدِ في الإحرامِ ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بِالقتالِ فيه ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: ما أُهدِيَ إلى الحَرَمِ مِنَ النَّعَمِ بالتعرُّضِ له ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾: جمعُ قِلادة- وهي: ما كان يُقلَّدُ به مِنْ شَجَرِ الحَرَمِ لِيأمنَ[9] - أي: فلا تَتعرَّضُوا لها ولا لأَصحابِها ﴿وَلَا﴾ تُحِلُّوا ﴿آمِّينَ﴾: قَاصِدِينَ ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بِأَنْ تُقاتلُوهم[10] ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾: رِزقًا ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بِالتِّجارةِ ﴿وَرِضْوَانًا﴾ منه بِقصدِه بِزعمِهمُ الفَاسدِ[11]- وهذا مَنسوخٌ بآيَةِ «براءة»[12]- ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ مِنَ الإحرَامِ ﴿فَاصْطَادُوا﴾: أمرُ إباحَةٍ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يُكسِبَنَّكُم ﴿شَنَآنُ﴾ - بِفتحِ النُّونِ وسُكونِها[13]-: بُغْضُ ﴿قَوْمٍ﴾ لِأَجلِ ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ عليهم بِالقَتْلِ وغيرِه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾: فِعْلِ ما أُمِرْتُم به ﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾ بِتَرْكِ ما نُهيتُم عنه ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾ - فيه حذفُ إِحدى التَّاءَينِ في الأَصلِ- ﴿عَلَى الْإِثْمِ﴾: المعاصِي ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: التعدِّي في حدودِ الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: خَافُوا عِقابَه بِأَنْ تُطيعُوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ خالَفَه.

---

[*] **ما جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٧٦):** أخرجَ مُسلِمٌ عَنْ جابرِ بن عبدِ الله قال: مَرِضتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ يَعُودَانِي مَاشِيَيْنِ، فَأُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَأَفَقْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾. مسلمٌ - كتاب الفرائض (٢٣) باب (٢) ميراث الكَلَالةِ.

---

(١) اُختُلِفَ في المراد بِالكلالةِ؛ وأَصحُّ الأقوالِ فيها هي أن يموتَ الميِّتُ وليسَ له فرعٌ ولا أصلٌ.

(٢) لأنَّ الجملةَ الشَّرطِيةَ لا يليها إلَّا الفعلُ ولو تقديرًا.

(٣) البُخاريُّ (١٩٤) مِنْ حَديثِ جابر، وأخرج نحوه مسلمٌ (١٦١٦).

(٤) البُخاريُّ (٤٦٠٥)، ومسلمٌ (١٦١٨).

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مَدنيَّةٌ، وهي: مِائَةٌ وعشرونَ آيَةً، أو واثنتانِ، أو وثَلاث). والاختلافُ في عددِ الآياتِ مَردُّه إلى الاختلافِ في تعيينِ نهاياتِ بعضِها بينَ العُلماءِ.

(٦) لو قال: «بعدَ التذكيةِ» لكانَ أحسنَ؛ لِيشملَ النَّحرَ -أيضًا-.

(٧) وهي عشرةُ أشياء مَطعومة كما جاءَتْ في الآيَةِ: أوَّلُها الميتةُ، وآخرُها ما ذُبِحَ على النُّصُبِ.

(٨) لِأنَّ ما قبلَ ﴿إِلَّا﴾ فيما أُحِلَّ، وما بعدَها فيما حُرِّمَ؛ أي: ما بعدَها مُغايرٌ لِما قبلَها في الحُكمِ والاتصالِ إذا كانَا متَّفقينِ في الحُكمِ، ويلزمُ مِن ذلكَ أنَّ كُلَّ استثناءٍ منقطعٌ؛ لأنَّ ما بعد «إلَّا» دائمًا مخالفٌ لما قبلَها منقطعًا كَانَ أو متصلًا. وأهلُ اللغةِ على أنَّ الاستثناءَ المُتَّصلَ أن يكونَ المستثنى من جِنسِ المستثنى منه، والمنقطعُ أن يكونَ مِنْ غيرِ جِنسِه.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهي: ما كان يَتقلَّدُ به مَنْ ينحرُ الهَدْيَ لِيأمنَ).

(١٠) وإن حُمِلَ على غيرِ القتالِ؛ كَالظلم، فليسَ بِمَنسوخٍ.

(١١) كلمةُ: (الفاسد) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(١٢) والآيةُ منسوخةٌ بمجموعةِ آياتٍ كما في حاشية الجمل (٢/ ١٧٤)؛ فقوله: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥]، وقولُه: ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨].

(١٣) بِالسكونِ: قِراءَةُ شعبةَ وابنِ عامر.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ
وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟
بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ
غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ
أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ
وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾
ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي: أكلُها ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي: المَسفوحُ -كما في «الأنعام»(١)- ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ بأنْ ذُبِحَ على اسمِ غَيرِه ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: المَيْتَةُ خَنْقًا ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: المقتولةُ ضَربًا ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: السَّاقِطةُ مِنْ عُلوٍّ إلى أسفلَ فماتتْ ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: المقتولةُ بِنَطْحِ أُخرَى لها ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ منه، [فماتَ](٢) ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: أدركتُم فيه الرُّوحَ مِن هذه الأَشياءِ فَذَبحتُمُوهُ، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسمِ ﴿ٱلنُّصُبِ﴾: جمعُ نِصَابٍ- وهي: الأَصنامُ- ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟﴾: تطلبُوا القَسْمَ والحُكمَ ﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾: جمعُ زلَمٍ -بِفتحِ الزَّايِ وضَمِّها مَع فتحِ اللَّامِ-: قِدْحٌ -بِكَسرِ القَافِ- صغيرٌ لا رِيشَ له ولا نَصلَ، وكانت سَبْعَةً عندَ سَادِنِ الكعبةِ، عليها أعلامٌ، وكانوا يُحَكِّمُونها؛ فإِنْ أَمَرَتْهُمُ ائتمَرُوا، وإِنْ نَهَتْهُمُ انتَهوا ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾: خُروجٌ عَنِ الطَّاعةِ. ونزلَ يومَ عرفةَ(٣)[*] عامَ حَجَّةِ الوَداعِ(٤): ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ أَنْ ترتدُّوا عنه، بعدَ طمعِهم في ذلكَ، لِـمَا رَأوا مِنْ قوَّتِه ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: أحكامَه وفَرائضَه- فلَم ينزِلْ بعدَها حَلالٌ ولا حَرامٌ- ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ بإكمالِه، وقيلَ: بِدُخولِ مَكَّةَ آمنِينَ ﴿وَرَضِيتُ﴾ أي(٥): اخْتَرْتُ(٦) ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾: مَجَاعَةٍ إلى أي شيءٍ مِمَّا حُرِّمَ عليه فأكلَه(٧) ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾: مائلٍ ﴿لِّإِثْمٍ﴾: معصيةٍ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكَلَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ به في إِباحتِه، بِخلافِ المَائلِ لإثمٍ؛ أي: المُلتبسِ به؛ كَقَاطعِ الطريقِ والبَاغِي مَثَلًا؛ فلا يَحِلُّ له الأَكلُ.

[٤] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا مُحَمَّد: ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ مِنَ الطعامِ؟ ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: المُستلَذَّاتُ ﴿وَ﴾ صَيدُ ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾: الكواسِبِ مِنَ الكلابِ والسِّباعِ والطيرِ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: حالٌ- مِنْ: كلَّبْتُ الكلبَ -بالتَّشديدِ-؛ أي(٨): أرسلتُه على الصيدِ- ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: حالٌ مِن ضَميرِ: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؛ أي: تُؤدِّبُونهنَّ ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ مِن آدابِ الصَّيدِ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإِنْ قتلنَه؛ بِأَنْ لم يأكُلنَ منه، بِخِلافِ غَيرِ المُعلَّمةِ؛ فلا يَحِلُّ صَيدُها- وَعلامَتُها(٩) أنْ تَسْتَرْسِلَ إذا أُرْسِلَتْ، وَتَنْزَجِرَ إذا زُجِرَتْ، وَتُمْسِكَ الصَّيدَ ولا تَأْكُلَ منه. وأقلُّ ما يُعرفُ به ذلكَ ثَلاثُ مَرَّاتٍ. فإِنْ أَكَلَتْ(١٠) منه فليسَ مِمَّا أمسكنَ على صَاحِبِها(١١)؛ فلا يَحِلُّ أَكلُه، كما في حديثِ الصَّحِيحَينِ. وفيه: «أَنَّ صَيْدَ السَّهْمِ إِذَا أُرْسِلَ وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، كَصَيْدِ المُعَلَّمِ مِنَ الجَوَارِحِ»(١٢)- ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عندَ إِرسالِه(١٣) ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

[٥] ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: المُستلَذَّاتُ ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: ذبائحُ اليَهودِ والنَّصارى ﴿حِلٌّ﴾: حلالٌ ﴿لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ﴾ إِيَّاهم ﴿حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: الحَرائرُ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ حِلٌّ لكُم أن تَنكِحُوهُنَّ ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورَهنَّ ﴿مُحْصِنِينَ﴾: متزوِّجينَ ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: مُعلِنِينَ بِالزِّنا بِهِنَّ ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ مِنهنَّ، تُسِرُّونَ بِالزِّنا بِهِنَّ ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: يرتدَّ ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ الصَّالِحُ قبلَ ذلكَ؛ فلا يُعتَدُّ به، ولا يُثابُ عليه ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إذا ماتَ عليه.

---

[*] **فَائِدَةٌ**: أخرجَ البُخاريُّ في صحيحه، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ». البُخاريُّ-كتاب الإيمان (٢) بَابُ (٣٣) زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ. وأخرجَه مسلمٌ في صحيحه (٣٠١٧) بنحوه-كتاب التفسير (٥٤).

---

(١) أي: في قوله تَعالَى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام:١٤٥].

(٢) زيادة: (فمات) ليست في الأَصلِ، وهي مثبتة في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة وحاشية الجمل: (ونزل بعرفة).

(٤) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٤٤٠٧)، ومسلم (٣٠١٧).

(٥) كلمة: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٦) هذا تأويل لصفة الرضا الثابتة لله عَزَّوَجَلَّ على الوجه الذي يليق به سبحانه. ومن لوازمها أنه اختار ما رضاه من الدِّين لهذه الأُمَّة.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فأكل).

(٨) كلمة: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٩) ذكر المصنِّف أربعَ علاماتٍ، وهي مُعتبرةٌ في الكلب والسَّبُع، وأمَّا الطير فلا يُعتبرُ فيه إلَّا قيدان: ألَّا يأكل منه، وإذا أُرسِل استرسَلَ.

(١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أكلن).

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (صاحبهنَّ).

(١٢) لا يوجد بهذا اللفظ في الصحيحين، ولكن يُستفاد هذا الحكم من أحاديث فيها. ينظر: البُخَارِيُّ (٥٠٦٢)، ومسلم (٣٥٦٥).

(١٣) ذهب المصنِّف إلى أن الضمير عائد إلى: ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾، وقيل: عائد إلى: ﴿مَآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: سمُّوا الله إذا أدركتم ذَكَاتَهُ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ
وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ
ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا
طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ
وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦
وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ
لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ﴾ أي: أردتُم القِيامَ ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وأنتم مُحدِثونَ ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ أي: مَعها -كما بَيَّنَتْهُ السُّنَّةُ[1]- ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾: الباءُ للإلصاقِ[2]؛ أي: ألصِقُوا المَسحَ بها، مِنْ غيرِ إسالةِ مَاءٍ. وهو اسمُ جِنسٍ، فيَكفي أقلُّ ما يَصدُقُ عليه؛ وهو: مَسحُ بعضِ شَعْرِهِ[3]. وعليه الشافعيُّ ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾: بِالنَّصبِ، عطفًا على ﴿أَيۡدِيَكُمۡ﴾، وبِالجرِّ[4] على الجِوارِ[5] ﴿إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ أي: معهما -كما بَيَّنَتْهُ السُّنَّةُ[6]-؛ وهما: العَظمانِ النَّاتئانِ في كُلِّ رِجلٍ عند مَفصِلِ السَّاقِ والقَدَمِ. والفَصْلُ بينَ الأيدي والأَرجُلِ المَغسولةِ بِالرأسِ الممسوحِ يَفيدُ وُجوبَ الترتيبِ في طَهارةِ هذه الأعضاءِ، وعليه الشافعيُّ. ويُؤخَذُ مِنَ السُّنَّةِ وُجوبُ النِّيَّةِ فيه، كَغيرِه مِنَ العِباداتِ ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾: فاغتَسِلُوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ مَرَضًا يَضرُّه الماءُ ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مُسافِرِينَ ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ أي: أَحْدَثَ ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾- سبقَ مِثلُه في آيةِ «النِّساءِ»- ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾ بعدَ طلبِه ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾: اقصِدُوا ﴿صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾: تُرابًا طاهرًا ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم﴾ مَع المِرفَقَينِ ﴿مِّنۡهُۚ﴾ بِضربَتَينِ[7]. والباءُ: للإلصاقِ. وَبَيَّنَتِ السُّنَّةُ أنَّ المرادَ استيعابُ العُضوَينِ بِالمسحِ[8] ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم﴾ [في الدِّين][9] ﴿مِّنۡ حَرَجٖ﴾: ضِيقٍ، بما فَرَضَ عليكم مِنَ الوُضوءِ والغُسلِ والتَّيَمُّمِ ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ مِنَ الأَحداثِ والذُّنوبِ ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ بِالإسلامِ؛ ببيانِ شَرائعِ الدِّينِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ نِعمَهُ[*].

[٧] ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بِالإسلامِ ﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾: عهدَه ﴿ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾: عَاهدَكم عليه ﴿إِذۡ قُلۡتُمۡ﴾ للنَّبيِّ ﷺ حِينَ بايعتُموه: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ في كُلِّ ما تَأمُرُ به وَتَنهى؛ مِمَّا نُحِبُّ وَنَكرَهُ[10] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ في مِيثاقِه أن تَنقضُوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في القُلوبِ، فبِغَيرِه أولَى.

[٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾: قائِمينَ ﴿لِلَّهِ﴾ بحُقوقِه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: بِالعدلِ ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: يَحمِلَنَّكُمْ ﴿شَنَـَٔانُ﴾: بُغْضُ ﴿قَوۡمٍ﴾ أي: الكُفَّارِ ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ فتنالُوا منهم؛ لِعداوتِهم ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ في العَدوِّ والوَليِّ ﴿هُوَ﴾ أي: العَدلُ ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازِيكم به.

[٩] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وَعدًا حسنًا ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ هو الجَنَّةُ.

---

[*] **ما جاءَ في نُزولِ الآيةِ (٦):** أخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها: سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ، وَنَحْنُ دَاخِلُونَ المَدِينَةَ، فَأَنَاخَ النَّبِيُّ ﷺ، وَنَزَلَ فَثَنَى رَأْسَهُ فِي حَجْرِي رَاقِدًا، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ فَبِي المَوْتُ، لِمَكَانِ رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ أَوْجَعَنِي، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ، فَالْتُمِسَ الْمَاءُ فَلَمْ يُوجَدْ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآيَة. فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: لَقَدْ بَارَكَ اللهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَرَكَةٌ لَهُمْ. البُخاريُّ - التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (٣).

---

(١) مِنْ حَديثِ وائلِ بن حُجرٍ الحضرميِّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ «غَسَلَ في وُضوئه: يَمينَه ويَسارَه، حَتَّى جَاوَزَ الْمِرْفَقَ ثَلاثًا، وغَسلَ رِجلَيْهِ حتى جَاوَزَ الْكَعْبَيْنِ». أخرجه الدارقطنيُّ مِنْ حَديثِ عثمانَ، وأخرجه الدارقطنيُّ والبيهقيُّ عَن جابرٍ، وأخرجَه البزَّارُ والطبرانيُّ مِنْ حَديثِ وائلِ بن حُجرٍ، وأخرجَه الطحاويُّ والطبرانيُّ مِنْ حَديثِ ثعلبةَ بنِ عبَّادٍ عن أبيه مرفوعًا. فتح الباري (١/ ٣٥٠). وانظر: صحيح الجامع (٤٦٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٥/ ٩٩).

(٢) وقيلَ: لِلتبعيضِ. وهو قولٌ مرجوحٌ.

(٣) في نُسخَةِ قَباوَة وحاشيةِ الجمل: (بعض شَعرِهِ)، وفي قُرَّةِ العَينينِ وبعض المطبوعاتِ: (بعض الشعر). وما ذكرَه المُفسِّر هو مذهبُ الشافعيِّ. وقال أبو حنيفَةَ: يجبُ مسحُ رُبعِ الرأسِ. وقالَ مالكٌ وأحمدُ: يجبُ مسحُ الجميعِ، كما يجبُ مسحُ الوجهِ في التيمُّمِ. وهو الصحيحُ.

(٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (والجرِّ)، بِدونِ الباءِ.

(٥) قِراءةُ الجرِّ لابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وحمزةَ وشعبةَ. وقولُه: «على الجِوارِ»؛ أي: فهو في المعنَى منصوبٌ بفتحةٍ مُقدَّرةٍ على آخرِه، واعتُرِض على هذا بأنَّه لم يَرِدِ الجرُّ بِالمجَاورةِ إلَّا في النعتِ، والأَولى أنْ يقالَ: إنَّه مجرورٌ لفظًا ومعنًى، مَعطوفٌ على الرؤوسِ، والمسحُ مسلَّطٌ عليه، ويحملُ على حالةِ لُبسِ الخُفِّ.

(٦) كما تقدَّمَ قريبًا في حديثِ وائلِ بنِ حُجرٍ.

(٧) حديثُ الضَّربَتَينِ ضعيفٌ، والصَّحيحُ أنَّ التَّيمُّمَ ضربةٌ واحدةٌ، كما في حديثِ عَمَّارٍ عِندَ البُخَارِيِّ مرفوعًا: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا»، ونفخَ فيهما، ثُمَّ مسحَ بهما وجهَه وكفَّيه. البُخَارِيُّ (٣٤٧).

(٨) الحديثُ رُوِيَ عن ابنِ عُمرَ عند الدارقطنيِّ (١/ ١٨٠) مرفوعًا، وصحَّحَ الأئمةُ وقفَه على ابنِ عُمرَ.

(٩) جملة: (في الدِّين) لَيسَتْ في الأَصلِ، والمُثبَتُ من نُسخَةِ قَباوَة.

(١٠) في نُسخَةِ قَباوَة: (مِمَّا تُحِبُّ وَتَكرَهُ)؛ فيكون الخطابُ للرَّسولِ ﷺ: أي: ما تحبُّ مما أَمرتَ به، وما تكرهُ ممَّا نهيتَ عنه؛ فهو لفٌّ ونشرٌ مُرتَّبٌ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ (١١) ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِمْ
مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا
بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)

الحزب ١١

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾- هُم قُرَيشٌ- ﴿أَنْ يَبْسُطُوا﴾: يَمدُّوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ لِيَفتِكُوا بِكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وعَصَمَكم مِمَّا أرادُوا بكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[*].

[١٢] ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بِمَا يُذكَرُ بعدُ[1] ﴿وَبَعَثْنَا﴾ -فيه التفاتٌ عن الغَيبةِ-: أقمنَا ﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ مِنْ كُلِّ سِبطٍ نقيبٌ، يكونُ كفيلًا على قَومِه؛ بِالوفَاءِ بِالعهدِ تَوثِقَةً عليهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بِالعَونِ والنُّصرةِ[2] ﴿لَئِنْ﴾: لَامُ قَسَمٍ ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نَصرتُموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِالإنفاقِ في سبيلِه ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ المِيثَاقِ ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أخطأَ طريقَ الحقِّ. والسَّواءُ في الأَصلِ: الوَسَطُ. فنَقَضُوا المِيثَاقَ.

[١٣] قال تَعالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: «ما»: زائدةٌ ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾: أبعدنَاهم عَنْ رَحمتِنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تَلينُ لِقَبُولِ الإيمانِ ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التَّورَاةِ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وغيرِه ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وَضَعَه الله عليها؛ أي: يُبدِّلونَه ﴿وَنَسُوا﴾: تَرَكُوا ﴿حَظًّا﴾: نَصِيبًا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا﴾: أُمِروا ﴿بِهِ﴾ في التَّورَاة، مِنِ اتِّباعِ مُحَمَّدٍ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ - خِطابٌ للنَّبِيِّ ﷺ- ﴿تَطَّلِعُ﴾: تَظهَرُ ﴿عَلَىٰ خَائِنَةٍ﴾ أي: خِيانةٍ ﴿مِنْهُمْ﴾ بِنَقضِ العَهْدِ وغيرِه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ مِمَّنْ أسلَمَ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. وهذا[3] مَنسوخٌ بِآيةِ السَّيفِ[4].

---

[*] فَائِدَةٌ: قال الأَلوسيُّ: «والآيةُ إشارةٌ إلى ما أخرجَه مسلمٌ وغيرُه مِنْ حديثِ جابرٍ أنَّ المشركينَ رأَوا أنَّ رسولَ الله ﷺ وأَصحابَه رَضِيَ اللهُ عَنهُم بِعُسفانَ قَامُوا إِلَى الظُّهرِ مَعًا، فلَمَّا صلَّوا ندمُوا أَلَّا كَانُوا أَكبُّوا عَلَيهِم، وهمُّوا أن يُوقِعوا بهم إذا قَامُوا إِلَى العَصرِ، فرَدَّ الله كيدَهم بِأَنْ أنزل صَلَاةَ الخَوْفِ...». وقيلَ غير ذلك. رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/ ١٢٤، ١٢٥).

---

(١) أي: مِنْ قولِه: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية [المائدة:١٢].

(٢) كما سبقَ في التعليق على آيتي البقرةِ (١٥٣)، و(٢٤٩): هذا من لوازمِ مَعيَّتِه -سُبْحَانَهُ- الخاصَّةِ بعبادِه المؤمنينَ. ومَعيَّتُه -سُبْحَانَهُ- مع خلقِه نوعانِ؛ عامَّةٌ وخاصَّةٌ، وقد اشتملَ القرآنُ على النوعينِ، وحقيقتُها الصُّحبةُ اللائِقةُ. وقد أخبرَ -سُبْحَانَهُ- أنَّه مع خَلقِه، مع كونِه مستويًا على عرشِه، وقرنَ بين الأمرينِ في آيةِ الحديدِ، وكِلاهما حَقٌّ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (هذا).

(٤) وهي الآيةُ الخامسةُ مِنْ سُورةِ التوبةِ؛ ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

الجزءُ السادس — سورة المائدة

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ
حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ
وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ
جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ
قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾
يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ
وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ
وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ
قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ
ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ
يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

[١٤] ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾: مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾ كما أخذنا على بَني إِسرائيلَ اليَهودِ، ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ في الإِنجيلِ؛ مِنَ الإِيمانِ وغَيرِه، ونَقضُوا المِيثاقَ ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾: أَوقَعْنا ﴿بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ بِتفرُّقِهم واختلافِ أهوائِهم، فكُلُّ فِرقةٍ تُكفِّرُ الأُخرى ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخرةِ ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ فيُجَازِيهم عليه.

[١٥] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ - اليَهودَ والنَّصارى- ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ مُحَمَّدٌ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ﴾: تكتمونَ ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ والإِنجيلِ؛ كآيةِ الرَّجمِ[*] وصِفتِه[1] ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ مِنْ ذلكَ؛ فلا يُبيِّنُه، إذا لم يكنْ فيه مصلحةٌ إِلَّا افتضاحُكم. ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ هو النَّبيُّ ﷺ ﴿وَكِتَٰبٞ﴾: قُرآنٌ ﴿مُّبِينٞ﴾: بيِّنٌ ظاهرٌ.

[١٦] ﴿يَهۡدِي بِهِ﴾ أي: بِالكتابِ ﴿ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ بِأَنْ آمَنَ ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: طُرُقَ السَّلامةِ ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإِيمانِ ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بِإِرادتِه[2] ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: دِينِ الإِسلامِ.

[١٧] ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ حيثُ جعلُوه إِلهًا. وهُمُ اليعقوبيَّةُ -فِرقةٌ مِنَ النَّصارَى[3]- ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ﴾ أَنْ يَدفعَ ﴿مِنَ﴾ عَذابِ ﴿ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾؟ أَي: لا أحدَ يَملِكُ ذلك- ولو كانَ المسيحُ إِلهًا؛ لَقَدَرَ عليه- ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ شاءَه[4] ﴿قَدِيرٞ﴾.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ الحاكمُ (٤/ ٤٠٠) وغيرُه عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «من كفرَ بِالرَّجمِ، فقد كفرَ بِالقُرآنِ مِن حيثُ لا يَحتسِبُ. وذلكَ قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فكانَ مِمَّا أخفَوه الرَّجم». قال الحاكمُ: هذا حديثٌ صحيحُ الإِسنادِ ولم يُخرِّجاه. ووافقه الذَّهبيُّ. وأخرجَه ابنُ حِبَّان في صحيحِه (١٠/ ٢٧٦) وصحَّحه الأرناؤوطُ. الإحسان في تقريب صحيحِ ابن حِبَّان (٤٤٣٠).

---

(١) أي: صِفةِ النَّبيِّ ﷺ المذكورةِ في التوراةِ والإِنجيلِ.

(٢) كما سبقَ في التعليقِ على آيةِ البقرة (١٠٢)، أَنَّ الصحيحَ هو تفسيرُ «بإذنه»: أي: بأمرِه، كما فسَّرَه في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾، وهذا يقتضي إثباتَ الكلامِ لله عَزَّوَجَلَّ، كما هو مذهبُ السَّلفِ الصَّالحِ؛ حيثُ يُثبتونَ الكلامَ على الحقيقةِ بِحرفٍ وصَوتٍ، على ما يليقُ بِجلالِه تعالى.

(٣) بل هذا هو مُعتقدُ عامَّتهم.

(٤) والأَولى الإِطلاقُ وعدمُ التقييدِ، كما أطلقَ الله عَزَّوَجَلَّ، ورسولُه ﷺ، كما أنَّه أكملُ في الصِّفةِ، واللهُ أعلم.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا
الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا
عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ
فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ
غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١١١

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ﴾ أي: كُلٌّ منهما[١]: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي: كأبنائِه في القُربِ والمنزلةِ، وهو كأبينا في الرَّحمةِ والشَّفقةِ ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ﴾ لهم يا مُحمَّد: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ إن صَدقتُم في ذلكَ؟ ولا يُعذِّبُ الأَبُ وَلَدَهُ ولا الحَبيبُ حَبيبَهُ، وقَدْ عذَّبكم؛ فأنتم كاذِبونَ ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾ مِنْ جُملةِ[٢] مَنْ ﴿خَلَقَ﴾ مِن البشرِ، لكُم ما لَهم، وعليكُم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرةَ له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تَعذِيبَه، لا اعتراضَ عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ.

[١٩] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: مُحمَّدٌ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شَرائِعَ الدِّينِ ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾: انقطاعٍ ﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ - إذ لم يَكنْ بينَه وبيَن عِيسَى رَسولٌ، ومُدَّةُ ذلك خَمسُمِائَةٍ [وتِسعٌ][٣] وسِتُّونَ سنةً[٤]- لِـ﴿أَن﴾[٥] لا ﴿تَقُولُوا﴾ إذا عُذِّبتُم: ﴿مَا جَاءَنَا مِن﴾: زائدةٌ ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عُذرَ لكم إذًا ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومِنهُ تعذيبُكم، إنْ لَمْ تَتَبعُوه.

[٢٠] ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي: منكم ﴿أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أصحابَ خَدَمٍ وحَشَمٍ[٦] ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ مِنَ المَنِّ والسَّلوى وَفَلْقِ البحرِ وغيرِ ذلك.

[٢١] ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: المُطهَّرةَ ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أمرَكُم بِدُخولِها - وهي: الشَّامُ- ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾: تنهزِمُوا خَوفَ العَدوِّ ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ في سَعيِكم.

[٢٢] ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ مِنْ بَقايَا عادٍ طِوالًا ذَوِي قُوَّةٍ[٧] ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ لها.

[٢٣] ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مُخالَفةَ أَمرِ اللهِ- وهما: يُوشَعُ وَكَالَبُ[٨]؛ مِنَ النُّقباءِ الذين بعثَهم مُوسَى في كشفِ أحوالِ الجَبابرةِ- ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بِالعِصْمَةِ فكتَما ما اطَّلَعَا عليه مِنْ حالِهم إلَّا عَن مُوسَى؛ بِخلافِ بَقيَّةِ النُّقباءِ فأَفشَوه؛ فجَبُنُوا: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: بابَ القريةِ، ولا تخشَوهم؛ فإنَّهم أجسادٌ بِلا قُلوبٍ ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ قالا ذلكَ تيقُّنًا بِنصرِ اللهِ وإنجازِ وَعدِه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (كلٌّ منهم).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِـ﴾ـن جملة ﴿ـمَّنْ خَلَقَ﴾)،وفيه تفكيكٌ لِرسم المصحفِ الشريفِ، وهو خِلافٌ لِقواعدِ الإملاءِ. وفي نسخةِ حاشيةِ الجملِ: (﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾ جملة مَن ﴿خَلَقَ﴾).

(٣) كلمة: (وتِسعٌ)؛ لَيسَتْ في الأَصلِ، وأثبتناها مِن نُسخةِ حاشيةِ الجملِ، ومِن نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) أخرجَ البُخارِيُّ (٣٦٥٤) عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: «فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى، وَمُحَمَّدٍ ﷺ، سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ». وَعَنْ قَتَادَةَ: خَمْسُمِائَةٍ وَسِتُّونَ سَنَةً. أخرجَه عبدُ الرزَّاق عن مَعْمَر عنه. وعن الكلبيِّ: خَمْسُمِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ، وقيل: أَرْبَعُمِائَةٍ سنةٍ. فتح الباري (٧/ ٣٢٥). وَعَنِ الضَّحَّاكِ: أَرْبَعُمِائَةٍ وَبِضْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. وَالْمَشْهُورُ سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: سِتُّمِائَةٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً بِالْقَمَرِيَّةِ فَتَكُونُ سِتَّمِائَةٍ بِالشَّمْسِيَّةِ. البداية والنهاية (٢/ ٥٨٢).

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿أَن﴾)؛ بدونِ حرفِ (لِـ).

(٦) الحَشَمُ: خَدَمُ الرَّجُلِ، ومَن دونَ أهلِه من وَلَدِه وعِيالِه. العين للفراهيديِّ (٣/ ٩٩). وجاء في حاشية الصاوي (١/ ٢٧٦): الخَدَم: يُطلق على الذَّكر والأُنثى. والحَشَم: الخدمُ من الرِّجالِ خاصَّةً.

(٧) رَوى عبدُ الرزَّاقِ في تَفسِيرِه (٢/ ١٥) عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «هُمْ أَطْوَلُ مِنَّا أَجْسَامًا وَأَشَدُّ قُوَّةً»، وأخرجَ نحوه الطبريُّ (١١٦٥٨، ١١٦٥٩)، وما جاءَ من رواياتٍ في وصفِ هؤلاءِ القومِ لم يثبت منه شيءٌ مرفوعٌ تَقومُ به الحُجَّةُ، ولعلَّ ذلك مِنَ الإسرائيليَّاتِ، واختارَ بعضُ أهلِ العلم أن لا يعتمد ذلك في تفسير كلام الله عَزَّوَجَلَّ، بل لا يُفسَّرُ القُرآنُ إلَّا بما هو متيقَّنٌ غيرُ مشكوكٍ فيه، وأمَّا الإذن في نقلِ أخبارِ أهلِ الكتابِ وأحاديثِهم بغيرِ تصديقٍ ولا تكذيبٍ، فهو في غيرِ تفسيرِ القُرآنِ الكريم، وهو قولٌ وجيهٌ وقويٌّ. وسبقَ الكلامُ عن أقسامِ الإسرائيليَّاتِ في سُورة البقرة عند ذِكرِ التابوت، فليُراجَعْ.

(٨) أخرجَه ابنُ جَريرٍ الطبريُّ (١١٦٦٨) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وأخرجَه (١١٦٧٢) عَنْ قَتَادَةَ، وأخرجَه أيضًا (١١٦٦٩) عَنِ السُّدِّيِّ؛ قال: «وَهُمَا اللَّذَانِ كَتَمَاهُمْ: يُوشَعُ بْنُ نُونٍ فَتَى مُوسَى، وَكَالُوبُ ابنُ يوفنة خَتَنُ مُوسَى». وأخرجَه عبدُ بن حميد عن عطية العوفيِّ. الدُّرُّ المنثور (٢/ ٤٧٩).

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٢٦﴾ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ (الحزب ١٢)
مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا
الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

[٢٤] ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ هم ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتالِ.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذٍ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ﴾ إلَّا ﴿أَخِي﴾ ولا أملكُ غيرَهما؛ فأجْبُرَهم على الطَّاعةِ ﴿فَافْرُقْ﴾: فافصِلْ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ تعالَى له: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرضَ المُقدَّسةَ ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ﴾: يتحيَّرونَ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهي تِسعةُ فراسخَ. قاله ابنُ عبَّاسٍ[1]. ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: تحزَنْ ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ رُوِيَ أنَّهم كانوا يسيرون الليلَ جادِّين، فإذا أصبحوا إذا هُم[2] في الموضعِ الذي ابتدؤوا منه، ويسيرونَ النَّهارَ كذلك، حتى انقرضُوا كُلُّهم إلَّا مَنْ لَمْ يَبلُغِ العِشرينَ. قيل: وكانوا سِتَّمِائةِ ألفٍ. وماتَ هارونُ ومُوسَى في التِّيهِ[3]، وكان رحمةً لهما وعذابًا لأُولئك. وسأَلَ مُوسَى ربَّه عند موتِه أن يُدْنِيَه مِنَ الأرضِ المُقدَّسةِ رَميةً بحَجَرٍ؛ فأدناهُ -كما في الحديثِ[4]-. ونُبِّئَ يُوشَعُ بعدَ الأربعينَ، وأُمِرَ بقتالِ الجبَّارين؛ فسارَ بِمَنْ بَقِيَ معه وقاتَلَهم، وكان يومَ الجُمُعةِ، ووقفتْ له الشَّمسُ ساعةً حتى فَرَغَ مِنْ قتالِهم. وروى أحمدُ في مُسنَدِه حديثَ: «إنَّ الشَّمسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إلَّا لِيُوشَعَ[5] لَيَالِيَ سَارَ إلَى بَيْتِ المَقْدِسِ»[6].

[٢٧] ﴿ * وَاتْلُ﴾ - يا مُحمَّدُ- ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على قومِك ﴿نَبَأَ﴾: خَبَرَ ﴿ابْنَيْ آدَمَ﴾ هابيلَ وقابيلَ[7] ﴿بِالْحَقِّ﴾ - مُتعلِّقٌ بـ﴿اتْلُ﴾- ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ إلى الله، وهو: كَبْشٌ لِهابيلَ وزرعٌ لِقابيلَ[8] ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيلُ؛ بأنْ نزلتْ نارٌ مِنَ السَّماءِ فأكلتْ قُربانَه ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ وهو قابيلُ؛ فغضِبَ وأضمرَ الحَسَدَ في نفسِه إلى أن حَجَّ آدمُ ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لِمَ؟ قال: لِتقَبُّلِ قُربانِك دُوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَئِن﴾: لامُ قَسَمٍ ﴿بَسَطتَ﴾: مَدَدْتَ ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ في قتلِك[*].

[٢٩] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ﴾: ترجِعَ ﴿بِإِثْمِي﴾: بإثمِ قتلي ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الذي ارتكبتَه مِن قَبلُ ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أُريدُ أنْ أبوءَ بإثمِكَ إذا قتلتُكَ؛ فأكونَ منهم. قال تعالَى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتْ﴾: زيَّنتْ ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصارَ ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بقتلِه -ولَمْ يَدْرِ ما يَصنعُ به؛ لأنَّه أوَّلُ مَيِّتٍ على وجهِ الأرضِ مِنْ بني آدمَ، فحمَلَه على ظهرِه-.

[٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾: يَنبُشُ التُّرابَ بمِنقارِه وبرِجلَيه، ويُثيرُه على غُرابٍ مَيِّتٍ معه حتَّى وارَاهُ ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي﴾: يَستُرُ ﴿سَوْءَةَ﴾: جِيفةَ ﴿أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ﴾ عَنْ ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حَمْلِه، وحَفَرَ له وواراهُ.

---

[*] فائدةٌ: أخرجَ أبو داودَ عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ عن النَّبيِّ ﷺ في هذا الحديثِ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن دَخَلَ عليَّ بيتي، وبَسَطَ يدَه ليقتُلَني؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «كُنْ كَابْنِ آدَمَ»، وتلا يزيدُ -هو يزيدُ بنُ خالدٍ الرمليُّ شيخُ أبي داودَ-: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ الآيةَ. أبو داود - كتاب الفتن والملاحم (٢٩) باب (٢) في النَّهيِ عنِ السعيِ في الفتنةِ. وأشارَ مُحقِّقُه في هامشه (٤/ ٤٥٦) أنَّه وقع في نُسخةٍ: «كن كَخيرِ ابني آدمَ». وصَحَّحَه الألبانيُّ في صَحيحِ سُنَنِ أبي داودَ (٣٥٨١).

---

(١) نسبه إليه ابنُ الجوزيِّ في زاد المسير (١/ ٥٣٥)، بدونِ سَنَدٍ. وأخرج الطبريُّ (٩٩٤) و(١١٦٩٠) عن الربيع بن أنس أنها خمسةُ فراسخَ أو سِتَّة، أو دون ذلك.

(٢) أخرج نحوه ابن جرير الطبريُّ عن (٩٩٤) عن الربيع بن أنس، و(١١٧٠١) عَنْ مُجاهِدٍ.

(٣) قال ابنُ كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٢٣): «وكَانَ قَدْ سَبَقَ فِي قَدَرِ الله، أنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمُوتُ فِي التِّيهِ، بَعْدَ هَارُونَ أَخِيهِ... وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، هُوَ الَّذِي خَرَجَ بِهِمْ مِنَ التِّيهِ، وَدَخَلَ بِهِمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ. وَهَذَا خِلَافُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَجُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ...».

(٤) البُخاريُّ (٣٤٠٧)، ومسلمٌ (٢٣٧٢)، مِن حديثِ أبي هُريرةَ مرفوعًا.

(٥) أي: قبلَ يُوشع، وإلَّا فقد حُبِستْ لنبيِّنا ﷺ مرَّتين؛ يومَ الخندقِ، وصبيحةَ ليلةِ الإسراءِ.

(٦) رواه أحمد (٨٣١٥) عن أبي هُريرةَ مرفوعًا، وصَحَّحَه الألبانيُّ في الصحيحة (٢٠٢)، وقال هذا حديثٌ صحيحٌ جليلٌ.

(٧) لم يَرِدِ اسما قابيلَ وهابيلَ باللفظِ في كتابِ الله تعالى، ولا في الصِّحاحِ مِن سنَّةِ رسولِ الله ﷺ، وهو كما قال الشيخُ أحمدُ شاكر في عُمدةِ التفسير (١/ ٦٦٢): «وأمَّا تسميتُهما بقابيلَ وهابيلَ فإنَّما هو مِنْ نقلِ العلماءِ عن أهلِ الكتابِ، ولم يَرِدْ به القرآنُ، ولا جاءَ في سُنَّةٍ ثابتةٍ فيما نعلمُ، فلا علينا ألَّا نجزمَ به ولا نُرجِّحَه، وإنَّما هو قولٌ قِيلَ».

(٨) أخرجَه الطَّبريُّ (١١٧٥١) مُطوَّلًا، عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، بإسنادٍ جيدٍ، كما قال أحمد شاكر في عُمدةِ التفسير (١/ ٦٦٣)، وقال معقِّبًا: «وهو خبرٌ -كما ترى- ليس مِنَ السُّنَّةِ النبويَّةِ، بل ظاهرُه يدلُّ على أنَّه ممَّا أخذَه ابنُ عبَّاسٍ عَنْ أهلِ الكتابِ».

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى
ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم
مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلَه قابيلُ ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ﴾ أي: الشأنَ ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: قتلها ﴿أَوْ﴾ بغيرِ ﴿فَسَادٍ﴾ أتاهُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ كُفْرٍ أوْ زِنًا أوْ قَطْعِ طَرِيقٍ أوْ نَحْوِهِ ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأنِ امتنعَ مِنْ قَتْلِها ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: مِنْ حيثُ انتهاكُ حُرمَتِها وصَونُها(1) ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ أي: بني إسرائيلَ ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجزاتِ ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: مُجاوِزُونَ الحدَّ بالكُفرِ والقَتْلِ، وغَيرِ ذلكَ.

[٣٣] ونَزَلَ في العُرنيِّينَ -لَمَّا قَدِمُوا المدينةَ وهم مَرضَى؛ فأَذِنَ لهم النَّبِيُّ ﷺ أنْ يخْرُجُوا إلى الإبلِ ويَشرَبُوا مِنْ أبوالِها وألبانِها، فلمَّا صَحُّوا قَتلُوا راعِيَ النَّبِيِّ ﷺ واستاقُوا الإبلَ(2)-: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بِمُحاربَةِ المُسلمينَ ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بِقَطْعِ الطَّريقِ ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي: أيدِيهم اليُمنَى وأرجلُهم اليُسرى ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿أَوْ﴾: لِترتيبِ الأحوالِ. فالقَتْلُ لِمَنْ قَتلَ فقط، والصَّلبُ لِمَنْ قَتلَ وأخذَ المالَ، والقَطعُ لِمَنْ أخذَ المالَ ولَمْ يَقتلْ، والنَّفيُ لِمَنْ أخافَ فقط. قالَه ابنُ عبَّاسٍ(3)، وعليه الشافِعيُّ(4). وأصحُّ قَولَيه: أنَّ الصَّلبَ ثلاثًا(5) بعدَ القَتْلِ، وقِيلَ: قبلَه قليلًا. ويُلحَقُ بالنَّفيِ ما أشبهَه في التنكيلِ مِنَ الحَبْسِ وغيرِه(6) ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاءُ المذكورُ ﴿لَهُمْ خِزْىٌ﴾: ذُلٌّ ﴿فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذابُ النَّارِ.

[٣٤] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ مِنَ المُحاربينَ والقُطَّاعِ ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. عَبَّرَ بذلك دُونَ «فلا تَحُدُّوهُم»؛ لِيُفيدَ أنَّه لا يَسقُطُ عنه بتوبتِه إلَّا حُدودُ اللهِ -[تعالى](7)- دُونَ حُقوقِ الآدميِّينَ. كذا ظهرَ لي، ولم أرَ مَنْ تعرَّضَ له. واللهُ أعلمُ. فإذا قتلَ وأخذَ المالَ يُقتَلُ ويُقطَعُ ولا يُصلَبُ(8)- وهو أصحُّ قَولَي الشَّافعيِّ- ولا تُفيدُ توبتُه بعدَ القُدرةِ عليه شيئًا. وهو أصحُّ قولَيه أيضًا[*].

[٣٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: خافُوا عِقابَه؛ بأنْ تُطيعُوه ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟﴾: اطلُبُوا ﴿إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: ما يُقرِّبُكم إليه مِنْ طاعتِه ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ لإعلاءِ دِينِه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفوزُونَ.

[٣٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ﴾ ثَبَتَ ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَتَينِ (٣٣، ٣٤): أخرجَ النَّسائِيُّ عَنْ أنسٍ: «أَنَّ نَفَرًا مِنْ عُكْلٍ قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاجْتَوَوُا المَدِينَةَ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، فَفَعَلُوا فَقَتَلُوا رَاعِيَهَا وَاسْتَاقُوهَا، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَلَبِهِمْ»، قَالَ: «فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَّرَ أَعْيُنَهُمْ، وَلَمْ يَحْسِمْهُمْ وَتَرَكَهُمْ حَتَّى مَاتُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآيةَ. النَّسائِيُّ - كتاب تحريم الدم (٣٧) باب (٧)، والحديث عند البُخاريِّ بدونِ ذكرِ نُزولِ الآيةِ. البُخاريُّ - كتاب الوضوء (٤) باب (٦٦) أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها.

---

(١) لَمْ أجدْه عَنِ ابنِ عبَّاسٍ أو غيرِه، وأخرجَ ابنُ جريرٍ (٤/ ٢٠٢) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: أوبقَ نفسَه كما لو قتلَ النَّاسَ جميعًا. وفي قولِه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ قال: مَنْ سَلِمَ مِن قتلِها. وانظر أيضًا: الدُّرَّ المنثور (٣/ ٦٤). وروى الشيخانِ عَنْ عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا -أي نصيب- مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ». البُخاريُّ (٣٣٣٥)، ومسلمٌ (٤٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٩٨)، والنَّسائِيُّ (٣٩٥٩) عن أنسِ بن مالكٍ، والقِصَّةُ في البُخاريِّ ومسلمٍ بدونِ ذِكرِ أنَّها سببٌ لِنزولِ الآيةِ. وصَحَّحَه الألبانيُّ في صَحيحِ سُنَنِ النَّسائِيِّ (٣٧٥٨).

(٣) رَواهُ عبدُ الرزَّاقِ في مُصنَّفِه (١٨٥٤٤) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ بسندٍ واهٍ جدًّا، كما قال الألبانيُّ في الإرواء (٢/ ٩٨). وأخرج الطبريُّ (١١٨٥٠) عنه: «مَنْ شَهَرَ السِّلَاحَ فِي قُبَّةِ الْإِسْلَامِ، وَأَخَافَ السَّبِيلَ، ثُمَّ ظُفِرَ بِهِ وَقُدِرَ عَلَيْهِ؛ فَإِمَامُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ بِالْخِيَارِ؛ إِنْ شَاءَ قَتَلَهُ وَإِنْ شَاءَ صَلَبَهُ وَإِنْ شَاءَ قَطَعَ يَدَهُ وَرِجْلَهُ». وهذا الأثرُ هو الثابتُ عنه، وهو أشبهُ بالكتابِ والسنَّةِ الصحيحةِ الثابتةِ كما في حديثِ العرنيِّينَ. و«قُبَّةُ الإسلام»: يعني في ظِلِّه، وحيثُ مستقرُّ سلطانِه.

(٤) وعند مالكٍ: ﴿أَوْ﴾ على بابِها للتخييرِ، لكن بحسبِ ما يراهُ الحاكمُ.

(٥) أي: ثلاثة أيام.

(٦) وعند مالكٍ: النَّفيُ: إبعادُه عن الأرضِ مسافةَ قَصرٍ، ولا يكفي الحبسُ.

(٧) كلمةُ: (تعالى)؛ لَيسَتْ في الأصلِ، وأثبتناها مِن نُسخةِ قَبَاوَة.

(٨) أي: إذا تابَ قبلَ القُدرةِ عليه؛ فلا يَسقطُ في هذه الحالِ المذكورةِ إلَّا الصَّلبُ؛ لأنَّه مِن حَقِّ الله.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟
أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ
ربع الحزب ١٢ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ
ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ
ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ
فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ﴾: يتمنَّونَ ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ.

[٣٨] ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ «أل» فيهما موصولةٌ: مبتدأ، ولِشبَهِه بالشَّرطِ دَخلتِ الفاءُ في خَبرِه؛ وهو: ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: يَمِينَ كُلٍّ منهما مِنَ الكُوعِ- وبيَّنَتِ السُّنَّةُ أنَّ الذي[1] يُقطَعُ فيه رُبعُ دِينارٍ فصاعدًا، وأنَّه إذا عادَ قُطِعَتْ رِجلُه اليُسرى مِنْ مَفْصِلِ القَدَمِ، ثُمَّ اليَدُ اليُسرى، ثُمَّ الرِّجلُ اليُمنَى، وبعدَ ذلكَ يُعزَّرُ[2]- ﴿جَزَآءًۢ﴾: نُصِبَ على المصدرِ ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا﴾: عُقوبةً لهما ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ على أَمْرِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في خَلْقِه.

[٣٩] ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾: رَجَعَ عَنِ السَّرِقَةِ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عَمَلَه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في التعبيرِ بِهذا ما تَقدَّمَ؛ فلا يَسقُطُ بِتوبتِه حَقُّ الآدَمِيِّ مِنَ القَطْعِ وردِّ المالِ. نَعم بَيَّنَتِ السُّنَّةُ أنَّه إِن عَفا عنه قبلَ الرَّفعِ إِلى الإِمامِ سَقَطَ القَطْعُ. وعليه الشافعيُّ[3][*].

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ - الاستفهامُ فيه لِلتقريرِ- ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تَعذيبَه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ المغفرةَ له ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التَّعذِيبُ والمغفرةُ؟

[٤١] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ صُنْعُ ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: يَقَعُونَ فيه بِسرعةٍ؛ أي: يُظهِرونَه إذا وَجدُوا فُرصةً ﴿مِنَ﴾: لِلبيانِ[4] ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بِألسِنتهم، مُتعلِّقٌ بـ﴿قَالُوٓا۟﴾ ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ﴾ وهمُ المنافِقونَ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ﴾ قَومٌ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترتْه أحبارُهم سَماعَ قَبولٍ ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ منكَ ﴿لِقَوْمٍ﴾: لأَجلِ قَومٍ ﴿ءَاخَرِينَ﴾ مِنَ اليَهودِ ﴿لَمْ يَأْتُوكَ ۖ﴾ - وهُم أهلُ خَيبرَ، زَنى فيهم مُحصَنانِ فكرِهُوا رَجمَهما؛ فبعثُوا قُرَيظةَ لِيسأَلُوا النَّبيَّ ﷺ عَنْ حُكمِهما- ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراةِ؛ كآيةِ الرَّجمِ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ﴾ التي وَضعَه الله عليها؛ أي: يُبدِّلونَه ﴿يَقُولُونَ﴾ لِمَنْ أَرسَلُوهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ الحُكمَ المُحرَّفَ؛ أي: الجلدَ؛ أي: أفتاكُم به مُحمَّدٌ ﴿فَخُذُوهُ﴾: فاقبلُوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكُم بخِلافِه ﴿فَٱحْذَرُوا۟ ۚ﴾ أن تَقبلُوه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾: إضلالَه ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ﴾ في دَفعِها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ مِنَ الكُفرِ- ولَو أَرادَه لَكانَ- ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ﴾: ذُلٌّ بِالفَضيحةِ والجِزيَةِ ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

---

[*] ما جاءَ في نُزولِ الآيةِ (٣٩): أخرجَ أحمدُ عن عبدِ الله بنِ عَمرٍو أنَّ امرَأَةً، سَرَقَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجاءَ بِهَا الَّذِينَ سَرَقَتْهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ المَرْأَةَ سَرَقَتْنَا، قَالَ قَوْمُهَا: فَنَحْنُ نَفْدِيهَا - يَعْنِي أَهْلَهَا -، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «اقْطَعُوا يَدَهَا»، فَقَالُوا: نَحْنُ نَفْدِيهَا بِخَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ، قَالَ: «اقْطَعُوا يَدَهَا»، قَالَ: «فَقُطِعَتْ يَدُهَا الْيُمْنَى»، فَقَالَتِ المَرْأَةُ: هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتِ الْيَوْمَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَيَوْمِ وَلَدَتْكِ أُمُّكِ»، فَأَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ إلى آخرِ الآيةِ. أحمد - المُسنَدُ (٢/ ١٧٧). وقال أحمد شاكر: إسنادُه صحيحٌ (٦٦٥٧). قالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه (٣/ ١١١): «وَهَذِهِ المَرْأَةُ هِيَ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، وَحَدِيثُهَا ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ».

---

(١) رَواهُ البُخاريُّ (٦٢٩١)، ومسلمٌ (٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣١٩٢)، عن عائشةَ مَرفوعًا.

(٢) وهذا مذهبُ الشافعيِّ ومالكٍ، وعند الحنفيَّةِ -ورجَّحَه ابنُ قُدامةَ-: لو عادَ في الثالثةِ والرابعةِ يُعزَّرُ، ولا تُقطعُ يدُه اليسرى ولا رجلُه اليمنَى. وهو الأَصحُّ؛ لِأَنَّ قطعَ يَدَيه يُفَوِّتُ منفعةَ الجِنسِ، فلا تبقَى له يدٌ يَأكلُ بها ولا يَتوضأُ ولا يَستطيبُ ولا يَدفعُ عن نفسه؛ فيَصيرُ كالهَالِكِ، ولأنَّه لو جازَ قطعُ اليَدينِ لَقُطِعتِ اليُسرى في المرَّةِ الثانيةِ؛ لأنَّها آلةُ البطشِ كاليُمنَى، وإنَّما لم تُقطعْ لِلمفسدةِ في قطعِها. المغني (٩/ ١٠٦-١٠٩).

(٣) وعندَ مالكٍ: لا ينفعُ عفوُه عنه مُطلقًا؛ لأنَّه حَقُّ الله.

(٤) أي: لقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ﴾ [المائدة:٤١].

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ
وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ
فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ
لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن
كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ
وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا
عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ
بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ
قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن
لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

[٤٢] هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ [لِلسُّحۡتِ]﴾ - بِضَمِّ الحاءِ وسُكونِها[١]-: أي: الحرامِ؛ كَالرِّشَا ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ لِتحكُمَ بينهم ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ - هذا التخييرُ مَنسوخٌ بِقولِه تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ الآيَةَ، فيَجبُ الحُكمُ بينهم إِذا تَرافَعُوا إِلينا. وهو أَصحُّ قَولَي الشافعيِّ[٢]. فلو تَرافَعُوا إِلينا مع مُسلمٍ وَجبَ إِجماعًا- ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ﴾ بينهم ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: بِالعَدلِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾: العَادِلينَ في الحُكمِ؛ أي: يُثيبُهم[٣].

[٤٣] ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ بِالرَّجمِ؟ استفهامُ تَعجِيبٍ[٤]؛ أَي: لَم يَقصِدُوا بِذلكَ مَعرفةَ الحقِّ، بَلْ مَا هو أَهوَنُ عليهم[٥] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ﴾: يُعرِضُونَ عَنْ حُكمِكَ بِالرَّجمِ المُوافِقِ لِكِتابِهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ التحكيمِ؟ ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى﴾ مِنَ الضلالةِ ﴿وَنُورٞۚ﴾: بَيانٌ للأَحكامِ ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ مِن بَني إِسرائيلَ ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾: انقادُوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ[٦]﴾: العُلماءُ منهم ﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾: الفُقهاءُ ﴿بِمَا﴾ أي: بِسببِ الذي ﴿ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾: استُودِعُوه؛ أي: استحفَظَهم اللهُ إِيَّاهُ ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أن يُبدِّلُوه ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ أَنَّه حَقٌّ ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ - أَيُّها اليهودُ- في إِظهارِ ما عندَكم مِنْ نَعتِ مُحَمَّدٍ ﷺ والرَّجمِ وغيرِهما ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾[٧] في كِتمانِه ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾: تَستبدِلُوا ﴿بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾ مِنَ الدُّنيا تَأخُذونَه على كِتمانِها ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ به.

[٤٥] ﴿وَكَتَبۡنَا﴾: فَرضنَا ﴿عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ﴾ أي: التَّوراةِ ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾ تُقتَلُ ﴿بِٱلنَّفۡسِ﴾ إِذا قَتلَتها ﴿وَٱلۡعَيۡنَ﴾ تُفقَأُ ﴿بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ﴾ يُجدَعُ ﴿بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ﴾ تُقطَعُ ﴿بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تُقلَعُ ﴿بِٱلسِّنِّ﴾ - وفي قِراءَةٍ: بِالرَّفعِ، في الأَربعَةِ[٨]- ﴿وَٱلۡجُرُوحَ﴾ بِالوَجهَينِ[٩] ﴿قِصَاصٞۚ﴾[*] أي: يُقتَصُّ فيها إِذا[١٠] أَمكنَ؛ كَاليدِ والرِّجلِ والذَّكرِ ونحوِ ذلك، ومَا لا يُمكنُ فيه الحُكومَةُ. وهذا الحُكمُ وإِن كُتِبَ عليهم فهو مُقرَّرٌ في شَرعِنا ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: بِالقِصاصِ؛ بِأَنْ مَكَّنَ مِن نفسِه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾: لِمَا أَتاه ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القِصاصِ وغيرِه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٤٥): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَجُلًا عَضَّ يَدَ رَجُلٍ فَنَزَعَ يَدَهُ فَوَقَعَتْ ثَنِيَّتَاهُ، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَعَضُّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ كَمَا يَعَضُّ الفَحْلُ، لَا دِيَةَ لَكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾. الترمذيُّ - كتاب الديات (١٤) باب (٢٠) ما جاء في القصاص. وقال: حسنٌ صحيحٌ. والحديثُ في صحيح مسلم بدونِ ذِكرِ نُزولِ الآيةِ، وكذلك في صحيح البُخاريِّ لكن مِنْ حديثِ يَعلى بنِ أُميَّةَ.

---

(١) بِالضَّمِّ: قِراءَةُ الكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو.

(٢) ومشهورُ مذهبِ مالكٍ أَنَّ التخييرَ بَاقٍ وليس بمنسوخٍ، وبه قال أَحمدُ وهو الرَّاجحُ، واختاره السعديُّ في تَفسيرِه (ص٢٣٢) مُعلِّلًا بأَنَّهم لا قصدَ لهم في الحكمِ الشرعيِّ إِلَّا أن يكونَ مُوافقًا لأَهوائِهم. وكذلك القاسميُّ في تَفسيرِه (٤/ ١٤٢)، وزادَ: لِأَنَّه لا منافاةَ بينَ الآيتَينِ، فالأُولى فيها التخييرُ، والأُخرى فيها كيفيةُ الحكمِ إِذا حَكَمَ بينهم.

(٣) وهذا تأويلٌ بِلازمِ الصِّفةِ، وسَبَقَ بيانُ مذهبِ السلفِ مِن إِثباتِ هذه الصِّفةِ وغيرِها على الوَجهِ اللائقِ به -سُبْحَانَهُ-.

(٤) سَبَقَ التنبيهُ على طريقةِ المُصنِّفِ في نَفيِ صِفةِ العَجَبِ عَنِ الله عَزَّوَجَلَّ، في سُورةِ آلِ عِمرانَ آيَة (١٠١).

(٥) وهو الجَلدُ.

(٦) قال ابنُ جرير في تَفسيرِه (٨/ ٤٥١): «﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: جَمْعُ رَبَّانِيٍّ: وَهُمُ الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ، الْبُصَرَاءُ بِسِيَاسَةِ النَّاسِ وَتَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ. وَالْأَحْبَارُ: هُمُ الْعُلَمَاءُ... وَأَمَّا الْأَحْبَارُ: فَإِنَّهُمْ جَمْعُ حَبْرٍ، وَهُوَ الْعَالِمُ الْمُحْكِمُ لِلشَّيْءِ». وقال أيضًا (٥/ ٥٣١): «فَالرَّبَّانِيُّونَ إِذًا، هُمْ عِمَادُ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ: «وَهُمْ فَوْقَ الْأَحْبَارِ»؛ لِأَنَّ الْأَحْبَارَ هُمُ الْعُلَمَاءُ. وَالرَّبَّانِيُّ: الْجَامِعُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الْبَصَرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْقِيَامِ بِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ». قال الشيخ أحمد شاكر معقِّبًا على هذا الكلام (٦/ ٥٤٤): «هذا التفسير قَلَّ أن تجدَه في كتابٍ من كُتبِ اللغةِ، وهو مِنْ أَجودِ ما قرأتُ في معنَى (الرَّبَّانيِّ)، وهو مِن أَحسنِ التوجيه في فَهمِ مَعاني العَربيةِ، والبَصرِ بِمَعاني كتابِ الله».

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾)؛ بالياء، وهي قراءة لأَبي عَمرٍو وأَبي جعفر.

(٨) للكسائيِّ.

(٩) أي: بِالرَّفعِ والنَّصبِ. والرَّفعُ: قِراءَةُ الكِسائيِّ وابنِ كثير وأَبي عَمرٍو وابنِ عامر.

(١٠) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إن).

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ
فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: النبيين ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ مِن الضلالةِ ﴿وَنُورٌ﴾: بيانٌ للأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا﴾: حالٌ ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ لِما فيها مِن الأحكام ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَ﴾ قُلنا: ﴿لْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ مِن الأحكام. وفي قِراءةٍ[1] بنصبِ «يحكمَ» وكسرِ لامِه؛ عطفًا على معمولِ: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[*].

[٤٨] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ - يا محمد- ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلِّقٌ بـ﴿أَنزَلْنَآ﴾ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبلَه ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا﴾: شاهدًا ﴿عَلَيْهِ﴾ و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ بمعنى: الكتُبِ[2] ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾: بينَ أهلِ الكتابِ، إذا ترافعوا إليك ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ عادلًا ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ - أيُّها الأُممُ- ﴿شِرْعَةً﴾: شريعةً ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: طريقًا واضحًا في الدِّينِ يمشون عليه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على شريعةٍ واحدةٍ ﴿وَلَٰكِن﴾ فرَّقَكُم فِرَقًا ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليَختبِرَكم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ مِن الشَّرائعِ المختلفةِ؛ لِيَنظُرَ المُطيعَ منكم والعاصيَ ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: سارِعوا إليها ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعثِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمرِ الدِّينِ، ويَجزي كُلًّا منكم بعَملِه.

[٤٩] ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾ لـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾: يُضِلُّوك ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الحُكمِ المنزَلِ، وأرادوا غيرَه ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ بالعُقوبةِ في الدُّنيا ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ التي أتوها- ومنها: التولِّي- ويُجازيَهم على جميعِها في الأُخرى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ - بالياءِ والتَّاءِ[3]-: يطلبون مِن المُداهَنةِ والمَيلِ، إذا تولَّوا؟ استفهامٌ إنكاريٌّ[4] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ﴾: عندَ قومٍ ﴿يُوقِنُونَ﴾ به؟ خُصُّوا بالذِّكرِ؛ لأنَّهم الذين يتدبَّرونه.

---

[*] ما جاءَ في نُزولِ الآياتِ (٤١-٤٧): أخرجَ مُسلمٌ عن البَراءِ بنِ عازِبٍ، قالَ: مُرَّ على النَّبيِّ ﷺ بيَهوديٍّ مُحَمَّمًا مَجلودًا، فدعاهُم ﷺ، فقالَ: «هكذا تجِدونَ حدَّ الزَّاني في كِتابِكُم؟»، قالوا: نعَم، فدعَا رجُلًا مِن عُلمائِهِم، فقالَ: «أنشُدُكَ باللهِ الَّذي أنزَلَ التَّوراةَ على موسى، أهكَذا تجِدونَ حدَّ الزَّاني في كِتابِكُم؟» قالَ: لا، ولَولا أنَّكَ نشَدتَني بهذا لم أُخبِرْكَ، نجِدُهُ الرَّجمَ، ولكنَّهُ كثُرَ في أشرافِنا، فكُنَّا إذا أخَذْنا الشَّريفَ ترَكْناهُ، وإذا أخَذْنا الضَّعيفَ أقَمْنا عليهِ الحدَّ، قُلْنا: تعالَوا فلْنَجتمِعْ على شيءٍ نُقيمُهُ على الشَّريفِ والوَضيعِ، فجَعَلْنا التَّحميمَ، والجَلدَ مكانَ الرَّجمِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ إنِّي أوَّلُ مَن أحيا أمرَكَ إذ أماتوهُ»، فأمَرَ بهِ فرُجِمَ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قولِه: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يقولُ: ائتُوا مُحمَّدًا ﷺ، فإن أمرَكُم بالتَّحميمِ والجَلدِ فخُذوهُ، وإن أفتاكُم بالرَّجمِ فاحذَروا، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ مسلم - كتاب الحدود (٢٩) باب (٦) رجم اليهودِ أهلِ الذِّمَّةِ في الزِّنى.

وأخرجَ أحمدُ عن ابنِ عبَّاسٍ قال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أنزلَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، قال: قالَ ابنُ عبَّاسٍ: «أنزلَها اللهُ في الطَّائفتَينِ مِنَ اليَهودِ، وكانَتْ إحداهُما قد قهَرَتِ الأُخرى في الجاهليَّةِ، حتَّى ارتَضَوا واصطلَحوا على أنَّ كُلَّ قتيلٍ قتَلَتْهُ العزيزةُ مِنَ الذَّليلةِ، فدِيَتُهُ خمسونَ وسْقًا، وكُلَّ قتيلٍ قتَلَتْهُ الذَّليلةُ مِنَ العزيزةِ، فدِيَتُهُ مِائةُ وسْقٍ، فكانوا على ذلكَ حتَّى قدِمَ النَّبيُّ ﷺ، المدينةَ، وذلَّتِ الطَّائفتانِ كِلتاهُما لِمَقدَمِ رسولِ اللهِ ﷺ، ورسولُ اللهِ ﷺ يومئذٍ لم يَظهَرْ، ولم يُوطِئْهُما عليهِ، وهوَ في الصُّلحِ، فقتَلَتِ الذَّليلةُ مِنَ العزيزةِ قتيلًا، فأرسلَتِ العزيزةُ إلى الذَّليلةِ: أنِ ابعَثوا إلينا بمِائةِ وسْقٍ، فقالَتِ الذَّليلةُ: وهل كانَ هذا في حيَّينِ قطُّ دِينُهُما واحدٌ، ونسَبُهُما واحدٌ، وبلَدُهُما واحدٌ، دِيَةُ بعضِهِم نِصفُ دِيَةِ بعضٍ؟ إنَّا إنَّما أعطيناكُم هذا ضَيمًا منكُم لنا، وفَرَقًا منكُم، فأمَّا إذ قدِمَ مُحمَّدٌ فلا نُعطيكُم ذلكَ، فكادَتِ الحربُ تهيجُ بينَهُما، ثُمَّ ارتَضَوا على أنْ يجعَلوا رسولَ اللهِ ﷺ بينَهُم، ثُمَّ ذكَرَتِ العزيزةُ، فقالَتْ: واللهِ ما مُحمَّدٌ بمُعطيكُم منهُم ضِعفَ ما يُعطيهِم منكُم، ولقد صدَقوا، ما أعطَونا هذا إلَّا ضَيمًا منَّا، وقهرًا لهُم، فدُسُّوا إلى مُحمَّدٍ مَن يَخبُرُ لكُم رأيَهُ: إنْ أعطاكُم ما تُريدونَ حكَّمتُموهُ، وإنْ لم يُعطِكُم حذِرتُم، فلم تُحكِّموهُ، فدَسُّوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ ناسًا مِنَ المُنافقينَ ليَخبُروا لهُم رأيَ رسولِ اللهِ ﷺ، فلمَّا جاءَ رسولَ اللهِ ﷺ، أخبرَ اللهُ رسولَهُ بأمرِهِم كُلِّهِ وما أرادوا، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ثُمَّ قالَ: فيهما واللهِ نزلَتْ وإيَّاهُما عنى اللهُ عزَّ وجلَّ. أحمد - المسند (١/ ٢٤٦).
قال أحمد شاكر: إسنادُه صحيحٌ (٢٢١٢).

---

(١) أي: في «العَين» وما بعدَها، وهي قِراءةُ حمزةَ. (٢) أي: فـ(ال) للجنسِ. (٣) بالتَّاءِ: قِراءةُ ابنِ عامرٍ. (٤) في نُسخةِ قباوة: (استفهامُ إنكارٍ).

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ
نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ
فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ
أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدِدۡ
مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ
عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾

[٥١] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ تُوالونَهم وتُوادُّونَهم ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ لاتِّحادِهم في الكُفرِ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾: مِن جُملَتِهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بِمُوالاتِهمُ(١) الكُفَّارَ.

[٥٢] ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: ضعفُ اعتقادٍ؛ كعبدِ الله بنِ أُبيٍّ المُنافقِ(٢) ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾: في مُوالاتِهم ﴿يَقُولُونَ﴾ مُعتَذِرينَ عنها: ﴿نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ﴾ يَدورُ بها الدَّهرُ علينا؛ مِنْ جَدْبٍ أو غَلَبةٍ، ولا يَتمَّ أمرُ مُحمَّدٍ؛ فلا يَمِيرونَا. قال تَعالَى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ بالنَّصرِ لِنبيِّه بإظهارِ(٣) دِينِه ﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ بِهَتكِ سِترِ المنافقِينَ وافتضاحِهم ﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ مِنَ الشكِّ ومُوالاةِ الكُفَّارِ ﴿نَٰدِمِينَ﴾.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ﴾ - بالرَّفع: استئنافًا؛ بواوٍ ودُونِها(٤)-، وبِالنَّصبِ(٥): عَطفًا على: ﴿يَأۡتِيَ﴾- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لِبَعضِهم إذا هَتَكَ سِترَهم تَعجُّبًا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: غايةَ اجتهادِهم فيها ﴿إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ﴾ في الدِّينِ؟ قالَ تَعالَى: ﴿حَبِطَتۡ﴾: بَطَلتْ ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ الصَّالحةُ(٦) ﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾: صَارُوا ﴿خَٰسِرِينَ﴾ الدُّنيا بِالفَضيحةِ، والآخِرةَ بِالعِقابِ!

[٥٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن [يَرۡتَدِدۡ]﴾ - بِالفكِّ والإدغامِ(٧)-: يَرجِعْ ﴿مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ إلى الكُفرِ- إخبارٌ بما عَلِمَ اللهُ تعالى وُقوعَه(٨). وقد ارتدَّ جَماعةٌ بعدَ مَوتِ النَّبيِّ ﷺ- ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ﴾ بدَلَهم ﴿بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ - قالَ ﷺ: «هُمْ قَوْمُ هَذَا»، وأشارَ إلى أبي مُوسَى الأشعَريِّ. رَواهُ الحاكمُ في صحيحِه(٩)- ﴿أَذِلَّةٍ﴾: عاطِفينَ ﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾: أشِدَّاءَ ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ فيه؛ كَما يَخافُ المُنافِقونَ لومَ الكُفَّارِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ مِنَ الأوصافِ ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾(١٠): كثيرُ الفَضلِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَنْ هو أهلُه.

[٥٥] وَنَزَلَ -لَمَّا قالَ ابنُ سَلَامٍ: «يا رسولَ الله، إنَّ قومَنا هَجَرُونا»(١١)-: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾: خَاشِعُونَ، أو يُصلُّونَ(١٢) صَلاةَ التَّطوُّعِ.

[٥٦] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيُعينُهم ويَنصرُهم ﴿فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ لِنصرِه إيَّاهُم. أوقعه مِوقِعَ: «فإنَّهم» بيانًا لِأنَّهم مِنْ حِزبِه؛ أي: أتباعِه.

[٥٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ [هُزُؤًا]﴾(١٣): مَهزُوءًا به ﴿وَلَعِبٗا مِّنَ﴾ - للبيانِ- ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ [وَٱلۡكُفَّارِ]﴾: المُشركينَ- بِالجرِّ والنَّصبِ(١٤)- ﴿أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بتَرْكِ مُوالاتِهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: صَادِقينَ في إيمانِكم.

= وأخرج النَّسائيُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قَالَ: كَانَ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ، وَكَانَ النَّضِيرُ أَشْرَفَ مِنْ قُرَيْظَةَ، وَكَانَ إِذَا قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْظَةَ رَجُلًا مِنَ النَّضِيرِ قُتِلَ بِهِ، وَإِذَا قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ النَّضِيرِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْظَةَ أَدَّى مِائَةَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ. فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ النَّضِيرِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْظَةَ فَقَالُوا: ادفَعُوهُ إِلَيْنَا نَقْتُلْهُ. فَقَالُوا: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَوْهُ فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ﴾ وَالْقِسْطُ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾. النَّسائيُّ - كتاب القسامة (٤٥) باب (٨، ٩).

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بموالاةِ).

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (كعبدِ الله بنِ أُبيٍّ)، دُونَ زيادةِ: (المنافق).

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة، وحاشية الجمل: (لإظهارِ).

(٤) بِدُونِها: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابن عامر.

(٥) أي: معَ إثباتِ الوَاوِ، وهي قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو.

(٦) أي: بِحسبِ الظاهرِ.

(٧) بِالفكِّ: قِرَاءَةُ نافع وابن عامر. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالإدغامِ؛ أي: ﴿يَرۡتَدَّ﴾.

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وقوعه منهم)؛ بِزيادةِ: (منهم).

(٩) في المُستدرَكِ (٣٢٢٠) مِنْ حَدِيثِ عِيَاضٍ الأَشْعَرِيِّ، مرفوعًا، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». وَوَافَقَه الذَّهَبِيُّ، وَصَحَّحَه الأَلبانيُّ في الصحيحة (٧/ ٣٣٦٨).

(١٠) قالَ ابنُ جرير (٢/ ٤٦٠): «يَسَعُ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ بِالْكِفَايَةِ وَالْأَفْضَالِ وَالْجُودِ وَالتَّدْبِيرِ».

(١١) أخرجه الواحديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص١٩٩-٢٠٠)، وقال عصام الحميدان، محقِّقُ الكتابِ: «إسنادُه مظلمٌ، كما تقدَّمَ، وهذه هي سلسلة الكَذِبِ كما سَمَّاها السيوطيُّ، ومَتنُه غريبٌ جدًّا».
وأخرجَ ابنُ مردويه من طريق الكلبيِّ عن أبي صالح عَنِ ابنِ عبَّاسٍ نحوه، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٢/ ٥٢٠)، وهو موضوعٌ كما ذكر صاحبُ الاستيعاب (٢/ ٦٧).

(١٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أو مُصلُّونَ).

(١٣) قرأ حفصٌ بإبدالِ الهمزةِ وَاوًا، مَعَ ضَمِّ الزَّايِ؛ ﴿هُزُوًا﴾، وبَقيةُ السَّبعةِ بضمِّ الهمزةِ؛ ﴿هُزُؤًا﴾، وسكَّنَ حمزةُ الزَّايَ، والباقونَ بِضَمِّها، ويقفُ حمزةُ بِنقلٍ وإبدالِ واوًا، مع سكونِ الزَّايِ.

(١٤) بِالجرِّ: قِرَاءَةُ الكِسائيِّ وأبي عَمرٍو. وبِالنَّصبِ؛ ﴿وَٱلۡكُفَّارَ﴾: قِرَاءَةُ بَقِيَّةِ السَّبعةِ.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ (٥٩)
قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد
دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
(٦١) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ (٦٣) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟
بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٦٤)

[٥٨] ﴿وَ﴾ الَّذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾: دَعوْتُم ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بِالأذانِ ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾ أي: الصَّلاةَ ﴿[هُزُؤًا](1) وَلَعِبًا﴾ بِأَنْ يَستهزِئُوا بها ويَتضاحَكُوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاتِّخاذُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بِسببِ أنَّهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

[٥٩] وَنَزَلَ -لَمَّا قالَ اليَهودُ للنَّبِيِّ ﷺ: «بِمَنْ تُؤمنُ مِنَ الرُّسلِ؟» فقالَ: ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآيةَ(2)، فلمَّا ذَكَرَ عِيسَى قالوا: «لا نعلمُ دِينًا شرًّا مِنْ دِينِكم»(3)-: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾: تُنكِرونَ ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إلى الأنبياءِ ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾؟ عطفٌ على: ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾. المعنَى: ما تُنكِرونَ إلَّا إيمانَنا، ومُخالفتكم في عَدمِ قَبولِه المُعبَّرِ عنه بِالفِسقِ اللازمِ عنه. ولَيس هذا مِمَّا يُنكَرُ(4).

[٦٠] ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾: أُخبِرُكم ﴿بِشَرٍّ مِّن﴾ أهلِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي تَنقِمُونَه ﴿مَثُوبَةً﴾: ثوابًا؛ بِمعنَى: جزاءً(5) ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؟ هو ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: أَبعدَه عَنْ رحمتِه ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ بِالمسخِ ﴿وَ﴾ مَنْ ﴿عَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الشَّيطانَ بِطاعتِه. ورَاعى في ﴿مِنْهُمُ﴾ معنَى ﴿مِن﴾، وفيما قبلَه: لَفظَها؛ وهم: اليَهودُ. وفي قِراءَةٍ(6) بِضَمِّ باءِ ﴿عَبَدَ﴾ وإضافتِه إلى ما بعدَه؛ اسمُ جمعٍ لِـ«عَبْد»، ونَصْبُه بِالعَطْفِ على ﴿ٱلْقِرَدَةَ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: تمييزٌ؛ لِأَنَّ مأواهم النَّارُ ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: طَريقِ الحَقِّ. وأَصلُ السَّواءِ: الوَسطُ. وذُكِرَ ﴿شَرٌّ﴾ ﴿وَأَضَلُّ﴾ في مُقابلةِ قولِهم: «لا نعلمُ دِينًا شرًّا مِنْ دِينِكم»(7).

[٦١] ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ أي: مُنافِقو اليَهودِ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟﴾ إليكم مُتلبِّسينَ(8) ﴿بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟﴾ مِنْ عندِكم مُتلبِّسينَ(9) ﴿بِهِۦ﴾ ولَم يُؤمنُوا ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ ـهُ مِنَ النِّفاقِ.

[٦٢] ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: اليَهودِ ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: يَقعُونَ سَريعًا ﴿فِى ٱلْإِثْمِ﴾: الكَذِبِ ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظُّلمِ ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الحرامَ؛ كالرِّشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ـهُ عملُهم هذا!

[٦٣] ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ منهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾: الكَذِبَ ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ ـهُ تَرْكُ نَهيِهم!

[٦٤] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ لَمَّا ضُيِّقَ عليهم بِتكذيبِهم النَّبِيَّ ﷺ بعدَ أن كانوا أكثرَ النَّاسِ مالًا(10): ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضَةٌ عَنْ إدرارِ الرِّزقِ علينا- كَنَوْا به عَنِ البُخْلِ -تَعالَى اللهُ عن ذلك(11). قالَ تَعالَى: ﴿غُلَّتْ﴾: أُمسِكَتْ ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ عَنْ فِعْلِ الخَيراتِ؛ دُعاءٌ عليهم ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: مُبالغةٌ في الوَصفِ بالجُودِ. وثَنَّى اليدَ؛ لإفادةِ الكثرةِ(12)؛ إذْ غايةُ ما يبذلُه السَّخيُّ مِن مالِه أن يُعطِيَ بِيدَيه ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مِنْ توسيعٍ وتضييقٍ، لا اعتراضَ عليه ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لِكُفرِهم به ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فكُلُّ فِرقةٍ منهم تُخالِفُ الأُخرى ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي: لِحربِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ أي: كُلَّما أرادُوه ردَّهُم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: مُفسِدِينَ بِالمعاصِي ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بِمعنَى: أنَّه يُعاقِبُهم(13).

---

(١) قَرأ حفصٌ بإبدالِ الهَمزةِ واوًا، مع ضَمِّ الزَّاي؛ ﴿هُزُوًا﴾، وبقيَّةُ السبعةِ بِضَمِّ الهَمزةِ، ﴿هُزُؤًا﴾، وسكَّن حمزةُ الزَّايَ، والباقونَ بِضَمِّها، ويقفُ حمزةُ بنقلٍ وإبدالِ واوًا، مع سكونِ الزَّاي.

(٢) البقرة: ١٣٦.

(٣) ذكرَه البغويُّ في تَفسِيرِه (٣/ ٧٤)، والواحديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص٢٠١)، وقال عصام الحميدان، محقِّق الكتابِ: «إسنادُه حسنٌ». وأخرج نحوه ابنُ جرير (٢/ ٥٩٦) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ وفيه: «فَلَمَّا ذَكَرَ عِيسَى جَحَدُوا نُبُوَّتَهُ وَقَالُوا: لَا نُؤْمِنُ بِعِيسَى». وذكره ابنُ حجر في العُجاب (١/ ٣٨١-٣٨٢)، وضعَّف الهلالي إسنادَه في الاستيعاب (٢/ ٧١).

(٤) فالاستثناءُ مُنقطعٌ.

(٥) أي: بِالعِقابِ، وهو تهكُّم بهم.

(٦) لِحمزةَ.

(٧) وذلك لأنَّ دِينَ المسلمينَ لا شَرَّ فيه؛ فقولُه في: ﴿شَرٌّ﴾ ﴿وَأَضَلُّ﴾ هو على سبيلِ المقابلةِ والمشاكلةِ اللفظيَّةِ، وليس على سبيلِ المُشاركةِ والمُفاضلةِ.

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مُلتبسينَ).

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مُلتبسينَ).

(١٠) عزَاه البغويُّ في تَفسِيرِه (٣/ ٧٦) إلى ابنِ عبَّاسٍ وعكرمةَ ومجاهد وقتادة، بدونِ إسنادٍ. ونقله ابن أبي زمنين في تَفسِيرِه (٢/ ٣٦) عن الكلبيِّ.

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تعالى عن ذلك)؛ بدونِ لفظِ الجلالةِ: (الله).

(١٢) وله -سُبْحَانَهُ- يَدانِ حقيقةً، ومذهب السلفِ بالإجماعِ إثباتُ الصفاتِ لله على الوَجهِ اللائقِ بِه من غيرِ تكييفٍ ولا تحريفٍ ولا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ.

(١٣) وهذا تأويلٌ بلازمِ الصفةِ، وهو خلافُ مذهبِ السلفِ، وسبَقَ بيانُ إثباتِ هذه الصفةِ ونحوِها لله على الوَجهِ اللائقِ بِه -سُبْحَانَهُ- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ بِمُحمَّدٍ ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكُفرَ ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ بِالعَمَلِ بِما فيهما؛ ومنه الإِيمانُ بِالنَّبِيِّ ﷺ ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم﴾ مِنَ الكُتُبِ ﴿مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بِأَنْ يُوسِّعَ عليهم الرِّزْقَ ويَفيضَ مِنْ كُلِّ جِهةٍ ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾: جماعةٌ ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾: تعمل به- وهم: مَنْ آمنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ؛ كعَبدِ الله بنِ سَلامٍ وأصحابِه- ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا﴾: شيئًا ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ـهُ!

[٦٧] ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ جميعَ ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ولا تكتُمْ شيئًا منه؛ خَوفًا أَنْ تُنالَ بِمَكروهٍ ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي: لم تُبلِّغْ جميعَ ما أُنزِلَ إليكَ ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بالإفرادِ والجَمْعِ(١)؛ لِأَنَّ كِتمانَ بَعضِها كَكِتمانِ كُلِّها ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أَنْ يَقتُلوكَ. وكان ﷺ يُحْرَسُ حتَّى نَزلتْ، فقال: «انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ»(٢). رَواهُ الحاكِمُ. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٨] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ مِنَ الدِّينِ مُعتَدٌّ به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[*] بِأَنْ تعمَلُوا بما فيه؛ ومنه الإيمانُ بي ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لِكُفرِهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: تَحزنْ ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إِنْ لم يُؤمنوا بكَ؛ أي: لا تَهتَمَّ بهم.

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هُم اليَهودُ: مُبتدأٌ ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾(٣): فِرقةٌ منهم ﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾ ويُبدَلُ مِنَ المبتدأِ: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرةِ: خَبرُ المبتدأِ(٤)، ودالٌّ على خَبرِ ﴿إِنَّ﴾.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على الإيمانِ بالله ورُسُلِه ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾ مِنَ الحَقِّ كذَّبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكرِيَّاءَ ويحيى - والتعبيرُ به(٥) دُونَ «قَتَلُوا» حِكايةٌ لِلحالِ الماضيةِ(٦)؛ لِلفاصلةِ(٧)-.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا
التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ
الحزب ١٢ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ
تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

---

[*] فائِدَةٌ: أَخرجَ البُخارِيُّ عَنْ سفيانَ قال: مَا فِي القُرْآنِ آيَةٌ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾. البُخارِيُّ - كتاب الرقاق (٨١) باب (١٩) الرجاء مع الخوف.

قال الحافظ في الفتح: «يَعْنِي أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَنْزَلَ الله فِي كِتَابِهِ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ، وَمُقْتَضَاهُ أَنَّ مَنْ أَخَلَّ بِبَعْضِ الفَرَائِضِ فَقَدْ أَخَلَّ بِالجَمِيعِ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَطْلَقَ كَوْنَهَا أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهَا...». [الفتح (٨/ ١١٩)].

---

(١) بِالجمعِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ عامر وشعبةَ.

(٢) الحاكمُ (٢/ ٣١٣)، ورواه الترمذيُّ في تفسيرِ القرآن، وصَحَّحه الألبانيُّ في صَحيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٤٠)، وروى ابنُ حِبَّان في صَحِيحِه (١٧٣٩) عن أبي هُرَيْرَةَ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا، نَظَرُوا أعظَمَ شَجَرَةٍ يَرَوْنَهَا فَجَعَلُوهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا، وَيَنْزِلُ أَصْحَابُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي ظِلِّ الشَّجرِ. فَبَيْنَمَا هُوَ نَازِلٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ -وَقَدْ عَلَّقَ السَّيْفَ عَلَيْهَا- إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَخَذَ السَّيْفَ مِنَ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَأَيْقَظَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُ»؛ فَأَنزَلَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. وحَسَّنَه الألبانيُّ في الصحيحة (٢٤٨٩).

(٣) رُفِعَ على الابتداءِ، وخبرُه محذوفٌ، كأنَّه قِيلَ: إِنَّ الذينَ آمنوا والذينَ هادُوا والنَّصارَى حُكمُهم كذا، والصابئونَ كذلكَ. القاسمي (٤/ ٢٠٥).

(٤) أي: قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:٦٩].

(٥) أي: بِالمضارعِ.

(٦) أي: كأنَّها حاصلةٌ الآنَ.

(٧) أي: ومُراعاةً لِلفاصلةِ، وهي المحافظةُ على رُءوسِ الآيِ.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ
عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾
لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ
بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ
صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ
يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ
قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾: ظنُّوا ﴿أَلَّا [تَكُونُ]﴾ -بِالرَّفعِ[١]؛ فـ «أَنْ»[٢] مُخَفَّفةٌ، والنَّصبِ؛ فهي ناصبةٌ- أي: تقعُ ﴿فِتۡنَةٞ﴾ عذابٌ بهم على تكذيبِ الرُّسلِ وقَتْلِهم ﴿فَعَمُواْ﴾ عَنِ الحقِّ؛ فلم يُبصِرُوه ﴿وَصَمُّواْ﴾ عَنِ استماعِه ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ لَمَّا تَابُوا ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ ثانيًا ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾: بَدَلٌ مِنَ الضميرِ[٣] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازِيهم به.

[٧٢] ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ - سَبَقَ مِثْلُه[٤]- ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ فإنِّي عبدٌ ولستُ بِإلهٍ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ في العِبادةِ غيرَه ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾: منعَه أن يَدخُلَها ﴿وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ﴾: زَائِدَةٌ ﴿أَنصَارٖ﴾ يَمنعُونَهم مِنْ عَذابِ الله.

[٧٣] ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهةٍ ﴿ثَلَٰثَةٖۘ﴾ أي: أَحدُها، والآخَرانِ: عِيسَى وأُمُّه. وهم فِرقةٌ مِنَ النَّصارَى ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ مِنَ التثليثِ وَيُوَحِّدُوا ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ثَبَتُوا على الكُفْر ﴿مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ، وهو: النَّارُ.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ﴾ مِمَّا قالُوا- استفهامُ تَوبيخٍ- ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمنْ تابَ ﴿رَّحِيمٞ﴾ به؟

[٧٥] ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ﴾: مَضَتْ ﴿مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ - فهو يَمضي مِثلَهم، وليسَ بِإلهٍ كما زَعمُوا، وإلَّا لَمَا مَضى- ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾: مُبالغةٌ في الصِّدقِ ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ كغيرِهما مِنَ الحيوانَاتِ[٥]، ومَنْ كانَ كذلكَ لا يكونُ إلهًا؛ لِتركيبِه وضعفِه وما يَنشأُ منه مِنَ البَولِ والغَائطِ ﴿ٱنظُرۡ﴾ متعجِّبًا: ﴿كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ على وَحدانِيَّتِنا؟ ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ﴾: كيفَ ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾ يُصرفُونَ عَنِ الحقِّ مَعَ قِيامِ البُرهانِ؟

[٧٦] ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأقوالِكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بِأَحوالِكم؟ والاستفهامُ للإنكارِ.

[٧٧] ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: اليَهودَ والنَّصارَى: ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾: تُجاوِزوا الحَدَّ ﴿فِي دِينِكُمۡ﴾ غُلُوًّا ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ بِأَنْ تَضَعوا عِيسَى أو تَرفَعوه فوقَ حقِّه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ بِغُلوِّهم- وهُم أسلافُهم- ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ مِنَ النَّاسِ ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عَنْ طريقِ الحقِّ. والسَّواءُ في الأَصلِ: الوسَطُ.

---

(١) قِراءةُ أبي عَمرٍو وحمزةَ والكِسَائيِّ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (و«أَنْ»).

(٣) أي: في قولِه: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائدة:٧١]، والضميرُ هو الفاعلُ.

(٤) في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ [النساء:١٧١].

(٥) أي: الأَحياءُ مِنَ البشرِ. والحَيوانُ: اسمُ جِنسٍ يَقعُ على كُلِّ ذِي رُوحٍ، وهو في الأَصْلِ مصدرٌ بِمعنَى الصفةِ المشبَّهةِ، يفيدُ المبالغةَ من الحياةِ-ينظر الآية (٦٤) من سورة العنكبوت-عُبِّرَ به هنا عن اسمِ الذاتِ لِتوكيدِ المبالغةِ وتحقيقِ معنَى الخَلقِ والعُبوديةِ. المفصَّل (ص٤١٦-٤١٧).

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ
دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ
يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ
لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ
يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ
أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ
خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا
مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١ ۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ (الجزء ٧ الحزب ١٣)
لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ
أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ
لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى
ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ
مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣

[٧٨] ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ بِأَنْ دَعا عليهم؛ فمُسِخُوا قِرَدَةً- وهُم أصحابُ أيلةَ[1]- ﴿وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ بِأَنْ دَعا عليهم؛ فمُسِخُوا خنازيرَ- وهم أصحابُ المائدةِ[2]- ﴿ذَٰلِكَ﴾ اللَّعنُ ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾.

[٧٩] ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ أي: لا يَنهى بَعضُهم بعضًا ﴿عَن﴾ مُعاوَدَةِ ﴿مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ ـهُ فِعلُهم هذا!

[٨٠] ﴿تَرَىٰ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ مِنْ أهلِ مَكَّةَ بُغْضًا لكَ ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ مِنَ العملِ لمَعادِهم المُوجِبِ لَهم: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾!

[٨١] ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾ مُحمَّدٍ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ﴾ أي: الكُفَّارَ ﴿أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾: خارجونَ عَنِ الإيمانِ.

[٨٢] ﴿۞لَتَجِدَنَّ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ مِنْ أَهلِ مَكَّةَ؛ لِتَضاعُفِ كُفرِهم وجَهلِهم وانهماكِهم في اتِّباعِ الهَوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: قُربُ مودَّتِهم لِلمؤمنينَ ﴿بِأَنَّ﴾: بِسَببِ أنَّ ﴿مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ﴾: علماءَ ﴿وَرُهۡبَانٗا﴾: عُبَّادًا ﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ عَنِ اتِّباعِ الحَقِّ، كما يَستكبِرُ اليَهودُ وأهلُ مَكَّةَ. نَزلَتْ في وَفدِ النَّجاشي القادِمينَ عليه مِنَ الحَبشةِ، قرأ ﷺ سُورةَ «يس»؛ فبَكَوا وأسلَمُوا؛ وقالُوا: ما أشبهَ هذا بِما كانَ يَنزِلُ على عِيسَى[3]!

[٨٣] قالَ تعالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾: صَدَّقنا بِنبيِّكَ[4] وكِتابِكَ ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: المُقرِّينَ بِتَصدِيقِهما.

---

(١) قال الحافظُ في الفتح (٦/ ٤٥٢): «الجُمهورُ أنَّ القَريةَ المذكورةَ أَيْلَةُ، وهِيَ الَّتي عَلَى طَرِيقِ الحاجِّ الذَّاهِبِ إلى مَكَّةَ مِن مِصرَ».

(٢) مَسْخُ الذينَ كفروا مِنْ بني إسرائيلَ بِسببِ لَعنِهم على لسانِ داودَ وعِيسَى ابنِ مريمَ؛ أخرجَه الطَّبَريُّ (١٢٣٠١)، (١٢٣٠٢)، (١٢٣٠٣) عَنْ مُجاهِدٍ، وابنِ عبَّاسٍ وقتادةَ، لكن ليسَ فيها ذِكْرُ قريةِ أيلة ولا أصحابِ المائدةِ. وأخرجَ سعيدُ بنُ منصورٍ في تفسيرِه (٧٧٠) عَنْ أَبي مَالِكٍ غزوانَ الغِفاريِّ، في قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾؛ قَالَ: «مَنْ لُعِنَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ صَارُوا خَنَازِيرَ، وَمَنْ لُعِنَ عَلَى لِسَانِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَارُوا قِرَدَةً».

(٣) أخرجَ نحوَه عبدُ بن حميد وابنُ المنذر وابنُ أبي حَاتمٍ وأبو الشيخ وابنُ مردويه عن سعيدِ بن جبيرٍ. الدرُّ المنثورُ (٢/ ٥٣٧).

والمشهورُ في كتبِ السِّيَرِ والتفاسيرِ أنَّها نزلَتْ في النَّجاشي وأصحابِه، بعدَما سمعُوا سُورةَ «مريم» مِنْ جعفرَ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لمَّا قَدِمَ مع المسلمينَ في الهِجرةِ الأُولى لِلحبشةِ، ففاضَتْ أعينُهم مِنَ الدَّمعِ بِمَّا عرفوا مِنَ الحَقِّ، ثُمَّ أسلمَ النَّجاشي. أخرجَه ابنُ أبي شيبةَ في المُصنَّف (١٤/ ٣٤٩)، وابنُ أبي حَاتمٍ في التفسير (٤/ ١١٨٠٥)، وأبو نُعَيمٍ في الحِلية (١/ ١١٧) عَن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ. وهو مرسلٌ صحيحُ الإسنادِ، كما في الاستيعاب (٢/ ٨٠).

قال القاضي كنعان مُعلِّقًا على ذلكَ في قُرَّةِ العَينَينِ على تفسيرِ الجلالَينِ (ص١٥٣): «وممَّا يجبُ التنبيهُ إليه؛ أنَّ هذه الآياتِ لا تَشملُ جميعَ النَّصارَى كما يَتوهَّمُ البَعضُ؛ فإنَّ عداوَتَهم لِلمسلمينَ ظاهرةٌ، ووقائعُ التاريخِ في الأندلسِ، والحروبُ الصليبيةُ، حتى عصرِنا، تَشهدُ على ذلك، بل تُشيرُ الآياتُ إلى جماعةٍ مَوصوفةٍ منهم، سَمِعُوا القُرآنَ؛ فَفاضَتْ أعينُهم مِنَ الدَّمعِ لمعرفةِ الحَقِّ، ثُمَّ آمنوا؛ ففي هؤلاءِ نزلَتِ الآياتُ...» اهـ.

قُلتُ: ويؤكِّدُ ذلك ما أخرجَه الطبرانيُّ في المُعجمِ الكبيرِ (٦/ ٢٤٩، رقم ٦١٢١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عن سلمانَ قالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ صَنَعْتُ طَعَامًا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟» قُلْتُ: صَدَقَةٌ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا»، وَلَمْ يَأْكُلْ، ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ حَتَّى جَمَعْتُ طَعَامًا فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟»، قُلْتُ: هَدِيَّةٌ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَكَلَ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا»، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ حتى بلغَ: ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾؛ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا سَلْمَانُ إِنَّ أَصْحَابَكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ». قال الهيثميُّ في مجمع الزوائدِ (٩/ ٣٤٣): «رواه الطبرانيُّ، ورجالُه رجالُ الصحيحِ غيرُ سلامةَ العَجليِّ وقد وثَّقَه ابنُ حِبَّان»، وصحَّحه في الاستيعاب (٢/ ٨٢).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ونبيِّك)؛ بِدُونِ الباءِ.

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟
طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ
بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ
فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟
أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ
رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

[٨٤] ﴿وَ﴾ قالُوا في جَوابِ مَن عَيَّرَهُمْ بِالإِسلامِ مِنَ اليَهُودِ: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القُرآنِ- أي: لا مانِعَ لنا مِنَ الإيمانِ مَع وُجودِ مُقتَضِيه- ﴿وَنَطْمَعُ﴾: عطفٌ على: ﴿نُؤْمِنُ﴾ ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: المؤمنينَ الجنَّةَ؟

[٨٥] قال تعالَى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمانِ.

[٨٦] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

ونَزلَ -لَمّا هَمَّ قَوْمٌ مِنَ الصحابةِ أَنْ يُلازِموا الصَّومَ والقِيامَ، ولا يَقربُوا النِّساءَ والطِّيبَ، ولا يأكلُوا اللحمَ، ولا ينامُوا على الفِراشِ(١)-:

[٨٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾: تتجاوَزُوا أَمْرَ الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

[٨٨] ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: مفعولٌ، والجارُّ والمَجرُورُ قبلَه حالٌ مُتعلِّقٌ به ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[*].

[٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ الكائِنِ ﴿فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ - هو ما يَسبِقُ إليه اللسانُ مِنْ غَيرِ قَصدِ الحَلِف؛ كقولِ الإنسانِ: لا واللهِ، وبلى واللهِ- ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا [عَقَدتُّمُ]﴾ - بالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ، وفي قِرَاءَةٍ: ﴿عَٰقَدتُّمُ﴾(٢)- ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ عليه؛ بِأَنْ حَلَفتُم عَنْ قَصدٍ ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي: اليَمينِ؛ إذا حَنِثْتُم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ لِكُلِّ مِسكينٍ مُدٌّ ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أَقْصَدِهِ وأَغْلَبِهِ؛ لا أعلاه ولا أدناه[**] ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بِمَا يُسمَّى كِسوةً؛ كَقميصٍ وعِمامةٍ وإِزارٍ- ولا يكفِي دَفْعُ ما ذُكِرَ إِلى مِسكِينٍ واحِدٍ. وعليه الشافعيُّ(٣)- ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾: عِتقُ ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مُؤمنةٍ، كَما في كفَّارةِ القَتلِ والظِّهارِ، حمْلًا لِلمُطلَقِ على المُقيَّدِ(٤) ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحِدًا مِمَّا ذُكِر ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفَّارتُه. وظاهِرُه أنَّه لا يُشترطُ التتابعُ. وعليه الشافعيُّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحَنِثْتُم ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾[***] أَنْ تنكُثُوها، ما لَم تكنْ على فِعلِ بِرٍّ، أو إِصلاحِ بينَ النَّاسِ -كما في سُورةِ «البقرة»(٥)- ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مِثلَما بَيَّنَ لكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ـهُ على ذلك.

[٩٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾: المُسكِرُ الذي يُخامِرُ العقلَ ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾: القِمارُ ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: الأَصنامُ ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾: قِدَاحُ الاستقسَامِ ﴿رِجْسٌ﴾: خَبيثٌ مُستقذَرٌ ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الذي يُزيِّنه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرِّجسَ المُعبَّرَ به عَن هذه الأَشياءِ، أَنْ تفعلُوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٨٧، ٨٨): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أن رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي إِذَا أَصَبْتُ اللَّحْمَ انْتَشَرْتُ لِلنِّسَاءِ وَأَخَذَتْنِي شَهْوَتِي، فَحَرَّمْتُ عَلَيَّ اللَّحْمَ. فَأَنْزَلَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة (صحيح). صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٤١).

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٨٩): أخرج ابن ماجه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قال: «كَانَ الرَّجُلُ يَقُوتُ أَهْلَهُ قُوتًا فِيهِ سَعَةٌ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَقُوتُ أَهْلَهُ قُوتًا فِيهِ شِدَّةٌ، فَنَزَلَتْ: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾». ابن ماجه - كتاب الكفارات (١١) باب (١٠)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢/ ١٣٥): «هَذَا إِسْنَاد مَوْقُوف صَحِيح الْإِسْنَاد»، وصَحَّحه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ ابن ماجه (١٧١٧).

[***] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَباها كان لا يحنث في يمين حتى أنزل الله كفَّارةَ اليمين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥).

---

(١) أخرجَ نحوَه عبدُ بن حميد وابنُ جرير وابنُ المنذر -كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٢/ ٥٤٤)- عن عكرمةَ، وليسَ فيه ذِكرُ الطِّيبِ والقيامِ. وأخرجَ ابنُ جَريرٍ (١٢٣٣٩) عَنْ إبراهيمَ النَّخعيِّ، قال: «كَانُوا حَرَّمُوا الطِّيبَ وَاللَّحْمَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى هَذَا فِيهِمْ»، وفي البُخارِيِّ (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤٨٧) عَن عَائشةَ قِصَّةٌ نحو ذلك بدونِ ذِكرِ أنَّها سببٌ لِنُزولِ الآيةِ، وليسَ فيها ذِكرُ الطِّيبِ. وأخرجَ ابنُ جَريرٍ (١٢٣٤٥) عن السُّدِّيِّ «...فحرَّمَ بعضُهم أكلَ اللحمِ والوَدَك، وأن يأكلَ بِالنَّهارِ، وحَرَّم بعضُهم النومَ، وحَرَّم بعضُهم النِّساءَ...».

(٢) بإثباتِ ألِفٍ بعدَ العَينِ وتخفيفِ القَافِ، لابنِ ذَكوان، وبِالتَّخفيفِ بِدونِ أَلِفٍ: قِراءةُ حمزةَ والكِسائِيِّ وشُعبةَ، وقرأَ البَقِيَّةُ: ﴿عَقَّدتُّمُ﴾، بِالحذفِ وتَشديدِ القَافِ.

(٣) والجمهورُ، وهو الرَّاجِحُ.

(٤) وهذا مذهبُ مالكٍ والشافعيِّ. وعندَ أبي حنيفةَ: لا يُحملُ المطلَقُ على المقيَّدِ إلَّا إذا اتَّحدَ السببُ، وهنا اختلفٌ فلا حمْلَ، ويكفِي في اليمينِ والظِّهارِ عنده عِتقُ الكافرة.

(٥) سُورة البقرة: ٢٢٤.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إذا أتيتُموهما؛ لِما يحصُلُ فيهما مِنَ الشرِّ والفِتَنِ ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ بالاشتغالِ بهما ﴿عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ﴾ خصَّها بالذِّكرِ تعظيمًا لها ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ عَنْ إتيانِهما؟ أي: انتَهوا[*].

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ المعاصيَ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنِ الطَّاعةِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ﴾: الإبلاغُ البيِّنُ، وجزاؤُكم علينا.

[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾: أكلوا مِنَ الخمرِ والميسرِ قبلَ التحريمِ ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾ المُحرَّماتِ ﴿وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا﴾: ثبَتوا على التقوى والإيمانِ ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ العملَ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بمعنَى: أنَّه يُثيبُهم[1][**].

[٩٤] ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: لَيختبرَنَّكم ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يُرسِلُه لكم ﴿مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُۥ﴾ أي: الصِّغارَ منه ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الكِبارَ منه- وكانَ ذلك بِالحديبيَّةِ وهم مُحْرِمُونَ[2]؛ فكانتِ الوَحشُ والطيرُ تَغشاهُم في رِحالِهم- ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِالْغَيْبِ﴾: حالٌ؛ أي: غائبًا لم يرَهُ؛ فيجتنبُ الصيدَ ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ النَّهيِ عنه؛ فاصطادَه ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: مُحْرِمُونَ بِحَجٍّ أو عُمرةٍ[3] ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ﴾ بِالتنوينِ ورَفعِ ما بعدَه، أي: فعليه جَزاءٌ، هو: ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي: شِبهُهُ في الخِلقةِ. وفي قِراءَةٍ[4]: بِإضافةِ «جزاءُ». ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ أي: بِالمِثْلِ رَجُلانِ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: لهما فِطنةٌ يَميزانِ بها أشبهَ الأشياءِ به- وقدْ حكمَ ابنُ عبَّاسٍ وعُمرُ وعليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم في النَّعامةِ بِبَدَنَةٍ[5]، وابنُ عبَّاسٍ[6] وأبو عُبيدةَ[7] في بَقرِ الوَحشِ وحِمارِه بِبقرةٍ، وابنُ عمرَ[8] وابنُ عوفٍ[9] في الظَّبيِ بِشاةٍ، وحكَمَ بها[10] ابنُ عبَّاسٍ[11] وعُمرُ[12] وغيرُهما في الحَمامِ؛ لأنَّه يُشبهُها في العَبِّ[13]- ﴿هَدْيًا﴾: حالٌ مِنْ «جزاءٌ» ﴿بَٰلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أي: يُبلَغُ به الحَرَمُ؛ فيُذبحُ فيه، ويُتصدَّقُ به على مَساكينِه- ولا يجوزُ أن يُذبحَ حيثُ كانَ. ونَصْبُه نَعتًا لِما قبلَه، وإن أُضيفَ؛ لِأنَّ إضافتَه لَفظيَّةٌ؛ لا تُفيدُ تعريفًا[14]. فإنْ لم يكنْ لِلصيدِ مِثلٌ مِنَ النَّعمِ، كالعُصفورِ والجَرادِ؛ فعليه قِيمتُه- ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ غيرُ الجزاءِ، وإنْ وَجدَه، هي: ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ مِنْ غالبِ قُوتِ

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ
الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ
ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ
مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُۥ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ
بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ
مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ
أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَتَيْنِ (٩٠، ٩١): أخرجَ مُسلِمٌ عن سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ أنَّه نزلتْ فيه آياتٌ مِنَ القُرآنِ. قالَ: ...وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الأَنْصارِ وَالمُهاجِرِينَ، فَقالُوا: تَعالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِيكَ خَمْرًا -وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الخَمْرُ- قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ -وَالحَشُّ: البُسْتانُ- فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ. قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَذَكَرْتُ الأَنْصارَ وَالمُهاجِرِينَ عِنْدَهُمْ، فَقُلْتُ: المُهاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الأَنْصارِ. قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ، فَجَرَحَ بِأَنْفِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - شَأْنَ الخَمْرِ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَٰمُ﴾. مسلمٌ - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فضل سعد بن أبي وقَّاصٍ.

وأخرجَ أبو داوُدَ: عن عُمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قالَ: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنا فِي الخَمْرِ بَيانًا شِفاءً، فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي البَقَرَةِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآيَةَ. قَالَ: فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنا فِي الخَمْرِ بَيانًا شِفاءً، فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي النِّساءِ: ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ فَكانَ مُنادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ يُنادِي: «أَلا لا يَقْرَبَنَّ الصَّلاةَ سَكْرانُ»، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنا فِي الخَمْرِ بَيانًا شِفاءً. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قَالَ عُمَرُ: انْتَهَيْنا. أبو داود - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صحيح سُنَنِ أبي داوُدَ (٣١١٧). وسبقَ ذِكرُه مُختصرًا عند الآيةِ (٢١٩) مِنْ سُورةِ البقرةِ.

[**] ما جاءَ في نُزُولِ الآيةِ (٩٣): أخرجَ البُخاريُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنادِيًا يُنادِي:

---

(١) وهذا تأويلٌ لِلصفةِ بلازمِها. ومذهبُ السلفِ إثباتُها والإيمانُ بها على الوَجهِ اللائقِ به -سُبْحَانَهُ-، وسبقَ ذلك مِرارًا. (٢) أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ في تفسيرِه (٤/ ١٢٠٤) عَنْ مُقاتِلِ بْنِ حَيَّانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾، قَالَ: أُنْزِلَتْ فِي عُمْرَةِ الحُدَيْبِيَةِ، فَكانَتِ الوَحْشُ وَالطَّيْرُ وَالصَّيْدُ يَغْشاهُمْ فِي رِحالِهِمْ، لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ فِيما خَلا، فَنَهاهُمُ اللهُ عَنْ قَتْلِهِ، وَهُمْ مُحْرِمُونَ، لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخافُهُ بِالغَيْبِ. (3) في نُسخةِ قَباوةَ: (بالحجِّ أوِ العُمرةِ). (٤) لِنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. (٥) أخرجَ البيهقيُّ في السُّننِ الكبرى (٩٨٦٨) عَنْ عَطاءٍ الخُراسانِيِّ، أَنَّ عُمَرَ، وَعُثْمانَ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ، وَزَيْدَ بْنَ ثابِتٍ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، وَمُعاوِيَةَ، قَالُوا فِي النَّعامَةِ يَقْتُلُها المُحْرِمُ: «بَدَنَةٌ مِنَ الإِبِلِ». قَالَ الشَّافِعِيُّ: هَذا غَيْرُ ثابِتٍ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ بِالحَدِيثِ، وَهُوَ قَوْلُ الأَكْثَرِ مِمَّنْ لَقِيتُ، فَبِقَوْلِهِمْ: إِنَّ فِي النَّعامَةِ بَدَنَةً، وَبِالقِياسِ قُلْنا فِي النَّعامَةِ بَدَنَةٌ، لا بِهَذا. وإسنادُه ضعيفٌ. البيهقيُّ (٥/ ٢٩٧). (٦) أخرجَ البيهقيُّ في الكبرى (٩٩٥٧) عَنْ عَطاءٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: «فِي حَمامِ الحَرَمِ: فِي الحَمامَةِ شاةٌ، وَفِي بَيْضَتَيْنِ دِرْهَمٌ وَفِي النَّعامَةِ جَزُورٌ، وَفِي البَقَرَةِ بَقَرَةٌ، وَفِي الحِمارِ بَقَرَةٌ». (٧) أخرجَ البيهقيُّ في الكبرى (٩٩٥٨) عن أبي المَليحِ الهُذَلِيِّ أنَّه كَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ يَسأَلُه عَنِ المُحرِمِ يُصيبُ حِمارَ وَحشٍ أو نَعامةً أو بَيضَ نَعامةٍ، وعَنِ الجَرادةِ يُصيبُها المُحرِمُ، فكَتَبَ إليه: «أَمَّا المُحرِمُ يُصيبُ حِمارَ وَحشٍ ففيه بَدَنَةٌ، وفِي النَّعامةِ بَدَنَةٌ...» وإسنادُه ضعيفٌ. (٨) لم نقفْ على شيءٍ من ذلك عَنِ ابنِ عُمرَ.

(٩) رواه الطبريُّ (١٢٥٨٥) مِنْ حَديثِ بكرِ بنِ عبدِ اللهِ المزنيِّ مُرسَلًا عنه به. (١٠) أي بالبدنةِ. (١١) أخرجَ البيهقيُّ في الكبرى (١٠٠٩٩) عَنْ عَطاءٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ جَعَلَ فِي حَمامِ الحَرَمِ عَلَى المُحْرِمِ وَالحَلالِ فِي كُلِّ حَمامَةٍ شاةً. وصحَّحَ الألبانيُّ إسنادَه في الإرواءِ (٤/ ٢٤٧). (١٢) أخرجَ البيهقيُّ في الكبرى (١٠٠٩٧) عن نافعِ بنِ عبدِ الحارثِ، عنه في قِصَّةِ تطييرِه لِطيرٍ من حَمامِ الحَرَمِ، فانتهزَته حيَّةٌ فقتلَته -قالَ: فوَجدتُ في نفسِي أنِّي أطَرتُه مِن مَنزلةٍ كان فيها آمِنًا إِلَى مَوقِعةٍ كان فيها حَتفُه. فقُلتُ لِعُثمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كيف ترَى في عنزٍ ثَنِيَّةٍ عَفراءَ، نَحكُمُ بها على أميرِ المُؤمنينَ؟ قال: أرَى ذلِكَ. فأمَرَ بها عُمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال ابنُ الملقِّنِ في البدرِ المُنيرِ (٦/ ٤٠٢): «قالَ الحافظُ زكي الدِّينِ المُنْذِرِيُّ: إِسْنادُه حَسَنٌ». والثنيةُ مِنَ الغَنمِ: ما دَخَلَ في السنةِ الثالثةِ، والعَفراءُ: خالصةُ البياضِ. النهاية (١/ ٢٢٦).

(١٣) أي: شُربُ الماءِ بلا مَصٍّ. (١٤) أي: إن إضافةَ ﴿بَٰلِغَ﴾ إلى ﴿الْكَعْبَةِ﴾ إضافةٌ لفظيَّةٌ، ولا تفيدُ تعريفًا؛ ومِن ثَمَّ يَصحُّ أنْ تكونَ نعتًا لِـ ﴿هَدْيًا﴾ النَّكرةِ.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
ربع الحزب ١٣
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ
أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ
ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

البلدِ، ما يُساوِي قِيمةَ الجزاءِ، لِكُلِّ مِسكينٍ مُدٌّ - وفي قِراءَةٍ[1]: بإضافةِ ﴿كَفَّرَةُ﴾ لِما بعدَه. وهي لِلبيانِ - ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلُ﴾: مِثلُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الطعامِ ﴿صِيَامًا﴾ يَصومُه؛ عَنْ كُلِّ مُدٍّ يومًا، وإنْ وجدَه. وَجبَ ذلك عليه ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾: ثِقَلَ جزاءِ ﴿أَمْرِهِۦ﴾ الذي فَعلَه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ مِنْ قَتلِ الصيدِ قبلَ تحريمِه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ على أمرِه ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِمَّنْ عَصاهُ. وأُلحِقَ بِقتلِه مُتَعَمِّدًا، فِيما ذُكِرَ، الخطأُ.

[٩٦] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ - أيُّها النَّاس - حَلالًا كنتُم أو مُحْرِمِينَ ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾: أَنْ تَأكُلوه - وهو ما لا يَعيشُ إِلَّا فيه؛ كَالسَّمكِ، بِخلافِ ما يَعيشُ فيه وفي البرِّ؛ كالسَّرطانِ - ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: ما يَقذِفُه مَيِّتًا ﴿مَتَٰعًا﴾: تمتيعًا ﴿لَّكُمْ﴾ تَأكلونَه ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرينَ منكم؛ يتزوَّدونَه ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ - وهو ما يَعيشُ فيه مِنَ الوَحشِ المأكُولِ - أَنْ تصيدُوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صادَه حَلالٌ فللمُحرِمِ أكلُه، كما بيَّنَتْه السُّنَّةُ[2] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[٩٧] ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾: المُحَرَّمَ ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾: يقومُ به أَمرُ دِينِهم؛ بِالحجِّ إِليه، ودُنياهم؛ بِأَمْنِ داخلِه، وعَدمِ التعرُّضِ له، وجَبْيِ ثَمراتِ كُلِّ شيءٍ إِليه - وفي قِراءَةٍ[3]: ﴿قِيَمًا﴾ بِلا أَلِفٍ؛ مَصدرُ «قام» غَيْرَ مُعَلٍّ - ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بِمعنَى: الأَشْهرِ الحُرُمِ - ذو القَعدةِ وذو الحِجَّةِ والمُحرَّمِ ورَجب - قِيامًا لهم؛ بأَمنِهم القِتالَ فيها ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ قِيامًا لهم؛ بأَمْنِ صَاحبِهما مِنَ التعرُّضِ له ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجَعْلُ المذكورُ ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإنَّ جَعْلَه ذلك لِجلبِ المصالحِ لكم ودفعِ المَضارِّ عنكم قبلَ وقوعِها، دَليلٌ على علمِه بما هو في الوُجودِ، وما هو كَائِنٌ.

[٩٨] ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لِأَعدائِه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِأَوليائِه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[٩٩] ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾: الإِبلاغُ لكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تُظهِرونَ مِنَ العملِ ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: تُخفونَ منه؛ فيُجازِيكم به.

[١٠٠] ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ﴾: الحرامُ ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾: الحلالُ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أي: سَرَّكَ ﴿كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في تَركِه ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزونَ.

[١٠١] ونَزَلَ - لَمَّا أكثروا سؤالَه ﷺ[4] -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ﴾: تُظهَرْ ﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ لِما فيها مِنَ المَشَقَّةِ ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: في زَمنِ النَّبيِّ ﷺ ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ المعنَى: إذا سألتُم عَنْ أشياءَ في زمنِه يَنزلُ القُرآنُ بإبدائِها، ومتَى أبدَاها ساءَتكُم؛ فلا تَسألُوا عنها[5]؛ قَدْ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾: عَن مسألَتِكم؛ فلا تَعودُوا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[*].

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي: الأشياءَ ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءَهم؛ فأُجيبُوا بِبيانِ أَحكامِها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟﴾: صارُوا ﴿بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ بتركِهم العملَ بها.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ﴾: شَرَعَ ﴿ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كما كَانَ أَهلُ الجاهليَّةِ يفعلونَه - روى البُخاريُّ عَنْ سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ قالَ: البَحِيرةُ: التي يُمْنَعُ دَرُّها للطَّواغيتِ؛ فلا يَحلِبُها أحدٌ مِنَ النَّاسِ. والسَّائبةُ: كانوا يُسيِّبونَها لآلِهتِهم؛ فلا يُحمَلُ[6] عليها شيءٌ. والوَصِيلةُ: النَّاقةُ البِكْرُ؛ تُبكِّرُ في أَوَّلِ نِتاجِ الإِبلِ بِأُنثى، ثُمَّ تُثَنِّي بَعْدُ بِأُنثى. وكانوا يُسيِّبونَها لِطواغيتِهم؛ إِنْ وَصَلَتْ إِحداهُما بِأُخرَى[7]، ليسَ بينهما ذَكَرٌ. والحَامِ: فَحلُ الإبلِ يَضرِبُ الضِّرابَ المَعدودَ؛ فإذا قَضى ضِرابَه وَدَعُوهُ لِلطواغيتِ، وأَعفَوه مِنْ أَنْ يُحملَ عليه شيءٌ، وسَمَّوهُ الحَامِيَ - ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في ذلكَ ونِسبتِه إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ ذلكَ افتراءٌ؛ لِأَنَّهم قَلَّدوا فيه آباءَهم.

= «أَلا إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ». قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، فَأَنْزَلَ الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآيَة. البُخاريُّ - كتاب المظالم (٤٦) بابُ (٢١) صبِّ الخمرِ في الطريق.

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٠١): أَخرجَ البُخاريُّ عن مُوسَى بنِ أنسٍ عَن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: فُلَانٌ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة باب (١٢).

وأخرجَ أيضًا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ وَسَلَّمَ اسْتِهْزَاءً، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ فَأَنْزَلَ الله فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (١٢).

---

(١) لِنافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٢) رَوَى البُخاريُّ (٢٣٨٢)، ومسلمٌ (٢٠٦٣)، واللفظُ له عن أبي قتادةَ السُّلَميِّ أنَّه كانَ مَعَ رَسولِ الله ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ طَرِيقِ مَكَّةَ، تَخَلَّفَ مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ مُحْرِمِينَ، وَهُوَ غَيْرُ مُحْرِمٍ، فَرَأَى حِمَارًا وَحْشِيًّا، فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ، ثُمَّ سَأَلَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُنَاوِلُوهُ سَوْطًا فَأَبَوْا، فَسَأَلَهُمْ رُمْحَهُ فَأَبَوْا، فَأَخَذَهُ ثُمَّ شَدَّ عَلَى الحِمَارِ فَقَتَلَهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبَى بَعْضُهُمْ، فَلَمَّا أَدْرَكُوا رَسُولَ الله ﷺ سَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: «إِنَّمَا هِيَ طُعْمَةٌ أَطْعَمَكُمُوهَا الله». (٣) لابنِ عامر.

(٤) أخرجَ نحوَه الطبريُّ (١٢٧٩٧) عَنْ أنسِ بنِ مالكٍ، وفيه: «سَأَلُوهُ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالمَسْأَلَةِ...»، و(١٢٨٠٠) عَنْ قَتادَةَ، وفيه: «حتى أكثرُوا عليه...»، وتَقَدَّمَ حديثُ أنسٍ عِندَ البُخاريِّ، في حاشيةِ أسبابِ النزول. (٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فلا تسألوا)، بدون زيادة: (عنها). (٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لا يُحملُ)، بِدونِ الفاءِ. (٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بالأخرى)؛ بإضافة (أل) التعريف.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا
مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ
عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن
شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ
أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ
أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ أي: إلى حُكمِه، مِنْ تحليلِ ما حرَّمتُم ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾: كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ مِنَ الدِّينِ والشَّريعةِ، قالَ تعالَى: ﴿أَ﴾ حَسْبُهُمْ ذلكَ ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقِّ؟ والاستفهامُ للإنكارِ.

[١٠٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: احفظُوها، وقُومُوا بِصلاحِها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيلَ: المُرادُ: لا يَضرُّكُم مَنْ ضلَّ مِن أهلِ الكِتابِ. وقيلَ: المُرادُ غيرُهم؛ لِحديثِ أبي ثَعلبةَ الخُشَنيِّ: سَألتُ عنها رسولَ الله ﷺ فقالَ: **«ائتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ؛ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ»**. رواهُ الحاكمُ وغيرُه[١] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيكم به.

[١٠٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابُه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: خبرٌ بِمعنى الأمرِ؛ أي: لِيَشهدْ. وإضافةُ ﴿شَهَادَةُ﴾ لِـ«بين» على الاتِّساعِ[٢]. و﴿حِينَ﴾: بَدلٌ مِنْ ﴿إِذَا﴾، أو ظرفٌ لِـ﴿حَضَرَ﴾ ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: غيرِ مِلَّتِكم ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتُم ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا﴾: تُوقِفُونَهما، صفةُ ﴿آخَرَانِ﴾ ﴿مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: صَلاةِ العَصرِ ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾: يَحلِفانِ ﴿بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: شَكَكتُم فيها[٣]، ويَقولانِ: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾: بالله ﴿ثَمَنًا﴾: عِوَضًا، نأخذُه بَدلَه مِنَ الدُّنيا؛ بِأَنْ نَحلِفَ به أو [نشهدَ به كاذبًا][٤] لِأَجلِه ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المُقْسَمُ له، أو المشهودُ له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: قَرابةٍ منَّا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التي أُمِرنَا بها[٥] ﴿إِنَّا إِذًا﴾: إنْ كتمنَاها ﴿لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: اطُّلِعَ بعدَ حَلِفِهما ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: فَعلا ما يُوجِبُه؛ مِنْ خِيانةٍ أو كَذِبٍ في الشَّهادةِ؛ بِأَنْ وُجِدَ عندهما مَثلًا ما اتُّهِما به، وادَّعيا أنَّهما ابتاعَاه مِنَ المَيِّتِ، أو وَصَّى لهما به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجُّه اليَمينِ عليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصيَّةَ -وهُمُ الورثةُ-، ويُبدلُ مِنْ ﴿آخَرَانِ﴾: ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ بِالمَيِّتِ؛ أي: الأقربانِ إليه. وفي قِراءةٍ[٦]: ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ جمعُ: «أوَّل»؛ صِفةٌ، أو بدلٌ مِن ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خِيانةِ الشَّاهِدَينِ؛ ويقُولانِ: ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾: يَمينُنا ﴿أَحَقُّ﴾: أصدقُ ﴿مِن شَهَادَتِهِمَا﴾: يمينِهما ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾: تَجاوزْنا الحقَّ في اليَمينِ ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ المعنَى: لِيُشهِدِ المُحتضَرُ على وَصيَّتِه اثنينِ، أو يُوصي إليهما، مِنْ أهلِ دِينِه، أو غيرِهم؛ إنْ فَقَدَهم لِسفرٍ ونحوِه. فإنِ ارتابَ الوَرثةُ فيهما؛ فادَّعَوْا أنَّهما خانَا بِأخذِ شيءٍ أو دَفعِه إلى شخصٍ، زَعمَا أنَّ المَيِّتَ أوصى له به؛ فلْيَحلِفَا... إلى آخرِه. فإنِ اطُّلِعَ على أمارةِ تكذيبِهما[٧] فادَّعَيَا دافعًا له؛ حَلَفَ أقربُ الوَرثةِ على كَذِبِهما وصِدقِ ما ادَّعَوه. والحكمُ ثابتٌ في الوَصِيَّينِ، مَنسوخٌ في الشَّاهِدَينِ[٨]، وكذا شهادةُ غيرِ أهلِ المِلَّةِ مَنسُوخةٌ. واعتبارُ صلاةِ العَصرِ: لِلتغليظِ. وتخصيصُ الحَلِفِ في الآيةِ بِاثنَينِ مِنْ أقربِ الوَرثةِ: لِخُصوصِ الوَاقعةِ التي نَزلَتْ لها. وهي ما رواه البُخاريُّ[٩]: أنَّ رَجلًا مِنْ بني سَهمٍ خرجَ مَعَ تَميمٍ الدَّاريِّ وعَديِّ بنِ بَدَّاءٍ -أي: وهما نَصرانيَّانِ- فماتَ السَّهميُّ بأرضٍ ليسَ فيها مسلمٌ، فلمَّا قدِما بتَرِكَتِه فقدُوا جامًا مِن فِضَّةٍ مُخَوَّصًا بالذَّهَبِ؛ فرُفِعَا إلى النَّبيِّ ﷺ؛ فنزلَتْ؛ فأحلَفَهما، ثُمَّ وُجِدَ الجامُ بِمكَّةَ؛ فقالوا: ابتعنَاه مِنْ تَميمٍ وعَديٍّ؛ فنزلَتِ الآيةُ الثانيةُ؛ فقامَ رَجلانِ مِنْ أولياءِ السَّهميِّ فحلَفا. وفي روايةِ التِّرمذيِّ[١٠]: فقامَ عمرو ابن العاصِ ورجلٌ آخرَ منهم فحلَفا، وكانَ أقربَ إليه. وفي روايةٍ: فمَرِضَ؛ فأَوصى إليهما، وأمرَهما أنْ يُبلِّغَا ما تَركَ أهلَهُ، فلمَّا ماتَ أخذا الجامَ ودَفعَا إلى أهلِه ما بَقِيَ.

[١٠٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكمُ المذكورُ؛ مِنْ رَدِّ اليمينِ على الوَرثةِ ﴿أَدْنَىٰ﴾: أقربُ إلى ﴿أَن يَأْتُوا﴾ أي: الشُّهودُ أوِ الأوصياءُ ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ الذي تَحمَّلُوها عليه، مِنْ غيرِ تَحريفٍ ولا خِيانةٍ ﴿أَوْ﴾ أقربُ إلى أنْ ﴿يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على الورثةِ المُدَّعِينَ- فيَحلفونَ على خِيانتِهم وكَذِبِهم؛ فيَفتَضِحونَ ويَغرَمونَ- فلا يَكذِبوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بِتَركِ الخِيانةِ والكَذِبِ ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تُؤمَرونَ به سَماعَ قَبُولٍ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجينَ عن طاعتِه، إلى سبيلِ الخيرِ[*].

---

[*] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (١٠٦-١٠٨)**: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، وَعَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ =

---

(١) رواهُ الحاكمُ في المُستدرَكِ (٧٩١٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافَقَه الذَّهبيُّ. ورواه التِّرمذيُّ (٢٩٨٤)، وأبو داودَ (٣٧٧٨)، وابنُ ماجه (٤٠٠٤)، وضعَّفه الألبانيُّ لكنْ بَعضُه صحيح. صحيح وضعيف الجامع (٢٣٤٤)، ضعيف الترغيب والترهيب (١٨٤٦).

(٢) أي: التسمُّحُ والتجوُّزُ، وذلك أنَّ حقَّ الشهادةِ أن تُضافَ إلى المشهودِ به، لكنها هنا أُضيفتْ إلى «البَين» ولَم تُضفْ إلى «الأَموال»؛ لأنَّ الشهادةَ على الأموالِ تَمنعُ فسادَ البينِ، والأصلُ فيه «شهادة بينكم»؛ أي: «فرض عليكم أنْ يَشهدَ الوَصيةَ بينكم اثنانِ»؛ فحُذفَ المفعولُ به، وأُضيفتِ الشهادةُ إلى الظرفِ، وهو المُسمَّى عند النحويينَ بالمفعولِ على السعةِ.

(٣) في نُسخةِ قَباوَة: (فيهما)؛ أي في صدقِ قولِ هذينِ الرَّجلينِ. وأمَّا على المثبتِ في نُسخةِ الصَّاوي: (فيها)؛ أي في صدقِ الشهادةِ.

(٤) في الأصلِ: (أو نشهد كاذبًا لأجلِه)؛ بدونِ زيادة: (به)، وفي قُرَّةِ العَينينِ وبعضِ النُّسخِ المطبوعةِ: (أو نشهد كَذبًا لأَجله). والمُثبتُ من نُسخةِ قَباوة. قالَ قَباوةُ في المفصَّلِ (ص٤٣٦): «وقد أشكلَ هذا على صاحبِ الفتوحاتِ والصَّاوي؛ فزعما أنَّ المناسبَ: كَذِبًا».

(٥) في نُسخةِ قَباوَة: (أُمرنا بإقامتِها).

(٦) لِحمزةَ وشُعبةَ.

(٧) في نُسخةِ قَباوَة: (أمارةِ تُكذِّبُهما).

(٨) أي: عندَ مَن يشترطُ في الشهودِ الإسلامَ ولو عند فقدِ المسلمينَ، وأمَّا مَن لَم يشترطْ فلا نسخَ عنده.

(٩) البُخاريُّ (٢٧٨٠).

(١٠) أخرجَه التِّرمِذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) سورة المائدة. وهو ضعيفُ الإسنادِ جدًّا، كما في ضعيف سُننِ التِّرمِذيِّ (٥٨٦).

الحزب ١٣

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ
إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١١٠ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟
بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ١١١
إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ١١٢ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣

[١٠٩] اذكُرْ ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ - هو يومُ القِيامَةِ- ﴿فَيَقُولُ﴾ لَهم توبيخًا لِقومِهم: ﴿مَاذَآ﴾ أي: الذي[1] ﴿أُجِبْتُمْ﴾ به حِينَ دَعوتُمُ [النَّاسَ][2] إلى التوحيدِ؟ ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بِذلكَ[3] ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: ما غَابَ عَنِ العِبادِ، وذهبَ عنهم عِلمُه؛ لِشدَّةِ هَولِ يومِ القِيامةِ؛ وفزعِهم. ثُمَّ يَشهدُونَ على أُممِهم لَمَّا يَسكُنونَ.

[١١٠] اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ بِشُكرِها ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قَوَّيتُكَ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جِبريلَ ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾: حَالٌ مِنَ الكَافِ في ﴿أَيَّدتُّكَ﴾ ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ أي: طفلًا ﴿وَكَهْلًا﴾ - يُفيدُ نزولَه قبلَ السَّاعةِ؛ لِأنَّه رُفِعَ قبلَ الكُهولةِ، كما سبقَ في «آلِ عِمرانَ»-[4]. ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ﴾: كصورةِ ﴿ٱلطَّيْرِ﴾ - والكافُ: اسمٌ بِمَعنَى: «مِثل» مفعولٌ- ﴿بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾: بِإرادَتي[5] ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ مِنْ قُبورِهم أحياءً ﴿بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ حِينَ هَمُّوا بِقَتلِك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزاتِ ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي جئتَ به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وفي قِراءَةٍ: ﴿سَٰحِرٌ﴾[6] أي: عِيسَى.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾: أمرتُهم على لِسانِه ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾: عِيسَى ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ بهما ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

[١١٢] اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ أي: يفعلُ ﴿رَبُّكَ﴾ - وفي قِراءَةٍ: بِالفَوقانِيَّةِ ونَصْبِ ما بعدَه[7]؛ أي: تَقدرُ أنْ تَسألَه- ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ﴾ لهم عِيسَى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في اقتراحِ الآياتِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ﴾ سُؤالَها مِنْ أجلِ ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾: تَسكُنَ ﴿قُلُوبُنَا﴾ بِزيادةِ اليَقينِ ﴿وَنَعْلَمَ﴾: نَزدادَ عِلمًا ﴿أَن﴾ مخففةٌ؛ أي: أنَّكَ ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادِّعاءِ النُّبوَّةِ ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

= لَيسَ بِهَا مُسْلِمٌ، فلَمَّا قَدِمَا بِتَرِكَتِهِ، فَقَدُوا جامًا مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصًا مِنْ ذَهَبٍ، فَأَحْلَفَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وُجِدَ الجامُ بِمَكَّةَ، فَقَالُوا: ابْتَعْنَاهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيٍّ، فَقَامَ رَجُلَانِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَحَلَفَا لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا، وَإِنَّ الجامَ لِصَاحِبِهِمْ، قَالَ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾. البُخاريُّ - كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٥).

---

(١) أي: ما الذي.

(٢) كلمة: (النَّاس) ليستْ في الأَصلِ، والمثبت من نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة، زيادة: (إِلَّا ما علمتَنا).

(٤) يقصدُ الآيَةَ (٥٧) مِن سُورةِ «آلِ عِمرانَ». لكن الذي سبقَ ذكرُه في ذاكَ الموضعِ، أنَّه رُفع وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً، وهذا سِنُّ الكُهولَةِ؛ فلا وجهَ لقولِه هنا: «لأنَّه رُفِعَ قبل الكُهولَةِ». ينظر: حاشية الجمل (٢/ ٢٩٩).

(٥) الصَّحيحُ أن تفسيرَ «بإذنه»: أي: بأمرِه، ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآية (١٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٦) لِحَمْزَةَ والكِسَائيِّ.

(٧) أي: ﴿تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ وهي قِراءةُ الكِسَائيِّ.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ
مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي: يومُ نُزولِها ﴿عِيدًا﴾ نُعظِّمه ونُشرِّفه(١) ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾: بدلٌ مِن: ﴿لَنَا﴾؛ بإعادةِ الجارِّ ﴿وَآخِرِنَا﴾ ممَّنْ يأتي بعدَنا ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ على قُدرتك ونُبوَّتي ﴿وَارْزُقْنَا﴾ إيَّاها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ مُستجيبًا له: ﴿إِنِّي [مُنزِلُهَا]﴾ - بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ(٢)- ﴿عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي: بعدَ نُزولِها ﴿مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ فنزلتِ الملائكةُ بها من السَّماءِ؛ عليها سَبعةُ أرغِفَةٍ وسَبعةُ أحواتٍ، فأكلوا منها حتى شبِعُوا. قالَه ابنُ عبَّاسٍ(٣). وفي حديثٍ: «أُنزِلَتِ المَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزًا وَلحمًا، فَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا وَلَا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ؛ فَخَانُوا وَادَّخَرُوا، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ»(٤).

[١١٦] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: يقولُ ﴿اللَّهُ﴾ لِعيسَى؛ في القِيامَةِ توبيخًا لِقومِه: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ﴾ عِيسَى؛ وقدْ أُرعِدَ: ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهًا لك عمَّا لا يليقُ بك مِنْ شريكٍ وغيرِه! ﴿مَا يَكُونُ﴾: يَنبغِي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: خَبرُ ﴿لَيْسَ﴾ و﴿لِي﴾ لِلتبيينِ ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا﴾ أُخفِيه ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: ما تُخفيه مِن مَعلوماتِكَ(٥) ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[*].

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وهو: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رقيبًا؛ أمنعُهم مِمَّا يقولونَ ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾: قَبضتَني؛ بِالرَّفعِ إلى السَّماءِ ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: الحفيظَ لِأعمالِهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ قولي لهم، وقولِهم بَعدي، وغيرِ ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾: مُطَّلِعٌ، عالِمٌ به.

[١١٨] ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: مَنْ أقامَ على الكُفرِ منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ وأنتَ مَالِكُهم؛ تتصرَّفُ فيهم كيفَ شئتَ، لا اعتراضَ عليكَ ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لمنْ آمنَ منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾: الغَالبُ على أمرِه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه.

[١١٩] ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا﴾ أي: يومُ القِيامةِ ﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ في الدُّنيا؛ كَعيسَى ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لِأنَّه يومُ الجزاءِ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطاعتِه(٦) ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِثوابِه ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ولا ينفعُ الكاذبينَ في الدُّنيا صِدقُهم فيه؛ كَالكُفَّارِ لَمَّا يُؤمنونَ عِندَ رُؤيةِ العَذابِ.

[١٢٠] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خَزائنِ المطرِ والنَّباتِ والرِّزقِ وغَيرِها ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ - أتى بِـ«مَا» تَغليبًا لِغيرِ العَاقلِ- ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه إثابةُ الصَّادقِ وتعذيبُ الكَاذبِ. وخَصَّ العقلُ ذاتَه، فليسَ عليها بقادرٍ(٧).

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: يُلَقَّى عِيسَى حُجَّتَهُ، وَلَقَّاهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: فَلَقَّاهُ الله: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآيَةَ كُلَّهَا. الترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة، وقال الترمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وصَحَّحَه الأَلبانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٥٠). وقال في الصحيحة (٥/ ٥٨٢): «ولا شَكَّ أنَّ جميعه مرفوعٌ... وهو على شرط مسلم».

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (نُسَرُّ فيه)؛ من السُّرورِ.

(٢) بِالتَّخفيفِ؛ أي: للزَّاي، ولازمه سكونُ النونِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وبِالتَّشديدِ؛ ﴿مُنَزِّلُهَا﴾: قِراءةُ بقيةِ السبعةِ.

(٣) أخرجه عنه بنحوِه ابنُ أبي حاتم (٧٠٣٤)، وسندُه ضعيفٌ منقطعٌ. وأخرجه بنحوِه ابنُ جرير (١٣٠٠٦) عنه.

(٤) أخرجَه التِّرمِذيُّ (٢٩٨٧) عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ» قَدْ رَوَاهُ أَبُو عَاصِمٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ خِلَاسٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، «مَوْقُوفًا، وَلَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الحَسَنِ بْنِ قَزَعَةَ». وضعَّفَ الألبانيُّ إسنادَه في ضعيفِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٥٨٧). وأخرجَه ابنُ أبي يعلى في مُسندِه (١٦٥١)، عنه مرفوعًا به. وقالَ حسين أسد؛ محقِّقُه (٣/ ٢١٢): «رجالُه ثقاتٌ».

(٥) ومذهبُ السلفِ إثباتُ صفةِ النَّفْسِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به. وهل هي الذاتُ أم صفةٌ للذَّاتِ؟ قولانِ للسَّلفِ، والجمهورُ أنَّها هي الذَّاتُ.

(٦) وفيه إثباتُ صفةِ الرِّضا لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به بلا تأويلٍ أو تعطيلٍ أو تكييفٍ أو تمثيلٍ، كما هو مذهبُ السَّلفِ في إثباتِها لله عَزَّوَجَلَّ.

(٧) ومثلُ هذا الإطلاقِ الأولى الإمساكُ عنه، ولَم يقلْ به أحدٌ من السلفِ. ولو قالَ المُصنِّفُ: لأنَّها ليستْ مِن الموجوداتِ التي تتعلَّقُ بها قدرتُه؛ لأَوضحَ المُرادَ، وكانَ أسلمَ وأليقَ في التعبيرِ عن الله.

سورة الأنعام — ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ
وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الأنعام

مَكيَّةٌ[*] إِلَّا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ الآياتِ الثلاثَ، وإِلَّا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ الآياتِ الثلاثَ، وهي(١): مِائةٌ وخمسٌ، أو سِتٌّ وسِتُّونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو: الوَصفُ بِالجميلِ، ثَابتٌ ﴿لِلَّهِ﴾ - وهلِ المُرادُ الإعلامُ بِذلكَ للإيمانِ به، أوِ الثناءُ به، أو هما؟ احتمالاتٌ، أَفيدُهَا الثالثُ. قالَه الشيخُ(٢) في سُورةِ «الكهفِ»- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خَصَّهما بِالذِّكرِ؛ لِأَنَّهما أعظمُ المخلوقاتِ لِلنَّاظرينَ ﴿وَجَعَلَ﴾: خلقَ ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي: كُلَّ ظُلمةٍ ونُورٍ- وجمعَها(٣) دُونَه؛ لِكثرةِ أسبابِها، وهذا مِنْ دَلائلِ وَحدَانيَّته- ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مَع قِيامِ هذا الدَّليلِ ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يُسوُّونَ غيرَه في العِبادةِ.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بِخَلْقِ أبيكُم آدمَ منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ لكم، تَموتونَ عِندَ انتهائِه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: مَضروبٌ ﴿عِندَهُ﴾ لِبعْثِكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ - أيُّها الكُفَّارُ- ﴿تَمْتَرُونَ﴾: تَشُكُّونَ في البَعْثِ، بعدَ عِلمِكم أنَّه ابتدأَ خَلقَكم- وَمَنْ قَدرَ على الابتداءِ فهو على الإِعادَةِ أقدرُ-.

[٣] ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مُستحقٌّ لِلعِبادةِ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾: ما تُسِرُّونَ(٤) وما تَجهرونَ به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: تعملون مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿مِّنْ﴾: زائدةٌ ﴿آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ مِن القُرآنِ ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بِالقُرآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ﴾: عَواقبُ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارِهم إِلى الشَّام وغَيرِها ﴿كَمْ﴾: خَبريَّةٌ؛ بِمَعنَى: كثيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾: أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ الماضيةِ؟ ﴿مَّكَّنَّاهُمْ﴾: أعطيناهم مَكانًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بِالقوَّةِ والسَّعةِ ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن﴾: نُعطِ ﴿لَّكُمْ﴾ - فيه التفاتٌ عَنِ الْغَيبَةِ- ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾: المطرَ ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾: مُتَابعًا ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾: تحتَ مَساكنِهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: بِتكذيبِهمُ الأنبياءَ ﴿وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

[٧] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوبًا ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾: رَقٍّ؛ كما اقترَحُوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ مِنْ «عاينوه» لِأنَّه أنفى لِلشَّكِّ ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تَعنُّتًا وعِنادًا.

[٨] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على مُحمَّدٍ ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يُصدِّقُه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترَحُوه؛ فلم يُؤمنُوا ﴿لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بِهلاكِهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: يُمهلونَ لِتَوبةٍ أو مَعذِرةٍ، كَعادةِ الله فِيمَنْ قبلَهم؛ مِنْ إهلاكِهم عِندَ وُجودِ مُقترَحِهم، إذا لَم يُؤمنُوا.

---

[*] فَائِدَةٌ: تَقسيمُ السُّورِ إلى مَكِّيةٍ ومَدنِيَّةٍ، وكَونِ السُّورةِ كُلِّها مَكيَّةً أو مَدنيَّةً إنما هو الأغلبُ الأعمُّ في سُورِ القُرآنِ، ذلكَ أنَّه قد وَردَت آياتٌ مدنيَّةٌ في سُورٍ مَكيَّةٍ والعكسُ على وجهِ القِلَّةِ، وسببُ ذلك ما تقرَّرَ بِأَنَّ ترتيبَ الآياتِ تَوقيفيٌّ بِالإجماعِ. ونقلَ السُّيوطيُّ في الإتقانِ (١/ ٥٦) عنِ ابنِ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قالَ: «قدْ اعتَنَى بَعْضُ الأَئِمَّةِ بِبيانِ مَا نَزَلَ مِنَ الآياتِ بِالمَدِينَةِ فِي السُّوَرِ المَكِّيَّةِ. قَالَ: وَأَمَّا عَكسُ ذلك وهو نُزُولُ شَيْءٍ مِنْ سُورَةٍ بِمَكَّةَ تَأخر نُزُول تِلْكَ السُّورَةِ إِلَى المَدِينَةِ فَلَمْ أَرَهُ إِلَّا نَادِرًا».

والاستثناءُ المذكورُ مَشهورٌ في كُتُبِ القرَّاءِ ومُثبَتٌ في المصاحِفِ، وثُبوتُ وُقوعِهِ دلَّتْ عليه الأدلَّةُ، لكنْ هل يُقبَلُ كُلُّ ما يُذكَرُ مِنَ الاستثناءِ، أم لا بدَّ مِنَ النظرِ فيهِ؟

ذهبَ المُحققونَ مِن أهلِ التفسيرِ إلى أنَّه لا يَصِحُّ الاستثناءُ إِلَّا بِدَليلٍ؛ لِأنَّهُ خِلافُ الأصلِ. ولا يجوزُ العُدُولُ عن هذا الأصلِ إِلَّا بدليلٍ صَحيحٍ صَريحٍ.

قالَ ابنُ الحصَّارِ في نَظمِهِ لِلسورِ المكِّيَّةِ والمدنيَّةِ:

وذا الذي اختَلَفَتْ فيهِ الرُّواةُ لَه ... وربَّما استُثْنِيَتْ آيٌ مِنَ السُّوَرِ
وما سِوَى ذاكَ مَكِّيٌّ تَنَزُّلُه ... فلا تَكُنْ مِنْ خِلافِ النَّاسِ في حَصَرِ
فَلَيْسَ كُلُّ خِلافٍ جاءَ مُعْتَبَرًا ... إلَّا خِلافٌ لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظَرِ

وقد تتبَّعَ السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ما قِيلَ بِاستثنائِه وذَكَرَ الأدلَّةَ على ذلك مُختصرًا في كتابِه الإتقانِ.

---

(١) كلمة: (وهي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ.

(٢) أي: جلالُ الدِّينِ المَحلِّيُّ.

(٣) أي: جمع الظُّلمةِ، دُونَ النُّورِ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (ما تُسِرُّونه).

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ
سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ
نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ
فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ
مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ
أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ
يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ
وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ
لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

الحزب ١٣

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: المُنزَل إليهم ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: المَلَكَ ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صُورتِه؛ لِيتمكَّنوا مِنْ رُؤيتِه؛ إذ لا قُوَّةَ لِلبشرِ على رُؤيةِ المَلَكِ ﴿وَ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رَجُلًا ﴿لَلَبَسْنَا﴾: شَبَّهْنا ﴿عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ على أنفسِهم؛ بأنْ يقولُوا: ما هذا إلَّا بَشرٌ مِثْلُكم.

[١٠] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ - فيه تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ - ﴿فَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو: العَذابُ؛ فكَذَا يَحِيقُ بِمَنْ استهزأ بِكَ.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرُّسلَ؛ مِنْ هلاكِهم بالعَذابِ؟ لِيعتبِرُوا.

[١٢] ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ﴾ - إنْ لم يقولُوه؛ لا جوابَ غيرُه - ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[1]: قَضى على نفسِه ﴿ٱلرَّحْمَةَ ۚ﴾ فَضلًا منه. وفيه تلطُّفٌ في دُعائِهم إلى الإيمانِ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لِيُجازيَكم بأعمالِكم ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتعريضِها لِلعذابِ: مُبتدأٌ، خبرُه: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿۞ وَلَهُۥ﴾ -تَعالَى- ﴿مَا سَكَنَ﴾: حَلَّ ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ﴾ أي: كُلُّ شيءٍ؛ فهو رَبُّه وخالِقُه ومالِكُه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يُقالُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِما يُفعَلُ.

[١٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ أعبُدُه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مُبدِعِهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾: يَرزُقُ ﴿وَلَا يُطْعَمُ ۗ﴾: يُرزَقُ؟ لا ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ﴾ للهِ مِنْ هذه الأُمَّةِ ﴿وَ﴾ قِيلَ لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بعبادةِ غيرِه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: هو يومُ القِيامةِ.

[١٦] ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ - بالبناءِ لِلمفعولِ؛ أي: العَذابُ، ولِلفاعلِ[2]؛ أي: اللهُ، والعائدُ محذوفٌ[3] - ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ﴾ -تَعالَى-؛ أي: أرادَ له الخيرَ[4] ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: النَّجاةُ الظاهِرةُ.

[١٧] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: بَلاءٍ؛ كَمَرضٍ وفَقرٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رافِعَ ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كَصِحَّةٍ وغِنًى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه مَسُّكَ به؛ ولا يَقدِرُ على رَدِّه عنكَ غيرُه.

[١٨] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: القادرُ[5]؛ الذي لا يُعجِزُه شيءٌ، مُستعليًا[6] ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خَلقِه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ببواطنِهم؛ كَظَواهِرِهم.

---

(١) وفيها إثباتُ صِفةِ الكِتابةِ له -سُبْحَانَهُ-، كما سبقَ التنبيهُ عليه.

(٢) قراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وشُعبةَ.

(٣) تقديرُه: مَنْ يصرفْه اللهُ، أي: يردُّه ويمنعُه.

(٤) هذا تأويلٌ للصفةِ بلازمِها. ومذهبُ السلفِ إثباتُ ما أثبتَه اللهُ لِنفسِه على ما يَليقُ به سبحانه.

(٥) قال ابنُ جرير (٩/ ١٨٠): «﴿الْقَاهِرُ﴾: المُذَلِّلُ المُستَعْبِدُ خلقَهُ العالي عَلَيْهِمْ». وقال ابن كثير (٣/ ٢٤٤): «هُوَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ، وَذَلَّتْ لَهُ الْجَبَابِرَةُ، وَعَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَدَانَتْ لَهُ الْخَلَائِقُ، وَتَوَاضَعَتْ لِعَظَمَةِ جَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ وَعُلُوِّهِ وَقُدْرَتِهِ الْأَشْيَاءُ، وَاسْتَكَانَتْ وَتَضَاءَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَحْتَ حُكْمِهِ وَقَهْرِهِ».

(٦) عُلوَّ ذاتٍ وعُلوَّ شأنٍ وعُلوَّ قهرٍ؛ كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾
ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ
وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟
يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

[١٩] وَنَزَل لَمّا قالوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «ائْتِنا بِمَنْ يَشْهَدُ لَك بِالنُّبُوَّةِ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتابِ أَنْكَرُوك»[1]: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾؟ تمييزٌ مُحوَّلٌ عَنِ المُبتدإِ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إنْ لَم يَقولُوه. لا جَوابَ غَيرُه؛ هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صِدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ﴾: أُخوِّفَكم[2] يا أَهلَ مَكَّةَ ﴿بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾: عَطفٌ على ضميرِ «أُنذِرَكُم»؛ أي: بَلَغَه القُرآنُ مِنَ الإنسِ والجِنِّ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾؟ استفهامُ إنكارٍ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلكَ ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ مَعه مِنَ الأَصنامِ.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: مُحمَّدًا؛ بِنعتِه في كِتابِهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٢١] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنسبةِ الشَّريكِ إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القُرآنِ؟ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلكَ.

[٢٢] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ تَوبيخًا: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنَّهم شُركاءُ الله[3]؟

[٢٣] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ - بِالتّاءِ والياءِ[4]- ﴿[فِتْنَتَهُمْ]﴾ - بالنَّصبِ والرَّفعِ[5]- أي: مَعذِرَتَهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قَولُهم ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ - بِالجرِّ: نعتٌ، والنَّصبِ[6]: نداءٌ- ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[*].

[٢٤] قال تَعالَى: ﴿انْظُرْ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بِنفيِ الشِّركِ عنهم ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ـهُ على الله مِن الشُّرَكاءِ؟

[٢٥] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قَرأتَ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطيةً لِـ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾: يَفهمُوا القُرآنَ ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: صَمَمًا؛ فلا يسمعونَه سَماعَ قَبولٍ ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما ﴿هَذَا﴾ القُرآنُ ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيبُ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ كَالأَضاحيكِ والأَعاجيبِ، جَمعُ أُسطورةٍ، بِالضَّمِّ.

[٢٦] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ النّاسَ ﴿عَنْهُ﴾: عَنِ اتِّباعِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَيَنْأَوْنَ﴾: يتباعدونَ ﴿عَنْهُ﴾ فلا يُؤمنونَ به- وقِيلَ: نَزلتْ في أبي طَالبٍ؛ كانَ ينهَى عن أذاه، ولا يُؤمنُ به[7]- ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بِالنّأيِ عنه ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لِأَنَّ ضَرَرَه عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلكَ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ - يا مُحمَّد- ﴿إِذْ وُقِفُوا﴾: عُرِضُوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا﴾ - لِلتنبيهِ- ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدُّنيا ﴿وَلَا [نُكَذِّبُ] بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ[نَكُونُ] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - بِرفعِ الفِعلَينِ استئنافًا، ونَصبِهما في جَوابِ التَّمنِّي، ورَفعِ الأَولِ ونَصبِ الثاني[8]- وجَوابُ «لو»: لَرأيتَ أمرًا عَظيمًا.

---

[*] فائدةٌ: أَخرجَ البُخاريُّ عَن سعيدٍ قالَ: قال رجلٌ لابنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، قَالَ:... ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الآيَةِ؟... فقال: ... وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ: لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَخُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللهَ لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا، وَعِنْدَهُ: ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ الآية. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١) الترجمة.

---

(١) ذَكَرَه الوَاحِدِيُّ فِي أَسبابِ النُّزولِ (ص٢١٤) عَنِ الكلبيِّ. والكلبيُّ كذَّابٌ. وقال ابنُ جرير (٩/ ١٨٥): «وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ بِأَعْيَانِهِمْ مِنْ وَجْهٍ لَمْ تَثْبُتْ صِحَّتُهُ، وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ وَأَبُو كُرَيْبٍ... عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ النَّحَّامُ بْنُ زَيْدٍ وَقَرْدَمُ بْنُ كَعْبٍ وَبَحْرِيُّ بْنُ عُمَيْرٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا تَعْلَمُ مَعَ اللهِ إِلَهًا غَيْرَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، بِذَلِكَ بُعِثْتُ، وَإِلَى ذَلِكَ أَدْعُو»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَفِي قَوْلِهِمْ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾».

(٢) كلمة: (أُخوِّفكم) لَيسَتْ فِي نُسخَةِ قَباوَة.

(٣) فِي نُسخَةِ قَباوَة: (شركاء لله).

(٤) بالياءِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ.

(٥) بِالنَّصبِ: قِراءَةُ نافعٍ وحمزةَ والكِسائيِّ وأبي عَمرٍو وشُعبةَ، وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِالرَّفعِ؛ ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾.

(٦) بِالنَّصبِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ.

(٧) أخرجَ عبدُ الرزاق في تَفسيرِه عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ» قَالَ: «كَانَ يَنْهَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُؤْذُوا مُحَمَّدًا ﷺ وَيَنْأَى عَمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ»، وأخرجَه كذلك ابنُ أبي حاتم (٧٢٠٦)، والحاكمُ (٣٢٢٨) عنه، وقال الحاكمُ: «صحيحٌ على شرطِ الشيخَينِ، ولم يُخرِّجاه» ووافقه الذَّهبِيُّ. وحسَّنه صاحبُ الاستيعاب بِمجموعِ طُرُقِه (٢/ ١٣٢).

(٨) حاصلُه أنَّ القراءاتِ ثلاثٌ: بِالرَّفعِ ثمَّ النَّصبِ: قِراءَةُ ابن عامر، وبالرَّفع في الفِعلَينِ: قِراءَةُ نافع والكِسائيِّ وابنِ كثير وأبي عَمرٍو وشُعبةَ، وبِالنَّصبِ في الفِعلَينِ: قِراءَةُ حفصٍ وحمزةَ.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ
نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ
نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[٢٨] قال تَعالَى: ﴿بَلْ﴾ - لِلإضرابِ(١) عَنْ إرادةِ الإيمانِ المفهومِ مِنَ التمنِّي- ﴿بَدَا﴾: ظهرَ ﴿لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾: يكتمونَ بِقولِهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، بِشهَادةِ جَوارِحِهم؛ فتمنَّوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ إِلى الدُّنيا فَرْضًا ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ مِنَ الشِّركِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في وَعدِهم بالإيمانِ.

[٢٩] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي: مُنكِرُو البَعْثِ: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هِىَ﴾ أي: الحياةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾: عُرِضوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لَرأيتَ أمرًا عظيمًا ﴿قَالَ﴾ لهم(٢) على لِسانِ الملائكةِ تَوبيخًا: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ البَعْثُ والحِسابُ ﴿بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إِنَّه لحقٌّ ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به في الدُّنيا.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: بِالبَعْثِ(٣) ﴿حَتَّىٰٓ﴾ - غايةٌ لِلتَّكذيبِ- ﴿إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القِيامةُ ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً ﴿قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ - هي شِدَّةُ التألُّم، ونِداؤُها مجازٌ؛ أي: هذا أوانُكِ فاحضُري- ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾: قَصَّرنا ﴿فِيهَا﴾ أي: الدُّنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بِأَنْ تأتِيَهم عِندَ البَعْثِ في أقبحِ شيءٍ صُورةً، وأنتنِه رِيحًا؛ فتَركبَهم ﴿أَلَا سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا يَزِرُونَ﴾: يحملونَه حِملُهم ذلك!

[٣٢] ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أيِ: الاشتِغالُ بها(٤) ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وأمَّا الطَّاعةُ ومَا يُعِينُ عليها فمِنْ أُمورِ الآخِرةِ ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ وفي قِراءةٍ(٥): ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الجنَّةُ ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ ﴿أَفَلَا [يَعْقِلُونَ]﴾ بِالياءِ والتَّاءِ(٦)، ذلكَ فيُؤمنونَ؟

[٣٣] ﴿قَدْ﴾ - لِلتحقِيقِ[*]- ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ لكَ مِنَ التكذِيبِ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السِّرِّ، لِعلمِهم أنَّكَ صَادقٌ. وفي قِراءةٍ بالتخفيف(٧)؛ أي: لا يَنسبُونَكَ إلى الكَذِبِ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ -وَضَعَه مَوضِعَ المُضمَرِ- ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾: يُكذِّبونَ.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ - فيه تَسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ- ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ بِإهلاكِ قَومِهم؛ فاصبرْ حتَّى يأتيَكَ النَّصرُ بِإهلاكِ قَومِكَ ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: مَواعِيدِه(٨) ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ما يَسكُنُ به قلبُكَ.

[٣٥] ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: عَظُمَ ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عَنِ الإسلامِ؛ لِحرصِكَ(٩) عليهم ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا﴾: سَرَبًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾: مِصعَدًا ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ مِمَّا اقترحُوا فافعلْ. المعنَى: أنَّك لا تستطيعُ ذلك؛ فاصبرْ حتَّى يحكُمَ الله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هِدايتَهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ ولكِنْ لَم يَشأْ ذلكَ؛ فلم يُؤمنُوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بِذلكَ.

---

[*] فَائِدَةٌ: دُخولُ «قَدْ» على الفِعلِ المضارِعِ مِنْ «عَلِمَ» جاءَ في سِتَّةِ مَواضِعَ في القُرآنِ الكَريمِ، قالَ ابنُ هشامٍ في كِتابِه مُغني اللبيبِ عَنْ كُتبِ الأعاريبِ (ص٢٣٠-٢٣١): «...المَعْنَى الثَّالِثُ مِنْ مَعاني «قَدْ»: التَّقْلِيلُ، وَهُوَ ضَرْبَانِ: تَقْلِيلُ وُقوعِ الْفِعْلِ، نَحْوَ: «قَدْ يَصْدُقُ الْكَذُوبُ، وَقد يجُودُ الْبَخِيل»، وتَقليلُ مُتَعَلَّقه نَحْوَ قَوْله تَعالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: مَا هم عَلَيْهِ هُوَ أَقلُّ مَعلوماتِه سُبْحَانَهُ. وَزعمَ بَعضُهم أَنَّهَا فِي هَذِه الْأَمْثِلَة وَنَحْوهَا لِلتحقِيقِ» اهـ. وقَد أَخذَ الجَلالانِ؛ المَحليُّ والسُّيوطيُّ بِقولِ هذا البعضِ: إنَّها لِلتحقيقِ لا لِلتقليلِ في هذه المواضِعِ على خِلافِ القَاعدةِ.

---

(١) أي: الإبطالي؛ والمعنَى: ليسَ الأمر كما قالوا: مِن أنَّهم لو رُدُّوا لآمنُوا.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تعالى لهم)؛ بِزيادةِ: (تعالى).

(٣) وهو لِقاءٌ حقيقيٌّ كيفما يَشاؤُه ربُّنا عَزَّوَجَلَّ. كما سبقَ بيانُه في التعليقِ على الآيةِ (٤٦) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فيها).

(٥) لابنِ عامر.

(٦) بِالياءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كثير وأبي عَمرٍو وشُعبةَ.

(٧) لنافعٍ والكِسَائِيِّ.

(٨) المُرادُ بِكلماتِ الله هنا ما كتبَه بِالنَّصرِ في الدُّنيا والآخرةِ لِعبادِه المؤمنينَ، ووعدُه إيَّاهم بذلك. ومِنْ لوازمِ ذلك إثباتُ صِفةِ الكلامِ لله عَزَّوَجَلَّ كما هو مذهبُ السلفِ.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِحرصكَ)؛ بِالباءِ.

الحزب ١٤

۞إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ مَن يَشَإِ
اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ
إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دُعَاءَكَ إِلى الإِيمانِ ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ تَفهُّمٍ واعتِبارٍ ﴿وَالْمَوْتَىٰ﴾ أي: الكُفَّارُ- شبَّهَهُم بهم في عَدَمِ السَّماعِ- ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخِرةِ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: يُرَدُّونَ؛ فيُجازِيهم بِأَعمالِهم.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفَّارُ مكَّةَ: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كَالنَّاقةِ والعَصا والمائِدةِ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ(١)- ﴿آيَةً﴾ مِمَّا اقترحُوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ نُزولَها بَلاءٌ عليهم؛ لِوجوبِ هَلاكِهم إنْ جَحدُوها.

[٣٨] ﴿وَمَا مِن﴾ - زائِدةٌ- ﴿دَابَّةٍ﴾ تَمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهَواءِ ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في تَدبيرِ خَلقِها ورِزقِها وأَحوالِها ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾: تَركْنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: اللَّوحِ المحفوظِ ﴿مِن﴾ - زائِدةٌ- ﴿شَيْءٍ﴾ فلم نَكتُبْه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيُقضَى بينهم، ويُقتَصُّ لِلجَمَّاءِ مِنَ القَرناءِ، ثُمَّ يقولُ لهم: كُونُوا تُرابًا(٢).

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿صُمٌّ﴾ عَنْ سَماعِها سَماعَ قَبُولٍ ﴿وَبُكْمٌ﴾ عَنِ النُّطقِ بِالحقِّ ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾: الكُفرِ ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ﴾ إِضلالَه ﴿يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ﴾ هِدايتَه ﴿يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾: طريقٍ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: دِينِ الإِسلامِ.

[٤٠] ﴿قُلْ﴾ - يا مُحمَّد- لِأَهلِ مَكَّةَ: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾: أخبِرُوني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ فِي الدُّنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾: القِيامةُ المشتَمِلةُ عليه بَغتةً ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾؟ لا، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنَّ الأَصنامَ تنفعُكم فادعُوها.

[٤١] ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غَيرَه ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشَّدائِدِ ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أنْ يَكشِفَه عنكم مِنَ الضُّرِ ونَحوِه ﴿إِن شَاءَ﴾ كَشْفَهُ ﴿وَتَنسَوْنَ﴾: تَترُكـونَ ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ مَعـه مِنَ الأَصنامِ؛ فلا تَدعونَه.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن﴾ - زائِدةٌ- ﴿قَبْلِكَ﴾ رُسلًا فَكَذَّبُوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾: شِدَّةِ الفَقرِ ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرضِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: يَتذلَّلونَ فيُؤمنونَ.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾: فَهلَّا ﴿إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا﴾: عَذابُنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لَم يَفعلُوا ذلك، مَع قِيامِ المُقتَضِي له ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلَم تَلِنْ لِلإِيمانِ ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ المَعاصِي؛ فأَصرُّوا عليها.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تَركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾: وُعِظُوا وَخُوِّفُوا ﴿بِهِ﴾ مِنَ البَأساءِ والضَّرَّاءِ؛ فلم يَتَّعظُوا ﴿فَتَحْنَا﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(٣)- ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ النِّعَمِ استدراجًا لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فَرَحَ بَطَرٍ ﴿أَخَذْنَاهُم﴾ بِالعَذابِ ﴿بَغْتَةً﴾: فَجأةً ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيِسُونَ مِن كُلِّ خيرٍ[*].

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ أحمدُ عَنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾. مُسندُ أحمد (٤/ ١٤٥)، وصَحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٥٦١).

---

(١) بِالتخفيفِ- ولازِمُه سكونُ النُّونِ-: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٢) كما في حديثِ أبي هُرَيرةَ مرفوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ؛ الْجِنِّ، وَالإِنْسِ، وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيُقِيدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَّاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ تَبِعَةً عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى، قَالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾». أخرجَه ابنُ جرير في تفسيرِه (٣٠/ ١٧، ١٨)، وصَحَّحه الألبانيُّ في الصحيحةِ (١٩٦٦) (٤/ ٦٠٦).

(٣) بالتَّشديد: قِراءةُ ابنِ عامرٍ.

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ
عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ
رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: آخِرُهم؛ بأنِ استُؤْصِلوا ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على نَصرِ الرُّسلِ وإهلاكِ الكافِرينَ.

[٤٦] ﴿قُلْ﴾ لِأَهلِ مَكَّةَ: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾: أصَمَّكُم ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾: أعْمَاكُمْ ﴿وَخَتَمَ﴾: طَبَعَ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلا تَعرفونَ شيئًا ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾: بما أخذَه منكم؛ بزعمِكُم؟ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نُبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: الدلالاتِ على وَحدانيَّتِنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرِضُونَ عنها؛ فلا يُؤمنونَ؟

[٤٧] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾: ليلًا أو نهارًا ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرونَ؟ أي: ما يُهلَكُ إلَّا هُمْ.

[٤٨] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ مَنْ آمنَ بالجنَّةِ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَنْ كفرَ بالنَّارِ ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عملَه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرةِ.

[٤٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: يَخرُجونَ عَنِ الطَّاعةِ.

[٥٠] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ التي منها يَرْزُقُ ﴿وَلَآ﴾ إنِّي ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: ما غابَ عنِّي، ولم يُوحَ إليَّ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ مِنَ الملائكةِ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾: الكافرُ ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: المؤمنُ؟ لا. ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك، فتُؤمنونَ؟

[٥١] ﴿وَأَنذِرْ﴾: خوِّفْ ﴿بِهِ﴾ أي: القُرآنِ[1] ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غيرِه ﴿وَلِىٌّ﴾ ينصرُهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يَشفعُ لهم- وجُملةُ النَّفيِ: حالٌ مِنْ ضَميرِ: ﴿يُحْشَرُوٓا۟﴾؛ وهي محلُّ الخوفِ[2]. والمُرادُ بهم: المؤمنونَ العاصُونَ- ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ؛ بإقلاعِهم عمَّا هم فيه، وعَملِ الطَّاعاتِ.

[٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادَتِهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾ -تعالَى- لا شيئًا مِنْ أعراضِ الدُّنيا؛ وهُمُ الفُقراءُ. وكانَ المشركونَ طعنُوا فيهم وطلبُوا أنْ يَطرُدَهم؛ ليُجالِسُوه، وأرادَ النَّبيُّ ﷺ ذلك؛ طَمَعًا في إسلامِهم[3]. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن﴾ -زائدةٌ- ﴿شَىْءٍ﴾ إن كانَ باطنُهم غيرَ مَرْضيٍّ ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جوابُ النَّفي، ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إنْ فعلتَ ذلك.

---

(١) في نُسخةِ قَباوَة: (بالقُرآن)، وبدون: (أي)، وفي حاشيةِ الجمل: (أي: بالقُرآن).

(٢) أي: ليسَ الخوفُ من الحشرِ، وإنَّما من هذه الحالِ يومَ الحشرِ.

(٣) أخرجَ نحوَ ذلك مسلمٌ (٢٤١٣) عن سعدِ بنِ أبي وقَّاص.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل
لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ
﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ
خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ
مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ
ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

ربع الحزب ١١

[٥٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾: ابْتَلَيْنا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: الشَّريفَ بِالوضيعِ، والغنيَّ بِالفَقيرِ؛ بِأَنْ قدَّمناهُ بالسَّبقِ إِلى الإِيمانِ ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ أي: الشُّرفاءُ والأَغنياءُ[1]؛ مُنكِرينَ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفُقراءُ ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بِالهِدايةِ؟ أي: لو كانَ ما هم عليه هُدى ما سَبقُونا إِليه. قال تَعالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ له فيَهديَهم؟ بلى.

[٥٤] ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ﴾ لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ﴾[2]: قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ [إِنَّهُۥ]﴾ أي: الشَّأنَ- وفي قِراءَةٍ: بِالفتحِ؛ بَدلٌ مِنَ ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾- ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ منه حيثُ ارتكبَه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾: رَجعَ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بَعدِ عَملِه عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عملَه ﴿[فَإِنَّهُۥ]﴾[3] أي: اللهَ ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَّحِيمٌ﴾ به. وفي قِراءَةٍ: بِالفتحِ[4]؛ أي: فالمغفرةُ له.

[٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كَما بيَّنَّا ما ذُكِرَ ﴿نُفَصِّلُ﴾: نُبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: القُرآنَ؛ لِيَظهرَ الحقُّ؛ فيُعْمَلَ به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: تَظهرَ ﴿سَبِيلُ﴾: طريقُ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فتُجْتَنَبَ. وفي قِراءَةٍ: بِالتحتانيَّةِ[5]، وفي أُخرى: بِالفوقانيَّةِ ونَصْبِ ﴿سَبِيلَ﴾[6]؛ خِطابٌ لِلنَّبيِّ ﷺ.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعبُدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ في عِبادتِها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾: إِنِ اتَّبعتُها ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بَيانٍ ﴿مِّن رَّبِّى وَ﴾ قدْ ﴿كَذَّبْتُم بِهِۦ﴾: بِربِّي؛ حيثُ أشركتُم ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ مِنَ العَذابِ ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ في ذلكَ وغَيرِه ﴿إِلَّا لِلَّهِ ۖ [يَقْضِى]﴾ القَضاءَ ﴿ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: الحَاكِمِينَ. وفي قِراءَةٍ: ﴿يَقُصُّ﴾[7] أي: يقولُ.

[٥٨] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بِأَنْ أُعجِّلَه لكم؛ وأَستريحَ، ولكنَّه عِندَ اللهِ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مَتى يُعاقبُهم؟[*].

[٥٩] ﴿۞ وَعِندَهُۥ﴾ -تَعالَى- ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خَزائنُه[8]، أَوِ الطُّرقُ المُوصِّلةُ إِلى عِلمه ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وهي: الخَمسةُ التي في قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآيةَ[9]، كَما رواهُ البُخاريُّ[10] ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ يَحدثُ ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾: القِفارِ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: القُرى التي على الأَنهارِ ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن﴾ -زائدةٌ- ﴿وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: عَطفٌ على: ﴿وَرَقَةٍ﴾ ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هو: اللَّوحُ المحفوظُ. والاستثناءُ: بَدلُ اشتِمالٍ[11]، مِنَ الاستثناءِ قبلَه.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآياتِ (٥١-٥٨): أَخرجَ مُسلِمٌ عَنْ سعدٍ قال: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشرِكُونَ لِلنَّبيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾. مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) في فضائل سعدِ بنِ أبي وقَّاص.

وأخرجَ ابنُ ماجه عَن خبابٍ في قوله تعالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قَالَ: جَاءَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ، فَوَجَدَا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَ صُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ، وَعَمَّارٍ، وَخَبَّابٍ، قَاعِدًا فِي نَاسٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ حَقَرُوهُمْ، فَأَتَوْهُ فَخَلَوْا بِهِ، وَقَالُوا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا، تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ فَضْلَنَا، فَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ فَنَسْتَحْيِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَذِهِ الْأَعْبُدِ، فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ، فَأَقِمْهُمْ عَنْكَ، فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا، فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالُوا: فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا، قَالَ: فَدَعَا بِصَحِيفَةٍ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ، وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ، فَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، فَقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قَالَ: فَدَنَوْنَا مِنْهُ حَتَّى وَضَعْنَا رُكَبَنَا عَلَى رُكْبَتِهِ...الحديث. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفقراء. صحيح سُنَنِ ابنِ ماجه (٣٣٢٩). وستأتي بقيته عند الآية (٢٨) من سورة الكهف.

وأخرجَ أحمدُ عن ابنِ مسعودٍ قال: مَرَّ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ خَبَّابٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَعَمَّارٌ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَرَضِيتَ بِهَؤُلَاءِ؟ فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وحسَّنه الأرناؤوطُ بِمجموعِ طُرُقِه في تخريجِه على المُسنَدِ (٧/ ٩٢). وقال الهيثميُّ في مجمعِ الزوائدِ (٧/ ٢٠، ٢١): «رواهُ أحمدُ والطبرانيُّ، ورجالُ أحمدَ رجالُ الصحيحِ، غيرَ كردوس وهو ثقةٌ». وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقِه للمُسنَدِ (٦/ ٣٦، ٣٧ رقم ٣٩٨٥).

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة زيادة: (بِمكَّةَ). (٢) وفيها إِثباتُ صفةِ الكتابةِ له -سُبْحَانَهُ-، كما سبقَ التنبيهُ عليه.

(٣) قرأ نافعٌ بِفتحِ الهمزةِ في الأولى؛ ﴿أَنَّهُۥ﴾ وكَسرِها في الثانيةِ؛ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾، وقرأ عاصمٌ وابنُ عامرٍ بالفتحِ في الموضِعَيِن، وقَرأ حمزةُ والكِسائيُّ وابنُ كثير وأبو عمرٍو بِالكسرِ في الموضِعَيِن؛ ﴿إِنَّهُۥ﴾ و﴿فَإِنَّهُۥ﴾. (٤) هي قِراءةُ عاصم وابنِ عامر، في الموضِعَيِن، كما تَقدَّم. (٥) أي: ﴿وَلِيَسْتَبِينَ﴾؛ لِحَمْزَةَ والكِسائِيِّ وشُعبةَ. (٦) لِنافع.

(٧) والقِراءةُ المفسَّرةُ لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامر. (٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: خزائنه) بِزيادةِ: (أي). (٩) لقمان: ٣٤. (١٠) البُخَارِيُّ (١٠٣٩) عن عبدِ الله بن عُمرَ مرفوعًا.

(١١) وذلكَ أنَّ دائرةَ العلمِ أوسعُ مِن دائرةِ اللَّوحِ، وهذا على أنَّ المُرادَ بِالكتابِ اللَّوحُ، كما أفادَه المُفسِّرُ، وأمَّا إن أُريدَ بِالكتابِ علمُ اللهِ؛ كان بدلَ كُلٍّ مِن كُلٍّ؛ لِزيادةِ التأكيدِ والإيضاحِ.

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ
يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ
وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ
رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ
أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ
هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ
ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن
فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم
بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ
بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ
مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا
فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

١٣٥

[٦٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾: يقبضُ أرواحَكم عِندَ النَّومِ ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم﴾: كسبتُم ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ أي: النَّهارِ؛ بِردِّ أرواحِكم ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ﴾ هو: أجَلُ الحياةِ ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بالبَعْثِ ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازِيكم به.

[٦١] ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾ مُستعليًا[1] ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾: ملائكةً؛ تُحصِي أعمالَكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ﴾ - وفي قِراءةٍ: ﴿تَوَفَّاهُ﴾[2]- ﴿رُسُلُنَا﴾: الملائكةُ المُوكَّلونَ بِقبضِ الأَرواحِ ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: يُقصِّرونَ فِيما يُؤمَرونَ به.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ أي: الخَلْقُ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ﴾: مَالِكِهم ﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾: الثابتِ العَدلِ؛ ليُجازِيَهم ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾: القضاءُ النَّافذُ فيهم ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾: يُحاسِبُ الخَلْقَ كُلَّهم في قَدرِ نِصْفِ نَهارٍ مِنْ أيَّامِ الدُّنيا؛ لِحديثٍ[3] بذلكَ.

[٦٣] ﴿قُلۡ﴾ - يا مُحمَّد- لِأهلِ مكَّةَ: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾: أهوالِهما في أسفارِكم، حِينَ ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا﴾: علانيةً ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾: سِرًّا؛ تقولونَ: ﴿لَّئِنۡ﴾: لامُ قَسَمٍ ﴿[أَنجَيۡتَنَا]﴾ - وفي قِراءةٍ: ﴿أَنجَىٰنَا﴾[4] أي: اللهُ- ﴿مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الظُّلُماتِ والشَّدائدِ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: المُؤمنِينَ؟

[٦٤] ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱللَّهُ [يُنجِيكُم]﴾ - بِالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[5]- ﴿مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾: غَمٍّ سِواها ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ به.

[٦٥] ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾: مِنَ السَّماءِ؛ كالحِجارةِ والصَّيحةِ ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ كالخسفِ ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ﴾: يَخلِطَكُمْ ﴿شِيَعٗا﴾: فِرَقًا مُختلفةَ الأَهواءِ ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ بالقِتالِ. قالَ ﷺ لمَّا نزلتْ: «هَذَا أَهْوَنُ» [أو][6] «أَيْسَرُ»، ولمَّا نَزَلَ ما قبلَه: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» رَواهُ البُخاريُّ[7]. وروى مسلمٌ حديثَ: «سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يَجْعَلَ بَأْسَ أُمَّتِي بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا»[8]. وفي حديثٍ: لمَّا نزلَتْ قالَ: «أَمَا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ»[9] ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ﴾: نُبيِّنُ لهم ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: الدلالاتِ على قُدرتِنا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾: يعلمونَ أنَّ ما هُم عليه باطلٌ؟

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾: بالقُرآنِ ﴿قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾: الصِّدقُ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ فأُجازيَكم، إنَّما أنا مُنذِرٌ، وأمْرُكم إلى اللهِ -وهذا قبلَ الأمْرِ بالقِتالِ-.

[٦٧] ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ﴾: خَبرٍ ﴿مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾: وَقتٌ يَقعُ فيه ويَستقرُّ، ومنه عذابُكم ﴿وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ تهديدٌ لهم.

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ؛ بالاستهزاءِ ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ ولا تُجالِسْهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا﴾ - فيه إدغامُ نُونِ «إِنْ» الشرطيَّةِ في «ما» المَزيدةِ- ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ - بِسكونِ النُّونِ والتخفيفِ، وفتحِها والتَّشديدِ[10]- ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فقعَدْتَ معهم ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي: تَذكُّرِه ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ - فيه وَضعُ الظاهرِ مَوضعَ المُضمَرِ-.

---

(١) عُلوُّ ذاتٍ وعُلوُّ شأنٍ وعُلوُّ قَهرٍ؛ كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ﴾.

(٢) لِحمزةَ.

(٣) سَبَقَ بَيانُ أنَّ هذا سَبْقُ قلمٍ مِنَ السُّيوطيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنَّ الحِسابَ يَقعُ في قَدرِ نِصفِ نهارٍ مِقدارُهُ خمسونَ ألفَ سَنةٍ، ولَيس أيَّامَ الدُّنيا. رَاجع تفسير آية (٢٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٤) القِراءةُ المُفسَّرةُ: ﴿أَنجَيۡتَنَا﴾ لِنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقرأ بَقيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿أَنجَىٰنَا﴾.

(٥) بإسكانِ النُّونِ وتخفيفِ الجيمِ: قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ ذكوان، وقرأ الباقونَ بفتحِ النُّونِ وتَشديدِ الجيمِ: ﴿يُنَجِّيكُم﴾.

(٦) في الأصلِ: («هذا أهون وأيسر»)، وهو سبْقُ قلمٍ، والمثبتُ وهو الصوابُ مِنَ البُخاريِّ؛ فهما روايتانِ؛ أُولاهما: «أهون»، والثانية: «أيسر».

(٧) البُخاريُّ (٤٦٢٨) عَن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ مرفوعًا.

(٨) مسلمٌ (٢٨٩٠) عَنْ سَعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ مرفوعًا.

(٩) رواهُ الترمذيُّ (٢٩٩٢)، وأحمدُ (١٣٨٧)، عَنْ سَعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ في هَذِهِ الآيَةِ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥] فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «أما إنها كائنةٌ ولمْ يأتِ تأويلُها بعدُ»، قالَ الترمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ». وضَعَّفَ الألبانيُّ إسنادَه في ضعيفِ سُنَنِ التِّرمذيِّ (٥٩٢).

(١٠) بفتحِ النُّونِ وتشديدِ السِّينِ: ﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾: قِراءةُ ابنِ عامرٍ، وقرأ الباقونَ بإسكانِ النُّونِ وتخفيفِ السِّينِ: ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾.

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ
لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن
تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ
حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ
أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

[٦٩] وقال المسلمون: إنْ قُمنا كُلَّما خاضُوا لَمْ نَستطعْ أنْ نجلسَ في المسجدِ، وأنْ نطوفَ؛ فنزَلَ(١): ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي: الخائضين ﴿مِّن﴾ - زائدةٌ- ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالَسُوهم ﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾: تذكرةٌ لهم وموعظةٌ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوضَ.

[٧٠] ﴿وَذَرِ﴾: اترُكِ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ الذي كُلِّفُوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائِهم به ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تتعرَّضْ لهم -وهذا قبلَ الأمرِ بالقِتالِ- ﴿وَذَكِّرْ﴾: عِظْ ﴿بِهِۦٓ﴾: بالقرآنِ(٢) النَّاسَ؛ لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾: تُسلَمَ إلى الهلاكِ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: عمِلَتْ(٣) ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِه ﴿وَلِىٌّ﴾: ناصرٌ ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنعُ عنها العذابَ ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: تَفْدِ كُلَّ فِداءٍ ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ما تُفْدَى به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماءٍ بالغٍ نهايةَ الحرارةِ ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلِمٌ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾: بكُفرِهم.

[٧١] ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟﴾: أنعبُدُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ بعبادتِه ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركِها- وهو: الأصنامُ- ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾: نرجعُ مُشركِين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلامِ ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾: أضلَّته ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: مُتحيِّرًا؛ لا يدري أينَ يذهبُ؟ حالٌ مِنَ الهاءِ(٤) ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾: رُفقةٌ ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أي: ليَهدُوه الطَّريقَ؛ يقولُونَ له: ﴿ٱئْتِنَا﴾ فلا يُجيبُهم؛ فيَهلِكُ؟ والاستفهامُ(٥): للإنكارِ، وجُملةُ التشبيهِ: حالٌ مِن ضَميرِ ﴿نُرَدُّ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلامُ ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداهُ ضلالٌ ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي: بأنْ نُسلِمَ ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أي: بأنْ ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ -تعالَى- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُجمَعونَ يومَ القِيامةِ؛ للحِسابِ.

[٧٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مُحِقًّا. ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيءِ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هو: يومُ القيامةِ؛ يقولُ للخَلقِ: قُومُوا؛ فيقُومُوا(٦). ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾: الصِّدقُ الواقعُ لا مَحالةَ ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: القرنِ؛ النَّفخةِ الثانيةِ مِنْ إسرافيلَ، لا مُلْكَ فيه لغيرِه ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ﴾(٧) ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غابَ وما شُوهِدَ ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خَلقِه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بباطنِ الأشياءِ كَظاهرِها.

(١) ذكرَ البَغويُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ نحوَه (٣/ ١٥٥).
(٢) في نُسخةِ قَباوة: (القرآن)؛ بدونِ الباءِ.
(٣) في نُسخةِ قَباوة: (عمِلتْه).
(٤) أي: الضميرُ في: ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾.
(٥) في قولِه: ﴿أَنَدْعُوا۟﴾.
(٦) في نُسخةِ قَباوة: (فيقومون).
(٧) غافر: ١٦.

الحزب ١٤

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ
﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ
فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

[٧٤] ﴿۞ وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو لَقَبُه واسمُه: تَارَخُ(١): ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تَعبدُها؟ استفهامُ توبيخٍ ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ بِاتِّخاذِها ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ عَنِ الحقِّ ﴿مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ.

[٧٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كَما أريناه إِضلالَ أبيه وقومِه ﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: مُلكَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لِيستدِلَّ به على وَحدانيَّتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ بها. وجُملةُ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وما بعدَها: اعتراضٌ. وعُطِفَ على ﴿قَالَ﴾:

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾: أظلمَ ﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ - قِيلَ: هو الزُّهْرَةُ- ﴿قَالَ﴾ لقومه - وكانوا نَجَّامِينَ-: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ فِي زَعمِكم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غابَ ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ أَنْ أَتَّخذَهم أربابًا؛ لِأَنَّ الربَّ لا يَجوزُ عليه التَّغيُّر والانتقالُ(٢)؛ لِأَنَّهما مِنْ شَأنِ الحَوادِثِ. فلَم يَنْجَعْ(٣) فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعًا ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾: يُثبِّتني على الهُدَى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾: تعريضٌ لِقومِه؛ بِأَنَّهم على ضَلالٍ. فلم يَنجعْ فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾ - ذَكَّرَهُ؛ لِتذكيرِ خبرِه(٤)- ﴿رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ مِنَ الكَوكبِ والقَمرِ ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وقَوِيتْ عليهمُ الحُجَّةُ؛ ولم يَرجِعُوا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بِالله - مِنَ الأصنامِ والأجرامِ المُحْدَثةِ المُحْتاجةِ إلى مُحْدِثٍ- فقالُوا لـه: ما تَعبدُ؟ قال(٥):

[٧٩] ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾: قَصدتُ بعبادتي ﴿لِلَّذِى فَطَرَ﴾: خَلَقَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: اللهِ ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا إلى الدِّينِ القَيِّمِ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾: جادَلُوه في دِينِه، وهدَّدُوه بِالأصنامِ؛ أَنْ تُصيبَه بِسُوءٍ، إِنْ تَرَكَها ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ - بِتشديدِ النُّونِ، وتَخفيفِها؛ بِحذفِ إِحدَى النُّونَينِ(٦)، وهِي: نُونُ الرَّفعِ عند النُّحاةِ، و: نُون الوِقايةِ عند القرَّاءِ-: أَتُجادِلُونَنِي ﴿فِى﴾ وَحدانيَّةِ ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ -تَعَالَى- إِليها؟ ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ـهُ ﴿بِهِۦٓ﴾ مِنَ الأصنامِ؛ أن تُصِيبَنِي بِسُوءٍ؛ لِعَدَمِ قُدرتِها عَلى شَيءٍ ﴿إِلَّآ﴾: لَكِنْ ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ مِنَ المَكرُوهِ يُصِيبُنِي؛ فيكونَ. ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وَسِعَ عِلمُه كُلَّ شيءٍ ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا؛ فتُؤمِنونَ؟

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله، وهي لا تَضرُّ ولا تَنفعُ ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم مِنَ الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ في العِبادةِ ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾: بعبادَتِه ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً وبُرهانًا، وهو القادرُ على كُلِّ شيءٍ؟ ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾: أَنحنُ أَم أَنتم(٧)؟ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مَنِ الأَحَقُّ به؟ - أي: وهو: نَحنُ- فاتَّبِعُوه.

---

(١) ويُقرَأُ بِالخَاءِ المُعجمةِ، والحَاءِ المُهمَلةِ. وقيلَ: إِنَّ آزر اسمُهُ، وتَارخَ لَقَبُهُ. وأخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ (٧٤٩١) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ قَالَ: إِنَّ أَبَا إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنِ اسْمُهُ آزرَ، إِنَّما كَانَ اسْمُهُ تَارحَ. وقالَ ابنُ كثير (٣/ ٢٨٨) بعدَ أن سَاقَ الأثرَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: «وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ النَّسَبِ: إِنَّ اسْمَهُ تَارحُ. وَقَالَ مُجاهِدٌ والسُّدِّي: آزَرُ: اسْمُ صَنَمٍ». ثُمَّ قالَ: «قُلْتُ: كَأَنَّهُ غَلَبَ عَلَيْهِ آزَرُ لخدمتِه ذلكَ الصَّنَمِ، فاللهُ أعلمُ»، وأمَّا ضبط: (تَارح)؛ فجاءَتْ بِفتحِ الرَّاءِ -وهو الأكثرُ-، وبِكسرِها، ولم أقف على نقلٍ يُعتدُّ به في الترجِيحِ، واللهُ أعلمُ.

(٢) وهذه العِبارةُ مُجملةٌ، ولَم تَرِدْ في كلامِ السَّلفِ، فإِنْ أرادَ بها نَفيَ صِفَاتِ الفِعلِ مِنَ المَجيءِ والنُّزولِ الإلهيِّ وغَيرِها مِنَ الصِّفَاتِ التي أثبتَها اللهُ لنفسِه، وأثبتَها له رسولُه ﷺ، فهذا تأويلٌ وتَعطيلٌ، وهو خِلافُ مَذهبِ السَّلفِ، وإِنْ أراد بها نَفيَ التغيُّرِ الذي يَقتَضي نَقصًا فيكونُ المعنى صَحيحًا، ولكنْ هذه الألفاظُ لَم تَرِدْ في كلامِ السَّلفِ، فالأَولى اجتنابُها.

(٣) أي: يُؤثِّرْ ويُفِدْ.

(٤) وهو قولُه: ﴿رَبِّى﴾.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فقالَ).

(٦) بالتخفِيفِ والحَذفِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ ذَكوان.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مِنَ العَذَابِ، نحنُ أم أنتم؟)؛ بزيادة: (مِنَ العَذَابِ).

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا
مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ
وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا
بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ
قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

[٨٢] قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا﴾: يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: شِرْكٍ، كما فسَّر بذلك في حديثِ الصحيحَينِ[1] ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ مِنَ العَذابِ ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَتِلْكَ﴾: مُبتدأٌ، ويُبْدَلُ منه: ﴿حُجَّتُنَآ﴾ التي احتَجَّ بها إبراهيمُ على وَحدانيَّةِ الله -مِنْ أُفولِ الكَوكبِ وما بعدَه- والخبرُ: ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾: أرشدناه لها؛ حُجَّةً ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ [دَرَجَٰتٍ] مَّن نَّشَآءُ﴾ -بالإضافةِ والتنوينِ[2]- في العِلمِ والحِكمةِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخَلْقِه.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنَه ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِ إبراهيمَ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أي: نُوحٍ ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنَه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابنَ يعقوبَ ﴿وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جَزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨٥] ﴿[وزَكَرِيَّا] وَيَحْيَىٰ﴾ ابنَه ﴿وَعِيسَىٰ﴾ ابنَ مَريمَ- يُفيدُ أنَّ الذُّرِّيَّةَ تتناولُ أولادَ البِنتِ- ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ ابنَ أخي[3] هارونَ؛ أخِي مُوسَى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ ابنَ إبراهيمَ ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ اللام زائدةٌ ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ ابنَ هارانَ؛ أخِي إبراهيمَ ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بالنُّبوَّةِ.

[٨٧] ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ - عَطفٌ على: «كُلًّا»، أو «نُوحًا»، و«مِنْ» لِلتبعيضِ؛ لِأنَّ بعضَهم لَم يَكنْ له ولدٌ، وبَعضَهم كانَ في وَلدِه كافرٌ- ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾: اختَرْناهم ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدِّين الذي هُدُوا إليه ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ فَرْضًا ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ - بِمعنَى: الكُتُبِ- ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: الحِكمةَ ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بِهذه الثلاثةِ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهلُ مَكَّةَ ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: أرصَدْنا لها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ هُمُ المُهاجِرونَ والأَنصارُ.

[٩٠] ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى﴾ هُمُ ﴿ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ﴾: طريقِهم مِنَ التوحيدِ والصَّبرِ ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ - بِهاءِ السَّكتِ وَقفًا ووَصلًا، وفي قِراءةٍ[4]: بِحذفِها وَصلًا- ﴿قُل﴾ لِأهلِ مَكَّةَ: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿أَجْرًا﴾ تُعطُونيه ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما القُرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾: عِظةٌ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ.

---

(١) وهو حديثُ ابنِ مسعودٍ: لَمَّا نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام:٨٢] شقَّ ذلكَ على المسلمينَ وقالُوا: أَيُّنا لم يَظلِمْ نَفسَه؟! فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لَيسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسمَعُوا قَوْلَ لُقمَانَ لِابنِهِ: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]...». الحديث. البُخاريُّ (٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٢) بالإضافةِ؛ ﴿درجٰت﴾: قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقرَأ بَقيَّةُ السَّبعةِ بِالتنوينِ؛ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾.

(٣) كذا في أكثرِ النُّسخِ المطبوعةِ، وفي نُسخةِ القاضي كنعان: «ابن هارون» قال: وهو الصحيحُ؛ فإلياسُ مِنْ ذريَّةِ هارونَ. وكذا قالَ قباوةُ في تعليقِه على الجلالينِ (ص٤٩٢): «والصَّوابُ إسقاطُ (أخي) الأولى، كما جاء في إحدى النُّسخِ؛ لأنَّ إلياس هو ابنُ ياسينَ الذي هو ابنُ حَفيدِ هارونَ، وإقحامُ تلكَ الكَلِمةِ لا فائدةَ منه؛ لأنَّ أخا هارونَ هو أخو مُوسَى أيضًا».

(٤) لحمزة والكسائيّ.

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم
مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ
يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ
وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى
غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ
ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا
فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ
ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ
شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟﴾ أي: اليَهودُ ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عَظَّمُوه حَقَّ عَظمتِه، أو ما عَرَفُوه حَقَّ مَعرِفَتِه ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وقدْ خَاصمُوه في القُرآنِ[١]: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ [يَجْعَلُونَهُۥ]﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ[٢] في المَواضِعِ الثلاثةِ[٣]- ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي: يَكتبونَه في دَفاتِرَ مُقَطَّعَةٍ ﴿[يُبْدُونَهَا]﴾ أي: ما يُحبُّونَ إِبداءَه منها ﴿[وَيُخْفُونَ] كَثِيرًا ۖ﴾ مِمَّا فيها؛ كَنعتِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ -أَيُّها اليَهودُ- في القُرآنِ ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ﴾ مِنَ التوراةِ؛ بِبيانِ ما التَبسَ عليكم، واختَلفتُم فيه ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ أنزلَه. إِن لَم يَقولُوه، لا جَوابَ غيرُه ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾: بَاطِلِهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾.

[٩٢] ﴿وَهَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قَبلَه من الكتُبِ ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ -بِالتَّاءِ والياءِ[٤]- عطفٌ على معنَى ما قَبلَه؛ أي: أنزلناهُ لِلبركَةِ، والتَّصديقِ، ولِتُنذرَ به ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ وسَائرَ النَّاسِ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خَوفًا مِن عِقابِها[٥].

[٩٣] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِادِّعاءِ النُّبوَّةِ؛ ولَم يُنبَّأْ ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ -نزلتْ في مُسَيلِمَةَ[٦]- ﴿وَ﴾ مِنْ ﴿مَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ﴾؟ وهُمُ المُستهزِئونَ؛ قالُوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ﴾[٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ -يا مُحَمَّد- ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المذكورُونَ ﴿فِى غَمَرَٰتِ﴾: سَكراتِ ﴿ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ إليهم بِالضَّربِ والتَّعذيبِ؛ يَقولُونَ لهم تَعنيفًا: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ﴾ إلينا؛ لِنَقبِضَها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: الهَوانِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بِدَعوى النُّبوَّةِ والإيحاءِ كَذِبًا ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تتكبَّرُونَ عَنِ الإيمانِ بها. وجَوابُ «لَوْ»: لَرأيتَ أمرًا فَظيعًا.

[٩٤] ﴿وَ﴾ يُقالُ لهم، إذا بُعِثُوا: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾: مُنفرِدينَ عَنِ الأهلِ والمالِ والوَلَدِ ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حُفاةً عُراةً غُرْلًا ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾: أعطيناكُم مِنَ الأموالِ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ﴾ في الدُّنيا بِغيرِ اختيارِكم ﴿وَ﴾ يُقالُ لَهم تَوبيخًا: ﴿مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾: الأصنامَ ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استحقاقِ عِبادتِكم ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ﴾ للهِ ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ [بَيْنُكُمْ]﴾[٨] وَصْلُكُمْ؛ أي: تَشتَّتَ جَمْعُكُم. وفي قِراءَةٍ: بِالنَّصبِ[٩]: ظرفٌ؛ أي: وَصْلُكُم بَينَكُمْ ﴿وَضَلَّ﴾: ذَهبَ ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في الدُّنيا؛ مِنْ شَفاعتِها.

---

(١) أخرجَ الطبريُّ نحوَه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ في جامع البيان (٧/ ١٧٧)، وابنُ أَبي حَاتمٍ في تَفسيرِه، وحسَّنَ صاحبُ الاستيعابِ إِسنادَه (٢/ ١٤٥).

(٢) بِالياءِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٣) بِالياءِ في المواضعِ الثلاثةِ: ﴿يَجْعَلُونَهُۥ﴾، ﴿يُبْدُونَهَا﴾، ﴿وَيُخْفُونَ﴾: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالتَّاءِ في المواضعِ الثلاثةِ: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾، ﴿تُبْدُونَهَا﴾، ﴿وَتُخْفُونَ﴾.

(٤) بِالياءِ: قِراءَةُ شُعبةَ.

(٥) أي: الآخِرَةِ.

(٦) أخرجَه عبدُ الرزَّاقِ في تَفسيرِه (٨٢٧)، وابنُ جرير (١٣٥٥٧) عَنْ قَتادَةَ، وهو مُرسَلٌ صحيحُ الإسنادِ، كما قالَ في الاستيعابِ (٢/ ١٤٨)، وأخرجَه ابنُ جَريرٍ (١٣٥٥٥) عَن عِكرمةَ، وإِسنادُه ضعيفٌ، وأخرجَه عبدُ بن حميد وابنُ المنذر، كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٣/ ٥٦) عن ابنِ جريجٍ، وقالَ صاحبُ الاستيعاب (٢/ ١٥٠): «ضعيفٌ».

(٧) سُورةُ الأنفال: الآية (٣١).

(٨) بِالرَّفعِ: قِراءَةُ حَمزةَ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبةَ: هو فاعلُ ﴿تَقَطَّعَ﴾، و«البَيْنُ» بِمعنَى: الوَصلِ، وهو المُرادُ هنا، ويُطلَقُ ويُرادُ به البُعدُ، مِن بَابِ تَسميةِ الأَضدادِ.

(٩) والفاعلُ في هذه القراءةِ: ضميرٌ يعودُ على الوصلِ المفهومِ من قولِه: ﴿شُفَعَآءَكُمُ﴾ و﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾؛ لِأَنَّ بينَ الشفيعِ والمَشفوعِ له اتصالًا، و﴿بَيْنَكُمْ﴾: ظرفٌ له، والتقديرُ: تَقطَّعَ الوَصلُ فيما بينكم.

الحزب ١٤

* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ
دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

[٩٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾: شَاقُّ ﴿ٱلْحَبِّ﴾ عَنِ النَّباتِ ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ عَنِ النَّخلِ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كَالإِنسانِ والطائرِ مِنَ النُّطفةِ والبَيضَةِ ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾: النُّطفةِ والبَيضةِ ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ﴾ الفَالِقُ المُخرِجُ ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: فكيفَ تُصرَفُونَ عَنِ الإِيمانِ مَعَ قِيامِ البُرهانِ؟!

[٩٦] ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: مَصدرٌ بِمعنَى: الصُّبحِ؛ أي: شَاقُّ عَمودِ الصُّبحِ- وهو: أوَّل ما يبدُو مِنْ نُورِ النَّهارِ- عَنْ ظُلمةِ الليلِ ﴿[وَجَاعِلُ ٱلَّيْلِ][1] سَكَنًا﴾: تَسكنُ فيه الخَلْقُ مِنَ التَّعبِ ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ -بِالنَّصبِ: عطفًا على محلِّ ﴿ٱلَّيْلِ﴾- ﴿حُسْبَانًا﴾: حِسابًا للأَوقاتِ. أو الباءِ محذوفةٌ؛ وهو: حالٌ مِنْ مُقدَّرٍ؛ أي: يَجريانِ بِحُسبانٍ، كما في آيَةِ «الرَّحمَنِ»[2] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بِخَلْقِه.

[٩٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في الأَسفارِ ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بيَّنَّا ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: الدَّلالاتِ على قُدرتِنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يَتدبَّرُونَ.

[٩٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾: خَلَقَكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي آدمُ ﴿[فَمُسْتَقِرٌّ]﴾[3] مِنكُم في الرَّحِمِ ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مِنكُم في الصُّلبِ. وفي قِراءَةٍ: بِفتحِ القَافِ؛ أي: مكانُ قَرارٍ لكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ مَا يُقَالُ لهم.

[٩٩] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ -فيه التفاتٌ عَنِ الغَيبَةِ- ﴿بِهِۦ﴾: بالماءِ ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يَنبُتُ ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النَّباتِ، شَيئًا ﴿خَضِرًا﴾ بِمعنَى: أخضَرَ ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾: مِنَ الخَضِرِ ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: يَركبُ بَعضُه بعضًا، كَسنابلِ الحِنطةِ ونَحوِها ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾: خَبرٌ، ويُبدلُ منه: ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ أوَّلِ ما يَخرجُ منها، والمُبتدأُ: ﴿قِنْوَانٌ﴾: عَراجِينُ ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبٌ بَعضُها مِن بَعضٍ ﴿وَ﴾ أخرجنَا به ﴿جَنَّٰتٍ﴾: بَساتينَ ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾ وَرَقُهما؛ حالٌ ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ ثَمرُهما ﴿ٱنظُرُوٓا۟﴾ -يا مُخاطَبِينَ- نَظرَ اعتبارٍ ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ -بفتح الثَّاءِ والميمِ، وبِضمِّهما[4]، وهو: جَمعُ «ثَمَرَةٍ» كَـ«شَجَرَةٍ» و«شَجَرٍ»، و«خَشَبَةٍ» و«خُشُبٍ»- ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾: أوَّلَ ما يبدُو كيف هو؟ ﴿وَ﴾ إلى ﴿يَنْعِهِۦٓ﴾: نُضجِه إِذا أدركَ كيف يعودُ؟ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرته -تَعالَى- على البَعْثِ وغَيرِه ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكرِ؛ لِأنَّهم المُنتفِعونَ بها في الإِيمانِ، بِخلافِ الكافرينَ.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ﴾: مَفعولٌ ثانٍ ﴿شُرَكَآءَ﴾: مَفعولٌ أوَّلُ، ويُبدلُ منه: ﴿ٱلْجِنَّ﴾ حيثُ أطاعُوهم في عِبادةِ الأوثانِ ﴿وَ﴾ قدْ ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيفَ يكونونَ شُركاءَ[5]؟ ﴿وَخَرَقُوا۟﴾ -بِالتَّخفيفِ، والتَّشديدِ[6]- أي: اختلَقُوا ﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حَيثُ قالوا: عُزَيْرٌ ابنُ الله والملائكةُ بَناتُ الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تَنزيهًا له! ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بِأنَّ له وَلدًا.

[١٠١] هو ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مُبدِعُهما مِن غَيرِ مِثالٍ سَبَقَ ﴿أَنَّىٰ﴾: كيفَ ﴿يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾: زَوجةٌ؟ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مِن شَأنِه أنْ يُخلَقَ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾؟

---

(١) وهي قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامر، وقَرأ البَقِيَّةُ: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾؛ بِفَتحِ العَينِ واللامِ في ﴿جَعَلَ﴾ بِغَيرِ ألِفٍ بينهما، وبِنَصْبِ ﴿ٱلَّيْلَ﴾.

(٢) وهو قولُه تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥].

(٣) بِكسرِ القَافِ، وهي قراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو، وقَرأ البَقِيَّةُ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾؛ بِفتحِ القافِ. ولا خِلافَ بينهم في فَتحِ دَالِ: ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾.

(٤) بِالضَّمِّ؛ ﴿ثُمُرِهِۦٓ﴾ لِحَمْزَةَ والكِسائِيِّ، وقَرأ البَقِيَّةُ بِالفتحِ؛ ﴿ثَمَرِهِۦ﴾. وهي في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وضمِّهما)، بِدونِ البَاءِ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (شركاءه).

(٦) بِتَشديدِ الرَّاءِ؛ ﴿وَخَرَّقُوا۟﴾: قِراءَةُ نافعٍ. وقَرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِتَخفيفِها.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ
يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم
بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا
وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ
مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ
بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾: وَحِّدُوهُ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: حفيظٌ.

[١٠٣] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[*] أي: لا تَراهُ- وهذا مخصوصٌ؛ لِرؤيةِ المُؤمنينَ له في الآخرةِ؛ لِقوله تَعالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١)، وحَديثِ الشيخَينِ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»(٢). وقِيلَ: المُرادُ: لا تُحيطُ به- ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: يَراها، ولا تَراهُ، ولا يَجوزُ في غيرِه أن يُدرِكَ البَصَرَ وهو لا يُدركُه، أو يُحيطَ به عِلمًا، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بِأَولِيائِه(٣) ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بهم(٤).

[١٠٤] قل - يا مُحمَّد- لهم: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾: حُجَجٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها فآمنَ ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أبصر؛ لِأَنَّ ثوابَ إبصارِه له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها؛ فَضَلَّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وَبالُ إِضلالِه ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: رقيبٍ لأعمالِكم، إنَّما أنا نَذيرٌ.

[١٠٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما بيَّنَّا ما ذُكِرَ ﴿نُصَرِّفُ﴾: نبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ لِيعتَبِرُوا ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ أي: الكُفَّارُ في عاقبةِ الأمرِ: ﴿[دَارَسْتَ]﴾(٥): ذاكرتَ أهلَ الكِتابِ- وفي قِراءةٍ: ﴿دَرَسْتَ﴾ أي: كتُبَ الماضينَ؛ وجِئتَ بهذا منها- ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٦] ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيبًا؛ فتُجازِيَهم بِأعمالِهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتُجبِرَهم على الإيمانِ -وهذا(٦) قبلَ الأمرِ بالقِتالِ-.

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ـهُمْ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنامَ ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾: اعتداءً وظُلمًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلًا منهم بالله ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما زيَّنَّا لِهؤلاءِ ما هُم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ مِنَ الخيرِ والشَّرِّ؛ فأتَوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرةِ ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيهم به.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: غايةَ اجتهادِهم فيها ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ مِمَّا اقترَحوا ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يُنزلُها كما يَشاءُ، وإنَّما أنا نذيرٌ ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: يُدريكم بإيمانِهم إذا جاءَتْ؟ أي: أنتم لا تَدرُونَ ذلك. ﴿[إِنَّهَآ]﴾(٧) إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لِما سبَقَ في عِلمِي- وفي قِراءةٍ: بالتَّاءِ(٨) خِطابًا لِلكُفَّارِ، وفي أُخرى: بِفتحِ «أَنَّ»؛ بمعنَى: «لَعَلَّ»، أو معمولةٌ لِما قبلَها-.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾: نُحوِّلُ قُلوبَهم عنِ الحقِّ؛ فلا يَفهمُونَه ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ عنه؛ فلا يُبصِرُونَه؛ فلا يُؤمِنونَ ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: بما أُنزلَ مِنَ الآياتِ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾: نَترُكُهم ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾: ضَلالِهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَتردَّدُونَ مُتحيِّرِينَ.

---

[*] فائدةٌ: أخرجَ البُخاريُّ عَن مسروقٍ قالَ: قلتُ لِعائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يا أُمَّتاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ ربَّه؟ فَقالَتْ: «لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ، مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾...، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ». البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة النجم (٥٣) باب (١)، وأخرجَه مسلمٌ - كتاب الإيمان (١) باب (٧٨) إثبات رؤيةِ المؤمنينَ ربَّهم في الآخرةِ.

---

(١) القِيامةُ: (٢٢، ٢٣).

(٢) أخرجَ نحوَه البُخاريُّ (٧٤٤٠)، ومسلمٌ (١٨٣).

(٣) حصرَ المفسِّرُ اللطفَ هنا بأوليائِه؛ باعتبارِ تفسيرِه معنَى ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ هنا بأنَّه الرءوفُ المُحسنُ، وهو وإن كان مناسبًا في نفسِه، إلَّا أنَّه غيرُ مُناسبٍ للنَّظمِ الكريمِ؛ فالأَولَى حسبَ سياقِ الآياتِ أنْ يكونَ ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ مِنْ لَطُفَ، بمعنَى احتجَبَ؛ أي: الخفيُّ المحتجبُ؛ فلا يحيطُ به بصرٌ ولا بصيرةٌ؛ فهو راجعٌ إلى قولِه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. ينظر: حاشية الصاوي (١/ ٢١١)، والمفصل في تفسير القرآن الكريم لفخر الدين قباوة (ص ٥٠٣).

(٤) الأَولَى أنْ يُقالَ: خَبيرٌ بأوليائِه وبسائرِ المخلوقاتِ؛ فيدركُ ما لا تدركُه الأبصارُ، مِنْ بَطائنِ الأمورِ ودَقائقِها؛ فـ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ راجعٌ إلى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ راجعٌ إلى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾؛ فهذا لَفٌّ ونَشرٌ مُرتَّبٌ. يُنظر المراجعُ السابقةُ.

(٥) لابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقرأ ابنُ عامرٍ بِفَتحِ السِّينِ أيضًا: ﴿دَرَسَتْ﴾ بمعنَى: انْمَحَتْ، وقرأ الباقونَ بِسكونِ السِّينِ وفَتحِ التَّاءِ؛ ﴿دَرَسْتَ﴾.

(٦) أي: الأمرُ بالإعراضِ عن المشركينَ، وليسَ الإجبارُ على الإيمانِ.

(٧) بالكسرِ؛ ﴿إِنَّهَا﴾: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وشُعبةَ بخلافٍ عنه. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبعةِ بالفتحِ؛ ﴿أَنَّهَآ﴾.

(٨) ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ لحمزةَ وابنِ عامرٍ.

الجزء ٨ الحزب ١٥

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ
عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى
حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟
مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

[١١١] ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾: جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ بِضمَّتينِ: جمع «قَبيلٍ» أي: فَوجًا فَوجًا. وبِكَسرِ القَافِ وفَتحِ البَاءِ[1]؛ أي: مُعاينةً؛ فشهِدُوا بِصِدقِكَ ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ لِما سَبَقَ في عِلمِ الله ﴿إِلَّآ﴾: لَكِنْ ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إِيمانَهم؛ فيُؤمِنونَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلكَ.

[١١٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ كَما جعلنَا هؤلاءِ أعداءَكَ، ويُبدلُ منه: ﴿شَيَٰطِينَ﴾: مَرَدَةَ ﴿ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى﴾: يُوَسْوِسُ ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: مُمَوَّهَهُ مِنَ الباطلِ ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليَغُرُّوهم ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: الإِيحاءَ المذكورَ ﴿فَذَرْهُمْ﴾: دَعِ الكُفَّارَ ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ مِنَ الكُفرِ وغيرِه، مِمَّا زُيِّنَ لهم -وهذا قبلَ الأمرِ بِالقِتالِ-.

[١١٣] ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾: عطفٌ على: ﴿غُرُورًا﴾ أي: تَميلَ ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزُّخرفِ ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾: قُلوبُ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾: يَكتَسِبُوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ مِنَ الذُّنوبِ؛ فيُعَاقَبُوا عليه.

[١١٤] ونَزَلَ -لَمَّا طَلَبُوا مِنَ النَّبيِّ ﷺ أنْ يجعلَ بينَه وبينَهم حَكَمًا[2]-: قُلْ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى﴾: أطلبُ ﴿حَكَمًا﴾: قَاضيًا بيني وبينكم، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿مُفَصَّلًا﴾: مُبيَّنًا فيه الحقُّ مِنَ الباطلِ؟ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ؛ كَعبدِ الله بنِ سَلَامٍ وأصحابِه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ [مُنزَلٌ]﴾ - بِالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[3]- ﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فيه. والمُرادُ بذلكَ: التقريرُ لِلكفَّارِ أنَّه حَقٌّ.

[١١٥] ﴿وَتَمَّتْ [كَلِمَٰتُ][4] رَبِّكَ﴾ بِالأَحكَامِ والمَواعِيدِ ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾: تمييزٌ ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بِنقصٍ أو خُلفٍ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما يُقَالُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِما يُفعَلُ[*].

[١١٦] ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الكُفَّارَ ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه ﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في مُجادَلَتِهم لكَ في أمرِ المَيتةِ؛ إِذْ قالُوا: ما قَتَلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه مِمَّا قَتلتُم ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يَكذِبونَ في ذلكَ.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عَالِمٌ ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فيُجَازِي كُلًّا منهم.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: ذُبِحَ على اسمِه ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

---

[*] فائدةٌ: أخرجَ النَّسائيُّ عَنْ رَجلٍ مِنْ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: لَمَّا أمرَ النَّبيُّ ﷺ بِحفرِ الخَندقِ، عَرَضَتْ لَهُمْ صَخرةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الحفْرِ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ، وَأَخذَ المِعْوَلَ، وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الخَندَقِ، وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فَنَدَرَ -أي سقط- ثُلُثُ الحجَرِ، وَسَلْمَانُ الفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ، فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ بَرْقَةٌ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ، وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فَنَدَرَ الثُّلُثُ الآخرُ، فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَآهَا سَلْمَانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فَنَدَرَ الثُّلُثُ البَاقِي، وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ، قَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ الله، رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ، مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ، قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا سَلْمَانُ، رَأَيْتَ ذَلِكَ» فَقَالَ: إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ» قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا، وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، «ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا، وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، «ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ القُرَى، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ»، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «دَعُوا الحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ». النَّسائيُّ - كتاب الجهاد (٢٥) باب (٤٢) غزوة التُّركِ والحبشةِ، وحَسَّنَه الألبانيُّ في صَحيحِ سُنَنِ النَّسائيِّ (٢٩٧٦).

---

(١) ﴿قِبَلًا﴾ بِكسرِ القَافِ وفَتحِ البَاءِ: قِراءةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٢) نقلَه ابنُ الجوزيِّ في زاد المسير (٢/ ٦٩) عَنِ الماورديِّ، بدونِ سندٍ، ولَم أقف على تخريجِه.

(٣) قرأ ابنُ عامرٍ وحفصٌ: ﴿مُنَزَّلٌ﴾، بِالتَّشديدِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿مُنزَلٌ﴾ بِالتَّخفيفِ.

(٤) قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا
لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ
﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ
يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ
إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ
﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ
فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ
عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مِنَ الذَّبائحِ ﴿وَقَدْ [فُصِّلَ]﴾ - بِالبنَاءِ لِلمَفعولِ، ولِلفَاعلِ في الفِعلَينِ(١)- ﴿لَكُم مَّا [حُرِّمَ] عَلَيْكُمْ﴾ في آيَةِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾(٢) ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه؛ فهو أيضًا حَلالٌ لَكُم؟ المعنَى: لا مَانِعَ لكم مِنْ أَكْلِ ما ذُكِرَ، وقدْ بُيِّنَ لَكُم المُحرَّمُ أَكْلُه؛ وهذا ليسَ منه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا [لَّيَضِلُّونَ]﴾ - بِفَتحِ اليَاءِ وضَمِّها(٣)- ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾: بِما تَهواهُ أنفسُهم؛ مِنْ تَحليلِ المَيتةِ وغَيرِها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمِدُونَه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المُتجاوِزينَ الحَلالَ إلى الحَرامِ.

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا﴾: اترُكُوا ﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: عَلانيَتَه وسِرَّه- و«الإِثْمَ»؛ قِيلَ: الزِّنَا، وقِيلَ: كُلُّ مَعصيَةٍ- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخِرةِ ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾: يَكتَسبونَ.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بِأَنْ مَاتَ، أو ذُبِحَ على اسمِ غيرِه، وإِلَّا فما ذَبَحه المُسلمُ، ولَم يُسَمِّ فيه عَمدًا أو نِسيانًا؛ فهو حَلالٌ. قالَه ابنُ عَبَّاسٍ، وعليه الشافِعيُّ(٤)، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: الأَكلَ منه(٥) ﴿لَفِسْقٌ﴾: خُروجٌ عمَّا يَحِلُّ ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يُوَسْوِسُونَ ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾: الكُفَّارِ ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ في تَحليلِ المَيتَةِ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[*].

[١٢٢] ونَزَلَ في أبي جَهلٍ وغَيرِه(٦): ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بِالكُفرِ ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بِالهُدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾: يَتبصَّرُ به الحَقَّ مِنْ غَيرِه؛ وهو: الإِيمانُ ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ -«مَثَلُ»: زائدةٌ(٧)- أي: كَمَنْ هو ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو: الكَافِرُ؟ لا ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما زُيِّنَ لِلمؤمنينَ الإِيمانُ ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الكُفْرِ والمَعاصي.

[١٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جعلنْا فُسَّاقَ مَكَّةَ أكابِرَها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بِالصَّدِّ عَنِ الإِيمانِ ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لِأَنَّ وَبالَه عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بِذلكَ.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ أي: أَهلَ مَكَّةَ ﴿ءَايَةٌ﴾ على صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الرِّسالةِ، والوَحيِ إلينا(٨)؛ لِأَنَّا أَكثَرُ مَالًا، وأَكبَرُ سِنًّا. قالَ تعالَى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ [رِسَالَٰتِهِۦ]﴾ - بِالجمعِ والإِفرادِ(٩)- و«حَيْثُ»: مَفعولٌ به لِفعلٍ دَلَّ عليه: ﴿أَعْلَمُ﴾ أي: يَعلمُ المَوضعَ الصَّالحَ لِوضعِها فيه؛ فَيَضَعُها، وهَؤلاءِ لَيسُوا أَهلًا لها ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بِقولِهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾: ذُلٌّ ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي: بِسَببِ مَكرِهم.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ: (١١٨-١٢١): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَن عبدِ الله بنِ عَبَّاسٍ قالَ: أَتَى أُنَاسٌ النَّبِيَّ ﷺ قالوا: يَا رَسُولَ الله، أَنَأْكُلُ مَا نَقْتُلُ وَلَا نَأْكُلُ مَا يَقْتُلُ اللهُ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قولِه: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. الترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧) سورة الأنعام. (صحيح) صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٥٤).

---

(١) بِالبناءِ لِلمفعولِ في الفِعلَينِ؛ ﴿فُصِّلَ﴾ و ﴿حُرِّمَ﴾: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، ووافقَهم في الثاني؛ ﴿حُرِّمَ﴾: حمزةُ والكسائيُّ وشُعبةُ. وبِالبناءِ لِلفاعلِ في الفعلَينِ؛ ﴿فَصَّلَ﴾ و﴿حَرَّمَ﴾: قَرأَ نافعٌ وعاصمٌ.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بِفَتحِ اليَاءِ؛ ﴿لَيَضِلُّونَ﴾: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِضَمِّها؛ ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾.

(٤) وعندَ مالكٍ وأبي حنيفةَ وروَايةٍ عن أحمد: إن تَركَها عَمدًا لا تُؤكَلُ.

(٥) وقيلَ: إنَّ الضميرَ يعودُ على ما ذُكِرَ اسمُ غيرِ الله عليه عِندَ الذَّبحِ، ويؤيِّدُه قولُه تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

(٦) أخرجَ ابنُ المُنذرِ وابنُ أبي حَاتمٍ وَأبو الشَّيخ-كما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ٣٥٢)- عَن زيدِ بن أسلم في قَولِه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾؛ قَالَ: أُنزِلَت فِي عُمرَ بنِ الخطابِ وَأبي جَهل بن هِشَام، كَانَا مَيِّتَينِ فِي ضلالَتِهما، فأَحيا اللهُ عُمرَ بِالإِسلامِ، وأعزَّه، وَأقرَّ أَبَا جهل في ضلالتِه وَمَوتِه. قال ابنُ كثيرٍ في تَفسِيرِه (٣/ ٣٣١): «وَالصَّحِيحُ أَنَّ الآيَةَ عَامَّةٌ، يَدْخُلُ فيها كُلُّ مُؤمنٍ وكَافرٍ».

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (زائدٌ). ونقلَه في زاد المسير (٢/ ٧٣) عَن زيدِ بن أسلم والضَّحَّاكِ.

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ويُوحَى إلينا).

(٩) قرأَ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ بالإِفرادِ؛ ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿رِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ بِالجَمعِ.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن
يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ
رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ
أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ
أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى
بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

ربع الحزب ١٥

[١٢٥] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بِأَنْ يَقذِفَ في قَلبِه نُورًا؛ فينفَسِحَ له ويَقبلَه -كما وردَ في حَديثٍ(١)- ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ اللهُ ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ [ضَيِّقًا]﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(٢)- عَن قبولِه ﴿[حَرِجًا]﴾: شَدِيدَ الضِّيقِ؛ بِكسرِ الرَّاءِ: صِفةٌ، وفَتحِها(٣): مَصدرٌ؛ وُصِفَ به مُبالغةً ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ - وفي قِراءَةٍ: ﴿يَصَّاعَدُ﴾(٤)، وفيهما إدغامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الصَّادِ، وفي أُخرى بِسُكونِها(٥)- ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا كُلِّفَ الإيمانَ لِشدَّتِه عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجَعْلِ ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾: العَذابَ أَوِ الشَّيطانَ؛ أي: يُسلِّطُه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي أنت عليه - يا مُحمَّد- ﴿صِرَٰطُ﴾: طريقُ ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾: لا عِوَجَ فيه. ونَصبُه على الحَالِ المُؤكِّدِ(٦) لِلجُملةِ، والعَامِلُ فيها مَعنَى الإشارةِ ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ - فيه إدغامُ التاءِ في الأَصلِ في الذَّالِ- أي: يتَّعِظونَ. وَخُصُّوا بالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهم المُنتفِعُونَ.

[١٢٧] ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: السَّلامَةِ؛ وهيَ: الجَنَّةُ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[١٢٨] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ - بِالنُّونِ واليَاءِ(٧)؛ أي: اللهُ- الخلقَ ﴿جَمِيعًا﴾ ويُقالُ لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ بإغوائِكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾ الذينَ أطاعُوهم ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: انتفعَ الإِنسُ بِتزيِينِ الجِنِّ لهمُ الشَّهَواتِ، والجِنُّ بطاعةِ الإِنسِ لهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وهو يومُ القِيامَةِ. وهذا تَحَسُّرٌ منهم ﴿قَالَ﴾ - تَعالَى- لهم على لسانِ الملائِكةِ(٨): ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: مأواكُم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ الأوقاتِ التي يُخرَجُونَ فيها لِشُربِ الحَميمِ(٩)؛ فإِنَّه خَارِجُها؛ كما قال تَعالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾(١٠). وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّه فيمنْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهم يُؤمنونَ(١١). فـ«مَا» بِمَعنَى: «مَن» ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِه.

[١٢٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما متَّعنا عُصاةَ الإِنسِ والجِنِّ بَعضَهم بِبعضٍ ﴿نُوَلِّى﴾ مِن الوِلايةِ ﴿بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ أي: على بَعضٍ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ مِنَ المَعاصِي.

[١٣٠] ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: مِن مَجموعِكم؛ أي: بَعضِكم(١٢) الصَّادقِ بِالإِنسِ، أو رُسُلِ الجِنِّ: نُذُرُهُمُ الذينَ يَستمِعونَ(١٣) كلامَ الرُّسلِ، فيُبلِّغونَ قَومَهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ أَنْ قَدْ بَلَغَنا. قالَ تَعالَى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلَم يُؤمِنُوا ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) يُشيرُ إلى ما جاءَ في حديثٍ: لَمَّا نزلتْ هذه الآيةُ سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن شَرحِ الصَّدرِ، فقالَ: «هُوَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ؛ فَيَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنْفَتِحُ لَهُ...» الحديث. أخرجَه الطَّبَرِيُّ في جامع البيان (٥/ ٢٧)، والبيهقيُّ في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وإسنادُه ضعيفٌ جدًّا؛ فيه عبدُ الله بن المسورِ وهو متروكٌ كما قالَ الدارقطنيُّ. وأخرجَه عبد الرَّزَّاق في تفسيرِه (٨٥٢) مُرسلًا عن أبي جعفر مرفوعًا به، وأخرجه بنحوِه ابنُ جرير (١٥٨٥٥) عن ابنِ مسعودٍ مرفوعًا به، وضعَّفه الألبانيُّ في الضعيفة (٢/ ٣٨٣-٣٨٦).

(٢) بالتخفيفِ؛ ﴿ضَيْقًا﴾: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتَّشديدِ؛ ﴿ضَيِّقًا﴾.

(٣) بِكَسرِ الرَّاءِ؛ ﴿حَرِجًا﴾: قِرَاءَةُ نافعٍ وشُعبةَ، وقَرأَ البَقِيَّةُ بفتحِ الرَّاءِ؛ ﴿حَرَجًا﴾.

(٤) ﴿يَصَّاعَدُ﴾؛ بِتشديدِ الصَّادِ وفتحِ العَينِ بينهما أَلِفٌ: لِشُعبةَ.

(٥) بِتخفيفِ الصَّادِ، وسكونِ النُّونِ، مِن غَيرِ أَلِفٍ بينهما؛ ﴿يَصْعَدُ﴾ لابنِ كثيرٍ.

(٦) في نُسخَةِ قَباوَة: (المؤكِّدة).

(٧) ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ بِالنُّونِ: قِراءةُ السَّبعةِ عدا حفصٍ. وقَرأَ حفصٌ بالياءِ؛ ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.

(٨) ظاهرُ الآيةِ أنَّ هذا الكلام من الله تعالى إليهم، وفيها إثباتُ صِفةِ الكلامِ لله عَزَّوَجَلَّ كما هو مذهبُ السَّلفِ. وقولُ المصنِّفِ: على لسانِ الملائِكةِ، صرفُ اللفظِ عن ظاهرِه بغيرِ دليلٍ، وربَّما هذا فِرارٌ من إثباتِ صِفةِ الكلام لله عَزَّوَجَلَّ. واللهُ أعلمُ.

(٩) في معنَى هذا الاستثناءِ أقوالٌ عِدَّةٌ للمُفسِّرينَ، فذهبَ بعضُهم إلى أنَّها شاملةٌ لِعُصاةِ المُوحِّدينَ ولِلكفَّارِ، والمستثنَى العصاةُ؛ لأنَّهم لا يخلدونَ، ورُدَّ بِأنَّ السياقَ في بيانِ حالِ الكُفَّارِ، وبِأنَّ استعمالَ ﴿مَا﴾ لِلعقلاءِ قليلٌ. وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المُرادَ المُدَّةُ التي كانوا فيها في الدُّنيا والبَرزخِ ويوم القيامةِ قبلَ دخولِهم النَّارَ. وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المُرادَ النَّقلُ مِنَ النَّارِ إلى الزمهريرِ. وقِيلَ: المُرادُ المبالغةُ في الخُلودِ؛ بمعنَى: أنه لا ينتفي إلَّا وقتَ مشيئةِ الله، وهو مِمَّا لا يكونُ. وقِيلَ: المُرادُ بيانُ أنَّ أمرَهم مَوْكُولٌ إلى الله، وأنَّ ذلك ليسَ بِأمرٍ واجبٍ عليه. وقِيلَ: المُرادُ إلَّا ما شاء مِن زِيادةِ عَذابِهم. وقِيلَ: استثنَى قَومًا سَبَقَ عِلمُه أنَّهم يُسلمونَ. وقيلَ غير ذلك، فاللهُ أعلمُ.

(١٠) الصَّافات: ٦٨.

(١١) لم أقف عليه بهذا اللفظِ، وأخرجَ ابنُ جَريرٍ (١٣٨٩٢) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨]؛ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ آيَةٌ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى اللهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ لَا يُنْزِلَهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا». وقال الألبانيُّ في تعليقِه على رفع الأستار للصنعاني (ص٧١): «هذا أثرٌ مُنقطعٌ لأنَّ عليَّ بنَ أبي طلحةَ لم يسمعْ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ -وإن كان معناه صَحيحًا على ما سَيُبيِّنه المؤلف رَحِمَهُ الله تعالى- ثُمَّ إنَّ في الطريقِ إليه عبدُ الله بنُ صالح، وفيه ضعفٌ ...».

(١٢) عبارة: (أي: بعضكم) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَباوَة. (١٣) في نسخة حاشية الجمل: (يَسمعونَ).

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا
يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾
إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾
وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا
فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ
لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ
شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إرسالُ الرُّسلِ ﴿أَن﴾ - اللَّام مُقدَّرةٌ، وهي مُخفَّفةٌ- أي: لِأنَّه ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: لَم يُرْسَلْ إليهم رَسولٌ يُبيِّنُ لهم.

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنَ العامِلينَ ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: جزاءٌ ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ -بِالياءِ والتَّاءِ(١)-.

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عَنْ خلقِهِ وعِبادَتِهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ - يا أهلَ مَكَّةَ- بِالإهلاكِ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ مِنَ الخَلْقِ ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أذهبَهم؛ ولكنَّه أبقاكُم رَحمةً لكم.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ السَّاعةِ والعَذابِ ﴿لَءَاتٍ﴾ لا مَحالةَ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فَائتينَ عَذابَنا.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حَالَتِكم ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ على حالَتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾: مَوصُولةٌ؛ مَفعولُ العِلْمِ ﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقبةُ المحمودةُ في الدَّارِ الآخِرةِ، أنحنُ أم أنتم؟ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾: يَسعدُ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرونَ.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خَلَقَ ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾: الزَّرعِ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ يَصرفونَه إلى الضِّيفانِ والمَساكِينِ، ولِشُرَكائِهم نَصيبًا يَصرفونَه إلى سَدَنَتِها ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ - بِالفتحِ والضَّمِّ(٢)- ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ فكَانوا إذا سَقَطَ في نصيبِ اللهِ شيءٌ مِنْ نَصيبِها التقطُوه، أو في نصيبِها شيءٌ مِن نَصيبِه تَركُوه؛ وقالُوا: إنَّ اللهَ غَنيٌّ عَنْ هذا، كما قال تَعالَى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لِجهَتِه(٣) ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾(٤) ﴿سَآءَ﴾ بِئسَ ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾(٥) حُكمُهم هذا!

[١٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كَما زُيِّنَ لهم ما ذُكِرَ ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بِالوَأْدِ ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ مِن الجِنِّ- بِالرَّفعِ: فاعلُ ﴿زَيَّنَ﴾. وفي قِراءَةٍ: بِبنائِه لِلمفعولِ ورَفعِ «قَتْلُ»، ونَصْبِ «الأَولادِ» به، وجَرِّ ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ بِإِضافتِه(٦). وفيه الفَصلُ بينَ المُضافِ والمضافِ إليه بِالمفعولِ(٧)، ولا يَضرُّ(٨)، وإضافةُ القَتلِ إلى الشُّركاءِ لِأمرِهم به- ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: يُهلِكُوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟﴾: يَخلِطُوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

---

(١) بالتَّاءِ: قِراءةُ ابنِ عامرٍ. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالياءِ التحتيَّةِ.

(٢) ﴿بِزُعْمِهِمْ﴾ بِضَمِّ الزَّاي لِلكسائيِّ.

(٣) أي: إلى المصارفِ التي شرعَ اللهُ الصَّرفَ فيها؛ كالصَّدقةِ وصِلةِ الرَّحمِ وقِرى الضيفِ.

(٤) أي: يجعلونَه لِآلهتِهم ويُنفقونَها في مصالحِها.

(٥) في نُسْخَةِ قَباوَة: (﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ ـه) بزيادةِ الهاءِ.

(٦) وحاصلُ هذه القِراءةِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَٰدَهُمْ شُرَكَآئِهِمْ﴾، وهي لابنِ عامرٍ.

(٧) المُضافُ: ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾، والمُضافُ إليه: ﴿قَتْلُ﴾، والمفعولُ الفاصلُ بينَهم: ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾.

(٨) يردُّ على من أنكر ذلك؛ يعني أنَّ الفصلَ جائزٌ، وليسَ مِنْ ضروراتِ الشِّعرِ، كما قالَ بعضُ النُّحاةِ. قال ابنُ حيَّان في البحرِ المحيطِ في التفسيرِ(٤/ ٦٥٧): «فَجُمْهُورُ الْبَصْرِيِّينَ يَمْنَعُونَهَا؛ مُتَقَدِّمُوهُمْ وَمُتَأَخِّرُوهُمْ، وَلَا يُجِيزُونَ ذَلِكَ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشِّعْرِ، وَبَعْضُ النَّحْوِيِّينَ أَجَازَهَا، وَهُوَ الصَّحِيحُ لِوُجُودِهَا فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ، الْمَنْسُوبَةِ إِلَى الْعَرَبِيِّ الصَّرِيحِ الْمَحْضِ ابْنِ عَامِرٍ، الْآخِذِ الْقُرْآنَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ اللَّحْنُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَلِوُجُودِهَا أَيْضًا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي عِدَّةِ أَبْيَاتٍ...».

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ
بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ
ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ١٣٨ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ
لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ
فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ
عَلِيمٞ ١٣٩ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ
عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ
وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ
مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا
أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ
كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ
حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢

الحزب ١٥

[١٣٨] ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾: حَرامٌ ﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ مِنْ خَدَمَةِ الأَوثانِ وغَيرِهم ﴿بِزَعۡمِهِمۡ﴾ أي: لا حُجَّةَ لهم فيه ﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ فلا تُركَبُ؛ كَالسَّوائبِ والحَوامِي ﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ عِندَ ذَبْحِها، بَلْ يَذكرونَ اسمَ أَصنامِهم. ونَسبُوا ذلك إلى الله ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ عليه.

[١٣٩] ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ المُحرَّمةِ- وهي: السَّوائِبُ والبَحائِرُ - ﴿خَالِصَةٞ﴾: حَلالٌ ﴿لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ﴾ أي: النِّساءِ ﴿وَإِن [تَكُن مَّيۡتَةٗ]﴾ - بالرَّفعِ والنَّصبِ، مَعَ تأنيثِ الفِعْلِ وتذكِيرِه[١]- ﴿فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ﴾ اللهُ ﴿وَصۡفَهُمۡۚ﴾ ذلكَ بِالتحليلِ والتحريمِ؛ أي: جَزاءَه ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِه ﴿عَلِيمٞ﴾ بخَلْقِه.

[١٤٠] ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[٢]- ﴿أَوۡلَٰدَهُمۡ﴾ بالوأْدِ ﴿سَفَهَۢا﴾: جَهلًا ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ مِمَّا ذُكِرَ ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[*].

[١٤١] ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾: خلَقَ ﴿جَنَّٰتٖ﴾: بَساتِينَ ﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾: مَبسوطاتٍ على الأَرضِ؛ كَالبِطِّيخِ ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ بِأَنِ ارتفعتْ على ساقٍ؛ كَالنَّخلِ ﴿وَ﴾ أنشأَ ﴿ٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾: ثَمَرُهُ وَحَبُّهُ في الهَيئةِ والطَّعمِ ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا﴾ وَرَقُها: حَالٌ ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ طَعمُها ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ قبلَ النُّضجِ[٣] ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾: زَكَاتَهُ ﴿يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ - بِالفَتحِ والكَسرِ[٤]- مِنَ العُشْرِ[٥] أَوْ نِصْفِهِ[٦] ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ بِإِعطاءِ كُلِّه[٧]؛ فلا يَبقَى لِعِيالِكُمْ شيءٌ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: المُتجاوِزِينَ ما حُدَّ لهم.

[١٤٢] ﴿وَ﴾ أنشأَ ﴿مِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ﴾: صَالحةً لِلحملِ عليها؛ كَالإبلِ الكِبارِ ﴿وَفَرۡشٗاۚ﴾: لا تَصلحُ له؛ كَالإبلِ الصِّغارِ والغَنَمِ؛ سُمِّيَتْ فَرشًا؛ لِأَنَّها كالفَرشِ لِلأَرضِ؛ لِدُنوِّها منها ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾: طرائِقَه مِنَ التحريمِ والتَّحليلِ ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾: بَيِّنُ العَداوةِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: «إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعلَمَ جَهْلَ العَرَبِ، فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ -إلى قولِه-: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾». البُخاريُّ - كتاب المناقب (٦١) باب (١٢) قصة زمزم وجهل العرب.

---

(١) وهي قِراءَةُ ابنِ عامرٍ، وقرأَ نافعٌ وأبو عمرٍو وحَفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ بتذكيرِ ﴿يَكُن﴾ ونَصْبِ ﴿مَّيۡتَةٗ﴾، وقَرأَ ابنُ كثيرٍ بِتذكيرِ ﴿يَكُن﴾ ورَفعِ ﴿مَّيۡتَةٌ﴾، وقَرأَ شُعبةُ بِالتأنيثِ والنَّصبِ: ﴿تَكُن مَّيۡتَةٗ﴾.

(٢) بِالتَّشديدِ: ﴿قَتَّلُوٓاْ﴾ لابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ.

(٣) أي: استوائِه ووجوبِ الزَّكاةِ فيه، فلا تتوقَّفُ إباحةُ الأَكلِ على الموصولِ إلى حدِّ وُجوبِ الزَّكاةِ فيه، وهو النُّضجُ أو التهيؤُ له، ولا يُحسبُ عليه شيءٌ لِلفقراءِ، أمَّا بعدَ النُّضجِ فكلُّ ما أكلَه حُسِبتْ عليه زَكاتُه. حاشية الصاوي (١/ ٢٣١).

(٤) بِكسرِ الحَاءِ؛ أي: ﴿حِصَادِهِۦۖ﴾، وهي قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ ونافعٍ وابنِ كثيرٍ.

(٥) أي: فيما سُقِيَ بِغيرِ كُلفةٍ؛ كَمطرٍ ونحوِه مِن غيرِ آلةٍ.

(٦) أي: فيما احتاجَ في سَقيِه إلى كُلفةٍ وآلةٍ.

(٧) قولُه: «بإعطاءِ كلِّه فلا يبقى لِعيالِكم شيءٌ»: تفسيرُه الإسرافَ بهذا هو قولُ محمدُ بن مروانَ المعروفُ بِالسُّدِّيِّ الصغيرِ، وهو قولٌ غيرُ قويٍّ. واختارَ ابنُ جرير الطبريُّ قولَ عطاءِ بنِ أبي رباحٍ أنَّه نهى عن الإسرافِ في كلِّ شيءٍ، وظاهرُ سِياقِ الآيةِ النَّهيُ عَنِ الإسرافِ في الأَكلِ؛ لِمَا فيه مِنْ مَضرَّةِ العقلِ والبَدنِ؛ كقولِه تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١].

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ
قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ
بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

[١٤٣] ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: أصنافٍ؛ بَدلٌ مِنْ: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾ زَوجَينِ ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذَكرٌ وأُنثى ﴿وَمِنَ [ٱلْمَعَزِ]﴾ - بِالفَتحِ والسُّكونِ(١)- ﴿ٱثْنَيْنِ قُلْ﴾ - يا مُحمَّد- لمنْ حرَّمَ ذُكورَ الأَنعامِ تَارةً وإِناثَها أُخرى، ونَسبَ ذلك إِلى اللهِ: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ مِنَ الضَّأنِ والمعَزِ ﴿حَرَّمَ﴾ اللهُ عليكم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ذَكرًا كانَ أو أُنثى؟ ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ عَن كَيفيةِ تَحريمِ ذلكَ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه. المعنَى: مِنْ أينَ جاءَ التحريمُ؟ فإِنْ كانَ مِنْ قِبَلِ الذُّكورةِ فجميعُ الذُّكورِ حرامٌ، أوِ الأُنوثةِ فجَميعُ الإِناثِ، أوِ اشتِمالِ الرَّحِمِ فالزوجَانِ. فمِنْ أينَ التَّخصيصِ؟ والاستفهامُ للإِنكارِ.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ﴾: بَلْ [أَ](٢) ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حُضُورًا ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ التَّحريمِ؛ فاعتَمدتُم ذلك؟! لا، بلْ أَنتم كَاذِبونَ فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِذلكَ ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[١٤٥] ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شيئًا ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ - بالياءِ والتَّاءِ(٣)- ﴿مَيْتَةً﴾ - بِالنَّصبِ. وفي قِراءَةٍ: بالرَّفعِ مَع التحتانيَّةِ(٤)- ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾: سَائلًا بِخِلافِ غَيرِه؛ كَالكَبِدِ والطُّحالِ ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾: حَرامٌ ﴿أَوْ﴾ إِلَّا أن يكونَ ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: ذُبحَ على اسمِ غَيرِه ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إِلى شيءٍ مِمَّا ذُكِرَ فأَكَلَه ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ(٥) فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أَكَلَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ به. ويُلحَقُ بِما ذُكِرَ بالسُّنَّةِ كُلُّ ذِي نابٍ مِنَ السِّباعِ ومِخلَبٍ مِنَ الطَّيرِ(٦).

[١٤٦] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي: اليَهودِ ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ - وهو ما لَم تُفرَقْ أَصابِعُه؛ كَالإِبلِ والنَّعامِ- ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾: الثُّروبَ(٧)، وشَحمَ الكُلَى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي: ما عَلِقَ بها منه ﴿أَوِ﴾ حملَته ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾: الأَمعاءُ، جَمعُ حَاوياءَ، أو حاويةٍ ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه؛ وهو: شَحمُ الأَلْيَةِ؛ فإِنَّه أُحِلَّ لهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّحريمُ ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بِسَببِ ظُلْمِهم -بِما سَبَقَ في سُورةِ «النِّساءِ»(٨)- ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في أَخبارِنا ومَواعيدِنا.

---

(١) بالفتحِ: ﴿ٱلْمَعَزِ﴾: لابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقرأَ بَقيَّةُ السَّبعةِ بِسكونِ العَينِ: ﴿ٱلْمَعْزِ﴾.

(٢) في الأَصلِ: (بل) بإِسقاطِ همزةِ الاستفهامِ، والمُثبتُ مِنْ نُسخةِ قَباوة.

(٣) بِالتَّاءِ: قِراءَةُ حمزةَ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ.

(٤) وهذا سَبْقُ قَلمٍ مِنَ المُصنِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقِراءةُ الرَّفعِ مع الفوقانيةِ؛ ﴿تَكُونَ مَيْتَةٌ﴾، ولَيسَ مع التحتانيَّةِ؛ ﴿يَكُونَ﴾، كما ذَكرَ المُصنِّفُ، وهي لابنِ عامرٍ. وقرأَ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ: ﴿تَكُونَ مَيْتَةً﴾؛ بتأنيثِ ﴿تَكُونَ﴾، ونَصبِ ﴿مَيْتَةً﴾. وقرَأَ بَقيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يَكُونَ مَيْتَةً﴾؛ بِتذكيرِ ﴿يَكُونَ﴾ ونَصبِ ﴿مَيْتَةً﴾.

(٥) رَاجعْ تفسيرَ ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ في سُورةِ البقرةِ آية (١٧٣).

(٦) أَخرَجَ مُسلِمٌ في صَحيحِه (١٩٣٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ».

(٧) جمع «ثرب»: شحمٌ رقيقٌ يَغشى الكَرِشَ والأَمعاءَ، والمُرادُ هنا الذي على الكَرِشِ فَقط.

(٨) أي: قولُه تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآية [النساء:١٥٥]، إِلى قولِه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠].

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ
تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟
بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم
مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ
إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

الحزب ١٥

[١٤٧] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئتَ به ﴿فَقُل﴾ لهم: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيثُ لَم يُعاجلْكُم بالعُقوبةِ- وفيه تلطُّفٌ بِدعائِهم إلى الإيمانِ- ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾: عَذابُه إذا جاءَ ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ نحنُ ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ فإشراكُنا وتحريمُنا بمشيئتِه، فهو رَاضٍ به. قالَ تعالَى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كَما كذَّبَ هؤلاءِ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلَهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾: عذابَنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ بأنَّ الله رَاضٍ بذلك ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾؟ أي: لا عِلمَ عندكم ﴿إِن﴾: مَا ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلكَ ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تكذِبونَ فيه.

[١٤٩] ﴿قُلْ﴾: إنْ لم يَكنْ لكُم حُجَّةٌ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾: التَّامَّةُ ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ هِدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾: أحضِرُوا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الذي حَرَّمتُموه ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يُشرِكُونَ.

[١٥١] ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾: أقرأْ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَ﴾ نْ- مُفسِّرةٌ- ﴿لَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَ﴾ أحسِنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم﴾ بالوأْدِ ﴿مِّنْ﴾ أجلِ ﴿إِمْلَٰقٍ﴾: فقرٍ تخافونه[1] ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: الكَبائرَ؛ كَالزِّنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: عَلانيتَها وسِرَّها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ كَالْقَوَدِ[2]، وحَدِّ الرِّدَّةِ، ورَجمِ المُحصَنِ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكورُ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[*]: تَتدبَّرونَ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ الحاكمُ في مُستدرَكِه (٢/ ٣٤٨) عَن عِبادةِ بنِ الصَّامتِ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ»؟ -ثُمَّ تلا رَسولُ الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حَتَّى خَتمَ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ- «فَمَنْ وَفَّى فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنِ انْتَقَصَ شَيْئًا أَدْرَكَهُ الله بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عُقُوبَتَهُ، وَمَنْ أَخَّرَ إِلَى الْآخِرَةِ، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»، وقالَ الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذَّهبيُّ. وأخرجَه أيضًا محمدُ بنُ نصر في تعظيمِ قَدرِ الصلاة (٢/ ٦١٥).

---

(١) قالَ ابنُ كثيرٍ في تَفسيرِه (٣/ ٣٦٢): «وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، والسُّدِّيُّ: هُوَ الْفَقْرُ، أي: وَلَا تَقْتُلُوهُمْ مِنْ فَقْرِكُمُ الحَاصِلِ، وَقَالَ فِي سُورَةِ «سُبْحَانَ»: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء:٣١]، أي: خَشْيَةَ حُصُولِ فَقْرٍ، فِي الْآجِلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ هُنَاكَ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فَبَدَأَ بِرِزْقِهِمْ لِلاهْتِمَامِ بِهِمْ، أي: لَا تَخَافُوا مِنْ فَقْرِكُمْ بِسَبَبِهِمْ، فَرِزْقُهُمْ عَلَى الله. وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَلَمَّا كَانَ الْفَقْرُ حَاصِلًا قَالَ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لِأَنَّهُ الْأَهَمُّ هَاهُنَا، والله أَعْلَمُ».

(٢) القَوَدُ: قَتلُ القَاتِلِ بِالقتيلِ؛ تقولُ: أَقدْتُه واستَقَدْتُ الحاكِم. تهذيبُ اللغة للأزهريِّ (٩/ ١٩٤). وهو مَأخوذٌ مِن قَوْدِ القاتِلِ بِحَبْلٍ أو غَيرِه إلى القَتْلِ، يُقالُ: قُدْتُ القاتِلَ إلى مَوْضِعِ القَتْلِ قَوْدًا، أي: حَمَلْتُهُ إليه، ومنه سُمِّيَ قَوَدًا؛ لأنَّه يُقادُ إليه. ينظر: الموسوعةُ الفقهية الكويتية (٤٥/ ٢١)، والتعريفاتُ الفقهيةُ (ص١٧٤)، وأنيسُ الفقهاء (ص١٠٨).

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أي: بالخصلةِ التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صَلاحُه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بِأنْ يحتلِمَ[*] ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ وتَرْكِ البَخْسِ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طَاقتَها في ذلك. فإنْ أخطأَ في الكيلِ والوَزنِ - واللهُ يَعلمُ صِحَّةَ نِيَّتِه-؛ فلا مُؤاخَذةَ عليه؛ كما وَردَ في حَديثٍ(١)، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حُكمٍ أو غَيرِه ﴿فَاعْدِلُوا﴾ بِالصِّدْقِ ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المَقولُ له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: قَرابةٍ ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ [تَذَّكَّرُونَ]﴾ - بِالتَّشديدِ-: تَتَّعِظونَ، والسُّكونِ(٢).

[١٥٣] ﴿وَأَنَّ﴾ - بِالفَتحِ؛ على تَقديرِ اللَّامِ، والكَسرِ: استئنافًا(٣)- ﴿هَٰذَا﴾ الذي وصيتُكم به ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾: حالٌ ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: الطُّرُقَ المخالفةَ له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ - فيه حذفُ إِحدى التَّاءَينِ-: تَميلَ ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾: دِينِه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[**].

[١٥٤] ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التَّوراةَ- و﴿ثُمَّ﴾ لِترتيبِ الإِخبارِ- ﴿تَمَامًا﴾ لِلنِّعمَةِ ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بِالقيامِ به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: بيانًا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحتاجُ إليه في الدِّينِ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي: بَني إِسرائيلَ ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بِالبَعْثِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٥] ﴿وَهَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ - يا أَهلَ مَكَّةَ- بِالعملِ بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكُفرَ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[١٥٦] أنزلناه لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ﴾: اليَهُودِ والنَّصارَى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾: مخفَّفةٌ، واسمُها محذوفٌ؛ أي: إِنَّا ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: قِراءتِهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ لِعَدَمِ مَعرفتِنا لها؛ إِذْ لَيْسَتْ بِلُغَتِنا.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لِجَودةِ أذهانِنا ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾: بيانٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمنِ اتَّبعه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾: أعرضَ ﴿عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أشدَّه ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ١٥٣ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ١٥٤ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٥٥ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ
عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
١٥٦ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ
مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ١٥٧

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٥٢): أَخرَجَ أبو دَاودَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ الآيَة. انطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ. سبقَ تخريجُه عند الآيةِ (٢٢٠) مِن سورةِ البقرةِ.

[**] فَائِدَةٌ: أخرجَ الإمامُ أحمدُ عَن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا». ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾. مُسنَدُ أحمدَ (١/ ٤٦٥، ٤٣٥)، وقالَ الشيخ أحمد شاكر: إسنادُه صحيحٌ (٤١٤٢)، وأخرجَ نحوَه ابنُ ماجه مِن حديثِ جابرِ بنِ عبدِ الله، وصَحَّحَه الألبانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ ابنِ ماجه (١١).

(١) أخرجَ ابنُ مَردُويَه عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ١٠٥)، قالَ: تَلا رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فقالَ: مَن أوفى على يديه في الكيلِ والميزانِ، واللهُ يَعلمُ صِحَّةَ نيَّتِه بالوفاءِ فيهما، لَم يُؤاخَذْ، وذلك تأويلُ: ﴿وُسْعَهَا﴾.

(٢) هذا سَبْقُ قَلَمٍ مِنَ المُصنِّفِ رحمه الله، وصَوابُه: التَّخفيفِ؛ أي: تخفيفِ الذَّالِ. وهي قِراءةُ حَفصٍ وحمزةَ والكِسائيِّ؛ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، والقِراءةُ المُفسَّرةُ بِتشديدِ الذَّالِ؛ ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ هي قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ.

(٣) ﴿وَإِنَّ﴾ بالكسرِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ، وقرأ ابنُ عامرٍ بالفتحِ مع سُكونِ النُّونِ؛ ﴿وَأَنْ﴾، وقرأ الباقونَ بِالفتحِ والتَّشديدِ: ﴿وَأَنَّ﴾.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ
ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم
مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى
مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرُ المكذِّبونَ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ - بالتَّاءِ والياءِ[1]- ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لِقبضِ أرواحِهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ أي: أمرُه؛ بِمعنَى: عَذابُه[2] ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي: عَلاماتِه الدَّالَّةِ على السَّاعةِ؟ ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ - وهِي: طُلوعُ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها؛ كَما في حَديثِ الصَّحيحَينِ[3]- ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ - الجُملةُ صفةُ «نفس»- ﴿أَوْ﴾ نَفسًا لَم تكنْ ﴿كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[*]: طَاعَةً؛ أي: لا تنفعُها تَوبتُها؛ كَما في الحَديثِ[4] ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟﴾ أحَدَ هذه الأَشياءِ ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلكَ.

[١٥٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ بِاختِلافِهم فيه؛ فأخذُوا بعضَه وتَركُوا بعضَه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾: فِرَقًا في ذلك- وفي قِراءَةٍ: ﴿فَٰرَقُوا۟﴾[5] أي: تَركُوا دِينَهم الذي أُمِروا به؛ وهم: اليَهودُ والنَّصارَى- ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: فلا تتعرَّضْ لهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يَتولَّاهُ ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ في الآخِرةِ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ فيُجازِيهم به. وهذا مَنسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

[١٦٠] ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: جَزاءُ عَشرِ حسناتٍ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جَزاءَه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنقَصُونَ مِنْ جَزائِهم شيئًا.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ويُبدَلُ مِن مَحلِّه: ﴿دِينًا [قَيِّمًا]﴾: مستقيمًا[6] ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾: عِبادَتي مِنْ حَجٍّ وغَيرِه ﴿وَمَحْيَاىَ﴾: حَياتي ﴿وَمَمَاتِى﴾: مَوتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ أي: التوحيدِ ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ مِنْ هذه الأُمَّةِ.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾: إلَهًا؟ أي: لا أطلبُ غيرَه ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾: مَالِكُ ﴿كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذَنبًا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ﴾: تَحملُ نَفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثِمَةٌ ﴿وِزْرَ﴾ نَفسٍ ﴿أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾: جَمعُ خَليفةٍ؛ أي: يَخلُفُ بَعضُكم بعضًا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ بِالمالِ والجاهِ وغيرِ ذلكَ ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: لِيختَبِرَكم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: أعطاكُم؛ لِيَظهرَ المُطيعُ منكم والعَاصِي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمنْ عَصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لِلمُؤمنينَ ﴿رَّحِيمٌۢ﴾ بهم.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخاريُّ عَنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾». البُخاريُّ - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٠)، وأخرجَه مسلمٌ - كتاب الإيمان (١) باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يُقبلُ فيه الإيمانُ.

---

(١) ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾ بالياءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ.

(٢) وهذا تأويلٌ لِهذه الصِّفةِ من صِفاتِ الفِعلِ التي أثبتَها ربُّنا عَزَّوَجَلَّ لِنفسِه، وهي صِفةُ الإتيانِ، ونَحن نثبتُها له ونؤمن بها على الوَجهِ اللائِقِ بِه -سُبْحَانَهُ-، ولا يُشبه إتيانُه إتيانَ المخلُوقِينَ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

(٣) البُخَاريُّ (٤٦٣٦)، ومُسلمٌ (١٥٧)، مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ مَرفوعًا، وهو الحديثُ المذكورُ في حاشيةِ الفَوائِدِ.

(٤) أخرج مسلمٌ في صَحيحِه (٢٧٠٣) مِنْ حَديثِ أبي هُرَيرَةَ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»، والأَحاديثُ في هذا المعنى كثيرةٌ.

(٥) بِألِفٍ بعدَ الفَاءِ وتَخفيفِ الرَّاءِ؛ لِحَمْزَةَ والكِسَائيِّ.

(٦) وهذا التفسيرُ على القِراءةِ بِالتَّشديدِ مع الكسرِ في اليَاءِ ومعه فتحُ القافِ؛ ﴿قَيِّمًا﴾، وهي لِنافع وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتخفيفِ في اليَاءِ معه فَتحُها وكَسرُ القَافِ؛ ﴿قِيَمًا﴾، على أنَّه مصدرٌ نُعِتَ به؛ مِنْ «قام»؛ أي: دامَ، وأصلُه «قِوَم» كـ «عِوَض»، فَأُعِلَّ لإعلالِ فِعْلِهِ كَالقيامِ. والمعنَى: لي دِينٌ دائمًا؛ كما في قولِه تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل:٥٢]؛ أي: دائمًا.

سورة الأعراف
ترتيبها ٧ — آياتها ٢٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحزب ١٦

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم
مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ
﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ
قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ
إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ
﴿١٠﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

١٥١

سورة الأعراف

مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ الثمانَ أوِ الخمسَ آياتٍ، مِائَتانِ وخمسُ أو: سِتُّ آياتٍ[*]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿الٓمٓصٓ﴾: اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ.

[٢] هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خِطابٌ للنَّبيِّ ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾: ضِيقٌ ﴿مِّنْهُ﴾ أنْ تُبلِّغَه مَخافةَ أنْ تُكذَّبَ ﴿لِتُنذِرَ﴾: مُتعلِّقٌ بـ﴿أُنزِلَ﴾؛ أي: لِلإنذارِ ﴿بِهِۦ وَذِكْرَىٰ﴾: تَذكِرةً ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٣] قُلْ لهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: القُرآنَ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾: تتَّخِذُوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: اللهِ؛ أي: غيرَه ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تُطيعونَهم في مَعصيتِه -تَعالَى- ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[١]-: تتَّعِظُونَ. وفيه إدغامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الذَّالِ. وفي قِراءةٍ: بِسُكونِها[٢]، و﴿مَّا﴾: زائدةٌ؛ لِتأكيدِ القِلَّةِ.

[٤] ﴿وَكَم﴾: خبرِيَّةٌ، مفعولٌ ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أُريدَ أهلُها ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾: أردنَا إهلاكَها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾: عذابُنا ﴿بَيَٰتًا﴾: لَيلًا ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾: نَائِمُونَ بِالظَّهيرَةِ! والقَيلُولةُ: استراحةُ نِصفَ النَّهارِ، وإنْ لم يكنْ معها نومٌ؛ أي: مَرَّةً جاءَها لَيلًا، ومَرَّةً نَهارًا.

[٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: قولُهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

[٦] ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأُممَ عَنْ إجابتِهم الرُّسلَ، وعَملِهم فيما بَلَغَهُمْ ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عَنِ الإبلاغِ.

[٧] ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾: لَنُخبِرَنَّهم عَنْ عِلمٍ بِما فَعلُوه ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عَنْ إبلاغِ الرُّسلِ والأُمَمِ الخَاليةِ فِيما عَمِلُوا.

[٨] ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ لِلأعمالِ، أو لِصَحائِفِها، بِميزانٍ له لِسانٌ وكِفَّتانِ -كما وردَ في حديثٍ[٣]- كائنٌ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ السؤالِ المذكورِ- وهو يومُ القِيامةِ- ﴿ٱلْحَقُّ﴾: العَدلُ، صِفةُ: ﴿ٱلْوَزْنُ﴾ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِالحسناتِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزونَ.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِالسَّيئاتِ[٤] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ بِتصييرِها إلى النَّارِ ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: يَجحدونَ.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾ - يا بَني آدَمَ- ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ بالياءِ[٥]: أسبابًا تَعيشونَ بها، جَمْعُ مَعيشَةٍ ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ لِتأكيدِ القِلَّةِ ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك.

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: أَباكُم آدَمَ ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي: صوَّرناه وأنتم في ظَهرِه ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سُجودَ تَحيَّةٍ بِالانحناءِ ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجِنِّ[٦]، كانَ بَينَ الملائكةِ ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخاريُّ عَنْ مَرْوانَ بْنِ الحَكَمِ، قَالَ: قَالَ لِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: «مَا لَكَ تَقرَأُ فِي المَغْرِبِ بِقِصَارٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ بِطُولَى الطُّولَيَيْنِ». البُخاريُّ - كتاب الأذان (١٠) باب (٩٨) القراءة في المغرب. وأخرجَه أبو داودَ وزادَ: «قَالَ-أي ابنُ أبي مليكةَ راوي الحديثِ-: قُلْتُ: مَا طُولَى الطُّولَيَيْنِ؟ قَالَ-أي عروةُ بنُ الزُّبيرِ الراوي عَن مروانَ-: الأَعْرَافُ، وَالأُخْرَى الأَنْعَامُ». أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (١٣٢) قدر القراءة في المغرب، وصَحَّحَه الأَلبانيُّ في صَحيحِ سُنَنِ أَبي دَاودَ (٧٢٨).

---

(١) قولُه: «بِالتَّاءِ»؛ أي: مع تشديدِ الذَّالِ بعدَها؛ ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾، وهي قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وشُعبةَ، ومَعَ تخفيفِ الذَّالِ؛ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: قِراءةُ حفصٍ وحمزةَ والكِسائيِّ. وقولُه: «والياءِ»؛ أي: قبلَ التَّاءِ مع تخفيفِ الذَّالِ؛ ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، وهي قِراءةُ ابنِ عامرٍ.

(٢) هكذا في النُّسخِ المطبوعةِ التي بِأيدينا، وهو سَهو مِنَ المُصنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَصوابُه: «بتخفيفها»؛ أي الذَّالِ، كَما تقدَّمَ.

(٣) قال الحافظُ في الفتح (١٣/ ٥٣٨): «قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ: أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الإِيمَانِ بِالمِيزَانِ، وَأَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ تُوزَنُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنَّ المِيزَانَ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، وَيَمِيلُ بِالأَعْمَالِ». ولم يأتِ ذِكْرُ اللسانِ في حديثٍ مرفوعٍ، وأمَّا كونُه له كِفَّتانِ؛ فقد ثبتَ في حديثِ البطاقةِ المشهورِ، الذي أخرجَه أحمدُ في مُسنَدِه (٧٠٦٦)، والترمذيُّ (٢٦٣٩) وحسَّنه، وابنُ ماجه (٤٣٠٠)، وأخرجه ابنُ حِبَّان في صحيحِه (٢٢٥)، وغيرُهم، مِنْ حَديثِ عبدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مرفوعًا، وصَحَّحَه الألبانيُّ في الصحيحة (١٣٥).
ولم يأتِ ذِكرُ اللسانِ في حديثٍ مرفوعٍ تقومُ به الحُجَّةُ، وأمَّا اللسانُ مع الكفَّتينِ؛ فقد أخرجَه اللالكائيُّ في شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة (٢٢٠٨)، عَن سلمانَ موقوفًا. وأخرجَ أيضًا (٢٢١٠) عَن عبدِ الملكِ بنِ أبي سُليمانَ قالَ: ذُكِرَ المِيزَانُ عِنْدَ الحَسَنِ، فَقَالَ: لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ. وأخرجَ البيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ (٢٧٧) عَنِ الكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «المِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، يُوزَنُ فِيهِ الحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ». ولَم أقفْ على حديثٍ مرفوعٍ فيه ذِكْرُ اللسانِ. والله أعلمُ.

(٤) أي: بِسببِ رُجحانِها عَن الحسناتِ.

(٥) أي: باتفاقِ القُرَّاءِ؛ لأنَّ الياءَ أصليَّةٌ.

(٦) نُقِلَ هذا القولُ عَن ابنِ عبَّاسٍ ومجاهدٍ وقتادةَ والحسنِ البَصريِّ وغيرِهم. وهو قولُ أكثرِ أهلِ العِلمِ. كما سبقَ في التَّعليقِ على الآيةِ (٣٤) مِن سُورةِ البَقرةِ.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ
أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن
تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ -تعالى-: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا﴾ - «لا» زائدةٌ- ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾: حِينَ ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: مِنَ الجنَّةِ، وقِيلَ: مِنَ السَّماواتِ ﴿فَمَا يَكُونُ﴾: يَنبغِي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾: الذَّلِيلِينَ.

[١٤] ﴿قَالَ أَنظِرْنِي﴾: أَخِّرْني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: النَّاسُ.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي آيةٍ أُخرى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[1] أي: وَقتِ النَّفخةِ الأُولَى.

[١٦] ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: بإغوائِكَ لي؛ و«البَاء» لِلقَسَمِ، وجَوابُه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لِبَنِي آدَمَ ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: على الطريقِ المُوصِلِ إليكَ.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: مِن كُلِّ جِهةٍ؛ فأَمنعُهم عن سُلوكِه. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ولا يَستطيعُ أن يأتيَ مِن فوقِهم؛ لِئلَّا يَحولَ بينَ العبدِ وبينَ رحمةِ الله -تَعالَى- ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: مُؤمنينَ.

[١٨] ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ بِالهمزِ: مَعِيبًا أو ممقوتًا ﴿مَّدْحُورًا﴾: مُبْعَدًا عَنِ الرَّحمةِ ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ مِنَ النَّاسِ؛ و«اللَّامُ» لِلابتداءِ، أو مُوطِّئةٌ لِلقَسَمِ؛ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منكَ بِذُرِّيَّتِكَ ومِنَ النَّاسِ. وفيه تَغليبُ الحاضرِ على الغائبِ. وفي الجُملةِ معنَى جَزاءِ «مَن» الشَّرطيَّةِ؛ أي: مَنْ تَبِعَكَ أُعذِّبْه.

[١٩] ﴿وَ﴾ قالَ: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ﴾: تأكيدٌ لِلضميرِ في ﴿اسْكُنْ﴾ لِيُعطفَ عليه: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حوَّاءُ، بِالمدِّ ﴿الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بِالأَكْلِ منها- وهِي: الحِنطةُ[2]- ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾: إبليسُ ﴿لِيُبْدِيَ﴾: يُظهِرَ ﴿لَهُمَا مَا وُورِيَ﴾ - فُوعِلَ؛ مِنَ المُوارَاةِ- ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كَراهةَ ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ - وقُرِئَ بِكسرِ اللَّامِ[3]- ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي: وذلكَ لَازمٌ عَنِ الأَكْلِ منها؛ كما في آيةٍ أُخرى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾؟[4]

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسمَ لهما بِالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلكَ.

[٢٢] ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾: حطَّهما عَنْ منزلتِهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أي: ظَهرَ لِكُلٍّ منهما قُبُلُهُ وقُبُلُ الآخرِ وَدُبُرُه- وَسُمِّيَ كُلٌّ منهما سوأةً؛ لِأَنَّ انكشافَه يَسوءُ صاحبَه- ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾: أخذا يُلزِقانِ ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ لِيستَتِرا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ العَداوةِ؟ والاستفهامُ لِلتقريرِ[5].

---

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) لم يَرِدْ ما يُعتمدُ عليه في تعيينِ هذه الشجرةِ، ولا حاجةَ إلى ذلكَ؛ لأنَّه ليس المقصودُ معرفةَ عَيْنِ تلك الشجرةِ، وما لا يكونُ مقصودًا لا ينبغي الانشغالُ به -كما ذكرَ أهلُ التحقيقِ-.

(٣) وهي قِراءةٌ شاذَّةٌ.

(٤) طه: ١٢٠.

(٥) في نُسخةِ قباوة: (استفهامُ تقريرٍ).

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ
لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ
ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ
حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا
بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ بِمعصِيَّتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا﴾ أي: آدمُ وحَوَّاءُ؛ بِما اشتملتُما عليه مِنْ ذُرِّيَّتِكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾: بعضُ الذرِّيَّةِ ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِنْ ظُلمِ بَعضِهم بَعضًا ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: مَكانُ استقرارٍ ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: تَمَتُّعٌ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تَنقضِي فيه آجالُكُم.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأَرضِ ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا [تُخْرَجُونَ]﴾ بِالبَعْثِ- بِالبِناءِ لِلفَاعِلِ والمفعُولِ(١)-.

[٢٦] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي: خَلقناه لَكُم(٢) ﴿يُوَٰرِى﴾: يَسترُ ﴿سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾: هو ما يُتجمَّلُ به مِنَ الثِّيابِ ﴿[وَلِبَاسُ] ٱلتَّقْوَىٰ﴾: العملَ الصالحَ و(٣)السَّمتَ الحَسَنَ. بِالنَّصبِ(٤): عَطفٌ على ﴿لِبَاسًا﴾، والرَّفعِ: مُبتدأٌ، خَبرُه: جُملةُ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: دَلائلِ قُدرتِه ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيُؤمِنونَ. فيه التفاتٌ عَنِ الخِطابِ(٥).

[٢٧] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾: يُضِلَّنَّكم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: لا تَتَّبعُوه؛ فتُفتَنُوا(٦) ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ بِفِتنتِه ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ﴾: حَالٌ ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ﴾ أي: الشَّيطانَ ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾: جُنودُه ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ لِلَطَافَةِ أجسادِهم، أو عَدمِ أَلوانِهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾: أعوانًا وقُرناءَ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ كالشِّركِ، وطوافِهم بِالبيتِ عُراةً، قَائلينَ: «لا نَطوفُ في ثِيابٍ عَصينَا اللهَ فيها». فنُهُـوا عنها(٧) ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ فاقتدَينا بهم ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أَيضًا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنّه قَالَه؟ استفهامُ إنكارٍ.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾: العَدْلِ ﴿وَأَقِيمُوا۟﴾ - مَعطوفٌ على مَعنَى ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: قالَ: أَقسِطُوا وأقيموا. أو قبلَه «فأَقبِلُوا» مُقدَّرًا- ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أَخلِصُوا له سُجودَكم ﴿وَٱدْعُوهُ﴾: اعبُدُوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مِنَ الشِّركِ ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: خَلقَكُم ولَم تكونُوا شيئًا ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يُعيدُكم أحياءً يومَ القِيامَةِ.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِه ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

---

(١) ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بِالبناءِ لِلفاعلِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وابنِ ذَكوانَ. وقرأ البَاقونَ: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بِضَمِّ التَّاءِ وفَتحِ الرَّاءِ.

(٢) وهذا أَحدُ الأَقوالِ، وهو كقولِه تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أي: خَلَق. وقِيلَ: المرادُ المطرُ الذي يُنبِتُ به القطنُ والكِتَّانُ. فجعلَ المُسبَّبَ بِمَنزلةِ السببِ. وقِيلَ: المعنَى: أَلهمناكم كيفيةَ صَنعتِه. وقيلَ: المعنَى: قضينَا وقسمنَا لكم؛ حيثُ كتبَ ذلك في اللوحِ المحفوظِ، وقضاياه -سُبْحَانَهُ- مما تُوصفُ بِالنزولِ. وقِيلَ: هو على ظاهِرِ معناهُ المعروفِ؛ فإنَّه ينزلُ من ظُهورِ الأنعامِ مِن أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها، وهذا الأخيرُ هو الأقربُ. وفي الآيةِ إثباتُ صِفةِ عُلُوِّهِ جَلَّوَعَلَا فوقَ خَلقِه، وهو ما يَتحاشَى المُفسِّرُ -عفا الله عنه- إثباتَه مُوافقةً لمذهبِه في التأويلِ. وانظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤٦-٢٥٧).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أو).

(٤) ﴿وَلِبَاسَ﴾ بِفتحِ السِّينِ: قِراءَةُ نافعٍ والكِسَائِيِّ وابنِ عامرٍ. وقرأ البَاقونَ: ﴿وَلِبَاسُ﴾ بِضَمِّ السِّينِ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فيه التفاتٌ عَنِ الخِطابِ إلى الغَيبةِ).

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فتُفتَتَنُوا).

(٧) أخرجَ البُخَارِيُّ (١٦٦٥) عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ: قَالَ عُرْوَةُ: «كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الحُمْسَ. وَالحُمْسُ: قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ. وَكَانَتِ الحُمْسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ، يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوفُ فِيهَا، وَتُعْطِي المَرْأَةُ المَرْأَةَ الثِّيَابَ تَطُوفُ فِيهَا، فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الحُمْسُ طَافَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا. وَكَانَ يُفِيضُ جَمَاعَةُ النَّاسِ مِنْ عَرَفَاتٍ، وَيُفِيضُ الحُمْسُ مِنْ جَمْعٍ»، وأمَّا النَّهيُ عن ذلك؛ فكما عِندَ البُخَارِيِّ (٤٦٥٧)، ومسلم (١٣٤٧) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَهُ فِي الحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهَا قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُونَ فِي النَّاسِ: «أَنْ لَا يَحُجَّنَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ».

ربع الحزب ١٦

* يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ
بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ
﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

[٣١] ﴿* يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾: ما يسترُ عورتَكم[*] ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾: عِندَ الصَّلاةِ والطَّوافِ ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ ما شِئتُم ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قُلۡ﴾ إنكارًا عليهم: ﴿مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ مِنَ اللِّباسِ ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المُستلَذَّاتِ ﴿مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالاستحقاقِ، وإنْ شارَكَهم فيها غيرُهم ﴿[خَالِصَةٌ]﴾: خاصَّةً بهم- بالرَّفعِ والنَّصبِ(1)-: حالٌ ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: نُبيِّنُها مِثلَ ذلكَ التفصيلِ ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: يتدبَّرونَ؛ فإنَّهم المُنتفِعونَ بها.

[٣٣] ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾: الكبائرَ؛ كالزِّنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جَهرَها وسِرَّها ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾: المعصيَةَ ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ على النَّاسِ ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو الظُّلمُ ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾: بِإشراكِه ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾: حُجَّةً ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ مِنْ تحريمِ ما لَمْ يُحرَّمْ وغَيرِه.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ﴾: مُدَّةٌ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ عليه.

[٣٥] ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾ - فيه إدغامُ نُونِ «إنِ» الشَّرطيةِ في «ما» المَزيدةِ- ﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشِّركَ ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عملَه ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخِرةِ.

[٣٦] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: تكبَّرُوا ﴿عَنۡهَآ﴾ فلَم يُؤمِنُوا بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٣٧] ﴿فَمَنۡ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنسبةِ الشَّريكِ والوَلَدِ إليه ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾: القُرآنِ؟ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ﴾: يُصيبُهم ﴿نَصِيبُهُم﴾: حَظُّهُمْ ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾: مِمَّا كُتِبَ لهم، في اللَّوحِ المحفوظِ، مِن الرِّزقِ والأَجلِ وغَيرِ ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائِكةُ ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ﴾ لَهم تَبكِيتًا: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾: تَعبُدونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ﴾: غَابُوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نَرَهُم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ عِندَ الموتِ ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٣١): أخرجَ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: كانَتِ المَرأَةُ تطوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ: الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾. مسلمٌ - كتاب التفسير (٥٤) باب (٢) رقم (٣٠٢٨).

(١) ﴿خَالِصَةٌ﴾ برفعِ التاء: قِراءةُ نافعٍ، وقرأَ الباقون بنصبِها: ﴿خَالِصَةٗ﴾.

قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟
فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ
﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ
وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى
مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ
وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ -تَعَالَى- لهم يومَ القِيامَةِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ﴾ جُملةِ ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾: مُتعلِّقٌ بـ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾. ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النَّارَ ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قَبلَها؛ لِضَلالِها بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟﴾: تَلاحقُوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ – وهم الأَتباعُ– ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ أي: لِأَجلِهِمْ(١)؛ وهم: المَتبُوعُونَ: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: مُضَعَّفًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ﴾ -تَعَالَى-: ﴿لِكُلٍّ﴾ مِنكُم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾: عَذابٌ مُضعَّفٌ ﴿وَلَٰكِن لَّا [يَعْلَمُونَ]﴾ – بِاليَاءِ والتَّاءِ(٢)– ما لِكُلِّ فَريقٍ.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لِأَنَّكُم لَم تَكفُروا بِسَبَبِنا؛ فنَحنُ وأَنتم سَواءٌ. قال – تَعَالَى– لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: تكبَّروا ﴿عَنْهَا﴾ فلَم يُؤمِنُوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ إِذا عُرِجَ بِأَرواحِهم إِليها بعدَ الموتِ، فيُهْبَطُ بها إِلى «سِجِّينٍ»، بِخِلافِ المُؤمِنِ، فتُفَتَّحُ(٣) له، ويُصْعَدُ بِرُوحِه إِلى السَّماءِ السَّابعةِ؛ كَما وَرَدَ في حَديثٍ(٤)، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾: يَدخُلَ ﴿ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾: ثَقْبِ الإِبرَةِ. وهو غَيرُ مُمكِنٍ، فكَذا دُخولُهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجَزاءِ ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بِالكُفرِ.

[٤١] ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فِراشٌ ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾: أَغطِيةٌ مِنَ النَّارِ. جَمعُ غَاشِيةٍ. وتَنوينُه عِوَضٌ مِنَ الياءِ المَحذُوفةِ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٤٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مُبتدأٌ، وقولُه: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: طاقَتَها مِنَ العَملِ، اعتراضٌ بينَه وبينَ خَبرِه؛ وهو: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: حِقدٍ، كان بينَهم في الدُّنيا ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ﴾: تَحتِ قُصُورِهم ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟﴾ عِندَ الاستقرارِ في مَنازِلِهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ العَملِ الذي هذا جَزاؤُه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ حُذِفَ جَوابُ ﴿لَوْلَآ﴾ لِدَلالةِ ما قَبلَهُ عليه(٥) ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن﴾ – مُخفَّفةٌ؛ أي: أَنَّه، أو مُفسِّرةٌ، في المَواضِعِ الخَمسةِ(٦)– ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[*].

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ مُسلِمٌ عَن أَبي سَعيدٍ وأَبي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». مسلمٌ – كتاب الجَنَّة (٥١) باب (٨) في دوام نعيم أهلِ الجَنَّة.

---

(١) يَعني أنَّ اللَّامَ الجَارَّةَ في ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ هي لِلتعليلِ، والخطابَ بـ﴿قَالَتْ﴾ هو للمولى لا للمَتبوعِينَ. قالَه في المفصَّل. وفي طَبعةِ قُرَّةِ العَينينِ: (لأَجِلَّائهم)، وفي بعضِ النُّسخِ: (لأجلِّهم).

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِالتَّاءِ والياءِ)؛ بإِثباتِ قِراءَةِ التَّاءِ وتَقديمِها. وبِاليَاءِ: قِراءةُ شُعبةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتَّاءِ؛ ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (فيُفتَّح) بِاليَاءِ.

(٤) روى أحمدُ (٨٥٥١)، والنَّسائيُّ (١٨٣٣)، وابنُ ماجه (٤٢٦٢) عَن أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ». والحديثُ أَصلُه في الصَّحيحَينِ وصَحَّحَه الأَلبانيُّ في صحيحِ سُننِ ابنِ ماجه (٣٤٣٧).

(٥) وهو: ﴿مَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾، يَعني أَنَّ الجَوابَ محذوفٌ تقديرُه: ما اهتدينا.

(٦) يَعني الآتيةَ في سِياقِ الآياتِ، وهي ما بعد: ﴿وَنُودُوٓا۟﴾ حتى: ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟﴾ في الآية (٥٠).

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا
رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ
مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥ وَبَيۡنَهُمَا
حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ
أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦
نصف الحزب ١٦ ۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا
مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم
بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ
لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ
ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا
وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١

[٤٤] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ تقريرًا وتبكيتًا: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ مِنَ الثوابِ ﴿حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ﴾ كُمْ ﴿رَبُّكُمۡ﴾ مِنَ العَذابِ ﴿حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾: نادَى مُنادٍ ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾: بينَ الفريقَينِ أسمعَهم: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ أي: يَطلبُونَ السَّبيلَ ﴿عِوَجٗا﴾: مُعوَجَّةً ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَبَيۡنَهُمَا﴾ أي: أصحابِ الجنَّةِ والنَّارِ ﴿حِجَابٞۚ﴾: حَاجزٌ- قِيلَ: هو سُورُ الأعرافِ- ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ وهو سُورُ الجنَّةِ ﴿رِجَالٞ﴾ استَوَتْ حَسناتُهم وسيِّئاتُهم؛ كما في الحَديثِ[(١)] ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾ مِنْ أهلِ الجنَّةِ والنَّارِ ﴿بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾: بِعَلامَتِهم- وهي: بَياضُ الوُجوهِ لِلمؤمنينَ، وسَوادِها لِلكافرينَ؛ لِرؤيَتِهم لهم؛ إذْ موضعُهم عَالٍ- ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾. قالَ تَعالَى: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا﴾ أي: أصحابُ الأعرافِ الجَنَّـةَ ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ في دُخُولِها. قالَ الحَسنُ: «لم يُطمِعْهُمْ إلَّا لِكَرامَةٍ يُريدُها بهم»[(٢)]. وروى الحاكمُ عَنْ حُذَيفةَ قال: «بينما هُمْ كَذَلِكَ، إذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ، فقالَ: قُومُوا ادْخُلُوا الجَنَّةَ؛ فقَدْ غفَرْتُ لَكُمْ»[(٣)].

[٤٧] ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أي: أصحابِ الأعرافِ ﴿تِلۡقَآءَ﴾: جِهةَ ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا﴾ في النَّارِ ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾ مِنَ أصحابِ النَّارِ ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ﴾ مِنَ النَّارِ ﴿جَمۡعُكُمۡ﴾ المالَ، أو كثرتُكم ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أي: واستكبارُكم عَنِ الإيمانِ؟ ويقولونَ لهم، مُشيرِينَ إلى ضُعفَاءِ المُسلمينَ:

[٤٩] ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾؟ قدْ قِيلَ لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ - وَقُرِئَ: «أُدْخِلُوا» بِالبناءِ لِلمفعولِ، و«دَخَلُوا»[(٤)]. فجُملةُ النَّفي[(٥)] حَالٌ؛ أي: مَقولًا لهم ذلك[(٦)]-.

[٥٠] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ مِنَ الطَّعامِ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾: منعَهما ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

[٥١] ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾: نَترُكُهم في النَّارِ ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ بِتركِهم العملَ له ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ أي: وكَما جَحَدوا.

---

(١) أخرجَ أبو الشيخِ وابنُ مردويه وابنُ عساكر، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ١٦٢)، عَنْ جابرِ بنِ عبدِ الله قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «تُوضَعُ المَوَازِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَتُوزَنُ الحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ؛ فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ مِثْقَالَ صؤابة دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ مِثْقَالَ صؤابة دَخَلَ النَّارَ». قِيلَ: يا رسولَ الله، فَمَنِ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؟ قالَ: «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾». وقالَ الحافظُ في الفتحِ (١٣٥٣٩) بعدَ أنْ سَاقَه، في معرضِ الاحتجاجِ به: «أَخْرَجَهُ خَيْثَمَةُ فِي فَوَائِدِهِ». والصؤابةُ: بيضةُ القُمَّلِ والبرغوث. والأحاديثُ والآثارُ في هذا المعنَى كثيرةٌ. وقال ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه (٣/ ٤١٨) بعدَ أن ساقَ جملةً مِنَ هذه الآثارِ والأحاديثِ: «وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ المُفَسِّرِينَ فِي أَصْحَابِ الأَعْرَافِ مَنْ هُمْ، وَكُلُّهَا قَرِيبَةٌ تَرْجِعُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ. نَصَّ عَلَيْهِ حُذَيْفَةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ، رَحِمَهُمُ اللهُ». ثُمَّ قالَ (٣/ ٤١٩)، مُعقِّبًا: «والله أَعْلَمُ بِصِحَّةِ هَذِهِ الأَخْبَارِ المَرْفُوعَةِ، وَقُصَارَاهَا أَنْ تَكُونَ مَوْقُوفَةً». ويُنظرُ كلامُ الألبانيِّ في السلسلةِ الضعيفةِ عن هذا الحديثِ (١٣/ ٦٧).

(٢) أخرجَ عبدُ الرزَّاقِ في تفسيرِه (٩٠٧) عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾، قالَ: «والله مَا جَعَلَ الله ذَلِكَ الطَّمَعَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا لِكَرَامَةٍ يُرِيدُهَا بِهِمْ»، وأخرجَه عنه أيضًا ابنُ جريرٍ (١٤٧٢٩). وإسنادُه منقطعٌ؛ فإنَّ معمر بن راشد لم يسمع من الحسنِ، كما في تهذيبِ الكمالِ (٢٨/ ٣٠٦).

(٣) الحاكمُ (٢/ ٣٢٠)، وقالَ في التلخيصِ: على شرطِ البُخَارِيِّ ومسلمٍ.

(٤) وهما قِراءتانِ شَاذَّتانِ، على عَادةِ المُصنِّفِ رَحِمَهُ اللهُ؛ حيثُ يُعبِّرُ في الشاذِّ في الغالبِ بـ«قُرِئ»، وفي السَّبعيِّ بقولِه: «وفي قِرَاءَةٍ».

(٥) أي: قولِه تعالى: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾.

(٦) قالَ السَّمينُ الحلبيُّ: «أي: وعَلى هاتَينِ القِراءتَينِ؛ فالجملةُ المنفيَّةُ في محلِّ نصبٍ بقولٍ مُقدَّرٍ، ذلك القولُ منصوبٌ على الحالِ؛ أي: مَقولًا لهم: لا خوفَ...» اهـ.

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ
فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى
كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ
يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ
بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾
ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ أي: أهلَ مكَّةَ ﴿بِكِتَٰبٍ﴾: قُرآنٍ ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: بيَّنَّاهُ بالأخبارِ والوَعدِ والوَعيدِ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: حالٌ؛ أي: عالِمِينَ بما فُصِّلَ فيه ﴿هُدًى﴾: حالٌ مِنَ الهاءِ ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٥٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما يَنتظِرُونَ ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾: عاقبةَ ما فيه؟ ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو يومُ القِيامةِ ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾: تركُوا الإيمانَ به: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدُّنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: نُوحِّدَ اللهَ ونَترُكَ الشِّركَ؟ فيُقالُ لهم: لا. قالَ تعالَى[1]: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ إذْ صارُوا إلى الهَلاكِ ﴿وَضَلَّ﴾: ذَهبَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مِنْ دَعوى الشَّريكِ.

[٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِنْ أيَّامِ الدُّنيا؛ أي: في قَدْرِها؛ لِأنَّه لَم يَكنْ ثَمَّ شمسٌ- ولو شاءَ خلقَهنَّ في لَمحةٍ. والعُدولُ عنه لتعليمِ خَلْقِه التثبُّتَ- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللُّغةِ: سَريرُ المُلْكِ، استواءً يَليقُ به[2] ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ -مُخفَّفًا ومُشدَّدًا[3]- أي: يُغطِّي كُلًّا منهما بالآخَرِ ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾: يَطلبُ كلٌّ منهما الآخرَ طلبًا ﴿حَثِيثًا﴾: سَريعًا ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ بالنَّصْبِ: عَطفًا على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والرَّفعِ: مبتدأٌ خبرُه: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾[4]: مُذَلَّلاتٍ ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بقُدرتِه[5] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعًا ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ كُلُّه ﴿تَبَارَكَ﴾: تعظَّمَ ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾: مالكُ[6] ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾!

[٥٥] ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾: حالٌ؛ تذلُّلًا ﴿وَخُفْيَةً﴾: سِرًّا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في الدُّعاءِ؛ بالتَّشدُّقِ ورَفعِ الصَّوتِ.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشِّركِ والمعَاصِي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببَعثِ الرُّسُلِ ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ مِنْ عِقابِه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رَحمتِه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المُطيعينَ. وتَذكيرُ ﴿قَرِيبٌ﴾ المُخبَرِ به عَن ﴿رَحْمَتَ﴾ لإضافتِها إلى ﴿ٱللَّهِ﴾.

[٥٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ [نُشُرًا][7] بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: مُتفرِّقةً قُدَّامَ المَطرِ. وفي قِراءَةٍ: بسُكونِ الشِّينِ تخفيفًا[8]، وفي أُخرَى: بسُكونِها وفَتحِ النُّونِ: مَصدرًا[9]، وفي أُخرَى: بسُكونِها وضَمِّ المُوحَّدةِ بَدلَ النُّونِ[10]؛ أي: [مُبشِّراتٍ][11]، ومُفردُ الأُولَى: «نَشُورٌ» كـ«رَسُول»، والأخيرةِ: «بَشيرٌ» ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾: حَمَلتِ الرِّياحُ ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطرِ ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي: السَّحابَ- وفيه التفاتٌ عَنِ الغَيبةِ- ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لا نَباتَ به؛ أي: لإحيائِها[12] ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾: بالبلدِ ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بالماءِ ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراجِ ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ مِنْ قُبورِهم بالإحياءِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمِنُونَ.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (قالَ اللهُ تعالى).

(٢) إنْ كانَ المُصنِّفُ يُريدُ بذلكَ تفويضَ كيفيَّةِ الاستواءِ فهذا حَقٌّ، كما قالَ مالكٌ: «... والكيفُ مجهولٌ»، وأمَّا إن كان يُريدُ بذلك أنَّ معنى الاستواءِ نفسِه مجهولٌ، فيكون فِرارًا مِن إثباتِ صِفةِ العُلوِّ والاستواءِ على العَرشِ؛ إذ إنَّ كلامَ السَّلفِ في معنَى الاستواءِ أنَّه العُلوُّ والارتفاعُ والاستقرارُ.

(٣) بتشديدِ الشِّينِ، ولازِمُه فتحُ الغَينِ؛ ﴿يُغَشِّى﴾: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ وشُعبةَ.

(٤) بالرَّفعِ في الأربعِ الكلماتِ؛ ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾: قِراءَةُ ابنِ عامرٍ، وقَرأَ بَقيَّةُ السَّبعةِ بالنَّصبِ فيها جميعًا.

(٥) وهذا صرفٌ لِلَّفظِ عن ظاهرِه، وتعطيلٌ لِصفةِ الأمرِ، والمُرادُ منه كلامُ اللهِ وحُكْمُه، وهو غيرُ القُدرة.

(٦) هذا أحد مَعاني الربِّ، وإلَّا فإنَّ معنَى الربِّ أعمُّ مِن ذلك؛ فهو الخالقُ المالكُ المتصرِّفُ السيِّدُ المُطاعُ. قال ابنُ جرير في تَفسيرِه (١/ ١٤٣) -في معنى اسم «الرَّبِّ» لله سبحانه وتعالى- قال: «فَرَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: السَّيِّدُ الَّذِي لَا شِبْهَ لَهُ، وَلَا مِثْلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالْمُصْلِحُ أَمْرَ خَلْقِهِ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَالْمَالِكُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ».

(٧) ﴿نُشُرًۢا﴾: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٨) ﴿نُشْرًۢا﴾؛ بالنُّونِ المَضمُومةِ مَع سُكونِ الشِّينِ، لابنِ عامرٍ.

(٩) ﴿نَشْرًۢا﴾؛ بالنُّونِ المفتوحةِ مع سكونِ الشينِ، لِحَمْزَةَ والكِسَائيِّ.

(١٠) ﴿بُشْرًۢا﴾؛ بالباءِ المَضمومةِ مع سُكونِ الشِّينِ: قِراءةُ عاصمٍ. والحاصل أنَّ القِراءاتِ أربعُ قِراءاتٍ: ﴿نُشُرًۢا﴾: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرأَ ابنُ عامرٍ: ﴿نُشْرًۢا﴾؛ بالنُّونِ المَضمُومةِ مع سُكونِ الشِّينِ، وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿نَشْرًۢا﴾؛ بالنُّونِ المفتوحةِ مع سُكونِ الشِّينِ، وقرأَ عاصمٌ: ﴿بُشْرًۢا﴾؛ بالباءِ المَضمومةِ مع سكونِ الشِّينِ.

(١١) في الأَصْلِ: (مُبشِّرًا)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، وهو الأَوْلَى لمناسبتِه الجمع، كما ذكرَ صاحبُ الفتوحاتِ (٢/ ١٥٢).

(١٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (لإحيائِه).

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَى
عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

ربع الحزب ١٦

[٥٨] ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾: العَذْبُ التُّرابِ ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ حَسَنًا ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ - هذا مَثَلٌ لِلمُؤمنِ[1]، يَسمعُ الموعِظةَ فينتفعُ بها- ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ تُرابُه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نَباتُه ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: عَسِرًا بِمَشقَّةٍ. وهذا مَثَلٌ لِلكافرِ[2] ﴿كَذَلِكَ﴾: كما بَيَّنَّا ما ذُكِرَ ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ اللهَ، فيُؤمنونَ.

[٥٩] ﴿لَقَدْ﴾ - جَوابُ قَسَمٍ مَحذوفٌ- ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ [غَيْرِهِ]﴾ بِالجرِّ[3]: صِفةٌ لِـ﴿إِلَهٍ﴾، وبِالرَّفعِ: بَدلٌ مِنْ مَحلِّه ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ - إِنْ عَبَدْتُمْ غيرَه- ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يَومُ القِيامةِ.

[٦٠] ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: الأشرافُ ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: بَيِّنٍ.

[٦١] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ - هي أعمُّ مِنَ الضَّلالِ؛ فنفيُها أبلغُ مِنْ نَفيِه- ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٦٢] ﴿[أُبْلِغُكُمْ]﴾[4] - بِالتَّخفيفِ والتَّشديدِ- ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ﴾: أُريدُ الخيرَ ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٦٣] ﴿أَ﴾ كَذَّبتُم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾: مَوعِظةٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى﴾ لِسانِ ﴿رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ العَذابَ إِنْ لم تُؤمِنُوا ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ اللهَ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بها؟

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مِنَ الغَرَقِ ﴿فِي الْفُلْكِ﴾: السَّفينةِ ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بِالطُّوفانِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عَنِ الحقِّ.

[٦٥] ﴿۞ وَ﴾ أرسَلنا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ الأُولَى[5] ﴿أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وَحِّدُوهُ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: تَخافُونَه فتُؤمِنونَ؟

[٦٦] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾: جَهالةٍ ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في رِسالتِك.

[٦٧] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

---

(١) في نُسخةِ قَبَاوَة: (هذا مثلُ المؤمنِ).

(٢) في نُسخةِ قَبَاوَة: (وهذا مثلُ الكافرِ).

(٣) وهي قِراءةُ الكِسائيِّ، وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالرَّفعِ: ﴿غَيْرُهُ﴾.

(٤) بالتخفيفِ: قِراءةُ أبي عَمرٍو، وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِفتحِ البَاءِ وتشديدِ اللَّامِ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾.

(٥) وهُم عادُ إرمَ، وهُم قوم نبيِّ الله هودٍ عليه السلام؛ كما جاءَ وصفُهم بذلك في سورة النَّجمِ، في قولِه تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، وأمَّا عادُ الآخرةُ، وهم المعنيُّونَ بِـ(عاد) عندَ الإطلاقِ فهم «ثمودُ» قومُ نبيِّ الله صالح عليه السلام.

[٦٨] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: مأمونٌ على الرِّسالةِ.

[٦٩] ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لِسانِ ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرضِ ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾: قُوَّةً وطُولًا. وكانَ طَوِيلُهُمْ مِائةَ ذِراعٍ وَقَصِيرُهُمْ سِتِّينَ[1] ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: نِعَمَهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزونَ.

[٧٠] ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾: نَترُكَ ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به مِنَ العَذابِ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولِكَ.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾: وَجَبَ ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذابٌ ﴿وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: سَمَّيتُم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾: أصنامًا تعبُدونَها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بِعِبادتِها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: حُجَّةٍ وبُرهانٍ؟ ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذابَ ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ ذلك، بِتكذيبِكم لي. فأُرسِلَتْ عليهم الرِّيحُ العَقِيمُ.

[٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: هُودًا ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ مِنَ المُؤمنينَ ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القَومِ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ﴾ أي: استأصلناهُم ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: عَطفٌ على ﴿كَذَّبُوا۟﴾.

[٧٣] ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ - بِتركِ الصَّرفِ[2]؛ مُرادًا به القبيلةُ- ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: مُعجِزةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ على صِدقي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ﴾: حالٌ، عاملُها مَعنَى الإشارةِ- وكانوا سَأَلوه أن يُخرجَها لهم مِنْ صَخرةٍ عَيَّنُوها[3]- ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: بِعَقرٍ أو ضَربٍ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن
جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ
هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ
ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(١) ذكَره البغويُّ (٣/ ٢٤٣) عَنْ إسماعيلَ السُّدِّيِّ، والثعلبيُّ (٤/ ٢٤٦) عَنِ الكلبيِّ. وتحديدُ طول أطولِهم وأقصرِهم على هذا النحوِ مخالفٌ لِما جاءَ في الصحيحِ في وصفِ آدمَ عليه السلام؛ ففي الصَّحيحَينِ وغيرِهما مِن حَديثِ أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ المَلَائِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ». البُخاريُّ (٣٣٢٦)، ومسلمٌ (٢٨٤١). فهذا الحديثُ صريحٌ في أنَّه ليس بعدَ آدمَ مَنْ هو أطولُ منه. والله أعلم.

(٢) أي: بالمنعِ من الصَّرف؛ للعَلَميَّةِ والتأنيثِ.

(٣) أخرج ابنُ أبي حاتمٍ (٨٦٦٦)، وابنُ جرير (١٤٨١٠) عن أبي الطُّفَيلِ قال: «قَالَتْ ثَمُودُ لِصَالِحٍ: ائْتِنَا بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ: قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: اخْرُجُوا إِلَى هَضْبَةٍ مِنَ الأَرْضِ فخرجُوا، فإذا تمخَّضُ كما تمخَّضُ الحامِلُ، ثُمَّ إنها تفرَّجتْ فخرجتْ من وسطِها النَّاقةُ فقال لهُمْ صالحٌ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾».

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ
ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن
قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ
مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ
أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ
جَٰثِمِينَ ٧٨ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ
٧٩ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١

[٧٤] ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ﴾ في الأرضِ ﴿مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ﴾: أسكنكم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا﴾ تسكنونها في الصَّيفِ ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾ تَسكنُونَها في الشِّتاءِ. ونَصْبُه على الحالِ المُقدَّرةِ[1] ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

[٧٥] ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾: تكبَّرُوا عن الإيمانِ به ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ أي: مِنْ قَومِه، بدلٌ ممَّا قبلَه بإعادةِ الجارِّ: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ إليكُم؟ ﴿قَالُوٓاْ﴾: نَعَمْ ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

وكانَتِ النَّاقةُ لها يومٌ في الماءِ ولهم يومٌ؛ فَمَلُّوا ذلِكَ.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾: عقَرَها «قُدارٌ»[2] بِأَمْرِهم؛ بِأَنْ قَتَلَها بِالسَّيفِ ﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به مِنَ العَذابِ على قَتلِها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الزَّلزلةُ الشَّديدةُ مِنَ الأرضِ، والصَّيحةُ مِنَ السَّماءِ ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾: بَارِكِينَ على الرُّكَبِ مَيِّتِينَ.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ صَالحٌ ﴿عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

[٨٠] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿لُوطًا﴾ وَيُبْدَلُ مِنْهُ: ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي: أدبارَ الرِّجَالِ ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ؟

[٨١] ﴿إِنَّكُمۡ﴾ - بتحقيقِ الهمزتَينِ، وتَسهيلِ الثانيةِ، وإدخَالِ الألِفِ بينهما على الوَجهَينِ[3] - ﴿لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾: مُتجاوِزُونَ الحَلالَ إلى الحرامِ.

---

(١) أي: تنحتونَها مُقدِّرينَ جعلَها بيوتًا لكم.

(٢) نقَلَ ابنُ أبي حاتم ذلك في تَفسيرِه (٨٦٧٩، ١٠٩٨٨، ١٥٨٧٨) عَنْ محمَّدِ بن إِسحاقَ. وأخرَجَ البُخاريُّ (٤٩٤٢)، ومسلمٌ (٢٨٥٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾: انْبَعَثَ بِهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ». قالَ الحافظُ في الفَتحِ (١/ ٣١٨): «حَدِيثُ عبدِ الله بنِ زَمْعَةَ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾: انْبَعَثَ لَهَا رجلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، هُوَ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ».

(٣) قَرأَ السَّبعَةُ عدا نافعٍ وحفصٍ بِهمزتَينِ على لفظِ الاستفهامِ، الذي في معنَاه التوبيخُ: ﴿أَئِنَّكُمۡ﴾، غير أَنَّ ابنَ كثيرٍ يُسهِّلُ الهمزةَ الثانيةَ بَينَ الهمزةِ والياءِ معَ عَدَمِ الإدخَالِ، وكذلكَ أبو عمرٍو وهشام لكنَّهما يُدخِلانِ أَلِفًا فيَمدَّانِ فيها الإدخالَ قدرًا واحدًا، وقرأَ ابنُ ذكوانَ وشُعبةُ وحمزةُ والكسائيُّ بِهمزتَينِ مُحقَّقتَينِ مَعَ عَدَمِ الإدخالِ.

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾ أي: لُوطًا وأتباعَه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ مِنْ أدبارِ الرِّجالِ.

[٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقِينَ في العَذابِ.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ هو حِجارةَ السِّجِّيلِ؛ فأهلَكَتْهُم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؟

[٨٥] ﴿وَ﴾ أرسَلْنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: مُعجِزةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ على صِدْقِي ﴿فَأَوْفُواْ﴾: أَتِمُّوا ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ﴾: تَنقُصُوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِالكُفرِ والمَعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ﴾ بِبَعْثِ الرُّسلِ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكورُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مُرِيدِي الإيمانِ، فَبادِرُوا إليه.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿تُوعِدُونَ﴾: تُخَوِّفونَ النَّاسَ بِأَخْذِ ثيابِهِم أو المَكْسِ[1] منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾: تَصرِفُونَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بِتَوعُّدِكُم إِيَّاه بِالقَتلِ ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾: تَطلُبُونَ الطَّرِيقَ ﴿عِوَجًاۚ﴾: مُعْوَجَّةً ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ قَبلَكُم بِتكذِيبِهِم رُسُلَهم؛ أي: آخِرُ أمرِهِم مِنَ الهَلاكِ؟

[٨٧] ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ به ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾: انتظِروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ﴾ وبينكم، بِإنجاءِ المُحِقِّ، وإهلاكِ المُبطِلِ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أعدَلُهم.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٨٣ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
٨٤ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ
فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٨٥ وَلَا
تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ
إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ٨٦ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ
ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ
حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨٧

---

(١) أخرجَ الطبريُّ (١٤٨٤٨) عَنِ السُّدِّيِّ: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦]، قَالَ: «العَشَّارُونَ». والعَشَّارونَ: هم الذين يأخُذونَ المَكْسَ؛ «بِفَتحِ الميمِ وسُكُونِ الكَافِ»، وهو: الضريبةُ والجبايةُ والإتاوةُ التي تُؤخَذُ بِغَيرِ حقٍّ. وأصلُه في اللغةِ: الخِيانةُ. و«المَكَّاس»: هو آخِذُها.
وأخرجَ مُسلِمٌ في صَحِيحِه (١٦٩٥) في قِصَّةِ رَجمِ الغَامديَّة: «...لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ...». وفي هذا دليلٌ على عِظَمِ هذا الذَّنبِ، وأَنَّ المَكسَ مِنْ أقبحِ المعاصِي والذُّنوبِ والمُوبِقاتِ؛ وذلك لِكثرةِ مُطالباتِ النَّاسِ له وظِلامَاتِهم عنده. كما ذكرَ النوويُّ في شرحِه على صحيحِ مُسلم.
وأخرجَ أحمدُ في مُسنَدِه (١٦٨٤٣) وأبو داودَ في سننه (٢٩٣٧) مِنْ حَدِيثِ عُقبةَ بنِ عامرٍ مرفوعًا: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ». وضعَّفه الألبانيُّ في ضعيفِ سُننِ أبي داود (٦٣١). وحسَّنه الأرناؤوطُ بشواهدِه في تَعليقِه على المُسنَدِ (٢٨/ ٥٢٦).

الجزء ٩ الحزب ١٧

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ
إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟
هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ
كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا
بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا
ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

١٦٢

[٨٨] ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ عَنِ الإيمانِ ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: ترجِعُنَّ ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾: دِينِنا. وَغَلَّبُوا في الخِطابِ الجمعَ على الوَاحِدِ؛ لِأَنَّ شُعيبًا لم يكنْ في مِلَّتِهم قَطُّ. وعلى نحوِهِ أجابَ: ﴿قَالَ أَ﴾ نَعودُ فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ لها؟! استفهامُ إنكارٍ.

[٨٩] ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ﴾: يَنبغِي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيَخذُلَنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وَسِعَ عِلمُه كُلَّ شيءٍ، ومنه حَالي وحَالُكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾: احكُمْ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾: الحَاكِمِينَ.

[٩٠] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: قالَ بَعضُهم لِبَعضٍ: ﴿لَئِنِ﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

[٩١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزَلةُ الشَّدِيدَةُ ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: بَارِكِينَ على الرُّكَبِ ميِّتِينَ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾: مَبتدأٌ، وخَبرُه: ﴿كَأَن﴾ - مُخَفَّفَةٌ، واسمها مَحذوفٌ- أي: كأَنَّهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾: يُقِيمُوا ﴿فِيهَا﴾: في دِيارِهم.

[٩٢] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ التأكيدُ بإعادةِ المَوصُولِ وغَيرِه لِلردِّ عليهم في قولِهم السَّابقِ.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعْرَضَ ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تُؤمِنُوا ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾: أحزَنُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾؟ استفهامٌ بِمَعنَى النَّفيِ[1].

[٩٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ فكَذَّبُوه ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ﴾: عَاقَبْنا ﴿أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: شِدَّةِ الفَقرِ ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرضِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: يتذلَّلون فيُؤمِنونَ.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾: أعطيناهُم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾: العَذابِ ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾: الغِنَى والصِّحَّةَ ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾: كَثُروا ﴿وَّقَالُوا۟﴾ كُفرًا لِلنِّعمةِ: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كما مَسَّنا. وهذه عَادةُ الدَّهرِ، ولَيستْ بِعُقوبَةٍ مِنَ اللهِ، فكُونُوا على ما أنتُم عليه. قالَ تَعالَى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بِالعَذابِ ﴿بَغْتَةً﴾: فَجاةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوقتِ مَجيئِه قبلَه.

---

(١) أي: لن أحزنَ عليكم، وفي الآية إشارةٌ إلى أنّه ليس من شأنِ المؤمنِ الحزنُ لهلاكِ الكافرين.

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ المُكَذِّبينَ ﴿آمَنُوا﴾ بِالله ورُسُلِهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكُفرَ والمعاصِيَ ﴿لَفَتَحْنَا﴾ - بِالتَّخفيفِ والتَّشدِيدِ(١)- ﴿عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بِالمَطرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّباتِ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا﴾ الرُّسُلَ ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾: عَاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ المُكَذِّبونَ ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: عَذابُنا ﴿بَيَاتًا﴾: ليلًا ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ غَافِلونَ عنه؟

[٩٨] ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾: نَهارًا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾؟

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: استدراجَهُ إِيَّاهم بِالنِّعمَةِ وأخذَهم بَغتَةً(٢)؟ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: يَتبيَّنْ ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ بِالسُّكنَى ﴿مِن بَعْدِ﴾ هَلاكِ ﴿أَهْلِهَا أَن﴾ - فَاعِلٌ، مُخَفَّفَةٌ واسمُها محذوفٌ- أي: أنَّه ﴿لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم﴾ بِالعَذابِ ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كَما أَصبنَا مَنْ قَبلَهم؟ والهمزةُ في المَواضِعِ الأَربَعةِ لِلتوبيخِ، والفَاءُ والوَاوُ الدَّاخلةُ عليهما لِلعطفِ. وفي قِرَاءَةٍ: بِسُكونِ الوَاوِ في المَوضِعِ الأَوَّلِ(٣) عَطفًا بِـ﴿أَوْ﴾ ﴿وَ﴾ نَحنُ ﴿نَطْبَعُ﴾: نَختِمُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعِظةَ سَماعَ تَدبُّرٍ.

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ التي مَرَّ ذِكرُها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿مِنْ أَنبَائِهَا﴾: أَخبارِ أَهلِها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المُعجِزاتِ الظَّاهِراتِ ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عندَ مَجيئِهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾: كَفَروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلِ مَجيئِهم، بَلِ استَمرُّوا على الكُفرِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطَّبعِ ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ أي: النَّاسِ(٤) ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي: وفاءٍ بعهدِهم يومَ أَخذِ الميثاقِ(٥) ﴿وَإِن﴾ - مُخَفَّفَةٌ- ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾ أي: الرُّسلِ المذكُورينَ ﴿مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ التِّسعِ(٦) ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: قومِه ﴿فَظَلَمُوا﴾: كَفَروا ﴿بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِالكُفرِ مِنْ إِهلاكِهم؟

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليكَ. فكَذَّبه فقالَ:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ
فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ
لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ
أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن
قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

---

(١) ﴿لَفَتَّحْنَا﴾؛ بِتشديدِ التَّاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ.

(٢) ومذهبُ السَّلفِ في هذا النَّوعِ مِنَ الصِّفاتِ إِثباتُه لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبْحَانَهُ-، وهي فيما سِيقَتْ له مَدحٌ وكَمالٌ، ولكنْ لا تُطلَقُ عليه عَزَّوَجَلَّ مُجرَّدةً بدونِ ذِكرِ مُتعلَّقِها، وكذا لا يُشتَقُّ له اسمٌ أو صِفةٌ منها؛ فلا يُقَالُ: مَاكِرٌ ولا مُخادِعٌ.

(٣) وهو قولُه تَعالَى: ﴿أَوْ أَمِنَ﴾؛ بِسُكونِ الوَاوِ، وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِفَتحِها: ﴿أَوَأَمِنَ﴾.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أكثرِ النَّاسِ).

(٥) وهو الميثاقُ الذي أخذَه الله مِنْ بَني آدَمَ، وهم في صُلبِ أبيهم آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢]. وسيأتي بمزيدٍ من التفصيلِ عندَ تفسيرِ الآية (١٧٢) مِن سُورة الأعراف.

(٦) أخرجَ الطبريُّ (١٥/ ١٠٢) بِسَندٍ حَسَنٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، قَالَ: «يَدُ مُوسَى، وَعَصَاهُ، وَالطُّوفَانُ، وَالجَرَادُ، وَالقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ وَالسِّنِينَ، وَنَقْصٌ مِنَ الثَّمَرَاتِ». قال الطبريُّ: «وَقَالَ آخَرُونَ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوا السِّنِينَ وَالنَّقْصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ آيَةً وَاحِدَةً، وَجَعَلُوا التَّاسِعَةَ: تَلَقُّفَ العَصَا مَا يَأْفِكُونَ». ويُنظرُ تفسيرُ الآيةِ (٧٥) مِنْ سُورةِ يُونس، والآية (١٠١) مِن سُورةِ الإسراءِ.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

[١٠٥] أنا ﴿حَقِيقٌ﴾: جديرٌ ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ أي: بأنْ ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ - وفي قراءةٍ: بتشديدِ الياءِ[١]، فـ﴿حَقِيقٌ﴾: مُبتدأٌ خبرُه: ﴿أَن﴾ وما بعده- ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾ إلى الشَّام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وكانَ استَعْبَدَهُمْ.

[١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ له: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دَعواكَ ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيها.

[١٠٧] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ.

[١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: أخرجَها مِن جيبِه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾: ذَاتُ شُعاعٍ[٢] ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خِلافُ ما كانت عليه مِنَ الأُدْمَةِ[٣].

[١٠٩] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾: فائقٌ في عِلمِ السِّحرِ- وفي «الشُّعراءِ»: أنَّه مِن قَولِ فِرعَونَ نفسِه؛ فكأنَّهم قالُوه معَه على سَبيلِ التَّشاوُرِ-.

[١١٠] ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟

[١١١] ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخِّرْ أمرَهُما ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: جامِعِينَ.

[١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ - وفي قِراءةٍ: ﴿سَحَّارٍ﴾[٤]- ﴿عَلِيمٍ﴾: يَفضُلُ مُوسَى في عِلمِ السِّحرِ؛ فجُمِعُوا.

[١١٣] ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ [أَئِنَّ]﴾ - بتحقيقِ الهمزتَينِ، وتسهيلِ الثانيةِ، وإدخالِ ألِفٍ بينهما على الوجهينِ[٥]- ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾؟

[١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عَصاكَ ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ ما معنا؟

[١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا۟﴾ - أمرَ للإذنِ بتقديمِ إلقائِهم؛ توسُّلًا به إلى إظهارِ الحقِّ- ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ حِبالَهم وعِصِيَّهم ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: صَرَفوها عن حَقيقةِ إدراكِها ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: خَوَّفُوهم؛ حيثُ خَيَّلُوها حَيَّاتٍ تَسعَى ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

[١١٧] ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ [تَلَقَّفُ]﴾ - بحَذفِ إحدى التَّاءَينِ مِنَ الأصلِ[٦]-: تَبتَلِعُ ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يَقلِبُونَ بتَمويهِهِم.

[١١٨] ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾: ثَبَتَ وظَهَرَ ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ السِّحرِ.

[١١٩] ﴿فَغُلِبُوا۟﴾ أي: فِرعَونُ وقَومُه ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾: صَارُوا ذَلِيلِينَ.

[١٢٠] ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

---

(١) مع فتحِها، أي: ياءِ ﴿عَلَىٰٓ﴾ مِن قَولِه: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾ وهي لِنافعٍ. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بألِفٍ بعدَ اللَّامِ: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾.

(٢) أخرجَ عبدُ الرَّزَّاقِ في تفسيرِه (١٨١٠) عَن قَتادَةَ، قالَ: «مِن غَيرِ بَرَصٍ». وأخرجَه مُقاتلٌ في تفسيرِه (٣/ ٣٤٤) عنه، قالَ: «تَخرُجُ يدُكَ مِنَ الجيبِ، بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ؛ يَعني مِن غيرِ بَرَصٍ، لها شُعاعٌ كشُعاعِ الشمسِ، يَغشَى البصرَ». وأخرجَ نحوَه ابنُ كثيرٍ (٣/ ٤٥٥) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ.

(٣) أي: السُّمرَة.

(٤) بلا ألِفٍ بعدَ السِّينِ، وبِفتحِ الحاءِ وتَشديدِها، وألِفٍ بعدَها؛ ﴿سَحَّارٍ﴾، لِحَمزَةَ والكِسائيِّ. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿سَٰحِرٍ﴾؛ بألِفٍ بعدَ السِّينِ، وكَسرِ الحاءِ مُخفَّفَة.

(٥) ظاهرُ كلامِ المُصنِّفِ يُفيدُ أنَّ هنا قِراءتَينِ فقط، مَع أنَّها أربعٌ هي:

١- نافعٌ وابنُ كثيرٍ وحفصٌ بهمزةٍ واحدةٍ، على الإخبارِ.

٢- أبو عمرٍو بهمزتَينِ مَع تسهيلِ الثانيةِ، وإدخالِ ألِفٍ بَينَ الهمزتَينِ.

٣- هِشامٌ بهمزتَينِ مُحقَّقتَينِ مَعَ الإدخالِ قولًا واحدًا، فهو مِنَ السَّبعةِ مَواضِعَ، التي لا خِلافَ عنه في الإدخالِ فيها.

٤- ابنُ ذكوانَ وشُعبةُ وحَمزةُ والكِسائيُّ بهمزتَينِ مُحقَّقتَينِ، مَعَ عدمِ الإدخالِ.

(٦) أي: وأصلُها: تَتَلقَّفُ، و﴿تَلَقَّفُ﴾؛ بفتحِ اللَّامِ وتَشديدِ القافِ: قِراءةُ السَّبعةِ عدا حفصٍ، وقرأ حفصٌ: ﴿تَلْقَفُ﴾؛ بِسُكونِ اللَّامِ وتَخفيفِ القافِ.

[١٢١] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لِعلمِهم بِأَنَّ ما شاهدُوه مِنَ العَصَا لا يَتأتَّى بِالسِّحرِ.

[١٢٣] ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ [أَءَامَنتُم]﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإِبدالِ الثانيةِ أَلِفًا[1] - ﴿بِهِۦ﴾: بِمُوسَى ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي صنعتُمُوه ﴿لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ ما ينالُكم مِنِّي.

[١٢٤] ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ أي: يَدَ كُلِّ وَاحِدٍ اليُمنَى ورِجلَه اليُسرَى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

[١٢٥] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعدَ مَوتِنا، بِأَيِّ وَجهٍ كانَ ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: رَاجِعُونَ فِي الآخِرةِ.

[١٢٦] ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾: تُنكِرُ ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ عندَ فِعلِ ما تَوعَّدَه بنا؛ لِئَلَّا نَرجِعَ كُفَّارًا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾.

[١٢٧] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ﴾ له: ﴿أَتَذَرُ﴾: تَترُكُ ﴿مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بِالدُّعاءِ إِلى مُخالفتِك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾؟ وكان صَنَعَ لهم أصنامًا صِغارًا يَعبدُونها، وقالَ: «أنا رَبُّكم ورَبُّها»[2]؛ ولِذا قالَ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[3]. ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ[4] - ﴿أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ المَولُودِينَ ﴿وَنَسۡتَحۡيِۦ﴾: نَستبقِي ﴿نِسَآءَهُمۡ﴾ كفِعلِنا بهم مِن قَبلُ ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾: قَادِرُونَ. ففعَلُوا بهم ذلك، فشَكا بنو إِسرائِيلَ.

[١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ على أذاهُم ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾: يُعطِيها ﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المحمُودةُ ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الله.

[١٢٩] ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ فيها؟

[١٣٠] ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾: بالقَحطِ ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُونَ فيُؤمنونَ.

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ
مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ١٢٤ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ
إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا
وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ
وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ
أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ
لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨
قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ
عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠

---

(١) وهي قِراءةُ نافعٍ والبَزِّيِّ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ؛ حيثُ قَرَأُوا بِهمزةٍ مُحقَّقةٍ وبعدَها همزةٌ بينَ بينَ، وبعدَها أَلِفٌ بَدلٌ مِنَ السَّاكنةِ، وكذلك قرأ قُنبل إذا ابتدأ بها، أمَّا في الوَصلِ فيقرأُ بواوٍ بَدلًا مِنَ الهَمزةِ الأُولى؛ لانضِمامِ ما قبلَها وهي مَفتوحةٌ، وخفَّفَ الثانيةَ بينَ بينَ إرادةَ التخفيفِ، وقرأ حفصٌ بإسقاطِ الأُولَى وتحقيقِ الثانيةِ وبعدَها أَلِفٌ، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وشُعبةُ بِهمزتَينِ مُحقَّقتَينِ بعدَهما أَلِفٌ، وكذلك في موضعِ «طه» و «الشُّعراء».

(٢) ذكره الثعلبيُّ في تَفسِيرِه (٤/ ٢١٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

(٣) النازعات: ٢٤.

(٤) بِالتخفيفِ؛ بِفَتحِ النُّونِ وإِسكانِ القَافِ وضَمِّ التَّاءِ بِلا تشديدٍ؛ ﴿سَنَقۡتُلُ﴾: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ، والبَاقونَ بِضَمِّ النُّونِ وفَتحِ القَافِ وكَسرِ التَّاءِ مُشدَّدةً؛ ﴿سَنُقَتِّلُ﴾.

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ
مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ
ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ
﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ
وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ
ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا
مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا
غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ
مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ
رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا
مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾: الخِصبُ والغِنَى ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ أي: نَستحقُّها- ولَم يَشكُرُوا عليها- ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾: جَدبٌ وبَلاءٌ ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾: يَتشاءَمُوا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ مِنَ المُؤمنينَ ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ﴾: شُؤمُهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يَأتِيهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ ما يُصيبُهم مِنْ عِندِه.

[١٣٢] ﴿وَقَالُواْ﴾ لِمُوسَى: ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ فدَعا عليهم.

[١٣٣] ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو مَاءٌ دَخلَ بُيوتَهم ووَصلَ إلى حُلوقِ الجالِسينَ سبعةَ أيامٍ[1]، ﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾ فأكلَ زَرعَهم وثِمارَهم كذلك، ﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾: السُّوسَ، أو نوعٌ مِنَ القُرادِ[2] فتَتبَّعَ ما تَركَهُ الجرادُ، ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فمَلأَتْ بُيوتَهم وطَعامَهم، ﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مِياهِهم ﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾: مُبيَّناتٍ ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عَنِ الإيمانِ بها ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾: العَذابُ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ﴾ مِنْ كَشْفِ العَذابِ عنَّا إنْ آمنَّا ﴿لَئِن﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا﴾ بِدُعاءِ مُوسَى ﴿عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾: يَنقُضُونَ عَهدَهم، ويُصِرُّونَ على كُفْرِهم.

[١٣٦] ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾: البَحرِ المِلحِ ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: بِسببِ أنَّهم ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾: لا يَتدبَّرونَها.

[١٣٧] ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ﴾ بِالاستعبادِ- وهُم بَنُو إسرائيلَ- ﴿مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ﴾ بِالماءِ والشَّجرِ- صِفةٌ للأرضِ، وهي: الشَّامُ- ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ وهي قولُه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[3] إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾ على أذَى عَدوِّهم ﴿وَدَمَّرۡنَا﴾: أهلَكنا ﴿مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ﴾ مِنَ العِمارةِ ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ - بِكسرِ الرَّاءِ وضَمِّها[4]-: يَرفعونَ مِنَ البُنيانِ.

---

(١) ذَكرَه البغويُّ بِنحوِه في تَفسيرِه (٣/ ٢٦٩) عَنْ قَتادَةَ ومُحمَّدِ بنِ إسحاقَ: «ودَامَ ذَلِكَ عَلَيهِمْ سَبعَةَ أيَّامٍ، مِنَ السَّبْتِ إلَى السَّبْتِ». وأخرجَ ابنُ جريرٍ في تفسيرِه (١٥٠١٧) عَنْ قَتادَةَ، قَالَ: «أرسَلَ اللهُ عَلَيهِمُ الماءَ حَتَّى قَامُوا فِيهِ قِيامًا».

(٢) أخرجَ ابنُ جريرٍ (١٥٠٠٢)، وابنُ أبي حاتمٍ (٨٨٧١) عَنْ سَعيدِ بنِ جُبَيرٍ، عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قَالَ: «القُمَّلُ: هُوَ السُّوسُ الَّذِي يَخرُجُ مِنَ الحِنطَةِ». وأخرجَ ابنُ جريرٍ (١٥٠١٣) عَنِ ابنِ وَهبٍ عَنْ عبدِ الرحمنِ بنِ زَيدٍ، قَالَ: «زَعَمَ بَعضُ النَّاسِ فِي القُمَّلِ أنَّهَا البَرَاغِيثُ». وروى ابنُ جريرٍ (١٥٠١٣) عَنْ أبِي بَكرٍ، قَالَ: سَمِعتُ سَعيدَ بنَ جُبَيرٍ، والحَسَنَ، قَالا: «القُمَّلُ: دَوابُّ سُودٌ صِغَارٌ». وقِيلَ: هو القُمَّلُ المعروفُ. قال ابنُ حَجرٍ في الفَتحِ (٨/ ٣٠٠): «واختُلِفَ فِي تَفسيرِ القُمَّلِ اختِلافًا كَثِيرًا؛ قِيلَ: السُّوسُ. وقِيلَ: الدَّبَا بِفَتحِ المُهمَلَةِ والمُوَحَّدَةِ، مُخَفَّفٌ، وهُوَ: صِغَارُ الجَرَادِ. وقَالَ الرَّاغِبُ: وقِيلَ: دَوابُّ سُودٌ صِغَارٌ. وقِيلَ: صِغَارُ الذَّرِّ. وقِيلَ: هُوَ القُمَّلُ المَعرُوفُ. وقِيلَ: دَابَّةٌ أصغَرُ مِنَ الطَّيرِ، لَهَا جَنَاحٌ أحمَرُ، ومِنْ شَأنِهِ أنْ يَمُصَّ الحَبَّ مِنَ السُّنبُلَةِ فَتَكبَرُ السُّنبُلَةُ ولَا حَبَّ فِيهَا. وقِيلَ فِيهِ غَيرُ ذَلِكَ»، وأيًّا كان المقصودُ به؛ فهو عذابٌ سلَّطه اللهُ على آلِ فِرعونَ لِكُفرِهم.

(٣) القَصص: ٥. وفي نُسخةِ قَباوَة: (﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ إلى آخرِه)، ودُونَ قولِه: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

(٤) ﴿يَعۡرُشُونَ﴾؛ بِضَمِّ الرَّاءِ: قِراءَةُ شُعبةَ وابنِ عامرٍ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِكَسرِها: ﴿يَعۡرِشُونَ﴾.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ
عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا
لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ
مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم
مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ
أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً
وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ
ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا
تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ
أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

نصف الحزب ١٧

[١٣٨] ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾: عَبَرْنَا ﴿بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟﴾: فمَرُّوا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ - بِضَمِّ الكافِ وكسرِها[(١)] - ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: يُقيمُونَ على عِبادتِها ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾: صَنمًا نَعبدُه ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ حيثُ قَابلتُم نِعمةَ الله عليكم بِما قُلتُمُوه.

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾: هَالِكٌ ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[١٤٠] ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾: مَعبُودًا - وأصلُه: أبغي لَكم - ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في زَمانِكم؟ بِما ذَكرَه في قَولِه:

[١٤١] ﴿وَ﴾ اذكُروا ﴿إِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ - وفي قِراءَةٍ: ﴿أَنجَاكُم﴾[(٢)] - ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يُكلِّفُونكم ويُذِيقُونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أَشَدَّه؛ وهو: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يَستَبقُونَ ﴿نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاءِ أوِ العَذابِ ﴿بَلَآءٌ﴾: إنعامٌ أوِ ابتلاءٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تتَّعِظونَ فتَنتَهُونَ عمَّا قُلتُم؟

[١٤٢] ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا﴾ - بألِفٍ ودُونِها[(٣)] - ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ نُكَلِّمُهُ عِندَ انتِهائِها؛ بِأَنْ يصومَها - وهي: ذُو القَعدةِ[(٤)] - فصَامَها، فلَمَّا تَمَّتْ أنكرَ خُلُوفَ فَمِهِ؛ فاستَاكَ؛ فأَمرَه اللهُ بِعَشرةٍ أُخرَى لِيُكلِّمَهُ بِخلُوفِ فَمِهِ[(٥)]؛ كَما قالَ تَعالَى: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ مِنْ ذِي الحِجَّةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾: وَقتُ وَعْدِه بِكَلامِه إيَّاه ﴿أَرْبَعِينَ﴾: حالٌ ﴿لَيْلَةً﴾: تَمييزٌ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عِندَ ذَهابِه إلى الجَبلِ لِلمُناجاةِ: ﴿ٱخْلُفْنِي﴾: كُنْ خَليفَتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أمْرَهُمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بِمُوافَقتِهم على المَعاصِي.

[١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: لِلوقتِ الذي وَعدنَاه بِالكلامِ فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا وَاسِطَةٍ كَلامًا يَسمعُه مِنْ كُلِّ جِهَةٍ[(٦)] ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ نَفسَكَ ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي: لا تَقدِرُ على رُؤيتِي. والتَّعبيرُ بِه دُونَ: «لَنْ أُرَى» يُفِيدُ إمكانَ رُؤيتِه -تَعالَى- ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوَى مِنكَ ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾ ثَبَتَ ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ أي: تَثبُتُ لِرُؤيتِي، وإلَّا فلا طَاقةَ لكَ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي: ظَهرَ مِنْ نُورِه قَدْرُ نِصفِ أُنمُلَةِ الخِنصِرِ. كما في حَديثٍ صَحَّحه الحاكِمُ[(٧)] ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ - بِالقَصرِ والمَدِّ[(٨)] - أي: مَدكُوكًا مُستَوِيًا بِالأرضِ ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مَغشِيًّا عليه لِهَولِ ما رَأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهًا لكَ! ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ مِنْ سُؤالِ ما لَمْ أُؤمَرْ به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في زَمانِي.

---

(١) ﴿يَعْكِفُونَ﴾؛ بِكَسرِ الكَافِ: قِراءَةُ حَمزةَ والكِسائِيِّ، وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِضَمِّها؛ ﴿يَعْكُفُونَ﴾.

(٢) لابنِ عامرٍ.

(٣) بِدُونِ ألِفٍ: قِراءَةُ أبي عَمرٍو.

(٤) أخرجَ ابنُ أبي حاتم (٨٩٢٠) عَنْ عَطاءٍ قَالَ: «كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾، «ذُو الْقَعْدَةِ، وَعَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ». وأخرج نحوَه عبدُ الرزَّاق في تَفسيرِه (٩٣٤)، وابنُ جرير (١٥٠٦٢) عَنْ مُجاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف:١٤٢]، قَالَ: «ذُو الْقَعْدَةِ» ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف:١٤٢]، قَالَ: «بِعَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ».

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (بِخلوف فيه). وخُلوفُ الفَمِ: هو تَغيُّرُ رَائحتِه مِن أثرِ الصِّيامِ. والأثرُ أخرجَه الديلمي بنحوِه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَرفوعًا، كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٣/ ٥٣٦)، وعزاه الواحديُّ لابنِ عَبَّاسٍ في التفسيرِ الوسيطِ (٢/ ٤٠٥) بدونِ إسنادٍ. وقالَ ابنُ كثيرٍ (٣/ ٤٦٨): «قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: فَصَامَهَا مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ- أي: الثَّلَاثِينَ لَيْلَةً- فَلَمَّا تَمَّ الْمِيقَاتُ اسْتَاكَ بِلِحَاءِ شَجَرَةٍ، فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُكْمِلَ بِعَشْرٍ أَرْبَعِينَ».

(٦) وهذا فِرارٌ مِنَ المُفسِّرِ مِنْ إثباتِ الجِهةِ والعُلوِّ بذاتِه -سُبْحَانَهُ- كما هو مَذهبُ الأشاعرةِ. وأمَّا عندَ أهلِ السُّنَّةِ: فهم مُجمِعُونَ على إثباتِ هذا العُلوِّ، ومنهم مَنْ يُثبتُ الجِهةَ، لكن يَقصدونَ بذلك إثباتَ العُلوِّ، ومنهم من قالَ -في الجِهةِ والمكانِ-: لا ينبغي إثباتُها ولا نفيُها مُطلقًا. يَعني يُستفصَلُ القَائِلُ بذلك عَن مُرادِه؛ فإن أرادَ نفيَ العُلوِّ، أو غيرَه مِنَ المعاني البَاطلةِ؛ رُدَّ قولُه، وإن أرادَ بذلكَ إثباتَ العُلوِّ، وافقنَاه، وهذا هو الصحيحُ -إن شاء الله-.

(٧) المستدرَكُ (٢/ ٣٢٠) وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ مُسلم. ووَافقَه الذَّهبِيُّ. وروى أحمد (١١٨١٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣] قَالَ: «قَالَ: هَكَذَا، يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِنْصَرِ». وفي سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٣٠٠٠) عَن أنسٍ مَرفوعًا ذِكْرُ أنمُلةِ الإصبع. وصَحَّحه الألبانيُّ في صَحيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٥٨). وفي السنةِ لابنِ أبي عاصم ومعه ظلال الجنَّة (٤٨٠) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، قَالَ: «وَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ طَرَفِ أُنْمُلَتِهِ، فَسَاخَ الْجَبَلُ»، وصَحَّحه الألبانيُّ. وفيها (٤٨١): «أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ خِنْصَرِهِ».

(٨) ﴿دَكَّآءَ﴾ بِالمدِّ مُتَّصلًا: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسائِيِّ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ ﴿دَكًّا﴾؛ بِالقَصرِ.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا
لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا
وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ
ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ
عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ
وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن
لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ -تَعَالَى- له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾: اخترتُكَ ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: أهلِ زمانِكَ ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ - بِالجمعِ والإفرادِ[1]- ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ أي: تكليمِي إيَّاكَ ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ مِنَ الفَضلِ ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لِأنعُمِي.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ أي: ألواحِ التَّوراةِ. وكانَتْ مِنْ سِدْرِ الجنَّةِ، أو زَبَرْجَدٍ، أو زُمرُّدٍ، سَبعةً[2] أو عَشرةً[3] ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يُحتاجُ إليه في الدِّينِ ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا﴾: تبيينًا ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾: بدلٌ مِنَ الجارِّ والمَجرورِ قَبْلَهُ ﴿فَخُذۡهَا﴾- قَبلَه: «قُلنا» مُقدَّرًا- ﴿بِقُوَّةٖ﴾: بِجِدٍّ واجتهادٍ ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: فِرعَونَ وأتباعِه- وهي: مِصرُ- لِتَعتَبِرُوا بهم.

[١٤٦] ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾: دَلائلِ قُدرتي مِنَ المصنوعَاتِ وغيرِها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ بِأنْ أَخذُلَهُمْ؛ فلا يَتفكَّرونَ فيها[4] ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ﴾: طريقَ ﴿ٱلرُّشۡدِ﴾: الهُدى الذي جَاءَ مِنْ عِندِ الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾: يَسلُكُوه ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾: الضَّلالِ ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ﴾ الصَّرفُ ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ -تقدَّم مِثْلُهُ[5]-.

[١٤٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: البَعْثِ وغَيرِه[6] ﴿حَبِطَتۡ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡۚ﴾: ما عملوه في الدُّنيا مِنْ خيرٍ؛ كَصِلَةِ رَحِمٍ وصَدَقةٍ؛ فلا ثَوابَ لهم[7]؛ لِعَدمِ شَرْطِه ﴿هَلۡ﴾: ما ﴿يُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جَزاءَ ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ مِنَ التكذِيبِ والمَعاصِي؟

[١٤٨] ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: بعدِ ذَهابِه إلى المُناجَاةِ ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ الذي استعارُوه مِنْ قومِ فِرعَونَ بِعِلَّةِ عِرْسٍ[8]؛ فبَقِيَ عِندَهم ﴿عِجۡلٗا﴾ صَاغَه لهم منه السامريُّ ﴿جَسَدٗا﴾: بدلٌ؛ لَحمًا ودَمًا ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ أي: صَوتٌ يُسمعُ. انْقَلَبَ كذلك بِوَضعِ التُّرابِ الذي أَخذَه مِنْ حَافرِ فَرَسِ جِبريلَ في فَمِه؛ فإِنَّ أَثَرَهُ الحَيَاةُ فيما يُوضَعُ فيه[9]. ومَفعولُ ﴿ٱتَّخَذَ﴾ الثاني مَحذوفٌ؛ أي: إِلهًا ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ فكيفَ يُتَّخَذُ إلهًا؟! ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلهًا ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ بِاتِّخاذِه.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: نَدمُوا على عِبادتِه ﴿وَرَأَوۡاْ﴾: عَلِمُوا ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ بها- وذلكَ بعدَ رُجوعِ مُوسَى- ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا﴾ -بِاليَاءِ والتَّاءِ فيهما[10]- ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

---

(١) ﴿بِرِسَٰلَتِي﴾ بِالإفرادِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالجمعِ؛ ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾.

(٢) رَواهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (٨٩٥٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

(٣) لَم نقفْ عليه. والصَّحيحُ عدمُ تحديدِ شيءٍ مِن ذلكَ مِنْ غيرِ دليلٍ يُعتدُّ به. ولا فائدةَ تُذْكَرُ مِن تعيينِ عددِ الألواحِ، وقد أَبهَمَها القُرآنُ الكَريمُ.

(٤) قالَ ابنُ تيميةَ في الاستقامة (٤/ ٢٨٤): «قالَ طَائِفَةٌ من السَّلفِ: أَمنَعُ قُلُوبَهم عَن فَهمِ القُرْآنِ».

(٥) في آخرِ الآيةِ (١٣٦) مِنْ هذه السُّورَةِ.

(٦) وهو يَتضمَّنُ لِقاءَ الله عَزَّوَجَلَّ وهو لِقاءٌ حقيقيٌّ كيفما يَشاؤه ربُّنا عَزَّوَجَلَّ. كما سبقَ بيانُه في التعليقِ على الآيةِ (٤٦) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٧) في الآخِرةِ؛ لِعَدَمِ إِيمانِهم، ولكنَّهم يُجازَونَ عليه في الدُّنيا لِحديثِ أنسِ بن مالكٍ مرفوعًا عِندَ مُسْلِمٍ وغيرِه: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٨٠٨). وفي الآيةِ والحَديثِ ردٌّ وَاضِحٌ على مَنْ يُغالي في الثَّناءِ على أمواتِ الكُفَّارِ، الذين مَاتُوا على الكُفْرِ، مِنَ الذين لهم أعمالٌ ومواقفُ جَيِّدةٌ، فيَشهَدُ لهم بِالجَنَّةِ؛ لاختراعَاتِهم وأعمالِهم الدُّنيويَّةِ!

(٨) هذا قولُ أكثرِ المُفسِّرينَ، وظاهرُ الآيةِ يقتضِي أنَّ الحُليَّ مِلكٌ لهم؛ وأنَّ الإضافةَ في قولِه: ﴿حُلِيِّهِمۡ﴾ هي إضافةُ المِلكِ. لكنْ قولُهم في آيةِ طه: ﴿حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ [طه:٨٧] بإضافةِ الزِّينةِ إلى غيرِهم وهُمُ القبطُ يُعكِّرُ على ذلك. وأُجيبَ بأنَّ قولَهم يحتملُ أن يكونَ لِظنِّهم الحُرمةَ لِجهلِهم في أنفسِهم، وقيلَ غيرَ ذلك. واللهُ أعلمُ.

(٩) أخرجَ ابنُ أبي شيبةَ وعبدُ بن حميد وابنُ المنذر، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ٢٣٤)، عَنْ مُجاهِدٍ في قولِه: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف:١٤٨]. قالَ: حينَ دَفنُوها ألقى عليها السامريُّ قبضةً مِن تُرابٍ مِن أثرِ فرسِ جبريلَ عليه السلام.

(١٠) بِالتَّاءِ في الفعلَينِ؛ ونَصْبِ باءِ «ربَّنا»؛ منصوبًا على النِّداءِ؛ ﴿ترحمنا ربنا وتغفر﴾: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ، وعلى قِراءةِ اليَاءِ يكونُ ﴿رَبُّنَا﴾ مَرفوعًا على الفاعليةِ.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ مِن جهتِهم ﴿أَسِفًا﴾: شديدَ الحُزنِ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿بِئْسَمَا﴾ أي: بِئسَ خِلافةً ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾ ـها ﴿مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ خِلافتُكم هذه؛ حيثُ أشركتُم! ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾[*]: ألواحَ التَّوراةِ غضبًا لربِّه؛ فتكسَّرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعرِه بيمينِه، ولحيتِه بشمالِه ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ غضبًا ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ - بكسرِ الميمِ[١] وفتحِها؛ أرادَ: أُمِّي، وذِكْرُها أعطفُ لِقلبه- ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟﴾: قارَبوا ﴿يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ﴾: تُفرِحْ ﴿بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بإهانتِك إيَّايَ ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعبادةِ العِجلِ في المؤاخذةِ.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ ما صنعتُ بأخي ﴿وَلِأَخِى﴾ - أشرَكَه في الدُّعاءِ؛ إرضاءً له ودفعًا للشَّماتةِ به- ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

[١٥٢] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾: عذابٌ[٢] ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فعُذِّبوا؛ بالأمرِ بقتلِ أنفسِهم، وضُرِبَت عليهم الذِّلَّةُ إلى يومِ القيامةِ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ على اللهِ؛ بالإشراكِ وغيرِه.

[١٥٣] ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟﴾: رَجعُوا عنها ﴿مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟﴾ باللهِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: التوبةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾: سكَنَ ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ أي: ما نُسِخَ فيها؛ أي: كُتِبَ ﴿هُدًى﴾ مِن الضَّلالةِ ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: يخافونَ. وأُدخِلَ اللَّامُ على المفعولِ لِتقدُّمِه[٣].

[١٥٥] ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي: مِن قومِه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممَّن لم يعبدُوا العِجلَ، بأمرِه -تعالَى- ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ أي: لِلوقتِ الذي وعدناه بإتيانِهم فيه؛ لِيَعتذِروا مِن عبادةِ أصحابِهم العِجلَ؛ فخرجَ بهم ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزلةُ الشَّديدةُ- قال ابنُ عبَّاسٍ: «لأنَّهم لم يُزايِلوا قومَهم حِينَ عبَدُوا العِجلَ»[٤]. قال: «وهُم غيرُ الذينَ سألُوا الرؤيةَ وأخذتْهم الصَّاعقةُ»[٥]- ﴿قَالَ﴾ موسَى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: قَبلَ خُروجِي بهم؛ لِيُعاينَ بنو إسرائيلَ ذلكَ ولا يتَّهِموني ﴿وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾؟ استفهامُ استعطافٍ؛ أي: لا تُعذِّبْنا بذنبِ غيرِنا ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هِىَ﴾ أي: الفتنةُ التي وقعَتْ فيها السُّفهاءُ ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤكَ ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ إضلالَه ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ هدايتَه ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: مُتولِّي أمورِنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

---

[*] **فائدةٌ**: أخرجَ أحمدُ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ، فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا، أَلْقَى الْأَلْوَاحَ فَانْكَسَرَتْ». المسند (١/ ٢٧١)، وصحَّحَه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

---

(١) بالكسرِ: ﴿أُمِّ﴾: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وابنِ عامرٍ وشُعبةَ، وقرأَ بقيَّةُ السَّبعةِ بفتحِ الميمِ: ﴿أُمَّ﴾.

(٢) تأويلُ الغضبِ مِنَ اللهِ بالعذابِ هذا مذهبُ المعطِّلةِ. وأمَّا مذهبُ السَّلفِ فإثباتُ هذه الصِّفةِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوجهِ اللائقِ به، ومِن لازمِها استحقاقُهم العذابَ.

(٣) أي: أدخلَ اللامَ على المفعولِ، الذي هو: «ربهم»؛ لِتقدُّمِه على الفعلِ: «يرهبون»؛ لأنَّه لمَّا تقدَّمَ ضعُفَ فقُوِّيَ باللامِ. حاشيةُ الجمل على الجلالين، المسمَّاةُ بالفتوحاتِ الإلهيةِ بتوضيحِ تفسيرِ الجلالَينِ للدقائقِ الخفيَّةِ (٢/ ١٩٥).

(٤) أخرجَ ابنُ جريرٍ (١٥١٦٣)، وعبدُ بن حميد وابنُ أبي عمر العدني في مُسنَدِه وأبو الشيخ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ٢٣٨، ٢٣٩)، عَن سعيدِ بنِ حيَّانَ، عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قال: «إِنَّ السَّبْعِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ، إِنَّمَا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ؛ إِنَّهُمْ لَمْ يَرْضَوْا وَلَمْ يَنْهَوْا عَنِ الْعِجْلِ».

(٥) وهذا الذي ذكرَه المصنِّفُ ذكرَه أيضًا البغويُّ في تفسيرِه (٣/ ٢٨٦) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قال: «إِنَّ السَّبْعِينَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة:٥٥]، كَانُوا قَبْلَ السَّبْعِينَ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ».

قلتُ: ولكن أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ وأبو الشيخ عن نوفٍ البِكاليِّ ما يفيدُ أنَّهم هم الذين سألوا الرُّؤيةَ، وقد ساقَ مقاتلٌ في تفسيرِه (١/ ١١٦)، وكذلكَ الشوكانيُّ في تفسيرِه فتح القدير (٢/ ٢٨٦) ما يُفيدُ أنَّهم هم أنفسهم؛ حيثُ قالَ: «...لأنَّ سَبَبَ أَخْذِ الرَّجْفَةِ لَهُمْ مَا حَكَى اللهُ عنهم مِن قولهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْبَقَرَةِ. وَقِيلَ: هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ غَيْرُ مَنْ قَالُوا: أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً؛ بَلْ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ، بِسَبَبِ عَدَمِ انْتِهَائِهِمْ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَمْ يَرْضَوْا بِعِبَادَةِ الْعِجْلِ وَلَا نَهَوُا السَّامِرِيَّ وَمَنْ مَعَهُ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ بِسَبَبِ سُكُوتِهِمْ». واللهُ أعلم.

* وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ
إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي
وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ
فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ
عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ
عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ
ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن
قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

[١٥٦] ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ﴾: أوجِبْ[١] ﴿لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حسنةً ﴿إِنَّا هُدۡنَآ﴾: تُبْنا ﴿إِلَيۡكَۚ قَالَ﴾ -تعالَى-: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ﴾: عمَّتْ ﴿كُلَّ شَيۡءٖ﴾ في الدُّنيا ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ في الآخِرَةِ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

[١٥٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ باسمِه وصِفتِه ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِمَّا حُرِّم في شرعِهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ مِنَ الميتةِ ونحوِها ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾: ثِقلَهم ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾: الشَّدائدَ ﴿ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ كقتلِ النَّفسِ في التَّوبةِ[٢]، وقطعِ أثرِ النَّجاسةِ[٣] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: وقَّرُوهُ ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: القرآنَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

[١٥٨] ﴿قُلۡ﴾ - خِطابٌ للنَّبيِّ ﷺ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: القرآنِ ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾: ترشُدُونَ.

[١٥٩] ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ﴾: جماعةٌ ﴿يَهۡدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ في الحُكمِ.

---

(١) وفيه إثباتُ صِفةِ الكِتابةِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائقِ به، وقَدْ ثَبتَتْ هذه الصِّفةُ في أحاديثَ كثيرةٍ صَحيحةٍ؛ منها ما جاءَ عند أحمد (٩٥٩٧)، والترمذيِّ (٣٥٤٣) وغيرِهما مِنْ حديثِ أبي هُرَيرةَ مَرفوعًا: «لمَّا خَلَقَ الله الخَلْقَ كَتَبَ بيَدِهِ على نَفْسِهِ أنَّ رَحْمَتي تَغْلِبُ غَضَبِي» وصَحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (١٧٥٥). وفي حديثِ احتِجاجِ آدمَ ومُوسَى المتَّفقِ عليه؛ البُخاريُّ (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، مِنْ حديثِ أبي هُرَيرةَ مرفوعًا: «فقالَ آدَمُ: يا مُوسى اصْطَفَاكَ اللهُ بكَلامِهِ وخَطَّ لَكَ التَّوْراةَ بيَدِهِ». وقد سبَقَ التنبيهُ إلى ذلك في سُورةِ آلِ عِمرانَ الآيةَ: (١٨١).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤]؛ أي: ليَقتُلِ البريءُ منكم الذي لم يَعبُدِ العِجلَ الذي عَبَدَه منكم.

(٣) أخرجَ البُخاريُّ في صَحيحِه (٢٢٦) عَنْ أبي وَائِلٍ، قالَ: كانَ أبُو مُوسَى الأشعَرِيُّ يُشَدِّدُ في البَوْلِ، ويَقُولُ: «إنَّ بَني إسْرائيلَ كانَ إذا أصابَ ثَوْبَ أحَدِهِمْ قَرَضَهُ»، وأخرجه مسلمٌ في صَحيحِه (٢٧٣) عنه بلفظ: «إنَّ بَني إسْرائيلَ كانَ إذا أصابَ جِلْدَ أحَدِهِمْ بَوْلٌ قَرَضَهُ بالمَقارِيضِ»؛ قَرَضَهُ: أي: قَطَعَهُ. قال الحافظُ في الفتح (١/ ٣٣٠): «قالَ القُرْطُبيُّ: مُرادُهُ بالجِلْدِ واحِدُ الجُلُودِ الَّتي كانُوا يَلْبَسُونَها. وحَمَلَهُ بَعْضُهُمْ على ظاهِرِهِ، وزَعَمَ أنَّهُ مِنَ الإصْرِ الَّذي حَمَلُوهُ، ويُؤَيِّدُهُ رِوايَةُ أبي داوُدَ؛ فَفِيها: «كانَ إذا أصابَ جَسَدَ أحَدِهِمْ» لكِنَّ رِوايَةَ البُخارِيِّ صَرِيحَةٌ في الثِّيابِ؛ فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ رَواهُ بالمَعْنَى».

[١٦٠] ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾: فَرَّقنا بني إسرائيلَ ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾: حالٌ ﴿أَسْبَاطًا﴾: بَدلٌ منه؛ أي: قَبائِلَ ﴿أُمَمًا﴾: بَدلٌ مِمَّا قَبلَه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التِّيهِ ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ فضَربَه ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾: انفجرَتْ ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بِعَددِ الأَسبَاطِ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سِبطٍ منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ في التِّيه، مِنْ حَرِّ الشَّمسِ ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[*] - هُما التَّرَنْجبِينُ[1] والطَّيرُ السُّمانَى؛ بِتخفيفِ الميمِ والقَصرِ - وقُلنا لهم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيتَ المَقْدِسِ ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟﴾: أمْرُنا ﴿حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي: بابَ القَريةِ ﴿سُجَّدًا﴾: سُجُودَ انحناءٍ ﴿نَّغْفِرْ﴾ - بِالنُّونِ، والتَّاءِ[2] مَبنيًّا لِلمفعولِ[3] - ﴿لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بِالطاعةِ ثَوابًا.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقَالُوا: حَبَّةٌ في شَعرَةٍ. ودَخَلُوا يَزحَفُونَ على أستاهِهم[**] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾: عَذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦٣] ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ - يا مُحمَّد- توبيخًا ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: مُجاوِرَةَ بَحرِ القُلْزُمِ[4]- وهي: «أيلَة»[5]- ما وَقعَ بِأَهلِها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾: يعتَدونَ ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بِصَيدِ السَّمكِ المأمُورينَ بِتركِه فيه ﴿إِذْ﴾: ظَرفٌ لِـ﴿يَعْدُونَ﴾ ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾: ظَاهِرةً على الماءِ ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾: لا يُعظِّمُونَ السَّبتَ؛ أي: سَائِرَ الأَيَّامِ ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاءً مِنَ الله ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ ولَمَّا صَادُوا السَّمكَ افترقَتِ القَريةُ أَثلاثًا: ثُلُثٌ صَادُوا معهم، وثُلُثٌ نَهَوْهُم، وثُلُثٌ أَمسَكُوا عَنِ الصَّيدِ والنَّهيِ.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ
مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾
وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ
لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ
كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ سَعيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمرِو بْنِ نُفَيلٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ». مسلمٌ - كتاب الأشربة (٣٦) باب (٢٨) فَضلِ الْكَمْأَةِ، وَمُدَاوَاةِ الْعَيْنِ بِهَا.

[**] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعرَةٍ». البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأعراف (٧).

(١) وهو شيءٌ حُلوٌ كان ينزِلُ عليهم مثل الثَّلجِ. وقال القرطبيُّ (١/ ٤٠٦): «وَيُقَالُ: «الطَّرَنْجَبِينُ» بِالطَّاءِ، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ. وَقِيلَ: صَمْغَةٌ حُلْوَةٌ. وَقِيلَ: عَسَلٌ. وَقِيلَ: شَرَابٌ حُلْوٌ».

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وبالتَّاءِ).

(٣) بِالتَّاءِ مبنيًّا لِلمفعولِ؛ ﴿تُغفَرْ﴾ لابنِ عامرٍ ونافعٍ، لكنِ ابنُ عامرٍ قرأ: ﴿خَطِيٓئَتُكُمْ﴾ بِالإفرادِ، ونافعٌ بِالجمعِ؛ ﴿خَطِيٓئَاتُكُمْ﴾ وكِلاهما مَعَ رَفعِ التَّاءِ. وقرأ الباقونَ بِالنُّونِ، لكنَّ أبا عمرٍو قرأ: ﴿خَطَايَٰكُمْ﴾ مِن غيرِ تاءٍ، على الجمعِ المُكسَّرِ لِـ«خَطِيئة»، كَالذي في سُورةِ «البقرة»، وقرأ الباقونَ: ﴿خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ بِالجمعِ مَعَ كسرِ التَّاءِ.

(٤) وهو البحرُ الأحمرُ حاليًا.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٥٢): «الجُمْهُورُ أَنَّ الْقَرْيَةَ الْمَذْكُورَةَ أَيْلَةُ، وَهِيَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ الْحَاجِّ الذَّاهِبِ إِلَى مَكَّةَ مِنْ مِصرَ».

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٦٤
فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ١٦٥
فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ١٦٦
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ
سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
١٦٧ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ١٦٨ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن
يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ
أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦٩ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠

[١٦٤] ﴿وَإِذْ﴾: عَطفُ على ﴿إِذْ﴾ قَبلَهُ ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ -لَمْ تَصِدْ ولَمْ تَنْهَ- لِمَنْ نَهى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾: مَوعِظتُنا ﴿[مَعْذِرَةٌ]﴾[١]: نعتذرُ بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لِئلَّا نُنسبَ إلى تقصيرٍ في تَرْكِ النَّهيِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصَّيدَ.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تَركُوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾: وُعِظوا ﴿بِهِۦٓ﴾ فلم يرجِعُوا ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِالاعتداءِ ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾: شديدٍ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾: تكبَّرُوا ﴿عَن﴾ تَرْكِ ﴿مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾: صَاغِرِينَ. فكانُوها. وهذا تفصيلٌ لِمَا قَبلَه. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «مَا أَدري ما فُعِلَ بِالفرقةِ السَّاكتةِ»[٢]. وقالَ عِكرمةُ: «لَم تَهلِكْ؛ لأنَّها كَرِهتْ ما فَعَلُوهُ، وقالتْ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ إلخ». ورَوى الحاكمُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أنَّه رَجَعَ إِليه وأعجبَه[٣].

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أَعلمَ[٤] ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أَيِ: اليَهودِ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بِالذُّلِّ وَأَخْذِ الجِزيَةِ؛ فبَعثَ عليهم «سُليمانَ»، وبَعدَه «بُختَنَصَّرَ»، فقتلَهم وَسَبَاهُمْ[٥]، وَضَرَبَ عليهم الجِزيةَ؛ فكانوا يُؤدُّونَها إِلى المَجُوسِ، إِلى أَنْ بُعِثَ نَبِيُّنا ﷺ؛ فضَربَها عليهم[٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمنْ عَصاهُ ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لأَهلِ طَاعتِه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٦٨] ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾: فرَّقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: فِرَقًا ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناسٌ ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾: الكُفَّارُ والفَاسقونَ ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ﴾: بِالنِّعَمِ ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: النِّقَمِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَن فِسقِهِمْ.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التوراةَ عَنْ آبائِهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: حُطامَ هذا الشيءِ الدَّنيءِ[٧]؛ أي: الدُّنيا مِنْ حَلالٍ وحَرامٍ ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلنَاه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الجُملةُ حالٌ؛ أَي: يَرجُونَ المغفرةَ، وهُم عَائِدونَ إِلى ما فَعلوه مُصِرُّونَ عليه، ولَيسَ في التَّوراةِ وَعْدُ المغفرةِ مَعَ الإِصْرارِ ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ -استفهامُ تقريرٍ- ﴿عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الإِضافةُ بِمعنَى: في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾: عَطفٌ على ﴿يُؤْخَذْ﴾: قَرأُوا ﴿مَا فِيهِ﴾؟ فَلِمَ كَذَبُوا عليه بِنسبةِ المغفرةِ إِليه مع الإِصرارِ؟! ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحَرامَ ﴿أَفَلَا [يَعْقِلُونَ]﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ[٨]- أَنَّها خيرٌ؛ فيُؤثِرُونَها على الدُّنيا؟

[١٧٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ - بِالتَّشديدِ والتَّخفيفِ[٩]- ﴿بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كَعبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ وأصحابِه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ الجُملةُ خَبرُ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وفيه وضعُ الظاهرِ مَوضِعَ المُضمَرِ؛ أَي: أجرَهم.

---

(١) قرأَ حفصٌ بِنَصْبِ التَّاءِ: ﴿مَعْذِرَةً﴾، والبَاقونَ برفعِها.

(٢) كان هذا في أوَّلِ الأمرِ؛ فكما رَوى الطَّبَريُّ في تَفسيرِه (١٥٦٢٩)، وأَخرَجَه عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابنُ المُنْذِرِ -كما في فتح القدير للشوكانيِّ (٢/ ٢٩٥)- بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: «﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف:١٦٤] قَالَ: مَا أَدْرِي أَنَجَا الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أَمْ لَا؟ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَرَّفْتُهُ أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فَكَسَانِي حُلَّةً». وكما في الأثرِ التالي:

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٣٥٢) عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ يَقْرَأُ فِي المُصْحَفِ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ بَصَرُهُ، وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ أَيْلَةَ؟ قُلْتُ: وَمَا أَيْلَةُ؟ قَالَ: قَرْيَةٌ كَانَ بِهَا نَاسٌ مِنَ اليَهُودِ، فَحَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمُ الحِيتَانَ يَوْمَ السَّبْتِ، فَكَانَتْ حِيتَانُهُمْ تَأْتِيهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ، شُرَّعًا بَيْضَاءَ سِمَانَ، كَأَمْثَالِ المَخَاضِ بِأَفْنِيَاتِهِمْ وَأَبْنِيَاتِهِمْ، فَإِذَا كَانَ فِي غَيْرِ يَوْمِ السَّبْتِ، لَمْ يَجِدُوهَا، وَلَمْ يُدْرِكُوهَا إِلَّا فِي مَشَقَّةٍ وَمَئُونَةٍ شَدِيدَةٍ- وسَاقَ قِصَّةً طويلةً-، وفيه: قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَاسْمَعِ اللهَ يَقُولُ فـ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ فَلَا أَدْرِي مَا فَعَلَتِ الفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ مُنْكَرٍ فَلَمْ نَنْهَ عَنْهُ؟! قَالَ عِكْرِمَةُ: فَقُلْتُ: مَا تَرَى -جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ- إِنَّهُمْ قَدْ أَنْكَرُوا، وَكَرِهُوا حِينَ قَالُوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ فَأَعْجَبَهُ قَوْلِي ذَلِكَ، وَأَمَرَ لِي بِبُرْدَيْنِ غَلِيظَيْنِ فَكَسَانِيهِمَا». قال الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ، وقالَ في التلخيصِ: صحيحٌ. وأَخرجَ نحوَه عبدُ الرَّزَّاقِ وابنُ جرير وابنُ أَبي حَاتمٍ والبيهقيُّ في سُنَنِه عَنْ عِكرمةَ، وأخرجَ نحوَه أيضًا عبدُ بن حميد وابنُ جرير وابنُ المنذر عن عِكرمةَ، كما في الدُّرِّ المنثور (٣/ ٢٥٢، ٢٥٣).

(٤) أخرجَه ابن أبي حاتم (١٣١٩٣)، وابنُ جرير (١٤/ ٤٨٩) عَنْ قَتَادَةَ. وقيلَ أيضًا: إنَّ الذي خرَّبَ بيتَ المقدسِ الخَرابَ الثاني هو: «طيطوس» الرُّوماني. ولا دليلَ صحيحَ على ترجيحِ شيءٍ من ذلك، فالأَوْلَى التوقُّفُ، والله أعلم. وسيأتي بمزيد من التفصيل عند تفسير سورة الإسراء: ٧.

(٥) قرأَ حفصٌ بِنَصْبِ التَّاءِ: ﴿مَعْذِرَةً﴾، والبَاقونَ برفعِها.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (وضربها عليهم). وأخرجَ ابنُ جَرِيرٍ الطبريُّ (١٥٢٩٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧]، قَالَ: «هِيَ الجِزْيَةُ، وَالَّذِينَ يَسُومُونَهُمْ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (الدنيِّ)؛ بالياءِ.

(٨) ﴿يَعْقِلُونَ﴾؛ بالياءِ: قِرَاءةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وشُعبةَ. وقرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بتَاءِ الخِطَابِ: ﴿تَعْقِلُونَ﴾.

(٩) بسكونِ الميمِ وتخفيفِ السِّينِ: ﴿يُمْسِكُونَ﴾: قِراءةُ شُعبةَ، وقرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بفتحِ الميمِ وتشديدِ السِّينِ: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾.

الحزب ١٨

۞ وَإِذ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ
خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا
بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ
يَرۡجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ
مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا
لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ
يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ
ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

[١٧١] ﴿ ۞ وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ﴾: رَفعناه مِنْ أصلِه ﴿فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ﴾: أيقنُوا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾: سَاقِطٌ عليهم؛ بِوعدِ الله إِيَّاهم بِوُقوعِه، إنْ لم يَقبلُوا أحكامَ التَّوراةِ- وكانوا أَبَوْهَا لِثِقَلِهَا- فَقَبِلُوا. وقُلنَا لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾: بِجِدٍّ واجتهادٍ ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ بِالعَملِ به ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

[١٧٢] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذۡ﴾: حِينَ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ - بدلُ اشتمالٍ مِمَّا قبلَه؛ بإِعادةِ الجارِّ- ﴿[ذُرِّيَّاتِهِمۡ]﴾[1] بِأَنْ أَخرجَ بَعضَهم مِنْ صُلبِ بَعضٍ مِنْ صُلبِ آدَمَ، نَسلًا بعدَ نَسلٍ؛ كَنَحْوِ ما يَتوالَدُونَ، كالذَّرِّ بِـ«نَعْمَانَ»، يَومَ عَرفةَ[2]، ونَصَبَ لهم دَلائلَ على رُبوبِيَّته، وَرَكَّبَ فيهم عقلًا ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ قالَ: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أنت ربُّنا ﴿شَهِدۡنَآۚ﴾ بِذلكَ. والإِشهادُ لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿[يَقُولُوا]﴾ -بِاليَاءِ والتَّاءِ[3] في المَوضِعَينِ- أي: الكُفَّارُ ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا﴾ التوحِيدِ ﴿غَٰفِلِينَ﴾: لا نَعرِفُه.

[١٧٣] ﴿أَوۡ [يَقُولُوا] إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾ أي: قَبلِنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ فاقتَدَينا بهم ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا﴾: تُعذِّبُنَا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ مِنْ آبائِنا؛ بِتأسيسِ الشِّركِ؟ المعنَى: لا يُمكنُهم الاحتجاجُ بِذلكَ مع إِشهادِهم على أنفسِهم بِالتوحيدِ، والتَّذكيرُ به على لسانِ صاحبِ المُعجزةِ قَائمٌ مَقامَ ذِكْرِه في النُّفوسِ.

[١٧٤] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: نُبيِّنُهَا مِثْلَ ما بَيَّنَّا المِيثاقَ؛ لِيتَدبَّروها ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ عن كُفرِهم.

[١٧٥] ﴿وَٱتۡلُ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: اليهودِ ﴿نَبَأَ﴾: خَبرَ ﴿ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾: خَرجَ بِكُفرِه؛ كما تَخرجُ الحَيَّةُ مِنْ جِلدِها- وهو: «بَلْعَمُ بنُ باعُوراءَ» مِن عُلماءِ بَنِي إِسرائيلَ[4]، سُئِلَ أن يَدعوَ على مُوسَى، وأُهديَ إِليه شيءٌ؛ فدعَا فانقلَبَ عليه[5]؛ واندلَعَ لِسانُه على صَدرِه[6]- ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: فأَدركَه فصارَ قَرِينَه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ﴾ إِلى مَنازلِ العُلماءِ ﴿بِهَا﴾: بِأَنْ نُوفِّقَه لِلعَملِ ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ﴾: سَكَنَ ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: الدُّنيا، وَمَالَ إليها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ في دُعائِه إِليها؛ فوَضعنَاه ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾: صِفتُهُ ﴿كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ﴾ بِالطَّردِ والزَّجرِ ﴿يَلۡهَثۡ﴾: يَدْلَعْ لسانَهُ ﴿أَوۡ﴾ إِنْ ﴿تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ وليسَ غَيرُه مِنَ الحيَوانِ كذلكَ. وجُملتَا الشَّرطِ: حالٌ؛ أي: لاهِثًا ذَليلًا بِكلِّ حالٍ. والقَصدُ التشبيهُ في الوَضعِ والخِسَّةِ؛ بِقرينةِ الفَاءِ المُشعِرةِ بِتَرتُّبِ ما بعدَها على ما قبلَها، مِنَ المَيلِ إلى الدُّنيا واتِّباعِ الهوَى، وبِقرينةِ قولِه: ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المَثَلُ ﴿مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ﴾ على اليَهودِ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾: يتدبَّرونَ فيها؛ فيُؤمنونَ.

[١٧٧] ﴿سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ﴾ أي: مَثَلُ القَومِ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ بِالتكذيبِ!

[١٧٨] ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

---

(١) ﴿ذُرِّيَّاتِهِمۡ﴾؛ بِإِثباتِ الأَلفِ بعدَ الياءِ التحتيَّةِ مَعَ كَسرِ التَّاءِ: قِراءةُ نافعٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرأَ بَقيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾؛ بِحذفِ الأَلفِ ونَصبِ التَّاءِ.

(٢) أخرجَ أحمدُ في المُسندِ (١/ ٢٧٢) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أَخَذَ اللهُ المِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ -يَعْنِي عَرَفَةَ- فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا، قَالَ: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾». وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريجِه على المُسنَدِ (٢٤٥٥): إِسنادُه صحيحٌ، وصحَّح الألبانيُّ إسنادَه في المشكاةِ (١٢١)، وفي تعليقِه على الطحاويةِ (٢١٩) ونَعمانُ -بالفتحِ-: وادٍ في طريقِ الطائفِ يَخرجُ إلى عَرفاتٍ.

(٣) ﴿يَقُولُوا﴾ بالياءِ: قِراءةُ أبي عَمرٍو. والموضعُ الثاني المُشارُ إليه هو قوله تَعالَى: ﴿أَوۡ يَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ﴾. وقَرأَ بَقيَّةُ السَّبعَةِ بِتاءِ الخِطابِ فيهما: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾، ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ﴾.

(٤) أخرجَه النَّسائيُّ في تَفسيرِه (١/ ٥١٠)، والطبريُّ في جامع البيان (٩/ ٨٢)، والطبرانيُّ في الكبير (٩/ ٢١٩)، والحاكمُ في المُستدرَكِ (٢/ ٣٢٥)، وقال الهيثميُّ في مَجمَعِ الزوائِدِ (٧/ ٢٥): «رواهُ الطبرانيُّ ورجالُه رجالُ الصحيحِ». وذكره السُّيوطيُّ في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ٢٦٦). وفي الآيةِ أقوالٌ أُخَرُ، فقيلَ: هو أُميَّةُ بنُ أبي الصَّلتِ، كما أخرجَه النَّسائيُّ في تَفسيرِه (١/ ٥٠٨)، وابنُ أبي حاتمٍ في تَفسيرِه (٥/ ١٦١٦) عن عبدِ الله بنِ عمرِو بن العَاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِسَنَدٍ صَحيحٍ، كما قالَ الهيثميُّ في مَجمَعِ الزوائِدِ (٧/ ٢٥). وقيلَ غير ذلك. وبلعَم هذا؛ قيلَ: هو عالمٌ مِنْ عُلماءِ بني إِسرائيلَ، وقيلَ: كان نبيًّا في بني إِسرائيلَ.

(٥) وَرَدَ ذِكرُ ذلك فيما رَوَاهُ ابنُ جَريرٍ وأبو الشَيخ عن المعتمر «يُحدِّثُ عن سيَّارٍ»، كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٣/ ٢٦٨).

(٦) قوله: «واندَلَعَ لِسانُهُ عَلَى صَدْرِهِ» أخرجَه الطَّبَريُّ (١٥٤٢٢) عَن سَالِمِ بنِ أبي النَّضرِ. قال ابنُ كثير في تَفسيرِه (٣/ ٤٦٢): «وقولُه تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [الأعراف:١٧٦]: اختلفَ المُفسِّرونَ في معناه، فعلى سياقِ ابن إِسحاقَ عَن سالمٍ عن أبي النَّضرِ أَنَّ بلعامًا انْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَتَشْبِيهُهُ بِالْكَلْبِ فِي لَهثِه فِي كِلْتَا حَالَتَيْهِ؛ إِنْ زُجِرَ وَإِنْ تُرِكَ ظاهرٌ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فَصَارَ مِثْلَهُ فِي ضَلَالِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ فِيهِ، وَعَدَمِ انْتِفَاعِهِ بِالدُّعَاءِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَعَدَمِ الدعاءِ، كالكلبِ في لهثِه فِي حَالَتَيْهِ، إِنْ حَمَلْتَ عَلَيْهِ وَإِنْ تَرَكْتَهُ، هُوَ يَلْهَثُ فِي الْحَالَيْنِ، فَكَذَلِكَ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَلَا عَدَمِهِ...».

وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ
أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ
ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ
سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ
وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم
مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمۡ
يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾
أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ
مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ
بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ
فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ
قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ
قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

[١٧٩] ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا﴾: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾ الحقَّ ﴿وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا﴾ دلائلَ قُدرةِ الله؛ بَصرَ اعتبارٍ ﴿وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآ﴾ الآياتِ والمواعِظَ سَماعَ تدبُّرٍ واتِّعاظٍ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ في عَدمِ الفِقهِ والبَصرِ والاستماعِ ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ مِنَ الأنعامِ؛ لِأَنَّها تَطلُبُ مَنافِعَها وَتَهرَبُ مِنْ مَضارِّها، وهؤلاءِ يُقدِمُونَ على النَّارِ مُعاندةً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ التِّسعةُ والتِّسعُونَ الوَاردُ بها الحَديثُ[(١)]. و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: مُؤنَّثُ «الأَحسَنِ» ﴿فَٱدۡعُوهُ﴾: سَمُّوهُ ﴿بِهَاۖ وَذَرُواْ﴾: اترُكوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ مِنْ: أَلحَدَ ولَحَدَ[(٢)]: يَمِيلُون عَنِ الحَقِّ ﴿فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ حيثُ اشتَقُّوا منها أسماءً لآلهتِهم؛ كاللَّاتِ مِنَ الله، والعُزَّى مِنَ العَزيزِ، ومَناةَ مِنَ المنَّانِ ﴿سَيُجۡزَوۡنَ﴾ في الآخِرةِ جَزاءَ ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ وهذا قَبلَ الأَمرِ بِالقتالِ.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ - هُم أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كما في حَديثٍ[(٣)]-.

[١٨٢] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾: نَأخُذُهم قليلًا قليلًا ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

[١٨٣] ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾: أُمهِلُهم ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾: شديدٌ لا يُطَاقُ.

[١٨٤] ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ﴾ فيعلَمُوا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍۚ﴾: جُنونٍ ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإِنذارِ؟

[١٨٥] ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ﴾: مُلْكِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ - بَيانٌ لِـ﴿مَا﴾- فيستدلُّوا به على قُدرةِ صَانِعِه ووَحدَانِيَّتِه ﴿وَ﴾ في ﴿أَنۡ﴾ أي: أنَّه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ﴾: قَرُبَ ﴿أَجَلُهُمۡۖ﴾ فيَمُوتُوا كُفَّارًا؛ فيَصِيرُوا إلى النَّارِ؛ فيُبادِرُوا إلى الإِيمانِ؟ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ﴾ أي: القُرآنِ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾.

[١٨٦] ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ﴾ - بِالياءِ والنُّونِ، مَعَ الرَّفعِ[(٤)]: استئنافًا، والجزمِ: عَطفًا على مَحَلِّ ما بعدَ الفَاءِ[(٥)]- ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾: يتردَّدُون تَحيُّرًا.

[١٨٧] ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ أي: أَهلُ مَكَّةَ ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: القِيامَةِ ﴿أَيَّانَ﴾: متى ﴿مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا عِلۡمُهَا﴾ متى تكونُ ﴿عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا﴾: يُظهِرُها ﴿لِوَقۡتِهَآ﴾ - اللَّامُ بِمعنَى: في- ﴿إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ﴾: عَظُمَتْ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ على أَهلِها؛ لِهَولِها ﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾: فَجأةً ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾: مُبالِغٌ في السُّؤالِ ﴿عَنۡهَاۖ﴾ حتَّى عَلِمتَها ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ - تأكيدٌ- ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ[(٦)] عِلمَها عِندَه -تعالَى-.

---

(١) يُشيرُ إلى ما أخرجَهُ البُخارِيُّ في صَحِيحِه (٦٤١٠)، ومسلمٌ (٢٦٧٧)- واللفظُ له- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الوِتْرَ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ: «مَنْ أَحْصَاهَا». وأمَّا سَردُ هذه الأسماءِ فقد وردَ في حديثِ أبي هُرَيْرَةَ عند الترمذيِّ (٣٥٠٧)، وقد ضعَّفه الألبانيُّ في ضعيفِ الجامع (١٩٤٥). وحَصْرُ الأسماءِ في التِّسعةِ وتِسعينَ في هذا الحديثِ الذي رواه الترمذيُّ وغيرُه؛ لا يَصِحُّ؛ وأسماءُ الله الحُسنَى أكثرُ مِن ذلك ولا يُحصيها إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ؛ كما في حديثِ عبدِ الله بن مسعودٍ مرفوعًا عند أحمدَ (٣٧١٢، ٤٣١٨، وفي غيرِها)، وأخرجه ابنُ حِبَّان في صَحِيحِه (٩٧٢) مِن حَدِيثِ ابن مسعودٍ أيضًا مرفوعًا: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ...» وفيه: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...». والحديثُ صحَّحه الألبانيُّ في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

(٢) يُشيرُ إلى القِراءَتينِ فيها، فـ﴿يَلۡحَدُونَ﴾؛ بِفتحِ الياءِ والحاءِ: قِراءَةُ حَمزةَ، مِن «لَحَدَ» الثلاثيِّ. وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بِضمِّ الياءِ وكَسرِ الحاءِ.

(٣) أخرجَ البُخارِيُّ (٣٦٤١)، ومسلمٌ (١٠٣٧) عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

وأخرجَ ابنُ جَريرٍ وابنُ المُنذِرِ وأبو الشيخِ، كَما في الدُّرِّ المنثُورِ (٣/ ٦١٧)، وفتح القديرِ لِلشوكانيِّ (٢/ ٣١٠)، عن ابنِ جريجٍ في قولِه: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:١٨١] قالَ: ذُكِرَ لنا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «هَذِهِ أُمَّتِي بِالحَقِّ يَحْكُمُونَ وَيَقْضُونَ وَيَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ». وأخرجَ عبدُ بن حميد وابنُ جرير وابنُ المُنذرِ، كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٣/ ٦١٧)، وفتح القدير لِلشوكانيِّ (٢/ ٣١٠)، عَنْ قَتادَةَ في قولِه: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:١٨١] قال: بَلَغنا أنَّ نبيَّ الله ﷺ كانَ يقولُ إذا قرأها: «هَذِهِ لَكُمْ، وَقَدْ أُعْطِيَ القَوْمُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِثْلَهَا: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾» [الأعراف:١٥٩].

(٤) ﴿وَنَذَرُهُمۡ﴾؛ بِالنُّونِ مَعَ الرَّفعِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ، و﴿وَيَذَرۡهُمۡ﴾؛ بِالياءِ مَعَ الجزمِ: قِراءَةُ حَمزةَ والكِسائِيِّ، و﴿وَيَذَرُهُمۡ﴾ بِالياءِ مع الرَّفعِ: قِراءَةُ أَبي عَمرٍو وعاصمٍ.

(٥) وهو جُملةُ: ﴿لَا هَادِيَ لَهُۥ﴾، ومَحلُّه الجزمُ لِأنَّه جوابُ الشرطِ.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (أنَّها).

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ
إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ
أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ
أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ
بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ
بِهَاۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

ربع الحزب ١٨

[١٨٨] ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجلبُه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعُه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: ما غَابَ عَنِّي ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ مِنْ فَقرٍ وغيرِه؛ لِاحتِرَازِي عنه بِاجتنابِ المَضَارِّ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بِالنَّارِ لِلكَافِرينَ ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بِالجَنَّةِ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٩] ﴿۞ هُوَ﴾ أي: اللهُ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي: آدمَ ﴿وَجَعَلَ﴾: خَلَقَ ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حوَّاءَ ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ﴾ ويَأْلَفَها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾: جَامَعَها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هو النُّطفةُ ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦۖ﴾: ذَهبَتْ وجَاءَتْ؛ لِخفَّتِه ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ بِكبَرِ الوَلدِ في بَطنِها، وأشفَقَا أَنْ يكونَ بَهيمةً[1] ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ وَلَدًا ﴿صَٰلِحًا﴾: سَوِيًّا ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك عليه.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ وَلَدًا ﴿صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ -وفي قِرَاءَةٍ: بِكسرِ الشِّينِ والتَّنوينِ[2]- أي: شَريكًا ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ بِتَسميَتِه عبدَ الحارِثِ. ولا ينبَغِي أَنْ يكونَ عَبدًا إِلَّا للهِ، وليسَ بِإِشراكٍ في العُبوديَّةِ؛ لِعصمَةِ آدمَ[3].

وروى سَمُرةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ -وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ-، فَقَالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الحَارِثِ؛ فَإِنَّهُ يَعِيشُ؛ فَسَمَّتْهُ؛ فَعَاشَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ»[4]. رواهُ الحَاكمُ، وقالَ: صحيحٌ. والترمذيُّ وقالَ: حَسَنٌ غريبٌ. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهلُ مَكَّةَ به مِنَ الأَصنامِ! والجُملةُ مُسبَّبَةٌ[5]، عَطفٌ على ﴿خَلَقَكُم﴾، وما بينهما اعتراضٌ.

[١٩١] ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ به في العِبادَةِ ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؟

[١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لِعَابِدِيهم ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ بِمنْعِها مِمَّنْ أرادَ بهم سُوءًا؛ مِنْ كَسرٍ أو غَيرِه؟ والاستفهامُ لِلتَّوبيخِ.

[١٩٣] ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأَصنامَ ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا [يَتْبَعُوكُمْ]﴾ - بِالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[6]- ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ عَنْ دُعائِهم، لا يتَّبِعُوه؛ لِعَدَمِ سَمَاعِهم.

[١٩٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملُوكةٌ ﴿أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ دُعاءَكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أَنَّها آلِهةٌ. ثُمَّ بَيَّنَ غَايةَ عَجْزِهم وفَضْلَ عَابِديهم عَليهم فقالَ:

[١٩٥] ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآۖ أَمْ﴾: بلْ أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ﴾: جمعُ يَدٍ ﴿يَبْطِشُونَ بِهَآۖ أَمْ﴾: بلْ أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآۖ أَمْ﴾: بلْ أ ﴿لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۗ﴾؟ استفهامُ إِنكارٍ؛ أي: ليسَ لهم شيءٌ مِنْ ذلكَ مِمَّا هو لكُم، فكيفَ تَعبدونَهم وأنتُم أتمُّ حالًا منهم؟! ﴿قُلِ﴾ لَهم -يا مُحمَّد-: ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ إلى هَلاكِي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾: تُمهلونِ؛ فإنِّي لا أُبالي بِكم.

---

(١) يُشِيرُ إلى ما وردَ في بَعضِ الأَحاديثِ والآثارِ -ومن ذلك مارواه الطبريُّ (١٥٥١٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ موقوفًا، وماروه أيضًا (١٥٥٩) عَن أَبي صالحٍ ذَكوانَ السَّمَّانِ؛ مِن أئمَّةِ التابعينَ- والتي يُفهَم منها أنَّ المُرادَ بهذا السياقِ آدَمُ وحوَّاءُ، وهي واهيةُ الإِسنادِ مَعلولةٌ، كما بيَّنه الحافظُ ابنُ كثيرٍ في تَفسيرِه، ولا يُعتمَدُ عليها؛ إذ أَصلُها مأخوذٌ مِن أقاصيصَ مُسلِمَةِ أهلِ الكِتابِ، وتَقبُّلُ ثُلَّةٍ مِنَ السَّلَفِ لها، وذِكرُ كثيرٍ مِن المُفسِّرينَ لها لا يُجدِي في صِحَّتِها شيئًا، كَما أفادَه أهلُ التحقيقِ.

(٢) ﴿شِرْكًا﴾؛ بِكسرِ الشِّينِ وإِسكانِ الرَّاءِ وتنوينِ الكافِ مِن غيرِ همزٍ: لِنافعٍ وشُعبة. وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿شُرَكَآءَ﴾؛ بِضَمِّ الشِّينِ وفَتحِ الرَّاءِ ومَدِّ الكافِ وهمزةٍ مَفتوحةٍ بعدَ المدِّ وحَذفِ التنوينِ.

(٣) هذا الذي اختارَه المُفسِّرُ مِنْ أَنَّ الكلامَ في آدمَ وحوَّاءَ، وفَسَّرَ الشِّركَ بأنَّه تسميةُ الولدِ «عبدَ الحارث» لا في الصِّفةِ والرُّبوبيَّةِ. وقال آخَرونَ: إِنَّ ما في الآيتَينِ لا يعني آدمَ وزوجتَه، بَلْ يَعمُّ جِنسَ الآدميِّينَ، ويُبيِّنُ حالَ المُشركِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِما، وهذا الذي يُعوَّلُ عليه، فقولُه تَعالَى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ﴾؛ يعني: الجِنسَينِ؛ أي: الذَّكرَ والأُنثى الكافِرَينِ، دلَّ على هذا قوله تَعالَى بعدَها: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولم يَقُلْ: «الشُّركاء». قالَ القرطبيُّ: هذا حسنٌ. وروى ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه (٣/ ٥٢٧) عَنْ قَتادَةَ قَالَ: «كَانَ الحَسَنُ يَقُولُ: هُمُ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، رَزَقَهُمُ اللهُ أَوْلَادًا، فَهَوَّدُوا وَنَصَّرُوا»... قالَ ابنُ كثيرٍ (٣/ ٥٢٨): «وَأَمَّا نَحْنُ فَعَلَى مَذْهَبِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي هَذَا، وأَنَّهُ لَيْسَ المُرَادُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ آدمَ وَحَوَّاء، وَإِنَّمَا المُرَادُ مِنْ ذَلِكَ المُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ». اهـ.

(٤) رواهُ الحاكمُ في المُستدرَكِ (٣/ ٤٠٠٣)، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذَّهبيُّ. ورواه الترمذيُّ (٣٠٠٣)، وأحمدُ (١٩٢٥٨)، مِنْ حديثِه أيضًا مرفوعًا، وقال الترمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَتَادَةَ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ وَلَمْ يَرْفَعْهُ». وقال الأرناؤوطُ في تخريجِه على المُسنَدِ (٣٣/ ٣٠٥): «إسنادُه ضعيفٌ، عمرُ بن إبراهيم- وهو العبديُّ أبو حفص البصريُّ- في روايته عَنْ قَتادَةَ ضعفٌ، والحسنُ مشهورٌ بالتدليسِ ولَم يَذكرْ سماعه مِن سَمُرَةَ». وضعَّفه الألبانيُّ في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

(٥) يعني: أنَّ خَلْقَ النَّاسِ مِن نفسٍ واحدةٍ يترتَّبُ عليه تنزيهُ الله تعالى عَنِ الشُّركاءِ.

(٦) ﴿يَتْبَعُوكُمْ﴾؛ بِسُكونِ التَّاءِ وفَتحِ البَاءِ: قِراءةُ نافع. وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾؛ بِفتحِ التَّاءِ وتشديدِها وكَسرِ البَاءِ.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ
وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟
فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ سجدة

[١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾: مُتولِّي[١] أموري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بِحِفظِه.

[١٩٧] ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فكيفَ أُبالي بهم؟

[١٩٨] ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنامَ ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ﴾ أي: الأصنامَ- يا مُحمَّد[٢]- ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يُقابِلونكَ كالنَّاظِرِ ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

[١٩٩] ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: اليُسرَ مِنْ أخلاقِ النَّاسِ، ولا تبحثْ عنها ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾: المعروفِ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[*] فلا تُقابلْهُم بِسَفَهِهِمْ.

[٢٠٠] ﴿وَإِمَّا﴾ - فيه إِدغامُ نُونِ «إنْ» الشَّرطيةِ في «ما» المَزيدةِ- ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي: إِن يَصرفْكَ عمَّا أُمِرتَ به صَارفٌ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: جَوابُ الشَّرطِ. وجوابُ الأَمرِ محذوفٌ؛ أَي: يَدفعْه عنكَ ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لِلقولِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِالفِعلِ.

[٢٠١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ﴾: أصابَهم ﴿[طَيْفٌ]﴾[٣] - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿طَٰٓئِفٌ﴾- أَي: شيءٌ أَلَمَّ بِهِمْ ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ عِقَابَ اللهِ وثَوابَه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الحَقَّ مِنْ غَيرِه؛ فيَرجعونَ.

[٢٠٢] ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ أي: إخوانُ الشَّياطينِ مِنَ الكُفَّارِ ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي: الشَّياطِينُ ﴿فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ﴾ هُم[٤] ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾: يَكفُّونَ عنه بِالتَّبصُّرِ؛ كما تَبصَّرَ المتَّقُونَ.

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ أي: أَهلَ مَكَّةَ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مِمَّا اقترَحُوا ﴿قَالُوا۟ لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: أنشأتَها[٥] مِنْ قِبَلِ نفسِكَ ﴿قُلْ﴾ لهُم: ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ وليسَ لي أنْ آتيَ مِنْ عِندِ نفسي بشيءٍ. ﴿هَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿بَصَآئِرُ﴾: حُجَجٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ عَنِ الكَلامِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ - نَزَلَتْ فِي تَرْكِ الكلامِ في الخُطْبَةِ[٦]، وَعُبِّرَ عنها بِالقُرآنِ؛ لاشتمالِها عليه. وقِيلَ: في قِراءةِ القُرآنِ مُطلقًا[٧]-.

[٢٠٥] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي: سِرًّا ﴿تَضَرُّعًا﴾: تذَلُّلًا ﴿وَخِيفَةً﴾: خَوفًا منه ﴿وَ﴾ فَوْقَ السِّرِّ ﴿دُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: قَصدًا بينَهُما ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾: أوائلِ النَّهارِ وأواخِرِه ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عَنْ ذِكْرِ الله.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكةَ ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يتكبَّرُونَ ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: يُنزِّهونَه عمَّا لا يَليقُ به ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ أي: يَخُصُّونَه بِالخُضوعِ والعِبادةِ؛ فكُونُوا مِثلَهم.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخاريُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ. وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا». فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ. قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ. «واللهِ، مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ. وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ». البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأعراف (٧) باب (٥)، ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يتولَّى).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (-يا مُحمَّد- أي: الأصنامَ)؛ بتقديمِ: (يا مُحمَّد).

(٣) ﴿طَيْفٌ﴾؛ بِحذفِ الألِفِ التي بعدَ الطاءِ وإثباتِ ياءٍ ساكنةٍ في مكانِ الهمزةِ: وهي قراءةُ الكِسَائيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿طَٰٓئِفٌ﴾، بِألِفٍ بعدَ الطاءِ وهَمزةٍ مكسورةٍ بعدَ الألِفِ في مَوضعِ اليَاءِ.

(٤) أي: إخوان الشياطين، وهم الكُفَّارُ.

(٥) كلمة: (أنشأتها) لَيستْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٦) أخرجَ نحوَه ابنُ مردويه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وأخرجَ نحوَه أيضًا ابنُ أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مَردويه والبيهقيُّ في سُننِه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. ففي هذه الآثارِ ما يُفيدُ أنَّ الإنصاتَ للقِراءةِ في الصلاةِ وللخُطبةِ على السَّواءِ. يُنظر: الدرُّ المنثورُ (٣/ ٢٨٧) . وأخرجَه ابنُ أبي شيبةَ في المُصنَّفِ (٣/ ٤٨٧)، وابنُ أبي حاتم في تَفسيرِه (٥/ ١٦٤٦)، والطبريُّ في جامعه (٩/ ١١٠)، والبيهقيُّ في الكبرى (٢/ ١٥٥) وغيرُهم مِنْ طُرقٍ عَنْ مُجاهِدٍ. وهو صحيحٌ بمجموعِها عَنْ مُجاهِدٍ.

(٧) ويدخلُ في ذلك دُخولًا أَوَّليًا مُتأكِّدًا الاستماعُ والإنصاتُ للإمامِ إذا قرأَ في الصلاةِ الجَهريَّة، وهذا القولُ بِالعُمومِ هو الأَرجحُ، واختارَه غيرُ وَاحِدٍ مِن المُفسِّرين.

سورة الأنفال (ترتيبها ٨ — آياتها ٧٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربع الحزب ١٨

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ① إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ② ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ③ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ④ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ⑤
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ⑥ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ⑦
لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ⑧

١٧٧

سُورَةُ الأنفال

مَدنيَّةٌ، أو: إلَّا ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾[1] الآياتِ السَّبعَ؛ فمَكيَّةٌ، خَمسٌ أو سِتٌّ وسَبعُونَ آيَةً[*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمَّا اختلفَ المُسلمونَ في غَنائمِ بَدرٍ، فقالَ الشُّبَّانِ: هي لنا؛ لِأَنَّنا بَاشَرْنَا القِتالَ. وقالَ الشُّيوخُ: «كُنَّا رِدءًا لكم تحتَ الرَّاياتِ، ولو انكشفتُم لَفِئتُم إلينا؛ فلا تَستأثِروا بها» نَزَلَ:

[١] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمَّد ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾: الغنائمِ لِمَنْ هي؟ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يَجعلانِها حيثُ شَاءَا[**]. فقَسَّمَها[2] ﷺ بينهم على السَّواءِ. رواه الحاكمُ في «المُستدرَك»[3] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: حقيقةَ ما بينكم؛ بِالمودَّةِ وتَرْكِ النِّزاعِ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًّا. [٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكامِلونَ الإيمانَ[4] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ أي: وَعيدُه ﴿وَجِلَتْ﴾: خَافَتْ ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: تَصدِيقًا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: به يثقونَ، لا بِغيرِه. [٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يأتونَ بها بِحُقوقِها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعةِ اللهِ. [٤] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفونَ بما ذُكِرَ ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: صِدقًا بِلا شَكٍّ ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾: مَنازِلُ في الجَنَّةِ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنَّةِ. [٥] ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾: مُتعلِّقٌ بـ«أَخْرَجَ» ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ الخُروجَ- والجُملةُ: حالٌ مِنْ كافِ ﴿أَخْرَجَكَ﴾. و﴿كَمَآ﴾ خبرُ مُبتدإٍ مَحذوفٍ؛ أي: هذه الحالُ في كَراهتِهم لها مِثْلُ إخراجِك في حالِ كَراهتِهم، وقد كانَ خيرًا لهم؛ فكذلك أيضًا. وذلك أَنَّ أبا سفيانَ قَدِمَ بِعيرٍ مِنَ الشَّام، فخرجَ النَّبيُّ[5] ﷺ وأصحابُه لِيَغنَموها، فعَلِمتْ قُرَيشٌ، فخرجَ أبو جهلٍ ومُقاتِلو مَكَّةَ؛ لِيَذُبُّوا عنها. وهم: النَّفيرُ. وأخذَ أبو سُفيانَ بِالْعِيرِ طَريقَ السَّاحلِ؛ فنَجتْ؛ فقِيلَ لِأَبي جَهلٍ: ارجِعْ. فأَبَى، وسَارَ إِلى بَدرٍ؛ فشَاورَ ﷺ أصحابَه، وقالَ: «إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ»- فوافَقوه على قِتالِ النَّفيرِ[6]، وكَرِهَ بَعضُهم ذلك، وقالوا: «لم نَستعدَّ له». كما قال تَعالَى: [٦] ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾: القِتالِ ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: ظَهَرَ لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليه عِيانًا في كَراهتِهم له.

[٧] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾: العِيرَ أَوِ النَّفيرَ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾: تُرِيدُونَ ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أي: البَأسِ والسِّلاحِ- وهي: العِيرُ- ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لِقلَّةِ عَدَدِها وعُدَدِها؛ بِخلافِ النَّفيرِ ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: يُظهِرَه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ السَّابقةِ بِظُهورِ الإِسلامِ ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: آخِرَهم؛ بِالاستئصالِ. فأَمَرَكُم بِقِتالِ النَّفيرِ.

[٨] ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾: يَمحقَ ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾: الكُفرَ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المُشرِكونَ ذلك.

---

[*] ما جاءَ في نُزولِ السُّورَةِ: أخرجَ البُخاريُّ عَن سعيدِ بنِ جُبيرٍ قالَ: قلتُ لابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: سُورةُ الأنفالِ؟ قالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨).
وأخرجَ أحمدُ عَنْ أَبِي أُمامَةَ الْباهِلِيِّ قال: سَأَلْتُ عُبادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنِ الأَنْفالِ فَقالَ: «فِينا مَعْشَرَ أَصْحابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنا فِي النَّفَلِ، وَساءَتْ فِيهِ أَخْلاقُنا، فَنَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينا، فَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِينا عَنْ بَواءٍ» يَقُولُ: عَلَى السَّواءِ. أحمد - المُسنَدُ (٥/ ٣٢٢)، وحسَّنه الأرناؤوطُ في تخريجِه على المُسنَدِ (٣٧/ ٤١٥). وأخرجَه الحاكمُ وصحَّحه، ووافقه الذهبيُّ (٢/ ٣٢٦). وأخرجَ أحمدُ أيضًا عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قالَ: لَمَّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ، وَقَتَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْعاصِ، وَأَخَذْتُ سَيْفَهُ، وَكانَ يُسَمَّى ذا الْكَتِيفَةِ، فَأَتَيْتُ بِهِ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قال: «اذْهَبْ فاطْرَحْهُ فِي الْقَبَضِ» قالَ: فَرَجَعْتُ وَبِي ما لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ مِنْ قَتْلِ أَخِي، وَأَخْذِ سَلَبِي، قالَ: فَما جاوَزْتُ إِلا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْفالِ، فَقالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ». أحمدُ - المُسندُ (١/ ١٨٠)، وحسَّنه الأرناؤوطُ بشواهدِه في تخريجِه على المُسنَدِ (٣/ ١٢٩). وأخرجَه مسلمٌ - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (١٢) الأنفال وفيه: فنزلَتْ هذه الآيَةُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

[**] ما جاءَ في نُزولِ الآياتِ (١-٥): أخرجَ أبو داودَ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «مَنْ فَعَلَ كَذا وَكَذا، فَلَهُ مِنَ النَّفَلِ كَذا وَكَذا». قالَ: فَتَقَدَّمَ الْفِتْيانُ وَلَزِمَ الْمَشِيخَةُ الرَّاياتِ فَلَمْ يَبْرَحُوها، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ قالَ الْمَشِيخَةُ: كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ لَوِ انْهَزَمْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنا، فَلا تَذْهَبُوا بِالْمَغْنَمِ وَنَبْقَى، فَأَبَى الْفِتْيانُ وَقالُوا: جَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَنا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ يَقُولُ: «فَكانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَأَطِيعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِعاقِبَةِ هَذا مِنْكُمْ». أبو داودَ - كتاب الجهاد (٩) باب (١٥٦) في النَّفل (صَحيحٌ) صَحيحُ سُنَنِ أبي داوُدَ (٢٣٧٦).
وأخرجَ أحمدُ عن عَنْ أَبِي أُمامَةَ، عَنْ عُبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قالَ: خَرَجْنا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ اللهُ الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طائِفَةٌ فِي آثارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَأَكَبَّتْ طائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَحْوُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طائِفَةٌ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً حَتَّى إِذا كانَ اللَّيْلُ، وَفاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنائِمَ: نَحْنُ حَوَيْناها وَجَمَعْناها فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيها نَصِيبٌ. وَقالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِها مِنَّا نَحْنُ نَفَيْنا عَنْها الْعَدُوَّ وَهَزَمْناهُمْ. وَقالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِها مِنَّا، نَحْنُ أَحْدَقْنا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخِفْنا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً وَاشْتَغَلْنا بِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

---

(١) في نُسخَةِ قَباوَة: (﴿وَإِذْ يَمْكُرُ﴾)، بدون (﴿بِكَ﴾). (٢) في نُسخَةِ قَباوَة: (فقسَّمها رسولُ الله). (٣) المُستدرَك (٢/ ٣٥٦)، وقال الحاكمُ: «هَذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجاهُ» ووافقه الذَّهبيُّ. وروى نحوَه أحمدُ (٢١٦٨٥، ٢١٦٩١) عن عُبادةَ بنِ الصامتِ، وكذلك ابنُ مردويه عن عائشةَ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ٢٩٤). وصَحَّحه الألبانيُّ في فِقهِ السِّيرةِ بلفظ: «فقسَمَها رسولُ الله ﷺ بينَ المسلمينَ». (٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (الكاملو الإيمانِ). (٥) كلمةُ: (النَّبيّ) ليست في نُسخَةِ قَباوَة. (٦) أخرجَه ابنُ إسحاقَ وابنُ جرير عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف
من الملائكة مردفين ﴿٩﴾ وما جعله الله إلا بشرى
ولتطمئن به قلوبكم ۚ وما النصر إلا من عند الله ۚ إن الله
عزيز حكيم ﴿١٠﴾ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم
رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام
﴿١١﴾ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا ۚ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا
فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴿١٢﴾ ذلك بأنهم
شاقوا الله ورسوله ۚ ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله
شديد العقاب ﴿١٣﴾ ذلكم فذوقوه وأن للكافرين
عذاب النار ﴿١٤﴾ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين
كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ﴿١٥﴾ ومن يولهم يومئذ
دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء
بغضب من الله ومأواه جهنم ۖ وبئس المصير ﴿١٦﴾

[٩] اذكُرْ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تَطلُبونَ منه الغَوثَ بِالنَّصرِ عليهم[*] ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بِأَنِّي ﴿مُمِدُّكُم﴾: مُعينُكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: مُتَتابِعينَ، يُردِفُ بعضُهم بعضًا. وَعَدَهم بها أَوَّلًا، ثُمَّ صارَتْ ثَلاثَةَ آلافٍ ثُمَّ خمسةً؛ كما في «آلِ عِمرانَ»(١). وقُرِئَ: «بِآلُفٍ»(٢) كـ«أفلُسٍ»، جَمعٌ. [١٠] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإِمدادَ ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. [١١] اذكُرْ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾: أمْنًا مِمَّا حصَلَ لكُم مِنَ الخوفِ ﴿مِّنْهُ﴾ -تعالَى- ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ مِنَ الأَحداثِ والجَناباتِ ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾: وَسْوَسَتَه إِليكم؛ بِأَنَّكم لو كُنتم على الحَقِّ ما كنتُم ظِماءَ مُحدِثينَ، والمُشركونَ على الماءِ ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾: يَحبِسَ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بِاليَقينِ والصَّبرِ ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تَسوخَ في الرَّملِ. [١٢] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمدَّ بهم المُسلمينَ ﴿أَنِّي﴾ أي: بِأَنِّي ﴿مَعَكُمْ﴾ بِالعَونِ والنَّصرِ(٣) ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِالإِعانَةِ والتَّبشيرِ ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: الخَوفَ ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرُّؤوسَ ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطرافَ اليَدَينِ والرِّجلَينِ. فكانَ الرَّجلُ يَقصِدُ ضَربَ رَقَبَةِ الكافِرِ؛ فتَسقُطُ قبلَ أنْ يَصلَ إِليه سَيفُهُ(٤). ورَمَاهُم ﷺ بِقَبضةٍ مِنَ الحَصى؛ فلم يبقَ مُشرِكٌ إِلَّا دَخَلَ في عَينَيهِ منها شيءٌ؛ فهُزِموا(٥). [١٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ العَذابُ الواقِعُ بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾: خالَفُوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له. [١٤] ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العَذابُ ﴿فَذُوقُوهُ﴾ - أيُّها الكُفَّارُ- في الدُّنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخِرةِ ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾. [١٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي: مُجتَمِعينَ؛ كأَنَّهم لِكثرتِهم يَزحَفونَ ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ مُنهَزِمينَ. [١٦] ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾[**] أي: يومَ لِقائِهم ﴿دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾: مُنعَطِفًا ﴿لِّقِتَالٍ﴾ بِأَنْ يُرِيَهم الفَرَّةَ مَكيدةً، وهو يُريدُ الكَرَّةَ ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾: مُنضَمًّا ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: جماعةٍ مِنَ المسلمينَ يَستنجِدُ بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾: رَجَعَ ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: المرجِعُ هي! وهذا مَخصوصٌ بِما إذا لَم يَزِدِ الكُفَّارُ على الضِّعفِ.

= فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى فَوَاقٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ...الحديث. أحمدُ - المُسنَدُ (٥/ ٣٢٤)، وحسَّنه الأرناؤوطُ بشواهده في تخريجِه على المُسنَدِ (٣٧/ ٤٢٢). وأخرجَه الحاكمُ وصحَّحه ووافقه الذهبيُّ (٢/ ١٣٥، ١٣٦)، وصحَّحه ابنُ حِبَّان (الإحسان ١٦٩٣).

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٩): أخرجَ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالمَلَائِكَةِ.

قال ابنُ عَبَّاسٍ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى المُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ. مسلم - الجهاد والسير (٣٢) باب (١٨) الإِمْدادِ بِالمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الغَنَائِمِ.

[**] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٦): أخرجَ أبو داودَ عن أبي سعيدٍ قال: نَزَلَتْ فِي يَوْمِ بَدْرٍ... ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾. أبو داودَ - كتاب الجهاد (٩) باب (١٠٦) في التولِّي يوم الزحف. (صحيحٌ) صَحيح سُنَنِ أبي دَاودَ (٢٣٠٦).

(١) سورةُ آلِ عِمرانَ: الآيات: ١٢٤-١٢٥.

(٢) وهي قِراءةٌ شاذَّةٌ. وعادةُ المُفسِّرِ أن يُشيرَ إلى القِراءاتِ الشَّاذَّةِ بقولِه: «وقُرِئَ».

(٣) مَعيَّةُ اللهِ تعالى مع عبادِه نوعانِ؛ مَعيَّةٌ عامَّةٌ، ومَعيَّةٌ خاصَّةٌ، وقد اشتملَ القُرآنُ على النَّوعَينِ. وحقيقةُ المعيَّةِ: الصُّحبةُ اللائِقةُ، وقد أخبرَ سبحانَه أنَّه مع خَلقِه، مع كونِه مستويًا على عَرشِه. وسيأتي مزيدُ بيانٍ لِحقيقتِها في تفسيرِ سورةِ «التوبة» الآية:٣٦، وكذلك في تفسيرِ سورةِ «الحديد» الآية: ٤.

(٤) أخرجَ ذلك أبو الشيخ وابن مردويه كما في الدُّرِّ المنثورِ (٤/ ٣٣) عن أبي أُمامةَ بنِ سهلٍ الأنصاريِّ عن أبيه، وأخرجَ عبدُ بن حميد وابنُ مَرْدَوَيْه كما في الدُّرِّ المنثورِ (٤/ ٣٥-٣٦) عن أبي دَاوُد المَازِنيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «بينا أنا أتبعُ رجلاً من المُشركين يَوْم بدرٍ، فاهويتُ إِلَيْهِ بسيفي، فَوقع رَأسُه قبل أن يصلَ سَيفي إِلَيْهِ، فعرفتُ أَنْ قد قَتلَه غَيْرِي». ولم نقفْ على إسنادِهما، لكن يشهدُ للقِصَّةِ ما رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى المُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا...» الحديث، وتقدَّمَ تخريجُه قريبًا في أسبابِ النُّزولِ.

(٥) روى ذلك ابنُ أبي حاتم (٨٩٠٧)، وابنُ جرير الطبريُّ (١٥٨٢٧) بِسَنَدٍ ضَعيفٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَبِّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأَرْضِ أَبَدًا» فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: «خُذْ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ»، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ، فَمَا مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا أَصَابَ عَيْنَيْهِ وَمَنْخَرَيْهِ وَفَمَهُ تُرَابٌ مِنْ تِلْكَ القَبْضَةِ، فَوَلَّوا مُدْبِرِينَ. لكن رَميُه ﷺ المشركينَ يوم بدرٍ أخرجَه الطَّبَريُّ (١٥٨٢١) عن عُروةَ بنِ الزبيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِسَنَدٍ صَحيحٍ. وعِندَ مُسلِمٍ أنَّه ﷺ فعلَ ذلك وقالَه يومَ حُنينٍ؛ فيَحتمِلُ تكرُّرَ الأمرِ منه ﷺ في الغزوتَينِ. مسلم(١٧٧٧).

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن
تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ
وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ (الحزب ١٨)
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

[١٧] ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بِبَدْرٍ بِقوَّتِكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بِنَصرِه إِيَّاكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ - يا محمَّدُ- أعينَ القومِ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بِالحصى[1]؛ لِأَنَّ كَفًّا مِنَ الحصى[2] لا يملأُ عُيونَ الجيشِ الكثيرِ بِرَمْيةِ بَشَرٍ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بِإِيصَالِ ذلكَ إِليهم. فَعلَ ذلك لِيَقهرَ الكافِرينَ ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً﴾: عَطاءً ﴿حَسَنًا﴾ هو الغَنيمةُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِأَقوالِهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَحوالِهم.

[١٨] ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإِبلاءُ حَقٌّ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾: مُضعِفُ ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

[١٩] ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ - أَيُّها الكُفَّارُ- أي[4]: تطلبُوا الفتحَ؛ أي: القَضاءَ؛ حيثُ قال أَبو جَهلٍ منكم: «اللَّهمَّ أَيُّنا كان أَقطعَ لِلرَّحِمِ، وأَتانَا بِما لا نَعرِفُ؛ فَأَحِنْه الغَداةَ»[*]؛ أي: أَهلِكْه ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾: القَضاءُ بِهلاكِ مَنْ هو كذلكَ- وهو: أبو جهلٍ ومَنْ قُتِلَ معه، دونَ النَّبيِّ ﷺ والمُؤمنينَ- ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عَنِ الكُفْرِ والحَربِ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟﴾ لِقتَالِ النَّبيِّ ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لِنَصرِه عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾: تَدفعَ ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾: جَماعتُكم ﴿شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَ[إِنَّ] ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ - بِكسرِ ﴿إِنَّ﴾: استئنافًا، وفتحِها[5]: على تَقديرِ اللَّامِ[6].

[٢٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟﴾: تُعرِضُوا ﴿عَنْهُ﴾ بِمُخالَفةِ أَمْرِه ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القُرآنَ والمواعِظَ.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدبُّرٍ واتِّعاظٍ؛ وهم: المُنافقونَ أوِ المُشركونَ.

[٢٢] ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عَنْ سَماعِ الحَقِّ ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عَنِ النُّطقِ به ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ـه[7].

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: صَلاحًا بِسَماعِ الحَقِّ ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سَماعَ تفهُّمٍ ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ - فَرَضًا، وقد عَلِمَ أَنْ لا خَيرَ فيهم- ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ عنه ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عَنْ قَبولِه، عِنادًا وجُحُودًا.

[٢٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بِالطَّاعةِ ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ؛ لِأَنَّه سببُ الحياةِ الأَبديَّةِ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يَستطيعُ أَنْ يُؤمِنَ أو يَكفُرَ إِلَّا بِإِرادتِه ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيُجازِيكم بِأَعمالِكم.

[٢٥] ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً﴾ إِنْ أَصابتْكم ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ بَل تَعُمُّهُمْ وغيرَهم- واتِّقاؤُها بِإِنكارِ مُوجِبِها مِنَ المُنْكَرِ- ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لِمَنْ خَالفَه.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٩): أَخرَجَ أَحمَدُ في المُسندِ عَن عَبدِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيرٍ -بِمُهمَلةٍ مُصغَّرًا-، أَنَّ أَبا جَهْلٍ قَالَ: حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ: اللهُمَّ أَقْطَعُنَا الرَّحِمَ، وَآتَانَا بِمَا لَا يُعْرَفُ؛ فَأَحِنْهُ الْغَدَاةَ: فَكَانَ الْمُسْتَفْتِحَ. (المسند ٥/ ٤٣١)، وصحَّحه الأرناؤوطُ بشواهدِه في تخريجِه على المُسنَدِ (٣٩/ ٦٦)، وأخرجَه الحاكمُ في مستدرَكه (٢/ ٣٢٨)، وصحَّحه ووافقه الذهبيُّ، وأخرجَه ابنُ إِسحاقَ في المغازي (٢/ ٢٧٠) وفيه عنده زِيادَةُ: «... وكان ذلكَ استفتاحَه، فأَنزلَ اللهُ تعالَى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾».

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِالحصباءِ).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الحصى).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنٌ﴾ مُضعِفٌ ﴿كَيْدَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾). على قِراءَةِ: ﴿مُوهِنٌ﴾ بِسُكونِ الواوِ وتخفيفِ الهاءِ و تنوينِ النُّونِ، و نَصْبِ دَالِ ﴿كَيْدَ﴾، وهي قِراءةُ ابنِ عامر وشُعبة وحمزةَ والكِسَائِيِّ، وقرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿مُوَهِّنٌ﴾؛ بفتحِ الواوِ و تشديدِ الهاءِ وتنوينِ النُّونِ، ونَصْبِ دالِ ﴿كَيْدَ﴾. والقِراءةُ المفسَّرةُ المثبتةُ: ﴿مُوهِنُ﴾ بِسكونِ الواوِ وتخفيفِ الهاءِ وحذفِ التنوينِ و خفضِ دالِ ﴿كَيْدِ﴾: قِرَاءَةُ حفص.

(٤) كلمة: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٥) ﴿وَإِنَّ﴾؛ بالكسرِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وشُعبةَ وأبي عَمرٍو وابنِ كثيرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَأَنَّ﴾؛ بالفتح.

(٦) أي: ولِأَنَّ اللهَ مَع المؤمنينَ؛ كان ذلك.

(٧) رَوَى البُخَارِيُّ في صحيحِه (٤٦٤٦) عَن عبدِ الله بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: هُم نفرٌ مِن بَني عبدِ الدَّارِ.

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ
فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مَكَّةَ ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾: يَأخُذَكُم الكُفَّارَ بِسرعةٍ ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ إلى المدينةِ ﴿وَأَيَّدَكُم﴾: قوَّاكم ﴿بِنَصْرِهِۦ﴾ يومَ بَدْرٍ بالملائكةِ ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الغنائمِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَه. [٢٧] ونَزَلَ في [أبي لُبابةَ بنِ عبدِ المنذرِ][1]، وقد بعثَه ﷺ إلى بني قُريظةَ؛ لِينزِلوا على حُكْمِه؛ فاستشارُوه؛ فأشارَ إليهم أنَّه الذَّبحُ؛ لِأنَّ عِيالَه ومَالَه فيهم[2]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَ﴾ لا ﴿تَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾: ما ائتُمِنتُم عليه مِنَ الدِّينِ وغيرِه ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. [٢٨] ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لَكم، صَادَّةٌ عَنْ أُمورِ الآخرةِ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تُفوِّتُوه؛ بِمُراعاةِ الأموالِ والأولادِ والخِيانةِ لأجلِهم. ونَزَلَ في توبتِه[3]: [٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بالأمانةِ وغيرِها ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبينَ ما تخافونَ؛ فتنجونَ ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذُنوبَكم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

[٣٠] ﴿وَ﴾ اذكُرْ - يا مُحمَّد- ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وقدِ اجتمعُوا لِلمُشاورةِ في شأنِكَ بِدارِ النَّدوةِ ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: يُوثِقُوكَ ويَحبِسوكَ ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كُلُّهُمْ قِتْلَةَ رَجُلٍ واحِدٍ ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ مِنْ مَكَّةَ ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بكَ ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ بهم؛ بتدبيرِ أَمْرِكَ؛ بِأَنْ أوحَى إليكَ ما دبَّروه، وأمَرَكَ بالخُروجِ ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: أعلَمُهم به[4]. [٣١] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ - قالَه النَّضرُ بنُ الحارثِ؛ لِأنَّه كانَ يَأتِي الحِيرةَ يَتَّجِرُ؛ فيَشترِي كُتُبَ أخبارِ الأعاجِمِ، ويُحدِّثُ بها أهلَ مَكَّةَ[5]- ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ القُرآنُ ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذيبُ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي يَقرؤُه مُحمَّدٌ ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ المُنزَلَ ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِمٍ على إنكارِه. قالَه النَّضرُ[6] أوغيرُه[7] استهزاءً، وإيهامًا أنَّه على بَصيرةٍ، وجَزْمٍ بِبُطلانِه. [٣٣] قال تعالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سَألُوه[*] ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لِأنَّ العذابَ إذا نَزَلَ عَمَّ، ولَمْ تُعذَّبْ أُمَّةٌ إلَّا بعدَ خُروجِ نَبيِّها والمؤمنينَ منها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيثُ يَقولُونَ في طَوافِهم: غُفْرانَكَ غُفْرانَكَ[8]. وقيلَ: هم المُؤمنونَ المُستضعَفونَ فيهم[9]. كما قال تَعالَى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[10].

---

[*] **ما جاءَ في نُزُولِ الآيَتَينِ (٣٣، ٣٤)**: أَخرجَ البُخاريُّ عَن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ أبو جهلٍ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٣)، وباب (٤).

---

(١) في الأَصل: (مروان بن عبد المنذر)، والمُثبتُ مِن نُسخةِ قَباوة. وأبو لُبابةَ صَحابِيٌّ مَشهُورٌ، اختُلِفَ في اسمِه؛ فقيل: اسمُهُ بَشِيرٌ. وَقِيلَ: رِفاعةُ. وَقِيلَ: بَلِ اسْمُهُ كُنْيَتُهُ، وَرِفاعةُ وَبَشِيرٌ أَخَواهُ، وقيل غير ذلك. وقال ابنُ حجر: «وَشَذَّ مَنْ قَالَ: اسْمُهُ مَرْوَانُ». وَهُوَ أَوْسِيٌّ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكَانَ أَحَدَ النُّقَباءِ، وَشَهِدَ أُحُدًا، وَيُقَالُ: شَهِدَ بَدْرًا. وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المَدِينَةِ، وَكَانَتْ مَعَهُ رَايَةُ قَوْمِهِ يَوْمَ الفَتْحِ، وَمَاتَ فِي أَولِ خِلافَةِ عُثْمانَ عَلَى الصَّحِيحِ. يُنظَرُ فتحُ الباري (٦/ ٣٤٨-٣٤٩)، والاستيعابُ في معرفة الأصحاب (١/ ١٧٣).

(٢) أخرجَه الطَّبَرِيُّ في جامع البيان (٩/ ١٤٦)، وابنُ أبي حَاتمٍ في تَفسِيرِه (٨٩٧٥)، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، قال: «سَأَلُوا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ المُنْذِرِ بَنُو قُرَيْظَةَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ: مَا هَذَا الأَمْرُ -أي النزولُ على حكمِ الله ورسولِه ﷺ-؟ فَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ يَقُولُ: الذَّبْحُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ». وسندُه رجالُه ثقاتٌ، لكنه ضعيفٌ لإرسالِه، فعبدُ الله بنُ أبي قتادة تابعيٌّ. (٣) لم أجده. (٤) هذا تأويلٌ لِصفةِ المكرِ، وهي صفةُ كمالٍ حِين تُطلَقُ مع مُقابلِها؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾. وهي فيما سِيقَت له مدحٌ وكمالٌ، ولكن لا تُطلَقُ عليه عَزَّ وَجَلَّ مُجرَّدةً بدون ذِكرِ مُتعلَّقِها؛ وكذا لا يُشتقُّ له اسمٌ أو صفةٌ منها؛ فلا يُقالُ: ماكرٌ، ولا مُخادِعٌ. (٥) أخرجَ نحوَه ابنُ جرير (١٧/ ٣٩٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وأخرجَه ابنُ أبي حاتم (٩٠٠١، ٩٠٠٢) عَنِ السُّدِّيِّ، وليسَ فيه ذِكْرُ الاتِّجارِ بالكُتبِ، وإنَّما فيه سماعُه لِسجعِ أهلِها وكلامِهم. وإسنادُه ضعيفٌ جِدًّا، لإعضالِه، ولضعفِ أسباطِ بن نصر الرَّاوي عن السُّدِّيِّ، كما ذكر صاحبُ الاستيعاب (٢/ ٢٣٣).

(٦) أخرجَ ابنُ جَرِيرٍ (١٥٩٨١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قَالَ: «نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الحَارِثِ». (٧) ومَنْ قالَ ذلك أبو جَهلٍ، كما تَقدَّمَ في حاشيةِ أسبابِ النزولِ. (٨) أخرجَ الطبريُّ (١٦٠٠)، وابنُ أبي حَاتم (٩٠١٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ المُشْرِكُونَ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ قَدْ»، وَيَقُولُونَ: لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، وَيَقُولُونَ: غُفْرَانَكَ غُفْرَانَكَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وأخرجَه البيهقيُّ (٩٠٣٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وقالَ البيهقيُّ (٥/ ٧٢): «أَخرجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ النَّضْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ مُخْتَصَرًا دُونَ قَوْلِهِمْ: غُفْرَانَكَ...». (٩) قال الطبري (١١/ ١٥٧) -بعد أن ساق جملة من الأقوال في تفسير الآية-: «وَأَوْلَى هَذِهِ الأَقْوَالِ عِنْدِي فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: تَأْوِيلُهُ: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ يَا مُحَمَّدُ وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مُقِيمٌ، حَتَّى أُخْرِجَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ؛ لِأَنِّي لَا أُهْلِكُ قَرْيَةً وَفِيهَا نَبِيُّهَا. وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ هُمْ مُصِرُّونَ عَلَيْهِ، فَهُمْ لِلْعَذَابِ مُسْتَحِقُّونَ... وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا القَوْلُ أَوْلَى الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ القَوْمَ؛ أعني مُشْرِكِي مَكَّةَ كَانُوا اسْتَعْجَلُوا العَذَابَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ الحَقَّ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: مَا كُنْتُ لِأُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كُنْتُ لِأُعَذِّبَهُمْ لَوِ اسْتَغْفَرُوا... وَلَا وَجْهَ لِإِبْعَادِهِمُ العَذَابَ فِي الآخِرَةِ، وَهُمْ مُسْتَعْجِلُوهُ فِي العَاجِلِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَى العَذَابِ صَائِرُونَ، بَلْ فِي تَعْجِيلِ الله لَهُمْ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ الدَّلِيلُ الوَاضِحُ عَلَى أَنَّ القَوْلَ فِي ذَلِكَ مَا قُلْنَا. وَكَذَلِكَ لَا وَجْهَ لِقَوْلِ مَنْ وَجَّهَ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إِلَى أَنَّهُ عَنَى بِهِ المُؤْمِنِينَ...». (١٠) الفتح: ٢٥.

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بِالسَّيفِ بَعدَ خُروجِك، والمُستضعَفِينَ- وعلى القَولِ الأَوَّلِ: هي ناسخةٌ لِما قبلَها، وقدْ عذَّبَهم الله بِبدْرٍ وغَيرِه- ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يمنعونَ النَّبيَّ ﷺ والمسلمينَ ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أنْ يَطوفُوا به ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ كما زَعمُوا؟ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنْ لا وَلايَةَ لهم عليه.

[٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾: صَفِيرًا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: تَصفِيقًا؛ أَي: جَعلُوا ذلك مَوضِعَ صَلاتِهم التي أُمِرُوا بها[1] ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ بِبَدْرٍ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ في حَربِ النَّبيِّ ﷺ ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عَاقبةِ الأَمرِ ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: نَدامةً؛ لِفَوَاتِها وفَواتِ ما قَصَدُوه ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾ في الدُّنيا ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرةِ ﴿يُحْشَرُونَ﴾: يُساقُونَ.

[٣٧] ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ﴾: مُتعلِّقٌ بِـ﴿تَكُونُ﴾، بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[2]؛ أَي: يَفصِلَ ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الكَافِرَ ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: المُؤمِنِ ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾: يَجمَعَه مُتراكِمًا[3] بَعضُه على[4] بَعضٍ ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ كأَبي سُفيانَ وأَصحابِهِ: ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عَنِ الكُفْرِ وقِتالِ النَّبيِّ ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ أَعمَالِهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إِلى قِتالِه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَي: سُنَّتُنَا فيهم بِالإِهلَاكِ؛ فكَذا نَفعلُ بهم.

[٣٩] ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾: تُوجَدَ ﴿فِتْنَةٌ﴾: شِركٌ ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وَحدَه، ولا يُعبَدَ غيرُه ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عَنِ الكُفْرِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجَازِيهم به.

[٤٠] ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عَنِ الإِيمانِ ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ﴾: ناصِرُكُم ومُتولِّي أُمورِكُم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أَي: النَّاصِرُ لكم!

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ
فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ
ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ
فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

---

(١) قالَ القرطبيُّ (٧/ ٤٠٠): «...فَفِيهِ رَدٌّ عَلَى الجُهَّالِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ، الَّذِينَ يَرْقُصُونَ وَيُصَفِّقُونَ وَيُصْعَقُونَ. وَذَلِكَ كُلُّهُ مُنكَرٌ، يَتَنَزَّهُ عَنْ مِثْلِهِ الْعُقَلَاءُ، وَيَتَشَبَّهُ فَاعِلُهُ بِالْمُشْرِكِينَ فِيمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ عِنْدَ الْبَيْتِ» اهـ.

(٢) بالتَّشدِيدِ: ﴿لِيُمَيِّزَ﴾: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتَّخفِيفِ: ﴿لِيَمِيزَ﴾.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مُتراكبًا).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فوقَ).

الجزء ١٠ الحزب ١٩

۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن
كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ
أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ
وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ
وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

[٤١] ﴿۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾: أخذتُم مِنَ الكُفَّارِ قهرًا ﴿مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ يأمرُ فيه بما يَشاءُ ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: قَرابةِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ بَني هَاشِمٍ وبني[1] المُطَّلبِ[2] ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: أطفالِ المسلمينَ الذين هَلكَ آباؤُهم، وهُم فُقراءُ ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: ذَوي الحَاجةِ مِنَ المسلمينَ ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المُنقطعِ في سَفرِه مِنَ المسلمينَ- أي: يَستحقُّه النَّبيُّ ﷺ والأَصنَافُ الأَربعةُ، على ما كان يَقسِمُه، مِنْ أَنَّ لِكلٍّ خُمُسَ الخُمُسِ، والأَخماسُ الأربعةُ البَاقيةُ لِلغانمينَ- ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ فاعلمُوا ذلك ﴿وَمَا﴾- عَطفٌ على: ﴿بِاللَّهِ﴾- ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ مُحمَّدٍ ﷺ مِنَ الملائكةِ والآياتِ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي: يومَ بَدرٍ؛ الفَارقِ بينَ الحقِّ والبَاطلِ ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: المسلمونَ والكُفَّارُ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نَصرُكم مع قلَّتِكُم وكَثرَتِهم.

[٤٢] ﴿إِذْ﴾ - بدلٌ مِنْ: ﴿يَوْمَ﴾- ﴿أَنتُم﴾ كائنونَ ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ القُربَى مِنَ المدينةِ؛ وهي -بِضمِّ العَينِ وكسرِها[3]-: جَانبِ الوَادِي ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾: البُعْدَى منها ﴿وَالرَّكْبُ﴾: العِيرُ كَائنونَ بِمَكانٍ ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مِمَّا يلي البحرَ ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والنَّفيرُ لِلقِتالِ ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن﴾ جمعَكُم بغَيرِ مِيعادٍ ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في عِلمِه. وهو: نَصرُ الإسلامِ ومَحْقُ الكُفرِ، فعَلَ ذلك: ﴿لِّيَهْلِكَ﴾: يَكفُرَ ﴿مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾ أي: بعدِ حُجَّةٍ ظَاهرةٍ قَامَتْ عليه- وهي: نصرُ المؤمنينَ مع قِلَّتِهم على الجَيشِ الكثيرِ- ﴿وَيَحْيَىٰ﴾: يُؤمِنَ ﴿مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٤٣] اذكُرْ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ أي: نَومِك ﴿قَلِيلًا﴾ فأَخبرتَ به أصحابَك؛ فسُرُّوا ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾: جَبُنْتُمْ ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾: اختَلفْتُم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾: أَمْرِ القِتالِ ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ ـكُمْ مِنَ الفَشَلِ والتنازُعِ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القُلوبِ.

[٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ -أيُّها المُؤمنونَ- ﴿إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نَحو سَبعينَ، أو مِائةٍ، وهم أَلفٌ[4]؛ لِتُقدِمُوا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ لِيُقدِمُوا ولا يَرجِعُوا عَن قِتالِكم- وهذا قبلَ التحامِ الحَربِ، فلمَّا التحمَ أراهُم إيَّاهُم مِثلَيْهم؛ كما في «آلِ عِمرانَ»[5]- ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تَصِيرُ ﴿الْأُمُورُ﴾.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: جَماعةً كَافرةً ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لِقتالِهم ولا تَنهزِمُوا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: ادْعُوه بِالنَّصرِ ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفوزونَ.

---

(١) في نُسخةِ قَباوَة: (والمطَّلب)؛ بدون: (بني).

(٢) أخرجَ البُخاريُّ (٣١٤٠) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ، وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ».

(٣) ﴿بِالْعِدْوَةِ﴾ بِكسرِ العَينِ فيهما: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾؛ بِضمِّ العَينِ فيهما.

(٤) أخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ (٩١٢٧)، والطبريُّ (٦٦٩٠)، (١٦١٥٦) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ الله بن مسعودٍ، قَالَ: «لَقَدْ قُلِّلُوا فِي أَعْيُنِنَا يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِي: تَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ قَالَ: أَرَاهُمْ مِائَةً، قَالَ: فَأَسَرْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَقُلْنَا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: أَلْفًا». ورجالُه ثقاتٌ، إلَّا أنَّ أبا عُبيدةَ لم يسمعْ من أبيه شيئًا، كما قال الترمذيُّ وابن حبَّان وغيرهما. لكن وإن كان كذلك؛ فهو كما قالَ ابنُ رجب في "فتح الباري" (٧/ ٣٤٢): «وأبو عُبيدةَ وإن لم يسمع مِن أبيه، إلَّا أنَّ أحاديثَه عنه صحيحةٌ، تلقَّاها عن أهلِ بيتِه الثِّقاتِ العَارفينَ بحديثِ أبيه. قالَه ابن المدينيِّ وغيرُه». وقال نحوَه الطحاويُّ في "شرح معاني الآثار" (١/ ٩٥). لكن فيه عنعنةُ أبي إسحاقَ-وهو السبيعيُّ-فلم يُصرِّحْ بسماعِه مِن أبي عُبيدةَ.

(٥) آل عمران: الآية ١٣.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ
تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾: تختلِفُوا فِيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُوا﴾: تَجبُنُوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: قُوَّتُكم ودَولَتُكم ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالنَّصرِ والعَونِ(١).

[٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لِيمنعُوا عِيرَهم، ولم يَرجِعُوا بعدَ نَجاتِها ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ حيثُ قالُوا: «لا نَرجِعُ حتَّى نَشرَبَ الخَمرَ، ونَنحرَ الجَزورَ، وتَضرِبَ علينا القِيانُ(٢) بِبَدْرٍ فيتسامعَ بِذلكَ النَّاسُ»(٣) ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ(٤)- ﴿مُحِيطٌ﴾ عِلمًا(٥)، فيُجازِيهم به.

[٤٨] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: إبليسُ ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بِأَنْ شَجَّعَهم على لِقاءِ المُسلمينَ -لَمَّا خافُوا الخُروجَ(٦) مِنْ أعدائِهم بني بكرٍ- ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ مِن كِنانةَ- وكان أتاهم في صُورةِ سُراقةَ بنِ مالِكٍ سَيِّدِ تلك النَّاحيةِ- ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ﴾: التقتِ ﴿الْفِئَتَانِ﴾: المُسلمةُ والكافرةُ، ورأى الملائكةَ، وكان يدُه في يدِ الحارثِ بْنِ هِشامٍ ﴿نَكَصَ﴾: رَجَعَ ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ هاربًا ﴿وَقَالَ﴾ -لَمَّا قالُوا له: «أتخذُلُنا على هذا الحالِ؟!»-: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾: مِنْ جِوارِكُم ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ مِنَ الملائكةِ(٧) ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أنْ يُهلِكَني ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٤٩] ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: ضَعفُ اعتِقادٍ: ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: المُسلمينَ ﴿دِينُهُمْ﴾ إِذْ خرَجُوا مَعَ قِلَّتِهم يُقاتلونَ الجمعَ الكثيرَ، توهُّمًا أنَّهم يُنصرُونَ بسببِه. قالَ تعالَى في جوابِهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: يَثِقْ به، يَغلِبْ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ على أمرِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ(٨)- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾: حالٌ ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ بِمقامِعَ(٩) مِنْ حديدٍ ﴿وَ﴾ يقولونَ لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: النَّارِ. وجوابُ ﴿لَوْ﴾: لَرأيتَ أمرًا عظيمًا.

[٥١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّعذيبُ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ - عُبِّرَ بها(١٠) دُونَ غيرِها؛ لأنَّ أكثرَ الأفعالِ تُزاوَلُ بها(١١)- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بِذِي ظُلْمٍ ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيُعذِّبَهم بِغيرِ ذَنبٍ.

[٥٢] دَأْبُ هؤلاءِ ﴿كَدَأْبِ﴾: كَعادةِ ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بِالعِقابِ ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ - جُملةُ ﴿كَفَرُوا﴾ وما بعدَها: مُفسِّرةٌ لِمَا قبلَها- ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يُريدُه(١٢) ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

---

(١) في الآيةِ إثباتُ مَعيَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الخاصَّةِ لِلصَّابرينَ. ومعيَّةُ اللهِ تعالى مع عبدِه نَوعانِ؛ معيَّةٌ عامَّةٌ، ومعيَّةٌ خاصَّةٌ، وقد اشتملَ القرآنُ على النَّوعَينِ. وحَقيقةُ المعيَّةِ: الصُّحبةُ اللائِقةُ، وقد أخبرَ سُبحانه أنَّه مع خَلقِه، مع كونِه مُستويًا على عَرشِه، وقرنَ بين الأمرينِ، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] فأخبرَ أنَّه استوى على عَرشِه، وأنَّه مع خَلقِه يُبصرُ أعمالَهم من فوق عَرشِه؛ فعِلمُه لا يُناقضُ مَعيَّتَه، ومعيَّتُه لا تُبطلُ عُلوَّه.

(٢) جمع «قَينة» و«قَين». و«القَينة»: هي الأمَةُ المملوكةُ المُغنِّيةُ. وقيل: «لو كانت غيرَ مُغنِّية»، و«القَين»: العبد.

(٣) أخرجَ الطبريُّ (١٦١٧١) عَنْ عُروَةَ، قَالَ: «كَانَتْ قُرَيْشٌ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ قَدْ جَاءَهُمْ رَاكِبٌ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ وَالرَّكْبِ الَّذِينَ مَعَهُ: إِنَّا قَدْ أَجَزْنَا الْقَوْمَ فَارْجِعُوا، فَجَاءَ الرَّكْبُ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ قُرَيْشًا بِالرَّجْعَةِ بِالْجُحْفَةِ، فَقَالُوا: والله لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَنْزِلَ بَدْرًا؛ فَنُقِيمَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَيَرَانَا مَنْ غَشِيَنَا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَرَانَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَمَا جَمَعْنَا فَيُقَاتِلَنَا...»، وهو جزءٌ مِنْ كِتابِ عُروةَ إلى عبدِ الملكِ بنِ مَروانَ، وسندُه صحيحٌ لِعُروةَ، وصحَّحه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المُسنَدِ (١٣/ ٥٤٠). وذكرَه ابنُ هشامٍ في السِّيرةِ (٢/ ٢٧٠) عن ابنِ إسحاقَ، بنحوِه.

(٤) ظاهرُه أنَّهما سبعيَّتانِ، وليسَ كذلكَ، بلِ التَّاءُ الفوقيَّةُ لم يَقرأْ بها أحدٌ مِنَ السَّبْعَةِ ولا العَشرةِ، فذِكرُها سَبْقُ قَلمٍ.

(٥) قالَ ابنُ تيميةَ في مجموع الفتاوى (٦/ ٥٦٧): «واللهُ تعالى مُحيطٌ بِالمخلوقاتِ كُلِّها إحاطةً تَليقُ بِجلالِه؛ فإنَّ السماواتِ السبعَ والأرضَ في يدِه، أصغرُ مِنَ الحِمَّصةِ في يدِ أحدِنا»، ويُنظرُ التَّعليقُ على الآية (١٩) مِنْ سُورةِ البَقرةِ.

(٦) أي: حِينَ الخُروجِ.

(٧) أخرجَه الطَّبريُّ (١٦١٨٣) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، دونَ تسميةِ الحارثِ، وذكرَه ابنُ هشامٍ (١/ ٦٦٣) عن ابنِ إسحاقَ، وأخرجَه ابنُ أبي حاتم في تفسيرِه (٥/ ١٧١٥) مُختصرًا، دُونَ ذِكرِ سُراقةَ والحارثِ. وحسَّن صاحب الاستيعاب إسنادَه (٢/ ٢٤١).

(٨) ﴿تَتَوَفَّى﴾ بالتَّاءِ: قِراءةُ ابنِ عامرٍ؛ مُراعاةً للفظِ الملائكةِ. وقرأَ بقيَّةُ السَّبْعَةِ بالياءِ ﴿يَتَوَفَّى﴾؛ باعتبارِ لَفظِ الملائكةِ مجازيَّ التأنيثِ، ولِلفصلِ.

(٩) أي: مَطارقَ.

(١٠) في نُسخةِ قَباوة: (بهما) في الموضِعَينِ.

(١١) يُنظرُ التَّعليقُ السابقُ.

(١٢) يُنظرُ التَّعليقُ على الآية (١٢٠) من سُورةِ المائدةِ.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ
مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ
خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ
﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ
فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

ربع الحزب ١٩

[٥٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تعذيبُ الكَفَرةِ ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بِسببِ أنَّ ﴿ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: مُبدِّلًا لها بالنِّقْمةِ ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: يُبدِّلوا نِعمتَهم كُفرًا؛ كَتبديلِ كُفَّارِ مَكَّةَ إِطعَامَهم مِنْ جُوعٍ، وأمنَهم مِنْ خَوفٍ، وَبَعْثَ النَّبيِّ ﷺ إليهم بِالكُفرِ والصَّدَّ عن سبيلِ الله وقِتالِ المُؤمنينَ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٥٤] ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: قَومَه مَعَهُ ﴿وَكُلٌّ﴾ مِنَ الأُمَمِ المُكذِّبةِ ﴿كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾.

[٥٥] وَنَزَلَ في قُريظةَ[1]: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ أنْ لا يُعِينُوا المُشرِكِينَ ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عَاهَدُوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ اللهَ في غَدْرِهم.

[٥٧] ﴿فَإِمَّا﴾ - فيه إِدغامُ نونِ «إِن» الشرطيَّةِ في «مَا» المَزيدةِ- ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: تَجِدَنَّهم ﴿فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾: فَرِّقْ ﴿بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ مِنَ المُحارِبينَ؛ بِالتَّنكيلِ بهم والعُقوبةِ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذينَ خَلفَهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُونَ بهم.

[٥٨] ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ عَاهَدُوكَ ﴿خِيَانَةً﴾ في عَهدٍ بِأَمارةٍ تَلوحُ لك ﴿فَٱنۢبِذْ﴾: اطرَحْ عَهدَهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: حالٌ؛ أي: مُستويًا أنت وهم في العِلمِ بِنَقضِ العَهْدِ؛ بِأَنْ تُعلِمَهم به؛ لِئلَّا يتَّهِمُوكَ بِالغَدْرِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

[٥٩] وَنَزَلَ فِيمَنْ أَفلَتَ يومَ بَدْرٍ[2]: ﴿وَلَا [تَحْسَبَنَّ]﴾[3] - يا مُحَمَّد- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ اللهَ؛ أي: فَاتُوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لا يَفوتُونَه- وفي قِراءَةٍ: بِالتحتانيَّةِ[4]، فالمفعولُ الأَوَّلُ محذوفٌ؛ أي: أَنفُسَهم. وفي أُخرى: بِفتحِ «أَنَّ»[5] على تَقديرِ اللامِ[6]-.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم﴾: لِقِتَالِهِم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ - قالَ ﷺ: «هِيَ الرَّمْيُ». رواهُ مُسلمٌ[7]- ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: مَصدرٌ؛ بِمعنَى: حَبْسِها في سَبيلِ الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾: تُخوِّفُونَ ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي: غَيرِهم- وهم: المنافقونَ، أَوِ اليهودُ- ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جَزاؤُه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: تُنقَصُونَ منه شَيئًا.

[٦١] ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟﴾: مَالُوا ﴿[لِلسِّلْمِ]﴾ - بِكسرِ السِّينِ وفَتحِها[8]-: الصُّلحِ ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ وعَاهِدْهُم. وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ: هذا منسوخٌ بِآيةِ السَّيفِ. وقالَ مجاهدٌ: مخصوصٌ بِأهلِ الكِتابِ؛ إِذْ نَزَلَتْ في بَنِي قُرَيظةَ[9] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثِقْ بِهِ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلقَولِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِالفِعْلِ.

---

(١) أخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ (٩١٨١) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ مُجاهِدٍ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأنفال:٥٦]؛ قال: «قُرَيْظَةُ يَوْمَ الخَنْدَقِ مَالَؤُوا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْدَاءَهُ».

(٢) ذَكَرَ نحوَه البغويُّ في تَفسِيرِه (٣/ ٣٦٩)، دُونَ أَنْ يَعزُوَه لأَحدٍ. وقال ابنُ الجوزيِّ في زادِ المسيرِ (٢/ ٢٢٠): «وفي الكافرينَ ها هنا قَولانِ: أحدُهما: جميعُ الكُفَّارِ، قالَه أبو صالحٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. والثاني: أَنَّهم الذين انهزمُوا يومَ بَدْرٍ، ذَكَرَه محمدُ بنُ القاسمِ النحويُّ وغيرُه».

(٣) ﴿تَحْسِبَنَّ﴾؛ بِتَاءِ الخِطابِ مَعَ كَسرِ السِّينِ، وهي قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ والكِسائِيِّ وأبي عَمرٍو. وقَرأَ شُعبةُ: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾؛ بتاءِ الخِطابِ مَع فَتحِ السِّينِ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾؛ بياءِ الغَيبِ مَع فتحِ السِّينِ.

(٤) أي: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾؛ بياءِ الغَيبِ مَع فَتحِ السِّينِ.

(٥) ﴿أَنَّهُمْ﴾ بِفتحِ الهَمزةِ لابنِ عَامرٍ.

(٦) أي: لأنَّهم.

(٧) أخرج نحوَه مسلمٌ (١٥٤١) عن عُقبةَ بنِ عامرٍ مرفوعًا.

(٨) ﴿لِلسِّلْمِ﴾؛ بالكَسرِ لِشعبةَ، وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لِلسَّلْمِ﴾؛ بِفَتحِ السِّينِ.

(٩) قالَ ابنُ كثيرٍ (٤/ ٧٤): «وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّ السِّيَاقَ كُلَّهُ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَذِكْرُهَا مُكْتَنِفٌ لِهَذَا كُلِّهِ». ثُمَّ قال مُعلِّقًا على القولِ بِالنَّسخِ: «وفيه نَظَرٌ أَيْضًا، لِأَنَّ آيَةَ بَرَاءَةَ فِيهَا الْأَمْرُ بِقِتالهم إذا أمكنَ ذلك، فأمَّا إِن كان العَدوُّ كثيفًا؛ فإنَّه يجوزُ مُهادَنَتُهُمْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، وَكَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَلَا مُنَافَاةَ وَلَا نَسْخَ وَلَا تَخْصِيصَ، والله أَعْلَمُ» اهـ.

[٦٢] ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ بِالصُّلحِ؛ لِيستعِدُّوا لكَ ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ﴾: كَافِيكَ ﴿ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

[٦٣] ﴿وَأَلَّفَ﴾: جَمَعَ ﴿بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ بَعدَ الإِحَنِ ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بِقُدرَتِه ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ على أَمْرِه ﴿حَكِيمٞ﴾ لا يخرجُ شيءٌ عن حِكمَتِه.

[٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾ حَسبُكَ[1] ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

[٦٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ﴾: حُثَّ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ لِلكُفَّارِ ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ[2]- ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ﴾ أي: بِسَببِ أَنَّهم ﴿قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ وهذا خَبرٌ؛ بِمعنَى الأَمْرِ؛ أَي: لِيقَاتِلِ العِشرونَ منكم المِائَتَينِ، والمِائةُ الأَلفَ، ويَثبُتُوا لهم. ثُمَّ نُسِخَ لَمَّا كَثُرُوا بِقولِه:

[٦٦] ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ [ضُعۡفٗا]﴾ -بِضَمِّ الضَّادِ وفَتحِها[3]- عَنْ قِتالِ عَشرةِ أَمثَالِكم[*] ﴿فَإِن يَكُن﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ[4]- ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾: بِإِرَادتِه[5]. وهو خَبرٌ بِمعنَى الأَمْرِ؛ أَي: لِتُقاتِلُوا مِثلَيكُم وتَثبُتُوا لهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بِعونِه[6].

[٦٧] ونَزَلَ -لَمَّا أَخذُوا الفِداءَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ[7]-: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن [تَكُونَ]﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[8]- ﴿لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: يُبَالِغَ في قَتْلِ الكُفَّارِ ﴿تُرِيدُونَ﴾ - أَيُّها المؤمنونَ- ﴿عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾: حُطَامَها بِأَخذِ الفِدَاءِ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكُم ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ أَي: ثَوابَها بِقَتْلِهم[**] ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ وهذا مَنسوخٌ بِقولِه: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[9].

[٦٨] ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ بِإِحلالِ الغَنائمِ والأَسْرَى لكم ﴿لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ مِنَ الفِداءِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

[٦٩] ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ
أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ
ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ
مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ
مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

---

[*] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَتَينِ (٦٥، ٦٦)**: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ، فَجَاءَ التَّخْفِيفُ، فقال: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾. قَالَ: «فَلَمَّا خَفَّفَ الله عَنْهُمْ مِنَ العِدَّةِ نَقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدْرِ مَا خُفِّفَ عَنْهُمْ». البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٧).

[**] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (٦٧-٦٩)**: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الأُسَارَى؟» فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» -شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ- وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إِلى قولِه: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾ فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ. مسلمٌ - كتاب الجهاد والسير (٢٣) باب (١٨) الإمداد بالملائكة. =

---

(١) قال ابنُ القيِّمِ في زَادِ المعاد (١/ ٣٨): «وَهَذَا وَإِنْ قَالَهُ بَعْضُ النَّاسِ؛ فَهُوَ خَطَأٌ مَحْضٌ، لَا يَجُوزُ حَمْلُ الآيَةِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ «الْحَسْبَ» وَ«الْكِفَايَةَ» لله وَحْدَهُ، كَالتَّوَكُّلِ وَالتَّقْوَى وَالْعِبَادَةِ». وقال في تفسيرِها (١/ ٣٧): «أي: الله وَحْدَهُ كَافِيكَ، وَكَافِي أَتْبَاعِكَ، فَلَا تَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ».

(٢) ﴿تَكُن﴾ بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَكُن﴾ بِاليَاءِ.

(٣) ﴿ضُعۡفٗا﴾ بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حمزةَ وعاصمٍ. وقرأ حمزةُ وعاصمٌ ﴿ضَعۡفٗا﴾؛ بِفتحِ الضَّادِ.

(٤) ﴿تَكُن﴾ بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَكُن﴾ بِاليَاءِ.

(٥) يُنظَرُ التَّعليقُ على الآية (١٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٦) في الآيةِ إِثباتُ مَعيَّةِ الله عَزَّ وَجَلَّ الخاصَّةِ لِلصَّابرينَ، وقد تَقدَّمَ مِرارًا التعليقُ على ذلك، ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآية (٤٦) من سورة الأنفالِ.

(٧) أخرجَه مسلمٌ (٣٣٠٩) عن عمرَ بنِ الخطابِ، وتقدَّم قريبًا في حاشيةِ أسبابِ النُّزولِ.

(٨) ﴿تَكُونَ﴾ بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ أبي عمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَكُونَ﴾؛ بِاليَاءِ.

(٩) سورة القتال: الآية: (٤).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ
مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ
وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ
بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

[٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ [ٱلۡأُسَٰرَىٰ]﴾(١) وفي قِراءَةٍ: ﴿ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾: إيمانًا وإخلاصًا ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ مِنَ الفِداءِ؛ بأَنْ يُضعِفَه لكم في الدُّنيا ويُثيبَكم في الآخِرةِ ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ذُنوبَكُم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

[٧١] ﴿وَإِن يُرِيدُواْ﴾ أي: الأَسْرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بِمَا أَظهَرُوا مِنَ القَولِ ﴿فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾: قَبلِ بَدْرٍ بالكُفرِ ﴿فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ﴾ بِبَدْرٍ؛ قَتْلًا وأَسْرًا؛ فلْيَتوقَّعُوا مِثلَ ذلكَ إِنْ عادُوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِه.

[٧٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ - وهم المُهاجِرونَ - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ النَّبيَّ ﷺ ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ هُ - وهُمُ الأنصارُ - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ في النُّصْرةِ والإِرْثِ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن [وِلَٰيَتِهِم]﴾ - بِكسرِ الواوِ وفَتحِها(٢) - ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ فلا إِرْثَ بينكم وبينَهم، ولا نَصِيبَ لهم في الغَنيمَةِ ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ - وهذا مَنسوخٌ بآخِرِ السُّورَةِ - ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ لهم على الكُفَّارِ ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ﴾: عَهدٌ؛ فلا تَنصُروهم عليهم وتَنقُضوا عَهدَهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

[٧٣] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ في النُّصْرةِ والإِرْثِ؛ فلا إِرْثَ بينكم وبينَهم ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ أي: تَولِّي المسلمينَ وقَطعَ الكُفَّارِ ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ بِقُوَّةِ الكُفرِ وضَعفِ الإِسلامِ.

[٧٤] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ في الجنَّةِ.

[٧٥] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: بَعدِ السَّابِقينَ إلى الإيمانِ والهِجرةِ ﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ - أيُّها المُهاجِرونَ والأنصارُ - ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾: ذَوُو القَراباتِ ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾[*] في الإِرْثِ؛ مِن التَّوارُثِ بالإيمانِ والهِجرةِ، المذكورِ في الآيةِ السَّابِقَةِ ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾: اللَّوحِ المحفوظِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ ومنه حِكْمةُ المِيراثِ.

= وأخرَجَ التِّرمِذيُّ عَنِ الأَعمَشِ عن أبي صالِحٍ عَنْ أبي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لَمْ تَحِلَّ الغَنائِمُ لِأَحَدٍ سُودِ الرُّءُوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَتْ تَنزِلُ نَارٌ مِنَ السَّماءِ فَتأْكُلُهَا» قالَ سُليمانُ الأعمشُ: فَمَنْ يَقُولُ هَذا إِلَّا أَبو هُرَيْرَةَ، الآنَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَقَعُوا فِي الغَنَائِمِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ لَهُمْ، فَأَنْزَلَ الله تَعالَى: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾. التِّرمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٩) سُورةُ الأنفال. (صحيحٌ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذيِّ (٢٤٦٣).

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ أبو داودَ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ [النساء:٣٣]: كَانَ الرَّجُلُ يُحَالِفُ الرَّجُلَ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا نَسَبٌ، فَيَرِثُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، فَنَسَخَ ذَلِكَ الأَنفَالُ، فَقَالَ تَعالَى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾. أبو داودَ - كتاب الفرائض (١٣) باب (١٦) نسخ ميراثِ العَقدِ بِميراثِ الرَّحِم، وقالَ الألبانيُّ في صَحيحِ سُنَنِ أبي داودَ (٣٥٣٥): حَسَنٌ صحيحٌ.

---

(١) ﴿ٱلۡأُسَٰرَىٰ﴾؛ بِضَمِّ الهَمزةِ وفتحِ السِّينِ وأَلِفٍ بعدَها، وهي قراءةُ أبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾؛ بِفتحِ الهَمزةِ وسُكونِ السِّينِ دُونَ أَلِفٍ.

(٢) ﴿وِلَٰيَتِهِم﴾ بِكَسرِ الواوِ لِحمزةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَلَٰيَتِهِم﴾؛ بِفتحِ الواوِ.

سورة التوبة — ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

نصف الحزب ١٩

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا
وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ
فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ
وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ
مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ
اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

سُورَةُ التَّوبَة

مَدَنِيَّةٌ، أو إِلَّا الآيتَينِ آخِرَها. مِائَةٌ وثلاثونَ، أو: إِلَّا آيَةً.

ولم تُكتَبْ فيها البَسمَلَةُ؛ لِأنَّه ﷺ لم يأمُرْ بذلكَ؛ كَما يُؤخَذُ مِنْ حَديثٍ رواهُ الحاكمُ(١). وأخرجَ في معناه عَنْ عليٍّ: أنَّ البَسمَلَةَ أمانٌ، وهي نَزلَتْ لِرَفعِ الأَمْنِ بِالسَّيفِ(٢). وعَنْ حُذَيفةَ: «إِنَّكُمْ تُسَمُّونَهَا سُورَةَ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ»(٣). وروى البُخاريُّ عَنِ البَراءِ: أنَّها آخِرُ سُورةٍ نَزلَتْ(٤).

[١] هذه ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ واصِلةٌ ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عَهدًا مُطلَقًا أو دونَ أربعةِ أشهُرٍ أو فوقَها. ونَقْضُ(٥) العَهْدَ، بِما يُذكَرُ في قولِه: [٢] ﴿فَسِيحُوا﴾: سِيرُوا آمِنِينَ -أيُّها المُشرِكُونَ- ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أَوَّلُها شَوَّالٌ بِدليلِ ما سَيأتي، ولا أمانَ لكم بَعدَها ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: فائتِي عَذابِه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾: مُذِلُّهُمْ في الدُّنيا بِالقَتلِ، والأُخرَى بِالنَّارِ. [٣] ﴿وَأَذَانٌ﴾: إعلامٌ ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾: يومَ النَّحرِ ﴿أَنَّ﴾ أي: بِأَنَّ ﴿اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعُهودِهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بريءٌ أيضًا- «وقد بَعَثَ النَّبيُّ(٦) ﷺ عَليًّا مِنَ السَّنَةِ- وهي سَنةُ تِسعٍ- فَأَذَّنَ يومَ النَّحْرِ بِمِنًى بهذه الآياتِ، وأنْ لا يَحُجَّ بعدَ العَامِ مُشرِكٌ ولا يَطُوفَ بِالبيتِ عُريَانٌ»(٧). رواهُ البُخاريُّ- ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ مِنَ الكُفرِ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنِ الإيمانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ﴾: أخْبِرِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِمٍ. وهو: القَتلُ والأَسرُ في الدُّنيا، والنَّارُ في الآخِرةِ. [٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ مِنْ شُروطِ العَهْدِ ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾: يُعاوِنُوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ مِنَ الكُفَّارِ ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ﴾ انقضاءِ ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتُم(٨) عليها(٩) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ بِإتمامِ العُهودِ.

[٥] ﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾: خَرَجَ ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ - وهي آخِرُ مُدَّةِ التَّأجِيلِ(١٠)- ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في حِلٍّ أو حَرَمٍ ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بِالأَسْرِ ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ في القِلاعِ والحُصونِ؛ حتَّى يُضطَرُّوا إلى القَتلِ أوِ الإسلامِ ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: طريقٍ يَسلُكونَه- ونَصبُ ﴿كُلَّ﴾ على نَزعِ الخافِضِ- ﴿فَإِن تَابُوا﴾ مِنَ الكُفرِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تَتعَرَّضُوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِمَنْ تابَ. [٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: مرفوعٌ بِفعلٍ يُفسِّرُه: ﴿اسْتَجَارَكَ﴾: استأمَنَكَ مِنَ القَتلِ ﴿فَأَجِرْهُ﴾: أَمِّنْهُ(١١) ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾: القُرآنَ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي: مَوضعَ أَمْنِه- وهو دارُ قَومِه- إنْ لم يُؤمِنْ؛ لِيَنظُرَ في أمْرِه. ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ دِينَ اللهِ؛ فلا بُدَّ لهم مِنْ سَماعِ القُرآنِ؛ لِيَعلَمُوا.

---

(١) أخرجَه الحاكمُ في المُستدرَكِ (٣٢٧٢) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةَ، وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ، فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَكْتُبُوا بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ فَمَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَهُوَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّوَرِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ. قَالَ: وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ لَهُ، فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا كَذَا وَكَذَا» وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ، وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سطرَ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». وقالَ الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». ووافَقَه الذَّهَبيُّ. والحديثُ أخرجَه أيضًا أحمدُ (٣٩٩، ٤٩٩)، وأبو داودَ (٧٨٦، ٧٨٧)، والترمذيُّ (٣٠٨٦)، وحسَّنَه. وقالَ الأرناؤوطُ في تعليقِه على المُسنَدِ: «إسنادُه ضعيفٌ ومتنُه منكرٌ، يزيد الفارسيُّ هذا لم يروِ عنه هذا الحديثَ غيرُ عوفِ بن أبي جميلة، وهو في عِدادِ المَجهُولِينَ، وقد انفردَ بروايتِه...». وضعَّفَه الألبانيُّ في ضعيفِ سُنَنِ التِّرمِذيِّ (٥٩٩).

(٢) أخرجَ الحاكمُ في المُستدرَكِ (٣٢٧٣) أنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، لَمَّا سُئِلَ: لِمَ لَمْ تُكْتَبْ فِي بَرَاءَةَ: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟ قَالَ: «لِأَنَّ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَانٌ، وَبَرَاءَةٌ نَزَلَتْ بِالسَّيْفِ، لَيْسَ فِيهَا أَمَانٌ». وفيه: يَعْقُوبُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيُّ، عن أبيه، قال الألبانيُّ في الضعيفة (٢/ ٢١٦): «ويَعقُوبُ بْنُ جَعْفَرٍ وأبوه، لم أجد مَن تَرجَمَها».

(٣) أخرجَه الحاكمُ في المُستدرَكِ (٣٢٧٤)، عن حُذيفةَ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافَقَه الذَّهَبيُّ.

(٤) البُخاريُّ (٤٣٦٤)، ومسلمٌ (١٦١٨) عَنِ البَراءِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: «آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ كَامِلَةً بَرَاءَةٌ». والمُرادُ مُعظمُها، وإلَّا ففيها آياتٌ كثيرةٌ نَزلَتْ قبلَ سنةِ الوَفاةِ النَّبويَّةِ، فأوَّلُها مثلًا نزلَ عقِبَ فتحِ مكَّةَ في سنةِ تِسعٍ عامَ حجِّ أبي بكرٍ بالنَّاسِ -كما سيأتي- وقد نزلَت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي من المائدةِ في حَجَّةِ الوَداعِ سَنةَ عَشرٍ، بينما غالبُ سُورةِ براءة نزلَ في غزوةِ تبوكٍ سنة تِسعٍ. وقد أخرجَ النَّسائيُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّ سُورةَ النَّصرِ آخرُ سُورةٍ نزلَت مِنَ القُرآنِ. فالجمعُ بينهما أنَّ سُورةَ النَّصرِ آخرُ سورةٍ نزلَت كاملةً، بِخِلافِ براءة؛ فالمُرادُ مُعظمُها. ويُنظرُ: (الفتح ٨/ ١٦٧، ٦٠٥، ٦٠٦).

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ونقضُوا). وفي بعضِ النُّسَخِ المَطبُوعَةِ: (ونصُّ العهدِ).

(٦) كلمةُ: (النَّبيُّ) ليسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٧) البُخارِيُّ (٣٦٩)، ومسلمٌ (١٣٤٧) عن أبي هُرَيرَةَ.

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (عَاهَدتموهم).

(٩) قيلَ: هم «بنو ضَمْرَةَ» مِنْ قبائلَ «بني بكرٍ»، مِن «كنانة» لم يَنقُضوا عهدَهم مع النَّبيِّ ﷺ فأُمِرَ بإتمامِ عهدِهم إلى مُدَّتِهم. وقيلَ: هم مَنْ لَهم عهدٌ مُؤقَّتٌ ولَم ينقضُوه.

(١٠) قيلَ: هذا التأجيلُ خاصٌّ بالذينَ نَقضُوا العهدَ، وهمُ «قُريشٌ» الذين أعانُوا حُلفاءَهم «بني دِئْل» مِن «بني بكرٍ» على «خُزاعَةَ» حُلفاءِ النَّبيِّ ﷺ. وقيلَ: هو لمَنْ كانَ له عهدٌ مُطلقٌ ليسَ بِمُؤقَّتٍ؛ فضُرِبَ له هذا الأجلُ يَسيحُ في الأرضِ؛ أي: يذهبُ فيها لِينجُوَ بنفسِه.

(١١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (آمِنْهُ).

كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ
لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧
كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا
ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ
فَٰسِقُونَ ٨ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩ لَا يَرۡقُبُونَ
فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠ فَإِن
تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي
ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١ وَإِن
نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ
فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ
يَنتَهُونَ ١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ
وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ
أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣

[٧] ﴿كَيۡفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ وهم كافرون بها غادِرُونَ؟ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ يومَ الحُديبيَةِ- وهُم قُرَيشٌ المُستَثنَونَ مِنْ قَبلُ(١)- ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ﴾: أقامُوا على العَهدِ ولَم يَنقُضُوه ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾ على الوَفاءِ به. و«ما»: شَرطِيَّةٌ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ وقدِ استقامَ ﷺ على عَهدِهم حتَّى نَقَضُوا، بِإِعانَةِ بني بَكرٍ على خُزاعةَ(٢).

[٨] ﴿كَيۡفَ﴾ يكونُ لهم عهدٌ ﴿وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾: يَظفَروا بِكم ﴿لَا يَرۡقُبُواْ﴾: يُراعُوا ﴿فِيكُمۡ إِلّٗا﴾: قَرابةً ﴿وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾: عَهدًا. بل يُؤذُوكم ما استَطاعُوا؟! وجُملةُ الشَّرطِ: حالٌ ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾: بِكَلامِهم الحَسَنِ ﴿وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ﴾ الوَفاءَ به ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾: ناقِضُونَ لِلعَهدِ.

[٩] ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ مِنَ الدُّنيا؛ أي: تَركُوا اتِّباعَها لِلشَّهَواتِ والهَوَى ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ﴾: دِينِه ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ـهُ عَمَلُهم هذا!

[١٠] ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾.

[١١] ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ أي: فهُم إخوانُكم ﴿فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ﴾: نُبيِّنُ ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: يتدبَّرونَ.

[١٢] ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ﴾: نَقَضُوا ﴿أَيۡمَٰنَهُم﴾: مَواثِيقَهم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾: عابُوه ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾: رُؤَساءَه- فيه وَضعُ الظَّاهِرِ مَوضعَ المُضمَرِ- ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ﴾: عُهودَ ﴿لَهُمۡ﴾ - وفي قِراءَةٍ: بالكَسرِ(٣)- ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ عَنِ الكُفرِ.

[١٣] ﴿أَلَا﴾: للتَّحضِيضِ ﴿تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ﴾: نَقَضُوا ﴿أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾: عُهودَهم ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ مِنْ مَكَّةَ، لَمَّا تَشاوَرُوا فيه بِدارِ النَّدوَةِ ﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ﴾ بِالقِتالِ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ حيثُ قاتَلوا خُزاعةَ حُلفاءَكم مَع بني بَكرٍ، فما يَمنَعُكم أنْ تُقاتِلوهم؟! ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ﴾: أتخافُونَهم؟! ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾ في تَركِ قِتالِهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) وقيلَ: هُم «بَنو ضَمرةَ» الذين دَخلوا في عَهدِ قُريشٍ.

(٢) أخرجَه ابن حِبَّان في صَحيحِه (٥٩٩٦) عَنِ ابنِ عُمَرَ، قَالَ: «كَانَتْ خُزَاعَةُ حُلَفَاءَ لِرَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَتْ بَنُو بَكرٍ- رَهطٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ- حُلَفَاءَ لِأَبِي سُفيَانَ، قَالَ: وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مُوَادَعَةٌ أَيَّامَ الحُدَيْبِيَةِ، فَأَغَارَتْ بَنُو بَكرٍ عَلَى خُزَاعَةَ فِي تِلْكَ المُدَّةِ، فَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يَسْتَمِدُّونَهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مُمِدًّا لَهُمْ فِي شَهرِ رَمَضَانَ...» الحديث. وحسَّنَ الألبانيُّ إسنادَه.

(٣) أي: ﴿لَآ إِيمَٰنَ لَهُمۡ﴾ وهي قِراءةُ ابنِ عامرٍ. مَصدرُ «أمنته» مِن «الأَمانِ»، أي: لا يُؤمَنونَ في أنفسهم. وقيلَ معناه: لا يُوفونَ لِأحدٍ بأمانٍ يعقدونه له، ويَبعدُ في المعنى أن يكونَ من «الإيمانِ» الذي هو التَّصديقُ؛ لأنَّه قد وَصفَهم بالكُفرِ قبلَه، فتبعدُ صِفتُهم بنفيِ الإيمانِ عنهم؛ لأنَّه معنًى قد ذُكِر، إذ أضافَ الكُفرَ إليهم، فاستعمالُه بمعنًى آخرَ أولى؛ لِيُفيدَ الكلامُ فائدتَينِ، ودَلَّ على أنَّه مِنَ الأمانِ قولُه عنهم: ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾؛ أي: لا يُوفونَ لأحدٍ بعهدٍ، ولا يحفظونَ ذِمامَ أحدٍ. يُنظرُ: الكشفُ عن وجوهِ القِراءاتِ السَّبعَةِ وعِلَلِها وحِجَجِها، للقيسي (ص ٥٠٠).

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ
قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾
أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ
وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى
ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ
الحزب ١٩ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

[١٤] ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾: يقتُلْهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾: يُذِلَّهم بِالأَسْرِ والقَهْرِ ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بِمَا[1] فُعِلَ بهم؛ وهم[2] بنو خُزاعَةَ.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: كَرْبَهَا ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بِالرُّجُوعِ إِلى الإِسلامِ؛ كأَبِي سُفيانَ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾: بِمعنَى هَمزةِ الإِنكَارِ ﴿حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا﴾: لَمْ ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ بِإِخلَاصٍ ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: بِطَانةً وأَولِياءَ؟ المعنَى: ولمْ يَظْهَرِ المُخلِصُونَ- وهُمُ الموصُوفونَ بِمَا ذُكِرَ- مِنْ غَيرِهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ [مَسْجِدَ] ٱللَّهِ﴾ - بِالإِفرَادِ والجمعِ[3]- بِدُخُولِه والقُعودِ فيه ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ لِعَدَمِ شَرطِها ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحدًا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

[١٩] ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: أَهلَ ذلكَ ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الفَضلِ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرينَ. نَزَلَتْ رَدًّا على مَنْ قالَ ذلكَ[*]؛ وهوُ العبَّاسُ أو غيرُه[4].

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾: رُتْبَةً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ غيرِهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: الظَّافِرونَ بِالخيرِ.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٩): أَخرَجَ مُسلِمٌ عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾ إلى آخِرِها. مسلمٌ - كتاب الإِمارة (٣٣) باب (٢٩) فضل الشهادة في سبيل الله.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (مِمَّا).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (هُم) بِدُونِ الوَاوِ.

(٣) ﴿مَسْجِدَ﴾ بِالإِفرادِ: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو. ويكونُ المقصودُ: المسجدَ الحرامَ. وقرأَ بقيةُ السَّبعَةِ: ﴿مَسَٰجِدَ﴾، بِالجمعِ.

(٤) أخرجَ ابنُ جريرٍ (١٦٥٦٣) عَنْ أَبِي صَخرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ، يَقُولُ: «افْتَخَرَ طَلْحَةُ بْنُ شَيْبَةَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا صَاحِبُ الْبَيْتِ، مَعِي مِفْتَاحُهُ، لَوْ أَشَاءُ بِتُّ فِيهِ، وَقَالَ عَبَّاسٌ: أَنَا صَاحِبُ السِّقَايَةِ وَالْقَائِمُ عَلَيْهَا، وَلَوْ أَشَاءُ بِتُّ فِي الْمَسْجِدِ، وَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ إِلَى الْقِبْلَةِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ قَبْلَ النَّاسِ، وَأَنَا صَاحِبُ الْجِهَادِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [التوبة:١٩] الْآيَةَ كُلَّهَا»، وسندُه ضعيفٌ لإِرسالِه، كما في سلسلةِ الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ للألبانيِّ (١٢/ ٧٦٦-٧٦٧). وأخرجَه مسلمٌ (٣٤٩١) عَنِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، وأنَّ نزولَها في رَجُلٍ، ولم يُسمِّ العبَّاسَ، كما تقدَّم في حاشيةِ أسبابِ النُّزولِ.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ
بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ
ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ
ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ
سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا
لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ.

[٢٢] ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حالٌ مُقدَّرةٌ ﴿فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٣] وَنَزَلَ فِيمَنْ تَركَ الهِجرةَ لِأَجلِ أهلِه وتِجارتِه(١): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟﴾: اختارُوا ﴿ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

[٢٤] ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: أقرِباؤُكم- وفي قِراءةٍ(٢): ﴿عَشِيرَاتُكُمْ﴾- ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبْتُموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: عَدَمَ نَفَاقِها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ فقعدتُم لِأَجلِه عَنِ الهِجرةِ والجِهادِ ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾: انتظِروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ﴾ تَهديدٌ لهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ﴾ لِلحَربِ ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبَدْرٍ وقُريظةَ والنَّضيرِ ﴿وَ﴾ واذْكُرْ ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: وَادٍ بينَ مَكَّةَ والطَّائفِ؛ أي: يومَ قِتالِكم فيه هَوازنَ- وذلك في شوَّالٍ سنةَ ثمانٍ- ﴿إِذْ﴾: بدلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ﴾ ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فَقُلتُم: لَنْ نُغلبَ اليومَ مِنْ قِلَّة- وكانوا اثني عَشرَ ألفًا(٣)، والكفَّارُ أربعةَ آلافٍ(٤)- ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «مَا»: مَصدريَّةٌ؛ أي: مع رُحبِها؛ أي: سَعتِها؛ فلم تَجدوا مكانًا تَطمئنُّونَ إليه؛ لِشدَّةِ مَا لحِقَكُم مِنَ الخَوفِ ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾: مُنهزِمينَ. وثَبتَ النَّبيُّ ﷺ على بَغلتِه البَيضاءِ، وليسَ معه غيرُ العبَّاسِ، وأبو سفيانَ آخذٌ بِرِكَابِه(٥).

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: طُمأنينتَه ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فرَدُّوا إلى النَّبيِّ ﷺ لَمَّا نَادَاهُم العبَّاسُ بِإذنِه(٦)، وقاتَلوا ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: مَلائكةً ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقَتلِ والأَسرِ ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) ذكرَه الواحِديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص٢٤٥) عنِ الكلبيِّ، دُونَ سَنَدٍ.

(٢) ﴿عَشِيرَاتُكُمْ﴾ بألِفٍ قبلَ التَّاءِ: قراءةُ شُعبةَ. وقرأَ بَقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ بِدُونِها.

(٣) أخرجَه ابنُ جريرٍ (١٥٥٧٤) عَنْ قَتادةَ مرسلًا. وأخرجَ البُخاريُّ (٤٣٣٣) ومسلمٌ (١٠٥٩)-واللفظُ له- عَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ، وَغَيْرُهُمْ بِذَرَارِيِّهِمْ وَنَعَمِهِمْ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَئِذٍ عَشَرَةُ آلَافٍ، وَمَعَهُ الطُّلَقَاءُ، فَأَدْبَرُوا عَنْهُ، حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ...» الحديث، وليسَ فيه عددُ الطُّلقاءِ.

(٤) ذكرَه مقاتلٌ في تَفسيرِه (٢/ ١٦٥)، ولَم يَعزُه لِأحدٍ، وعزاه البغويُّ في تَفسيرِه (٤/ ٢٦) لِلكَلبيِّ.

(٥) أخرجَ مُسلِمٌ (١٧٧٥) عن كثيرِ بْنِ عبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ عبَّاسٌ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

(٦) أي: بِإذنِ رَسولِ الله ﷺ.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ منهم بالإسلامِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾: قَذَرٌ؛ لِخُبثِ باطِنِهم ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي: لا يَدْخُلوا الحَرَمَ ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾: عامِ تِسعٍ مِنَ الهِجرةِ ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾: فَقرًا؛ بِانقِطاعِ تِجارتِهم عنكم ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ﴾ - وقد أغناهُم بِالفُتوحِ والجِزيَةِ- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

[٢٩] ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ - وإلَّا لآمَنُوا بالنَّبيِّ ﷺ- ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كَالخَمرِ ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ الثَّابتِ، النَّاسخَ لِغيرِه مِنَ الأديانِ- وهو دِينُ الإسلامِ[1]- ﴿مِنَ﴾: بَيانٌ لِـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: اليَهودِ والنَّصارى ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾: الخَراجَ المضروبَ عليهم كُلَّ عامٍ ﴿عَن يَدٖ﴾: حالٌ؛ أي: مُنقادِينَ، أو بِأَيدِيهم لا يُوَكِّلُونَ بها ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: أَذِلَّاءُ، مُنقادُونَ لِحُكمِ الإسلامِ.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ﴾ عِيسى ﴿ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ لا مُستندَ لهم عليه، بَلْ ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يُشابِهونَ به ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾: مِنْ آبائِهم تقليدًا لهم ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾: لَعَنَهم ﴿ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ﴾: كيفَ ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾: يُصرفونَ عَنِ الحَقِّ مَع قِيامِ الدَّليلِ؟

[٣١] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾: عُلماءَ اليَهودِ ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾: عُبَّادَ النَّصارى ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيثُ اتَّبَعُوهم في تَحليلِ ما حُرِّمَ وتَحريمِ ما أُحِلَّ[2] ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في التَّوراةِ والإنجيلِ ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ﴾ أي: بِأَنْ يَعبُدوا ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهًا له ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾!

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ
نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ
إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ
وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ
وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم
بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ
وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهو الإِسلام) بِدُونِ كلمةِ (دِين).

(٢) أخرَجَ التِّرمِذيُّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال بعدَ أن قرأ هذه الآيَةَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ». كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. وحَسَّنَه الألبَانيُّ في صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٧١).

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن
يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ
يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا
فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ
أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

الحزب ٢٠

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ﴾: شَرْعَهُ وبَرَاهِينَهُ ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بِأقوالِهم فيه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾: يُظهِرَ ﴿نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك.

[٣٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: يُغلِبَهُ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: جميعِ الأَديانِ المُخالِفةِ له[*] ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

[٣٤] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾: يَأخُذون ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالرِّشا في الحُكمِ ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: مُبتدأٌ ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي: الكُنوزَ[**] ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يُؤدُّونَ منها حَقَّه مِنَ الزَّكاةِ. والخَبرُ: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: أَخبِرْهُمْ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِمٍ.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾: تُحرَقُ ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتُوسَّعُ جُلودُهم(١) حتَّى تُوضعَ عليها(٢) كُلُّها، ويُقالُ لهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[***] أي: جَزاءَه.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ المُعتدِّ بها للسَّنَةِ ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: اللَّوحِ المَحفُوظِ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ أي: الشُّهورِ ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: مُحَرَّمَةٌ؛ ذُو القَعدةِ، وذو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ، ورَجَبُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تَحريمُها ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المُستقيمُ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أي: الأَشهُرِ الحُرُمِ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بِالمَعاصِي- فإنَّها فيها أعظمُ وِزرًا. وقيلَ: في الأَشهُرِ كُلِّها- ﴿وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾: جميعًا(٣) في كلِّ الشُّهورِ ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بِالعَونِ والنَّصرِ(٤).

---

[*] فائدةٌ: أخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ عائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا، قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ». مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) باب (١٧) لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخَلَصَةِ.

[**] فائدةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أُنْزِلَتْ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ». الترمذيُّ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. وصَحَّحه الأَلبانيُّ في صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٧٠).

[***] فائدةٌ: أخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ خالِدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «مَنْ كَنَزَهَا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا، فَوَيْلٌ لَهُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُنْزَلَ الزَّكَاةُ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ جَعَلَهَا اللهُ طُهْرًا لِلْأَمْوَالِ» البُخاريُّ - كتاب الزكاة (٢٤) باب (٤) مَا أُدِّيَ زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ.

---

(١) في نُسخةِ قَباوة: (ويُوسَّع جِلدهم).

(٢) في نُسخةِ قَباوة: (عليه).

(٣) في نُسخةِ قَباوة: (أي: جميعًا).

(٤) في الآيةِ إثباتُ معيَّةِ الله عَزَّ وَجَلَّ الخاصَّة لِلمتَّقينَ. ومعيَّةُ الله تعالى مع عبده نوعانِ؛ معيَّةٌ عامَّةٌ، ومعيَّةٌ خاصَّةٌ، وقد اشتمل القرآنُ على النَّوعَينِ. وحقيقةُ المعيَّةِ الصُّحبةُ اللائقةُ، وقد أخبرَ سبحانه أنَّه مع خَلقِه، مع كونه مُستويًا على عرشِه، وقرنَ بين الأمرَينِ كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنَّه استوى على عَرشِه، وأنَّه مع خلقِه يُبصرُ أعمالَهم من فوق عَرشِه؛ فعُلُوُّه لا يُناقضُ معيَّتَه، ومَعيَّتُه لا تُبطلُ عُلوَّه.

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ
عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ
سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ
٣٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ
ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم
بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ
عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ
شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ
فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ
إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ
لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠

[٣٧] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ أي: التأخيرُ لِحُرمةِ شَهرٍ إلى آخَرَ؛ كما كانَت الجاهليَّةُ تفعلُه، مِن تَأخيرِ حُرْمَةِ المُحَرَّمِ إذا هَلَّ، وهُم في القِتالِ، إلى صَفر[١] ﴿زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ لِكُفرِهم بِحُكمِ الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ - بِضَمِّ الياءِ وفتحِها[٢] - ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي: النَّسيءَ ﴿عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾: يُوافِقُوا بِتحليلِ شهرٍ وتحريمِ آخرَ بَدَلَهُ ﴿عِدَّةَ﴾: عَدَدَ ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ الأَشهُرِ؛ فلا يَزيدونَ على تحريمِ أربعةٍ ولا يَنقُصونَ، ولا يَنظُرونَ إلى أعيانِها ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾ فَظنُّوه حَسَنًا ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

[٣٨] وَنَزَلَ - لَمَّا دَعا النَّبيُّ ﷺ النَّاسَ إلى غَزوةِ تَبُوكَ، وكَانوا في عُسْرةٍ وشِدَّةِ حَرٍّ[٣]؛ فشَقَّ عليهم[٤]-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾ - بِإدغامِ التَّاءِ في الأَصلِ في المُثَلَّثةِ، واجتلابِ هَمزةِ الوَصلِ[٥]- أي: تباطأتُم ومِلتُم عَنِ الجِهادِ ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ والقُعودِ فيها؟ والاستفهامُ للتَّوبيخِ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولذَّاتِها ﴿مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ أي: بَدلَ نَعيمِها؟ ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي﴾ جَنبِ مَتاعِ ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: حَقيرٌ.

[٣٩] ﴿إِلَّا﴾ -بِإدغامِ «لا» في نُونِ «إن» الشَّرطيَّةِ في المَوضِعَينِ[٦]- ﴿تَنفِرُواْ﴾: تَخرُجوا مَعَ النَّبيِّ ﷺ لِلجِهادِ ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾: مُؤلِمًا ﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أي: يَأتِ بِهم بدلَكُم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي: اللهَ، أوِ النَّبيَّ ﷺ ﴿شَيۡـٔٗاۗ﴾ بِتَرْكِ نَصْرِه؛ فإنَّ الله ناصرٌ دِينَه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ ومنه نَصرُ دِينِه وَنَبيِّه.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: النَّبيَّ ﷺ ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ﴾: حِينَ ﴿أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِنْ مَكَّةَ؛ أي: أَلجَؤوه إلى الخُروجِ لَمَّا أرادُوا قَتلَه أو حَبسَه أو نَفيَه بِدارِ النَّدوةِ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾: حالٌ؛ أي: أَحدَ اثنَينِ، والآخَرُ أبو بَكرٍ - المعنَى: نَصَرَه الله في مِثلِ تلكَ الحَالةِ؛ فلا يَخذِلُه في غَيرِها- ﴿إِذۡ﴾: بدلٌ مِنْ ﴿إِذۡ﴾ قَبلَه ﴿هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾: نَقبٍ[٧] في جَبلِ ثَورٍ ﴿إِذۡ﴾: بدلٌ ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بَكرٍ -وقدْ قالَ له لَمَّا رَأى[٨] أقدامَ المُشرِكينَ: «لو نَظَرَ أحدُهُم تَحتَ قَدَمَيهِ لأَبصَرَنا»[٩]-: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ بِنَصرِه[١٠] ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: طُمأنينَتَه ﴿عَلَيۡهِ﴾ قِيلَ: على النَّبيِّ ﷺ. وقِيلَ: على أبي بكرٍ[١١]، ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: النَّبيَّ ﷺ ﴿بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾: مَلائكةٍ في الغَارِ، ومَواطنِ قِتالِه ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: دَعوةَ الشِّركِ ﴿ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾: المغلُوبةَ ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ أي: كلمةُ الشَّهادةِ ﴿هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾: الظَّاهرةُ الغَالبةُ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في مُلكِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه.

---

(١) أخرجَ ابنُ جريرٍ (١٦٧٠٦)، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ قَالَ: النَّسِيءُ: هُوَ أَنَّ جُنَادَةَ بْنَ عَوْفِ بْنِ أُمَيَّةَ الْكِنَانِيَّ كَانَ يُوَافِي الْمَوْسِمَ فِي كُلِّ عَامٍ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا ثُمَامَةَ، فَيُنَادِي: «أَلَا إِنَّ أَبَا ثُمَامَةَ لَا يُحَابُ وَلَا يُعَابُ، أَلَا وَإِنَّ صَفَرَ الْعَامَ الْأَوَّلَ حَلَالٌ»، فَيُحِلُّهُ النَّاسُ، فَيُحَرِّمُ صَفَرَ عَامًا، وَيُحَرِّمُ الْمُحَرَّمَ عَامًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٣٧]. يَقُولُ: يَتْرُكُونَ الْمُحَرَّمَ عَامًا، وَعَامًا يُحَرِّمُونَهُ. و«يُحَابُ»: مِنَ الحَوبِ وهو الإثمُ؛ أي: لا يُنسَبُ إليه الإثمُ. وأخرجَه البيهقيُّ في السُّنَنِ (٨١٧٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، بِلفظِ: «لا يُجَابُ» بِالجِيمِ، بَدلًا مِنْ «لا يُحَابُ».

(٢) ﴿يَضِلُّ﴾؛ بِالفَتحِ مَعَ كَسرِ الضَّادِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبَةَ، و﴿يُضَلُّ﴾؛ بِالضَّمِّ مَعَ فتحِ الضَّادِ: قِرَاءَةُ بقيةِ السَّبعَةِ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وشِدَّةِ وحرٍّ).

(٤) أخرجَ نحوَه ابنُ جرير وابنُ المُنذرِ وابنُ أبي حَاتمٍ وأبو الشيخ عَنْ مُجاهِدٍ؛ كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٣/ ٤٢٧)، وهو مُرسلٌ صَحيحُ الإسنادِ، كما قالَ صاحبُ الاستيعابِ (٢/ ٢٧٧).

(٥) فالأصل: «تَتَاقلتم»، أُبدِلَتِ التَّاء ثاءً، وأُدغِمتْ فيها، وأُتيَ بِهمزةِ الوَصل تَوصُّلاً لِلنطقِ بِالسَّاكنِ. حاشية الصاوي على الجلالين (٢/ ١٤٩).

(٦) أي: هذا، وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾.

(٧) في نُسخَةِ حَاشيةِ الجَملِ: (ثُقب).

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (نظر).

(٩) أخرَجَهُ البُخارِيُّ (٣٦٥٣)، ومسلمٌ (٢٣٨١)، عَنْ أَنسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا».

(١٠) سبق مرارًا بيانُ أنَّ هذا يقتضي مَعيَّةَ الله الخاصَّةَ لِعبادِه المؤمنينَ، وسَبقَ بيانُ حَقيقةِ المعيَّةِ في أكثرَ مِن مَوضِعٍ، يُنظَرُ على سبيلِ المثالِ التعليقُ في: الأنفال: الآية (٤٦)، والتوبة: الآية (٣٦).

(١١) أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ (١٠٠٤٧)، والبيهقيُّ في دلائلِ النُّبوةِ (٢/ ٤٨٢) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾، قَالَ: «عَلَى أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ تَزَلِ السَّكِينَةُ مَعَهُ».

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ
وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ
﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
الحزب ٢٠ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ
أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ
فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم
مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

[٤١] ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: نِشاطًا وغَيرَ نِشاطٍ- وقِيلَ: أقوياءَ وضُعفاءَ، أو أغنياءَ وفُقراءَ. وهي منسوخةٌ بآيةِ[1]: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾[2]- ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خيرٌ لكم؛ فلا تثَّاقَلُوا[3].

[٤٢] وَنَزَلَ في المُنافِقِينَ الذين تخلَّفُوا[4]: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتَهم إليه ﴿عَرَضًا﴾: مَتاعًا، مِن الدُّنيا ﴿قَرِيبًا﴾: سهلَ المَأخذِ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: وَسطًا ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ طَلَبًا لِلغَنِيمةِ ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: المسافةُ؛ فتَخلَّفُوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إذا رَجعتُم إليهم ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروجَ ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولِهم ذلك.

[٤٣] وكانَ ﷺ أذِنَ لِجماعةٍ في التَّخلُّفِ بِاجتهادٍ منه؛ فنَزَلَ عِتابًا له[5]، وَقُدِّمَ العفوُ تطمِينًا لِقَلبِه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التَّخلُّفِ؟ وهلَّا تركتَهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في العُذْرِ ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه.

[٤٤] ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في التَّخلُّفِ عَنْ ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التَّخلُّفِ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ﴾: شَكَّتْ ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدِّينِ ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[*]: يتحيَّرونَ.

[٤٦] ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معكَ ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: أُهبةً مِنَ الآلَةِ والزَّادِ ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ أي: لم يُرِدْ[6] خُروجَهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: كَسَّلَهُمْ ﴿وَقِيلَ﴾ لهم: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ المرضَى والنِّساءِ والصِّبيانِ. أي: قدَّرَ اللهُ -تعالَى- ذلك.

[٤٧] ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: فَسادًا؛ بِتَخذِيلِ المُؤمنينَ ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: أسرَعُوا بينكم بِالمَشي بِالنَّميمةِ ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾: يَطلُبونَ لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بِإلقاءِ العَداوةِ ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ما يَقولونَ، سَماعَ قَبولٍ[7] ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

---

[*] فائدةٌ: أخرجَ أبو داودَ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآيةَ. نَسختْها التي في النُّورِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ إلى قولِه: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٦٢]. أبو داودَ - كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإذنِ في القفول بعد النَّهي، وحَسَّنَه الألبانيُّ في صَحيحِ سُنَنِ أبي داودَ (٢٤٠٩).

---

(١) أي: على القولَينِ الأخيرَينِ، لا على الأوَّلِ فهي مُحكَمةٌ.

(٢) التوبة: ٩١.

(٣) في نُسخةِ قَباوَة: (فلا تَتَاقلوا)؛ بِتائَينِ.

(٤) ذَكَرَه الواحِديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص٢٤٧)، وعَزاهُ للسُّدِّي، عَنِ المِقدادِ بْنِ الأَسْوَد. وأخرجَه ابنُ جَريرٍ (١٧٠٩٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وإسنادُه ضعيفٌ جدًّا، مُسَلسلٌ بِالضعفاءِ، كما ذكر الألبانيُّ- في نَصْبِ المنجنيقِ لِنسفِ قِصَّةِ الغرانيقِ (ص٣٣)- عن هذا الإسنادِ.

(٥) لَعلَّه يَقصِدُ ما أخرجه عبدُ الرزَّاقِ في المُصنَّفِ وابنُ جرير عَنْ عمرِو بنِ ميمون الأَوديِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: اثنتانِ فعلَهما رسولُ الله ﷺ لم يُؤمرْ فيهما بِشيءٍ؛ إذنُه لِلمُنافِقينَ، وأخذُه مِنَ الأُسارى، فأنزلَ الله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الآية [التوبة:٤٣] الدُّرُّ المنثور (٣/ ٤٤١). وهو مُرسَلٌ صحيحُ الإسنادِ كما ذَكرَ صاحبُ الاستيعاب (٢/ ٢٨٠). وانظر أثرَ ابنِ جرير (١٧٠٩٠) المتقدِّم، في الحاشيةِ السابقةِ.

(٦) وهذا تأويلٌ لهذه الصِّفةِ التي أثبتَها ربُّنا جَلَّ وَعَلَا لِنفسِه. ومَذهبُ السَّلفِ إثباتُ هذه الصِّفاتِ وغيرِها ممَّا أثبتَه الله عَزَّ وَجَلَّ لِنفسِه أو أثبتَها له رسولُه ﷺ، على الوَجهِ اللائقِ به مِن غَيرِ تأويلٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ.

(٧) قال ابنُ تيميةَ في بيانِ تلبيسِ الجهميَّةِ (٣/ ٤٢٠): «فأخبرَ أنَّ في المؤمنينَ مَنْ يَستجيبُ لِلمنافقينَ ويَقبلُ منهم؛ فإذا كان هذا في عهدِ النَّبيِّ ﷺ كان استجابة بعضِ المؤمنين لبعض المنافقين فيما بعده أولى».

[٤٨] ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ﴾ لكَ[1] ﴿ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾: أوَّلَ ما قَدِمْتَ المدينةَ ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: أجَالُوا الفِكرَ في كَيدِكَ وإبطَالِ دِينِكَ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: النَّصرُ ﴿وَظَهَرَ﴾: عَزَّ ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: دِينُهُ ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ له؛ فدَخَلُوا فيه ظَاهِرًا.

[٤٩] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ في التَّخلُّفِ ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ وهو الجَدُّ بنُ قَيسٍ، قالَ له النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟**»، فقال: «إنِّي مُغرَمٌ بالنِّساءِ، وأخشَى إنْ رأيتُ نِساءَ بني الأَصفَرِ أنْ لا أصبِرَ عنهُنَّ؛ فأُفتَتَن»[2]. قالَ تَعالَى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ بالتَّخلُّفِ- وقُرِئَ: «سَقَطَ»[3]- ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: لا مَحِيصَ لهم عنها.

[٥٠] ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنَصرٍ وغَنيمَةٍ ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: شِدَّةٌ ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ بِالحَزمِ، حِينَ تخلَّفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلِ هذه المُصيبةِ ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ بما أصابَكَ.

[٥١] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابتَه ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾: نَاصِرُنا، ومُتولِّي أمورِنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ - فيه حَذفُ إحدى التَّاءَينِ مِنَ الأَصلِ- أي: تنتظرونَ أنْ يَقعَ ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى﴾ العَاقِبَتَينِ ﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: تَثنيةُ «حُسنى» تأنيثُ «أحسَن»: النَّصرَ أوِ الشَّهادةَ؟ ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾: ننتظرُ ﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: بِقَارعةٍ مِنَ السَّماءِ ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بِأنْ يُؤذنَ لنا في قِتالِكم[4] ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ بِنَا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ عَاقِبتَكم.

[٥٣] ﴿قُلْ أَنفِقُواْ﴾ في طَاعةِ اللهِ ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنفقتُموه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ والأَمرُ هنا بمعنَى الخَبَرِ.

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[5]- ﴿مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾: فَاعلٌ، و﴿أَن تُقْبَلَ﴾: مَفعولٌ[6] ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: مُتَثاقِلونَ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ النَّفقةَ؛ لِأَنَّهم يَعُدُّونَها مَغرَمًا.

لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم
مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ
أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل
لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ
إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ
بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم
مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ
مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ
بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِقتالِكم)؛ بَدلًا مِن: (في قِتالِكم).

(٢) أخرجَ نحوَه ابنُ أبي حَاتمٍ وابنُ مردويه عن جابرِ بنِ عبدِ الله، وكذا ابنُ المُنذرِ والطبرانيُّ وابنُ مردويه وأبو نُعَيم في المعرفة عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٣/ ٤٤٣)، واختُلِف في تَحسِينِه وتَضعيفِه؛ فحسَّنَه فريقٌ بشواهدِه، منهم صاحبُ الاستيعاب (٢/ ٢٨١-٢٨٣)، ومنهم من ضعَّفه كالهيثميِّ وغيرِه، كما في المَجمع (٧/ ٣٠).

(٣) وهي قِراءةٌ شاذَّةٌ.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ﴾ لك)؛ بتقديم جُزءِ الآيَةِ: ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾.

(٥) ﴿يُقْبَلَ﴾ بالياءِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسائِيِّ. وقرَأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ ﴿تُقْبَلَ﴾؛ بالتَّاءِ.

(٦) أي: إنَّ المصدرَ المُؤوَّلَ مِن: ﴿أَن يُقْبَلَ﴾ في محلِّ نَصبِ مفعولٌ ثانٍ لِـ«منع». والمَصدرُ المُؤوَّلُ من: ﴿أَنَّهُمْ كَفَرُواْ﴾ في محلِّ رَفعِ فاعلٌ؛ أي: التقديرُ: وما منعهم قبولَ نفقاتِهم إلَّا كفرُهم.

فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ
﴿٥٥﴾ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ
قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا
لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي
ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا
هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ
إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ
وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ
مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ
ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ
بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾

نصف الحزب ٢٠

[٥٥] ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ﴾ أي: لا تستحسِنْ نِعَمَنَا عليهم؛ فهي: استدراجٌ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي: أنْ يُعذِّبَهم ﴿بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بِـمَا يَلقَونَ في جَمعِها مِنَ المشقَّةِ، وفيها مِنَ المَصَائبِ ﴿وَتَزۡهَقَ﴾: تَخرُجَ ﴿أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ فيُعذِّبَهم في الآخِرةِ أشَدَّ العَذَابِ[1]. [٥٦] ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ﴾ أي: مُؤمنونَ ﴿وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ﴾: يَخافُونَ أَنْ تَفعَلُوا بهم كَالمُشرِكِينَ؛ فيَحلِفونَ تَقِيَّةً. [٥٧] ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا﴾ يَلجَأُونَ إليه ﴿أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ﴾: سَرادِيبَ ﴿أَوۡ مُدَّخَلٗا﴾: موضعًا يَدَّخِلُونَه ﴿لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾: يُسرِعُونَ في دُخولِه والانصِرَافِ عَنكُم، إِسرَاعًا لا يَرُدُّه شيءٌ؛ كالفَرَسِ الجَمُوحِ. [٥٨] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ﴾: يَعِيبُكَ[*] ﴿فِي﴾ قَسْمِ ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾. [٥٩] ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ مِنَ الغَنَائِمِ ونَحوِها ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا﴾: كَافِينَا ﴿ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ مِنْ غَنِيمَةٍ أُخرَى ما يَكفِينا ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ أنْ يُغنِيَنَا. وجَوابُ ﴿لَوۡ﴾: لَكَانَ خيرًا لهم.

[٦٠] ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾: الزَّكَوَاتُ مَصرُوفةٌ ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يَقعُ مَوقِعًا مِنْ كِفَايَتِهم ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ الَّذين لا يَجِدُونَ ما يَكفِيهم ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ أي: الصَّدَقَاتِ؛ مِنْ جَابٍ وَقَاسِمٍ وَكَاتِبٍ وَحَاشِرٍ ﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ لِيُسلِموا، أو يَثْبُتَ إِسلَامُهم، أو يُسلِمَ نُظراؤُهم، أو يَذُبُّوا عَنِ المسلمينَ- أقسامٌ؛ الأَوَّلُ والأخيرُ لا يُعطَيانِ اليومَ عندَ الشَّافِعيِّ -رضي الله تَعَالَى عنه[2]-؛ لِعِزِّ الإِسلَامِ، بِخِلافِ الآخَرَينِ فيُعطَيَانِ على الأَصَحِّ- ﴿وَفِي﴾ فَكِّ ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ أي: المُكَاتَبِينَ[3] ﴿وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾: أهلِ الدَّيْنِ، إنْ استدانُوا لِغَيرِ مَعصيَةٍ، أو تَابُوا وليسَ لهم وَفاءٌ، أو لِإِصلاحِ ذَاتِ البَيْنِ، ولو أغنياءَ ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: القَائِمينَ بالجِهادِ مِمَّنْ لا فَيءَ لهم، ولو أغنياءَ ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾: المنقطعِ في سَفَرِه ﴿فَرِيضَةٗ﴾: نُصِبَ بِفِعْلِهِ المُقدَّرِ[4] ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمٞ﴾ في صُنْعِه. فلا يَجوزُ صَرفُها لِغَيرِ هَؤلاءِ، ولا مَنْعُ صِنْفٍ منهم[5] إذا وُجِدَ. فيَقسِمُها الإِمامُ عليهم على السَّواءِ، وله تَفضِيلُ بَعضِ آحَادِ الصِّنفِ على بَعضٍ.

وأفادَتْ «اللَّامُ» وُجوبَ استغراقِ أفرَادِه[6]، لكن لَا يَجِبُ على صَاحِبِ المالِ إذا قَسَمَ لعُشْرِه، بَلْ يَكفِـي إعطاءُ ثَلاثةٍ مِنْ كُلِّ صِنفٍ، ولا يَكفِـي دُونَها -كما أفادَتْه صِيغةُ الجَمعِ-، وبيَّنتِ السُّنَّةُ أنَّ شَرطَ المُعطَى منها: الإسلامُ، وأنْ لا يَكُونَ هَاشِميًّا ولا مُطَّلِبيًّا[7].

[٦١] ﴿وَمِنۡهُمُ﴾ أي: المُنافِقِينَ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ بِعَيبِه وبِنَقلِ حَدِيثِه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ -إذا نُهوا عن ذلك؛ لِئلَّا يَبلُغَه-: ﴿هُوَ أُذُنٞۚ﴾ أي: يَسمعُ كُلَّ قِيلٍ وَيَقبَلُهُ، فإذا حَلَفْنا له إنَّا لم نَقُلْ صَدَّقَنا ﴿قُلۡ﴾: هو ﴿أُذُنُ﴾: مُستَمِعُ ﴿خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ لا مُستَمِعُ شَرٍّ ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ﴾: يُصدِّقُ ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فيما أخبَرُوه به لا لِغَيرِهم- و«اللَّامُ» زائدةٌ لِلفَرقِ بينَ إيمانِ التَّسليمِ وغَيرِه- ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ بالرَّفعِ: عطفًا على: ﴿أُذُنُ﴾، والجَرِّ[8]: عَطفًا على: ﴿خَيۡرٖ﴾ ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥٨): أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ الله بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْ قَالَ: ثَدْيَيْهِ، مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ». أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾. البُخاريُّ - كتاب استتابة المرتدينَ (٨٨) باب (٧) مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّفِ، وَأَنْ لَا يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُ.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أشدَّ عذاب). (٢) قوله: (رضي الله تَعَالَى عنه): ليس في نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٣) المُكَاتَبُ: بِضَمِّ الميمِ وفتحِ التَّاءِ: اسمُ مفعولٍ مِنْ كَاتَبَ، وهو: الرَّقيقُ الذي تمَّ عَقدٌ بينه وبين سَيِّدِه، على أن يدفَع له مَبلغًا مِنَ المالِ نُجومًا-أي: أقساطًا- لِيصيرَ حُرًّا. مُعجم لُغةِ الفِقه (ص٤٥٥). (٤) أي: فَرَضَه الله فريضةً.

(٥) ذكرَ النوويُّ عَنِ الشافعيِّ: أنَّ الكفَّارَ إنْ جَازَ تَأليفُهم؛ فإنَّما يُعطونَ مِن سَهمِ المصالحِ مِنَ الفَيءِ ونَحوِه، ولا يُعطَونَ مِنَ الزَّكاةِ. وقالَ جمهورُ الحنفيَّةِ بِنَسخِ سَهمِ المؤلَّفةِ قُلوبُهم. وعندَ الحنابلةِ والمالكيَّةِ: أنَّه باقٍ لَم يُنسخ، وهو الصَّحيحُ؛ لِأَنَّ القولَ بالنَّسخِ ليسَ عليه دليلٌ صَريحٌ، والحَاجةُ إلى تأليفِ القُلوبِ لم تنقطِع. (٦) وهذا مذهبُ الشافعيِّ. وعندَ الجُمهورِ لا يلزمُ تعميمُ الأَصنافِ؛ فاللَّام في قوله تَعالَى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ لِبيَانِ المَصرفِ، لا للاستحقَاقِ، وهذا هو الأرجحُ، لكن قالَ مالكٌ: الأمرُ عندَنا في قَسمِ الصَّدقَاتِ أن ذلك لا يكونُ إلا على وَجهِ الاجتهادِ مِنَ الوَالي، فأيُّ الأَصنافِ كانت الحاجةُ فيه والعَددُ أُوثِرَ ذلك الصِّنفُ بِقَدرِ ما يَرى الوَالي... وهو أولى ما يُؤخذُ به في حَالِ وجود الحاكمِ الشَّرعيِّ، وإلَّا فالأقربُ ما نُقِلَ عَنِ النَّخعيِّ وغيرِه: إذا كانَ المالُ كثيرًا ففرِّقه في الأَصنافِ، وإذا كان قليلًا فأعطِه صِنفًا وَاحدًا... مع مُراعَاةِ الأشدِّ حَاجَةً... واللهُ أعلمُ. (٧) أخرجَه مُسلمٌ (١٠٧٢) في حديثٍ طويلٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ، وفيه: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ؛ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ...». وأخرجَ البُخاريُّ (٣١٤٠) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، أَعْطَيْتَ بَنِي المُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو المُطَّلِبِ، وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ». (٨) بالجَرِّ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن
يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن
تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ
إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ
حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

[٦٢] ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ -أيُّها المُؤمنونَ- فيما بَلغَكم عنهم مِنْ أذَى الرَّسولِ إنَّهم ما أتَوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالطَّاعةِ ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ حقًّا. وتوحيدُ الضَّميرِ؛ لِتلازُمِ الرِّضاءَينِ[1]، أو خبرُ «اللهُ»، أوْ «رَسُولُهُ» محذوفٌ[2].

[٦٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ بـ﴿أَنَّهُۥ﴾[3] أي: الشَّأنَ ﴿مَن يُحَادِدِ﴾: يُشاقِقِ ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً ﴿خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[٦٤] ﴿يَحْذَرُ﴾: يخافُ ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المُؤمنينَ ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ مِنَ النِّفاقِ، وهُم مَع ذلكَ يَستهزِئونَ ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ أمرُ تهديدٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾: مُظهِرٌ ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ إخراجَه، مِنْ نِفاقِكم.

[٦٥] ﴿وَلَئِن﴾: لَامُ قَسَمٍ ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عَن استهزائِهم بِكَ والقُرآنِ، وهم سَائِرونَ معكَ إلى تبوكَ ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ مُعتذِرينَ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحَديثِ؛ لِنَقْطعَ به الطَّريقَ، ولم نَقصِدْ ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٦٦] ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ أي: ظَهَرَ كُفرُكم بعدَ إظهارِ الإيمانِ ﴿إِن [يُعْفَ]﴾ - بِاليَاءِ مَبنيًّا لِلمَفعولِ، والنُّونِ مَبنيًّا للفَاعلِ- ﴿عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بِإخلاصِها وتَوبتِها؛ كَمَخْشِيِّ بنِ حُمَيِّرٍ[4] ﴿[تُعَذَّبْ]﴾ - بِالتَّاءِ والنُّونِ- ﴿[طَآئِفَةٌ][5] بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾: مُصرِّينَ على النِّفاقِ والاستِهزاءِ.

[٦٧] ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: مُتَشابِهُونَ في الدِّينِ؛ كأَبعاضِ الشيءِ الوَاحِدِ ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: الكُفْرِ والمعَاصِي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: الإيمانِ والطَّاعةِ ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عَنِ الإنفاقِ في الطَّاعةِ ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾: تَرَكُوا طَاعتَه ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: تركَهم مِنْ لُطْفِهِ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ﴾ جَزاءً وعِقابًا ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدَهُم عَنْ رَحمتِه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ.

---

(١) يَعني أنَّ ضميرَ المفعولِ في ﴿يُرْضُوهُ﴾ جَاءَ مُفردًا ولم يُثَنَّ مُرَاعاةً لِلفظِ الجَلالةِ ورسولِه، وكان التقديرُ أن يكونَ: «يُرضوهما»، لكن لَمَّا كانَ تلازمُ رِضَا الله ورِضَا رَسولِه ﷺ؛ وُحِّدَ الضَّميرُ مُراعاةً لِلمعنَى.

(٢) وهذا بِاعتبارِ الوَجهِ الثاني الذي ذَكرَه المُفسِّرُ، وأنَّ الضميرَ في قولِه: ﴿يُرْضُوهُ﴾ يَرجعُ إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، وأمَّا خبرُ: ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾، فمَحذوفٌ، دَلَّ عليه خَبرُ ﴿ٱللَّهُ﴾. وتَقديرُه: فاللهُ أحقُّ أن يُرضُوه، ورسولُه أحقُّ أن يُرضُوه.

(٣) في نُسْخَةِ قَباوَة، وحاشيةِ الجَملِ: (﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ﴾)، بِدُونِ (بِـ).

(٤) في بَعضِ النُّسخِ: (جَحش بن حُمَيِّر).

(٥) بِالبِناءِ لِلمفعولِ في الفِعلَينِ؛ ﴿يُعفَ﴾ و﴿تُعذَّبْ﴾، ورَفع: ﴿طَآئِفَةٌ﴾: قِراءَةُ السَّبْعَةِ عدا عاصمٍ؛ ﴿إِن يُعفَ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ تُعَذَّبْ طَآئِفَةٌ﴾، وقَرأ عاصمٌ: بِالنُّونِ والبناءِ لِلفَاعِلِ فيهما، ونَصبِ ﴿طَآئِفَةً﴾: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا
وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

[٦٩] أنتم -أيها المُنافِقُونَ- ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟﴾: تَمَتَّعُوا ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾: نَصيبِهم مِنَ الدُّنيا ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ -أيها المُنافِقُونَ- ﴿بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في البَاطِلِ والطَّعنِ في النَّبيِّ ﷺ ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ أي: كَخَوضِهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾: خَبَرُ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾: قَومِ هُودٍ ﴿وَثَمُودَ﴾: قَومِ صَالِحٍ ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾: قَومِ شُعيبٍ ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾: قُرى قَومِ لُوطٍ؛ أي: أَهلِها؟ ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ؛ فكَذَّبُوهم؛ فأُهلِكُوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بِأَنْ يُعذِّبَهم بِغيرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِارتِكَابِ الذَّنبِ.

[٧١] ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾[*]: لا يُعجِزُه شيءٌ عَنْ إِنجازِ وَعْدِهِ وَوَعيدِه ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يَضَعُ شيئًا إِلَّا في مَحَلِّه.

[٧٢] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إِقامةٍ ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: أَعظمُ مِنْ ذلكَ كُلِّه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[*] فَائِدَةٌ: في قولِه: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ مُقابِلِ قَولِه في المُنافِقِينَ: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾. قال الطاهرُ بنُ عَاشورٍ: «وَعَبَّرَ فِي جَانِبِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِأَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ اللُّحْمَةَ الجَامِعَةَ بَيْنَهُمْ هِيَ وَلَايَةُ الإِسْلَامِ، فَهُمْ فِيهَا عَلَى السَّوَاءِ، لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مُقَلِّدًا لِلْآخَرِ، وَلَا تَابِعًا لَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ؛ لِمَا فِي مَعْنَى الوَلَايَةِ مِنَ الإِشْعَارِ بِالإِخْلَاصِ وَالتَّنَاصُرِ، بِخِلَافِ المُنَافِقِينَ، فكأَنَّ بعضَهم ناشِئٌ مِنْ بَعْضٍ فِي مَذَامِّهِمْ...» التحرير والتنوير (١١/ ٢٦٢).

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا
بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا (ثلاثة أرباع الحزب ٢٠)
مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ
بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

[٧٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بِالسَّيفِ ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بِاللِّسانِ والحُجَّةِ ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بِالانتِهارِ وَالمَقْتِ ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هي!

[٧٤] ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي: المُنافِقونَ ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بَلَغَكَ عنهم مِنَ السَّبِّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾: أظهَرُوا الكُفْرَ بَعدَ إِظهارِ الإِسلامِ ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ مِنَ الفَتْكِ بِالنَّبِيِّ ليلةَ العَقَبةِ عِندَ عَوْدِهِ مِنْ تبوكَ -وهم بِضعَةَ عَشَرَ رَجُلًا-؛ فضَربَ عمَّارُ بنُ ياسرٍ وُجوهَ الرَّواحِلِ، لَمَّا غَشُوهُ؛ فرَدُّوا[1] ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: أنكَرُوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بِالغَنائمِ بَعدَ شِدَّةِ حَاجَتِهم. المَعنَى: لمْ يَنَلْهم منه إلَّا هذا، ولَيسَ مِمَّا يُنقَمُ[2] ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عَنِ النِّفاقِ ويُؤمِنُوا بِكَ[3] ﴿يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عَنِ الإيمانِ ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بِالقَتلِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَحفَظُهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمنعُهم.

[٧٥] ﴿۞ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ - فيه إِدغامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الصَّادِ[4]- ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ - وهو ثَعلبةُ بنُ حَاطِبٍ؛ سأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَدعوَ له أَنْ يرزُقَه الله مَالًا، ويؤدِّيَ منه كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ- فدعَا له؛ فوُسِّعَ عليه؛ فانقطَعَ عَنِ الجُمُعَةِ والجماعَةِ، ومَنَعَ الزَّكَاةَ[5]؛ كما قالَ تَعالَى: [٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾ عَنْ طاعَةِ الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. [٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فَصَيَّرَ عاقِبَتَهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثَابِتًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي: اللهَ- وهو: يَومُ القِيامَةِ- ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فيه. فجاءَ بعدَ ذلكَ إلى النَّبِيِّ ﷺ بزَكاتِه، فقالَ: «إِنَّ اللهَ مَنَعَني أَنْ أَقبَلَ مِنْكَ»؛ فجعلَ يَحثو التُّرابَ على رَأسِه، ثُمَّ جَاءَ بها إِلى أَبي بَكرٍ فلم يَقبلْها، ثُمَّ إِلى عُمرَ فلم يَقبلْها، ثُمَّ إِلى عُثمانَ فلم يَقبلْها. ومَاتَ في زَمَانِه[6]. [٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: المُنافِقونَ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أَسَرُّوا في أَنفُسِهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما تَناجَوا به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: ما غَابَ عَنِ العِيانِ؟ [٧٩] ولَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ جاءَ رَجلٌ فتصدَّقَ بِشَيءٍ كَثيرٍ، فقالَ المُنافِقونَ: مُرَاءٍ. وجَاءَ رَجلٌ فتصدَّقَ بِصَاعٍ، فقالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنيٌّ[7] عَن صَدَقةِ هذا. فنزَلَ[8]: ﴿الَّذِينَ﴾: مُبتدأٌ ﴿يَلْمِزُونَ﴾: يَعِيبونَ ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: المُتنفِّلينَ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: طاقتَهم؛ فيَأتُونَ به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخَبَرُ: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جَازَاهم على سُخرِيَتِهم[9] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[*].

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٧٩): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...﴾ الآيَةَ. البُخَارِيُّ - كتاب الزكاة (٢٤) باب (١٠) اتقوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تمرة. وأخرجه مسلم -كتاب الزكاة (١٢) باب (٢١) بَابُ الحَمْلِ أُجْرَةً يُتَصَدَّقُ بِهَا، وَالنَّهْيِ الشَّدِيدِ عَنْ تَنْقِيصِ المُتَصَدِّقِ بِقَلِيلٍ.

---

(١) أخرجه أحمدُ (٢٣٧٩٢) عَنْ أبي الطُّفَيلِ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ الله أَخَذَ العَقَبَةَ، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ الله ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِحُذَيْفَةَ: «قَدْ، قَدْ» حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ الله ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: «يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ القَوْمَ؟» فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ الله ﷺ فَيَطْرَحُوهُ» قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: نَشَدْتُكَ بِالله، كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ العَقَبَةِ فَقَالَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ، فَعَذَرَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً قَالُوا: والله مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ الله، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ القَوْمُ، فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنَّ الاِثْنَيْ عَشَرَ البَاقِينَ حَرْبٌ لله وَلِرَسُولِهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ. وقال الأرناؤوطُ في تخريجِه على المُسنَدِ (٣٩/ ٢١١): «إسنادُه قويٌّ على شَرطِ مُسلم. يزيدُ: هو ابنُ هارونَ». والقِصَّةُ أخرجَها البيهقيُّ في الدلائلِ عن عُروةَ وعَن حُذيفةَ بنِ اليَمانِ، وأخرجَها ابنُ أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحَّاك، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ٤٦٤-٤٦٦)، ولَيسَ في أيٍّ منها عندهم أنَّ عمَّارَ بنَ يَاسرٍ ضَربَ وُجوهَ الرَّواحِلِ. وحسَّنه صاحبُ الاستيعابِ بقولِه: وهذا إسنادٌ حَسَنٌ؛ رجالُه ثِقاتٌ، إلَّا ابن إسحاقَ، وهو صدوقٌ حُجَّةٌ في «المغازي». الاستيعاب (٢/ ٢٩١). (٢) أي: يُكره؛ فالاستثناءُ مُنقطعٌ. (٣) كَلمةُ: (بك) لَيستْ في نُسخةِ قَباوة. (٤) أي: أصلُها: «نَتَصَدَّقَ»، سُكِّنَتِ التَّاءُ وأُبدِلَتْ صَادًا، وأُدغِمَتْ في الصَّادِ الثانيةِ، وأُدغِمَت الدَّالُ الأُولى في الثانية. (٥) هذه القِصَّةُ التي أشار إليها السُّيوطيُّ، وهي قِصَّةٌ مُتداوَلةٌ على الألسنِ نقلَها بعضُ المُفسِّرينَ دُونَ إنكارِ نِسبتِها إلى ثعلبةَ، وتعقَّبها آخرونَ بالنَّقدِ، واستبعدوا نزولَها في حقِّ صحابيٍّ شهد معركة بدر، قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢١٠): «وَثَعْلَبَةُ بَدْرِيٌّ أَنْصَارِيٌّ، وَمِمَّنْ شَهِدَ اللهُ لَهُ وَرَسُولُهُ بِالإِيمَانِ...فَمَا رُوِيَ عَنْهُ غَيْرُ صَحِيحٍ. قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَلَعَلَّ قَوْلَ مَنْ قَالَ فِي ثَعْلَبَةَ أَنَّهُ مَانِعُ الزَّكَاةِ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ الآيَةُ غَيْرُ صَحِيحٍ، والله أَعْلَمُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: إِنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي رِجَالٍ مِنَ المُنَافِقِينَ: نَبْتَلِ بْنِ الحَارِثِ وَجَدِّ بْنِ قَيْسٍ وَمُعَتِّبِ بْنِ قُشَيْرٍ. قُلْتُ: وَهَذَا أَشْبَهُ بِنُزُولِ الآيَةِ فِيهِمْ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِي عَاهَدَ اللهَ لَمْ يَكُنْ مُنَافِقًا مِنْ قَبْلُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ المَعْنَى: زَادَهُمْ نِفَاقًا ثَبَتُوا عَلَيْهِ إِلَى المَمَاتِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾...». (٦) وَرَدَ ذلك في قِصَّةٍ طويلةٍ أخرجَها ابنُ جرير (١٦٩٨٧)، وابنُ أبي حاتم (١٠٤٠٥٦)، والبيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ (٤٠٤٨) عن أبي أُمامةَ الباهليِّ، وقالَ البيهقيُّ: «وَفِي إِسْنَادِ هَذَا الحَدِيثِ نَظَرٌ، وَهُوَ مَشْهُورٌ فِيمَا بَيْنَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ»، والطبرانيُّ في الكبيرِ (٧٨٧٣)، وقالَ الهيثميُّ في المَجمع (٧/ ٣٢): «رواه الطبرانيُّ، وفيه عليُّ بنُ يزيدَ الألهانيُّ، وهو متروكٌ». وقالَ الألبانيُّ في الضعيفة (٤/ ١١٢): «وهذا حديثٌ منكرٌ على شُهرتِه، وآفتُه عليُّ بن يزيد هذا، وهو الألهانيُّ متروكٌ». ولمزيد من البيان والتفصيل راجع كتاب: الشهاب الثاقب في الذبِّ عن الصحابي ثعلبةَ بنِ حَاطبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لسليم الهلالي. (٧) في نسخة قباوة: (لغنيٌّ). (٨) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (١٤١٥) ومسلمٌ (١٠١٨)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ عُقبَةَ بنِ عمروٍ الأنصاريِّ. ويُنظرُ حاشيةُ أسباب النُّزول. (٩) وهذا تأويلٌ لِهذه الصِّفةِ التي أثبتَها الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسِه، وهي فيما سِيقَتْ له مَدحٌ وكمالٌ، ولكنَّها لا تُطلَقُ عليه -سُبْحَانَهُ- مُجرَّدةً بدُونِ ذِكرِ مُتعلِّقِها، كما لا يُشتقُّ له اسمٌ أو صِفةٌ منها؛ فلا يُقالُ: ساخرٌ... ومَذهبُ السَّلفِ الإيمانُ بها على الوَجهِ اللائقِ به -سُبْحَانَهُ- من غيرِ تأويلٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تكييفٍ.

ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ
فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ
خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ
لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ
بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ
مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن
تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ
مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ
عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

[٨٠] ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ﴾ - يا محمَّد- ﴿لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾: تخييرٌ له في الاستغفارِ وَتَرْكِهِ. قالَ ﷺ: «إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ»؛ يعني: الاستغفارَ. رَواهُ البُخَارِيُّ[1] ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ قِيلَ: المُرَادُ بِالسَّبعِينَ المُبالَغةُ في كَثرةِ الاستغفارِ. وفي البُخاريِّ حَديثُ: «لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ؛ لَزِدْتُ عَلَيْهَا»[2]. وقِيلَ: المُرادُ العَددُ المَخصوصُ. لِحَديثِه أيضًا: «وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ»[3]؛ فبُيِّنَ لَهُ حَسْمُ المغفرةِ بِآيَةِ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾[4] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

[٨١] ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ عَنْ تبوكَ ﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾ أي[5]: بِقُعودِهم ﴿خِلَٰفَ﴾ أي: بَعْدَ ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ﴾ أي: قالَ بَعضُهم لِبَعضٍ: ﴿لَا تَنفِرُواْ﴾: تخرُجُوا إلى الجِهادِ ﴿فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ﴾ مِنْ تبوكَ. فالأَوْلَى أَنْ يَتَّقُوهَا بِتَرْكِ التَّخلُّفِ ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾: يَعلمونَ ذلك ما تخلَّفُوا.

[٨٢] ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ في الدُّنيا ﴿وَلۡيَبۡكُواْ﴾ في الآخِرةِ ﴿كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: خَبَرٌ عَنْ حَالِهم بِصِيغَةِ الأَمْرِ.

[٨٣] ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾: رَدَّكَ ﴿ٱللَّهُ﴾ مِنْ تبوكَ ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾: مِمَّنْ تخلَّفَ بِالمدِينةِ، مِنَ المُنافِقِينَ ﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ مَعكَ إلى غَزوةٍ أُخرَى ﴿فَقُل﴾ لهم: ﴿لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾: المُتخلِّفِينَ عَنِ الغَزوِ، مِنَ النِّساءِ والصِّبيانِ وغيرِهم.

[٨٤] ولَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ على ابنِ أُبَيٍّ نَزَلَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾[6] لِدفنٍ أو زِيارةٍ[*] ﴿إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾: كافِرُونَ.

[٨٥] ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ﴾: تَخرُجَ ﴿أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ أي: طائفةٌ مِنَ القُرآنِ: ﴿أَنۡ﴾ أي: بِأَنْ ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾: ذَوُو الغِنَى ﴿مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٨٤): أخرجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُصَلِّي عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ، فَقَالَ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ﴾ -[التوبة:٨٠]- وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ». قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ [التوبة:٨٤]. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة براءة (٩) باب (١٢).

---

(١) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (١٣٦٦)، وفي عِدَّةِ مَواضِعَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ»، فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ [التوبة:٨٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤] قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، واللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

(٢) الحديث السابق.

(٣) البُخَارِيُّ (٤٦٧٠)، ومسلمٌ (٢٤٠٠) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وانظرْ حاشيةَ أسبابِ النُّزول.

(٤) المنافقون: ٦.

(٥) كلمة: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٦) البُخَارِيُّ (٤٦٧٠)، ومسلمٌ (٢٤٠٠) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو الحديثُ السَّابقُ.

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾: جمعُ «خالِفَةٍ»؛ أي: النِّساءِ اللَّاتي تخلَّفنَ في البُيوتِ ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الخيرَ.

[٨٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ جَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ في الدُّنيا والآخِرةِ ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائِزونَ.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[٩٠] ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ -بإدغامِ التَّاءِ في الأصلِ في الذَّالِ- أي: المُعتذِرُونَ؛ بمعنَى: المعذُورِينَ. وقُرِئَ به(١) ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ إلى النَّبيِّ ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القُعُودِ لِعُذْرِهم؛ فأذِنَ لهم ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ادِّعاءِ الإيمانِ مِنْ مُنافِقِي الأعرابِ عَنِ المَجيءِ للاعتِذارِ ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩١] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ كالشُّيوخِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كَالعُمْيِ والزَّمْنَى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجِهادِ ﴿حَرَجٌ﴾: إثمٌ في التَّخلُّفِ عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في حَالِ قُعودِهم؛ بِعَدَمِ الإرْجَافِ وَالتَّثبيطِ، وَالطَّاعَةِ ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بذلكَ ﴿مِن سَبِيلٍ﴾: طَريقٍ بالمُؤاخَذةِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم في التَّوسِعَةِ في ذلك.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ مَعكَ إلى الغَزوِ؛ وهُم سبعةٌ مِنَ الأنصارِ(٢). وقيلَ: بنو مُقَرِّنٍ(٣) ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: حالٌ ﴿تَوَلَّوا﴾: جَوابُ ﴿إِذَا﴾ أي: انصرفُوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تَسيلُ ﴿مِنَ﴾: لِلبيانِ ﴿ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لِأجلِ ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجِهادِ[*].

[٩٣] ﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في التَّخلُّفِ ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ -تقدَّمَ مِثلُه-.

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾
وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ
كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى (الجزء ١١ الحزب ٢١)
ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟
مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

[*] فائدةٌ: أخرجَ البُخاريُّ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ أَسْأَلُهُ الحُمْلَانَ لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، فَقَالَ: «والله لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ» وَوَافَقْتُهُ، وَهُوَ غَضْبَانُ وَلَا أَشْعُرُ» وَرَجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً، إِذْ سَمِعْتُ بِلَالًا يُنَادِي: أَيْ عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ، فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: أَجِبْ رَسُولَ الله ﷺ يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: «خُذْ هَذَيْنِ القَرِينَيْنِ، وَهَذَيْنِ القَرِينَيْنِ -لِسِتَّةِ أَبْعِرَةٍ ابْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ-، فَانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ، فَقُلْ: إِنَّ الله، أَوْ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ». فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِمْ بِهِنَّ، فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَلَكِنِّي والله لَا أَدَعُكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِي بَعْضُكُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالَةَ رَسُولِ الله ﷺ، لَا تَظُنُّوا أَنِّي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا لَمْ يَقُلْهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالُوا لِي: والله إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدَّقٌ، وَلَنَفْعَلَنَّ مَا أَحْبَبْتَ، فَانْطَلَقَ أَبُو مُوسَى بِنَفَرٍ مِنْهُمْ، حَتَّى أَتَوُا الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ مَنْعَهُ إِيَّاهُمْ، ثُمَّ إِعْطَاءَهُمْ بَعْدُ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمِثْلِ مَا حَدَّثَهُمْ بِهِ أَبُو مُوسَى. البخاريُّ - كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٨) غزوة تبوكَ.

(١) وهي قِراءةٌ شَاذَّةٌ.

(٢) ذَكَرَه الوَاحِديُّ في أَسبابِ النُّزُولِ (ص٢٦٢) بِدُونِ سَنَدٍ، قالَ: «نَزَلَتْ فِي البَكَّائِينَ، وَكَانُوا سَبْعَةً: مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، وَصَخْرُ بْنُ خُنَيْسٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ كَعْبٍ الأنصاريُّ، وعُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ الأَنصارِيُّ، وَسَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ غَنَمَةَ، وَعَبْدُ الله بْنُ مُغَفَّلٍ. أَتَوْا رسولَ الله ﷺ فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ الله، إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد ندبنا إلى الخُروجِ مَعَكَ، فاحملنا على الخِرَقِ المَرْقُوعَةِ وَالنِّعَالِ المَخْصُوفَةِ، نَغْزُو مَعَكَ. فَقَالَ: «لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ»، فَتَوَلَّوْا وَهُمْ يَبْكُونَ». وأخرجَه ابنُ جَريرٍ (١٧٠٨٩) عن مُحَمَّدِ بنِ كَعبٍ القُرَظيِّ، مُرسَلًا. وذكرَ ابنُ إسحاقَ في سيرتِه أنَّهم سبعةٌ، كما نقلَه عنه ابنُ الجوزيِّ في زادِ المسيرِ (٢/ ٢٨٩).

(٣) أخرجَه ابنُ سعدٍ وَابنُ أَبي شيبةَ وَابنُ المُنذرِ وابنُ أبي حَاتمٍ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٤/ ٢٦٤)، عَنْ مُجاهِدٍ فِي قَوْلِه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قَالَ: هم بَنو مُقَرِّنٍ مِن مُزَينةَ، وهُم سَبْعَةٌ. وأخرجَه ابنُ جَريرٍ (١٧٠٨١، ١٧٠٨٣) عَنْ مُجاهِدٍ أيضًا.

يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ
لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٤ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ
عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ٩٥ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن
تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ
٩٦ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ
سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩

[٩٤] ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾ في التَّخلُّفِ ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ مِنَ الغَزوِ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾: نُصدِّقَكم ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾ أي: أخبَرَنا بِأحوالِكُم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بِالبَعْثِ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازِيكم عليه[1].

[٩٥] ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ﴾: رَجعتُم ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ مِنْ تبوكَ، أنَّهم مَعذُورُونَ في التَّخلُّفِ ﴿لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ بتَرْكِ المُعاتَبَةِ ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ﴾: قَذَرٌ؛ لِخُبثِ بَاطِنِهم ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾.

[٩٦] ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[*] أي: عنهم، ولا ينفعُ رِضاكُم مَعَ سُخْطِ الله.

[٩٧] ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ﴾: أهلُ البَدْوِ ﴿أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾ مِنْ أهلِ المُدنِ؛ لِجَفائِهِمْ وَغِلَظِ طِبَاعِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عن سَماعِ القُرآنِ ﴿وَأَجۡدَرُ﴾: أَوْلَى ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿لَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ﴾ مِنَ الأحكَامِ والشَّرائِعِ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمٞ﴾ في صُنْعِه بهم.

[٩٨] ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سَبيلِ الله ﴿مَغۡرَمٗا﴾: غَرَامَةً وَخُسْرَانًا؛ لِأنَّه لا يَرجُو ثَوابَه، بَلْ يُنفِقُه خَوفًا؛ وهُم بنو أسدٍ وغَطفانَ[2] ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾: يَنتظِرُ ﴿بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾ دَوائِرَ الزَّمانِ أَنْ تَنقلِبَ عليكم؛ فيَتَخلَّصَ. ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ [ٱلسُّوٓءِۗ]﴾ - بِالضَّمِّ والفَتحِ[3] - أي: يَدُورُ العَذابُ والهَلاكُ عليهم لا عليكُم[4] ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأقوالِ عِبادِهِ ﴿عَلِيمٞ﴾ بِأَفعَالِهم.

[٩٩] ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ كَجُهَينَةَ ومُزَينةَ[5] ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سَبيلِ الله ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ تُقَرِّبُهُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَ﴾ وَسِيلَةً إلى ﴿صَلَوَٰتِ﴾: دَعَواتِ ﴿ٱلرَّسُولِۚ﴾ له ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ أي: نَفَقتَهم ﴿[قُرُبَةٞ]﴾ - بِضَمِّ الرَّاءِ وسُكُونِها[6] - ﴿لَّهُمۡۚ﴾ عِندَه ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ﴾: جَنَّتِهِ[7] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِأهلِ طَاعتِه ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهم.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخاريُّ عَنْ كَعبِ بنِ مَالكٍ - في حَدِيثِ تَوبَتِه الطويلِ -: «... وَكُنَّا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا عَنِ الأَمْرِ الَّذِي قُبِلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَذَرُوا، حِينَ أَنْزَلَ الله لَنَا التَّوْبَةَ، فَلَمَّا ذُكِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا رَسُولَ الله ﷺ مِنَ المُتَخَلِّفِينَ وَاعْتَذَرُوا بِالْبَاطِلِ، ذُكِرُوا بِشَرِّ مَا ذُكِرَ بِهِ أَحَدٌ، قَالَ اللهُ سبحانَه: ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ...﴾ الآيَة». البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة براءة (٩) باب (١٨) ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ...﴾.

---

(١) يُنبِّئكم: أي: يُخبرُكم، واللهُ عَزَّوَجَلَّ يَتكلَّمُ متى شاءَ، وكيفَ شَاءَ على مَا يَليقُ بِجَلالِه. ثُمَّ إنَّ المُجازاةَ تَترتَّبُ على إخبارِهم بِذُنُوبِهم وأعمالِهم السَّيِّئَةِ. يُنظر: ضَوء القَمَرَينِ (ص٣٦٥).

(٢) قالَ الشوكانيُّ في فَتح القَديرِ (٢/ ٤٥١): «وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنِ الكَلْبِيِّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَسَدٍ وَغَطَفَانَ». والكلبيُّ متروكٌ مُتَّهم. وذكرَ ابنُ الجوزيِّ (١/ ٤٤٦) الخِلافُ فيمَنْ نَزلتْ فيه؛ عَلى أربعةِ أقوال -هذا أحدها- فقالَ: «اختلَفوا فِيمن نَزَلَت على أربعةِ أقوالٍ: أحدها: أنَّها نَزَلَتْ في أَسَدٍ وغَطَفَانَ، كانوا قد تكلَّمُوا بالإسلامِ ليَأمَنُوا المؤمنينَ بِكلِمَتهم، ويَأمَنوا قومَهم بكُفرهم، رواهُ أبو صالحٍ، عَنِ ابنِ عبَّاسٍ. والثاني: أنَّها نزَلَتْ في بَني عبدِ الدَّارِ، رواه الضحَّاكُ، عَنِ ابنِ عبَّاسٍ. والثالثُ: أنَّها نَزَلَتْ في قومٍ أرادُوا أخذَ الأمانِ مِنَ النَّبيِّ ﷺ، وقالُوا: لا نُقاتِلُك ولا نُقاتِلُ قومَنا، قاله قتادةُ. والرَّابعُ: أنَّها نَزَلَتْ في نُعيمِ بنِ مَسعودٍ الأشجعيِّ، يَأمَن في المسلمينَ والمشركينَ». وأبو صالح روى عَنِ ابنِ عبَّاسٍ مَناكيرَ.

(٣) ﴿ٱلسُّوٓءِۗ﴾ بِالضَّمِّ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقرَأَ بَقيَّةُ السَّبْعَةِ بِالفَتحِ؛ ﴿ٱلسَّوۡءِ﴾. و﴿ٱلسُّوٓءِ﴾ بِالضَّمِّ: العَذابُ والضَّررُ والبَلاءُ. و﴿ٱلسَّوۡءِ﴾ بِالفَتحِ: الرَّداءَةُ والفَسادُ.

(٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (يَدُورُ العَذابُ والهَلاكُ لا عليكُم)؛ بِدُونِ كَلمةِ: (عليهم).

(٥) أخرجَ ابنُ جَريرٍ (١٧٠٩٧)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١٠٢٠٦) عَنِ ابنِ جُرَيجٍ، عَنْ مُجاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٩٩] قَالَ: «هُمْ بَنُو مُقَرِّنٍ مِنْ مُزَيْنَةَ»، وقالَ الثعلبيُّ في تَفسِيرِه الكَشفِ والبيانِ عن تفسير القرآن (١٤/ ٩): «وقال الكلبيُّ: هُم أَسْلَمُ وغِفَارٌ وجُهَينَةُ».

(٦) ﴿قُرُبَةٞ﴾؛ بِالضَّمِّ: قِراءَةُ وَرشٍ، وقرَأَ بَقيَّةُ السَّبْعَةِ بِتَسكِينِها؛ ﴿قُرۡبَةٞ﴾.

(٧) وهذا تفسيرٌ بِاللازمِ، فِرارًا مِنَ المُفسِّرِ مِن إثبَاتِ الصِّفَةِ، كما هو منهجُ الأَشاعِرَةِ، وسبقَ التنبيهُ على أنَّ منهجَ أهلِ السُّنَّة هو إثبَاتُ هذه الصِّفَاتِ ونَحوِها، بِمَا أَثبَتَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنفسِه، أو أثبتَها له رَسولُه ﷺ، على الوَجهِ اللائِقِ بِه -سُبْحَانَهُ- مِن غَيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تأويلٍ ولا تعطيلٍ.

وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ
إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[١٠٠] ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ - وهُم مَنْ شَهِدَ بدرًا[١]، أو جميعُ الصَّحابَةِ- ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم القِيامةِ ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ في العَملِ ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعَتِه[٢] ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثَوابِه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ﴾ - وفي قِراءَةٍ: بزيادةِ «مِنْ»[٣]- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ - يا أهلَ المدينةِ- ﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ كأَسلَمَ وأشجَعَ وغِفَارٍ[٤] ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ مُنافِقُونَ أيضًا ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾: لجُّوا فيه وَاسْتَمَرُّوا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ - خِطابٌ للنَّبيِّ ﷺ- ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بِالفَضِيحَةِ، أَوِ القَتلِ في الدُّنيا، وعَذابِ القَبْرِ ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخِرةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النَّارُ.

[١٠٢] ﴿وَ﴾ قَومٌ ﴿ءَاخَرُونَ﴾: مُبتدأٌ ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ مِنَ التَّخلُّفِ: نَعتُه، والخَبرُ: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ - وهو جِهادُهم قبلَ ذلكَ، أَوِ اعترافُهم بِذُنوبِهم، أو غَيرُ ذلك- ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو: تَخلُّفُهم ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نَزَلَتْ في أبي لُبابَةَ وجَماعةٍ، أَوْثَقُوا أنفُسَهم في سَوارِيِّ المَسجدِ، لَمَّا بَلغَهم ما نَزَلَ في المُتخلِّفِينَ، وحَلَفوا لا يَحُلُّهم إلَّا النَّبيُّ ﷺ؛ فَحَلَّهُمْ لَمَّا نَزَلَتْ[٥].

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ مِنْ ذُنُوبِهِم- فَأَخَذَ ثُلُثَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصدَّقَ بِها[٦]- ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادْعُ لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾: رَحمَةٌ ﴿لَّهُمْ﴾ وقيلَ: «طُمَأْنِينَةٌ بِقَبولِ تَوبَتِهم» ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ﴾: يَقبلُ ﴿الصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عِبادِهِ بِقَبولِ تَوبَتِهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم؟ والاستفهامُ للتقريرِ، والقَصْدُ به هو تَهييجُهم إلى التَّوبَةِ والصَّدَقَةِ.

[١٠٥] ﴿وَقُلِ﴾ لهم، أو لِلنَّاسِ: ﴿اعْمَلُوا﴾ ما شِئتُم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبَعْثِ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ﴾ أي: اللهِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[*] فيُجازِيكم به[٧].

[١٠٦] ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ مِنَ المُتخلِّفِينَ ﴿[مُرْجَؤُونَ]﴾ - بالهَمزِ وتَركِه[٨]-: مُؤخَّرُونَ عَنِ التَّوبَةِ ﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ فيهم بما يَشاءُ ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بِأَنْ يُميتَهم بِلا تَوبَةٍ ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِه بهم. وهُمُ الثلاثةُ الآتونَ بَعدُ: مُرارةُ بنُ الرَّبيعِ، وكَعْبُ ابنُ مَالِكٍ، وهِلالُ بنُ أُمَيَّةَ. تخلَّفوا كَسَلًا ومَيلًا إلى الدَّعَةِ، لا نِفاقًا، ولم يَعتَذِرُوا إلى النَّبيِّ ﷺ كَغَيرِهم، فوقفَ أمرهم خمسينَ ليلةً، وهَجَرَهُمُ النَّاسُ، حتَّى نَزَلَتْ تَوبَتُهم بَعدُ[٩].

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قالتْ: إذا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ فَقُلْ: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ. البُخارِيُّ - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦)...قال الحافظُ في الفتح (١٣/ ٥١٤): «قَالَ ابنُ التِّينِ، عَنِ الدَّاوُدِيِّ: مَعْنَاهُ لَا تَغْتَرَّ بِمَدْحِ أَحَدٍ، وَحَاسِبْ نَفْسَكَ. وَالصَّوَابُ مَا قَالَهُ غَيْرُهُ: أَنَّ المَعْنَى: لَا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ فَتَظُنَّ بِهِ الخَيْرَ، إِلَّا إِنْ رَأَيْتَهُ وَاقِفًا عِنْدَ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ».

---

(١) أخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ (١٠٣٠١) بِسَنَدٍ ضَعيفٍ، عَنْ قَتادَةَ عَنْ سعيدِ بنِ المُسيَّبِ، قَوْلُهُ: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ صَلُّوا القِبْلَتَيْنِ جَمِيعًا وَهُمْ أَهْلُ بَدْرٍ». وأخرجَه ابنُ جَريرٍ (١٧١١١، ١٧١١٢، ١٧١١٣) بِسَنَدٍ صَحيحٍ عنه، وأخرجَه (١٧١٠٨) عن أبي مُوسَى الأشعريِّ؛ قالَ: «هُمُ الَّذِينَ صَلُّوا القِبْلَتَيْنِ جَمِيعًا»، ولم يذكر أنَّهم أهلُ بدرٍ.

(٢) جرى المُصنِّفُ على طريقتِه في تَأويلِ الصِّفاتِ بِبعضِ لَوازِمِها. ومذهبُ السَّلفِ هو إثباتُ هذه الصِّفاتِ ونَحوِها، مِمَّا أثبتَه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنفسِه، أو أثبتَها له رَسولُه ﷺ، على الوَجهِ اللائقِ به - سُبْحَانَهُ-، ومنها صِفةُ الرِّضا، ومِنْ لازِمِها التوفيقُ لِلطَّاعاتِ وقبولُها والإثابةُ عليها.

(٣) ﴿مِن تَحْتِهَا﴾؛ بزيادة: ﴿مِن﴾، وجَرِّ: ﴿تَحْتِهَا﴾: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ. وهي موافقةٌ لِرسمِ المُصحفِ المكِّيِّ. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: بِحذفِ: ﴿مِن﴾، وفَتحِ: ﴿تَحْتَهَا﴾.

(٤) أخرجَ ابنُ المُنذرِ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٤/ ٢٧٣) عَن عِكْرِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فِي قَوْلِه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ قَالَ: «جُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَشْجَعُ وَأَسلَمُ وغِفارٌ». وعزاه ابنُ الجوزيِّ في زاد المسير (٢/ ٢٩٢) لابنِ عَبَّاسٍ بِدُونِ سَنَدٍ؛ قال: «قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: مُزَينة، وجُهينة، وأسلَم، وغِفار، وأشجع، كان فيهم بعدَ إِسلامِهم مُنافِقونَ».

(٥) أخرجَه ابنُ جَريرٍ (١٧١٣٦)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١٠٣٠٣) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وكذا ابنُ المُنذرِ والبيهقيُّ في الدلائلِ، كما في الاستيعابِ (٢/ ٣٢٥)، وليس فيها التصريحُ بأَنَّ ذلكَ بِسَببِ ما نَزَلَ في المُتخلِّفِينَ. وحسَّنه صاحبُ الاستيعابِ بِشَواهِدِه.

(٦) أخرجَه ابنُ جَريرٍ (١٧١٥٢)، وابنُ أبي حاتمٍ (١٠٣٠٧) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَطْلَقَهُمْ وَعَذَرَهُمْ، فَجَاءُوا بِأَمْوَالِهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ أَمْوَالُنَا فَتَصَدَّقْ بِهَا عَنَّا، وَاسْتَغْفِرْ لَنَا. قَالَ: «مَا أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ أَمْوَالَكُمْ»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ الآيَةَ. وأخرجَه ابنُ جريرٍ (١٧١٤٩) بِسَنَدٍ صَحيحٍ عن الزُّهريِّ، إلَّا أنَّه مُرسَلٌ، وفيه: «ثُمَّ قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي الَّتِي أَصَبْتُ فِيهَا الذَّنْبَ، وَأَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي كُلِّهِ صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ. قَالَ: «يُجْزِيكَ يَا أَبَا لُبَابَةَ الثُّلُثُ»».

(٧) يُراجعُ التعليقُ على الآيةِ (٩٤) من نفسِ السُّورة.

(٨) ﴿مُرْجَؤُونَ﴾ بالهَمزِ: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وشُعبةَ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مُرْجَوْنَ﴾؛ بغيرِ هَمزٍ.

(٩) أخرجَهُ البُخاريُّ (٤٤١٨)، ومسلمٌ (٢٧٦٩)، مِنْ حَديثِ كعبِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، في قِصَّةِ تَوبتِه، وسيأتي بتَمامِها في حاشيةِ أسبابِ النُّزولِ، في تفسيرِ الآياتِ مِن (١١٧-١١٩).

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ
مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ
يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١١٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

ربع الحزب ٢١

[١٠٧] ﴿وَ﴾ منهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ -وهُمُ اثنا عَشَرَ مِنَ المُنافِقِينَ- ﴿ضِرَارًا﴾: مُضارَّةً لِأَهلِ مَسجدِ قُباءٍ ﴿وَكُفْرًا﴾ لِأَنَّهم بَنَوهُ بِأَمرِ أبي عَامرٍ الرَّاهبِ؛ لِيَكونَ مَعقِلًا له يَقدَمُ فيه مَنْ يأتي مِنْ عِندِه- وكان ذهبَ ليأتيَ بِجنودٍ مِنْ قَيصَرَ لِقتالِ النَّبيِّ ﷺ[١]- ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يُصلُّونَ بِقُباءٍ؛ بِصَلَاةِ بَعْضِهِمْ فِي مَسْجِدِهِمْ ﴿وَإِرْصَادًا﴾: تَرقُّبًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قَبلِ بنائِه. وهو: أبو عَامرٍ المذكُورُ ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾: مَا ﴿أَرَدْنَا﴾ بِبنائِه ﴿إِلَّا﴾ الفَعلَةَ ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مِنَ الرِّفقِ بِالمسكينِ في المطَرِ والحَرِّ، والتوسِعَةِ على المُسلِمينَ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك. [١٠٨] وكانوا سألوا النَّبيَّ ﷺ أن يُصليَ فيه؛ فنزلَ[٢]: ﴿لَا تَقُمْ﴾: تُصلِّ ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسلَ جَماعةً هَدمُوه وحَرَّقُوه، وجَعلُوا مكانَه كُناسَةً تُلْقى فيها الجِيَفُ[٣] ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾: بُنِيَتْ قَواعِدُهُ ﴿عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وُضِعَ يومَ حَلَلْتَ بِدارِ الهِجرَةِ- وهو: مَسجدُ قُباءٍ؛ كما في البُخَارِيِّ[٤]- ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿تَقُومَ﴾: تُصَلِّيَ ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هُمُ الأَنصارُ ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي: يُثِيبُهم[٥]- فيه إِدغَامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الطَّاءِ- روى ابنُ خُزَيمةَ في صحيحِه عَنْ [عُوَيم][٦] بنِ سَاعِدَةَ: أَنَّه ﷺ أتاهُم في مَسجِدِ قُباءٍ، فقال: **«إِنَّ اللهَ -تَعَالَى- قَدْ أَحْسَنَ عَلَيكُمُ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطَهَّرُونَ بِهِ؟»**، قالوا: واللهِ -يا رَسُولَ اللهِ- ما نَعلمُ شيئًا إِلَّا أَنَّه كان لنا جِيرانٌ مِنَ اليَهودِ، وكانوا يَغسِلونَ أَدبارَهم مِنَ الغَائطِ؛ فغَسَلنَا كما غَسَلُوا[٧]- وفي حَديثٍ رَواهُ البزَّارُ: فقَالُوا: نُتبِعُ الحِجَارةَ بالماءِ[*]- فقالَ: **«هُوَ ذَاكَ؛ فَعَلَيْكُمُوهُ»**[٨]. [١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾: مَخافةِ ﴿مِنَ اللَّهِ وَ﴾ رَجاءِ ﴿رِضْوَانٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا﴾: طَرَفِ ﴿جُرُفٍ﴾ -بِضَمِّ الرَّاءِ وسُكونِها[٩]-: جَانبِ ﴿هَارٍ﴾: مُشرِفٍ على السُّقوطِ ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾: سَقَطَ مع بَانِيهِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خيرٌ[١٠]؟ تَمثيلٌ لِلبِناءِ على ضِدِّ التَّقوَى بِمَا يؤولُ إِليه. والاستفهامُ لِلتقريرِ؛ أي: الأَوَّلُ خَيرٌ. وهو مِثالُ مسجدِ قُباءٍ، والثاني مِثالُ مَسجدِ الضِّرارِ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.
[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾: شَكًّا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾: تنفصِلَ ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بِأَنْ يَمُوتُوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخَلقِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِه بهم. [١١١] ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بِأَنْ يبذُلُوها في طاعتِه؛ كَالجِهادِ ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾: جُملةُ استِئنافٍ بيانٌ لِلشِّراءِ. وفي قِراءَةٍ: بتقديمِ المبنيِّ لِلمَفعُولِ[١١]؛ أي: فَيُقْتَلُ بَعضُهم، ويُقاتِلُ الباقي ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾: مَصدرَانِ مَنصوبَانِ بِفعلِهما المحذُوفِ[١٢] ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾؟ أي: لا أحدَ أوفَى منه ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ فيه التِفاتٌ عَنِ الغَيبَةِ ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ﴾ البيعُ ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: المُنِيلُ غايةَ المطلوبِ.

---

[*] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٠٨)**: أَخرجَ أبو دَاودَ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءٍ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ قال: **«كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالمَاءِ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةُ»**. أبو داود - كتاب الطهارة (١) باب (٢٣) في الاستنجاء بالماء. (صحيحٌ) صَحيحُ سُنَنِ أَبي دَاودَ (٣٤). وأخرجَ ابنُ ماجه عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ، وجَابرِ ابنِ عبدِ الله، وأنسِ بنِ مَالكٍ: أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ قال رسولُ الله ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ، فَمَا طُهُورُكُمْ؟» قَالُوا: نَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، وَنَغْتَسِلُ مِنَ الجَنَابَةِ، وَنَسْتَنْجِي بِالمَاءِ. قَالَ: «فَهُوَ ذَاكَ، فَعَلَيْكُمُوهُ»**. ابنُ مَاجَه - كتاب الطهارة (١) باب (٢٨) الاستنجاء بِالماء. (صحيحٌ) صحيحُ سُنَنِ ابنِ مَاجَه (٢٨٥).

---

(١) أخرجَه الطَّبَرِيُّ (١٧١٨٧)، وابنُ أبي حَاتم (١٠٠٦٠، ١٠٠٧٤) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، قَوْلُهُ: «﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: وَهُمْ أُنَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ ابْتَنَوْا مَسْجِدًا، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَامِرٍ: ابْنُوا مَسْجِدَكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، فَآتِي بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ، فَأُخْرِجُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مَسْجِدِهِمْ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: قَدْ فَرَغْنَا مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِنَا، فَنُحِبُّ أَنْ تُصَلِّيَ فِيهِ وَتَدْعُوَ لَنَا بِالبَرَكَةِ. فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ:...».

(٢) الحديثُ السابقُ نفسُه. (٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يُلقَى فيها الجِيَفُ). والأَثرُ رواهُ بِنحوِه ابنُ جريرٍ (١٧١٨٦) عَنِ ابنِ إِسحاقَ، عَنِ الزُّهرِيِّ، وَغَيرِه، مرسلًا...وقال الألبانيُّ في الإرواءِ (٥/ ٣٧٠): «مَشهورٌ في كُتبِ السِّيرَةِ، وما أرى إِسنادَه يَصحُّ». (٤) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٥) مِنْ حَديثِ عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ، مرسلًا، في حديثٍ طويلٍ، وفيه: «...فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ المَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالمَدِينَةِ...» الحديث. وروى مُسلِمٌ (١٣٩٨) عن أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ المَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» لِمَسْجِدِ المَدِينَةِ. وما رَواهُ البُخَارِيُّ هو ما عليه الجُمهورُ، كما قَالَ الحافظُ في الفتح (٧/ ٢٤٥). (٥) وهذا تأويلٌ لِصِفَةِ المَحبَّةِ بِبَعضِ لَوازِمِها وهو الإِثابةُ. ومذهبُ السَّلفِ إِثباتُ ما أَثبتَه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنفسِه ورسولُه ﷺ على الوَجهِ اللائقِ به مِنْ غيرِ تأويلٍ ولا تَعطيلٍ ولا تَمثيلٍ ولا تكييفٍ. (٦) في الأَصلِ: (عويمر)، والمُثبتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة، وعُوَيْمُ: تصغيرُ عَامٍ، صَحابيٌّ من الأَوسِ، شَهِدَ العَقبةَ والمغازِيَ، وتُوُفِّيَ عُوَيمٌ في خِلافَةِ عُمَرَ، وَهُوَ ابنُ خَمسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. الإِصابة (٤/ ٦٢٠). (٧) أخرجَه أحمدُ (١٤٩٣٨)، وابنُ خُزَيمةَ (٨٣)، والطبرانيُّ والحاكمُ وابنُ مردويه عَنْ عُوَيمِ بْنِ سَاعِدَةَ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٣/ ٤٩٧)، وحَسَّنَه الألبانيُّ في الثمرِ المُستطابِ (٢/ ٥٣٩). (٨) مُختصرُ زَوائدِ مُسنَدِ البزَّارِ (١٥٠). وقال الألبانيُّ في الضعيفةِ (٣/ ١١٦): «وخُلاصَةُ القولِ: أَنَّ الحديثَ بِهذا اللفظِ ضَعيفُ الإِسنادِ مُنكَرُ المَتنِ، وقد ترتَّبَ عليه استِنباطُ حُكمٍ نَقطَعُ بِأنَّه لم يَكنْ عليه رسولُ الله ﷺ ولا أَصحابُه، أَلا وهو الاستنجاءُ بِالحِجارةِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِالماءِ في مكانٍ آخرَ...». ويُنظرُ أيضًا: الإِرواءُ (١/ ٨٣). (٩) بِسكُونِها: قِراءةُ حَمزَةَ وشُعبةَ وابنِ عامرٍ. ويُنظرُ حَاشيةُ أَسبابِ النزول، الآية (١٠٨). (١٠) قَدَّرَه؛ إِشارةً إِلى أَنَّ خَبرَ ﴿مَنْ﴾ الثانيةِ مَحذوفٌ.
(١١) ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾؛ بِضَمِّ اليَاءِ مَعَ فَتحِ التَّاءِ في الأَوَّلِ، وفَتحِ اليَاءِ مَعَ كسرِ تَاءِ الثاني؛ لِحَمزَةَ والكِسائِيِّ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِالعَكسِ؛ ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾. (١٢) أي: وَعدَهم اللهُ وَعدًا، وأحقَّه حَقًّا.

[١١٢] ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ رُفِعَ على المَدحِ بِتَقديرِ مُبتدَإٍ[١]؛ مِنَ الشِّركِ والنِّفاقِ[٢] ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾: المُخلِصونَ العِبادةَ لله ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ له على كُلِّ حالٍ ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: الصَّائِمُونَ ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي: المُصلُّونَ ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾: لِأَحكَامِه بِالعَمَلِ بها ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بِالجَنَّةِ.

[١١٣] وَنَزَلَ في استغفارِه ﷺ لِعمِّه أبي طَالِبٍ، واستغفارِ بَعضِ الصَّحابةِ لِأَبَوَيهِ المُشرِكَينِ[٣]: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾: ذَوي قَرابَةٍ[*] ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: النَّارِ؛ بِأَنْ مَاتُوا على الكُفرِ.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بِقَولِه: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾[٤] رَجاءَ أَنْ يُسلِمَ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ﴾ بِمَوتِه على الكُفرِ ﴿تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ وتَركَ الاستغفارَ له ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾: كَثيرُ التَّضرُّعِ والدُّعاءِ ﴿حَلِيمٞ﴾: صَبُورٌ على الأَذَى.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ﴾ لِلإسلامِ ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ مِنَ العَمَلِ؛ فلا يتَّقُوه؛ فيَستَحِقُّوا الإِضلالَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مُستحِقُّ الإِضلَالِ والهِدَايةِ.

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم﴾ - أَيُّها النَّاسُ - ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مِن وَلِيّٖ﴾ يَحفظُكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ يَمنعُكم عَن ضَرَرِه[٥].

[١١٧] ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ أي: أدامَ تَوبتَه ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ أي: وَقتِها- وهي حَالُهم في غَزوةِ تَبوكَ، كانَ الرَّجُلانِ يَقتَسِمانِ تَمرةً[٦]، والعَشرَةُ يَعتَقِبُونَ البَعيرَ الوَاحِدَ[٧]، واشتدَّ الحَرُّ حَتَّى شَرِبُوا الفَرْثَ[٨]- ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ [تَزِيغُ]﴾ -بِالتَّاءِ واليَاءِ[٩]-: تَمِيلُ ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عَنِ اتِّباعِه إلى التَّخلُّفِ؛ لِمَا هُم فيه مِنَ الشِّدَّةِ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ بِالثَّباتِ ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ
مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ وَمَا
كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ
لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ
هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٌ ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ
وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦
لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ
فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧

[*] **مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَاتِ (١١٣- ١١٤)**: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ سَعيدِ بنِ المُسيَّبِ عَنْ أَبيه قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَعِندَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ الله بنُ أَبي أُمَيَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَستَغفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنهَ عَنْكَ»، فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ البُخَارِيُّ - التفسير (٦٥) سورة براءة (٩) باب (١٦). وأخرجه الترمذيُّ عَنْ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعتُ رَجُلًا يَستَغفِرُ لِأَبَوَيهِ وَهُمَا مُشرِكَانِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَستَغفِرُ لِأَبَوَيكَ وَهُمَا مُشرِكَانِ؟ فَقَالَ: أَوَلَيسَ استَغفَرَ إِبرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَهُوَ مُشرِكٌ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾. الترمذيُّ - تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (حَسَنٌ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٧٧). ورَوَاهُ النَّسَائِيُّ - كتاب الجنائز (٢١) باب (١٠٢) النهي عن الاستغفار لِلمشركين - وفيه: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ﴾ الآية. ورَوَاهُ أَحمَدُ - المُسنَدُ (١/ ٩٩)، إِلى قوله: ﴿تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ - فالظاهِرُ أَنَّ الآيَتَينِ نَزَلَتا جميعًا، وأَنَّ الاختِصارَ مِن تَصرُّفِ الرُّوَاةِ.

(١) أي: هُمُ التَّائِبونَ.
(٢) مُتعلِّقٌ بـ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾.
(٣) يُنظر: حَاشيةُ أَسبابِ نُزولِ الآيَاتِ (١١٣-١١٤).
(٤) مريم: ٤٧.
(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (يمنعُ عنكم ضَرَرَه).
(٦) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٧٤٢٨) بِسَنَدٍ حَسَنٍ إِلى قَتَادَةَ.
(٧) ذكرَهُ البغويُّ في تَفسِيرِه (٤/ ١٠٤) عن الحَسَنِ البَصرِيِّ، قوله. وأَخرَجَ أبو دَاودَ (٢٦٧٦) عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَخَرَجْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَقْبَلْتُ، وَقَدْ خَرَجَ أَوَّلُ صَحَابَةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَطَفِقْتُ فِي المَدِينَةِ أُنَادِي أَلَا مَنْ يَحْمِلُ رَجُلًا لَهُ سَهْمُهُ؟...الحديث. وحسَّنَ الأَرناؤوطُ إِسنادَه في تخريجِه على سُنَنِ أبي داودَ (٤/ ٣١١). وقَالَ الهيثميُّ في مَجمَعِ الزَّوائِدِ (٥/ ٢٥٢): رَوَاهُ الطَّبَرانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وضعَّفَ الأَلبانيُّ إِسنادَه في ضَعيفِ سُنَنِ أبي داودَ-الأُمِّ (٤٦٠) (٢/ ٣٣٦).
(٨) أخرجَه ابنُ خُزيمةَ (١٠١)، والحاكمُ في مُستَدرَكِه (٥٦٦) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ: حَدِّثْنَا مِنْ شَأْنِ سَاعَةِ العُسْرَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى أَنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ المَاءَ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ...الحديث. وقَالَ الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذَّهبيُّ. وقَالَ عنه الأَلبانيُّ في تعليقِه على فقه السيرة لِلغزاليِّ (ص٤٠٥): «ذكرَه ابنُ كثيرٍ في التاريخ (٥/ ٩)، مِنْ رِوَايَةِ عبدِ الله بنِ وهبٍ بِسَندِه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِسنادُه جيِّدٌ»، وهو عِندي غيرُ جيِّدٍ؛ لأَنَّه مِن رِوايةِ عُتبةَ بنِ أَبي عُتبةَ. وقد ذكرَه-».
(٩) ﴿تزيغ﴾ بالتَّاءِ: قِراءَةُ السَّبعَةِ عدا حمزةَ وحفصٍ، وقرأ حمزةُ وحفصٌ: ﴿يَزِيغُ﴾؛ بالياءِ.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ (١١٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ (١١٩) مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم
مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ
بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ
وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا
يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ
لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
(١٢٠) وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ
نصف الحزب ٢١ يَعْمَلُونَ (١٢١) ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)

[١١٨] ﴿وَ﴾ تابَ ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عَنِ التَّوبَةِ عليهم، بِقَرينةِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رُحْبِهَا؛ أَي: سَعتِها؛ فلا يَجدونَ مَكانًا يَطمئنُّونَ إِليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: قُلوبُهم لِلغَمِّ والوَحشَةِ؛ بِتأخيرِ تَوبتِهم؛ فلا يَسعُها سُرورٌ ولا أُنسٌ ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: أيقنُوا ﴿أَن﴾: مُخفَّفَةٌ ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: وفَّقَهم لِلتوبةِ[*] ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١١٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِتَرْكِ مَعاصِيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإِيمانِ والعُهُودِ، بِأَنْ تَلزَمُوا الصِّدقَ.

[١٢٠] ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إِذا غَزَا ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ بِأَنْ يَصونُوها عَمَّا رَضِيَهُ لِنفسِه مِنَ الشَّدائدِ. وهو نهيٌ بِلفظِ الخَبرِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النَّهيُ عَنِ التَّخلُّفِ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بِسَببِ أَنَّهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: عَطَشٌ ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تَعَبٌ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: جُوعٌ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾: مَصدرٌ؛ بِمَعنَى: وَطئًا ﴿يَغِيظُ﴾: يُغضِبُ ﴿ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ لله ﴿نَّيْلًا﴾: قَتْلًا أو أَسْرًا أو نَهْبًا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ لِيُجَازُوا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجرَهم، بَلْ يُثيبُهم.

[١٢١] ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تَمرةً ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بِالسَّيرِ ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ به عَملٌ صَالِحٌ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزاءَه.

[١٢٢] ولَمَّا وُبِّخُوا على التَّخلُّفِ، وأرسلَ النَّبيُّ ﷺ سَرِيَّةً نَفروا جميعًا؛ فنزلَ[1]: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ﴾ إِلى الغَزوِ ﴿كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا﴾: فَهَلَّا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾: قَبيلَةٍ ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾: جَماعةٌ، ومَكثَ البَاقونَ ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ أي: الماكِثونَ ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ مِنَ الغَزوِ؛ بِتَعليمِهم ما تَعلَّمُوه مِنَ الأَحكامِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عِقابَ اللهِ؛ بِامتِثالِ أَمْرِه ونَهيِه. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: فهذه مَخصوصةٌ بِالسَّرايا[2]، والتي قبلَها بِالنَّهي عَنْ تَخلُّف واحِدٍ فيما إِذا خَرجَ النَّبيُّ ﷺ.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآياتِ (١١٧-١١٩): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ -وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ- قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ، حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ... (وذَكرَ قِصَّةَ تَخلُّفِه حتى تَابَ اللهُ عليه وقالَ في خَبرِ نزولِ تَوبتِه: فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ، صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ: أَبْشِرْ قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، ورَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ، فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ. قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ-: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ: «لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي، صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ =

---

(١) ذكَرَه الوَاحِديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص٢٦٣) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ مِنْ روايةِ الكلبيِّ، وهو متروكٌ، مُتَّهمٌ بِالكذِبِ. وأخرجَ أبو دَاودَ (٢٥٠٥) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة:٣٩] و﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٢٠-١٢١]: نَسَخَتْها الآيةُ التي تَليها: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ﴾. وحَسَّنَه الألبانيُّ في صحيحِ أبي داودَ (٢٥٠٥).

(٢) لم أجِدْه بهذا اللفظِ، لكن أخرجَ ابنُ جَريرٍ (١٢/ ٧٧)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١٠١١٦)، والبيهقيُّ في المدخل (٣٣٤) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ﴾؛ قالَ: مَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا جَمِيعًا وَيَتْرُكُوا النَّبِيَّ ﷺ وَحْدَهُ. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ يَعْنِي عُصْبَةً، يَعْنِي السَّرَايَا، وَلَا يَتَسَرَّوا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِذَا رَجَعَتِ السَّرَايَا، وَقَدْ نَزَلَ بَعْدَهُمْ قُرْآنٌ تَعَلَّمَهُ القَاعِدُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّكُمْ بَعْدَكُمْ قُرْآنًا وَقَدْ تَعَلَّمْنَاهُ؛ فَيَمْكُثُ السَّرَايَا يَتَعَلَّمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِمْ بَعْدَهُمْ وَيَبْعَثُ سَرَايَا أُخَرَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ يَقُولُ: يَتَعَلَّمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ، وَيُعَلِّمُونَهُ السَّرَايَا إِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

[١٢٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ أي: الأقربَ فالأقربَ منهم ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شِدَّةً؛ أي: أغلِظُوا عليهم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بِالعَونِ والنَّصرِ[1].

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿فَمِنْهُم﴾ أي: المُنافِقينَ ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لأَصحَابِه استهزاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا﴾: تصديقًا؟ قالَ تعالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ لِتَصدِيقِهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يَفرَحُونَ بها.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضَعفُ اعتِقادٍ ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: كُفرًا إلى كُفرِهم؛ لِكُفرِهم بها ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ - بِالياءِ: أي: المُنافِقونَ، والتَّاءِ: أيُّها المُؤمنونَ[2]- ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يُبتلَونَ ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بِالقَحْطِ والأَمْرَاضِ ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ مِنْ نِفَاقِهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ؟

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذِكْرُهم، وقَرأَها النَّبيُّ ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يُرِيدونَ الهربَ، يَقولُونَ: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قُمتُم؟ فإنْ لم يرَهُم أحدٌ قامُوا، وإلَّا ثَبَتُوا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ على كُفرِهم ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عَنِ الهُدَى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الحَقَّ؛ لِعَدَمِ تدبُّرِهم.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: منكم؛ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾: شديدٌ ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عَنَتُكم؛ أي: مَشَقَّتُكُم ولِقَاؤُكم المَكرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أنْ تَهتَدوا ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: شَدِيدُ الرَّحمَةِ ﴿رَّحِيمٌ﴾: يُرِيدُ لهمُ الخَيرَ.

[١٢٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عَنِ الإيمانِ بكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ﴾: كَافِيَّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وَثِقْتُ لا بِغيرِه ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾: الكُرسِيِّ[3] ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ خَصَّهُ بِالذِّكرِ؛ لِأنَّه أعظَمُ المخلُوقَاتِ. وروى الحاكمُ في المُستدرَكِ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ قالَ: آخِرُ آيةٍ نزلتْ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخِرِ السُّورةِ[4].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا
يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ
أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم
مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

ترتيبها ١٠ — سُورَةُ يُونُسَ — آياتها ١٠٩

= الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا، حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ، مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ. البُخاريُّ - كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٩) حديث كَعبِ بنِ مَالكٍ.

(١) في الآيةِ إثباتُ معيَّةِ الله عَزَّوَجَلَّ الخاصَّةِ لِلمتَّقين. وحقيقةُ المعيَّةِ الصُّحبةُ اللائقةُ، وسبقَ مِرارًا بيانُ أقسامِ المعيَّةِ، ويُراجَع التعليق على الآية (٣٦) من سورة التوبة.

(٢) ﴿تَرَوْنَ﴾ بِالتَّاءِ: قِراءَةُ حمزةَ. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يَرَوْنَ﴾، بالياءِ.

(٣) وهذا رأيُ الحسنِ البصريِّ. والصَّوابُ أنَّ العرشَ غيرُ الكُرسيِّ، فالكُرسيُّ موضعُ القَدَمَينِ له -سُبْحَانَهُ-، أمَّا العرشُ فهو سريرُ الملك، وهو الذي عليه استوى الرَّحمنُ -جَلَّ فِي عُلَاهُ-. وأخرجَ ابنُ بَطَّةَ في الإبانةِ الكُبرى (١٣٦) عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ المَسْجِدَ الحَرَامَ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحْدَهُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْكَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «آيَةُ الكُرْسِيِّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الحَلْقَةِ». وصَحَّحَه الألبانيُّ في الصحيحة (١٠٩). قال ابنُ كثيرٍ (١/ ٦٨١): «وَالصَّحِيحُ أَنَّ الكُرْسِيَّ غَيْرُ العَرْشِ، وَالعَرْشُ أَكْبَرُ مِنْهُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الآثَارُ وَالأَخْبَارُ».

(٤) أخرجَه الحاكمُ في المُستدرَكِ (٢/ ٣٣٨)، وأخرجَه أحمدُ في المُسنَدِ (٥/ ١١٧)، وقد وردَ أنَّ آخرَ آيةٍ نزلتْ هي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾، ووردَ أيضًا أنَّها: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وقد جمعَ الحافظُ في الفتح (٨/ ٥٣) بينَ هذه الآثارِ، ورَجَّحَ -وغيرُه مِنَ العُلَماءِ- آخِرِيَّةَ آيةِ البقرةِ؛ لِمَا فيها مِنَ الإشارةِ إلى مَعنَى الوفاةِ المُستلزِمةِ لِخاتِمَةِ النُّزولِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ
مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ
ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

سُورَةُ يُونُس

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ الآيَتَينِ، أوِ: الثَّلاثَ، أو: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآيَةَ،
مِائَةٌ وتِسْعُ، أو عَشْرُ آياتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ. ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ- والإضافةُ بِمعنَى: «مِنْ»- ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحكَمِ.

[٢] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أهلِ مَكَّةَ. استفهامُ إنكَارٍ، والجَارُّ والمجرورُ حالٌ مِنْ قَولِه: ﴿عَجَبًا﴾: بِالنَّصْبِ: خَبرُ «كانَ»، وبِالرَّفعِ(١): اسمُها(٢)، والخَبرُ وهو اسمُها على الأُولَى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾؛ أي: إيحاؤُنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿أَنْ﴾: مُفَسِّرةٌ ﴿أَنذِرِ﴾: خَوِّفِ ﴿ٱلنَّاسَ﴾: الكَافِرينَ بِالعَذابِ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ﴾ أي: بِأَنَّ ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾: سَلَفَ ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أجرًا حَسَنًا بِمَا قَدَّمُوه مِنَ الأعمَالِ؟ ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ القُرآنَ المُشتَمِلَ على ذلك ﴿[لَسِحْرٌ](٣) مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿لَسَٰحِرٌ﴾، والمُشارُ إليه النَّبِيُّ ﷺ.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِنْ أَيَّامِ الدُّنيا؛ أي: في قَدْرِها؛ لِأنَّه لَم يَكنْ ثَمَّ شَمسٌ ولا قَمرٌ- ولو شَاءَ لَخَلقَهنَّ في لَمحةٍ. والعُدُولُ عنه لِتعليمِ خَلْقِه التَّثبُّتَ- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يَليقُ به ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بَينَ الخَلائِقِ ﴿مَا مِن﴾: زَائِدةٌ(٤) ﴿شَفِيعٍ﴾ يَشفَعُ لأَحدٍ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ رَدٌّ لِقَولِهم: إنَّ الأَصنامَ تَشفَعُ لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخَالِقُ المُدبِّرُ ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾: وَحِّدُوهُ ﴿أَفَلَا [تَذَّكَّرُونَ]﴾؟ بِإدغَامِ التَّاءِ في الأَصلِ في الذَّالِ(٥).

[٤] ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالَى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: مَصدَرَانِ مَنصُوبَانِ بِفعْلِها المُقدَّرِ(٦) ﴿إِنَّهُۥ﴾ - بِالكَسرِ استئنافًا، والفَتحِ(٧) على تَقديرِ اللامِ(٨)- ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: بَدأَه بِالإنشَاءِ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بِالبَعْثِ ﴿لِيَجْزِىَ﴾: يُثِيبَ(٩) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: مَاءٍ بَالغٍ نِهايَةَ الحَرارَةِ ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ أي: بِسَبَبِ كُفرِهم.

[٥] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾: ذاتَ ضِياءٍ؛ أي: نُورٍ ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ﴾ مِنْ حيثُ سَيْرُه ﴿مَنَازِلَ﴾ ثَمانِيةً وعِشرِينَ مَنزِلًا، في ثَمانٍ وعِشرِينَ ليلةً مِنْ كُلِّ شَهرٍ، ويَستَتِرُ لَيلَتَينِ إنْ كانَ الشهرُ ثَلاثِينَ يومًا، أو ليلةً إنْ كان تِسعةً وعِشرينَ يومًا ﴿لِتَعْلَمُوا۟﴾ بِذلكَ ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورَ ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لا عَبثًا، تعالَى عن ذلكَ ﴿يُفَصِّلُ﴾ - بِاليَاءِ والنُّونِ(١٠)-: يُبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يَتدبَّرُونَ.

[٦] ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بِالذَّهابِ والمَجِيءِ، والزِّيادَةِ والنُّقصَانِ ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنْ مَلائِكةٍ، وشَمسٍ، وقَمَرٍ، ونُجُومٍ، وغَيرِ ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ حَيوانٍ، وجِبالٍ، وبِحَارٍ، وأَنهارٍ، وأَشجَارٍ، وغيرِها ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرتِه تعالَى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ـهُ فيُؤمِنونَ. خَصَّهم بِالذِّكرِ؛ لِأَنَّهم المُنتَفِعُونَ بها.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (الرَّفعِ)؛ بِدُونِ البَاءِ.

(٢) وهي قِراءةٌ شاذَّةٌ، ولَم يجرِ المُفسِّرُ على عادتِه في الإشارةِ إلى القِراءةِ الشَّاذَّةِ بِقولِه: «وقُرِئَ».

(٣) ﴿لَسِحْرٌ﴾ بِكَسرِ السِّين وسُكونِ الحَاءِ دُونَ أَلِفٍ، وهي قِراءةُ نافعٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لَسَٰحِرٌ﴾؛ بِفَتحِ السِّينِ وكَسرِ الحَاءِ وأَلِفٍ بينهما.

(٤) في بعضِ النُّسَخِ: (صِلةٌ).

(٥) ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بِتَشدِيدِ الذَّالِ، وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بِتَخفِيفِ الذَّالِ؛ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: حَفصٌ وحَمزَةُ والكسائيُّ.

(٦) أي: وَعدَكم وَعدًا، وحَقَّه حَقًّا. حاشية الصاوي (٢/ ٨٦).

(٧) ظاهِرُه أنَّها بِالفتحِ قِراءةٌ سبعيَّةٌ، وليسَ كذلكَ، بَلْ هي عَشريَّةٌ لأَبي جَعفر.

(٨) أي: لِأنَّه.

(٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (لِيُثِيبَ).

(١٠) ﴿نُفَصِّلُ﴾ بِالنُّونِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابن عامرٍ وحمزةَ والكِسَائِيِّ وشُعبَةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُفَصِّلُ﴾؛ بِاليَاءِ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ
ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا
عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ
مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ
لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ
خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤

الحزب ٢١

[٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بِالبَعْثِ[١] ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بَدلَ الآخِرةِ؛ لإنكارِهم لها ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾: سَكَنُوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾: دَلائلِ وَحدانِيَّتِنا ﴿غَٰفِلُونَ﴾: تَارِكونَ النَّظرَ فيها.

[٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ مِنَ الشِّركِ والمعَاصِي.

[٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ﴾: يُرشِدُهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ به بِأَنْ يَجعَلَ لهم نُورًا يَهتَدونَ به يومَ القِيامَةِ ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[١٠] ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾: طَلَبُهم لِمَا يَشتَهونَه في الجَنَّةِ أَنْ يَقُولوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي: يا اللهُ! فإذا ما طَلَبُوه وَجَدُوه بَيْنَ أَيدِيهم[٢] ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ﴾ فِيما بينَهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ﴾: مُفَسِّرةٌ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

[١١] ونَزَلَ لَمَّا استعجَلَ المُشرِكُونَ العَذابَ[٣]: ﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم﴾ أَي: كَاستِعجَالِهم ﴿بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ﴾ - بِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ ولِلفَاعِلِ[٤] - ﴿إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ - بِالرَّفعِ والنَّصبِ[٥] - بِأَنْ يُهلِكَهم، ولَكِنْ يُمهِلُهم ﴿فَنَذَرُ﴾: نَترُكُ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾: يَتردَّدونَ مُتحيِّرِينَ.

[١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: الكَافِرَ ﴿ٱلضُّرُّ﴾: المَرضُ والفَقرُ ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مُضطجِعًا ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ أي: في كُلِّ حَالٍ ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ على كُفْرِه ﴿كَأَن﴾: مُخَفَّفَةٌ، واسمُها مَحذوفٌ؛ أي: كأنَّه ﴿لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ﴾: كَما زُيِّنَ له الدُّعاءُ عندَ الضَّررِ، والإِعراضُ عندَ الرَّخاءِ ﴿زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾: المُشرِكِينَ ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ﴾: الأُمَمَ ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ - يا أَهلَ مَكَّةَ - ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ بِالشِّركِ ﴿وَ﴾ قَدْ ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: الدَّالَّاتِ[٦] على صِدْقِهم ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ﴾: عَطفٌ على ﴿ظَلَمُواْ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كَما أَهلَكْنا أُولئِكَ ﴿نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ.

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ - يا أَهلَ مَكَّةَ - ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾: جَمعُ خَلِيفَةٍ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ فيها؟ وهل تَعتَبِرونَ بهم فتُصدِّقُوا رُسُلَنا؟

---

(١) وهو لقاءٌ حقيقيٌّ كيفما يَشاؤه ربُّنا عَزَّوَجَلَّ. كما سبَق بيانُه في التَّعليقِ على الآيةِ (٤٦) مِن سُورةِ البَقَرَةِ.

(٢) روى ابنُ جرير (١٧٥٦٤) عن سُفيانَ الثوريِّ، قالَ: «إذا أرادُوا الشَّيْءَ قالوا: اللَّهُمَّ؛ فيأتيهِمْ ما دَعَوا بِهِ»، وروَى ابنُ أبي حاتِمٍ (١٠٢٤٠) عَنِ الرَّبيعِ بنِ أنسٍ قالَ: «أهلُ الجنَّةِ إذا اشتَهَوا شيئًا قالُوا: سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ؛ فإذا هُوَ عِندَهُمْ فذَلِكَ قَولُهُ: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾»، وهذا أحدُ الأقوالِ. والقولُ الآخَرُ أنَّ المعنى أنَّ دُعاءَهم الذي يَدعونَ به في الجنَّةِ هو تسبيحُ اللهِ وتقديسُه، وخاتمةُ دعائِهم الذي هو التسبيحُ أن يَقُولوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. وقالَ القاسميُّ في محاسنِ التأويلِ (٦/ ٨): «والمُرادُ مِنَ الآيةِ أنَّ دُعاءَ أهلِ الجنَّةِ وعِبادتَهم هو قولُهم: سُبحانَكَ اللهمَّ وبِحمدِك». وقال السعدي (ص٣٤٥): «أي: عِبادتُهم فيها للهِ، أوَّلُها تَسبيحٌ للهِ وتنزيهٌ له عَنِ النَّقائصِ، وآخِرُها تَحميدٌ للهِ، فالتكاليفُ سَقطَتْ عنهم في دارِ الجزاءِ، وإنَّما بَقِيَ لهم أكمَلُ اللَّذاتِ، الذي هو ألذُّ عليهم مِنَ المآكِلِ اللذيذةِ، ألا وهو ذِكرُ اللهِ الذي تَطمئِنُّ به القُلوبُ، وتَفرحُ به الأرواحُ، وهو لَهم بِمنزلةِ النَّفَسِ، مِنْ دُونِ كُلْفةٍ ومَشقَّةٍ».

(٣) قالَ مُقاتلٌ في تَفسيرِه (٢/ ٢٢٩): «وذلك حِينَ قالَ النَّضرُ بنُ الحارثِ: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ فيُصِيبنا، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ إذا أرادُوه فأصابُوه، يقولُ اللهُ: ولو استُجِيبَ لهم في الشَّرِّ، كما يُحِبُّونَ أن يُستَجابَ لهم في الخَيرِ: ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ في الدُّنيا بِالهَلاكِ إذًا». وأخرجَ ابنُ جريرٍ (١٢/ ١٣٠)، وابنُ أبي حاتمٍ (١٠٢٥٥) عَنْ مُجاهِدٍ في قولِه تعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ قالَ: هو قولُ الإنسانِ لِوَلَدِه ومالِه إذا غَضِبَ عليه: اللَّهُمَّ لا تُبارِكْ فِيهِ والْعَنْهُ. ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ قالَ: لأهلَكَ مَنْ دَعا عليه ولأَماتَه. وأخرجَهُ البُخاريُّ في كتابِ التفسيرِ (٦٥) - سورة يونس (١٠) باب (١) الترجمة.

(٤) ﴿لَقَضَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَجَلَهُمۡ﴾ بِالبناءِ لِلفاعِلِ في: ﴿لَقَضَىٰ﴾، ونَصبِ: ﴿أَجَلَهُمۡ﴾، وهِي قِراءةُ ابنِ عامرٍ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾؛ بِالبناءِ لِلمفعولِ في: ﴿لَقُضِيَ﴾، ورَفعِ: ﴿أَجَلُهُمۡ﴾.

(٥) يُنظرُ: الحاشيةُ السابقةُ.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الدِّلالات).

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ
لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ
إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل
لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ
فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا
كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
(١٩) وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٢٠)

[١٥] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: ظَاهِراتٍ، حَالٌ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يَخافُونَ البَعْثَ: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ لَيسَ فيه عَيبُ آلِهَتِنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ مِنْ تِلقَاءِ نَفْسِكَ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا يَكُونُ﴾: يَنبَغِي ﴿لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ﴾: قِبَلِ ﴿نَفْسِيٓ إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بِتَبدِيلِه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القِيامةِ.

[١٦] ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾: أعلَمَكُم ﴿بِهِۦ﴾، و«لا» نافيةٌ عَطفٌ على ما قَبلَه. وفي قِراءَةٍ(1): بِلامٍ؛ جَوابَ «لو»؛ أي: لَأعلَمَكُم به على لِسانِ غَيرِي ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾: مَكثتُ ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾: سِنِينًا(2) أربعينَ(3) ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ لا أُحدِّثُكم بِشَيءٍ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنّه لَيسَ مِنْ قِبَلِي؟

[١٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لَا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ إِلَيه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾: القُرآنِ؟ ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿لَا يُفْلِحُ﴾: يَسعَدُ ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المُشركونَ.

[١٨] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: غَيرَه ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ - إِنْ لَمْ يَعبُدُوه - ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إِنْ عَبَدُوه، وهُو(4) الأَصنامُ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾: تُخبِرونَه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؟ استفهامُ إِنكارٍ؛ إِذْ(5) لو كَان له شَرِيكٌ لَعَلِمَه؛ إِذْ لا يَخفَى عليه شيءٌ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تَنزِيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ـهُ معه!

[١٩] ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دِينٍ وَاحِدٍ - وهو الإِسلامُ - مِنْ لَدُن آدمَ إِلى نُوحٍ(6). وقِيلَ: مِنْ عَهدِ إِبراهِيمَ إِلى عَمرِو بنِ لُحَيٍّ(7) ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ بِأَنْ ثَبتَ بَعضٌ وكَفرَ بَعضٌ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بِتأخِيرِ الجَزاءِ إِلى يَومِ القِيامَةِ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: النَّاسِ في الدُّنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِنَ الدِّينِ، بِتَعذِيبِ الكَافِرِينَ.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: أَهلُ مَكَّةَ: ﴿لَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كَما كانَ لِلأَنبياءِ مِنَ النَّاقةِ والعَصَا واليَدِ ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ﴾: ما غَابَ عَنِ العِبادِ؛ أي: أَمْرُه ﴿لِلَّهِ﴾ ومنه الآياتُ، فلا يَأتي بِها إِلَّا هو، وإِنَّما عَلَيَّ التَّبلِيغُ ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العَذَابَ إِنْ لَمْ تُؤمِنوا ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

---

(١) لابنِ كثيرٍ، بِخُلفٍ عن البَزِّيِّ، وتكونُ اللامُ لِلتَّأكيدِ؛ أي: «وَلَأَدْرَاكُم».

(٢) جَرى المُفسِّرُ فيه على طَريقةِ مَنْ يَجعلُه مِثلَ «حِينَ»، وهي لُغَةُ بَعضِ العَربِ، يَلتَزِمُونَ في جَمعِ «سَنَة» اليَاءَ والنُّونَ، ويَجعلونَه مُفردًا، ومنه حَدِيثُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينًا كَسِنِينِ يُوسُفَ» في إِحدى الرِّوايتَينِ. وفي نُسخَةِ قَباوَة: (سِنِينَ).

(٣) أَخرجَ البُخارِيُّ (٣٩٠٢) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ». وأخرجَه مسلمٌ بنحوه (٢٣٥٣).

(٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (هُو) بِدُونِ الواوِ.

(٥) في نُسخَةِ قَباوَة: (أي:).

(٦) وهذا قولُ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو الصَّحِيحُ؛ فإِنَّ قَومَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانُوا هم أَوَّلَ مَنْ كَفَرَ بِالرَّحمنِ وعَبَدَ الأَوثَانَ مِنَ الأُمَمِ.

(٧) لِثُبوتِ أنّه أوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في قُرَيشٍ؛ فعندَ الطبرانيِّ في الكبيرِ (١٠٨٠٨) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمْرُو بْنُ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أَبُو خُزَاعَةَ». وصَحَّحَه الأَلبانيُّ في صحيح الجامع (٢٥٨٠). وأَخرَجَ البُخارِيُّ (٤٦٢٣)، ومسلمٌ (٢٨٥٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ». وقُصْبه: أي: أمعاءَه.

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ
فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
(٢١) هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ
وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ
دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ
بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ
عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟
إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥)

[٢١] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿رَحْمَةً﴾: مَطرًا وخِصبًا ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾: بُؤسٍ وجَدبٍ ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ بِالاستِهزاءِ والتَّكذِيبِ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: مُجازاةً(١) ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾: الحفَظَةَ ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ(٢)-.

[٢٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ - وفي قِراءَةٍ: ﴿يَنشُرُكُمْ﴾(٣)- ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: السُّفُنِ ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ - فيه التِفاتٌ عَنِ الخِطابِ- ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: لَيِّنَةٍ ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: شَدِيدةُ الهُبوبِ تكسِرُ كُلَّ شيءٍ ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أُهلِكُوا ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الدُّعاءَ ﴿لَئِنْ﴾: لامُ قَسَمٍ ﴿أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوالِ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: المُوحِّدِينَ.

[٢٣] ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بِالشِّركِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾: ظُلمُكُم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ لِأَنَّ إِثمَه عليها. هو ﴿[مَّتَٰعُ](٤) ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تُمَتَّعون فيها قَليلًا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بَعدَ الموتِ ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنُجازِيكم عليه(٥). وفي قِراءَةٍ بِنَصبِ ﴿مَّتَٰعَ﴾(٦)؛ أي: تَتمتَّعُونَ.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾: مَطرٍ ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: بِسَبَبِه ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ واشتبكَ بَعضُه بِبَعضٍ ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ مِنَ البُرِّ والشَّعيرِ وغَيرِهِما ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ مِنَ الكَلَأِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: بَهجَتَها مِنَ النَّباتِ ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ بِالزَّهرِ. - وأَصلُه: تَزَيَّنَتْ؛ أُبدِلَتِ التَّاءُ زايًا، وأُدغِمتْ في الزَّايِ- ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾: مُتَمكِّنُونَ مِن تَحصِيلِ ثِمارِها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾: قَضاؤُنا(٧)، أو عَذابُنا(٨) ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: زَرعَها ﴿حَصِيدًا﴾ كَالمَحصُودِ بِالمَناجِلِ ﴿كَأَن﴾ - مُخفَّفَةٌ- أي: كَأَنَّها ﴿لَّمْ تَغْنَ﴾: تَكُنْ ﴿بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾: نُبَيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: السَّلامَةِ- وهي الجَنَّةُ- بِالدُّعاءِ إلى الإِيمانِ ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هِدايَتَه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[*] دِينِ الإِسلامِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الكِلَابِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَنَفَيِ -أي: جَانِبَيِ- الصِّرَاطِ سُورَانِ، لَهُمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، عَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَهُ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وَالأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ: حُدُودُ اللهِ، فَلَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللهِ حَتَّى يُكْشَفَ السِّتْرُ، وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ: وَاعِظُ رَبِّهِ». التِّرمذيُّ - كتاب الأمثال (٤٥) بابُ (١) مَا جَاءَ فِي مَثَلِ اللهِ لِعِبَادِهِ، وصَحَّحَه الأَلبانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٢٩٥).

---

(١) وحقيقةُ المَكرِ: هو التدبيرُ المُحكَمُ في إنزالِ العُقوبَةِ بِالمُجرِمِ مِنْ حيثُ لا يَشعرُ، فهو أَخصُّ مِن مُطلَقِ المُجازاةِ؛ فالمَكرُ مِنَ اللهِ سبحانَه تَدبيرٌ لِردِّ كَيدِ الكائدِ في نَحرِه وإنزالِ العُقوبةِ به، مِنْ حيثُ لا يَشعرُ، ومُجازاتُه بِجِنسِ عَملِه وسَعيِه ونيَّتِه. وسَبَقَ بيانُ مذهبِ السَّلفِ في هذا النَّوعِ مِنَ الصِّفاتِ، وأنَّها فيما سِيقَتْ له مَدحٌ وكَمالٌ، ونُثبتُها لله عَزَّوَجَلَّ على ما يَليقُ به -سُبْحَانَهُ- مِنْ غَيرِ تأويلٍ ولا تَعطيلٍ ولا تَمثيلٍ ولا تَكييفٍ.

(٢) ظاهِرُه أنَّها بِالياءِ قِراءةٌ سَبعيَّةٌ، ولَيس كذلك، بل هي عَشريَّةٌ لِرَوحٍ.

(٣) لِابنِ عامرٍ. ﴿يَنشُرُكُمْ﴾؛ مِنَ النَّشرِ ضِدِّ الطَّيِّ، والمعنَى: يُفرِّقُكم ويَبُثُّكم. الدرُّ المصونُ (٦/ ١٦٨).

(٤) ﴿مَّتَٰعُ﴾ بِالرَّفعِ :لِلسَّبعةِ عَدا حَفصٍ. وقَرأَ حَفصٌ: ﴿مَّتَٰعَ﴾.

(٥) يُنظَرُ التَّعليقُ على الآيَةِ(٩٤)، مِن سُورةِ التوبةِ.

(٦) وهي قِراءةُ حَفصٍ، كما تَقدَّمَ قَريبًا.

(٧) الأَمرُ والقَضاءُ بِالعذابِ أو غيرِه يكونُ بِكَلمةِ «كُنْ»؛ قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، والله عَزَّوَجَلَّ يتكلَّمُ متى شَاءَ وكيفَ شَاءَ على ما يَليقُ بِجَلالِه.

(٨) في نُسخَةِ قَباوَةَ: (أي: عَذابُنا).

الحزب ٢١

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ
مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ
ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ
ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿۞ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمانِ ﴿الْحُسْنَى﴾: الجنَّةُ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ - هي النَّظرُ إليه -تعالَى- كما في حَديثِ مُسلمٍ(١)- ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: يَغشَى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: سَوادٌ ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: كآبةٌ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ﴾: عطفٌ علَى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾؛ أي: ولِلذين ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾: عَمِلُوا الشِّركَ ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ﴾: زائدةٌ ﴿عَاصِمٍ﴾: مانِعٍ ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾: أُلبِسَتْ ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ بِفَتحِ الطَّاءِ: جَمعُ قِطعةٍ، وإسكانِها: أي: جُزءًا(٢) ﴿مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي: الخَلْقَ ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ - نُصِبَ بـ«الزَموا» مُقدَّرًا- ﴿أَنْتُمْ﴾: تأكيدٌ لِلضميرِ المُستَترِ في الفِعلِ المُقدَّرِ؛ لِيُعطَفَ عليه: ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ أي: الأَصنامُ ﴿فَزَيَّلْنَا﴾: مَيَّزْنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبينَ المُؤمنينَ كما في آيةِ: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾(٣) ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ «ما» نافيةٌ. وقُدِّمَ المفعولُ؛ لِلفاصِلةِ(٤).

[٢٩] ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ﴾: مُخفَّفةٌ؛ أي: إنَّا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

[٣٠] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: ذلكَ اليومَ ﴿تَبْلُو﴾ - مِنَ البَلوى. وفي قِراءةٍ بِتاءَينِ(٥): مِنَ التِّلاوةِ- ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾: قَدَّمَتْ مِنَ العَمَلِ ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾: الثَّابِتِ الدَّائِمِ ﴿وَضَلَّ﴾: غابَ ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه مِنَ الشُّرَكاءِ.

[٣١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمَطَرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنَّباتِ؟ ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ بِمعنَى الأَسماعِ؛ أي: خَلْقَها ﴿وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ بينَ الخَلائِقِ؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: هُو ﴿اللَّهُ فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ـه فتُؤمِنونَ؟

[٣٢] ﴿فَذَلِكُمُ﴾ الفاعِلُ لِهذهِ الأشياءِ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾: الثَّابتُ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾؟ استفهامُ تَقريرٍ؛ أي: لَيسَ بَعدَه غيرُه. فمَنْ أَخطأَ الحَقَّ- وهو عِبادةُ اللهِ- وَقعَ في الضَّلالِ ﴿فَأَنَّى﴾: كَيفَ ﴿تُصْرَفُونَ﴾ عَنِ الإيمانِ مع قِيامِ البُرهانِ؟!

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ﴾: كما صُرِفَ هَؤلاءِ عَنِ الإيمانِ ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: كَفَرُوا. وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآيةَ(٦)، أو هي: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) مُسلمٌ (١٨١) عَنْ صُهَيبِ بنِ سِنانٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ»، قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟» قَالَ: «فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». وعندَ أحمدَ في المُسنَدِ (١٨٩٣٥)، زِيادةُ: ثُمَّ تَلا هذه الآيةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾. وقالَ الأرناؤوطُ في تخريجِه على المُسنَدِ (٣١/ ٢٦٥): «إسنادُه صحيحٌ على شرطِ مُسلمٍ، رِجالُه ثِقاتٌ رِجالُ الشَّيخَينِ غيرُ حمادِ بنِ سَلمةَ، فمِنْ رِجالِ مُسلمٍ».

(٢) ﴿قِطْعًا﴾؛ بالإسكانِ: قِراءةُ الكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ. وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبعةِ: ﴿قِطَعًا﴾؛ بالفتحِ.

(٣) يس: ٥٩.

(٤) أي: لِمُراعاةِ رُؤوسِ الآياتِ.

(٥) ﴿تَتْلُوا﴾؛ لِحَمزةَ والكِسائيِّ. وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبعةِ ﴿تَبْلُوا﴾؛ بالباءِ؛ مِنَ البَلوَى، وهي الاختيارُ.

(٦) السجدة: ١٣.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ
لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ
بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم
بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصرَفونَ عَن عِبادَتِه، مَعَ قِيامِ الدَّليلِ؟

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ بِنَصْبِ الحُجَجِ وخَلْقِ الاهتِدَاءِ؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهُو اللهُ ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا [يَهِدِّىٓ](1)﴾: يهتَدي(2) ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبعَ؟ استفهامُ تَقريرٍ وتَوبيخٍ؛ أي: الأَوَّلُ أَحَقُّ ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحُكمَ الفَاسِدَ؛ مِنِ اتِّبَاعِ مَا لا يَحِقُّ اتِّباعُه؟

[٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عِبادةِ الأَصنَامِ ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ حيثُ قلَّدُوا فيه آباءَهُم ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ فيما المطلُوبُ منه العِلمُ! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيُجازِيهم عليه.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ أي: افترَاءً ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِهِ ﴿وَلَٰكِن﴾ أُنزِلَ ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مِنَ الكُتبِ ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: تَبيينَ ما كَتبَه(3) اللهُ مِنَ الأَحكَامِ وغَيرِها ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مُتعَلِّقٌ بـ﴿تَصْدِيقَ﴾ أَوْ بـ«أُنزِل» المحذُوفِ. وقُرِئَ(4) بِرَفعِ: ﴿تَصْدِيقُ﴾ و﴿تَفْصِيلُ﴾ بِتَقدِيرِ: هو(5).

[٣٨] ﴿أَمْ﴾: بلْ أَ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلَقَه مُحمَّدٌ؟ ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ على وَجهِ الافترَاءِ- فإِنَّكُم عَربيُّونَ فُصَحَاءُ مِثلي- ﴿وَٱدْعُواْ﴾ لِلإِعانَةِ عليه ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّه افتراءٌ. فلَمْ يَقْدِرُوا(6) على ذلك.

قال تَعالَى:

[٣٩] ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ ولَمْ يَتدبَّروه ﴿وَلَمَّا﴾: لَمْ(7) ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: عَاقِبةُ ما فيه مِنَ الوَعِيدِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التَّكذِيبِ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلَهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بِتكذِيبِ الرُّسُلِ؛ أي: آخِرُ أمرِهم مِنَ الهَلَاكِ؟ فكذلِكَ نُهلِكُ(8) هؤلَاءِ.

[٤٠] ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: أهلِ مَكَّةَ ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ لِعِلْمِ اللهِ ذلك منهم ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أَبدًا ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ تَهدِيدٌ لهم.

[٤١] ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لهُم: ﴿لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لِكُلٍّ جَزاءُ عَمَلِه ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا مَنسُوخٌ بِآيَةِ السَّيفِ.

[٤٢] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قَرأتَ القُرآنَ ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ - شَبَّهَهُم بهم في عَدَمِ الانتفَاعِ بِمَا يُتلَى عليهم- ﴿وَلَوْ كَانُواْ﴾ مَعَ الصَّمَمِ ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: يَتدبَّرونَ؟

---

(١) قرأ شُعبةُ بِكسرِ اليَاءِ والهَاءِ وتَشدِيدِ الدَّالِ؛ ﴿يِهِدِّىٓ﴾، وقَرأ حَفصٌ ويَعقوبُ بِفتحِ اليَاءِ وكَسرِ الهَاءِ وتَشديدِ الدَّالِ؛ ﴿يَهِدِّىٓ﴾، وقَرأ ورشٌ وابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ بِفتحِ اليَاءِ والهَاءِ وتَشدِيدِ الدَّالِ؛ ﴿يَهَدِّىٓ﴾، وقرأ أبو عمرٍو بِفَتحِ اليَاءِ واختلاسِ فتحِ الهَاءِ وتَشديدِ الدَّالِ؛ ﴿يَهَدِّىٓ﴾. وقَرأ حمزةُ والكِسَائِيُّ بِفَتحِ اليَاءِ وسُكونِ الهَاءِ وتَخفِيفِ الدَّالِ؛ ﴿يَهْدِىٓ﴾. والمعنَى على قِراءَةِ التَّشديدِ بِفتحِ الهَاءِ أو كَسرِها: لا يَهدِي نفسَه، ولا يَهدِي غيرَه؛ فزِيَادةُ المبنَى يَترتَّبُ عليها زِيادةُ مَعنًى.

(٢) جُمهورُ العُلماءِ على أنَّ أصلَ ﴿يَهِدِّىٓ﴾ بالتَّشدِيدِ-سَواءٌ بِفتحِ الهَاءِ أو كَسرِها-هو «يهتدي»، ثُمَّ قُلِبت التَّاءُ دَالاً، وأُدغِمَتْ في الدَّالِ بعدَ نَقلِ حَرَكتِها إِلى الهَاءِ في قِراءةِ الفَتحِ، أو كُسِرَتْ لِالتِقاءِ السَّاكِنَينِ في قِراءةِ الكَسرِ، وكُسِرَتِ اليَاءُ الأُولى إتْبَاعًا لِلهَاءِ في قِراءةِ شُعبةَ. والقولُ بِأَنَّ أصلَها «يهتدي» مَحَلُّ نَظرٍ؛ إِذْ إِنَّ «يَهدِّي» بِالتَّشدِيدِ مُتَعَدٍّ، وأَمَّا «يَهتَدِي»؛ فهو لازمٌ؛ فالمعنَى على الأَوَّلِ غيرُه على الثاني، والمقَابَلَةُ لا تَصِحُّ إِذا كَانَت بينَ الذي يَهدي، والذي لا يهتدي؛ وإنَّما تصحُّ بين الذي يَهدي، والذي لا يَهدي. أو بينَ الذي يهتدي، والذي لا يَهتَدِي. أو بينَ الذي يَهدي، والذي لايَهدي نفسه ولا يَهدي غيره، وهذا الوجهُ الأَخيرُ هو مايفيدُه قِراءةُ التَّشديدِ. وكذلكَ فإنَّ «هَدَى يَهْدِي»، و«هدَّى يهدِّي» لُغتَانِ، وكلُّ وَاحدةٍ منها أصلٌ، والتَّشديدُ في الثانيةِ لِلمبالغةِ والتكثيرِ. والله أعلم.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ما كتبَ).

(٤) أي: شُذُوذًا.

(٥) أي: فهو خَبرٌ لِمبتدأٍ مَحذوفٍ.

(٦) في نُسخةِ حاشيةِ الجَمَلِ: (تَقدروا) بالتَّاءِ.

(٧) هُنَاكَ فُرُوقٌ بينهما؛ فـ«لَمَّا» حَرْفُ جَزمٍ مَعْنَاهُ النَّفي كـ«لَم»، لَكِن هُو أَبلَغُ مِنَ النَّفيِ بِـ«لَمْ»، لِأَنَّها لَا تَنفِي إِلَّا الزَّمَانَ المُتَّصِلَ بِزَمَانِ الحَالِ. والفَرْقُ بينَها وبينَ «لَمْ» مِنْ وُجوهٍ: أَحدُها: أنَّه قَدْ يُحذَفُ الفِعْلُ بَعدَها في فَصِيحِ الكَلَامِ إِذَا دَلَّ عليه دَلِيلٌ. ومنها: أَنَّها لِنَفيِ المَاضِي المُتَّصِلِ بِزَمَانِ الحَالِ، و«لَمْ» لِنفيِهِ مُطلَقاً أو مُنقَطِعًا. ومنها: أَنَّ «لَمَّا» لَا تَدْخُلُ على فِعلِ شَرْطٍ ولَا جَزاءٍ بِخِلَافِ «لَمْ». يُنظَرُ: الدُّرُّ المَصونُ في عُلوم الكتاب المكنُون، لِلسَّمِينِ الحَلبي (٢/ ٣٨١). وتَقَدَّمَ ذِكرُ ذَلِكَ في تفسيرِ سُورَةِ البَقَرَةِ الآيَة (٢١٤).

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (يَهلِك).

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ
﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

الحزب ٢٢

[٤٣] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾؟ شَبَّهَهُم بهم في عَدَمِ الاهتِدَاءِ. بل أعظَمُ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ [نَحْشُرُهُمْ][2] كَأَن﴾ أي: كأنَّهم ﴿لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدُّنيا أوِ القُبورِ ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ لِهَولِ ما رَأوا- وجُملةُ التَّشبيهِ حالٌ مِنَ الضَّميرِ- ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يَعرِفُ بَعضُهم بَعضًا إذا بُعِثوا، ثُمَّ يَنقطِعُ التَّعارُفُ؛ لِشدَّةِ الأهوالِ. والجُملةُ حالٌ مُقدَّرةٌ[3]، أو مُتعلَّقُ الظَّرفِ[4] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: بالبَعْثِ[5] ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[٤٦] ﴿وَإِمَّا﴾ - فيه إدغامُ نونِ «إن» الشَّرطيَّةِ في «ما» المَزيدَةِ- ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به مِنَ العَذَابِ في حَياتِكَ- وجَوابُ الشَّرطِ مَحذوفٌ؛ أي: فَذاكَ- ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ تَعذيبِهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾: مُطَّلِعٌ ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ مِنْ تكذيبِهم وكُفْرِهم؛ فيُعذِّبُهم أشَدَّ العَذابِ.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ مِنَ الأُمَمِ ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكَذَّبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعَدْلِ، فيُعَذَّبونَ، ويُنجَّى الرَّسولُ ومَنْ صَدَّقَه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بتَعذيبِهم بغَيرِ جُرمٍ. فكذلكَ نَفعلُ بهؤلاءِ.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعَذابِ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟

[٤٩] ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدفَعُه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجلِبُه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أنْ يُقدِّرَني عليه، فكيفَ أملِكُ لكُم حُلولَ العَذابِ؟ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مُدَّةٌ مَعلومةٌ لِهَلاكِهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: يَتأخَّرونَ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: يَتقدَّمونَ عليه.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبِروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾؛ أي: اللهِ ﴿بَيَاتًا﴾: لَيلًا ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾: أيُّ شيءٍ ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي: العَذابِ ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: المُشرِكونَ؟ فيه وَضعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَرِ. وجُملةُ الاستفهامِ جَوابُ الشَّرطِ؛ كقولِك: إذا أتيتُكَ ماذا تُعطيني؟ والمُرادُ به التَّهويلُ؛ أي: ما أعظَمَ ما استعجَلُوه!

[٥١] ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾: حَلَّ بِكُم ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ أي: اللهِ، أوِ العَذابِ عِندَ نُزولِه؟ والهَمزةُ لإنكارِ التَّأخيرِ. فلا يُقبَلُ مِنكُم، ويُقالُ لكُم: ﴿آلْآنَ﴾ تُؤمِنونَ ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاءً؟

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الذي تَخلُدُون فيه ﴿هَلْ﴾: ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جَزاءَ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؟

[٥٣] ﴿۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾: يَستَخبِرونَك: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: ما وَعدتَنا به مِنَ العَذابِ والبَعْثِ؟ ﴿قُلْ إِي﴾: نَعَمْ ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بِفائِتينَ العَذابَ.

---

(١) الحج: ٤٦.
(٢) بالنُّونِ، وهي قِراءةُ السَّبْعَةِ ما عدا حَفصٍ، وقَرأ حَفصٌ بالياءِ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾. وهي القِراءةُ المُثبتةُ في نُسْخَةِ قَباوَة.
(٣) أي: يومَ نَحشُرُهم مُتعارِفينَ بينهم.
(٤) أي: «يوم»، وتقديرُ الكلام: يَتعارَفُونَ بينهم يومَ نَحشُرُهم.
(٥) وهو لِقاءٌ حقيقيٌّ، كيفما يَشاؤه ربُّنا عَزَّوَجَلَّ. كما سَبَقَ بَيانُه في التعليقِ على الآيةِ (٤٦) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: كَفَرَتْ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ جميعًا[١] مِنَ الأَموَالِ ﴿لَافْتَدَتْ بِهِۦ﴾ مِنَ العَذَابِ يومَ القِيامَةِ ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ على تَرْكِ الإيمانِ ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي: أخفَاها رُؤسَاؤُهُم عَنِ الضُّعَفَاءِ الذين أَضَلُّوهم مَخافَةَ التَّعييرِ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾: بَينَ الخَلائِقِ ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بِالعَدْلِ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شَيئًا.

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِالبَعْثِ والجَزَاءِ ﴿حَقٌّ﴾: ثَابِتٌ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: النَّاسِ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخِرَةِ، فيُجازِيكم بِأَعمالِكُم.

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أَهلَ مَكَّةَ ﴿قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: كِتَابٌ فيه ما لَكُم وعَلَيكُم- وهو القُرآنُ- ﴿وَشِفَاءٌ﴾: دَوَاءٌ ﴿لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ مِنَ العَقَائِدِ الفَاسِدَةِ والشُّكُوكِ ﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالِ ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الإِسلامِ ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾: القُرآنِ[٢] ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفَضلِ والرَّحمَةِ ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مِنَ الدُّنيا. بِاليَاءِ والتَّاءِ[٣].

[٥٩] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾: أَخبِرُوني ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: خَلَقَ[٤] ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ كَالبَحِيرةِ والسَّائِبَةِ[٥] والمَيتَةِ؟ ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك التَّحليلِ والتَّحرِيمِ؟ لا ﴿أَمْ﴾: بلْ ﴿عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: تكذِبُون، بِنِسبَةِ ذلك إِليه؟

[٦٠] ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: أَيُّ شَيءٍ ظَنُّهم به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؟ أيحسبونَ أنّه لا يُعاقِبُهم؟! لا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بِإِمهَالِهم والإِنعَامِ عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ -يا مُحَمَّد- ﴿فِي شَأْنٍ﴾: أَمْرٍ ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾ أي: مِنَ الشَّأنِ، أَوِ اللهِ ﴿مِن قُرْآنٍ﴾ أَنزَلَه عليكَ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ -خَاطَبَه وأُمَّتَه- ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: رُقَبَاءَ ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾: تَأْخُذُونَ ﴿فِيهِ﴾ أَي: العَمَلِ ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: يَغِيبُ ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ﴾: وَزنِ ﴿ذَرَّةٍ﴾: أَصغَرِ نَملَةٍ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ، هو اللَّوحُ المَحفُوظُ.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى
اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

(١) كَلمةُ: (جميعًا) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) أخرجَه ابنُ جَرير (١٧٦٨٠) بِسَنَدٍ حَسَنٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ [يونس:٥٨]؛ يَقُولُ: «فَضْلُهُ: الإِسْلامُ، وَرَحْمَتُهُ: القُرْآنُ».

(٣) ﴿تَجْمَعُونَ﴾؛ بِالتَّاءِ لابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَجْمَعُونَ﴾؛ بِاليَاءِ.

(٤) الأقربُ -كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ- أَنْ يُحمَلَ الإِنزالُ على معناه الظَّاهِرِ، ويَكونُ في الآيَةِ إِثباتُ عُلوِّه -تَعَالَى- بِذاتِه فوقَ خَلْقِه، كما هو مذهبُ السَّلفِ قَاطبةً، وهو ما يَتحاشى المُفسِّرُ ذِكرَه مُوافقةً لِمذهَبِ الأَشاعِرة.

(٥) سبقَ بَيانُ معنى البَحِيرَةِ والسَّائِبةِ عندَ تفسيرِ الآيةِ (١٠٣) مِنْ سُورةِ المَائدةِ.

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ
ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ
ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ
وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخِرَةِ.

[٦٣] هُمُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ بِامتِثالِ أَمْرِه ونَهيِه.

[٦٤] ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ - فُسِّرَتْ في حَدِيثٍ صَحَّحه الحَاكِمُ، بِالرُّؤيا الصَّالِحَةِ يَراهَا الرَّجلُ أو تُرَى له[1]- ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بِالجَنَّةِ والثَّوابِ ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾: لا خُلْفَ لِـمَواعِيدِه ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكُورُ ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ لكَ: لَستَ مُرسَلًا، وغيرَه ﴿إِنَّ﴾ - استئنافٌ- ﴿ٱلۡعِزَّةَ﴾: القُوَّةَ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلقَولِ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بِالفِعْلِ، فيُجازِيهم ويَنصُرُكَ.

[٦٦] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ عَبيدًا ومُلْكًا وخَلْقًا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: يَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه، أصنامًا ﴿شُرَكَآءَۚ﴾ له، على الحَقِيقةِ. تعَالَى عن ذلك ﴿إِن﴾: مَا ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلكَ ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: ظَنَّهم أنَّها آلِهَةٌ تَشفَعُ لهم ﴿وَإِنۡ﴾: مَا ﴿هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾: يَكذِبُونَ في ذلكَ.

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ إسنادُ الإِبصَارِ إليه مجازٌ؛ لِأَنَّه يُبْصَرُ[2] فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾: دلَالَاتٍ على وَحدَانِيَّته تعَالَى ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدَبُّرٍ واتِّعاظٍ.

[٦٨] ﴿قَالُواْ﴾ أي: اليَهُودُ والنَّصارَى ومَنْ زَعَمَ أنَّ الملائِكَةَ بَناتُ اللهِ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ قال تعَالَى لهم: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾: تَنزيهًا له عَنِ الوَلَدِ! ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وإِنَّما يَطلُبُ الوَلَدَ مَنْ يَحتَاجُ إليه ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مُلْكًا وخَلْقًا وعَبِيدًا ﴿إِنۡ﴾: مَا ﴿عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ﴾: حُجَّةٍ ﴿بِهَٰذَآۚ﴾ الذي تَقُولُونَه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؟ استفهامُ تَوبِيخٍ.

[٦٩] ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ بِنسْبَةِ الوَلَدِ إليه ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾: لا يَسعَدُونَ.

[٧٠] لهم ﴿مَتَٰعٞ﴾ قليلٌ ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يَتَمَتَّعُونَ به مُدَّةَ حَياتِهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ بِالمَوتِ ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ بعدَ المَوتِ ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾.

(١) المُستدرَكُ (٢/ ٣٤٠)، ورواه الترمذيُّ (٢١٩٩)، وأحمدُ (٢٦٢٥٠) عن أبي الدَّرداءِ مَرفوعًا، ورواه الترمذيُّ (٢٢٠١)، وابنِ ماجَه (٢٨٨٨)، وأحمدُ (٢١٦٣٠) عَنْ عُبادةَ بنِ الصَّامتِ مرفوعًا، وصَحَّحَه الألبَانيُّ في صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (١٨٥٤).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مُبْصَرٌ).

[٧١] ﴿۞ وَٱتْلُ﴾ - يا محمّد- ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: كُفّارِ مَكَّةَ ﴿نَبَأَ﴾: خبَرَ ﴿نُوحٍ﴾ ويُبدَلُ منه: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾: شَقَّ ﴿عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾: لُبثِي فِيكُم ﴿وَتَذْكِيرِى﴾: وَعْظِي إيّاكُم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾: اِعزِمُوا على أَمْرٍ تفعَلونه بي ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ الوَاوُ بِمعنَى: مَعَ ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مستُورًا، بلْ أظهِرُوه وجَاهِرُوني به ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ﴾: أمضُوا فِيَّ ما أردتُّموهُ ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: تُمهِلونِ. فإنِّي لَستُ مُباليًا بِكُم.

[٧٢] ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنْ تَذْكِيرِي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: ثَوَابٍ عليه؛ فتَولَّوا[1]. ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ﴾: ثَوابِي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: السَّفِينَةِ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: مَنْ مَعَهُ ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في الأَرضِ ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالطُّوفَانِ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مِنْ إهلاكِهم؟ فكَذلِكَ نَفعَلُ بِمَنْ كَذَّبَكَ.

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: نُوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ كَإبراهيمَ وهُودٍ وصَالِحٍ ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجِزَاتِ ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِ بَعْثِ الرُّسُلِ إليهم ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾: نَخْتِمُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تَقبَلُ الإيمانَ، كما طَبَعنا على قُلُوبِ أُولئِكَ.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: قَومِه ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التِّسعِ[2] ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عَنِ الإيمانِ بها ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ ظَاهِرٌ.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾: إِنَّه لَسِحْرٌ؟ ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ وقدْ أفلَحَ مَنْ أَتَى به وأبطَلَ سِحْرَ السَّحرةِ ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾؟ والاستفهَامُ في المَوضِعَينِ لِلإنكَارِ.

[٧٨] ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لِتَرُدَّنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: المُلكُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصرَ؟ ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: مُصدِّقِينَ.

الحزب ٢٢

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ
عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ
فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ
ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ
﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

---

(١) في نُسخةِ قباوة: (فتَولَّوا).

(٢) وهي: العصا، واليدُ، والطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، والدَّمُ، والسِّنونَ، ونقصُ الثَّمراتِ. وهذه الآياتُ كانت لِفرعَونَ وقَومِه لِيُؤمِنُوا، وهي بِخِلافِ الآياتِ التي أُوتِيَها مُوسَى عليه السلام لبني إسرائيل ليُؤمنُوا، وهي: فلقُ البحرِ، وإنزالُ المَنِّ والسَّلوى، وتظليلُ الغَمامِ، وتفجيرُ الماءِ مِنَ الحجرِ، ونَتْقُ الجَبَلِ؛ أي: رفعُه فوقَ رُءوسِهم، ومَسخُ الذين عَتَوا منهم، وإبانُ الحيتانِ يومَ سبتِهم، والرَّجفةُ، والصَّاعقةُ، وإحياءُ الميِّتِ القتيلِ بضربِه ببعضِ البقرةِ التي أُمِرُوا بذبحِها.

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ (٧٩) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ (٨٠) فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ
عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ (٨٢) فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ
خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٨٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن
كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ (٨٤)
فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
(٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٨٦) وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ
وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ
قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ
وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ (٨٨)

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾: فائقٍ في عِلْمِ السِّحْرِ.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بَعدَ ما قَالُوا له: ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾[١]: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾ حِبالَهم وعِصِيَّهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا﴾: استفهاميَّةٌ[٢] مُبتدأٌ، خَبَرُه: ﴿جِئۡتُم بِهِ﴾ [ءَآلسِّحۡرُ][٣]﴾؟: بدلٌ[٤]. وفي قِراءَةٍ: بِهمزةٍ وَاحِدةٍ[٥]، إِخبارٌ[٦]. فَـ«مَا»[٧]: مَوصُولٌ: مُبتدأٌ[٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ أي[٩]: سَيمحَقُهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَيُحِقُّ﴾: يُثبِتُ ويُظهِرُ ﴿ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بِمَوَاعِيدِه[١٠] ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ﴾: طَائِفةٌ ﴿مِّن﴾ أَوْلَادِ ﴿قَوۡمِهِۦ﴾ أي: فِرعونَ ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡ﴾: يَصرِفَهم عَنْ دِينِه بِتَعذِيبِه ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ﴾: مُتكبِّرٌ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أَرضِ مِصرَ ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: المُتَجاوِزِينَ الحدَّ بِادِّعاءِ الرُّبُوبِيَّةِ.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تُظهِرْهُم علينا فيَظنُّوا أنَّهم عَلى الحَقِّ فيُفتَتَنُوا بنا.

[٨٦] ﴿وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾: اتَّخِذَا ﴿لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾: مُصَلًّى تُصَلُّونَ فيه لِتَأمَنُوا مِنَ الخَوفِ- وكان فِرعَونُ مَنَعَهُم مِنَ الصَّلاةِ[١١] - ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أَتِمُّوها ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بِالنَّصرِ والجَنَّةِ.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا﴾ آتَيْتَهم ذلكَ ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ في عَاقِبَتِه ﴿عَن سَبِيلِكَۖ﴾: دِينِكَ ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾: امْسَخْها ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: اطبَعْ عليها واستوثِقْ ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾: المُؤلِمَ. دَعَا عليهم، وأَمَّنَ هَارُونُ على دُعَائِه[١٢].

---

(١) الأعراف: ١١٥.

(٢) أي: أيُّ شيءٍ جئتم به؟! وهو للتوبيخِ والتحقيرِ. حَاشيةُ الصَّاوي (٣/ ١١٤).

(٣) قَرَأَ أبو عمرٍو بِهمزَةِ قَطعٍ لِلاستِفهَامِ، مَتبُوعةٍ بِهمزَةِ وَصلٍ، فلَه في الهَمزَةِ الثانيةِ التسهيلُ، وإبدالُ الهَمزةِ أَلِفًا مَعَ الإشباعِ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾؛ بِهمزةِ وَصلٍ، تُحذَفُ وَصلًا.

(٤) أي أنَّ لَفظَ: «آلسِّحرُ» بَدلٌ مِنْ «مَا» الاستِفهاميَّةِ، وأُعِيدَتْ مَعه الهَمزةُ، كما في قولِ ابنِ مالكٍ: وَبَدَلُ المُضَمَّنِ الهَمْزَ يَلِي ... هَمْزًا كـ«مَنْ ذَا أَسَعِيدٌ أَمْ عَلِي؟». يُنظرُ: حَاشيةُ الصَّاوي (٣/ ١١٤)، وحاشيةُ الجمل (٢/ ٣٦٦). قال السَّمِينُ الحَلبيُّ في الدُّرِّ المصونِ (٦/ ٢٤٩): «فأَمَّا قِراءةُ أبي عَمرٍو ففيها أوجهٌ، أحدُها: أنَّ «ما» استفهاميَّةٌ في مَحلِّ رَفعٍ بِالابتِدَاءِ، و«جِئتُمْ به» الخَبرُ، والتَّقديرُ: أيُّ شيءٍ جئتُم؟ كأنَّه استفهامُ إنكارٍ، وتَقليلٌ لِلشيءِ المُجَاءِ به. و«السِّحرُ» بدلٌ مِنِ اسمِ الاستِفهَامِ، ولِذلكَ أُعِيدَ معه أداتُه لما قرَّرْتُه في كتبِ النَّحوِ. الثاني: أنْ يكونَ «السِّحرُ» مبتدأً خبرُه محذوفٌ، تقديرُه: أهو السِّحرُ؟. الثالثُ: أنْ يَكونَ مُبتدأً محذوفَ الخَبرِ؛ تقديرُه: السِّحرُ هو. ذَكَرَ هَذَينِ الوَجهَينِ أبو البَقاءِ، وذكرَ الثاني مَكيٌّ، وفيهما بُعدٌ. الرابعُ: أنْ تكونَ «ما» مَوصولةً بِمعنَى: الذي، و«جئتُم به» صِلتُها، والمَوصُولُ في محلِّ رَفعٍ بِالابتداءِ، و«السِّحرُ» على وَجهَيهِ مِنْ كَونِه خبرَ مُبتدإٍ مَحذوفٍ، أو مُبتدأً محذوفَ الخَبرِ، تقديرُه: الذي جئتُم به: أهو السِّحرُ، أوِ الذي جئتُم به السِّحرُ هو، وهَذا الضَّميرُ هو الرَّابطُ...».

(٥) أي: بِإسقاطِ هَمزةِ الاستِفهامِ.

(٦) أي فهو إِخبارٌ.

(٧) على هذه القِراءةِ.

(٨) ووُجِّهَتْ هذه القِراءةُ، بِأَنَّ «ما» اسمٌ مَوصولٌ مبتدأٌ، وصِلتُها: ﴿جِئۡتُم بِهِ﴾ والخَبرُ: ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾. حاشية الصَّاوي (٣/ ١١٤).

(٩) كَلمةُ: (أي) في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(١٠) أي: مَواعيدِه بِالنَّصرِ، ويَلزمُ من ذلكَ إثباتُ صِفةِ الكَلامِ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، على الوَجهِ اللائِقِ بِهِ.

(١١) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٧٨١٥) عَنْ قَتَادَةَ، قولَه. وقال مجاهدٌ في تفسيرِه (ص٣٨٢): «اجْعَلُوا مَسَاجِدَكُمْ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَذَلِكَ حِينَ خَافَ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ أَنْ يُصَلُّوا فِي الْكَنَائِسِ الْجَامِعَةِ، فَأُمِرُوا أَنْ يَجْعَلُوا فِي بُيُوتِهِمْ مَسَاجِدَ مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ يُصَلُّونَ فِيهَا».

(١٢) روى ابنُ جرير (١٧٨٥٤) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ [يونس:٨٩] لِمُوسَى وَهَارُونَ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ عِكْرِمَةُ: أَمَّنَ هَارُونُ عَلَى دُعَاءِ مُوسَى، فَقَالَ الله: ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا﴾ [يونس:٨٩].

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ
قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ
﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ
مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن
قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

الحزب ٢٢

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ تعالَى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فمُسِخَتْ أموالُهم حِجارةً(١)، ولمْ يُؤمِنْ فِرعونُ حتَّى أدركَهُ الغرَقُ ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرِّسالةِ والدَّعوةِ، إلى أنْ يأتِيَهم العَذابُ ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في استعجالِ قَضائِي. رُوِيَ أنَّه مَكثَ بعدَها أربعِينَ سَنَةً(٢).

[٩٠] ﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾: لَحِقَهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾: مَفعولٌ له ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ﴾ أي: بِأنَّه- وفي قِراءةٍ بِالكَسرِ(٣) استئنافًا- ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: كَرَّرَه(٤) لِيُقبَلَ منه، فلَمْ يُقبَلْ. ودسَّ جِبريلُ في فِيه مِنْ حَمأةِ(٥) البَحْرِ مَخافَةَ أنْ تنالَه الرَّحمةُ(٦)، وقالَ له:

[٩١] ﴿آلْآنَ﴾ تُؤمِنُ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِضَلَالِكَ وإضلَالِكَ عَنِ الإيمانِ؟

[٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾: نُخرِجُكَ مِنَ البَحرِ ﴿بِبَدَنِكَ﴾: جَسَدِكَ الذي لا رُوحَ فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾: بعدَكَ ﴿آيَةً﴾: عِبرةً؛ فيَعرِفُوا عُبودِيَّتَكَ، ولا يُقدِمُوا على مِثْلِ فِعلِكَ. وعَنِ ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ بَعضَ بني إسرائيلَ شَكُّوا في مَوتِه، فأُخرِجَ لهم لِيَرَوه(٧) ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: أهلِ مَكَّةَ ﴿عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾: لا يَعتَبِرُونَ بها.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أنزَلْنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: مَنزِلَ كَرامَةٍ- وهو الشَّامُ ومِصرُ- ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بِأنْ آمَنَ بَعضٌ وكَفَرَ بَعضٌ ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ أمْرِ الدِّينِ، بِإنجاءِ المُؤمنينَ وتَعذيبِ الكافِرينَ.

[٩٤] ﴿فَإِن كُنتَ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ مِنَ القَصَصِ فَرْضًا[*] ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾: التَّوراةَ ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ - فإنَّه ثابتٌ عِندَهم- يُخبِروكَ بِصِدْقِه. قالَ ﷺ: «لا أَشُكُّ ولا أَسأَلُ»(٨) ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فيه.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾: وَجَبَتْ ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بِالعَذابِ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يَنفَعُهم حِينَئذٍ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٩٤): أخرجَ أبو داودَ عن أبي زُمَيْلٍ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: واللهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ؟» قَالَ: وَضَحِكَ، قَالَ: «مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ»، قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ قَالَ: فَقَالَ لِي: «إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾». أبو داودَ - كتاب الأدب (٣٥) باب (١١٨) في ردِّ الوَسوَسةِ. «حَسَنُ الإسنادِ» صَحِيح سُنَنِ أبي داودَ (٤٢٦٢).

---

(١) أخرجَ ابنُ جريرٍ (١٧٨٢٣) عَنِ الرَّبيعِ بْنِ أَنَسٍ، في قَوْلِهِ: ﴿اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس:٨٨]، قَالَ: «صَارَتْ حِجَارَةً». وأخرج (١٧٨٢٣، ١٧٨٢٤، ١٧٨٢٥) عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس:٨٨] قَالَ: «بَلَغَنَا أَنَّ زُرُوعَهُمْ تَحَوَّلَتْ حِجَارَةً».

(٢) أخرجَه الحكيمُ الترمذيُّ عَنْ مُجاهِدٍ، وهو قولٌ ضعيفٌ، كما ذكرَ القَاضي كنعان في قُرَّة العَينَيْنِ. وروى ابنُ جرير (١٧٨٥٦)، عَنِ ابنِ جُرَيْجٍ؛ قَالَ: «يَقُولُونَ: إِنَّ فِرْعَوْنَ مَكَثَ بَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

(٣) ﴿إِنَّهُ﴾؛ بالكَسرِ، لِحمزَةَ والكِسائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالفَتحِ؛ ﴿أَنَّهُ﴾.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (كرَّر)، بِدُونِ الهاءِ.

(٥) أي: طِينَه الأسودَ.

(٦) أخرجَه التِّرمِذِيُّ (٣٠٣٢)، وأحمدُ (٢٦٨١) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس:٩٠]. فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ البَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ». وقالَ الترمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ». وحَالُ البَحرِ: طِينُه الأسودُ. وصَحَّحَه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٥٢٠٦).

(٧) أخرجَ عبدُ الرزَّاق (١١٦٨)، وابنُ جرير (١٧٨٧٦) عَنْ قَتَادَةَ، في قولِه تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾، قَالَ: «لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ لَمْ تُصَدِّقْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ بِذَلِكَ، فَأَخْرَجَهُ اللهُ؛ لِيَكُونَ عِظَةً وَآيَةً».
وأخرجَ نحوَه ابنُ أبي حَاتمٍ (١٠٥٧٣) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، ونقلَه عنه ابنُ كثيرٍ في تَفسيرِه (٤/ ٢٩٤).

(٨) أخرجَه عبد الرزَّاق (١١٧٣)، وابنُ جرير (١٧٨٩٣، ١٧٨٩٤) عَنْ قَتَادَةَ، وهو ضعيفٌ لإرسالِه. ويُنظرُ لمزيدٍ مِنَ الفَائِدَةِ: دفاعٌ عنِ الحديثِ النبويِّ والسِّيرةِ، للألبانيِّ (ص١٥-١٦).

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ
لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ
كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا﴾: فَهَلَّا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾: أُرِيدَ أهلُها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبلَ نُزُولِ العَذَابِ بها ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا﴾: لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ عِندَ رُؤيةِ أَمارةِ العَذابِ، ولَم يُؤخَّرُوا إلى حُلُولِه ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: انقِضَاءِ آجالِهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بِمَا لَمِ يَشأْهُ اللهُ منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾؟ لا.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِإِرَادَتِه[1] ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: العَذَابَ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: يَتدَبَّرُونَ آياتِ الله.

[١٠١] ﴿قُلِ﴾ لِكُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿ٱنظُرُوا۟ مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على وَحدَانِيَّةِ الله -تَعالَى- ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾: جَمعُ نَذِيرٍ؛ أيِ: الرُّسُلُ ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في عِلْمِ الله؛ أي: ما تَنفَعُهم.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ﴾: فَمَا ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بِتكذِيبِكَ ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الأُمَمِ؛ أي: مِثلَ وَقَائِعِهم مِنَ العَذابِ؟ ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ ذلكَ ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ -المُضارِعُ لِحكَايةِ الحَالِ الماضِيةِ- ﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مِنَ العَذَابِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإِنجَاءِ ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: النَّبِيَّ ﷺ وأصحَابَه، حِينَ تَعذِيبِ المُشرِكِينَ.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أَهلَ مَكَّةَ ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ أَنَّه حَقٌّ ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه- وهو الأَصنامُ- لِشَكِّكِم فيه ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾: يَقبِضُ أَروَاحَكُم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَ﴾ قِيلَ لي: ﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: مَائِلًا إليه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾: تَعبُدْ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إِنْ عَبدتَهُ ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إِنْ لَمْ تَعبُدْهُ ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فَرْضًا ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(١) يُنظَرُ التَّعليقُ على الآيةِ (١٠٢) مِن سُورةِ البَقرةِ.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ
بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ
إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ — ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

[١٠٧] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾: يُصبْكَ ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كَفَقْرٍ ومَرَضٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رَافِعَ ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾: دَافِعَ ﴿لِفَضْلِهِۦ﴾ الذي أرادَكَ به ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: بالخَيرِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لِأَنَّ ثوابَ اهتدائِه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لِأَنَّ وَبالَ ضَلالِه عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فَأُجبِرَكُم على الهُدَى.

[١٠٩] ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ مِنْ ربِّكَ[1] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الدَّعوةِ وأذاهُم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ فيهم بِأَمْرِه[2] ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أَعْدَلُهُم. وقد صَبَرَ حتَّى حُكِمَ على المُشرِكِينَ بالقِتالِ، وأَهْلِ الكِتابِ بالجِزيَةِ.

سُورَةُ هُودٍ

مَكِّيَّةٌ[3] إِلَّا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآيَةَ، أو[4]: إِلَّا: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾ الآيَةَ، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ الآيَةَ. مِائَةٌ واثنَتانِ[5]، أَوْ: ثَلاثٌ وعِشرُونَ آيَةً[6][*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرادِه بِذَلِكَ، هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بِعَجِيبِ النَّظمِ وبَدِيعِ المَعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنَتْ بالأَحكامِ والقَصَصِ والمَواعِظِ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: اللهِ.

[٢] ﴿أَ﴾ نْ؛ أي: بِأَنْ ﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بِالعَذابِ إِنْ كَفَرتُم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بِالثَّوابِ إِنْ آمَنتُم.

[٣] ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشِّركِ ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾: ارجِعُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بِالطَّاعَةِ ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدُّنيا ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ بِطِيبِ عَيشٍ وسَعَةِ رِزْقٍ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموتُ ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخِرَةِ ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ في العَمَلِ ﴿فَضْلَهُۥ﴾: جَزاءَه ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ - فيه حَذفُ إِحدَى التَّاءَينِ- أي: تُعرِضُوا ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يومُ القِيامَةِ.

[٤] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثَّوابُ والعَذابُ.

ونَزَلَ -كما رَواهُ البُخارِيُّ[7]- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، فِيمَنْ كان يَستَحِي أَنْ يَتَخَلَّى[8] أو يُجامِعَ فيُفضِيَ[9] إلى السَّماءِ. وقيلَ: في المُنافِقِينَ[10]: [٥] ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾؛ أي: اللهِ ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يَتغطَّونَ بها ﴿يَعْلَمُ﴾ تَعالَى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يُغني استخفاؤُهم[**] ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما في القُلُوبِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: قالَ أبو بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا رسُولَ الله، قَدْ شِبْتَ، قالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلاتُ، وَعَمَّ يَتَساءَلُونَ، وَإِذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ». التِّرمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٧) سورة الواقعة، وصَحَّحه الأَلْبانيُّ في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

[**] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥): عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ أنَّه سَمِعَ ابنَ عَبَّاسٍ يَقرأُ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قالَ: سَأَلْتُهُ عَنْهَا. فَقَالَ: «أُنَاسٌ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ». أخرجَه البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (١).

---

(١) عِبارةُ: (من ربِّك) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِأَمرِ)؛ بِدونِ الهاءِ.

(٣) قال الطاهرُ بنُ عاشورٍ في التحريرِ والتنويرِ (١١/ ٣١٢): «وَهِيَ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا عِنْدَ الجُمْهُورِ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَتَادَةَ، إِلَّا آيَةً وَاحِدَةً وَهِيَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ﴾ إِلَى قَوْلِه: ﴿لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: هِيَ مَكِّيَّةٌ إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ نَزَلَتْ بِالمَدِينَةِ. وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [هود:١٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [هود:١٧] قِيلَ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود:١١٤] الآيَةَ. قِيلَ: نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ أَبِي اليَسَرِ، كَمَا سَيَأْتِي، وَالأَصَحُّ أَنَّهَا كُلَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَأَنَّ مَا رُوِيَ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ فِي بَعْضِ آيِهَا تَوَهُّمٌ؛ لِاشْتِبَاهِ الاسْتِدْلَالِ بِهَا فِي قِصَّةٍ بِأَنَّهَا نَزَلَتْ حِينَئِذٍ، كَمَا يَأْتِي».

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (و).

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وثِنتانِ).

(٦) الاختلافُ في عَدَدِ الآياتِ سببُه اختلافُ العُلَماءِ في أواخرِ بَعضِها.

(٧) البُخارِيُّ (٤٦٨٢)، وتَقَدَّمَ في حاشيةِ أَسبابِ النُّزول.

(٨) أي: يَقضي حاجتَه مِنَ البولِ والغائطِ.

(٩) فالآيةُ على هذا القولِ في تعليمِ التوحيدِ والمُراقبةِ، وأنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عليهم في جميعِ أحوالِهم، ولا يُنافي ذلك ندبُ التَّغطيةِ عندَ التَّخلي والجماعِ.

(١٠) رَواهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٧٩٣٨، ١٧٩٣٩، ١٧٩٤٠)، وسعيد بن منصور (١٠٧٨) عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ. وَسَنَدُه صَحِيحٌ إِلَّا أَنَّه مُرْسَلٌ.

الجزء ١٢ الحزب ٢٣

۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ
مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٦) وَهُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ
عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن
قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
(٨) وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ
(١٠) إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢)

[٦] ﴿۞ وَمَا مِن﴾ -زَائِدَةٌ- ﴿دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هي مَا دَبَّ عليها ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾: تَكفَّلَ به فَضلًا منه تعالَى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: مَسكَنَها في الدُّنيا أوِ الصُّلبِ ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعدَ الموتِ أو في الرَّحِمِ ﴿كُلٌّ﴾ مِمَّا ذُكِرَ ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ، هو اللَّوحُ المحفُوظُ.

[٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أوَّلُها الأحَدُ[1]، وآخِرُها الجُمُعةُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ﴾ قَبلَ خَلقِهما ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ وهو على مَتنِ الرِّيحِ[2] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: مُتعلِّقٌ بـ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خَلقَهما وما فيهما مِنْ مَنافِعَ لكُم ومَصالِحَ؛ لِيَختَبِرَكم: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أطوَعُ للهِ؟ ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ -يا مُحمَّد- لهم: ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ القُرآنُ النَّاطِقُ بِالبَعْثِ، أوِ الذي تَقُولُه ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ. وفي قِراءَةٍ[3]: ﴿سَٰحِرٌ﴾، والمُشَارُ إليه النَّبيُّ ﷺ.

[٨] ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ﴾ مَجِيءِ ﴿أُمَّةٍ﴾: أوقَاتٍ ﴿مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزَاءً: ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾: ما يَمنعُه، مِنَ النُّزولِ؟ قال تعالَى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾: مَدفُوعًا ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ مِنَ العَذَابِ.

[٩] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكَافِرَ ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾: غِنًى وصِحَّةً ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾: قَنُوطٌ مِنْ رَحمَةِ اللهِ ﴿كَفُورٌ﴾: شَدِيدُ الكُفْرِ به.

[١٠] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾: فَقْرٍ وشِدَّةٍ ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾: المَصائِبُ ﴿عَنِّيٓ﴾ ولَمْ يَتوقَّعْ زَوالَها ولا شَكَرَ عليها ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾: بَطِرٌ[4] ﴿فَخُورٌ﴾ على النَّاسِ بِما أُوتِيَ.

[١١] ﴿إِلَّا﴾: لكنِ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الضَّرَّاءِ ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في النَّعماءِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجَنَّةُ.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ -يا مُحمَّد- ﴿تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ فلا تُبلِّغُهم إيَّاهُ لِتَهاوُنِهم به ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ بِتِلاوَتِه عليهم، لِأَجْلِ ﴿أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يُصدِّقُه كما اقترَحنَا. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ فلا عَليكَ إِلَّا البَلاغُ، لا الإِتيانُ بِما اقترَحُوه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: حَفِيظٌ فيُجازِيهم.

---

(١) رَواهُ ابنُ جَريرٍ (٥٩٥) عَنْ سَعيدِ بْنِ أَبي سَعيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلامٍ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ بَدَأَ الخَلْقَ يَوْمَ الأَحَدِ، فَخَلَقَ الأَرَضِينَ فِي الأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الأَقْوَاتَ وَالرَّوَاسِيَ فِي الثُّلَاثَاءِ وَالأَرْبِعَاءِ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ فِي الخَمِيسِ وَالجُمُعَةِ، وَفَرَغَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، فَخَلَقَ فِيهَا آدَمَ عَلَى عَجَلٍ؛ فَتِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا السَّاعَةُ». ورواهُ الحاكمُ في مُستدرَكِه (٣٩٩٧) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وتعقَّبَه الذَّهبيُّ بقولِه: «أبو سعيدٍ البَقَّالُ؛ قال ابنُ مَعينٍ: لا يُكتَبُ حديثُه». وقالَ الألبانيُّ في الضعيفة (٥٩٧٣): مُنكَرٌ. ورواهُ ابنُ أبي حاتِمٍ (١٠٢١٢، ١٥٢٩٩) عَن عِكرِمةَ قولَه. وهو مُخالِفٌ لِمَا رَواهُ مُسلِمٌ (٢٧٨٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ». ويُنظَرُ: الصحيحةُ (١٨٣٣).

(٢) هذا القولُ مَرويٌّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ؛ رَواهُ عبدُ الرزَّاقِ في مُصنَّفه (٩٠٨٩)، وابنُ أبي عاصمٍ في السُّنَّةِ (٥٨٤) عَنْ سَعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ المَاءُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ». قال الألبانيُّ في ظِلالِ الجنَّةِ في تخريجِ السُّنَّةِ (١/ ٢٥٨): «إسنادُه جيِّدٌ موقوفٌ، وليسَ له حُكمُ المرفوعِ؛ لِاحتمالِ أنْ يَكونَ ابنُ عبَّاسٍ تلقَّاه عَن أهلِ الكِتابِ». ومعناه أنَّ الرِّيحَ مَخلوقةٌ قبلَ الماءِ، والصَّحيحُ أنَّ أوَّلَ مخلوقٍ هو الماءُ؛ لِحديثِ البُخاريِّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أنه ﷺ سُئِلَ عَنْ أحوالِ هذا العالَمِ؛ فقالَ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ». رَواهُ البُخاريُّ في بَدءِ الخَلْقِ (٣١٩٢).

(٣) ﴿سَٰحِرٌ﴾؛ بِفتحِ السِّينِ وكَسرِ الحاءِ وألِفٍ بينَهما: لِحمزةَ والكِسائيِّ.

(٤) في نُسخةِ قَباوَة: ([فَرِحٌ] بَطِرٌ).

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن
لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ
كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

[١٣] ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: القُرآنَ؟ ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ[١] ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ - فإنَّكم عَرَبِيُّونَ فُصَحَاءُ مِثلي. تحدَّاهُم بها أوَّلًا ثُمَّ بِسُورَةٍ[٢]- ﴿وَادْعُوا﴾ لِلمُعَاونَـةِ على ذلكَ ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنَّـه افتَرَاهُ.

[١٤] ﴿فَإِ﴾نْ ﴿لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: مَنْ دَعَوْتُموهم لِلمُعاونَةِ ﴿فَاعْلَمُوا﴾ - خِطَابٌ لِلمُشرِكِينَ- ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾: مُلتَبِسًا ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ ولَيسَ افتَرَاءً عليه ﴿وَأَن﴾: مُخفَّفَةٌ؛ أي: أنَّه ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ بَعدَ هَذهِ الحُجَّةِ القَاطِعَةِ؟ أي: أَسلِمُوا.

[١٥] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بِأَنْ أَصَرَّ على الشِّركِ- وقِيلَ: هي في المُرَائِينَ[٣]- ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جَزاءَ ما عَمِلُوه مِنْ خَيرٍ كَصَدَقَةٍ وصِلَةِ الرَّحِمِ ﴿فِيهَا﴾ بِأَنْ نُوسِّعَ عليهم رِزْقَهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي: الدُّنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾: يُنقَصُونَ شَيئًا.

[١٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ﴾: بَطَلَ ﴿مَا صَنَعُوا﴾ـهُ ﴿فِيهَا﴾ أي: الآخِرَةِ، فلا ثَوابَ له ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بَيَانٍ ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ -وهو النَّبِيُّ ﷺ، أوِ المُؤمِنونَ- وهي: القُرآنُ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يَتبعُهُ ﴿شَاهِدٌ﴾ له بِصِدْقِهِ[٤] ﴿مِّنْهُ﴾ أي: مِنَ اللهِ- وهو جِبرِيلُ- ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾: التَّوراةُ، شاهدٌ له أيضًا ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾: حَالٌ، كَمَنْ ليسَ كذلِكَ؟ لا ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: مَنْ كَانَ على بَيِّنَةٍ ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بِالقُرآنِ، فلهمُ الجنَّةُ ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: جَميعِ الكُفَّارِ ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّنْهُ﴾: مِنَ القُرآنِ ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهلِ مَكَّةَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنسبةِ الشَّريكِ والوَلَدِ إليه؟ ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يومَ القِيامَةِ، في جُملَةِ الخَلْقِ ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: جمعُ شَاهِدٍ، وهُمُ الملائِكَةُ، يَشهَدُونَ لِلرُّسلِ بِالبَلاغِ، وعلى الكُفَّارِ بِالتَّكذِيبِ: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[*]: المُشرِكِينَ.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دِينِ الإِسلَامِ ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يَطلُبُونَ السَّبِيلَ ﴿عِوَجًا﴾: مُعوَجَّةً ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾: تَأكِيدٌ ﴿كَافِرُونَ﴾.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخارِيُّ عَنِ ابنِ عُمَرَ قالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقولُ: «إِنَّ الله يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾». البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورةُ هُودٍ (١١) باب (٤) ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) وغيرُ ذلك مِنْ وُجوهِ حُسْنِهِ وإِعجازِه الكَثيرةِ.

(٢) في قولِه تعالى في سُورةِ البقرةِ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣].

(٣) روى ابنُ جرير (١٢/ ٣٥٠) عَنْ وَهْبٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ مُجاهِدًا، كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: «هُمْ أَهْلُ الرِّيَاءِ، هُمْ أَهْلُ الرِّيَاءِ».

(٤) في نُسخةِ قباوة: (يُصدِّقُه).

أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ٢٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ
وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
٢٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢٥
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ٢٦
فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا
وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ
وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ٢٧
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ
عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨

ربع الحزب ٢٣

[٢٠] ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: أنصارٍ يمنعُونَهم مِنْ عَذَابِه ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ بإضلالِهم غيرَهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ لِلحقِّ ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ـهُ؛ أي: لِفَرطِ كَرَاهَتِهم له كأنَّهم لَمْ يَستطِيعُوا[١] ذلك.

[٢١] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ لِمَصِيرِهم إلى النَّارِ المُؤبَّدَةِ عليهم ﴿وَضَلَّ﴾: غَابَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله، مِنْ دَعوَى الشَّرِيكِ.

[٢٢] ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾: سَكَنُوا واطمَأنُّوا أَوْ أَنَابُوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٤] ﴿۞ مَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾: الكُفَّارِ والمُؤمِنِينَ ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ﴾ - هذا مَثَلُ الكَافِرِ- ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ - هذا مَثَلُ المُؤمِنِ- ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؟ لا ﴿أَفَلَا [تَذَّكَّرُونَ]﴾[٢] - فيه إدغَامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الذَّالِ-: تتَّعِظُونَ؟

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ [أَنِّي]﴾ أي: بِأنِّي- وفي قِرَاءَةٍ بِالكَسرِ[٣]، على حَذفِ القَولِ[٤]- ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإِنذَارِ.

[٢٦] ﴿أَن﴾ أي: بِأَنْ ﴿لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إِنْ عَبدتُّم غَيرَه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِمٍ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ وهُمُ الأَشرَافُ: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ولا فَضلَ لكَ علينَا ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: أَسَافِلُنا؛ كَالحَاكَةِ وَالأَسَاكِفَةِ ﴿[بَادِئَ] الرَّأْيِ﴾ - بِالهَمزِ وتَركِه[٥]- أي: ابتداءً مِنْ غيرِ تفكُّرٍ فِيك- ونَصْبُه على الظَّرفِ؛ أي: وَقتَ حُدُوثِ أَوَّلِ رَأيِهم- ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فتَستَحِقُّونَ به الاتِّبَاعَ منَّا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ في دَعوَى الرِّسَالةِ. أدرَجُوا قَومَه معه في الخِطَابِ.

[٢٨] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾: أَخبِرُونِي ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بَيَانٍ ﴿مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً﴾: نُبوَّةً[٦] ﴿مِّنْ عِندِهِ [فَعَمِيَتْ]﴾: خَفِيَتْ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ - وفي قِراءَةٍ: بِتَشدِيدِ المِيمِ والبِنَاءِ لِلمَفعُولِ[٧]- ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أَنُجبِرُكُم على قَبُولِها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾؟ لا نَقدِرُ على ذلك.

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (لا يستطيعون).

(٢) ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾، بِتشدِيدِ الذَّال، وهِي قِرَاءَةُ نَافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِتَخفِيفِها؛ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

(٣) قِراءَةُ ﴿أَنِّي﴾ بِالفَتحِ لِلكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ وأَبِي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿إِنِّي﴾، بِكَسرِ الهَمزَةِ.

(٤) تقديرُه: «قَالَ إِنِّي».

(٥) ﴿بَادِئَ﴾ بِالهَمزِ: قِرَاءَةُ أَبِي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِاليَاءِ؛ ﴿بَادِيَ﴾.

(٦) النُّبُوَّةُ أَثَرٌ مِن آثارِ رحمةِ الله تعالى، التي هي صِفةٌ مِن صِفاتِه سبحانه، نُثبتُها له على ما يَلِيقُ بِجَلالِه.

(٧) ﴿فَعَمِيَتْ﴾، بِفَتحِ العَينِ وتخفِيفِ المِيمِ: قِرَاءَةُ نَافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ، وهي المُفَسَّرَةُ أَوَّلًا. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾، بِضَمِّ العَينِ وتشدِيدِ المِيمِ، أي: عَمَّاها الله عليكم.

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠
بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا
تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ
إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا
فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا
يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ
٣٥ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ
فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧

[٢٩] ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تَبليغِ الرِّسالَةِ ﴿مَالًاۖ﴾ تُعطُونِيه ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿أَجۡرِيَ﴾ ثَوابِي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ كما أمَرتُموني ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ بالبَعْثِ(1) فيُجازِيهم، ويَأخذُ لهم مِمَّنْ ظَلَمَهم وطَرَدَهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ عاقِبَةَ أمْرِكُم.

[٣٠] ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي﴾: يَمنعُني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عَذابِه ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾؟ أي: لا نَاصِرَ لي ﴿أَفَلَا﴾: فهَلَّا ﴿[تَذَّكَّرُونَ]﴾ بإدغامِ التَّاءِ الثانيةِ في الأَصلِ في الذَّالِ(2) -: تَتَّعِظُونَ؟

[٣١] ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ﴾ إنِّي ﴿أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ بل أنا بَشَرٌ مِثلُكُم ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ﴾: تَحتَقِرُ ﴿أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: قُلوبِهم ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ إنْ قُلتُ ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾: خاصَمتَنا ﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به مِنَ العَذابِ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ تَعجِيلَه لَكُم؛ فإنَّ أَمْرَه إليه لا إليَّ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: بِفَائِتِينَ اللهَ.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ أي: إِغْوَاءَكُم. وجَوابُ الشَّرطِ(3) دَلَّ عليه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾، ﴿هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

[٣٥] قال تعالَى: ﴿أَمۡ﴾: بل أَ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾: اختَلَقَ مُحَمَّدٌ القُرآنَ؟ ﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾: إِثْمِي؛ أي: عُقُوبَتُه ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾ مِنْ إِجرَامِكُم في نِسبةِ الافتِرَاءِ إِلَيَّ.

[٣٦] ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾: تَحزَنْ ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ مِنَ الشِّركِ. فدَعَا عليهم بِقَولِه: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾(4) إلخ، فأَجابَ اللهُ - تَعالَى - دُعاءَه، وقَالَ:

[٣٧] ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾: السَّفِينَةَ ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾: بِمَرأًى مِنَّا وحِفْظِنا(5) ﴿وَوَحۡيِنَا﴾: أَمْرِنا ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: كَفَرُوا بِتَركِ إهلاكِهم ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.

---

(١) وهو لِقاءٌ حقيقيٌّ كيفما يَشاؤُه ربُّنا عَزَّوَجَلَّ. كما سَبَقَ بيانُه في التَّعليقِ على الآيةِ (٤٦) مِن سُورةِ البَقَرةِ.

(٢) ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ بتشديدِ الذَّالِ، وهي قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بتَخفِيفِها؛ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

(٣) المُرادُ به: الشَّرطُ الأوَّلُ، وتقديرُ الكَلامِ: إنْ أَردتُ أنْ أَنصحَ لكم لا ينفعكم نُصحي. قالَ ابنُ حيَّانَ في البحرِ المحيطِ (٦/ ١٤٧): «وَهَذَانِ الشَّرطَانِ اعتَقَبَ الأَوَّلُ مِنهُمَا قَولَهُ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَابِ الشَّرطِ تَقدِيرُهُ: إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ فَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي، وَالشَّرطُ الثَّانِي: اعتَقَبَ الشَّرطَ الأَوَّلَ، وَجَوَابُهُ أَيضًا مَا دَلَّ عَلَيهِ قَولُهُ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾، تَقدِيرُهُ: إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغوِيَكُمْ فَلَا يَنفَعُكُمْ نُصحِي. وَصَارَ الشَّرطُ الثَّانِي شَرطًا فِي الأَوَّلِ، وَصَارَ المُتَقَدِّمُ مُتَأَخِّرًا، وَالمُتَأَخِّرُ مُتَقَدِّمًا، وَكَأَنَّ التَّركِيبَ: إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغوِيَكُمْ، فَلَا يَنفَعُكُمْ نُصحِي، وَهُوَ مِنْ حَيثُ المَعنَى كَالشَّرطِ إِذَا كَانَ بِالفَاءِ نَحوَ: إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغوِيَكُمْ؛ فَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ فَلَا يَنفَعُكُمْ نُصحِي».

(٤) نوح: ٢٦.

(٥) في هذه الآيةِ وغيرِها يُثبِتُ -سُبْحَانَهُ- لِنفسِه عَينًا يَرى بها جميعَ المرئيَّاتِ، وهي صِفةٌ حقيقيَّةٌ لله عَزَّوَجَلَّ على ما يَليقُ به -سُبْحَانَهُ-، نُؤمنُ بها ونُثبتُها لِرَبِّنا كما قالَ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأمَّا تأويلُ العَينِ بأنَّها عِبارةٌ عن الإدراكِ والإحاطةِ؛ فهو مَذهبُ الأشاعِرةِ وغيرِهم مِن أهلِ التأويلِ.

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ
قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ
(٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟
فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
(٤١) وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ
وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٤٢)
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ
مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
ٱلْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى
وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى
مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٤٥)

نصف الحزب ٢٣

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ - حِكَايَةُ حالٍ مَاضِيَة- ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾: جَمَاعَةٌ ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾: استهزَؤُوا به ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نَجَوْنَا وغَرِقْتُم. [٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾: مَوصُولَةٌ، مَفعُولُ العِلْمِ ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾: يَنزِلُ ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دَائِمٌ.

[٤٠] ﴿حَتَّىٰٓ﴾: غَايَةٌ لِلصُّنْعِ ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بِإِهلَاكِهِم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ لِلخَبَّازِ بِالمَاءِ[1]- وكَانَ ذلك عَلَامَةً لِنُوحٍ[2]- ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾: في السَّفِينَةِ ﴿مِن [كُلٍّ] زَوْجَيْنِ﴾: ذَكَرًا وأُنثَى؛ أي: مِنْ كُلِّ أنوَاعِهِما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: ذَكَرًا وأُنثَى. وهو مَفعُولٌ[3]- وفي القِصَّةِ أَنَّ اللهَ حَشَرَ لِنُوحٍ السِّبَاعَ والطَّيرَ وغَيرَهما، فجعلَ يَضرِبُ بِيَدَيه في كُلِّ نَوعٍ، فتَقَعُ يَدُه اليُمنَى على الذَّكَرِ واليُسرَى على الأُنثَى، فيَحمِلُهما في السَّفينَةِ[4]- ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زَوجَته وأَولَادَه ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أَي: منهم بِالإِهلاكِ، وهو زَوجَتُه: [وَاعِلَةُ][5]، ووَلَدُه: كَنعانُ، بِخِلافِ سَامٍ وحَامٍ ويَافِث، فحَمَلَهم وزَوجَاتِهم ثَلاثَةً ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قِيلَ: كانوا سِتَّةَ رِجَالٍ ونِسَاءَهم. وقيلَ: جَمِيعُ مَنْ كانَ في السَّفِينَةِ ثَمانُونَ؛ نِصفُهم رِجَالٌ ونِصفُهم نِساءٌ[6].

[٤١] ﴿۞ وَقَالَ﴾ نُوحٌ: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا [وَمُرْسَىٰهَآ]﴾ - بِفَتحِ المِيمَيْنِ وضَمِّهِما[7]، مَصدَرَانِ- أَي: جَريُها ورُسُوُّها؛ أَي: مُنتَهَى سَيرِها ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيثُ لَمْ يُهلِكْنا.

[٤٢] ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ في الارتِفَاعِ والعِظَمِ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُ﴾ كَنعَانَ[8] ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ عَنِ السَّفِينَةِ: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى﴾: يَمنَعُني ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: عَذَابِه[9] ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَن رَّحِمَ﴾ اللهُ فهو المَعصُومُ. قال تعالَى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

[٤٤] ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الذي نَبَعَ مِنكِ- فَشَرِبَتْهُ دُونَ ما نَزَلَ مِنَ السَّماءِ؛ فصَارَ أنهارًا وبِحارًا[10]- ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾: أَمْسِكِي عَنِ المَطَرِ، فأَمسَكَتْ ﴿وَغِيضَ﴾: نَقَصَ ﴿ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: تَمَّ أَمْرُ هَلَاكِ قَومِ نُوحٍ ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾: وَقَفَتِ السَّفِينَةُ ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾: جَبَلٍ بالجَزِيرَةِ بِقُربِ المَوصِلِ[11] ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾: هَلَاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ.

[٤٥] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى﴾ كَنعَانَ ﴿مِنْ أَهْلِى﴾ وَقَدْ وَعَدتَنِي بِنَجَاتِهِم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا خُلْفَ فيه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أَعلَمُهم[12] وأَعدَلُهم.

---

(١) قولُ جمهورِ السَّلفِ وعُلماءِ الخَلَفِ أَنَّ المعنَى: حتَّى فارَ الماءُ مِنَ التنانيرِ التي هي مَكانُ النَّارِ، صَارَت تَفورُ ماءً. وقِيلَ: المُرادُ الكِنَايَةُ عن اشتدادِ الأَمْرِ، كما يُقالُ: حمِيَ الوطيسُ، والوطيسُ: التنُّورُ. وهو مِنْ فصيحِ الكلام وبَليغِه. وقِيلَ غير ذلك.

(٢) رَواهُ ابنُ جَريرٍ (١٨١٥٧، ١٨١٥٨، ١٨١٥٩) عَنْ مُجاهِدٍ، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، قَالَ: «حِينَ انبَجَسَ الماءُ، وَأُمِرَ نُوحٌ أَنْ يَرْكَبَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ»، ورَوَى ابنُ أبي حاتِمٍ (١٠٨٥٣) عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ: «كَانَتْ عَلَامَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ: إِذَا رَأَيْتَ التَّنُّورَ يَفُورُ بِالْمَاءِ، فَاحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ». وروى ابن جرير (١٨١٦٤)، وابنُ أبي حاتمٍ (١٠٨٥٤)، وغيرهما عَنِ ابنِ عبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ قَالَ: «التَّنُّورُ: وَجْهُ الأَرْضِ، قِيلَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتَ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَارْكَبْ أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ. قَالَ: الْعَرَبُ تُسَمِّي وَجْهَ الأَرْضِ تَنُّورَ الأَرْضِ». وعلَّقه البُخاريُّ عنه بِصِيغةِ الجزمِ في صَحيحِه في موضِعَين: (٤/ ١٣٤)، (٦/ ٧٢)؛ ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: «نَبَعَ المَاءُ».

(٣) والقِراءةُ المُفسَّرةُ بِإضافةِ «كُلّ» هي قِراءةُ السَّبعَةِ عدا حفصٍ الذي نَوَّنَ؛ حيثُ عَدَّى الفعلَ وهو ﴿ٱحْمِلْ﴾ إلى ﴿زَوْجَيْنِ﴾ فيكون مفعولًا، و﴿ٱثْنَيْنِ﴾ نعتًا لِـ﴿زَوْجَيْنِ﴾ وفيه مَعنى التأكيدِ، كَقولِه: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾، والتقديرُ: احمِلْ فيها زَوجَينِ اثنَينِ مِن كُلِّ شَيءٍ، ثُمَّ حُذِفَ ما أُضِيفُ إليه «كلّ» فنُوِّنَ «كلًّا». أمَّا الجُمهورِ فعدَّى الفعلَ إلى ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، والتقديرُ: احمل فيها اثنَينِ.

(٤) رواه ابنُ عساكر (٦٢/ ٢٥٢) عَن جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ مِن طريقِ ابنِ إسحاقَ عَمَّنْ حَدَّثَه- في قِصَّةٍ طَويلةٍ- وفي سندِه جَهالةٌ.

(٥) اسمُ زوجتِه: (وَاعِلة) لَيسَتْ في الأَصْلِ، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) رَوى الطَّبَريُّ (١٢/ ٤١٢) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قال: «كَانَ فِي سَفِينَةِ نُوحٍ ثَمانُونَ رَجُلًا، أَحَدُهُمْ جُرْهُمُ». قال ابنُ جرير مُعقِّبًا: «وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ يَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلًا، وَلَمْ يُحَدِّدْ عَدَدَهُمْ بِمِقْدَارٍ وَلَا خَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَحِيحٍ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَجَاوَزَ فِي ذَلِكَ حَدَّ اللهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لِمَبْلَغِ عَدَدِ ذَلِكَ حَدٌّ مِنْ كِتَابِ اللهِ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

(٧) أي في قولِه: ﴿مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾، وقولِه: «بِفَتحِ المِيمَيْنِ» سَبْقُ قَلَمٍ؛ فإِنَّ فتحَها قِراءةٌ شَاذَّةٌ؛ والصَّوابُ أن يقولَ: بِضَمِّ الميمَينِ، أو فتحِ الأُولى مَع ضَمِّ الثانيةِ، والأُولى قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ.

(٨) على افتراضِ صِحَّةِ تَسميةِ ابنِ نُوح هذا الهالكِ بِـ«كَنعان»؛ فإِنَّه غَيرُ «كنعان» جَدِّ الكَنعانيينَ، فإِنَّ جَدَّهم هو: كَنعانُ بنُ سَامِ بنِ نُوح.

(٩) يُنظَرُ التَّعليقُ على الآيةِ (٢٤) مِن سُورةِ يونس.

(١٠) أخرجَه ابنُ سعد (١/ ٤٠-٤٢)، وابنُ عساكر (٦٢/ ٢٤٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ بِنَحوِه، مِنْ طَريقِ الكَلبيِّ عن أبي صَالح، وسَندُه وَاهٍ جِدًّا.

(١١) رواهُ بنحوِه ابنُ جرير (١٨١٩٧، ١٨١٩٨) عَنْ مُجاهِدٍ. وقد علَّقَه البُخَارِيُّ (٤/ ١٣٤) عنه بِصِيغةِ الجَزمِ: «وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ٱلْجُودِىِّ﴾: جَبَلٌ بِالْجَزِيرَةِ».

(١٢) فيه هُروبٌ مِنْ إثباتِ هذه الصِّفَةِ. والأَوْلَى تفسيرُها بما هو مَعروفٌ عَنِ السَّلَفِ؛ ففي تَفسيرِ مُقَاتِلِ بنِ سليمانَ (١٠٩٢٣)؛ قَالَ: «يَعنِي: خَيرُ الحَاكمينَ، لا تَجُورُ فِي القَضاءِ»، ورَوَى ابنُ أبي حَاتِمٍ (٦/ ٢٠٣٩) عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، يَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود:٤٥]؛ قَالَ: «بِالْحَقِّ».

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ
وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾
وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ النَّاجِينَ، أو مِنْ أَهْلِ دِينِكَ ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: سُؤَالَكَ إِيَّايَ بِنَجَاتِه ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فإِنَّه كَافِرٌ، ولا نَجَاةَ لِلْكَافِرِينَ. وفي قِرَاءَةٍ[1] بِكَسرِ مِيمِ ﴿عَمِلَ﴾: فِعْلٌ. ونَصْبِ ﴿غَيْرَ﴾، فالضَّمِيرُ لِابنِه ﴿فَلَا [تَسْأَلْنِى]﴾ - بالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ[2]- ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِنْ إِنجَاءِ ابنِكَ ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ بِسُؤَالِكَ ما لَمْ تَعلَمْ[3].

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ مِنْ ﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ مَا فَرَطَ مِنِّي ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾: انزِلْ مِنَ السَّفِينَةِ ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: بِسلَامَةٍ، أَوْ بِتَحِيَّةٍ ﴿مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾: خَيرَاتٍ ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ في السَّفِينَةِ؛ أي: مِنْ أَوْلَادِهم وذُرِّيَّتِهم- وهُمُ المُؤمِنونَ- ﴿وَأُمَمٌ﴾ - بِالرَّفعِ- مِمَّنْ مَعَكَ[4] ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخِرَةِ. وهُمُ الكُفَّارُ.

[٤٩] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيَاتُ المُتَضَمِّنَةُ قِصَّةَ نُوحٍ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أَخبَارِ مَا غَابَ عنك ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ - يا مُحَمَّد- ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القُرآنِ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على التَّبلِيغِ وأَذَى قَومِكَ، كَما صَبرَ نُوحٌ ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ المَحمُودَةَ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَ﴾ أرسَلنَا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ مِنَ القَبِيلَةِ ﴿هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ﴾: زَائِدَةٌ ﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ﴾: مَا ﴿أَنتُمْ﴾ في عِبَادَتِكُم الأَوْثَانَ ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: كَاذِبونَ على الله.

[٥١] ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التَّوحِيدِ ﴿أَجْرًا إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾: خَلقَنِي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

[٥٢] ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشِّرْكِ ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجِعُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بِالطَّاعَةِ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾: المَطَرَ- وكَانُوا قَدْ مُنِعُوه[5]- ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كَثِيرَ الدُّرُورِ ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ﴾: مَعَ ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بِالمَالِ والوَلَدِ ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾: مُشرِكِينَ.

[٥٣] ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بُرهَانٍ على قَولِكَ ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي: لِقَولِكَ ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) لِلكسائيِّ.

(٢) ﴿فَلَا تسألَنِّي﴾؛ بِفَتحِ اللامِ وفَتحِ وتَشدِيدِ النُّونِ، مَع إِثباتِ اليَاءِ وَصلًا، وحَذْفِها وَقفًا: قِرَاءةُ وَرشٍ عَن نافعٍ. وقَرأَ قَالونُ عن نافعٍ، وابن عامرٍ: ﴿فَلَا تسألَنّ﴾ كذلك لَكِن مع كَسرِ النُّونِ وبِدونِ ياءٍ وَصلًا ووَقفًا. وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿تَسْأَلَنَّ﴾؛ بِفَتحِ اللامِ وفَتحِ وتَشدِيدِ النُّونِ. وقَرأَ الباقونَ بِتخفيفِ النُّونِ المكسورةِ وإِسكانِ اللامِ؛ إِلَّا أَنَّ أَبا عَمرٍو يُثبِتُ اليَاءَ وَصلًا ويَحذِفُها وَقفًا، وغيره بِحَذفِها في الحَالَينِ.

(٣) أي: أَنهاكَ.

(٤) أي: مِنْ ذُرِّيَّتِهم.

(٥) قالَه مقاتلٌ، كما في تَفسِيرِه (٢/ ١٢١).

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ
مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا
الحزب ٢٣ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ
مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

[٥٤] ﴿إن﴾: ما ﴿نقول﴾ في شأنك ﴿إلا اعتراك﴾: أصابك ﴿بعض آلهتنا بسوء﴾ فخبَّلك؛ لِسبِّك إيَّاها، فأنت تهذي ﴿قال إني أشهد الله﴾ عليَّ ﴿واشهدوا أني بريء مما تشركون﴾ ـه به.

[٥٥] ﴿من دونه فكيدوني﴾: إحتالوا في هلاكي ﴿جميعا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثم لا تنظرون﴾: تُمهِلونِ.

[٥٦] ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من﴾: زَائِدةٌ ﴿دابة﴾: نَسَمَةٍ تَدِبُّ على الأرضِ ﴿إلا هو آخذ بناصيتها﴾ أي: مَالِكُها وقَاهِرُها. فلا نفعَ ولا ضررَ إلَّا بإذنِه. وخصَّ النَّاصِيةَ بالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ مَنْ أُخِذَ بنَاصِيتِه يكُونُ في غَايةِ الذُّلِّ ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ أي: طَرِيقِ الحقِّ والعَدْلِ.

[٥٧] ﴿فإن تولوا﴾ - فيه حَذفُ إِحدَى التَّاءَينِ - أي: تُعرِضُوا ﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا﴾ بِإِشْرَاكِكُم ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾: رَقِيبٌ.

[٥٨] ﴿ولما جاء أمرنا﴾: عذابُنا[1] ﴿نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة﴾: هِدايةٍ[2] ﴿منا ونجيناهم من عذاب غليظ﴾: شَدِيدٍ.

[٥٩] ﴿وتلك عاد﴾ إِشَارَةٌ إِلى آثَارِهم. أي: فَسِيحُوا في الأَرضِ وانظُروا إِليها. ثُمَّ وَصفَ أحوَالَهم فقالَ: ﴿جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله﴾ جَمَعَ؛ لِأَنَّ مَنْ عَصَى رَسُولًا عَصَى جميعَ الرُّسُلِ؛ لاشتراكِهم في أَصْلِ ما جَاؤوا به، وهو التَّوحِيدُ ﴿واتبعوا﴾ أي: السَّفَلَةُ ﴿أمر كل جبار عنيد﴾: مُعَانِدٍ[3] لِلحقِّ، مِنْ رُؤسَائِهم.

[٦٠] ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ مِنَ النَّاسِ ﴿ويوم القيامة﴾ لَعنَةً على رُؤوسِ الخَلائِقِ ﴿ألا إن عادا كفروا﴾: جَحَدُوا ﴿ربهم ألا بعدا﴾ مِنْ رَحمَةِ اللهِ ﴿لعاد قوم هود﴾.

[٦١] ﴿۞ و﴾ أرسلنا ﴿إلى ثمود أخاهم﴾ مِنَ القَبِيلَةِ ﴿صالحا قال يا قوم اعبدوا الله﴾: وَحِّدُوهُ ﴿ما لكم من إله غيره هو أنشأكم﴾: ابتدأ خلقَكم ﴿من الأرض﴾ بِخَلْقِ أبيكم آدمَ منها ﴿واستعمركم فيها﴾: جعَلَكُم عُمَّارًا تَسكُنُونَ بها ﴿فاستغفروه﴾ مِنَ الشِّركِ ﴿ثم توبوا﴾: ارجِعُوا ﴿إليه﴾ بالطَّاعةِ ﴿إن ربي قريب﴾ مِنْ خَلقِه بِعلْمِه[4] ﴿مجيب﴾ لمنْ سَألَه.

[٦٢] ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا﴾: نَرجُو أَنْ تَكُونَ سَيِّدًا ﴿قبل هذا﴾ الذي صَدَرَ مِنكَ ﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ مِنَ الأَوْثَانِ؟ ﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه﴾ مِنَ التَّوحِيدِ ﴿مريب﴾: مُوقِعٍ في الرَّيْبِ.

---

(١) أي: أمرُنا بالعذابِ. ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآية (٢٤) مِن سُورةِ يُونسَ، في بيانِ حَقيقةِ الأَمرِ.

(٢) تأويلُ هذه الرَّحمةِ بالهدايةِ أو غيرِها؛ هي طريقةُ المُؤَوِّلَةِ خوفَ إرادةِ التشبيهِ في صِفَاتِ الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا فَهمٌ خَاطئٌ، ومذهبُ السَّلفِ إثباتُ هذه الصِّفاتِ التي أثبتَها رَبُّنا عَزَّوَجَلَّ لِنفسِه دُون أن يقتضي ذلك تشبيهًا؛ فهو -سُبْحَانَهُ- ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١].

(٣) في نُسخَةِ قبَاوَة: (مُعَارِضٍ).

(٤) وقُربُه حقيقةً مِن خَلقِه قُربًا يَليقُ بِجلالِه؛ مِمَّا نُثبِتُه لِربِّنا على الوَجهِ اللائِقِ به، دُونَ أن يَلزمَ مِن ذلكَ لَوازمُ بَاطِلةٌ لاتَليقُ بِجَلالِه.

[٦٣] ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بيانٍ ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَـٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نُبوَّةً[1] ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾: يمنعُني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابِه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بِأَمْرِكُم لي بذلكَ ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: تَضليلٍ.

[٦٤] ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾: حَالٌ، عَامِلُه الإِشَارَةُ[2] ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: عقرٍ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ إِنْ عَقَرْتُموها.

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: عقَرَها قُدارٌ[3] بِأَمْرِهم ﴿فَقَالَ﴾ صَالِحٌ: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾: عِيشُوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثُمَّ تَهلِكُونَ ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه.

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بِإِهلَاكِهم ﴿نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ - وهُمْ أَربعةُ آلافٍ[4]- ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَ﴾ نَجَّيناهُم ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ - بِكَسْرِ الميمِ إِعرَابًا، وفَتحِها بِناءً؛ لِإِضَافَتِه إلى مَبنيٍّ[5]، وهو الأَكثرُ[6]- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ.

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: بَارِكِينَ على الرُّكَبِ، مَيِّتِينَ.

[٦٨] ﴿كَأَن﴾: مُخَفَّفَةٌ، واسمُها مَحذُوفٌ؛ أي: كَأَنَّهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾: يُقِيمُوا ﴿فِيهَآ﴾: في دَارِهم ﴿أَلَآ إِنَّ [ثَمُودَا] كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا [لِّثَمُودٍ]﴾ - بِالصَّرفِ وتَرْكِه[7]؛ على مَعنَى: الحَيِّ[8] والقَبِيلَةِ[9]-.

[٦٩] ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بِإِسحَاقَ ويَعقُوبَ بَعدَه ﴿قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾: مَصدَرٌ ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ عَلَيكُم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: مَشوِيٍّ.

[٧٠] ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ بِمَعنَى: أَنكَرَهُمْ ﴿وَأَوْجَسَ﴾: أَضمَرَ في نَفسِهِ ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: خَوفًا ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لِنُهلِكَهُم.

[٧١] ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ أي: امرأَةُ إِبرَاهِيمَ سَارَةُ[10] ﴿قَآئِمَةٌ﴾ تَخدُمُهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ استبشَارًا بِهلَاكِهم ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ﴾: بَعدِ ﴿إِسْحَـٰقَ [يَعقُوبُ][11]﴾ وَلدُه، تَعيشُ إلى أَنْ تَرَاهُ.

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَـٰنِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ
ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ
خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ (٦٧)
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا
بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨) وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ
سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَءَآ
أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ (٧١)

---

(١) النُّبوَّةُ أثرٌ مِن آثارِ رحمةِ الله عَزَّوَجَلَّ، التي هِي مِنْ صِفَاتِه -سُبْحَانَهُ-، ونُثبتُها له عَزَّوَجَلَّ كما هو مذهبُ السَّلفِ على الوَجهِ اللائِقِ به.

(٢) أي اسم الإِشارة؛ وهو «هذه» لِمَا فيه مِنْ مَعنَى الفِعلِ، وتَقديرُه: «خُذُوها».

(٣) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآيةِ (٧٧) مِنْ سُورةِ الأَعرافِ.

(٤) لم نجدْه. وذَكَرَه السمعانيُّ في تَفسِيرِه (٢/ ٤٤٠)، وعَزاه لِبعضِ التفاسيرِ.

(٥) وهو: «إذ». ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، بِفَتحِ الميم: قِراءَةُ نَافع والكِسَائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِكسرِها.

(٦) أي في اللغةِ؛ أمَّا قِراءةً فهما سَواءٌ.

(٧) ﴿لِثَمُودٍ﴾ بِالصَّرفِ؛ بِكسرٍ وتنوينِ الدَّالِ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لِثَمُودَ﴾، بِفَتح الدَّالِ مِن غَيرِ تنوينٍ.

(٨) قولُه: «الحيّ» رَاجعٌ للصَّرفِ؛ فإنَّ اسمَ «ثمود» يُصرَفُ إذا أُطلق مُرادًا به الأَبُ الأكبرُ أوِ الحيُّ؛ أي: دِيارهم.

(٩) قولُه: «القبيلة» رَاجِعٌ لِتركِه؛ فإنَّ اسم «ثمود» يُمنعُ مِنَ الصَّرفِ للعَلَمِيَّةِ والتأنيثِ إِذا أُرِيدَ به القَبِيلةُ.

(١٠) رَوَاهُ ابنُ جرِيرٍ (١٨٣١٩) عَن وَهبِ بنِ مُنَبِّه.

(١١) قرأ حفصٌ وحمزةُ وابنُ عامرٍ: ﴿يَعْقُوبَ﴾، بِفتحِ الباءِ، وقرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَعْقُوبُ﴾ بِضَمِّها، وهي القِراءةُ المُفسَّرةُ.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾
قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ - كَلِمةٌ تُقَالُ عِندَ أمْرٍ عَظِيمٍ. والألِفُ مُبدَلةٌ مِنْ يَاءِ الإضَافَةِ- ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ لي تِسعٌ وتسعونَ سَنَةً ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ له مِائَةٌ، أو: وعِشْرُونَ سَنَةً(1)؟ ونَصْبُه على الحَالِ، والعَامِلُ فيه ما في «ذَا» مِنَ الإشَارَةِ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أنْ يُولَدَ وَلَدٌ لِهَرِمَينِ!

[٧٣] ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: قُدْرَتِه(2)؟ ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: بَيتِ إبرَاهِيمَ ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ ﴿مَّجِيدٌ﴾: كَرِيمٌ.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾: الخَوفُ ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بِالوَلَدِ، أخَذَ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: يُجادِلُ رُسُلَنا ﴿فِى﴾ شَأنِ ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: كَثِيرُ الأنَاةِ ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾: رَجَّاعٌ. فقَالَ لهم: أتُهلِكُونَ قَريَةً فيها ثَلاثُمِائَةِ مُؤمِنٍ؟ قالُوا: لا. قال: أفتُهلِكُونَ قَريَةً فيها مِائَتَا مُؤمِنٍ؟ قالُوا: لا. قالَ: أفتُهلِكُونَ قَرِيَةً فيها أربعونَ مُؤمِنًا؟ قالُوا: لا. قالَ: أفتُهلِكُونَ قَريَةً فيها أربَعَةَ عَشَرَ مُؤمِنًا؟ قالُوا: لا. قالَ: أفَرَأيتُم إنْ كانَ فيها مُؤمِنٌ وَاحِدٌ؟ قالُوا: لا. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ إلخ(3). فلمَّا أطَالَ مُجادَلتَهم قالُوا:

[٧٦] ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجِدَالِ ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بِهَلاكِهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

[٧٧] ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾: حَزِنَ بِسَبَبِهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صَدْرًا(4)؛ لِأنَّهم حِسانُ الوُجُوهِ في صُورَةِ أضيَافٍ(5)، فخَافَ عليهم قَومَه ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شَدِيدٌ.

[٧٨] ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ لَمَّا عَلِمُوا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾: يُسرِعُونَ ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾: قَبلِ مَجِيئِهم ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهي(6) إتيَانُ الرِّجَالِ في الأدبَارِ ﴿قَالَ﴾ لُوطٌ: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ فتزَوَّجُوهُنَّ ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: تَفضَحُونِ(7) ﴿فِى ضَيْفِىٓ﴾: أضيَافِي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يَأمُرُ بالمَعرُوفِ ويَنهَى عَنِ المُنكَرِ؟

[٧٩] ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: حَاجَةٍ ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ مِنْ إتيَانِ الرِّجَالِ.

[٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾: طَاقَةً ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[*]: عَشِيرَةٍ تَنصُرُنِي، لَبَطَشْتُ بِكُم.

[٨١] فَلَمَّا رَأتِ المَلائِكَةُ ذلكَ ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ بِسُوءٍ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾: طَائِفَةٍ ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لِئَلَّا يَرَى عَظِيمَ ما يَنزِلُ بهم ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ﴾ - بالرَّفعِ(8)؛ بَدلٌ مِنْ ﴿أَحَدٌ﴾، وفي قِرَاءَةٍ: بِالنَّصبِ، استثناءٌ مِنَ الأهْلِ؛ أي: فلا تُسْرِ بها- ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ فقِيلَ: لَمْ يَخرُجْ بها. وقِيلَ: خَرَجَتْ والتَفَتَتْ؛ فقَالَتْ: وَاقَومَاه! فجَاءَها حَجَرٌ فقَتَلَها(9). وسَألَهم عَنْ وَقتِ هَلاكِهم فقَالُوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فقَالَ: أُرِيدُ أعجَلَ مِنْ ذلك(10). قَالُوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ أحمَدُ (١٠٩٠٣) عَنْ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ: «قَالَ لُوطٌ: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾» قال: «قَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَكِنَّهُ عَنَى عَشِيرَتَهُ، فَمَا بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَهُ نَبِيًّا إِلَّا بَعَثَهُ فِي ذُرْوَةِ قَوْمِهِ». وحسَّنَ الأرنَاؤوطُ إسنادَه في تخريجِه على المُسنَدِ (١٦/ ٥٢٥). قالَ ابنُ الأثيرِ: ذُرْوَةُ كُلِّ شَيءٍ أعلاه. (النهاية ٢/ ١٥٩). وأخرجَه الترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سُورة يوسف، وضَعَّفَه الألبَانيُّ بِلفظ: «ذُروة» وحسَّنه بِلَفظِ: «ثَرْوَةٍ»، وانظر: الصحيحة (١٦١٧)، قالَ ابنُ الأثيرِ: الثَّرْوَةُ: العَدَدُ الكثيرُ. (النهاية ١/ ٢١٠). وهو في الصَّحِيحَينِ مُختصرًا بِلَفظِ: «يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ». البُخاريُّ (٣٣٨٧)، ومسلمٌ (١٥١).

---

(١) رُوِي ذلك مِنْ طُرُقٍ لَم تَثبُتْ؛ كما رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٣٢٠) عَنْ مُجَاهِدٍ، في قَوْلِهِ: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ [هود:٧١] قَالَ: «حَاضَتْ، وَكَانَتِ ابْنَةَ بِضْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، قَالَ: وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِائَةِ سَنَةٍ»، وروى ابنُ جرير أيضًا (١٨٣٣٠) عَنِ ابنِ إسْحَاقَ، قَالَ: «كَانَتْ سَارَةُ يَوْمَ بُشِّرَتْ بِإِسْحَاقَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ- ابْنَةَ تِسْعِينَ سَنَةً، وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَ عِشْرِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ»؛ فالأَوْلى الإمساكُ عَنِ الخَوضِ في ذلك، وتَفويضُ عِلمِه إلى الله تعالى؛ فلَيسَ هناك كبيرُ فائدةٍ في مَعرفتِه.

(٢) الأمْرُ غيرُ القُدرةِ، والاستفهامُ في الآيةِ للإنكَارِ؛ أي: كيفَ تعجبينَ مِن قَضاءِ الله وقَدرِه، وتمامِ قُدرتِه وهو لا يَستحيلُ عليه شيءٌ؟! وإنَّما أنكَروا عليها مَع كونِ ما تعجَّبَتْ منه مِن خَوارقِ العَادَةِ؛ لِأنَّها مِن بيتِ النُّبوَّةِ، ولا يَخفى على مِثلِها أنَّ هذا من مَقدوراتِه سبحانَه؛ فـ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

(٣) الآية (٣٢) مِنْ سُورةِ العَنكبوتِ. ورُوِيَ بَعضُ هذا الحوارِ عَنْ قَتَادَةَ السَّدوسيِّ، وبعضُه عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ رحمهما الله، وروى نحوَه ابنُ جرير (١٨٣٤٦) عن ابنِ إسحاقَ. ولَم يثبُتْ شيءٌ منه مرفوعًا إلى النَّبيِّ ﷺ، فالأَولَى: الاقتصارُ على الصَّميم الثابتِ، والإعراضُ عمَّا لم يثبتْ، وليسَ في ذِكرِه كبيرُ فائدةٍ.

(٤) أي: ضاقَ صدرُه لِعَدَمِ الخَلاصِ مِنْ ذلك المكروهِ. والأصلُ فيه أنَّ البعيرَ إذا حُمِلَ عليه ضَعُفَ ومَدَّ عُنُقَه وضَاقَ ذَرعُه؛ أي: صَدرُه.

(٥) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٣٥٤)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١١٠٥٢، ١٧٢٨٦) عن السُّدِّيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ من طريقِ أسباطٍ قوله.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (هي) بدونِ الوَاو.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تفضَحُوني) بالياءِ.

(٨) بِالرَّفعِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ٱمْرَأَتَكَ﴾؛ بِالنَّصبِ.

(٩) رواه بنحوِه ابنُ جرير (١٨٤١٠) عَنْ حُذَيفَةَ.

(١٠) هو نفسُه الأثرُ السابقُ.

[٨٢] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بِإهلاكِهِم ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي: قُراهُم ﴿سَافِلَهَا﴾ أي: بِأَنْ رَفَعَها جِبرِيلُ إلى السَّماءِ وأسقطَها مَقلُوبَةً إلى الأَرضِ[1] ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾: طِينٍ طُبِخَ بِالنَّارِ ﴿مَّنضُودٖ﴾: مُتَتابِعٍ.

[٨٣] ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعَلَّمَةً، عليها اسمُ مَنْ يُرمَى بها[2] ﴿عِندَ رَبِّكَۖ﴾: ظَرفٌ لها ﴿وَمَا هِيَ﴾: الحِجارَةُ أو بِلادُهم ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: أهلِ مَكَّةَ ﴿بِبَعِيدٖ﴾.

[٨٤] ﴿۞ وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوه ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾: نِعمَةٍ، تُغنيكُم عَنِ التَّطفِيفِ ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إِنْ لَمْ تُؤمِنُوا ﴿عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ بِكُم، يُهلِكُكُم. ووَصْفُ اليومِ به مَجازٌ؛ لِوُقُوعِه فيه.

[٨٥] ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾: أَتِمُّوهما ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: بالعَدْلِ ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾: لا تَنقُصُوهم مِنْ حَقِّهِم شَيئًا ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ بِالقَتلِ وغَيرِه. مِنْ «عَثِيَ» بِكَسرِ المُثَلَّثَةِ: أفسَدَ. ومُفسِدِينَ: حالٌ مُؤَكِّدةٌ لِمعنَى عامِلِها: ﴿تَعۡثَوۡاْ﴾[3].

[٨٦] ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: رِزْقُهُ البَاقِي لكُم، بَعدَ إِيفَاءِ الكَيلِ والوَزنِ ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِنَ البَخْسِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾: رَقِيبٍ، أُجازِيكُم بِأَعمالِكُم، إِنَّما بُعِثتُ نَذِيرًا.

[٨٧] ﴿قَالُواْ﴾ له استهزاءً: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ بتكليفِ ﴿أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ مِنَ الأَصنامِ ﴿أَوۡ﴾ نَترُكَ ﴿أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾؟ المَعنَى: هذا أَمْرٌ باطِلٌ لا يَدعو إِليه داعٍ بِخَيرٍ[4] ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ قالُوا ذلكَ استهزاءً.

[٨٨] ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾: حَلالًا، أَفَأَشُوبُه بِالحَرامِ مِنَ البَخْسِ والتَّطفِيفِ؟! ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ﴾ وأَذهَبَ ﴿إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾[*] فأَرتَكِبَه ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾ لكُم بِالعَدْلِ ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ﴾: قُدرَتِي على ذلكَ وغَيرِه مِنَ الطَّاعَاتِ ﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾: أَرجِعُ.

الحزب ٢٤

فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا
حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ
شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ
وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ
وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ
أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم
بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ
مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ
لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ
عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ
أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ
مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ أحمَدُ عَن مَسروقٍ أَنَّ امرَأَةً جاءَتْ إِلَى ابنِ مَسْعُودٍ، فَقالَتْ: أُنبِئتُ أَنَّكَ تَنهَى عَنِ الوَاصِلَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ... الحديث، وفيه: قَالَتِ المَرأَةُ: فَلَعَلَّهُ فِي بَعضِ نِسائِكَ؟ قَالَ لَهَا: ادخُلِي، فَدَخَلَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ، فَقالَتْ: ما رَأَيتُ بَأسًا، قَالَ: ما حَفِظتُ إِذًا وَصِيَّةَ العَبْدِ الصَّالِحِ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾. المُسنَدُ (١/ ٤١٤-٤١٥)، وقالَ أحمدُ شاكر: إِسنادُه صحيح (٣٩٤٥). وقَوَّى الأرناؤوطُ إِسنادَه في تخريجِه على المُسنَدِ (٣٩٤٥) (٧/ ٥٨). وأَصلُه في الصَّحِيحَينِ؛ البُخاريُّ (٤٨٨٦)، ومسلمٌ (٢١٢٥).

---

(١) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٤٦٢، ١٨٤٦٣)، وابنُ أبي حَاتِمٍ (١١٠٩٨،٨٦٩١) وغيرُهما مِن وُجوهٍ بإسنادٍ صَحيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قوله. ورَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٤٥٨، ١٨٤٦١) عَنْ مُجاهِدٍ قوله.

(٢) لَمْ نَجِدْهُ مُسنَدًا لِأَحدٍ. وجاءَ في بعضِ كُتُبِ التفسيرِ مِن دُونِ إِسنادٍ؛ يُنظَرُ: الكَشَّافُ لِلزمخشريِّ (٢/ ٤١٦)، ومدارِكُ التنزيلِ لِلنسفيِّ (٢/ ٧٧)، وتفسيرُ السعديِّ (ص٨١٠)، وعزاهُ بعضُهم لِلسُّدِّيِّ؛ يُنظَرُ: التفسيرُ المظهريُّ، لمحمد ثناء الله المظهري (٥/ ١٠٨).

(٣) لِأَنَّ ﴿تَعۡثَوۡاْ﴾ معناه: تُفسِدُوا؛ فالمعنى واحدٌ.

(٤) في نُسخَةِ قباوة: (داعي خيرٍ).

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ (٨٩) وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٞ وَدُودٞ (٩٠) قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ (٩١) قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
مُحِيطٞ (٩٢) وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ
وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ (٩٣) وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا
شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ (٩٤)
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ (٩٥)
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ (٩٧)

[٨٩] ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: يُكْسِبَنَّكُم(١) ﴿شِقَاقِيٓ﴾: خِلَافِي. فَاعِلُ «يَجْرِم»، والضميرُ مَفعُولٌ أوَّلُ، والثَّاني(٢): ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖ﴾ مِنَ العَذَابِ ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ﴾ أي: مَنازِلُهم، أَوْ زَمَنُ هَلاكِهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ فاعتَبِرُوا.

[٩٠] ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ بِالمُؤْمِنِينَ ﴿وَدُودٞ﴾: مُحِبٌّ لهم.

[٩١] ﴿قَالُواْ﴾ إِيذانًا بِقِلَّةِ المُبالَاةِ: ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ﴾: نَفهَم ﴿كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾: ذَلِيلًا ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ﴾: عَشِيرَتُكَ ﴿لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ بِالحِجَارَةِ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾: كَرِيمٍ عَنِ الرَّجْمِ، وإِنَّما رَهطُكَ هُمُ الأَعِزَّةُ.

[٩٢] ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتَترُكُوا قَتْلِي لِأَجلِهم، ولا تَحفَظُوني للهِ ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾ أي: اللهَ ﴿وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾: مَنبُوذًا خلفَ ظُهُورِكُم لا تُرَاقِبُونَه؟ ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ عِلمًا(٣) فيُجَازِيكُم.

[٩٣] ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: حَالَتِكم ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ على حَالَتِي ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن﴾: مَوصُولَةٌ؛ مَفعُولُ العِلْمِ ﴿يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾: انتَظِرُوا عَاقِبَةَ أَمْرِكُم ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾: مُنتَظِرٌ.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بِإِهلَاكِهم ﴿نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾: صَاحَ بهم جِبرِيلُ(٤) ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾: بَارِكِينَ على الرُّكَبِ مَيِّتِينَ.

[٩٥] ﴿كَأَن﴾: مُخَفَّفَةٌ؛ أي: كأَنَّهم ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾: يُقِيمُوا ﴿فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾: بُرهَانٍ بَيِّنٍ ظَاهِرٍ.

[٩٧] ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾: سَدِيدٍ.

---

(١) هذا هو قولُ الزَّجَّاج. وقالَ الحسنُ البَصريُّ وقتادةُ: «يَحمِلَنَّكم».

(٢) أي المفعولُ الثاني هو: المَصدَرُ المُؤوَّلُ مِنْ جُملة: ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖ﴾.

(٣) يُنظَرُ التَّعليقُ على الآية (١٩) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٤) قاله مقاتلٌ في تَفسِيرِه (٢/ ٢٩٦)، وعزاه ابنُ أبي زمنين في تفسيرِه (٢/ ٢٩٨) لِلسُّدِّيِّ؛ حيثُ قال في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾: «قَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي: صَيْحَةَ جِبْرِيلَ عليه السلام». وذكره ابنُ جرير في تَفسِيره (١٥/ ٤٦٤) دُونَ أن يعزُوَه.

يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ
ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ
ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ
مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١
وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ
أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ
ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣
وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ١٠٤ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ
إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي
ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧
ربع الحزب ٢٤ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨

[٩٨] ﴿يَقۡدُمُ﴾: يَتقدَّمُ ﴿قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فيَتَّبِعُونَه كما اتَّبعُوه في الدُّنيا ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ﴾: أدخَلَهم ﴿ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ هي!

[٩٩] ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ﴾ أي: الدُّنيا ﴿لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ لعنةً ﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ﴾: العَونُ ﴿ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ رِفدُهم!

[١٠٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكُورُ، مُبتدأٌ، خَبَرُه: ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ﴾ - يا محمَّد- ﴿مِنۡهَا﴾ أي: القُرَى ﴿قَآئِمٞ﴾: هَلَكَ أهلُه دُونَه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٞ﴾: هَلَكَ بِأَهلِه، فلا أثَرَ له؛ كالزَّرعِ المَحصُودِ بالمَناجِلِ.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ بِإهلَاكِهم بِغَيرِ ذَنبٍ ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾ بالشِّركِ ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ﴾: دَفَعَتْ ﴿عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ﴾: يَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿مِن﴾: زَائِدةٌ ﴿شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾: عَذابُه[1] ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ﴾ بِعِبادَتِهم لها ﴿غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾: تَخسِيرٍ.

[١٠٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مِثلُ ذلكَ الأخذِ ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ﴾- أُرِيدَ أهلُها- ﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ بالذُّنُوبِ. أي: فلَا يُغنِي عنهم مِنْ أَخْذِه شَيءٌ ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾. رَوى الشَّيخَانِ عَنْ أبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**» ثُمَّ قرأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ الآيَةَ[2].

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكُورِ مِنَ القَصَصِ ﴿لَأٓيَةٗ﴾: لَعِبرَةً ﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: يومُ القِيامَةِ ﴿يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ﴾: فيه ﴿ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾: يَشهَدُه جَميعُ الخَلَائِقِ.

[١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ﴾: لِوَقتٍ مَعلُومٍ عندَ الله.

[١٠٥] ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ ذلكَ اليومُ ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ - فيه حَذفُ إِحدَى التَّاءَينِ- ﴿نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ تعالَى ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ أي: الخَلْقِ ﴿شَقِيّٞ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٞ﴾ كُتِبَ كُلٌّ في الأَزَلِ[*].

[١٠٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ في عِلْمِه -تعالَى- ﴿فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ﴾: صَوتٌ شَدِيدٌ ﴿وَشَهِيقٌ﴾: صَوتٌ ضَعِيفٌ[3].

[١٠٧] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: مُدَّةَ دَوامِها في الدُّنيا ﴿إِلَّا﴾: غيرَ ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ مِنَ الزِّيادَةِ على مُدَّتِها، مِمَّا لا مُنتَهَى له[4]. والمعنَى: خَالِدِينَ فيها أبدًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

[١٠٨] ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ [سَعِدُواْ]﴾ - بِفَتحِ السِّينِ[5] وضَمِّها- ﴿فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا﴾: غيرَ ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾ كما تَقدَّمَ، ودَلَّ عليه فيهم قَولُه: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ مَقطُوعٍ. وما تَقدَّمَ مِنَ التَّأوِيلِ هو الذي ظَهَرَ، وهو خَالٍ مِنَ التَّكَلُّفِ. واللهُ أعلَمُ بِمُرادِه.

---

[*] **فَائِدَةٌ**: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾ سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، فَعَلَى مَا نَعْمَلُ؟ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ؟ قَالَ: «**بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، وَجَرَتْ بِهِ الأَقْلَامُ يَا عُمَرُ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» التِّرمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٢) سُورة هُودٍ. وصَحَّحَه الأَلبَانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٤٨٦).

---

(١) أي: أمْرُه بِالعذَابِ. ويُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآيَةِ (٢٤) من سورة يونس.

(٢) البُخَارِيُّ (٤٦٨٦) واللفظُ له، ومسلمٌ (٢٥٨٣).

(٣) رُوِي هذا التفسيرُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وقِيلَ غير ذلك. وأصلُ «الزفير» هو: أوَّلُ صَوتِ الحِمارِ، و«الشَّهيق»: آخرُه، وكِلاهما يَصدرانِ عن الحِمارِ بِقُوَّةٍ وشِدَّةٍ. وهما يَصدرانِ عَنِ الإنسانِ أيضًا خاصَّةً حالَ تَعبِه وإرهاقِه.

(٤) وأكثرُ عُلماءِ السَّلفِ والخَلَفِ أنَّ الاستثناءَ عائدٌ على العُصاةِ مِن أهلِ التَّوحيدِ مِمَّنْ يُخرِجُهم الله مِنَ النَّارِ بِشَفاعَةِ الشَّافِعِينَ ثُمَّ بِرحمتِه -سُبحَانَهُ-، وأمَّا قوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هود:١٠٧] فَجَرْيًا على عَادةِ العَرَبِ في إفادةِ الدَّوامِ بذلكَ، أو المرادُ جِنسُ السَّماواتِ والأرضِ؛ لِأَنَّه لا بدَّ في عَالَمِ الآخِرةِ أيضًا مِن سَماواتٍ وأرضٍ.

(٥) ﴿سَعِدُواْ﴾: بالفتح: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبَةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿سُعِدُواْ﴾ بِالضَّمِّ.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ
١٠٩ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
١١٠ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ١١١ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ١١٣ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ
لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
١١٥ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ١١٦ وَمَا
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ﴾ - يا محمَّد- ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مِنَ الأصنامِ، أنَّا[1] نُعذِّبُهم كما عذَّبنا مَنْ قبلَهم. وهذا تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي: كَعِبادَتِهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ وقد عذَّبناهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مِثلَهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾: حظَّهم مِنَ العَذابِ ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ أي: تامًّا.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بِالتَّصديقِ والتَّكذيبِ، كالقُرآنِ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخيرِ الحِسابِ والجَزاءِ لِلخلائقِ، إلى يومِ القِيامةِ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدُّنيا، فيما اختلَفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المُكذِّبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ في الرِّيبةِ.

[١١١] ﴿وَإِنَّ﴾ -بِالتَّشديدِ والتَّخفيفِ[2]- ﴿كُلًّا﴾ أي: كُلَّ الخلائقِ ﴿[لَمَا]﴾: «ما» زائدةٌ، واللامُ مُوطِّئةٌ لقَسَمٍ مُقدَّرٍ، أو فارِقةٌ[3]. وفي قِراءةٍ: بِتشديدِ ﴿لَّمَّا﴾ بِمَعنى: «إلَّا»، فـ«إنْ»[4] نافيةٌ ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاءَها ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالِمٌ بِبَواطِنِه كَظَواهِرِه.

[١١٢] ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ على العَمَلِ بِأمرِ ربِّكَ والدُّعاءِ إليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَ﴾ لْيستقِمْ ﴿مَن تَابَ﴾: آمَنَ ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾: تُجاوِزُوا حُدودَ اللهِ ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيكم به.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾: تَمِيلُوا ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بِمَودَّةٍ أو مُداهَنةٍ أو رِضًا بِأعمالِهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾: تُصِيبَكُم ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مِنْ﴾: زائدةٌ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: يَحفظُونَكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: تُمنَعُونَ مِنْ عَذابِه.

[١١٤] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: الغَداةَ والعَشِيَّ؛ أي: الصُّبحَ والظُّهرَ والعَصرَ ﴿وَزُلَفًا﴾: جَمعُ زُلْفَةٍ؛ أي: طائفةٍ ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: المَغرِبَ والعِشاءَ ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ كالصَّلواتِ الخَمسِ ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الذُّنوبَ الصَّغائرَ. نزَلَتْ[*] فِيمَنْ قبَّلَ أجنبيَّةً فأخبرَه ﷺ، فقالَ: أَلِيَ هذا؟ فقالَ: «لِجَميعِ أُمَّتي كُلِّهِمْ». رَواه الشَّيخانِ[5]. ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾: عِظَةٌ لِلمُتَّعِظِينَ.

[١١٥] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ - يا محمَّد- على أذى قومِكَ، أوْ على الصَّلاةِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بِالصَّبرِ على الطَّاعةِ.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلَّا ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأُمَمِ الماضيةِ ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾: أصحابُ دِينٍ وفَضلٍ ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المُرادُ به النَّفيُ؛ أي: ما كانَ فيهم ذلكَ ﴿إِلَّا﴾: لكِنْ ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نَهَوا فنَجَوا- و«مِن»: لِلبيانِ- ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بِالفَسادِ وتَركِ النَّهيِ ﴿مَآ أُتْرِفُواْ﴾: نُعِّمُوا ﴿فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ مِنهُ لَها ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: مُؤمِنُونَ[6].

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١١٤): أخرجَ البُخاريُّ عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنَّ رَجُلًا أصابَ مِنِ امْرَأةٍ قُبلَةً، فَأَتى رَسُولَ اللهِ ﷺ فذَكَرَ ذلكَ له، فأُنزِلَتْ عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (٥).

---

(١) في نُسخةِ قَباوَة: (أنَّما).

(٢) ﴿وَإِن﴾ بالتخفيفِ: قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وشعبة. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعةِ: ﴿وَإِنَّ﴾.

(٣) أي بينَ «إن» المُهملةِ والنَّافيةِ.

(٤) على قِراءةِ التخفيفِ، وقَرَأَها بِالتَّخفيفِ؛ ﴿لَمَا﴾: نافع وابنُ كثير وأبو عمرٍو والكسائيُّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعةِ: ﴿لَّمَّا﴾ بِالتَّشديدِ.

(٥) البُخاريُّ (٥٢٦)، ومسلمٌ (٢٧٦٣) عن ابنِ مسعودٍ.

(٦) الإصلاحُ أخصُّ مِنَ الإيمانِ، والمُصلِحُ نفعُه مُتعدِّي، بينما الصَّالحُ نَفعُه قاصِرٌ على نفسِه. وقد قرنَ اللهُ تعالى بين الإصلاحِ والنَّهيِ عَنِ الفسادِ وبينَ الإنجاءِ. وجاءَ في حديثِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحشٍ عِندَ البُخاريِّ (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩)، ومسلمٍ (٢٨٨٠)، وغيرِهما؛ قالتْ: يا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: «نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ».

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ (ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا
عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

[١١٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أهلَ دينٍ واحدٍ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدِّينِ.

[١١٩] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أرادَ لهم الخيرَ(١)، فلا يختلِفونَ فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: أهلَ الاختِلافِ له، وأهلَ الرَّحمةِ لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾: الجنِّ ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٢٠] ﴿وَكُلًّا﴾ - نُصِبَ بـ﴿نَّقُصُّ﴾ وتنوينُه عِوَضٌ عنِ(٢) المُضافِ إليه؛ أي: كُلَّ ما يُحتاجُ إليه- ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾: بَدَلٌ مِن: ﴿وَكُلًّا﴾ ﴿نُثَبِّتُ﴾: نُطَمْئِنُ ﴿بِهِ فُؤَادَكَ﴾: قلبَكَ ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾: الأنباءِ أوِ الآياتِ ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصُّوا بالذِّكْرِ لانتفاعِهم بها في الإيمانِ، بخِلافِ الكُفَّارِ.

[١٢١] ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتِكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالتِنا. تهديدٌ لهم.

[١٢٢] ﴿وَانتَظِرُوا﴾ عاقبةَ أمرِكم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: عِلْمُ ما غابَ فيهما ﴿وَإِلَيْهِ [يُرْجَعُ]﴾ - بالبناءِ لِلفاعلِ: يعودُ، ولِلمفعولِ: يُرَدُّ(٣)- ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فينتقِمُ ممَّن عصى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾: وحِّدْهُ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: ثِقْ به؛ فإنَّه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا [يَعْمَلُونَ]﴾ وإنَّما يُؤخِّرُهم لوقتِهم. وفي قراءةٍ بالفوقانيَّةِ(٤).

سورة يوسف

مكِّيَّةٌ، مائةٌ وإحدى عشرةَ آيةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الر﴾ اللهُ أعلمُ بمُرادِه بذلِكَ ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآياتُ ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: القرآنِ. والإضافةُ بمعنى: «مِن» ﴿الْمُبِينِ﴾: المُظهِرِ لِلحقِّ(٥) مِنَ الباطلِ.

[٢] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: بلُغةِ العربِ ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ -يا أهلَ مكَّةَ- ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تفقهونَ معانيَه.

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾: بإيحائِنا ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن﴾: مُخفَّفةٌ؛ أي: وإنَّه ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

[٤] اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوبَ: ﴿يَا أَبَتِ﴾ - بالكسرِ دَلالةً على ياءِ الإضافةِ المحذوفةِ، والفتحِ دَلالةً على ألِفٍ محذوفةٍ قُلِبَتْ عنِ الياءِ(٦)- ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنامِ ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾: تأكيدٌ ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ - جُمِعَ بالياءِ والنُّونِ لِلوصفِ بالسُّجودِ الذي هو مِن صفاتِ العُقلاءِ(٧)-.

---

(١) تأويلُ رحمةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بإرادةِ الخيرِ والثوابِ ونحوِه مذهبُ المُؤوِّلةِ، وهذا فرعُ التعطيلِ. ومذهبُ السَّلفِ إثباتُ هذه الصِّفاتِ للهِ عَزَّوَجَلَّ على الوجهِ اللائقِ به، مِن غيرِ تأويلٍ ولا تعطيلٍ ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ.

(٢) في نُسخةِ قباوة: (مِن).

(٣) ﴿يَرْجِعُ﴾ بالبناءِ لِلفاعلِ: قراءةُ السَّبعةِ عدا نافعٍ وحفصٍ. وقرأ نافعٌ وحفصٌ: ﴿يُرْجَعُ﴾، بالبناءِ لِلمفعولِ.

(٤) ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياءِ: قراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وشُعبةَ. وقرأ بقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ.

(٥) في نُسخةِ قباوة: (المُظهِر الحقّ).

(٦) ﴿يَا أَبَتَ﴾ بالفتحِ: قراءةُ ابنِ عامرٍ. وقرأ بقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسرِ.

(٧) حيثُ إنَّ تقديرَ الكلامِ أن يقولَ: رأيتُها لي ساجدةً.

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ
الحزب ٢٤ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ
وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾
ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ
وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ
لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ
ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ
يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ
وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ
أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

[٥] ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾: يحتالُوا في هَلاكِكَ؛ حَسَدًا، لِعِلْمِهم بِتَأويلِها؛ مِنْ أَنَّهم الكَواكِبُ، والشَّمسَ أُمُّكَ، والقَمَرَ أَبوكَ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظَاهِرُ العَدَاوَةِ.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كَما رَأيتَ ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: يَختَارُكَ ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تَعبيرِ الرُّؤيَا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بِالنُّبوَّةِ ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: أَولَادِه ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا﴾ بِالنُّبوَّةِ ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِه بِهم.

[٧] ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى﴾ خَبَرِ ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ - وهُمْ أَحدَ عَشَرَ - ﴿ءَايَٰتٌ﴾: عِبَرٌ ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عَنْ خَبَرِهم.

[٨] اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ أي: بَعضُ إِخوةِ يُوسُفَ لِبَعضِهم: ﴿لَيُوسُفُ﴾: مُبتَدأٌ ﴿وَأَخُوهُ﴾: شَقيقُه بِنيَامِينُ[1] ﴿أَحَبُّ﴾: خَبَرٌ ﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جَماعَةٌ ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ﴾: خَطَأٍ ﴿مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ، بِإِيثَارِهِما عَلينا.

[٩] ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: بِأَرْضٍ بَعِيدَةٍ ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ بِأَنْ يُقبِلَ عليكُم ولا يَلتَفِتَ لِغَيرِكُم ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بَعدِ قَتلِ يُوسُفَ أَوْ طَرْحِه ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ بِأَنْ تَتُوبُوا.

[١٠] ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يَهُوذَى[2]: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾: اطرَحُوه ﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: مُظلِمِ البِئرِ - وفي قِرَاءَةٍ بِالجَمْعِ[2] - ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: المُسافِرينَ ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ ما أَردتُم مِنَ التفريقِ فاكتَفُوا بذلك.

[١١] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: لَقَائِمُونَ بِمَصَالِحِه؟

[١٢] ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصَّحرَاءِ ﴿[نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ]﴾ - بِالنُّونِ والياءِ[4] فيهما -: نَنشَطْ ونَتَّسِعْ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟﴾ أي: ذَهَابُكُم ﴿بِهِۦ﴾ لِفِرَاقِه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ - المُرادُ به الجِنسُ، وكانَتْ أَرضُهم كثيرةَ الذِّئابِ[5] - ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾: مَشغُولُونَ.

[١٤] ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ﴾: لامُ قَسَمٍ ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جَماعَةٌ ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: عَاجِزُونَ.

---

(١) رَوى تسميتَه ابنُ جرير (١٨٧٩٥)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١١٣٤٨)، وغيرُهما عَنِ السُّدِّيِّ، وسندُه ضعيفٌ.

(٢) وردَتْ تسميتُه عندَ ابنِ جرير (١٨٨٣١)، وابنِ أبي حاتم (١١٣٧٦) عن السُّدِّيِّ، قوله، وسندُه ضعيفٌ. وروى ابنُ جرير (١٨٧٩٩) عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ اسمَه رُوبيل. وقَالَ ابنُ كثيرٍ (٤/ ٣٧٢) بعدَ أَنْ سَاقَ الرِّواياتِ المذكورةَ والاختلافَ في اسمه: «فصَرَفَهُمُ الله عَنْهُ بِمَقَالَةِ رُوبِيلَ فِيهِ وَإِشَارَتِهِ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ، وَهُوَ أَسْفَلُهُ».

(٣) ﴿غَيَٰبَٰتِ﴾ بِأَلِفٍ قبلَ التَّاءِ: قِراءةُ نَافع.

(٤) ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ﴾؛ بِالياءِ مع كَسرِ العَينِ: قِرَاءَةُ نافع، وبِالنُّونِ مَع كَسرِها؛ ﴿نَرْتَعِ وَنَلْعَبْ﴾: قِرَاءَةُ ابنِ كثير، وبِالنُّونِ مَع إِسكَانِها؛ ﴿نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾: قِرَاءَةُ أَبِي عَمرٍو وابنِ عامر، والبَاءُ ساكنةٌ في جميعِ القِرَاءَاتِ.

(٥) قَالَ مُقاتلٌ في تفسيرِه (٢/ ٣٢١): «وكانَت أَرْضًا مُذْئِبَةً»، ونقلَه عنه ابنُ الجوزيِّ في زادِ المسير (٢/ ٤١٨).

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ
بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ
دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ
ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[١٥] فأَرسَلَه مَعهُم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا﴾: عَزَمُوا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وجَوابُ «لَمَّا» مَحذُوفٌ؛ أي: فَعَلُوا ذلك، بِأَنْ نَزَعُوا قَميصَه، بعدَ ضَرْبِه وإِهَانَتِه وإِرَادَةِ قَتلِه، وأَدْلَوه- فلمَّا وَصَلَ إلى نِصفِ البِئرِ أَلقَوْهُ لِيَمُوتَ، فَسَقَطَ في الماءِ، ثُمَّ أَوَى إلى صَخرَةٍ، فنادَوه فأَجابَهم، يَظنُّ رَحمَتَهم[1]، فأَرادُوا رَضخَه بِصَخْرةٍ، فَمَنَعَهم يَهُوذَى[2] - ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ في الجُبِّ وَحْيَ حَقِيقَةٍ، وله سَبعَ عَشْرَةَ سَنةً[3] أَوْ دُونَها؛ تَطمِينًا لِقَلبِه: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بَعدَ اليَومِ ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾: بِصَنيعِهم ﴿هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِكَ، حَالَ الإِنبَاءِ.

[١٦] ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾: وَقتَ المَساءِ ﴿يَبْكُونَ﴾.

[١٧] ﴿قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نَرمِي[4] ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾: ثِيابِنا ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾: بِمُصَدِّقٍ ﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ عِندَكَ لاتَّهمتَنا في هَذِه القِصَّةِ؛ لِمحبَّةِ يُوسُفَ، فكَيفَ وأَنتَ تُسِيءُ الظَّنَّ بنا؟[5]

[١٨] ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ -مَحلُّه نُصبَ على الظَّرفِيَّة-أي: فَوقَه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: ذِي كَذِبٍ؛ بِأَنْ ذَبَحُوا سَخلَةً[6] ولَطَّخُوه بِدَمِها، وذَهِلُوا عَنْ شَقِّه، وقَالوا: إِنَّه دَمُه ﴿قَالَ﴾ يَعقُوبُ، لَمَّا رَآه صَحِيحًا وعَلِمَ كَذِبَهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فَفَعلتُمُوه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: لا جَزَعَ فيه. وهو خبرُ مُبتدإٍ مَحذُوفٍ؛ أي: أَمْرِي ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: المَطلُوبُ منه العَونُ ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: تَذكُرونَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ.

[١٩] ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مُسَافِرونَ مِنْ مَدْيَنَ إلى مِصرَ[7]، فنزَلُوا قَرِيبًا مِنْ جُبِّ يُوسُفَ ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يَرِدُ الماءَ لِيستَقِيَ منه ﴿فَأَدْلَىٰ﴾: أرسَلَ ﴿دَلْوَهُۥ﴾ في البِئْرِ فتعلَّقَ بها يُوسُفُ، فأَخرَجَه. فلمَّا رَآه ﴿قَالَ يا [بُشْرَىٰ]﴾[8]- وفي قِرَاءَةٍ: ﴿بُشْرَىٰ﴾. ونِداؤُها مَجازٌ؛ أي: احضُري فهذا وَقتُكِ- ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ فعَلِمَ به إِخوَتُه فأَتَوهُم ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أي: أَخفَوا أمرَه جَاعِلِيه ﴿بِضَٰعَةً﴾ بِأَنْ قَالُوا: هَذا عَبدُنا أَبَقَ. وسَكَتَ يُوسُفُ؛ خَوْفًا أَنْ يَقتُلُوه[9] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾: بَاعُوه منهم ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾: نَاقِصٍ ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عِشرِينَ أَوْ اثنَينِ وعِشْرِينَ[10] ﴿وَكَانُوا﴾ أي: إِخوَتُه[11] ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ فجاءَتْ به السَّيَّارةُ إلى مِصرَ، فبَاعَه الذي اشتَرَاهُ بِعِشرِينَ دِينارًا وزَوْجَي نَعْلٍ وثَوبَينِ[12].

[٢١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ - وهو قِطفِيرُ العَزِيزُ[13]- ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زَلِيخَا[14]: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: مُقَامَه عِندَنا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ - وكانَ حَصُورًا[15]- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما نجَّيناه مِنَ القَتلِ والجُبِّ، وعَطَفْنا عليه قَلبَ العَزِيزِ ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصرَ حتَّى بَلَغَ ما بَلَغَ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تَعبِيرِ الرُّؤيَا- عَطفٌ على مُقدَّرٍ مُتعلِّقٍ بِـ﴿مَكَّنَّا﴾ أي: لِنُملِّكَه، أَوِ الوَاوُ: زَائِدَةٌ- ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ تعالَى، لا يُعجِزُه شيءٌ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُمُ الكُفَّارُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ وهو ثَلاثُونَ سَنةً أو: وثَلاثٌ[16] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حِكمَةً ﴿وَعِلْمًا﴾: فِقهًا في الدِّينِ، قَبلَ أَنْ يُبعَثَ نَبِيًّا[17] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جَزَيناه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأَنفُسِهم.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (لِظنِّ رحمتِهم). (٢) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٨٣١)، وابنُ أَبي حَاتمٍ (١١٣٧٦) عَنِ السُّدِّيِّ، قوله.

(٣) روى ابنُ جرير (١٩٩٢٥)، وابنُ أَبي حَاتمٍ (١٢٠٠١) عَنِ الحَسَنِ البصريِّ،قالَ: «إِنَّ يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلَامُ أُلقِيَ فِي الجُبِّ وَهُوَ ابنُ سَبعَ عَشرَةَ سَنَةً». والحَسنُ مِمَّنْ يُكثِرُ مِن رِوايةِ الإِسرائيليَّاتِ.

(٤) قال الفخرُ الرازيُّ في تفسيرِه (١٨/ ٤٢٩): «واختَلَفُوا فِي مَعنَى الاستِبَاقِ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: يُسابِقُ بَعضُهُم بَعضًا فِي الرَّمي...». وقال السُّدِّيُّ ومُقَاتِلٌ-كما في الفخرِ الرازيِّ (١٨/ ٤٢٩)-: «﴿نَسْتَبِقُ﴾: نَشتَدُّ وَنَعدُو؛ لِيَتَبَيَّنَ أَيُّنا أَسرَعُ عَدْوًا». وقَالَ القُتَبِيُّ -كما في تفسيرِ الماتريديِّ (٦/ ٢١٨): «﴿نَسْتَبِقُ﴾، أي: نَنتَضِلُ، يُسابِقُ بعضُنا بعضًا في الرَّمي؛ يُقَالُ: سَابقتُه فسَبَقتُه...».

(٥) هذا الكلامُ قَدَّرَهُ المُصنِّفُ إشارةً إلى أَنَّ ﴿لَوْ﴾ شَرطيَّةٌ وجَوابُها محذوفٌ، والأقربُ جَعلُ الوَاوِ حَاليَّةً و﴿لَوْ﴾ زائدةً.

(٦) قال مجاهدٌ في تفسيرِه: «﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: يَعني: بِدَمِ سَخلَةِ شَاةٍ». وأخرجَ عبدُ الرزَّاق في تفسيرِه (١٢٧٨) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ دَمَ سَخلَةٍ». والسَّخلةُ: وَلَدُ الشَّاةِ.

(٧) لم نَقِفْ عليه مُسندًا، ونسبه الفخرُ الرازيُّ (١٨/ ٤٣٢) لِابنِ عبَّاسٍ. (٨) ﴿يَٰبُشْرَاىَ﴾ بإثباتِ يَاءِ الإِضافَةِ، وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ بِحَذفِ يَاءِ الإِضَافَةِ. (٩) والقولُ الآخرُ: أي: أَسَرَّه الواردونَ مِنْ بَقِيَّةِ السيَّارةِ، وقالوا: اشتريناه مِنْ أَصحابِ الماءِ، وهو الظاهرُ؛ أي أَنَّ الذين أَسرُّوه بِضاعةً وشَروه بِثَمَنٍ بَخسٍ هم السَّيَّارةُ؛ أي: المسافرونَ مِنَ القَافلةِ، واشتراه منهم رجلٌ مِن أهلِ مِصرَ؛ فلَم يقعْ بيعُه وشِراؤه إِلَّا مَرَّةً وَاحدةً. (١٠) قالَ ابنُ جرير ((١٣/ ٥٩): «وَالصَّوَابُ مِنَ القَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخبَرَ أَنَّهُمْ بَاعُوهُ بِدَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ غَيْرِ مَوْزُونَةٍ، وَلَمْ يَحُدَّ مَبْلَغَ ذَلِكَ بِوَزْنٍ وَلَا عَدَدٍ، وَلَا وَضَعَ عَلَيْهِ دَلَالَةً فِي كِتَابٍ وَلَا خَبَرٍ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ». (١١) وهذا على القولِ الأَوَّلِ. وعلى القولِ الآخرِ: يكونُ الضَّميرُ عائدًا إلى السَّيَّارةِ، ويكونُ زُهدُهم فيه؛ لِخوفِهم مِنْ إِبَاقِهِ كما زَعَمَ إخوتُه. (١٢) لم نقفْ عليه مُسندًا، ونَسبَه البَغويُّ (٤/ ٢٢٥) وغيرُه لابنِ عبَّاسٍ.

(١٣) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٩٤١)، وابنُ أَبي حَاتمٍ (١١٤٣٣) بإسنادٍ ضَعيفٍ جِدًّا عَنِ ابنِ عبَّاسٍ. وقال الحافظُ في الفتحِ (٨/ ٣٦٣): «واسمُ سيِّدِهَا-أي: امرأةِ العزيزِ- العَزِيزُ قِطْفِيرُ بِكَسرِ أَوَّلِه. وَقِيلَ: بِهَمزَةٍ بَدَلَ القَافِ». (١٤) هكذا ضُبِطَتْ في كثيرٍ من كُتُبِ التفسيرِ: بِفتحِ الزَّاي وكَسرِ اللامِ بعدَها ياءٌ فالخاءُ المفتوحةُ فالأَلِفُ. واسمُها ذكرَه مقاتلٌ في تفسيرِه (٢/ ١٤٤)، ونسبَه الماورديُّ في النُّكتِ والعُيونِ (٣/ ٢٢) لِلضحَّاكِ. وقالَ الحافظُ في الفتحِ (٨/ ٣٦٣): «اسمُ هَذِهِ المَرْأَةِ فِي المَشْهُورِ زَلِيخَا. وَقِيلَ: رَاعِيلُ». (١٥) أي: لا يأتي النِّساءَ أو عَقِيمًا، والضميرُ يعودُ إلى العَزيزِ. (١٦) قالَ ابنُ جرير (١٣/ ٦٨) تعليقًا على هذه الأقوالِ والآثارِ: « وَأَوْلَى الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ آتَى يُوسُفَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا. وَ(الأَشُدُّ): هُوَ انْتِهَاءُ قُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آتَاهُ ذَلِكَ وَهُوَ ابنُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آتَاهُ وَهُوَ ابنُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ آتَاهُ وَهُوَ ابنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَلَا دَلَالَةَ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا أَثَرَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا فِي إِجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى أَيِّ ذَلِكَ كَانَ». (١٧) روى ابنُ جرير (١٨٩٦٢) عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قَالَ: «العَقْلَ وَالعِلْمَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ».

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

[٢٣] ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ - هي زَلِيخَا- ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي: طَلَبَتْ منه أنْ يُوَاقِعَها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ لِلبيتِ ﴿وَقَالَتۡ﴾ له: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أي: هَلُمَّ- واللامُ لِلتَّبيينِ[1]. وفي قِراءَةٍ بِكَسرِ الهاءِ[2]، وأُخرى بِضَمِّ التَّاءِ[3]- ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾: أَعُوذُ باللهِ مِنْ ذلك! ﴿إِنَّهُۥ﴾: الذي اشترانِي ﴿رَبِّيٓ﴾: سَيِّدِي[4] ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾: مُقَامِي فلا أَخُونُه في أَهْلِه ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الزُّناةُ.

[٢٤] ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾: قَصَدَتْ منه الجِماعَ ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: قَصَدَ ذلك[5] ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: «مُثِّلَ له يَعقوبُ فضَرَبَ صَدرَه فخَرَجَتْ شَهوَتُه مِنْ أنامِلِه»[6]، وجَوابُ ﴿لَوۡلَآ﴾: لَجامَعَها[7] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَرَيناه البُرهَانَ ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾: الخِيانَةَ ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾: الزِّنَا ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا [ٱلۡمُخۡلِصِينَ]﴾[8] في الطَّاعةِ. وفي قِراءَةٍ بِفَتحِ اللَّامِ؛ أي: المُختارِينَ.

[٢٥] ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ بادَرَ إليه يُوسُفُ لِلفِرارِ، وهي لِلتشبُّثِ به، فأمسَكَتْ ثَوبَه وجَذَبَتْه إليها ﴿وَقَدَّتۡ﴾: شَقَّتْ ﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا﴾: وَجَدَا ﴿سَيِّدَهَا﴾: زَوجَها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ فنزَّهَتْ نَفْسَها، ثُمَّ ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾: زِنًا ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾: يُحبَس، أي: سَجْنٌ ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مُؤلِمٌ؛ بِأَنْ يُضرَبَ؟

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ، مُتبرِّئًا: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ ابنُ عَمِّها[9]- رُوِيَ أنَّه كانَ في المَهدِ[10]- فقالَ: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾: قُدَّامٍ ﴿فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

[٢٧] ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ﴾: خَلفٍ ﴿فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زَوجُها ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أي: قَولَكِ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ﴾ إلخ[11] ﴿مِن كَيۡدِكُنَّۖ﴾ - أيُّها النِّساءُ- ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾.

[٢٩] ثُمَّ قالَ: يا ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ الأَمرِ ولا تَذْكُرْه لِئلَّا يَشِيعَ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي﴾ - يا زَلِيخَا- ﴿لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾: الآثِمِينَ.

[٣٠] واشتَهَرَ الخَبَرُ وشَاعَ ﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾: مَدينَةِ مِصرَ: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾: عَبْدَها ﴿عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾: تَمييزٌ؛ أي: دَخَلَ حُبُّه شَغَافَ قَلبِها؛ أي: غِلافَه ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي: في خَطَإٍ ﴿مُّبِينٖ﴾: بَيِّنٍ، بِحُبِّها إيَّاه.

---

(١) أي: تَبيينِ المفعُولِ الذي هو المُخاطَب؛ كأنَّها تقولُ: الخِطابُ لك، نظيرُ: سُقيًا لكَ، ورَعيًا لكَ. حَاشيةُ الصَّاوي (٣/ ١٦٨).

(٢) ﴿هِيتَ﴾؛ بِكَسرِ الهَاءِ، لِنافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٣) أي: مَعَ فَتحِ الهَاءِ؛ ﴿هَيْتُ﴾، وهي لابنِ كثيرٍ، وذَكَرَ المُصنِّفُ ثَلاثَ قِراءَاتٍ، وكُلُّها سَبعيَّةٌ، وبَقِيَ قِراءتَانِ لِهِشامٍ؛ هُما: ﴿هِئْتُ﴾ بِكَسرِ الهَاءِ والهَمزةِ السَّاكِنةِ، وفَتحِ التَّاءِ أو ضَمِّها.

(٤) والقولُ الآخَرُ أنَّه الرَّبُّ على ظاهِرِه، وهو اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

(٥) مَعاذَ اللهِ أن يُنسَبَ مِثلُ هذا الهَمِّ لِنَبيٍّ كريمٍ، مَعَ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أَثبتَ بَراءتَه في أكثَرَ مِن خَمسةِ مَواضِعَ مِنَ القِصَّةِ ذاتِها. وجُمهورُ القُرَّاءِ على الوَقفِ عندَ قولِه تَعالَى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾، ومعناه: إرادةُ الفَاحِشَةِ. وأمَّا هَمُّهُ بِها فمنفيٌّ؛ لِوُجودِ بُرهانِ رَبِّه، وهذا سَائِغٌ في اللغةِ؛ إذ يَجوزُ تَقديمُ جوابِ ﴿لَوۡلَآ﴾ عليها؛ فيكونُ المعنَى: لَولا أنْ رَأى بُرهانَ رَبِّه لَهَمَّ بها، ونظيره قوله تَعالَى: ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾. ورجَّح طائفةٌ مِنَ المُفسِّرينَ أنَّ المُرادَ بِهَمِّه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مُجرَّدُ خاطِرٍ طَرَأ عليه بِمُقتضَى الجِبِلَّةِ البَشريَّةِ، ثُمَّ دفعَه وصَرفَه اللهُ عنه بِمُقتَضَى العِصمةِ النَّبويَّةِ... وهَذانِ القَولانِ أحسنُ مَا قِيلَ في تفسيرِ الآيَةِ.

(٦) وهذه الرِّوايةُ مِنَ الإسرائيليَّاتِ المردودةِ التي لا تَليقُ بِمَقامِ نَبيٍّ كَريمٍ.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (محذوفٌ) بَدلًا مِن: (جَامَعَها).

(٨) قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ بِكَسرِ اللامِ؛ ﴿ٱلۡمُخۡلِصِينَ﴾، والبَاقونَ بِفتحِها؛ ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

(٩) رَواهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (١١٥١٠)، وغيرُه -بإسنادٍ ضَعيفٍ- عَن زَيدِ بنِ أَسْلَمَ، قَالَ: ابنُ عَمٍّ كَانَ لَهَا حَكِيمًا. ورَوَاهُ ابنُ جَريرٍ (١٩١٢٠) بِسَنَدٍ ضَعيفٍ، عَنِ السُّدِّيِّ.

(١٠) روى الحاكمُ في مُستدرَكِه (٤١٦١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ»، وقال الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذَّهبيُّ. وضَعَّفَه الألبانيُّ في ضعيف الجامع (٤٧٥٩). وقال في الضعيفة (٨٨٠): «باطلٌ بِهذا اللفظِ». وأخرجَه ابنُ جريرٍ (١٩٠٩٩) عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، مَوقوفًا؛ قَالَ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ فِي المَهْدِ وَهُمْ صِغَارٌ: ابْنُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ». لكن فيه عَطاءُ بنُ السَّائِبِ، فإنَّه كانَ قد اختلطَ، وحمَّادُ بنُ سَلَمةَ روى عنه قبلَ الاختلاطِ وبعدَه، كما قال الألبانيُّ في الضعيفة (٢/ ٢٧٢). وقال الأرناؤوطُ في تعليقِه على المُسنَدِ (٥/ ٣١): «إسنادُه حَسَنٌ، فقد سمعَ حمَّادُ بنُ سلمةَ مِن عطاءِ بنِ السَّائِبِ قبلَ الاختلاطِ عندَ جمعٍ مِنَ الأئمةِ...». وأخرجَه ابنُ جريرٍ (١٩١٠٨) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مرفوعًا. ويُنظَرُ تفسيرُ ابنِ جريرٍ بِتعليقِ أحمد ومحمود شاكر (١٦/ ٥٥)، ويُنظَرُ كذلك تعليقُ الألبانيِّ عليه في الضعيفة (٢/ ٢٧٢-٢٧٣).

(١١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إلى آخره). وكذا في كلِّ المواضعِ التي تَقدَّمَت أو التي تأتي، هي في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إلى آخِرِه).

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا
وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ
أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ
عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ
أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى
خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: غِيبَتِهِنَّ لها[١] ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾: أَعَدَّتْ ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾: طعَامًا يُقطعُ بِالسِّكِّينِ؛ لِلاتِّكاءِ عندَه[٢]- وهُو الأُتْرُجُّ[٣]- ﴿وَآتَتْ﴾: أَعطَتْ ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ﴾ لِيُوسُفَ: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾: أعظَمْنَه ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بِالسَّكَاكِينِ، ولَمْ يَشعُرنَ بِالأَلَمِ؛ لِشُغلِ قَلبِهِنَّ بِيُوسُفَ ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: تَنزِيهًا له! ﴿مَا هَذَا﴾ أي: يُوسُفُ ﴿بَشَرًا إِنْ﴾: ما ﴿هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لِمَا حَوَاه مِنَ الحُسْنِ الذي لا يَكونُ عَادةً في النَّسمَةِ البَشرِيَّةِ. وفي الحَديثِ: «أَنَّه أُعطِيَ شَطرَ الحُسْنِ»[٤].

[٣٢] ﴿قَالَتْ﴾ امرَأَةُ العَزيزِ، لَمَّا رَأَتْ ما حَلَّ بِهِنَّ: ﴿فَذَلِكُنَّ﴾: فَهذا هو ﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾: في حُبِّه. بَيَانٌ لِعُذرِها ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: امتَنَعَ ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ﴾ به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾: الذَّلِيلِينَ. فقُلنَ له: أَطِعْ مَولَاتَكَ.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾: أَمِلْ ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن﴾: أَصِرْ ﴿مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾: المُذنِبِينَ. والقَصْدُ بِذلكَ الدُّعاءُ. فلِذَا قالَ تعالَى:

[٣٤] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دُعاءَه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِلقَولِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالفِعْلِ.

[٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَا﴾: ظَهَرَ ﴿لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ الدَّالَّاتِ على بَرَاءةِ يُوسُفَ أَنْ يَسجِنُوه. دَلَّ على هذا: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى﴾: إلى ﴿حِينٍ﴾ يَنقَطِعُ فيه كَلامُ النَّاسِ، فسُجِنَ.

[٣٦] ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: غُلامَانِ لِلمَلِكِ؛ أَحَدُهما سَاقِيه، والآخَرُ صَاحِبُ طَعَامِه، فرَأَيَاه يُعبِّرُ الرُّؤيَا، فقَالا: لَنختَبِرَنَّه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ - وهُو السَّاقِي[٥]-: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عِنَبًا ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾ صَاحِبُ الطَّعَامِ: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾: خَبِّرْنَا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾: بِتَعبِيرِه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٣٧] ﴿قَالَ﴾ لَهُما، مُخبِرًا أَنَّه عَالِمٌ بِتَعبِيرِ الرُّؤيَا: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ في مَنامِكُما ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليَقَظَةِ ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ تَأوِيلُه ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فيه حَثٌّ على إِيمانِهما. ثُمَّ قَوَّاه بِقَولِه: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾: دِينَ ﴿قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾- تَأكِيدٌ- ﴿كَافِرُونَ﴾.

---

(١) إِنَّما سُمِّيَتِ الغِيبةُ مَكْرًا، لإِخفائِها عَنِ المُغتَابِ، كما يُخفَى المكرُ. حاشيةُ الصَّاوي (٣/ ١٧١).

(٢) سُمِّيَ الطَّعامُ بذلكَ؛ لأنَّه يُتَّكأ عندَه، على عادةِ المُتكبِّرِينَ مِنْ أكلِ الفواكِه حالَ الاتِّكاءِ. حاشيةُ الصَّاوي (٣/ ١٧١).

(٣) ما ذَهبَ إليه المُفسِّرُ مِن تَفسيرِ المُتَّكأِ بالأَترجِّ هو قولُ بعضِ المُفسِّرينَ، ونقلَ ابنُ جرير في تَفسيرِه (١٣/ ١٢٤) عن أَبي عُبيدَةَ الردَّ على ذلكَ القَولِ؛ حيثُ قالَ: «وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى: الْمُتَّكَأُ: هُوَ النُّمْرُقُ يُتَّكَأُ عَلَيْهِ. وَقَالَ: زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ الْأُتْرُجُّ، قَالَ: وَهَذَا أَبْطَلُ بَاطِلٍ فِي الْأَرْضِ». قال ابنُ جريرٍ مُعقِّبًا: «وَلَكِنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمُتَّكَإِ أُتْرُجٌّ يَأْكُلُونَهُ. وَحَكَى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ قَوْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ، ثُمَّ قَالَ: وَالْفُقَهَاءُ أَعْلَمُ بِالتَّأْوِيلِ مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ: وَلَعَلَّهُ بَعْضُ مَا ذَهَبَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَإِنَّ الْكِسَائِيَّ كَانَ يَقُولُ: قَدْ ذَهَبَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ انْقَرَضَ أَهْلُهُ. وَالْقَوْلُ فِي أَنَّ الْفُقَهَاءَ أَعْلَمُ بِالتَّأْوِيلِ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ كَمَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ لَا شَكَّ فِيهِ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ لَمْ يَبْعُدْ مِنَ الصَّوَابِ فِي هَذَا الْقَوْلِ، بَلِ الْقَوْلُ كَمَا قَالَ مِنْ أَنَّ مَنْ قَالَ لِلْمُتَّكَإِ هُوَ الْأُتْرُجُّ، إِنَّمَا بَيَّنَ الْمُعَدَّ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي فِيهِ الْمُتَّكَأُ، وَالَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أُعْطِينَ السَّكَاكِينَ، لِأَنَّ السَّكَاكِينَ مَعْلُومٌ أَنَّهَا لَا تُعَدُّ لِلْمُتَّكَإِ إِلَّا لِتَخْرِيقِهِ، وَلَمْ يُعْطَيْنَ السَّكَاكِينَ لِذَلِكَ، وَمِمَّا يُبَيِّنُ صِحَّةَ ذَلِكَ الْقَوْلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنْ أَنَّ الْمُتَّكَأَ هُوَ الْمَجْلِسُ...». ثم سَاقَ ابنُ جرير ما يُحتجُّ به لِقولِ أبي عبيدة؛ فأخرجَ (١٩١٧٣) عَنْ مُجاهِدٍ، عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قَالَ: «أَعْطَتْهُنَّ أُتْرُجًّا، وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا»، قال ابنُ جرير (١٣/ ١٢٥): «فَبَيَّنَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ هَذِهِ مَا أَعْطَتِ النِّسْوَةَ، وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ بَيَانِ مَعْنَى الْمُتَّكَإِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا مَعْنَاهُ».

(٤) رَواهُ مُسْلِمٌ (١٦٢) عَنْ أنسِ بنِ مالكٍ مرفوعًا، في قِصَّةِ مِعراجِ النَّبيِّ ﷺ إلى السَّماءِ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (السَّاقي)؛ بِدونِ: (وهو).

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ وَقَالَ
لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ
٤٢ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ
سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣

[٣٨] ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ﴾ يَنبَغِي ﴿لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن﴾: زَائِدةٌ ﴿شَيۡءٖۚ﴾ لِعِصْمَتِنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّوحِيدُ ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ - وهُمُ الكُفَّارُ- ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾ اللهَ، فيُشرِكُونَ.

[٣٩] ثُمَّ صَرَّحَ بِدُعَائِهما إلى الإيمانِ، فقالَ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾: سَاكِنَي ﴿ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ خيرٌ؟ استفهامُ تَقرِيرٍ.

[٤٠] ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيرِه ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾: سَمَّيتُم بها أصنامًا[1] ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بِعِبادَتِها ﴿مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾: حُجَّةٍ وبُرهَانٍ ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلۡحُكۡمُ﴾: القَضاءُ ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وَحدَه ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ﴾ التَّوحِيدُ ﴿ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾: المُستقِيمُ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ - وهُمُ الكُفَّارُ- ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ما يَصِيرُونَ إليه مِنَ العَذَابِ، فيُشرِكُونَ.

[٤١] ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ أي: السَّاقِي فيَخرُجُ بعدَ ثَلاثٍ[2] ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾: سَيِّدَه ﴿خَمۡرٗاۖ﴾ على عادَتِه[3] ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾ فيَخرُجُ بعدَ ثَلاثٍ[4] ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ هذا تَأوِيلُ رُؤيَاكُما[5]. فقَالَا: ما رَأينا شَيئًا[6]، فقالَ: ﴿قُضِيَ﴾: تَمَّ ﴿ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾: سَألتُما عنه[7]، صَدَقتُما أم كَذَبتُما[8].

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾: أيقَنَ ﴿أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ - وهُو السَّاقِي-: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: سَيِّدِك، فقُلْ له: إنَّ في السِّجنِ غُلامًا مَحبُوسًا ظُلمًا. فَخرَجَ ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ أي: السَّاقِيَ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ﴾ يُوسُفَ عِندَ ﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ﴾: مَكَثَ يُوسُفُ ﴿فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾[9] قِيلَ: سَبعًا[10]، وقِيلَ: اثنَتَي عَشرَةَ[11].

[٤٣] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾: مَلِكُ مِصرَ، الرَّيَّانُ بنُ الوَلِيدِ[12]: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ أي: رَأيتُ ﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ﴾: يَبتَلِعُهُنَّ ﴿سَبۡعٌ﴾ مِنَ البَقَرِ ﴿عِجَافٞ﴾: جَمعُ عَجفَاءَ ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ﴾ أي: سَبعَ سُنبُلاتٍ ﴿يَابِسَٰتٖۖ﴾: قَدِ التَوَتْ على الخُضرِ، وعَلَتْ عليها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾: بَيِّنُوا لي تَعبِيرَها ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ فاعبُرُوها.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أصنامَكم).

(٢) أخرجَه ابنُ جَرِيرٍ (١٩٢٧٧) عن عِكرمةَ قولَه، وعزاه الواحديُّ في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٣) لِلكلبيِّ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (على عَادته؛ هذا تأويلُ رؤياه).

(٤) عزاه الواحديُّ في التفسير الوسيط (٢/ ٦١٣) لِلكَلبيِّ.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (رُؤياه).

(٦) هذا أحد القَولَينِ، والقولُ الآخرُ: أنَّهما رَأَيا ذلك حَقيقةً، وهو الصحيحُ الموافقُ لِظاهرِ القُرآنِ.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (عنه سألتما) بِتقديمِ عنه.

(٨) أخرجَه ابنُ جَرِيرٍ (١٩٢٩٧)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١١٦٣٢) وغيرُهما عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ موقوفًا. وسندُه ضعيفٌ.

(٩) أخرجَ الطبرانيُّ (١١٦٤٠) عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قال: «عَجِبْتُ لصبرِ أَخِي يُوسُفَ وكَرَمِهِ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِيُسْتَفْتَى فِي الرُّؤْيَا، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ حَتَّى أَخْرُجَ، وعَجِبْتُ لصَبْرِهِ وكَرَمِهِ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، أُتِيَ لِيَخْرُجَ فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِعُذْرِهِ، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لبَادَرتُ الْبَابَ، وَلَوْلَا الْكَلِمَةُ لَمَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ؛ حَيْثُ يَبْتَغِي الْفَرَجَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ؛ قَوْلُهُ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾». وقالَ الهَيثميُّ في المَجمَعِ (٧/ ٤٠): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ الْقُرَشِيُّ الْمَكِّيُّ وَهُوَ مَتْرُوكٌ». وصَحَّحَه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٩٨٤)، لكنَّه في الصحيحة (٤/ ٥٩٨) قال: «وهذا إسنادٌ ضعيفٌ جِدًّا، إبراهيم هذا هو الخوزي، متروكُ الحديثِ، كما في (مجمع الزوائد) (٧ / ٤٠) و(التقريب). ولذلك قال ابنُ كثيرٍ: «هذا الحديثُ ضعيفٌ جدًّا». وقد عزاه لِعبدِ الرزَّاق: أخبرنا ابنُ عيينةَ عن عمرو بن دينار عن عِكرمةَ به مرسلاً، لم يذكرِ ابنَ عَبَّاسٍ في إسنادِه، ولا قولَه: «ولَولا الكَلِمةُ ...» في آخرِه. وهو الصَّحيحُ. وإنَّما صحَّ هذا بِلفظٍ آخر».

(١٠) أخرجَه ابنُ جَرِيرٍ (١٩٣٢٣، ١٩٣٢٤) وغيرُه بإسنادٍ حَسنٍ عَنْ قَتَادَةَ.

(١١) أخرجَه ابنُ أبي حاتم (١١٦٤٥) عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. ونقله عنه ابنُ كثيرٍ في تَفسيرِه (٤/ ٣٩٢).

(١٢) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٣٣١) عن ابنِ إسحاقَ، وذكرَه مُقاتِلٌ في تَفسِيرِه (٢/ ٣٣٦)، ولم يَعزُه لأَحدٍ.

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾
قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ
لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

[٤٤] ﴿قَالُوٓاْ﴾: هذه ﴿أَضۡغَٰثُ﴾: أخلاطُ ﴿أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا﴾ أي: مِنَ الفتَيَينِ، وهو السَّاقِي ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ - فيه إبدال التَّاءِ في الأَصلِ دالًا، وإدغامُها في الدَّالِ- أي: تَذَكَّرَ ﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾: حِينٍ، حَالَ يُوسُفَ: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾ فأرسَلُوه، فأَتَى يُوسُفَ فقالَ:

[٤٦] يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: الكَثِيرَ الصِّدْقِ ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: المَلِكِ وأصحابِه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ تَعبيرَها.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ﴾ أي: ازرَعُوا ﴿سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾: مُتَتَابِعةً- وهي تأويلُ السَّبعِ السِّمانِ- ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ﴾ أي: اترُكُوه ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لِئَلَّا يَفسُدَ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ فادرُسُوه[1].

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: السَّبعِ المُخصَبَاتِ ﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾: مُجدِبَاتٌ صِعَابٌ- وهي تأويلُ السَّبعِ العِجَافِ- ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ مِنَ الحَبِّ المَزرُوعِ في السِّنِينَ المُخصَبَاتِ؛ أي: تأكُلونَه فِيهِنَّ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾: تَدَّخِرُونَ.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: السَّبعِ المُجدِبَاتِ ﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بِالمَطَرِ ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ الأَعنَابَ وغيرَها لِخِصْبِه.

[٥٠] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ لَمَّا جاءَه الرَّسُولُ وأخبَرَه بِتَأويلِها: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾ أي: بِالذِي عَبَّرَها ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ﴾ أي: يُوسُفَ ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ وطَلَبَه لِلخُروجِ ﴿قَالَ﴾ قَاصِدًا إِظهارَ بَراءَتِه: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ﴾ أَنْ يسأَلَ: ﴿مَا بَالُ﴾: حَالُ ﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي﴾: سَيِّدِي[2] ﴿بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾[*].

[٥١] فَرَجَعَ فأخبَرَ المَلِكَ فجمَعَهُنَّ ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾: شَأنُكُنَّ ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾؟ هل وَجَدتُنَّ منه مَيلًا إِلَيكُنَّ؟ ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ﴾: وَضَحَ ﴿ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قَولِه: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾[3].

[٥٢] فأُخبِرَ يُوسُفُ بِذلكَ، فقَالَ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: طَلَبُ البَرَاءَةِ ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ العَزِيزُ ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ﴾ في أَهْلِه[4] ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: حَالٌ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ولَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ جَاءَنِي الرَّسُولُ أَجَبْتُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾. التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سُورة يُوسفَ. وحَسَّنَه الألبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٦٠٤). وأصلُه في الصَّحِيحَينِ بِمعناه؛ البُخارِيُّ (٦٩٩٢)، ومسلمٌ (١٥١).

قالَ النَّوويُّ: «... وقالَ النَّبِيُّ ﷺ عَن نَفسِه ما قالَه تَواضُعًا، وإِيثَارًا لِلبَلاغِ في بَيانِ كَمالِ فَضيلةِ يُوسفَ». شرح النَّوويِّ على مسلم (٢/ ٣٣٩-٣٤٠).

---

(١) أي: كرِّروا عليه الدَّوسَ لِتَستَخرِجُوا حَبَّه وتستهلِكوه.

(٢) وقيلَ: المُرادُ بِالرَّبِّ: الله -تَعالَى-، ويكونُ في كَلامِه عَلَيهِ السَّلَامُ التفويضُ لله عَزَّ وَجَلَّ. قالَ البغويُّ في تَفسِيرِه (٤/ ٢٤٨): «أي: إنَّ اللهَ بِصَنِيعِهِنَّ عَالِمٌ». وهو اختيارُ ابنِ عَاشورٍ؛ حيثُ قالَ في التحريرِ والتنويرِ (١٢/ ٢٨٩): «وَهِيَ تَذْيِيلٌ وَتَعْرِيضٌ بِأَنَّ الْكَشْفَ المَطْلُوبَ سَيَنْجَلِي عَنْ بَرَاءَتِهِ، وَظُهُورِ كَيْدِ الْكَائِدَاتِ لَهُ، ثِقَةً بِالله رَبِّهِ أَنَّهُ نَاصِرُهُ».

(٣) يُوسُفُ: ٢٦.

(٤) هذا الذي اختارَه المُصنِّفُ أَنَّ يُوسفَ هو قائلُ ذلكَ: هو قولُ الطبريِّ وبَعضِ التَّابِعينَ كَمُجاهِدٍ وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ والحَسَنِ البَصريِّ وغيرِهم. وظَاهِرُ السِّياقِ والذي عليه أكثرُ المُحقِّقِينَ مِنَ المفسِّرينَ - كابنِ كثيرٍ وابنِ تيميةَ وابنِ القَيِّمِ وغيرِهم- أَنَّ هذا مِنْ كَلامِ امرأةِ العَزيزِ؛ والمَعنَى: لِيَعلَمَ زَوجِي أَنِّي لم أرتَكِبِ الفَاحِشةَ، وإِنَّما هي مُراودةٌ، وما أُبَرِّئُ نَفسِي؛ فإِنَّ النَّفسَ البَشرِيَّةَ يَغلِبُ عليها الشَّهوةُ فتَأمُرُ بالسُّوءِ- ويُنظَرُ التَّعلِيقُ الآتِي- وقالَ السعديُّ في تيسير الكريم الرحمن (ص٤٠٠): «...ويحتملُ أَنَّ المُرادَ بذلكَ: لِيعلمَ يُوسُفُ -حِينَ أقررتُ أَنِّي أنا الذي رَاودتُه، وأَنَّه صَادِقٌ- أَنِّي لم أخنه في حَالِ غَيبَتِه عَنِّي».

الجزء ١٣ الحزب ٢٥

۞وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ
إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤
قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧ وَجَآءَ
إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ
٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا
تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي
بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
٦٢ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣

[٥٣] ثُمَّ تواضعَ لله[١] فقال: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ مِنَ الزَّلَلِ ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾ الجِنسَ[٢] ﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾: كَثِيرةُ الأَمرِ ﴿بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا﴾ بمعنى: «مَنْ» ﴿رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ فعصَمَه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

[٥٤] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾: أجعلْهُ خالِصًا لي دُونَ شَرِيكٍ. فجاءَه الرَّسُولُ وقالَ: أَجِبْ المَلِكَ، فقامَ ووَدَّعَ أَهْلَ السِّجنِ ودَعا لهم، ثُمَّ اغتسلَ ولَبِسَ ثِيابًا حِسانًا، ودَخَلَ عليه[٣] ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ﴾ له: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾: ذُو مَكانَةٍ وأَمانَةٍ على أَمْرِنا، فماذا تَرى أَنْ نَفعَلَ؟ قالَ: اجمَعِ الطَّعامَ وازرَعْ زَرْعًا كَثِيرًا في هذه السِّنِينَ المُخصِبَةِ، وادَّخِرِ الطَّعامَ في سُنبُلِه، فيأتي إليكَ الخَلْقُ ليمتارُوا منكَ[٤]. فقالَ: ومَنْ لي بِهذا؟

[٥٥] ﴿قَالَ﴾ يُوسُفُ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: أَرضِ مِصرَ ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾: ذُو حِفْظٍ وعِلْمٍ بأَمْرِها. وقيلَ: كَاتِبٌ حَاسِبٌ.

[٥٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كَإِنعامِنا عليه بِالخَلاصِ مِنَ السِّجنِ ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أَرضِ مِصرَ ﴿يَتَبَوَّأُ﴾: يَنزِلُ ﴿مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ بَعدَ الضِّيقِ والحَبْسِ. وفي القِصَّةِ أَنَّ المَلِكَ تَوَّجَهُ وخَتَّمَهُ[٥] ووَلَّاه مَكانَ العَزِيزِ، وعَزَلَه. ومَاتَ بَعدُ، فزَوَّجَه امرأَتَه فوَجَدَها عَذراءَ، ووَلَدَتْ له وَلَدَينِ[٦]، وأَقامَ العَدلَ بِمِصرَ، ودَانَتْ لَهُ الرِّقَابُ ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ مِنْ أَجرِ الدُّنيا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

[٥٨] ودَخَلَتْ سِنُو[٧] القَحطِ، وأَصابَ أَرضَ كَنعانَ والشَّامَ ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ إِلَّا بِنيامِينَ، لِيمتَارُوا لَمَّا بَلَغَهم أَنَّ عَزِيزَ مِصرَ يُعطِي الطَّعامَ بِثَمَنِه ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ﴾ أَنَّهم إِخوتُه ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: لا يَعرِفُونَه؛ لِبُعدِ عَهدِهِم به وظَنِّهِم هَلاكَه. فكَلَّمُوه بِالعِبرانيَّةِ، فقالَ كالمُنكِرِ عليهم: ما أَقدَمَكُم بِلادِي؟ فقَالُوا: لِلمِيرَةِ. فقالَ: لَعلَّكُم عُيُونٌ. قالوا: مَعاذَ الله! قالَ: فمِنْ أَينَ أَنتُم؟ قَالُوا: مِنْ بلادِ كَنعَانَ وأَبونا يَعقُوبُ نَبيُّ الله. قالَ: ولَه أَولَادٌ غيرُكم؟ قَالُوا: نَعَمْ، كنَّا اثنَيْ عشَرَ، فذَهَبَ أَصغرُنا؛ هَلَكَ في البَرِّيَّةِ، وكان أَحَبَّنا إِليه، وبَقِيَ شَقِيقُه فاحتَبَسَهُ؛ لِيتَسَلَّى به عنه. فأَمَرَ بِإِنزالِهِم وإِكرامِهِم[٨].

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ وَفَّى لهم كَيلَهم ﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ أي: بِنيامِينَ؛ لِأَعلَمَ صِدقَكُم فيما قُلتُم ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾: أُتِمُّهُ مِنْ غيرِ بَخْسٍ ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾؟

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ أي: مِيرةَ ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾ - نَهيٌ، أَو عَطفٌ على مَحَلِّ: ﴿فَلَا كَيۡلَ﴾- أي: تُحرَمُوا ولا تَقرَبُوا.

[٦١] ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾: سَنجتَهِدُ في طَلَبِه منه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلكَ.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَتِهِ﴾ -وفي قِراءَةٍ: ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾[٩]-: غِلمانِه: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ التي أَتَوا بها ثَمَنَ المِيرةِ- وكانَتْ دَراهِمَ- ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾: أَوْعِيَتِهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ وفَرَّغُوا أَوعِيَتَهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ إِلينا؛ لِأَنَّهم لا يَستَحِلُّونَ إِمساكَها.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ إِنْ لَم تُرسِلْ أَخانا إِليه ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾ - بِالنُّونِ والياءِ[١٠]- ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

---

(١) هذا على اختيارِ المُصنِّفِ أَنَّ الكلامَ المُتقدِّمَ وهذا مِنْ كَلامِ يُوسُفَ، وأَكثرُ المُحقِّقِينَ على خِلافِه، وأنَّه مِنْ كَلامِ امرأةِ العَزِيزِ. قالَ ابنُ تيميةَ في مجموعِ الفتاوى (١٠/ ٢٩٩): «وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ: إِنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ يُوسُفَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا هَذَا القَوْلَ، وَهُوَ قَوْلٌ فِي غَايَةِ الفَسَادِ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ؛ بَلِ الأَدِلَّةُ تَدُلُّ عَلَى نَقِيضِهِ». وقال أيضًا في مجموعِ الفتاوى (١٠/ ٢٩٨): «فَهَذَا كُلُّهُ كَلَامُ امْرَأَةِ العَزِيزِ، وَيُوسُفُ إِذْ ذَاكَ فِي السِّجْنِ، لَمْ يَحْضُرْ بَعْدُ إِلَى المَلِكِ، وَلَا سَمِعَ كَلَامَهُ وَلَا رَآهُ».

(٢) قولُ السُّيوطيِّ: «الجِنس» يَعني أَنَّ «أَل» هي جِنسيَّةٌ، للاستغراقِ الحَقيقيِّ؛ والمُرادُ: كلُّ نَفسٍ بَشريَّةٍ.

(٣) ذكرَ ذلك بعضُ المُفسِّرينَ دُونَ أَنْ يَعزوَه لأحدٍ، كما في تفسيرِ البغويِّ (٤/ ٢٤٩)، والدرِّ المنثورِ لِلسُّيوطيِّ (٨/ ٢٧٦). ولا يُعوَّلُ على شيءٍ منها، ولَيسَ في ذِكرِ هذه التفاصيلِ كبيرُ فائدةٍ، ولا يَضُرُّ الجهلُ بها.

(٤) لَمْ نَجِدْهُ مُسنَدًا، وقد ذكرَ نحوَه الثعلبيُّ في تَفسيرِه (٥/ ٢٣١)، والبَغويُّ (٤/ ٢٤٩)، دُونَ عَزوِه لِأحدٍ. (٥) أي: حلَّاه بِخَاتَمِه.

(٦) رَواهُ ابنُ جَريرٍ (١٩٤٥٩)، وابنُ أَبي حَاتِمٍ (١١٧٢٣) مِنْ قولِ ابنِ إِسحاقَ. وإِسنادُه ضعيفٌ. وساقَ ابنُ عطيَّةَ هذ الرِّوايةَ عنِ ابنِ إِسحاقَ، ثُمَّ قالَ: «ورُوِي في نحوِ هذا من القَصصِ ما لا يُوقَفُ على صِحَّتِه، ويَطولُ الكلامُ بِسَوقِه». يُنظر: المُحرَّرُ الوجيز (٨/ ٨). فهذا الكلامُ ليس عليه دليلٌ صحيحٌ يُعتَمَدُ عليه، وهو يتنافَى مع مَقامِ النُّبوَّةِ؛ إِذ كيفَ يتزوَّجُ نَبيٌّ كريمٌ مِن امرأةٍ عَلِمَ منها إِرادةَ الفَحشَاءِ؟!

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (سِنِيُّ). (٨) عَزاهُ ابنُ كثيرٍ في تَفسيرِه (٤/ ٣٩٨) لِلسُّدِّيِّ وغيرِه.

(٩) ﴿لِفِتۡيَتِهِ﴾ بِتاءٍ مَكسُورةٍ دُونَ أَلِفٍ: لنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ بِأَلِفٍ ونُونٍ مَكسورةٍ. قال في الدُّرِّ المَصونِ (٦/ ٥١٧): «والفِتْيان: جمعُ كثرةٍ، والفِتْيةُ: جمعُ قِلَّةٍ، فالتكثيرُ بالنسبةِ إلى المأمورينَ، والقِلَّةُ بالنسبةِ إلى المتناولينَ».

(١٠) ﴿يَكۡتَلۡ﴾ بالياءِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ. وقرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿نَكۡتَلۡ﴾ بِالنُّونِ.

[٦٤] ﴿قَالَ هَلۡ﴾: ما ﴿ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يُوسُفَ ﴿مِن قَبۡلُ﴾ وقَدْ فَعَلتُم ما فَعَلتُم؟ ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ [حِفۡظًا]﴾ وفي قِراءَةٍ: ﴿حَٰفِظٗا﴾[1]، تمييزٌ؛ كَقَولِهم: للهِ دَرُّه فارِسًا! ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فأرجُو أنْ يَمُنَّ بحِفظِه.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ﴾؟ ﴿مَا﴾: استفهاميَّةٌ؛ أي: أيَّ شيءٍ نَطلبُ مِنْ إكرامِ المَلِك أعظَمَ مِنْ هذا؟ - وقُرِئَ بالفَوقانيَّةِ[2]؛ خِطابًا لِيَعقُوبَ، وكانوا ذَكَروا له إِكرامَه لهم- ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾: نَأتي بالمِيرةِ لهم- وهي الطَّعامُ- ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ لِأَخِينا ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾: سَهْلٌ على المَلِكِ لِسَخائِه.

[٦٦] ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا﴾: عَهدًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بِأَنْ تَحلِفُوا ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾: بِأَنْ[3] تَموتُوا أو تُغلَبُوا فلا تُطِيقُوا الإتيانَ به. فأَجابُوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾ بذلكَ ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحنُ وأنتُم ﴿وَكِيلٞ﴾: شَهيدٌ. وأرسَلَه معهم.

[٦٧] ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ﴾ مِصرَ ﴿مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ لِئلَّا تُصِيبَكُم العَينُ ﴿وَمَآ أُغۡنِي﴾: أَدفَعُ ﴿عَنكُم﴾ بِقَولي ذلك ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن﴾: زَائِدةٌ ﴿شَيۡءٍۖ﴾ قَدَّرَه عليكم! وإنَّما ذلكَ شَفَقَةٌ ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ وَحدَه ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾: به وَثِقتُ ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[٦٨] قالَ تعالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ أي: مُتفرِّقِينَ ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: قَضائِه ﴿مِن﴾: زَائِدةٌ ﴿شَيۡءٍ إِلَّا﴾: لكن ﴿حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾ وهي إِرادةُ دَفعِ العَينِ شَفَقَةً[4] ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾: لِتَعليمِنا إيَّاه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ - وهُمُ الكُفَّارُ- ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ إلهامَ اللهِ لِأَصفِيائِه[5].

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾: ضَمَّ ﴿إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾: تَحزَنْ ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ مِنَ الحَسدِ لنَا. وأَمَرَه أنْ لَا يُخبِرَهُم، وتَواطَأَ معه على أنَّه سَيَحتالُ على أنْ يُبقِيَه عِندَه.

قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ
مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ
أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ
لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي
بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا
نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ
وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن
شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ
ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ
يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ
قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ
قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾

(١) ﴿حَٰفِظٗا﴾ بِفَتحِ الحَاءِ وكَسرِ الفَاءِ وأَلِفٍ بينهما: قِرَاءَةُ حفصٍ وحمزةَ والكِسَائِيِّ. والقِراءةُ الأُولى: ﴿حِفۡظًا﴾ بِكسرِ الحَاءِ وسُكُونِ الفَاءِ دُونَ أَلِفٍ: لِنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبةَ.

(٢) أي: «تَبْغِي»، وهي قِراءةٌ شاذَّةٌ.

(٣) في نُسخَةِ قَباوَة: (أي: تَموتُوا).

(٤) رَواهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٤٩٥، ١٩٤٩٨)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ (١١٧٧٣) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، وأخرجَه ابنُ أبي حاتم (١١٧٧٠) عَنْ قَتَادَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

(٥) في نُسخة قَباوة: (لأَوليائِه).

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ
ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

ربع الحزب ٢٥

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ - هي صَاعٌ مِنَ الذَّهَبِ(١)، مُرصَّعٌ بِالجوهَرِ(٢)- ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامِينَ ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نَادَى مُنَادٍ، بَعدَ انفِصَالِهم عَن مَجلِسِ يُوسُفَ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾: القَافِلَةُ ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا۟ وَ﴾ قدْ ﴿أَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا﴾: ما الذِي ﴿تَفْقِدُونَ﴾ ـهُ؟

[٧٢] ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾: صَاعَ ﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ مِنَ الطَّعَامِ ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾: بِالحِمْلِ ﴿زَعِيمٌ﴾: كَفِيلٌ.

[٧٣] ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ - قَسَمٌ فيه مَعنَى التَّعَجُّبِ- ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾: ما سَرَقنَا قَطُّ!

[٧٤] ﴿قَالُوا۟﴾ أي: المُؤذِّنُ وأصحَابُه: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي: السَّارقِ ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في قَولِكُم: «ما كنَّا سَارِقِينَ»، ووُجِدَ فِيكُم؟

[٧٥] ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾: مُبتدأٌ، خَبَرُه: ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ يُسْتَرَقُّ. ثُمَّ أُكِّدَ بِقَولِه: ﴿فَهُوَ﴾ أي: السَّارِقُ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي: المَسرُوقِ لا غيرُ. وكانَت سُنَّةَ آلِ يَعقُوبَ(٣) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجَزاءِ ﴿نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بِالسَّرِقَةِ. فصَرفُوا لِيُوسُفَ(٤) لِتَفتِيشِ أَوعِيَتِهم.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ فَفَتَّشَها ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لِئَلَّا يُتَّهَمَ ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السِّقَايَةَ ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾. قالَ تعالَى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكَيدِ ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: عَلَّمنَاه الاحتِيَالَ في أَخْذِ أَخِيه(٥) ﴿مَا كَانَ﴾ يُوسُفُ ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رَقِيقًا عَنِ السَّرِقَةِ ﴿فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾: حُكمِ مَلِكِ مِصرَ؛ لِأَنَّ جَزاءَه عندَه الضَّربُ وتَغريمُ مِثلَي المَسروقِ لا الاسترقَاقُ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أَخْذَه بِحُكمِ أَبِيه؛ أي: لم يَتمكَّنْ مِنْ أَخْذِه إِلَّا بِمَشيئةِ اللهِ(٦) بِإلهَامِه سُؤالَ إِخوَتِه وَجوابِهم بِسُنَّتِهم ﴿نَرْفَعُ [دَرَجَٰتٍ] مَّن نَّشَآءُ﴾ - بِالإِضافَةِ والتَّنوِينِ(٧)- في العِلْمِ كيُوسُفَ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ مِنَ المَخلُوقِينَ ﴿عَلِيمٌ﴾: أَعلَمُ منه، حتَّى يَنتهِيَ إِلى الله -تَعالَى-.

[٧٧] ﴿* قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: يُوسُفُ. وكانَ سَرَقَ لِأَبِي أُمِّه صَنَمًا مِنْ ذَهَبٍ فكَسَرَه؛ لِئَلَّا يَعبُدَه(٨). ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾: يُظهِرْها ﴿لَهُمْ﴾ والضَّميرُ لِلكَلِمةِ التي في قَولِه: ﴿قَالَ﴾ في نَفسِه(٩): ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مِن يُوسُفَ وأَخِيه؛ لِسَرِقَتِكُم أَخَاكُم مِنْ أَبِيكُم وظُلمِكُم له ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾: عَالِمٌ ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾: تَذْكُرونَ مِنْ أَمْرِه.

[٧٨] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يُحِبُّه أَكثرَ مِنَّا، ويَتَسلَّى به عَنْ وَلَدِه الهَالِكِ، ويُحزِنُه فِراقُه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾: استَعبِدْه ﴿مَكَانَهُۥٓ﴾: بَدَلًا منه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعَالِك.

---

(١) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٥١٩) عن ابنِ وَهبٍ قالَ: قالَ ابنُ زيدٍ في قوله: ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾، قالَ: «﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾ هو: «الصُّوَاعُ»، وكان كأسًا مِنْ ذَهَبٍ، فيما يَذكُرونَ»، وابنُ زيدٍ هو عبدُ الرحمن ابنُ زيدِ بنِ أسلم، وهو ضعيفٌ. ولايُدرَى مَنْ يَقصدُ بقولِه: «فيما يَذكرونَ».

(٢) قالَ البغويُّ في تَفسِيرِه (٤/ ٢٦٠) في بَيانِ مَعناها: «وَقَالَ عِكْرِمَةُ: كَانَتْ مَشْرَبَةً مِنْ فِضَّةٍ مُرَصَّعَةً بِالجَوَاهِرِ».

(٣) عَزَاه ابنُ الجوزيِّ في زاد المسير (٢/ ٤٥٨) لابنِ عبَّاسٍ. ولم نقِفْ له على سَنَدٍ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (إلى يوسف).

(٥) وفي الآيةِ إثباتُ صِفةِ الكَيدِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به سبحانه. وهذه ونحوها مِنَ الألفاظِ والمُسمَّياتِ المُضَافةِ إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ كَلَفظِ «المكرِ»، وَ «الاستِهزَاءِ»، وَ «السُّخرِيَةِ» المُضَافِ إلَى الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهي -كما قالَ أهلُ السُّنَّةِ-: «إِذَا فُعِلَتْ بِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ كَانَتْ ظُلْمًا لَهُ، وَأَمَّا إِذَا فُعِلَتْ بِمَنْ فَعَلَهَا بِالْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ عُقُوبَةً لَهُ بِمِثْلِ فِعْلِهِ كَانَتْ عَدْلًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ فَكَادَ لَهُ كَمَا كَادَتْ إِخْوَتُهُ، لَمَّا قَالَ لَهُ أَبُوهُ: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾» يُنظرُ: مجموع الفتاوى (٧/ ١١١)، وتفسيرُ القاسميِّ (١/ ١٥٠).

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الله تعالى)؛ بِزيادةِ: (تعالى) بعدَ لفظِ الجلالةِ.

(٧) ﴿دَرَجَٰتِ مَن﴾ بالإضافةِ: لِنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. وقرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿دَرَجَٰتٍ مَّن﴾؛ بالتنوينِ.

(٨) روى ذلك ابنُ مردويه -كما في الدُّرِّ المنثورِ (٨/ ٢٦٧)- عَنِ ابنِ عبَّاسٍ مرفوعًا، ورَوَاهُ عبدُ الرزَّاقِ (١٣٢٨) عَنْ قَتَادَةَ، قوله، بِصِيغةِ التَّمريضِ؛ قالَ: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ سَرَقَ حِينَمَا كَانَ لِجَدِّهِ أَبِي أُمِّهِ فَعَيَّرُوهُ بِذَلِكَ...» وقِيلَ غيرُ ذلك. ولم يَصحَّ من ذلك شيءٌ؛ مرفوعًا ولا موقوفًا، والصحيحُ أنَّ قولَهم هذا مَحضُ كَذِبٍ وافتراءٍ على يُوسُفَ وأخيه، كما نقلَ القرطبيُّ عَنِ الحَسنِ البَصريِّ.

(٩) نقله عبدُ الرزَّاق (١٣٢٨) عَنْ قَتَادَةَ؛ قالَ: «أَسَرَّ هَذَا الْقَوْلَ».

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ
قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ
ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ
٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ
٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ
فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ
٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي
وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦

[٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ - نُصِبَ على المَصدَرِ، حُذِفَ فِعْلُه، وأُضِيفَ إلى المفعُولِ- أي: نَعوذُ بِاللهِ مِنْ ﴿أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾! لم يَقُلْ: «مَنْ سَرقَ»؛ تَحَرُّزًا مِنَ الكَذِبِ ﴿إِنَّآ إِذٗا﴾: إِنْ أَخذنَا غيرَه ﴿لَّظَٰلِمُونَ﴾.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾: يَئسُوا ﴿مِنۡهُ خَلَصُواْ﴾: اعتَزَلُوا ﴿نَجِيّٗاۖ﴾ - مَصدَرٌ يَصلُحُ للوَاحِدِ وغَيرِه- أي: يُنَاجِي بَعضُهم بَعضًا ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ سِنًّا «رَوْبِيلُ»[1]، أو رَأيًا «يَهُوذَى»[2]: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا﴾: عَهْدًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في أَخِيكُم؟ ﴿وَمِن قَبۡلُ مَا﴾: زَائِدةٌ ﴿فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾ وقِيلَ: ﴿مَا﴾: مَصدَرِيَّةٌ مُبتدأ، خَبَرُه: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ﴾: أُفَارِقَ ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ أرضَ مِصرَ ﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ بِالعَودِ[3] إِليه ﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾ بِخَلَاصِ أَخِي ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾: أَعْدَلُهُمْ.

[٨١] ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾: تَيَقَّنَّا مِنْ مُشَاهَدَةِ الصَّاعِ فِي رَحْلِه ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ﴾: لِمَا غَابَ عنَّا، حِينَ إِعطَاءِ المَوثِقِ ﴿حَٰفِظِينَ﴾ - ولو عَلِمنَا أَنَّه يَسرِقُ لَمْ نَأْخُذْه-.

[٨٢] ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مِصر؛ أي: أَرسِلْ إلى أَهلِهَا فاسَألْهُم ﴿وَٱلۡعِيرَ﴾ أي: أصحَابَ العِيرِ ﴿ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾ - وهُم قَومٌ مِنْ كَنعَانَ[4]- ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قَولِنا.

[٨٣] فرَجَعُوا إِليه، وقَالُوا له ذلكَ ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ ففَعَلتُمُوه. اتَّهَمَهم لِمَا سَبَقَ منهم، مِنْ أَمرِ يُوسُفَ ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ﴾ صَبرِي ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ﴾: بِيُوسُفَ وأَخَوَيهِ ﴿جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بِحَالِي ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه.

[٨٤] ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ تَارِكًا خِطَابَهم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ - الأَلِفُ: بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الإِضَافَةِ[5]- أي: يا حُزنِي ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ﴾: انْمَحَقَ سَوادُهما وبُدِّلَ بَيَاضًا مِنْ بُكَائِه ﴿مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٞ﴾: مَغمُومٌ مَكرُوبٌ، لا يُظهِرُ كَرْبَه.

[٨٥] ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ لا ﴿تَفۡتَؤُاْ﴾: تَزَالُ ﴿تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: مُشْرِفًا على الهَلاكِ لِطُولِ مَرَضِكَ- وهو مَصدَرٌ يَستَوِي فيه الوَاحِدُ وغيرُه- ﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾: المَوتَى!

[٨٦] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾ - هو عَظِيمُ الحُزْنِ، الذي لا يُصبَرُ عليه حتَّى يُبَثَّ إلى النَّاسِ- ﴿وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غَيرِه؛ فهو الذي تَنفَعُ الشَّكوَى إليه ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ مِنْ أَنَّ رُؤيَا يُوسُفَ صِدْقٌ، وهو حَيٌّ. ثُمَّ قَالَ:

---

(١) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٦٢٥، ١٩٦٢٦)، وابنُ أبي حَاتم (١١٨٥٢، ١١٨٥٣) بإسنادٍ صحيحٍ، عَنْ قَتَادَةَ قوله. قال ابن جرير (١٣/ ٢٨٤): «أَوْلَى الأَقْوالِ في ذَلِكَ بالصِّحَّةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنَى بِقَوْلِه: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾: رُوبِيلُ؛ لإِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنًّا».

(٢) قاله مقاتلٌ كما في تَفسِيرِه (٢/ ٣٤٧)، وعزاه البَغويُّ في تَفسِيرِه (٤/ ٢٦٥) لابنِ عَبَّاسٍ.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوة: (بِالعَودَةِ).

(٤) ذكره غيرُ واحدٍ مِنَ المفسِّرِينَ، ولم يَعزُه لأحدٍ. يُنظَرُ: البغويُّ (٤/ ٢٦٧)، والكشف والبيان لِلثعلبيِّ (٥/ ٢٤٦)، وتفسير القاسميِّ (٦/ ٢٠٨).

(٥) أصلُها: يا أسفي.

يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ
ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ
مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا
ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ
﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ
جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ
وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ
ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ
﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ
بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: اطلُبُوا خبرَهما ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟﴾: تقنَطُوا ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: رَحمَتِه ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فانطَلَقُوا نحوَ مِصرَ لِيُوسُفَ.

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: الجُوعُ ﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾: مَدفُوعَةٍ[1] يدفعُها كُلُّ مَنْ رَآها لِرَداءتِها. وكانت دَراهِمَ زُيوفًا[2]، أو غيرَها ﴿فَأَوْفِ﴾: أَتِمَّ ﴿لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ بِالمُسامحةِ عَنْ رَداءَةِ بِضاعَتِنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾: يُثِيبُهم. فَرَقَّ لهم وأدركَتْهُ الرَّحمَةُ، ورَفَعَ الحِجابَ بينَه وبينَهم.

[٨٩] ثُمَّ ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخًا: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ مِنَ الضَّربِ والبَيعِ وغيرِ ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾ مِنْ هَضمِكُم له بعدَ فِراقِ أخيهِ ﴿إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ﴾ ما يَئولُ إليه أمرُ يُوسُفَ؟

[٩٠] ﴿قَالُوٓا۟﴾ بعدَ أنْ عَرَفُوه، لِمَا ظَهَرَ مِنْ شَمائِلِه، مُثْبِتِينَ: ﴿أَءِنَّكَ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ وتَسهِيلِ الثَّانِيةِ، وإِدخالِ أَلِفٍ بينَهما على الوَجْهَينِ[3]- ﴿لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ﴾: أنعمَ ﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بِالاجتِماعِ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾: يَخَفِ اللهَ ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على ما يَنالُه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ - فيه وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَرِ[4]-.

[٩١] ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ﴾: فضَّلَكَ ﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِالمُلكِ وغيرِه ﴿وَإِن﴾: مُخفَّفَةٌ؛ أي: إنَّا ﴿كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ﴾ آثِمِينَ في أمرِكَ، فأذَلَّنا لك[5]!

[٩٢] ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾: عَتْبَ ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّه مَظِنَّةُ التَّثريبِ، فغيرُه أَوْلَى ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

[٩٣] وسألَهم عَنْ أبيه، فقالُوا: ذَهبتْ عَيناهُ، فقالَ: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا﴾ -وهو قَمِيصُ إبراهيمَ الذي لَبِسَه حِينَ أُلقِيَ في النَّارِ، كانَ في عُنُقِه في الجُبِّ، وهو مِنَ الجَنَّةِ[6]، أمَرَه جِبريلُ بِإرسالِه، وقالَ: إنَّ فيه رِيحَها، ولا يُلقَى على مُبتَلًى إلَّا عُوفِيَ[7]- ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ﴾: يَصِرْ ﴿بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾: خَرَجَتْ مِنْ عَرِيشِ مِصرَ ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لِمَنْ حَضَرَ، مِنْ بَنِيه وأولادِهِم: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوصَلَتْه إليه الصَّبا[8]، بِإذْنِه -تعالَى- مِنْ مَسِيرِ ثَلاثَةِ أيامٍ[9] أو ثَمانِيَةٍ[10]، أو أكثَرَ ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تُسَفِّهُونِ لَصَدَّقتُمُوني.

[٩٥] ﴿قَالُوا۟﴾ له: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: خَطَئِكَ ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ مِنْ إِفراطِكَ في مَحبَّتِه، ورَجاءِ لِقائِه على بُعدِ العَهْدِ!

---

(١) أي: مَردودةٍ.

(٢) رَواهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٧٤١، ١٩٧٤٢) وابنُ أبي حَاتِمٍ (١١٩٢٢) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. و«زُيوف»: جمع «زَيف»، وهو الذي خُلِطَ به نُحاسٌ أو غيرُه مَعَ الفِضَّةِ، فيكون مَرغوبًا عنه.

(٣) أي: التَّحقيقُ والتَّسهيلُ. وقرأ ابنُ كثيرٍ هنا بِالخبرِ: ﴿إِنَّكَ﴾؛ بِهمزةٍ واحدةٍ مَكسورةٍ، وبَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالاستفهامِ، وسَهَّلَ الثانيةَ نافعٌ وأبو عمرٍو، وحقَّقَ الباقُونَ، وأدخل بينهما أَلِفًا أبوعمرٍو، ولِهشام الإدخالِ وعَدمِه.

(٤) إِذِ الأَصلُ أن تكونَ: «فإنَّ الله لا يُضيعُ أجرَهم».

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فأذَلَّنا اللهُ لكَ)، وفي قُرَّةِ العَينَينِ: (فأذللنَاكَ).

(٦) رَواهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (١١٩٥٦) عَنِ الحَكَمِ، عَنِ المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ حَنْطَبٍ، قوله. والحَكَمُ هو: ابنُ عبدِ الله الأيليُّ؛ قالَ عنه أحمدُ: أحاديثُه كُلُّها موضوعةٌ. وقالَ أبو حاتم: كذَّابٌ. وقالَ النَّسائيُّ والدارقطنيُّ وجماعةٌ: متروكُ الحديث. يُنظرُ: ميزان الاعتدال (١/ ٥٧٢).

(٧) ليسَ على ذلك دليلٌ، وإنَّما هو مِنَ الإسرائيليَّاتِ التي لا يُعتمَدُ مِثلُها في تفسيرِ كلامِ الله، كما أنَّ ظاهرَ نِسبةِ يُوسُفَ القَميصَ لِنفسِه عَلَيْهِ السَّلَامُ خِلافُ ما ذُكِرَ، والله أعلمُ.

(٨) «الصَّبا»: رِيحٌ مَهبُّها مِنْ مُطلعِ الشَّمسِ؛ إذا استوى الليلُ والنهارُ، ومُقابلتُها: «الدَّبورُ». وأخرَجَ البُخاريُّ (١٠٣٥)، وفي عِدَّةِ مَواضعَ، ومسلمٌ (٩٠٠) مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ مرفوعًا: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ».

(٩) عزاه البغويُّ في تَفسِيرِه (٤/ ٢٧٥) لمجاهِدٍ، قَالَ: «أصَابَ يَعْقُوبَ رِيحُ يُوسُفَ مِنْ مَسِيرَةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ».

(١٠) رَواهُ عبدُ الرزَّاقِ (١٣٤٣)، وابنُ جرير (١٩٨١٥، ١٩٨١٦) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قوله.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟
لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ
فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ
تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ
وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

الحزب ٢٥

[٩٦] ﴿فَلَمَّآ أَن﴾ - زَائِدةٌ- ﴿جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ يهوذَى[١] بالقَمِيصِ. وكان قدْ حَمَلَ قَمِيصَ الدَّمِ[٢]، فأَحبَّ أنْ يُفرِحه كما أَحْزَنه ﴿أَلْقَىٰهُ﴾: طَرَحَ القَمِيصَ ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ﴾: رَجَعَ ﴿بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؟

[٩٧] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَخَّرَ ذلك إلى السَّحَرِ؛ لِيَكُونَ أقربَ إلى الإجابةِ[٣]، أو[٤] إلى لَيلَةِ الجُمُعَةِ[٥]. ثُمَّ توجَّهُوا إلى مِصرَ، وخَرَجَ والأكابِرُ لِتَلَقِّيهم[٦].

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ في مَضرِبِه[٧] ﴿ءَاوَىٰٓ﴾: ضَمَّ ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: أَباه وأُمَّه، أو خَالَتَه[٨] ﴿وَقَالَ﴾ لَهُم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ فدَخَلُوا. وجَلَسَ يُوسفُ على سَرِيرِه.

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾: أجلَسَهُما مَعَه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: السَّرِيرِ ﴿وَخَرُّوا۟﴾ أي: أَبَواه وإِخْوَتُه ﴿لَهُۥ سُجَّدًا﴾ سُجُودَ انحِنَاءٍ لا وَضعَ جَبهةٍ- وكان تَحِيَّتَهم في ذلكَ الزَّمانِ[٩]- ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾: إليَّ ﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ - لَمْ[١٠] يَقُلْ: «مِنَ الجُبِّ» تكرُّمًا؛ لِئَلَّا تَخجَلَ[١١] إِخْوَتُه- ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: البَادِيَةِ ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾: أَفسَدَ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِخَلْقِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه. وأَقامَ عندَه أبوه أربعًا وعِشرِينَ سَنةً، أو سَبعَ عَشْرةَ سَنةً. وكانَتْ مُدَّةَ فِراقِه ثَمانِيَ عَشَرَةَ، أَوْ أربَعِينَ، أَوْ ثَمانِينَ سَنةً. وحَضَرَه الموتُ فوَصَّى يُوسُفَ أَنْ يَحمِلَه ويَدفِنَه عندَ أَبِيه. فمَضَى بِنَفسِه ودَفَنَه ثَمَّةَ، ثُمَّ عادَ إِلى مِصرَ، وأقامَ بَعدَه ثَلاثًا وعِشرينَ سَنةً[١٢]. ولَمَّا تَمَّ أَمْرُه، وعَلِمَ أَنَّه لا يَدُومُ تَاقَتْ نَفسُه إلى المُلكِ الدَّائمِ، فقالَ:

[١٠١] ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تَعبِيرِ الرُّؤيَا ﴿فَاطِرَ﴾: خَالِقَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ﴾: مُتَوَلِّي مَصالِحِي ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مِنْ آبائي. فعَاشَ بعدَ ذلك أُسبُوعًا، أو أكثرَ ومَاتَ، وله مِائةٌ وعِشرُونَ سَنةً[١٣]. وَتَشَاحَّ المِصرِيُّونَ في قَبرِه، فجَعَلُوه في صُندُوقٍ مِنْ مَرمَرٍ[١٤]، ودَفَنُوه في أعلَى النِّيلِ؛ لِتَعُمَّ البَرَكَةُ جَانِبَيه[١٥]. فسُبحَانَ مَنْ لا انقِضَاءَ لِمُلكِه!

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ مِنْ أَمرِ يُوسُفَ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾: أَخبَارِ ﴿ٱلْغَيْبِ﴾: ما غَابَ عنك -يا مُحَمَّد- ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لَدَى إِخوَةِ يُوسُفَ ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ في كَيدِه، أي: عَزَمُوا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به- أي: لَم تَحضُرْهُم، فتَعرِفَ قِصَّتَهم؛ فتُخبِرَ بها، وإِنَّما حَصَلَ لك عِلْمُها مِنْ جِهَةِ الوَحْيِ-.

[١٠٣] ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أَهلِ مَكَّةَ ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إِيمانِهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٨٦٠، ١٩٨٦٣)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١١٩٧٨) عَنْ مُجَاهِدٍ، قوله.

(٢) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٨٦٧)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١١٩٥٥) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ السُّدِّيِّ، قوله.

(٣) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٨٧٠)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١١٩٨٣)، وسعيدُ بنُ منصورٍ في سُنَنِه (١١٤٤) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَن عبدِ الله بنِ مَسعودٍ، موقوفًا.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وقيل:) بدلًا مِن: (أو).

(٥) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٨٧٥، ١٩٨٧٦)، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، مرفوعًا، وسندُه ضعيفٌ، ضعَّفَه الشيخُ أحمد شاكر في تعليقِه على المُسنَدِ (١٢/ ٢٦٢)، ورواه الحَاكمُ في مُستَدرَكِه (١/ ٤٦١)، وقالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وتعقَّبَه الذَّهبيُّ بقولِه: «هذا حديثٌ مُنكَرٌ شاذٌّ، أخافُ لا يكونُ مَوضوعًا». ورواه الترمذيُّ (٣٥٧٠)، وقالَ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ». وحكم الألبانيُّ بِوَضعِه في الضعيفة (٣٣٧٤).

(٦) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٨٧٧) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عن السُّدِّيِّ، ورواه (١٩٨٧٨) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ فَرْقَدٍ السَّبَخِيِّ.

(٧) أي: خيمته، وكان ذلك خارجَ المدينةِ على عَادَةِ الملوكِ.

(٨) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٩٨٨١)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١١٩٨٦، ١١٩٩١) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ السُّدِّيِّ. وروى ابنُ جريرٍ (١٩٨٨٢) عن ابنِ إسحاقَ، قالَ: «أباه وأُمَّه». واختارَه ابنُ جرير.

(٩) روى ابنُ جرير (١٩٩٠١، ١٩٩٠٢) عَنْ قَتَادَةَ: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾؛ قالَ: «وَكَانَتْ تَحِيَّةَ مَنْ قَبْلَكُمْ»، ورواه أيضًا (١٩٩٠٠) عن ابنِ إسحاقَ.

(١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ولم)؛ بِزِيادةِ الوَاوِ.

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يخجل).

(١٢) هذه التفاصيلُ لا دليلَ صحيح عليها، فالأَوْلَى الاكتفاءُ بِما قَصَّه الله علينا، وهو أحسنُ القَصَصِ.

(١٣) لم نَقِفْ عليه مُسنَدًا. وقد ذكرَه جماعةٌ دونَ نِسبتِه لأحدٍ؛ منهم الطبريُّ في تاريخِه (١/ ٣٦٣)، وابنُ الأثيرِ في جامعِ الأُصول (١٢/ ١١٤). وقال ابنُ طاهرٍ المقدسيُّ في البدءِ والتاريخ (٣/ ٦٩): «وفي التَّورَاةِ أَنَّ يُوسفَ ماتَ وهو ابنُ مِائةٍ وعِشرونَ [كذا في الأَصْلِ] سنةً».

(١٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (صُندوقِ مَرمَرٍ).

(١٥) هذه التفاصيلُ لا دليلَ صحيح عليها، فالأَوْلَى الاكتفاءُ بِما قَصَّه الله علينا، وهُو أحسَنُ القَصَصِ.

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ
ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ
وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟
جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ
مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تَأْخُذُه ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّن﴾: وكَم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ دالَّةٍ على وَحدانيَّةِ اللهِ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: يُشاهِدُونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يَتفكَّرُونَ فيها!

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ حيثُ يُقِرُّونَ بأنَّه الخالِقُ الرَّازِقُ ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ به، بِعِبادَةِ الأَصنامِ، ولِذا كانُوا يَقولُونَ في تَلبيَتِهم: «لبيَّكَ لا شَرِيكَ لكَ، إلَّا شَرِيكًا هُو لكَ، تَملِكُه وما ملَكَ»[1]. يَعنُونَها.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾: نِقْمَةٌ تَغشاهُم ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فَجأَةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقتِ إتيانِها قَبلَهُ؟

[١٠٨] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ وفَسَّرَها بِقَولِه: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى﴾ دِينِ ﴿ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾: آمنَ بِي- عَطفٌ على ﴿أَنَا۠﴾ المُبتدأِ، المُخبَرِ عنه بما قَبلَه- ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تَنزيهًا له عَنِ الشُّرَكاءِ! ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مِنْ جُملَةِ سَبيلِه أيضًا.

[١٠٩] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا [يُوحَىٰ]﴾ - وفي قِراءَةٍ بالنُّونِ وكَسرِ الحاءِ[2]- ﴿إِلَيْهِم﴾ لا مَلائكةً ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: الأَمصارِ؛ لِأَنَّهم أعلَمُ وأحلَمُ، بِخِلافِ أَهْلِ البَوادِي لِجَفائِهم وَجَهْلِهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾: أَهلُ مَكَّةَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: آخِرُ أَمرِهم، مِنْ إِهلاكِهم بِتكذِيبِهم رُسُلَهم؟ ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الجَنَّةُ ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ اللهَ ﴿أَفَلَا [يَعْقِلُونَ]﴾ بالياءِ، والتَّاءِ[3]: يا أهلَ مَكَّةَ هذا فتُؤمِنُونَ؟

[١١٠] ﴿حَتَّىٰٓ﴾: غايةٌ لِمَا دَلَّ عليه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي: فتَراخى نَصْرُهُم، حتَّى ﴿إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ﴾: يَئِسَ ﴿ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟﴾: أيقَنَ الرُّسُلُ[4] ﴿أَنَّهُمْ قَدْ [كُذِّبُوا۟]﴾ بِالتَّشدِيدِ: تَكذِيبًا لا إِيمانَ بعدَه، والتَّخفِيفِ[5]؛ أي: ظَنَّ الأُمَمُ أنَّ الرُّسُلَ أُخلِفُوا ما وُعِدُوا به مِنَ النَّصرِ ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا [فَنُنجِى]﴾ - بِنُونَينِ مُشدَّدًا ومُخفَّفًا، وبِنُونٍ مُشدَّدًا: ماضٍ[6]- ﴿مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عَذابُنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: المُشرِكِينَ.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي: الرُّسُلِ ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أَصحابِ العُقُولِ ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القُرآنُ ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يُختلَقُ ﴿وَلَٰكِن﴾ كانَ ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قَبلَه مِنَ الكُتُبِ ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: تَبيِينَ ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ يُحتاجُ إليه في الدِّينِ ﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلالَةِ ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكرِ لانتِفاعِهم به دُونَ غيرِهم.

---

(١) رَواهُ مُسلِمٌ (١١٨٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ المُشرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ. قال القاضي في شرح النوويِّ على مسلم (٨/ ٩٠): «قَدْ قَدْ» رُوي بِإِسكانِ الدَّالِ وكَسرِها مع التنوينِ. ومعناه: كَفاكُم هذا الكلام، فاقتصروا عليه ولا تَزيدُوا».

(٢) ﴿يُوحَىٰ﴾ بالياءِ وفتحِ الحاءِ: قِراءَةُ السَّبعَةِ عدا حفصٍ، وقرأ حفصٌ بالنُّونِ وكَسرِ الحاءِ: ﴿نُوحِى﴾.

(٣) ﴿يَعْقِلُونَ﴾ بالياءِ: لِحَمزَةَ والكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَعْقِلُونَ﴾، بالتَّاءِ.

(٤) وهذا راجعٌ لِقراءةِ التشديدِ في ﴿كُذِّبُوا۟﴾.

(٥) ﴿كُذِّبُوا۟﴾ بالتَّشدِيدِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: بتخفيفِ الذَّالِ، ﴿كُذِبُوا۟﴾.

(٦) حاصِلُ ما ذَكره ثَلاثُ قِراءاتٍ، وظاهِرُ كلامِه أنَّها كلَّها سَبعيَّةٌ، وليسَ كذلك؛ فقِراءةُ التَّشديدِ مَع النُّونَينِ قِراءَةٌ شاذَّةٌ. قرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ بنونٍ واحدةٍ مَع تَشدِيدِ الجِيمِ وفَتحِ الياءِ: ﴿فَنُجِّىَ﴾، وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿فَنُنجِى﴾؛ بتَخفِيفِ الجيمِ وزِيادَةِ نونٍ ساكنةٍ قبلَها مَع سُكونِ الياءِ.

سورة الرعد

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيَةَ، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآيَةَ.
أو: مَدَنِيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ الآيَتَيْنِ، ثَلاثٌ، أو: أربعٌ،
أو: خَمسٌ، أو: سِتٌّ وأربعُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓرۚ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ ﴿تِلْكَ﴾: هَذِهِ الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ- والإِضَافَةُ بِمَعنَى: «مِنْ»- ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القُرآنُ. مُبتَدأٌ، خبَرُه: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: لا شَكَّ فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهلِ مَكَّةَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِأَنَّه مِنْ عِندِه- تعَالَى-.

[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العَمَدَ: جَمعُ عِمادٍ- وهو الأُسطُوَانَةُ. وهُو صَادِقٌ بِأَنْ لَا عَمَدَ أصلًا- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استوَاءً يَلِيقُ به[1] ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذَلَّلَ ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ في فَلَكِه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يَومِ القِيامَةِ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يَقْضِي أمْرَ مُلْكِه ﴿يُفَصِّلُ﴾: يُبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: دَلَالاتِ قُدرَتِه ﴿لَعَلَّكُم﴾ - يا أَهلَ مَكَّةَ- ﴿بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ﴾: بِالبَعْثِ[2] ﴿تُوقِنُونَ﴾.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ﴾: بَسطَ ﴿ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾: خلَقَ ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جِبالًا ثَوابِتَ ﴿وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ مِنْ كُلِّ نوعٍ ﴿يُغْشِى﴾: يُغطِّي ﴿ٱلَّيْلَ﴾: بِظُلْمَتِه ﴿ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكُورِ ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دَلَالاتٍ على وَحدَانِيَّتِه- تعَالَى- ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنْعِ اللهِ.

[٤] ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾: بِقَاعٌ مُختَلِفَةٌ ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: مُتَلاصِقَاتٌ، فمِنها طَيِّبٌ وسَبِخٌ، وقَليلُ الرَّيعِ وكَثِيرُه. وهو مِنْ دَلَائِلِ قُدرَتِه- تعَالَى- ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾: بَساتِينُ ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ﴾ بِالرَّفعِ: عَطفًا على ﴿جَنَّٰتٌ﴾، والجرِّ[3]: على ﴿أَعْنَٰبٍ﴾، وكَذا قَولُه[4]: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾: جَمعُ صِنْوٍ- وهي النَّخلَاتُ، يَجمَعُها أَصلٌ وَاحِدٌ وتَتَشعَّبُ فُرُوعُها- ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: مُنفَرِدَةٍ ﴿[تُسْقَىٰ]﴾ بِالتَّاءِ؛ أي: الجَنَّاتُ وما فيها، واليَاءِ[5]؛ أي: المذكُورُ ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾ - بِالنُّونِ واليَاءِ[6]- ﴿بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ بِضَمِّ الكَافِ وسُكُونِها[7]؛ فمِنْ حُلوٍ وحَامِضٍ، وهُو مِنْ دَلَائِلِ قُدرَتِه- تعَالَى- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

[٥] ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ﴾ - يا مُحمَّد- مِنْ تَكذِيبِ الكُفَّارِ لكَ ﴿فَعَجَبٌ﴾: حَقِيقٌ بِالعَجَبِ ﴿قَوْلُهُمْ﴾ مُنكِرِينَ البَعْثَ: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ لِأَنَّ القَادِرَ على إِنشَاءِ الخَلْقِ وما تَقدَّمَ، على غَيرِ مِثَالٍ، قَادِرٌ على إعَادَتِهم. وفي الهَمزَتَينِ في المَوضِعَينِ: التَّحقِيقُ، وتَحقِيقُ الأُولَى وتَسهِيلُ الثَّانِيَةِ، وإدْخَالُ أَلِفٍ بينهما على الوَجهَينِ وتَرْكُها. وفي قِرَاءَةٍ بالاستفهَامِ في الأَوَّلِ، والخَبَرِ في الثَّاني[8]، وأُخرَى عَكسُه[9] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

سُورَةُ الرَّعۡدِ — ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم
بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ
ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ ربع الحزب ٢٥
فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ
أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

---

(١) سبَقَ التعليقُ على هذا الإِطلاقِ، وأنَّه إذا كان تَفويضًا في الكيفيَّةِ فنعَمْ، وأمَّا إن كانَ المرادُ نَفيَ معناه مِنَ العُلوِّ والاستقرارِ؛ فهذه طريقةُ أهلِ التأويلِ.

(٢) وهو لِقاءٌ حقيقيٌّ كيفما يَشاؤه ربُّنا عَزَّوَجَلَّ. كما سبَقَ بيانُه في التعليقِ على الآيةِ (٤٦) مِنْ سُورةِ البَقَرةِ.

(٣) ﴿وَزَرْعٍ﴾؛ بِالجرِّ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ ونافعٍ وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ ﴿وَزَرْعٌ﴾ بِالرَّفعِ.

(٤) ﴿وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ﴾؛ بِالجرِّ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ ونافعٍ وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ بِالرَّفعِ.

(٥) ﴿تُسْقَىٰ﴾ بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا عاصمٍ وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ عاصمٌ وابنُ عامرٍ ﴿يُسْقَىٰ﴾ بِاليَاءِ.

(٦) ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بِالنُّونِ.

(٧) ﴿ٱلْأُكْلِ﴾ بِالسكونِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ٱلْأُكُلِ﴾ بِضَمِّ الكَافِ.

(٨) لنافعٍ والكِسَائِيِّ.

(٩) حاصلُ ما ذَكَرَه المُصنِّفُ مِنَ القِراءَاتِ ما يلي:

قَرَأَ نافعٌ والكسائيُّ ﴿أَءِذَا﴾ بِهمزَتَينِ؛ الأُولَى مفتوحةٌ، والثانيةُ مَكسورةٌ على الاستفهامِ. وقرآ: ﴿إِنَّا﴾؛ بِهمزةٍ؛ وَاحدةٍ مَكسورةٍ على الخَبرِ؛ كلٌّ على أصلِه، فقالونُ يُسَهِّلُ الثانيةَ في ﴿أَءِذَا﴾ ويُدخِلُ ألِفًا بينَها وبينَ الأُولى، وورشٌ يُسهِّلُها مِنْ غَيرِ إدخَالٍ، والكِسَائيُّ يُحقِّقُها مِنْ غَيرِ إدخَالٍ.

وقرأ ابنُ عامرٍ بِالإِخبارِ في الأَوَّلِ، والاستفهامِ في الثاني، وكلٌّ على أصلِه كذلك، فهِشامٌ يُحقِّقُها مَعَ الإدخَالِ قولًا وَاحدًا، وابنُ ذكوانَ يُحقِّقُها بِلا إدخَالٍ.

وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالاستفهامِ فيهما، وكلٌّ على قَاعِدَتِه؛ فابنُ كثيرٍ بِالتَّسهيلِ بِلا إدخَالٍ، وأبو عمرٍو بِالتَّسهيلِ مَعَ الإدخَالِ، وعَاصمٌ وحَمزةُ بِالتَّحقيقِ مِنْ غَيرِ إدخَالٍ.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ
أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا
لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

[٦] ونَزَلَ في استعجالِهِمُ العَذابَ استهزاءً(١): ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: العَذابِ ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: الرَّحمةِ ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾: جَمعُ «المَثُلَة» بوزنِ «السَّمُرَة»؛ أي: عُقوباتُ أمثالِهم مِنَ المُكذِّبينَ. أفَلا يعتبِرُون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾: مَعَ ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ - وإلَّا لم يَترُكْ على ظَهرِها دابَّةً- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَن عَصاهُ.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على مُحمَّدٍ ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعَصا واليَدِ والنَّاقةِ. قالَ تَعالَى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مُخوِّفُ الكافِرينَ، وليسَ عليكَ إتيانُ الآياتِ ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: نَبيٌّ يَدعُوهم إلى رَبِّهم، بما يُعطيه مِنَ الآياتِ، لا بما يَقترِحُونَ.

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى، وَواحِدٍ ومُتَعَدِّدٍ، وغَيرِ ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: تَنقُصُ ﴿الْأَرْحَامُ﴾ مِنْ مُدَّةِ الحَمْلِ ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾: بِقَدْرٍ وَحَدٍّ لا يَتجاوَزُه.

[٩] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ما غابَ وما شُوهِدَ ﴿الْكَبِيرُ﴾: العَظيمُ ﴿الْمُتَعَالِ﴾ على خَلقِه بالقَهرِ(٢). بياءٍ ودُونِها(٣).

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم﴾ في عِلمِه- تعالَى- ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾: مُستَتِرٌ ﴿بِاللَّيْلِ﴾: بِظَلامِه ﴿وَسَارِبٌ﴾: ظاهِرٌ بذَهابِه في سَرْبِه(٤)؛ أي: طَريقِه ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

[١١] ﴿لَهُ﴾: لِلإنسانِ ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾: مَلائكةٌ تَعتقِبُه ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قُدَّامِه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: وَرائِه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: بأمرِه، مِنَ الجِنِّ وغَيرِهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: لا يَسلُبُهم نِعمَتَه(٥) ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ مِنَ الحالَةِ الجَميلَةِ بالمَعصيَةِ ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾: عَذابًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ مِنَ المُعقِّباتِ ولا غَيرِها ﴿وَمَا لَهُم﴾: لِمَن(٦) أرادَ اللهُ بِهم سُوءًا ﴿مِّن دُونِهِ﴾ أي: غَيرَ اللهِ ﴿مِن﴾: زائِدةٌ ﴿وَالٍ﴾ يَمنَعُه عنهم.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ لِلمُسافِرينَ مِنَ الصَّواعِقِ ﴿وَطَمَعًا﴾ لِلمُقيمِ في المَطَرِ(٧) ﴿وَيُنشِئُ﴾: يَخلُقُ ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بالمَطَرِ.

[١٣] ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ هو مَلَكٌ(٨) مُوَكَّلٌ بالسَّحابِ يَسُوقُه، مُلتَبِسًا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: يَقولُ: سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِه ﴿وَ﴾ يُسبِّحُ(٩) ﴿الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: اللهِ ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ - وهي نارٌ تَخرُجُ مِنَ السَّحابِ- ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ فتُحرِقُه- نَزَلَ في رَجُلٍ بَعَثَ إليه النَّبيُّ ﷺ مَنْ يَدعُوه، فقالَ: مَنْ رَسُولُ اللهِ؟ وما اللهُ؟ أَمِنْ ذَهَبٍ هو أم مِنْ فِضَّةٍ أم نُحاسٍ؟ فنزلَتْ به صاعِقةٌ فذهَبَتْ بِقِحفِ(١٠) رأسِه(١١)- ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿يُجَادِلُونَ﴾: يُخاصِمُونَ النَّبيَّ ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾: القُوَّةِ أو الأَخْذِ.

---

(١) رَواهُ ابنُ جَريرٍ (٢٠١٣٠) عَنْ قَتادَةَ، قولَه: «وَهُمْ مُشْرِكُو العَرَبِ، اسْتَعْجَلُوا بِالشَّرِّ قَبْلَ الخَيْرِ». وليسَ فيه التصريحُ بِسَببِ النُّزولِ. وقالَ ابنُ الجوزيِّ في زادِ المسيرِ (٢/ ٤٨٣): «اختلَفوا فِيمَنْ نَزَلَتْ على ثَلاثةِ أقوالٍ: أحدها: أنَّها نَزلتْ في كُفَّارِ مَكَّةَ، سَألُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أن يَأتيَهم بِالعَذابِ، استهزاءً منهم بذلكَ، قاله ابنُ عَبَّاسٍ. والثاني: في مُشركي العَرَبِ، قالَه قتادةُ. والثالث: في النَّضرِ بنِ الحارِثِ، حِينَ قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾، قالَه مقاتل».

(٢) وهذا أحدُ مَعاني العُلوِّ الثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، وله العُلوُّ التَّامُّ؛ عُلوُّ الشَّأنِ، وعُلوُّ القَهرِ، وعُلوُّ الذَّاتِ، ولا يَصِحُّ قَصرُ العُلوِّ على نوعٍ واحدٍ فقط.

(٣) ﴿المُتَعالي﴾ بالياءِ؛ في الوَصلِ والوَقفِ: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ، على الأَصلِ؛ لِأنَّ الأَلِفَ واللامَ أذهبَا التنوينَ، الذي تُحذَفُ الياءُ مِنْ أجلِه، فرَجعَتِ الياءُ. وبالحَذفِ؛ ﴿المُتَعالِ﴾ قرأ بقيَّةُ السَّبعةِ اتِّباعًا لِلخطِّ، واكتفاءً بِدلالةِ الكَسرةِ على الياءِ. وكانَ مُقتضى قَولِ المُصنِّفِ في الشرحِ: (بياءٍ ودُونِها): إثباتَ قِراءةِ الياءِ؛ ﴿المُتَعالي﴾ لكن لم نجدْ مَن أثبتَها في جميعِ النُّسخِ التي بأيدينا.

(٤) قالَ في مُختارِ الصِّحاحِ (ص١٤٥): «السَّارِبُ: الذَّاهِبُ عَلَى وَجْهِهِ فِي الأَرْضِ».

(٥) في نُسخةِ قَباوَة: (نعمة).

(٦) في نُسخةِ قَباوَة: (إنْ).

(٧) وهذا القَصرُ -والذي قبلَه- لا وَجهَ له؛ إذ إنَّه يَصلُحُ أن يكونَ خوفًا وطَمعًا لِلمُسافرين والمُقيمينَ معًا، فهو تارةً يكون خيرًا، وأُخرى شرًّا، لِلجَميع.

(٨) أخرجَ التِّرمذيُّ في كتابِ التفسيرِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللهُ»... الحديثُ، وصَحَّحَه الألبانيُّ في صَحيحِ سُنَنِ التِّرمذيِّ (٢٤٩٢)، والمخاريقُ: جمعُ مِخراق، والمُرادُ به هنا آلةٌ تَزجرُ بها الملائكةُ السَّحابَ. وقيلَ: المُرادُ بتسبيحِ المخلُوقاتِ مِنَ الجماداتِ وغيرِ العُقَلاءِ: تسبيحُ الدَّلالةِ؛ فكلُّ مُحدَثٍ يَدلُّ على أنَّ الله خالقٌ قادرٌ. وقيل: هذا التسبيحُ حقيقة، ولا مانعَ مِن أن يُنطِقَ اللهُ أيَّ شيءٍ بذلك، ويَشهدُ له قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وقولُه: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾، وقولُه: ﴿الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ولا تَعارُضَ بينَ القولَينِ؛ فالرَّعدُ مَلَكٌ مُوكَّلٌ بالسَّحابِ، وهو يُسبِّحُ بِحَمدِ ربِّه، كما أنَّ المخلوقاتِ كُلَّها تُسبِّحُ حقيقةً بِحَمدِ اللهِ، واللهُ أعلم.

(٩) في نُسخةِ قَباوَة: (تسبِّح).

(١٠) بِكسرِ القافِ: عَظمُ الرأسِ الذي فَوقَ الدِّماغِ.

(١١) أخرجَ نحوَه النَّسائيُّ في الكبرى (١١١٩٥)، وأبو يعلى في مُسنَدِه (٣٤٦٨)، وغيرُهما بِسَندٍ حَسَنٍ عَن أنسِ بنِ مالكٍ، مرفوعًا. وأخرجَه ابنُ أبي عاصمٍ في السُّنَّة (١/ ٣٠٤) رقم (٦٩٢)، وصَحَّحَه الألبانيُّ في ظِلالِ الجنَّة في تخريجِ السُّنَّة.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ
ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ
وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ
ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

سجدة

[١٤] ﴿لَهُۥ﴾ - تعالَى- ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: كَلِمَتُه، وهي: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ - بالياءِ والتَّاءِ(١)-: يَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غَيرَه- وهُمُ الأصنامُ- ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ مِمَّا يَطلُبُونَه ﴿إِلَّا﴾ استِجَابةً ﴿كَبَٰسِطِ﴾ أي: كَاستِجَابةِ بَاسِطٍ ﴿كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ على شَفِيرِ البِئرِ، يَدْعُوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتِفَاعِه مِنَ البِئرِ إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي: فَاهُ أبدًا- فكَذلكَ ما هُم بِمُستَجِيبِينَ لهم- ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: عِبادَتُهم الأَصنامَ، أو حَقِيقةُ الدُّعاءِ ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: ضَياعٍ.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كَالمُؤمِنِينَ ﴿وَكَرْهًا﴾ كَالمُنَافِقِينَ، ومَنْ أُكرِهَ بِالسَّيفِ(٢) ﴿وَ﴾ يَسجُدُ ﴿ظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ﴾: البُكَرِ(٣) ﴿وَٱلْءَاصَالِ﴾: العَشَايَا(٤).

[١٦] ﴿قُلْ﴾ - يا مُحَمَّد- لِقَومِكَ: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ إنْ لَم يَقُولُوه، لَا جَوابَ غَيرُه ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غَيرِه ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: أصنامًا تَعبُدُونَها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتَركتُم مَالِكَهُما؟! استفهَامُ تَوبِيخٍ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الكَافِرُ والمُؤمِنُ؟ ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الكُفرُ ﴿وَٱلنُّورُ﴾: الإِيمانُ؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾ أي: خَلْقُ الشُّرَكَاءِ بِخَلْقِ اللهِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتَقَدُوا استحقَاقَ عِبادَتِهم بِخَلْقِهم؟! استفهامُ إِنْكَارٍ؛ أي: لَيسَ الأَمرُ كَذلِكَ، ولا يَستَحِقُّ العِبادَةَ إِلَّا الخَالِقُ ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ لا شَرِيكَ له فيه؛ فَلا شَرِيكَ له في العِبَادَةِ ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ لِعِبادِه.

[١٧] ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا لِلحَقِّ والبَاطِلِ فقالَ: ﴿أَنزَلَ﴾ - تعالَى- ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مَطَرًا ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾: بِمِقْدَارِ مِلْئِهَا ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: عَالِيًا عليه، هو ما عَلَى وَجهِه مِنْ قَذَرٍ ونَحوِه ﴿وَمِمَّا [تُوقِدُونَ]﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ(٥)- ﴿عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ مِنْ جَوَاهِرِ الأَرضِ؛ كالذَّهَبِ والفِضَّةِ والنُّحَاسِ ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿حِلْيَةٍ﴾: زِينَةٍ ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ يُنتَفَعُ به؛ كَالأَوَانِي إِذَا أُذِيبَت ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي: مِثْلُ زَبَدِ السَّيلِ، وهو خَبَثُه الذي يَنفِيه الكِيرُ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذْكُورِ ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: مَثَلَهُما ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ مِنَ السَّيلِ، ومَا أُوقِدَ عليه مِنَ الجَوَاهِرِ ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: بَاطِلًا مَرْمِيًّا به ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِنَ المَاءِ والجَوَاهِرِ ﴿فَيَمْكُثُ﴾: يَبقَى ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ زَمَانًا. كذلِكَ البَاطِلُ يَضمَحِلُّ ويَنمَحِقُ، وإِنْ عَلا على الحَقِّ في بَعضِ الأَوقَاتِ، والحَقُّ ثَابِتٌ بَاقٍ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذْكُورِ ﴿يَضْرِبُ﴾: يُبَيِّنُ ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾: أَجَابُوه بِالطَّاعَةِ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجَنَّةُ ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ - وهُمُ الكُفَّارُ- ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ مِنَ العَذَابِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ - وهو المُؤَاخَذَةُ بِكُلِّ ما عَمِلُوه لا يُغفَرُ منه شَيءٌ- ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفِرَاشُ هي!

---

(١) ظاهِرُه أنَّهما قِراءتَانِ سَبعيَّتانِ، وليسَ كذلكَ، فالياءُ هي قِراءةُ السَّبعَةِ، أمَّا التَّاءُ فشَاذَّةٌ.

(٢) هذا المعنَى غيرُ واضحٍ، ولا يَستقِيمُ مع قولِه تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾، والأَقربُ أن يُقالَ: إنَّ المُرادَ بِالسُّجودِ كَرهًا: هو انقيادُ غَيرِ المُؤمنِينَ مِنَ الكُفَّارِ والمُنافقِينَ لِإرادتِه سُبْحَانَهُ وتَدبيرِه وتَصرِيفِه، لا يَقدِرونَ أن يَمتنِعُوا عليه، وكَذا تَنقَادُ له تعالى ظِلَالُهم، كَما لا يَبعُدُ أن يَخلقَ الله تعالى في الظِّلالِ أفهَامًا وعُقُولًا بها تَسجُدُ لله، كما خَلَقَها لِلجبَالِ وغَيرِها حتَّى اشتغَلَتْ بِالتَّسبيحِ.
ويَجوزُ أن يُرادَ بِسجودِها ما يُشاهدُ فيها مِنْ هَيئةِ السُّجودِ تبعًا لأصحابِها، وهذه الآيةُ كقولِه تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:٨٣]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [النحل:٤٨]. والله أعلم.

(٣) جمعُ بُكرَةٍ، وهي أوَّلُ النَّهارِ.

(٤) جمعُ عَشيَّةٍ، وهي آخرُ النَّهارِ.

(٥) ﴿تُوقِدُونَ﴾ بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يوقدون﴾ بِالياءِ.

* أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾
وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ
مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا
مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ
إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

[١٩] ونَزَلَ في حَمزةَ وأبي جَهْلٍ(1): ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فآمَنَ به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾: لا يَعلَمُه، ولا يُؤمِنُ به؟ لا ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يَتَّعِظُ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابُ العُقُولِ.

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ المأخوذِ عليهم وهُم في عَالَمِ الذَّرِّ(2)، أو كُلِّ عهدٍ ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ بتَرْكِ الإيمانِ أو الفَرائضِ.

[٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ مِنَ الإيمانِ والرَّحِمِ وغيرِ ذلك ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: وَعِيدَهُ ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ - تَقدَّمَ مِثلُه(3)-.

[٢٢] ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الطَّاعةِ والبَلاءِ، وعَنِ المَعصيَةِ ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غيرِه مِنْ أعراضِ الدُّنيا ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟﴾ في الطَّاعةِ ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾: يَدفَعُونَ ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ كالجَهلِ بالحِلْمِ، والأذَى بالصَّبرِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: العَاقِبَةُ المَحمُودَةُ في الدَّارِ الآخِرَةِ.

[٢٣] هي ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقَامَةٍ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هُمْ ﴿وَمَن صَلَحَ﴾: آمَنَ ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ وإنْ لم يَعمَلُوا بِعَمَلِهم، يَكونُونَ في دَرَجاتِهم تكرِمَةً لهم ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ مِنْ أبوابِ الجَنَّةِ، أو القُصُورِ، أوَّلَ(4) دُخُولِهم للتَّهنِئَةِ(5). يَقُولُون:

[٢٤] ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ هذا الثَّوابُ ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: بِصبرِكُم في الدُّنيا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ عُقْبَاكُم!

[٢٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكُفرِ والمَعاصِي ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: البُعْدُ مِنْ رَحمَةِ اللهِ ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: العَاقِبَةُ السَّيئَةُ في الدَّارِ الآخِرَةِ، وهِي جهنَّمُ.

[٢٦] ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يُضيِّقُه لمَنْ يَشاءُ ﴿وَفَرِحُوا۟﴾ أي: أهلُ مَكَّةَ فَرحَ بَطَرٍ ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بما نَالُوه فيها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جَنبِ حَياةِ ﴿ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾: شَيءٌ قَلِيلٌ يُتَمَتَّعُ به ويَذهَبُ.

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ أهلِ مَكَّةَ: ﴿لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على مُحمَّد ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كالعَصَا واليَدِ والنَّاقةِ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ إضلالَه؛ فلا تُغْنِي عنه الآيَاتُ شيئًا ﴿وَيَهْدِىٓ﴾: يُرشِدُ ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى دِينِه ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رَجَعَ إليه. ويُبدَلُ مِنْ ﴿مَنْ﴾:

[٢٨] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ﴾: تَسكُنُ ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: وَعْدِه ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ أي: قُلُوبُ المُؤمِنِينَ.

---

(١) لمْ أقفْ عليه مُسنَدًا، ونَسبَه ابنُ الجَوزيِّ في زاد المسيرِ (٤/ ٣٢٣)، والواحديُّ في الوسيط (٣/ ١٣) لابنِ عبَّاسٍ. والمَشهورُ أنَّ الآيةَ عامَّةٌ في التفريقِ بينَ المُؤمِنينَ والكَافِرينَ، كما ذكرَ ذلكَ قَتادةُ وغيرُه. كما في الدُّرِّ المنثورِ (٤/ ٦٣٦)، وتفسير الطبريِّ (١٣/ ٥٠٦)، وغيرِهما. واللهُ أعلمُ.

(٢) يُنظَرُ التَّعليقُ على الآيةِ (١٧٢) مِنْ سُورةِ الأعرافِ.

(٣) تَقدَّمَ تفسيرُ معنى: ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ في الآية (١٨) مِنَ السُّورةِ. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تَقدَّمَ) فقط دُونَ كلمةِ: (مِثله).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أوانَ أوَّلِ).

(٥) ولا دليلَ على هذا الحصرِ، وظاهرُ إطلاقِ الآيةِ -وعليه المُفسِّرونَ- أنَّه غيرُ مخصوصٍ بهذا الوَقتِ، بَل يَدخُلونَ عليهم في غَيرِه.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ٢٩
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟
عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ٣٠ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا
سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ
بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ
ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم
بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ٣١ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن
قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ٣٢ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٣٣ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ٣٤

[٢٩] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مُبتدَأٌ، خَبَرُه: ﴿طُوبَىٰ﴾ - مَصدرٌ مِنَ الطِّيبِ[١]، أو شَجرةٌ في الجَنَّةِ، يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِائَةَ عَامٍ ما يَقطَعُها[٢]- ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: مَرجِعٍ.

[٣٠] ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما أرسَلنَا الأنبِياءَ قَبلَكَ ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟﴾: تَقرَأَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حَيثُ قَالُوا لَمَّا أُمِرُوا بِالسُّجُودِ له: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[٣]؟ ﴿قُلْ﴾ لهم - يا مُحَمَّد-: ﴿هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

ونَزَلَ لَمَّا قَالُوا له: «إنْ كُنتَ نَبِيًّا فَسَيِّرْ عنَّا جِبَالَ مَكَّةَ، واجعَلْ لنا فيها أنهارًا وعُيونًا؛ لِنَغرِسَ ونَزرَعَ، وابعَثْ لنا آباءَنا الموتَى يُكلِّمُونا أنَّكَ نَبيٌّ»[٤]:

[٣١] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: نُقِلَتْ عَنْ أَمَاكِنِها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾: شُقِّقَتْ ﴿بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بِأَنْ يَحْيَوا، لَمَا آمَنُوا ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لِغَيرِه، فلا يُؤمِنُ إلَّا مَنْ شَاءَ إيمانَه دُونَ غَيرِه، وإنْ أُوتُوا ما اقتَرَحُوا.

ونَزَلَ لَمَّا أرادَ الصَّحابَةُ إظهَارَ ما اقتَرَحُوا؛ طَمَعًا في إيمانِهم: ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ﴾: يَعلَمِ[٥] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن﴾: مُخَفَّفَةٌ؛ أي: أنَّه ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمانِ، مِنْ غَيرِ آيَةٍ؟ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ أهلِ مَكَّةَ ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟﴾: بِصُنْعِهم؛ أي: كُفْرِهم ﴿قَارِعَةٌ﴾: دَاهِيَةٌ تَقرَعُهم بِصُنُوفِ البَلَاءِ، مِنَ القَتْلِ والأَسْرِ والحَرْبِ والجَدْبِ ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ - يا مُحَمَّدُ- بِجَيشِكَ[٦] ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: مَكَّةَ ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ بِالنَّصرِ عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ وقَدْ حَلَّ بِالحُدَيبِيَةِ، حتَّى أَتَى فَتْحُ مَكَّةَ.

[٣٢] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استُهزِئَ بكَ- وهذا تَسلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ- ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: أَمهَلتُ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بِالعُقُوبَةِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾؟ أي: هو وَاقِعٌ مَوقِعَه، فكذلكَ أَفعَلُ بِمَنْ استهزَأَ بكَ.

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾: رَقِيبٌ ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾: عَمِلَتْ مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ- وهو اللهُ- كَمَنْ لَيسَ كذلكَ مِنَ الأَصنَامِ؟ لا. دَلَّ على هذَا: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له، مَنْ هُم؟ ﴿أَمْ﴾: بَلْ أَ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾: تُخبِرُونَ اللهَ ﴿بِمَا﴾ أي: بِشَرِيكٍ ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ ـهُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؟! استفهَامُ إنكَارٍ- أي: لا شَرِيكَ له؛ إذْ لو كَانَ لَعَلِمَه. تعَالَى عَنْ ذلكَ- ﴿أَم﴾: بَلْ تُسَمُّونَهم شُرَكَاءَ ﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: بِظَنٍّ بَاطِلٍ لا حَقِيقَةَ له في البَاطِنِ ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: كُفْرُهم ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: طَرِيقِ الهُدَى ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٤] ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بِالقَتْلِ والأَسْرِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أَشَدُّ منه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عَذَابِه ﴿مِن وَاقٍ﴾: مَانِعٍ.

---

(١) قال الزمخشريُّ: ﴿طُوبَىٰ﴾: مَصدرٌ مِنْ «طابَ» كبُشرى وزُلفى، ومَعنَى «طُوبَى لك»: أَصَبتَ خيرًا وطيبًا.

(٢) أخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ -كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٤/ ١١٣)-، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٨١)، عن وهبِ بن مُنبِّه عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ بنِ الحُسينِ بنِ فاطمةَ، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يُقَالُ لَهَا: طُوبَى، لَوْ يُسَخَّرُ لِلرَّاكِبِ الجَوَادُ أَنْ يَسِيرَ فِي ظِلِّهَا لَسَارَ فِيهِ مِائَةَ عَامٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْطَعَهَا...» الحديث. وقد ذكره الألبانيُّ في الضعيفةِ (٤٦٩)، وقالَ في ضعيفِ الترغيبِ والترهيبِ (٢٢٤٢): مَوضُوعٌ. لكن جاءَ نحو هذا المعنَى في حديثٍ رواه أحمد (١١٢٤٥) عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ مرفوعًا، وحَسَّنَه الألبَانيُّ بشواهدِه في السلسلةِ الصحيحةِ (٤/ ٦٣٩) رقم (١٩٨٥)، وفي صحيح الجامع (٣٩١٨)؛ بِلفظِ: «طُوبَى شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ، مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ، ثِيابُ أَهْلِ الجَنَّةِ تَخرُجُ مِنْ أَكمامِها». والحديثُ في الصَّحِيحَينِ؛ دُونَ ذِكرِ: «طُوبَى»، مِنْ حَدِيثِ سهلِ ابنِ سعيدٍ، مَرفوعًا؛ البُخَارِيُّ (٣٣٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦)، وأخرجَاه أيضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ وأنسٍ وأبي سعيدٍ الخُدريِّ، مَرفوعًا.

(٣) يُشِيرُ إلى الآيةِ (٦٠) مِنْ سُورةِ الفُرقانِ.

(٤) أخرجَه الطبرانيُّ في الكبير (١٢/ ٨٥) رقم (١٢٦١٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، والضياءُ المقدسيُّ في الأَحاديثِ المختارةِ (٩/ ٥٥٦، ٥٥٧) رقم (٥٥١)، وقالَ الهيثميُّ في مَجمعِ الزَّوائِدِ (٧/ ٤٣): «رواه الطبرانيُّ، وفيه قابوسُ بنُ أبي ظبيان، وقَدْ وُثِّقَ».

(٥) وهي لُغَةُ هَوازِنَ، حيثُ يُطلِقونَ: «يَئِسَ» على مَعنَى: «عَلِمَ».

(٦) أخرجَه المقدسيُّ في المُختارةِ (٣٦٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قَالَ: «هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ»، وأخرجَه عبدُ الرزَّاق في تَفسيرِه (١٣٨١) عَنْ قَتَادَةَ، قال: «يَعنِي النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿تَحُلُّ قَرِيبًا مِن دَارِهِمْ﴾». وَأَخرَجَ ابنُ مَردَوَيْهِ -كما في أضواءِ البيانِ (٢/ ٤٥٨)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾، قَالَ: «سَرِيَّةٌ مِنْ سَرَايَا رَسُولِ الله ﷺ، أَوْ تَحُلُّ: يَا مُحَمَّدُ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ». والقَولُ الآخَرُ: أَنَّ الضَّمِيرَ يَعودُ إلى القَارِعَةِ؛ قالَه الحسنُ -كما في زاد المسير (٢/ ٤٩٧)- أي: تُصِيبُ مَنْ حَولَهم؛ لِيَتَّعِظُوا ويَعتَبِرُوا.

الحزب ٢٦

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ
﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ
وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

[٣٥] ﴿۞ مَثَلُ﴾: صِفةُ ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: مُبتدأٌ، خبرُه محذوفٌ؛ أي: فيما نَقُصُّ[١] عليكم ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا﴾: ما يُؤكَلُ فيها ﴿دَائِمٌ﴾: لا يَفنى ﴿وَظِلُّهَا﴾ دائِمٌ، لا تَنسخُه شَمسٌ لِعَدَمِها فيها ﴿تِلْكَ﴾ أي: الجنَّةُ ﴿عُقْبَى﴾: عاقِبةُ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ ﴿وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ كَعبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ، وغَيرِه[٢] مِنْ مُؤمِني اليَهودِ ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لِموافقَتِه ما عِندَهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تَحزَّبُوا عليكَ بالمُعاداةِ، مِنَ المُشركِينَ واليَهودِ ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ كَذِكرِ الرَّحمنِ وما عَدا القَصصِ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ فِيما أُنزِلَ إليَّ ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾: مَرجِعِي.

[٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإِنزالِ ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: بِلُغَةِ العَرَبِ، تَحكُمُ به بَينَ النَّاسِ ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ أي: الكُفَّارِ، فيما يَدعُونَكَ إليه مِنْ مِلَّتِهم فَرْضًا ﴿بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بِالتَّوحِيدِ ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن﴾: زائِدةٌ ﴿وَلِيٍّ﴾: ناصِرٍ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: مانِعٍ مِنْ عَذابِه.

[٣٨] ونَزَلَ لَمَّا عَيَّرُوه بِكَثرةِ النِّساءِ[٣]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾: أَولادًا، وأنتَ مِثلُهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لِأَنَّهم عَبيدٌ مَربُوبُونَ ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: مُدَّةٍ ﴿كِتَابٌ﴾ مَكتُوبٌ فيه تَحدِيدُه.

[٣٩] ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ منه ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[٤] - فيه ما يَشاءُ، مِنَ الأَحكامِ وغَيرِها ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أَصلُه الذي لا يَتغيَّرُ منه شيءٌ. وهو ما كَتَبَه في الأَزَلِ.

[٤٠] ﴿وَإِمَّا﴾ - فيه إِدغامُ نُونِ «إِنْ» الشَّرطيَّةِ في «ما» المَزِيدةِ - ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به، مِنَ العَذابِ في حَياتِكَ. وجَوابُ الشَّرطِ مَحذُوفٌ؛ أي: فَذاكَ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبلَ تَعذِيبِهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: ما عَلَيكَ إِلَّا التَّبلِيغُ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ إذا صارُوا إِلينا، فنُجازِيهم.

[٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أَهلُ مَكَّةَ ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: نَقصِدُ أَرضَهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بِالفَتحِ على النَّبيِّ ﷺ؟ ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خَلقِه بما يَشاءُ ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾: لا رادَّ ﴿لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الأُمَمِ بِأَنبيائِهم، كما مَكَرُوا بكَ ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليسَ مَكرُهم كَمَكرِه؛ لأَنَّه -تَعالَى- ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيُعِدُّ لها جَزاءَه[٥]. وهذا هو المَكرُ كُلُّه؛ لِأَنَّه يَأتِيهم به مِنْ حَيثُ لا يَشعُرونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ [الْكَافِرُ]﴾ - المُرادُ به الجِنسُ. وفي قِراءةٍ: ﴿الْكُفَّارُ﴾[٦] - ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقِبةُ المحمُودةُ في الدَّارِ الآخِرةِ؟ أَلَهم أَمْ لِلنَّبيِّ ﷺ وأَصحابِه؟

---

(١) في نُسخةِ قَبَاوَة: (يُقَصُّ)؛ بالياءِ والبناءِ لِلمَفعولِ.

(٢) في نُسخةِ قَبَاوَة: (وأَصحابِه).

(٣) ذَكَرَه الواحِديُّ في أَسبابِ النُّزولِ (٣/ ١٩) عَنِ الكَلبيِّ -بِدُونِ إِسنادٍ- قال: «عَيَّرَتِ اليَهودُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وقالَت: ما نَرى لِلرَّجُلِ هِمَّةً إِلَّا النِّساءُ والنِّكاحُ، ولو كانَ نَبِيًّا لَشَغَلَه أَمرُ النُّبوَّةِ عنِ النِّساءِ. فأَنزلَ اللهُ هذه الآيةَ». وكانَ تَعييرُهم له ﷺ بذلك بِقَصدِ الطَّعنِ في نُبوَّتِه ﷺ.

(٤) وهما قِراءتانِ سَبعيَّتانِ، وبِالتَّشدِيدِ، وفَتحِ الثَّاءِ؛ ﴿وَيُثَبِّتُ﴾: قِراءةُ حَمزةَ والكِسائيِّ ونافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٥) المكرُ غيرُ الجَزاءِ؛ واللهُ سبحانَه وتعالى يَمكُرُ بِمَنْ يَمكُرُ بِدِينِه ورُسُلِه وأَولِيائِه. وهي صِفةٌ إذا أُطلِقَت على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مع مُقابِلِها، تكونُ صِفةَ كَمالٍ لا صِفةَ نَقصٍ.

(٦) والقِراءةُ المُفسَّرةُ: ﴿الْكَافِرُ﴾: لنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرأَ بَقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿الْكُفَّارُ﴾.

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لكَ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ﴾ لهم: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ على صِدْقِي ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِنْ مُؤمِني اليَهودِ والنَّصارَى!

سُورَةُ إبراهيم

مَكِّيَّةٌ إلَّا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟﴾ الآيتَينِ،
إحدَى، أو: ثِنتَانِ، أو: أربَعٌ، أو: خَمسٌ وخَمسُونَ آيَةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه بذَلِكَ. هذا القُرآنُ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمَانِ ﴿بِإِذْنِ﴾: بِأمْرِ ﴿رَبِّهِمْ﴾. ويُبدَلُ مِنْ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: طَرِيقِ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الغَالِبِ ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المَحمُودِ.

[٢] ﴿ٱللَّهِ﴾ بِالجَرِّ: بَدَلٌ، أو عَطفُ بيانٍ. ومَا بَعدَه صِفَةٌ. والرَّفعِ(١): مُبتَدأٌ، خَبرُه: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وخَلقًا وعَبيدًا ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نَعتٌ ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾: يَختَارُونَ ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِ الإسلَامِ ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: السَّبِيلَ ﴿عِوَجًا﴾: مُعْوَجَّةً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عَنِ الحَقِّ.

[٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾: بِلُغَةِ ﴿قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[*]: لِيُفَهِّمَهم ما أَتَى به ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه.

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التِّسعِ(٢)، وقُلنا له: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾: بَنِي إسرَائِيلَ ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفْرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمَانِ ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾: بنِعَمِه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التَّذكِيرِ ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطَّاعَةِ ﴿شَكُورٍ﴾ لِلنِّعَمِ.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا
بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ [٤٣]

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ — مكية ١٤ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ [١]
ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ [٢] ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ [٣] وَمَآ
أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ
فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ [٤] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ [٥]

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ أحمَدُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمْ يَبْعَثِ الله نَبِيًّا إِلَّا بِلُغَةِ قَوْمِهِ». المُسنَدُ (٥/ ١٨٥)، وصَحَّحَه الألبَانيُّ في صحيح الجامع (٥١٩٧).

(١) بِالرَّفعِ ﴿ٱللَّهُ﴾: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ٱللَّهِ﴾ بِكَسرِ الهَاءِ.
(٢) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآية (١٠١) مِنْ سُورةِ الإسراءِ.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي
ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ
مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا
بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾
۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

نصف الحزب ٦

[٦] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ المَولُودِينَ ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يَسْتَبْقُونَ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لِقَولِ بَعْضِ الكَهَنَةِ: إِنَّ مَولُودًا يُولَدُ في بني إِسرَائِيلِ، يَكُونُ سَبَبَ ذَهَابِ مُلْكِ فِرعَونَ ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾: الإِنجاءِ، أَوِ العَذَابِ ﴿بَلَاءٌ﴾: إِنعَامٌ، أَوِ ابتِلَاءٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أَعْلَمَ[1] ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نِعمَتِي بِالتَّوحِيدِ والطَّاعَةِ ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: جَحَدتُّم النِّعمَةَ، بِالكُفْرِ والمَعصِيَةِ لَأُعَذِّبَنَّكُم. دَلَّ عليه: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لِقَومِه: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عَنْ خلْقِه ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ في صُنْعِه بهم.

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ - استفهَامُ تَقرِيرٍ- ﴿نَبَأُ﴾: خَبَرُ ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾: قَومِ هُودٍ ﴿وَثَمُودَ﴾: قَومِ صَالِحٍ ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لِكَثْرَتِهم؟ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالحُجَجِ الوَاضِحَةِ على صِدقِهم ﴿فَرَدُّوا﴾ أي: الأُمَمُ ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: إِلَيها؛ لِيَعَضُّوا عليها مِنْ شِدَّةِ الغَيظِ[2] ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ في زَعمِكُم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ لِلرِّيبَةِ.

[١٠] ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهَامُ إِنكَارٍ؛ أي: لا شَكَّ في تَوحِيدِه، لِلدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ عليه ﴿فَاطِرِ﴾: خَالِقِ ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طَاعَتِه ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ - ﴿مِّن﴾ زَائِدَةٌ؛ فإِنَّ الإِسلَامَ يُغفَرُ به ما قَبلَه. أو تَبعِيضِيَّةٌ؛ لإِخرَاجِ حُقُوقِ العِبَادِ- ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بِلَا عَذَابٍ ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أَجَلِ المَوتِ؟ ﴿قَالُوا إِنْ﴾: مَا ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ مِنَ الأَصنَامِ ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ على صِدقِكُم.

(١) وهذا يَقتَضِي إِثباتَ صِفَةِ كَلامِ ربِّنا عزَّ وجَلَّ. كما قالَه مقاتلٌ في تفسيرِه (٢/ ١٨٤)، وأخرجَه ابنُ جريرٍ (٢٠٥٨٤) عن ابنِ زَيدٍ في قولِه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، قال: «وإذ قالَ ربُّكم؛ ذلِكَ التَّأَذُّنَ».

(٢) هذا قولُ ابنِ مسعودٍ. وقيلَ: معناه أنَّهم أشاروا إلى أفواهِ الرُّسلِ يأمرُونهم بالسُّكوتِ. وقيلَ: بل وَضَعُوا أيديَهم على أفواهِهم تكذيبًا لهم. وقيل: بل هو عِبارةٌ عن سُكوتِهم عَن جوابِ الرُّسلِ وعَدمِ الإيمانِ بهم. وقيلَ غير ذلك.

[١١] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾: ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قُلتُم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بِالنُّبُوَّةِ ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما يَنبَغِي ﴿لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِأَمْرِه؛ لِأَنَّا عَبِيدٌ مَربُوبُونَ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: يَثِقُوا به.

[١٢] ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا مَانِعَ لنا مِنْ ذلك ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾: على أَذَاكُم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لَتَصِيرُنَّ ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾: دِينِنَا ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ.

[١٤] ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: أَرضَهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: بَعدِ هَلَاكِهِم ﴿ذَٰلِكَ﴾ النَّصرُ وإِيرَاثُ الأَرضِ ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي: مَقَامَه بَينَ يَدَيَّ ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ بِالعَذَابِ.

[١٥] ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾: استَنصَرَ الرُّسُلُ بِاللهِ، عَلى قَومِهم ﴿وَخَابَ﴾: خَسِرَ ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: مُتَكَبِّرٍ عَنْ طَاعَةِ اللهِ ﴿عَنِيدٍ﴾: مُعَانِدٍ للحَقِّ.

[١٦] ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: أَمَامِه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يَدخُلُها ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ فيها ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ - هو ما يَسِيلُ مِنْ جَوفِ أَهلِ النَّارِ، مُختَلِطًا بِالقَيحِ والدَّمِ[١] -.

[١٧] ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يَبتَلِعُه مَرَّةً بَعدَ مَرَّةٍ لِمَرَارَتِه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: يَزدَرِدُه، لِقُبحِه وكَرَاهَتِه ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أَسبَابُه المُقتَضِيَةُ له، مِنْ أَنوَاعِ العَذَابِ ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: بَعدِ ذلك العَذَابِ ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: قَوِيٌّ مُتَّصِلٌ.

[١٨] ﴿مَّثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: مُبتَدَأٌ، ويُبدَلُ منه: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصَّالِحَةُ؛ كَصِلَةٍ وصَدَقَةٍ في عَدَمِ الانتِفَاعِ بها ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: شَدِيدِ هُبُوبِ الرِّيحِ، فجَعَلَتهُ هَبَاءً مَنثُورًا، لَا يُقدَرُ عليه. والمَجرُورُ خَبَرُ المبتَدَإِ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾: عَمِلُوا في الدُّنيا ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: لا يَجِدُونَ له ثَوَابًا[٢]؛ لِعَدَمِ شَرطِه[٣] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾: الهَلَاكُ ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ
أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ
ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ
كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

---

(١) أخرجه ابنُ جريرٍ (٢٠٦٢٨)، وأوردَه ابنُ كثيرٍ (٤/ ٤٨٥) عَنْ قَتَادَةَ، قال: «هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ لَحْمِهِ وَجِلْدِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: الصَّدِيدُ: مَا يَخْرُجُ مِنْ جَوْفِ الكَافِرِ، قَدْ خَالَطَ القَيْحَ وَالدَّمَ».

(٢) أي في الآخرةِ. بَلْ يُثابُونَ عليه في الدُّنيا، كما قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا، حتى إذا أفضى إلى الآخرةِ، لَمْ تكنْ لَهُ حسنةٌ يُجزى بها». رواهُ مُسلِمٌ (٢٨٠٨). وفي هذا رَدٌّ واضِحٌ صَريحٌ على مَنْ يُغالي في الثَّناءِ على أمواتِ الكُفَّارِ الذين ماتُوا على الكُفرِ، مِنَ الذين لهم أعمالٌ ومواقفُ جيِّدةٌ، فيشهدُ لهم بالجنَّةِ؛ لاختراعاتِهم وأعمالِهم الدُّنيويَّةِ.

(٣) وهو الإيمانُ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا
قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ
أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم
مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ
بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظُرْ يا مُخاطَبُ[1]- استِفهامُ تَقريرٍ- ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: مُتعلّقٌ بـ﴿خَلَقَ﴾ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ - أيُّها النَّاسُ- ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: بدَلَكم.

[٢٠] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: شَديدٍ؟

[٢١] ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ أي: الخَلائقُ- والتَّعبيرُ فيه وفيما بَعدَه بالماضي؛ لِتحقُّقِ وُقوعِه- ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾: الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾: المتبوعِينَ: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: جمعُ تابعٍ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: دافِعونَ ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾؟ ﴿مِن﴾ الأُولَى: لِلتَّبيينِ، والثَّانيةُ: لِلتَّبعيضِ ﴿قَالُوا۟﴾ أي: المتبُوعونَ: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾: لَدعوناكم إلى الهُدَى ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن﴾: زائِدةٌ ﴿مَّحِيصٍ﴾: مَلجَأٍ.

[٢٢] ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليسُ ﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ وأُدخِلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ، واجتَمَعُوا عليه[2]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ بالبَعْثِ والجَزاءِ فصَدَقَكُم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنَّه غيرُ كائنٍ ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن﴾: زائِدةٌ ﴿سُلْطَٰنٍ﴾: قُوَّةٍ وقُدرةٍ أقهرُكم على مُتابعتي ﴿إِلَّآ﴾: لكِنْ ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ على إجابَتِي ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمُغيثِكُم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ - بفتحِ الياءِ وكَسرِها[3]- ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراكِكُم إيَّايَ مع اللهِ ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدُّنيا. قالَ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرينَ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ.

[٢٣] ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾: حالٌ مُقدَّرةٌ ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ مِنَ اللهِ ومِنَ الملائكةِ وفيما بينَهم ﴿سَلَٰمٌ﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظُرْ ﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويُبدَلُ منه: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إلهَ إلَّا اللهُ ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النَّخلةُ ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرضِ ﴿وَفَرْعُهَا﴾: غُصنُها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[*].

---

[*] فائِدةٌ: أخرجَ البُخاريُّ عنِ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَخبِرُونِي بِشَجرَةٍ مَثَلُها مَثَلُ المُسْلِمِ، تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإذْنِ رَبِّها، وَلا تَحُتُّ -أي: تَسقُطُ- وَرَقَها». وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّها النَّخلَةُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتكَلَّما، قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخلَةُ»، فَلَمَّا خَرَجْتُ مَعَ أَبِي، قُلْتُ: يا أَبَتاهُ، وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّها النَّخلَةُ. قالَ: ما مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَها؟ لَوْ كُنْتَ قُلْتَها كانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذا وَكَذا. قالَ: ما مَنَعَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَرَكَ وَلا أَبا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُما، فَكَرِهْتُ. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة إبراهيم (١٤) باب (١) ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، وأخرجه مسلمٌ - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١٥) المُؤمن مِثلُ النَّخلةِ.

---

(١) في نُسخةِ قَباوَة: (مُخاطَبًا).

(٢) رواهُ الدَّارِميُّ (٢٨٤٦)، والطبرانيُّ في الكبير (٨٨٧) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَقَضَى بَيْنَهُمْ، وَفَرَغَ مِنَ القَضاءِ بَيْنَهُمْ... الحديث وفيه: ثُمَّ يَقُولُ الكُفَّارُ: هَذا قَدْ وَجَدَ المُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، فَمَنْ يَشْفَعُ لَنا؟ فَيَقُولُونَ: ما هُوَ غَيْرَ إِبْلِيسَ، هُوَ الَّذِي أَضَلَّنا، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: قَدْ وَجَدَ المُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، فَقُمْ أَنْتَ فَاشْفَعْ لَنا؛ فَإِنَّكَ أَنْتَ أَضْلَلْتَنا، فَيَقُومُ فَيَثُورُ مَجْلِسُهُ أَنْتَنَ رِيحٍ شَمَّها أَحَدٌ، ثُمَّ يُورِدُهُمْ جَهَنَّمَ وَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾». قال الهيثميُّ في مَجمعِ الزوائدِ (١٠/ ٣٧٦): «رَواهُ الطَّبَرانِيُّ، وَفِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيادِ بْنِ أَنْعُمٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ».

(٣) ﴿بِمُصْرِخِىِّ﴾ بِالكَسرِ: قِراءةُ حمزةَ.

تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن
قَرَارٖ ٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ
مَا يَشَآءُ ٢٧ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا
وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ
ٱلۡقَرَارُ ٢٩ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ
تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ
مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ
فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣

الحزب ٢٦

[٢٥] ﴿تُؤْتِيَ﴾: تُعْطِي ﴿[أُكْلَهَا]﴾[١]: ثَمَرَها ﴿كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بِإِرَادَتِه[٢]؟ كذلكَ كَلِمَةُ الإيمانِ ثَابِتَةٌ في قَلْبِ المؤمِنِ، وعَمَلُه يَصعَدُ إلى السَّماءِ، ويَنالُه بَرَكَتُه وثَوابُه، كُلَّ وَقتٍ ﴿وَيَضْرِبُ﴾: يُبَيِّنُ ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ فيُؤمِنُونَ.

[٢٦] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ - هي كَلِمَةُ الكُفْرِ- ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحَنظَلُ[٣] ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾: استُؤصِلَتْ ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾: مُستَقَرٌّ وثَباتٍ. كذلكَ كَلِمَةُ الكُفْرِ لا ثَباتَ لها ولا فَرْعَ ولا بَرَكَةَ.

[٢٧] ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ - هي[٤] كَلِمَةُ التَّوحِيدِ- ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: في القَبرِ، لَمّا يَسألُهم المَلَكانِ عَنْ رَبِّهم ودِينِهم ونَبِيِّهم، فيُجِيبُونَ بالصَّوابِ -كما في حَدِيثِ الشَّيخَينِ-[٥] ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكُفّارَ؛ فلا يهتَدُونَ لِلجَوابِ[٦] بِالصَّوابِ- بَلْ يَقُولُونَ: «لا نَدرِي». كَما في الحَدِيثِ-[٧] ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

[٢٨] ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾: تَنظُرْ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: شُكْرَها ﴿كُفْرًا﴾ هُم كُفّارُ قُرَيشٍ ﴿وَأَحَلُّوا۟﴾: أَنزَلُوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بِإِضلَالِهِم إيّاهُم ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: الهَلَاكِ؟

[٢٩] ﴿جَهَنَّمَ﴾: عَطفُ بَيانٍ ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يَدخُلُونَها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: المَقَرُّ هِيَ!

[٣٠] ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شُرَكاءَ ﴿[لِيَضِلُّوا۟]﴾ -بِفَتحِ الياءِ وضَمِّها[٨]- ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: دِينِ الإسلَامِ؟ ﴿قُلْ﴾ لَهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾ بِدُنياكُم قَلِيلًا ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾: مَرجِعَكُم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

[٣١] ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا [بَيْعَ][٩]﴾: فِداءَ ﴿فِيهِ وَلَا [خِلَٰلَ][١٠]﴾: مُخالَّةَ؛ أي: صَداقَةٌ تَنفَعُ، هو يومُ القِيامَةِ.

[٣٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾: السُّفُنَ ﴿لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ بِالرُّكُوبِ والحَملِ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بِإِذنِه[١١] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾.

[٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾: جارِيَينِ في فَلَكِهِما، لا يَفتُرانِ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لِتَسكُنُوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لِتَبتَغُوا فيه مِن فَضلِه.

---

(١) ﴿أُكْلَهَا﴾؛ بِسُكونِ الكافِ: قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿أُكُلَهَا﴾ بِضَمِّ الكافِ.

(٢) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآية (١٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ في بَيانِ الفَرقِ بينَ الإذنِ والإرادةِ. وأنَّ الصحيحَ أن تفسيرَ «بإذنه»: أي: بأمرِه، وهذا يَقتضِي إثباتَ الكلامِ لله عَزَّوَجَلَّ، كما هو مَذهبُ السَّلفِ الصَّالحِ؛ حيثُ يُثبِتُونَ الكَلامَ على الحَقيقةِ بِحَرفٍ وصَوتٍ، على ما يَليقُ بِجَلالِه تَعالى.

(٣) رَواهُ ابنُ جَرِيرٍ (٢٠٧٣٨) عن أنسٍ مَوقوفًا.

(٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (هو)؛ مراعاةً للفظِ «القَولِ».

(٥) أخرجَ نحوَه البُخارِيُّ (٤٦٩٩)، ومسلمٌ (٢٨٧١) عَنِ البَراءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قال: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»، قال: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾». وهذا لفظُ مسلم. وجاءَ ذكرُ المَلَكَينِ في الصَّحيحَينِ؛ البُخارِيُّ (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، -واللفظُ لِلبُخاريِّ-: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؛ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ».

(٦) في نُسخَةِ قَباوَة: (إلى الجوابِ).

(٧) حديثُ أنسٍ عِندَ البُخارِيِّ (١٣٧٤)، ومسلمٍ (٢٨٧٠)، وتَقدَّمَ في التعليقِ السَّابقِ.

(٨) ﴿لِيَضِلُّوا۟﴾؛ بِالفتحِ: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ بِالضَّمِّ.

(٩) ﴿بَيْعَ﴾، مَبنيٌّ على الفتحِ في محلِّ نَصبٍ: اسمُ لا، وهي قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿بَيْعٌ﴾، بِضَمِّ العَينِ مَعَ التنوينِ؛ مُبتدأً.

(١٠) ﴿خِلَٰلَ﴾؛ مَبنيٌّ على الفتحِ في محلِّ نَصبٍ: اسمُ لا، وهي قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿خِلَٰلٌ﴾ بِضَمِّ اللامِ مَعَ التنوينِ؛ مُبتدأً.

(١١) الأمرُ غيرُ الإذنِ، ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآية (١٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ. وتقدَّم قريبًا في الهامش رقم (٢).

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ
رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ
ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن
تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ
إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ
﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ
ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا
وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

[٣٤] ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ على حَسَبِ مَصالِحِكُم ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بِمعنَى: إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تُطِيقُوا عَدَّها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الكَافِرَ ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: كَثيرُ الظُّلمِ لِنَفسِه بِالمعصِيَةِ، والكُفرِ لِنعمَةِ رَبِّه.

[٣٥] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾: مَكَّةَ ﴿ءَامِنًا﴾: ذَا أَمْنٍ- وقَدْ أَجَابَ اللهُ دُعَاءَه، فجَعَلَه حَرَمًا لا يُسفَكُ فيه دَمُ إِنسَانٍ، ولا يُظلَمُ فيه أَحَدٌ، ولا يُصَادُ صَيدُه، ولا يُختَلَى خَلَاه[١]- ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾: بَعِّدْنِي ﴿وَبَنِىَّ﴾ عَنْ ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي: الأَصنامَ ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بِعِبَادَتِهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على التَّوحِيدِ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾: مِنْ أَهْلِ دِينِي ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذَا قَبلَ عِلْمِه[٢] أَنَّه -تَعَالَى- لا يَغفِرُ الشِّركَ.

[٣٧] ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: بَعضَها- وهو إِسمَاعِيلُ مع أُمِّه هَاجَرَ- ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ هو مَكَّةَ ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ الذي كَانَ قَبلَ الطُّوفَانِ ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾: قُلُوبًا ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ﴾: تَمِيلُ وتَحِنُّ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ - قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «لو قالَ: «أَفئِدَةَ النَّاسِ» لَحَنَّتْ إِليه فَارِسٌ والرُّومُ والنَّاسُ كُلُّهم»[٣]- ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقَدْ فَعَلَ بِنَقلِ الطَّائِفِ إليه[٤].

[٣٨] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾: نُسِرُّ ﴿وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾: زَائِدَةٌ ﴿شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يَحتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِه -تَعَالَى- أو كَلَامِ إِبرَاهِيمَ.

[٣٩] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾: أعطَانِي ﴿عَلَى﴾: مَعَ ﴿ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ وُلِدَ ولَهُ تِسعٌ وتِسعُونَ سَنَةً[٥] ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ وُلِدَ ولَهُ مِائَةٌ واثنَتَا[٦] عَشْرَةَ سَنَةً[٧] ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

[٤٠] ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَ﴾ اجعَلْ ﴿مِن ذُرِّيَّتِى﴾ مَنْ يُقِيمُها- وأَتَى بِـ﴿مِن﴾ لِإِعلَامِ اللهِ -تَعَالَى- له أَنَّ مِنهُم كُفَّارًا- ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ المَذْكُورَ.

[٤١] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ هذا قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ له عَدَاوَتُهما للهِ عَزَّوَجَلَّ. وقِيلَ: أَسلَمَتْ أُمُّه[٨]. وقُرِئَ: «وَالِدِي»[٩] مُفْرَدًا، «وَوَلَدَيَّ»[١٠] ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾: يَثبُتُ ﴿ٱلْحِسَابُ﴾.

[٤٢] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا [تَحْسِبَنَّ][١١] ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكَافِرُونَ مِنْ أَهلِ مَكَّةَ[١٢] ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بِلَا عَذَابٍ ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لِهَولِ مَا تَرَى- يُقَالُ: شَخَصَ بَصَرُ فُلَانٍ؛ أي: فَتَحه فَلَمْ يُغمِضْهُ-.

---

(١) أي: لا يُقطعُ حَشِيشُهُ النَّابِتُ بنفسه. وجاءَ هذا في حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في الصَّحِيحَينِ؛ البُخَارِيِّ (١٥٨٧) وفي عدَّة مواضعَ، ومسلمٍ (١٣٥٣)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ الله، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا».

(٢) أو أَنَّه يَقصِدُ العِصيانَ غيرَ الشِّركِ. ويكون هذا مِن شَفَقَةِ الخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ حيثُ دَعَا لِلعَاصِينَ بِالمغفرةِ والرَّحمةِ مِنَ الله، بِذِكرِه هَذينِ الاسمَينِ الشَّرِيفَينِ في هذا المَوضِعِ.

(٣) ذَكَرَه بهذا اللفظِ ابنُ كثيرٍ في تَفسِيرِه (٢/ ٥٢١). وأخرجَ ابنُ جَرِيرٍ وابنُ المنذرِ والبيهقيُّ في الشُّعَبِ -كما في الدُّرِّ المنثورِ (٤/ ١٦٢)- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لو كَانَ إِبرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: فَاجعَلْ أَفئِدَةَ النَّاسِ تَهوِي إِلَيهِمْ، لَحَجَّ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ؛ فَخَصَّ بِهِ المُؤمِنِينَ». وحسَّنه السيوطيُّ في الدُّرِّ المنثورِ.

(٤) أي: إلى الحَرَمِ. رواه الأزرقيُّ في أخبارِ مَكَّةَ (١/ ٧٧) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ، مُرسَلًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا وَضَعَ الله الحَرَمَ نَقَلَ إِلَيْهِ الطَّائِفَ مِنَ الشَّامِ». وروى نحوَه ابنُ جرير (٢٠٣٢)، وَابنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٢٢٢)، عَن مُحَمَّدِ بنِ مُسلمٍ الطَّائِفِيِّ، قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّه لَمَّا دَعَا إِبرَاهِيمُ لِلحَرَمِ: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٢٦] نقلَ اللهُ الطَّائِفَ مِن فَلسطِين». وأخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ (١٢٢١)، والأزرقيُّ في أخبارِ مَكَّةَ (١/ ٧٧) عَنِ الزُّهرِيِّ، قَالَ: «إِنَّ الله نقلَ قَرْيَةً مِن قُرَى الشَّامِ فوضَعَها بِالطَّائِفِ لِدَعْوَةِ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وهذا قولٌ لا دليلَ صحيح عليه، ولم يَصِحَّ عن المعصومِ ﷺ شيءٌ في ذلك. والصَّحيحُ أَنَّ الله قد استجابَ له بأنْ جَعلَ الثَّمراتِ تُجبَى إِليه من كلِّ مَكانٍ، مِصداقَ قولِه تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا...﴾ [القصص:٥٧].

(٥) لم نَقِفْ عليه مُسندًا. وعَزاه البغويُّ (٤/ ٣٥٧)، والواحديُّ في الوسيط (٣/ ٣٤) لابنِ عَبَّاسٍ، قال: «وُلِدَ إِسمَاعِيلُ لِإِبرَاهِيمَ وَهُوَ ابنُ تِسعٍ وَتِسعِينَ سَنَةً، وَوُلِدَ إِسحَاقُ وَهُوَ ابنُ مِائَةٍ وَاثنَتَي عَشْرَةَ سَنَةً».

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ثنتا).

(٧) لم نقِفْ عليه مُسندًا. وعزاه البغويُّ (٤/ ٣٥٧)، والواحديُّ في الوسيط (٣/ ٣٤) لابنِ عَبَّاسٍ، كما تَقدَّمَ قريبًا.

(٨) لم نقِفْ عليه مُسندًا. وذكره البغويُّ في تَفسِيرِه (٤/ ٣٥٨)، بِصِيغةِ التمريض، ولم يَعزُه لأَحدٍ.

(٩) وهي قِراءةٌ شَاذَّةٌ.

(١٠) على التثنيةِ، والمُرادُ: إسماعيلُ وإسحاقُ. وهي قِراءةٌ شَاذَّةٌ أيضًا.

(١١) ﴿تَحْسِبَنَّ﴾؛ بِكسرِ السِّينِ: قِرَاءَةُ نافعٍ و ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو والكِسَائِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾، بِفتحِها.

(١٢) الآيةُ عامَّةٌ، وفيها تحذيرٌ شَديدٌ لِكلِّ الظَّالمينَ.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ
فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ
دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ
مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ
ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا
تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ
وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ
وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

[٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُسرِعِينَ. حَالٌ ﴿مُقْنِعِي﴾: رَافِعِي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إِلى السَّماءِ ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: بَصَرُهُم ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ﴾: قُلُوبُهم ﴿هَوَآءٌ﴾: خَالِيةٌ مِنَ العَقلِ لِفزَعِهم.

[٤٤] ﴿وَأَنذِرِ﴾: خوِّفْ يا محمَّد ﴿ٱلنَّاسَ﴾: الكُفَّارَ ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ هو يومُ القِيامَةِ ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كَفَرُوا: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾ بِأَنْ تَرُدَّنا إلى الدُّنيا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بِالتَّوحِيدِ ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فيُقَالُ لَهم تَوبِيخًا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم﴾: حَلَفتُم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ في الدُّنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾: زَائِدَةٌ ﴿زَوَالٍ﴾ عنها إلى الآخِرَةِ؟

[٤٥] ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فيها ﴿فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بِالكُفْرِ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ مِنَ العُقُوبَةِ؟ فلَمْ تَنزَجِرُوا ﴿وَضَرَبْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ في القُرآنِ، فلَمْ تَعتَبِرُوا؟

[٤٦] ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟﴾ بِالنَّبِيِّ ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيثُ أَرَادُوا قَتْلَه أو تَقيِيدَه أو إِخرَاجَه ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: عِلمُه أو جَزَاؤُه ﴿وَإِن﴾: ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وإنْ عَظُمَ ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ المعنَى: لا يُعبأُ به ولا يَضُرُّ إلَّا أنفُسَهم. والمُرادُ بِالجِبالِ هنا: قِيلَ: حَقِيقَتُها. وقِيلَ: شَرائِعُ الإِسلَامِ المُشَبَّهةُ بها في القَرَارِ والثَّبَاتِ. وفي قِرَاءَةٍ[1] بِفَتحِ لَامِ: ﴿لَتَزُولُ﴾ ورَفعِ الفِعْلِ، فـ«إنْ» مُخَفَّفَةٌ. والمُرَادُ تَعظِيمُ مَكْرِهم. وقِيلَ: المُرادُ بِالمَكْرِ كُفْرُهم. ويُنَاسِبُه على الثَّانِيَةِ[2]: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ[3] مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[4]، وعلى [الأُولَى][5]: ما قُرِئَ[6]: «وما كَانَ».

[٤٧] ﴿فَلَا [تَحْسِبَنَّ][7] ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ بِالنَّصرِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ لا يُعجِزُه شَيءٌ ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِمَّنْ عَصَاهُ.

[٤٨] اذكُرْ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هو يومُ القِيامَةِ، فيُحشَرُ النَّاسُ على أرضٍ بَيضَاءَ نَقِيَّةٍ -كما في حَدِيثِ الصَّحِيحَينِ-[8]. ورَوَى مُسلِمٌ حَدِيثَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أينَ النَّاسُ يومَئِذٍ؟ قال: «على الصِّرَاطِ»[9]، ﴿وَبَرَزُوا۟﴾: خَرَجُوا مِنَ القُبُورِ ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

[٤٩] ﴿وَتَرَى﴾ -يا محمَّد-: تُبصِرُ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾: مَشْدُودِينَ مَعَ شَيَاطِينِهم ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾: القُيُودِ أوِ الأَغلَالِ.

[٥٠] ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قُمُصُهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ لِأنَّه أَبلَغُ لاشتِعَالِ النَّارِ ﴿وَتَغْشَىٰ﴾: تَعلُو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

[٥١] ﴿لِيَجْزِىَ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ«بَرَزُوا» ﴿ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يُحَاسِبُ جَمِيعَ الخَلْقِ في قَدْرِ نِصفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنيا؛ لِحَدِيثٍ[10] بذلك.

[٥٢] ﴿هَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: أُنزِلَ لِتَبلِيغِهم ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟﴾ بِما فيه مِنَ الحُجَجِ ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي: الله ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ - بِإِدغَامِ التَّاءِ في الأَصْلِ في الذَّالِ-: يَتَّعِظَ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أَصحَابُ العُقُولِ.

---

(١) ﴿لَتَزُولُ﴾؛ بِفتحِ اللامِ الأُولى وضَمِّ الثانيةِ، لِلكِسائيِّ.

(٢) أي: القِراءةِ الثانيةِ؛ ﴿لَتَزُولُ﴾؛ فهي تُناسِبُ تفسيرَ المَكرِ بالكُفرِ. والمعنَى: يَكادُ كُفرُهم يُزِيلُ الجِبالَ لِفظاعَتِه.

(٣) في نُسخَةِ قَباوَة: (﴿يَنفَطِرْنَ﴾)؛ بِالنُّونِ وكَسرِ الطَّاءِ مُخَفَّفَةً: لأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وحمزةَ وشُعبةَ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾؛ بِالياءِ وتَشدِيدِ الطَّاءِ المفتُوحةِ.

(٤) سورة مريم: ٩٠.

(٥) في الأَصلِ: (الأَوَّل)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة. والقِراءةُ المُشارُ إليها هي: ﴿لِتَزُولَ﴾، وهي تُناسِبُ التفسيرَ المذكورَ.

(٦) أي: الذي قُرِئَ، وهي قِراءةٌ شَاذَّةٌ؛ أي: قُرِئَ شَاذًّا: «ومَا كانَ مكرُهم...».

(٧) ﴿تَحْسِبَنَّ﴾؛ بكسرِ السِّينِ: قِرَاءَةُ نافعٍ و ابن كثيرٍ وأبي عمرٍو والكِسائيِّ، وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾؛ بفتحِها.

(٨) البُخاريُّ (٦٥١٠)، ومسلمٌ (٢٧٩٠) عن سَهلِ بنِ سعدٍ مَرفُوعًا.

(٩) مسلمٌ (٢٧٩١) مِنْ حَدِيثِ عائشةَ.

(١٠) أخرجَ الطبريُّ (١٩/ ٢٥٩) عَن إِبرَاهِيمَ النَّخعِيِّ في قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان:٢٤] قال: «كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ يَفْرُغُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نِصْفِ النَّهَارِ، فَيَقِيلُ هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ». وأخرجَ نحوَه عن ابنِ جريجٍ وكذلك ذكرَه ابنُ كثيرٍ عن سعيدِ بن عُبيدٍ (٣/ ٣٠٤)، وكذلكَ البغويُّ عن عطاءٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، ومُقاتِل (٨/ ٢٢١)، وسبقَ بيانُ أنَّ السيوطيَّ رحمه الله قد سَهَا في وَصفِه نِصفَ النَّهارِ بِأنَّه مِنْ أيَّامِ الدُّنيا، وأنَّ الصحيحَ أنَّه نِصفُ يومٍ مِقدارُه خمسونَ ألفَ سَنةٍ. كما في حديثِ أبي هُرَيرَةَ في الصَّحِيحَينِ. رَاجِعِ التعليقَ على تفسيرِ آيةِ (٢٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

سورة الحجر — ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ١٤ الحزب ٢٧

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا
مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ
ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ
إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ
فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ
١٣ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤
لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥

سُورةُ الحِجْرِ

مَكِّيَّةٌ، تِسْعٌ وتِسْعُونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓر﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ ﴿تِلۡكَ﴾: هذه الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ. والإِضَافَةُ بِمَعنَى: «مِنْ» ﴿وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾: مُظهِرٍ لِلحَقِّ مِنَ البَاطِلِ. عَطفٌ بِزِيَادَةِ صِفَةٍ.

[٢] ﴿[رُبَمَا]﴾ - بالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ[١] - ﴿يَوَدُّ﴾: يتَمَنَّى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يَومَ القِيَامَةِ، إِذا عَايَنُوا حَالَهم وحَالَ المُسلِمِينَ ﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ و«رُبَّ»: للتَّكثِيرِ؛ فإِنَّه يَكثُرُ منهم تَمَنِّي ذلكَ. وقِيلَ: لِلتَّقلِيلِ؛ فإِنَّ الأَهوَالَ تُدهِشُهم، فلا يُفِيقُونَ حتَّى يتَمَنَّوا ذلك، إِلَّا في أَحيَانٍ قَلِيلَةٍ.

[٣] ﴿ذَرۡهُمۡ﴾: اُترُكِ الكُفَّارَ - يا مُحمَّد - ﴿يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بِدُنيَاهُم ﴿وَيُلۡهِهِمُ﴾: يَشغَلُهم ﴿ٱلۡأَمَلُ﴾ بِطُولِ العُمُرِ وغَيرِه عَنِ الإِيمانِ ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ عَاقِبَةَ أَمرِهِم. وهذا قَبلَ الأَمرِ بِالقِتَالِ.

[٤] ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن﴾: زَائِدَةٌ ﴿قَرۡيَةٍ﴾ أُرِيدَ أَهلُها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ﴾: أَجَلٌ ﴿مَّعۡلُومٞ﴾: مَحدُودٌ لِإِهلَاكِها[٢].

[٥] ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ﴾: زَائِدَةٌ ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾: يَتَأَخَّرُونَ عنه.

[٦] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ للنَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾: القُرآنُ، في زَعمِه ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾.

[٧] ﴿لَّوۡ مَا﴾: هَلَّا ﴿تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قَولِكَ: إِنَّكَ نَبِيٌّ، وإِنَّ هذا القُرآنَ مِنْ عِندِ اللهِ.

[٨] قالَ تَعَالَى: ﴿مَا [تَنَزَّلُ]﴾[٣] - فيه حَذفُ إِحدَى التَّائَينِ - ﴿[ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ] إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾: بِالعَذَابِ ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا﴾ أي: حِينَ نُزُولِ المَلَائِكَةِ بِالعَذَابِ ﴿مُّنظَرِينَ﴾: مُؤَخَّرِينَ.

[٩] ﴿إِنَّا نَحۡنُ﴾: تَأكِيدٌ لاسمِ «إِنَّ»، أو فَصلٌ[٤] ﴿نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾: القُرآنَ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ مِنَ التَّبدِيلِ والتَّحرِيفِ والزِّيَادَةِ والنَّقصِ.

[١٠] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ رُسُلًا ﴿فِي شِيَعِ﴾: فِرَقِ ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

[١١] ﴿وَمَا﴾ كانَ ﴿يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ كاستِهزَاءِ قَومِكَ بِكَ. وهذا تَسلِيَةٌ له ﷺ.

[١٢] ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ أي: مِثلَ إِدخَالِنا التَّكذِيبَ، في قُلُوبِ أُولئِكَ، نُدخِلُه ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ.

[١٣] ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾: بِالنَّبِيِّ ﷺ ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: سُنَّةُ اللهِ فيهم، مِنْ تَعذِيبِهم بِتَكذِيبِهم أَنبِيَاءَهم - وهَؤُلَاءِ مِثلُهم -.

[١٤] ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ﴾: في البَابِ ﴿يَعۡرُجُونَ﴾: يَصعَدُونَ.

[١٥] ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ﴾: سُدَّتْ ﴿أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾: يُخَيَّلُ إِلينَا ذلك.

---

(١) بِالتَّشدِيدِ: قراءة السَّبعَةِ عدا نافعٍ وعاصمٍ.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (لِهلاكِها).

(٣) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وعندهم ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بِالرَّفعِ، وقرأ شعبةُ كذلك لكنْ بِضَمِّ التَّاءِ، وقرأ حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بِالنُّونِ المَضمومَةِ وكسرِ الزَّايِ ونَصبِ «الملائِكَةَ».

(٤) أي: ضميرُ فَصلٍ، واعتُرِض بأَنَّ ضميرَ الفَصلِ لا يكونُ إِلَّا ضميرَ غَيبةٍ ولا يقعُ إِلَّا بينَ اسمَينِ، وهنا ليس كذلكَ، فالأَولَى الاقتصارُ على الأَوَّلِ.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا
عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ
لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ
﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن
قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا
مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عَشَرَ: الحَمَلَ، والثَّورَ، والجوزاءَ، والسَّرَطانَ، والأَسَدَ، والسُّنبُلَةَ، والمِيزَانَ، والعَقْرَبَ، والقَوسَ، والجَدْيَ، والدَّلوَ، والحُوتَ- وهي[١] مَنازِلُ الكَواكِبِ السَّبعةِ السَّيَّارَةِ: «المِرِّيخ» وله الحَمَلُ والعَقْرَبُ، و«الزُّهَرةُ» ولَها الثَّورُ والمِيزانُ، و«عُطَارِدٌ» وله الجوزَاءُ والسُّنبُلَةُ، و«القَمَرُ» وله السَّرَطانُ، و«الشَّمسُ» ولها الأَسَدُ، و«المُشتَرِي» وله القَوسُ والحُوتُ، و«زُحَلُ» وله الجَدْيُ والدَّلوُ- ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بِالكَوَاكِبِ ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾.

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَٰهَا﴾ بِالشُّهُبِ ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: مَرجُومٍ.

[١٨] ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾: خَطِفَه ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: كَوكَبٌ يُضِيءُ، يُحرِقُه أو يَثقُبُه أو يُخبِّلُه.

[١٩] ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بَسطنَاهَا ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾: جِبالًا ثَوابتَ؛ لِئَلَّا تَتحرَّكَ بِأَهلِها ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: مَعلُومٍ مُقدَّرٍ.

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ -بِالياءِ[٢]- مِنَ الثِّمارِ والحُبُوبِ ﴿وَ﴾ جَعَلنَا لكُم ﴿مَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ مِنَ العَبِيدِ والدَّوَابِّ والأَنعامِ، فَإِنَّما يرزُقُهم اللهُ.

[٢١] ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّن﴾: زَائِدَةٌ ﴿شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾: مَفَاتِيحُ خَزائِنه ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ عَلى حَسَبِ المَصالِحِ.

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ تُلقِحُ السَّحابَ فيمتَلِئُ ماءً[٣] ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: السَّحابِ ﴿مَآءً﴾: مَطَرًا ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ أي: لَيسَتْ خَزائِنُه بِأَيدِيكُم.

[٢٣] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: البَاقُونَ، نَرِثُ جَمِيعَ الخَلْقِ.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: مَنْ تَقدَّمَ مِنَ الخَلْقِ مِنْ لَدُن آدمَ[٤][*] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾: المُتَأَخِّرِينَ إلى يومِ القِيامَةِ.

[٢٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِه ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِه.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: آدمَ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: طِينٍ يَابِسٍ، يُسمَعُ له صَلصَلةٌ إذا نُقِرَ ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: طِينٍ أَسوَدَ ﴿مَّسْنُونٍ﴾: مُتغيِّرٍ.

[٢٧] ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾: أَبا الجِنِّ- وهو إِبْلِيسُ- ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِ خَلْقِ آدمَ ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ هِي نَارٌ لا دُخانَ لها، تَنفُذُ مِنَ المَسامِّ.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: أَتمَمتُه ﴿وَنَفَخْتُ﴾[٥]: أَجرَيتُ ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فَصارَ حَيًّا- وإِضافَةُ الرُّوحِ إليه تَشريفٌ لآدَمَ- ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ سُجودَ تَحِيَّةٍ بالانحِناءِ.

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ - فيه تَأكِيدانِ-. [٣١] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: هو أبو الجِنِّ[٦]، كانَ بَينَ المَلائِكَةِ ﴿أَبَىٰٓ﴾: امتَنَعَ مِنْ ﴿أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٢٤): أَخرج النَّسائِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قال: «كَانَتْ امْرَأَةٌ تُصَلِّي خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ، حَسْنَاءُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ قَالَ: فَكَانَ بَعْضُ القَوْمِ يَتَقَدَّمُ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ لِئَلَّا يَرَاهَا، وَيَسْتَأْخِرُ بَعْضُهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ، فَإِذَا رَكَعَ نَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾». النَّسائِيُّ - كتاب الإمامة (١٠) باب (٦٢) المنفرد خلف الصَّفِّ. (صحيحٌ) صحيحُ سُنَنِ النَّسائِيِّ (٨٣٨).

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (هي) بِدونِ وَاوٍ.

(٢) أي: باتِّفاقِ السَّبعَةِ؛ لأنَّها في المفردِ أَصليَّةٌ.

(٣) وأيضًا فالرِّياحُ بِتصريفِ الله لها تُلقحُ الزَّرعَ والشَّجرَ، ولَولا ذلك لم تُنتجِ الحَبَّ والثَّمرَ، وعمليةُ التلقيحِ هذه لِلزرعِ والشَّجرِ تُشبهُ تأبيرَ النَّخلِ الذي يقومُ به الإنسانُ. واللهُ أعلم.

(٤) الذي اختاره المُصنِّفُ في تفسير الآيةِ هو ما رجَّحه ابنُ جرير رَحِمَهُ اللَّهُ، قال (١٤/ ٥٤): «لِلدَّلَالَةِ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾، وَمَا بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، إِذْ كَانَ بَيْنَ هَذَيْنِ الخَبَرَيْنِ، وَلَمْ يَجْرِ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ، وَلَا جَاءَ بَعْدُ. وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ المُسْتَقْدِمِينَ فِي الصَّفِّ لِشَأْنِ النِّسَاءِ وَالمُسْتَأْخِرِينَ فِيهِ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَمَّ بِالمَعْنَى المُرَادِ مِنْهُ جَمِيعَ الخَلْقِ؛ فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ: قَدْ عَلِمْنَا مَا مَضَى مِنَ الخَلْقِ وَأَحْصَيْنَاهُمْ، وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَمَنْ هُوَ حَيٌّ مِنْكُمْ وَمَنْ هُوَ حَادِثٌ بَعْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَعْمَالَ جَمِيعِكُمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، وَأَحْصَيْنَا جَمِيعَ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نَحْشُرُ جَمِيعَهُمْ، فَنُجَازِي كُلًّا بِأَعْمَالِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا، فَيَكُونُ ذَلِكَ تَهْدِيدًا وَوَعِيدًا لِلْمُسْتَأْخِرِينَ فِي الصُّفُوفِ لِشَأْنِ النِّسَاءِ، وَلِكُلِّ مَنْ تَعَدَّى حَدَّ اللهِ، وَعَمِلَ بِغَيْرِ مَا أَذِنَ لَهُ بِهِ، وَوَعْدًا لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي الصُّفُوفِ لِسَبَبِ النِّسَاءِ وَسَارَعَ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ فِي أَفْعَالِهِ كُلِّهَا». اهـ. ولا تعارُضَ بينَ حَملِ الآيَةِ على هذا المعنى أخذًا بالعُمومِ، مع صِحَّةِ ما ذُكِرَ كَسَببٍ لِلنزولِ، والله أعلم.

(٥) قال ابنُ القيِّمِ في الرُّوحِ (ص١٥٦): «وَأَمَّا كَوْنُ النَّفْخَةِ بِمُبَاشَرَةٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ كَمَا خلقه بيدِه، أم أنَّها حَصلَتْ بأمرِه، كَمَا حصلت فِي مَرْيَم عَلَيْهَا السَّلَامُ؛ فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ. وَالفرقُ بَينَ خلقِ الله له بيدِه ونفخه فيه من رُوحه أنَّ اليدَ غيرُ مخلوقةٍ والرُّوح مخلوقةٌ، والخلقَ فِعلٌ مِنْ أفعالِ الرَّبِّ، وأمَّا النَّفخُ فهل هُوَ من أفعالِه القَائِمَةِ بِه، أو هُوَ مفعولٌ مِن مفعولاته القَائِمَةِ بِغَيرِه المُنفَصِلَةِ عَنهُ».

(٦) نُقِلَ هذا القولُ عن ابن عبَّاسٍ ومجاهِدٍ وقتادةَ والحسنِ البَصريِّ وغيرِهم. وهو قولُ أكثرِ أهلِ العِلمِ. كما سبقَ في التَّعليقِ على الآيةِ (٣٤) مِن سُورةِ البقَرةِ.

قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

ربع الحزب ٢٧

٢٦٤

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ﴾: ما مَنَعَكَ ﴿أَلَّا﴾: زَائِدَةٌ ﴿تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ﴾: لا يَنبَغِي لي أنْ أسْجُدَ ﴿لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ﴾.

[٣٤] ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي: مِنَ الجنَّةِ، وقِيلَ: مِنَ السَّماوَاتِ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مَطرُودٌ.

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: الجَزَاءِ.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: النَّاسُ.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾: وَقتِ النَّفخَةِ الأُولَى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي: بِإغوَائِكَ لي. والبَاءُ لِلقَسَمِ، وجَوَابُه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ المعَاصِيَ ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ أي: المُؤمِنِينَ.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ تعالَى: ﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾.

[٤٢] وهو: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي: المُؤمِنِينَ ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾: قُوَّةٌ ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾: الكَافِرِينَ.

[٤٣] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي: مَنِ اتَّبَعَكَ مَعَكَ.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ﴾: أطبَاقٍ ﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ﴾: نَصِيبٌ ﴿مَّقۡسُومٌ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تَجرِي فيها. ويُقَالُ لهم:

[٤٦] ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ﴾ أي: سَالِمِينَ مِنْ كُلِّ مَخوفٍ، أو مَعَ سَلَامٍ؛ أي: سَلِّمُوا، وادخُلُوا ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنْ كُلِّ فَزَعٍ.

[٤٧] ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾: حِقْدٍ ﴿إِخۡوَٰنًا﴾: حَالٌ مِنْ: «هُم» ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾[*]: حَالٌ أَيضًا؛ أي: لا يَنظُرُ بَعضُهم إلى قَفَا بَعضٍ؛ لِدَوَرَانِ الأَسِرَّةِ بهم.

[٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ﴾: تَعَبٌ ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ أَبَدًا.

[٤٩] ﴿۞ نَبِّئۡ﴾: خَبِّرْ - يا مُحَمَّد- ﴿عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ لِلعُصَاةِ ﴿هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾: المُؤلِمُ.

[٥١] ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وهُمْ مَلَائِكَةٌ؛ اثنَا عَشَرَ، أو عَشَرَةٌ، أو ثَلَاثَةٌ؛ منهم جِبرِيلُ[1].

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخارِيُّ عن يَزِيدَ بنِ زُرَيعٍ: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾... أنَّ أبا سَعيدٍ الخُدرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخلُصُ المُؤمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحبَسُونَ عَلَى قَنطَرَةٍ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعضِهِمْ مِنْ بَعضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَينَهُمْ فِي الدُّنيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهدَى بِمَنزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنهُ بِمَنزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنيَا». البُخارِيُّ - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٨) القَصَاص يوم القِيامَةِ.

(١) رَواهُ ابنُ أبي حاتِمٍ (١١٠١٢) عَنْ عُثمانَ بنِ مُحْصِنٍ فِي ضَيفِ إبراهيمَ قال: «كانُوا أربَعَةً: جِبرِيلَ وَمِيكائِيلَ وَإسرافِيلَ ورَفائِيلَ». وذِكرُ عَدَدِهم ليسَ عليه دَليلٌ مَرفُوعٌ صَحِيحٌ، وليسَ منه كبيرُ فائدةٍ.

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: هذا اللَّفظَ ﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ لمَّا عَرَضَ عليهمُ الأكلَ فلَمْ يأكُلوا: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: خائِفُونَ.

[٥٣] ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾: تَخَفْ ﴿إِنَّا﴾ رُسُلُ رَبِّكَ ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾: ذِي عِلْمٍ كَثِيرٍ. هو إِسحاقُ، كما ذُكِرَ في سُورَةِ «هُودٍ»[1].

[٥٤] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى﴾ بِالوَلَدِ ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾: حَالٌ؛ أي: مَع مَسِّهِ إِيَّايَ؟ ﴿فَبِمَ﴾: فبِأَيِّ شيءٍ ﴿تُبَشِّرُونَ﴾؟ استفهامُ تَعجُّبٍ.

[٥٥] ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بِالصِّدْقِ ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ﴾: الآيِسِينَ.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَن﴾ أي: لَا ﴿[يَقْنِطُ]﴾ - بِكَسرِ النُّونِ وفَتحِها[2]- ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: الكَافِرُونَ؟

[٥٧] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: شَأْنُكم؟ ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

[٥٨] ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: كَافِرِينَ؛ أي: قَومِ لُوطٍ لِإِهلَاكِهِم.

[٥٩] ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لِإِيمانِهِم.

[٦٠] ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: البَاقِينَ في العَذَابِ لِكُفرِها.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي: لُوطًا ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: لا أعرِفُكُم.

[٦٣] ﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟﴾ أي: قَومُكَ ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يَشُكُّونَ- وهو العَذَابُ-.

[٦٤] ﴿وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ في قَولِنا.

[٦٥] ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ﴾: اِمْشِ خَلْفَهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لِئَلَّا يَرى عَظِيمَ ما يَنزِلُ بهم ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهُو الشَّامُ.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أوحَينا ﴿إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ وهُو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾: حَالٌ؛ أي: يَتِمُّ استِئصَالُهم في الصَّباحِ.

[٦٧] ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾: مَدينةِ سَدُومَ[3]- وهُم قَومُ لُوطٍ- لَـمَّا أُخبِرُوا أنَّ في بَيتِ لُوطٍ مُرْدًا حِسَانًا[4]، وهُمُ المَلائِكَةُ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: حَالٌ؛ طَمَعًا في فِعْلِ الفَاحِشَةِ بهم.

[٦٨] ﴿قَالَ﴾ لُوطٌ: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾.

[٦٩] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ بِقَصدِكُم إِيَّاهُم بِفِعْلِ الفَاحِشَةِ بهم[5].

[٧٠] ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: عَنْ إِضَافَتِهِم؟

---

(١) الآية: ٧١.

(٢) ﴿يقنِط﴾ بِالكَسرِ لِلكِسَائيِّ وأَبي عَمرٍو. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَقنَط﴾؛ بِفَتحِ النُّونِ.

(٣) ذَكَرَه أكثرُ المُفسِّرينَ في تَفسِيرِهم الآيَةَ، دُونَ أن يَعزوَه لأحدٍ، ورَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٤٦٣) عَنْ قَتَادَةَ. و«سَدُوم» هي: «سَرمين» بلدةٌ مِنْ أعمالِ حَلَب، معروفةٌ عَامرةٌ عندَهم. «معجم البلدان» (٣/ ٢٠٠).

(٤) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٣٥٤)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١١٠٥٢، ١٧٢٨٦) عن السُّدِّيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، من طريق أسباط قوله، وتقدَّم في سُورةِ هودٍ الآيةَ (٧٧).

(٥) كلمةُ: (بهم) لَيستْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي
وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا
مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ
إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

[٧١] ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ ما تُرِيدُونَ مِنْ قَضَاءِ الشَّهوَةِ فتَزَوَّجُوهُنَّ.

[٧٢] قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ - خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ- أي: وَحَيَاتِكَ[1] ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يَتَرَدَّدُونَ.

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: صَيحَةُ جِبرِيلَ ﴿مُشْرِقِينَ﴾: وَقتَ شُرُوقِ الشَّمسِ.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي: قُرَاهُمْ ﴿سَافِلَهَا﴾ بِأَنْ رَفَعَها جِبرِيلُ إِلى السَّماءِ وأسقَطَها مَقلوبَةً إِلى الأَرضِ[2] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: طِينٍ طُبِخَ بِالنَّارِ.

[٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكُورِ ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دَلَالَاتٍ على وَحدَانِيَّةِ الله ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للنَّاظِرِينَ المُعتَبِرِينَ.

[٧٦] ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: قُرَى قَومِ لُوطٍ ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: طَرِيقِ قُرَيشٍ إِلى الشَّامِ لَم تَندَرِسْ. أَفَلا يَعتَبِرونَ بِهم؟

[٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: لَعِبرَةً ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَإِن﴾: مُخَفَّفَةٌ؛ أي: إِنَّه ﴿كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: هي غَيضَةُ شَجَرٍ، بِقُرْبِ مَدينَ[3]، - وهم قَومُ شُعَيبٍ- ﴿لَظَٰلِمِينَ﴾ بِتكذِيبِهم شُعَيبًا.

[٧٩] ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بِأَنْ أَهلَكناهُم بِشدَّةِ الحَرِّ ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي: قُرَى قَومِ لُوطٍ والأَيكَةِ[4] ﴿لَبِإِمَامٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّبِينٍ﴾: وَاضِحٍ. أَفَلا تَعتَبِرُونَ بهم يا أَهلَ[5] مَكَّةَ؟!

[٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾: وَادٍ بَينَ المدِينةِ والشَّامِ- وهُم ثَمُودُ- ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بِتكذِيبِهم صَالِحًا؛ لِأَنه تكذِيبٌ لِبَاقِي الرُّسلِ؛ لِاشتِرَاكِهم في المَجِيءِ بالتَّوحِيدِ.

[٨١] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ في النَّاقَةِ ﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: لا يَتَفكَّرُون فيها.

[٨٢] ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾.

[٨٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾: وَقتَ الصَّباحِ.

[٨٤] ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾: دَفَعَ ﴿عَنْهُم﴾ العَذَابَ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ مِن بناءِ الحُصُونِ، وجَمْعِ الأَموَالِ.

[٨٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ - لا مَحالَةَ- فيُجازَى كُلُّ أَحدٍ بِعَمَلِه ﴿فَٱصْفَحِ﴾ - يا مُحمَّد- عَنْ قَومِكَ ﴿ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾: أَعرِضْ عنهم إِعْرَاضًا لَا جَزَعَ فيه. وهذا مَنسُوخٌ بِآيَةِ السَّيفِ.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ لِكُلِّ شَيءٍ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِكُلِّ شَيءٍ.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ قالَ ﷺ: «هي الفَاتِحَةُ» رَواهُ الشَّيخَانِ[6]؛ لِأَنَّها تُثنَى[7] في كُلِّ رَكعَةٍ ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

[٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أَصنافًا ﴿مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إِنْ لَمْ يُؤمِنوا ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: أَلِنْ جَانِبَكَ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَنْ يَنزِلَ عليكُم ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: البَيِّنُ الإِنذَارِ.

[٩٠] ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ العَذَابَ ﴿عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾[*]: اليَهودِ والنَّصَارَى.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾: قال: «آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى». البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سُورة الحِجْرِ (١٥) باب (٤) ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾. ويُؤخَذُ مِنْ هَذا أَنَّ ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ مِنَ القِسمَةِ؛ أي فَرَّقوا وقَسَّموا ما أُنزِلَ عليهم؛ فآمَنُوا بِبَعضِه، وكَفَرُوا بِبَعضِه.

وقالَ البُخارِيُّ: ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾: الذين حَلفوا. قالَ الحافظُ في الفتح (٨/ ٢٣٤): «هَكَذَا جَعلَ المقتَسِمِينَ مِنَ القَسَم بِمَعنَى الحَلِفِ، والمعرُوفُ أَنَّه مِنَ القِسمَةِ، وبه جَزَمَ الطبريُّ وغيرُه، وسِياقُ الكلامِ يدلُّ عليه...».

وقال ابنُ كثيرٍ: «﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ أي: المُتحَالِفِينَ؛ أي: تَحالَفُوا على مُخَالَفةِ الأنبياءِ وتكذيبِهم وأذاهم...». تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣٨).

---

(١) ولله سُبْحَانَهُ أن يُقسِمَ بِما شَاءَ مِنْ مَخلُوقاتِه، وليس ذلك لِلبَشرِ، فلا يَجوزُ لهم الحَلِفُ إِلَّا بِخالِقِهم عَزَّ وَجَلَّ.

(٢) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٤٦٢، ١٨٤٦٣)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ (٨٦٩١، ١١٠٩٨) وغيرُهما، مِن وُجوهٍ بِإِسنَادٍ صحيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قوله. ورَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨٤٥٨، ١٨٤٦١) عَنْ مُجاهِدٍ قوله. وتَقدَّمَ في تفسيرِ سُورةِ هُودٍ الآيَةَ (٨٢).

(٣) رَوى الطَّبَرِيُّ (١٤/ ١٠٠) عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ [الحجر: ٧٨]: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ غَيْضَةٍ، وَكَانَ عَامَّةُ شَجَرِهِمْ هَذَا الدَّوْم، وَكَانَ رَسُولُهُمْ - فِيمَا بَلَغَنَا- شُعَيْبٌ عليه السلام، أُرسِلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى أَهْلِ مَدْيَنَ، أُرسِلَ إِلَى أُمَّتَيْنِ مِنَ النَّاسِ، وَعُذِّبَتَا بِعَذَابَيْنِ شَتَّى... وهو ضعيفٌ مِنْ مُرسَلِ قتادةَ.

(٤) أي: وأصحَابِ الأَيكَةِ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أفلا يَعتبرُ بهم أهلُ).

(٦) سبقَ تخريجُه في أَوَّلِ سُورةِ الفاتحةِ.

(٧) أي: تكرَّرَ.

ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ — ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ
خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

الحزب ٢٧

[٩١] ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: كُتُبَهُم المُنَزَّلَةَ عليهم ﴿عِضِينَ﴾: أجزاءً، حيثُ آمَنُوا ببَعضٍ وكَفَرُوا ببَعضٍ[١]. وقِيلَ: المُرادُ بِهِمُ الذينَ اقتَسَمُوا طُرُقَ مَكَّةَ، يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الإسلامِ، وقَالَ بَعضُهم في القُرآنِ: سِحْرٌ، وبَعضُهم: كِهانَةٌ، وبَعضُهم: شِعْرٌ.

[٩٢] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سُؤالَ توبِيخٍ.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٤] ﴿فَٱصْدَعْ﴾ - يا مُحَمَّد- ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به؛ أي: اجهَرْ به وأمضِهِ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هذا قَبلَ الأمرِ بالجِهَادِ.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بكَ، بِإهلَاكِنا[٢] كُلًّا منهم بِآفَةٍ- وهُمُ الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ، والعاصِ بنُ وائلٍ، وعديُّ بنُ قَيسٍ، والأَسوَدُ بنُ المُطَّلبِ، والأَسوَدُ بنُ عَبدِ يَغُوثَ[٣]-.

[٩٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: صِفَةٌ، وقِيلَ: مُبتدأٌ، ولِتَضَمُّنِه مَعنَى الشَّرطِ دَخلَتِ الفَاءُ في خَبَرِه، وهو: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةَ أمْرِهِم.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ﴾: لِلتَّحقِيقِ ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مِنَ الاستهزَاءِ والتَّكذِيبِ.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ﴾ مُلتَبِسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قُلْ: سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِه ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: المُصَلِّينِ.

[٩٩] ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾: المَوتُ.

سُورَةُ النَّحْلِ

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخِرِها. مِائَةٌ وثَمانٍ وعِشرُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] لَمَّا استَبطَأَ المُشرِكُونَ العَذَابَ نَزَلَ[٤]: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: السَّاعَةُ- و﴿أَتَىٰٓ﴾ بِصِيغَةِ الماضِي لتَحقُّقِ وُقُوعِه- أي: قَرُبَ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: تَطلُبُوه قَبلَ حِينِه، فإنَّه وَاقِعٌ لا مَحَالَةَ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تَنزِيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غَيرَه!

[٢] ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: جِبرِيلَ ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: بالوَحيِ ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: بِإرَادَتِه[٥] ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ - وهُمُ الأَنبِيَاءُ- ﴿أَنْ﴾: مُفَسِّرَةٌ ﴿أَنذِرُوٓا۟﴾: خَوِّفُوا الكَافِرِينَ بِالعَذَابِ، وأَعلِمُوهُم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾: خَافُونِ.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مُحِقًّا ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به مِنَ الأَصنَامِ!

[٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ إلى أنْ صَيَّرَهُ قَوِيًّا شَدِيدًا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شَدِيدُ الخُصُومَةِ ﴿مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُها[٦]، في نَفيِ البَعْثِ، قَائِلًا: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[٧]؟

[٥] ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾: الإبِلَ والبَقَرَ والغَنَمَ. ونَصبُه بِفِعلٍ مُقدَّرٍ[٨] يُفَسِّرُه: ﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾ مِنْ جُملَةِ النَّاسِ[٩] ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: ما تَستَدفِئُونَ به مِنَ الأَكسِيَةِ والأَردِيَةِ، مِنْ أَشعَارِها وأَصوَافِها ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ مِنَ النَّسلِ والدَّرِّ والرُّكُوبِ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ - قَدَّمَ الظَّرفَ لِلفَاصِلَةِ[١٠]-.

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زِينَةٌ ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تَرُدُّونَها إلى مُرَاحِها بالعَشِيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تُخرِجُونَها إلى المَرعَى بالغَدَاةِ.

---

(١) هذا قولُ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كما أخرَجَهُ البُخارِيُّ وغيرُه.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بأن أهلكنا).

(٣) أخرجَه الطبرانيُّ في الأوسَطِ (٥/ ١٧٣-١٧٤ رقم ٤٩٨٦)، والبيهقيُّ في دلائلِ النُّبوَّةِ (٢/ ٣١٦-٣١٧)، والضِّياءُ المَقدِسيُّ في الأحاديثِ المختارةِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ به. وقالَ الهيثميُّ في المَجمَع (٧/ ٤٧): «فيه مُحمَّدُ بنُ عبدِ الحكيم النيسابوريُّ، ولم أعرفه، وبقيَّةُ رِجالِه ثِقاتٌ رجالُ الصَّحيحِ». وحسَّنه السُّيوطيُّ في الدُّرِّ المنثورِ (٥/ ١٠١)، وصحَّحه الضِّياءُ المَقدِسيُّ.

(٤) لم نَقِفْ عليه مُسنَدًا، وأورده الواحديُّ في أَسبابِ النُّزولِ (ص٢٨٤) بِدُونِ إسنادٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

(٥) الأمْرُ غيرُ الإرادةِ، والصَّوابُ أن يُقَالَ: إنَّ المُرَادَ مِنَ الأمرِ كلامُ الله وحُكمُه. والأَشاعِرةُ -كَالمُصنِّفِ رَحِمَهُ اللهُ- يَتحاشَونَ إثباتَ حَقيقةِ الكَلام لله سُبْحَانَهُ.

(٦) أي: بَيِّنُ الخُصُومَةِ.

(٧) يس: ٧٨.

(٨) كلمةُ: (مُقدَّر) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٩) يُشيرُ إلى أنَّ الخِطابَ في ﴿لَكُمْ﴾ لِقُريشٍ، والأَولَى حَمْلُها على العُمومِ.

(١٠) أي: مُراعاةً لِرءوسِ الآيِ.

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ
وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم
مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ
١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا
أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣
وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا
وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ
فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤

[٧] ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾: أحمالَكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾: واصِلِينَ إليه على غيرِ الإبلِ ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾: بِجَهْدِها ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ بِكُم؛ حَيثُ خلَقَها لَكُم.

[٨] ﴿وَ﴾ خلَقَ ﴿ٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾: مَفعُولٌ له- والتَّعليلُ بهما لِتَعريفِ النِّعَمِ لا يُنَافِي خَلْقَها لِغَيرِ ذلكَ؛ كَالأَكْلِ في الخَيلِ، الثَّابِتِ بِحَديثِ[1] الصَّحِيحَينِ[2]- ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ مِنَ الأَشياءِ العَجِيبَةِ الغَرِيبَةِ.

[٩] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: بَيانُ الطَّرِيقِ المُستَقِيمِ ﴿وَمِنۡهَا﴾ أي: السَّبِيلِ ﴿جَآئِرٞۚ﴾: حَائِدٌ عَنِ الاستِقَامَةِ ﴿وَلَوۡ شَآءَ﴾ هِدايَتَكُم ﴿لَهَدَىٰكُمۡ﴾ إلى قَصْدِ السَّبِيلِ ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ فتَهتَدُونَ إليه بِاختِيَارٍ مِنكُم.

[١٠] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ تَشرَبُونَه ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ﴾ يَنبُتُ بِسَبَبِه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: تَرعَونَ دَوَابَّكُم.

[١١] ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ ﴿لَأٓيَةٗ﴾ دَالَّةً على وَحدانِيَّتِه تعالَى ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنْعِه فيُؤمِنُونَ.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ﴾ - بِالنَّصْبِ: عَطفًا على ما قَبلَه، والرَّفعِ[3]: مُبتَدأ- ﴿وَٱلۡقَمَرَ [وَٱلنُّجُومَ]﴾ - بِالوَجهَينِ[4]- ﴿[مُسَخَّرَٰتِۢ]﴾ -بالنَّصْبِ: حالٌ، والرَّفعِ: خَبَرٌ- ﴿بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: بِإرَادَتِه[5] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

[١٣] ﴿وَ﴾ سَخَّرَ لَكُم ﴿مَا ذَرَأَ﴾: خلَقَ ﴿لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مِنَ الحَيَوانِ والنَّبَاتِ وغَيرِ ذلكَ ﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ﴾ كَأَحْمَرَ وأَصْفَرَ وأَخْضَرَ وغَيرِها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ﴾: ذَلَّلَهُ لِرُكُوبِه والغَوصِ فيه ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ هو السَّمَكُ ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ هي اللُّؤلُؤُ والمَرجَانُ ﴿وَتَرَى﴾: تُبصِرُ ﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾: السُّفُنَ ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: تَمخُرُ الماءَ؛ أي: تَشُقُّه، بِجَرْيِها فيه مُقبِلَةً ومُدبِرَةً بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ عَطفٌ على: ﴿لِتَأۡكُلُواْ﴾: تَطلُبُوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ -تعالَى- بِالتِّجَارَةِ ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلكَ.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (في حديث).

(٢) وهو حديثُ أسماءَ بِنتِ أبي بَكرٍ رضي الله عنهما، قالَتْ: «نَحَرْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَرَسًا فَأَكَلْنَاهُ». البُخارِيُّ (٥٥١١)، ومسلمٌ (١٩٤٢).

(٣) ﴿وَٱلشَّمۡسُ﴾؛ بالرَّفعِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِالنَّصْبِ: ﴿وَٱلشَّمۡسَ﴾.

(٤) أي: بِالنَّصْبِ والرَّفعِ. وقَرَأَ ابنُ عامرٍ بِالرَّفعِ في الأَربَعةِ كلماتٍ، ووافقه حَفصٌ في ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾، وقَرَأَ السَّبعَةُ عَدا حَفصٍ وابنِ عامرٍ بِالنَّصْبِ في الأربعةِ.

(٥) الأَمرُ غَيرُ الإرادةِ. ورَاجِعِ التعليقَ على الآيةِ رقم (٢). والأَمرُ هنا قَوليٌّ، وهو أَمرٌ كَونيٌّ، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]؛ فتَفسِيرُ الأَمرِ بِالإرادةِ فِرارٌ مِن إثباتِ صِفَةِ الكلامِ للهِ عزَّ وجلَّ.

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ
غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم
مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟
أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم
بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

[١٥] ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: جِبالًا ثَوابِتَ، لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تَتحرَّكَ ﴿بِكُمْ﴾ جَعَلَ فيها ﴿أَنْهَٰرًا﴾ كَالنِّيلِ ﴿وَسُبُلًا﴾: طُرُقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مَقَاصِدِكُم.

[١٦] ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ تَستَدِلُّونَ بها على الطُّرُقِ، كَالجِبالِ بالنَّهارِ ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ بِمَعنَى: النُّجُومِ ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطُّرُقِ والقِبلَةِ، باللَّيلِ.

[١٧] ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ - وهو اللهُ- ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنامُ، حَيثُ[1] تُشرِكُونَها معه في العِبَادَةِ؟ لا ﴿أَفَلَا [تَذَّكَّرُونَ][2]﴾ هذا فتُؤمِنُونَ؟

[١٨] ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: تَضبِطُوها، فَضلًا أَنْ تُطِيقُوا شُكْرَها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حَيثُ يُنعِمُ عَليكُم، مع تَقصِيرِكُم وعِصيَانِكُم.

[١٩] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَٱلَّذِينَ [تَدْعُونَ]﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[3]-: تَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ - وهُمُ الأصنَامُ- ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: يُصَوَّرُونَ مِنَ الحِجارَةِ وغَيرِها.

[٢١] ﴿أَمْوَٰتٌ﴾: لا رُوحَ فيهم؛ خَبَرٌ ثانٍ ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾: تَأْكِيدٌ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الأَصنَامُ ﴿أَيَّانَ﴾: وَقتَ ﴿يُبْعَثُونَ﴾ أي: الخَلْقُ. فكَيفَ يُعبَدُونَ؟! إِذْ لا يَكُونُ إِلهًا إِلَّا الخَالِقُ الحَيُّ العَالِمُ بِالغَيبِ.

[٢٢] ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾: المُستَحِقُّ لِلعِبادَةِ مِنكُم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: لا نَظِيرَ له في ذَاتِه ولا صِفَاتِه، وهو اللهُ تعَالَى ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾: جَاحِدَةٌ لِلوَحدَانيَّةِ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: مُتكَبِّرُونَ عَنِ الإِيمانِ بها.

[٢٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾: حَقًّا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيُجَازِيهم بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ بِمَعنَى: أَنَّه يُعَاقِبُهم[4].

[٢٤] ونَزَلَ في النَّضرِ بنِ الحَارِثِ[5]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّا﴾: استفهَامِيَّةٌ ﴿ذَا﴾: مَوصُولةٌ ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على مُحَمَّدٍ؟ ﴿قَالُوٓا۟﴾: هو ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: أَكَاذِيبُ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إِضلَالًا للنَّاسِ.

[٢٥] ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟﴾ في عَاقِبَةِ الأَمرِ ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: ذُنُوبَهم ﴿كَامِلَةً﴾: لم يُكَفَّرْ منها شَيءٌ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ﴾: بَعضِ[6] ﴿أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لِأَنَّهم دَعَوْهُم إِلى الضَّلالِ، فاتَّبَعُوهم، فاشتَرَكُوا في الإِثمِ ﴿أَلَا سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا يَزِرُونَ﴾: يَحمِلُونَه حِمْلُهم هذا!

[٢٦] ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ -وهو نُمرُوذُ[7] بَنَى صَرحًا طَوِيلًا؛ لِيَصعَدَ منه إِلى السَّماءِ لِيُقَاتِلَ أَهلَهَا[8]- ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾: قَصَدَ[9] ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: الإِسَاسِ، فأَرسَلَ عليه الرِّيحَ[10] والزَّلزَلةَ[11] فهَدَمَته ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي: وهُمْ تَحتَهُ ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: مِنْ جِهَةٍ لا تَخطُرُ بِبالِهم. وقِيلَ: هذا تَمثِيلٌ لِإفسَادِ ما أَبرَمُوه مِنَ المَكرِ بِالرُّسُلِ.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (حتى).

(٢) قرأ حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بِتَخفِيفِ الذَّالِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾، بِتَشدِيدِ الذَّالِ.

(٣) بالتَّاءِ: قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عدا عاصم.

(٤) وهذا تأويلٌ لِصفةِ المَحبَّةِ التي أَثبتَها ربُّنا عَزَّوَجَلَّ لِنفسِه، ونُؤمنُ بها على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبْحَانَهُ-، ومن أَثرِ انتفائِها أن يُعاقِبَ مَنْ لا يُحِبُّهم.

(٥) أي: بِالنَّصبِ والرَّفعِ. وقرأَ ابنُ عامرٍ بِالرَّفعِ في الأَربعةِ كَلِماتٍ، ووافقَه حفصٌ في ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾، وقرأَ السَّبعَةُ عدا حفصٍ وابنِ عامرٍ بِالنَّصبِ في الأربعةِ.

(٦) هذا اختيارُ المُصنِّفِ، وهو خِلافُ ظاهرِ الآيَةِ، والذي يَشهدُ له الحديثُ أَنَّ ﴿مِن﴾ بِمَعنَى: مِثل؛ أي: إِنَّ على الرؤساءِ مِثلَ أَوزارِ الأَتباعِ، كما قالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «... وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٨٣١) مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ.

(٧) هذا هو الصحيحُ في ضَبطِ «نُمروذ» أَنّه بِالذَّالِ المُعجَمَةِ، وفي بعضِ النُّسَخِ بِالدالِ المُهمَلةِ.

(٨) قالَ الرَّازيُّ في مفاتيحِ الغيبِ (٢٠/ ١٩٨): وَهُوَ قَوْلُ الأَكْثَرِ مِنَ المُفَسِّرِينَ: «أَنَّ المُرَادَ مِنْهُ نُمْرُوذُ بْنُ كَنْعَانَ، بَنَى صَرْحًا عَظِيمًا بِبَابِلَ، طُولُهُ خمسة آلاف ذراع. وقيل فَرْسَخَانِ، وَرَامَ مِنْهُ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ لِيُقَاتِلَ أهلها...». وعَزاهُ الطبريُّ (١٤/ ٢٠٤) لابنِ عبَّاسٍ.

(٩) وفيه إِثبَاتُ صِفةِ الإِتيانِ والمَجِيءِ لله عَزَّوَجَلَّ، على الوَجهِ اللائِقِ بِه، مِنْ غَيرِ تَأوِيلٍ ولا تَعطِيلٍ ولا تَمثِيلٍ ولا تَكيِيفٍ.

(١٠) ذكرَه الثعلبيُّ في الكشفِ والبيانِ عن تفسيرِ القُرآنِ (٦/ ١٤) عن مُقاتِلٍ.

(١١) قال يحيى بنُ سلام في تفسيرِه (١/ ٥٩): «﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: يَعْنِي: الَّذِينَ أَهْلَكَ بِالرَّجْفَةِ مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، رَجَفَتْ بِهِمُ الأَرْضُ».

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾
الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ
ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن
تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

ربع الحزب ٢٧

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: يُذِلُّهم ﴿وَيَقُولُ﴾ اللهُ لهم على لِسانِ الملائكةِ توبيخًا[1]: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ - بزَعمِكُم- ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾: تُخالِفُون المؤمنينَ ﴿فِيهِمْ﴾: في شأنِهم؟ ﴿قَالَ﴾ أي: يَقُولُ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ مِنَ الأنبياءِ والمُؤمِنِينَ: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ - يَقُولُونَه شَماتَةً بهم-.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[2]- ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بِالكُفرِ ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾: انقَادُوا واستَسلَمُوا عِندَ المَوتِ، قَائِلِينَ: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾: شِرْكٍ. فتَقُولُ الملائِكَةُ: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيكُم به. ويُقَالُ لهم:

[٢٩] ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مَأْوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾!

[٣٠] ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشِّرْكَ: ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بِالإِيمانِ ﴿فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: حَياةٌ طيِّبَةٌ ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنَّةُ ﴿خَيْرٌ﴾ من الدُّنيا وما فيها. قالَ تعَالَى فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي!

[٣١] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: إقَامَةٍ، مُبتَدأٌ، خَبَرُه: ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ﴾ الجَزَاءِ ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ﴾: نَعتٌ ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: طَاهِرِينَ مِنَ الكُفْرِ ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عِندَ المَوتِ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾ ويُقَالُ لَهم في الآخِرَةِ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: يَنتَظِرُ الكُفَّارُ ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[3]- ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لِقَبضِ أَروَاحِهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: العَذَابُ، أَوِ القِيامَةُ المُشتَمِلَةُ عليه؟ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كَما فَعَلَ هؤلَاءِ ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الأُمَمِ؛ كَذَّبُوا رُسُلَهم فأُهلِكُوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بِإِهلَاكِهم بِغَيرِ ذَنبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِالكُفْرِ.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جَزَاؤُها ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العَذَابُ.

---

(١) وهذا تأويلٌ لِظاهرِ الآيةِ بِغَيرِ دَليلٍ، وَدَفَعَ لذلكَ مذهبُه في نَفيِ صِفةِ القَولِ والكلامِ عَنِ الله عَزَّوَجَلَّ، وهو ما يثبتُه السَّلَفُ الصالحُ على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبْحَانَهُ-.

(٢) ﴿يَتَوَفَّاهُمُ﴾ بالياءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾ بِالتَّاءِ.

(٣) ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾ بِالياءِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾ بِالتَّاءِ.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

[٣٥] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ مِنْ أهلِ مَكَّةَ: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ مِنَ البَحائرِ والسَّوائِبِ[١]. فإشراكُنا وتحريمُنا بِمَشِيئتِه فهو رَاضٍ به. قال تَعالَى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كذَّبوا رُسُلَهم فيما جاءُوا به ﴿فَهَلْ﴾: فما ﴿عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: الإبلاغُ البَيِّنُ؟ وليسَ عليهم هِدايَةٌ.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ كما بعثناكَ في هؤلاءِ ﴿أَنِ﴾ أي: بأَنِ ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوه ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الأوثانَ أن تعبُدُوها ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فآمَنَ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ﴾: وَجبَتْ ﴿عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ في عِلْمِ اللهِ فلَم يُؤمِنْ ﴿فَسِيرُوا۟﴾ - يا كُفَّارَ مَكَّةَ- ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ رُسُلَهم مِنَ الهَلاكِ؟

[٣٧] ﴿إِن تَحْرِصْ﴾ - يا مُحَمَّدُ- ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ وقدْ أضلَّهم الله، لا تَقدِرْ على ذلكَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا [يُهْدَىٰ]﴾ -بِالبِناءِ للمَفعُولِ وللفَاعَلِ[٢]- ﴿مَن يُضِلُّ﴾: مَنْ يُرِيدُ إِضلالَه ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَانِعِينَ مِنْ عذابِ الله.

[٣٨] ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: غَايَةَ اجتهادِهم فيها ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾. قَال تَعالَى: ﴿بَلَىٰ﴾ يَبْعثُهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾: مَصدَرانِ مُؤكَّدانِ مَنصُوبانِ بِفعْلِهما المُقَدَّر؛ أي: وَعَدَ ذلكَ وَحقَّه حقًّا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أهلِ مَكَّةَ[٣] ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٣٩] ﴿لِيُبَيِّنَ﴾: مُتعَلِّقٌ بِـ«يَبعَثُهم» المُقَدَّرِ ﴿لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ﴾ مَعَ المُؤمِنِينَ ﴿فِيهِ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، بِتعذِيبِهم وإثابَةِ المُؤمنينَ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ في إِنكَارِ البَعْثِ.

[٤٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ أي: أَردنَا إِيجَادَه. و﴿قَوْلُنَا﴾: مُبتَدأٌ، خَبَرُه: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يَكُونُ. وفي قِراءَةٍ بِالنَّصْبِ[٤] عَطفًا عَلَى: ﴿نَّقُولَ﴾. والآيَةُ لِتقرِيرِ القُدرَةِ على البَعْثِ.

[٤١] ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾: لإِقَامَةِ دِينِه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ بِالأَذَى مِنْ أهلِ مَكَّةَ- وهُمُ النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه- ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: نُنزِلَنَّهم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ دارًا ﴿حَسَنَةً﴾ هي المَدِينَةُ ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: الجَنَّةُ ﴿أَكْبَرُ﴾: أعظَمُ. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: الكُفَّارُ، أوِ المُتخلِّفُونَ عَنِ الهِجرَةِ، ما لِلمُهَاجِرِينَ مِنَ الكَرامَةِ لَوافَقُوهم.

[٤٢] هُمُ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على أذَى المُشرِكِينَ والهِجْرةِ لِإظهَارِ الدِّينِ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزُقُهم مِنْ حَيثُ لا يَحتَسِبونَ.

---

(١) البَحائِرُ والسَّوائِبُ هي: جَمع «بَحِيرة» و«سَائبة»، وتَقدَّمَ تفسيرُ معناها في سُورةِ المائدةِ آية (١٠٣).

(٢) ﴿يُهْدَىٰ﴾؛ بالبناءِ لِلمفعولِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، على معنى: مَنْ أضلَّه الله لم يَهدِه هَادٍ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالبناءِ للفَاعلِ: ﴿يَهْدِى﴾، والمعنَى: لا يُرشِدُ مَنْ أضلَّه، أي: إنَّ اللهَ لا يهدي مَنْ سَبق في عِلمِه سبحانَه أنَّه مِن أهلِ الضَّلالةِ.

(٣) الصَّوابُ في هذا ونحوه مِمَّا يَرِدُ في كلامِ بعضِ المفسِّرينَ مِنْ تخصيصٍ لِلَفظِ النَّاسِ أوِ الإنسانِ: القَولُ بالعُمومِ وإطلاقُ ما أطلقَه الله.

(٤) ﴿فَيَكُونَ﴾؛ بالنَّصب: لِلكسائيِّ وابنِ عامرٍ.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ
ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)
أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ
يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ
(٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠) ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ
ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ (٥١) وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا
كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤)

سجدة — الحزب ٢٨

[٤٣] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا [يُوحَىٰٓ][1] إِلَيْهِمْ﴾ لا مَلائِكَةً ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: العُلَماءَ بِالتَّوراةِ والإِنجيلِ ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فإنَّهم يَعلَمُونَه، وأنتم إلى تَصدِيقِهم أقرَبُ مِنْ تَصدِيقِ المُؤمِنينَ بِمُحمَّدٍ[2] ﷺ.

[٤٤] ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: مُتعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ؛ أي: أَرسَلنَاهم بِالحُجَجِ الوَاضِحَةِ ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: الكُتُبِ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾: القُرآنَ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه مِنَ الحَلالِ والحَرامِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيَعتَبِرُونَ.

[٤٥] ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟﴾ المَكَراتِ ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بِالنَّبيِّ ﷺ في دَارِ النَّدوَةِ، مِنْ تَقيِيدِه أو قَتلِه أَو إِخرَاجِه، كما ذُكِرَ في «الأَنفالِ»[3] ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كقَارُونَ ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: مِنْ جِهَةٍ لا تَخطُرُ بِبالِهم- وقَدْ أُهلِكُوا بِبَدْرٍ ولم يَكُونُوا يُقدِّرُوا[4] ذلك-.

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾: في أسفَارِهم لِلتِّجارَةِ ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بِفَائِتِينَ العَذَابَ.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: تَنَقُّصٍ شَيئًا فشَيئًا، حتى يَهلِكَ الجَميعُ[5]؟ حَالٌ مِنَ الفَاعِلِ أوِ المفعُولِ ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حَيثُ لَم يُعَاجِلْهم بِالعُقُوبَةِ.

[٤٨] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ له ظِلٌّ كَشَجَرَةٍ وجَبَلٍ ﴿[تَتَفَيَّؤُا۟][6]﴾: تَتَميَّلُ ﴿ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾: جَمعُ شِمَالٍ؛ أي: عَنْ جَانِبَيهِما[7] أَوَّلَ النَّهارِ وآخِرَه ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾: حَالٌ؛ أي: خَاضِعِينَ بِمَا يُرَادُ منهم ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: الظِّلالُ ﴿دَٰخِرُونَ﴾: صَاغِرُونَ؟ نُزِّلُوا مَنزِلَةَ العُقَلاءِ.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: نَسَمَةٍ تَدُبُّ عليها؛ أي: يَخضَعُ له بِمَا يُرادُ منهم[8]، وغُلِّبَ في الإِتيانِ بـ«مَا» مَا لَا يَعقِلُ لِكَثرَتِه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ خَصَّهُم بِالذِّكرِ تَفضِيلًا ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يَتكَبَّرُونَ عَنْ عِبادَتِه.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: المَلائِكَةُ؛ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾: حَالٌ مِنْ «هم»؛ أي: عَالِيًا عليهم بِالقَهرِ[9] ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ به.

[٥١] ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: تَأكِيدٌ ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ - أَتَى به لإِثبَاتِ الإِلَهِيَّةِ والوَحدَانِيَّةِ- ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: خَافُونِ دُونَ غَيرِي. وفيه التِفَاتٌ عَنِ الغَيبَةِ.

[٥٢] ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُلكًا وخَلقًا وعَبِيدًا ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الطَّاعةُ ﴿وَاصِبًا﴾: دَائمًا. حَالٌ مِنَ: ﴿ٱلدِّينُ﴾، والعَامِلُ فيه مَعنَى الظَّرفِ[10] ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو الإِلَهُ الحَقُّ، ولا إِلَهَ غَيرُه؟ والاستِفهامُ لِلإِنكارِ أوِ التَّوبِيخِ[11].

[٥٣] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ لا يَأتِي بها غَيرُه- و﴿مَا﴾ شَرطِيَّةٌ أو مَوصُولَةٌ- ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾: أَصَابَكُم ﴿ٱلضُّرُّ﴾: الفَقرُ والمَرَضُ ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: تَرفَعُونَ أَصواتَكُم بِالاستِغاثَةِ والدُّعاءِ، ولا تَدعُونَ غَيرَه.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) قَرَأَ حفصٌ: ﴿نُّوحِىٓ﴾ بِالنُّونِ وكَسرِ الحَاءِ. والقِراءةُ المُثبَتَةُ لِبَقِيَّةِ السَّبعَةِ: ﴿يُوحَىٰٓ﴾؛ بِاليَاءِ وفَتحِ الحَاءِ.

(٢) وذلك لِأَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ، كانوا يعتقدونَ أَنَّ أَهلَ الكتابِ عندَهم علمُ الكُتُبِ القَديمةِ، فلا بُدَّ أن أرسلَ اللهُ لهم رسلًا، كمُوسَى وعِيسَى وداودَ وسُليمانَ وغيرِهم، وكانوا بَشرًا، فإذا سألُوهم، فلا بُدَّ أن يُجيبوا بِأَنَّ الرُّسلَ الذين أُرسِلُوا إليهم كانوا بَشرًا، فحِينئذٍ يزولُ عن قُلوبِهم الرَّيبُ والشَّكُّ. يُنظرُ: حاشية الصاوي على الجلالين (٣/ ٢٦٩).

(٣) الآية: ٣٠.

(٤) كذا في الأَصلِ وفي النُّسخِ التي بين أيدينا. وفي بعضِها-كما قالَ قباوةُ-: (لم يكونوا يُقدِّرُونَ). وقال الصَّاوي في حاشيته (٣/ ٢٦٩): «وهو بدلٌ من: «يكونوا»، والمُبدلُ مِنَ المَجزومِ مَجزومٌ، أو حُذِفتِ النُّونُ تخفيفًا». وقال قباوةُ (ص٩٩١) تعليقًا على هذا التوجيه: «وكلا التَّوجيهَينِ جائزٌ وصحيحٌ، ويجوزُ أن يكونَ الجزمُ على الجِوارِ أيضًا؛ فالفعلُ مَرفوعٌ حُذِفتْ منه النُّونُ لِلجِوارِ. والبَدليَّةُ تعني أَنَّ فِعلَ الكَونِ تامٌّ لا ناقص. ومع هذا كُلِّه لا يَصلُح القياسُ عليه في فَصيحِ الكَلامِ».

(٥) والقولُ الآخَرُ: أي: في حَالِ خَوفِهم.

(٦) ﴿تَتَفَيَّؤُا۟﴾ بِالتَّاءِ: قِراءَةُ أَبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟﴾ بِاليَاءِ.

(٧) بِالتثنيةِ، والضميرُ لليَمينِ والشَّمائلِ. وفي نُسخَةِ قَباوَة، وفي بَعضِ النُّسَخِ: (جانبيها)؛ بِصِيغَةِ الجمعِ؛ وكأنَّه اعتبرَ تَعدُّدَ الشَّمائلِ مَعَ اليَمينِ فيَكُونُ المجموعُ جَمعًا. حاشيةُ الجملِ (٢/ ٥٧٤).

(٨) في نُسخَةِ قَباوَة: (منه).

(٩) قَصرُ العُلوِّ على عُلوِّ القَهرِ فقط غيرُ صحيحٍ. ومذهبُ السَّلفِ إثباتُ جميعِ خِصالِ العُلوِّ له -سُبحَانَهُ-؛ فله- سُبحَانَهُ - عُلوُّ الشَّأنِ، وعُلوُّ القَهرِ، وعُلوُّ الذَّاتِ.

(١٠) وهو: الاستقرارُ المفهومُ مِنَ الجارِّ والمجرورِ. والتقديرُ: استقرَّ الدِّينُ له حَالَ كونه دائمًا. حاشية الصاوي (٣/ ٢٧١).

(١١) في نُسخَةِ قَباوَة: (أو لِلتَّوبيخِ). وفي قُرَّةِ العَينَينِ: (والتَّوبيخِ)؛ بالواوِ. وهو الصَّوابُ؛ فالمعنيانِ واحدٌ فقط، هو الإنكارُ التوبيخيُّ للتقريعِ والتبكيتِ. قباوة (ص٩٩٤).

لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ
وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَۚ وَتَصِفُ
أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ
وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ مِنَ النِّعمةِ ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ بِاجتِماعِكُم على عِبادةِ الأصنامِ. أَمْرُ تَهديدٍ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقِبةَ ذلك.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المُشرِكونَ ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّها تَضُرُّ ولا تَنفعُ- وهي الأصنامُ- ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مِنَ الحَرثِ والأَنعامِ، بِقَولِهم: «هَذا للهِ، وهَذا لِشُرَكائِنا»[1] ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ سُؤالَ تَوبيخٍ. وفيه التِفاتٌ عَنِ الغَيبةِ ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ على اللهِ، مِنْ أَنَّه أَمَرَكُم بذلكَ!

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ بِقَولِهم: الملائِكةُ بَناتُ اللهِ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تَنزيهًا له عمّا زَعَمُوا! ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: البَنُونَ. والجُملةُ في مَحَلِّ رَفعٍ[2]، أو نَصبٍ بِـ«يَجعَل»[3]. المعنَى: يَجعَلُونَ له البناتِ التي يَكرَهُونَها، وهو مُنزَّهٌ عن الوَلَدِ، ويَجعَلُونَ لَهُمُ الأَبناءَ الذينَ[4] يَختارُونَها، فيَختَصُّونَ بِالأَسنَى[5]؛ كَقَولِه: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾؟[6].

[٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ تُولَدُ له ﴿ظَلَّ﴾: صارَ ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: مُتَغَيِّرًا تَغَيُّرَ مُغْتَمٍّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مُمتَلِئٌ غَمًّا. فكيفَ تُنسَبُ البَناتُ إليه تَعالَى؟!

[٥٩] ﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾: يَختَفِي ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: قَومِه ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ خَوفًا مِنَ التَّعييرِ، مُتَرَدِّدًا فيما يَفعَلُ به ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾: يَترُكُه بِلا قَتلٍ ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: هَوانٍ وذُلٍّ ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ بِأَنْ يَئِدَه؟ ﴿أَلَا سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حُكْمُهم هذا! حيثُ نَسَبُوا لِخالِقِهم البَناتِ اللّاتي هِيَ عِندَهم بِهذا المَحِلِّ!

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: الكُفّارِ ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: الصِّفَةُ السَّوأَى؛ بِمَعنَى: القَبِيحَةُ، وهي وَأْدُهُمُ البَناتِ، مع احتِياجِهم إِليهِنَّ لِلنِّكاحِ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الصِّفَةُ العُليا- وهو أَنَّه لا إِلَهَ إِلَّا هُو- ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خَلْقِه.

[٦١] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾: بِالمَعاصِي ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: الأَرضِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: نَسَمَةٍ تَدِبُّ عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأَنفُسِهم مِنَ البَناتِ، والشَّرِيكِ في الرِّياسةِ، وإِهانَةِ الرُّسُلِ ﴿وَتَصِفُ﴾: تَقُولُ ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عِندَ اللهِ؛ أي: الجَنَّةَ؛ لِقَولِه: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾[7]. قال تَعالَى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقًّا ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: مَترُوكُون فيها، أو مُقَدَّمُونَ إِليها. وفي قِراءةٍ بِكَسرِ الرَّاءِ[8]؛ أي: مُتَجاوِزُونَ الحَدَّ.

[٦٣] ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رُسُلًا ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السَّيِّئَةَ، فَرَأَوها حَسنَةً، فكَذَّبُوا الرُّسُلَ! ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾: مُتَوَلِّي أُمُورِهم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي: في الدُّنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ في الآخِرةِ. وقِيلَ: المُرادُ بِاليَومِ يَومُ القِيامَةِ، على حِكايةِ الحالِ الآتِيةِ؛ أي: لا وَلِيَّ لهم غَيرُه، وهو عاجِزٌ عَنْ نَصرِ نَفسِه، فكَيفَ يَنصُرُهم؟!

[٦٤] ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ مِنْ أَمرِ الدِّينِ ﴿وَهُدًى﴾ - عَطفٌ على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾- ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

---

(١) كَما في سُورة الأَنعام: الآية (١٣٦).

(٢) المُناسبُ أن يقولَ: مُستأنَفةٌ، لِأَنَّ «هم»: خَبرٌ مُقدَّمٌ، و«ما»: مُبتدأٌ مُؤخَّرٌ، لا مَحَلَّ لها مِنَ الإِعرابِ. حاشية الصَّاوي (٣/ ٢٧٢).

(٣) أي: بِالعطفِ على مَعمولَي: «يَجعل»، اللذان هُما: «للهِ»، و«البَنَاتِ»؛ أي: ويَجعلونَ له ما يَشتهونَ.

(٤) في نُسْخَةِ قَباوَة: (التي). وقالَ في تعليقِه في توجيهِ العِبارةِ (ص٩٩٧): «وقد عُبِّرَ عن جَمعِ التَّكسيرِ؛ «الأبناء» بِالتأنيثِ، وهو جائزٌ وصحيحٌ». وجاءَ في بَعضِ النُّسَخِ: (الذين يختارونَهم).

(٥) أي: الأَرفَع والأَشرَف.

(٦) الصَّافات: ١٤٩.

(٧) فُصِّلتْ: ٥٠.

(٨) ﴿مُفْرِطُون﴾؛ بِكسرِ الرَّاءِ مُخفَّفَة لِنَافعٍ.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم
مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ
كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ
أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾
وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟
بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: يُبْسِها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكُورِ ﴿لَءَايَةً﴾ دَالَّةً على البَعْثِ ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ تَدبُّرٍ.

[٦٦] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾: اعتِبَارًا ﴿نُّسْقِيكُم﴾: بَيانٌ لِلعِبرَةِ ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ أي: الأَنعَامِ ﴿مِنۢ﴾: لِلابتِداءِ، مُتَعلِّقَةٌ بـ﴿نُّسْقِيكُم﴾ ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾: ثُفْلِ الكَرِشِ ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾: لا يَشُوبُه شَيءٌ مِنَ الفَرْثِ والدَّمِ، مِنْ طَعْمٍ أو رِيحٍ أو لَونٍ، وهو بينهما ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: سَهْلَ المُرُورِ في حَلقِهم لا يُغَصُّ به.

[٦٧] ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ ثَمَرٌ ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: خَمْرًا يُسْكِرُ. سُمِّيَتْ بِالمصدَرِ- وهذا قَبلَ تَحرِيمِها- ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كَالتَّمرِ والزَّبِيبِ والخَلِّ والدِّبْسِ[1] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكُورِ ﴿لَءَايَةً﴾ دَالَّةً على قُدْرَتِه -تعَالَى- ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتدَبَّرُونَ.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ وَحيَ إِلهَامٍ ﴿أَنِ﴾: مُفسِّرَةٌ، أو مَصدَرِيَّةٌ ﴿ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تَأْوِينَ إِليها ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ بُيُوتًا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: النَّاسُ، يَبنُونَ لَكِ مِنَ الأَمَاكِنِ- وإِلَّا لَم تَأوِ إِليها-.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى﴾: اُدْخُلِي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: طُرُقَه في طَلَبِ المَرعَى ﴿ذُلُلًا﴾: جَمعُ ذَلُولٍ. حَالٌ مِنَ السُّبُلِ؛ أي: مُسَخَّرةً لكَ، فلا تَعسُرَ عَليكِ وإِنْ تَوعَّرَتْ، ولا تَضِلِّي على العَودَةِ منها وإِنْ بَعُدَت. وقِيلَ: مِنَ الضَّمِيرِ في «اسْلُكِي»؛ أي: مُنقَادَةً لِمَا يُرَادُ مِنكِ ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العَسَلُ ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ مِنَ الأَوجَاعِ؛ قِيلَ: لِبَعضِها، كما دَلَّ عليه تَنكِيرُ ﴿شِفَآءٌ﴾. أو لِكُلِّها بِضَمِيمَتِه إِلى غَيرِه. أَقُولُ: وبِدُونِها بِنِيَّتِه[2]. وقَدْ أَمَرَ به ﷺ مَنِ استُطْلِقَ عليه[3] بَطنُه. رَوَاهُ الشَّيخَانِ[4] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنْعِه- تعَالَى-.

[٧٠] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولَم تَكُونُوا شَيئًا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ عِندَ انقِضَاءِ آجَالِكُم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي: أَخَسِّه مِنَ الهَرَمِ والخَرَفِ ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ قالَ عِكرِمَةُ: «مَنْ قَرَأَ القُرآنَ لَمْ يَصِرْ بِهذِهِ الحَالَةِ»[5] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِتَدبِيرِ خَلْقِه ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يُرِيدُه[6].

[٧١] ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ فمِنكُم غَنِيٌّ وفَقِيرٌ، ومَالِكٌ ومَملُوكٌ ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ أي: المَوَالِي ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: بِجَاعِلِي ما رَزَقنَاهُم مِنَ الأَموَالِ وغَيرِها شَرِكَةً بينَهم وبينَ مَمَالِيكِهم ﴿فَهُمْ﴾؛ أي: المَمَالِيكُ والمَوَالِي ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾: شُرَكَاءُ. المَعنَى: ليسَ لهم شُرَكَاءُ مِنْ مَمَالِيكِهم في أَموَالِهم. فكيفَ يَجعلُونَ بَعضَ مَمَالِيكِ اللهِ شُرَكاءَ له؟! ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: يَكفُرُونَ؛ حَيثُ يَجعلُونَ له شُرَكاءَ؟

[٧٢] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ[7]، وسَائِرَ النَّاسِ مِنْ نُطَفِ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: أَولَادَ الأَولَادِ ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِنْ أَنواعِ الثِّمَارِ والحُبُوبِ والحَيَوانِ ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: الصَّنَمِ ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بِإِشرَاكِهم؟

---

(١) هو عَسَلُ الرُّطَبِ، ويُطلَقُ على عَسَلِ العِنَبِ.

(٢) أي: بِنِيَّةِ الشِّفَاءِ الجَازِمَةِ أَنَّ الله يَخلُقُ الشِّفَاءَ عندَ استعمَالِه، لإِخبَارِه -تعَالَى- بِذلكَ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (استطلق بطنُه)، بِدُونِ: (عليه).

(٤) البُخَارِيُّ (٥٢٧٧)، ومسلمٌ (٤١٠٧) عن أَبي سعيدٍ الخُدريِّ مرفوعًا.

(٥) أخرج الحاكمُ في مُستدرَكِه (٣٩٥٢) عَنْ عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين:٦]». قَالَ: «إِلَّا الَّذِينَ قَرَءُوا الْقُرْآنَ». وقال الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ. وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ التَّرغِيبِ (١٤٣٥).

(٦) الأَوْلَى الإِطلاقُ، فهو سبحانَه قديرٌ على كلِّ شيءٍ يُريدُه أو لا يُريدُه.

(٧) تَقدَّمَ في سُورَةِ البَقَرةِ: الآية (٣٥).

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا
مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ
أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ
أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ
بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ
ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾
وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾

ربع الحزب ٢٨

[٧٣] ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالمطَرِ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بِالنَّباتِ ﴿شَيۡـٔٗا﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿رِزۡقٗا﴾ ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾: يَقدِرُونَ على شَيءٍ. [وهُمُ][1] الأَصنامُ.

[٧٤] ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾: لا تَجعَلُوا للهِ أَشباهًا، تُشرِكُونَهم[2] به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ أنْ لا مِثْلَ له ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلكَ.

[٧٥] ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويُبدَلُ منه: ﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا﴾ صِفَةٌ تُميِّزُه مِنَ الحُرِّ؛ فإنَّه عبدُ اللهِ ﴿لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ لِعَدَمِ مُلْكِه ﴿وَمَن﴾: نكِرَةٌ مَوصُوفَةٌ؛ أي: حُرًّا ﴿رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًا﴾ أي: يَتصَرَّفُ فيه كَيفَ يَشاءُ؟ والأَوَّلُ مَثَلُ الأَصنامِ، والثَّاني مَثَلُه -تعالَى-[3] ﴿هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ﴾ أي: العَبيدُ العَجَزَةُ والحُرُّ المُتصَرِّفُ؟ لا. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ وَحدَه ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ أي: أَهلِ مَكَّةَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ما يَصِيرُونَ إليه مِنَ العَذابِ، فيُشرِكُونَ.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ ويُبدَلُ منه: ﴿رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾: وُلِدَ أخرَسَ ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ لِأنَّه لا يَفهَمُ ولا يُفهِمُ ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثَقِيلٌ ﴿عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾: وَلِيِّ أَمْرِه ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: يُصرِّفْه ﴿لَا يَأۡتِ﴾ منه ﴿بِخَيۡرٍ﴾: بِنُجْحٍ[4]- وهذا مَثَلُ الكافِرِ- ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ﴾ أي: الأَبكَمُ المَذكُورُ ﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أي: ومَنْ هُو ناطِقٌ نافِعٌ لِلنَّاسِ؛ حَيثُ يَأمُرُ به ويَحُثُّ عليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وهو الثَّاني المُؤمِنُ؟ لا. وقِيلَ: هَذَا مَثَلٌ للهِ، والأَبكَمُ لِلأَصنامِ[5]، والذي قَبلَه في الكافِرِ[6] والمُؤمِنِ.

[٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: عِلْمُ ما غابَ فيهما ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ لِأنَّه بِلَفظِ: «كُنْ فيَكُونُ» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

[٧٨] ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ - الجُملَةُ حالٌ- ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ﴾ بِمَعنَى: الأَسماعَ ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾: القُلُوبَ[7] ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ ـهُ على ذلك، فتُؤمِنُونَ.

[٧٩] ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ﴾: مُذَلَّلاتٍ لِلطَّيَرانِ ﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: الهَواءِ بَينَ السَّماءِ والأَرضِ ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ عِندَ قَبضِ أَجنِحَتِهِنَّ أو بَسطِها أنْ يَقَعْنَ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بِقُدْرَتِه؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ هي: خَلْقُها؛ بِحَيثُ يُمكِنُها الطَّيَرانُ، وخَلْقُ الجَوِّ؛ بِحَيثُ يُمكِنُ الطَّيَرانُ فيه، وإِمساكُها.

---

(١) في الأَصلِ: (وهو)، والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَباوَة.

(٢) في نُسخةِ الجمل: (تُشركونَ)، وفي حاشيةِ الكرخي على الجلالَين: (فتُشركوهم)؛ بِفاءِ السَّببيةِ، وفي نُسخَةِ قَباوَة: (تُشركوهم)؛ بِالجزمِ؛ بالبدليَّةِ مِنَ الفِعلِ قبلَه؛ «تجعلوا»، أو بِاعتبارِه جَوابَ الطلبِ لِفعلٍ مَحذوفٍ قبلَه؛ تقديرُه: «إن تَجعلُوهم تُشركُوهم».

(٣) أخرجَ الطبريُّ في جامعِ البيان (١٤/ ١٠١)، عَن عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ قالَ: «نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَعَبْدِهِ». وأخرجَ الواحديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص٢٨٦) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قَالَ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ فِي هِشَامِ بْنِ عَمْرٍو، وَهُوَ الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ سِرًّا وَجَهْرًا، وَمَوْلَاهُ أَبُو الجَوْزَاءِ، الَّذِي كَانَ يَنْهَاهُ». وذكرَه السُّيوطيُّ في الدُّرِّ المنثورِ (٥/ ١٥١). وحسَّن إسنادَه في الاستيعاب (٢/ ٤١٥).

(٤) بِنُجح: بِضَمِّ النُّونِ؛ أي: لا يأتِ بشيءٍ نافعٍ.

(٥) وأخرجَ البُخاريُّ في التاريخ الكبير (١/ ٣٠٦-٣٠٧)، والطبريُّ في جامع البيان (١٤/ ١٠١)، والواحديُّ في أسبابِ النُّزولِ عن عبد الله بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ» قَالَ: «وَالأَبْكَمُ الَّذِي أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ، ذَاكَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، كَانَ عُثْمَانُ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَيَكْفُلُهُ وَيَكْفِيهِ المُؤْنَةَ، وَكَانَ الآخَرُ يَكْرَهُ الإِسْلَامَ وَيَأْبَاهُ وَيَنْهَاهُ عَنِ الصَّدَقَةِ وَالمَعْرُوفِ، فَنَزَلَتْ فِيهِمَا». وحسَّن إسنادَه في الاستيعاب (٢/ ٤١٦).

(٦) في نُسخَةِ قَباوَة: (لِلكافر)، وفي نُسخة قُرَّةِ العينَينِ وبعضِ النُّسخ: (مَثَل الكافر).

(٧) قال السعديُّ في تفسيرِه (ص٤٤٥): «خصَّ هذه الأعضاءَ الثلاثةَ، لِشرفِها وفضلِها، ولأنَّها مِفتاحٌ لِكلِّ عِلمٍ، فلا وَصَلَ للعبدِ عِلمٌ إلَّا مِنْ أحدِ هذه الأبوابِ الثلاثةِ».

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ
(٨٠) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ (٨١) فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ (٨٢) يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ (٨٣) وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ
شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ
(٨٤) وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُنظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ
رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ
فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ (٨٦) وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى
ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ (٨٧)

[٨٠] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾: مَوضِعًا تَسكُنُونَ فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ كَالخِيَامِ والقِبَابِ ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ لِلحَمْلِ[1] ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾: سَفَرِكُم ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ أي: الغَنَمِ ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾ أي: الإِبِلِ ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾ أي: المَعزِ ﴿أَثَٰثٗا﴾: مَتَاعًا لِبُيُوتِكم كبُسُطٍ وأَكسِيَةٍ ﴿وَمَتَٰعًا﴾ تَتَمَتَّعُونَ به ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ يَبلَى فيه.

[٨١] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ مِنَ البُيُوتِ والشَّجَرِ والغَمَامِ ﴿ظِلَٰلٗا﴾: جَمعُ: ظِلٍّ، تَقِيكُم حَرَّ الشَّمسِ ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾: جَمعُ: كِنٍّ- وهو ما يُستَكَنُّ فيه كَالغَارِ والسَّرَبِ[2]- ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾: قُمُصًا ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ أي: والبَردَ ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾: حَربَكُم؛ أي: الطَّعنَ والضَّربَ فيها، كالدُّرُوعِ والجَوَاشِنِ[3] ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما خَلَقَ هَذِهِ الأَشيَاءَ ﴿يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ﴾ في الدُّنيا ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ بِخَلقِ ما تَحتَاجُونَ إِلَيه ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ - يا أَهلَ مَكَّةَ- ﴿تُسۡلِمُونَ﴾: تُوَحِّدُونَه.

[٨٢] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: أَعرَضُوا عَنِ الإِسلَامِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ﴾ - يا مُحَمَّدُ- ﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: الإِبلَاغُ البَيِّنُ. وهذا قَبلَ الأَمرِ بِالقِتَالِ.

[٨٣] ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يُقِرُّونَ بِأَنَّها مِنْ عِندِه ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بِإِشرَاكِهم ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

[٨٤] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾: هو نَبِيُّها، يَشهَدُ عَلَيها ولها- وهو يومُ القِيَامَةِ- ﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الاعتِذَارِ ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾: لا يُطلَبُ منهم العُتبَى؛ أي: الرُّجُوعُ إلى ما يُرضِي اللهَ.

[٨٥] ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: كَفَرُوا ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾: النَّارَ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ﴾ العَذَابُ ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلُونَ عنه إِذَا رَأَوه.

[٨٦] ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ﴾ مِنَ الشَّيَاطِينِ وغَيرِها ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ﴾: نَعبُدُهم ﴿مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: قَالُوا لهم: ﴿إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قَولِكم: «إِنَّكُم عَبَدتُّمونا»، كما في آيَةٍ أُخرَى: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾[4]، ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾[5].

[٨٧] ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: استَسلَمُوا لِحُكمِه ﴿وَضَلَّ﴾: غَابَ ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ مِنْ أَنَّ آلِهَتَهم تَشفَعُ لهم.

---

(١) أي: يَخِفُّ عليكم حملها.

(٢) السَّرَب: البيت في الأرض.

(٣) هي أيضًا نوع من الدروع.

(٤) القصص: ٦٣.

(٥) مريم: ٨٢.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا
فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ
الحزب ٢٨ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ
ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ
٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ
بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ
غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا
بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ
بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ
٩٢ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٣

[٨٨] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ النَّاسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دِينِه ﴿زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ الذي استَحَقُّوه بِكُفرِهم- قالَ ابنُ مَسعودٍ: «عَقارِبُ أنيابُها كَالنَّخلِ الطِّوال»(١)- ﴿بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ بِصَدِّهم النَّاسَ عَنِ الإيمانِ.

[٨٩] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ هو نَبِيُّهم ﴿وَجِئۡنَا بِكَ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ أي: قَومِكَ ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿تِبۡيَٰنٗا﴾: بَيانًا ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ يَحتاجُ إليه النَّاسُ، مِنْ أمرِ الشَّرِيعَةِ ﴿وَهُدٗى﴾ مِنَ الضَّلالَةِ ﴿وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ﴾ بِالجَنَّةِ ﴿لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾: المُوحِّدِينَ.

[٩٠] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾: التَّوحيدِ، أوِ الإنصافِ ﴿وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾: أداءِ الفَرائِضِ، أو «أَنْ تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ» كما في الحَدِيثِ(٢) ﴿وَإِيتَآيِٕ﴾: إعطاءِ ﴿ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: القَرابَةِ- خَصَّه بِالذِّكرِ اهتِمامًا به- ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: الزِّنا ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ شَرعًا، مِنَ الكُفرِ والمَعاصِي ﴿وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾: الظُّلمِ لِلنَّاسِ- خَصَّه بِالذِّكرِ اهتِمامًا، كما بَدأَ بِالفَحشَاءِ كذلكَ- ﴿يَعِظُكُمۡ﴾ بِالأَمرِ والنَّهيِ ﴿لَعَلَّكُمۡ [تَذَّكَّرُونَ]﴾(٣): تَتَّعِظُونَ. وفيه إدغامُ التَّاءِ في الأَصلِ في الذَّالِ. وفي «المُستدرَكِ» عَنِ ابنِ مَسعُودٍ: «وهذه(٤) أَجمَعُ آيَةٍ في القُرآنِ، لِلخيرِ والشَّرِّ»(٥).

[٩١] ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ البَيعِ والأَيمانِ وغَيرِها ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾: تَوثِيقِها ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ بِالوَفاءِ؛ حَيثُ حَلَفتُم به. والجُملَةُ حَالٌ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ تَهدِيدٌ لهم.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ﴾: أفسَدَتْ ﴿غَزۡلَهَا﴾: مَا غَزَلَتْهُ ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾: إحكَامٍ له وبَرْمٍ ﴿أَنكَٰثٗا﴾: حَالٌ، جَمعُ نِكْثٍ- وهو ما يُنكَثُ؛ أي: يُحَلُّ إحكَامُه. وهي امرَأَةٌ حَمقَاءُ مِنْ مَكَّةَ، كانَت تَغزِلُ طُولَ يَومِها، ثُمَّ تَنقُضُه(٦)- ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ: ﴿تَكُونُواْ﴾؛ أي: لا تَكُونُوا مِثلَها في اتِّخاذِكُم ﴿أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا﴾ هو ما يَدخُلُ في الشيءِ وليسَ منه؛ أي: فَسادًا وخَدِيعَةً ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ بِأَنْ تنقُضُوها ﴿أَن﴾ أي: لِأَنْ ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جَماعَةٌ ﴿هِيَ أَرۡبَىٰ﴾: أكثَرَ ﴿مِنۡ أُمَّةٍۚ﴾ - وكانُوا يُحالِفُونَ الحُلَفاءَ، فإذا وَجَدُوا أكثَرَ منهم وأَعَزَّ، نَقَضُوا حِلفَ أُولَئكَ وحَالَفُوهم(٧)- ﴿إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ﴾: يَختَبِرُكم ﴿ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ أي: بِما أَمَرَ به مِنَ الوَفاءِ بِالعَهدِ؛ لِيَنظُرَ المُطِيعَ منكم والعَاصِيَ، أو بِكَونِ أُمَّةٍ أَربَى(٨)؛ لِيَنظُرَ: أتَفُونَ أم لا؟ ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ في الدُّنيا، مِنْ أَمرِ العَهدِ وغَيرِه، بِأَنْ يُعَذِّبَ النَّاكِثَ ويُثِيبَ الوَافِيَ.

[٩٣] ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: أَهلَ دِينٍ وَاحِدٍ ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ يومَ القِيَامَةِ، سُؤالَ تَبكِيتٍ ﴿عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ لِتُجازَوا عليه.

---

(١) أخرجَ نحوَه عبدُ الرزَّاق (١٥٢٢)، وأبو يعلى (٢٦٥٩)، وابنُ جرير (١٤/ ٣٣٠)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١٢٦٢٧)، والطبرانيُّ (٩١٠٣)، والحاكمُ (٣٣٥٧) (٢/ ٣٨٧)، وقالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيخَيْنِ وَلَمْ يُخرِجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ. والبيهقيُّ في البَعثِ والنُّشورِ (٥٦٠). وصَحَّحَه الألبَانيُّ في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٨).

(٢) البُخارِيُّ (٥٠)، ومسلمٌ (٩) مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: ...يَا رَسُولَ الله مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...» الحديث.

(٣) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ بِتَخفِيفِ الذَّالِ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (هذه) بِدُونِ الوَاوِ.

(٥) المستدرَك (٢/ ٣٥٦)، وأخرَجَهُ البُخارِيُّ في «الأدب المفرَد»، وحسَّنَ الألبانيُّ إسنادَه، عَنِ ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: «مَا فِي القُرْآنِ آيَةٌ أَجْمَعَ لِحَلَالٍ وَحَرَامٍ وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ، مِنْ هَذِهِ الآيَةِ» وذَكَرَهَا. صحيحُ الأدب المفرد (٣٧٦).

(٦) روى ابنُ جرير(١٤/ ٣٤٢) عَنِ السُّديِّ، قَالَ: «هِيَ خَرْقَاءُ بِمَكَّةَ كَانَتْ إِذَا أَبْرَمَتْ غَزْلَهَا نَقَضَتْهُ». وذكَرَ خبرَها أبو نُعَيم في مَعرفةِ الصحابةِ (٦/ ٣٣٧٥، ٣٣٧٦، رقم ٧٧١٧)، وذكَرَه السُّيوطيُّ في الدُّرِّ المنثُورِ (٥/ ١٦٢). وقالَ صاحبُ الاستيعابِ (٢/ ٤٢١): هذا سندٌ ضعيفٌ جِدًّا.

(٧) قالَ مجاهدٌ: «كَانُوا يَتَحَالَفُونَ الحُلَفَاءَ، فَيَجِدُونَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَعَزَّ، فَيَنْقُضُونَ حِلْفَ هَؤُلَاءِ وَيُحَالِفُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَزَّ، فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ». تفسيرُ مُجاهِدٍ (ص٤٢٤). ورَواهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٢٦٤٦) عنه.

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (هي أربى).

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ
ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ
عَذَابٌ عَظِيمٞ (٩٤) وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمۡ
يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم
بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٩٦) مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٩٧)
فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ
(٩٨) إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ
يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ
هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ (١٠٠) وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ
لَا يَعۡلَمُونَ (١٠١) قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ
لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ (١٠٢)

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ - كَرَّره تأكيدًا - ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾ أي: أقدامُكم عَنْ مَحَجَّةِ الإسلام ﴿بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: استقامتِها عليها ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: العَذابَ ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: بِصَدِّكُم عَنِ الوَفاءِ بالعَهدِ، أو بِصَدِّكُم غيرَكم عنه؛ لِأَنَّه يَستَنُّ بكم ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ في الآخِرَةِ.

[٩٥] ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ مِنَ الدُّنيا، بِأَنْ تَنقُضُوه لِأَجْلِه ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوابِ ﴿هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِمَّا في الدُّنيا ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ذلكَ فلا تنقُضُوا.

[٩٦] ﴿مَا عِندَكُمۡ﴾ من الدُّنيا ﴿يَنفَدُ﴾: يَفنَى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾: دَائِمٌ ﴿[وَلَيَجۡزِيَنَّ]﴾ - بالياءِ والنُّونِ[1] - ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ مِنَ الوَفاءِ بالعُهُودِ ﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: أَحسَنِ بِمَعنَى: حَسَن[2].

[٩٧] ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ - قِيلَ: هي حياةُ الجَنَّةِ[3]، وقِيلَ: في الدُّنيا بِالقَناعةِ[4]، أَوِ الرِّزقِ الحَلالِ[5] - ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

[٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: أَرَدتَ قِراءتَه ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ أي: قُلْ: «أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ».

[٩٩] ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾: تَسَلُّطٌ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ بِطاعَتِه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ أي: اللهِ ﴿مُشۡرِكُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾ بِنَسخِها، وإِنزالِ غَيرِها، لِمَصلَحَةِ العِبادِ ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ﴾ أي: الكُفَّارُ لِلنَّبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾: كَذَّابٌ، تَقُولُه مِنْ عِندِكَ ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ حَقِيقَةَ القُرآنِ وفائِدَةَ النَّسخِ.

[١٠٢] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾: جِبرِيلُ ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: مُتَعَلِّقٌ بـ«نَزَّلَ» ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِإِيمانِهم به ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

---

(١) ﴿وَلَيَجۡزِيَنَّ﴾ بالياءِ: قِراءةُ حَمزةَ والكِسائيِّ ونافعٍ وأبي عَمرٍو، وهشام وابن ذكوان بِخلافٍ عنه. وقرأ ابنُ كثيرٍ وعاصمٌ ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ﴾، بالنُّونِ.

(٢) إذ لو كانَت على ظاهِرِها، لَأفهَمَتِ الآيةُ أنَّهم لا يُثابونَ على الحَسَنِ، وإنَّما يُثابونَ على الأحسنِ فقَط. نقلاً عن ضوءِ القمَرَينِ تفسير الآية (٩٦) مِنْ سُورةِ النَّحلِ.

(٣) هذا قولُ الحَسَنِ البصريِّ كما في الدُّرِّ المنثورِ (٥/ ١٦٥)، وروى ابنُ جرير (١٤/ ٣٥٣) عنه: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧] قالَ: «لا تَطِيبُ لِأَحَدٍ حَياةٌ دُونَ الجَنَّةِ».

(٤) هذا قولُ مُحمَّدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ كما في الدُّرِّ المنثورِ (٥/ ١٦٤). وقال ابن جرير (١٤/ ٣٥٤): «وأَولَى الأقوالِ بالصَّوابِ قَولُ مَنْ قالَ: تأويلُ ذلِكَ: فَلَنُحيِيَنَّهُ حياةً طَيِّبَةً بالقَناعَةِ، وذلِكَ أنَّ مَنْ قَنَّعَهُ اللهُ بِما قَسَمَ لَهُ مِنْ رِزقٍ لَمْ يَكثُرْ لِلدُّنيا تَعَبُهُ، ولَمْ يَعظُمْ فِيها نَصَبُهُ، ولَمْ يَتَكَدَّرْ فِيها عَيشُهُ، بِاتِّباعِهِ بُغيَةَ ما فاتَهُ مِنها، وحِرصِه عَلَى ما لَعَلَّهُ لا يُدرِكُهُ فِيها».

(٥) هذا قولُ ابنِ عَبَّاسٍ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٥/ ١٦٤).

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ
﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾
مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ
مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ
صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى
ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ﴾: لِلتَّحقيقِ[١] ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ القُرآنَ ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قَيْنٌ[٢] نَصرانيٌّ، كان النَّبيُّ ﷺ يَدخُلُ عليه[٣]. قال تعالَى: ﴿لِّسَانُ﴾: لُغَةُ ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾: يُميلُونَ ﴿إِلَيْهِ﴾ أنَّه يُعلِّمُه ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذُو بيانٍ وفَصاحةٍ، فكيفَ يُعلِّمُه أعجَمِيٌّ؟!

[١٠٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ.

[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ- بِقولِهم: هذا مِنْ قَولِ البَشَرِ- ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ والتَّأكيدُ بِالتَّكرارِ[٤]، و«إنَّ»[٥]، وغَيرِهما[٦]، رَدٌّ لِقَولِهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾.

[١٠٦] ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ على التَّلَفُّظِ بِالكُفْرِ، فتلفَّظَ به ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ و﴿مَن﴾: مُبتَدأٌ، أو شَرطيَّةٌ، والخَبرُ أوِ الجَوابُ: لهم وَعِيدٌ شَدِيدٌ، دَلَّ على هذا: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ له؛ أي: فتَحَه ووَسَّعَه؛ بِمَعنَى: طَابَت به نَفسُه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوَعيدُ لهم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: اختارُوها ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ عَمَّا يُرادُ بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جَرَمَ﴾: حَقًّا ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لِمَصيرِهم إلى النَّارِ المُؤبَّدَةِ عليهم.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ إلى المَدينةِ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾: عُذِّبُوا وتَلَفَّظُوا بِالكُفْرِ- وفي قِراءَةٍ بِالبِناءِ لِلفاعِلِ[٧]؛ أي: كَفَرُوا أو فَتَنُوا النَّاسَ عَنِ الإيمانِ- ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الطَّاعةِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: الفِتنَةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم- وخَبرُ ﴿إِنَّ﴾ الأُولى دَلَّ عليه خَبرُ الثَّانيةِ-.

---

(١) القاعدةُ أنَّ «قد» تكونُ لِلتحقيقِ إذا جاءَ بعدَها فِعلٌ ماضٍ، وتكونُ لِلتقليلِ إذا جاءَ بَعدَها فِعلٌ مُضارعٌ- ذكَرها ابنُ هِشامٍ في «مُغني اللبيب». وأخذَ الجَلالانِ بِقَولِ بَعضِ اللُّغويينَ: إنَّها لِلتحقِيقِ لا لِلتقليلِ في هذه المواضِعِ. وعلى القَاعدةِ أنَّها للتقليلِ؛ يكونُ المُرادُ تقليلَ مُتَعَلَّقِ الفِعلِ، والمَعنَى هنا: قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ هو أقَلُّ مَعلوماتِه سبحانَه.

(٢) أي: حَدَّاد، كان رُوميًّا، وفي نُسخة: (قِنٌّ)؛ أي: عَبدٌ.

(٣) أخرجَه الطَّبَريُّ في جامع البيان (١٤/ ١١٩)، وذكرَه السيوطيُّ في الدُّرِّ المنثُورِ (٥/ ١٦٧)، وضعَّفَ إسنادَه في لُبابِ المنقول (ص١٣٤)، وأخرجَ الطبريُّ بِسَنَدٍ صَحيحٍ في جامع البيان (١٤/ ١٢٠) عَنْ عُبَيْدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، قَالَ: «كَانَ لَنَا غُلَامَانِ نَصْرَانِيَّانِ مِنْ أَهْلِ عَيْنِ التَّمْرِ، يُسَمَّى أَحَدُهُمَا يَسَارٌ، وَالْآخَرُ جَبْرٌ، وَكَانَا صِقِلِّيَّيْنِ، وَكَانَا يَقْرَآنِ كِتَابَهُمَا، فَرُبَّمَا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ مُحَمَّدٌ مِنْهُمَا، فَأَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ هذه الآيَةَ». وذكَرَه الوَاحِديُّ في أسبابِ النُّزُولِ (ص١٩٠)، وصحَّحَه الحافظُ أيضًا في الإصابة (٢/ ٤٤٧).

(٤) أي: بينَ «الكَذِب» و«الكَاذِبون»، وبينَ الموصولِ وهو: «الذين»، واسمِ الإشارة وهو: «أولئك». حاشية الجمل (٣/ ٥٩٩).

(٥) الصَّوابُ أن يَقولَ: «إنَّما»، وليسَ: «إنَّ»، وذلكَ لِأنَّ «إنَّما» هي أداةُ حَصرٍ، أمَّا «إنَّ» فيها؛ فهي جُزءُ كلمةٍ ليسَ لها شيءٌ مِنَ المعاني. حَاشيةُ الجمل (٣/ ٥٩٩).

(٦) وهو: اسميَّةُ الجُملةِ، وضميرُ الفَصلِ، وتعريفُ الطرَفينِ. حاشيةُ الجملِ (٣/ ٥٩٩).

(٧) ﴿فتنوا﴾ بِفتحِ الفَاءِ والتَّاءِ لابنِ عامرٍ، ويَحتمِلُ على هذه القراءةِ أنْ يكونَ الفِعلُ لازِمًا، فيكون مَعنَى ﴿فُتِنُوا﴾ أي: افتُتنوا، وإليه أشارَ المفسِّرُ بقولِه: «أي: كفروا»، ويَحتملُ أنْ يكونَ مُتعدِيًّا، وأشارَ إليه بقولِه: «أو فتنوا النَّاس...».

ربع الحزب ٢٨

* يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن
كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ
رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ
﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ
نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ
ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ
هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾

[١١١] اذكُرْ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ ﴾: تُحاجُّ ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ لا يُهِمُّها غيرُها- وهو يومُ القِيامَةِ- ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جَزاءَ ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شَيئًا.

[١١٢] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويُبدَلُ منه: ﴿قَرْيَةً﴾ هي مَكَّةُ[1]، والمُرادُ أهلُها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ مِنَ الغارَاتِ لا تُهاجُ ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يُحتاجُ إلى الانتِقالِ عنها، لِضِيقٍ أو خوفٍ ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾: واسِعًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ بتكذِيبِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾: فقُحِطُوا سَبعَ سِنينَ[2] ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ بِسرايَا النَّبِيِّ ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: الجُوعُ والخَوفُ ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

[١١٤] ﴿فَكُلُوا۟﴾ - أيُّها المُؤمِنونَ- ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ﴾ أي: لِوَصفِ أَلسِنَتِكُم ﴿ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ لِما لَمْ يُحِلَّهُ اللهُ ولَمْ يُحرِّمه ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بِنسبةِ ذلك إليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

[١١٧] لهم ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدُّنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخِرَةِ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ.

[١١٨] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي: اليَهودِ ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في آيَةِ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾[3] إلى آخِرِها ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بِتَحرِيمِ ذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِارتِكابِ المَعاصِي المُوجِبَةِ لذلكَ.

(١) وهذا هو المشهورُ بينَ المفسِّرينَ، وعليه فالآيَةُ مَدَنيَّةٌ، وعلى القَولِ بِأنَّها مَكيَّةٌ يَكونُ إخبارًا بالغيبِ تَنزيلًا له مَنزِلةَ الواقعِ لِتحقُّقِ حُصُولِه.

(٢) كَما سَيأتي بيانُه في سُورةِ «الدُّخانِ».

(٣) الأنعام: ١٤٦.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ
إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟
فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ
وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ
﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ
إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾: الشِّركَ ﴿بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾: رَجَعُوا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عمَلَهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الجَهالةِ، أوِ التَّوبةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: إمَامًا قُدوةً، جَامِعًا لِخصَالِ الخَيرِ ﴿قَانِتًا﴾: مُطِيعًا ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾: مَائِلًا إلى الدِّينِ القَيِّمِ ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾: اصطَفَاه ﴿وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٢٢] ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ - فيه التِفَاتٌ عَنِ الغَيبةِ- ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي الثَّناءُ الحَسَنُ، في كُلِّ أهلِ الأديَانِ ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذينَ لهم الدَّرَجاتُ العُلَى.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ﴾: دِينَ ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كُرِّرَ ردًّا على زَعمِ اليَهودِ والنَّصارَى أنَّهم على دِينِه.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾: فُرِضَ تعظِيمُه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نَبِيِّهم- وهُمُ اليَهودُ، أُمِرُوا أنْ يَتفرَّغُوا لِلعِبَادةِ يومَ الجُمُعَةِ، فقالُوا: لا نُرِيدُه، واختَارُوا السَّبتَ، فشُدِّدَ عليهم فيه[1]- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ أمْرِه؛ بِأنْ يُثِيبَ الطَّائِعَ، ويُعذِّبَ العَاصِيَ بانتِهَاكِ حُرمَتِه.

[١٢٥] ﴿ادْعُ﴾ النَّاسَ - يا مُحمَّد- ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: دِينِه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: بالقُرآنِ ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: مَواعِظِه[2]، أوِ القَولِ الرَّقِيقِ ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي﴾ أي: بالمُجادَلةِ التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كَالدُّعَاءِ إلى اللهِ بآيَاتِه، والدُّعَاءِ إلى حُجَجِه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عَالِمٌ ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيُجازِيهم. وهذا قَبلَ الأمْرِ بالقِتَالِ.

ونَزَلَ لَمَّا قُتِلَ حَمزَةُ، ومُثِّلَ بـه فقالَ ﷺ -وقَـدْ رَآه-: «لأُمَثِّلَنَّ بِسَبعِينَ منهم مَكَانَكَ»:

[١٢٦] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ عَنِ الانتِقَامِ[*] ﴿لَهُوَ﴾ أي: الصَّبرُ ﴿خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ فكَفَّ ﷺ وكَفَّرَ عَن يَمِينِه. رواهُ البَزَّارُ[3].

[١٢٧] ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: بِتوفِيقِه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكُفَّارِ، إنْ لَم يُؤمِنُوا، لِحرصِكَ على إيمَانِهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تَهتَمَّ بِمَكرِهم؛ فأنا نَاصِرُكَ عَليهِم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكُفرَ والمَعاصِيَ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بِالطَّاعةِ والصَّبرِ، بالعَونِ والنَّصرِ[4].

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٢٦): فِي المُسنَدِ عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: أَنَّهُ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ، وَأُصِيبَ مِنَ المُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ وَحَمْزَةُ، فَمَثَّلُوا بِقَتْلَاهُمْ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ نَادَى رَجُلٌ لَا يُعْرَفُ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ اليَوْمِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ الآيةَ، فقال نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «كُفُّوا عَنِ القَوْمِ». المُسنَدُ (٥/ ١٣٥)، وقد أخرَجَ التِّرمِذِيُّ نحوَه، كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) سُورة النَّحلِ. «حسنٌ صحيحُ الإِسنادِ» صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٠١).

(١) عزاه السمعانيُّ في تَفسِيرِه (٣/ ٢١٠) لمجاهِدٍ؛ قال: «كَانَ اللهُ تَعَالَى أمرهم بِالجمعَةِ فأَبوا، وطلبوا السَّبتَ فَشُدِّدَ عَلَيهِم فِيهِ». ورَوَى البُخَارِيُّ (٨٧٦)، وفي عِدَّةِ مواضعَ أخرى، ومسلمٌ (٨٥٥) عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ: اليَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ».

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مَواعِظِ القُرآنِ).

(٣) أخرجَه ابنُ سعدٍ والبَزَّارُ وابنُ المنذرِ وابنُ مردويه، كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٤/ ٢٥٥)، والحاكمُ (٣/ ٢١٨) (٤٨٩٤)، والبيهقيُّ في الدلائل (٣/ ٢٨٨)، والطبرانيُّ في الكبير (٢٩٣٧) مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ، وقال الهيثميُّ في مَجمَعِ الزَّوائِدِ (٦/ ١١٩): «رواه البَزَّارُ والطبرانيُّ، وفيه صالحُ بنُ بشيرٍ المريُّ وهو ضعيفٌ». وضعَّفه الألبانيُّ في السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٨) رقم (٥٥٠).

(٤) هذا من لَوازمِ مَعِيَّتِه -سُبْحَانَهُ- الخَاصَّةِ بِعبادِه المؤمنينَ، ومَعِيَّتُه -سُبْحَانَهُ- مع خَلْقِه نوعَانِ؛ عَامَّةٌ وخَاصَّةٌ، وقد اشتملَ القُرآنُ على النَّوعَينِ، وحَقِيقَتُها الصُّحبةُ اللائِقةُ، وقد أخبر -سُبْحَانَهُ- أنَّه مع خَلقِه، مع كونِه مستويًا على عَرشِه، وقَرنَ بين الأمرينِ في آيةِ «الحديد» -كما سيأتي- وكِلاهما حَقٌّ.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ — ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجزء ١٥ الحزب ٢٩

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ
عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا
﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سُورَةُ الإسراء

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآياتِ الثَّمانَ، مِائَةٌ وعَشْرُ آياتٍ، أو: وإحدى عَشْرَةَ آيَةً[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَانَ﴾ أي: تَنزِيهَ ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ - نُصِبَ على الظَّرفِ. والإِسرَاءُ: سَيرُ اللَّيلِ. وفَائِدةُ ذِكْرِه الإِشَارَةُ بِتَنكِيرِه إِلى تَقلِيلِ مُدَّتِه- ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مَكَّةَ ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾: بَيتِ المقدِسِ؛ لِبُعْدِه منه ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بِالثِّمارِ والأَنهارِ ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾: عَجائِبِ قُدرَتِنا! ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: العَالِمُ[2] بِأَقوالِ النَّبِيِّ ﷺ وأَفعالِه[3]، فأَنعَمَ عليه بِالإِسرَاءِ، المُشتَمِلِ عَلى اجتِماعِه بِالأَنبِياءِ، وعُرُوجِه إِلى السَّماءِ، ورُؤيَةِ عَجائِبِ المَلَكُوتِ، ومُناجَاتِه له -تعَالَى- فإِنَّه ﷺ قالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ فسارَ بي، حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي تَرْبِطُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ، بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. قَالَ جِبْرِيلُ: أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ. قَالَ: ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ أَنتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قَالَ: قَدْ[4] أُرْسِلَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِي[5] إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: مَنْ أَنتَ؟ فقَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إليه؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ يَحْيَى وعِيسَى، فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بخيرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فقيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، وإِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إليه[6]؟ قال: قَدْ بُعِثَ إليه. فَفُتِحَ لنا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنتَ؟ فقَالَ: جِبْرِيلُ. فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ[7]؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنتَ؟ قَالَ[8]: جِبْرِيلُ. فقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. فقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. فقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ، فَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ. ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فإذا أوراقُها كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ. فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا. قال: فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، وَفَرَضَ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ صَلَاةً. فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، وَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: أَيْ رَبِّ، خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى. قَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى، وَيَحُطُّ عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ. فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَه حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَه عَشْرًا. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ[9] وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذلك. فقُلتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ». رواه الشيخَانِ، واللَّفظُ لِمسلِمٍ[10]. وروى الحاكمُ في «المستدرَكِ» عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إِحدى عَشرَةَ)؛ بِدونِ الوَاوِ، وبدونِ كَلمةِ: (آيَة).

(٢) العِلمُ مِنْ لوازمِ السَّمعِ والبَصرِ، ولكنَّهما غيره. وفي الآيةِ إِثباتُ هَاتَينِ الصِّفتَينِ له -سُبْحَانَهُ-. ومَذهبُ السَّلفِ الإيمانُ بهما على الوَجهِ اللائقِ به، من غيرِ تمثيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تأويلٍ، ولا تعطيلٍ؛ كما قال -سُبْحَانَهُ-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

(٣) هذا التَّخصِيصُ لا يَظهرُ وَجهُه، فالصَّوابُ الإِطلاقُ، فهو -سُبْحَانَهُ- السَّميعُ بِكُلِّ مَسمُوعٍ، والبَصيرُ بِكُلِّ مُبصَرٍ.

(٤) كلمةُ: (قَدْ) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَباوَة.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (عُرِجَ بنا).

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وقد أُرسِلَ إليه؟).

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وقد أُرسِلَ إليه؟).

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (فقال).

(٩) في الأَصلِ: (بِسَيِّئَةٍ واحدة)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، ومِنَ المَصَادرِ الحَديثيَّةِ.

(١٠) البُخَارِيُّ (٧٥١٧)، ومسلمٌ (١٦٢) عَن أَنسِ بنِ مالكٍ.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ
ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ
ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا
يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ
مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

«رَأَيتُ رَبِّي عزَّوَجلَّ»(١).

[٢] قالَ تَعالَى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾: التَّوراةَ ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لِـ﴿أَلَّا [يَتَّخِذُوا] مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾: يُفَوِّضُونَ إليه أمرَهُم- وفي قِراءَةٍ: ﴿تَتَّخِذُوا﴾(٢) بالفَوقانِيَّةِ، التفاتًا. فـ«أن» زائِدَةٌ، والقَولُ مُضمَرٌ(٣)-.

[٣] يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السَّفِينَةِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كَثِيرَ الشُّكرِ لنا، حامِدًا في جَميعِ أحوالِه.

[٤] ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أوحَينا ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ الشَّامِ بالمَعاصِي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: تَبغُونَ بَغيًا عَظِيمًا.

[٥] ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: أُولَى مَرَّتَيِ الفَسادِ ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحابَ قُوَّةٍ في الحَربِ والبَطشِ(٤) ﴿فَجَاسُوا۟﴾: تَرَدَّدُوا لِطَلَبِكُم ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾: وَسْطَ دِيارِكم لِيَقتُلُوكُم ويَسْبُوكُم(٥) ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ - وقَدْ أفسَدُوا الأُولَى بقَتلِ زَكَرِيَّاءَ(٦)؛ فبُعِثَ عليهم جالُوتُ(٧) وجُنُودُه، فقَتَلُوهُم، وسَبَوْا أولادَهُم، وخَرَّبُوا بيتَ المقدِسِ-.

[٦] ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾: الدَّولَةَ والغَلَبَةَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعدَ مِائَةِ سَنَةٍ بِقَتلِ جالُوتَ ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: عَشِيرَةً.

[٧] وقُلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ بالطَّاعَةِ ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لِأَنَّ ثَوابَه(٨) لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفَسادِ ﴿فَلَهَا﴾ إساءَتُكم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾ المَرَّةِ ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بَعَثْناهُم ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: يُحْزِنُوكُم بالقَتلِ والسَّبيِ حُزنًا، يَظهَرُ في وُجُوهِكُم ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾: بيتَ المَقدِسِ فيُخَرِّبُوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخَرَّبُوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يُهلِكُوا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾: غَلَبُوا عليه ﴿تَتْبِيرًا ﴾: هَلاكًا- وقَدْ أفسَدُوا ثانيًا بِقَتلِ يَحيَى، فبُعِثَ عليهم بُختَنَصَّرُ، فقَتَلَ منهم أُلُوفًا، وسَبَى ذُرِّيَّتَهم، وخَرَّبَ بيتَ المقدِسِ(٩)-. وقُلنا في الكِتابِ:

[٨] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعدَ المَرَّةِ الثَّانِيةِ، إنْ تُبتُم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفَسادِ ﴿عُدْنَا﴾ إلى العُقُوبةِ- وقَدْ عادُوا بتَكذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فسُلِّطَ عليهم بِقَتلِ قُرَيظَةَ، ونَفيِ النَّضِيرِ، وضَرْبِ الجِزيَةِ عليهم- ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾: مَحبِسًا وسِجنًا.

[٩] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ أي: لِلطَّرِيقَةِ التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾: أعدَلُ وأصوَبُ ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾.

[١٠] ﴿وَ﴾ يُخبِرُ ﴿أَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾: أعدَدْنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾: مُؤلِمًا، هو النَّارُ.

[١١] ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ على نَفسِه وأهلِه، إذا ضَجِرَ ﴿ دُعَآءَهُۥ﴾ أي: كَدُعائِه له ﴿بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الجِنسُ ﴿عَجُولًا﴾ بالدُّعاءِ على نَفسِه، وعَدَمِ النَّظَرِ في عاقِبَتِه.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ﴾: دالَّتَينِ على قُدرَتِنا ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾: طَمَسْنا نُورَها بالظَّلامِ لِتَسكُنُوا فيه- والإضافَةُ لِلبَيانِ- ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ أي: مُبصَرًا فيها بالضَّوءِ ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ فيه ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالكَسبِ ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ بِهِما ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾ لِلأوقاتِ ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ يُحتاجُ إليه ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾: بَيَّنَّاه تَبيِينًا.

---

(١) لم نقفْ عليه في المُستدرَكِ، ورواه أحمد (٢٥٨٠، ٢٦٣٤)، وابنُ أبي عاصم في السُّنَّةِ (٤٣٣) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ مرفوعًا، وصَحَّحَه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٤٦٦). لكنْ رُؤيا النَّبيِّ ﷺ لِرَبِّه مَنامِيَّةٌ على التَّحقيقِ. قالَ ابنُ القيمِ في تَفسيرِه (ص٣٩٤): «وقد حكى عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ في كتابِ الرُّؤيَةِ له إجماعَ الصَّحابةِ على أنَّه لم يرَ ربَّه ليلةَ المِعراجِ. وبَعضُهم استثنى ابنَ عبَّاسٍ فِيمَن قال ذلك». وقالَ ابنُ تيميَّةَ في مجموعِ الفتاوى (٦/ ٥٠٩): «والألفاظُ الثَّابتةُ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ هِيَ مُطلَقَةٌ أو مُقيَّدَةٌ بِالفُؤادِ؛ تارَةً يَقولُ: رَأى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ. وتارَةً يَقولُ: رَآهُ مُحَمَّدٌ. ولَمْ يَثبُتْ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ لَفظٌ صَريحٌ بِأنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِه».

(٢) بالياءِ: قِراءَةُ أبي عَمرٍو. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَتَّخِذُوا﴾ بالتَّاءِ.

(٣) أي: على تقديرِ: «وقُلنا لهم: لاتَتَّخذوا مِنْ دُوني وَكيلًا».

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بطشٍ)؛ أي: وأصحابِ بطشٍ.

(٥) أي: لِيقتُلوا بعضَكم، ويَسبُوا البعضَ الآخرَ. وفي نُسخَةِ قَبَاوَة: (أو يسبوكم).

(٦) رَواهُ ابنُ جَريرٍ (١٧/ ٣٥٦-٣٥٧) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، وعبدِ الله -يعني ابن مَسعودٍ- بِسَنَدٍ حَسَنٍ، مِن قَولِهما.

(٧) أخرجَ عبدُ الرزَّاقِ في تفسيرِه (١٥٣٨) عَنْ قَتادَةَ في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، قال: «أمَّا المَرَّةُ الأُولى فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ جالُوتَ، حَتَّى بَعَثَ طالُوتَ، وَمَعَهُ داوُدُ، فَقَتَلَهُ داوُدُ، ثُمَّ رُدَّتِ الكَرَّةُ لِبَني إسْرائِيلَ، ثُمَّ جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ مِنَ المَرَّتَيْنِ» ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ قال: «لِيُقَبِّحُوا وُجُوهَكُمْ» ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ قَالَ: «لِيُدَمِّرُوا ما عَلَوْا تَدْمِيرًا»، قَالَ: «هُوَ بُخْتَنَصَّرُ، بُعِثَ عَلَيْهِمْ فِي المَرَّةِ الآخِرَةِ».

(٨) أي: ثَوابَ الإحسانِ.

(٩) أخرجَ ابنُ عساكر (٦٤/ ٢١١) بِسَنَدٍ ضَعيفٍ جدًّا، عن عليٍّ في قولِ الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى: ﴿أُولَىٰهُمَا﴾، قالَ: «قتل زَكريَّا». وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: «مَقتَلُ يَحيى». وفي هذا نظرٌ؛ حيثُ إنَّ بُختَنَصَّرَ كان بينَه وبينَ يَحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِدَّةُ قُرونٍ. وقِيلَ أيضًا: إنَّ الذي خرَّبَ بيتَ المقدسِ الخَرابَ الثاني هو: «طيطوس» الرُّومانيُّ، كما في تفسيرِ البَغَويِّ (١/ ١٣٨). ولا دليلَ صَحيحَ على شيءٍ مِن ذلكَ، فالأَولَى التوقُّفُ، واللهُ أعلمُ.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ
عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ
فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا
ربع الحزب ٢٩ ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا
جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

[١٣] ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عَمَلَه يحمِلُه[1] ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ خُصَّ بالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ اللُّزومَ فيه أَشَدُّ. وقال مُجاهِدٌ: «ما مِنْ مَولودٍ يُولَدُ إِلَّا وفي عُنُقِه وَرَقَةٌ، مَكتُوبٌ فيها شَقِيٌّ أو سَعِيدٌ»[2].

[١٤] ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ مكتُوبًا فيه عَمَلُه ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾: صِفَتانِ لِـ﴿كِتَٰبًا﴾. ويُقَالُ له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾: مُحاسِبًا!

[١٥] ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لِأَنَّ ثَوابَ اهتِدَائِه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لِأَنَّ إِثمَه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثِمَةٌ؛ أَي: لا تَحمِلُ ﴿وِزْرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أَحَدًا ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يُبيِّنُ له ما يَجِبُ عليه.

[١٦] ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: مُنَعَّمِيهَا؛ بِمَعنَى: رُؤَسائِها، بِالطَّاعَةِ على لِسانِ رُسُلِنا ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾: فخَرَجُوا عَنْ أمرِنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ بِالعَذابِ ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾: أَهلَكنَاها بِإِهلاكِ أَهلِها وتَخرِيبِها.

[١٧] ﴿وَكَمْ﴾ أَي: كَثِيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأُمَمِ ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: عالِمًا بِبَواطِنِها وظَواهِرِها! وبه[3] يتعَلَّقُ: ﴿بِذُنُوبِ﴾.

[١٨] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِه ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أَي: الدُّنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ التَّعجِيلَ له: بَدَلٌ من: ﴿لَهُۥ﴾ بِإِعادَةِ الجارِّ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ في الآخِرَةِ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾: يَدخُلُها ﴿مَذْمُومًا﴾: مَلُومًا ﴿مَّدْحُورًا﴾: مَطرُودًا عَنِ الرَّحمَةِ.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾: عَمِلَ عَمَلَها اللائِقَ بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: حالٌ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ عِندَ اللهِ؛ أَي: مَقبُولًا مُثابًا عليه.

[٢٠] ﴿كُلًّا﴾ مِنَ الفَرِيقَينِ ﴿نُّمِدُّ﴾: نُعطِي ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: بَدَلٌ. ﴿مِنْ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿نُّمِدُّ﴾ ﴿عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾: مَمنُوعًا عَنْ أَحَدٍ.

[٢١] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرِّزقِ والجاهِ؟ ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ﴾: أَعظَمُ ﴿دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ مِنَ الدُّنيا. فيَنبَغِي الاعتِناءُ بها دُونَها.

[٢٢] ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾: لا ناصِرَ لك.

[٢٣] ﴿۞ وَقَضَىٰ﴾: أَمَرَ ﴿رَبُّكَ أَ﴾ نْ؛ أَي: بِأَنْ ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَ﴾ أَنْ تُحسِنُوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ بِأَنْ تَبَرُّوهُما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾: فاعِلٌ ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ - وفي قِراءَةٍ: ﴿يَبْلُغَانِّ﴾[4] فـ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بَدَلٌ مِنْ أَلِفِه- ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ [أُفَّ]﴾ بِفَتحِ الفاءِ، وكَسرِها مُنَوَّنًا وغَيرَ مُنَوَّنٍ[5]: مَصدَرٌ بِمَعنَى: تَبًّا وقُبحًا ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: تَزجُرْهُما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جَمِيلًا لَيِّنًا.

[٢٤] ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾: أَلِنْ لَهُما جانِبَكَ الذَّلِيلَ ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أَي: لِرِقَّتِكَ عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رَحِمانِي حِينَ ﴿رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

[٢٥] ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ مِنْ إِضمارِ البِرِّ والعُقُوقِ ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾: طائِعِينَ للهِ ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾: الرَّجَّاعِينَ إِلى طاعَتِه ﴿غَفُورًا﴾ لِما صَدَرَ منهم في حَقِّ الوالِدَينِ مِنْ بادِرَةٍ، وهم لا يُضمِرُونَ عُقُوقًا.

[٢٦] ﴿وَءَاتِ﴾: أَعطِ ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القَرابَةِ ﴿حَقَّهُۥ﴾ مِنَ البِرِّ والصِّلَةِ ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بِالإِنفاقِ في غَيرِ طاعَةِ اللهِ.

[٢٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أَي: على طَرِيقَتِهم ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾: شَدِيدَ الكُفرِ لِنِعَمِه. فكَذلِكَ أَخُوه المُبَذِّرُ.

---

(١) كلمةُ: (يحمِلُه) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَباوَة.

(٢) رَواهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٧/ ٣٩٨)، وابنُ أَبي حاتمٍ (١٣٥٨٢)، وغيرُهما، بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

(٣) أي: بِـ﴿خَبِيرًۢا﴾؛ كما تفيدُ عِبارةُ البَيضاويِّ؛ فإِنَّه قال: «وتقديمُ الخَبيرِ لِتَقَدُّمِ مُتعَلَّقِه». وعبارةُ السيوطيِّ تُفيدُ خِلافَ ذلك. قاله قباوة في المفصل (ص١٠٣٨). وكأَنَّ الصَّاوي لم يرَ هذا التوجيهَ؛ حيثُ قالَ: «هكذا في النُّسَخ التي بِأَيدِينا، ولَعلَّ فيه تحريفًا، والأَصل ﴿بِذُنُوبِ﴾ مُتعلِّق بِـ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾». حاشية الصاوي (٣/ ٣١٣).

(٤) ﴿يَبْلُغَانِّ﴾ مَعَ كَسرِ النُّونِ مُشدَّدةٍ وأَلِفٍ قبلَها: لِحَمزَةَ والكِسائِيِّ.

(٥) ﴿أُفَّ﴾ بِالفَتحِ وبِدُونِ تنوينٍ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ، وبِالكَسرِ كذلكَ؛ بِدونِ تَنوينٍ؛ ﴿أُفِّ﴾: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائِيِّ وأَبي عَمرٍو وشُعبةَ، وبالكَسرِ مَعَ التنوينِ؛ ﴿أُفٍّ﴾: قِراءَةُ نافعٍ وحفصٍ.

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا
مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا
كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ
أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ
خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ
سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ
وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي
ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي
هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ
مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ
ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ
ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ
ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾

[٢٨] ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾ أي: المَذكُورِينَ مِنْ ذِي القُربَى وما[١] بَعدَه، فلَم تُعطِهم ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾ أي: لِطَلَبِ رِزقٍ تَنتَظِرُه، يَأتِيكَ فتُعطِيهم منه ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾: لَيِّنًا سَهلًا، بِأَنْ تَعِدَهم بِالإعطَاءِ عِندَ مَجِيءِ الرِّزقِ.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تُمسِكْها عَنِ الإِنفَاقِ كُلَّ المَسكِ[٢] ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا﴾ في الإِنفَاقِ ﴿كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا﴾ - رَاجِعٌ للأَوَّلِ[٣]- ﴿مَّحۡسُورًا﴾: مُنقَطِعًا لا شيءَ عِندَكَ. رَاجِعٌ للثَّاني[٤].

[٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾: يُوَسِّعُه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾: يُضَيِّقُه لمَنْ يَشاءُ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾: عَالِمًا[٥] بِبَوَاطِنِهم وظَوَاهِرِهم، فيَرزُقُهم على حَسَبِ مَصَالِحِهم.

[٣١] ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ بِالوَأْدِ ﴿خَشۡيَةَ﴾: مَخافَةَ ﴿إِمۡلَٰقٖۖ﴾: فَقرٍ ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا﴾: إِثمًا ﴿كَبِيرٗا﴾: عَظِيمًا.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ أَبلَغُ مِنْ: «لا تَأتُوه» ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾: قَبِيحًا ﴿وَسَآءَ﴾: بِئسَ ﴿سَبِيلٗا﴾: طَرِيقًا هو!

[٣٣] ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾: لِوَارِثِه ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾: تَسَلُّطًا على القَاتِلِ ﴿فَلَا يُسۡرِف﴾: يَتَجَاوَزِ الحَدَّ ﴿فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾ بِأَنْ يَقتُلَ غَيرَ قَاتِلِه، أو بِغيرِ ما قَتَلَ به ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾.

[٣٤] ﴿تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ إِذا عَاهَدتُّم اللهَ أوِ النَّاسَ ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ عنه.

[٣٥] ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾: أَتِمُّوه ﴿إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾: المِيزَانِ السَّوِيِّ ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾: مَآلًا.

[٣٦] ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾: تَتبَعْ ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ﴾: القَلبَ ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ صَاحِبُه: مَاذا فَعلَ به؟

[٣٧] ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ أي: ذَا مَرَحٍ بالكِبْرِ والخُيَلاءِ ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾: تَثقُبَها حتَّى تَبلُغَ آخِرَها بكِبْرِكَ ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ المعنَى: إِنَّكَ لا تَبلُغُ هذا المبلَغَ. فكَيفَ تَختَالُ؟!

[٣٨] ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكُورِ ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ[٦] عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ومن).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الإِمسَاك).

(٣) أي: الإِمسَاكِ.

(٤) أي: الإِسرَافِ في الإِنفَاقِ.

(٥) وفي الآيةِ إِثباتُ صِفَةِ البَصرِ له سُبحانه؛ على الوَجهِ اللائِقِ بِهِ مِنْ غَيرِ تَمثِيلٍ، ولا تَكييفٍ، ولا تَأويلٍ، ولا تَعطِيلٍ، ومِنْ لَوازِمِ ذلك أَنْ يَكونَ عَالِمًا بِبَواطِنِ عِبَادِه وظَواهِرِهم.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: ﴿سَيِّئَةً﴾ بِالتَّاءِ؛ أي: عملًا سيِّئًا، وهي قِرَاءَةٌ سبعيَّةٌ لنافعٍ وابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقرأ البَاقونَ: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ بِالهَاءِ؛ أي: السيِّئُ، مِمَّا تَقَدَّمَ.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا
﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾
نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

[٣٩] ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ - يا مُحمَّد- ﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾: الموعِظَةِ(١) ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾: مَطرُودًا عَنْ رَحمَةِ الله.

[٤٠] ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾: أخلَصَكُم - يا أهلَ مَكَّةَ- ﴿رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾: بَنَاتٍ(٢) لِنَفسِه بِزَعمِكُم؟ ﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ﴾ بِذلكِ ﴿قَوۡلًا عَظِيمًا﴾.

[٤١] ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ مِنَ الأَمثَالِ والوَعدِ والوَعِيدِ ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: يَتَّعِظُوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عَنِ الحَقِّ.

[٤٢] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: اللهِ ﴿ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾: طَلَبُوا ﴿إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: اللهِ ﴿سَبِيلٗا﴾ لِيُقَاتِلُوه(٣).

[٤٣] ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: تَنزِيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ مِنَ الشُّرَكَاءِ ﴿عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾!

[٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾: تُنزِّهُه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن﴾: ما ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ مِنَ المخلُوقَاتِ ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ مُلتَبِسًا ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي: يَقُولُ: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمدِه ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ﴾: تَفهَمُونَ ﴿تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ لِأَنَّه لَيسَ بِلُغَتِكُم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ حَيثُ لَمْ يُعاجِلْكُم بِالعُقُوبَةِ.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ أي: سَاتِرًا لكَ عنهم، فلا يَرونَك- نَزَلَ فِيمَنْ أَرادَ الفَتكَ به ﷺ(٤)-.

[٤٦] ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾: أغطِيَةً ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾: مِنْ أَنْ يَفهَمُوا القُرآنَ؛ أي: فلا يَفهَمُونَه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾: ثِقَلًا فَلا يَسمَعُونَه ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ عنه.

[٤٧] ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: بِسَبَبِه مِنَ الهُزْءِ(٥) ﴿إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾: [إلى قِرَاءَتِكَ](٦) ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾: يَتَنَاجَونَ بينهم؛ أي: يَتَحَدَّثُونَ ﴿إِذۡ﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿إِذۡ﴾ قَبلَه ﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في تَنَاجِيهِم: ﴿إِن﴾: مَا ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾: مَخدُوعًا مَغلُوبًا على عَقلِه.

[٤٨] قالَ تَعالَى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ بِالمَسحُورِ والكَاهِنِ والشَّاعِرِ ﴿فَضَلُّواْ﴾ بِذلكَ عَنِ الهُدَى ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾: طَرِيقًا إِلَيه.

[٤٩] ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ مُنكِرِينَ لِلبَعثِ: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾؟

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (المَوَاعِظِ).

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بَنَاتًا). وهو مِمَّا أَجَازَه الكُوفِيُّونَ؛ لِأَنَّهم يُجِيزُونَ نَصبَ جَمعِ المؤنثِ السَّالِمِ بِالفَتحَةِ، على لغةٍ قليلةٍ لِبَعضِ العَرَبِ.

(٣) رَوى عبدُ الرزَّاقِ (١٥٧٠)، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ؛ قَالَ: «لَابتَغَوا التَّقَرُّبَ إِلَيهِ، مَعَ أَنَّهُ لَيسَ كَمَا يَقُولُونَ». وأخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ (١٣٢٩٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قال: «على أن يَنزِلوا مُلكَه»، وفي فتحِ القديرِ للشوكانيِّ (٣/ ٢٧٦) عنه بلفظِ: «عَلَى أَنْ يُزِيلُوا مُلْكَهُ». وذكرَ الشنقيطيُّ في أضواءِ البيانِ (٣/ ١٥٨): أَنَّ الآيَةَ قَدْ يَكُونُ فِيهَا وَجهَانِ، كِلاهُمَا حَقٌّ، وَكِلاهُمَا يَشهَدُ لَهُ قُرآنٌ، فَنَذكُرُ الجَمِيعَ لِأَنَّهُ كُلَّهُ حَقٌّ. وذكر هَذَينِ الوَجهَينِ، وهما: الأَوَّلُ: أي لَطَلَبُوا إِلَى ذِي العَرشِ سَبِيلًا؛ أي: إِلَى مُغَالَبَتِهِ وَإِزَالَةِ مُلكِهِ، لِأَنَّهُم إِذًا يَكُونُونَ شُرَكَاءَهُ، كَمَا يَفعَلُ المُلُوكُ بَعضُهُم مَعَ بَعضٍ. سُبحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا... والوَجهُ الثاني: أي: طَرِيقًا وَوَسِيلَةً تُقَرِّبُهُم إِلَيهِ؛ لِاعتِرَافِهِم بِفَضلِهِ... قال: وَيُروَى هَذَا القَولُ عَن قَتَادَةَ، وَاقتَصَرَ عَلَيهِ ابنُ كَثِيرٍ في تَفسِيرِه.
ثُمَّ قالَ مُرجِّحًا القولَ الأَوَّلَ: وَلَا شَكَّ أَنَّ المَعنَى الظَّاهِرَ المُتَبَادِرَ مِنَ الآيَةِ بِحَسَبِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، هُوَ القَولُ الأَوَّلُ؛ لِأَنَّ فِي الآيَةِ فَرْضَ المُحَالِ، وَالمُحَالُ المَفرُوضُ الَّذِي هُوَ وُجُودُ آلِهَةٍ مَعَ اللهِ مُشَارِكَةٍ لَهُ، لَا يَظهَرُ مَعَهُ أَنَّهَا تَتَقَرَّبُ إِلَيهِ، بَل تُنَازِعُهُ، لَو كَانَت مَوجُودَةً، وَلَكِنَّهَا مَعدُومَةٌ مُستَحِيلَةُ الوُجُودِ، وَالعِلمُ عِندَ اللهِ تَعَالَى. انتهى كلامه بتصرُّفٍ يسيرٍ.
وأمَّا القولُ الآخرُ في تفسيرِ الآيةِ، أنَّ المعنى: لَطَلَبُوا التوصُّلَ والتَّقرُّبَ إليه، إفرادًا له -سُبحَانَهُ- بِالعُبودِيةِ والتَّوجُّهِ، كما بينه شارح الطحاويةِ (ص٨٨)، وقال: «وَهُوَ الصَّحِيحُ المَنقُولُ عَنِ السَّلَفِ، كَقَتَادَةَ وَغَيرِهِ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابنُ جرير، ولم يَذكُرْ غَيرَهُ»، واختاره ابنُ كثيرٍ (٥/ ٧٨).

(٤) يُشِيرُ إِلى ما أخرجه البيهقيُّ في دلائلِ النبوَّةِ (٢/ ١٩٥، ١٩٦)، والحاكمُ في مُستَدرَكِه (٣٣٧٦) عَنْ أَسماءَ بنتِ أبي بكرٍ قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [سورة المسد] أَقْبَلَتِ العَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنتُ حَربٍ وَلَهَا وَلوَلَةٌ وَفِي يَدِهَا فِهرٌ وَهِيَ تَقُولُ: مُذَمَّمًا أَبَينَا ... وَدِينَهُ قَلَينَا...وَأَمرَهُ عَصَينَا. وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي المَسجِدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَد أَقبَلَتْ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي» وَقَرَأَ قُرآنًا فَاعتَصَمَ بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾، فَوَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكرٍ وَلَم تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ... الحديث. وقالَ الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسنَادِ وَلَم يُخرِجَاهُ»، ووافقه الذَّهبيُّ. وأخرجه أيضًا أبو يعلى في مُسنَدِه (١/ ٣٣ رقم ٢٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ بِنَحوِه، وفي إسناده عند أبي يَعلى عطاءُ بنُ السَّائبِ، وقد اختلطَ، وذكره الهيثميُّ في مجمعِ الزَّوائدِ (٧/ ١٤٤)، ونسبَه إلى أبي يَعلى والبزَّارِ وضعَّفه بعطاءَ. هذا أحدُ الأقوالِ.
والقولُ الآخرُ في تفسيرِ الآيةِ: أنَّ المُرادَ بِالحِجَابِ المستورِ؛ أي: مِنَ الجهلِ وعَمَى القَلبِ، فهم -لِإعراضِهم وتغافُلِهم عَنْ دَعوتِه ﷺ- كَمَنْ بينَه وبينهم حِجَابٌ، يمنعُهم مِنَ السَّماعِ، ويَحُولُ بينهم وبَينَ الهُدى. وهذا القولُ هو الأقربُ، وعليه جُمهورُ المُفسِّرينَ.

(٥) أي: بِالهُزءِ الذي هو سَبَبُ استماعِهم.

(٦) في الأصل: (قِراءَتِكَ) بدون: (إلى)، والمُثبتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

الحزب ٢٩

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ
إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا
مُّبِينًا (٥٣) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن
دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا (٥٧) وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا (٥٨)

[٥٠] ﴿۞ قُلْ﴾ لهم: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾: يَعظُمُ عَن قَبُولِ الحَيَاةِ، فَضْلًا عَنِ العِظَامِ والرُّفَاتِ، فلا بُدَّ مِنْ إِيجَادِ الرُّوحِ فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إلى الحَيَاةِ؟ ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾: خَلَقَكُم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولَم تَكونُوا شَيْئًا؛ لِأَنَّ القَادِرَ على البَدءِ قَادِرٌ على الإِعَادَةِ، بَلْ هي أَهوَنُ ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾: يُحَرِّكُونَ ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تَعَجُّبًا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزَاءً: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: البَعْثُ؟ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: يُنادِيكُم مِنَ القُبُورِ، على لِسَانِ إِسرَافِيلَ ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: فتُجِيبُونَ دَعوَتَه مِنَ القُبُورِ ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: بِأَمْرِه[1] - وقِيلَ: وله الحَمدُ - ﴿وَتَظُنُّونَ إِن﴾: ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لِهَولِ ما تَرونَ.

[٥٣] ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ المُؤمِنِينَ: ﴿يَقُولُوا۟﴾ لِلكُفَّارِ[2] الكَلِمَةَ ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ﴾: يُفسِدُ ﴿بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: بَيِّنَ العَدَاوَةِ.

[٥٤] والكَلِمَةُ التي هي أحسَنُ هي: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بِالتَّوبَةِ والإِيمانِ ﴿أَوْ إِن يَشَأْ﴾ تَعذِيبَكُم ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ بِالمَوتِ على الكُفْرِ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتُجبِرَهم على الإِيمانِ. وهذا قبلَ الأمْرِ بِالقِتَالِ.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيَخُصُّهم بِما شَاءَ على قَدْرِ أحوَالِهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: بِتَخصِيصِ كُلٍّ منهم بِفَضِيلَةٍ؛ كمُوسَى بِالكَلَامِ، وإِبراهِيمَ بِالخُلَّةِ، ومُحَمَّدٍ بِالإِسرَاءِ ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

[٥٦] ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنَّهم آلِهَةٌ ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ كَالمَلَائِكَةِ وعِيسَى وعُزَيْرٍ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له إلى غَيرِكُم.

[٥٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هُمْ آلِهَةً ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يَطلُبُونَ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: القُربَةَ بِالطَّاعَةِ ﴿أَيُّهُمْ﴾: بَدَلٌ مِنْ وَاوِ: ﴿يَبْتَغُونَ﴾؛ أي: يَبتَغِيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه، فكَيفَ بِغَيرِه؟ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كَغَيرِهِم. فكَيفَ تَدْعُونَهم[3] آلِهَةً؟ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[*].

[٥٨] ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ - أُرِيدَ أهلُها - ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِالمَوتِ ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بِالقَتلِ وغَيرِه ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللَّوحِ المَحفُوظِ ﴿مَسْطُورًا﴾: مَكتُوبًا.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥٧): أخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ عبدِ الله بنِ مَسعودٍ قال: كَانَ نَفَرٌ مِنَ الإِنسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾. مُسلمٌ - كتاب التفسير (٥٤) باب (٤) (٣٠٣٠)، وهو في البُخارِيِّ (٤٧١٤، ٤٧١٥) دُونَ التَّصريحِ بِسَبَبِ النُّزولِ.

---

(١) وهذا قولُ ابنِ جُرَيجٍ. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَتَسْتَجِيبُونَ بِمَعْرِفَتِهِ وَطَاعَتِهِ. وقال ابنُ جريرٍ بَعدَ أَنْ سَاقَ هذه الأقوالَ (١٤/ ٦٢٢): «وَأَوْلَى الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: مَعْنَاهُ: فَتَسْتَجِيبُونَ لله مِنْ قُبُورِكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَدُعَائِهِ إِيَّاكُمْ. ولله الحَمْدُ فِي كُلِّ حَالٍ، كَمَا يَقُولُ القَائِلُ: فَعَلْتُ ذَلِكَ الفِعْلَ بِحَمْدِ الله، يَعْنِي: لله الحَمْدُ عَنْ كُلِّ مَا فَعَلْتُهُ...».

(٢) هذا أحدُ الأقوالِ في تفسيرِ هذه الآيةِ، ولعلَّه يُشيرُ إلى ما ذكَرَه الوَاحِدِيُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص١٩٥)، عَنِ الكلبيِّ، قالَ: كانَ المُشرِكونَ يُؤذُونَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ بالقولِ والفِعلِ، فشَكَوا ذلك إلى رسولِ الله ﷺ فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ. والحديثُ ضعيفٌ كما في الاستيعاب (٢/ ٤٤٠).

والقولُ الثاني: هو أنَّ الآيةَ تحثُّ المؤمنينَ على أن يتخاطبُوا فيما بينهم بالتي هي أحسَنُ. وهذا هو الأظهرُ والأنسبُ، واللهُ أعلمُ.

(٣) في نُسخة قباوة: (يدعونهم).

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ
وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ
إِلَّا تَخۡوِيفٗا (٥٩) وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا
ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ
فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا (٦٠)
وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ
قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا (٦١) قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي
كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا (٦٢) قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا (٦٣) وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ
مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ
فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلٗا (٦٥) رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي
ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا (٦٦)

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ التي اقترحها أهلُ مكَّةَ ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ لَمَّا أرسلناها، فأهلكناهم. ولو أرسلناها إلى هؤلاءِ لكَذَّبُوا بها، واستحقُّوا الإهلاكَ. وقد حَكَمنَا بإمهالِهم، لإتمامِ أمرِ محمَّدٍ ﷺ ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ آيةً ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾: بيِّنةً واضحةً ﴿فَظَلَمُواْ﴾: كَفَرُوا ﴿بِهَاۚ﴾ فأُهلِكُوا ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾: المعجزاتِ[1] ﴿إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ للعِبادِ فيُؤمِنُوا[*].

[٦٠] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ عِلمًا وقُدْرةً[2]، فهُمْ في قبضَتِه. فبلِّغْهُم ولا تَخَفْ أحدًا، فهُو يَعصِمُكَ منهم ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾ عِيانًا، ليلةَ الإسراءِ[3] ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾: أهلِ مكَّةَ؛ إذْ كذَّبُوا بها، وارتدَّ بعضُهم، لَمَّا أخبرَهم بها[4] ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ - وهي[5] الزَّقُّومُ[6] التي تَنبُتُ في أصلِ الجحيمِ- جعلناها فِتنةً لهم؛ إذْ قالُوا: النَّارُ تُحرِقُ الشَّجَرَ؛ فكيفَ تُنبِتُه؟![7] ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ﴾ بها[8] ﴿فَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ تخويفُنا ﴿إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾.

[٦١] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سُجودَ تحيَّةٍ بالانحناءِ ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾؟ نُصِبَ بنَزعِ الخافِضِ؛ أي: مِنْ طِينٍ.

[٦٢] ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ﴾ أي: أخبِرْني ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ﴾: فضَّلتَ ﴿عَلَيَّ﴾ بالأمرِ بالسُّجودِ له، و﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾[9] ﴿لَئِنۡ﴾ - لامُ قسَمٍ- ﴿أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾: لأستأصِلَنَّ ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ بالإغواءِ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ منهم مِمَّنْ عصمتَه.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ -تعالَى- له: ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ مُنظَرًا إلى وقتِ النَّفخةِ الأُولَى ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ أنتَ وهم ﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا﴾: وافِرًا كامِلًا.

[٦٤] ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ﴾: استخِفَّ ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾: بدُعائِكَ، بالغِناءِ والمزامِيرِ وكُلِّ داعٍ إلى المعصِيَةِ ﴿وَأَجۡلِبۡ﴾: صِحْ ﴿عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ - وهُم الرُّكَّابُ والمُشاةُ، في المعاصِي- ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ المُحرَّمةِ؛ كالرِّبا والغَصْبِ ﴿وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ مِنَ الزِّنَى ﴿وَعِدۡهُمۡۚ﴾ بأنْ[10] لا بعثَ ولا جزاءَ ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بذلكَ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطِلًا.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنِينَ ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ﴾: تسلُّطٌ وقُوَّةٌ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾: حافِظًا لهم مِنكَ!

[٦٦] ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي﴾: يُجرِي ﴿لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ﴾: السُّفُنَ ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ﴾: تطلُبُوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ -تعالَى- بالتِّجارةِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ في تسخيرِها لكُم.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيةِ (٥٩): أخرجَ أحمدُ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: سألَ أهلُ مكَّةَ النَّبيَّ ﷺ أنْ يَجعَلَ لهُمُ الصَّفا ذَهَبًا، وأنْ يُنحِّيَ الجِبالَ عنهُمْ، فيَزرَعُوا-وفي نُسخَةٍ: «فيَزدَرِعُوا» [افتعال من الزَّرع]- فَقِيلَ لَهُ: إنْ شِئْتَ أنْ تَستَأنِيَ بِهِمْ، وَإنْ شِئْتَ أنْ نُؤتِيَهُمُ الَّذِي سَألُوا، فَإنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ، قالَ: «بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ». فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾». أحمدُ - المُسنَدُ (١/ ٢٥٨). قال أحمد شاكر: إسنادُه صحيح (٢٣٣٣).

---

(١) في نُسخَةِ قَباوَة: (بالمُعجِزاتِ).

(٢) قالَ البيهقيُّ في الأسماءِ والصِّفاتِ (ص٤٠)، في بيانِ معنَى صِفَةِ المُحِيطِ لله سُبحانَهُ وتَعالَى: «قال الحَليميُّ: ومعناه: الذي لا يُقدَرُ على الفِرارِ منه، وهذه الصِّفَةُ لَيستِ حَقًّا إلَّا لله جلَّ ثناؤه، وهي راجعةٌ إلى كَمالِ العِلمِ والقُدرَةِ، وانتفاءِ الغَفلَةِ والعَجزِ عنه». وقال ابنُ تيميةَ في مجموعِ الفَتاوى (٦/ ٥٦٧): «واللهُ تعالى مُحيطٌ بالمخلوقاتِ كُلِّها إحاطةً تَليقُ بجَلالِه؛ فإنَّ السَّماواتِ السبعَ والأرضَ في يدِه، أصغرُ مِنَ الحِمَّصةِ في يدِ أحدِنا». وسبَقَ التعليقُ على مَعنَى صفة المُحيطِ لله سُبحانَهُ وتَعالَى في سُورةِ البَقرةِ الآيةِ (١٩).

(٣) أخرجَ البُخاريُّ (٣٨٨٨) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ قال: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَها رَسُولُ الله ﷺ، لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ». ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ قالَ: «هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ».

(٤) رَواهُ ابنُ جَريرٍ (١٧/ ٤٨١، ٤٨٤) عَنْ قَتادَةَ مُرسَلًا.

(٥) في نُسخَةِ قَباوَة: (هي)؛ بِدُونِ الواوِ.

(٦) رَواهُ البُخارِيُّ (٣٨٨٨) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، كما تَقدَّمَ.

(٧) قالَه مقاتلٌ كما في تَفسِيرِه (٢/ ٥٣٩)، ورَواهُ ابنُ جَريرٍ (١٧/ ٤٨٥) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عن الحَسَنِ مُرسَلًا.

(٨) كلمةُ: (بها) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَباوَة.

(٩) الأعراف: ١٢.

(١٠) في نُسخَةِ قَباوَة: (أنْ).

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا
نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ
أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ
لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً
أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ
ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ
ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ
كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ
يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ
فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن
كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ
عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ
لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾: الشِّدَّةُ ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ خوفَ الغَرَقِ ﴿ضَلَّ﴾: غَابَ عَنكُم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُونَ مِنَ الآلِهَةِ، فلا تَدعُونه ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ - تَعَالَى- فإنَّكُم تَدعُونه وَحدَه؛ لِأنَّكُم في شِدَّةٍ لا يَكشِفُها إلَّا هو- ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ مِنَ الغَرَقِ وأوصَلَكُم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عَنِ التَّوحِيدِ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾: جَحُودًا للنِّعَمِ.

[٦٨] ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن [نَخْسِفَ][1] بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ أي: الأَرضِ كَقَارُونَ ﴿أَوْ [نُرْسِلَ][2] عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: نَرمِيَكُم بِالحَصبَاءِ كَقَومِ لُوطٍ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾: حَافِظًا منه؟

[٦٩] ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن [نُعِيدَكُمْ][3] فِيهِ﴾ أي: البَحرِ[4] ﴿تَارَةً﴾: مَرَّةً ﴿أُخْرَىٰ [فَنُرْسِلَ][5] عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ أي: رِيحًا شَدِيدَةً، لا تَمُرُّ بشيءٍ إلَّا قَصَفَته، فتَكسِرَ فُلكَكُم ﴿[فَنُغْرِقَكُم][6] بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بِكُفرِكم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾: نَاصِرًا وتَابِعًا، يُطَالِبُنا بِما فَعَلنَا بكم؟

[٧٠] ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾: فَضَّلنَا ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بِالعِلمِ والنُّطقِ واعتِدَالِ الخَلْقِ وغَيرِ ذلك، ومنه طَهَارَتُهم بعدَ الموتِ ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الدَّوَابِّ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السُّفُنِ ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كَالبَهَائِمِ والوُحُوشِ ﴿تَفْضِيلًا﴾ فـ«مَنْ» بِمَعنَى: «مَا»، أو على بَابِها، وتَشمَلُ الملائِكَةَ. والمُرَادُ تَفضِيلُ الجِنسِ، ولا يَلزَمُ تَفضِيلُ أفرَادِه؛ إذْ هم أفضَلُ مِنَ البَشَرِ غَيرَ الأنبياءِ[7].

[٧١] اذكُرْ ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾: نَبِيِّهم؛ فيُقَالُ: يا أُمَّةَ فُلَانٍ. أو بِكِتَابِ أعمَالِهم، فيُقَالُ: يا صَاحِبَ الخَيرِ، يا صَاحِبَ الشَّرِّ- وهو يَومُ القِيَامَةِ- ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهُمُ السُّعَدَاءُ أُولُو البَصَائِرِ في الدُّنيا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنقَصُونَ مِنْ أعمَالِهم ﴿فَتِيلًا﴾: قَدْرَ قِشرَةِ النَّوَاةِ[8].

[٧٢] ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: الدُّنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عَنِ الحَقِّ ﴿فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عَنْ طَرِيقِ النَّجَاةِ وقِرَاءَةِ الكِتَابِ ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أبعَدُ طَرِيقًا عنه.

ونَزَلَ في ثَقِيفٍ- وقدْ سَأَلُوه ﷺ أنْ يُحَرِّمَ وَادِيَهم، وأَلَحُّوا عليه-[9]:

[٧٣] ﴿وَإِن﴾: مُخَفَّفَةٌ ﴿كَادُواْ﴾: قَارَبُوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾: لَيَستَنزِلُونَكَ[10] ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا﴾ لو فَعَلتَ ذلك ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾.

[٧٤] ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحَقِّ بِالعِصمَةِ ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾: قَارَبتَ ﴿تَرْكَنُ﴾: تَمِيلُ ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا﴾: رُكُونًا ﴿قَلِيلًا﴾ لِشِدَّةِ احتِيَالِهم وإلحَاحِهم. وهو صَرِيحٌ في أنَّه ﷺ لم يَركَنْ ولا قَارَبَ.

[٧٥] ﴿إِذًا﴾ لو رَكَنتَ ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾ عَذَابِ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ﴾ عَذَابِ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾ أي: مِثلَيْ ما يُعذَّبُ [به][11] غَيرُكَ في الدُّنيا والآخِرَةِ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾: مَانِعًا منه.

---

(١) قَرَأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿نَخْسِفَ﴾؛ بِالنُّونِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَخْسِفَ﴾؛ بالياءِ.

(٢) قَرَأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿نُرْسِلَ﴾؛ بِالنُّونِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُرْسِلَ﴾؛ بالياءِ.

(٣) قَرَأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿نُعِيدَكُمْ﴾؛ بالنُّونِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُعِيدَكُمْ﴾؛ بالياءِ.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (في البَحرِ).

(٥) قَرَأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿فَنُرْسِلَ﴾؛ بِالنُّونِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَيُرْسِلَ﴾؛ بالياءِ.

(٦) قَرَأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿فَنُغْرِقَكُم﴾؛ بِالنُّونِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾؛ بالياءِ.

(٧) والذي ذكَرَه شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ عَنِ السَّلَفِ -واختارَه-: القولُ بِتفضيلِ الأنبياءِ وصَالحِ المؤمنينَ عَلَى الملائِكَةِ. واختَارَ طائفةٌ التوقُّفَ، وأنَّ الأَوْلَى عدمُ الخوضِ في هذه المسألةِ؛ لِأنَّه لا يَترتَّبُ على ذلك عَمَلٌ. وهو قولٌ حَسَنٌ.

(٨) هذا سهوٌ مِنَ السُّيوطيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فَما ذكَرَه هو معنَى «القِطمِيرِ»، أمَّا «الفتيل» فهو: الخَيطُ الذي في بَطنِ النَّوَاةِ.

(٩) أي: يُحرِّمُه كما حَرَّمَ مَكَّةَ. ذكَرَه الوَاحِدِيُّ في أسبَابِ النُّزُولِ عن عطاء عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ (ص١٢١) وقيلَ غير ذلك، وكلُّها ضَعِيفَةٌ، كما في الاستيعابِ (٢/٤٤٨-٤٥١)، والصَّحيحُ أنَّ الآيَةَ عَامَّةٌ في تأييدِ الله عَزَّوَجَلَّ لِرَسولِه ﷺ وتَثبِيتِه وعِصمَتِه وسَلامَتِه مِن شَرِّ الأَشرارِ وكيدِ الفُجَّارِ، والله أعلم.

(١٠) قال الصَّاوي: «أي: يَطلبونَ نُزولَكَ». وفي نُسخَةِ قَبَاوَة: (لَيستَزِلُّوك).

(١١) كلمة: (به) لَيسَتْ فِي الأَصْلِ، وأثبتناها مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ
إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ
بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾
وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ
ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ
شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾
وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ
ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

[٧٦] ونَزَلَ لَمَّا قَالَ له اليَهودُ: «إنْ كُنتَ نَبِيًّا فالحَقْ بِالشَّامِ؛ فإنَّها أرضُ الأنبياءِ»[١]: ﴿وَإِن﴾: مُخَفَّفَةٌ ﴿كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ المَدينةِ ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ لو أخرَجُوكَ ﴿لَّا يَلْبَثُونَ [خَلْفَكَ][٢]﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ يُهلَكُون.

[٧٧] ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: كَسُنَّتِنا فيهم، مِنْ إِهلَاكِ مَنْ أخرَجَهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تَبدِيلًا.

[٧٨] ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: مِن وَقتِ زَوَالِها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: إِقبالِ ظُلمَتِه؛ أي: الظُّهرَ والعَصرَ والمغرِبَ والعِشاءَ ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: صَلاةَ الصُّبحِ ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: تَشهَدُه مَلائِكَةُ الليلِ ومَلائِكَةُ النَّهارِ[٣].

[٧٩] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾: فَصَلِّ ﴿بِهِۦ﴾: بِالقُرآنِ ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فَرِيضَةً زَائِدَةً لك، دُونَ أُمَّتِك، أو فَضِيلَةً على الصَّلواتِ المفرُوضَةِ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ﴾: يُقِيمَكَ ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخِرَةِ ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يَحمَدُكَ فيه الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ. وهو مَقَامُ الشَّفَاعَةِ، في فَصلِ القَضَاءِ.

[٨٠] ونَزَلَ لَمَّا أُمِرَ بالهِجرَةِ[٤]: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ المَدِينَةَ ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: إِدخَالًا مَرْضِيًّا، لا أَرَى فيه مَا أَكْرَهُ ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ مِنْ مَكَّةَ ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: إِخرَاجًا لَا أَلتَفِتُ بِقَلبِي إِليها ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾: قُوَّةً تَنصُرُني بها على أعدَائِكَ.

[٨١] ﴿وَقُلْ﴾ عندَ دُخُولِك مَكَّةَ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإِسلَامُ ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: بَطَلَ الكُفْرُ ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: مُضمَحِلًّا زَائِلًا. وقدْ دَخلَها ﷺ وحَولَ البَيتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وسُتُّونَ صَنَمًا، فجَعلَ يَطعُنُها بِعُودٍ في يَدِه، ويَقُولُ ذلكَ حتى سَقَطَتْ. رواه الشَّيخَانِ[٥].

[٨٢] ﴿[وَنُنْزِلُ][٦] مِنَ﴾: لِلبَيَانِ ﴿ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لِكُفْرِهم به.

[٨٣] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: الكَافِرِ ﴿أَعْرَضَ﴾ عَنِ الشُّكرِ ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: ثَنَى عِطْفَه مُتَبَخْتِرًا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الفَقرُ والشِّدَّةُ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: قَنُوطًا، مِنْ رَحمةِ الله.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ مِنَّا ومِنكُم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: طَرِيقَتِه ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا، فيُثِيبُه.

[٨٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: اليَهودُ ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الذي يَحيَا به البَدَنُ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: عِلْمِه لا تَعلَمُونَه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بِالنِّسبَةِ إلى عِلْمِه تَعالَى[*].

[٨٦] ﴿وَلَئِن﴾ - لَامُ قَسَمٍ - ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: القُرآنِ؛ بِأَنْ نَمحُوَه مِنَ الصُّدُورِ والمَصاحِفِ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

---

[*] **ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٨٥)**: أخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ عَبدِ الله قالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ اليَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ: مَا رَأْيُكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي. فَلَمَّا نَزَلَ الوَحْيُ، قَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سُورة الإِسراءِ (١٧) باب (١٣).
وأخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾. الترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سُورة بني إسرائيل. (صحيحُ الإسنادِ) صَحيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥١٠). وهذا الحديثُ يدلُّ على أنَّ هذه الآيَةَ مَكِّيَّةٌ، فيَتَمشَّى ذلك مع كَونِ السُّورَةِ كُلِّها مَكِّيَّةً. وحديثُ ابنِ مَسعودٍ السَّابقُ؛ قال ابنُ كثيرٍ: «يَقتَضِي فيما يَظهرُ بَادِيَ الرَّأْيِ أَنَّ هذه الآيَةَ مَدنيَّةٌ...»، وقد يُجابُ عن هذا بِأنَّه قد تكونُ نَزلَت عليه بِالمدينةِ مَرَّةً ثانيةً، كما نَزلَتْ عليه بِمَكَّةَ قبل ذلك، أو أنَّه نَزلَ عليه الوَحيُ بِأنَّه يُجيبُهم عمَّا سَألُوه بِالآيَةِ المتَقدِّمِ إنزالُها عليه، وهي هذه الآيَةُ.

---

(١) أخرجَ نحوَه ابنُ أبي حَاتمٍ (١٣٣٥٦)، والبيهقيُّ في الدلائل (٢٠٠٥)، وابنُ عساكر (٢/ ١٧٨-١٧٩) عَن عبدِ الرحمنِ بنِ غنم، وضعَّفه السيوطيُّ في لُباب النقول (ص١٣٩)، وقال: «هذا مُرسَلٌ ضعيفُ الإِسنادِ». وعَنْ قَتادَةَ في قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال: هَمَّ أهلُ مَكَّةَ بِإخراجِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وقد فعلوا بعد ذلك؛ فأَهلَكَهم اللهُ يومَ بَدرٍ، ولم يَلبَثُوا بعدَه إلَّا قَليلًا... ذكرَه الطبريُّ في جامع البيان (١٥/ ٩٠)، والسيوطيُّ في الدُّرِّ المنثُورِ (٥/ ٣٢٠)، وهو مُرسَلٌ كما في الاستيعاب (٢/ ٤٥٢).

(٢) قرأ ابنُ عامرٍ وحفصٌ وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿خِلَٰفَكَ﴾؛ بِكَسرِ الخاءِ وفتح اللام وألِفٍ بعدَها، وقرأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿خَلْفَكَ﴾؛ بِفَتحِ الخاءِ وسُكونِ اللامِ وبِدُونِ أَلِفٍ.

(٣) لِحَديثِ أبي هُرَيرَةَ مرفوعًا، عِندَ البُخارِيِّ (٦٤٨، ٤٧١٧)، ومسلم (٦٤٩).

(٤) أخرَجَه التِّرمِذِيُّ (٣٠٦٤)، وأحمدُ (١٨٤٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وضعَّفَه الألبانيُّ في ضَعيفِ التِّرمِذِيِّ (٦١٠)، وقالَ الشيخ أحمدُ شاكر في تعليقه على المُسنَدِ (٣/ ٢٩١): «إسنادُه صحيحٌ».

(٥) البُخارِيُّ (٢٤٧٨)، ومسلمٌ (١٧١٨) مِنْ حَديثِ عبدِ الله بن مسعودٍ. وليس فيه عندهما: «ويقولُ ذلك حتى سَقطت». وهي عند الطبرانيِّ في الأوسط (٢٣٠٣) مِنْ حَديثِ عبدِ الله بنِ مَسعودٍ، بلفظ: «فجَعَلَ يَطعُنُها فتَسَاقطُ على وَجْهِها». وقال الطبرانيُّ في الصغير (٢١٠): «فتَتَسَاقَطُ لِوُجُوهِها» لَمْ يَروِهِ عَنْ سُفيَانَ الثَّورِيِّ إلَّا عَبدُ الرَّزَّاقِ».

(٦) ﴿وَنُنْزِلُ﴾؛ بِسكونِ النُّونِ وتخفيفِ الزَّايِ: قِراءَةُ أبي عَمرٍو، وقرأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿وَنُنَزِّلُ﴾؛ بِفَتحِ النُّونِ وتَشديدِ الزَّايِ.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ
ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ
لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ
وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ
كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ
وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ
سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ
أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا
رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

[٨٧] ﴿إِلَّا﴾: لَكِن أبقيناهُ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾: عَظِيمًا؛ حَيثُ أَنزَلَه عليكَ، وأعطَاكَ المَقامَ المَحمُودَ، وغيرَ ذلكَ مِنَ الفَضائِلِ.

[٨٨] ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الفَصاحَةِ والبَلاغَةِ[1] ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: مُعِينًا. نَزَلَ رَدًّا لِقَولِهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[2].

[٨٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: صِفَةٌ لِمحذُوفٍ؛ أي: مَثَلًا مِنْ جِنْسِ كُلِّ مَثَلٍ؛ لِيَتَّعِظُوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أَهلِ مَكَّةَ ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحُودًا لِلحَقِّ.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا۟﴾ -عَطفٌ على «أَبى»-: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾: عَينًا يَنبَعُ منها الماءُ.

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: بُستَانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾: وَسْطَها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

[٩٢] ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قِطَعًا ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾: مُقَابَلَةً وعِيَانًا فنَرَاهُم.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: ذَهَبٍ ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾: تَصعَدَ ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ بِسُلَّمٍ ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ -لو رَقِيتَ فيها- ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَٰبًا﴾ فيه تَصدِيقُكَ ﴿نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ﴾ لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّى﴾! تَعجُّبٌ ﴿هَلْ﴾: ما ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ كَسَائِرِ الرُّسُلِ؟ ولَم يَكُونُوا [يَأْتُونَ][3] بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذنِ الله.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ أي: قَولُهم مُنكِرِينَ: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ولَم يَبعَثْ مَلَكًا؟

[٩٥] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بَدَلَ البَشَرِ ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ إِذْ لا يُرسَلُ إلى قَومٍ رَسُولٌ إِلَّا مِن جِنْسِهم؛ لِيُمْكِنَهم مُخاطَبَتُه والفَهمُ عنه.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ على صِدْقِي ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: عَالِمًا[4] بِبَواطِنِهم وظَواهِرِهم.

---

(١) ذَكَرَ العُلماءُ أنَّ أَوجُهَ الإعجازِ في القُرآنِ عَديدةٌ؛ ومنها: الإخبارُ بِالغَيبيَّاتِ، والعُذوبَةُ في الأَلفَاظِ، والبَراعَةُ في الأُسلوبِ، والإِيجازُ في العِبارةِ مَع إِفادةِ المعاني الكثيرةِ، وكونُه لا يَخْلَقُ مع كثرةِ التِّلاوةِ ولا يَمَلُّ سَامِعُهُ، وكونُه يَجمعُ عُلومًا ومَعارفَ لم يجمعْها كتابٌ غيره، وغيرُ ذلك.

(٢) الأنفال: ٣١.

(٣) في الأَصلِ: (يأتوا). والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة. ويُنظَرُ في توجيهِ ذلكَ التعليقُ على الآيَةِ (٤٥) مِنْ سُورةِ النَّحلِ.

(٤) العِلمُ غيرُ البَصرِ، وإن كانَ مِنْ لَوازِمِه، فنُثبِتُ هذه الصِّفةَ لله عزّ وجلّ على الوَجهِ اللائقِ بِه سبحانَه.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

الحزب ٣٠

[٩٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ماشِينَ ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: سَكَنَ لَهَبُها ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: تَلَهُّبًا واشتِعالًا.

[٩٨] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟﴾ مُنكِرِينَ للبَعْثِ: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾؟

[٩٩] ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يعلَمُوا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مَعَ عِظَمِهِما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أي: الأَناسِيَّ في الصِّغَرِ؟ ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ لِلمَوتِ والبَعْثِ ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحُودًا له.

[١٠٠] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ مِنَ الرِّزقِ والمَطَرِ ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾: لَبَخِلتُم ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾: خَوفَ نَفادِها بالإنفاقِ فتَقتُرُوا[1] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾: بَخِيلًا.

[١٠١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: وَاضِحاتٍ. وهي: اليَدُ، والعَصا، والطُّوفانُ، والجَرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادِعُ، والدَّمُ، والطَّمْسُ[2]، والسِّنينُ[3]، ونَقصُ الثَّمَراتِ[4]. ﴿فَسْـَٔلْ﴾ - يا مُحَمَّدُ- ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عنه سُؤالَ تَقريرٍ لِلمُشرِكينَ، عَلى صِدقِكَ- أو فَقُلنا له: اسأَلْ. وفي قِراءَةٍ بِلَفظِ الماضِي[5]- ﴿إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: مَخدُوعًا، مَغلُوبًا على عَقلِكَ.

[١٠٢] ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآياتِ ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾: عِبَرًا، ولَكنَّكَ تُعانِدُ. وفي قِراءَةٍ بِضَمِّ التَّاءِ[6] ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: هالِكًا، أو مَصرُوفًا عَنِ الخَيرِ.

[١٠٣] ﴿فَأَرَادَ﴾ فِرعَونُ ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾: يُخرِجَ مُوسَى وقَومَه ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصرَ ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: السَّاعَةِ ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: جَميعًا، أنتُم وهُم.

---

(١) أي: فتَفتَقِروا. وفي نُسخَةِ قَباوَة: (فتَفتَقِرُوا).

(٢) أي: مَسخُ أموالِهم حِجارَةً؛ أي: مَحقُها وإتلافُها. وفي نُسخَةِ قَباوَة: (أوِ الطَّمسُ). قال قباوة في حاشيته (ص١٠٧٢): «وقول السيوطيِّ: «أو» يَعني أنَّ بَعضَ المُفسِّرينَ ذَكروا الطَّمسَ بَدلًا مِنَ الدَّمِ».

(٣) كذا في الأَصلِ، وفي جميعِ النُّسخِ التي وقفنا عليها؛ عَلى لُغةِ مَن يلتزمُ الياءَ والنُّونَ، ويُعربُ الجَمعَ بِالحَرَكاتِ كَالمفردِ.

(٤) وهذه هي الآياتُ التي أُوتِيها مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ لِفِرعَونَ وقومِه، وهي غيرُ الآياتِ التي أُوتيها لِحَملِ قومِه بني إسرائيلَ على الاستقامةِ، كما تَقَدَّمَ في تفسيرِ سُورةِ يُونسَ، آية (٧٥).

(٥) أي: «فَسَأَلَ». والمُناسِبُ أنْ يَقولَ: «وقُرِئ» جَريًا على طَريقتِه؛ لِأنَّها قِراءَةٌ شاذَّةٌ.

(٦) أي: مِنْ ﴿عَلِمْتُ﴾، وهي لِلكِسائيِّ.

وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾
وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾
قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ
خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ سجدة
ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ
بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهۡفِ — ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ
﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾
مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾

[١٠٥] ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿وَبِٱلۡحَقِّ﴾ المشتمِلِ عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أُنزِلَ، لم يَعتَرِه تبديلٌ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمَّد ﴿إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ مَنْ آمَنَ بالجنَّةِ ﴿وَنَذِيرٗا﴾ مَن كَفَرَ بالنَّارِ. [١٠٦] ﴿وَقُرۡءَانٗا﴾: منصوبٌ بفعلٍ يُفسِّرُه: ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾: نزَّلناه مُفرَّقًا، في عِشرينَ سَنةً أو وثلاثٍ ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾: مَهلٍ وتُؤدَةٍ لِيَفهموه ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾: شيئًا بعدَ شيءٍ، على حَسَبِ المصالِحِ. [١٠٧] ﴿قُلۡ﴾ لِكُفَّارِ مكَّةَ: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ تهديدٌ لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾: قَبلِ نُزولِه، وهُم مُؤمِنو أهلِ الكتابِ ﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا﴾. [١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ﴾: تنزيهًا له عَن خُلفِ الوَعدِ! ﴿إِن﴾: مُخفَّفةٌ ﴿كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا﴾ بنُزولِه وبَعثِ النَّبيِّ ﷺ ﴿لَمَفۡعُولٗا﴾. [١٠٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ﴾: عَطفٌ بزِيادةِ صِفةٍ ﴿وَيَزِيدُهُمۡ﴾ القرآنُ ﴿خُشُوعٗا ۩﴾: تَواضُعًا لله. [١١٠] وكان ﷺ يقولُ: «يا أللهُ يا رَحمنُ». فقالُوا: ينهانا أنْ نَعبُدَ إلهَينِ، وهو يَدعُو إلهًا آخَرَ معه. فنزَلَ: ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾ أي: سَمُّوه بأيِّهما، أو نادُوه بأنْ تَقولُوا: يا أللهُ يا رَحمنُ[1] ﴿أَيّٗا﴾: شَرطيَّةٌ ﴿مَّا﴾: زائدةٌ؛ أي: أيَّ هذَينِ ﴿تَدۡعُواْ﴾ فهو حَسَنٌ. دَلَّ على هذا: ﴿فَلَهُ﴾ أي: لِمُسمَّاهُما[2] ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ وهذانِ منها. فإنَّها كما في الحديثِ: «اللهُ الَّذي لا إلَهَ إلا هُوَ الرَّحمَنُ، الرَّحِيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلامُ، المُؤمِنُ، المُهَيمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المُتكَبِّرُ، الخَالِقُ، البَارِئُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيمُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البَصِيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ، الحَلِيمُ، العَظِيمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِيرُ، الحَفِيظُ، المُقِيتُ، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، المُجِيبُ، الوَاسِعُ، الحَكِيمُ، الوَدُودُ، المَجِيدُ، البَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الحَقُّ، الوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الوَلِيُّ، الحَمِيدُ، المُحصِي، المُبدِئُ، المُعِيدُ، المُحيِي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الوَاجِدُ، المَاجِدُ، الوَاحِدُ، الأَحَدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوَالِي، المُتَعَالِي، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ المُلكِ، ذُو الجَلالِ وَالإِكرَامِ، المُقسِطُ، الجَامِعُ، الغَنِيُّ، المُغنِي، المَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهَادِي، البَدِيعُ، البَاقِي، الوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ» رواهُ الترمذيُّ[3]. قالَ تَعالَى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾: بقِراءتِك بها، فيَسمَعَك المُشركونَ، فيَسُبُّوكَ، ويَسُبُّوا القرآنَ ومَنْ أنزَلَه ﴿وَلَا تُخَافِتۡ﴾: تُسِرَّ ﴿بِهَا﴾ لِينتَفِعَ أصحابُك ﴿وَٱبۡتَغِ﴾: اقصِدْ ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ الجَهرِ والمُخافتةِ ﴿سَبِيلٗا﴾: طَريقًا وَسطًا[*].

[١١١] ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾: في الأُلوهيَّةِ ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ﴾ يَنصُرُه ﴿مِّنَ﴾ أجلِ ﴿ٱلذُّلِّ﴾ أي: لم يَذِلَّ فيحتاجَ إلى ناصِرٍ ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾: عَظِّمْهُ عَظَمةً تامَّةً، عَنِ اتِّخاذِ الوَلَدِ الشَّريكِ، والذُّلِّ، وكُلِّ ما لا يَليقُ به. وتَرتيبُ الحَمدِ على ذلك لِلدَّلالةِ على أنَّه المُستحِقُّ لِجميعِ المحامِدِ؛ لِكمالِ ذاتِه، وتَفرُّدِه في صِفاتِه. ورَوى الإمامُ أحمدُ في «مُسنَدِه» عَن مُعاذٍ الجُهَنيِّ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أنَّه كانَ يَقُولُ: «آيةُ العِزِّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾» إلى آخِرِ السُّورةِ[4]. والله -تَعالَى- أعلمُ[5].

[قالَ الشيخُ العلَّامَةُ المُحقِّقُ المُدقِّقُ جلالُ الدِّينِ المَحلِّي -تَغمَّدَه الله برَحمتِه، وأسكَنَه فَسيحَ جَنَّتِه-: بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ، وآلِه وصَحبِه وسَلَّم][6].

سُورَةُ الكَهْفِ

مَكِّيَّةٌ إلَّا: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ الآيَةَ. مِائةٌ وعَشرُ آياتٍ، أو خَمسَ عَشرةَ آيَةً[7]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ هو الوَصفُ بالجَميلِ، ثابتٌ ﴿لِلَّهِ﴾ تعالَى- وهل المُرادُ: الإعلامُ بذلكَ لِلإيمانِ به، أوِ الثَّناءُ به، أو هُما؟ احتِمالاتٌ، أفيدُها الثَّالثُ- ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾ محمَّدٍ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ﴾ أي: فيه ﴿عِوَجَاۜ﴾: اختِلافًا وتَناقُضًا- والجُملةُ حالٌ مِنَ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾-.

---

[*] ما جاءَ في نُزولِ الآيةِ (١١٠): أخرجَ النَّسائيُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ يَرفَعُ صَوتَهُ بالقُرآنِ، وكَانَ المُشرِكُونَ إذا سَمِعُوا صَوتَهُ سَبُّوا القُرآنَ، ومَنْ جاءَ بِهِ فَكَانَ النَّبيُّ ﷺ، يَخفِضُ صَوتَهُ بالقُرآنِ، ما كَانَ يُسمِعُهُ أَصحابُهُ، فأَنزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾. النَّسائيُّ - كتاب الافتتاح (١١) باب (٨٠)، وأخرجَه أيضًا بنحوِه البُخاريُّ في كتاب التفسير (٦٥) باب (١٤)، ومسلمٌ في كتاب الصلاة (٤) باب (٣١).

---

(١) أخرجَ نحوَه ابنُ جرير (١٥/ ١٣٦) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، وضعَّفَ صاحبُ الاستيعاب إسنادَه (٢/ ٤٦٤). وأخرجَ البُخاريُّ في أفعالِ العباد (ص٨٢)، بِسَنَدٍ ضَعيفٍ، عَنْ عائشةَ، قالَتْ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ عِندَ البَيتِ فَجَهَرَ بالدُّعاءِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «يا الله، يا رَحمنُ» فَسمِعَتْهُ أهلُ مَكَّةَ، فأَقبَلُوا عَلَيهِ، فأنزَلَ الله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾.

(٢) في نُسخةِ قَباوة: (فلِمُسمَّاهُما). (٣) الترمذيُّ (٣٤٢٩) مِن حديثِ أبي هُريرةَ مرفوعًا وضعَّفَه الألبانيُّ في ضعيفِ سُنَنِ التِّرمذيِّ (٦٩٦). وأسماءُ الله عَزَّوَجَلَّ لَيسَتْ مَحصورةً بهذه الأسماءِ، بل لا حَصرَ لها، أو لا سبيلَ لِلبشرِ إلى ذلك، كما قالَ ﷺ: «أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفسَكَ، أَوْ أَنزَلْتَهُ فِي كِتابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلمِ الغَيبِ عِندَكَ...». أخرجَه أحمدُ في المُسنَدِ (٣٧٠٤)، وصحَّحَه الألبانيُّ في صحيح الكَلِم الطَّيِّب (١٠٢). (٤) أحمدُ (١٥٠٨١) عَن مُعاذِ بن أنسٍ مَرفوعًا، وضعَّفه الألبانيُّ في ضعيف الجامع (١٩)، والسلسلة الضعيفة (٤/ ٥٣) رقم (١٥٤٧).

(٥) تنبيه: نقلتُ خاتمةَ جلالِ الدِّينِ السُّيوطيِّ رَحِمَهُ اللهُ مِن مَوضِعِها هنا -وهو آخِرُ القِسمِ الذي فَسَّرَه، وأتَمَّ به مابدأه جلالُ الدِّينِ المحلِّي- إلى مُقدِّمةِ التفسيرِ -وقد أشرتُ إلى ذلك ثَمَّ- وأمَّا مِن أوَّلِ سُورةِ «الكهف»؛ فيبدأُ الجُزءُ الذي فسَّرَه جلالُ الدِّينِ المحلِّي رَحِمَهُ اللهُ. (٦) ما بينَ المعكوفينِ لَيسَ في الأصلِ، والمُثبَتُ مِن نُسخةِ قَباوة. (٧) كلمة: (آيَة) لَيسَتْ في نُسخةِ قَباوة.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ
رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ
فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ
ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

[٢] ﴿قَيِّمًا﴾: مُستقِيمًا. حَالٌ ثَانِيةٌ مُؤَكِّدَةٌ ﴿لِّيُنذِرَ﴾: يُخوِّفَ بِالكِتَابِ[١] الكَافِرِينَ ﴿بَأْسًا﴾: عَذَابًا ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾: مِن قِبَلِ اللهِ ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

[٣] ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ - هُو الجَنَّةُ -.

[٤] ﴿وَيُنذِرَ﴾ - مِن جُملَةِ الكَافِرِينَ - ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾.

[٥] ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾: بِهذَا القَولِ ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ﴾ مِنْ قَبْلِهِم القَائِلِينَ له ﴿كَبُرَتْ﴾: عَظُمَتْ ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾! ﴿كَلِمَةً﴾: تَمييزٌ مُفسِّرٌ لِلضَّمِيرِ المُبهَمِ. والمَخصُوصُ بِالذَّمِّ مَحذُوفٌ؛ أي: مَقَالَتُهم المَذكُورَةُ ﴿إِن﴾: ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا﴾ مَقُولًا ﴿كَذِبًا﴾.

[٦] ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾: مُهلِكٌ ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾: بَعدَهُم؛ أَي: بعدَ تَولِّيهم عنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القُرآنِ ﴿أَسَفًا﴾: غَيظًا وحُزْنًا منك؛ لِحِرصِكَ على إِيمَانِهم. ونَصْبُهُ على المفعُولِ له.

[٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ الحَيَوانِ والنَّبَاتِ والشَّجَرِ والأَنهَارِ، وغَيرِ ذلك ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: لِنَختَبِرَ النَّاسَ، نَاظِرِينَ إلى ذلكَ: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه؛ أي: أَزهَدُ له؟[٢]

[٨] ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾: فُتَاتًا ﴿جُرُزًا﴾: يَابِسًا لا يُنبِتُ.

[٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي: أَظَنَنْتَ ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾: الغَارِ في الجَبَلِ ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: اللَّوحِ المَكتُوبِ فيه أَسمَاؤهم وأَنسَابُهم - وقد سُئِلَ ﷺ عَنْ قِصَّتِهم - ﴿كَانُوا۟﴾ في قِصَّتِهم ﴿مِنْ﴾ جُملَةِ ﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾: خَبَرُ «كَانَ»، وما قَبلَه: حَالٌ؛ أَي: كانُوا عَجَبًا دُونَ بَاقِي الآيَاتِ، أو أَعجَبَها؟ لَيسَ الأَمْرُ كَذلِكَ.

[١٠] اذْكُرْ ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: جَمعُ فَتًى - وهو الشَّابُّ الكَامِلُ - خَائِفِينَ على إِيمَانِهم مِنْ قَومِهم الكُفَّارِ ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾: مِنْ قِبَلِكَ ﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾: أَصْلِحْ ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: هِدَايَةً.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: أَنَمْنَاهُمْ ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: مَعدُودَةً.

[١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أَيقَظنَاهُم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ: ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: الفَرِيقَينِ المُختَلِفَينِ في مُدَّةِ لَبثِهم ﴿أَحْصَىٰ﴾: فِعلٌ بِمَعنَى: ضَبَطَ ﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾: لِلَبثِهم: مُتَعَلِّقٌ بِمَا بَعدَه ﴿أَمَدًا﴾: غَايَةً؟

[١٣] ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾: نَقرَأُ ﴿عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بِالصِّدْقِ ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

[١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: قَوَّينَاهُم على قَولِ الحَقِّ ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾ بَينَ يَدَي مَلِكِهم. وقَدْ أَمَرَهُم بِالسُّجُودِ للأَصنَامِ[٣] ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غَيرِه ﴿إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أي: قَولًا ذَا شَطَطٍ؛ أي: إِفرَاطٍ في الكُفْرِ، إِنْ دَعَونا إِلـهًا غَيرَ اللهِ فَرْضًا.

[١٥] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مُبتَدَأٌ ﴿قَوْمُنَا﴾: عَطفُ بَيَانٍ ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾: على عِبَادَتِهم ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾: بِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لَا أَحدَ أَظلَمُ ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسبَةِ الشَّرِيكِ إليه -تَعالَى-؟

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الكِتَابُ).

(٢) قال في حاشية الصَّاوي: «والمعنَى: نُميِّزُ بينَ حَسَنِ العَمَلِ وسَيِّئِه بِتلكَ الزِّينةِ؛ فمَنْ زَهِدَها كانَ من أهلِ الحسن، وَمنْ رَغِبَ فيها كان بِضِدِّ ذلك» (٣/ ٤). وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعديُّ: «أي أَخلَصه وأَصوَبَه». تيسير الكريم الرحمن (ص٥٠٤).

(٣) لم نَقِفْ عليه. وذَكَره ابنُ الجوزيِّ في زادِ المسير بنحوِه (٣/ ٦٩)، ولم يَعزُهُ لِأَحَدٍ.

[١٦] قالَ بَعضُ الفِتيَةِ لِبَعضٍ: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ -بِكَسرِ الميمِ وفَتحِ الفاءِ، وبِالعَكسِ(١)-: ما تَرتَفِقُونَ به مِنْ غَدَاءٍ وعَشَاءٍ.

[١٧] ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت [تَّزَٰوَرُ]﴾ - بالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ(٢)-: تَمِيلُ ﴿عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾: نَاحِيَتَه ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: تَترُكُهم وتَتَجاوَزُ عنهم، فلا تُصِيبُهم البَتَّةَ ﴿وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ﴾: مُتَّسَعٍ مِنَ الكَهفِ، يَنَالُهم بَردُ الرِّيحِ ونَسِيمُها ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكُورُ ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ﴾: دَلَائِلِ قُدرَتِه ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾.

[١٨] ﴿وَ[تَحۡسِبُهُمۡ](٣)﴾ - لَو رَأيتَهم- ﴿أَيۡقَاظٗا﴾ أي: مُنتَبِهِينَ؛ لِأَنَّ أعيُنَهم مُنفَتِحَةٌ(٤)، جَمعُ: «يَقِظٍ» بِكَسرِ القَافِ ﴿وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾: نِيَامٌ، جَمعُ: «رَاقِدٍ» ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ لِئَلَّا تَأكُلَ الأَرضُ لُحُومَهم ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾: يَدَيه(٥) ﴿بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾: بِفِناءِ الكَهفِ- وكانُوا إِذا انقَلَبُوا انقَلَبَ(٦)، وهو مِثْلُهم في النَّومِ واليَقَظَةِ- ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا [وَلَمُلِّئۡتَ]﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ(٧)- ﴿مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾ - بِسُكُونِ العَينِ وضَمِّها(٨)-. مَنَعَهم اللهُ بِالرُّعْبِ مِنْ دُخُولِ أَحَدٍ عليهم.

[١٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما فَعَلنَا بهم ما ذَكَرنَا ﴿بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾: أَيقَظنَاهُم ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ عَنْ حَالِهِم، ومُدَّةِ لَبثِهم ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ﴾ لِأَنَّهم دَخَلُوا الكَهفَ عِندَ طُلُوعِ الشَّمسِ، وبُعِثُوا عِندَ غُرُوبِها، فَظَنُّوا أَنَّه غُرُوبُ يومِ الدُّخُولِ. ثُمَّ ﴿قَالُواْ﴾ مُتَوَقِّفِينَ في ذلك: ﴿رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم [بِوَرۡقِكُمۡ]﴾ -بِسُكُونِ الرَّاءِ وكَسرِها(٩)-: بِفِضَّتِكُم ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ يُقَالُ: إِنَّها المُسَمَّاةُ الآنَ «طَرَسُوس» بِفَتحِ الرَّاءِ(١٠) ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ أي(١١): أَيُّ أَطعِمَةِ المدِينَةِ أَحَلُّ؟ ﴿فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ﴾: يَقتُلُوكُم بِالرَّجمِ ﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا﴾ أَي: إِنْ عُدتُّم في مِلَّتِهم ﴿أَبَدٗا﴾.

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا
﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ
مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن
يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا
وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم
بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا
يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ
طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ
بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ
أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾

(١) ﴿مَرۡفِقًا﴾، بِفَتحِ الميمِ وكَسرِ الفَاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مِرۡفَقٗا﴾، بِكَسرِ الميمِ وفَتحِ الفَاءِ.

(٢) ﴿تَّزَّاوَرُ﴾ بِالتَّشدِيدِ وأَلِفٍ بعدَها: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿تَزۡوَرُّ﴾ بِإِسكانِ الزَّايِ وتَشدِيدِ الرَّاءِ مِن غيرِ أَلِفٍ، وقرأ عاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿تَزَٰوَرُ﴾، بِتَخفِيفِ وفتحِ الزَّايِ وأَلِفٍ بعدَها وتَخفِيفِ الرَّاءِ.

(٣) ﴿تَحۡسِبُهُمۡ﴾، بِكَسرِ السِّينِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو والكِسائيِّ ونافعٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ﴾، بِفَتحِها.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مُفَتَّحة).

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مُفَتَّحة).

(٦) كَلِمَةُ: (يديه) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة زِيادةٌ.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ)، بِتقدِيمِ قِراءةِ التَّخفِيفِ. وقِراءةُ التشدِيدِ، ﴿وَلَمُلِّئۡتَ﴾، بِتَشدِيدِ اللامِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَلَمُلِئۡتَ﴾، بِتخفِيفِها، وأَبدَلَ حمزةُ الهَمزةَ ياءً وقفًا.

(٨) ﴿رُعُبًا﴾، بِضَمِّ العَينِ: قِرَاءَةُ الكِسائيِّ وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ ﴿رُعۡبٗا﴾، بِسُكُونِ العَينِ.

(٩) ﴿بِوَرۡقِكُمۡ﴾، بِسُكونِ الرَّاءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ وشُعبةَ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾، بِكَسرِ الرَّاءِ.

(١٠) وفي مُعجَمِ ما استعجم للبكري: «طُرْسُوس» بِضَمِّ أَوَّلِه، وإِسكانِ ثانِيه: معروفةٌ، مِنَ الثغورِ الجزرية. قالَ أبو حاتم: هكذا يقولُ الأصمعي. وغيرُه يقولُ: «طَرَسُوس»...» (٣/ ٨٩٠).

(١١) كلمة: (أي) الأولى ليستْ في نُسخة قباوة.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا
ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي
أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً
ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

[٢١] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾: أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومَهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: قومُهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعثِ ﴿حَقٌّ﴾ بطريقِ أنَّ القادرَ على إنامتِهم(1) المدَّةَ الطَّويلةَ، وإبقائِهم على حالِهم بلا غِذاءٍ، قادرٌ على إحياءِ الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾: شكَّ(2) ﴿فِيهَا إِذْ﴾: معمولٌ لـ﴿أَعْثَرْنَا﴾ ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ أي: المؤمنونَ والكفَّارُ ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أمرَ الفتيةِ في البناءِ حولَهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي: الكفَّارُ: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم﴾ أي: حولَهم ﴿بُنْيَانًا﴾ يسترُهم ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾: أمرِ الفتيةِ، وهُمُ المؤمنونَ(3): ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم﴾: حولَهم ﴿مَّسْجِدًا﴾ يُصلَّى فيه. وفُعِلَ ذلكَ على بابِ الكهفِ.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازِعونَ في عددِ الفتيةِ في زمنِ النَّبيِّ ﷺ؛ أي: يقولُ بعضُهم: هُم ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي: بعضُهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولانِ لنصارى نجرانَ(4) ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظنًّا في الغيبةِ عنهم- وهو راجعٌ إلى القولَينِ معًا- ونصبُهُ على المفعولِ له؛ أي: لِظنِّهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المؤمنونَ: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الجملةُ مِن مبتدأٍ وخبرٍ صفةُ: ﴿سَبْعَةٌ﴾ بزيادةِ الواوِ. وقيلَ: تأكيدًا ودلالةً على لُصوقِ الصِّفةِ بالموصوفِ. ووَصفُ الأوَّلينِ بالرَّجمِ، دونَ الثَّالثِ دليلٌ على أنَّه مرضِيٌّ وصحيحٌ ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أنا مِنَ القليلِ. وذكرَهم سبعةً(5) ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: تُجادِلْ ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ بما أُنزلَ عليكَ ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾: تطلُبِ الفُتيا ﴿مِّنْهُمْ﴾: مِن أهلِ الكتابِ اليهودِ ﴿أَحَدًا﴾.

[٢٣] وسألَه أهلُ مكَّةَ عن خبرِ أهلِ الكهفِ، فقالَ: «أُخبِرُكُم به غدًا» ولم يَقُلْ: «إنْ شاءَ الله» فنزلَ(6): ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجلِ شيءٍ ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يُستقبَلُ مِنَ الزَّمانِ.

[٢٤] ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلَّا مُلتبسًا بمشيئةِ اللهِ -تعالى- بأنْ تقولَ: إنْ شاءَ اللهُ ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي: مشيئتَه معلَّقًا بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ التَّعليقَ بها، ويكونُ ذِكرُها بعدَ النِّسيانِ كذِكرِها مع القولِ. قالَ الحسنُ وغيرُه: ما دامَ في المجلسِ(7) ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾: مِن خبرِ أهلِ الكهفِ، في الدَّلالةِ على نبوَّتي ﴿رَشَدًا﴾: هدايةً. وقد فعلَ اللهُ -تعالى- ذلك.

[٢٥] ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ - بالتَّنوينِ(8)- ﴿سِنِينَ﴾: عطفُ بيانٍ لـ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾- وهذه السُّنونَ الثَّلاثُمائةِ عندَ أهلِ الكتابِ شمسيَّةٌ، وتزيدُ القمريَّةُ عليها عندَ العربِ تسعَ سنينَ- وقد ذُكِرَتْ في قولِه: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي: تسعَ سنينَ، فالثَّلاثُمائةُ الشَّمسيَّةُ: ثلاثُمائةٍ وتسعٌ قمريَّةٌ.

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ ممَّنْ اختلفُوا فيه- وهو ما تقدَّمَ ذكرُه- ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علمُه ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾ أي: باللهِ! - هي صيغةُ تعجُّبٍ- ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به كذلك! بمعنى: ما أبصرَه، وما أسمعَه! وهُما على جهةِ المجازِ(9)، والمرادُ أنَّه -تعالى- لا يغيبُ عن بصرِه وسمعِه شيءٌ ﴿مَا لَهُم﴾: لأهلِ السَّماواتِ والأرضِ ﴿مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾: ناصرٍ ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لأنَّه غنيٌّ عنِ الشَّريكِ.

[٢٧] ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأً.

---

(1) في نُسخةِ قباوة: (إقامتهم).

(2) في نُسخةِ قباوة: (لا شكَّ).

(3) الظَّاهرُ أنَّ الذين قالوا ذلك هُم أصحابُ الكلمةِ والنُّفوذِ. وقيلَ: هُم أهلُ الشِّركِ منهم وليسُوا المسلمينَ. وعلى أيِّ حالٍ فقد جاءَ شرعُنا بتحريمِ ذلك، قالَ ﷺ: «لعنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى؛ اتَّخذُوا قبورَ أنبيائِهِمْ مساجدَ». يُحذِّرُ ما فعلُوا. رواهُ البخاريُّ (٤٣٦)، ومسلمٌ (٥٣١)، وقال ﷺ: «... ألا وإنَّ مَنْ كانَ قبلَكُمْ كانُوا يتَّخِذونَ قبورَ أنبيائِهِمْ وصالحِيهِمْ مساجدَ، ألا فلا تتَّخذُوا القبورَ مساجدَ، إنِّي أنهاكُمْ عنْ ذلكَ». رواهُ مسلمٌ (٥٣٢).

(4) ذكرَه مقاتلٌ في تفسيرِه (٢/ ٥٨٠)، وقالَ ابنُ الجوزيِّ في زادِ المسير (٣/ ٧٤): «رواه الضحَّاكُ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ». وهو في تنويرِ المقباسِ مِنْ تفسيرِ ابنِ عبَّاسٍ (ص٢٤٥).

(5) أخرجَه عبد الرزَّاقِ في تفسيرِه (٢/ ٣٢٩) قالَ: كانَ ابنُ عبَّاسٍ، يقولُ: «أنا مِنَ القليلِ، هُمْ سبعةٌ، وثامنُهُمْ كلبُهُمْ»، وأخرجَه ابنُ جريرٍ (١٥/ ٢٢٠)، وابنُ أبي حاتمٍ (١٢٧٥٤) وغيرُهم عنه.

(6) أخرجَ نحوَه ابنُ المنذرِ عنْ مجاهدٍ، كما في الدُّرِّ المنثورِ (٤/ ٣٩٤)، وذكرَه محمدُ بنُ إسحاق عَنِ ابنِ عبَّاسٍ كما في تفسيرِ ابنِ كثيرٍ (٣/ ٧٠، ٧٧)، وذكرَه مقاتلٌ في تفسيرِه (٢/ ٥٨١)، وضعَّفَ إسنادَه في الاستيعاب (٢/ ٤٧١).

(7) ذكرَه البغويُّ في تفسيرِه (٥/ ١٦٢)، وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ (١٢٧٦٠) مِن طريقِ عمرو بن دينار، عنْ عطاءٍ، أنَّه قالَ: «مَنْ حلفَ على يمينٍ فله الثُّنيا حلبَ ناقةٍ. قالَ: وكانَ طاوسٌ يقولُ: ما دامَ في مجلسِه».

(8) وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ بغيرِ تنوينٍ.

(9) بل هُما على جهةِ الحقيقةِ، واللهُ عزَّوجلَّ يتعجَّبُ على الوجهِ اللائقِ بجلالِه وكمالِه، مِنْ غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تأويلٍ ولا تعطيلٍ. وإذا كانَ العبدُ يتعجَّبُ مِنَ الشيءِ لخفاءِ أسبابِه عليه أو مقدِّماته؛ فلا يلزمُ ذلك في حقِّه تعالى؛ فهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

[٢٨] ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبِسْها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعِبادَتِهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾ -تعَالَى- لَا شَيئًا مِنْ أعرَاضِ الدُّنيَا، وهُمُ الفُقَرَاءُ ﴿وَلَا تَعْدُ﴾: تَنصَرِفْ ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ - عُبِّرَ بِهما عَن صَاحِبِهما- ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: القُرآنِ- هُو عُيَينَةُ بنُ حِصْنٍ وأصحَابُه- ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشِّركِ ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: إسرَافًا[*].

[٢٩] ﴿وَقُلِ﴾ له ولِأَصحَابِه: هذا القُرآنُ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ تَهدِيدٌ لهم ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكَافِرِينَ ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾: ما أَحاطَ بها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾: كعَكَرِ الزَّيتِ ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ﴾ مِنْ حَرِّه إذا قُرِّبَ إليها ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هُو! ﴿وَسَآءَتْ﴾ أي: النَّارُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾: [مُتَّكَأً][1]! تَمييزٌ مَنقُولٌ مِنَ الفَاعِلِ؛ أي: قَبُحَ مُرتَفَقُها. وهو مُقَابِلٌ لِقَولِه الآتي في الجَنَّةِ: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾! وإِلَّا فَأَيُّ ارتفَاقٍ في النَّارِ؟!

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: الجُملَةُ خَبَرُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾[2]، وفيها إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ المُضمَرِ -والمَعنَى: أجرَهم؛ أي: نُثِيبُهم بِما تَضَمَّنَه-.

[٣١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إِقَامَةٍ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ - قِيلَ: ﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٌ، وقِيلَ: لِلتَبعِيضِ- وهي: جَمْعُ أَسْوِرَةٍ؛ كأَحْمِرَةٍ، جَمْعُ سِوَارٍ ﴿مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾: مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ[3] ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: مَا غَلُظَ منه- وفي آيَةِ «الرَّحمَن»: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ﴾[4]- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ﴾: جَمْعُ أَرِيكَةٍ، وهي السَّرِيرُ في الحَجَلَةِ، وهي بَيتٌ يُزَيَّنُ بِالثِّيَابِ والسُّتُورِ لِلعَرُوسِ ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾: الجَزَاءُ الجَنَّةُ! ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾!

[٣٢] ﴿۞ وَٱضْرِبْ﴾: اجعَلْ ﴿لَهُم﴾: لِلكُفَّارِ مَعَ المُؤمِنِينَ ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾: بَدَلٌ، وهُو ومَا بَعدَه تَفسِيرٌ لِلمَثَلِ ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ الكَافِرِ ﴿جَنَّتَيْنِ﴾: بُستَانَيْنِ ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ يُقتَاتُ به.

[٣٣] ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾: ﴿كِلْتَا﴾: مُفرَدٌ يَدُلُّ على التَّثنِيَةِ، مُبتَدأٌ ﴿ءَاتَتْ﴾: خَبَرُه ﴿[أُكْلَهَا][5]﴾: ثَمَرَها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾: تَنقُصْ ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا﴾ أي: شَقَقنَا ﴿خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ يَجرِي بَينَهُما.

[٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ مَعَ الجَنَّتَينِ ﴿ثَمَرٌ﴾ - بِفَتحِ الثَّاءِ والمِيمِ، وبِضَمِّهِما، وبِضَمِّ الأَوَّلِ وسُكُونِ الثَّانِي[6]-: وهو جَمعُ ثَمَرَةٍ كشَجَرةٍ وشَجَرٍ، وخَشَبةٍ وخُشُبٍ، وبَدَنةٍ وبُدْنٍ ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المُؤمِنِ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يُفَاخِرُه: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: عَشِيرَةً.

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن
شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ
وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ
لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

الحزب ٣٠

٢٩٧

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٢٨): أخرجَ ابنُ ماجه عَنْ خَبَّابٍ في قولِه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قولِه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قالَ: «جَاءَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ، فَوَجَدَا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَ صُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ، وَعَمَّارٍ، وَخَبَّابٍ، قَاعِدًا فِي نَاسٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ حَقَرُوهُمْ، فَأَتَوْهُ فَخَلَوْا بِهِ، وَقَالُوا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا، تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ فَضْلَنَا، فَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ فَنَسْتَحْيِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَذِهِ الْأَعْبُدِ، فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ، فَأَقِمْهُمْ عَنْكَ، فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا، فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ. قَالَ: «نَعَمْ»، قَالُوا: فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا، قَالَ: فَدَعَا بِصَحِيفَةٍ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ، وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ. فَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ...».

قالَ: «وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ وَتَرَكَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ وَلَا تُجَالِسِ الْأَشْرَافَ ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾: يَعْنِي عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ قَالَ: هَلَاكًا. قَالَ: أَمْرُ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الرَّجُلَيْنِ وَمَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. قَالَ خَبَّابٌ: فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ، قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ». ابنُ ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفُقَراءِ. (صحيحٌ) صحيحُ سُنَنِ ابنِ مَاجه (٣٣٢٩).

---

(١) كَلمةُ: (مُتَّكأ) لَيستْ في الأَصلِ، وأَثبتناها مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: ﴿إِنَّ﴾.

(٣) أي: الحَرير.

(٤) الرحمن: ٥٤.

(٥) ﴿أُكْلَهَا﴾؛ بِسُكونِ الكَافِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿أُكُلَهَا﴾؛ بِضَمِّ الكَافِ.

(٦) ﴿ثُمُرٌ﴾؛ بِضَمِّهما: قِراءَةُ السَّبْعَةِ عدا عاصم وأبي عَمرٍو، وبِضَمِّ الثَّاء وسكون الميم؛ ﴿ثُمْرٌ﴾: قِراءَةُ أبي عَمرٍو، وبِفَتحِ الثَّاءِ والمِيمِ؛ ﴿ثَمَرٌ﴾: قِراءَةُ عاصِمٍ.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ
بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ
مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ بِصَاحِبِه، يَطُوفُ به فيها، ويُرِيه آثَارَها- ولَم يَقُلْ: «جنتَيهِ»؛ إِرَادَةً لِلرَّوضَةِ[1]. وقِيلَ: اكتِفَاءً بالوَاحِدِ[2]- ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بِالكُفْرِ ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾: تَنعَدِمُ ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾.

[٣٦] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ في الآخِرَةِ، عَلى زَعْمِكَ ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾: مَرْجِعًا.

[٣٧] ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يُجَاوِبُه: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ لِأَنَّ آدَمَ خُلِقَ منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾: عَدَلَكَ وَصَيَّرَكَ ﴿رَجُلًا﴾.

[٣٨] ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ - أَصلُه: «لَكِن أَنَا»، نُقِلَتْ حَرَكَةُ الهَمزَةِ إِلى النُّونِ، أَو حُذِفَتِ الهَمزَةُ، ثُمَّ أُدغِمَتِ النُّونُ في مِثْلِها- ﴿هُوَ﴾: ضَمِيرُ الشَّأنِ؛ تُفَسِّرُه الجُملَةُ بَعدَه. والمَعنَى: أَنا أَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

[٣٩] ﴿وَلَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عِندَ إِعجَابِكَ بها: هذا ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ في الحَدِيثِ: «مَنْ أُعْطِيَ خيرًا مِنْ أَهلٍ أَو مَالٍ، فيَقُولُ عِندَ ذلك: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ لَم يَرَ فيه مَكرُوهًا»[3] ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠﴾ - ضَمِيرُ فَصْلٍ بَينَ المفعُولَينِ- ﴿أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

[٤٠] ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾: جَوَابُ الشَّرطِ ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾: جَمْعُ حُسْبَانَةٍ؛ أَي: صَوَاعِقَ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أَرضًا مَلسَاءَ، لا يَثبُتُ عليها قَدَمٌ.

[٤١] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ بِمَعنَى: غَائِرًا. عُطِفَ على ﴿يُرْسِلَ﴾ دُونَ «تُصْبِحَ»؛ لِأَنَّ غَورَ الماءِ لا يَتَسَبَّبُ عَنِ الصَّوَاعِقِ ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾: حِيلَةً تُدرِكُه بها.

[٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾- بِأَوجُهِ الضَّبطِ السَّابِقَةِ[4]- مَع جنَّتِه بِالهَلاكِ فَهَلَكَتْ ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ نَدَمًا وتَحَسُّرًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾: في عِمَارَةِ جَنَّتِه ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: سَاقِطَةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: دَعَائِمِها لِلكَرْمِ؛ بِأَنْ سَقَطَتْ، ثُمَّ سَقَطَ الكَرْمُ ﴿وَيَقُولُ يَا﴾: لِلتَنبِيهِ ﴿لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

[٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُن﴾ - بِالتَّاءِ واليَاءِ[5]- ﴿لَّهُۥ فِئَةٌ﴾: جَمَاعَةٌ ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عِندَ هَلاكِها ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ عِندَ هَلاكِها بِنَفْسِه.

[٤٤] ﴿هُنَالِكَ﴾ أَي: يومَ القِيَامَةِ ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بِفَتحِ الوَاوِ: النُّصرَةُ، وبِكسرِها[6]: المُلكُ ﴿لِلَّهِ [ٱلْحَقُّ]﴾ بِالرُّفعِ: صِفَةُ ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾، وبِالجَرِّ: صِفَةُ الجَلَالَةِ[7] ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ مِنْ ثَوَابِ غَيرِه -لو كَانَ يُثِيبُ- ﴿وَخَيْرٌ [عُقْبًا]﴾ بِضَمِّ القَافِ، وسُكُونِها[8]: عَاقِبَةً لِلمُؤمِنِينَ. ونَصبُها على التَّمييزِ.

[٤٥] ﴿وَٱضْرِبْ﴾: صَيِّرْ ﴿لَهُم﴾: لِقَومِكَ ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: مَفعُولٌ أَوَّلُ ﴿كَمَآءٍ﴾: مَفعُولٌ ثَانٍ ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: تَكَاثَفَ بِسَبَبِ نُزُولِ الماءِ ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أَوِ امتَزَجَ الماءُ بِالنَّبَاتِ فَرَوِيَ وَحَسُنَ ﴿فَأَصْبَحَ﴾: صَارَ النَّبَاتُ ﴿هَشِيمًا﴾: يَابِسًا مُتَفَرِّقَةً أَجزَاؤُه ﴿تَذْرُوهُ﴾: تَنثُرُه وتُفَرِّقُه ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾ فتَذهَبُ به. المَعنَى: شَبَّهَ الدُّنيا بِنَبَاتٍ حَسُنَ، فَيَبِسَ، فتَكَسَّرَ، فَفَرَّقَتهُ الرِّيَاحُ. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿ٱلرِّيحُ﴾[9] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: قَادِرًا.

---

(١) يَعني أَنَّ الرَّوضَةَ تَشمَلُ الجنَّتَينِ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِالوَاحِدَةِ).

(٣) لَم أَجِدْه بِهذا اللفظِ. وأَخرجَ نَحوَه ابنُ أَبي الدُّنيا في الشُّكر (١)، والطبرانيُّ في الكبير (٥٨٨)، والبيهقيُّ في الشُّعَب (٤٠٦٠) عَن أَنسٍ مَرفوعًا بِلفظِ: «مَا أَنعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ مِن نِعْمَةٍ مِن أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ، فَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَيَرَى فِيهِ آفَةً دُونَ المَوْتِ». وضعَّفه الألبانيُّ في ضعيف الجامع (٥٠٢٦).

(٤) أي: السَّابقِ بَيَانُها في قولِه تَعالَى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ ولِلقُرَّاءِ أَنفسِهم.

(٥) ﴿يَكُن﴾؛ بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ.

(٦) ﴿ٱلْوِلَٰيَةُ﴾؛ بالكَسرِ: قِرَاءَةُ حمزة والكِسائيِّ.

(٧) ﴿ٱلْحَقُّ﴾؛ بالرَّفع: قِراءَةُ الكِسائيِّ وأَبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿ٱلْحَقِّ﴾؛ بالجرِّ.

(٨) ﴿عُقْبًا﴾؛ بالسُّكونِ: قِراءَةُ عاصمٍ وحمزةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿عُقُبًا﴾ بالضَّمِّ.

(٩) ﴿ٱلرِّيحُ﴾؛ بالياءِ دُونَ أَلِفٍ: لِحَمْزة والكِسائيِّ.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

ربع الحزب ٣٠

[٤٦] ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُتَجَمَّلُ بهما فيها ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي: «سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»، زادَ بَعضُهم: «وَلَا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(١) ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: ما يَأمَلُه الإنسانُ ويَرجُوه عِندَ اللهِ -تَعالَى-.

[٤٧] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ [تُسَيَّرُ ٱلْجِبَالُ]﴾(٢): يُذهَبُ بها عَنْ وَجْهِ الأَرضِ؛ فتَصِيرُ هَبَاءً مُنبَثًّا- وفي قِرَاءَةٍ: بِالنُّونِ وكَسرِ اليَاءِ، ونَصبِ ﴿ٱلْجِبَالَ﴾- ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظَاهِرَةً، ليسَ عليها شَيءٌ مِنْ جَبَلٍ ولا غَيرِه ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ المُؤمِنِينَ والكَافِرِينَ ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: نَترُكْ ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

[٤٨] ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾: حَالٌ؛ أي: مُصطَفِّينَ، كُلُّ أُمَّةٍ صَفٌّ. ويُقَالُ لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ أي: فُرَادَى «حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا». ويُقَالُ لِمُنكِرِي البَعْثِ: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَ﴾نْ: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ؛ أي: أَنَّه ﴿لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ لِلبَعْثِ.

[٤٩] ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: كِتَابُ كُلِّ امرِئٍ: في يَمِينِه مِنَ المُؤمِنِينَ، وفي شِمَالِه مِنَ الكَافِرِينَ ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خَائِفِينَ ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عِندَ مُعَايَنَتِهم ما فِيه مِنَ السَّيِّئَاتِ: ﴿يَا﴾: للتَّنبِيه ﴿وَيْلَتَنَا﴾: هَلْكَتَنَا. وهُو مَصدَرٌ لا فِعْلَ له مِنْ لَفْظِه ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ مِنْ ذُنُوبِنا ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: عَدَّها وأَثبَتَها؟ تَعَجَّبُوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾: مُثبَتًا في كِتَابِهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يُعَاقِبُه بِغَيرِ جُرْمٍ، ولا يَنقُصُ مِنْ ثَوَابِ مُؤمِنٍ.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾: مَنصُوبٌ بِـ«اذْكُرْ» ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سُجُودَ انحِنَاءٍ لا وَضعِ جَبهَةٍ(٣)؛ تَحِيَّةً له ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ - قِيلَ: هو نَوعٌ مِنَ المَلائِكَةِ، فالاستِثنَاءُ مُتَّصِلٌ. وقِيلَ: هُو مُنقَطِعٌ(٤)، وإِبلِيسُ هُو أَبو الجِنِّ، فلَه ذُرِّيَّةٌ، ذُكِرَتْ مَعَه بَعدُ. والمَلائِكَةُ لَا ذُرِّيَّةَ لهم- ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خَرَجَ عن طَاعَتِه بِتَرْكِ السُّجُودِ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ - الخِطَابُ لآدَمَ وذُرِّيَّتِه، والهَاءُ في المَوضِعَينِ لِإِبلِيسَ- ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾: تُطِيعُونَهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ أي: أَعداءٌ؟ حَالٌ ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ إِبلِيسُ وذُرِّيَّتُه، في إِطَاعَتِهم(٥) بَدَلَ إِطَاعَةِ(٦) اللهِ!

[٥١] ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي: إِبلِيسَ وذُرِّيَّتَه ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: لَمْ أُحْضِرْ بَعضَهُم خَلْقَ بَعضٍ ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾: الشَّيَاطِينِ ﴿عَضُدًا﴾: أَعوَانًا في الخَلْقِ، فَكَيفَ تُطِيعُونَهم؟!

[٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾: مَنصُوبٌ بِـ«اذْكُرْ» ﴿يَقُولُ﴾ - بِاليَاءِ والنُّونِ(٧)-: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ الأَوثَانَ ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ لِيَشفَعُوا لَكم، بِزَعمِكُم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾: لَمْ يُجِيبُوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾: بَينَ الأَوثَانِ وعَابِدِيها ﴿مَّوْبِقًا﴾: وَادِيًا مِنْ أَودِيَةِ جَهَنَّمَ، يَهلِكُونَ فيه جَمِيعًا- وهو مِنْ: «وَبَقَ» بِالفَتحِ: هَلَكَ-.

[٥٣] ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟﴾ أي: أَيقَنُوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: وَاقِعُونَ فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: مَعدِلًا.

---

(١) أخرجه أحمدُ في المُسنَدِ (١/ ٧١) موقوفًا على عثمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لَمَّا سُئِلَ: مَا البَاقِيَاتُ يَا عُثْمَانُ؟ قَالَ: «هُنَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».
قالَ الشيخُ أحمدُ شاكر في تعليقه على المُسنَدِ (٥١٣): إسنادُه صحيحٌ. وحَسَّنَه الألبانيُّ بشواهدِه في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٦).
وأخرجه بِنحوِه النَّسائيُّ في الكُبرى (١٠٦١٧)، والحاكمُ في المُستدرَكِ (١٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ: قَوْلُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ مُجَنِّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ». وقال الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». وحَسَّنَه الألبانيُّ في صحيح الترغيب (١٥٦٧).

(٢) ﴿تُسَيَّرُ﴾ بِتَاءٍ مَضمُومَةٍ، وفَتحِ اليَاءِ، و﴿ٱلْجِبَالُ﴾ بالرَّفعِ: وهي قِرَاءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقرأَ البَاقُونَ: ﴿نُسَيِّرُ﴾ بِالنُّونِ، وكَسرِ اليَاءِ، ونَصبِ ﴿ٱلْجِبَالَ﴾.

(٣) قالَ القُرطبيُّ (١/ ٢٩٣): «وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ سُجُودِ المَلَائِكَةِ لِآدَمَ، بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ سُجُودَ عِبَادَةٍ، فَقَالَ الجُمْهُورُ: كَانَ هَذَا أَمْرًا لِلْمَلَائِكَةِ بِوَضْعِ الجِبَاهِ عَلَى الأَرْضِ، كَالسُّجُودِ المُعْتَادِ فِي الصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ السُّجُودِ فِي العُرْفِ وَالشَّرْعِ».

(٤) وهذا القولُ هو الصَّحيحُ الذي تَشهدُ له النُّصوصُ؛ فإبليسُ لَيسَ مِنَ الملائِكَةِ، ولا نوعًا منها كما ذَكَرَ البَعضُ؛ لأنَّه خُلِقَ مِنْ نَارٍ، والملائكةُ خُلِقَتْ مِنْ نُورٍ، كما في حَدِيثِ مُسلم عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». رَوَاهُ مُسلِمٌ (٢٩٩٦). وهل هو أصلُ الجِنِّ، أم واحدٌ منهم؟ قَولَانِ لِأَهلِ العِلْمِ؛ ذَهَبَ الجَلالانِ إلى أنّه أصلُ الجِنِّ، وهو قولُ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ، كما في الفتاوى (٤/ ٢٣٥، ٣٤٦). ويُنظَرُ: التعليقُ على الآيَةِ (٣٤) مِن سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٥) في نُسخَةِ قباوَة: (طاعتِهم).

(٦) في نُسخَةِ قباوَة: (طاعةِ).

(٧) ﴿نقول﴾؛ بالنُّون: قراءةُ حمزةَ.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ
وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا
أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا
لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ
مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا
لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: صِفَةٌ لِمَحذُوفٍ؛ أي: مَثَلًا مِنْ جِنْسِ كُلِّ مَثَلٍ لِيَتَّعِظُوا ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ﴾ أي: الكَافِرُ ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: خُصُومَةً في البَاطِلِ. وهو تمييزٌ مَنقُولٌ مِنِ اسمِ ﴿كَانَ﴾- المَعنَى: وكانَ جَدَلُ الإنسانِ أكثرَ شَيْءٍ فيه-.

[٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾: مَفعُولٌ ثَانٍ ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾: القُرآنُ ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: فَاعِلٌ؛ أي: سُنَّتُنَا فيهم، وهي الإهلاكُ المُقدَّرُ عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ [قِبَلًا]﴾[1]: مُقَابَلَةً وعِيَانًا- وهو القَتلُ يومَ بَدرٍ. وفي قِرَاءَةٍ بِضَمَّتَينِ: جَمعُ: «قَبِيلٍ»؛ أي: أنوَاعًا-.

[٥٦] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: مُخَوِّفِينَ لِلكَافِرِينَ ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بِقَولِهِم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾[2]؟ ونَحوَه ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾: لِيُبْطِلُوا بِجِدَالِهِمُ ﴿الْحَقَّ﴾: القُرآنَ ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ أي: القُرآنَ ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ به مِنَ النَّارِ ﴿[هُزُؤًا]﴾[3]: سُخرِيَّةً.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: مَا عَمِلَ، مِنَ الكُفرِ والمَعَاصِي؟ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطِيَةً ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي: مِنْ أَنْ يَفهَمُوا القُرآنَ؛ أي: فَلا يَفهَمُونَه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثِقَلًا، فَلا يَسمَعُونَه ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي: بِالجَعْلِ المَذكُورِ ﴿أَبَدًا﴾.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ في الدُّنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ فيها ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ - وهو يومُ القِيَامَةِ- ﴿لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾: مَلْجَأً[4].

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ أي: أهلُها؛ كَعَادٍ وثَمُودَ، وغَيرِهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا ﴿وَجَعَلْنَا [لِمُهْلَكِهِم]﴾[5] لِإهلاكِهِم- وفي قِرَاءَةٍ بِفَتحِ المِيمِ؛ أي: لِهَلَاكِهِم ﴿مَّوْعِدًا﴾-.

[٦٠] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابنُ عِمرَانَ ﴿لِفَتَاهُ﴾ يُوشَعَ بنِ نُونٍ، كانَ يَتبَعُه ويَخدِمُه، ويَأخُذُ منه العِلْمَ: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾: لا أَزَالُ أَسِيرُ ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: مُلتَقَى بَحرِ الرُّومِ وبَحرِ فَارِسَ[6]، مِمَّا يَلِي المَشرِقَ؛ أي: المَكَانَ الجَامِعَ لِذلكَ ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: دَهْرًا طَوِيلًا في بُلُوغِه، إنْ بَعُدَ.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾: بَينَ البَحْرَينِ ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: نَسِيَ يُوشَعُ حَمْلَه عِندَ الرَّحِيلِ، ونَسِيَ مُوسَى تَذكِيرَه[7] ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحُوتُ ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ أي: جَعَلَه بِجَعْلِ الله ﴿سَرَبًا﴾ أي: مِثلَ السَّرَبِ، وهو الشَّقُّ الطَّوِيلُ لا نَفَاذَ له. وذلكَ أنَّ الله -تَعَالَى- أمسَكَ عَنِ الحُوتِ جَرْيَ الماءِ، فَانجَابَ عنه[8]، فَبَقِيَ كَالكَوَّةِ[9]، لم يَلتَئِمْ، وَجَمَدَ ما تَحتَه منه.

---

(١) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. وقرأ البَاقُونَ ﴿قُبُلًا﴾ بِضَمَّتَينِ.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) قرأ حفصٌ بِإبدالِ الهَمزَةِ وَاوًا، مَع ضَمِّ الزَّايِ؛ ﴿هُزُوًا﴾، وبقيَّةُ السَّبعَةِ بِضَمِّ الهَمزَةِ، ﴿هُزُؤًا﴾، وسَكَّنَ حَمزةُ الزَّايَ، والبَاقونَ بِضَمِّها، ويقفُ حَمزةُ بنقلٍ وإبدالِ وَاوًا، مع سُكونِ الزَّايِ.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (منجًى، مِنْ «وَأَلَ»: نجا).

(٥) وهي قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عدا عاصمٍ، وقرأ شُعبةُ بِفَتحِ الميمِ واللامِ الثانيةِ؛ ﴿لِمَهْلَكِهِم﴾، وقرأ حفصٌ بِفَتحِ الميمِ وكَسرِ اللامِ الثانيةِ؛ ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾.

(٦) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨/ ٥٥) عَنْ قَتَادَةَ مِنْ وَجهَينِ. وقد تَعقَّبَ الشيخ صَفيُّ الرَّحمَنِ المُبارَكفُورِيُّ، مَا ذَكرَه المُصنِّفُ مِن كَونِ «مَجمَع البَحرَينِ» ملتقى بَحرِ الرُّومِ وفَارِسَ، مِمَّا يلي المَشرِقَ؛ بِقولِه: «بَحرُ الرُّومِ لا يلتقي بِبحرِ فَارِسَ في أي مكانٍ، بَل بينهما حَاجِزٌ شَاسِعٌ من الأرض لا يَبغِيَانِ، والظَّاهِرُ أَنَّه مُلتقى خَليجِ السُّويس بِخَليجِ العَقَبَةِ قُربَ شَرمِ الشَّيخِ. والله أعلمُ» اهـ. (ص٣١١). وانظر كلامَ القاضي كنعان في قُرَّةِ العَينَينِ (ص٣٨٩، ٣٩١). وسيأتي مَزِيدٌ مِن كَلامِ أهلِ العِلمِ عَنْ مَكانِ ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ في التعليقِ على تفسيرِ الآيةِ: ٧٧ من السورة.

(٧) جاء في روايةِ لِحَدِيثِ البُخَارِيِّ: أَنَّ الفَتَى هو الذي نَسِيَ تَذكِيرَ مُوسَى، خِلافَ ما ذَكَرَه المُفسِّرُ؛ وفيها: «فَلَمَّا استَيقَظَ نَسِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالحُوتِ». البُخَارِيُّ (٤٧٢٦). وقيلَ: إنَّما نُسِبَ النِّسيَانُ إليهما، مع أنَّه مِنَ الفَتَى وحدَه؛ لِلصُّحبَةِ، كقوله تَعَالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾.

(٨) أي: انشَقَّ وانكشفَ.

(٩) الكَوَّة؛ بِالفَتحِ، ويُضَمُّ: الخَرْقُ في الحائطِ، وهي تكون نافذة. يُنظرُ: تاج العروس (٣٩/ ٤٢٤)، والقاموس المحيط (ص١٣٢٩). وذِكرُها هنا لا يُناسِبُ قَولَه: «لا نَفاذَ له» -كما ذَكر قباوة-؛ لِأَنَّ مَعنَى «لا نفاذَ له»: لا مَنفذَ فيه؛ كَالوكر مَسدُودِ الآخِرِ. وهذا لا يُناسبُ «الكوَّة». وقد أشار قباوةُ في شرحه أنَّها في بَعضِ النُّسَخِ: (لا نفادَ له)؛ بِالدَّالِ المُهمَلَةِ: أي: هو ثَابِتٌ لا يَضمَحِلُّ. ثُمَّ قالَ مُعقِّبًا: «وفي هذا تلفيقٌ بين تفسيرَينِ».

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا (٧٣) فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا (٧٤)

[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلكَ المكانَ، بِالسَّيرِ إلى وَقْتِ الغَدَاءِ مِنْ ثَاني يومٍ(١) ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ هو ما يُؤكَلُ أوَّلَ النَّهارِ ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: تَعَبًا. وحُصُولُه بعدَ المُجاوَزَةِ. [٦٣] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ أي: تَنَبَّهْ ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ بِذلكَ المكانِ ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يُبدَلُ مِنَ الهاءِ: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بَدلُ اشتِمالٍ؛ أي: أَنسَاني ذِكْرَه ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾: مَفعُولٌ ثانٍ؛ أي: يَتَعَجَّبُ منه مُوسَى وفَتَاه، لِمَا تَقَدَّمَ في بَيَانِه. [٦٤] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: فَقْدُنَا الحُوتَ ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾: نَطلُبُه. فَإِنَّه عَلامَةٌ لنا على وُجُودِ مَنْ نَطلُبُه ﴿فَٱرْتَدَّا﴾: رَجَعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يَقُصَّانِها ﴿قَصَصًا﴾ فأَتَيا الصَّخرَةَ. [٦٥] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو: الخَضِرُ(٢) ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: نُبوَّةً في قَولٍ، وَولايَةً في آخَرَ. وعليه أكثرُ العُلَماءِ(٣) ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾: مِنْ قِبَلِنا ﴿عِلْمًا﴾: مَفعُولٌ ثانٍ؛ أي: مَعلُومًا مِنَ المُغيَّبات. رَوَى البُخارِيُّ حَدِيثَ: «إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا. فَعَتَبَ الله عَلَيْهِ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ. فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ. فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، وَوَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا. وَاضْطَرَبَ الحُوتُ فِي المِكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ، فَسَقَطَ فِي البَحْرِ، ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وَأَمْسَكَ اللهُ عَنِ الحُوتِ جِرْيَةَ المَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلَ الطَّاقِ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالحُوتِ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا. حَتَّى إِذَا كَانَا مِنَ الغَدَاةِ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ إلى قَوْلِه: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾. قَالَ: وكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا... إلخ»(٤).

[٦٦] ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ [رَشَدًا]﴾(٥) أي: صَوابًا أُرْشَدُ به؟ وفي قِراءَةٍ: بِضَمِّ الرَّاءِ وسُكونِ الشِّينِ. وسَأَلَه ذلكَ؛ لِأَنَّ الزِّيادَةَ في العِلْمِ مَطلُوبَةٌ.

[٦٧] ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾. [٦٨] ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾؟ في الحَدِيثِ السَّابِقِ، عَقِبَ هَذِه الآيَةِ: «يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ الله عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ الله عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ». وقَولُه: ﴿خُبْرًا﴾ مَصدَرٌ، [لِمَعنَى](٦): ﴿لَمْ تُحِطْ﴾؛ أي: لم تَخْبُرْ حَقِيقَتَه.

[٦٩] ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى﴾ أي: وَغيرَ عاصٍ ﴿لَكَ أَمْرًا﴾ تَأْمُرُني به. وقَيَّدَ بالمَشِيئَةِ؛ لأنَّه لَم يَكنْ على ثِقَةٍ مِنْ نَفسِه فِيما التَزَمَ. وهذه عَادَةُ الأَنبِياءِ والأَولِياءِ؛ أَنْ لا يَثِقُوا إلى أَنفُسِهم طَرْفَةَ عَينٍ. [٧٠] ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى﴾ - وفي قِراءَةٍ: بِفَتحِ اللامِ وتَشدِيدِ النُّونِ(٧) - ﴿عَن شَىْءٍ﴾ تُنكِرُه مِنِّي في عِلمِكَ، واصْبِرْ ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: أَذكُرُه لكَ بِعِلَّتِه. فَقَبِلَ مُوسَى شَرْطَه؛ رِعايَةً لِأَدَبِ المُتَعَلِّمِ مَعَ(٨) العالِمِ. [٧١] ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يَمشِيانِ(٩) على سَاحِلِ البَحرِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾ التي مَرَّتْ بِهِما ﴿خَرَقَهَا﴾ الخَضِرُ، بِأَنِ اقتَلَعَ لَوحًا أو لَوحَينِ منها، مِنْ جِهَةِ البَحرِ بِفَأسٍ، لَمَّا بَلَغَتِ اللُّجَّ ﴿قَالَ﴾ له مُوسَى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾؟ - وفي قِراءَةٍ: بِفَتحِ التَّحتانِيَّةِ والرَّاءِ(١٠)، ورَفعِ ﴿أَهْلُهَا﴾ - ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أي: عَظِيمًا مُنكَرًا. رُوِيَ أَنَّ الماءَ لَمْ يَدْخُلْها(١١). [٧٢] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾؟. [٧٣] ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غَفَلْتُ عَنِ التَّسلِيمِ لكَ، وتَرْكِ الإِنكارِ عليكَ ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾: تُكَلِّفْني ﴿مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾[*]: مَشَقَّةً في صُحْبَتِي إِيَّاكَ؛ أي: عامِلْني فِيها بِالعَفوِ واليُسرِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعبٍ، أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ قالَ: «كَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا». البُخارِيُّ - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٥) إذا حنث ناسيًا في الأيمان.

---

(١) كما سيأتي في حَديثِ البُخارِيِّ الذي سَاقَه المُفسِّرُ.

(٢) وهو قولُ الجُمهورِ. ورَوَى البُخارِيُّ عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ». البُخارِيُّ (٣٤٠٢).

(٣) وذَكَرَ غيرُه أَنَّ الجُمهورَ على أنَّه نبيٌّ، واختارَه القُرطبيُّ وغيرُه، وهو الأقربُ. قالَ القُرطبيُّ (١١/ ١٦): «وَالخَضِرُ نَبِيٌّ عِنْدَ الجُمْهُورِ. وَقِيلَ: هُوَ عَبْدٌ صَالِحٌ غَيْرُ نَبِيٍّ، وَالآيَةُ تَشْهَدُ بِنُبُوَّتِهِ لِأَنَّ بَوَاطِنَ أَفْعَالِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِوَحْيٍ... وَقِيلَ: كَانَ مَلَكًا، أَمَرَ الله مُوسَى أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ، مِمَّا حَمَلَهُ مِنْ عِلْمِ البَاطِنِ. وَالأَوَّلُ الصَّحِيحُ، والله أَعْلَمُ»، ومَنِ اختارَ أنَّه وليٌّ احتجَّ بِأَنَّ اللهَ لم يَذكُرْ رِسالتَه ولا نُبوَّتَه، ولو كان نبيًّا أو رَسولًا لذَكَرَ ذلك كما ذَكَرَ غيرَه. وعلى أيٍّ مِنَ القَولَينِ، فمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضَلُ مِنَ الخَضِرِ؛ لِأَنَّه مِنْ أُولي العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ، ولا مَانِعَ مِنْ وُجُودِ عِلْمٍ عند الخَضِرِ ليس مَوجودًا عند مُوسَى -عليهما السلام-.

(٤) البُخارِيُّ (٤٧٢٦)، ومسلمٌ (٢٣٨٠) عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ مرفوعًا.

(٥) ﴿رَشَدًا﴾؛ بفتح الرَّاءِ والشِّينِ، وهي قراءةُ أبي عمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِضَمِّ الرَّاءِ وسُكونِ الشِّينِ؛ ﴿رُشْدًا﴾.

(٦) في الأَصلِ: (بِمعنَى)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة.

(٧) ﴿فلا تسئلنّي﴾: لِنافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٨) في نُسخَةِ قَباوَة: (التعلُّم مِنَ).

(٩) في نُسخَةِ قَباوَة: (أي: يمشيانِ)؛ بزيادة: (أي).

(١٠) ﴿لِيَغرَقَ﴾: لِحَمزَةَ والكِسائيِّ.

(١١) لم نَقِفْ عليه بهذا اللفظِ. لكن ثبتَ في البُخارِيِّ (٤٧٢٦) في بعضِ رِواياتِ حَديثِ أُبَيِّ بنِ كَعبٍ المَذكُورِ آنِفًا: «فَخَرَقَهَا وَوَتَدَ فِيهَا وَتِدًا». قالَ الحافظُ في الفتح (٨/ ٤١٩): «وَفِي رِوَايَةِ سُفْيَانَ: "فَلَمَّا رَكِبُوا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بِالقَدُومِ"؛ وَالجَمْعُ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ: أَنَّهُ قَلَعَ اللَّوْحَ وَجَعَلَ مَكَانَهُ وَتِدًا».

۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ
أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا
ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا
وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ
رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن
يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ
وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾
وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾

[٧٤] ﴿فَانطَلَقَا﴾ بعدَ خُروجِهما مِنَ السَّفِينَةِ يَمشِيانِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ لم يَبْلُغِ الحِنْثَ(١)، يَلعَبُ مَعَ الصِّبيانِ، أحسَنَهم وَجْهًا ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ الخَضِرُ بِأَنْ ذَبَحه بِالسِّكِينِ مُضطَجِعًا(٢)، أَوِ اقتَلَعَ رَأسَه بِيَدِه(٣)، أو ضَرَبَ رَأسَه بِالجِدارِ، أقوالٌ(٤) - وأتَى هنا بِالفَاءِ العَاطِفَةِ؛ لِأَنَّ القَتلَ عَقِبَ اللُّقِيِّ- وجَوَابُ ﴿إِذَا﴾: ﴿قَالَ﴾ له مُوسَى: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا [زَاكِيَةَۢ]﴾(٥) أي: طَاهِرَةً، لَمْ تَبلُغْ حَدَّ التَّكليفِ- وفي قِرَاءَةٍ: ﴿زَكِيَّةَۢ﴾ بتشدِيدِ اليَاءِ بِلَا أَلِفٍ- ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ أي: لَم تَقتُلْ نَفْسًا؟ ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾ - بِسُكُونِ الكَافِ وضَمِّها(٦)- أي: مُنْكَرًا.

[٧٥] ﴿۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾؟ زَادَ ﴿لَّكَ﴾ على ما قَبْلَه؛ لِعَدَمِ العُذرِ هنا. [٧٦] ولِهذَا ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا﴾ أي: بَعدَ هَذه المَرَّةِ ﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ﴾: لا تَترُكْني أَتْبَعُكَ ﴿قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ(٧)-: مِنْ قِبَلِي ﴿عُذۡرٗا﴾ في مُفَارَقَتِكَ لي.

[٧٧] ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ - هي أنطَاكِيَةُ(٨)- ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾: طَلَبَا منهم الطَّعَامَ بِضِيَافَةٍ(٩) ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا﴾ ارتِفَاعُه مِائَةُ ذِرَاعٍ(١٠) ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يَقرُبُ أَنْ يَسقُطَ لِمَيَلَانِه ﴿فَأَقَامَهُۥۖ﴾ الخَضِرُ بِيَدِه ﴿قَالَ﴾ له مُوسَى: ﴿لَوۡ شِئۡتَ [لَتَخِذۡتَ]﴾(١١)- وفي قِرَاءَةٍ: ﴿لَتَّخَذۡتَ﴾- ﴿عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾: جُعْلًا؛ حَيثُ لَم يُضَيِّفونَا، مَعَ حَاجَتِنا إِلى الطَّعَامِ.

[٧٨] ﴿قَالَ﴾ له الخَضِرُ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾ أي: وَقتُ فِرَاقِ ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ فيه إِضَافَةُ «بَيْنَ» إلى غَيرِ مُتَعَدِّدٍ، سَوَّغَها تكرِيرُه بِالعَطفِ بِالوَاوِ ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ قَبْلَ فِراقِي لكَ ﴿بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾. [٧٩] ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ﴾ عَشَرَةٍ(١٢) ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ بها، مُؤاجَرةً لها؛ طَلَبًا لِلكَسْبِ ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ إِذا رَجَعُوا، أو أَمَامَهم الآنَ ﴿مَّلِكٞ﴾ كَافِرٌ ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صَالِحَةٍ ﴿غَصۡبٗا﴾: نَصْبُه على المَصدَرِ المُبَيِّنِ لِنَوعِ الأَخْذِ.

[٨٠] ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ فإِنَّه- كما في حَدِيثِ «مُسلِمٍ»(١٣)- طُبِعَ كَافِرًا، ولَو عَاشَ لأَرهَقَهُما ذلكَ؛ لِمَحَبَّتِهما له يَتبَعَانِه في ذلكَ.

[٨١] ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن [يُبۡدِلَهُمَا]﴾ -بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ(١٤)- ﴿رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ﴾ أي: صَلَاحًا وتُقًى ﴿وَأَقۡرَبَ﴾ منه ﴿رُحۡمٗا﴾ - بِسُكُونِ الحَاءِ وضَمِّها(١٥)-: رَحمَةً؛ وهي: البِرُّ بِوَالِدَيه. فأَبدَلَهما -تَعَالَى- جَارِيَةً تَزَوَّجَتْ نَبِيًّا، فوَلَدَتْ نَبِيًّا، فهدَى اللهُ -تَعَالَى- به أُمَّةً(١٦).

[٨٢] ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ﴾: مَالٌ مَدفُونٌ مِنْ ذَهَبٍ وفِضَّةٍ ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ فَحُفِظَا بِصَلَاحِهِ في أَنفُسِهما ومَالِهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ أي: إِينَاسَ رُشْدِهما ﴿وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾: مَفعُولٌ له، عَامِلُه: «أَرَادَ» ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ﴾ أي: مَا ذُكِرَ مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ، وقَتْلِ الغُلَامِ، وإِقَامَةِ الجِدَارِ ﴿عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ أي: اختِيَارِي، بَلْ بِأَمرِ إِلهَامٍ(١٧) مِنَ اللهِ ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ يُقَالُ: اسطَاعَ واستَطَاعَ؛ بِمَعنَى: أَطَاقَ. ففي هَذا ومَا قَبلَه جَمعٌ بَينَ اللُّغَتَينِ. ونُوِّعَتِ العِبَارَةُ في: ﴿فَأَرَدتُّ﴾، ﴿فَأَرَدۡنَآ﴾، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾(١٨). [٨٣] ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾ أي: اليَهُودُ ﴿عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ اسمُه الإِسكَندَرُ(١٩)، ولَم يَكُنْ نَبِيًّا ﴿قُلۡ سَأَتۡلُواْ﴾: سَأَقُصُّ ﴿عَلَيۡكُم مِّنۡهُ﴾: مِنْ حَالِه ﴿ذِكۡرًا﴾: خَبَرًا.

---

(١) أي: لَم يبلغْ حَدَّ التكليفِ. (٢) كما جَاءَ في إِحدَى رِوَاياتِ حَديثِ أُبَيِّ بنِ كَعبٍ، عِندَ البُخَارِيِّ (٤٧٢٦). (٣) كما جَاءَ في إِحدَى رِوَاياتِ حَديثِ أُبَيِّ بنِ كَعبٍ، عِندَ البُخَارِيِّ (٣٤٠١)، ومُسلم (٢٣٨٠). (٤) لَم نَقفْ على القَتلِ بِضَربِ الرأسِ لِلجِدَارِ مُسنَدًا لأَحدٍ، وقد ذكرَه البغويُّ في تَفسِيرِه (٥/ ١٩١) ولم يَعزُهُ لِأحدٍ. والأولَى الاقتصارُ على ماجاءَ في الصَّحِيحِ. وقالَ القُرطبيُّ (١١/ ٢١): «وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ دَمَغَهُ أَوَّلًا بِالْحَجَرِ، ثُمَّ أَضْجَعَهُ فَذَبَحَهُ، ثُمَّ اقْتَلَعَ رَأْسَهُ، واللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ، وَحَسْبُكَ بِمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ».

(٥) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو، وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿زَكِيَّةَۢ﴾ بِتشدِيدِ اليَاءِ وبِلا أَلِفٍ. (٦) ﴿نُّكُرٗا﴾؛ بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ نافعٍ وشُعبةَ وابنِ ذكوان. (٧) بِالتَّخفِيفِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وشُعبةَ، وأسكنَ شُعبةُ الدَّالَ وأشمَّها بِالضَّمِّ. (٨) رَوَاهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٢٩١٤) مِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾، قَالَ: «هي أبرقةُ. قَالَ: وحَدَّثَني رَجلٌ أَنَّها أَنطَاكِيَةُ». وكذَا عزاه البَغويُّ في تَفسِيرِه (٥/ ١٩٢) لابنِ عبَّاسٍ. وفي صحيحِ مُسلم وَصَفَ أَهلَ القَريةِ بِكونِهم «لِئَامًا»؛ أي: بُخلاء. وعلى هذا القولِ يكونُ ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ في القِصَّةِ هو: المضيقَ الجامعَ بينَ البَحرَينِ؛ «المتوسط» و«الأسود». وقال السُّهيلي: هي: «بَرْقة» في المغرب. وعلى هذا القولِ يكونُ ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ في القِصَّةِ هو المضيقَ المعروفَ بِمَضيقِ جَبلِ طارقٍ، الجامعَ بينَ البَحرِ «المتوسط» والمحيطِ الأطلسِيِّ. قال الحافظُ في الفتح (٨/ ٤٢٠): «قِيلَ: هِيَ الْأُبُلَّةُ. وَقِيلَ: أَنْطَاكِيَةُ. وَقِيلَ: أَذْرَبِيجَانُ. وَقِيلَ: بُرْقَةُ. وَقِيلَ: نَاصِرَةُ. وَقِيلَ: جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ. وَهَذَا الِاخْتِلَافُ قَرِيبٌ مِنَ الِاخْتِلَافِ فِي الْمُرَادِ بِـ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾، وَشِدَّةُ الْمُبَايَنَةِ فِي ذَلِكَ تَقْتَضِي أَنْ لَا يُوثَقَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ». (٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ضيافةً). (١٠) لم نَقِفْ عليه مُسنَدًا. وعَزَاهُ النَّوويُّ في شرحِه على صحيحِ مسلم (١٥/ ١٤١) لِوَهبِ بنِ مُنبِّهٍ؛ قال: «قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: كَانَ طُولُ هَذَا الْجِدَارِ إِلَى السَّمَاءِ مِائَةَ ذِرَاعٍ». فهذَا لا دَليلَ صَحيحَ عليه، ولا فائدةَ مِنْ تحديدِه. (١١) فتخفيفُ التَّاءِ وكَسرُ الخَاءِ مِنْ غَيرِ أَلِفِ وَصْلٍ، وهي قِرَاءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو. وقرأ البَاقونَ بِتَشدِيدِ التَّاءِ وفَتحِ الخَاءِ، وأَظهرَ الذَّالَ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ ورُويس، وأدغَمَ البَاقونَ. (١٢) لم نقفْ عليه مُسنَدًا. وعَزَاهُ البَغويُّ في تَفسِيرِه (٥/ ١٩٤) لِكَعبِ الأحبَارِ؛ قال: «قَالَ كَعْبٌ: كَانَتْ لِعَشَرَةِ إِخْوَةٍ: خَمْسَةٍ زَمْنَى، وَخَمْسَةٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ». ومَعنَى: «زَمْنَى»: أي: مُصَابُونَ بِمَرَضٍ مُزمِنٍ، وهو مَرضٌ يَدومُ زمانًا طويلًا، لا يُرجَى بُرؤُه. (١٣) مسلمٌ (٢٣٨٠) مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ مَرفوعًا، ولفظ البُخَارِيِّ: «فكانَ كَافِرًا» (٣١٤٩). (١٤) بِالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وأبي عمرٍو. وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِإسكانِ البَاءِ وتَخفيفِ الدَّالِ؛ ﴿يُبۡدِلَهُمَا﴾. (١٥) ﴿رُحُمٗا﴾؛ بِضَمِّ الحَاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ. وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِسُكونِ الحَاءِ. (١٦) هذا الذي ذَكرَه المُفَسِّرُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَحتَاجُ إِلى دَليلٍ عليه، ولا دَليلَ. وقال القُرطبيُّ: «قال عُلماؤنا: وهذا بعيدٌ». (١٧) اختارَ المُصنِّفُ أَنَّ الخَضِرَ كان وَلِيًّا ولم يكنْ نَبِيًّا. وعلى القولِ الآخرِ يكونُ هذا وَحيًا لا إِلهَامًا. واللهُ أعلمُ. (١٨) وذلك على سبيلِ التأدُّبِ مع اللهِ، بنسبةِ ما ظاهرُه إفسادٌ مَحضٌ إلى نفسِه، وما هو نَفعٌ مَحضٌ إلى اللهِ تعالى.

(١٩) ليس هناكَ دليلٌ صحيحٌ على ما ذهبَ إليه المصنِّفُ، ثُمَّ الظاهرُ أنَّه يَعني الإسكَندَرَ المقدونيَّ، وقد كان من المُشرِكينَ وليسَ مِنَ المسلمينَ، فضلًا عن أن يكونَ مِن أولياءِ اللهِ الصَّالحينَ.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ
أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن
تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى
بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ
بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ
قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِتَسْهِيلِ السَّيرِ فِيها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يَحتَاجُ إِلَيه ﴿سَبَبًا﴾: طَرِيقًا يُوصِلُه إلى مُرادِه.

[٨٥] ﴿[فَاتَّبَعَ][1] سَبَبًا﴾: سَلَكَ طَرِيقًا نحوَ المَغرِبِ.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾: مَوضِعَ غُرُوبِها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذَاتِ حَمْأَةٍ، وهي الطِّينُ الأَسوَدُ- وغُرُوبُها في العَينِ في رَأيِ العَينِ، وإلَّا فهي أعظَمُ مِنَ الدُّنيا[2]- ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي: العَينِ ﴿قَوْمًا﴾ كَافِرِينَ ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ بِإلهامٍ ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ القَومَ بالقَتلِ ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالأَسْرِ.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بِالشِّرْكِ ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾: نَقْتُلُه ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ - بِسُكُونِ الكَافِ، وضَمِّها[3]-: شَدِيدًا[4] في النَّارِ.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ [جَزَآءُ][5] ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجَنَّةُ- والإِضَافَةُ لِلبَيَانِ. وفي قِراءَةٍ: بِنَصْبِ ﴿جَزَآءً﴾ وتَنوِينِه. قَالَ الفَرَّاءُ: ونَصْبُه[6] على التَّفسِيرِ؛ أي: لِجِهَةِ النِّسبَةِ[7]- ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: نَأْمُرُه بِمَا يَسهُلُ عليه.

[٨٩] ﴿ثُمَّ [اتَّبَعَ] سَبَبًا﴾ نَحوَ المَشرِقِ.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾: مَوضِعَ طُلُوعِها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ - هُمُ الزَّنجُ- ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي: الشَّمسِ ﴿سِتْرًا﴾ مِنْ لِباسٍ ولَا سَقْفٍ؛ لِأَنَّ أرضَهم لا تَحمِلُ بِناءً، ولَهم سُرُوبٌ يَغِيبُونَ فيها عِندَ طُلوعِ الشَّمسِ، ويَظهَرُونَ عِندَ ارتفَاعِها[8].

[٩١] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأَمْرُ كَما قُلنَا ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: عِندَ ذِي القَرنَينِ، مِنَ الآلَاتِ والجُندِ وغَيرِهما ﴿خُبْرًا﴾: عِلْمًا.

[٩٢] ﴿ثُمَّ [اتَّبَعَ] سَبَبًا﴾.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بِفَتحِ السِّينِ وضَمِّها[9]، هنا وبَعدُ[10]. هما: جَبَلَانِ بِمُنقَطَعِ بِلَادِ التُّرْكِ[11]، سَدَّ الإِسكَندَرُ ما بينَهما، كما سَيَأتِي ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: أَمَامَهما ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: لا يَفهَمُونَه إلَّا بَعدَ بُطءٍ. وفي قِراءَةٍ: بِضَمِّ اليَاءِ وكَسرِ القَافِ[12].

[٩٤] ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ - بِالهَمْزِ وتَركِه[13]: هما اسمَانِ أعجَمِيَّانِ لِقَبِيلَتَينِ، فلم يَنصَرِفَا- ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِالنَّهبِ والبَغيِ، عِندَ خُروجِهم إلينا ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جُعْلًا مِنَ المَالِ- وفي قِراءَةٍ: ﴿خَرَاجًا﴾[14]- ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: حَاجِزًا، فلا يَصِلُونَ إلينا؟

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى﴾ - وفي قِراءَةٍ: بِنُونَينِ، مِنْ غَيرِ إدغَامٍ[15]- ﴿فِيهِ رَبِّى﴾ مِنَ المَالِ وغَيرِه ﴿خَيْرٌ﴾ مِنْ خَرجِكُم الذي تَجعَلُونَه لي. فلَا حَاجَةَ بي إليه، وأَجعَلُ لَكُم السَّدَّ تَبَرُّعًا ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ لِمَا أَطلُبُه مِنكُم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: حَاجِزًا حَصِينًا.

[٩٦] ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: قِطَعَه، على قَدْرِ الحِجَارَةِ التي يُبنَى بها. فبَنَى بِها، وجَعَلَ بينَها الحَطَبَ والفَحْمَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ [الصُّدُفَيْنِ]﴾ - بِضَمِّ الحَرفَينِ، وفَتحِهما، وَضَمِّ الأَوَّلِ وسُكُونِ الثَّانِي[16]- أي: جَانِبَيِ الجَبَلَينِ بِالبِنَاءِ، ووَضَعَ المَنَافِخَ والنَّارَ حولَ ذلكَ ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ فَنَفَخُوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي: الحَدِيدَ ﴿نَارًا﴾ أي: كَالنَّارِ ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ هو النُّحَاسُ المُذَابُ. تَنازَعَ فيه الفِعْلَانِ، وحُذِفَ مِنَ الأَوَّلِ[17]؛ لِإِعمَالِ الثَّانِي. فأَفرَغَ النُّحَاسَ المُذَابَ على الحَدِيدِ المُحمَى، فدَخَلَ بين زُبَرِه، فصَارَا شَيئًا وَاحِدًا.

[٩٧] ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟﴾ أي: يَأجُوجُ ومَأجُوجُ ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾: يَعلُوا ظَهرَه؛ لِارتِفَاعِه ومَلَاسَتِه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾: خَرْقًا؛ لِصَلَابَتِه وسُمْكِه.

---

(١) ﴿فَاتَّبَعَ﴾ في هذا المَوضِعِ، وما يَلِيه ﴿اتَّبَعَ﴾ [٨٩-٩٢]؛ بِهَمزَةِ وَصْلٍ وتَشدِيدِ التَّاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو ونافعٍ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَأَتْبَعَ﴾ في هذا المَوضِعِ، وما يَلِيه ﴿أَتْبَعَ﴾ [٨٩-٩٢]؛ بِهَمزَةٍ مَفتوحَةٍ وسُكُونِ التَّاءِ.

(٢) لَعلَّه يَقصِدُ أعظم مِنَ الأرضِ، أو أرضِ الدُّنيا.

(٣) ﴿نُّكُرًا﴾؛ بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ ذَكوان وشُعبَةَ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿نُّكْرًا﴾؛ بِسُكونِ الكَافِ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: شَدِيدًا).

(٥) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ، وقرأ البَاقونَ بِنَصْبِ ﴿جَزَآءً﴾ والتنوينِ.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (نَصْبُه)، بِدونِ الوَاوِ.

(٧) أي: نِسبة الخَبَرِ المُقدَّمِ إلى المُبتَدَإِ المُؤخَّرِ، وتَقدِيرُه: «فله الحُسنى يُجزى بها جزاءً».

(٨) رَواهُ عبدُ الرَّزَّاقِ (١٧١٧) عَنْ قَتَادَةَ، قالَ: «بَلَغَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مَكَانٍ لَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ بُنْيَانٌ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ فِي أَسْرَابٍ لَهُمْ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَزُولَ عَنْهُمْ، ثُمَّ يَخْرُجُوا إِلَى مَعَاشِهِمْ».
قالَ القَاضِي كنعان في قرة العينين (ص٣٩٣) هامش (١): «قوله: «لهم سُرُوبٌ» يُناقِض نفيَ السِّترِ في الآيَة... فيكون المعنَى الصَّحِيحُ: قومٌ لا يَتَّخِذُون شَيئًا يَستُرُهم مِنَ الشَّمسِ».

(٩) ﴿ٱلسُّدَّيْنِ﴾؛ بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ، عدا ابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو وحفصٍ؛ فقرأوا: ﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾؛ بِالفَتحِ.

(١٠) أي: في هذه الآيَةِ، وفي قولِه الآتي: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٤]، فقرأ فيه ﴿سُدًّا﴾؛ بِالضَّمِّ: نافعٌ وابنُ عامرٍ وشُعبَةُ.

(١١) هذا الذي قَطعَ به المُصنِّفُ، مِنْ أَنَّ السَّدَّ في بِلادِ التُّركِ لا دليلَ عليه.

(١٢) ﴿يُفْقِهُونَ﴾؛ بِضَمِّ اليَاءِ وكَسرِ القَافِ: لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ.

(١٣) ﴿يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾؛ بِتَركِ الهَمزَةِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا عاصمٍ.

(١٤) ﴿خَرَاجًا﴾؛ بِفَتحِ الرَّاءِ وأَلِفٍ بعدَها: لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ.

(١٥) ﴿مَكَّنَنِى﴾ لابنِ كثيرٍ.

(١٦) ﴿ٱلصُّدُفَيْنِ﴾ بِضَمِّ الصَّادِ والدَّالِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وبِضَمٍّ فسُكونٍ؛ ﴿ٱلصُّدْفَيْنِ﴾: قِرَاءَةُ شُعبة. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾؛ بِفَتحِ الصَّادِ والدَّالِ.

(١٧) أي: هو وضَمِيرُه، والأَصلُ: آتوني قِطرًا أُفرِغْ عليه قِطرًا.

ربع الحزب ٣١

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا
﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ
أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا
﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ
بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا
لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ
ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ
أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذُو القَرنَينِ: ﴿هَٰذَا﴾ أي: السَّدُّ؛ أي: الإِقْدارُ عليه ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾: نِعمَةٌ(١)؛ لِأَنَّه مَانِعٌ مِنْ خُرُوجِهم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بِخُرُوجِهِمُ القَرِيبِ مِنَ البَعْثِ ﴿جَعَلَهُۥ [دَكًّا](٢)﴾: مَدكُوكًا مَبسُوطًا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بِخُرُوجِهم وغَيرِه ﴿حَقًّا﴾: كَائِنًا.

[٩٩] قالَ تَعَالَى: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يَومَ خُرُوجِهم ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يَختَلِطُ به لِكَثرَتِهم ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: القَرْنِ لِلبَعْثِ ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي: الخَلَائِقَ في مَكَانٍ وَاحِدٍ، يَومَ القِيَامَةِ ﴿جَمْعًا﴾. [١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا﴾: قَرَّبنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾.

[١٠١] ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾: بَدَلٌ مِنَ «الكَافِرِينَ» ﴿فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾ أي: القُرآنِ- فهم عُمْيٌ لا يَهتَدُونَ به- ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يَقْدِرُونَ أَنْ يَسمَعُوا مِنَ النَّبِيِّ ما يَتلُو عليهم، بُغْضًا له، فَلا يُؤْمِنُونَ به.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي﴾ أي: مَلَائِكَتِي وعِيسَى وعُزَيرًا ﴿مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ﴾: أَربَابًا؟ مَفعُولٌ ثَانٍ لِـ﴿يَتَّخِذُوا۟﴾، والمَفعُولُ الثَّاني لِـ«حَسِبَ» مَحذُوفٌ. المَعنَى: أَظَنُّوا أَنَّ الاتِّخَاذَ المَذكُورَ لَا يُغضِبُنِي ولا أُعَاقِبُهم عليه؟ كَلَّا ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ هَؤُلَاءِ وغَيرِهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي مُعَدَّةٌ لهم؛ كَالمَنزِلِ المُعَدِّ لِلضَّيفِ.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾؟: تَمييزٌ طَابَقَ المُمَيَّزَ(٣). وبَيَّنَهُم بِقَولِه:

[١٠٤] ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بَطَلَ عَمَلُهم ﴿وَهُمْ [يَحْسِبُونَ](٤)﴾: يَظُنُّونَ ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: عَمَلًا، يُجَازَونَ عليه.

[١٠٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: بِدَلَائِلِ تَوحِيدِه مِنَ القُرآنِ وغَيرِه ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ أي: وبِالبَعْثِ والحِسَابِ والثَّوَابِ والعِقَابِ ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: بَطَلَتْ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي: لَا نَجعَلُ لهم قَدْرًا.

[١٠٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأَمْرُ الذي ذَكَرتُ عَنْ حُبُوطِ أَعمَالِهم وغَيرِه. وابتَدَأَ(٥): ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي [هُزُؤًا](٦)﴾؛ أي: مَهْزُوءًا بهما.

[١٠٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في عِلْمِ الله ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ هو وَسَطُ الجَنَّةِ وأَعلَاهَا- والإِضَافَةُ إِليه لِلبَيَانِ- ﴿نُزُلًا﴾: مَنزِلًا. [١٠٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾: يَطلُبُونَ ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾: تَحَوُّلًا إلى غَيرِها.

[١٠٩] ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ أي: مَاؤُه ﴿مِدَادًا﴾ هو مَا يُكتَبُ به ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الدَّالَّةِ على حِكَمِه وعَجَائِبِه(٧)؛ بِأَنْ تُكتَبَ به ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ في كِتَابَتِها ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ(٨)-: تَفرُغَ ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي: البَحرِ ﴿مَدَدًا﴾ زِيَادَةً فيه، لَنَفِدَ(٩)، ولَم تَفرُغْ هي. ونَصبُه على التَّمييزِ[*].

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾: آدَمِيٌّ ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ «أَنَّ» المَكفُوفَةُ بِـ«ما» بَاقِيَةٌ على مَصدَرِيَّتِها. والمَعنَى: يُوحَى إِلَيَّ وَحدَانِيَّةُ الإِلَهِ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟﴾: يَأمُلُ ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ بِالبَعْثِ والجَزَاءِ(١٠) ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: فِيها؛ بِأَنْ يُرَائِيَ ﴿أَحَدًۢا﴾.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٠٩): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَتْ قُرَيشٌ لِيَهُودَ: أَعطُونَا شَيئًا نَسأَلُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَنزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآيَةَ. قَالُوا: أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا؛ أُوتِينَا التَّورَاةَ، وَمَنْ أُوتِيَ التَّورَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا، فَأُنزِلَتْ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. الترمذيُّ - كتابُ تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورةُ الإسراء. (صَحِيحٌ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥١٠).

---

(١) النِّعمةُ أَثرٌ مِن آثارِ رحمةِ الله عَزَّوَجَلَّ، وتفسيرُها بها مِن قَصرِ العَامِ على بَعضِ أفرادِه، فَضلًا عَن كَونِه مِن أبوابِ التأويلِ ونَفيِ صِفَةِ الرَّحمةِ عن الله عَزَّوَجَلَّ كما هي طريقةُ المُصنِّفِ -غفرَ الله لنا وله-.

(٢) قرأَ الكُوفيُّونَ؛ حَمزةُ وعَاصمٌ والكسائيُّ بِالهَمزةِ دُونَ تَنوينٍ مَعَ أَلِفٍ قَبلَها؛ ﴿دَكَّآءَ﴾، وقرأَ بقيةُ السَّبعةِ بِتنوينِ الكَافِ دُونَ هَمزٍ.

(٣) أي: في الجَمعِ؛ فَـ«أعمالًا» تَمييزٌ جاءَ جمعًا مُطابِقًا لِلمُمَيَّزِ وهو «الأَخسَرِينَ».

(٤) قرأَ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمزةُ بِفَتحِ السِّينِ؛ ﴿يَحْسَبُونَ﴾. وقرأَ البَاقونَ بِكَسرِها.

(٥) قالَ قَبَاوَةُ في توجيهِ ذلك: «يَعني أَنَّ ما سَيَلِي لَيسَ مُتَّصِلًا باسمِ الإشارةِ قَبلَه». وفي بَعضِ النُّسَخِ: (مُبتدأٌ، خَبرُه).

(٦) قرأَ حَفصٌ بِإبدالِ الهَمزةِ وَاوًا، مَعَ ضَمِّ الزَّاي؛ ﴿هُزُوًا﴾، وبقيَّةُ السَّبعةِ بِضَمِّ الهَمزةِ؛ ﴿هُزُؤًا﴾، وسَكَّنَ حَمزةُ الزَّايَ، والبَاقونَ بِضَمِّها، ويَقِفُ حَمزةُ بِنَقلٍ وإِبدالٍ واوًا، مع سُكونِ الزَّاي.

(٧) وهذا مِن قَصرِ العَامِ على بَعضِ أفرادِه، وكَلِماتُ الله عَزَّوَجَلَّ تَشمَلُ كَلامَه -سُبحَانَهُ- وحِكَمَه وآيَاتِه الدَّالَّةَ عليه. وإِنَّما سَلَكَ المُصنِّفُ -غفرَ اللهُ لنا وله- هذا المسلكَ؛ لِأَنَّه يَقولُ بِالكَلامِ النَّفسِيِّ، ولا يُثبِتُ الكلامَ لله عَزَّوَجَلَّ بِصَوتٍ وحَرفٍ- كَما دلَّ على ذلك نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ- على الوَجهِ اللائِقِ بِه، وكما هي طريقةُ السَّلفِ.

(٨) بالياءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ.

(٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: زيادة (إذًا).

(١٠) وهو لِقاءٌ حَقيقيٌّ كيفَما يَشاؤه رَبُّنا سُبحانَه وتعالى.

سورة مريم — ترتيبها ١٩ — آياتها ٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ② إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي
وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا
④ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي
عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ
ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
⑦ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ⑧ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ
رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ⑨ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ⑩ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ
ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ⑪

سُورَةُ مَرْيَمَ

مَكِّيَّةٌ، أو: إِلَّا سَجْدَتَها فمَدَنِيَّةٌ، أو إِلَّا: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ الآيَتَيْنِ فمَدِنِيَّتَانِ،
وهي ثَمان أو تِسعٌ وتِسعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ.

[٢] هَذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾: مَفعُولُ ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿[زَكَرِيَّاءَ](١)﴾: بَيانٌ له.

[٣] ﴿إِذْ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ مُشْتَمِلًا على دُعاءٍ، ﴿خَفِيًّا﴾: سِرًّا جَوفَ اللَّيلِ؛ لِأنَّه أسرَعُ لِلإجَابَةِ.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضَعُفَ ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ جَمِيعُهُ ﴿مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ مِنِّي ﴿شَيْبًا﴾: تَمييزٌ مُحَوَّلٌ عَنِ الفَاعِلِ(٢)؛ أي: انتَشَرَ الشَّيبُ في [شَعرِي](٣)؛ كَما يَنتَشِرُ شُعَاعُ النَّارِ في الحَطَبِ، وإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَكَ ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي: بِدُعَائِي إِيَّاكَ ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: خَائِبًا فِيمَا مَضَى؛ فَلا تُخَيِّبْنِي فِيمَا يَأتِي.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ أي: الذينَ يَلُونِي في النَّسَبِ؛ كَبَنِي العَمِّ ﴿مِن وَرَآءِي﴾ أي: بعدِ مَوتِي، على الدِّينِ أَنْ يُضَيِّعُوهُ، كَما شَاهَدتُه في بَنِي إِسرَائِيلَ، مِنْ تَبدِيلِ الدِّينِ ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: لَا تَلِدُ ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: مِنْ عِندِكَ ﴿وَلِيًّا﴾: ابنًا.

[٦] ﴿[يَرِثُنِي]﴾ - بالجَزمِ: جَوابُ الأمْرِ، وبِالرَّفعِ: صِفَةُ ﴿وَلِيًّا﴾- ﴿[وَيَرِثُ]﴾ - بِالوَجهَينِ(٤) - ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جَدِّي، العِلمَ والنُّبُوَّةَ ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مَرضِيًّا عِندَكَ.

[٧] قَالَ -تَعالَى- في إِجَابَةِ طَلَبِهِ الابنَ الحَاصِلَ به رَحمَتُه: ﴿[يَٰزَكَرِيَّآءُ](٥) إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ يَرِثُ كَما سَأَلتَ ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مُسَمًّى بِيَحيَى(٦).

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كَيفَ ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ [عُتِيًّا]﴾(٧)؟ مِنْ «عَتَا»: يَبِسَ؛ أي: نِهَايَةَ السِّنِّ؛ مِائَةً وعِشرِينَ سَنَةً، وبَلَغَتِ امرَأَتُه [ثَمانِيًا](٨) وتِسعِينَ سَنَةً. وأَصلُ «عُتِيّ»: «عُتُوْوٌ»، كُسِرَتِ التَّاءُ تَخفِيفًا، وقُلِبَتِ الوَاوُ الأُولَى: يَاءً؛ لِمُنَاسَبَةِ الكَسرَةِ، والثَّانِيَةُ: يَاءً؛ لِتُدغَمَ فيها اليَاءُ.

[٩] ﴿قَالَ﴾: الأَمْرُ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِنْ خَلْقِ غُلَامٍ مِنكُما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بِأَنْ أَرُدَّ عَليكَ قُوَّةَ الجِمَاعِ، وَأَفتِقَ رَحِمَ امرَأَتِكَ لِلْعُلُوقِ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ قَبْلَ خَلقِكَ. ولِإظْهَارِ اللهِ هَذِه القُدرَةَ العَظِيمَةَ أَلهَمَهُ السُّؤَالَ؛ لِيُجَابَ بِما يَدُلُّ عليها.

[١٠] ولَمَّا تَاقَتْ نَفسُه إلى سُرعَةِ المُبَشَّرِ به ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: عَلَامَةً على حَمْلِ امرَأَتِي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عَلَيهِ ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تَمتَنِعَ مِنْ كَلَامِهِم؛ بِخِلَافِ ذِكْرِ الله [تعالى](٩) ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أي: بِأَيَّامِها؛ كما في «آلِ عِمرَانَ»: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾(١٠) ﴿سَوِيًّا﴾: حَالٌ مِنْ فَاعِلِ: ﴿تُكَلِّمَ﴾ أي: بِلا عِلَّةٍ.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: المَسجِدِ، وكَانُوا يَنتَظِرُونَ فَتحَهُ؛ لِيُصَلُّوا فيه بِأَمرِه، على العَادَةِ ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾: أَشَارَ ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾: صَلُّوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أَوائِلَ النَّهارِ وأَوَاخِرَه على العَادَةِ؛ فَعَلِمَ بِمَنْعِهِ مِنْ كَلَامِهِمْ حَمْلَهَا بِيَحيَى.

---

(١) قرأ حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿زَكَرِيَّا﴾؛ بِدُونِ هَمزَةٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿زَكَرِيَّاءَ﴾؛ بِهَمزَةٍ مَفتوحةٍ بِدُونِ تَنوِينٍ.

(٢) تقديرُه: اشتعل شيبُ رَاسي.

(٣) في الأَصْلِ: (شعره)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، وهو أنسبُ لِلسيَاقِ.

(٤) أي: بِالجَزمِ والرَّفعِ، ﴿يَرِثْنِي﴾؛ ﴿يَرِثْ﴾ بِالجَزم: للكسائيِّ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَرِثُنِي﴾، ﴿يَرِثُ﴾؛ بِرَفعِ الثَّاءِ.

(٥) قرأ حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾؛ بِدونِ هَمزَةٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَٰزَكَرِيَّاءُ﴾؛ بِهَمزَةٍ مَضمُومَةٍ بِدُونِ تنوينٍ.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يحيى) بِدُونِ البَاءِ.

(٧) ﴿عُتِيًّا﴾: بِضَمِّ العَينِ، وهي قِرَاءةٌ سبعيَّةٌ لأبي عَمرٍو وشعبةَ ونافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ، وقرأَ البَاقُونَ ﴿عِتِيًّا﴾ بِكَسرِ العَينِ.

(٨) في الأَصْلِ: (ثمانيًا)، وفي بعضِ النُّسَخِ: (ثمانيةً)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٩) كلمة: (تعالى) لَيستْ في الأَصْلِ، وأثبتنَاها مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١٠) آل عمران: ٤١.

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
الحزب ٣١ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ
مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥

[١٢] وبعدَ وِلَادِتِه بِسَنَتَينِ(١)، قال -تَعالَى- له: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: التَّورَاةَ ﴿بِقُوَّةٖ﴾: بِجِدٍّ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾: النُّبُوَّةَ(٢) ﴿صَبِيّٗا﴾ ابنَ ثَلَاثِ سِنِينَ(٣). [١٣] ﴿وَحَنَانٗا﴾: رَحمَةً لِلنَّاسِ ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: مِنْ عِندِنا ﴿وَزَكَوٰةٗ﴾: صَدَقَةً عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ - رُوِيَ أنّه لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً ولَمْ يَهُمَّ بها(٤)-. [١٤] ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أي: مُحسِنًا إليهما ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾: مُتكبِّرًا ﴿عَصِيّٗا﴾: عَاصِيًا لِرَبِّه. [١٥] ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ أي: في هَذِه الأيَّامِ المَخُوفَةِ، التي يَرَى فيها ما لَمْ يَرَهُ قَبْلَهَا؛ فهو آمِنٌ فيها. [١٦] ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿مَرۡيَمَ﴾ أي: خَبَرَها ﴿إِذِ﴾: حِينَ ﴿ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ أي: اعتَزَلَتْ في مَكَانٍ نَحوَ الشَّرْقِ مِنَ الدَّارِ. [١٧] ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ أرسَلَتْ سِترًا تَستَتِرُ به؛ لِتَفْلِيَ رَأسَها، أو ثِيَابَها، أَو تَغتَسِلَ مِنْ حَيضِها(٥) ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ جِبرِيلَ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعدَ لُبْسِها ثِيَابَها ﴿بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾: تَامَّ الخَلْقِ. [١٨] ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ فتنتَهِي عَنِّي بِتَعَوُّذِي. [١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ [لِيَهَبَ](٦) لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ بِالنُّبوَّةِ. [٢٠] ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ بِتزوُّجٍ ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾: زَانِيَةً؟ [٢١] ﴿قَالَ﴾: الأَمْرُ ﴿كَذَٰلِكِ﴾ مِنْ خَلقِ غُلَامٍ مِنكِ مِنْ غَيرِ أَبٍ ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ أي: بِأَنْ يَنفُخَ بِأَمْرِي جِبرِيلُ فيكِ فَتَحمِلِي به. ولِكَونِ ما ذُكِرَ في مَعنَى العِلَّةِ؛ عَطَفَ عليه: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ على قُدرَتِنا ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ﴾ لِمَنْ آمَنَ به ﴿وَكَانَ﴾ خَلْقُه ﴿أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ به في عِلْمِي؛ فنَفَخَ جِبرِيلُ في جَيبِ دِرْعِها؛ فأَحَسَّتْ بِالحَملِ في بَطنِها مُصَوَّرًا(٧). [٢٢] ﴿۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ﴾: تَنَحَّتْ ﴿بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾: بَعِيدًا مِنْ أَهلِها. [٢٣] ﴿فَأَجَآءَهَا﴾: جَاءَ بها ﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾: وَجَعُ الوِلَادَةِ ﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ لِتَعتَمِدَ عليه؛ فَوَلَدَتْ، والحَمْلُ والتَّصوِيرُ والوِلَادَةُ في سَاعَةٍ(٨) ﴿قَالَتۡ يَٰ﴾ لِلتَنبِيهِ ﴿لَيۡتَنِي [مُتُّ](٩) قَبۡلَ هَٰذَا﴾ الأَمْرِ ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾: شَيئًا مَتْرُوكًا لا يُعرَفُ ولا يُذكَرُ. [٢٤] ﴿فَنَادَىٰهَا [مَن تَحۡتَهَآ](١٠)﴾ أي: جِبرِيلُ(١١)، وكَانَ أَسْفَلَ مِنها ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾: نَهرَ مَاءٍ، كانَ انقَطَعَ(١٢). [٢٥] ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ كانَت يَابِسَةً- و«البَاء»: زَائِدَةٌ- ﴿[تَسَّاقَطۡ]﴾(١٣) - أَصْلُه بِتَاءَينِ؛ قُلِبَتِ الثَّانِيَةُ سِينًا، وأُدغِمَتْ في السِّينِ. وفي قِرَاءَةٍ تَرْكُها(١٤)- ﴿عَلَيۡكِ رُطَبٗا﴾: تَمييزٌ ﴿جَنِيّٗا﴾: صِفتُه.

---

(١) عَزَاهُ في الهِدايَةِ إلى بلوغ النهاية (٧/ ٤٥٠٢) لِقتادةَ؛ قالَ: «قالَ قَتادةُ: كَانَ ابنَ سَنَتَيۡنِ أَوۡ ثَلَاثٍ». وفي تفسير القرطبيِّ (١٦/ ٥٥)؛ قالَ: «قالَ مَعمَرٌ: كَانَ ابنَ سَنَتَيۡنِ أَوۡ ثَلَاثٍ».

(٢) وقيلَ: الحِكمةَ والفقهَ في الدِّينِ. ذكرَه ابنُ كثيرٍ في تَفسِيرِه ولَم يذكرْ غيرَه (٣/ ١١١)، وأَخرجَ ابنُ أَبِي شيبةَ وابنُ المنذرِ وابنُ أَبِي حَاتِمٍ -كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٥/ ٤٨٤)- عَنْ مُجاهِدٍ قالَ: الفَهمَ.

(٣) عزاه الوَاحديُّ في التفسيرِ الوسيطِ (٣/ ١٧٨)، والبغويُّ في تَفسِيرِه (٥/ ٢٢١) لابنِ عَبَّاسٍ؛ قالَ: «آتيناه النُّبُوَّةَ في صِباه، وهو ابنُ ثلاثِ سِنينَ». وقال مُقاتلٌ (٢/ ٦٢٢): «يَعني وأَعطَيْنا يَحيى العِلمَ والفَهمَ وهو ابنُ ثلاثِ سنينَ». ولَيسَ فيه ذِكرُ النُّبوَّةِ.

(٤) روى ابنُ جرير (٦٩٨١)، وابنُ أَبي حَاتمٍ (١٣٠٦٧) عن ابنِ العَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا». وأَخرجَ أَحمَدُ (٢٢٩٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِلَّا قَدْ أَخْطَأَ، أَوْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ، لَيْسَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا...». وضعَّفَ الأرناؤوطُ إِسنادَه في تعليقه على المُسنَدِ (٤/ ١٤٥). وحَسَّنَه الأَلبَانيُّ بِشواهدِه في الصحيحة (٢٩٨٤).

(٥) روى ابنُ جرير (١٥/ ٤٨٣) عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: «خَرَجَتْ مَرْيَمُ إِلَى جَانِبِ الْمِحْرَابِ لِحَيْضٍ أَصَابَهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: فـ﴿ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾: فِي شَرْقِيِّ الْمِحْرَابِ...». وأَخرجَه البيهقيُّ في الأَسماءِ والصفات (٢/ ٢١١)، وابنُ عساكر في تاريخ دِمشق (٧٠/ ٨٦). والحاكمُ في مُستَدرَكِه (٤١٥٦) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».
وَأخرجَ ابنُ عَسَاكِر (٤٧/ ٣٤٨) -بِسنَدٍ شَديدِ الضَّعفِ- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ ﴿ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ قَالَ: «كَانَتْ خَرَجَتْ مِنْ بَيتِ المقدسِ، مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ. ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَمَّا أَرَادَ أَن يَبْتَدِئَها بِالكَرَامَةِ، وَيُبَشِّرَها بِعِيسَى، وَكَانَت قد اغْتَسَلَتْ مِنَ المَحِيضِ...».

(٦) وهي قِرَاءةُ قالون بِخُلفٍ عنه، وورشٍ، وأَبي عَمرٍو، وقرأَ البَاقونَ: ﴿لِأَهَبَ﴾ وهو الوجهُ الثاني لِقَالُون.

(٧) هو أَثَرُ ابنِ عَبَّاسٍ المُتقدِّم، أخرجَه البيهقيُّ في الأَسماءِ والصفات (٢/ ٢١١)، والحاكمُ في مُستَدرَكِه (٤١٥٦)، وقالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٨) هذا قولُ ابنِ عَبَّاسٍ. ذكرَه عنه ابنُ كثيرٍ في تَفسِيرِه (٣/ ١١٤) واستغربَه، وقالَ: «فالمشهورُ الظاهرُ -واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ- أَنَّها حَمَلَت به كَما تَحمِلُ النِّساءُ بِأَولادِهِنَّ...» اهـ.

(٩) قرأَ نافعٌ وحفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿مِتُّ﴾؛ بِكَسرِ الميمِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مُتُّ﴾؛ بِضَمِّ الميمِ.

(١٠) ﴿مَن تَحۡتَهَآ﴾؛ بِفتحِ الميمِ والتَّاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾؛ بِكَسرِ الميمِ والتَّاءِ.

(١١) رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٣٠٩٣) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، و(١٣٠٩٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. وقِيلَ: المُنَادِي عِيسَى -كما رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٣٠٩٦) عَنْ مُجاهِدٍ-، وكان ذلكَ مُعجِزةً وآيَةً وتَسكِينًا لِقَلبِها. قال القرطبيُّ (١١/ ٩٤): وَالأَوَّلُ أَظْهَرُ -يَعني: أَنَّه جبريلُ عَلَيهِ السَّلَامُ-.

(١٢) أخرجَه الحاكمُ في مُستدرَكِه (٣٤١٣) عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ؛ قَالَ: «هُوَ الْجَدْوَلُ النَّهْرُ الصَّغِيرُ»، وقال الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ». ووَافَقَه الذَّهبِيُّ. وأَمَّا انقطاعُه فلم نقف عليه.

(١٣) قرأَ حمزةُ: ﴿تَسَاقَطۡ﴾؛ بِفتحِ التَّاءِ والقَافِ وتَخفيفِ السِّينِ. وقرأَ حفصٌ: ﴿تُسَاقِطۡ﴾؛ بِضَمِّ التَّاءِ وكَسرِ القافِ وتخفيفِ السِّينِ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَسَّاقَطۡ﴾ بِفتحِ التَّاءِ والقَافِ، وتَشدِيدِ السِّينِ.

(١٤) أي: تَركُ التَّاءِ المقلوبةِ سِينًا.

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ
بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى
ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ
ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

[٢٦] ﴿فَكُلِي﴾ مِنَ الرُّطَبِ ﴿وَٱشْرَبِي﴾ مِنَ السَّرِيِّ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالوَلَدِ؛ تَمييزٌ مُحوَّلٌ مِنَ الفَاعِلِ؛ أي: لِتَقَرَّ عينُكِ به؛ أي: تَسكُنْ؛ فلا تَطمَحْ إلى غيرِه ﴿فَإِمَّا﴾ - فيه إدغامُ نُونِ «إِنْ» الشَّرطيَّةِ في «مَا» الزَّائِدَةِ- ﴿تَرَيِنَّ﴾ حُذِفَتْ منه لَامُ الفِعْلِ وعَينُه، وأُلقِيَتْ حَرَكتُها على الرَّاءِ، وكُسِرَتْ يَاءُ الضَّمِيرِ لِالتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيسأَلْكِ عَنْ وَلَدِكِ ﴿فَقُولِىٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: إمسَاكًا عَنِ الكَلَامِ في شَأنِه وغيرِه، مَعَ الأَنَاسِيِّ؛ بِدَلِيلِ: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ أي: بَعدَ ذلكَ.

[٢٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾: حالٌ؛ فرَأوه ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾: عَظِيمًا؛ حَيثُ أتيتِ بِوَلَدٍ مِنْ غيرِ أبٍ.

[٢٨] ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾[*] - هُو[1] رَجُلٌ صَالِحٌ- أي: يا شَبِيهَته في العِفَّةِ ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زَانِيًا ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي: زَانِيَةً؛ فَمِنْ أينَ لكِ هَذا الوَلَدُ؟!

[٢٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لَهُم ﴿إِلَيْهِ﴾: أنْ كَلِّمُوه ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ أي: وُجِدَ ﴿فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾؟

[٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الإنجِيلَ ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾.

[٣١] ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي: نَفَّاعًا لِلنَّاسِ- إخبارٌ بِمَا كُتِبَ له- ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: أمَرَني بِهِما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

[٣٢] ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾: مَنصُوبٌ بِـ﴿جَعَلَنِي﴾ مُقَدَّرًا[2] ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا﴾: مُتَعَاظِمًا ﴿شَقِيًّا﴾: عَاصِيًا لِرَبِّه.

[٣٣] ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ مِنَ اللهِ ﴿عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ -يُقَالُ فيه مَا تَقدَّمَ في السَّيِّدِ يَحيى-.

[٣٤] قَالَ -تَعَالَى-: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ [قَوْلُ][3] ٱلْحَقِّ﴾ بِالرَّفعِ: خَبَرُ مُبتَدأٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: قَولُ ابنِ مَريَمَ، وبالنَّصْبِ: بِتَقدِيرِ: «قُلتُ»- والمعنَى: القَول الحَقّ ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: مِنَ المِريَةِ؛ أي: يَشكُّونَ. وهُمُ النَّصارَى، قالُوا: إنَّ عِيسَى ابنُ اللهِ. كَذَبُوا.

[٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾: تَنزِيهًا لَهُ عن ذلكَ! ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي: أَرَادَ أنْ يُحدِثَه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ - بِالرَّفعِ: بِتَقدِيرُ: «هو»، وبِالنَّصبِ: بِتَقدِيرِ: «أنْ»[4]- ومِنْ ذلك خَلْقُ عِيسَى مِنْ غيرِ أبٍ.

[٣٦] ﴿[وَأَنَّ] ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ - بِفَتحِ ﴿أَنَّ﴾ بِتَقدِيرِ: «اذْكُر»، وبِكَسرِها[5] بِتَقدِيرِ: «قُلْ»؛ بِدَلِيلِ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾[6]- ﴿هَٰذَا﴾ المَذكُورُ ﴿صِرَٰطٌ﴾: طَرِيقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: مُؤَدٍّ إلى الجَنَّةِ.

[٣٧] ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي: النَّصارَى في عِيسَى: أَهُوَ ابنُ الله أو إلَهٌ معه، أو ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؟! ﴿فَوَيْلٌ﴾: فَشِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِمَا ذُكِرَ وغَيرِه[7] ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حُضُورِ يَومِ القِيَامَةِ وأهوَالِه.

[٣٨] ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بهم! صِيغَتَا تَعَجُّبٍ؛ بِمَعنَى: ما أسمَعَهُم ومَا أبصَرَهُم! ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخِرَةِ! ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ - مِنْ إقَامَةِ الظَّاهِرِ مَقَامَ المُضمَرِ- ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي: في الدُّنيا ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بَيِّنٍ؛ به صُمُّوا عَنْ سَماعِ الحَقِّ، وعَمُوا عَنْ إبصَارِه. أي: اعجَبْ منهم يا مُخَاطَبُ[8] في سَمعِهِم وإبصَارِهِم في الآخِرَةِ، بَعدَ أنْ كَانُوا في الدُّنيا صُمًّا عُميًا.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ مُسلِمٌ عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ». مسلم - كتاب الآداب (٣٨) باب (١) النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهو).

(٢) أي: التقديرُ: جَعلَني برًّا.

(٣) ﴿قَوْلُ﴾؛ بالرَّفعِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا عاصم وابن عامرٍ. وقرأ عاصمٌ وابنُ عامرٍ: ﴿قَوْلَ﴾؛ بِالنَّصْبِ.

(٤) ﴿فيكونَ﴾ بِالنَّصْبِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَيَكُونُ﴾؛ بالرَّفعِ.

(٥) ﴿أَنَّ﴾؛ بِالفَتحِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿إِنَّ﴾؛ بِالكَسرِ.

(٦) المائدة: ١١٧.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أو غيره).

(٨) يلجأُ المُصنِّفُ -رحمه الله تعالى وعفا عنه- لذلكَ فِرارًا من إثباتِ صِفةِ «العَجَب» لله عزّ وجلّ؛ فيجعلها تَعَجُّبًا لِلسَّامِعِ أوِ المخَاطَب، وهذا تكرَّر منه في مواضعَ؛ فلزِم التنبيهُ هنا، وفيما سبقَ.
وصفةُ «العَجَب» مِن صِفاتِ الله تعالَى الثَّابتةِ له بِالكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلفِ، فيَجبُ إثباتُها له سبحانَه على الوَجهِ الحقيقيِّ اللائقِ به، مِن غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ
فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ
أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

[٣٩] ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: خوِّفْ - يا مُحمَّد- كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يومُ القِيامَةِ؛ يَتَحَسَّرُ فيه المُسِيءُ على تَرْكِ الإِحسَانِ في الدُّنيا ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لهم فيه بِالعَذَابِ ﴿وَهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[*] به.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾: تَأْكِيدٌ ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ مِنَ العُقَلَاءِ وغيرِهم؛ بِإِهلَاكِهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه لِلجزَاءِ.

[٤١] ﴿وَٱذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: خَبَرَه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾: مُبالِغًا في الصِّدقِ ﴿نَّبِيًّا﴾ ويُبدَلُ مِنْ «خَبَرِه»:

[٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزَرَ: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ - التَّاءُ عِوَضٌ عَنْ يَاءِ الإِضَافَةِ، ولا يُجمَعُ بَينَهما. وكانَ يَعبُدُ الأَصنَامَ- ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ﴾: لا يَكفِيك ﴿شَيْـًٔا﴾ مِنْ نَفعٍ أو ضُرٍّ؟

[٤٣] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا﴾: طَرِيقًا ﴿سَوِيًّا﴾: مُستَقِيمًا.

[٤٤] ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ بِطَاعَتِكَ إِيَّاهُ في عِبادَةِ الأَصنامِ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾: كَثِيرَ العِصيَانِ.

[٤٥] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إِنْ لَم تَتُبْ ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾: نَاصِرًا وقَرِينًا في النَّارِ.

[٤٦] ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ فتَعِيبَها؟ ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عَنِ التَّعَرُّضِ لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بِالحِجارَةِ، أو بِالكَلَامِ القَبِيحِ. فَاحْذَرْني ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾: دَهْرًا طَوِيلًا.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ مِنِّي؛ أي: لَا أُصِيبُكَ بِمَكرُوهٍ ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ مِنْ: «حَفِيَ»؛ أي: بَارًّا؛ فيُجِيب دُعَائِي. وقَدْ وَفَى بِوَعدِه، المَذكُورِ[1] في «الشُّعَرَاءِ»: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾[2] وهذا قبلَ أَنْ يَتَبيَّنَ له أَنَّه عَدُوٌّ الله؛ كما ذَكَرَهُ[3] في «بَرَاءَةٍ»[4].

[٤٨] ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾: تعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟﴾: أَعبُدُ ﴿رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى﴾: بِعبادَتِه ﴿شَقِيًّا﴾ كما شَقِيتُم بِعبادَةِ الأَصنَامِ.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بِأَنْ ذَهَبَ إِلى الأَرضِ المُقَدَّسَةِ ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ ابنَينِ يَأنَسُ بهما ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا﴾ مِنهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾: لِلثَّلاثَةِ ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ المَالَ والوَلَدَ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: رَفِيعًا؛ هو: الثَّناءُ الحَسَنُ في جَمِيعِ أَهْلِ الأَدْيانِ.

[٥١] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ [مُخْلِصًا]﴾ - بِكَسرِ اللَّامِ وفَتحِها[5]؛ مِنْ: أَخلَصَ في عِبادَتِه، وخَلَّصَه الله مِنَ الدَّنَسِ- ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبي سعيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ -أي: يَمُدُّونَ أعناقَهم- وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَعرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (١) ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، وأخرجَه مسلمٌ - كتاب الجنَّة وصِفَة نعيمِها (٥١) باب (١٣) النَّار يدخلها الجبَّارون.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بقَولِه المَذكُورِ) بزيادة: (قَوله).

(٢) الشعراء: ٨٦.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ذُكِرَ).

(٤) وهو قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

(٥) ﴿مُخْلِصًا﴾، بِالكَسرِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مُخْلَصًا﴾، بِفَتح اللامِ.

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ * فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾

سجدة — ثلاثة أرباع الحزب ٣١

[٥٢] ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ بِقَولِ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[1] ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: اسمِ جَبَلٍ ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ أي: الذي يَلِي يَمِينَ مُوسَى، حِينَ أقبَلَ مِنْ مَدْيَنَ ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾: مُناجِيًا؛ بِأَنْ أسمَعَه الله -تَعالَى- كَلامَه. [٥٣] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾: نِعْمَتِنا[2] ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾: بَدَلٌ أو عَطفُ بَيانٍ ﴿نَبِيّٗا﴾: حالٌ؛ هي المَقصُودَةُ بِالهِبَةِ، إِجَابَةً لِسُؤالِه أَنْ يُرسِلَ أخاهُ مَعَه، وكَانَ أَسَنَّ منه[3]. [٥٤] ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾: لَمْ يَعِدْ شَيئًا إلَّا وَفَى به. وانتَظَرَ مَنْ وَعَدَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ[4]، أَوْ حَوْلًا[5] حتَّى رَجَعَ إليه في مَكَانِه ﴿وَكَانَ رَسُولٗا﴾ إلى جُرْهُمَ[6] ﴿نَّبِيّٗا﴾. [٥٥] ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾ أَي: قَومَه[7] ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ أَصْلُه: «مَرْضُوْوٌ»؛ قُلبتِ الوَاوَانِ يَاءَينِ، والضَّمَّةُ كَسرَةً. [٥٦] ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ﴾ هو جَدُّ أَبِي نُوحٍ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾. [٥٧] ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: هو حَيٌّ فِي السَّماءِ الرَّابِعَةِ، أَوِ السَّادِسَةِ، أَوِ السَّابِعَةِ، أو في الجَنَّةِ أُدخِلَها بَعدَ أَنْ أُذِيقَ المَوتَ، وأُحْيِيَ، ولَمْ يُخرجْ منها[8]. [٥٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مُبتَدَأٌ ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾: صِفَةٌ له ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: بَيانٌ له[9]- وهو في مَعنَى الصِّفَةِ، ومَا بَعدَه إلى جُملَةِ الشَّرطِ صِفَةٌ لِـ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾- فقَولُه: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أي: إِدْرِيسُ ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ في السَّفِينَةِ؛ أي: إبراهيمُ ابنُ ابنِه سَامٍ ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: إسماعيلُ وإسحاقُ ويعقُوبُ ﴿وَ﴾ مِنْ ذُرِّيَّةِ ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ - وهو يَعقُوبُ- أي: مُوسَى وهَارُونُ وزَكَرِيَّاءُ ويَحيَى وعِيسَى ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ أي: مِنْ جُملَتِهم. وخَبَرُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا﴾: جَمعُ «سَاجِدٍ» و«بَاكٍ»؛ أي: فكُونُوا مِثلَهُم. وأَصْلُ «بُكِيّ»: «بُكُوْيٌ»؛ قُلِبَتِ الوَاوُ يَاءً، والضَّمَّةُ كَسرَةً. [٥٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِتَرْكِها؛ كَاليَهُودِ والنَّصارَى[10] ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ مِنَ المَعاصِي ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ - هُو وَادٍ فِي جهنَّم- أَي: يَقعُونَ فيه. [٦٠] ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾: يُنقَصُونَ ﴿شَيۡـٔٗا﴾ مِنْ ثَوابِهم. [٦١] ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾: إِقامَةٍ. بَدَلٌ مِنَ: ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾: حَالٌ؛ أي: غَائِبِينَ عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ أي: مَوعُودُه ﴿مَأۡتِيّٗا﴾ بِمَعنَى: آتِيًا، وأَصْلُه «مَأْتُوْيٌ»، أو مَوعُودُه هنا الجَنَّةُ يَأتِيه أَهلُه. [٦٢] ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ مِنَ الكَلامِ ﴿إِلَّا﴾: لَكِن يَسمَعُونَ ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ مِنَ المَلائِكَةِ عليهم، أَو مِنْ بَعضِهم على بَعضٍ ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ أي: على قَدْرِهما في الدُّنيا. وليسَ في الجَنَّةِ نَهارٌ وَلَا لَيلٌ، بَلْ ضَوءٌ ونُورٌ أبدًا. [٦٣] ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ﴾: نُعطِي وَنُنْزِلُ ﴿مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ بطَاعَتِه. [٦٤] وَنَزَلَ لَمَّا تَأَخَّرَ الوَحيُ أَيَّامًا، وقالَ النَّبِيُّ ﷺ لِجبرِيلَ: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟**»[11]: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا﴾ أي: أَمامَنا مِنْ أُمورِ الآخِرَةِ ﴿وَمَا خَلۡفَنَا﴾ مِنْ أُمورِ الدُّنيا ﴿وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ﴾ أي: ما يَكُونُ في هذا الوَقتِ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ أي: له عِلْمُ ذلك جَمِيعِه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ بِمَعنَى: نَاسِيًا؛ أي: تَارِكًا لكَ، بِتَأخِيرِ الوَحيِ عنكَ[*].

---

[*] **ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٦٤)**: أخرجَ البُخارِيُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ لِجبرِيلَ: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا**» فنزَلَت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا...﴾. البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة مريم (١٩) باب (٢).

---

(١) القَصص: ٣٠.

(٢) وهذا تأويلٌ لِصِفَةِ الرَّحمةِ بِبَعضِ لَوازِمِها. وسَبَقَ مرارًا بَيانُ مذهبِ السَّلَفِ في إِثباتِ هذه الصِّفَةِ وغيرِها، مِمَّا أثبتَه الله لنفسه، أو أثبتَه له رسولُه ﷺ، على الوَجهِ اللائِقِ به.

(٣) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٥/ ٥٦١)، وابنُ أبي حاتم (١٣١٤٦) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «كَانَ هَارُونُ أَكْبَرَ مِنْ مُوسَى».

(٤) نُقِلَ ذلك عَنْ مُقاتِلٍ؛ كما في تَفسِيرِه (٢/ ٦٣١)، وروى ابنُ جرير (١٥/ ٥٦١) عن سَهْلِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيهِ السَّلَامُ وَعَدَ رَجُلًا مَكَانًا أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَ وَنَسِيَ الرَّجُلُ، فَظَلَّ بِهِ إِسْمَاعِيلُ، وَبَاتَ حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: مَا بَرِحْتَ مِنْ هَاهُنَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: إِنِّي نَسِيتُ، قَالَ: لَمْ أَكُنْ لِأَبْرَحَ حَتَّى تَأْتِيَ، فَبِذَلِكَ كَانَ صَادِقًا.

(٥) ذكره الماورديُّ في النُّكَتِ والعُيون (٣/ ٣٧٦)؛ قالَ: «قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: حَولًا حتى أتاه. وقالَ يزيدُ الرَّقاشيُّ: انتظره اثنينِ وعِشرينَ يومًا. وقال مُقاتِلٌ: انتظره ثلاثةَ أيامٍ».

(٦) قال القرطبيُّ (١١/ ١١٦): «وَفِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ جُرْهُمَ وَوَلَدَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ».

(٧) كما في تفسيرِ مُقاتل (٢/ ٦٣١): «وفي قِراءَةِ ابن مسعود: «وكان يَأمرُ قومَه بِالصَّلاةِ». وقالَ السمعانيُّ (٣/ ٢٩٩): «وَقَالَ أَهلُ التَّفسِيرِ: إن مَعنَى قَولِه: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾ أي: أُمَّته، وَإِنَّ أُمَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ أَهلُوه».

(٨) لا يُوجَدُ دَليلٌ قَطعيٌّ على صِحَّةِ هذا التَّفسيرِ، والأقربُ أنَّ المُرادَ بِهذِه الرِّفعةِ ما أعطاهُ اللهُ إيَّاه مِن شَرفِ النُّبوَّةِ والثَّناءِ الحَسَنِ، فكانَ عاليَ الذِّكرِ، عاليَ المَنزلةِ، وأخرجَ مُسلِمٌ عَن أنسِ بنِ مالكٍ في حديثِ المِعراجِ بطولِه، وفيه: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلَامُ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾» مسلم (١٦٢).

(٩) في نُسخَةِ قَباوَة: (بيانٌ لهم).

(١٠) وقِيلَ: المُرادُ بِإضاعَتِها فِعلُها بَعدَ خُروجِ أوقاتِها. وقيلَ: المُرادُ: لم يأتوا بها على الوجهِ المشروعِ. والظَّاهِرُ أنَّ كُلَّ ذلك يَدخُلُ في إضاعَةِ الصَّلاةِ، ولا تَعارُضَ بينَ هذه الأقوالِ، كما لا وَجهَ ظاهِرٌ لحصرِ المُرادِ بالآيَةِ في اليَهودِ والنَّصارَى، بَل هي عامَّةٌ؛ ودليلُ ذلك ما أخرجَه أحمد (١١٣٤٠) وغيرُه عن أبي سَعيدٍ الخُدرِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً أَضاعُوا الصَّلاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا...». فتشملُ كُلَّ مَنْ لم يَقُمْ بحقوقِ الصَّلاة، وهذا نَصٌّ في أنَّ إضاعَةَ الصَّلاةِ مِنَ الكبائِرِ.

(١١) أخرجَ نحوه البُخاريُّ (٣٢١٨) عَن ابن عبَّاسٍ.

رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾
قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟
مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ
وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

[٦٥] هو ﴿رَبُّ﴾: مَالِكُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ أي: اصبِرْ عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: مُسمًّى بِذلكَ؟ لا.

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المُنْكِرُ لِلبَعْثِ؛ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ[١]، أَوِ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ[٢]، النَّازِلُ فيه الآيَةُ: ﴿أَءِذَا﴾ بِتَحقِيقِ الهَمزَةِ الثَّانِيَةِ وتَسهِيلِها، وإِدخَالِ أَلِفٍ بينَها بِوَجْهَيها وبينَ الأُخرَى[٣] ﴿مَا [مُتُّ][٤] لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ مِنَ القَبْرِ؛ كَما يَقُولُ مُحَمَّدٌ؟ فالاستِفهَامُ بِمَعنَى: النَّفْيِ؛ أي: لا أَحيَا بَعدَ المَوتِ. و«مَا»: زَائِدَةٌ لِلتَّأكِيدِ، وكَذَا «اللَّامُ». ورُدَّ عليه بِقَولِهِ -تَعَالَى-:

[٦٧] ﴿أَوَلَا [يَذَّكَّرُ][٥] ٱلْإِنسَٰنُ﴾ - أَصلُه: «يَتَذَكَّرُ»؛ أُبدِلَتِ التَّاءُ ذَالًا وأُدغِمَتْ في الذَّالِ. وفي قِراءَةٍ: تَرْكُهَا، وسُكُونُ الذَّالِ وضَمُّ الكَافِ- ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ فيَستَدِلَّ بِالابتِدَاءِ عَلى الإِعَادَةِ؟

[٦٨] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي: المُنكِرِينَ لِلبَعْثِ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: نَجمَعُ كُلًّا منهم وشَيطَانَه في سِلسِلَةٍ ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ مِنْ خَارِجِها ﴿[جُثِيًّا][٦]﴾ عَلى الرُّكَبِ، جَمعُ: «جَاثٍ»- وأَصْلُه: «جُثُوْوٌ» أو «جُثُوْيٌ» مِنْ: جَثَا يَجثُو، أو يَجثِي[٧]، لُغَتَانِ-.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: فِرقَةٍ منهم ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ [عُتِيًّا][٨]﴾: جَرَاءَةً.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾: أَحَقُّ بِجَهنَّمَ، الأَشَدُّ[٩] وغيرِه منهم ﴿[صُلِيًّا][١٠]﴾: دُخُولًا واحتِرَاقًا؛ فنَبدَأُ بِهِم- وأَصْلُه: «صُلُوْيٌ» مِنْ: «صَلِي» بِكَسرِ اللَّامِ وفَتحِها-.

[٧١] ﴿وَإِن﴾ أي: مَا ﴿مِّنكُمْ﴾ أَحَدٌ ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: دَاخِلُ جهنَّمَ ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾: حَتَمَهُ وقَضَى به، لا يَترُكُه.

[٧٢] ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ - مُشَدَّدًا ومُخَفَّفًا[١١]- ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الشِّرْكَ والكُفرَ منها ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بِالشِّرْكِ والكُفْرِ ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾[*] عَلى الرُّكَبِ.

[٧٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المُؤمِنِينَ والكَافِرِينَ ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: وَاضِحَاتٍ، حَالٌ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ نَحنُ وأَنتُم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: مَنزِلًا ومَسكَنًا. بِالفَتحِ: مِنْ: «قَامَ»، وبِالضَّمِّ: مِنْ: «أَقَامَ»[١٢] ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ بِمَعنَى: النَّادِي؟ وهو: مُجتَمَعُ القَومِ يَتَحَدَّثُونَ فيه. يَعنُونَ: نَحنُ؛ فنَكُونُ خَيرًا مِنكُم. [٧٤] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ﴾ أي: كَثِيرًا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أُمَّةٍ، مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾: مَالًا ومَتَاعًا ﴿وَرِءْيًا﴾: مَنظَرًا! مِنَ: «الرُّؤيَةِ». فكَما أَهلَكنَاهُم لِكُفرِهِم، نُهلِكُ هَؤلَاءِ. [٧٥] ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾: شَرْطٌ، جَوَابُه: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بِمَعنَى الخَبَرِ؛ أي: يَمُدُّ ﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ في الدُّنيا يَستَدرِجُه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ كَالقَتْلِ والأَسْرِ ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ المُشتَمِلَةَ عَلى جَهنَّمَ فيَدخُلُونَها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أَعوَانًا، أَهُم[١٣] أَمِ المُؤمِنُونَ، وجُندُهُم الشَّيَاطِينُ، وجُندُ المُؤمِنِينَ عَليهِمُ[١٤] المَلَائِكَةُ؟ [٧٦] ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ بِالإِيمَانِ ﴿هُدًى﴾ بِمَا يُنَزِّلُ عَليهِم مِنَ الآيَاتِ ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هِيَ الطَّاعَةُ[١٥] تَبقَى لِصَاحِبِها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: مَا يُرَدُّ إِليه ويُرجَعُ، بِخِلَافِ أَعمَالِ الكُفَّارِ. والخَيرِيَّةُ هُنا في مُقَابَلَةِ قَولِهِم: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾؟

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَن أُمِّ مُبَشِّرٍ، أَنَّها سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِندَ حَفصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ مِنَ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا». قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ. فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾». مسلمٌ - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة.

---

(١) ذكره مُقاتل (٢/ ٦٣٤)، وقال الواحديُّ في الأسباب (ص٣٠١): «قَالَ الكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ، حِينَ أَخَذَ عِظَامًا بَالِيَةً يَفُتُّهَا بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: زَعَمَ لَكُمْ مُحَمَّدٌ أَنَّا نُبْعَثُ بَعْدَمَا نَمُوتُ».

(٢) لم نَقِف عليه مُسنَدًا. وعزاهُ القرطبيُّ (١١/ ١٣١) لِلمهدويِّ المُفسِّرِ صاحبِ التفصيلِ الجامع لِعلوم التنزيلِ؛ قال: «وَقَالَ المَهْدَوِيُّ: نَزَلَتْ فِي الوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ وَأَصْحَابِهِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ».

(٣) وقرأ ابن ذكوان من طريق الصوري وغيره بالخبر: «إِذَا»، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) ﴿مُتُّ﴾؛ بِضَمِّ الميمِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿مِتُّ﴾؛ بِكَسرِها.

(٥) وهي قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو، وقرأ الباقُونَ: ﴿يَذْكُرُ﴾.

(٦) ﴿جُثِيًّا﴾؛ بِضَمِّ الجيمِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿جِثِيًّا﴾؛ بِكَسرِ الجِيمِ.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (ويَجثِي)؛ بِواوِ العَطفِ.

(٨) ﴿عُتِيًّا﴾؛ بِضَمِّ العَينِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿عِتِيًّا﴾؛ بِكَسرِ العَينِ.

(٩) أي: «الأَشَدِّ على الرَّحمنِ عِتِيًّا».

(١٠) ﴿صُلِيًّا﴾؛ بِضَمِّ الصَّادِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿صِلِيًّا﴾؛ بِكَسرِ الصَّادِ.

(١١) ﴿نُنْجِي﴾؛ بِتَخفِيفِ الجِيمِ وإِسكانِ النُّونِ: قِراءَةُ الكِسَائِيِّ. (١٢) ﴿مُقَامًا﴾؛ بِالضَّمِّ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ. (١٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (هُم).

(١٤) مُتَعَلِّقٌ بِـ«جُند»؛ لِتَضمِينِه مَعنَى المُعَاوِنِينَ، كما وَقَعَ لهم في بَدرٍ؛ مِنِ انخِذَالِ إِبلِيسَ وجُندِه عنهم، وقِتَالِ المَلائِكَةِ مَعَ المؤمِنِينَ.

(١٥) وجَاءَ في الحديثِ أَنَّها: «التَّكبِيرُ، والتَّهلِيلُ، والتَّسبِيحُ، والتَّحمِيدُ، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»، كما تَقَدَّمَ في تفسير سورة الكهف آية (٤٦).

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

[٧٧] ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [القَائِلُ هو][1]: [العَاصِ][2] بنُ وَائلٍ ﴿وَقَالَ﴾ لخَبَّابِ ابنِ الأَرَتِّ، القَائلِ له: «تُبْعَثُ بعدَ الموتِ»، والمُطَالِبِ له بِمَالٍ: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تَقْدِيرِ البَعْثِ ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ فأَقْضِيكَ[3]؟

[٧٨] قالَ تَعَالَى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: أَعَلِمَهُ، وأنَّه يُؤتَى ما قالَه- واستُغْنِيَ بِهَمزَةِ الاستِفهَامِ عَنْ هَمزَةِ الوَصلِ؛ فحُذِفَتْ- ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ بِأَنْ يُؤتَى مَا قالَه؟!

[٧٩] ﴿كَلَّا﴾ أي: لَا يُؤتَى ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾: نَأْمُرُ بِكَتْبِ[4] ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: نَزِيدُه بِذَلِكَ عَذَابًا فوقَ عَذَابِ كُفْرِه.

[٨٠] ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ مِنَ المَالِ والوَلَدِ ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يومَ القِيَامَةِ ﴿فَرْدًا﴾ لَا مَالَ له ولَا وَلَدَ[*].

[٨١] ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأَوثَانَ ﴿ءَالِهَةً﴾ يَعبُدُونَهم ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾: شُفَعَاءَ عِندَ اللهِ؛ بِأَنْ لَا يُعَذَّبُوا.

[٨٢] ﴿كَلَّا﴾ أي: لا مَانِعَ مِنْ عَذَابِهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أَيِ: الآلِهَةُ ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: يَنفُونَهَا؛ كَما في آيَةٍ أُخرَى: ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾[5] ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أَعْوَانًا [أو][6] أعداءً.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: سَلَّطْنَاهُمْ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾: تُهَيِّجُهُم إِلى المَعَاصِي ﴿أَزًّا﴾. [٨٤] ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بِطَلَبِ العَذَابِ ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأَيَّامَ واللَّيَالِيَ، أوِ الأَنفَاسَ ﴿عَدًّا﴾ إِلى وَقتِ عَذَابِهم.

[٨٥] اذكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بِإِيمَانِهم ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾: جَمعُ وَافِدٍ؛ بِمَعنَى: رَاكِبٍ.

[٨٦] ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بِكُفْرِهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: جَمعُ وَارِدٍ؛ بِمَعنَى: مَاشٍ عَطشَانَ.

[٨٧] ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ أيِ: النَّاسُ ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ أي: شَهَادَةَ أَنْ لَا إله إِلَّا اللهُ، ولَا حولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ[7].

[٨٨] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: اليَهُودُ والنَّصَارَى، ومَنْ زَعَمَ أَنَّ المَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾.

[٨٩] قالَ -تَعَالَى- لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ أي: مُنكَرًا عَظِيمًا.

[٩٠] ﴿تَكَادُ﴾ - بِالتَّاءِ واليَاءِ[8]- ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ [يَنفَطِرْنَ]﴾ - بِالنُّونِ. وفي قِرَاءَةٍ: بِالتَّاءِ وتَشدِيدِ الطَّاءِ[9]- بِالانشِقَاقِ ﴿مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: تَنطَبِقُ عليهم؛ مِنْ أَجْلِ: [٩١] ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾.

[٩٢] قالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: مَا يَلِيقُ به ذلِكَ.

[٩٣] ﴿إِن﴾ أي: مَا ﴿كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾: ذَلِيلًا خَاضِعًا يومَ القِيَامَةِ؛ منهم: عُزَيرٌ وعِيسَى.

[٩٤] ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فَلَا يَخفَى عليه مَبلَغُ جَمِيعِهم، ولَا وَاحِدٌ مِنهم.

[٩٥] ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾: بِلا مَالٍ ولَا نَصِيرٍ يَمنَعُه.

---

[*] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (٧٧-٨٠)**: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ خَبَّابٍ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ لِي: لَا أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: قُلْتُ: «لَنْ أَكْفُرَ بِهِ حَتَّى تَمُوتَ، ثُمَّ تُبْعَثَ»، قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ؟ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة مريم (١٩) باب (٦).

---

(١) عبارةُ: (القائلُ هو) لَيسَتْ في الأَصْلِ، والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٢) في الأَصْلِ: (العَاصي)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (فأَقضِيَنَّكَ). والحَديثُ أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٠٩١)، وانظر مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَاتِ.

(٤) الله يكتبُ بيدِه ما يشاءُ، على ما يليقُ بجلالِه وكمالِه. وفي الصَّحِيحَينِ؛ البُخَارِيُّ (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ مرفوعًا: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟» الحديث. وهو عند ابن ماجه (٨٠) بلفظ: «وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ». وصَحَّحَه الأَلبَانيُّ في صحيح ابنِ ماجَه (٨٠).

(٥) القصص: ٦٣.

(٦) في الأَصْلِ: (و)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٧) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٥/ ٦٣٣)، والبيهقيُّ في الأسماءِ والصفات (ص٢٠٦)، والطبرانيُّ في الدُّعاءِ (١٥٧٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ قَالَ: «العَهْدُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَتَبَرَّأُ إِلَى اللهِ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ وَلَا يَرْجُو إِلَّا اللهَ».

(٨) ﴿يَكَادُ﴾؛ بالياءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ والكِسَائيِّ.

(٩) ﴿يَنفَطِرْنَ﴾؛ بالنُّونِ وكسرِ الطَّاءِ مُخفَّفَةً: لأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وحَمزَةَ وشُعبَةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾؛ بالياءِ وتَشدِيدِ الطَّاءِ المفتُوحَةِ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه
ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ
أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

الحزب ٣٢

[٩٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[*] فِيما بينَهم، يَتَوادُّون ويَتَحابُّونَ، ويُحِبُّهم اللهُ -تعالَى-.

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العَرَبِيِّ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الفائِزِين بالإِيمانِ[1] ﴿وَتُنذِرَ﴾: تُخَوِّفَ ﴿بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾: جَمعُ أَلَدَّ؛ أي: جَدِلٍ بِالباطِلِ؛ وهُم كُفَّارُ مَكَّةَ.

[٩٨] ﴿وَكَمۡ﴾ أي: كَثِيرًا ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ أي: أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ الماضِيَةِ؛ بِتكذيبِهِمُ الرُّسُلَ! ﴿هَلۡ تُحِسُّ﴾: تَجِدُ ﴿مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾: صَوتًا خَفِيًّا؟ لا. فَكَما أَهلَكنا أُولئِكَ، نُهلِكُ هؤُلاءِ.

سُورَةُ طه

مَكِّيَّةٌ مِائَةٌ وخَمسٌ وثَلاثُونَ آيَةً[2]، أو: وأَربَعُونَ: أو: [وثِنتانِ][3] آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿طه﴾ اللهُ أَعلَمُ بِمُرادِه بِذلِكَ.

[٢] ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ - يا مُحَمَّد- ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾: لِتَتعَبَ بِما فَعَلتَ بَعدَ نُزُولِه، مِن طُولِ قِيامِكَ بِصَلاةِ اللَّيلِ؛ أي: خَفِّفْ عَنْ نَفسِكَ.

[٣] ﴿إِلَّا﴾: لكِنْ أَنزَلناهُ ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ به ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾: يَخافُ اللهَ.

[٤] ﴿تَنزِيلٗا﴾: بَدَلٌ مِنَ اللَّفظِ بِفِعلِه النَّاصِبِ له[4] ﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾: جَمعُ: «عُليا»؛ كـ«كُبرَى» و«كُبَر».

[٥] هُو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ وهو في اللُّغَةِ: سَرِيرُ المُلكِ ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ استِواءً يَلِيقُ به[5].

[٦] ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ مِنَ المَخلُوقاتِ ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ هُو التُّرابُ النَّدِيُّ- والمُرادُ: الأَرَضُونَ السَّبعُ؛ لِأَنَّها تَحتَه-.

[٧] ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ في ذِكرٍ أو دُعاءٍ، فاللهُ غَنِيٌّ عَنِ الجَهرِ به ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ منه؛ أي: ما حَدَّثَتْ به النَّفسَ، وما خَطَر ولَم تُحَدِّثْ به- فلا تُجهِدْ نَفسَكَ بِالجَهرِ-.

[٨] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ التِّسعةُ والتِّسعُونَ الوارِدُ بها الحَدِيثُ[6]؛ والحُسنَى: مُؤَنَّثُ الأَحسَن. [٩] ﴿وَهَلۡ﴾: قَدْ[7] ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾.

[١٠] ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ﴾: لِامرَأَتِه: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ هنا. وذلكَ في مَسِيرِه مِنْ مَدْيَنَ طالِبًا مِصرَ ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾: أَبصَرتُ ﴿نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾: شُعلَةٍ في رَأسِ فَتِيلَةٍ أو عُودٍ ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ أي: هادِيًا يَدُلُّني عَلى الطَّرِيقِ، وكانَ أَخطَأَها لِظُلمَةِ اللَّيلِ[8]. وقالَ: «لَعَلَّ»؛ لِعَدَمِ الجَزمِ بِوَفاءِ الوَعْدِ.

[١١] ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ وهي شَجَرَةُ عَوسَجٍ[9] ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾.

[١٢] ﴿إِنِّيٓ﴾ - بِكَسرِ الهَمزَةِ؛ بِتأوِيلِ ﴿نُودِيَ﴾ بـ«قِيلَ»، وبِفَتحِها؛ بِتقدِيرِ الباءِ[10]- ﴿أَنَا۠﴾: تَأكِيدٌ لِياءِ المُتَكَلِّمِ ﴿رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: المُطَهَّرِ أوِ المُبارَكِ ﴿طُوٗى﴾: بَدَلٌ، أو عَطفُ بَيانٍ. بِالتَّنوِينِ وتَرْكِه[11]، مَصرُوفٌ بِاعتِبارِ المَكانِ، وغَيرُ مَصرُوفٍ لِلتَّأنِيثِ؛ بِاعتِبارِ البُقعَةِ مَعَ العَلَمِيَّةِ.

---

[*] فائِدَةٌ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذا أَحَبَّ اللهُ عَبدًا نادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، قالَ: فَيُنادِي فِي السَّماءِ، ثُمَّ تَنزِلُ لَهُ المَحَبَّةُ فِي أَهلِ الأَرضِ، فَذَلِكَ قَولُ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾...» الحديث. الترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٠) سُورة مَريم، وصَحَّحَه الأَلبانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٢٨).

---

(١) في نُسخَةِ قَباوَة: (النَّارَ، بالإِيمانِ).

(٢) كلمةُ: (آية) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَباوَة.

(٣) في الأَصلِ: (أو: اثنتان)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة.

(٤) وهو: (نزَّل).

(٥) سَبَقَ التعليقُ على هذا التفسيرِ، وأنَّه إذا كان المُرادُ بِالتفويضِ تفويضَ الكَيفِيَّةِ فهو حَقٌّ، وأَمَّا إِن كان يريدُ أَنَّ معنَى الاستواءِ مجهولٌ؛ فهو فِرارٌ مِن إثباتِ صِفَةِ العُلُوِّ والصُّعُودِ والارتِفاعِ والاستقرارِ على العَرشِ، التي هي مِن مَعانِي الاستواءِ عندَ السَّلَفِ.

(٦) سَبَقَ التعليقُ على هذا الحصرِ، وذكرنا أَنَّ الأَسماءَ الحُسنى لا يُحصِي عَدَدَها إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، في تفسيرِ الآيةِ (١١٠) من سورةِ الإِسراءِ.

(٧) وهو قولُ بعضِ أهلِ اللغةِ، واختارَه بعضُ المفسِّرينَ، واختارَ غيرُهم أَنَّها على بابِها من الاستفهامِ، وقد يُرادُ به التقريرُ.

(٨) قاله مُقاتِلٌ كما في تَفسِيرِه (٣/ ٢٢)، وروى الطَّبَرِيُّ (١٦/ ٢٢) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: «كَانُوا أَضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ، فَقَالَ: لَعَلِّي أَجِدُ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى الطَّرِيقِ، أَوْ آتِيكُمْ بِقَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ».

(٩) وهذا أحدُ الأقوالِ فيها، وقِيلَ غيرُ ذلك، ولا دَلِيلَ على الجميعِ، وذكرَ ابنُ كثيرٍ أَنَّ الضميرَ يَعودُ إلى النَّارِ.

(١٠) بِالفَتحِ: قِراءَةُ ابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(١١) بِتركِ التنوينِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ (١٣) إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ (١٤) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ (١٦) وَمَا تِلۡكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ (١٨) قَالَ أَلۡقِهَا
يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسۡعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذۡهَا
وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ (٢١) وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ
مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى (٢٣) ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ
رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي (٢٥) وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي (٢٦) وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن
لِّسَانِي (٢٧) يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي (٢٨) وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي (٢٩) هَٰرُونَ
أَخِي (٣٠) ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي (٣١) وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي (٣٢) كَيۡ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا (٣٣) وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ (٣٧)

[١٣] ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ مِنْ قَومِكَ ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ إليكَ مِنِّي.

[١٤] ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فيها.

[١٥] ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ عَنِ النَّاسِ، ويَظهَرُ لهم قُرْبُها بِعَلَامَاتِها ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ به، مِنْ خَيرٍ أو شَرٍّ.

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾: يَصرِفَنَّكَ ﴿عَنۡهَا﴾ أي: عَنِ الإيمانِ بها ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إنكَارِها ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ أي: تَهلِكَ(1)، إنْ صُدِدتَ عنها.

[١٧] ﴿وَمَا تِلۡكَ﴾ كَائِنَةً ﴿بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؟ الاستِفهَامُ لِلتَّقرِيرِ؛ لِيُرتِّبَ عليه المُعجِزَةَ فيها.

[١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ﴾: أعتَمِدُ ﴿عَلَيۡهَا﴾ عِندَ الوُثُوبِ والمَشْيِ ﴿وَأَهُشُّ﴾: أَخبِطُ وَرَقَ الشَّجَرِ ﴿بِهَا﴾ لِيَسقُطَ ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾ فتَأكُلَه ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾: جَمعُ «مَأرُبَة»؛ مُثَلَّثُ الرَّاءِ؛ أي: حَوَائِجُ ﴿أُخۡرَىٰ﴾ كَحَملِ الزَّادِ والسِّقَاءِ وطَرْدِ الهَوَامِّ. زَادَ في الجَوابِ بَيانَ حَاجَاتِه بها.

[١٩] ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾: ثُعبانٌ عَظِيمٌ ﴿تَسۡعَىٰ﴾: تَمشِي على بَطنِها سَرِيعًا؛ كَسُرعَةِ الثُّعبَانِ الصَّغِيرِ المُسَمَّى بِالجانِّ؛ المُعبَّرِ به فيها في آيَةٍ أُخرَى(2).

[٢١] ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾: مَنصُوبٌ بِنَزعِ الخَافِضِ؛ أي: إلى حالَتِها ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ فَأَدخَلَ يَدَه في فَمِها؛ فَعَادَتْ عَصًا(3)؛ فتَبَيَّنَ أنَّ مَوضِعَ الإدخَالِ مَوضِعُ مَسكِهَا بَينَ شُعبَتَيها. وأُرِيَ ذلكَ السَّيِّدُ مُوسَى؛ لِئَلَّا يَجزَعَ إذا انقَلَبَتْ حَيَّةً لَدَى فِرعَونَ.

[٢٢] ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ﴾ اليُمنَى؛ بِمَعنَى: الكَفِّ ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي: جَنبِكَ الأيسَرِ تَحتَ العَضُدِ إلى الإبطِ، وَأَخرِجْهَا ﴿تَخۡرُجۡ﴾ خِلافَ ما كَانَت عليه مِنَ الأُدمَةِ ﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ أي: بَرَصٍ، تُضِيءُ كَشُعَاعِ الشَّمسِ تَغشَى(4) البَصَرَ ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ - وهي [و«بَيضَاءَ»](5): حَالَانِ مِنْ ضَمِيرِ ﴿تَخۡرُجۡ﴾ -.

[٢٣] ﴿لِنُرِيَكَ﴾ بها، إذَا فَعلَتَ ذلكَ؛ لِإظهَارِهَا ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ الآيَةَ ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾ أي: العُظمَى على رِسَالَتِكَ. وإذَا أَرَادَ عَودَها إلى حَالَتِها الأُولَى ضَمَّها إلى جَنَاحِه - كَما تَقدَّمَ - وأخرَجَها. [٢٤] ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ رَسُولًا ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ ومَنْ مَعَه ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: جَاوَزَ الحَدَّ، في كُفرِه، إلى ادِّعَاءِ الإلَهِيَّةِ.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾: وَسِّعهُ لِتَحَمُّلِ الرِّسَالَةِ. [٢٦] ﴿وَيَسِّرۡ﴾: سَهِّلْ ﴿لِيٓ أَمۡرِي﴾ لِأُبَلِّغَها.

[٢٧] ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ حَدَثَتْ مِنِ احتِرَاقِه بِجَمرَةٍ وَضَعَها بِفِيهِ، وهُو صَغِيرٌ(6). [٢٨] ﴿يَفۡقَهُواْ﴾: يَفهَمُوا ﴿قَوۡلِي﴾ عِندَ تَبلِيغِ الرِّسَالَةِ.

[٢٩] ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا﴾: مُعِينًا عليها ﴿مِّنۡ أَهۡلِي﴾. [٣٠] ﴿هَٰرُونَ﴾: مَفعُولٌ ثَانٍ ﴿أَخِي﴾: عَطفُ بَيَانٍ. [٣١] ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾: ظَهرِي.

[٣٢] ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ أي: الرِّسَالَةِ - والفِعلَانِ بِصِيغَتَي الأَمْرِ، والمُضَارِعِ المَجزُومِ(7) - وهو جَوابُ الطَّلَبِ(8).

[٣٣] ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ﴾ تَسبِيحًا ﴿كَثِيرًا﴾. [٣٤] ﴿وَنَذۡكُرَكَ﴾ ذِكرًا ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: عَالِمًا(9)، فَأَنعَمتَ بِالرِّسَالَةِ. [٣٦] ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ مَنًّا عَلَيكَ. [٣٧] ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ﴾.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (فتهلك)؛ بِالفَاءِ وبِدُونِ: (أي).

(٢) وهو قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠].

(٣) لم نقفْ على سَندِه وقائلِه، وذَكَرَه كثيرٌ مِنَ المُفسِّرينَ دُونَ عَزوِه لأَحدٍ. منهم: ابن عطية في الوجيز (٤/ ٢٣١)، والرازي (٢٢/ ٢٨)، والخازن (٣/ ٢٠٣).

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (تُغشي).

(٥) في الأَصلِ: (وهي بيضاء)، بِدُونِ الوَاوِ، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وَضَعَها وهو صَغيرٌ بِفِيْهِ). وما ذكره المفسِّرُ عن سببِها هو قولُ كثيرٍ من المُفسِّرينَ في بيانِ العُقدةِ وسببِها، وليسَ فيه شيءٌ مَرفوعٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، وإنَّما هو من كلام سعيدِ بنِ جُبير، نَقلَها عنه عبدُ بنُ حُميدٍ وابنُ المُنذِر، وابنُ أبي حَاتمٍ كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٥/ ٥٦٦، ٥٦٧)، قال: «عُجمة بِجمرةِ نَارٍ، أدخلها في فِيهِ عَن أَمرِ امرَأةِ فِرْعَوْنَ، تَدرأُ بِهِ عَنهُ عُقُوبَةَ فِرْعَونَ، حِينَ أَخذَ مُوسَى بِلحيتِه وَهُوَ لَا يَعقِلُ». وَفِي رِوَايَةٍ ذكرها السمعانيُّ في تَفسِيره (٣/ ٣٢٨): «لَطمَ وَجهَ فِرْعَونَ لَطمةً، فَغَضِبَ فِرْعَون، وَقَالَ: هَذَا هُوَ عَدُوِّي، وَأَرَادَ أَنْ يَقتلَه، فَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَونَ: إِنَّه صَبيٌّ، لَا يَعقِلُ وَلَا يُمَيِّزُ، وَهُوَ لَا يُمَيِّزُ بَينَ الجَوْهَرِ والجمرِ، فدُعِي لَهُ بِطَبَقٍ مِنْ جَمرٍ، وطَبَقٍ من جَوْهَرٍ، فَأَخَذَ الجَمْرَ، وَوَضعه فِي فِيهِ، فَاحْتَرَقَ لِسَانه، وَصَارَت عَلَيْهِ عُقدَة». وقِيلَ: كانَ ذلكَ التعقُّد في لِسانِه خِلقةً. وعلى كلا القولينِ فهي عُقدةٌ كانت في لِسانِه حَلَّها الله تعالى كما أخبرَ، وهذا يَكفي.

(٧) بِصِيغَتَي المُضارعِ المَجزومِ؛ أي ﴿أَشۡدُدۡ﴾ بِهمزةِ قَطعٍ مفتوحةٍ، و﴿أُشۡرِكۡهُ﴾ بِهمزةٍ مَضمُومَةٍ، وهي قِراءةُ ابنِ عامرٍ.

(٨) في نُسخَةِ قَباوَة: (جوابٌ لِلطلب).

(٩) العِلمُ غيرُ البَصَرِ، وإن كان مِن لَوازِمِه؛ فنُثبِتُ صِفةَ البَصَرِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ بِه سُبحانَه.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا
تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ
عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ
الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

[٣٨] ﴿إذ﴾: لِلتَّعلِيلِ ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ مَنَامًا، أو إِلهَامًا، لَمَّا وَلَدَتك، وخَافَتْ أَنْ يَقتُلَكَ فِرعَونُ، في جُملَةِ مَنْ يُولَدُ ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ في أمْرِكَ، ويُبدَلُ منه:

[٣٩] ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾: أَلقِيهِ ﴿فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ﴾ بِالتَّابُوتِ ﴿فِي الْيَمِّ﴾: بَحْرِ النِّيلِ ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أي: شَاطِئِه- والأَمْرُ بِمَعنَى الخَبَرِ- ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ - وهُو فِرعَونُ- ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بَعدَ أَنْ أَخَذَكَ ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ لِتُحَبَّ في النَّاسِ؛ فأَحبَّكَ فِرعَونُ وكُلُّ مَنْ رَآكَ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾: تُرَبَّى على رِعَايَتِي وحِفظِي لكَ[1].

[٤٠] ﴿إذ﴾: لِلتَّعلِيلِ ﴿تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ مَريَمُ[2]؛ لِتَتَعَرَّفَ خَبَرَكَ. وقَدْ أَحضَرُوا مَرَاضِعَ، وأَنتَ لَا تَقبَلُ ثَدْيَ وَاحِدَةٍ منها ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾؟ فأُجِيبَتْ؛ فَجَاءَتْ بِأُمِّه، فَقَبِلَ ثَدْيَها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بِلِقَائِكَ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حِينَئِذٍ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هُو القِبْطِيُّ بِمِصرَ[3]؛ فاغْتَمَمْتَ لِقَتْلِه مِنْ جِهَةِ فِرعَونَ ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾: اختَبَرنَاكَ بِالإِيقَاعِ في غَيرِ ذَلِكَ وخَلَّصنَاكَ منه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عَشْرًا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بعدَ مَجِيئِكَ إِليها مِنْ مِصرَ عِندَ شُعَيبٍ النَّبِيِّ[4]، وتَزَوُّجِكَ بِابنَتِه ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في عِلْمِي بِالرِّسَالةِ؛ وهو: أَربَعُونَ سَنَةً مِنْ عُمْرِكَ[5] ﴿يَا مُوسَىٰ﴾.

[٤١] ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ﴾: اختَرتُكَ ﴿لِنَفْسِي﴾ بِالرِّسَالَةِ.

[٤٢] ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ إلى النَّاسِ ﴿بِآيَاتِي﴾ التِّسعِ[6] ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: تَفتُرَا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بِتَسبِيحٍ وغَيرِه.

[٤٣] ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ بِادِّعَائِهِ الرُّبُوبِيَّةَ.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ في رُجُوعِه عَنْ ذلكَ ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾: يَتَّعِظُ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ اللهَ؛ فيَرجِعَ. والتَّرَجِّي بِالنسبَةِ إليهِما لِعِلْمِه -تَعَالَى- بِأنَّه لا يَرجِعُ.

[٤٥] ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أي: يَعْجَلَ بِالعُقُوبَةِ ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ علَينا؛ أي: يَتكَبَّرَ.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ بِعَوْنِي[7] ﴿أَسْمَعُ﴾ مَا يَقُولُ ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يَفعَلُ.

[٤٧] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى الشَّامِ ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: خَلِّ عنهم، مِنْ استِعمَالِك إِيَّاهُم في أَشغَالِكَ الشَّاقَّةِ؛ كَالحَفْرِ والبِنَاءِ وحَمْلِ الثَّقِيلِ ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾: بِحُجَّةٍ ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على صِدْقِنَا بالرِّسَالَةِ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ أي: السَّلَامَةُ له مِنَ العَذَابِ.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ مَا جِئْنَا به ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: أَعرَضَ عنه. فَأَتَيَاهُ وقَالَا جَمِيعَ مَا ذُكِرَ.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾؟ اقتَصَرَ عليهِ[8]؛ لِأَنَّهُ الأَصْلُ، ولِإِدْلَالِهِ عليه بِالتَّربِيَةِ.

[٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الخَلْقِ ﴿خَلْقَهُ﴾ الذِي هو عَلَيه، مُتَمَيِّزٌ[9] به عَنْ غَيرِه ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الحَيَوَانَ منه إلى مَطعَمِه ومَشرَبِه ومَنكَحِه، وغَيرِ ذلك.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ: ﴿فَمَا بَالُ﴾: حَالُ ﴿الْقُرُونِ﴾: الأُمَمِ ﴿الْأُولَىٰ﴾ كَقَومِ نُوحٍ وهُودٍ ولُوطٍ وصَالِحٍ، في عِبَادَتِهِم الأَوثَانَ؟

---

(١) وفيها إِثباتُ صِفَةِ العَينِ لله -سُبحَانَهُ- على الحَقيقةِ، كما هو مذهبُ السَّلفِ الصَّالح. وكان الأَولَى بِالمُفَسِّرِ رحمه الله، أنْ يقولَ: على مَرأى مِنِّي؛ ويَلزَمُ مِن ذلك الحِفظُ والرِّعايةُ.

(٢) قاله مُقاتلٌ في تَفسِيره (٣/ ٢٧).

(٣) قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: قتل قِبطيًّا كافرًا. تفسير البغويّ (٥/ ٢٧٣). وأخرجَ مُسلِمٌ عَنْ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ، مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، خَطَأً». مسلم (٢٩٠٥).

(٤) المشهورُ عندَ كثيرٍ مِنَ العُلماءِ أَنَّ صاحبَ مَدْيَنَ المذكورَ في سورة القَصَصِ هو شُعَيبٌ عَلَيهِ السَّلَامُ، وقِيلَ غير ذلك، وإِنَّما هو رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِنْ أَهلِ «مَدْيَنَ»؛ لِأَنَّ شُعيبًا عَلَيهِ السَّلَامُ كان قبل مُوسَى بِزمنٍ. والصَّوابُ أَنَّ هذا لا يُدرَكُ إِلَّا بِخَبَرٍ، ولا خَبَرَ تَجِبُ به الحُجَّةُ في ذلك. (انظر كلام ابن كثيرٍ والسعديِّ في تفسير سورة القصص، آية رقم ٢٥، ٢٨). وذهبَ ابنُ تيميةَ إلى أَنَّ شيخَ مَدْيَنَ لم يَكن شُعيبًا، وسَردَ الأدلةَ عل ذلكَ، في رسالتِه في قِصَّةِ شُعَيبٍ، ضِمنَ جامعِ الرَّسائلِ (١/ ٥٩).

(٥) رَوى عبدُ الرزَّاقِ (٢/ ٣٧٢) عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ قَالَ: «عَلَى قَدَرِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ». ورَوى الطَّبَرِيُّ (١٨/ ١٨٢) عَنْ قَتَادَةَ، «﴿أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص: ١٤] قَالَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَشُدُّهُ: ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً». ويُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآية (١٤) من سورة «القَصص».

(٦) هذا قولُ ابنِ عَبَّاسٍ، وسَبَقَ بيانُ هذه الآياتِ في تفسير الآية (٧٥) من سورة «يونس». وقيلَ: المقصودُ هنا: آيَاتُ التَّوراةِ.

(٧) هذا مِنْ لَوَازِمِ مَعِيَّتِه -سُبْحَانَهُ- الخَاصَّةِ بِعِبَادِه المُؤمِنينَ. ومَعِيَّتُه -سُبْحَانَهُ- مع خَلقه نوعَانِ -كما تَقدَّمَ في آخر «النَّحلِ»- مَعِيَّةٌ عَامَّةٌ؛ ومعناها: إِحاطَتُه بِكُلِّ الخَلْقِ عِلمًا وقُدرَةً. ومَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ؛ لأَولِيَائه بالإِعَانَةِ والرِّعَايةِ والكِفَايَةِ والنَّصرِ والتَّأييدِ والهِدَايةِ والتَّوفيقِ، وقد اشتملَ القُرآنُ عليهما.

(٨) أي: على ذِكرِ مُوسَى دُونَ هَارُونَ.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فتميَّزَ).

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾
فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿عِلْمُهَا﴾ أي: عِلْمُ حَالِهم محفُوظٌ ﴿عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللَّوحُ المَحفُوظُ، يُجازِيهم عَلَيها يَومَ القِيَامَةِ ﴿لَّا يَضِلُّ﴾: يَغِيبُ ﴿رَبِّي﴾ عَنْ شَيءٍ ﴿وَلَا يَنسَى﴾ رَبِّي شَيئًا.

[٥٣] هو ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جُملَةِ الخَلْقِ ﴿ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: فِرَاشًا ﴿وَسَلَكَ﴾: سَهَّلَ ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طُرُقًا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مَطَرًا. قالَ -تَعالَى- تَتمِيمًا لِمَا وَصَفَه به مُوسَى، وخِطابًا لِأَهلِ مَكَّةَ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أَصنافًا ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾: صِفَةُ ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي: مُختَلِفَةَ الأَلوَانِ والطُّعُومِ وغَيرِهِما- و﴿شَتَّىٰ﴾: جَمعُ «شَتِيتٍ»؛ كـ«مَرِيضٍ» و«مَرضَى»؛ مِنْ: شَتَّ الأَمْرُ: تَفرَّقَ-.

[٥٤] ﴿كُلُوا۟﴾ منها ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ فيها: جَمعُ نَعَم. هي: الإِبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ. يُقالُ: رَعَتِ الأَنعَامُ ورَعَيتُها. والأَمْرُ لِلإِبَاحَةِ، وَتَذْكِيرِ النِّعْمَةِ. والجُملَةُ حالٌ مِنْ ضَميرِ «أَخرَجْنَا»؛ أي: مُبِيحِينَ لَكُمُ الأَكْلَ ورَعْيَ الأَنعَامِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ هنا ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لَعِبَرًا ﴿لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ﴾: لِأَصحَابِ العُقُولِ. جَمعُ «نُهْيَة»؛ كـ«غُرْفَة» و«غُرَف»؛ سُمِّيَ به العَقلُ؛ لِأَنَّه يَنهَى صَاحِبَهُ عَنِ ارتِكَابِ القَبَائِحِ.

[٥٥] ﴿۞ مِنْهَا﴾ أي: مِنَ الأَرْضِ[1] ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ بِخَلْقِ أَبِيكُم آدَمَ منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مَقبُورِينَ بَعدَ المَوتِ ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عِندَ البَعْثِ ﴿تَارَةً﴾: مَرَّةً ﴿أُخْرَىٰ﴾ كَما أَخرَجنَاكُم عِندَ ابتِدَاءِ خَلْقِكُم.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ أي: أَبصَرْنَا فِرعَونَ ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ التِّسعَ[2] ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزَعَمَ أَنَّها سِحْرٌ ﴿وَأَبَىٰ﴾ أَنْ يُوَحِّدَ اللهَ -تَعالَى-.

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مِصرَ، ويَكُونَ لَكَ المُلْكُ فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؟

[٥٨] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ يُعارِضُه ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لِذَلِكَ ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾: مَنصُوبٌ بِنَزعِ الخَافِضِ «في» ﴿[سِوًى]﴾ بِكَسرِ أَوَّلِه، وضَمِّه[3]؛ أي: وَسَطًا تَستَوِي إِلَيه مَسَافَةُ الجَائِي مِنَ الطَّرَفَينِ.

[٥٩] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يَومُ عِيدٍ لهم، يَتزَيَّنُونَ فيه ويَجتَمِعُونَ ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾: يُجمَعَ أَهْلُ مِصرَ ﴿ضُحًى﴾ وَقْتَه[4]؛ لِلنَّظَرِ فِيمَا يَقَعُ.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾: أَدبَرَ ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي: ذَوِي كَيدِه مِنَ السَّحَرَةِ ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ بِهِمُ المَوعِدَ.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ وهُمُ اثنَانِ وسَبعُونَ[5]، مع كُلِّ وَاحِدٍ حَبلٌ وعَصًا: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي: أَلزَمَكُمُ اللهُ الوَيلَ ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِإِشرَاكِ أَحَدٍ مَعَه ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ - بِضَمِّ اليَاءِ وكَسرِ الحَاءِ، وبِفَتحِهِما[6]- أي: يُهلِكَكُم ﴿بِعَذَابٍ﴾ مِنْ عِندِه ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خَسِرَ ﴿مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: كَذَبَ عَلَى الله.

[٦٢] ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في مُوسَى وأَخِيهِ ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي: الكَلَامَ بَينَهم فِيهِما.

[٦٣] ﴿قَالُوٓا۟﴾ لِأَنفُسِهم: ﴿[إِنَّ هَٰذَيْنِ]﴾ - لِأَبِي عَمرٍو. ولِغَيرِه: «هَذَانِ»[7]. وهو مُوَافِقٌ لِلُغَةِ مَنْ يَأتِي في المُثَنَّى بِالأَلِفِ في أَحوَالِه الثَّلَاثِ[8]- ﴿لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾: مُؤَنَّثُ «أَمثَل»؛ بِمَعنَى: أَشرَف؛ أي: بِأَشرَافِكُم، بِمَيلِهِم إِلَيهِما لِغَلَبَتِهِما.

[٦٤] ﴿[فَاجْمَعُوا][9] كَيْدَكُمْ﴾ مِنَ السِّحرِ - بِهَمزَةِ وَصلٍ وفَتحِ المِيمِ؛ مِنْ: جَمَعَ؛ أي: لَمَّ، وبِهَمزَةِ قَطعٍ وكَسرِ المِيمِ؛ مِنْ: أَجْمَعَ: أَحكَمَ- ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾: حَالٌ؛ أي: مُصطَفِّينَ ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾: فَازَ ﴿ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: غَلَبَ.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الأرض) بِدُونِ: (مِن).

(٢) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآية (١٠١) من سُورة الإسراء.

(٣) ﴿سِوًى﴾؛ بِكَسرِ السِّينِ: قِرَاءَةُ نافعٍ والكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿سُوًى﴾؛ بِضَمِّ السِّينِ.

(٤) بِسُكونِ القَافِ؛ أي: وَقتَ الضُّحى. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وقَّته) بِتشدِيدِها؛ أي: إِنَّ مُوسَى عَيَّنَ ذلك الوقتَ- وهو ضُحى عِيدِهم-؛ أي: وقتَ ارتفاعِ الشَّمسِ فيه؛ لِيكُونَ الحَشدُ أكثرَ والنَّظرُ أوضحَ؛ فيَظهرَ الحقُّ ويَزهقَ البَاطِلُ، على رُءوسِ الأَشهادِ.

(٥) ذَكَرَ هذا العَدَدَ مُقاتِلٌ في تَفسِيرِه (٢/ ٥٤). والأَولَى في مثل هذه المواطِنِ التي لم يَصِحَّ فيها دَليلٌ، الاقتصارُ على مَوضِعِ العِبرَةِ والفَائدةِ، فلو كانَ في العِلمِ بِعَدَدِهم فائدةٌ لَبَيَّنَهُ اللهُ الكريمُ.

(٦) ﴿فَيَسْحَتَكُم﴾؛ بِفَتحِ اليَاءِ والحَاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾؛ بِضَمِّ اليَاءِ وكَسرِ الحَاءِ.

(٧) فيها ثَلاثُ قِرَاءَاتٍ سَبعِيَّةٍ -غير قِراءةِ أَبي عَمرٍو، وهي سبعيَّةٌ أيضًا-؛ الأُولَى: ﴿إِنْ هَٰذَانِّ﴾ بِتخفِيفِ ﴿إِنْ﴾ وتَشدِيدِ نُونِ ﴿هَٰذَانِّ﴾، وهي قِراءةُ ابنِ كثيرٍ، مَعَ المَدِّ المُشبَعِ. والثانيةُ: ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ بِتخفِيفِ ﴿إِنْ﴾ ونُونِ ﴿هَٰذَانِ﴾ وهي قِراءةُ حفصٍ. والثالثةُ: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ﴾؛ بِتشدِيدِ نُونِ ﴿إِنَّ﴾ وتَخفِيفِ نُونِ ﴿هَٰذَانِ﴾ وهي قِراءةُ البَاقِينَ.

(٨) وهي لُغَةُ: بلحارث وخثعم وزبيد وغيرهم.

(٩) ﴿فَاجْمَعُوا﴾؛ بِهَمزَةِ وَصلٍ وفتحِ المِيمِ: وهي قِراءةُ أبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَأَجْمِعُوا﴾؛ بِهَمزَةِ قَطعٍ وكَسرِ المِيمِ.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ
أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا
تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ
لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا
عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

[٦٥] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اخترْ ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ عَصَاكَ؛ أي: أوَّلًا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ عَصَاهُ؟

[٦٦] ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾. فأَلْقَوْا، ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ﴾ - أَصْلُه: «عُصُوْوٌ»؛ قُلِبَتِ الوَاوَانِ يَاءَيْنِ، وكُسِرَتِ العَيْنُ والصَّادُ- ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا﴾ حَيَّاتٌ ﴿تَسۡعَىٰ﴾ على بُطُونِها.

[٦٧] ﴿فَأَوۡجَسَ﴾: أَحَسَّ ﴿فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ أي: خَافَ مِنْ جِهَةِ أَنَّ سِحْرَهم مِنْ جِنْسِ مُعجِزَتِه، أَنْ يَلتَبِسَ أَمْرُهُ على النَّاسِ؛ فَلا يُؤمِنُوا به.

[٦٨] ﴿قُلۡنَا﴾ له: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ عليهم بِالغَلَبَةِ.

[٦٩] ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ - وهِي عَصَاهُ- ﴿تَلۡقَفۡ﴾: تَبْتَلِعْ ﴿مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ أي: جِنْسِه ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ بِسِحْرِهِ. فأَلقَى مُوسَى عَصَاهُ؛ فتَلقَّفَتْ كُلَّ ما صَنَعُوه.

[٧٠] ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾: خَرُّوا، سَاجِدِينَ لله -تَعَالَى- ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ: ﴿[ءَآمَنتُمۡ]﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإِبدَالِ الثَّانِيةِ أَلِفًا[١]- ﴿لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾: مُعَلِّمُكُم ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾: حَالٌ؛ بِمَعنَى: مُختَلِفَةً؛ أي: الأَيدِي اليُمنَى والأَرجُلَ اليُسرَى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ أي: عَلَيها ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾- يَعنِي نَفسَه ورَبَّ مُوسَى- ﴿أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾: أَدوَمُ، عَلَى مُخَالَفَتِه؟

[٧٢] ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾: نَختَارَكَ ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدَّالَّةِ عَلى صِدْقِ مُوسَى ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾: خَلَقَنَا. قَسَمٌ، أَو: عَطفٌ عَلى ﴿مَا﴾ ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ أي: اصنَعْ مَا قُلتَه ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ - النَّصبُ[٢] على الاتِّسَاعِ[٣]- أي: فيها، وتُجزَى[٤] عَليه فِي الآخِرَةِ.

[٧٣] ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ مِنَ الإِشْرَاكِ وغَيرِه ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ تَعلُّمًا، وعَمَلًا لِمُعَارَضَةِ مُوسَى ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ مِنكَ ثَوَابًا إِذَا أُطِيعَ ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ مِنكَ عَذَابًا إِذَا عُصِيَ.

[٧٤] قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾: كَافِرًا؛ كَفِرعَونَ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيَستَرِيحَ ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ حَيَاةً تَنفَعُه.

[٧٥] ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفَرَائِضَ والنَّوَافِلَ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾: جَمعُ: «عُلْيا» مُؤنَّث «أَعلَى».

[٧٦] ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي: إِقَامَةٍ، بَيَانٌ له[٥] ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: تَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ.

---

(١) رَاجِعِ التعليقَ على الآية (١٢٣) مِن سُورة الأعراف، ولاحِظْ أنَّ قنبلَ له هَمزةٌ واحدةٌ على الإِخبارِ ﴿ءَامَنتُمۡ﴾.

(٢) أي: نَصبُ «هذه» المُبدَل منها: «الحياة الدنيا».

(٣) أي: في اللغةِ؛ أي: نُصِبَت بِنَزعِ الخَافِضِ؛ بتقديرِ: «إِنَّما تَقضِي في هَذه الحَيَاةِ الدُّنيَا»، وهذا خِلافًا لِمَا كَثُرَ واطَّرَدَ؛ حَيثُ يَكثُرُ ويَطَّرِدُ حَذفُ الجَارِّ مَعَ «أَنْ» و«أَنَّ»، ويَأتِي الحَذفُ في غيرِهما قَليلًا عَلى سَبِيلِ الاتِّسَاعِ والتَّسمُّحِ، كما ذَكرَ ابنُ هِشامٍ في «مغني اللبيب».

(٤) أي: تُكَافَأُ أنت على ما تعمله بنا الآنَ، تَهدِيدٌ له. وفي نُسخَةِ قَبَاوَة: (نُجزَى)؛ أي: نُكَافَأُ على ما تعمله بنا الآنَ.

(٥) أي: لِقَولِه: ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ
يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ
أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

الحزب ٣٢

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ - بِهَمزَةِ قَطْعٍ؛ مِنْ: «أَسرَى»، وبِهَمزَةِ وَصْلٍ وكَسرِ النُّونِ[1]؛ مِنْ: «سَرَى»؛ لُغَتَانِ- أي: سِرْ بِهِم لَيلًا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ﴿فَٱضْرِبْ﴾: اجعَلْ ﴿لَهُمْ﴾ بِالضَّرْبِ بِعَصَاكَ ﴿طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: يَابِسًا- فامتَثَلَ مَا أُمِرَ به، وأَيبَسَ اللهُ الأَرضَ؛ فَمَرُّوا فِيها- ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي: أَنْ يُدرِكَكَ فِرعَونُ ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ غَرَقًا.

[٧٨] ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وهُو مَعَهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ أي: البَحْرِ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ فَأَغرَقَهُم!

[٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ بِدُعَائِهم إلى عِبَادَتِه ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ بَلْ أَوقَعَهم في الهَلَاكِ، خِلَافَ قَولِه: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[2].

[٨٠] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فِرعَونَ بِإِغرَاقِهِ ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ فَنُؤتِي مُوسَى التَّورَاةَ لِلعَمَلِ بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: هُما «التُّرَنْجَبِينُ»، والطَّيرُ «السُّمَانَى»؛ بِتَخفِيفِ المِيمِ والقَصرِ. والمُنَادَى مَنْ وُجِدَ مِنَ اليَهُودِ، زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ. وخُوطِبُوا بِمَا أَنعَمَ اللهُ به عَلى أَجدَادِهم، زَمَنَ النَّبِيِّ مُوسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ][3]، تَوطِئَةً لِقَولِه -تَعَالَى- لهم:

[٨١] ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي: المُنْعَمِ به عَلَيكُم ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ بِأَنْ تَكفُرُوا النِّعْمَةَ به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ بِكَسرِ الحَاءِ؛ أي: يَجِب، وبِضَمِّها[4]؛ أي: يَنزِلَ ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ - بِكَسرِ اللَّامِ، وضَمِّها[5]- ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾: سَقَطَ في النَّارِ.

[٨٢] ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ ﴿وَءَامَنَ﴾: وَحَّدَ اللهَ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ - يَصْدُقُ بِالفَرْضِ والنَّفْلِ- ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ بِاستِمرَارِه عَلى مَا ذُكِرَ، إلى مَوتِه.

[٨٣] ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ لِمَجِيءِ مِيعَادِ أَخْذِ التَّورَاةِ[6] ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾؟

[٨٤] ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ﴾ أي: بِالقُربِ مِنِّي يَأْتُونَ ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ عَنِّي؛ أي: زِيَادَةً على رِضَاكَ. وَقَبْلَ الجَوابِ، أَتَى بِالاعتِذَارِ[7]، بِحَسَبِ ظَنِّه. وتَخَلَّفَ المَظْنُونُ لِـمَا: [٨٥] ﴿قَالَ﴾ -تَعَالَى-: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي: بَعدَ فِرَاقِكَ لَهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ فَعَبَدُوا العِجْلَ.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ مِنْ جِهَتِهِم ﴿أَسِفًا﴾: شَدِيدَ الحُزْنِ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي: صِدْقًا؛ أَنَّه يُعطِيكُم التَّورَاةَ؟ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾: مُدَّةُ مُفَارَقَتِي إِيَّاكُم؟ ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾: يَجِبَ ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بِعِبَادَتِكُم العِجْلَ ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ وتَرَكتُم المَجِيءَ بَعدِي؟

[٨٧] ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ [بِمَلْكِنَا]﴾ - مُثَلَّثُ المِيمِ[8]- أي: بِقُدرَتِنا أو أَمْرِنا ﴿وَلَٰكِنَّا [حَمَلْنَا]﴾ - بِفَتحِ الحَاءِ، مُخَفَّفًا، وبِضَمِّها وكَسرِ المِيمِ، مُشَدَّدًا[9]- ﴿أَوْزَارًا﴾: أَثقَالًا ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: حُلِيِّ قَومِ فِرعَونَ، استَعَارَها منهم بَنُو إِسرَائِيلَ بِعِلَّةِ عُرْسٍ[10]؛ فبَقِيَتْ عِندَهُم ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾: طَرَحنَاهَا في النَّارِ بِأَمْرِ السَّامِرِيِّ ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾: كَما أَلقَينا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾ مَا مَعَه مِنْ حُلِيِّهم، ومِنَ التُّرَابِ الذي أَخَذَه مِنْ أَثَرِ حَافِرِ فَرَسِ جِبرِيلَ، عَلى الوَجهِ الآتِي:

---

(١) ﴿أَنِ اسْرِ﴾؛ بِهَمزَةِ وَصلٍ وكَسرِ النُّونِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ.

(٢) غافر: ٢٩.

(٣) عبارة: (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَيسَتْ في الأَصْلِ، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٤) ﴿فَيَحُلَّ﴾؛ بِضَمِّ الحَاءِ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَيَحِلَّ﴾ بِالكَسرِ.

(٥) ﴿يَحْلُلْ﴾؛ بِضَمِّ اللامِ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَحْلِلْ﴾ بِكَسرِها.

(٦) أي: أَيُّ شيءٍ جعلَكَ مُتَعَجِّلًا عَن قَومِكَ وسَابِقًا لهم؟

(٧) عَن سَبقِه لِقَومِه.

(٨) ﴿بِمِلْكِنَا﴾؛ بِكَسرِ المِيمِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، و﴿بِمُلْكِنَا﴾؛ بِضَمِّ المِيمِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ، و﴿بِمَلْكِنَا﴾؛ بِفَتحِ المِيمِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وعَاصِمٍ.

(٩) ﴿حَمَلْنَا﴾؛ بِفَتحِ الحَاءِ وتَخفِيفِ المِيمِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وأَبي عَمرٍو وشعبةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿حُمِّلْنَا﴾؛ بِضَمِّ الحَاءِ وكَسرِ المِيمِ مُشَدَّدًا.

(١٠) وقيلَ: إِنَّ الحُلِيَّ كان لِبَني إِسرَائِيلَ، ورَاجِعْ ما تقدَّمَ في تَفسيرِ آيةِ الأَعراف رقم (١٤٨).

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ
مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى
وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى
وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صَاغَهُ مِنَ الحُلِيِّ ﴿جَسَدًا﴾ لحمًا ودمًا(١) ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي: صوتٌ يُسمَعُ؛ أي: انقلبَ كذلكَ بِسببِ التُّرابِ الذي أثرُهُ الحياةُ فيما يُوضَعُ فيه، ووَضعَه بعدَ صَوْغِهِ في فَمِهِ(٢) ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي: السَّامِرِيُّ وأتباعُه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ مُوسَى رَبَّه هنا، وذَهَبَ يَطلُبُه.

[٨٩] قال تَعالَى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَ﴾نْ، مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُها محذُوفٌ؛ أي: أنَّه ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ العِجْلُ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يَرُدُّ لهم جوابًا ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعَه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جَلْبَه؟ أي: فكيفَ يُتَّخذُ إلهًا؟!

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلِ(٣) أنْ يَرجِعَ مُوسَى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾ في عِبادَتِه ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ فيها.

[٩١] ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾: نَزالَ ﴿عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾: عَلى عِبادَتِه مُقِيمِينَ ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى، بَعدَ رُجُوعِه: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ بِعِبادَتِه [٩٣] ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؟ لَا: زَائِدَةٌ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ بِإقَامَتِكَ بَينَ مَنْ يَعبُدُ غيرَ الله -تَعالَى(٤)-؟

[٩٤] ﴿قَالَ﴾ هَارُونُ: ﴿[يَبْنَؤُمَّ]﴾ بِكَسرِ الميمِ، وفَتحِها(٥)؛ أَرادَ أُمِّي. وَذِكْرُهَا أعطَفُ لِقَلبِه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ وكَانَ أَخذَها بِشِمالِه ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ وكَانَ أَخذَ شَعرَه بِيَمِينِه، غَضَبًا ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ - لو اتَّبعتُكَ، ولَا بُدَّ أنْ يَتبَعَني جَمعٌ مِمَّنْ لَمْ يَعبُدُوا(٦) العِجْلَ- ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وتَغضَبَ عَلَيَّ ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾: تَنتَظِرْ ﴿قَوْلِى﴾ فِيما رَأيتَه في ذلكَ.

[٩٥] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾: شَأنُكَ الدَّاعِي إلى ما صَنَعتَ ﴿يَٰسَٰمِرِىُّ﴾؟

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ(٧)- أي: عَلِمتُ ما لَمْ يَعلَمُوه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تُرابِ ﴿أَثَرِ﴾ حافِرِ فَرَسِ ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ جِبرِيلَ ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: أَلقَيتُها في صُورَةِ العِجْلِ [المَصُوغِ](٨) ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لِى نَفْسِى﴾ وأُلقِيَ فيها أنْ آخُذَ قَبضَةً مِنْ تُرابِ ما ذُكِرَ، وأُلقِيَها على ما لا رُوحَ لَه، يَصِيرُ(٩) له رُوحٌ. ورَأيتُ قَومَكَ طَلَبُوا مِنكَ أنْ تَجعَلَ لهم إلهًا؛ فَحَدَّثَتني نَفسِي أنْ يَكُونَ ذلك العِجلُ إلَهَهُم(١٠).

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ له مُوسَى: ﴿فَٱذْهَبْ﴾ مِنْ بَينِنا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي: مُدَّةَ حَياتِكَ ﴿أَن تَقُولَ﴾ لِمَنْ رَأيتَه: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لَا تَقرَبْنِي- فكانَ يَهِيمُ في البَرِّيَّةِ، وإِذا مَسَّ أحدًا أو مَسَّه أحدٌ حُمَّا جَمِيعًا(١١)- ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لِعَذابِكَ ﴿لَّن [تُخْلِفَهُۥ]﴾ بِكسرِ اللَّامِ؛ أي: لَنْ تَغِيبَ عنه، وبِفَتحِها(١٢)؛ أي: بَلْ تُبعَثُ إليه ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾ - أصلُه: «ظَلِلْتَ»، بِلامَينِ، أُولَاهُما مَكسُورةٌ، حُذِفَتْ تَخفِيفًا- أي: دُمْتَ ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مُقِيمًا تَعبُدُه ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بِالنَّارِ ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾: نُذْرِيَنَّهُ في هَواءِ البَحرِ. وفَعَلَ مُوسَى بَعدَ ذَبحِه(١٣) ما ذَكَرَه.

[٩٨] ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾: تَمييزٌ مُحوَّلٌ عَنِ(١٤) الفاعِلِ؛ أي: وَسِعَ عِلمُه كُلَّ شَيءٍ.

---

(١) هذا قولُ الحَسنِ البصريِّ وقتادةَ، واختارَه الجلالُ المَحلِّي هنا. وقالَ مُجاهدٌ: بلْ كانت الرِّيحُ إذا دَخلت مِنْ دُبُرِه، خَرجَت مِنْ فَمِه فيَخُورُ كَما تَخُورُ البقرةُ؛ أي: لم يَصِرْ حَيًّا. ويَشهدُ له ظاهرُ قوله: ﴿جَسَدًا﴾ الذي يدلُّ على أنَّه لا حياةَ فيه. وقيلَ غيرُ ذلك. واللهُ أعلمُ.

(٢) رَواهُ عبدُ الرزَّاقِ (٢/ ٣٧٥) عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «لَمَّا اسْتَبْطَأَ مُوسَى قَوْمُهُ، قَالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ: إِنَّمَا احْتَبَسَ عَنْكُمْ مِنْ أَجْلِ مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْحُلِيِّ، وَكَانُوا اسْتَعَارُوا حُلِيًّا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، فَجَمَعُوهُ فَأَعْطَوْهُ السَّامِرِيَّ فَصَاغَ مِنْهُ عِجْلًا، ثُمَّ أَخَذَ الْقَبْضَةَ الَّتِي قَبَضَ مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الْمَلَكِ فَنَبَذَهَا فِي جَوْفِهِ، فَإِذَا هُوَ عِجْلٌ جَسَدٌ لَهُ خُوَارٌ، فَقَالَ: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى، وَمُوسَى نَسِيَ رَبَّهُ عِنْدَكُمْ». ورَوى الطَّبَرِيُّ (١٦/ ١٥٠) عَنْ مُجاهِدٍ، فِي قَوْلِ الله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ [طه: ٩٦]؛ قَالَ: «مِنْ تَحْتِ حَافِرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ، نَبَذَهُ السَّامِرِيُّ عَلَى حِلْيَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَانْسَبَكَ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ، حَفِيفُ الرِّيحِ فِيهِ فَهُوَ خُوَارُهُ». ويُنظَرُ ما تقدَّمَ في التعليقِ على الآيةِ (١٤٨) مِن سُورةِ الأعرافِ.

(٣) في نُسخةِ قَباوَة: (من قبل). (٤) كلمةُ: (تعالى) لَيسَتْ في نُسخةِ قَباوَة. (٥) ﴿يَبْنَؤُمِّ﴾؛ بِالكَسرِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقرَأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾؛ بِالفَتحِ.

(٦) في نُسخةِ قَباوَة: (لم يَعبُد). (٧) بِالتَّاءِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ، وقرأَ الباقونَ بِالياءِ. (٨) في الأصلِ: (المُصاغ)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخةِ قَباوَة، وهو الصَّوابُ. (٩) في نُسخةِ قَباوَة: (فيَصير).

(١٠) ما ذَكَرَه المُفسِّرُ هنا يَذكرُه عامَّةُ المُفسِّرينَ، واختلفوا متى رأى السَّامِريُّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف اختصَّ برؤيتِه ومعرفته مِنْ بين النَّاسِ، بينما ذهبَ بعضُ أهلِ العِلمِ إلى: أنَّ كُلَّ هذا ليسَ عليه أثارةٌ مِن عِلمٍ، ولا يَدلُّ عليه التنزيلُ الكريمُ؛ ولذا فسَّره بعضُهم بوجهٍ آخر، وهو أنْ يكونَ المرادُ بـ«الرَّسول»: مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبـ«أثره»: سُنَّتَه ورسمَه الذي أمرَ به، فكأنَّ السَّامِريَّ قال: عَرَفتُ أَنَّ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَيسَ بِحَقٍّ، وَقَدْ كُنْتُ قَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ؛ أَيْ شَيْئًا مِنْ سُنَّتِكَ وَدِينِكَ، فَقَذَفْتُهُ؛ أي: طَرَحْتُهُ، فصارَ ما صارَ. وَإِنَّمَا أَوْرَدَ بِلَفْظِ الإِخْبَارِ عَنْ غَائِبٍ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِرَئِيسِهِ- وَهُوَ مُوَاجِهٌ لَهُ-: مَا يَقُولُ الأَمِيرُ فِي كَذَا؟ وَبِمَاذَا يَأْمُرُ الأَمِيرُ؟ وأمَّا دُعاؤُه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولًا مَع جَحدِه وكُفرِه، فعلى مِثلِ مَذهبِ مَنْ حكى الله -تَعالَى- عنهم قولَهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وإنْ لم يُؤمِنوا بالإنزالِ، فاللهُ أعلمُ. يُنظَرُ: تفسيرُ الرازيِّ (٢٢/ ٩٥-٩٦)، حيثُ قالَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو مُسْلِمٍ -أي: الأَصْفَهَانِيُّ- لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مُخَالَفَةُ الْمُفَسِّرِينَ، وَلَكِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى التَّحْقِيقِ لِوُجُوهٍ...».

(١١) هذا أيضًا مِمَّا لا دليلَ صحيح يُعتمَدُ عليه، وفسَّرَه البعضُ: بِأنَّ المُرادَ المنعُ مِنْ أنْ يُخالِطَ أحدًا أو يُخالِطَه أحدٌ، عُقوبةً له. وفسَّرَه آخرونَ: بأنَّه كِنايةٌ عن انقطاعِ نَسلِه، فلا يكونُ له ولدٌ يُؤنِسُه؛ لأنَّ المسَّ يُكنَى به عن النِّكاحِ. فالله أعلمُ. وفيه دليلٌ على مَشروعيةِ نفيِ أهلِ البِدَعِ والإفسادِ وهِجرانِهم. (١٢) ﴿تُخْلِفَهُۥ﴾؛ بِالكَسرِ: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقرَأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تُخْلَفَهُۥ﴾؛ بِالفتحِ. (١٣) اختارَ الجلالُ المَحلِّي أنَّه عِجلٌ حيٌّ مِنْ لَحمٍ ودَمٍ. وسَبَقَ ذِكرُ الخِلافِ في ذلكَ. (١٤) في نُسخةِ قَباوَة: (من).

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا
فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

[٩٩] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما قَصصنا عليكَ - يا مُحَمَّد- هذه القِصَّةَ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾: أخبارِ ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ مِنَ الأُمَمِ ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾: أعطيناكَ ﴿مِن لَّدُنَّا﴾: مِنْ عِندِنا ﴿ذِكْرًا﴾: قُرآنًا.

[١٠٠] ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فَلم يُؤمِنْ به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾: حِمْلًا ثَقِيلًا مِنَ الإِثْمِ.

[١٠١] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عَذَابِ الوِزْرِ ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾! تَمييزٌ مُفَسِّرٌ لِلضَّميرِ في «سَاءَ»- والمَخصُوصُ بِالذَّمِ مَحذُوفٌ، تَقدِيرُه: «وِزْرُهم». واللامُ لِلبيَانِ- ويُبدَلُ مِنْ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾:

[١٠٢] ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: القَرنِ، النَّفخَةَ الثَّانِيَةَ ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عُيونُهم، مَع سَوَادِ وُجُوهِهم[1].

[١٠٣] ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يَتَسارُّونَ: ﴿إِن﴾: ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ مِنَ اللَّيَالِي بِأَيَّامِها.

[١٠٤] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلكَ؛ أي: لَيسَ كَما قَالُوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾: أَعْدَلُهُمْ ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يَستَقِلُّونَ لَبثَهم في الدُّنيا جِدًّا؛ لِمَا يُعَايِنُونَه في الآخِرَةِ مِنْ أهوَالِها.

[١٠٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾: كَيفَ تَكُونُ يومَ القِيَامَةِ؟ ﴿فَقُلْ﴾ لَهم: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ بِأَنْ يُفَتِّتَها كَالرَّملِ السَّائِلِ، ثُمَّ يُطَيِّرَها بِالرِّيَاحِ.

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾: مُنبَسِطًا ﴿صَفْصَفًا﴾: مُستَوِيًا.

[١٠٧] ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾: انخِفَاضًا ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾: ارتِفاعًا.

[١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يَومَ إِذْ نُسِفَتِ الجِبَالُ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أَي: النَّاسُ بَعدَ القِيَامِ مِنَ القُبُورِ ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ إِلى المَحشَرِ بِصَوتِه- وهُو: إِسرَافِيلُ، يَقُولُ: هَلُمُّوا إِلى عَرضِ الرَّحمَنِ[2]- ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لِاتِّبَاعِهم؛ أي: لا يَقدِرُونَ أَنْ لَا يَتَّبِعُوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾: سَكَنَتِ ﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: صَوتَ وَطءِ الأَقدَامِ في نَقلِها إِلى المَحشَرِ؛ كَصَوتِ أَخفَافِ الإِبِلِ في مَشْيِها[3].

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أَحدًا ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أَنْ يُشفَعَ له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ بِأَنْ يَقُولَ: لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنْ أُمُورِ الآخِرَةِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مِنْ أُمُورِ الدُّنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾: لَا يَعلَمُونَ ذلكَ.

[١١١] ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾: خَضَعَتْ ﴿لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أَي: اللهِ ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خَسِرَ ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شِرْكًا.

[١١٢] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الطَّاعَاتِ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بِزِيَادَةٍ في سَيِّئَاتِه ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بِنَقْصٍ مِنْ حَسَنَاتِه.

[١١٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مَعطُوفٌ على: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾ أي: مِثْلَ إِنزَالِ مَا ذُكِرَ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾: كَرَّرنَا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشِّرْكَ ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القُرآنُ ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بِهَلَاكِ مَنْ تَقَدَّمَهُم مِنَ الأُمَمِ؛ فَيَعتَبِرُونَ.

(١) قال مُقاتلٌ (٣/ ٤١): «زُرْقُ الأعيُنِ». وقالَ يَحيى بنُ سلام في تَفسِيرِه (١/ ٢٧٨): «وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [طه:١٠٢]؛ يَعْنِي بَعْدَ الحِسَابِ، نَسُوقُ المُشرِكِينَ إِلَى النَّارِ زُرقًا. قَالَ: مُسْوَدَّةٌ وُجُوهُهُمْ، كَالِحَةٌ».

(٢) لَم نَجِدْه بِهذا اللفظِ. وقالَ مُقاتلٌ في تَفسيرِ قولِه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ (٣/ ٤١)؛ قَالَ: «يَعني صَوتَ المَلَكِ الذي هو قَائِمٌ على صَخرةِ بَيتِ المَقدِسِ، وهو إِسرَافيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ يَنفخُ في الصُّورِ؛ يَعني: في القَرنِ، لا يَزِيغُونَ ولا يَرُوغُونَ عنه يَمينًا ولا شِمالًا؛ يَعني: لا يَميلُونَ عنه...».

(٣) وقِيلَ: هو هَمْسُ الشِّفَاهِ. وعلى كلا القَولَينِ؛ «فالهَمْسُ» هو الصَّوتُ الخَفِيُّ.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن
يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥ وَإِذۡ قُلۡنَا
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦
فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ
١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ
ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ
لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ
١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا
جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ
عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥

[١١٤] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ عَمَّا يَقُولُ الْمُشرِكُونَ! ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أي: بِقِراءتِه ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ أي: يَفرَغَ جِبرِيلُ مِنْ إبلاغِه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ أي: بِالقُرآنِ؛ فكُلَّما أُنزِلَ عَليه شَيءٌ منه زَادَ به عِلْمُه.

[١١٥] ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾: وَصَّيناه أَنْ لَا يَأكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: قَبْلِ أَكْلِه منها ﴿فَنَسِيَ﴾: تَرَكَ عَهدَنَا ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾: حَزْمًا وصَبْرًا، عَمَّا نَهَيناهُ عنه.

[١١٦] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ - وهُو أَبُو الجِنِّ[(١)] - كَانَ يَصحَبُ المَلائِكَةَ، ويَعبُدُ اللهَ معهم ﴿أَبَىٰ﴾ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾[(٢)].

[١١٧] ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾: حَوَّاءَ، بِالمَدِّ ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾: تَتعَبَ؛ بِالحَرْثِ والزَّرْعِ والحَصْدِ والطَّحْنِ والخَبْزِ وغَيرِ ذلكَ. واقتُصِرَ عَلى شَقَاهُ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَسعَى عَلى زَوجَتِه.

[١١٨] ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ﴾.

[١١٩] ﴿وَأَنَّكَ﴾ - بِفَتحِ الهَمزَةِ وكَسرِها[(٣)]، عَطفٌ عَلى اسمِ ﴿إِنَّ﴾ وجُملَتِها - ﴿لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا﴾: تَعطَشُ ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾: لا يَحصُلُ لكَ حَرُّ شَمسِ الضُّحَى؛ لِانتِفَاءِ الشَّمسِ في الجَنَّةِ.

[١٢٠] ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أي: التي يَخلُدُ مَنْ يَأكُلُ منها ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾: لا يَفنَى. وهو لَازِمُ الخُلُودِ؟

[١٢١] ﴿فَأَكَلَا﴾ أي: آدَمُ وحَوَّاءُ ﴿مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ أي: ظَهَرَ لِكُلٍّ مِنهما قُبُلُهُ وَقُبُلُ الآخَرِ وَدُبُرُهُ - وسُمِّيَ كُلٌّ منهما سَوأَةً؛ لِأَنَّ انكِشَافَه يَسُوءُ صَاحِبَهُ - ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ﴾: أَخَذَا يُلزِقَانِ ﴿عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ لِيَستَتِرَا به ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ بِالأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ.

[١٢٢] ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: قَرَّبَهُ ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾: قَبِلَ تَوبَتَه ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي: هَدَاه إِلى المُدَاوَمَةِ على التَّوبَةِ.

[١٢٣] ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا﴾ أي: آدَمُ وحَوَّاءُ، بما اشتَمَلتُما عليه مِنْ ذُرِّيَّتِكُما ﴿مِنۡهَا﴾: مِنَ الجَنَّةِ ﴿جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ﴾: بَعضُ الذُّرِّيَّةِ ﴿لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ مِنْ ظُلمِ بَعضِهم بَعضًا ﴿فَإِمَّا﴾ - فيه إِدغَامُ نُونِ «إِنْ» الشَّرطِيَّةِ في «مَا» المَزِيدَةِ - ﴿يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدُّنيا ﴿وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ في الآخِرَةِ.

[١٢٤] ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ أي: القُرآنِ، فلَمْ يُؤمِنْ به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ بِالتَّنوِينِ؛ مَصدَرٌ بِمَعنَى: ضَيِّقَةً - وفُسِّرَتْ في حَدِيثٍ بِعَذَابِ الكَافِرِ في قَبرِه[(٤)] - ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ﴾ أي: المُعرِضَ عَنِ القُرآنِ ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ أي: أَعمَى البَصَرِ.

[١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾ في الدُّنيا، وعِندَ البَعْثِ؟

---

(١) نُقِلَ هذا القولُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ومُجاهِدٍ وقَتادةَ والحسنِ البصريِّ وغيرِهم. وهو قولُ أكثرِ أهلِ العِلم. كما سَبَقَ في التعليقِ على الآيَةِ (٣٤) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٢) سورة ص: ٧٦.

(٣) قِراءتانِ سَبعيَّتانِ؛ ﴿وَإِنَّكَ﴾، بِالكَسرِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وشُعبةَ، و﴿وَأَنَّكَ﴾ بِالفَتحِ: قِرَاءَةُ البَاقِينَ.

(٤) روى ابنُ حِبَّان (٧/ ٣٨٩)، والحاكمُ في المُستدرَكِ (١٤٠٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٤] قَالَ: «عَذَابُ القَبْرِ». وحَسَّنَه الأَلبَانيُّ في صحيحِ الموارد (١٧٥١).

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾
فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ
لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم
بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ
مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

[١٢٦] ﴿قَالَ﴾: الأَمْرُ ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾: تَرَكْتَها، ولَمْ تُؤمِنْ بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مِثْلَ[١] نِسيانِكَ آياتِنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾: تُتْرَكُ في النَّارِ.

[١٢٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومِثْلَ جَزائِنَا مَنْ أعرَضَ عَنِ القُرآنِ ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾: أشرَكَ ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ مِنْ عَذابِ الدُّنيا وعَذابِ القَبرِ ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: أدوَمُ.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾: يَتَبيَّنْ ﴿لَهُمْ﴾: لِكُفَّارِ مَكَّةَ ﴿كَمْ﴾: خَبَرِيَّةٌ، مَفعُولٌ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي: كَثِيرًا إهلاكُنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي: الأُمَمِ المَاضِيةِ؛ بِتكذِيبِ الرُّسُلِ ﴿يَمْشُونَ﴾: حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ في سَفَرِهم إلى الشَّامِ وغَيرِها؛ فيَعتَبِرُوا؟! ومَا ذُكِرَ[٢] مِنْ أَخْذِ[٣]: «إِهلاك» مِنْ فِعْلِه الخَالي عَنْ حَرفٍ مَصدَرِيٍّ؛ لِرِعَايةِ المَعنَى لَا مَانِعَ منه[٤] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ﴾: لَعِبَرًا ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾: لِذَوِي العُقُولِ.

[١٢٩] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بِتَأخِيرِ العَذابِ عنهم إلى الآخِرَةِ ﴿لَكَانَ﴾ الإِهلَاكُ ﴿لِزَامًا﴾: لَازِمًا لَهم في الدُّنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: مَضرُوبٌ لَهم، مَعطُوفٌ عَلى الضَّمِيرِ المُستَتِرِ في «كَانَ»[٥]، وقَامَ الفَصلُ بِخَبرِها[٦] مَقامَ التَّأكِيدِ.

[١٣٠] ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ - مَنسُوخٌ بِآيَةِ القِتَالِ- ﴿وَسَبِّحْ﴾: صَلِّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: حَالٌ؛ أي: مُلتَبِسًا به ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ صَلَاةَ الصُّبْحِ ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صَلَاةَ العَصرِ ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾: سَاعَاتِه ﴿فَسَبِّحْ﴾: صَلِّ المَغرِبَ وَالعِشَاءَ ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: عَطفٌ عَلى مَحَلِّ: ﴿مِنْ ءَانَآئِ﴾ المنصُوبِ؛ أي: صَلِّ الظُّهرَ؛ لِأَنَّ وَقتَها يَدخُلُ بزَوَالِ الشَّمسِ؛ فهو طَرَفُ النِّصفِ الأَوَّلِ، وطَرَفُ النِّصفِ الثَّاني ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بِمَا تُعْطَى مِنَ الثَّوَابِ.

[١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أَصنافًا ﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: زِينَتَها وبَهجَتَها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ بِأَنْ يَطغَوا ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ﴾ مِمَّا أُوتُوه في الدُّنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: أدوَمُ.

[١٣٢] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾: اِصْبِرْ ﴿عَلَيْهَا﴾[٧] ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ﴾: نُكَلِّفُكَ ﴿رِزْقًا﴾ لِنَفسِكَ ولَا لِغَيرِكَ ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: الجَنَّةُ ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: لِأَهلِها.

[١٣٣] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: المُشرِكُونَ: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يَأْتِينَا﴾ مُحَمَّدٌ ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ مِمَّا يَقتَرِحُونه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ - بِالتَّاءِ واليَاءِ[٨]- ﴿بَيِّنَةُ﴾: بَيَانُ ﴿مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ المُشتَمِلُ عليه القُرآنُ؛ مِنْ أَنبَاءِ الأُمَمِ المَاضِيةِ، وإِهلَاكِهِم بِتَكذِيبِ الرُّسُلِ؟

[١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قَبلِ مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ ﴿لَقَالُوا۟﴾ يومَ القِيامَةِ: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المُرسَلَ بها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ في القِيامَةِ ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ في جَهنَّمَ.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ مِنَّا ومِنكُم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: مُنتَظِرٌ مَا يَئُولُ إِليه الأَمْرُ ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ في القِيامَةِ ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾: الطَّرِيقِ ﴿ٱلسَّوِىِّ﴾: المُستَقِيمِ ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ؟ أَنَحنُ أَمْ أَنتم؟

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: مِثْلَ)؛ بزيادة: (أي).

(٢) أي: في تفسيرِ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

(٣) أي: أخذ المصدر، في قولِ المفسِّرِ: «كثيرًا إهلاكنا».

(٤) أي: لا مانعَ منه لغةً؛ لأَنَّ هذا حَلُّ معنًى لا حَلَّ إعرابٍ.

(٥) قال الزمخشريُّ في الكشَّافِ (٣/ ٩٦): «لا يخلُو مِنْ أَنْ يَكونَ مَعطُوفًا على ﴿كَلِمَةٌ﴾ أو على الضَّميرِ في ﴿لَكَانَ﴾؛ أي: لَكَانَ الأَخذُ العَاجِلُ، وأجلٌ مُسَمًّى لَازِمَيْنِ لهم».

(٦) وهو: ﴿لِزَامًا﴾.

(٧) أي: على الصَّلاةِ؛ بِإقامتِها بِحُدودِها وأركَانِها وخُشُوعِها؛ فإنَّ ذلك شَاقٌّ على النَّفس، ولكن ينبغي جِهادُها على ذلكَ والصَّبرُ معها. فالضميرُ في قولِه: ﴿عَلَيْهَا﴾ يَرجِعُ إلى الصَّلاةِ، ولَيسَ إلى: ﴿أَهْلَكَ﴾.

(٨) قرأ نافعٌ وأبو عمرٍو وحفصٌ: ﴿تَأْتِهِم﴾؛ بِالتَّاءِ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَأْتِهِم﴾؛ بالياءِ.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ ترتيبها ٢١ آياتها ١١٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١
مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ
يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ
تُبۡصِرُونَ ٣ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ
ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ
٥ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ
٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا
لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ
ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩
لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠

سُورَةُ الأنبياءِ

مَكِّيَّةٌ، وهي: مِائَةٌ وإحدى، أو: اثنتا عشرةَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱقۡتَرَبَ﴾: قَرُبَ ﴿لِلنَّاسِ﴾: أَهْلِ[١] مَكَّةَ مُنْكِرِي البَعْثِ ﴿حِسَابُهُمۡ﴾: يومُ القِيامَةِ ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ عنه ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ عَنِ التأهُّبِ له بالإيمانِ.

[٢] ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾: شيئًا فشيئًا؛ أي: لَفظِ قُرآنٍ[٢] ﴿إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾: يَستهزِئون.

[٣] ﴿لَاهِيَةٗ﴾: غافِلَةً ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾ عَن معناهُ ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى﴾ أي: الكَلامَ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بَدَلٌ مِن واوِ ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى﴾: ﴿هَلۡ هَٰذَآ﴾ أي: مُحمَّدٌ ﴿إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾؟ فما يأتي به سِحرٌ ﴿أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ﴾: تتَّبِعونَه ﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾: تعلَمونَ أنَّه سِحرٌ؟

[٤] ﴿قُل﴾[٣] لهم: ﴿رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ كائِنًا ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما أسَرُّوهُ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ به.

[٥] ﴿بَلۡ﴾: للانتِقالِ مِن غَرَضٍ إلى آخَرَ، في المواضِعِ الثَّلاثةِ[٤] ﴿قَالُوٓاْ﴾ فيما أتى به مِنَ القُرآنِ: هو ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾: أخلاطٌ، رآها في النَّومِ ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾: اختَلَقَهُ ﴿بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾: فما أتى به شِعرٌ ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ كالنَّاقةِ والعَصا واليَدِ.

[٦] قال تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أي: أهلُها ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ بتكذيبِها ما أتاها مِنَ الآياتِ ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾؟ لا.

[٧] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا [يُوحَى]﴾ - وفي قِراءَةٍ: بالنُّونِ وكَسرِ الحاءِ[٥] - ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ لا مَلائكةً ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: العُلَماءَ بالتَّوراةِ والإنجيلِ ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك فإنَّهم يَعلَمونَه، وأنتم إلى تَصديقِهم أقرَبُ مِن تَصديقِ المُؤمِنينَ بمُحمَّدٍ[٦].

[٨] ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ أي: الرُّسُلَ ﴿جَسَدٗا﴾ بمعنى: أجسادًا ﴿لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ بل يأكُلونَه ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ في الدُّنيا.

[٩] ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ بإنجائِهم ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ﴾ أي: المُصدِّقينَ لهم ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: المُكذِّبينَ لهم.

[١٠] ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ - يا مَعشَرَ قُرَيشٍ - ﴿كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ﴾ لأنَّه بلُغَتِكم ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ فتُؤمِنونَ به؟

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: أهلِ).

(٢) مذهبُ السَّلفِ أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ تعالى حَقيقةً، وكلامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مسموعٌ بحرفٍ وصَوتٍ، كما سمِعه مُوسى عَلَيهِ السَّلَامُ وغيرُه، وأنَّه تعالى لم يزل مُتكلِّمًا بمشيئتِه وإرادتِه، بما شاءَ، وكيفَ شاءَ، وكلامُه بمشيئتِه مِن لَوازمِ ذاتِه المُقدَّسةِ، خِلافًا للأشاعِرةِ القائلينَ بأنَّ القرآنَ معنًى قائمٌ بذاتِ الرَّبِّ، أمَّا الألفاظُ فمخلوقةٌ، وأنَّ كلامَ اللهِ قديمٌ، وأنَّه وَصفٌ قائمٌ بالذَّاتِ، وإنَّما عَبَّرَ عمَّا في نفسِ اللهِ جِبريلُ عَلَيهِ السَّلَامُ، أو مُحمَّدٌ ﷺ، على خِلافٍ بينهم.

(٣) قرأ حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿قَالَ﴾؛ بفتحِ القافِ واللامِ وألِفٍ بينهما. وقرأ بقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿قُلْ﴾؛ بضمِّ القافِ، وسُكونِ اللامِ.

(٤) أي: إنَّ ﴿بَلۡ﴾ الوارِدةَ ثلاثَ مرَّاتٍ في الآيةِ، هي حرفُ عَطفٍ للإضرابِ الانتقاليِّ؛ أي: لِبيانِ انتهاءِ المعنى الأوَّلِ دونَ إبطالِه، والانتقالِ إلى معنًى آخَرَ؛ فهذا إضرابٌ مِنهُم عن كَلامِهِم وذلك مُؤذِنٌ باضطِرابِهِم، وهذا الاضطِرابُ ناشئٌ عَن تَردُّدِهِم بِما يَنتحِلونَهُ مِنَ الاعتِلالِ عَنِ القُرآنِ. ويَجوزُ أن يَكونَ المحكيُّ كَلامَ جَماعاتٍ مِنَ المُشرِكينَ انتحَلَت كُلُّ جَماعةٍ اعتِلالًا. يُنظرُ: التحريرُ والتنويرُ (١٧/ ١٥-١٧).

(٥) ﴿يُوحَى﴾؛ لنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ كذلك لكن مع الإمالةِ، وقرأ حفصٌ: ﴿نُّوحِيٓ﴾؛ بالنُّونِ وكَسرِ الحاءِ.

(٦) صلى الله عليه وسلم.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ
لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾
لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ
مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

٣٢٣

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾: أهلكنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلَها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: كافِرةً ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

[١٢] ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾: شَعرَ أهلُ القَريةِ بِالإهلاكِ ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾: يهربُونَ مُسرِعِينَ.

[١٣] فَقالَتْ لَهمُ الملائِكةُ استِهزاءً: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾: نَعِمتُم ﴿فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ شَيئًا مِنْ دُنياكُم على العَادةِ[١].

[١٤] ﴿قَالُواْ يَا﴾: لِلتنبيهِ ﴿وَيْلَنَآ﴾: هَلاكَنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بِالكُفرِ.

[١٥] ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ الكَلِماتُ ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ يَدعُونَ بها ويُرَدِّدُونَها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ أي: كَالزَّرعِ المَحصُودِ بالمَناجِلِ؛ بِأَنْ قُتِلُوا بِالسَّيفِ[٢] ﴿خَٰمِدِينَ﴾: مَيِّتِينَ؛ كَخُمُودِ النَّارِ إِذَا طَفِئَتْ.

[١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾: عَابِثِينَ، بَلْ دَالِّينَ على قُدرَتِنا، ونَافِعِينَ عِبادَنا.

[١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾: ما يُلْهَى[٣] به مِنْ زَوجَةٍ أو وَلَدٍ ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾: مِنْ عِندِنَا؛ مِنَ الحُورِ العِينِ والمَلائِكَةِ[٤] ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذَلكَ، لَكِنَّا لَمْ نَفعَلْه، فلَمْ نُرِدْهُ.

[١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾: نَرمِي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الإيمَانِ ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾: الكُفرِ ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾: يُذْهِبُه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: ذَاهِبٌ. و«دَمَغَهُ» في الأَصلِ: أَصَابَ دِمَاغَه بِالضَّربِ. وهو مَقتَلٌ. ﴿وَلَكُمُ﴾ -يا كُفَّارَ مَكَّةَ- ﴿ٱلْوَيْلُ﴾: العَذَابُ الشَّدِيدُ ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ اللهَ به مِنَ الزَّوجَةِ أوِ الوَلَدِ.

[١٩] ﴿وَلَهُۥ﴾ -تَعالَى- ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ أي: الملائِكةُ. مُبتَدأٌ، خَبَرُهُ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا يَعْيَونَ.

[٢٠] ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ عنه. فهو منهم كَالنَّفسِ مِنَّا، لا يَشغَلُنا عنه شَاغِلٌ[٥].

[٢١] ﴿أَمِ﴾ بِمَعنَى: «بَلْ»؛ لِلانتِقالِ وهَمزةِ الإنكارِ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ كَائِنَةً ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ كَحَجَرٍ وذَهَبٍ وفِضَّةٍ؟ [أَ][٦] ﴿هُمْ﴾ أي: الآلِهَةُ ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يُحيُونَ المَوتَى؟! لَا. ولا يَكُونُ إِلَهًا إِلَّا مَنْ يُحيِي المَوتَى.

[٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي: السَّماوَاتِ والأَرضِ ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: غَيرُه ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: خَرَجَتا عَنْ نِظَامِهِما المُشَاهَدِ؛ لِوجُودِ التَّمانُعِ بينَهم، على وَفْقِ العَادَةِ، عِندَ تَعدُّدِ الحَاكِمِ، مِنَ التَّمانُعِ في الشَّيءِ، وعَدَمِ الاتِّفاقِ عليه[٧] ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تَنزِيهَ ﴿ٱللَّهِ رَبِّ﴾: خَالِقِ ﴿ٱلْعَرْشِ﴾: الكُرسِيِّ[٨] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ -أي: الكُفَّارُ- اللهَ به، مِنَ الشَّرِيكِ له وغَيرِه!

[٢٣] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ عَنْ أَفعالِهم.

[٢٤] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ -تَعالَى- أي: سِواهُ ﴿ءَالِهَةً﴾؟! فيه استِفهامُ تَوبِيخٍ ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ذَلكَ. ولَا سَبِيلَ إليه ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: أُمَّتِي؛ وهو: القُرآنُ ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ مِنَ الأُمَمِ؛ وهو: التَّوراةُ والإنجِيلُ، وغَيرُهما مِنْ كُتُبِ اللهِ، لَيسَ في وَاحِدٍ منها أَنَّ معَ اللهِ إِلَهًا مِمَّا قَالُوا -تَعالَى عَن ذَلكَ- ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي: تَوحِيدَ اللهِ ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عَنِ النَّظَرِ المُوصِلِ إليه.

---

(١) قال الرَّازيُّ في مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٢٤): «فِيهِ وُجُوهٌ: أَحَدُهَا: أَيِ ارْجِعُوا إِلَى نِعَمِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ، لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ غَدًا عَمَّا جَرَى عَلَيْكُمْ وَنَزَلَ بِأَمْوَالِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ، فَتُجِيبُوا السَّائِلَ عَنْ عِلْمٍ وَمُشَاهَدَةٍ. وَثَانِيهَا: ارْجِعُوا كَمَا كُنْتُمْ فِي مَجَالِسِكُمْ، حَتَّى تَسْأَلَكُمْ عَبِيدُكُمْ وَمَنْ يَنْفُذُ فِيهِ أَمْرُكُمْ وَنَهْيُكُمْ، وَيَقُولُ لكم: بِمَ تَأمرونَ؟ وماذا تَرسمونَ المَخدُومِينَ؟ وَثَالِثُهَا: تَسْأَلُكُمُ النَّاسُ فِي أَنْدِيَتِكُمْ، لِتُعَاوِنُوهُمْ فِي نَوَازِلِ الْخُطُوبِ، وَيَسْتَشِيرُونَكُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ، وَيَسْتَعِينُونَ بِآرَائِكُمْ. وَرَابِعُهَا: يَسْأَلُكُمُ الْوَافِدُونَ عَلَيْكُمْ وَالطَّامِعُونَ فِيكُمْ؛ إِمَّا لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَسْخِيَاءَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَطَلَبَ الثَّنَاءِ، أَوْ كَانُوا بُخَلَاءَ؛ فَقِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ تَهَكُّمًا إِلَى تَهَكُّمٍ، وَتَوْبِيخًا إِلَى تَوْبِيخٍ».

(٢) قاله مُقاتلٌ (٣/ ٧٣)، ونقلَه عنه عبدُ الرزَّاق (٢/ ٣٨٢) قالَ: «ضَرْبًا بِالسَّيْفِ». وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بالسُّيوف).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: ما يُلهَى).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مِنَ الحُورِ العِينِ [والولدانِ] والملائكةِ)؛ بِزِيادةِ: (والوِلدَانِ)، وكأنَّه استنكرَها؛ حيثُ وَضَعها بين مَعكُوفَين.

(٥) رَوى الطَّبَريُّ (١٦/ ٢٤٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ عَنْ كعبٍ، في تفسيرِ الآيةِ، قالَ: «فَإِنَّهُمْ أُلْهِمُوا التَّسْبِيحَ؛ كَمَا أُلْهِمْتُمُ الطَّرْفَ وَالنَّفَسَ».

(٦) زيادةُ أداةِ الاستفهامِ (أ) لَيست في الأَصْلِ. وأَثبتنَاها مِن نُسخَةِ قَبَاوَة؛ لمناسبةِ السِّياقِ والاستفهامِ.

(٧) يُشِيرُ بذلكَ إلى ما يذكرُه المتكلِّمُونَ مِن دَليلِ التَّمانُعِ، وهو استدلالٌ في غيرِ محلِّه، كما بين ذلكَ شارحُ الطحاويةِ، وذلكَ أنَّهم يَستَدِلُّونَ بالآيةِ على تَوحيدِ الرُّبوبيَّةِ وتَفرُّدِ الخالِقِ، بينما الآيةُ في إثباتِ وَحدانيَّته -سُبحَانَهُ- في أُلوهيَّتِه.

(٨) جَرَى الجلالانِ -السُّيوطيُّ والمحلِّي- على القولِ: بأنَّ العَرشَ والكُرسِيَّ شيءٌ واحدٌ، والصَّحِيحُ أنَّ العَرشَ غيرُ الكُرسِيِّ وأكبرُ منه. كما هو ظاهرُ الأحاديثِ. ورَاجِعِ التعليقاتِ على آيةِ الكُرسيِّ رقم (٢٥٥) مِنْ سُورَةِ البَقَرةِ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ
بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم
بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ
جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ
آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ربع الحزب ٣٣

[٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا [يُوحَىٰ]﴾ - وفي قِراءَةٍ: بِالنُّونِ وكَسرِ الحاءِ(١)- ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: [وحِّدُونِ](٢).

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ مِنَ المَلائِكَةِ ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ﴾ هُمْ ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ عِندَه- والعُبُودِيَّةُ تُنَافي الوِلادَةَ-.

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لَا يَأْتونَ بِقَولِهم إِلَّا بعدَ قَولِه ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بَعدَه.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما عَمِلُوا ومَا هم عَامِلُونَ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ -تَعالَى- أَنْ يُشفَعَ له ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ﴾ -تَعالَى- ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خَائِفُونَ.

[٢٩] ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ؛ أي: غيره- وهو: إِبلِيسُ(٣)، دَعَا إلى عِبادَةِ نَفسِه، وأَمَرَ بِطَاعَتِها- ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ﴾: كَما نَجزِيهِ ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: المُشرِكِينَ.

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ﴾ - بِوَاوٍ وتَرْكِها(٤)- ﴿يَرَ﴾: يَعلمِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: سَدًّا؛ بِمَعنَى: مَسدُودَةً ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: جَعَلنَا السَّماءَ سَبْعًا والأَرضَ سَبْعًا(٥). أو فَتْقُ السَّماءِ أَنْ كَانَت لَا تُمطِرُ فأَمطَرَتْ، وفَتْقُ الأَرضِ أَنْ كَانَتْ لا تُنبِتُ فَأَنبَتَتْ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ النَّازِلِ مِنَ السَّماءِ والنَّابعِ مِنَ الأَرضِ ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ نَباتٍ وغَيرِه؛ أي: فَالمَاءُ سَبَبٌ لِحَيَاتِه(٦)؟ ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِتَوحِيدِي؟!

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جِبالًا ثَوابِتَ؛ لِـ﴿أَن﴾ لَا ﴿تَمِيدَ﴾: تَتحرَّكَ ﴿بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: الرَّواسِي ﴿فِجَاجًا﴾: مَسالِكَ ﴿سُبُلًا﴾: بَدَلٌ؛ أي: طُرُقًا نَافِذَةً واسِعَةً ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مَقاصِدِهم في الأَسفَارِ.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ لِلأَرضِ؛ كَالسَّقفِ لِلبَيتِ ﴿مَّحْفُوظًا﴾ عَنِ الوُقُوعِ ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ مِنَ الشَّمسِ والقَمَرِ والنُّجُومِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾: لا يَتفَكَّرُون فيها؛ فَيعلَمُونَ أَنَّ خالِقَها لَا شَرِيكَ له.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ - تَنوِينُه عِوَضٌ عَنِ(٧) المُضافِ إليه، [أي: كُلٌّ](٨) مِنَ الشَّمسِ والقَمَرِ وتَابِعِه؛ وهو: «النُّجُومُ»- ﴿فِي فَلَكٍ﴾ أي: مُستَدِيرٍ؛ كَالطَّاحُونَةِ في السَّماءِ ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَسِيرُونَ بِسُرعَةٍ؛ كالسَّابِحِ في المَاءِ. ولِلتَّشبِيهِ به أَتَى بِضَمِيرِ جَمعِ مَنْ يَعقِلُ.

[٣٤] ونَزَلَ، لَمَّا قَالَ الكُفَّارُ: «إِنَّ مُحَمَّدًا سَيَمُوتُ»(٩): ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ أي: البَقَاءَ في الدُّنيا ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ فيها؟! لَا. فالجُملَةُ الأَخِيرَةُ مَحَلُّ الاستِفهامِ الإِنكَارِيِّ.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدُّنيا ﴿وَنَبْلُوكُم﴾: نَختَبِرُكُم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ كَفَقرٍ وغِنًى، وسِقَمٍ وصِحَّةٍ ﴿فِتْنَةً﴾: مَفعُولٌ له؛ أي: لِنَنظُرَ أَتَصبِرُونَ وتَشكُرُونَ أم لا؟ ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فَنُجازِيكُم.

---

(١) ﴿نُوحِي﴾؛ بِالنُّونِ وكَسرِ الحاءِ: قِراءَةُ حفصٍ، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ بِالنُّونِ وكَسرِ الحاءِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِاليَاءِ وفَتحِ الحاءِ؛ ﴿يُوحَىٰ﴾.

(٢) في الأَصلِ: (وحِّدوني)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٣) قالَه الضحَّاكُ، كما رواهُ عنه ابنُ أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٠)؛ «قَالَ: ولَم يَقلْ ذَلِكَ أَحدٌ مِنَ الملائِكَةِ إِلَّا إِبليسُ»، وقالَه مقاتلٌ كما في تفسيرِه (٣/ ٧٦). والصَّحيحُ أَنَّ إِبليسَ لَيسَ مِنَ الملائكةِ. ويُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآية (٥٠) مِن سُورةِ الكَهفِ.

(٤) ﴿أَلَمْ﴾؛ بِتركِ الوَاوِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ.

(٥) رَوى الطَّبَريُّ (١٦/ ٢٥٥) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ: «قَوْلُهُ: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾؛ يَقُولُ: مُلْتَصِقَتَيْنِ».

(٦) قال القَاضِي كنعان في قُرةِ العَينَينِ (ص٤٢٣): «... هذا التفسيرُ... غيرُ مُطابِقٍ لِنَصِّ الآيَةِ؛ إِذْ لو كانَ المعنَى كما ذَكَرَه المَحلِّيُّ؛ لكانَ لَفظُ الآيَةِ: «وجَعلنَا مِنَ الماءِ، أو بِالماءِ، كلَّ شيءٍ حيًّا»، وليس كذلكَ؛ فقد جاءَ لفظُ «حيٍّ» بِالجرِّ صِفةً لِـ«شيءٍ»، وقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا﴾ بِمعنَى: «خَلقنَا»؛ أي: خَلقنَا كلَّ شيءٍ حيٍّ مِن الماءِ» ... يؤيدُ قولَه تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور:٤٥] ...» انتهى كلامُه بتصرفٍ يسيرٍ.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مِنَ).

(٨) عبارةُ: (أي: كلٌّ) لَيستْ في الأَصلِ، وأثبتناها مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٩) لَم نَقِف عليه مُسندًا. وقال الرازيُّ في مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٤٢): «فَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: قَالَ مُقَاتِلٌ: أَنَّ أُنَاسًا كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَمُوتُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَثَانِيهَا: كَانُوا يُقَدِّرُونَ أَنَّهُ سَيَمُوتُ فَيَشْمَتُونَ بِمَوْتِهِ، فَنَفَى اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الشَّمَاتَةَ بِهَذَا؛ أَيْ قَضَى اللهُ تَعَالَى أَنْ لَا يُخَلَّدَ فِي الدُّنْيَا بَشَرًا؛ فَلَا أَنْتَ وَلَا هُمْ إِلَّا عُرْضَةٌ لِلْمَوْتِ، أَفَإِنْ مِتَّ أَنْتَ أَيَبْقَى هَؤُلَاءِ؟ لَا. وَثَالِثُهَا: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ أَنَّهُ عليه السلام خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ جَازَ أَنْ يُقَدِّرَ مُقَدِّرٌ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ؛ إِذْ لَوْ مَاتَ لَتَغَيَّرَ شَرْعُهُ؛ فَنَبَّهَ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَنَّ حَالَهُ كَحَالِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الْمَوْتِ». وقال البغويُّ (٥/ ٣١٨): «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حِينَ قَالُوا: نَتَرَبَّصُ بِمُحَمَّدٍ رَيْبَ الْمَنُونِ».

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا[١]﴾ أي: مَهْزُوءًا به، يَقُولُونَ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أي: يَعِيبُها ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لهم ﴿هُمۡ﴾: تأكِيدٌ ﴿كَٰفِرُونَ﴾ به؛ إذْ قَالُوا: ما نعرِفُه.

[٣٧] وَنَزَلَ في استِعجَالِهِمُ العَذَابَ[٢]: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ أي: أنَّه لِكَثْرَةِ عَجَلِه[٣] في أحوَالِه كَأَنَّه خُلِقَ منه ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي﴾: مَوَاعِيدِي بِالعَذَابِ ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ فيه. فأَرَاهُمُ القَتْلَ بِبَدْرٍ.

[٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ بِالقِيَامَةِ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؟

[٣٩] قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾: يَدْفَعُونَ ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُونَ منها في القِيَامَةِ- وجَوابُ ﴿لَوۡ﴾: ما قَالُوا ذلكَ-.

[٤٠] ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾ القِيَامَةُ ﴿بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾: تُحَيِّرُهم ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلُونَ لِتَوبَةٍ أو مَعذِرَةٍ.

[٤١] ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ - فيه تَسلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ- ﴿فَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ وهو العَذَابُ. فكَذا يَحِيقُ بِمَنِ استهزَأَ بكَ.

[٤٢] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿مَن يَكۡلَؤُكُم﴾: يَحفَظُكُم ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: مِنْ عَذَابِه، إنْ نَزَلَ بِكُم؟؛ أي: لَا أحَدَ يَفعَلُ ذلك. والمُخَاطَبُونَ لَا يَخافُونَ عَذَابَ اللهِ؛ لِإنكَارِهم له[٤] ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم﴾ أي: القُرآنِ ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾: لا يَتفكَّرُونَ فيه.

[٤٣] ﴿أَمۡ﴾ فِيها مَعنَى الهَمزَةِ لِلإِنكَارِ؛ أي: أ﴿لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم﴾ مِمَّا يَسُوؤُهم ﴿مِّن دُونِنَاۚ﴾ أي: أَلَهُمْ مَنْ يَمنَعُهم منه غيرُنا؟ لا. ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أي: الآلِهَةُ ﴿نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ﴾ فلا ينصُرُونَهم ﴿وَلَا هُم﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿مِّنَّا﴾: مِنْ عَذابِنَا ﴿يُصۡحَبُونَ﴾: يُجَارُونَ. يُقالُ: صَحِبَكَ اللهُ؛ أي: حَفِظَكَ وأَجَارَكَ.

[٤٤] ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾ بِمَا أنعمنا عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ﴾ فاغتَرُّوا بِذَلكَ ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾: نَقصِدُ أرضَهم ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾ بِالفَتحِ عَلى النَّبِيِّ؟ ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾؟ لا؛ بَلِ النَّبِيُّ[٥] وأَصحابُه.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: ﴿هُزُؤًا﴾ بِضَمِّ الزَّايِ وبالهَمزِ، وهي قِرَاءةُ السَّبْعَةِ عَدا حمزةَ وحفصٍ، وقَرَأَ حمزةُ وَصْلًا ﴿هُزْءًا﴾ بالهَمزِ مَع سُكونِ الزَّايِ، وأمَّا وَقفًا فَلَه وَجهانِ: ﴿هُزْوًا﴾ ﴿هُزًا﴾، وقَرَأَ حفصٌ: ﴿هُزُوًا﴾ بِضَمِّ الزَّايِ وإِبدَالِ الهَمزَةِ وَاوًا.

(٢) قاله مُقاتلٌ في تَفسِيرِه (٣/ ٧٩): «فلمَّا استعجلَ كُفَّارُ مَكَّةَ العَذابَ في الدُّنيا نَزلَتْ: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾».

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (عَجَلَته).

(٤) ويَحتمِلُ أنْ يكونَ المعنى: أي: مَنْ يَحرسُكُم ويَحفَظُكم ﴿بِٱلَّيۡلِ﴾ حالَ نَومِكم ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾ وَقتَ انتشارِكم وغَفلتِكم ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: بَدَلَ الرَّحمنِ؛ أي: هل يَحفَظُكم أحدٌ غيرُه؟! لا حَافِظَ إلَّا هو. تيسير الكريم الرحمن (ص٥٦٥) بتصرُّف يسير.

(٥) صلى الله عليه وسلم.

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ
مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا
بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾
وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ٣٣

[٤٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ مِنَ اللهِ، لا مِنْ قِبَلِ نَفسِي ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ - بِتحقيقِ الهَمزَتينِ، وتَسهيلِ الثَّانِيَةِ بينَها وبَينَ الياءِ[1] - ﴿مَا يُنذَرُونَ﴾ أي: هُم؛ لِتَرْكِهِم العَمَلَ بِما سَمِعُوه مِنَ الإنذارِ؛ كَالصُّمِّ.

[٤٦] ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾: وَقْعَةٌ خَفِيفَةٌ ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا﴾: لِلتَنبيهِ ﴿وَيْلَنَآ﴾: هَلاكَنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بالإِشرَاكِ وَتكذيبِ مُحَمَّدٍ[2].

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾[*]: ذَوَاتِ العَدْلِ ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ مِنْ نَقْصِ حَسَنَةٍ، أو زِيَادَةِ سَيِّئَةٍ ﴿وَإِن كَانَ﴾ العَمَلُ ﴿مِثْقَالَ﴾: زِنَةَ ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾: بِموزُونِها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: مُحصِينَ في كُلِّ شَيءٍ.

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي: التَّوراةَ: الفَارِقَةَ بَينَ الحَقِّ والبَاطِلِ، والحَلالِ والحَرَامِ ﴿وَضِيَآءً﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾: عِظَةً[3] بها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ عَنِ النَّاسِ؛ أي: في الخَلَاءِ عنهم ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: أهوَالِها ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خَائِفُونَ.

[٥٠] ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القُرآنُ ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾؟ الاستِفهَامُ فيه لِلتَوبِيخ.

[٥١] ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: هُدَاهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ[4] ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ بِأَنَّه أهلٌ لِذلكَ.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: الأَصنامُ ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾؟ أي: عَلى عِبَادَتِها مُقِيمُونَ؟

[٥٣] ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فَاقْتَدَينا بِهم.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ بِعِبَادَتِها ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بَيِّنٍ.

[٥٥] ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ في قَولِكَ هذا ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ فيه؟

[٥٦] ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ﴾ المُستَحِقُّ لِلعِبَادَةِ ﴿رَبُّ﴾: مَالِكُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾: خَلَقَهُنَّ على غَيرِ مِثَالٍ سَبَقَ ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي قُلتُه ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ به.

[٥٧] ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها، أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الفَضْلُ». قَالَ: فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ الآيةَ؟». فَقَالَ الرَّجُلُ: والله، يَا رَسُولَ الله، مَا أَجِدُ لِي وَلَهُمْ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ. الترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٢) سورة الأنبياء. وصحَّح الألبانيُّ إسنادَه في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٣١).

---

(١) تحقيقُ الهمزَتَينِ هو قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وعاصمٍ وابنِ عامرٍ، وأمَّا تسهيل الثانية فهو قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٢) صلى الله عليه وسلم.

(٣) في نُسْخَةِ قبَاوَة: (أي: عِظَة).

(٤) قاله مجاهدٌ، كما في تفسيره (ص٤٧٢) في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يَقُولُ: «هَدَيْنَاهُ صَغِيرًا». ونقله الطبريُّ عنه (١٦/ ٢٩٠).

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا
بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ
فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا
عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعدَ ذَهابِهم إلى مُجتَمَعِهم في يومِ عِيدٍ لَهُم[١] ﴿جُذَٰذًا﴾ بِضَمِّ الجيمِ وكَسرِها[٢]: فُتاتًا بِفَأسٍ[٣] ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ عَلَّقَ الفَاسَ في عُنُقِه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكَبِيرِ[٤] ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيَرونَ ما فُعِلَ بِغَيرِه. [٥٩] ﴿قَالُوا﴾ بَعدَ رُجُوعِهم، ورُؤيَتِهم مَا فُعِلَ: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فيه؟ [٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: بَعضُهم لِبَعضٍ: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يَعِيبُهم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾. [٦١] ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: ظَاهِرًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنَّه الفَاعِلُ. [٦٢] ﴿قَالُوا﴾ له بَعدَ إتيانِه: ﴿أَأَنتَ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإِبدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا وتَسهِيلِها، وإدخَالِ أَلِفٍ بَينَ المُسَهَّلَةِ والأُخرَى، وتَركِه[٥]- ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾؟ [٦٣] ﴿قَالَ﴾ سَاكِتًا عَنْ فِعلِه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾ عَنْ فَاعِلِه ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[*] فيه تَقدِيمُ جَوابِ الشَّرطِ، وفِيما قَبلَه[٦] تَعرِيضٌ لَهم بِأَنَّ الصَّنَمَ المَعلُومَ عَجزُهُ عَنِ الفِعلِ لَا يَكُونُ إِلَهًا! [٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بِالتَّفَكُّرِ ﴿فَقَالُوا﴾ لِأَنفُسِهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: بِعِبَادَتِكُم مَنْ لَا يَنطِقُ. [٦٥] ﴿ثُمَّ نُكِسُوا﴾ مِنَ اللهِ ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: رُدُّوا إلى كُفرِهم، وقَالُوا: واللهِ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فَكَيفَ تَأمُرُنا بِسُؤَالِهم؟ [٦٦] ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بَدلَه[٧] ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ مِنْ رِزقٍ وغَيرِه ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شَيئًا إِذَا[٨] لَمْ تَعبُدُوه؟ [٦٧] ﴿[أُفٍّ]﴾ -بِكَسرِ الفَاءِ، وفَتحِها[٩]- بِمَعنَى مَصدَرٍ؛ أي: نَتْنًا وقُبحًا ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ هذه الأَصنَامَ لا تَستَحِقُّ العِبَادَةَ، ولا تَصلُحُ لَها، وإِنَّما يَستَحِقُّها اللهُ تَعالَى؟ [٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهِيمَ ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بِتَحرِيقِه ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ نُصرَتَها. فَجَمَعُوا له الحَطَبَ الكَثِيرَ، وأَضرَمُوا النَّارَ في جَمِيعِه، وأَوثَقُوا إبراهِيمَ، وجَعَلُوه في مَنجَنِيقٍ[١٠]، ورَمَوه في النَّارِ. [٦٩] قال تَعالَى[١١]: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فلَمْ تُحرِقْ مِنه غَيرَ وَثَاقِه[١٢]، وذَهَبَتْ حَرَارَتُها وبَقِيَتْ إِضَاءَتُها. وبِقَولِه: ﴿وَسَلَامًا﴾ سَلِمَ مِنَ المَوتِ بِبَردِها. [٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ - وهُوَ التَّحرِيقُ- ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مُرَادِهم. [٧١] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابنَ أَخِيه «هَارَانَ»، مِنَ العِرَاقِ[١٠] ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بِكَثرَةِ الأَنهَارِ والأَشجَارِ- وهِيَ: الشَّامُ[١٣]. نَزَلَ إِبرَاهِيمُ بِفِلَسطِينَ، ولُوطٌ بِالمُؤتَفِكَةِ[١٤]، وبَينَهما يَومٌ-. [٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي[١٥]: لِإِبرَاهِيمَ -وكَانَ سَأَلَ وَلَدًا، كَما ذُكِرَ في «الصَّافَّاتِ»[١٦]- ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زِيَادَةً عَلى المَسئُولِ، أو هُوَ وَلَدُ الوَلَدِ ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو ووَلَدَاهُ ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾: أَنبِيَاءَ[١٧].

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ...» الحديثُ. مُسلِمٌ - كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤١) مِن فضائلِ إبراهيمَ الخَليلِ.

---

(١) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨/ ٤٥٧) عَنْ مُجاهِدٍ. ونقله عنِ السُّدِّيِّ (١٨/ ٤٥٨). وذكَرَه كثيرٌ مِنَ المُفسِّرينَ دُونَ عَزوِهِ لأحدٍ؛ منهم ابن كثيرٍ (٥/ ٣٤٨)، والشوكانيُّ في فتح القدير (٣/ ٤٨٨)؛ قال: «قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: كَانَ لَهُمْ عِيدٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ: لَوْ خَرَجْتَ مَعَنَا إِلَى عِيدِنَا أَعْجَبَكَ دِينُنَا، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ...».

(٢) ﴿جِذَٰذًا﴾؛ بِكَسرِ الجِيمِ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿جُذَٰذًا﴾؛ بِضَمِّها. (٣) عزاهُ الطبريُّ (١٨/ ٤٥٩) لمجاهدٍ؛ قال: «وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ الْفَأْسَ الَّتِي أَهْلَكَ بِهَا أَصْنَامَهُمْ مُسْنَدَةً إِلَى صَدْرِ كَبِيرِهِمُ الَّذِي تَرَكَ...». (٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (كبيرهم)؛ بدونِ: (إلى). (٥) حَاصِلُ ما ذكر المُفسِّرُ خمسُ قِراءاتٍ، وكُلُّها سبعيَّةٌ.

(٦) أي: في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾. (٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (غيرَه). (٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إن). (٩) ﴿أُفَّ﴾ بِالفتحِ وبِدونِ تنوينٍ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ، وبِالكَسرِ كذلكَ؛ بِدونِ تنوينٍ؛ ﴿أُفِّ﴾: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ وأبي عَمرٍو وشُعبةَ، وبِالكَسرِ مَعَ التنوينِ؛ ﴿أُفٍّ﴾: قِرَاءَةُ نافعٍ وحفصٍ. فالقِراءاتُ ثَلاثٌ، وكُلُّها سبعيَّةٌ.

(١٠) قاله يحيى بنُ سلام في تَفسيرِه (٢/ ٨٣٧): «بَلَغَنِي أَنَّهُمْ رَمَوْا بِهِ فِي الْمَنْجَنِيقِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا صُنِعَ الْمَنْجَنِيقُ». وقال البغويُّ (٥/ ٣٢٧): «وَرُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حِينَ أَوْثَقُوهُ لِيُلْقُوهُ فِي النَّارِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، رَبُّ الْعَالَمِينَ، لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الْمُلْكُ، لَا شَرِيكَ لَكَ، ثُمَّ رَمَوْا بِهِ فِي الْمَنْجَنِيقِ إِلَى النَّارِ». قال الألبانيُّ في سلسلةِ الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ (١/ ٧٤): «ذكره البغويُّ في تفسيرِ سورةِ الأنبياءِ مُشيرًا لِضعفِه فقالَ: رُويَ عن كَعبِ الأحبارِ: «أَنَّ إبراهيمَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ... لمَّا رَمَوا به في المنجنيقِ إلى النَّارِ...».

(١١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (الله تعالى). (١٢) رواهُ الطبريُّ (١٦/ ٣٠٨) عَن كعبِ الأحبارِ؛ قال: «قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: مَا أَحْرَقَتِ النَّارُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ شَيْئًا غَيْرَ وَثَاقِهِ الَّذِي أَوْثَقُوهُ بِهِ».

(١٣) عزاهُ البغويُّ في تَفسيرِه (٥/ ٣٣٠) لابنِ إسحاقَ. ورَوَاهُ ابنُ جريرٍ (١٦/ ٣١٢) عَنْ قَتادَةَ، قال: «كَانَا بِأَرْضِ الْعِرَاقِ، فَأُنْجِيَا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ»، وأخرجَه عَنِ ابنِ جُرَيجٍ (١٦/ ٣١٤).

(١٤) يُنظَرُ التعليقُ السابقُ. (١٥) كلمةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة. (١٦) هي قُرى قومِ لُوطٍ؛ سُمِّيَتْ بذلكَ لِأَنَّ الله تعالى جعلَ عاليَها سافِلَها.

(١٦) في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]. (١٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: أنبياء).

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ (٧٣) وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
(٧٥) وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ (٧٧) وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ
إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ (٧٨)
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ (٧٩)
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ (٨١)

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ -بِتَحقِيقِ الهمزَتَينِ، وإِبدَالِ الثَّانِيَةِ ياءً(١)-: يُقْتَدى بِهِم في الخَيرِ ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى دِينِنا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: أن تُفعَلَ وَتُقَامَ وَتُؤتَى منهم ومِنْ أتباعِهم. وَحَذْفُ هاءِ «إِقَامَة» تَخْفِيفٌ ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

[٧٤] ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: فَصلًا بَينَ الخُصومِ ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ﴾ أي: أَهلُها الأعمالَ ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ مِنَ اللِّوَاطِ، والرَّمْيِ بِالبُندُقِ، واللَّعبِ بِالطُّيورِ وغَيرِ ذَلك(٢) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾: مَصدَرُ: «سَاءَهُ»، نَقِيضِ: «سَرَّهُ» ﴿فَٰسِقِينَ﴾.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ بِأَنْ أنجيناه مِنْ قَومِه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[٧٦] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿نُوحًا﴾ - ومَا بَعدَه بَدَلٌ منه- ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾: دَعَا عَلَى قَومِه بِقَولِه: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ﴾(٣) إلخ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِ إِبرَاهِيمَ ولُوطٍ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ الذِينَ في سَفِينَتِه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الغَرَقِ، وتَكذِيبِ قَومِهِ له.

[٧٧] ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾: مَنَعناه ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدَّالَّةِ عَلى رِسَالَتِه، أَنْ لَا يَصِلُوا إِليه بِسُوءٍ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ أي: قِصَّتَهما. ويُبدَلُ منهما: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ هو زَرْعٌ أو كَرْمٌ ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: رَعَتْهُ لَيلًا بِلَا رَاعٍ؛ بِأَنِ انفلَتَت ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ - فيه استِعمَالُ ضَمِيرِ الجَمعِ لِاثنَينِ. قَالَ دَاودُ: لِصَاحِبِ الحَرثِ رِقَابُ الغَنَمِ. وقَالَ سُلَيمَانُ: يَنتَفِعُ بِدَرِّهَا ونَسلِها وصُوفِها إِلى أَن يَعُودَ الحَرثُ كَمَا كَانَ بِإِصلَاحِ صَاحِبِها، فيَرُدَّها إِليه(٤)-.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي: الحُكُومَةَ ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ - وحُكْمُهما باجتِهادٍ، ورَجَعَ دَاودُ إلى سُلَيمَانَ، وقِيلَ: بِوَحيٍ، والثَّاني نَاسِخٌ لِلأَوَّلِ- ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا﴾هُ ﴿حُكْمًا﴾: نُبُوَّةً ﴿وَعِلْمًا﴾ بِأُمُورِ الدِّينِ ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كَذَلِكَ، سُخِّرَا لِلتَّسبِيحِ معَه؛ لِأَمْرِه به(٥) إِذَا وَجَدَ فَتْرَةً(٦) لِيَنشَطَ له ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ تَسْخِيرَ تَسبِيحِها معه، وإِنْ كَانَ عَجَبًا عِندَكُم؛ أي: مُجَاوَبَته(٧) لِلسيِّدِ دَاودَ.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدِّرعُ؛ لِأَنَّها تُلبَسُ- وهو أَوَّلُ مَنْ صَنَعَها، وكانَ قَبلَها صَفَائِحُ(٨)- ﴿لَّكُمْ﴾ في جُملَةِ النَّاسِ ﴿[لِنُحْصِنَكُم]﴾ بِالنُّونِ(٩): للهِ، وبِالتَّحتَانِيَّةِ(١٠): لِدَاودَ، وبِالفَوقَانِيَّةِ: لِلَبُوسِ(١١) ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾: حَربِكُم مَعَ أعدائِكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ - يَا أهلَ مَكَّةَ- ﴿شَٰكِرُونَ﴾ نِعمَتِي بِتَصدِيقِ الرَّسُولِ؟ أي: اشكُرُونِي بِذَلكَ.

[٨١] ﴿وَ﴾ سَخَّرنَا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ - وفي آيَةٍ أُخرَى: ﴿رُخَآءً﴾(١٢)- أي: شَدِيدَةَ الهُبُوبِ وخَفِيفَتَه(١٣)، بِحَسَبِ إِرَادَتِه ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهِيَ الشَّامُ ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ مِنْ ذلكِ: عِلْمُه -تَعالى- بِأَنَّ ما يُعطِيهِ سُلَيمَانَ يَدْعُوهُ إِلى الخُضُوعِ لِرَبِّه؛ فَفَعَلَهُ -تَعَالَى- على مُقتَضَى عِلْمِه.

---

(١) قرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو بِالتسهيلِ بينَ بينَ، وذَهَبَ بعضُ أهلِ الأداءِ إلى إبدالِ الهَمزةِ الثَّانيةِ ياءً خَالِصَةً، وهكذا في جميعِ المَواضِعِ التي وَرَدَتْ فيها الكلمةُ وهي خمسةٌ.

(٢) أخرجَ ابنُ عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ٣٢٢) عَنِ الحَسَنِ البَصريِّ مُرسَلًا: «عَشْرُ خِصالٍ عَمِلتها قومُ لوطٍ بها أُهلِكوا، وتَزيدُها أُمَّتي بخلَّةٍ: إتيانُ الرِّجالِ بَعضِهم بَعضًا، ورَميُهم بالجلاهِقِ، والخذفُ، ولَعِبُهم بالحَمامِ، وضَربُ الدُّفوفِ، وشُربُ الخُمورِ، وقَصُّ اللحيةِ، وطُولُ الشَّاربِ، والصَّفيرُ والتَّصفيقُ، ولِباسُ الحَريرِ، وتَزيدُها أُمَّتي بِخلَّةٍ: إتيانُ النِّساءِ بَعضِهنَّ بَعضًا». الجلاهِقُ: البُندقُ المَعمُولُ مِنَ الطِّينِ. وقالَ الألبانيُّ في ضعيفِ الجامع (٣٧١١): مَوضُوعٌ.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) قاله مُقاتلٌ كما في تَفسِيرِه (٣/ ٨٨)، وعزاه الطبريُّ (٨/ ٤٧٦) لمجاهدٍ. ورَواه أيضًا (١٨/ ٤٧٥-٤٧٦) عَنِ ابنِ مَسعودٍ وابنِ عَبَّاسٍ موقوفًا.

(٥) أي: لِأَمرِ داودَ الجبالَ والطيرَ.

(٦) أي: فتورًا.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة، وبِعضِ النُّسَخِ المطبوعَةِ: (مجاوبة).

(٨) رَوى عبدُ الرزَّاقِ (٢/ ٣٨٩)، وابنُ جرير (١٦/ ٣٢٩)، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾، قَالَ: «كَانَتْ صَفَائِحَ، فَأَوَّلُ مَنْ سَرَدَهَا وَحَلَّقَهَا دَاوُدُ».

(٩) وهي قِراءةُ شُعبةَ.

(١٠) ﴿لِيُحْصِنَكُم﴾، وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو والكِسَائِيِّ، وقرأ حفصٌ وابنُ عامرٍ: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾، بِالتَّاءِ.

(١١) وذلك رَدًّا على المعنَى، لأنَّ اللبوسَ: الدِّرع، والدِّرعُ مُؤنَّثةٌ، وقيلَ: رَدًّا على الصِّيغَةِ.

(١٢) سورة ص: ٣٦.

(١٣) قولُه: «شَدِيدَةُ الهُبوبِ» رَاجعٌ إلى قولِه تعالى: ﴿عَاصِفَةً﴾، وقولُه: «خفيفته» رَاجعٌ إلى قوله تعالى: ﴿رُخَآءً﴾.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ
رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ
﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

الحزب ٣٣

[٨٢] ﴿وَ﴾ سخَّرنا ﴿مِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: يَدْخُلُونَ في البَحْرِ، فيُخرِجُونَ منه الجَواهِرَ لِسُلَيْمانَ ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: سِوَى الغَوْصِ؛ مِنَ البِنَاءِ وغَيرِه ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾ مِنْ أنْ يُفْسِدُوا مَا عَمِلُوا؛ لِأَنَّهم كَانُوا إذا فَرَغُوا مِنْ عَمَلٍ قَبلَ اللَّيلِ أفسَدُوه، إن لَم يَشتَغِلُوا بِغَيرِه[1].

[٨٣] ﴿۞ وَ﴾ اذْكُرْ ﴿أَيُّوبَ﴾ ويُبدَلُ منه: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ لَمَّا ابْتُلِيَ بِفَقدِ جَمِيعِ مَالِه وَوَلَدِه، وتَمزِيقِ جَسَدِه، وَهَجْرِ جَمِيعِ النَّاسِ له إِلَّا زَوجَتَه، سِنينَ ثَلَاثًا أو سَبعًا أو ثَمانِيَ عَشْرةَ، وَضِيقِ عَيشِه[2] ﴿أَنِّي﴾ بِفَتحِ الهَمزَةِ؛ بِتَقدِيرِ البَاءِ ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: الشِّدَّةُ ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

[٨٤] ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نِدَاءَه[3] ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾: أولَادَه الذُّكُورَ والإِنَاثَ؛ بِأَنْ أُحْيُوا له[4]، وكُلٌّ مِنَ الصِّنفَينِ ثَلَاثٌ أو سَبعٌ[5] ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ مِن زَوجَتِه، وَزِيدَ في شَبَابِها[6]. «وكان له أَندَرٌ لِلقَمحِ وأَندَرٌ لِلشَّعِيرِ؛ فبَعَثَ اللهُ سَحابَتَينِ، أَفرَغَتْ إِحدَاهُما عَلَى أَندَرِ القَمحِ الذَّهَبَ، وأَفرَغَتِ الأُخرَى على أَندَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ، حتَّى فَاضَ»[7] ﴿رَحۡمَةٗ﴾: مَفعُولٌ له ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾: صِفَةٌ ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ لِيَصبِرُوا؛ فيُثَابُوا.

[٨٥] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على طَاعَةِ اللهِ وعَنْ مَعَاصِيه.

[٨٦] ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ﴾ مِنَ النُّبُوَّةِ[8] ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لها. وَسُمِّيَ ذَا الْكِفْلِ؛ لِأَنَّه تَكَفَّلَ بِصِيَامِ جَمِيعِ نَهارِه وقِيَامِ جَمِيعِ لَيلِه، وأَنْ يَقضِيَ بَينَ النَّاسِ ولَا يَغضَبَ؛ فَوَفَى بذلكَ. وقِيلَ: لَم يَكُنْ نَبِيًّا[9].

[٨٧] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿ذَا ٱلنُّونِ﴾: صَاحِبَ الحُوتِ- وهو: يُونُسُ بنُ مَتَّى- ويُبدَلُ منه: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ لِقَومِه؛ أي: غَضبَانَ عليهم؛ مِمَّا قَاسَى منهم، ولَمْ يُؤْذَنْ له في ذلكَ ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي: نَقضِيَ عليه بِمَا قَضَيناه مِنْ حَبْسِه في بَطنِ الحُوتِ، أو نُضَيِّقَ عليه بِذلِكَ ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظُلمَةِ اللَّيلِ، وظُلمَةِ البَحْرِ، وظُلمَةِ بَطْنِ الحُوتِ[10] ﴿أَن﴾ أي: بِأَنْ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في ذَهَابِي مِنْ بَين قَومِي بِلَا إِذْنٍ.

[٨٨] ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ بِتِلكَ الكَلِماتِ[11] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كَمَا نَجَّيناهُ[12] ﴿نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ مِنْ كَربِهم، إِذَا استَغَاثُوا بِنَا دَاعِينَ[13].

[٨٩] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿[زَكَرِيَّاءَ][14]﴾ ويُبدَلُ منه: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ بِقَولِه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي: بِلَا وَلَدٍ يَرِثُني ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾: البَاقِي بَعدَ فَنَاءِ خَلْقِكَ.

[٩٠] ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نِدَاءَهُ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ وَلَدًا ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ فأَتَتْ بِالوَلَدِ بَعدَ عُقْمِها[15] ﴿إِنَّهُمۡ﴾ أي: مَنْ ذُكِرَ مِنَ الأَنبِيَاءِ ﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ﴾: يُبَادِرُونَ ﴿فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: الطَّاعَاتِ ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ في رَحمَتِنا ﴿وَرَهَبٗاۖ﴾ مِنْ عَذَابِنَا ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: مُتَواضِعِينَ في عِبادَتِهم.

---

(١) وذلكَ بِاعتِبَارِ أَنَّ الضميرَ في ﴿لَهُمۡ﴾ يَعودُ على الشياطينِ، وهو قولُ الجُمهورِ. وقِيلَ: المعنَى حَافِظِينَ لهم مِنْ أن يَهربوا أو يَمتَنِعوا أو يَخرجُوا عن أَمْرِه. واختارَ بعضُهم عَودَ الضَّمِيرِ على دَاودَ وسُلَيمانَ عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ؛ أي: كنَّا لهم مُؤيِّدِينَ ومُعِينِينَ. قال ابنُ كثيرٍ (٥/ ٣٥٩): «أي: يَحْرُسُهُ اللهُ أَنْ يَنَالَهُ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءٍ». وأَمَّا ما ذَكَرَه المُفسِّرُ هنا مِنْ إفسادِهم لِلعَمَلِ، فلا دليلَ عليه.

(٢) روى ابنُ حِبَّان (٢٨٩٨) عن أَنسٍ مرفوعًا: «إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ...» الصحيحة (١٧).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (دُعاءَه).

(٤) أخرجَ نحوَه ابنُ جرير عن ابنِ جُريجٍ وعَنِ الحَسَنِ وقتادةَ. تفسير الطبريِّ (١٧/ ٧٢، ٧٣).

(٥) ذَكرَ البغويُّ في تَفسِيرِه (٥/ ٣٤٧) عَن وَهْبٍ، قال: «كَانَ لَهُ سَبْعُ بَنَاتٍ، وَثَلَاثَةُ بَنِينَ، وذَكَرَ عن ابنِ يَسَارٍ: كَانَ لَهُ سَبْعُ بَنِينَ، وَسَبْعُ بَنَاتٍ».

(٦) أخرجَ نحوَه ابنُ مردويه وابنُ عساكر مِن طريقِ جُويبر عَنِ الضحَّاكِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَرفوعًا، كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٥/ ٦٦٠).

(٧) هو نفسه حَديثُ أنسٍ المُتقدِّم قريبًا، الذي رواه ابنُ حِبَّان عنه مَرفوعًا. و«الأَندَر»: قال ابنُ الأثيرِ في النهاية (١/ ٧٤): «الأَنْدَرُ: الْبَيْدَرُ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُدَاسُ فِيهِ الطَّعَامُ بِلُغَةِ الشَّامِ. والأَنْدَرُ أَيْضًا: صُبْرَةٌ مِنَ الطَّعَامِ» انتهى كلامُه. و«الوَرِقُ»: الفِضَّةُ.

(٨) النُّبُوَّةُ مِنْ آثارِ رحمةِ الله عَزَّوَجَلَّ ولَيسَتْ هي الرَّحمةَ، ونُثبِتُ صِفةَ الرَّحمةِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به، مِنْ غيرِ تَأويلٍ ولا تَعطيلٍ ولا تَمثِيلٍ ولا تكييفٍ.

(٩) قالَ ابنُ كثيرٍ في البدايةِ والنِّهايةِ (١/ ٥١٦): «فَالظَّاهِرُ مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، مَقْرُونًا مَعَ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ الْأَنْبِيَاءِ، أَنَّهُ نَبِيٌّ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَقَدْ زَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَإِنَّمَا كَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا عَادِلًا. وَتَوَقَّفَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي ذَلِكَ. فَاللهُ أَعْلَمُ». وأمَّا سببُ تَسميَتِه الذي ذَكرَه المفسِّرُ؛ فرواه الطبريُّ (١٦/ ٣٦٩) عَنْ مُجَاهِدٍ.

(١٠) أخرجَ ابنُ أبي شيبةَ في مُصنَّفِه (٣١٨٦٦) عَنِ ابنِ مَسعودٍ موقوفًا في قِصَّةٍ طَويلةٍ، وأخرجَه عبدُ الرزَّاق (٢/ ٣٩٢)، وابنُ جرير (١٦/ ٣٨٣) عَنْ قَتادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، قَالَ: «ظُلْمَةُ بَطْنِ الْحُوتِ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ»، وأخرجَه أيضًا (١٦/ ٣٨٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قوله.

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الظلمات)؛ أي: إِنَّ سببَ هَمِّه: هو تلكَ الظُّلُماتُ. وعلى تفسير (الكلماتِ)؛ أي: إِنَّ هذه الكَلِماتِ كَانت سَببَ نَجاتِه.

(١٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أنجيناه).

(١٣) كما عِندَ الترمذيِّ (٣٥٠٥) مِنْ حَديثِ سَعدِ بنِ أَبي وقَّاصٍ مرفوعًا: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ». وصَحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(١٤) قرأ حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿زَكَرِيَّا﴾؛ بِدُونِ هَمزةٍ، وقَرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿زَكَرِيَّاءَ﴾؛ بِهمزةٍ مَفتوحةٍ بِدُونِ تَنوينٍ.

(١٥) روى الطَّبريُّ (١٦/ ٣٨٨) عن سَعِيدٍ -يعني ابن جُبيرٍ- فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾، قَالَ: «كَانَتْ لَا تَلِدُ».

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ
هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

[٩١] ﴿وَ﴾ اذكُرْ مريَمَ ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حَفِظَتْه مِنْ أنْ يُنالَ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جِبرِيلَ؛ حيثُ نَفَخَ في جَيبِ دِرْعِهَا؛ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ والملائكةِ؛ حَيثُ وَلَدَتْهُ مِنْ غيرِ فَحْلٍ.

[٩٢] ﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ أي: مِلَّةَ الإسلامِ ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: دِينُكُم -أيُّها المُخاطَبُونَ- أي: يَجِبُ أنْ تكُونُوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: حَالٌ لَازِمَةٌ[1] ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾: وَحِّدُونِ.

[٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ أي: بَعضُ المُخاطَبِينَ ﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: تفَرَّقُوا أمْرَ دِينِهم مُتخالِفِينَ فيه؛ وهم طَوائِفُ اليَهُودِ والنَّصارَى. قال -تعالَى-: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ أي: فنُجازِيه بِعَمَلِه.

[٩٤] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: جُحُودَ ﴿لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ بِأنْ نَأمُرَ الحَفَظَةَ بِكَتْبِهِ[2]؛ فنُجازِيه عَلَيهِ.

[٩٥] ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: أُرِيدَ أهلُها ﴿أَنَّهُمْ لَا﴾: زَائِدَةٌ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: مُمتَنِعٌ رُجُوعُهم إلى الدُّنيا.

[٩٦] ﴿حَتَّىٰ﴾: غَايَةٌ لِامتِناعِ رُجُوعِهِم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ -بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[3]- ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ -بِالهَمزِ وتَركِه[4]-: اسمانِ أعجَمِيَّانِ لِقَبِيلَتَينِ. ويُقدَّرُ قَبلَه مُضافٌ؛ أي: سَدُّهُمَا- وذَلِكَ قُربَ القِيامَةِ- ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾: مُرتَفِعٍ مِنَ الأرضِ ﴿يَنسِلُونَ﴾[*]: يُسرِعُونَ.

[٩٧] ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي: يَومُ القِيامَةِ ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القِصَّةُ[5] ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليومِ لِشِدَّتِه، يَقُولُونَ: ﴿يَا﴾: لِلتَنبِيهِ ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلَاكَنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدُّنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليومِ ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفُسَنا بِتَكذِيبِنا لِلرُّسُلِ[6].

[٩٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ -يَا أهلَ مَكَّةَ- ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غَيرَه مِنَ الأوثَانِ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: وَقُودُها ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾: دَاخِلُونَ فيها.

[٩٩] ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ﴾ الأوثَانُ ﴿آلِهَةً﴾ -كَما زَعَمتُم- ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾: دَخَلُوها ﴿وَكُلٌّ﴾ مِنَ العَابِدِينَ والمَعبُودِينَ ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿لَهُمْ﴾: لِلعَابِدِينَ ﴿فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شَيئًا؛ لِشِدَّةِ غَلَيانِها.

[١٠١] وَنَزَلَ، لَمَّا قالَ ابنُ الزِّبَعْرَى: «عُبِدَ عُزَيرٌ والمَسِيحُ والمَلائِكَةُ؛ فَهُم في النَّارِ» على مُقتَضَى ما تَقَدَّمَ[7]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا﴾ المَنزِلَةُ ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ -ومنهم مَنْ ذُكِرَ- ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ البُخارِيُّ عن زينبَ بنتِ جَحشٍ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فزِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَيْلٌ لِلعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» -وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا-... الحديث. البُخارِيُّ - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٧) قِصَّة يأجوج ومأجوج، وأخرجه مسلمٌ - كتاب الفِتَن (٥٢) باب (١) اقتراب ظهورِ الفِتَن.

---

(١) الحالُ اللَّازِمةُ هي التي لاتَتَغَيَّرُ.

(٢) الله يكتبُ بيدِه ما يشاءُ، على ما يليقُ بِجلالِه وكَمالِه. ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآية (٧٩) من سُورةِ مريم.

(٣) ﴿فُتِّحَتْ﴾، بالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ.

(٤) ﴿يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾، بِتَرْكِ الهَمْزِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا عاصمٍ.

(٥) وهي تسميتُه عندَ بعضِ النَّحويِينَ. ويُسمَّى عند جُمهورِ البصرِيينَ: ضميرَ الشأنِ، وهو: ضَميرٌ يكونُ في صَدرِ جُملةٍ بعدَه، تُفسِّر دلالته وتُوضِّح المُرَادَ منه، ومعنَاها معنَاه. وسَمَّوه بِذلكَ؛ لأنَّه يَرمزُ لِلشأنِ؛ أي: الحالِ التي يُرادُ الكلامُ عنها.

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بتكذِيبِنَا الرُّسُلَ).

(٧) أخرجَه الطحاويُّ في مُشكل الآثار (٣/ ١٥، ١٦) رقم (٩٨٦)، وأحمدُ في المُسنَدِ (٣/ ٣١٧، ٣١٨)، والطبرانيُّ في الكبير (١٢/ ١١٨، ١١٩)، وحسَّنَه الحافظُ ابنُ حجر في «موافقة الخبر الخبر» (٢/ ١٧٣، ١٧٤)، وأخرجَ الحاكمُ نحوَه في المُستدرَكِ (٢/ ٣٨٤، ٣٨٥) وقالَ: «هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ولم يُخرِّجَاهُ»، ووَافقَه الذَّهَبِيُّ. وصَحَّحه بِمجموع طُرقِه في الاستيعاب (٢/ ٤٩٤).

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾
يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ
أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ
عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَهَلْ
أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ
وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ
ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي
لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم
بِٱلْحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ — ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: صوتَها ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ مِنَ النَّعِيمِ ﴿خَٰلِدُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ - وهو أَنْ يُؤمَرَ بالعبدِ إلى النَّارِ(١)- ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾: تَستَقبِلُهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عِندَ خُروجِهم مِنَ القُبورِ، يَقُولُون لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾: مَنصُوبٌ بـ«اذكُرْ» مُقدَّرًا قَبلَه ﴿نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾: اسمُ مَلَكٍ(٢) ﴿[لِلْكِتَابِ]﴾: صَحِيفَةِ ابنِ آدمَ، عندَ موتِه- واللَّامُ زَائِدَةٌ، أَوِ: ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: الصَّحِيفَةِ، و«الكِتَاب» بِمَعنَى: المكتُوب، واللَّامُ بِمَعنَى: على(٣). وفي قِراءَةٍ(٤): ﴿لِلْكُتُبِ﴾ جَمعًا- ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ عَنْ عَدَمٍ ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ بَعدَ إِعدَامِه- فالكَافُ: مُتَعلِّقَةٌ بِـ«نُعِيدُ»، وضَمِيرُهُ عَائِدٌ إلى ﴿أَوَّلَ﴾، و«مَا»: مَصدَرِيَّةٌ- ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾: مَنصُوبٌ بِـ«وَعَدْنَا» مُقدَّرًا قَبلَهُ، وهو مُؤكِّدٌ لِمَضمُونِ مَا قَبلَهُ ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ مَا وَعَدْنَا.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ بِمَعنَى: الكِتَابِ؛ أي: كُتُبِ اللهِ المُنَزَّلَةِ ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ بِمَعنَى: أُمِّ الكِتَابِ الذِي عِندَ اللهِ ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾: أَرضَ الجَنَّةِ(٥) ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ عَامٌّ في كُلِّ صَالِحٍ.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ القُرآنِ ﴿لَبَلَٰغًا﴾: كِفَايَةً في دُخُولِ الجَنَّةِ ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾: عَامِلِينَ به.

[١٠٧] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ - يَا مُحَمَّد- ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: لِلرَّحمَةِ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: الإِنْسِ والجِنِّ، بِكَ.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أَي: مَا يُوحَى إِلَيَّ في أَمرِ الإِلَهِ إِلَّا وَحدَانِيَّتُه ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُنقَادُونَ لِمَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ وَحدَانِيَّةِ الإِلَهِ؟ والاستِفهَامُ بِمَعنَى الأَمْرِ.

[١٠٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عَنْ ذلكَ ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾: أَعلَمتُكُم بِالحَربِ ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: حَالٌ مِنَ الفَاعِلِ والمفعُولِ؛ أي: مُستَوِينَ في عِلْمِه، لا أَستَبِدُّ به دُونَكُم؛ لِتَتَأَهَّبُوا ﴿وَإِنْ﴾: مَا ﴿أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ العَذَابِ، أَوِ القِيَامَةِ المُشتَمِلَةِ عليه؟ وإِنَّمَا يَعلَمُه اللهُ.

[١١٠] ﴿إِنَّهُۥ﴾ -تَعَالَى- ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ والفِعْلِ مِنكُم ومِنْ غَيرِكُم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أَنتُم وَغَيرُكُم مِنَ السِّرِّ.

[١١١] ﴿وَإِنْ﴾: مَا ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُۥ﴾ أي: مَا أَعلَمْتُكُمْ به، ولَمْ يُعْلَمْ وَقتُهُ ﴿فِتْنَةٌ﴾: اختِبَارٌ ﴿لَّكُمْ﴾ لِيَرَى كَيفَ صُنْعُكُم؟ ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: تَمَتُّعٌ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: انقِضَاءِ آجَالِكُم. وهَذَا مُقَابِلٌ لِلأَوَّلِ المُتَرَجَّى بِـ«لَعَلَّ»، وليسَ الثَّاني مَحَلًّا لِلتَّرَجِّي(٦).

[١١٢] ﴿[قُلْ]﴾ - وفي قِرَاءَةٍ(٧): ﴿قَٰلَ﴾-: ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ بَينِي وبَينَ مُكَذِّبِيَّ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بِالعَذَابِ لهم، أَوِ النَّصرِ عَلَيهم. فعُذِّبُوا بِبَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وحُنَينٍ، والأَحزَابِ، والخَندَقِ، ونُصِرَ عليهم ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ مِنْ كَذِبِكُم عَلى اللهِ في قَولِكُم: «اتَّخَذَ وَلَدًا»، وَعَلَيَّ في قَولِكُم: «سَاحِرٌ» وعَلى القُرآنِ في قَولِكُم: «شِعْرٌ».

---

(١) رَوى الطَّبَرِيُّ (١٦/ ٤٢٢) عَنِ الحَسَنِ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾، قَالَ: «انصِرَافُ العَبْدِ حِينَ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ». وقال ابنُ جريرٍ مُعَلِّقًا: «وَأَوْلَى الأَقوَالِ في ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: ذَلِكَ عِندَ النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْزُنْهُ ذَلِكَ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَآمَنَ مِنْهُ، فَهُوَ مِمَّا بَعْدَهُ أَحْرَى أَنْ لَا يَفْزَعَ، وَأَنَّ مَنْ أَفْزَعَهُ ذَلِكَ، فَغَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ الفَزَعُ مِمَّا بَعْدَهُ».

(٢) والصَّحيحُ أنَّ السِّجِلَّ هي الصَّحِيفةُ، كما ذكره ابنُ جرير (١٦/ ٤٢٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ﴾ يقولُ: «كَطَيِّ الصَّحِيفَةِ عَلَى الكِتَابِ». واختارَه ابنُ جرير؛ لِأنَّه المعروفُ في اللغةِ.

(٣) أي: كَطَيِّ السِّجِلِّ على الكتابِ.

(٤) قرأ ﴿لِلْكُتُبِ﴾ حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ، وبقيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لِلْكِتَابِ﴾.

(٥) هذا قولُ أكثرِ المفسِّرين في تفسيرِ «الأرض» في هذه الآيةِ، وفي آيةِ «الزُّمَر» ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤] وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ ومجاهدٍ وأبي العاليةِ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ والشَّعبيِّ وقتادةَ وغيرِهم. وتعقَّب ذلك القاضي كنعان في «قُرَّةِ العينَينِ»، واختارَ أن تكونَ «الأرض» في هذَينِ الموضِعَينِ هي هذه الأرضَ المعهُودةَ. بقوله: «... تَفسيرُ «الأرضِ» بالجنَّةِ بَعيدٌ، ولا دليلَ عليه، ولم يأتِ ذِكرُ «الأرض» بمعنى «الجنَّة» لا في القرآنِ ولا في السُّنَّةِ». قُرَّةُ العَينَينِ (ص٦١٦-٦١٧) بتصرفٍ يسيرٍ.

(٦) أي: المُترجَّى بـ«لعلَّ» هو: كونُ تأخيرِ العذابِ فتنةً. أمَّا قوله: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ فليسَ كذلكَ؛ لأنَّه واقعٌ بالفعلِ.

(٧) قرأ حفصٌ: ﴿قَٰلَ﴾؛ بفتحِ القافِ وألفٍ بعدها. وقرأ بقيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿قُلْ﴾؛ بضمِّ القافِ وبدونِ ألفٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحزب ٣٤

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ
(١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم
بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ (٢) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ (٣)
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ
إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ
مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ
لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ
بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ (٥)

سورة الحج

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ﴾ الآيتينِ[1]، أو إِلَّا: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ السِّتَّ آياتٍ فمَدَنِيَّاتٌ، وهي: أربعٌ، أو: خمسٌ، أو: سِتٌّ، أو: سبعٌ، أو: ثمانٍ وسبعونَ آيةً[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ وغيرَهم ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ أي: عِقَابَه بِأَنْ تُطِيعُوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: الحَرَكَةَ الشَّدِيدَةَ لِلأرضِ، التي يَكُون بَعدَها طُلُوعُ الشَّمسِ مِنْ مَغْرِبِها، الذي هو قُرْبُ السَّاعَةِ[3] ﴿شَيْءٌ عَظِيمٞ﴾ في إِزعَاجِ النَّاسِ، الذي هو نوعٌ مِنَ العِقَابِ.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ بِسَبَبِها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفِعْلِ[4] ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أي: تَنْسَاهُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حُبْلَى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ مِنْ شِدَّةِ الخَوفِ ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ مِنَ الشَّرَابِ ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ فهُم يَخافُونَه.

[٣] وَنَزَلَ في النَّضْرِ بْنِ الحَارِثِ وَجَمَاعَةٍ[5]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ﴾ قَالُوا: «المَلائِكَةُ بَنَاتُ الله، والقُرآنُ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ». وَأَنْكَرُوا البَعْثَ وإِحيَاءَ مَنْ صَارَ تُرَابًا ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جِدَالِه ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ أي: مُتَمَرِّدٍ.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: قُضِيَ على الشَّيطَانِ ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتَّبَعَهُ ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾: يَدْعُوه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: النَّارِ.

[٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ﴾: شَكٍّ ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي: أَصلَكُم آدَمَ ﴿مِّن تُرَابٖ ثُمَّ﴾ خَلَقْنَا ذُرِّيَّتَهُ ﴿مِن نُّطْفَةٖ﴾: مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ﴾ وهِي الدَّمُ الجَامِدُ ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ﴾ وهِي لَحمَةٌ قَدْرُ مَا يُمضَغُ ﴿مُّخَلَّقَةٖ﴾: مُصَوَّرَةٍ تَامَّةِ الخَلْقِ ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ أي: غَيرِ تَامَّةِ الخَلْقِ ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ كَمَالَ قُدرَتِنا؛ لِتَستَدِلُّوا بها في ابتِدَاءِ الخَلْقِ على إِعادَتِه. ﴿وَنُقِرُّ﴾ - مُستَأْنَفٌ[6]- ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: وَقتِ خُرُوجِه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكم ﴿طِفْلٗا﴾ بِمَعنَى: أطفَالًا ﴿ثُمَّ﴾ نُعَمِّرُكُم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ﴾ أي: الكَمَالَ والقُوَّةَ- وهو: ما بَينَ الثَّلاثِينَ إلى الأربَعِينَ سَنَةً- ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: يَمُوتُ قَبلَ بُلُوغِ الأَشُدِّ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: أَخَسِّهِ مِنَ الهَرَمِ والخَرَفِ ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ﴾ - قَالَ عِكرِمَةُ: «مَنْ قَرَأَ القُرآنَ لَمْ يَصِرْ بِهذه الحَالَةِ»[7]- ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ﴾: يَابِسَةً ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تَحَرَّكَتْ ﴿وَرَبَتْ﴾: ارتَفَعَتْ وزَادَتْ ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن﴾: زَائِدَةٌ ﴿كُلِّ زَوْجِۭ﴾: صِنفٍ ﴿بَهِيجٖ﴾: حَسَنٍ.

---

(١) الظاهرُ أنَّ مُرادَ المُفسِّرِ هو الآياتُ (١١-١٣)، وهي ثلاثُ آياتٍ في المُصحفِ العُثمانيِّ الذي بأيدينا، وهي آيتانِ عِندَ بعضِ العُلَماءِ، لاختلافِهم في تحديدِ نِهايةِ الفَواصِلِ.

(٢) سَبَبُ الاختِلافِ في عَدَدِ الآياتِ اختِلافُ الرِّوايةِ في تَعيينِ مَكانِ فَواصِلِ بَعضِها.

(٣) هذا قولُ عَلقمةَ والشَّعبيِّ وجماعةٍ من المُفسِّرينَ؛ أنَّه في الدُّنيا؛ روى الطَّبريُّ (١٦/ ٤٤٧) عَن عامرٍ الشَّعبيِّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ﴾، قال: «هَذَا فِي الدُّنْيَا مِن آيَاتِ السَّاعَةِ»، وروى أيضًا (١٦/ ٤٤٦) عَن عَلقَمَةَ، قَالَ: «قَبْلَ السَّاعَةِ». والقولُ الآخرُ، واختارَه ابنُ جريرٍ أنَّ الآيةَ تُشيرُ إلى هَولٍ وفَزَعٍ وزلزالٍ كائنٍ يومَ القِيامةِ. ويَشهَدُ له ما أخرجَه ابنُ حِبَّانَ (٧٣٥٤)، والحاكمُ في مُستدرَكِه (٨٦٩٢)، وغيرُهما، عن أنَسِ بنِ مَالِكٍ، قَالَ: نَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ﴾، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ فِي مَسِيرٍ لَهُ، فَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ حَتَّى ثَابَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟ يَوْمَ يَقُولُ الله جَلَّ وَعَلَا لِآدَمَ: يَا آدَمُ، قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ، وَإِنَّ مَعَكُمْ لَخَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَمَنْ هَلَكَ مِنْ كَفَرَةِ الجِنِّ وَالإِنْسِ». وقال الحاكمُ: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». وصَحَّحَه الألبانيُّ في صَحيحِ سُنَنِ التِّرمِذيِّ (٣١٦٨). وأخرجَه التِّرمِذيُّ في تفسيرِ القُرآنِ (٤٨) مِنْ حَديثِ عِمرانَ بنِ الحُصَينِ، وضعَّفَ الألبانيُّ إسنادَه في ضعيفِ سُنَنِ التِّرمِذيِّ (٦١٨). وأخرجَه أحمدُ مُختصرًا في المُسنَدِ (٤/ ٤٣٢). كما استدلَّ أصحابُ هذا القولِ بأحاديثَ تلا النَّبيُّ ﷺ فيها هذه الآياتِ، منها ما جاءَ في الصَّحيحَينِ وغيرِهما. يُنظرُ: البُخاريُّ كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢)، ومسلم كتاب الإيمان (١) باب (٩٦).

(٤) أي: وليسَ بالقُوَّةِ. والإرضاعُ بالفِعلِ يكونُ في حَالِ إذا كانَ الرَّضيعُ مُلتقِمًا لِلثَّدي، يَمُصُّ اللبنَ منه. وأمَّا الإرضاعُ بالقُوَّةِ فهو أن تكونَ المرأةُ فيها قُوَّةُ الإرضاعِ.

(٥) هذا قولُ مجاهدٍ، وأبي مالكٍ، ذكرَه السيوطيُّ في الدُّرِّ المنثورِ (٦/ ١٢) ولُبابِ النُّقولِ (ص١٤٨)، ونسبَها لابنِ أبي حاتم. وهما مُرسَلانِ. وذكرَه البغويُّ في تفسيرِه (٥/ ٣٦٥).

(٦) يعني أنَّ الواوَ في قولِه: ﴿وَنُقِرُّ﴾ استئنافيةٌ وليستْ عطفًا على: ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾.

(٧) رواهُ الطبريُّ (٢٤/ ٥١٧) عَنه بلفظِ، قَالَ: «كَانَ يُقَالُ: مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ...»، ورواه عنه ابنُ أبي حاتم (١٢٥٧٨) بلفظِ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٖ شَيْـًٔاۚ﴾». ورواه البيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ (٤/ ٢٣٤) عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٖ شَيْـًٔاۚ﴾. وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [التين: ٦]. قَالَ: إِلَّا الَّذِينَ قَرَءُوا القُرْآنَ». وصَحَّحه الألبانيُّ في صَحيحِ الترغيبِ والترهيبِ (١٤٣٥).

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى
ٱلْقُبُورِ (٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠) وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ
أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١١) يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُوا۟ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ (١٣)
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ (١٥)

[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ، مِنْ بَدءِ خَلْقِ الإِنسَانِ إلى آخِرِ إِحيَاءِ الأَرضِ ﴿بِأَنَّ﴾: بِسَبَبِ أَنَّ ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ الدَّائِمُ ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾.

[٨] وَنَزَلَ في أبي جَهْلٍ(١): ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ مَعَه ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: له نُورٌ مَعَه.

[٩] ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾: حَالٌ؛ أي: لَاوِيَ عُنُقِه تكَبُّرًا عَنِ الإِيمَانِ- و«العِطْفُ»: الجَانِبُ عَنْ يَمِينٍ أو شِمَالٍ- ﴿[لِيَضِلَّ]﴾ - بِفَتحِ اليَاءِ، وضَمِّها(٢)- ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دِينِه ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾: عَذَابٌ؛ فقُتِلَ يومَ بَدْرٍ(٣) ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: الإِحرَاقِ بِالنَّارِ. ويُقَالُ له:

[١٠] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي: قَدَّمته- عُبِّرَ عنه بِهِما دُونَ غَيرِهما؛ لِأَنَّ أكثَرَ الأَفعَالِ تُزَاوَلُ بهما- ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي: بِذِي ظُلْمٍ ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيُعَذِّبَهم بِغَيرِ ذَنبٍ.

[١١] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي: شَكٍّ في عِبَادَتِه- شُبِّهَ بِالحَالِّ على حَرْفِ جَبَلٍ، في عَدَمِ ثَبَاتِه- ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾: صِحَّةٌ وسَلَامَةٌ في نَفسِه ومَالِه ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: مِحنَةٌ وسُقْمٌ في نَفسِه ومَالِه ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: رَجَعَ إلى الكُفرِ ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾ بِفَوَاتِ مَا أَمَّلَهُ منها ﴿وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ بِالكُفرِ ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: البَيِّنُ[*].

[١٢] ﴿يَدْعُوا۟﴾: يَعبُدُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الصَّنَمِ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إنْ لَمْ يَعبُدْه ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إنْ عَبَدَهُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدُّعَاءُ ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ عَنِ الحَقِّ.

[١٣] ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن﴾: اللَّامُ: زَائِدَةٌ ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ بِعِبَادَتِه ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ إنْ نَفَعَ بِتَخَيُّلِه ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو؛ أي: النَّاصِرُ! ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: الصَّاحِبُ هو!

وَعُقِّبَ ذِكرُ الشَّاكِّ بِالخُسرَانِ بِذِكرِ المُؤمِنِينَ بِالثَّوَابِ في:

[١٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنَ الفُرُوضِ والنَّوَافِلِ ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مِن إِكرَامِ مَنْ يُطِيعُه، وإِهَانَةِ مَنْ يَعصِيه.

[١٥] ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: مُحَمَّدًا نَبِيَّه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾: بِحَبْلٍ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سَقْفِ بَيتِه، يَشُدُّه فيه وفي عُنُقِه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: لِيَختَنِقْ به؛ بِأَنْ يَقطَعَ نَفَسَه مِنَ الأَرضِ. كَمَا في «الصِّحَاحِ»(٤) ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ في عَدَمِ نُصرَةِ النَّبِيِّ ﴿مَا يَغِيظُ﴾ ـه(٥) منها؟ المَعنَى: فَلْيَختَنِقْ غَيظًا منها؛ فلا بُدَّ مِنها.

---

[*] ما جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١١): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ قال: «كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلَامًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سُورَة الحَجِّ (٢٢) باب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

---

(١) رُوِيَ ذلك عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، كما ذَكَرَه النيسابوريُّ والألوسيُّ وغيرُهما، وقيلَ: نزلَ في النَّضرِ بنِ الحَارِثِ أيضًا، وهو قولُ ابنِ عَبَّاسٍ أيضًا. وَالتَّكرِيرُ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الذَّمِّ. قاله القرطبيُّ (١٢/ ١٥).
وَقِيلَ: هِيَ عَامَّةٌ لِكُلِّ مَنْ يَتَصَدَّى لِإِضلَالِ النَّاسِ وَإِغوَائِهِمْ. فتح القدير لِلشوكانيِّ (٣/ ٥١٩). وقِيلَ: الآيةُ الأُولى وَاردةٌ في الأَتباعِ المُقَلِّدِينَ. وهذه الآيةُ وَارِدَةٌ في المَتبوعِينَ المُقَلَّدِينَ. غرائبُ القرآنِ ورَغائبُ الفُرقَانِ، لِلنيسابوريِّ (٥/ ٦٧).

(٢) ﴿لِيَضِلَّ﴾، بالفتحِ: لابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقرأ البَاقونَ بِالضَّمِّ: ﴿لِيُضِلَّ﴾.

(٣) أي: أبو جهلٍ؛ لاختيارِ المُصنِّفِ أنَّها نَزَلَت فيه.

(٤) كتابُ «مختارُ الصِّحاحِ» (ص٢٥٦)، قال: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ [الحج:١٥] قَالُوا: لِيَخْتَنِقْ؛ لِأَنَّ المُخْتَنِقَ يَمُدُّ السَّبَبَ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ يَقْطَعُ نَفَسَهُ مِنَ الأَرْضِ حَتَّى يَخْتَنِقَ». ونحوه في الصِّحَاحِ لِلجوهَرِيِّ (٣/ ١٢٦٦).

(٥) الضميرُ: (ـه) ليسَ في نُسخةِ حَاشيةِ الجَمَلِ.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ
وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ
ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ
ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ
مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ
مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ
أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

سجدة — ربع الحزب ٣٤

[١٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ إنزالِنا الآيةَ[١] السَّابِقَةَ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القُرآنَ الباقِيَ ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾: ظَاهِرَاتٍ، حَالٌ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ هُدَاه. مَعطُوفٌ على هَاءِ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هُمُ اليَهُودُ ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: طَائِفَة مِنهُم[٢] ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِإِدخَالِ المُؤمِنِينَ الجنَّةَ، وإِدخَالِ غَيرِهِمُ النَّارَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنْ عَمَلِهِم ﴿شَهِيدٌ﴾: عَالِمٌ به، عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ.

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي: يَخضَعُ له بِمَا يُرَادُ منه[٣] ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؟ وهُمُ المُؤمِنُونَ؛ بِزِيَادَةٍ على الخُضُوعِ في سُجُودِ الصَّلَاةِ ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وهُمُ الكَافِرُونَ؛ لِأَنَّهم أَبَوُا السُّجُودَ المُتَوَقِّفَ على الإِيمَانِ ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾: يُشْقِهِ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾: مُسْعِدٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ مِنَ الإِهَانَةِ والإِكرَامِ.

[١٩] ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي: المُؤمِنُونَ خَصْمٌ، والكُفَّارُ الخَمسَةُ[٤] خَصْمٌ- وهو يُطلَقُ على الوَاحِدِ والجَمَاعَةِ- ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دِينِه ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يَلبَسُونَها؛ يَعنِي: أُحِيطَتْ بِهِمُ النَّارُ ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾: المَاءُ البَالِغُ نِهَايَةَ الحَرَارَةِ.

[٢٠] ﴿يُصْهَرُ﴾: يُذَابُ ﴿بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ مِنْ شُحُومٍ وغَيرِها ﴿وَ﴾ تُشْوَى به ﴿ٱلْجُلُودُ﴾[*].

[٢١] ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ لِضَربِ رُءوسِهم.

[٢٢] ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ أي: النَّارِ ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يَلحَقُهم بها ﴿أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾: رُدُّوا إِلَيها بِالمَقَامِعِ ﴿وَ﴾ قِيلَ لهم: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: البَالِغِ نِهَايَةَ الإِحرَاقِ.

[٢٣] وقَالَ في المُؤمِنِينَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ [وَلُؤْلُؤٍ]﴾ - بِالجَرِّ؛ أي: منها؛ بِأَنْ يُرَصَّعَ اللؤلُؤُ بِالذَّهَبِ، وبِالنَّصبِ[٥]: عَطفًا على مَحَلِّ: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾- ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو المُحَرَّمُ لُبسُهُ على الرِّجَالِ، في الدُّنيا.

---

[*] ما جَاءَ في نُزُولِ الآيَتَينِ (١٩، ٢٠): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ قَيسِ بْنِ عُبَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ». قَالَ قَيْسٌ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: عَلِيٌّ، وَحَمْزَةُ، وَعُبَيْدَةُ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجّ (٢٢) باب (٣).

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (الآيَاتِ).

(٢) يُنظَرُ تَفسِيرُ السيوطيِّ لِلصَّابِئَةِ في سُورةِ البقرةِ الآيَة (٦٢). وهذا مِنَ المَوَاضِعِ القَلِيلَةِ التي أَشَارَ إِليها الجَلَالُ السُّيوطِيُّ أَنَّه خَالَفَ فيها شَيخَه المَحلِّيَّ؛ حيثُ قَالَ في مُقَدِّمَتِه: «ومنها- أي مِن المواضِعِ القَلِيلَةِ التي خَالَفَ فيها وَضعِه فيها-: أَنَّ الشيخَ قَالَ في سُورَةِ «الحَجِّ»: الصَّابِئونَ فِرقَةٌ مِنَ اليَهودِ. فذكرتُ ذلك في سُورَةِ «البَقَرة»، وزِدتُ: أَوِ النَّصَارَى؛ بَيَانًا لِقَولٍ ثانٍ؛ فإِنَّه المعروفُ؛ خُصوصًا عندَ أصحابِنَا الفقهاءِ، وفي «المِنهاج»: وإِن خَالفتِ السَّامِرةُ اليَهودَ والصَّابِئةُ النَّصَارَى في أَصلِ دِينِهم، وفي «شُروحه»: أَنَّ الشَّافِعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ نَصَّ على أَنَّ الصَّابِئِينَ فِرقَةٌ مِنَ النَّصَارَى».

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (تَخضعُ له بما يُرَادُ منها).

(٤) يُشيرُ المُصنِّفُ إلى أَهلِ المِلَلِ الكَافِرِينَ الخَمسةِ، المذكورينَ في الآيةِ المتقَدِّمةِ، وانظر ما جاءَ في سببِ نُزولِ الآيةِ.

(٥) ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾، بِالنَّصبِ: قِرَاءَةُ عَاصِمٍ ونافع. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿وَلُؤْلُؤٍ﴾، بِالجَرِّ.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ
وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ
﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ
بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا
وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ
وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾
ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ
رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ
فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ - وهُو: لَا إِلَه إِلَّا الله(١)- ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ أي: طَرِيقِ اللهِ المَحمُودَةِ(٢)، ودِينِه.

[٢٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طَاعَتِه ﴿وَ﴾ عَنِ ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ﴾ مَنْسَكًا ومُتَعَبَّدًا ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ﴾: المُقِيمُ ﴿فِيهِ [وَٱلۡبَادِي](٣)﴾: الطَّارِئُ ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾ - البَاءُ: زَائِدَةٌ- ﴿بِظُلۡمٖ﴾ أي: بِسَبَبِه؛ بِأَنِ ارتَكَبَ مَنهِيًّا، ولَو شَتْمَ(٤) الخَادِمِ ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[*]: مُؤلِمٍ؛ أَي: بَعضَه. ومِنْ هَذا يُؤخَذُ خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾؛ أَي: نُذِيقُهم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.

[٢٦] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذۡ بَوَّأۡنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ لِيَبنِيَه، وكانَ قَدْ رُفِعَ زَمَنَ الطُّوفَانِ(٥)، وأَمَرنَاهُ ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ مِنَ الأَوثَانِ ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾: المُقِيمِينَ به ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: جَمعُ رَاكِعٍ وسَاجِدٍ: المُصَلِّينَ.

[٢٧] ﴿وَأَذِّن﴾: نَادِ ﴿فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ - فنَادَى عَلى جَبَلِ أَبي قُبَيسٍ: «يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّ رَبَّكم بَنَى بَيتًا، وأَوجَبَ عَليكُمُ الحَجَّ إِليه؛ فأَجِيبُوا رَبَّكُم». والتَفَتَ بِوَجهِهِ يَمِينًا وشِمالًا، وشَرقًا وغَربًا؛ فَأَجَابَه كُلُّ مَنْ كُتِبَ لَه أَنْ يَحُجَّ مِنْ أَصلَابِ الرِّجَالِ وأَرحَامِ الأُمَّهَاتِ: لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيكَ(٦)- وجَوَابُ الأَمْرِ: ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾: مُشَاةً، جَمعُ رَاجِلٍ؛ كَقَائِمٍ وقِيَامٍ ﴿وَ﴾ رُكبَانًا ﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ أي: بَعِيرٍ مَهزُولٍ(٧)- وهُو يُطلَقُ عَلى الذَّكَرِ والأُنثَى- ﴿يَأۡتِينَ﴾ أي: الضَّوَامِرُ حَملًا عَلى المَعنَى ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾: طَرِيقٍ بَعِيدٍ.

[٢٨] ﴿لِّيَشۡهَدُواْ﴾ أي: يَحضُرُوا(٨) ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ في الدُّنيا بِالتِّجَارَةِ، أو في الآخِرَةِ(٩)، أو فِيهِما-أَقوَالٌ-﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ أي:عَشرِ ذِي الحِجَّةِ، أو يَومِ عَرفَةَ، أو يَومِ النَّحرِ إلى آخِرِ أَيَّامِ التَّشرِيقِ- أَقوَالٌ- ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: الإِبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ، التي تُنحَرُ في يَومِ العِيدِ، وما بَعدَه مِنَ الهَدَايا والضَّحَايَا(١٠) ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ إِذا كَانَت مُستَحَبَّةً(١١) ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ أي: الشَّدِيدَ الفَقرِ.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾ أي: يُزِيلُوا أَوسَاخَهم وَشَعَثَهُمْ؛ كَطُولِ الظُّفُرِ ﴿وَلۡيُوفُواْ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(١٢)- ﴿نُذُورَهُمۡ﴾ مِنَ الهَدَايَا والضَّحَايَا ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾ طَوَافَ الإِفَاضَةِ ﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ أي: القَدِيمِ؛ لِأَنَّه أَوَّلُ بَيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾: خَبَرُ مُبتَدَإٍ مُقَدَّرٍ؛ أَي: الأَمْرُ أَوِ الشَّأنُ ذلكَ المذكُورُ ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هِي مَا لَا يَحِلُّ انتِهَاكُه ﴿فَهُوَ﴾ أي: تَعظِيمُها ﴿خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الآخِرَةِ ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أَكلًا بَعدَ الذَّبحِ ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ تَحرِيمُه في: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾(١٣) الآيَةَ. فالاستِثنَاءُ مُنقَطِعٌ. ويَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا، والتَّحرِيمُ لِمَا عَرَضَ مِنَ المَوتِ ونَحوِه ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ ﴿مِنَ﴾: لِلبَيَانِ؛ أَي: الذي هُو الأَوثَانُ ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ أي: الشِّركَ بِاللهِ في تَلبِيَتِهم، أو شَهَادَةَ الزُّورِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ أَحمَدُ عَنِ ابنِ مَسعُودٍ قالَ في قَولِه: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ قال: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا هَمَّ فِيهِ بِإِلْحَادٍ وَهُوَ بِعَدَنِ أَبْيَنَ، لَأَذَاقَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَذَابًا أَلِيمًا». المُسنَدُ (١/ ٤٢٨، ٤٥١) وقالَ أحمدُ شاكر: إِسنَادُه صحيحٌ (٤٠٧١). و«عَدَن أَبيَنَ»: مدينةٌ مَعروفةٌ بِاليَمَنِ؛ أُضِيفَت إلى «أَبينَ» وهو رَجُلٌ مِنْ حِمْير، عَدَنَ بها؛ أَي: أَقَامَ. النهايةُ لابنِ الأثير (٣/ ١٩٢).

---

(١) هذا على أَحَدِ الأَقوالِ؛ أَنَّ المُرادَ: هُدُوا في الدُّنيا إِلى كَلِمَةِ التوحِيدِ، وقِيلَ: قِرَاءَةِ القُرآنِ. والقولُ الآخرُ أَنَّ المُرادَ: هُدُوا في الآخِرَةِ إِلى الطَّيِّبِ مِنَ القولِ؛ وهو: الحَمدُ والتَّسبيحُ والسَّلامُ، ويَشهَدُ له قولُه تعالى: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠] وغيرُها مِنَ الآياتِ. وعلى القَولِ الأَوَّلِ: فيَحتمِلُ أَنَّ في الكلامِ تَقدِيمًا وتَأخِيرًا، فيكونُ المعنَى: إِنَّ اللهَ يُدخِلُ الذين آمَنوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ وهُدُوا إِلى الطَّيِّبِ مِن القَولِ وهُدوا إلى صِراطِ الحميدِ جَنَّاتٍ... واللهُ أَعلمُ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة :(المحمودِ)؛ بِالتذكيرِ. والطريقُ يُؤنَّثُ ويُذَكَّرُ.

(٣) ﴿وَٱلۡبَادِي﴾؛ قَرأَ ورشٌ عن نافعٍ، وأبو عمرٍو بِإِثباتِ اليَاءِ الزَّائِدَةِ وَصْلًا وحَذفِها وَقفًا. وقرأَ ابنُ كثيرٍ بِإِثباتِها في الحالَينِ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿وَٱلۡبَادِ﴾؛ بِحَذفِها في الحالَينِ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِشَتْمِ). (٥) رَواهُ عبدُ الرزَّاقِ في مُصنَّفه (٩٠٩٠) عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبي رَبَاحٍ، وعنه رواه الطبريُّ (٢/ ٥٥١)، وسندُه ضعيفٌ.

(٦) رواه الطبريُّ (١٦/ ٥١٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: قَولُهُ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ قَالَ: «قَامَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ عَلَى الحَجَرِ، فَنَادَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الحَجُّ، فَأَسْمَعَ مَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، فَأَجَابَهُ مَنْ آمَنَ مِمَّنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ أَنْ يَحُجَّ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ».

(٧) رَوَى الطَّبَرِيُّ (١٦/ ٥١٨) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ قَالَ: «عَلَى أَرْجُلِهِمْ» يَقُولُ: «وَرُكْبَانًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ، وَهِيَ الإِبِلُ المَهَازِيلُ». (٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لِيحضروا).

(٩) لعلَّه يريد بذلك ما قِيلَ: إِنَّ المرادَ بالمنافعِ: المناسكُ؛ كَعَرفَاتٍ والمشعرِ الحَرَامِ، وما يَترَتَّبُ على ذلك مِنَ الأَجرِ والمَغفِرَةِ.

(١٠) فالمُرادُ بِذِكرِ اسمِ اللهِ حِينئذٍ التَّسمِيَةُ عندَ الذَّبحِ والنَّحرِ -وهو قَولُ الأكثَرِينَ-، وكان الكُفَّارُ يَذبَحُونَ على أَسماءِ أَصنَامِهم، فبَيَّنَ لهم اللهُ أَنَّ الوَاجِبَ الذَّبحُ على اسمِ اللهِ. وقِيلَ غيرَ ذلك.

(١١) وكذا يُستَحَبُّ الأكلُ مِنَ الهدي الوَاجِبِ إذا كان هَدْيَ تَمَتُّعٍ أو قِرَانٍ. وقد أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَدْيِه، كما ثَبَتَ في حديثِ جابرٍ في صِفَةِ حَجِّه ﷺ؛ بِخِلافِ هَدْيِ الجَزَاءِ؛ فيَكُونُ كُلُّه لِفُقَرَاءِ الحَرَمِ.

(١٢) ﴿وَلۡيُوَفُّواْ﴾؛ بإِسكانِ اللامِ وفتحِ الواوِ وتَشدِيدِ الفَاءِ: قِرَاءَةُ شُعبَةَ. وقرأَ ابنُ ذكوان عن ابنِ عامرٍ: ﴿وَلِيُوفُواْ﴾؛ بِكَسرِ اللامِ وسُكونِ الواوِ وتَخفِيفِ الفَاءِ. وقرأَ البَقِيَّةُ: ﴿وَلۡيُوفُواْ﴾؛ بإِسكَانِ اللامِ والواوِ وتَخفِيفِ الفَاءِ.

(١٣) المائدة: ٣.

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾
لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ
﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ
مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ
أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ الحزب ٢٤
عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾: مُسلِمِينَ عادِلِينَ عَنْ كُلِّ دِينٍ سِوى دِينِه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾: تأكِيدٌ لِمَا قبلَه، وهُما حَالانِ مِنَ الوَاوِ[1] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾: سَقطَ ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي: تَأخُذُه بِسُرعَةٍ ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: تُسقِطُه ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بَعِيدٍ. فهو لَا يُرجَى خَلَاصُه.

[٣٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾: يُقَدَّرُ قَبلَه: «الأَمرُ»: مُبتَدأٌ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا﴾ أي: فإنَّ تَعظِيمَها -وهي البُدْنُ التي تُهْدَى لِلْحَرَمِ- بِأَنْ تُستَحسَنَ وتُستَسْمَنَ ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ منهم. وسُمِّيَتْ شَعَائِرَ؛ لِإِشعَارِها بِمَا تُعْرَفُ به أنَّها هَدْيٌ؛ كَطَعنِ حَدِيدَةٍ بِسَنَامِها.

[٣٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كَرُكُوبِهَا، والحَمْلِ عليها مَا لَا يَضُرُّها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وَقْتِ نَحْرِها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي: مَكَانُ حِلِّ نَحرِها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: عِندَه. والمُرَادُ: الحَرَمُ جَمِيعُه.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: جَمَاعَةٍ مُؤمِنَةٍ، سَلَفَتْ قَبلَكُم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ - بِفَتحِ السِّينِ: مَصدرٌ، وبِكَسرِها[2]: اسمُ مَكَانٍ- أي: ذَبْحًا قُربَانًا، أو مَكَانَه ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عِندَ ذَبحِها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾: انقَادُوا ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: المُطِيعِينَ المُتَواضِعِينَ.

[٣٥] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾: خَافَتْ ﴿قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ مِنَ البَلَايَا ﴿وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أَوقَاتِها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يَتصَدَّقُونَ.

[٣٦] ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾: جَمعُ بَدَنَةَ- وهي: الإِبِلُ- ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾: أَعلَامِ دِينِه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: نَفعٌ في الدُّنيا -كما تَقَدَّمَ- وآخَرُ في العُقبَى ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عِندَ نَحْرِها ﴿صَوَآفَّ﴾: قَائِمَةً على ثَلَاثٍ، مَعقُولَةَ اليَدِ اليُسرَى[3] ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: سَقَطَتْ إِلى الأَرضِ بَعدَ النَّحرِ- وهو: وَقتُ الأَكلِ منها- ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ إِنْ شِئتُم ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾ الذي يَقنَعُ بِما يُعطَى، ولا يَسأَلُ، ولا يَتعَرَّضُ ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: السَّائِلَ أَوِ المتَعَرِّضَ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ ذَلكَ التَّسخِيرِ ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ بِأَنْ تُنحَرَ وتُركَبَ- وإِلَّا لَمْ تُطَقْ- ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إِنعَامِي عَلَيكُم.

[٣٧] ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ أي: لا يُرفَعَانِ إِليه ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ أي: يُرفَعُ إِليه مِنكُم العَمَلُ الصَّالِحُ الخَالِصُ له، مَعَ الإِيمَانِ ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: أَرشَدَكُم لِمَعَالِمِ دِينِه ومَنَاسِكِ حَجِّه ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: المُوَحِّدِينَ.

[٣٨] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ [يَدْفَعُ][4] عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ غَوائِلَ المُشرِكِينَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أَمَانَتِه ﴿كَفُورٍ﴾ لِنِعمَتِه؛ وهُمُ المُشرِكُونَ؛ المَعنَى: أَنَّه يُعَاقِبُهم[5].

---

(١) أي: فاعل: اجتنبْ، في قولِه تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟﴾ و﴿وَٱجْتَنِبُوا۟﴾؛ في المَوضِعَينِ؛ لِأَنَّ الفِعلَينِ مُتنازِعَانِ هنا.

(٢) ﴿مَنسِكًا﴾، بِالكَسرِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ.

(٣) أي: مَربوطَةً؛ تُثنَى يَدُها اليُسرى وتُربَطُ.

(٤) ﴿يَدْفَعُ﴾، بِفَتحِ اليَاءِ وسُكُونِ الدَّالِ وفَتحِ الفَاءِ بِدُونِ أَلِفٍ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُدَٰفِعُ﴾، بِضَمِّ اليَاءِ وفَتحِ الدَّالِ وكَسرِ الفَاءِ بينَهما أَلِفٌ.

(٥) وهذا تأويلٌ لانتفاءِ الصِّفَةِ بِلازِمِها، والحُبُّ والبُغضُ صِفَتَانِ لله عزَّوجلَّ. ومَذهبُ السَّلفِ إثباتُهما لله عزَّوجلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به مِنْ غيرِ تَأوِيلٍ ولا تَعطِيلٍ ولا تَمثِيلٍ ولا تَكيِيفٍ.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟
رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ
لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ
مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ
لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أي: لِلمُؤمِنِينَ أنْ يُقاتِلُوا- وهَذِه أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ في الجِهَادِ- ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بِسَبَبِ أَنَّهم ﴿ظُلِمُوا۟﴾ بِظُلْمِ الكافِرِينَ إِيَّاهُم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] هُمُ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإِخرَاجِ. مَا أُخرِجُوا ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟﴾ أي: بِقَولِهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وَحدَه. وهذا القَولُ حَقٌّ؛ فالإِخرَاجُ به إِخرَاجٌ بِغَيرِ حَقٍّ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾: بَدَلُ بَعضٍ مِنَ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ ﴿بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ - بالتَّشدِيدِ: لِلتَّكثِيرِ، وبالتَّخفِيفِ[1]- ﴿صَوَٰمِعُ﴾ لِلرُّهبَانِ ﴿وَبِيَعٌ﴾: كَنَائِسُ لِلنَّصارَى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: كَنَائِسُ لِليَهُودِ بِالعِبرَانِيَّةِ ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ لِلمُسلِمِينَ ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ أي: المَواضِعِ المَذكُورَةِ[2] ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ وتَنقَطِعُ العِبَادَاتُ بِخَرَابِها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: يَنصُرُ دِينَه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ عَلى خَلقِهِ ﴿عَزِيزٌ﴾: مَنِيعٌ في سُلطَانِه وقُدرَتِه[*].

[٤١] ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِنَصرِهِم عَلى عَدوِّهِم ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: جَوابُ الشَّرطِ. وهُو وجَوابُه صِلَةُ المَوصُولِ. وَيُقَدَّرُ قَبلَه: «هُم»: مُبتَدَأً ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إِلَيه مَرجِعُها في الآخِرَةِ.

[٤٢] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ إِلى آخِرِه- فيه تَسلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ- ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تَأنِيثُ ﴿قَوْمُ﴾ بِاعتِبَارِ المَعنَى ﴿وَعَادٌ﴾: قَومُ هُودٍ ﴿وَثَمُودُ﴾: قَومُ صالِحٍ.

[٤٣] ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾: قَومُ شُعَيبٍ ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كَذَّبَهُ القِبْطُ لا قَومُه بَنُو إِسرَائِيلَ؛ أي: كَذَّبَ هَؤُلَاءِ رُسُلَهم؛ فَلَكَ أُسوَةٌ بهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: أَمهَلتُهم بِتَأخِيرِ العِقَابِ لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بِالعَذَابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إِنكَارِي عَلَيهم [تكذِيبَهم][2] بِإِهلَاكِهم؟ والاستِفهَامُ لِلتَّقرِيرِ؛ أي: هو وَاقِعٌ مَوقِعَه.

[٤٥] ﴿فَكَأَيِّن﴾ أي: كَم ﴿مِّن قَرْيَةٍ [أَهْلَكْتُهَا][4]﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾- ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: أَهلُها؛ بِكُفرِهم ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: سَاقِطَةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سُقُوفِها ﴿وَ﴾ كَم مِنْ ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: مَترُوكَةٍ بِمَوتِ أَهلِها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: رَفِيعٍ، خَالٍ بِمَوتِ أَهلِه!

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ مَا نَزَلَ بالمُكَذِّبِينَ قبلَهم ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أَخبَارَهم بِالإِهلَاكِ وخَرَابِ الدِّيَارِ؛ فيَعتَبِرُوا؟ ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: القِصَّةَ ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾: تَأكِيدٌ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَتَينِ (٣٩، ٤٠): أَخرَجَ النَّسَائِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أُخرِجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ قَالَ أَبُو بَكرٍ: أَخرَجُوا نَبِيَّهُم، إِنَّا لله، وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ، لَيَهلِكُنَّ، فَنَزَلَت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فَعَرَفتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «فَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَت فِي القِتَالِ». النَّسَائِيُّ - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد، والترمذيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٣). (صحيحُ الإسنادِ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٣٥).

وأخرجَ التِّرمِذِيُّ عَن سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ، قَالَ: لَمَّا أُخرِجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ قَالَ رَجُلٌ: أَخرَجُوا نَبِيَّهُم! فَنَزَلَت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصحَابُهُ. الترمذيُّ - الموضع السابق.

---

(١) ﴿لَهُدِمَتْ﴾؛ بالتَّخفِيفِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ.

(٢) هذا القولُ بأنَّ الضميرَ في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود على المواضعِ المذكُورةِ كُلِّها، وبناءً عليه يجبُ أن يُحمَلَ المعنى على ما قبل تحريفِ الأُمَمِ السَّابقةِ دِينَهم... وصَوَّبَ هذا التأويلَ ابنُ عطيةَ.
واختارَ ابنُ جرير أنَّ الضميرَ في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعودُ إلى «المساجدِ» فقط؛ لِأنَّها أقربُ المذكُوراتِ، كما في لُغَةِ العَربِ. وعلى كلا القولَينِ فلا تَشمَلُ الآيةُ «الكَنائسَ» و«الكُنُسَ» التي يتَّخِذُها اليهودُ والنَّصارَى بعدَ بَعثةِ مُحمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّها لا يُذكَرُ فيها اسمُ الله تعالى بِالتَّوحيدِ والتنزيهِ، كما يَجبُ أن يُذكَرَ. قُرَّةُ العينَينِ (ص٤٣٩) بتصرُّفٍ.

(٣) في الأصلِ: (بتكذِيبهم)، والمُثبَتُ من نُسخَةِ قباوَة.

(٤) هي قِراءةُ أبي عَمرٍو، وقَرَأ بقيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ
إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى
ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ
فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بإنزالِ العَذابِ- فأنزَلَه يومَ بَدْرٍ- ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ مِنْ أيَّامِ الآخِرَةِ بالعَذابِ ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ - بالتَّاءِ والياءِ[1]- في الدُّنيا.

[٤٨] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المُرادُ أهلُها! ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ.

[٤٩] ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذارِ، وأنا بَشيرٌ لِلمُؤمِنِينَ.

[٥٠] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجَنَّةُ.

[٥١] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾: القُرآنِ، بإبطالِها ﴿[مُعَجِّزِينَ][2]﴾ مَنِ اتَّبَعَ النَّبِيَّ؛ أي: يَنسِبُونَهم إلى العَجْزِ، ويُثَبِّطُونَهم عَنِ الإيمانِ، أو مُقَدِّرِينَ عَجْزَنا عنهم- وفي قِراءَةٍ: ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾: مُسابِقِينَ لنا؛ يَظُنُّونَ أنْ يَفُوتُونا بِإنكارِهِمُ البَعْثَ والعِقابَ- ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: النَّارِ.

[٥٢] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ - هُوَ نَبِيٌّ أُمِرَ بِالتَّبليغِ- ﴿وَلَا نَبِىٍّ﴾ أي: لَمْ يُؤمَرْ بِالتَّبليغِ[3] ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾: قَرَأَ ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: قِراءَتِه ما لَيسَ مِنَ القُرآنِ، مِمَّا يَرضاه المُرسَلُ إليهم- وقَدْ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ في سُورَةِ «النَّجم»، بِمَجْلِسٍ مِنْ قُرَيشٍ بَعدَ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ بِإلقاءِ الشَّيطانِ على لِسانِه، مِنْ غَيرِ عِلمِهِ ﷺ به: «تِلكَ الغَرانِيقُ العُلا، وإنَّ شَفاعَتَهُنَّ لَتُرتَجى»؛ فَفَرِحُوا بِذلك، ثُمَّ أخبَرَهُ جِبرِيلُ بما ألقاهُ الشَّيطانُ على لِسانِه، مِنْ ذلكَ؛ فَحَزِنَ؛ فَسُلِّيَ بِهذِهِ الآيةِ لِيَطمَئِنَّ[4]- ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾: يُبطِلُ ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾: يُثبِتُها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِإلقاءِ الشَّيطانِ ما ذُكِرَ ﴿حَكِيمٌ﴾ في تَمكِينِه منه، يَفعَلُ ما يَشاءُ.

[٥٣] ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً﴾: مِحْنَةً ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شَكٌّ ونِفاقٌ ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المُشرِكِينَ؛ عَنْ قَبُولِ الحَقِّ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: الكافِرِينَ ﴿لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: خِلافٍ طَوِيلٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ والمُؤمِنِينَ؛ حَيثُ جَرى على لِسانِه ذِكْرُ آلِهَتِهم بما يُرضِيهم، ثُمَّ أُبطِلَ ذلك.

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: التَّوحِيدَ والقُرآنَ ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾: تَطمَئِنَّ ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دِينِ الإسلامِ.

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّنْهُ﴾ أي: القُرآنِ؛ بما ألقاه الشَّيطانُ على لِسانِ النَّبِيِّ، ثُمَّ أُبطِلَ[5] ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعَةُ مَوتِهم، أوِ القِيامَةُ فَجأَةً ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هُو يومُ بَدْرٍ، لا خَيرَ فيه لِلكُفَّارِ؛ كالرِّيحِ العَقِيمِ التي لَا تَأتي بِخَيرٍ، أو هو يومُ القِيامَةِ، لا لَيلَ بَعدَه[6].

---

(١) ﴿يَعُدُّونَ﴾؛ بالياءِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ.

(٢) ﴿مُعَجِّزِينَ﴾؛ بتشديدِ الجِيمِ دُونَ ألِفٍ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾؛ بتَخفيفِ الجِيمِ وألِفٍ قَبلَها.

(٣) هذا القولُ هو المشهورُ الشائعُ، والصَّحيحُ المُختارُ هو أنَّ الرَّسولَ مَنْ أُوحيَ إليه بِشرعٍ جَديدٍ، والنَّبيَّ هو المبعوثُ لِتقريرِ شَرعِ مَنْ قَبلَه. وانظر: الرُّسل والرِّسالات للأشقر (ص١٤-١٥)، والنبوَّات لابنِ تيمية (ص٢٥٥).

(٤) وهذا كلامٌ باطلٌ، وقد ذهبَ جمهورُ العُلماءِ إلى أنَّ قِصَّةَ الغَرانيقِ هذه باطِلةٌ مَتْنًا ولا أصلَ لها سَنَدًا. قال ابنُ إسحاقَ -وقد سُئِلَ عنها-: «هي مِنْ وَضعِ الزَّنادِقَةِ». وقالَ البيهقيُّ: «غيرُ ثابتةٍ نَقْلًا، ورُواتُها مَطعُونُونَ». إرشادُ السَّاري لِشرح صَحيح البُخاريِّ، لِلقَسطلاني (٧/ ٢٤٣). وقد ردَّها ابنُ كثيرٍ، وأبو بكر بن العربي، والقاضي عِياضٌ في الشِّفا بتعريفِ حُقوقِ المصطفى (٢/ ١٢٦-١٢٧)؛ فقال بعد بيانِ بُطلانِ القِصَّةِ مِنْ طَرِيقِ النَّقلِ-: «...فَأَمَّا من جِهةِ المَعْنَى: فَقَد قَامَت الحُجَّةُ وَأَجْمَعتِ الأُمَّةُ عَلَى عِصمَتِهِ ﷺ وَنَزَاهَتِهِ عَن مِثلِ هَذِهِ الرَّذِيلَةِ؛ إِمَّا من تَمَنِّيهِ أن يُنزَلَ عَلَيْهِ مِثلُ هَذا من مَدحِ آلِهة غيرِ الله- وهو كُفرٌ-، أو أن يَتَسَوَّرَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وَيُشَبِّهَ عَلَيْهِ القُرْآنَ، حَتَّى يَجْعَلَ فِيهِ مَا لَيسَ مِنهُ، وَيَعتَقِدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِنَ القُرْآنِ مَا لَيسَ مِنهُ، حَتَّى يُنَبِّهَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مُمتَنِعٌ فِي حَقِّهِ ﷺ، أَوْ يَقُولَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قِبَلِ نَفسِهِ عَمْدًا وَذَلِكَ كُفرٌ، أَوْ سَهوًا وَهُوَ مَعصُومٌ مِن هَذَا كُلِّهِ. وَقَدْ قَرَّرْنَا بِالبَرَاهِينِ وَالإِجْمَاعِ عِصمَتَهُ ﷺ مِن جَرَيَانِ الكُفرِ عَلَى قَلبِهِ أَوْ لِسَانِهِ لَا عَمدًا وَلَا سَهوًا، أَوْ أَنْ يَتَشَبَّهَ عَلَيْهِ مَا يُلقِيهِ المَلَكُ مِمَّا يُلقِي الشَّيطَانُ، أَوْ يَكُونَ لِلشَّيطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، أو أَنْ يَتَقَوَّلَ عَلَى الله، لَا عَمدًا وَلَا سَهوًا، مَا لَمْ يَنزِل عَلَيْهِ».

ومِنْ أفضلِ ما قِيلَ في تفسيرِها ما ذَكَرَه الشيخُ الشنقيطيُّ في «أضواءِ البَيانِ» (٥/ ٢٨٨): «هُوَ أَنَّ مَا يُلقِيهِ الشَّيطَانُ فِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ الشُّكُوكُ وَالوَسَاوِسُ المَانِعَةُ مِن تَصدِيقِهَا وَقَبُولِهَا، كَإِلقَائِهِ عَلَيْهِم أَنَّهَا سِحرٌ أَوْ شِعرٌ، أَوْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ، وَأَنَّهَا مُفتَرَاةٌ عَلَى الله لَيسَت مُنَزَّلَةً مِن عِندِهِ... فَمَعنَى نَسخِ مَا يُلقِي الشَّيطَانُ: إِزَالَتُهُ وَإِبطَالُهُ، وَعَدَمُ تَأثِيرِهِ فِي المُؤمِنِينَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ. ومعنى «يُحكِمُ آياتِه»: يُتقِنُهَا بِالإِحكَامِ، فَيُظهِرُ أَنَّهَا وَحيٌ مُنَزَّلٌ مِنهُ بِحَقٍّ، وَلَا يُؤَثِّرُ فِي ذَلِكَ مُحَاوَلَةُ الشَّيطَانِ صَدَّ النَّاسِ عَنهَا بِإِلقَائِهِ المَذكُورِ».

(٥) تَقدَّمَ بيانُ بُطلانِ هذا التأويلِ، انظر الهامش السابق.

(٦) في نُسخَةِ قَباوَة: (لا لَيلَ له)، وفي نسخة حاشية الجمل: (لا لَيلَ فيه).

ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ
مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ
أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ
بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ
مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ
مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٤

[٥٦] ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يومَ القِيامَةِ ﴿لِّلَّهِ﴾ وَحدَه- ومَا تَضمَّنَه مِنَ الاستِقرارِ[1]، نَاصِبٌ لِلظَّرفِ- ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾: بينَ[2] المُؤمِنِينَ والكَافِرِينَ بِمَا بَيَّنَ بعدَه ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فَضلًا مِنَ اللهِ.

[٥٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: شَدِيدٌ بِسَبَبِ كُفرِهِم.

[٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طَاعَتِه مِنْ مَكَّةَ إلى المَدِينَةِ ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ هو رِزقُ الجَنَّةِ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أفضَلُ المُعطِينَ.

[٥٩] ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾ -بِضَمِّ الميمِ وفَتحِها[3]-: أي: إِدخَالًا[4]، أو مَوضِعًا[5] ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ وهو الجَنَّةُ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بِنِيَّاتِهم ﴿حَلِيمٞ﴾ عَنْ عِقَابِهم.

[٦٠] الأَمرُ ﴿۞ ذَٰلِكَ﴾ الذي قَصَصناه عَليكَ. ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ﴾: جَازَى، مِنَ المُؤمِنِينَ ﴿بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ظُلمًا مِنَ المُشرِكِينَ؛ أي: قَاتَلَهم كَما قَاتَلُوه في الشَّهرِ الحَرَامِ[6] ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾ منهم؛ أي: ظُلِمَ بِإِخرَاجِه مِنْ مَنزِلِه ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عَنِ المُؤمِنِينَ ﴿غَفُورٞ﴾ لهم، عَنْ قِتَالِهم في الشَّهرِ الحَرَامِ.

[٦١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ النَّصرُ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ أي: يُدخِلُ كُلًّا منهما في الآخَرِ؛ بِأَنْ يَزِيدَ بِه، وذلكَ مِنْ أَثَرِ قُدرَتِه -تَعَالَى[7]- التي بها النَّصرُ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ دُعَاءَ المُؤمِنِينَ ﴿بَصِيرٞ﴾ بهم؛ حَيثُ جَعَلَ فيهم الإِيمَانَ؛ فأَجَابَ دُعَاءَهُم.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ النَّصرُ أيضًا ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾: الثَّابِتُ ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ﴾ -بِاليَاءِ والتَّاءِ-[8]: يَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ - وهُو الأَصنَامُ- ﴿هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾: الزَّائِلُ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ أي: العَالِي على كُلِّ شَيءٍ بِقُدرَتِه[9] ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ الذي يَصغُرُ كُلُّ شَيءٍ سِوَاهُ.

[٦٣] ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: تَعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾: مَطَرًا ﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾ بِالنَّبَاتِ. وهَذَا مِنْ أَثَرِ قُدرَتِه؟[10] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بِعِبَادِه، في إِخرَاجِ النَّبَاتِ بِالمَاءِ ﴿خَبِيرٞ﴾ بِمَا في قُلُوبِهم، عِندَ تَأخِيرِ المَطَرِ.

[٦٤] ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ عَلى جِهَةِ المُلْكِ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عَنْ عِبَادِه ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ لِأَولِيَائِه.

---

(١) أي: معنَى الاستقرارِ المُقدَّرِ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِالمُجازَاةِ بَينَ).

(٣) ﴿مَدخلا﴾؛ بِفَتحِ المِيمِ: قِرَاءَةُ نافع. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مُّدۡخَلٗا﴾؛ بِضَمِّها.

(٤) هذا المعنَى على قِراءةِ الضَّمِّ.

(٥) هذا المعنَى على قِراءةِ الفَتحِ.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (شهر مُحرَّم).

(٧) كلمة: (تعالى) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٨) ﴿تدعون﴾؛ بالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابن عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَدۡعُونَ﴾؛ بِاليَاءِ.

(٩) وهذا قَصرٌ لمعنَى «العَلِيّ» على أحد مَدلُولَاتِه، وإِغفَالُ الباقي؛ فالله -سُبْحَانَهُ- له العُلُوُّ المُطلَقُ؛ عُلُوُّ الذَّاتِ، وعُلُوُّ الشَّانِ، وعُلُوُّ القَهرِ.

(١٠) ورَحمتِه أيضًا.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي
فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِي ٱلْأَمْرِۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسْتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ
ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنٗا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ
عِلْمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٖ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَۖ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن
ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعلمْ[1] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ البَهائِمِ ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾: السُّفُنَ ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ لِلرُّكُوبِ والحَمْلِ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بإذنِه[2] ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ مِنْ ﴿أَن﴾ أو لِئَلَّا ﴿تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ فتهلِكُوا؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ في التَّسخيرِ والإمسَاكِ.

[٦٦] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بالإِنشَاءِ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عِندَ انتِهاءِ آجالِكُم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عِندَ البَعْثِ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: المُشرِكَ ﴿لَكَفُورٞ﴾ لِنِعَمِ اللهِ؛ بِتَرْكِه تَوحِيدَه.

[٦٧] ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ - بِفَتحِ السِّينِ وكَسرِها-[3]: شَريعةً ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: عَامِلونَ به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ يُرَادُ بهِ: لا تُنازِعْهم ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾: أَمرِ الذَّبيحَةِ؛ إذْ قَالُوا: «ما قتَلَ اللهُ أحَقُّ أنْ تأكُلوه، مِمَّا قَتلتُم»[4] ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: إلى دِينِه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى﴾: دِينٍ ﴿مُّسْتَقِيمٖ﴾.

[٦٨] ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ في أمْرِ الدِّينِ ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيُجَازِيكُم عليه. وهذا قَبلَ الأَمْرِ بالقِتَالِ.

[٦٩] ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ - أَيُّها المُؤمِنُونَ والكَافِرُونَ- ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بأَنْ يَقُولَ كُلٌّ مِنَ الفَرِيقَينَ خِلَافَ قَولِ الآخَرِ.

[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ - الاستِفهامُ فيه لِلتَّقرِيرِ- ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما ذُكِرَ ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللَّوحُ المَحفُوظُ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: عِلْمَ مَا ذُكِرَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾: سَهلٌ.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المُشرِكُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ - هُو الأَصنامُ- ﴿سُلْطَٰنٗا﴾: حُجَّةً ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٞ﴾ أنَّها آلهةٌ[5] ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بالإِشرَاكِ ﴿مِن نَّصِيرٖ﴾ يَمنَعُ عنهم عَذَابَ اللهِ.

[٧٢] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾: ظَاهِرَاتٍ، حَالٌ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: الإِنكَارَ لها؛ أي: أَثَرَه مِنَ الكَرَاهَةِ والعُبُوسِ ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾[6] أي: يَقَعُونَ فيهم بِالبَطشِ ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ بِأَكْرَهَ إليكُم مِنَ القُرآنِ المَتْلُوِّ عليكُم؟ هو: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِأَنَّ مَصِيرَهم إليها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي!

---

(١) كلمة: (تَعلمْ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) وهذا يَقتَضِي إِثْبَاتَ الكَلامِ للهِ عَزَّوَجَلَّ، كما هو مذهبُ السَّلفِ الصَّالحِ؛ حيثُ يُثبِتُونَ الكَلامَ على الحَقِيقَةِ بحَرفٍ وصَوتٍ، على ما يليقُ بجلالِه تعالى.

(٣) ﴿مَنسِكًا﴾، بِالكَسرِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ.

(٤) رَاجِعْ ما تَقدَّمَ في سببِ نزولِ الآياتِ (١١٩-١٢١) مِن سُورةِ الأنعام.

(٥) أي: عبدوها تقليدًا لآبائِهم، مِن غَيرِ دَليلٍ ولا حُجَّةٍ.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوة زيادةُ عِبَارةِ: (مِنَ القرآن) قبلَ كلمةِ: (أي)، وهي تَفسيرٌ لقولِه تعالى: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ
وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا
وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ
أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ
وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي
ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ
فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ
وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨

سجدة

سُورَةُ المُؤمِنُونَ (ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨)

٣٤١

[٧٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ وهُو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾: تعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرِه- وهُمُ الأصنامُ- ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ - اسمُ جِنْسٍ، وَاحِدُهُ ذُبابَةٌ، يَقَعُ على المُذَكَّرِ والمُؤنَّثِ- ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾: لِخَلقِه ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ مِمَّا عليهم؛ مِنَ الطِّيبِ والزَّعفَرَانِ [المُلَطَّخِينَ](1) به ﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ﴾: لا يَستَرِدُّوه ﴿مِنۡهُۚ﴾ لِعَجْزِهِم، فكَيفَ يُعبَدُونَ شُرَكَاءَ لله -تَعَالَى-؟! هذا أمْرٌ مُستغرَبٌ، عُبِّرَ عنه بِـ﴿ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: العَابِدُ ﴿وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾: المَعبُودُ!

[٧٤] ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾: عَظَّمُوه ﴿حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ﴾: عَظَمَتِه؛ إِذْ(2) أشرَكُوا به ما لَمْ يَمتَنِعْ مِنَ الذُّبَابِ، ولا يَنتَصِفُ منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ.

[٧٥] ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ رُسُلًا. نَزَلَ(3) لَمَّا قَالَ المُشرِكُونَ: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾؟(4) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لِمَقَالَتِهم ﴿بَصِيرٞ﴾ بِمَنْ يَتَّخِذُه رَسُولًا؛ كَجِبرِيلَ ومِيكَائِيلَ وإِبرَاهِيمَ ومُحَمَّدٍ وغَيرِهم -صَلَّى اللهُ عليهم وسَلَّمَ-.

[٧٦] ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ﴾ أي: مَا قَدَّمُوا ومَا خَلَّفُوا، وما عَمِلُوا ومَا هُم عَامِلُونَ بَعْدُ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

[٧٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ﴾ أي: صَلُّوا ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾: وَحِّدُوهُ ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ كَصِلَةِ الرَّحِمِ ومَكَارِمِ الأَخلَاقِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩﴾: تَفُوزُونَ بِالبَقَاءِ في الجَنَّةِ.

[٧٨] ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ لِإِقَامَةِ دِينِه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ بِاستِفرَاغِ الطَّاقَةِ فيه. ونُصِبَ ﴿حَقَّ﴾ على المَصْدَرِ ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾: اختَارَكُم لِدِينِه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ أي: ضِيقٍ؛ بِأَنْ سَهَّلَهُ عِندَ الضَّرُورَاتِ؛ كَالقَصْرِ، والتَّيَمُّمِ، وأَكْلِ المَيتَةِ، والفِطْرِ لِلمَرَضِ والسَّفَرِ ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ﴾ - منصُوبٌ بِنَزعِ الخَافِضِ: «الكَافِ»(5)- ﴿إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾: عَطفُ بَيَانٍ ﴿هُوَ﴾ أي: اللهُ ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: قَبلِ هَذَا الكِتَابِ ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: القُرآنِ ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ يومَ القِيَامَةِ أنَّه بَلَّغَكم ﴿وَتَكُونُواْ﴾ أنتُم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ أَنَّ رُسُلَهم بَلَّغَتْهم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: دَاوِمُوا عليها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾: ثِقُوا به ﴿هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾: نَاصِرُكُم ومُتَوَلِّي أُمُورِكُم ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ هُوَ! ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: النَّاصِرُ(6) لكُم!

---

(1) في الأصل ونُسخةِ حاشيةِ الجَمَلِ ونُسخةِ قَبَاوَة وبعضِ النُّسخ المطبوعةِ: (الملطَّخون). وقالَ الصَّاوي مُستَشكِلًا ذلك: «المُناسبُ أن يقولَ: "المتلطِّخِينَ"؛ لأنَّه نَعتٌ سَبَبيٌّ لِلطِّيبِ والزعفَرانِ» اهـ والمثبتُ مِن نسُخَةِ القَاضِي كنعَان؛ قال: «هو هكذا في المخطوطةِ الثانيةِ، وهو الصَّوابُ. والله أعلمُ».

(2) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أن).

(3) لمْ نقفْ عليه مُسنَدًا. وذكره الطبريُّ (١٦/ ٦٣٨) بِصِيغَةِ التَّمرِيضِ، دُونَ عزوِهِ لأحَدٍ. ونقل الرازيُّ (٢٣/ ٢٥٣) عن مُقَاتِلٍ -في تَعلِيقِه على هذه الآيةِ- قولَه: «قَالَ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرَةِ: أَأُنزِلَ عليْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا؟ فَأَنزَلَ الله تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ».

(4) سورة ص: ٨.

(5) أي: كَمِلَّةِ أبيكم.

(6) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (النَّاصِر هو).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجزء ١٨ الحزب ٣٥

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ
ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾
ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون

مَكِّيَّةٌ، وهي مِائَةٌ وثماني، أو: تِسعَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدْ﴾: لِلتحقيقِ ﴿أَفْلَحَ﴾: فازَ ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: مُتَوَاضِعُونَ(١).

[٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ مِنَ الكَلَامِ وغَيرِه ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾: مُؤَدُّونَ.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عَنِ الحَرَامِ.

[٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: مِنْ زَوجَاتِهِم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السَّرَارِيِّ ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانِهِنَّ.

[٧] ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ مِنَ الزَّوجَاتِ والسَّرَارِيِّ؛ [كَالاستِمناءِ بِيَدِه](٢) ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: المُتَجَاوِزُونَ إلى مَا لا يَحِلُّ لَهم.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ - جَمعًا ومُفرَدًا(٣) - ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فِيمَا بَينَهم، أو فِيمَا بَينَهم وبَينَ اللهِ، مِنْ صَلاةٍ وغَيرِها ﴿رَاعُونَ﴾ حافِظُونَ.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ﴾ - جَمعًا ومُفرَدًا(٤) - ﴿يُحَافِظُونَ﴾: يُقِيمُونَها في أوقَاتِها.

[١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[*] لا غيرهم.

[١١] ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هُو جَنَّةُ أعلى الجِنانِ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشَارَةٌ إلى المَعادِ، ويُنَاسِبُه ذِكْرُ المَبدَأِ بَعْدَهُ:

[١٢] ﴿وَ﴾ اللهِ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: آدَمَ ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ هِي مِنْ: سَلَلتُ الشَّيءَ مِنَ الشَّيءِ؛ أَي: استَخْرَجْتُه منه - وهو خُلَاصَتُه - ﴿مِنْ طِينٍ﴾: مُتَعلِّقٌ بِـ﴿سُلَالَةٍ﴾.

[١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسانَ نَسلَ آدَمَ ﴿نُطْفَةً﴾: مَنِيًّا ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هُو الرَّحِمُ.

[١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: دَمًا جَامِدًا ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: لَحمَةً قَدْرَ مَا يُمضَغُ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿عَظْمًا﴾ في المَوضِعَينِ(٥)، و«خَلَقْنا» في المواضِعِ الثَّلاثِ(٦)؛ بِمَعنَى: صَيَّرنَا - ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بِنَفخِ الرُّوحِ فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المُقدِّرِينَ(٧). ومُمَيِّزُ ﴿أَحْسَنُ﴾ مَحذُوفٌ لِلعِلْمِ بِه؛ أي: خَلْقًا.

[١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ لِلحِسابِ والجَزاءِ.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سَمَاوَاتٍ: جَمعُ طَرِيقَةٍ(٨)؛ لِأنَّها طُرُقُ المَلائِكَةِ ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ التي تَحتَها ﴿غَافِلِينَ﴾ أنْ تَسقُطَ عليهم؛ فتُهلِكَهم - بَلْ نُمسِكُها؛ كَآيَةِ: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾(٩) -.

---

[*] فائِدَةٌ: أخرجَ ابنُ مَاجه عَنْ أبي هُرَيرَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنزِلَانِ: مَنزِلٌ فِي الجَنَّةِ، وَمَنزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾». ابنُ مَاجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٩) صِفَة الجَنَّةِ. وصَحَّحه الألبانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ ابنِ مَاجه (٣٥٠٣).

---

(١) الخُشوعُ في الصَّلاةِ غيرُ التَّواضُعِ؛ ومعناه: الخُضوعُ والخَوفُ والسُّكونُ؛ أي: بَاطِنًا وظَاهِرًا. ونقل ابنُ جرير (١٧/ ١٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، في قَولِه: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾؛ قال: «خائِفُونَ سَاكِنُونَ». واختارَ ابنُ جرير أنَّ الخُشوعَ التَّذَلُّلُ والخُضوعُ.

(٢) في الأصلِ: (كَالاستِمناءِ باليد في إتيانِهِنَّ)، وفي نُسخَةِ حاشِيَةِ الجَمل: (كَالاستِمناءِ بيده في إتيانِهِنَّ)، بزيادة: (في إتيانِهِنَّ)، وهي مُقحَمَةٌ -كما قال قَبَاوَةُ- على عِبارَةِ المَحلِّيِّ. والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٣) ﴿لِأَمَانَتِهِمْ﴾، بالإفرادِ؛ بِغَيرِ أَلِفٍ بعدَ النَّاءِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ﴾، بِالجمع.

(٤) ﴿صَلَاتِهِمْ﴾، بالإفرادِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿صَلَوَاتِهِمْ﴾، بِالجمع.

(٥) أي: ﴿عَظْمًا﴾، و﴿الْعَظْمَ﴾، بالإفرادِ، وهي قِراءَةُ ابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وفي نُسخَةِ قَبَاوَة: (﴿عَظْمًا﴾، و﴿الْعَظْمَ﴾ في الموضِعَينِ).

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (الثلاثة).

(٧) ذكرَ غيرُ واحدٍ مِنَ المُفسِّرينَ في تفسيرِ هذه الآيةِ؛ قال: «المُصَوِّرِينَ وَالمُقَدِّرِينَ». يُنظَرُ: البغويُّ (٥/ ٤١٢)، زاد المسير (٣/ ٢٥٧).

(٨) أي: لأنَّ بعضَها فوقَ بعضٍ. وقيلَ: لأنَّها طُرُقُ الملائكَةِ. فهذانِ تفسيرانِ لِسَبَبِ التَّسمِيَةِ، وصَنيعُ المُصنِّفِ يُوهِمُ أنَّه تفسيرٌ واحِدٌ.

(٩) الحج: ٦٥.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ
ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً
تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ
﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ
ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ
فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ
ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

[١٨] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ مِنْ كِفَايَتِهِم ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ فيَمُوتُونَ مَعَ دَوَابِّهِم عَطَشًا.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ هُما أكثَرُ فَوَاكِهِ العَرَبِ ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ صَيفًا وشِتَاءً.

[٢٠] ﴿وَ﴾ أنشَأْنَا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ [سِينَآءَ]﴾: جَبَلٍ، بِكَسرِ السِّينِ وفَتحِها[١]. ومَنْعُ الصَّرفِ لِلعَلَمِيَّةِ والتَّأنِيثِ لِلبُقعَةِ ﴿[تُنبِتُ]﴾ - مِنَ الرُّبَاعِيِّ والثُّلاثِيِّ[٢]- ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ البَاءُ: زَائِدَةٌ عَلى الأوَّلِ، ومُعَدِّيَةٌ عَلى الثَّاني؛ وهِيَ: شَجَرَةُ الزَّيتُونِ ﴿وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ﴾: عَطفٌ عَلى «الدُّهْنِ»؛ أي: إدَامٌ يَصبَغُ اللُّقمَةَ بِغَمسِها فيه؛ وهو: الزَّيتُ.

[٢١] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ ﴿لَعِبْرَةً﴾: عِظَةً تَعتَبِرُونَ بها ﴿[نَّسْقِيكُم]﴾ - بِفَتحِ النُّونِ وضَمِّها[٣]- ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ أي: اللَّبَنَ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ مِنَ الأَصوَافِ والأَوبَارِ والأَشعَارِ وغَيرِ ذلكَ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: الإبِلِ ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السُّفُنِ ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أطِيعُوه وَوَحِّدُوهُ ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وهُو اسمُ ﴿مَا﴾ وما قَبلَهُ: الخَبَرُ، و﴿مِّنْ﴾: زَائِدَةٌ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: تَخافُونَ عُقُوبَتَه بِعِبَادَتِكم غَيرَه؟

[٢٤] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ لِأتبَاعِهِم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾: يَتَشرَّفَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِأَنْ يَكُونَ مَتبُوعًا وأَنتُم أَتبَاعَهُ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أَنْ لَا يُعبَدَ غَيرُه ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بِذَلك لَا بَشَرًا ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي دَعَا[٤] إليه نُوحٌ مِنَ التَّوحِيدِ ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: الأُمَمِ المَاضِيَةِ.

[٢٥] ﴿إِنْ هُوَ﴾: مَا نُوحٌ ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: حَالَةُ جُنُونٍ ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾: انتَظِرُوه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى زَمَنِ مَوتِه.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ نُوحٌ: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بِسَبَبِ تَكذِيبِهِم إيَّايَ؛ بِأَنْ تُهلِكَهُم. قَالَ -تَعَالَى- مُجِيبًا دُعَاءَه:

[٢٧] ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾: السَّفِينَةَ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بِمَرْأًى مِنَّا وحِفظِنا[٥] ﴿وَوَحْيِنَا﴾: أمرِنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بِإهلَاكِهِم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ لِلخَبَّازِ بالمَاءِ[٦]- وكَانَ ذلكَ عَلامَةً لِنُوحٍ- ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أَدخِلْ في السَّفِينَةِ ﴿مِن كُلٍّ﴾[٧] ﴿زَوْجَيْنِ﴾ أي: ذَكَرٍ وأُنثَى؛ أي: مِنْ كُلِّ أنوَاعِهِما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: ذَكَرٌ وأُنثَى- وهو مَفعُولٌ، و﴿مِن﴾ مُتَعَلِّقَةٌ بِـ«اسْلُكْ». وفي القِصَّةِ: أنَّ اللهَ -تَعَالَى- حَشَرَ لِنُوحٍ السِّبَاعَ والطَّيرَ وغَيرَهما؛ فَجَعَلَ يَضرِبُ بِيَدَيهِ في كُلِّ نَوعٍ؛ فَتَقَعُ يَدُه اليُمنَى على الذَّكَرِ، واليُسرَى على الأُنثَى؛ فَيَحمِلُهما في السَّفِينَةِ. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿كُلٍّ﴾ بِالتَّنوِينِ، فَـ﴿زَوْجَيْنِ﴾ مَفعُولٌ، و﴿ٱثْنَيْنِ﴾ تَأكِيدٌ له- ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زَوجَتَه وأَولَادَه ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلَاكِ- وهو: زَوجَتُه ووَلَدُه كَنعَانُ[٨]، بِخِلَافِ سَامٍ وحَامٍ ويَافِثَ، فحَمَلَهم وزَوجَاتِهِم ثَلاثَةً. وفي سُورَةِ «هُودٍ»: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٩] قِيلَ: «كانُوا سِتَّةَ رِجَالٍ، ونِسَاءَهم». وقِيلَ: «جَمِيعُ مَن كَانَ في السَّفِينَةِ ثَمَانِيَةٌ وسَبعُونَ؛ نِصفُهم رِجَالٌ، ونِصفُهم نِساءٌ»- ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: كَفَرُوا: بِتَركِ إهلَاكِهِم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

---

(١) ﴿سِينَآءَ﴾؛ بِالكَسرِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿سَيْنَآءَ﴾؛ بِفَتحِ السِّينِ.

(٢) أي: مِنْ أنبَتَ ونَبَتَ، يُشِيرُ بِذلكَ إلى القِراءَتَينِ، وبِضَمِّ التَّاءِ وكَسرِ البَاءِ؛ ﴿تُنبِتُ﴾: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَنۢبُتُ﴾؛ بِفَتحِ التَّاءِ وضَمِّ البَاءِ.

(٣) ﴿نَسْقِيكُم﴾؛ بِالفَتحِ: قِرَاءَةُ نَافعٍ وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿نُّسْقِيكُم﴾؛ بِضَمِّ النُّونِ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (دَعَانَا).

(٥) وفيها إثبَاتُ صِفَةِ العَينِ للهِ سبحانَه على الحَقِيقَةِ، كما هُو مذهبُ السَّلفِ الصَّالِحِ، وأمَّا الجَمعُ فَلِلتَّعظِيمِ لا لِلتَّكثِيرِ؛ كَقَولِه تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.

(٦) رَاجِع التعليقَ في سورة هُود آية ٤٠.

(٧) ﴿كُلِّ﴾؛ هي قِراءةُ السَّبْعَةِ عدا حفصٍ، وقَرأ حفصٌ بِالتنوِينِ: ﴿كُلٍّ﴾.

(٨) راجع التّعليقَ في سُورة هُود آية ٤٠.

(٩) هُود: ٤٠.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ
مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٣٥

[٢٨] ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ﴾: اعتدلت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرينَ وإهلاكِهم[1].

[٢٩] ﴿وَقُل﴾ عِندَ نُزُولك مِنَ الفُلْكِ: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ - بِضَمِّ الميمِ وفتحِ الزَّايِ: مَصدرٌ، أو: اسمُ مَكانٍ، وبِفتحِ الميم وكسرِ الزَّاي[2]: مكانُ النُّزولِ- ﴿مُّبَارَكًا﴾ ذلكَ الإنزالُ، أو المَكانُ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ ما ذُكِرَ.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ، مِنْ أَمْرِ نُوحٍ والسَّفِينَةِ وإهلاكِ الكُفَّارِ ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ عَلى قُدرَةِ الله -تَعالَى- ﴿وَإِن﴾: مُخففَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُها ضَميرُ الشَّأنِ ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: مُختَبِرِينَ قَومَ نُوحٍ، بِإرسَالِه إليهم وَوَعْظِهِ.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾: قَومًا ﴿ءَاخَرِينَ﴾ هُم عادٌ[3].

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هُودًا[4] ﴿أَنِ﴾ أي: بِأَنِ ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عِقَابَه فتُؤمِنُونَ؟

[٣٣] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بالمَصِيرِ إليها ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾: نَعَّمْنَاهُم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَ﴾ اللهِ ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ - فيه قَسَمٌ وشَرطٌ، والجَوابُ لِأَوَّلِهما، وهو مُغْنٍ عَنْ جَوابِ الثَّاني-: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إذا أَطَعتُمُوهُ ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي: مَغبُونُونَ.

[٣٥] ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ هو خَبَرُ ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأُولَى، و﴿أَنَّكُم﴾ الثَّانِيَةُ تَأكِيدٌ لها لَمَّا طَالَ الفَصلُ.

[٣٦] ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾: اسمُ فِعْلٍ مَاضٍ بِمَعنَى مَصْدَرٍ؛ أي: بَعُدَ بَعُدَ ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ الإخرَاجِ مِنَ القُبورِ! واللَّامُ: زَائِدَةٌ لِلبَيانِ.

[٣٧] ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي: مَا الحَياةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بِحيَاةِ أبنائِنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما الرَّسُولُ ﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾: مُصَدِّقِينَ في البَعْثِ بَعدَ المَوتِ.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ مِنَ الزَّمَانِ- و«مَا»: زَائِدَةٌ- ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾: لَيَصِيرُنَّ ﴿نَٰدِمِينَ﴾ على كُفرِهِم وتَكذِيبِهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: صَيحَةُ العَذَابِ والهَلاكِ، كَائِنَةً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فماتُوا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ وهو نَبْتٌ يَبِسَ؛ أي: صَيَّرنَاهم مِثلَهُ في اليُبْسِ ﴿فَبُعْدًا﴾ مِنَ الرَّحمَةِ ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المُكَذِّبِينَ.

[٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾: أَقوامًا[5] ﴿ءَاخَرِينَ﴾.

---

(١) أي: ونجَّانا مِن إهلاكِهم فلم نَهلِكْ مَعهم.

(٢) ﴿مَنزِلًا﴾، بِفَتح الميمِ وكَسرِ الزَّاي: قِرَاءَةُ شُعبةَ، وقرأ البَاقُونَ: ﴿مُنزَلًا﴾، بِضَمِّ الميمِ وفَتحِ الزَّاي.

(٣) وقيلَ: هُم ثمودُ قومُ صَالحٍ؛ لأنَّهم همُ الذين أُهلِكُوا بالصَّيحَةِ. واعتمدَه البيضاويُّ في تَفسِيرِه. واختاره السعديُّ في تيسير الكريم الرحمن (ص٥٩٧) وقال: «الظاهرُ أنَّهم «ثمودُ» قومُ صَالِحٍ عليهالسلام؛ لأنَّ القِصَّةَ هذه تُشبِهُ قِصَّتَهم» اهـ.

(٤) وعلى القولِ الآخرِ: يكونُ الرَّسُولُ صَالحًا.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: أُممًا).

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ
وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم
بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بِأَنْ تَمُوتَ قَبلَه ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه- ذُكِّرَ الضَّمِيرُ بعدَ تَأنِيثِه رِعايةً لِلمَعنَى-.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا [تَتْرًا]﴾ - بِالتَّنوِينِ وعَدَمِه(1)-: أي: مُتَتَابِعِينَ، بَينَ كُلِّ اثنَينِ زَمَانٌ طَوِيلٌ(2) ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيةِ بَينَها وبَينَ الوَاوِ(3)- ﴿رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهَلَاكِ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ- وهي: اليَدُ والعَصَا وغَيرُهما مِنَ الآيَاتِ(4)-.

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عَنِ الإِيمَانِ بها وباللهِ ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾: قَاهِرِينَ بَنِي إِسرَائِيلَ بِالظُّلمِ.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾: مُطِيعُونَ خَاضِعُونَ؟

[٤٨] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التَّورَاةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أَي: قَومَه بَنِي إِسرَائِيلَ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به مِنَ الضَّلَالَةِ. وأُوتِيَها بَعدَ هَلَاكِ فِرعَونَ وقَومِه، جُملَةً وَاحِدَةً(5).

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عِيسَى ﴿وَأُمَّهُ آيَةً﴾ - لَم يَقُلْ: «آيَتَينِ»، لِأَنَّ الآيَةَ فيهما وَاحِدَةٌ؛ وِلادَتُه مِنْ غَيرِ فَحلٍ- ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ [رُبْوَةٍ](6)﴾: مَكَانٍ مُرتَفِعٍ، وهو: بَيتُ المَقدِسِ(7)، أَو دِمَشقُ(8)، أو فِلسطِينُ(9)، أَقوَالٌ ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مُستَوِيَةٍ يَستَقِرُّ عليها سَاكِنُوهَا ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: مَاءٍ جَارٍ ظَاهِرٍ تَرَاهُ العُيونُ.

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الحَلَالَاتِ ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ مِنْ فَرضٍ ونَفلٍ ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأُجَازِيكُم عليه.

[٥٢] ﴿وَ﴾ اعلَمُوا ﴿[أَنَّ] هَٰذِهِ﴾ أَي: مِلَّةَ الإِسلَامِ ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: دِينُكم- أَيُّها المخَاطَبُونَ- أَي: يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: حَالٌ لَازِمَةٌ- وفي قِرَاءَةٍ: بِتَخفِيفِ النُّونِ، وفي أُخرَى: بِكَسرِها(10) مُشَدَّدَةٍ(11)؛ استِئنَافًا- ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾: فَاحذَرُونِ.

[٥٣] ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ أَي: الأَتبَاعُ ﴿أَمْرَهُم﴾: دِينَهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾: حَالٌ مِنْ فَاعِلِ «تَقَطَّعُوا»؛ أَي: أَحزَابًا مُتَخَالِفِينَ؛ كَاليَهُودِ والنَّصَارَى وغَيرِهم(12) ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: عِندَهُم مِنَ الدِّينِ ﴿فَرِحُونَ﴾: مَسرُورُونَ.

[٥٤] ﴿فَذَرْهُمْ﴾: اترُكْ كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: ضَلَالَتِهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: حِينِ مَوتِهم.

[٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ﴾: نُعطِيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ في الدُّنيا.

[٥٦] ﴿نُسَارِعُ﴾: نُعَجِّلُ ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾؟ لَا، ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ استِدرَاجٌ لهم.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾: خَوفِهم منه ﴿مُّشْفِقُونَ﴾: خَائِفُونَ مِنْ عَذَابِه.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: القُرآنِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَ. [٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ مَعه غَيرَه.

---

(١) ﴿تَتْرًا﴾؛ بالتنوينِ: قِرَاءةُ ابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وأصل «تَتْرًا»: «وَتْرًى» من «الوَتْر»، وهو: الفَرد. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَتْرَا﴾؛ بِدونِ تَنوينٍ.

(٢) وقيل: مُتَتَابِعِينَ بِلا مُهلَةٍ.

(٣) تحقيقُ الهَمزَتَينِ هو قِراءةُ حمزةَ والكِسَائيِّ وعاصمٍ وابنِ عامرٍ، وتسهيلُ الثانيةِ هو قِرَاءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٤) تَقَدَّمَ بيانُها في تفسير آية الأعراف: (١٣٣)، ويونس: (٧٥).

(٥) رواه ابنُ عساكر (٨/ ٣٣) بسَنَدٍ وَاهٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. ورَوَى ابنُ أبي حاتمٍ (٨/ ٢٦٨٩) عَنْ قَتَادَةَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]، كَمَا أُنزِلَ عَلَى مُوسَى، وكَمَا أُنزِلَ عَلَى عِيسَى عليهم السَّلامُ. وقد دَلَّ ظاهرُ القرآنِ على ذلك، كما في قولِه تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

(٦) قرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ: ﴿رَبْوَةٍ﴾؛ بفتح الرَّاءِ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿رُبْوَةٍ﴾؛ بِضَمِّ الرَّاءِ.

(٧) رَوى عبدُ الرزَّاقِ (٢/ ٤١٦)، وابنُ جرير (١٩/ ٣٩) عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، قَالَ: «ذَاتِ ثِمَارٍ وَمَاءٍ، وَهِيَ بَيْتُ المَقْدِسِ».

(٨) رواه يحيى بنُ سلام (١/ ٤٠٢) عَنِ الحَسَنِ قَالَ: «الرَّبْوَةُ: دِمَشْقُ». ورواه أيضًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ قَالَ: «هِيَ دِمَشْقُ».

(٩) رواهُ عبدُ الرزَّاقِ (٢/ ٤١٧) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عن أبي هُرَيْرَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قَالَ: «هِيَ الرَّمْلَةُ مِنْ فِلَسْطِينَ». وأخرجه ابنُ جريرٍ (١٩/ ٣٧) والطبرانيُّ في الكبير (٧٥٤) عن مُرَّةَ البَهْزِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُ أَنَّ: «الرَّمْلَةَ هِيَ الرَّبْوَةُ، ذَلِكَ أَنَّهَا مُغَرِّبَةٌ وَمُشَرِّقَةٌ». وضعَّفَ الألبانيُّ إسنادَه في الضعيفة (٣٦٥٤).

(١٠) في نُسخةِ قباوة: (بِكَسرِ هَمزةِ «إِنَّ»).

(١١) بكسر الهمزةِ وتشديد النُّونِ؛ ﴿إِنَّ﴾: قراءةُ: عاصمٍ وحمزة والكِسَائيِّ، وقرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿أَنَّ﴾؛ بفتح الهَمزَةِ وتَشديدِ النُّونِ. وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿أَنْ﴾؛ بِفتح الهَمزَةِ وسُكونِ النُّونِ.

(١٢) في نُسخة قباوة: (وغيرِهما).

وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ
﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ
هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ
يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ
ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾
مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ
جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ
فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ
وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ
عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ
وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

[٦٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ﴾: يُعطُونَ ﴿مَآ ءَاتَواْ﴾: أعطَوا، مِنَ الصَّدَقَةِ والأَعمالِ الصَّالِحَةِ[١] ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾: خَائِفَةٌ أَنْ لَا تُقبَلَ منهم ﴿أَنَّهُمۡ﴾ -يُقَدَّرُ قَبلَهُ: لَامُ الجَرِّ[٢]- ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾.

[٦١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ في عِلْمِ اللهِ.

[٦٢] ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ أي: طَاقَتَها- فَمَنْ لَمْ يَستَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ قَائِمًا فَلْيُصَلِّ جَالِسًا، ومَنْ لَمْ يَستَطِعْ أَنْ يَصُومَ فَلْيَأْكُلْ- ﴿وَلَدَيۡنَا﴾: عِندَنا ﴿كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ﴾: بِمَا عَمِلَتْهُ- وهو: اللَّوحُ المَحفُوظُ تُسَطَّرُ فيه الأَعمالُ- ﴿وَهُمۡ﴾ أي: النُّفُوسُ العَامِلَةُ ﴿لَا يُظۡلَمُونَ﴾ شَيئًا منها؛ فلا يُنقَصُ مِنْ ثَوابِ أَعمالِ الخَيراتِ، ولَا يُزَادُ في السَّيِّئاتِ.

[٦٣] ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: الكُفَّارِ ﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾: جَهالَةٍ ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ القُرآنِ ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ المذكُورِ لِلمُؤمِنِينَ ﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ فيُعَذَّبُونَ عليها.

[٦٤] ﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتِدَائِيَّةٌ ﴿إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم﴾: أغنِيَاءَهم ورُؤَسَاءَهم ﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾ أي: السَّيفِ يومَ بَدْرٍ[٣] ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾: يَضِجُّونَ. يُقَالُ[٤] لهم:

[٦٥] ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾: لا تُمنَعُونَ.

[٦٦] ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾: تَرجِعُونَ القَهقَرى.

[٦٧] ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ عَنِ الإِيمانِ ﴿بِهِۦ﴾ أي: بِالبَيتِ أَوِ الحَرَمِ؛ بِأَنَّهم أَهلُه في أَمْنٍ، بِخِلَافِ سَائِرِ النَّاسِ في مَوَاطِنِهم ﴿سَٰمِرٗا﴾: حَالٌ؛ أي: جَمَاعَةً، يَتَحَدَّثُونَ بِاللَّيلِ[٥] حَولَ البَيتِ ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ مِنَ الثُّلَاثِي: تَترُكُونَ القُرآنَ. ومِنَ الرُّبَاعِي[٦]: أي: تَقُولُونَ غَيرَ الحَقِّ في النَّبِيِّ والقُرآنِ.

[٦٨] قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ﴾ -أَصلُه: «يَتَدَبَّرُوا»؛ فَأُدغِمَتِ التَّاءُ في الدَّالِ- ﴿ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: القُرآنَ الدَّالَّ على صِدقِ النَّبِيِّ؟ ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؟

[٦٩] ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾؟

[٧٠] ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ﴾؟ الاستِفهَامُ فيه لِلتَّقرِيرِ بِالحَقِّ؛ مِنْ صِدقِ النَّبِيِّ، ومَجِيءِ الرُّسُلِ لِلأُمَمِ المَاضِيَةِ، ومَعرِفَةِ رَسُولِهم بِالصِّدقِ والأَمَانَةِ، وأَنْ لَا جُنُونَ به ﴿بَلۡ﴾: للانتِقَالِ ﴿جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: القُرآنِ المُشتَمِلِ على التَّوحِيدِ وشَرَائِعِ الإِسلَامِ ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: القُرآنُ ﴿أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ بِأَنْ جَاءَ بِمَا يَهوَونَه مِنَ الشَّرِيكِ والوَلَدِ للهِ -تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ-: ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ أي: خَرَجَتْ عَنْ نِظَامِها المُشَاهَدِ؛ لِوُجُودِ التَّمَانُعِ[٧] في الشَّيءِ عَادَةً عِندَ تَعَدُّدِ الحَاكِمِ ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ أي: القُرآنِ[٨] الذي فيه ذِكرُهم وشَرَفُهم ﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا﴾: أَجرًا على مَا جِئتَهم به مِنَ الإِيمانِ؟ ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾: أَجرُه وثَوابُه ورِزقُه ﴿خَيۡرٞۖ﴾ -وفي قِرَاءَةٍ: ﴿خَرۡجٗا﴾[٩] في المَوضِعَينِ[١٠]. وفي قِرَاءَةٍ أُخرَى: ﴿خَرَاجًا﴾ فيهما[١١]- ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أَفضَلُ مَنْ أَعطَى وآجَرَ.

[٧٣] ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: دِينِ الإِسلَامِ.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بِالبَعثِ والثَّوابِ والعِقَابِ ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: الطَّرِيقِ ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾: عَادِلُونَ.

---

(١) أخرَجَ أحمَدُ في مُسنَدِه (٦/ ١٥٩)، والترمذيُّ في سُنَنِه (٣١٧٥)، وابنُ ماجه (٤١٩٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قَالَتْ: سَأَلتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَن هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشرَبُونَ الخَمرَ وَيَسرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقبَلَ مِنهُمْ؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾». وحَسَّنَه الأَلبَانيُّ في صحيحِ سُنَنِ ابنِ ماجه (٣٣٨٤).

(٢) أي: «لِأَنَّهم»؛ فيكون تَعليلًا لقولِه: ﴿وَجِلَةٌ﴾.

(٣) هذا قولُ ابنِ عَبَّاسٍ وجماعةٍ. وقيلَ: المُرادُ بِالعَذابِ: عَذابُ الآخِرةِ.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ويُقالُ).

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (تَتحدَّثُونَ في الليلِ).

(٦) كذا. والصَّوابُ: الثُّلاثِي المزيدُ بِهَمزةٍ في أَوَّلِه، وهو: أَهجَرَ يُهجِرُ. وهو يُشِيرُ إلى القِراءَتَينِ، فبِضَمِّ التَّاءِ وكَسرِ الجِيمِ: قِرَاءَةُ نافعٍ. جعلَه مِنَ الهُجرِ، وهو الهَذَيان، ومَا لا خَيرَ فيه مِنَ الكَلامِ.

(٧) أي: التنازعِ والتخالفِ، ومنعِ ما يريدُه الغَيرُ، طمعًا أو حسدًا أو مكايدةً.

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِالقرآن).

(٩) يَعني: بِسُكونِ الرَّاءِ؛ أي: القِراءةُ: ﴿خَرۡجٗا﴾، ﴿فَخَرۡجُ﴾، لكن اختصار المَحلِّيِّ العِبارةَ أَوهَمَ أَنَّ القِراءةَ بِالنَّصبِ في المَوضِعَينِ.

(١٠) قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿خَرَاجًا﴾؛ بِفتحِ الرَّاءِ وأَلِفٍ بعدَها. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿خَرۡجٗا﴾؛ بِسكونِ الرَّاءِ دُونَ أَلِفٍ.

(١١) قرأ ابنُ عامرٍ: ﴿فَخَرۡجُ﴾؛ بِسُكونِ الرَّاءِ وبِدُونِ أَلِفٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿فَخَرَاجُ﴾؛ بِفتحِ الرَّاءِ بَعدَها أَلِفٌ.

نصف الحزب ٣٥

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن
فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ
بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

[٧٥] ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي: جُوعٍ أصابهم بِمَكَّةَ سَبعَ سِنينَ[1] ﴿لَّلَجُّوا۟﴾: تَمادَوا ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: ضَلالَتِهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَتَرَدَّدُونَ.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: الجُوعِ[2] ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: تَواضَعُوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: يَرغَبُونَ إلى الله بِالدُّعاءِ.

[٧٧] ﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتِدائيَّةٌ ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا﴾: صَاحِبَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يومُ بَدْرٍ بِالقَتْلِ[3] ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: آيِسُونَ مِنْ كُلِّ خيرٍ.

[٧٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾: خَلَقَ ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بِمَعنَى: الأَسماعَ ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القُلُوبَ ﴿قَلِيلًا مَّا﴾: تَأكيدٌ لِلقِلَّةِ ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧٩] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾: خلقَكُم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُبعَثُونَ.

[٨٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ﴾: [بِنفخِ الرُّوحِ][4] في المُضغَةِ ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بِالسَّوادِ والبَياضِ، والزِّيادَةِ والنُّقصانِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ صُنْعَهُ -تَعالَى- فتعتَبِرُونَ؟

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

[٨٢] ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: الأَوَّلونَ: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ لا- وفي الهَمزَتَينِ في المَوضِعَينِ التَّحقيقُ، وتَسهيلُ الثَّانِيَةِ، وإِدخالُ أَلِفٍ بَينَهما، على الوَجهَينِ[5]-.

[٨٣] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي: البَعْثَ بعدَ المَوتِ ﴿مِن قَبْلُ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾: أَكاذِيبُ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كَالأَضاحِيكِ والأَعاجِيبِ، جَمعُ أُسطُورَةٍ؛ بِالضَّمِّ.

[٨٤] ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ مِنَ الخَلْقِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالِقَها ومالِكَها؟

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ﴾ لَهم: ﴿أَفَلَا [تَذَّكَّرُون]﴾ - بِإِدغامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ في الذَّالِ[6]-: تَتَّعِظُونَ؛ فتَعلَمُونَ أَنَّ القادِرَ على الخَلْقِ ابتِداءً قادِرٌ على الإِحياءِ بَعدَ المَوتِ؟

[٨٦] ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الكُرسِيِّ[7]؟

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ [ٱللَّهُ][8] قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: تَحذَرُونَ عِبادَةَ غَيرِه؟

[٨٨] ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾: مُلْكُ ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ -والتَّاءُ: لِلمُبالَغَةِ- ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: يَحمِي ولا يُحمَى عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ [ٱللَّهُ]﴾ وفي قِراءَةٍ: ﴿لِلَّهِ﴾ بِلامِ الجَرِّ في المَوضِعَينِ[9]؛ نَظَرًا إلى أَنَّ المعنَى: مَنْ لَه ما ذُكِرَ؟ ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾: تُخدَعُونَ وتُصرَفُونَ عَنِ الحَقِّ؛ عِبادَةِ الله وَحدَه؟ أي: كَيفَ يُخَيَّلُ لَكُم أَنَّه باطِلٌ؟!

---

(١) يُنظرُ ما جاءَ في أسبابِ النُّزولِ في سورة الدُّخانِ.

(٢) أخرجَ النَّسائيُّ في تَفسيرِه (٢/ ٩٨، ٩٩) رقم (٣٧٢)، والطبرانيُّ في الكبير (١١) رقم (١٢٠٣٨)، وابنُ حِبَّان في صَحيحِه (رقم ١٧٥٣ - موارد)، والحاكمُ في مُستدرَكِه (٢/ ٣٩٤) وصحَّحَ إسنادَه ووافقه الذَّهبيُّ - عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قال: «جاءَ أبو سُفيانَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا مُحمَّدُ، أَنشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ، فَقَدْ أَكَلْنا العِلْهِزَ - يَعني الوَبَرَ والدَّمَ - فأنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾». وحسَّنه الحافظُ في الفتح (٦/ ٥١٠)، وصحَّحه الهلاليُّ في الاستيعاب (٢/ ٥٣٨، ٥٣٩).

(٣) هذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ؛ كما عند الطبريِّ (١٩/ ٦١)، وقال عِكرِمةُ - كما عندَ القرطبيِّ (١٢/ ١٤٣) - قَالَ: «هُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ».

(٤) في الأَصلِ: (يَنفُخُ الرُّوحَ)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة.

(٥) أي: وتركُ الإدخالِ، وقرأ ابنُ عامرٍ بالإخبارِ في الأوَّلِ والاستفهامِ في الثاني، وراجِعِ التعليقَ على الآيةِ (٨١) مِنْ سُورةِ الأعراف.

(٦) ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ بتخفيفِ الذَّالِ: قِراءةُ حفصٍ وحمزةَ والكِسائيِّ، وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَذَّكَّرُون﴾؛ بِتشديدِ الذَّالِ.

(٧) سبقَ بيانُ أنَّ العَرشَ غيرُ الكُرسيِّ، وأنَّه أعظمُ منه. يُنظَرُ التَّعليقُ على الآيةِ (١٢٩) مِن سُورةِ التوبةِ.

(٨) ﴿ٱللَّهُ﴾ في هذا الموضعِ، والموضعِ الآتي: وهِيَ قِراءةُ أبي عَمرٍو، وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿لِلَّهِ﴾ بلامِ الجَرِّ.

(٩) أي: الأخيرينِ؛ في الآيتينِ (٨٧، ٨٨)، وأمَّا جوابُ السؤالِ الأوَّلِ؛ في الآيةِ (٨٥)؛ فهو: ﴿لِلَّهِ﴾ بلامِ الجرِّ باتفاقِ السَّبعَةِ، ولَم يَقرأ بِدُونِها أَحَدٌ.

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن
وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ
﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾: بِالصِّدقِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في نَفيِه. وهو:

[٩١] ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا﴾ أي: لَو كَانَ مَعه إِلَهٌ ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾: انفَرَدَ به، ومَنَعَ الآخَرَ مِنَ الاستِيلَاءِ عَليه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مُغَالَبَةً؛ كفِعْلِ مُلُوكِ الدُّنيا ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزيهًا له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ـهُ به ممَّا ذُكِرَ!

[٩٢] ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: مَا غَابَ ومَا شُوهِدَ- بِالجرِّ: صِفَةٌ، والرَّفعِ: خَبَرُ: «هُو» مُقَدَّرًا[١]- ﴿فَتَعَالَىٰ﴾: تَعظَّمَ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ـهُ مَعَه.

[٩٣] ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾ - فيه إِدغَامُ نُونِ «إِنْ» الشَّرطِيَّةِ في «مَا» الزَّائِدَةِ- ﴿تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ ـهُ مِنَ العَذَابِ- هُو صَادِقٌ بِالقَتْلِ بِبَدْرٍ-.

[٩٤] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فَأَهلِكَ بِإِهلَاكِهِم[٢].

[٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾.

[٩٦] ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: الخَصلَةِ[٣]، مِنَ الصَّفْحِ والإِعرَاضِ عَنهم ﴿السَّيِّئَةَ﴾: أَذَاهُم إِيَّاكَ. وهَذا قَبلَ الأَمرِ بِالقِتَالِ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: يَكذِبُونَ ويَقُولُونَ؛ فَنُجَازِيهم عَليه.

[٩٧] ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾: أَعتَصِمُ ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: نَزغَاتِهم، بِمَا[٤] يُوَسْوِسُونَ به.

[٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ في أُمُورِي؛ لِأَنَّهم إِنَّما يَحضُرُونَ بِسُوءٍ.

[٩٩] ﴿حَتَّىٰ﴾: ابتِدَائِيَّةٌ ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وَرَأى مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ، ومَقعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ لو آمَنَ ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ - الجَمعُ لِلتَعظِيمِ[٥]-.

[١٠٠] ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ بِأَنْ أَشهَدَ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله، يَكُونُ ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: ضَيَّعتُ مِنْ عُمُرِي؛ أَي: في مُقَابَلَتِه. قال -تَعَالَى-: ﴿كَلَّا﴾ أي: لَا رُجُوعَ ﴿إِنَّهَا﴾ أي: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ ولَا فَائِدَةَ له فِيها ﴿وَمِن وَرَائِهِم﴾: أَمَامِهم ﴿بَرْزَخٌ﴾: حَاجِزٌ يَصُدُّهم عَنِ الرُّجُوعِ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ولَا رُجُوعَ بعدَه.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: القَرْنِ، النَّفْخَةَ الأُولَى أَوِ الثَّانِيَةَ ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يَتَفَاخَرُونَ بها ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عنها، خِلَافَ حَالِهم في الدُّنيا، لِمَا يَشغَلُهم مِنْ عِظَمِ الأَمرِ عَنْ ذَلِكَ، في بَعضِ مَواطِنِ القِيَامَةِ، وفي بَعضِها يُفِيقُونَ، وفي آيَةٍ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٦].

[١٠٢] ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بِالحَسَنَاتِ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفَائِزُونَ.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بِالسَّيِّئَاتِ ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ فَهُمْ ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾: تُحرِقُها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾: شُمِّرَتْ شِفَاهُهُمْ العُليَا والسُّفلَى عَنْ أَسنَانِهم. ويُقَالُ لهم:

---

(١) ﴿عالِمُ﴾ بالرَّفع: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ ونافعٍ وشُعبةَ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِهلاكِهم).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الخَلَّةِ).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِهلاكِهم).

(٥) أي: جَمَعَ الضَّميرَ تعظيمًا لله تعالى.

(٦) الصافات: ٥٠. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾) بِالوَاوِ؛ الآيَتَانِ (٢٧) مِن سُورةِ الصَّافَّاتِ، و(٢٥) مِن سُورةِ الطُّورِ.

أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ
رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا
فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ
سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ
يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ
إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سورة النور — ترتيبها ٢٤ — آياتها ٦٤

[١٠٥] ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي﴾ مِنَ القُرآنِ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تُخَوَّفُونَ بها ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟

[١٠٦] ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ - وفي قِراءَةٍ: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾[1] بِفَتحِ أوَّلِه وألِفٍ، وهُما مَصدَرانِ بِمعنًى[2]- ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ عَنِ الهِدايَةِ.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المُخالَفَةِ ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ﴾ لَهُم بِلِسانِ مالِكٍ[3] -بَعْدَ قَدْرِ الدُّنيا مَرَّتَيْنِ[4]-: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾: ابعُدُوا في النَّارِ أذِلَّاءَ ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رَفعِ العَذابِ عَنكُم. فَيَنقَطِعُ رَجاؤُهم.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ - هُمُ المُهاجِرُونَ- ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ [سُخْرِيًّا]﴾ بِضَمِّ السِّينِ وكَسرِها[5]؛ مَصدَرٌ بِمَعنَى: الهُزءِ؛ منهم: بِلالٌ وصُهَيبٌ وعَمَّارٌ وسَلمانُ[6] ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ فَتَرَكتُمُوه؛ لِاشتِغالِكُم بِالاستِهزاءِ بهم- فهُم سَبَبُ الإنساءِ؛ فَنُسِبَ إليهم- ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ النَّعيمَ المُقيمَ ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على استِهزائِكُم بهم وأذاكُم إيَّاهُم ﴿[إِنَّهُمْ][7]﴾ - بِكَسرِ الهَمزَةِ- ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بِمَطلُوبِهم. استِئنافٌ، وبِفَتحِها: مَفعُولٌ ثانٍ لِـ﴿جَزَيْتُهُمْ﴾.

[١١٢] ﴿قَٰلَ﴾ -تَعالَى- لهم بِلِسانِ مالِكٍ[8]. وفي قِراءَةٍ: ﴿قُلْ﴾[9]: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في الدُّنيا وفي قُبُورِكُم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾؟ تَمييزٌ.

[١١٣] ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شَكُّوا في ذَلِكَ واستَقصَرُوه؛ لِعِظَمِ ما هُم فيه مِنَ العَذابِ ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي: المَلائِكَةَ المُحصِينَ أعمالَ الخَلْقِ[10].

[١١٤] ﴿قَٰلَ﴾ -تَعالَى- بِلِسانِ مالِكٍ[11]. وفي قِراءَةٍ: ﴿قُلْ﴾[12]: ﴿إِن﴾ أي: ما ﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مِقدارَ لَبثِكُم، مِنَ الطُّولِ، كانَ قَلِيلًا بِالنِّسبَةِ إلى لَبثِكُم في النَّارِ.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ لا لِحِكمَةٍ ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا [تَرْجِعُونَ]﴾ - بِالبِناءِ للفاعِلِ ولِلمَفعُولِ[13]-؟ لا، بَلْ لِنَتَعَبَّدَكُمْ بِالأمرِ والنَّهيِ، وتَرجِعُوا إلينا، ونُجازِيَ على ذَلِكَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[14].

[١١٦] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ عَنِ العَبَثِ وغَيرِه، مِمَّا لا يَليقُ به ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾: الكُرسِيِّ[15]؛ هو: السَّريرُ الحَسَنُ.

[١١٧] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾: صِفَةٌ كاشِفَةٌ لا مَفهُومَ لها[16] ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾: جَزاؤُه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: لا يَسعَدُونَ.

[١١٨] ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ المُؤمِنِينَ. في الرَّحمةِ زِيادَةٌ على المَغفِرَةِ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: أفضَلُ راحِمٍ[17].

---

(١) لِحَمزَةَ والكِسائِيِّ.

(٢) أي: بِمعنًى واحِدٍ.

(٣) قال ابنُ كثيرٍ (٥/ ٤٩٩): «هَذا جَوابٌ مِنَ اللهِ تَعالَى لِلكُفَّارِ إذا سَأَلُوا الخُرُوجَ مِنَ النَّارِ وَالرَّجعَةَ إلَى هَذِهِ الدَّارِ». ونقل عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قولَه في تفسيرِ الآيةِ؛ قالَ: «هَذا قَوْلُ الرَّحمَنِ حِينَ انقَطَعَ كَلامُهُمْ مِنْهُ». وأثرُ ابنِ عبَّاسٍ رواه عنه ابنُ أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٩). فَحَملُ القولِ على أنه بِلِسانِ مالكٍ تأويلٌ خِلافَ الظَّاهِرِ لا دليلَ عليه.

(٤) رَواهُ ابنُ أبي حاتِمٍ (١٤٠٤٧) عَن عبدِ الله بنِ عمرٍو، والحاكمُ وصحَّحَه، وأخرجَه ابنُ أبي شيبةَ عنه في مُصنَّفِه أيضًا رقم (٣٤١٢٢). وعبدُ الله بنُ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مِمَّنِ اشتهرَ بِالنَّقلِ عن أهلِ الكِتابِ.

(٥) ﴿سُخْرِيًّا﴾؛ بِضَمِّ السِّينِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائِيِّ ونافعٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿سِخْرِيًّا﴾؛ بِكَسرِها.

(٦) ذِكرُ سَلمانَ هنا سَهوٌ مِنَ المُصنِّفِ؛ لأنَّه أسلَم في المدينةِ، ولا يُناسِبُ ذِكرُه بينَ المُهاجِرينَ، وربَّما هذا تَصحِيفٌ؛ ففي تفسيرِ مُقاتِلِ بنِ سليمانَ (٣/ ١٦٧)؛ قالَ: «وذلكَ أنَّ رءوسَ كُفَّارِ قُرَيشٍ المستهزئينَ... اتَّخذوا فقراءَ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ سِخريًّا يستهزِئونَ بهم ويَضحكونَ مِن خبَّابٍ وعمَّارٍ وبلالٍ وسالمٍ مَولى أبي حُذيفةَ، ونحوِهم مِن فُقراءِ العَرَبِ، فَازدَرُوهم».

(٧) ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ بالكسرِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿أَنَّهُمْ﴾؛ بالفَتحِ.

(٨) وهذا التفسيرُ خِلافُ ظاهِرِ القُرآنِ، ولا حامِلَ عليه إلَّا نفيُ القولِ عن الله عَزَّ وَجَلَّ. ويُنظرُ ما تقدَّمَ قريبًا في التعليقِ على الآيةِ (١١٢).

(٩) ﴿قُلْ﴾؛ بِضَمِّ القافِ وسكونِ اللامِ بلا أَلِفٍ: لِحَمزَةَ والكِسائِيِّ وابنِ كثيرٍ.

(١٠) قالَه مجاهدٌ في تَفسيرِه (ص٤٨٨) في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾، قَالَ: «العَادُّونَ: هُمُ المَلائِكَةُ». ورواه عنه ابنُ جرير (١٧/ ١٣١).

(١١) يُنظَرُ التَّعليقُ المتقدِّمُ في تفسيرِ الآيةِ (١١٢) مِن نَفسِ السُّورةِ.

(١٢) ﴿قُلْ﴾؛ بِضَمِّ القافِ وسُكونِ اللامِ بلا أَلِفٍ: لِحَمزَةَ والكِسائِيِّ.

(١٣) ﴿تَرجِعون﴾؛ بالبِناءِ لِلفاعلِ: قِراءَةُ حمزةَ والكِسائِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تُرْجَعُونَ﴾؛ بالبناءِ لِلمفعُولِ.

(١٤) الذاريات: ٥٦. (١٥) سبَقَ بيانُ أنَّ العرشَ غيرُ الكُرسيِّ، ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآيةِ (١٢٩) مِن سُورةِ التوبةِ. (١٦) أي: ليستْ للاحترازِ مِنْ أن يكونَ هناك إلَهٌ آخر يَقومُ عليه بُرهانٌ؛ فهي صفةٌ لازمةٌ مُؤكِّدةٌ؛ لأنَّ الباطِلَ لا دليلَ عليه. (١٧) في نُسخَةِ قَباوَةَ: (أفضلُ رَحمةَ راحِمٍ)، وفي بَعضِ النُّسَخِ: (أفضلُ رحمةٍ).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٣٥ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ
(١) ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم
بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ
عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٢) ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ
وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
(٣) وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ
فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ (٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٥) وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ
شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ (٦) وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ
(٧) وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ (٨) وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
(٩) وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

سُورَةُ النُّورِ

مَدَنِيَّةٌ، وهي: ثِنتَانِ، أو: أربعٌ وسُتُّونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] هَذِه ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا﴾ -مُخَفَّفًا ومُشَدَّدًا[1]؛ لِكَثْرَةِ المفرُوضِ فيها- ﴿وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾: وَاضِحَاتِ الدَّلَالَاتِ[2] ﴿لَّعَلَّكُمۡ [تَذَّكَّرُونَ]﴾ بِإدغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ في الذَّالِ[3]: تَتَّعِظُونَ[4]. [٢] ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ أي: غَيرُ المُحْصَنَيْنِ؛ لِرَجْمِهِما بِالسُّنَّةِ. و«أل» فِيما ذُكِرَ: مَوصُولَةٌ[5]، وهو مُبتَدَأٌ، ولِشَبَهِهِ بِالشَّرطِ دَخَلَتْ الفَاءُ في خَبَرِه؛ وهو: ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ أي: ضَربَةٍ- يُقَالُ: جَلَدَهُ: ضَرَبَ جِلْدَهُ. ويُزَادُ على ذَلك بِالسُّنَّةِ تَغرِيبُ عَامٍ[6]، والرَّقِيقُ على النِّصفِ مِمَّا ذُكِرَ[7]- ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي: حُكْمِهِ؛ بِأَنْ تَترُكُوا شَيئًا مِنْ حَدِّهِما ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أي: يَومِ البَعْثِ- في هذا تَحرِيضٌ عَلى ما قَبلَ الشَّرطِ، وهو جَوَابُه أو دَالٌّ على جَوَابِه- ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا﴾ أي: الجَلْدَ ﴿طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قِيلَ: «ثَلَاثَةٌ»، وقِيلَ: «أربعَةٌ»، عَدَدُ شُهُودِ الزِّنَا[8]. [٣] ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ﴾: يَتَزَوَّجُ ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞ﴾ أي: المَنَاسِبُ لِكُلٍّ منهما ما ذُكِرَ ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نِكَاحُ الزَّوَانِي ﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الأَخيَارِ. نَزَلَ ذلك لَمَّا هَمَّ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ أَنْ يَتَزَوَّجُوا بَغَايَا المُشرِكِينَ، وهُنَّ مُوسِرَاتٌ، لِيُنفِقْنَ عليهم[9][*]. فقِيلَ: التَّحرِيمُ خَاصٌّ بهم. وقِيلَ: عَامٌّ، ونُسِخَ بِقَولِه تَعَالَى[10]: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾[11]. [٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: العَفِيفَاتِ بِالزِّنَا ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على زِنَاهُنَّ بِرُؤيَتِهِم ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ أي: كُلَّ وَاحِدٍ مِنهم ﴿ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً﴾ في شَيءٍ ﴿أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ لِإِتيَانِهِم كَبِيرَةً. [٥] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾ عَمَلَهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لَهُم قَذْفَهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ بِهِم، بِإِلهَامِهِمُ التَّوبَةَ. فبِهَا يَنتَهِي فِسْقُهُمْ، وتُقبَلُ شَهَادَتُهم. وقِيلَ: «لا تُقبَلُ»؛ رُجُوعًا بِالاستِثنَاءِ إلى الجُملَةِ الأَخِيرَةِ[12]. [٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ بِالزِّنَا ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ﴾ عليهِ ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ وَقَعَ ذَلِكَ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ[13] ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ﴾: مُبتَدَأٌ ﴿[أَرۡبَعَ] شَهَٰدَٰتِۭ﴾: نَصبٌ على المَصدَرِ[14] ﴿بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما رَمَى به زَوجَتَه مِنَ الزِّنَا. [٧] ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في ذلك- وخَبَرُ المُبتَدَإِ: تَدْفَعُ عنه حَدَّ القَذْفِ[15]-. [٨] ﴿وَيَدۡرَؤُاْ﴾: يَدْفَعُ ﴿عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: حَدَّ الزِّنَا الذي ثَبَتَ بِشَهَادَاتِه ﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فِيمَا رَمَاهَا به مِنَ الزِّنَا. [٩] ﴿[وَٱلۡخَٰمِسَةُ][16] أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في ذلكَ[**]. [١٠] ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بِالسَّترِ في ذلك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ بِقَبُولِه التَّوبَةَ، في ذَلِكَ وغَيرِه[17] ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيمَا حَكَمَ به، في ذَلِكَ وغَيرِه؛ لَبَيَّنَ الحَقَّ في ذلك، وعَاجَلَ بِالعُقُوبَةِ مَنْ يَستَحِقُّهَا.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٣): أخرَجَ أبو دَاودَ عَن عَبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ أَنَّ مَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ كَانَ يَحْمِلُ الْأُسَارَى بِمَكَّةَ، وَكَانَ بِمَكَّةَ بَغِيٌّ يُقَالُ لَهَا: عَنَاقُ، وَكَانَتْ صَدِيقَتَهُ. قَالَ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنْكِحُ عَنَاقَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞ﴾ فَدَعَانِي فَقَرَأَهَا عَلَيَّ وَقَالَ: «لَا تَنْكِحْهَا». أبو داود - كتاب النكاح (٢٦) باب (١٢) تزويج الزانية. (حسنٌ صحيحٌ) صَحِيحُ سُنَنِ أبي دَاودَ (١٨٠٦).

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (٦-٩): أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ، قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «البَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا، يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «البَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ» فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ الله =

---

(١) ﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾، بِتَشدِيدِ الرَّاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وأبي عَمرٍو. (٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الدَّلالة). (٣) ﴿تَذَكَّرُون﴾، بِتَخفِيفِ الذَّالِ: قِرَاءَةُ حفصٍ وحمزةَ والكِسَائِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَذَّكَّرُون﴾، بِتَشدِيدِ الذَّالِ. (٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: تتَّعِظونَ). (٥) أي: التي زَنَت والذي زَنَى. والصَّوابُ أَنَّها حَرفِيَّةٌ مَوصولةٌ لِلعاقلِ. (٦) رَوَى البُخَارِيُّ (٢٦٦١) واللفظ له، ومسلمٌ (٢٧٧٠) عن زيدِ بنِ خالدٍ عن رَسولِ الله ﷺ أنه أَمَرَ فِيمَن زَنَى ولم يُحصَنْ بِجَلدِ مِائةٍ وتغريبِ عَامٍ. (٧) لِقَولِه تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النساء:٢٥]. وروى أحمدُ في المُسنَدِ (١١٤٢) عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّهُ قَالَ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَمَةٍ لَهُ سَوْدَاءَ، زَنَتْ لِأَجْلِدَهَا الحَدَّ، قَالَ: فَوَجَدْتُهَا فِي دِمَائِهَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لِي: «إِذَا تَعَالَتْ مِنْ نُفَاسِهَا فَاجْلِدْهَا خَمْسِينَ». وصححه الأرناؤوطُ بِمجموعِ طُرُقِه في تخريجِه على المُسنَدِ (٢/ ٣٥٥). وضعَّفَ الشيخُ أحمدُ شاكر إسنادَه (٢/ ٨٢). (٨) أخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ (١٤١١٥) عن الزهريِّ؛ قال: «ثلاثةُ نفرٍ فصاعِدًا». وروى (١٤١٠٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ قال: «الطائفةُ: الرَّجلُ فمَا فوقَ». (٩) أخرجَ نحوَه ابنُ أبي حَاتمٍ (١٤١٢٨) عن مُقاتلٍ. (١٠) (تعالى) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة. (١١) النور: ٣٢. والصَّحيحُ أَنَّها عامَّةٌ، وأَنَّها مُحكَمَةٌ، والمقصودُ زَجرُ المؤمنينَ عن نِكَاحِ الزَّواني بعدَ زَجرِهِم عَنِ الزِّنا. وروى ابنُ جرير (١٧/ ١٥٨) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ﴾ قَالَا: «هُوَ الوَطْءُ». قال ابنُ جرير (١٧/ ١٦٠): «وَأَوْلَى الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالنِّكَاحِ فِي هَذَا المَوْضِعِ الوَطْءُ، وَأَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي البَغَايَا المُشْرِكَاتِ ذَوَاتِ الرَّايَاتِ، وَذَلِكَ لِقِيَامِ الحُجَّةِ عَلَى أَنَّ الزَّانِيَةَ مِنَ المُسْلِمَاتِ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ، وَأَنَّ الزَّانِيَ مِنَ المُسْلِمِينَ حَرَامٌ عَلَيْهِ كُلُّ مُشْرِكَةٍ مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ». (١٢) وهو مذهبُ أبي حنيفةَ، والقولُ الأوَّلُ -وهو أنَّ الاستثناءَ إذا تَعَقَّبَ جُمَلًا معطوفةً عَادَ إلى جميعِها- مذهبُ الجمهورِ؛ وهو الرَّاجِحُ. (١٣) يُنظرُ حاشيةُ أسبابِ النُّزول. (١٤) أي: المفعول المُطلق. وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالرَّفعِ: ﴿أربعُ﴾؛ خَبَرُ المُبتَدَإِ. (١٥) أي: محذوفٌ تقديرُه ما ذُكِرَ. (١٦) ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ﴾؛ بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حفصٍ. وقرأَ حفصٌ: ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ﴾؛ بِالنَّصبِ. (١٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وفي غيره).

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

[١١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾: أسوأِ الكَذِبِ على عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها[(١)] أمِّ المُؤمِنِينَ، بِقَذْفِها ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾: جَمَاعَةٌ مِنَ المُؤمِنِينَ. قَالَتْ: «حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ، وعَبدُ الله بنُ أُبَيٍّ، ومِسْطَحٌ، وحَمْنَةُ بِنتُ جَحْشٍ»[(٢)] ﴿لَا [تَحْسِبُوهُ][(٣)]﴾ -أيُّها المُؤمِنُونَ، غَيرَ العُصْبَةِ- ﴿شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يَأجُرُكُم اللهُ به، ويُظْهِرُ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ، ومَنْ جَاءَ[(٤)] مَعَها، منه. وهُو: صَفوَانُ. فإِنَّها قَالَتْ: «كُنتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في غَزوَةٍ، بَعدَمَا أُنزِلَ الحِجَابُ، ففَرَغَ منها، ورَجَعَ ودَنَا مِنَ المَدِينَةِ، وآذَنَ بِالرَّحِيلِ لَيلَةً، فمَشَيتُ وقَضَيتُ شَأنِي، وأقبَلتُ إلى الرَّحْلِ، فإذا عِقْدِي انقَطَعَ -هو بِكَسرِ المُهمَلَةِ: القِلادَةُ- فرَجعتُ ألتَمِسُهُ، وحَمَلُوا هَودَجِي -هو ما يُركَبُ فيه- على بَعِيرِي، يَحسِبُونَنِي فيه، وكَانَتِ النِّسَاءُ خِفَافًا، إنَّما يَأكُلنَ العُلْقَةَ -هو بِضَمِّ المُهمَلَةِ وسُكُونِ اللَّامِ- مِنَ الطَّعَامِ؛ أيِ: القَلِيلَ-، وَوَجدتُ عِقْدِي، وجِئتُ بَعدَ مَا سَارُوا؛ فَجَلَستُ في المَنزِلِ الذي كُنتُ فيه، وظَنَنتُ أنَّ القَومَ سَيَفقِدُونَنِي فَيَرجِعُونَ إِلَيَّ. فَغَلَبَتنِي عَينَايَ فَنِمتُ، وكَانَ صَفوَانُ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الجَيشِ فادَّلَجَ -هُمَا بِتَشدِيدِ الرَّاءِ والدَّالِ؛ أي: نَزَلَ مِنْ آخِرِ اللَّيلِ لِلاستِرَاحَةِ، فسَارَ منه- فأَصبَحَ في مَنزِلِه، فرَأى سَوادَ إِنسَانٍ نَائِمٍ -أي: شَخصَه-؛ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي- وكَانَ يَرَانِي قَبلَ الحِجَابِ- فاستَيقَظتُ بِاستِرجَاعِه حِينَ عَرَفَنِي -أي: قَولِه: إنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعُونَ-. فَخَمَّرتُ وَجهِيَ بِجِلبَابِي؛ أي: غَطَّيتُه بِالمُلاءَةِ. واللهِ مَا كَلَّمَنِي بِكَلِمَةٍ، ولا سَمِعتُ منه كَلِمَةً غَيرَ استِرجَاعِه، حِينَ أنَاخَ رَاحِلَتَه، وَوَطِئَ على يَدِها فَرَكِبتُها، فانطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حتَّى أَتَينا الجَيشَ، بَعدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ في نَحرِ الظَّهِيرَةِ -أي: مِنْ: أوغَرَ؛ وَاقِفِينَ[(٥)] في مَكَانٍ وَغْرٍ، مِنْ[(٦)] شِدَّةِ الحَرِّ- فهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِيَّ، وكَانَ الذي تَوَلَّى كِبْرَهُ منهم: عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ» انتَهى قَولُها. رَوَاهُ الشَّيخَانِ[(٧)]. قالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم﴾ أي: عليه ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ في ذَلِكَ ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: تَحَمَّلَ مُعظَمَهُ، فَبَدَأ بِالخَوضِ فيه وأَشَاعَه- وهو: عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ- ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النَّارُ في الآخِرَةِ.

[١٢] ﴿لَّوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿إِذْ﴾: حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ظَنَّ بَعضُهم بِبَعضٍ ﴿خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: كَذِبٌ بَيِّنٌ. فيه التِفَاتٌ عَنِ الخِطَابِ؛ أي: ظَنَنتُم - أيُّها العُصْبَةُ- وقُلتُم. [١٣] ﴿لَّوْلَا﴾: هَلَّا ﴿جَآءُو﴾ أيِ: العُصْبَةُ ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ شَاهَدُوه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حُكمِه ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ فيه.

[١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ - أيُّها العُصْبَةُ- أي: خُضتُم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخِرَةِ.

[١٥] ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: يَروِيه بَعضُكُم عَنْ بَعضٍ- وحُذِفَ مِنَ الفِعلِ إِحدَى التَّاءَين. و﴿إِذْ﴾ مَنصُوبٌ بِـ«مَسَّكُم»، أو بِـ﴿أَفَضْتُمْ﴾- ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَ[تَحْسِبُونَهُۥ][(٨)] هَيِّنًا﴾: لا إِثمَ فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الإِثمِ.

[١٦] ﴿وَلَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿إِذْ﴾: حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾: مَا يَنبَغِي ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾! هو لِلتَّعَجُّبِ هنا[(٩)] ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ﴾: كَذِبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾.

[١٧] ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾: يَنهَاكُم ﴿أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تَتَّعِظُونَ بذَلِكَ. [١٨] ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في الأمرِ والنَّهيِ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَأمُرُ به ويَنهَى عنه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيه. [١٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ بِاللِّسَانِ ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِنِسبَتِها إِلَيهِم- وهُمُ العُصْبَةُ- ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [بِالحَدِّ لِلقَذفِ][(١٠)] ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ لِحَقِّ الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انتِفَاءَها عنهم ﴿وَأَنتُمْ﴾ -أيُّها العُصْبَةُ- بِمَا قُلتُم مِنَ الإِفكِ[(١١)] ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وُجُودَها فيهم.

[٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ - أيُّها العُصْبَةُ- ﴿وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بِكُم؛ لَعَاجَلَكُم بِالعُقُوبَةِ.

= مَا يُبَرِّئُ ظَهرِي مِنَ الحَدِّ، فَنَزَلَ جِبرِيلُ، وأَنزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ فقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فانصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرسَلَ إِلَيهَا، فَجَاءَ هِلَالٌ فَشَهِدَ، والنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يَعلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنكُمَا تَائِبٌ» ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِندَ الخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفضَحُ قَومِي سَائِرَ اليَومِ، فَمَضَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبصِرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكحَلَ العَينَينِ، سَابِغَ الأَليَتَينِ، خَدَلَّجَ السَّاقَينِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ ابنِ سَحمَاءَ»، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ». البُخَارِيُّ- كتاب التفسير (٦٥) سورة النُّورِ (٢٤) باب (٣). وأخرجَ أيضًا عن سَهلِ بنِ سَعدٍ، أَنَّ عُوَيمِرًا، أَتَى عَاصِمَ بنَ عَدِيٍّ وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجلَانَ، فَقَالَ: كَيفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقتُلُهُ فَتَقتُلُونَهُ، أَم كَيفَ يَصنَعُ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ. فَأَتَى عَاصِمٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله. فَكَرِهَ رَسُولُ الله ﷺ المَسَائِلَ. فَسَأَلَهُ عُوَيمِرٌ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَرِهَ المَسَائِلَ وَعَابَهَا. قَالَ عُوَيمِرٌ: والله، لَا أَنتَهِي حَتَّى أَسأَلَ رَسُولَ الله ﷺ =

---

(١) (رَضِيَ اللهُ عَنها) لَيسَتْ في قَبَاوَة. (٢) أخرجَ نحوَه البُخَارِيُّ (٢٦٦١)، ومسلمٌ (٢٧٧٠). (٣) ﴿تَحْسَبُوهُ﴾؛ بفتحِ السِّينِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ وعاصمٍ وحَمزَةَ. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَحْسِبُوهُ﴾؛ بِكَسرِ السِّينِ. (٤) في قَبَاوَة: (أتى). (٥) في قَبَاوَة والجمل: (واقعين). (٦) في قَبَاوَة: (في). (٧) لم يَروِهِ الشيخانِ بهذا اللفظ، والقِصَّةُ في البُخَارِيِّ (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠). (٨) قرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمزةُ بفتحِ السِّينِ؛ ﴿تَحْسَبُونَ﴾. وقرأ البَاقونَ بِكَسرِها. (٩) أي: لَيست هنا للتنزيه. (١٠) في الأَصلِ: (حدُّ القَذفِ)، والمُثبَتُ مِنْ قَبَاوَة. (١١) عِبارةُ: (بِمَا قُلتُم مِنَ الإِفكِ) لَيسَتْ في قَبَاوَة.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٢١) وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ
مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ
لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ
ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ (٢٣) يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٢٤) يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ (٢٥) ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ
لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ
أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ (٢٦) يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٢٧)﴾

[٢١] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي: طُرُقَ تَزيينِه ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي: المُتَّبَعَ ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي: القَبيحِ ﴿وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ شرعًا، باتِّباعِها[١] ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ - أيُّها العُصْبَةُ - بِما قُلتُم مِنَ الإفْكِ ﴿مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ أي: ما صَلَحَ وطَهُرَ مِنْ هَذا الذَّنبِ بالتَّوبَةِ منه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي﴾: يُطَهِّرُ ﴿مَن يَشَآءُۗ﴾ مِنَ الذَّنبِ؛ بِقَبولِ تَوبَتِه منه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بِما[٢] قُلتُم ﴿عَلِيمٞ﴾ بِما قَصَدتُم.

[٢٢] ﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾: يَحلِفْ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ﴾ أي: أصحابُ الغِنَى ﴿مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن﴾ لَا ﴿يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ - نَزلَتْ في أبي بكرٍ؛ حلَفَ أنْ لَا يُنفِقَ على مِسْطَحٍ، وهو ابنُ خالَتِه، مِسكينٌ مُهاجِرٌ بَدرِيٌّ، لَمّا خاضَ في الإفكِ، بَعدَ أنْ كانَ يُنفِقُ عليه، وناسٍ مِنَ الصَّحابةِ أقسَمُوا أنْ لَا يَتَصدَّقُوا على مَنْ تَكلَّم بِشَيءٍ مِنَ الإفكِ - ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ عَنهم في ذلِكَ ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ لِلمُؤمِنِينَ. قالَ أبو بَكرٍ: «بَلَى، أنا أُحِبُّ أنْ يَغفِرَ اللهُ لي»، ورَجَعَ إلى مِسطَحٍ ما كانَ يُنفِقُه عليه[*].

[٢٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ﴾ بِالزِّنا ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: العَفائِفَ ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ عَنِ الفَواحِشِ؛ بِأنْ لَا يَقَعَ في قُلوبِهِنَّ فِعلُها ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ بِاللهِ ورَسُولِه ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

[٢٤] ﴿يَوۡمَ﴾: ناصِبُه الاستِقرارُ، الذي تَعلَّقَ به: ﴿لَهُمۡ﴾ ﴿تَشۡهَدُ﴾ بِالفَوقانيَّةِ والتَّحتانيَّةِ[٣] ﴿عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ مِنْ قَولٍ وفِعلٍ - وهو يومُ القِيامَةِ -.

[٢٥] ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾: يُجازِيهم جَزاءَه الواجِبَ عليهم ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ حَيثُ حَقَّقَ لهم جَزاءَه الذي كانُوا يَشُكُّونَ فيه. ومِنهم عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ. والمُحصَناتُ هنا أزواجُ النَّبيِّ ﷺ، لم يُذكَرْ في قَذفِهِنَّ تَوبَةٌ، ومَنْ ذُكِرَ في قَذفِهِنَّ أوَّلَ السُّورَةِ التَّوبَةُ غيرُهُنَّ.

[٢٦] ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ﴾ مِنَ النِّساءِ، ومِنَ الكَلِماتِ ﴿لِلۡخَبِيثِينَ﴾ مِنَ النّاسِ ﴿وَٱلۡخَبِيثُونَ﴾ مِنَ النّاسِ ﴿لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ مِمّا ذُكِرَ ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ مِمّا ذُكِرَ ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ مِنَ النّاسِ ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ مِمّا ذُكِرَ. أي: اللّائِقُ بالخَبيثِ مِثلُه، وبالطَّيِّبِ مِثلُه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الطَّيِّبونَ مِنَ الرِّجالِ والطَّيِّباتُ مِنَ النِّساءِ[٤]؛ ومنهم: عائِشَةُ، وصَفوانُ ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ أي: الخَبيثونَ والخَبيثاتُ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ فيهم ﴿لَهُم﴾: لِلطَّيِّبينَ والطَّيِّباتِ مِنَ النِّساءِ ﴿مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ في الجَنَّةِ. وقد افتَخَرَتْ عائِشَةُ بِأشياءَ؛ منها: أنَّها «خُلِقَتْ طَيِّبَةً، ووُعِدَتْ مَغفِرَةً ورِزقًا كَريمًا»[**].

[٢٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ أي: تَستَأذِنُوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ فيَقُولَ الواحِدُ: «السَّلامُ عَلَيكُمْ، أأدخُلُ؟» كما وَرَدَ في حَديثٍ[٥] ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِنَ الدُّخولِ بِغَيرِ استِئذانٍ ﴿لَعَلَّكُمۡ [تَذَّكَّرُونَ]﴾ - بِإدغامِ التّاءِ الثّانِيَةِ في الذّالِ[٦] -: خَيرِيَّتَه؛ فتَعمَلُونَ به.

= عَنْ ذَلِكَ. فَجَاءَ عُوَيْمِرٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ أَنْزَلَ اللهُ القُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ»، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالمُلَاعَنَةِ بِمَا سَمَّى اللهُ فِي كِتَابِهِ فَلَاعَنَهَا... البُخَارِيُّ - التفسير (السابق) باب (١). قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ: «وَقَدِ اخْتَلَفَ الأَئِمَّةُ فِي هَذَا المَوْضِعِ: فَمِنْهُمْ مَنْ رَجَّحَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ عُوَيْمِرٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ رَجَّحَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ هِلَالٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا؛ بِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ هِلَالٌ، وَصَادَفَ مَجِيءُ عُوَيْمِرٍ أَيْضًا؛ فَنَزَلَتْ فِي شَأْنِهِمَا مَعًا، فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. وَقَدْ جَنَحَ النَّوَوِيُّ إِلَى هَذَا... قال الحافظُ: وَلَا مَانِعَ أَنْ تَتَعَدَّدَ القِصَصُ وَيَتَّحِدَ النُّزُولُ... وَجَنَحَ القُرْطُبِيُّ إِلَى تَجْوِيزِ نُزُولِ الآيَةِ مَرَّتَيْنِ». الفتح (٨/ ٣٠٤، ٣٠٥).

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٢٢): أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «... فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ -: واللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى، واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: واللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٥) باب (٦).

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (٢٣-٢٦): أخرَجَ أحمَدُ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: رُمِيتُ بِمَا رُمِيتُ بِهِ وَأَنَا غَافِلَةٌ، فَبَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ رَضْخٌ مِنْ ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدِي إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ، وَكَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ يَأْخُذُهُ شِبْهُ السُّبَاتِ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدِي، إِذْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: بِحَمْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا بِحَمْدِكَ، فَقَرَأَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ حتى بَلَغَ: ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾. أحمد - المسند (٦/ ١٠٣). وصَحَّحَه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٣٨). والرَّضْخُ: الخَبَرُ تَسمَعُه وَلَا تَستَيقِنُه. المعجم الوسيط (١/ ٣٥٠).

---

(١) أي: القَبائح. وفي نُسخَةِ قَباوَة: (بِاتباعِها)؛ أي: الفحشاءِ والمُنكرِ. (٢) في نُسخَةِ قَباوَة: (لِما). (٣) ﴿يَشهدُ﴾ بالياءِ: لِحَمزةَ والكِسائيِّ. (٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (الطَّيِّبونَ والطَّيِّباتُ من النِّساءِ والرِّجالِ). (٥) أشارَ بذلكَ إلى أنَّ السَّلامَ مُقدَّمٌ على الاستِئذانِ، وهو قَولُ الأكثرِ. والحديثُ أخرجَه أبو داودَ عن رَجُلٍ مِنْ بَني عامِرٍ أنَّهُ استَأذَنَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتٍ فَقَالَ: أَلِجُ؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِخادِمِه: «اخرُجْ إلى هَذا فَعَلِّمْهُ الاستِئذانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ السَّلامُ عَلَيكُم، أأدخُلُ؟»، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيكُم، أأدخُلُ؟ فَأذِنَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ فدخل. أبو داودَ (٤٥٠٨)، وصَحَّحَه الألبانيُّ في السلسلةِ الصحيحةِ (٨١٩). (٦) وهي قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾
وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

[٢٨] ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يَأْذَنُ لَكُم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ بَعدَ الاستِئذَانِ: ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ أيِ: الرُّجُوعُ ﴿أَزْكَىٰ﴾ أي: خيرٌ ﴿لَكُمْ﴾ مِنَ القُعُودِ على البَابِ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الدُّخُولِ بِإِذْنٍ وغيرِ إِذْنٍ ﴿عَلِيمٌ﴾ فيُجَازِيكُم عليه.

[٢٩] ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾ أي: مَنفَعَةٌ ﴿لَّكُمْ﴾ بِاستِكنَانٍ وغَيرِه؛ كَبُيُوتِ الرُّبُطِ، والخَانَاتِ المُسَبَّلَةِ[1] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تُظهِرُونَ ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: تُخفُونَ، في دُخُولِ غَيرِ بُيُوتِكُم؛ مِنْ قَصدِ صَلَاحٍ أو غَيرِه. وسَيَأتِي أَنَّهم[2] إِذَا دَخَلُوا بُيُوتَهم يُسَلِّمُونَ على أَنفُسِهم.

[٣٠] ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لهم نَظَرُه- و﴿مِنْ﴾: زَائِدَةٌ- ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لهم فِعلُه بها ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾ أي: خيرٌ ﴿لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بِالأبصَارِ والفُرُوجِ؛ فيُجَازِيهم عليه.

[٣١] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لَهُنَّ نَظَرُه ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لَهُنَّ فِعلُه بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾: يُظهِرنَ ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوَجهُ والكَفَّانِ[3]. فيَجُوزُ نَظَرُه لِأَجنَبِيٍّ، إِنْ لم يَخَفْ فِتنَةً، في أَحَدِ وَجهَينِ، والثَّاني: يَحْرُمُ؛ لِأَنَّه مَظِنَّةُ الفِتنَةِ، ورُجِّحَ حَسْمًا لِلبَابِ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يَستُرْنَ الرُّءوسَ والأَعنَاقَ والصُّدُورَ بِالمَقَانِعِ[*] ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخَفِيَّةَ- وهي: مَا عَدَا الوَجهَ والكَفَّينِ[4]- ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: جَمعُ بَعلٍ؛ أي: زَوجٍ ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيَجُوزُ لَهم نَظَرُه، إِلَّا مَا بَينَ السُّرَّةِ والرُّكبَةِ؛ فيَحرُمُ نَظَرُه لِغَيرِ الأَزوَاجِ- وخَرَجَ بـ﴿نِسَائِهِنَّ﴾ الكَافِرَاتُ؛ فلا يَجُوزُ لِلمُسلِمَاتِ الكَشفُ[5] لَهُنَّ[6]. وشَمَلَ ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: العَبِيدَ[7]- ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ في فُضُولِ الطَّعَامِ[8] ﴿غَيْرِ﴾: بِالجَرِّ: صِفَةٌ، والنَّصبِ: استِثنَاءٌ[9] ﴿أُولِي الْإِرْبَةِ﴾: أَصحَابِ الحَاجَةِ إلى النِّسَاءِ ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ بِأَنْ لَم يَنتَشِرْ ذَكَرُ كُلٍّ ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ بِمَعنَى: الأَطفَالِ ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾: يَطَّلِعُوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لِلجِمَاعِ؛ فيَجُوزُ أَنْ يُبدِينَ لهم مَاعَدَا مَا بَينَ السُّرَّةِ والرُّكبَةِ ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ مِنْ خِلخَالٍ يَتَقَعقَعُ ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ مِمَّا وَقَعَ لَكُم مِنَ النَّظَرِ المَمنُوعِ منه ومِنْ غَيرِه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَنجُونَ مِنَ ذَلكَ لِقَبُولِ التَّوبَةِ منه. وفي الآيَةِ تَغلِيبُ الذُّكُورِ على الإِنَاثِ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٣١): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قالتْ: يَرحَمُ اللهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاختَمَرْنَ بِهَا. البُخَارِيُّ – التفسير (٦٥) سورة النُّور (٢٤) باب (١٢).

---

(١) الاستكنَانُ: أي: الالتِجَاءُ طلبًا لِستْرٍ أو حِفظٍ مِنْ حَرٍّ أو بَردٍ. والرُّبُط: أماكنُ رَبطِ الدَّوَابِ. والخَانَاتُ المُسَبَّلَةُ: أي المَوقُوفَةُ لِإيوَاءِ ابنِ السَّبِيلِ المنقَطِعِ. ومِثلُها الآنَ: الفَنَادِقُ والنُّزُلُ والمرافِقُ العَامَّةُ.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أنَّه).

(٣) قال ابنُ كثيرٍ (٦/ ٤٥) في تفسيرِ الآيَةِ: «أي: لَا يُظهِرْنَ شَيْئًا مِنَ الزِّينَةِ لِلأَجَانِبِ، إِلَّا مَا لَا يُمكِنُ إِخفَاؤُهُ. وَقَالَ ابنُ مَسعُودٍ: كَالرِّدَاءِ وَالثِّيَابِ. يَعْنِي: عَلَى مَا كَانَ يَتَعَانَاهُ نِسَاءُ العَرَبِ، مِنَ المِقْنَعَةِ الَّتِي تُجَلِّلُ ثِيَابَهَا، وَمَا يَبْدُو مِنْ أَسَافِلِ الثِّيَابِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهَا فِيهِ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يُمكِنُ إِخفَاؤُهُ» اهـ. وقالَ فيما جَاءَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ؛ قَالَ: «وَجهَهَا وَكَفَّيْهَا وَالخَاتَمَ» قال ابنُ كثيرٍ في تعليقِه على كَلامِ ابنِ عَبَّاسٍ: «وَهَذَا يُحتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَفسِيرًا لِلزِّينَةِ الَّتِي نُهِينَ عَنْ إِبدَائِهَا». (٤) رَاجِعِ التعليقَ السَّابِقَ. (٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (التكشُّف).

(٦) وهذا أَحدُ القولَينِ؛ أَنَّ المُرَادَ بـ﴿نِسَائِهِنَّ﴾: المؤمِنَاتُ، أخذًا مِنَ الإِضَافَةِ، وهو مَذهبُ كثيرِينَ. واختارَه جَمعٌ مِنَ المفسِّرِينَ كالقُرطبيِّ (١٢/ ٢٣٣)، وابنِ كثيرٍ (٦/ ٤٧)، والشوكانيِّ (٤/ ٣١). رَوى الطَّبَرِيُّ (١٧/ ٢٦٦) عَنِ ابنِ جُرَيجٍ في تفسيرِ: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾؛ قال: «عَنَى بِهِنَّ النِّسَاءَ المُسلِمَاتِ دُونَ المُشرِكَاتِ». وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ (١٤٤١٦) عَنْ مُجَاهِدٍ؛ قَالَ: «نِسَائِهِنَّ المُسلِمَاتِ، لَيسَ المُشرِكَاتُ مِنْ نِسَائِهِنَّ، وَلَيسَ لِلمَرأَةِ المُسلِمَةِ أَنْ تَكشِفَ بَينَ يَدَيِ المُشرِكَةِ». وأخرجَ البَيهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ (١٣٥٤٣) عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيدَةَ: «أَمَّا بَعدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ المُسلِمِينَ يَدخُلْنَ الحَمَّامَاتِ مَعَ نِسَاءِ أَهلِ الشِّرْكِ، فَانْهَ مَنْ قِبَلَكَ عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِامرَأَةٍ تُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ أَنْ يَنظُرَ إِلى عَورَتِهَا إِلَّا أَهلُ مِلَّتِهَا». ويُنظرُ كلامُ الألبانيِّ على أثرِ عُمَرَ في جلبابِ المرأةِ المسلمةِ في الكتابِ والسُّنَّةِ (ص١١٦)، وقوله هنالكَ مُعلِّقًا: «إذا تبيَّنَ ذلك، فاعلَمْ أنَّ مِنَ الخُطُورَةِ بِمَكانٍ ما ابتُلِيَ به كثيرٌ مِنْ أغنياءِ المسلمينَ اليومَ، مِن استخدامِهم النِّساءَ الكافراتِ في بُيوتِهم؛ لأنَّه لا يخلو الأمرُ مِن أن يَقَعَ الزَّوجانِ أو أحدُهما في الفِتنَةِ والمُخالَفَةِ للشَّريعَةِ!». والقولُ الثَّاني: أنَّ المُرَادَ النِّسَاءُ كُلُّهُنَّ، فإنَّهنَّ سَواءٌ في حِلِّ نظرِ بعضِهنَّ إلى بعضٍ؛ حيثُ إنَّ نِسَاءَ أهلِ الكِتَابِ كُنَّ يَدخُلْنَ على أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ، ولم يُنقَلْ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُنَّ بالاحتِجَابِ مِنهُنَّ. مجموع فتاوى ابن باز (٥/ ٤٤). وهذا مذهبُ الحَنابِلَةِ، وقولٌ عِندَ الحَنَفِيَّةِ، ووَجهٌ عِندَ الشَّافِعِيَّةِ. يُنظَرُ: الإنصافُ للمَرْداويِّ (٨/ ٢٤)، وشرحُ منتهى الإراداتِ لِلبُهُوتِي (٢/ ٦٢٦)، وحاشيةُ ابنِ عابدين (٦/ ٣٨٢)، ومُغني المحتاجِ لِلشربينيِّ (٣/ ١٣٢).

(٧) لَكِن بِشَرطِ العِفَّةِ وعَدَمِ الشَّهوَةِ مِنَ الجَانِبَينِ، وهذا مَذهَبُ الشَّافِعِيِّ. وعِندَ مالكٍ التَّفرِيقُ بَينَ الوَغدِ وغيرِه.

(٨) أي: الذينَ لا غرضَ لهم في تَبعِيَّةِ النِّسَاءِ إِلَّا اكتسابُ الأَكلِ مِنْ حَولِهِنَّ، وليسَ لهم غَرَضٌ في نَظَرٍ ولا غيرِه. (٩) ﴿غَيْرَ﴾، بِالنَّصبِ: قِرَاءَةُ شُعبَةَ وابنِ عامرٍ.

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟
فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
ربع الحزب ٣٦ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾: جمعُ «أيِّم» - وهي: مَنْ ليسَ لها زوجٌ، بِكْرًا كانَتْ أو ثيِّبًا، ومَنْ ليسَ له زوجٌ. وهذا في الأحرارِ والحرائرِ - ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ أي: المؤمنينَ ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ و«عِباد» مِنْ جُموعِ: «عَبْد» ﴿إِن يَكُونُوا﴾ أي: الأحرارُ ﴿فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ﴾ بالتزوُّجِ ﴿مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لِخَلْقِه ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم. [٣٣] ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: ما يَنكِحُونَ به، مِنْ مَهْرٍ ونَفَقَةٍ، عَنِ الزِّنا ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ﴾: يُوسِّعَ عليهم ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ فيَنكِحُونَ ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ بِمَعنَى: المُكاتَبَةَ ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مِنَ العَبيدِ والإماءِ ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمَانَةً وقُدرَةً على الكَسبِ لِأداءِ مَالِ الكِتابَةِ - وصِيغَتُها مَثَلًا: كَاتَبْتُكَ على ألفَينِ في شَهرَينِ، كُلَّ شَهرٍ ألفٌ، فإذا أدَّيتَها فأنتَ حُرٌّ. فيَقُولُ: «قَبِلْتُ»[1] - ﴿وَآتُوهُم﴾: أمْرٌ لِلسَّادَةِ ﴿مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ما يَستَعِينُونَ به في أداءِ مَا التزَمُوه لَكُم. وفي مَعنَى الإيتاءِ: حَطُّ شَيءٍ ممَّا التزَمُوه ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ أي: إماءَكُم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ أي: الزِّنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تَعَفُّفًا عنه - وهَذهِ الإرادَةُ مَحَلُّ الإكراهِ؛ فلا مَفهُومَ لِلشَّرطِ[2] - ﴿لِّتَبْتَغُوا﴾ بالإكراهِ ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نَزَلَتْ في عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ، كَانَ يُكْرِهُ جوارِيَه[3] على الكَسبِ بالزِّنا ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لَهُنَّ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِنَّ[*]. [٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ [مُّبَيَّنَاتٍ]﴾ -بِفَتحِ الياءِ وكَسرِها[4]، في هذهِ السُّورَةِ، بُيِّنَ فيها ما ذُكِرَ، أو: بَيِّنَةً[5] ﴿وَمَثَلًا﴾: خَبَرًا عَجيبًا؛ وهُو: خَبَرُ عائِشَةَ ﴿مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: مِنْ جِنسِ أمثالِهم؛ أي: أخبارِهِمُ العَجيبَةِ؛ كَخَبَرِ يُوسُفَ ومَريَمَ ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قَولِه -تَعالَى-: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[6] ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾[7] إلخ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾[8] إلخ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا﴾[9] إلخ، وتَخصيصُها بالمتَّقينَ؛ لِأنَّهم المُنتَفِعُونَ بها. [٣٥] ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مُنوِّرُهما بالشَّمسِ والقَمَرِ[10] ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي: صِفَتُه في قَلبِ المُؤمِنِ[11] ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ هي القِنديلُ - والمِصباحُ: السِّراجُ؛ أي: الفَتيلَةُ المَوقُودَةُ، والمِشكَاةُ: الطَّاقَةُ غَيرُ النَّافِذَةِ؛ أي: الأُنبُوبَةُ[12] في القِنديلِ - ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنُّورُ فيها ﴿كَوْكَبٌ [دِرِّيءٌ]﴾ أي: مُضِيءٌ - بِكَسرِ الدَّالِ وضَمِّها[13]: مِنَ الدَّرءِ؛ بِمَعنَى: الدَّفعِ؛ لِدَفعِها[14] الظَّلَامَ. وبِضَمِّها وتَشديدِ الياءِ[15]: مَنسُوبٌ إلى الدُّرِّ: اللُّؤلُؤِ - ﴿[تَوَقَّدَ]﴾ المِصباحُ، بالماضي[16]. وفي قِراءَةٍ[17]: بِمُضارِعِ: «أُوقِدَ»؛ مَبنيًّا لِلمَفعُولِ بالتَّحتانِيَّةِ، وفي أُخرَى[18]: ﴿تُوقَدُ﴾[19] بالفَوقانِيَّةِ؛ أي: الزُّجاجَةُ ﴿مِن﴾ زَيتِ ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بَلْ بَينَهما؛ فلا يَتَمكَّنُ منها حَرٌّ ولا بَرْدٌ مُضِرَّينِ ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لِصَفائِه ﴿نُّورٌ﴾ به[20] ﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾ بالنَّارِ. ونُورُ اللهِ: أي: هُداه لِلمُؤمِنِ: نُورٌ على نُورِ الإيمانِ ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي: دِينِ الإسلامِ ﴿مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ﴾: يُبيِّنُ ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تَقريبًا لِأفهامِهم؛ لِيَعتَبِرُوا، فيُؤمِنُوا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه[21] ضَربُ الأمثالِ. [٣٦] ﴿فِي بُيُوتٍ﴾: مُتعَلِّقٌ بِـ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: تُعَظَّمَ ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بِتَوحيدِه ﴿[يُسَبَّحُ]﴾ - بِفَتحِ المُوَحَّدَةِ وكَسرِها[22] - أي: يُصَلِّي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ﴾: مَصدَرٌ؛ بِمَعنَى: الغُدُواتِ؛ أي: البُكَرِ ﴿وَالْآصَالِ﴾: العَشَايا مِنْ بَعدِ الزَّوالِ.

---

[*] **ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٣٣)**: أخرَجَ مُسلِمٌ عن جابِرٍ أنَّ جارِيَةً لِعَبدِ الله بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولَ، يُقالُ لها: مُسَيكَةُ، وأُخرَى يُقالُ لَهَا: أُمَيمَةُ، فكانَ يُكرِهُهُما على الزِّنا، فَشَكَتَا ذلك إلى النَّبيِّ ﷺ فأنزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ إلى قَولِه: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. مسلمٌ - كتاب التفسير (٥٤) باب (٣).

---

(١) في نُسخَةِ قَباوَة: (قبلتُ ذلك). (٢) أي: ليسَ إرادتُهنَّ التَّحصُّنَ شَرطًا لِلنَّهيِ؛ فإكراهُهُنَّ حَرامٌ على كُلِّ حالٍ. (٣) في نُسخَةِ قَباوَة: (جواريَ له).

(٤) ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾، بالفَتحِ: قِراءَةُ نافِعٍ وأبي عَمرٍو وابنِ كثيرٍ وشُعبَةَ، وقرأ: ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾، بالكَسرِ ابنُ عامِرٍ وحفصٌ وحَمزَةُ والكِسائيُّ.

(٥) أي: هي بَيِّنَةٌ، يَعني الآياتِ، وذلك تَوضيحٌ مِنَ المُفسِّرِ لِمَعنَى القِراءَةِ الثانِيَةِ. وفي نُسخَةِ قَباوَة: (بَيِّنَته). (٦) النُّور: ٢. (٧) النُّور: ١٢. (٨) النُّور: ١٦. (٩) النُّور: ١٧.

(١٠) رَوى الطَّبَريُّ (١٧/ ٢٩٥)، وابنُ أبي حاتمٍ (١٤٥٥٠) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قَولَهُ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ «يَقُولُ: الله سُبحانَهُ هادِي أهلِ السَّماواتِ والأرضِ». وقال ابنُ القَيِّمِ في اجتماعِ الجُيوشِ الإسلامِيَّةِ (١/ ١٨): «وقد فُسِّرَ قَولُهُ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآيَةَ، بِكَونِهِ: مُنوِّرَ السَّماواتِ والأرضِ، وهادِيَ أهلِ السَّماواتِ والأرضِ، فَبِنُورِه اهتَدَى أهلُ السَّماواتِ والأرضِ، وهذا إنَّما هو فِعلُه، وإلَّا فالنُّورُ الذي هو مِنْ أوصافِهِ قائِمٌ بِهِ، ومنه اشتُقَّ له اسمُ النُّورِ الذي هو أحَدُ الأسماءِ الحُسنَى».

(١١) رَوى الطَّبَريُّ (١٧/ ٢٩٨) عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعبٍ؛ قالَ: «هُوَ عَبدٌ جَعَلَ اللهُ القُرآنَ والإيمانَ في صَدرِهِ».

(١٢) قال الصاوي في حاشيته على الجلالَينِ (٣/ ١٩٥): «هي السُّنبُلَةُ التي في القِنديلِ، وهو تفسيرٌ آخَرُ لِلمِشكَاةِ. وحِينئذٍ فكانَ المُناسِبُ لِلمُفسِّرِ أنْ يَقولَ: أوِ الأُنبوبة».

(١٣) أي: بِكَسرِ الدَّالِ وياءٍ مَدِّيَّةٍ بَعدَها هَمزَةٌ؛ ﴿دِرِّيءٌ﴾، وهي قِراءَةُ: الكِسائيِّ وأبي عَمرٍو، وقرأ حمزةُ وشُعبةُ ﴿دُرِّيءٌ﴾؛ بِضَمِّ الدَّالِ وياءٍ مَدِّيَّةٍ بَعدَها هَمزَةٌ. (١٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (لدفعه).

(١٥) ﴿دُرِّيٌّ﴾، بِضَمِّ الدَّالِ، وياءٍ مُشدَّدَةٍ مُنوَّنَةٍ، لِباقي السَّبعَةِ.

(١٦) ﴿تَوَقَّدَ﴾، بالتَّاءِ المَفتُوحَةِ وفَتحِ الواوِ والدَّالِ وتَشديدِ القافِ؛ على وَزنِ «تَفَعَّلَ»، وهي قِراءَةُ: ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(١٧) ﴿يُوقَدُ﴾، بالياءِ المَضمُومَةِ وبَعدَها واوٌ ساكِنَةٌ وتَخفيفِ القافِ ورَفعِ الدَّالِ، وهي قِراءَةُ: نافع وابن عامر وحفص.

(١٨) ﴿تُوقَدُ﴾، بالتَّاءِ المَضمُومَةِ وبَعدَها واوٌ ساكِنَةٌ وتَخفيفِ القافِ ورَفعِ الدَّالِ، وهي قِراءَةُ: حمزَةَ والكِسائيِّ وشُعبَةَ. (١٩) كلمةُ: (﴿تُوقَدُ﴾) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَباوَة. (٢٠) أي: بالزَّيتِ.

(٢١) في نُسخَةِ قَباوَة: (منه) بدونِ الواو. (٢٢) ﴿يُسَبَّحُ﴾، بِفَتحِ الباءِ: قِراءَةُ شُعبَةَ وابنِ عامِرٍ. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يُسَبِّحُ﴾، بِكَسرِ الباءِ.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ
وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ
سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ
يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ
قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

[٣٧] ﴿رِجَالٌ﴾: فَاعِلُ ﴿يُسَبِّحُ﴾ بِكَسرِ البَاءِ، وعَلى فَتحِها: نَائِبُ الفَاعِلِ: ﴿لَهُۥ﴾، و﴿رِجَالٌ﴾: فَاعِلُ فِعْلٍ مُقَدَّرٍ، جَوابُ سُؤالٍ مُقدَّرٍ؛ كأنَّه قِيلَ: مَنْ يُسَبِّحُه؟ ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ أي: شِرَاءٌ ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ - حَذْفُ هَاءِ «إِقَامَةِ» تَخفِيفٌ- ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾: تَضطَرِبُ ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مِنَ الخَوفِ- القُلوبُ بَينَ النَّجاةِ والهَلاكِ، والأَبصَارُ بَينَ ناحِيتَيِ اليَمِينِ والشِّمالِ- هو[1] يَومُ القِيامَةِ.

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: ثَوَابَه- و﴿أَحْسَنَ﴾ بِمَعنَى: حَسَنَ- ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يُقَالُ: فُلَانٌ يُنفِقُ بِغَيرِ حِسَابٍ؛ أَي: يُوسِعُ؛ كَأنَّه لا يَحْسُبُ ما يُنفِقُه.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾: جَمعُ قَاعٍ؛ أَي: في فَلَاةٍ- وهو شُعَاعٌ يُرَى فيها نِصفَ النَّهارِ، في شِدَّةِ الحَرِّ، يُشْبِهُ المَاءَ الجَارِيَ- ﴿[يَحْسِبُهُ][2]﴾ يَظُنُّه ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أَيِ: العَطشَانُ ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مِمَّا حَسِبَه؛ كَذَلِكَ الكَافِرُ يَحسِبُ أَنَّ عَمَلَه كَصَدَقَةٍ يَنفَعُه. حتَّى إِذَا مَاتَ وقَدِمَ عَلى رَبِّه لَمِ يَجِدْ عَمَلَهُ؛ أَي: لَمْ يَنفَعْهُ ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أَي: عِندَ عَمَلِهِ ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أَي: جَازَاهُ عَليه في الدُّنيَا ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أَي: المُجَازَاةِ.

[٤٠] ﴿أَوْ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا أعمالُهُمُ السَّيِّئَةُ ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾: عَمِيقٍ ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أَيِ: المَوجِ ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أَيِ: المَوجِ الثَّاني ﴿سَحَابٌ﴾ أَي: غَيمٌ. هَذِه ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظُلْمَةُ البَحْرِ، وظُلْمَةُ المَوجِ الأَوَّلِ، وظُلْمَةُ الثَّاني، وظُلْمَةُ السَّحَابِ ﴿إِذَآ أَخْرَجَ﴾ النَّاظِرُ ﴿يَدَهُۥ﴾ في هَذِه الظُّلُماتِ ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أَي: لَمْ يَقرُبْ مِنْ رُؤيَتِها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أَي: مَنْ لَمْ يَهدِهِ اللهُ لَمْ يَهتَدِ.

[٤١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومِنَ التَّسبِيحِ صَلاةٌ، ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾: جَمعُ طَائِرٍ، بَينَ السَّماءِ والأَرضِ ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: حَالٌ؛ بَاسِطَاتٍ أَجنِحَتَهُنَّ ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ اللهُ ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيه تَغْلِيبُ العَاقِلِ.

[٤٢] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خَزَائِنِ المَطَرِ والرِّزقِ والنَّبَاتِ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾: يَسُوقُه بِرِفْقٍ ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾: يَضُمُّ بَعضَهُ إِلى بَعْضٍ؛ فَيَجعَلُ القِطَعَ المُتَفَرِّقَةَ قِطعَةً وَاحِدَةً ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾: بَعضَه فَوقَ بَعضٍ ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المَطَرَ ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: مَخَارِجِه ﴿[وَيُنزِلُ][3] مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن﴾: زَائِدَةٌ ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾: في السَّماءِ، بَدَلٌ بِإِعَادَةِ الجَارِّ[4] ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ أَي: بَعضَه ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ﴾: يَقْرُبُ ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾: لَمَعَانُهُ ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ النَّاظِرَةِ له؛ أَي: يَخطَفُهَا.

---

(١) في نُسخةِ قَبَاوَة: (وهو)؛ بِزِيادةِ وَاوٍ.
(٢) ﴿يَحْسَبُهُ﴾؛ بفَتحِ السِّينِ: قِرَاءةُ ابنِ عامرٍ وعاصمٍ، وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَحْسِبُهُ﴾؛ بِكَسرِ السِّينِ.
(٣) ﴿وَيُنزِلُ﴾؛ بِتخفِيفِ الزَّايِ مع سُكونِ النُّونِ: قِرَاءةُ ابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو، وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾؛ بالتَّشديدِ مَعَ فَتحِ النُّونِ.
(٤) أي: قولُه: ﴿مِن جِبَالٍ﴾: بَدَلُ اشتِمالٍ مِنْ قولِه: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن
يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ
وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ
يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا
كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن
يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل
لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

نصف الحزب ٣٦

[٤٤] ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: يَأتي بِكُلٍّ منهما بَدَلَ الآخرِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التَّقليبِ ﴿لَعِبْرَةً﴾: دَلَالَةً ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: لِأَصحَابِ البَصَائِرِ على قُدرةِ الله -تعَالَى-.

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ أي: حيَوانٍ ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ أي: نُطفَةٍ[1] ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كَالحَيَّاتِ والهَوَامِّ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كَالإِنسَانِ والطَّيرِ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كَالبَهَائِمِ والأنعَامِ ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٦] ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ أي: بَيِّنَاتٍ، هِيَ القُرآن ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دِينِ الإِسلَامِ.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أيِ: المُنَافِقُونَ: ﴿ءَامَنَّا﴾: صَدَّقنا ﴿بِٱللَّهِ﴾: بِتَوحِيدِه ﴿وَبِٱلرَّسُولِ﴾ مُحَمَّدٍ ﴿وَأَطَعْنَا﴾هُمَا فيما حَكَمَا به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾: يُعْرِضُ ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عنه ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المُعرِضُونَ ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المَعهُودِينَ، المُوافِقِ قُلُوبُهم لِأَلسِنَتِهم.

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ المُبَلِّغِ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عَنِ المَجِيءِ إِليه.

[٤٩] ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: مُسرِعِينَ طَائِعِينَ.

[٥٠] ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: كُفْرٌ؟ ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ أي: شَكُّوا في نُبُوَّتِه؟ ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الحُكْمِ؛ أي: فَيُظْلَمُوا[2] فيه؟ لا، ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بِالإِعْرَاضِ عنه.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [أَيِ: القَولَ][3] اللَّائِقَ بهم ﴿أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بِالإِجَابَةِ ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ حِينَئِذٍ ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: النَّاجُونَ.

[٥٢] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾: يَخَافُهُ[4] ﴿[وَيَتَّقْهِ]﴾ - بِسُكُونِ الهَاءِ وكَسرِهَا[5]- بِأَنْ يُطِيعَهُ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بِالجَنَّةِ.

[٥٣] ﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: غَايَتَها ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بِالجِهَادِ ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل﴾ لَهم: ﴿لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ لِلنَّبِيِّ خيرٌ مِنْ قَسَمِكُمُ الَّذي لا تَصدُقُونَ فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنْ طَاعَتِكُم بِالقَولِ، ومُخَالَفَتِكُم بِالفِعْلِ.

---

(١) هذا قولُ الجمهورِ، كما قالَ الشوكانيُّ في فَتحِ القدير (٤/ ٥٠). وعلى هذا القولِ في الآيَةِ تنزيلُ الغَالبِ مَنزلةَ الكُلِّ؛ لأنَّ في الحيواناتِ مَا يتَوَلَّدُ لا عَن نُطفةٍ. وقال جماعةٌ: إنَّ المُرَادَ الماءُ المَعروفُ؛ لأنَّ آدمَ خُلِقَ من الماءِ والطِّينِ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يظلموا).

(٣) عبارةُ (أيِ: القول) مُثبتةٌ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة. وفي الأَصْلِ: (بالقول).

(٤) تفسيرٌ لِلمجزومِ بِغيرِه، ولا يَلزمُ إعطاءُ التفسيرِ حُكمَ المُفسَّرِ؛ وإلَّا فحَقُّ الإعرابِ: «يخفْهُ» بِالجَزمِ، وليسَ: «يخافُهُ» بالرَّفعِ.

(٥) بالسُّكونِ قِرَاءةُ شُعبةَ وأبي عَمرٍو، وخَلَّادٍ مِن أحد الوَجهَينِ، وبالكَسرِ مع اختلاسِ الحَرَكةِ قِرَاءةُ قَالون وهِشام في أحد وَجهَيهِ، والبَاقونَ -عدا حفصٍ- بِالكَسرِ مَعَ الإِشباعِ، وكذا هِشام في وَجهِهِ الثاني، وخَلَّاد في الوَجه الثاني، وقَرَأ الجَميعُ بِكَسرِ القَافِ، وقَرَأ حفصٌ: «ويتّقه» بِسُكونِ القَافِ مع قَصرِ كَسرِ الهَاءِ «الاختلاس».

[٥٤] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن طاعته - بحذف إحدى التاءين، خطابٌ لهم - ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: التبليغ البيِّن.

[٥٥] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بدلًا عن الكفار ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ - بالبناء للفاعل والمفعول[١] - ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل بدلًا عن الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ - وهو الإسلام - بأن يُظهِرَه على جميع الأديان، ويُوسِّعَ لهم في البلاد فيملكوها ﴿[وَلَيُبْدِلَنَّهُم]﴾ - بالتخفيف والتشديد[٢] - ﴿مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الكفار ﴿أَمْنًا﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذُكِر[٣]، وأثنى عليهم بقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ هو مستأنفٌ في حكم التعليل[٤] ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام منهم، به ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وأوَّلُ من كفر به قتلةُ عثمان - رضي الله عنه - فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانًا.

[٥٦] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: رجاءَ الرحمة.

[٥٧] ﴿لَا [تَحْسَبَنَّ]﴾ - بالفوقانية والتحتانية[٥]، والفاعل: الرسول - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بأن يفوتونا ﴿وَمَأْوَاهُمُ﴾: مرجعهم ﴿النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: المرجع هي!

[٥٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ من الأحرار، وعرفوا أمر النساء[٦] ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾: في ثلاثة أوقات ﴿مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾ أي: وقت الظهر ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ - بالرفع: خبرُ مبتدإٍ مقدَّرٍ، بعده مضافٌ، وقام المضاف إليه مقامه؛ أي: هي أوقاتُ. وبالنصب[٧]: بتقدير: «أوقاتَ»، منصوبًا بدلًا من محلِّ ما قبله[٨]، قام المضافُ إليه مقامه[٩] - وهي: لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المماليك والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة. هم ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ طائفٌ ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والجملة مؤكِّدةٌ لما قبلها ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما بيَّن ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: الأحكام ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمور خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾[*] بما دبَّره لهم. وآيةُ الاستئذان قيل: «منسوخةٌ»، وقيل: «لا»، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان[١٠].

سورة النور — الجزء الثامن عشر

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ
لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ
بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ
الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

---

[*] فائدة: أخرج أبو داود عن عكرمة، أنَّ نفرًا من أهل العراق قالوا: يا ابن عباس، كيف ترى في هذه الآية، التي أُمِرنا فيها بما أُمِرنا، ولا يعمل بها أحدٌ؟ قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ...﴾ الآية؟ قال ابن عباس: «إنَّ الله حليمٌ رحيمٌ بالمؤمنين، يُحبُّ السَّتر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستورٌ ولا حجالٌ، فربما دخل الخادمُ أو الولدُ أو يتيمةُ الرجل، والرجلُ على أهله، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير، فلم أرَ أحدًا يعمل بذلك بعدُ». أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (١٤١) الاستئذان في العورات الثلاث. وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح سنن أبي داود (٤٣٢٤).

---

(١) ﴿اسْتُخْلِفَ﴾؛ بالبناء للمفعول: قراءة شعبة.

(٢) ﴿وَلَيُبْدِلَنَّهُم﴾؛ بسكون الباء وتخفيف الدال: قراءة شعبة وابن كثير. وقرأ بقية السبعة: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾؛ بفتح الباء وتشديد الدال.

(٣) في نسخة قباوة: (ذكره).

(٤) أي: التعليل بما ذُكِر من الأمور الثلاثة.

(٥) ﴿يَحْسَبَنَّ﴾؛ بالياء وفتح السين: قراءة حمزة وابن عامر. وقرأ عاصمٌ: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾؛ بالتاء وفتح السين. وقرأ بقية السبعة: ﴿تَحْسِبَنَّ﴾؛ بالتاء وكسر السين.

(٦) أي: ميَّزوا بين العورة وغيرها. حاشية الصاوي (٤/ ٢٠٤).

(٧) أي: بنصب ﴿ثَلَاثَ﴾، وهي قراءة حمزة والكسائيِّ وشعبة.

(٨) وهي: الظروف الثلاثة.

(٩) أي: المعنى: «ليستأذنكم أوقاتَ ثلاثِ عوراتٍ»؛ فحُذِف المضاف، وقام المضاف إليه مقامه.

(١٠) وهذا الأخير هو الصحيح؛ أنها مُحكَمةٌ واجبةٌ ثابتةٌ في حقِّ الرجال والنساء، يجب عليهم أن يأمروا صبيانهم ومماليكهم بالاستئذان في تلك الأوقات، إذا دخلوا عليهم، وليس لهم أن يدخلوا دون إذنٍ. قال القرطبيُّ (١٢/ ٣٠٣): «وهو قول أكثر أهل العلم». قال ابن كثير (٣/ ٢٩٣): «ولمَّا كانت هذه الآية مُحكَمةً ولم تُنسخ بشيءٍ، وكان عملُ الناس بها قليلًا جدًّا، أنكر عبدُ الله بن عباسٍ ذلك على الناس...». ثم ساق الآثار في ذلك.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا
ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ
لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا
عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم
مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ - أيُّها الأحرارُ- ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جَمِيعِ الأوقاتِ ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرارُ الكِبارُ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٠] ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: قَعَدْنَ عَنِ الحيضِ والوَلَدِ لِكِبَرِهِنَّ ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لِذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ مِنَ الجِلبابِ والرِّداءِ والقِناعِ فوقَ الخِمارِ ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ﴾: مُظهِراتٍ ﴿بِزِينَةٍ﴾ خَفِيَّةٍ؛ كَقِلادةٍ وسِوارٍ وخُلخالٍ ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بِأَنْ لا يَضَعْنَها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِقَولِكُم ﴿عَلِيمٌ﴾ بِما في قُلُوبِكُم.

[٦١] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مُؤاكَلَةِ مُقابِلِيهِم[١] ﴿وَلَا﴾ حَرَجَ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بُيُوتِ أولادِكُم[٢] ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ أي: خَزَنْتُمُوه لِغَيرِكُم[٣] ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو مَنْ صَدَقَكُم في مَوَدَّتِه- المَعنَى: يَجُوزُ الأَكلُ مِن بُيُوتِ مَنْ ذُكِرَ، وإنْ لَمْ يَحضُرُوا، أي: إذا عُلِمَ رِضاهُم به- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾: مُجتَمِعِينَ[٤] ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾[*]: مُتَفَرِّقِينَ[٥]، جَمعُ: «شَتٍّ»، نَزَلَ فِيمَنْ تَحَرَّجَ أَنْ يَأكُلَ وَحدَه، وإذا لَمْ يَجِدْ مَنْ يُؤاكِلُه يَترُكِ الأَكلَ[٦] ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ لَكُم، لا أَهْلَ بِها[٧] ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: قُولُوا: «السَّلامُ عَلَينا وعَلى عِبادِ الله الصَّالِحِينَ»[٨]؛ فإنَّ المَلائِكَةَ تَرُدُّ عَلَيكُم، وإنْ كانَ بها أَهْلٌ فَسَلِّمُوا عليهم ﴿تَحِيَّةً﴾: مَصدَرُ: «حَيَّا» ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ يُثابُ عَلَيها ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: يُفَصِّلُ لَكُم مَعالِمَ دِينِكُم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لِكَي تَفهَمُوا ذلك.

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ أبو داودَ عَنْ عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ فَكانَ الرَّجُلُ يَحرَجُ أَنْ يَأكُلَ عِندَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، بَعْدَ مَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، فَنَسَخَ ذَلِكَ الآيَةُ الَّتِي فِي النُّورِ، قَالَ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟﴾ إلى قولِه: ﴿أَشْتَاتًا﴾. أبو داود - كتاب الأطعمة (٢١) باب (٦) نسخ الضيف يأكلُ مِنْ مَالِ غيرِه، وحَسَّنَ الألبانيُّ إسنادَه في صَحِيحِ سُنَنِ أبي داودَ (٣١٩٢).

---

(١) رَوَى ابنُ أبي حاتِمٍ (٨/ ٢٦٤٣)، والطبريُّ (١٧/ ٣٦٦) عَنِ الضَّحَّاكِ؛ قولَهُ: «﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآيَةَ. كَانَ أَهْلُ المَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُخَالِطُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ أَعْمَى وَلا أَعْرَجُ وَلا مَرِيضٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا كَانَ بِهِمُ التَّقَذُّرُ وَالتَّقَزُّزُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَالُوا المَرِيضُ لَا يَسْتَوْفِي الطَّعَامَ كَمَا يَسْتَوْفِي الصَّحِيحُ، وَالأَعْرَجُ المُنْحَبِسُ لَا يَسْتَطِيعُ المُزَاحَمَةَ عَلَى الطَّعَامِ، وَالأَعْمَى لَا يُبْصِرُ الطَّعَامَ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ: لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ فِي مُؤَاكَلَةِ المَرِيضِ وَالأَعْمَى وَالأَعْرَجِ».

(٢) وهو قولُ غيرِ واحدٍ من المُفسِّرينَ، قالوا: نسبَ -سُبحانَهُ- بُيوتَ الأولادِ إلى الآباءِ؛ لأنَّ الولدَ كَسبُ والِدِه، ومالَه كَمالِه. والدَّليلُ أنَّه -تعالَى- عَدَّدَ الأقاربَ ولم يَذكُرِ الأولادَ، وإذا كانَ سَببُ الرُّخصةِ هو القَرابَةَ، كانَ الذي هو أقربُ منهم أولَى. وقالَ بعضُهم: أي بُيوت أزواجِكُم وعِيالِكُم، أضافَه إليهم؛ لأنَّ بيتَ المرأةِ كبيتِ الزَّوجِ. وقالَ بعضُهم: هي على ظاهِرِها، كأنَّه يقولُ: مَساكِنكم التي فيها أهالِيكُم وأولادُكم؛ فقد يكونُ للأهلِ والوَلدِ شَيءٌ مِن ملكهم، فليسَ عليه حَرج أن يَأكلَ معهم من ذلك القُوتِ. وهو قولٌ حَسَنٌ ظاهِرٌ.

(٣) أي: حَفِظتُموه بِأَنْ تكونُوا وُكَلاءَ عليه؛ فلا بَأسَ أنْ تَأكُلُوا مِن ثَمَرَتِه، ويَشرَبَ مِن لَبَنِ مَاشِيَتِه، ولا يَحمِل ولا يدَّخِرها. قاله ابن عَبَّاسٍ. وقالت عائشةُ: كان المسلمونَ يَرغَبُونَ في النَّفِيرِ مَع رَسُولِ الله ﷺ فيدفَعونَ مَفاتِيحَهم إلى أُمَنائِهم، ويَقُولونَ لهم: قَدْ أحلَلناكُم أن تَأكُلوا مِمَّا احتجتُم إليه، فكانوا يَقُولُونَ: إنَّه لا يَحِلُّ لنا أنْ نَأكُلَ؛ إنَّهم أذِنُوا لنا مِن غيرِ طِيبِ أنفُسِهم، وإنَّما نحنُ أُمناءُ؛ فأنزَلَ الله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟﴾ إلى قولِه: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾. أخرجَه ابنُ أبي حاتم في تَفسيرِه (٨/ ٢٦٤٦ رقم ١٤٨٧٥)، والبزَّار في مُسنَدِه (٣/ ٦١، ٦٢) رقم (٢٢٤١)، وقال الهيثميُّ في المَجمع (٧/ ٨٤): «رواه البزَّارُ ورجالُه رجالُ الصَّحيحِ». وصحَّحه في الاستيعاب (٢/ ٥٩٢، ٥٩٣).

(٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (أي: مُجتَمِعِينَ). (٥) في نُسخَةِ قَباوَة: (أي: مُتفرِّقِينَ).

(٦) روى ابنُ جرير (١٧/ ٣٧٦) عَنِ ابنِ جُرَيجٍ، قَالَ: «كَانَتْ بَنُو كِنَانَةَ يَسْتَحِي الرَّجُلُ مِنْهُمْ أَنْ يَأْكُلَ، وَحْدَهُ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ». ورواه بنحوِه ابنُ أبي حاتم (١٤٨٨٨) وعبدُ الرزَّاق (٢٠٧٠) عَنْ قَتادَةَ. وضعَّفه في الاستيعاب (٢/ ٥٩٧). قال السعديُّ (ص٥٧٥): «وهذا نَفيٌ لِلحَرَجِ، لا نفيٌ لِلفَضِيلةِ، وإلَّا فالأفضَلُ الاجتِماعُ عَلى الطَّعَامِ».

(٧) في نُسخَةِ قَباوَة: (فيها). والأظهَر أنَّ البيوتَ هنا عامَّةٌ؛ لِأنَّها نَكِرَةٌ في سِياقِ الشَّرطِ، فتَشمَلُ بيتَ الإنسانِ وبيتَ غيرِه. وقالَ بعضُ العُلَماءِ: وسواءٌ كان في البيت ساكنٌ أم لا. وزادَ بعضُهم: المسجدَ، فجَعلَ له الحُكمَ نفسَه، واعتمَدُوا في ذلك على ما وردَ عنِ ابنِ عُمَرَ وابنِ عَبَّاسٍ في السَّلام بِاللَّفظِ الذي ذكرَه المُفسِّرُ إذا كان البيتُ أوِ المسجدُ فارغًا... وعلى الأظهرِ فيكونُ معنَى: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: فلْيُسلِّمْ بعضُكم على بعضٍ؛ لأنَّ المسلمينَ كأنَّهم شخصٌ واحدٌ.

(٨) رَوَى البُخاريُّ في الأدبِ المُفرد (١٠٥٥) عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِذَا دَخَلَ البَيْتَ غَيْرَ المَسْكُونِ فَلْيَقُلِ: السَّلام علينا وعلى عبادِ الله الصَّالِحِينَ». وحسَّنَ الألبانيُّ إسنادَه في صحيحِ الأدبِ المفرد (٨١٠)، وكذا قالَ الحافظُ في الفتح (١١/ ٢٠). وقالَ الحافظُ مُعلِّقًا على أثرِ ابنِ عُمَرَ: «فَيُسْتَحَبُّ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي البَيْتِ أَنْ يَقُولَ: السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ».

[٦٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: الرَّسُولِ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كَخُطبَةِ الجُمُعَةِ(١) ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لِعُروضِ عُذرٍ لَهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أمرِهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالانصِرافِ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[*].

[٦٣] ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ بِأَنْ تَقُولُوا: «يا مُحَمَّد». بَلْ قُولُوا: يا نَبِيَّ اللهِ، يا رَسُولَ الله. في لِينٍ وتَواضُعٍ وخَفضِ صَوتٍ ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ﴾ أي: يَخرُجونَ مِنَ المَسجِدِ، في الخُطبَةِ مِن غيرِ استِئذانٍ، خُفيَةً مُستَتِرينَ بِشَيءٍ. و﴿قَدْ﴾: لِلتَحقيقِ(٢) ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: اللهِ ورَسُولِه(٣) ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: بَلاءٌ(٤) ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخِرَةِ.

[٦٤] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ مُلْكًا وخَلْقًا وعَبيدًا(٥) ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ﴾ - أيُّها المُكَلَّفُونَ- ﴿عَلَيْهِ﴾ مِنَ الإيمانِ والنِّفاقِ ﴿وَ﴾ يَعلَمُ ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ - فيه التِفاتٌ عَنِ الخِطابِ- أي: مَتَى يَكُونُ ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ﴾ مِنَ الخَيرِ والشَّرِّ ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنْ أعمالِهم وغَيرِها ﴿عَلِيمٌۢ﴾.

سُورَةُ الفُرقَانِ

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى: ﴿رَّحِيمًا﴾ فمَدَنِيٌّ،

وهِيَ: سَبْعٌ وسَبعُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَارَكَ﴾: تَعالَى ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: القُرآنَ؛ لِأنَّه فَرَقَ بَينَ الحَقِّ والباطِلِ ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: مُحَمَّدٍ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: الإنسِ والجِنِّ دُونَ المَلائِكَةِ(٦) ﴿نَذِيرًا﴾: مُخَوِّفًا مِنْ عَذابِ الله.

[٢] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مِنْ شَأنِهِ أنْ يُخلَقَ ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾: سَوَّاهُ تَسوِيَةً.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ
لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ — ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ أبو دَاودَ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قَالَ: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآيَة، نَسَخَتها التي في النُّورِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قَولِه: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. أبو داودَ - كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإِذْنِ في القُفولِ بعدَ النَّهي. وحَسَّنَه الألبانيُّ في صَحيح سُنَنِ أبي دَاودَ (٢٧٧١).

---

(١) رَوى عبدُ الرزَّاقِ في تَفسِيرِه (٢/ ٤٥٠) عَنِ الزُّهرِيِّ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾، قَالَ: «هُوَ الجُمُعَةُ، إذَا كَانُوا مَعَهُ فِيهَا لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ». وعند الطبريِّ (١٧/ ٣٨٦) في تَفسِيرِها: «فقَالَ مَكْحُولٌ: فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ، وَفِي زَحْفٍ، وَفِي كُلِّ أَمْرٍ جَامِعٍ...». ورَوَى ابنُ أبي حَاتِمٍ (٨/ ٢٦٥٣) نحوَه عَنْ مُجَاهِدٍ.

(٢) رَاجِعِ التعليقَ على آيَةِ (١٠٣) مِن سُورةِ النَّحلِ، في دُخولِ «قدْ» على الفِعلِ المُضارِع.

(٣) في نُسخَةِ قَباوَة: (أو رَسُولِه).

(٤) قال ابنُ كثيرٍ (٦/ ٩٠): «﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: فِي قُلُوبِهِمْ، مِنْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ بِدْعَةٍ».

(٥) في نُسخَةِ قَباوَة: (مُلْكًا وعَبيدًا وخَلقًا).

(٦) عبارةُ: (دُونَ الملائكةِ) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَباوَة.

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾
وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى
ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾
أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: اللهِ؛ أي: غيرِه ﴿ءَالِهَةً﴾ هي الأصنامُ ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دَفْعَه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جَرَّهُ ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً﴾ أي: إِمَاتَةً لأَحَدٍ وإِحياءً لأَحَدٍ ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي: بَعْثًا لِلأمواتِ.

[٤] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: مَا القُرآنُ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كَذِبٌ ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ وهُم مِنْ أهلِ الكِتَابِ[1]. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾: كُفْرًا وكَذِبًا؛ أي: بِهِمَا.

[٥] ﴿وَقَالُوٓا﴾ أيضًا: هُو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أَكَاذِيبُهُم؛ جَمعُ أُسطُورَةٍ، بِالضَّمِّ ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾: انتَسَخَها مِن ذَلك[2] القَومِ بِغَيرِه[3] ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ﴾: تُقرَأُ ﴿عَلَيْهِ﴾ لِيَحفَظَها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: غُدْوَةً وعَشِيًّا. قال تَعَالَى رَدًّا عليهم:

[٦] ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾: الغيبَ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم[4].

[٧] ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ يُصَدِّقُه.

[٨] ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ مِنَ السَّماءِ يُنفِقُه، ولا يَحتاجُ إلى المَشيِ في الأَسوَاقِ لِطَلَبِ المَعَاشِ ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بُستَانٌ ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: مِنْ ثِمَارِها فَيكتَفِي بها. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿نَأْكُلُ﴾ بِالنُّونِ[5]؛ أي: نَحنُ، فيَكُونَ له مَزِيَّةٌ علينا بِها ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: الكَافِرُونَ لِلمُؤمِنِينَ: ﴿إِن﴾: مَا ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: مَخدُوعًا مَغلُوبًا على عَقْلِه. قالَ تَعَالَى:

[٩] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بِالمَسحُورِ، والمُحتَاجِ إلى مَا يُنفِقُه، وإلى مَلَكٍ يَقُومُ مَعَه بالأَمرِ ﴿فَضَلُّوا﴾ بِذَلِكَ عَنِ الهُدَى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا إليه؟

[١٠] ﴿تَبَارَكَ﴾: تَكَاثَرَ خَيرُ ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي قَالُوه، مِنَ الكَنْزِ والبُستَانِ ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: في الدُّنيا؛ لِأَنَّه شَاءَ أَنْ يُعطِيَه إِيَّاهَا في الآخِرَةِ ﴿وَيَجْعَل﴾ - بِالجَزمِ - ﴿لَّكَ قُصُورًا﴾ أيضًا. وفي قِرَاءَةٍ: بِالرَّفعِ[6] استِئنَافًا.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِٱلسَّاعَةِ﴾: القِيَامَةِ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾: نَارًا مُسعَرَةً[7]؛ أي: مُشتَدَّةً.

---

(١) قالَه مُقاتلٌ في تَفسِيرِه (٣/ ٢٢٦).
(٢) كذا في جميعِ النُّسخِ التي بِأَيدِينا، والمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: «مِنْ أُولئكَ القَومِ».
(٣) أي: أَمَرَ غَيرَه بِنسخِها له؛ فإِنَّه ﷺ أُمِّيٌّ لا يَقرأُ ولا يَكتُبُ.
(٤) قال ابنُ جُزَيٍّ في التسهيلِ لِعُلوم التنزيل (٢/ ٧٩): «فإنْ قِيلَ: ما مُناسَبةُ قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لِمَا قَبلَه؟ فالجَوابُ: أنَّه لمَّا ذَكَرَ أَقوالَ الكُفَّارِ: أعقبَها بذلك، لِبَيَانِ أَنَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ في كونِه لَمْ يَعجَلْ عليهم بِالعُقُوبَةِ، بَل أَمهَلَهم، وإِنْ أَسلَمُوا تَابَ عليهم وغَفَرَ لهم».
(٥) ﴿نَأْكُلُ﴾؛ بِالنُّونِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائيِّ.
(٦) ﴿وَيَجْعَلُ﴾؛ بِرَفعِ اللَّامِ: قِرَاءَةُ شُعبَةَ وابنِ عامرٍ وابنِ كثيرٍ.
(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مُستعِرة).

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾
وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا
﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾
قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى
هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ
يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾
فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

٣٦١

[١٢] ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾: غَلَيَانًا؛ كَالغَضبَانِ، إِذَا غَلَى صَدْرُهُ مِنَ الغَضَبِ ﴿وَزَفِيرًا﴾: صَوتًا شَدِيدًا، [وسَماعُ][1] التَّغَيُّظِ: رُؤيَتُه وعِلْمُه[2].

[١٣] ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ[3]: بِأَنْ يُضَيَّقَ عليهم. و﴿مِنْهَا﴾: حَالٌ مِنْ ﴿مَكَانًا﴾؛ لِأنَّه في الأَصلِ صِفَةٌ له- ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مُصَفَّدِينَ قَدْ قُرِنَتْ؛ أَي: جُمِعَتْ أَيدِيهم إِلى أعناقِهم في الأَغلَالِ- والتَّشدِيدُ لِلتَّكثِيرِ- ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: هَلاكًا. فيُقَالُ لهم:

[١٤] ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كَعَذَابِكُم[4].

[١٥] ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ، مِنَ الوَعِيدِ وصِفَةِ النَّارِ ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في عِلْمِه -تَعالَى- ﴿جَزَآءً﴾: ثَوَابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾: مَرجِعًا؟

[١٦] ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾؟ حَالٌ لَازِمَةٌ ﴿كَانَ﴾ وَعْدُهُمْ مَا ذُكِرَ ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾: يَسأَلُه مَنْ وُعِدَ به: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[5] أَو تَسأَلُه لَهمُ المَلائِكَةُ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾[6].

[١٧] ﴿وَيَوْمَ [نَحْشُرُهُمْ]﴾ - بِالنُّونِ والتَّحتَانِيَّةِ[7]- ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أَي: غَيرَه مِنَ المَلَائِكَةِ وعِيسَى وعُزَيرٍ والجِنِّ ﴿فَيَقُولُ﴾ -تَعالَى- بِالتَّحتَانِيَّةِ والنُّونِ[8] - لِلمَعبُودِينَ إِثبَاتًا لِلحُجَّةِ على العَابِدِينَ-: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإِبدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا، وتَسهِيلِهَا، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَ المُسهَّلَةِ والأُخرَى، وتَركِه[9]- ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أَوقَعتُمُوهُم في الضَّلَالِ، بِأَمْرِكُم إِيَّاهُم بِعِبَادَتِكُم؟ ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾: طَرِيقَ الحَقِّ بِأَنفُسِهم؟

[١٨] ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾: تَنزِيهًا لَكَ عَمَّا لا يَلِيقُ بِكَ! ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى﴾: يَستَقِيمُ ﴿لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ أَي: غَيرَكَ ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: مَفعُولٌ أَوَّلُ، و﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٌ لِتَأكِيدِ النَّفيِ، ومَا قَبلَه: الثَّاني[10]- فَكَيفَ نَأمُرُ بِعِبَادَتِنا؟ ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ مِنْ قَبْلِهم؛ بِإِطَالَةِ العُمُرِ وسَعَةِ الرِّزقِ ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾: تَرَكُوا المَوعِظَةَ والإِيمَانَ بِالقُرآنِ ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾: هَلكَى.

[١٩] قَالَ تَعالَى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أَي: كَذَّبَ المَعبُودُونَ العَابِدِينَ ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ - بِالفَوقَانِيَّةِ[11]- أَنَّهم آلِهَةٌ ﴿فَمَا [يَسْتَطِيعُونَ]﴾ - بِالتَّحتَانِيَّةِ والفَوقَانِيَّةِ[12]-: أَي: لا هُم ولا أَنتم ﴿صَرْفًا﴾: دَفعًا لِلعَذَابِ عنكُم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: مَنعًا لَكُم منه ﴿وَمَن يَظْلِم﴾: يُشرِكْ ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾: شَدِيدًا في الآخِرَةِ.

[٢٠] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ - فأَنتَ مِثلُهم في ذلكَ، وقَدْ قِيلَ لَهم مِثْلُ مَا قِيلَ لكَ- ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: بَلِيَّةً؛ أُبْتُلِيَ الغَنِيُّ بِالفَقِيرِ، والصَّحِيحُ بِالمَرِيضِ، والشَّرِيفُ بِالوَضِيعِ، يَقُولُ الثَّاني في كُلٍّ: مَا لي لا أَكُونُ كَالأَوَّلِ في كُلٍّ؟[13] ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تَسمَعُونَ مِمَّن ابْتُلِيتُم بِهم؟ استِفهَامٌ بِمَعنَى الأَمرِ؛ أَي: اصْبِرُوا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بِمَنْ يَصبِرُ وبِمَنْ يَجزَعُ.

---

(١) في الأَصْلِ: (أو سَماع) والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٢) أَشارَ بِذلكَ إِلى جَوابٍ آخَرَ، وهو أَنَّ السَّماعَ لَيسَ على حَقِيقَتِه؛ بَلِ المُرادُ منه: الرُّؤيَةُ والعِلمُ. وعلى القَولِ الأَوَّلِ يَكونُ المُرادُ سَماعَ ما يَدلُّ على التَّغَيُّظِ وهو الغَلَيانُ.

(٣) ﴿ضَيْقًا﴾؛ بِسُكُونِ اليَاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ.

(٤) تَشبِيهٌ له في الكَثرةِ. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لِعذَابِكم)؛ أَي: لِأَجلِ دَوامِ عَذابِكم وكَثرتِه؛ فيَنبَغِي أَن يَكونَ دُعاؤُكم عَلى حَسبِه. حاشيةُ الجمل (٣/ ٢٤٨).

(٥) آل عمران: ١٩٤.

(٦) غافر: ٨.

(٧) ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾؛ بِالنُّونِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حفصٍ وابنِ كثيرٍ. وقَرَأَ حفصٌ وابنُ كثيرٍ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾؛ بِاليَاءِ.

(٨) ﴿فنَقولُ﴾؛ بِالنُّونِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فَيَقُولُ﴾؛ بِاليَاءِ.

(٩) قرأ قالون وأبو عمرٍو بالتَّسهِيلِ والإِدخَالِ، وورشٌ وابنُ كثيرٍ بالتَّسهِيلِ مِنْ غَيرِ إِدخَالٍ، ولِوَرشٍ الإِبدَالُ حَرف مدٍّ مع الإِشبَاعِ، وهشام بِالتَّسهِيلِ والتَّحقِيقِ، وكلٌّ منهما مع الإِدخَالِ. وبَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِالتَّحقِيقِ بِلا إِدخَالٍ.

(١٠) أَي: قولُه: ﴿مِن دُونِكَ﴾ المفعولُ الثَّاني.

(١١) أَي: باتِّفَاقِ العَشرةِ.

(١٢) ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حفصٍ. وقَرَأَ حفصٌ: ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾؛ بِالتَّاءِ.

(١٣) قولُه: «الثَّاني»: أَي: الفقيرُ والمريضُ والوضيعُ. وقولُه: «الأَوَّل»: أَي: مَنْ يُقَابِلُ ذلك في الصِّفَاتِ؛ وهو الغَنِيُّ والصَّحِيحُ والشَّرِيفُ.

الجزء ١٩ الحزب ٣٧

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا
﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ
هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا
وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ
يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ
أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ
وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ
إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا
وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ
وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾

٣٦٢

[٢١] ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لَا يَخَافُونَ البَعْثَ[١] ﴿لَوۡلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكَانُوا رُسُلًا إلينا ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فَنُخبَرَ[٢] بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُه. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: تكَبَّرُوا ﴿فِيٓ﴾ شَأْنِ ﴿أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ﴾: طَغَوا ﴿عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾ بِطَلَبِهِم رُؤْيَةَ اللهِ تَعَالَى فِي الدُّنيا. و﴿عُتُوّٗا﴾ بِالوَاوِ عَلى أَصْلِه، بِخِلَافِ «عُتِيًّ» بِالإِبْدَالِ فِي «مَرْيَمَ»[٣].

[٢٢] ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فِي جُمْلَةِ الخَلَائِقِ- هو: يَومُ القِيَامَةِ، ونَصْبُه بـ«اذْكُرْ» مُقَدَّرًا- ﴿لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أَيِ: الكَافِرِينَ، بِخِلَافِ المُؤْمِنِينَ فَلَهُمُ البُشْرَى بِالجَنَّةِ ﴿وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ عَلَى عَادَتِهِم فِي الدُّنيا إِذَا نَزَلَتْ بِهِم شِدَّةٌ؛ أَي: عَوْذًا مُعَاذًا؛ يَسْتَعِيذُونَ مِنَ المَلَائِكَةِ[٤]. قَالَ تَعَالَى: [٢٣] ﴿وَقَدِمۡنَآ﴾: عَمَدْنَا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ﴾ مِنَ الخَيرِ؛ كَصَدَقَةٍ وصِلَةِ رَحِمٍ، وقِرَى ضَيفٍ، وإِغَاثَةِ مَلهُوفٍ فِي الدُّنيا ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ - هُو مَا يُرَى فِي الْكُوَى التي عَلَيها الشَّمسُ؛ كالغُبَارِ المُفَرَّقِ- أَي: مِثْلَه فِي عَدَمِ النَّفْعِ بِه؛ إِذْ لا ثَوَابَ فيه لِعَدَمِ شَرطِه، ويُجَازَونَ عَلَيه فِي الدُّنيا[٥].

[٢٤] ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ﴾: يَومَ القِيَامَةِ ﴿خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ مِنَ الكَافِرِينَ فِي الدُّنيا[٦] ﴿وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ منهم؛ أَي: مَوضِعَ قَائِلَةٍ فيها. وهي: الاستِرَاحَةُ نِصفَ النَّهارِ فِي الحَرِّ. وأُخِذَ مِنْ ذَلِكَ انقضاءُ الحِسَابِ فِي نِصفِ نَهَارٍ؛ كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ[٧].

[٢٥] ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أَي: كُلُّ سَمَاءٍ ﴿بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ أَي: مَعَه- وهُو: غَيمٌ أَبيَضُ- ﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ ﴿تَنزِيلًا﴾ هو يَومُ القِيَامَةِ- ونَصْبُه بـ«اذْكُرْ» مُقَدَّرًا. وفي قِرَاءَةٍ: بِتَشْدِيدِ شِينِ ﴿تَشَّقَّقُ﴾[٨] بِإِدغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الأَصلِ فيها، وفِي أُخرَى: ﴿نُنْزِلُ﴾[٩] بِنُونَينِ؛ الثَّانِيةُ سَاكنةٌ، وضَمِّ اللَّامِ، ونَصْبِ ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾-.

[٢٦] ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ لا يَشْرَكُه فيه أَحَدٌ ﴿وَكَانَ﴾ اليومُ ﴿يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾: [شَدِيدًا][١٠] بِخِلَافِ المُؤْمِنِينَ.

[٢٧] ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾: المُشْرِكُ: عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيطٍ، كان نَطَقَ بِالشَّهَادَتَينِ، ثُمَّ رَجَعَ إِرضَاءً لِأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ[١١] ﴿عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾: نَدَمًا وتَحَسُّرًا فِي يَومِ القِيَامَةِ ﴿يَقُولُ يَا﴾: لِلتَّنبِيهِ ﴿لَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ مُحَمَّدٍ ﴿سَبِيلٗا﴾: طَرِيقًا إِلى الهُدَى.

[٢٨] ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ﴾ - أَلِفُه عِوَضٌ عَنْ يَاءِ الإِضَافَةِ- أَي: وَيلَتِي؛ ومَعنَاه: هَلَكَتِي ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا﴾ أَي: أُبَيًّا ﴿خَلِيلٗا﴾.

[٢٩] ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ أَي: القُرآنِ ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾ بِأَنْ رَدَّنِي عَنِ الإِيمانِ بِه. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ﴾ الكَافِرِ ﴿خَذُولٗا﴾ بِأَنْ يَترُكَه ويَتَبَرَّأَ منه عِندَ البَلَاءِ.

[٣٠] ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي﴾ قُرَيشًا ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾: مَترُوكًا. قَالَ تَعَالَى: [٣١] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كَمَا جَعَلْنَا لَكَ عَدُوًّا مِنْ مُشرِكِي قَومِكَ ﴿جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قَبْلَكَ ﴿عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾: المُشرِكِينَ- فاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا- ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا﴾ لَكَ ﴿وَنَصِيرٗا﴾: نَاصِرًا لَكَ عَلى أَعدَائِكَ!

[٣٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا﴾: هَلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ كَالتَّورَاةِ والإِنجِيلِ والزَّبُورِ. قَالَ تَعَالَى: نَزَّلنَاهُ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مُتَفَرِّقًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾: نُقَوِّيَ قَلبَكَ ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ أَي: أَتَينَا بِه شَيئًا بَعدَ شَيءٍ، بِتَمَهُّلٍ وتُؤَدَةٍ؛ لِتَيسِيرِ فَهمِهِ وحِفظِهِ.

---

(١) وهو لِقَاءٌ حَقِيقِيٌّ كَيفَمَا يَشَاؤُه رَبُّنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

(٢) فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فيُخبِرَنا).

(٣) يُشِيرُ إِلَى قولِه تعالى: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ [مريم:٨]، وقَولِه: ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ [مريم:٦٩].

(٤) هذا قولُ ابنِ جُرَيج كما حكاه عنه ابنُ جرير. قال ابنُ كثير: «وَهَذَا القَوْلُ -وَإِنْ كَانَ لَهُ مَأْخَذٌ وَوَجْهٌ- وَلَكِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السِّيَاقِ فِي الآيَةِ بَعِيدٌ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ نَصَّ الجُمْهُورُ عَلَى خِلَافِهِ» واختار ابنُ كثيرٍ (٦/ ١٠٢-١٠٣)، وابنُ جرير (١٧/ ٤٢٩) أَنَّ الضميرَ في قولِه: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عائدٌ على الملائكةِ؛ أي تَقولُ الملائكةُ لِلكافرينَ: حَرامٌ مُحَرَّمٌ عليكمُ الفَلاحُ اليومَ.

(٥) الحديثُ في ذلك رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٨٠٨) عَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ. وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ للهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»، وفي الآيةِ والحديثِ رَدٌّ وَاضِحٌ عَلَى مَنْ يُغالي في الثَّناءِ على أمواتِ الكُفَّارِ، الذين مَاتُوا على الكُفرِ، مِنَ الذينَ لهم أعمالٌ ومواقفُ جَيِّدةٌ، فيَشهَدُ لهم بِالجَنَّةِ؛ لاختراعاتِهم وأعمالِهم الدُّنيويَّةِ!

(٦) الظَّاهِرُ أَنَّ المُرادَ المُفاضَلةُ بينهما في الآخِرةِ، وهو الأَبلَغُ في المعنَى، وَالأَبيَنُ في الفَرقِ بينَ حالِ الفَريقَينِ؛ فالمُؤمِنونَ مُستَقِرُّونَ في الجَنَّةِ، والكَافِرُونَ مُستَقِرُّونَ في النَّارِ. فيَا لَهُ مِن وَعدٍ، ويَا لَهُ مِن وَعيدٍ. وأَمَّا قولُه: ﴿خَيۡرٞ﴾، فهو من بابِ استعمالِ أفعلِ التَّفضِيلِ فيما ليسَ في الطَّرَفِ المُقَابِلِ شيءٌ منه.

(٧) رَاجِع التَّعليقَ على الآيةِ (٢٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، والآية (٥١) مِنْ سُورَةِ إبراهيمَ.

(٨) ﴿تَشَّقَّقُ﴾، بِتَشدِيدِ الشِّينِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَشَقَّقُ﴾، بتَخفيفِها.

(٩) ﴿نُنزِلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾، بِتَخفيفِ الزَّايِ ونُونٍ سَاكنةٍ قبلَها، وضَمِّ اللامِ، مع نَصبِ «الملائكةَ»: وهي قِرَاءةُ ابنِ كثيرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾، بِتَشدِيدِ الزَّايِ وفَتحِ اللامِ وضَمِّ تاءِ «الملائكةُ».

(١٠) كلمةُ: (شَدِيدًا) لَيستْ في الأَصلِ، وأثبتناها مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١١) أخرجَه ابنُ مَردَوَيه وأبو نُعَيمٍ فِي الدَّلائِلِ -كما في الدُّرِّ المنثورِ (٦/ ٢٥٠)- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. ويُنظَرُ: صحيحُ السِّيرةِ النبويَّةِ للألبانيِّ (ص٢٠٤-٢٠٥). ولَيسَ فيه تَسميةُ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ. وقد روى آخرونَ القِصَّةَ مَعكوسةً، وأَنَّ أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ رَجَعَ إِرضَاءً لِعُقبَةَ، وروى آخَرونَ أَنَّها نَزَلَتْ في عُقبَةَ بنِ أبي مُعيطٍ وأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ. وضَعَّفَها كُلَّها في الاستيعاب (٣/ ٩-١٥).

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا
﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ
شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ
إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا
ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ
بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إِبْطَالِ أَمْرِكَ ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدَّافِعِ له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: بَيَانًا.

[٣٤] هُمُ ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[*] أي: يُسَاقُونَ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ -هُو جهنَّمُ- ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطأُ طَرِيقًا مِنْ غيرِهم. وهو: كُفْرُهُم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾: مُعِينًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: القِبْطِ؛ فِرعَونَ وقَومِه، فذَهَبا إِلَيهم بالرِّسَالَةِ؛ فَكَذَّبُوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾: أَهلَكنَاهُم إِهلاكًا.

[٣٧] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾ بِتكذِيبِهم نُوحًا لِطُولِ لَبْثِه فِيهِم؛ فَكَأنَّه رُسُلٌ، أو لِأَنَّ تكذِيبَهُ تكذِيبٌ لِبَاقِي الرُّسُلِ، لاشتِرَاكِهم في المَجِيءِ بِالتَّوحِيدِ ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾: جَوابُ ﴿لَّمَّا﴾ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بَعدَهُم ﴿ءَايَةً﴾: عِبرَةً ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخِرَةِ ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِمًا، سِوَى مَا يَحُلُّ بِهِم في الدُّنيا.

[٣٨] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿عَادًا﴾: قَومَ هُودٍ ﴿وَثَمُودَاْ[1]﴾: قَومَ صَالِحٍ ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾: اسمُ بِئرٍ[2]- ونَبِيُّهم قِيلَ: شُعَيبٌ، وقِيلَ: غيرُه- كَانُوا قُعُودًا حَولَها؛ فانهَارَت بِهِم وبِمَنَازِلِهم ﴿وَقُرُونًۢا﴾: أقوامًا ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بَينَ عَادٍ وأصحَابِ الرَّسِّ.

[٣٩] ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ في إِقَامَةِ الحُجَّةِ عليهم؛ فَلَمْ نُهلِكْهم إِلَّا بَعدَ الإِنذَارِ ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: أَهلَكْنَا إِهلاكًا، بِتكذِيبِهم أنبِيَاءَهم.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ﴾ أي: مَرَّ كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾: مَصْدَرُ سَاءَ؛ أي: بِالحِجَارَةِ. وهي: عُظْمَى قُرَى قَومِ لُوطٍ؛ فأَهلَكَ اللهُ أَهلَها لِفِعلِهِمُ الفَاحِشَةَ ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾ في سَفَرِهِم إِلى الشَّامِ؛ فيَعتَبِرُونَ؟ والاستفهَامُ لِلتَّقرِيرِ ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ﴾: يَخَافُونَ ﴿نُشُورًا﴾: بَعْثًا؛ فَلَا يُؤمِنُونَ.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن﴾: مَا ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا[3]﴾: مَهْزُوءًا به، يَقُولُونَ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ في دَعوَاه، مُحتَقِرِينَ له عَنِ الرِّسَالَةِ؟

[٤٢] ﴿إِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُها مَحذُوفٌ؛ أي: إِنَّه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾: يَصرِفُنَا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لَصَرَفَنا عنها. قالَ تَعَالَى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ عِيَانًا في الآخِرَةِ: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أَخطَأُ طَرِيقًا؟ أَهُمْ أَمِ المُؤمِنُونَ؟

[٤٣] ﴿أَرَءَيْتَ﴾: أَخبِرْنِي ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: مَهوِيَّهُ؟ قُدِّمَ المَفعُولُ الثَّاني؛ لِأَنَّه أَهَمُّ، وجُملَةُ ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾: مَفعُولٌ أَوَّلُ لِـ«رَأيتَ»، والثَّانِي: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: حَافِظًا تَحفَظُهُ عَنِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ؟ لا.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ قَتَادَةَ، قال: حدَّثنا أَنسُ بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ الله، كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟» قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (١) ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. وأخرجَه مسلمٌ - كتاب صِفاتِ المُنافقينَ (٥٠) باب (١١).

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: ﴿وَثَمُودًا﴾؛ بِالصَّرفِ، وهي: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حمزةَ وحفصٍ. وقَرَأَ حمزةُ وحفصٌ: ﴿وَثَمُودَاْ﴾؛ دُونَ تنوينٍ. ويَنصرِفُ «ثمود» إذا كانَ بِمَعنَى: الحَيِّ، ويُمنَعُ من الصَّرفِ إذا كان اسمًا للقبيلةِ؛ أي: لِلعَلَمِيَّةِ والتأنيثِ. قالَ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ في الدُّرِّ المصونِ في علوم الكتابِ المكنونِ (٦/ ٣٤٦): «والعَامَّةُ على مَنْعِ «ثمودَ» الصَّرفَ هنا لِعِلَّتَينِ: وهما العَلَمِيَّةُ والتَّأنِيثُ، ذهبوا به مَذهبَ القَبِيلَةِ، والأعمش ويحيى بن وثاب صَرفُوه، ذَهَبَا به مَذهبَ الحَيِّ».

(٢) جمهورُ أهلِ اللغةِ على أنَّ «الرسَّ» لُغَةً هو: البئرُ. أمَّا «أصحابُ الرَّسِّ» فقيلَ: هُم أصحابُ الأُخدودِ الذين جاءَ ذِكرُهم في سُورَةِ «البروجِ». واختارَ ذلك ابنُ جرير (١٩/ ٢٧٠). وقيلَ: هُم أهلُ أنطاكِيَةَ؛ أصحابُ القريةِ المذكُورُونَ في سُورة «يس». وقيلَ غير ذلك، والله أعلمُ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: ﴿هُزُؤًا﴾ بِضَمِّ الزَّايِ وبِالهمزِ، وهي قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدا حمزةَ وحفصٍ، وقَرَأَ حمزةُ وَصْلًا ﴿هُزْءًا﴾ بالهَمزِ مَعَ سُكُونِ الزَّايِ، وأَمَّا وَقفًا فَلَه وَجهَانِ: ﴿هُزَوًا﴾ ﴿هُزَا﴾، وقَرَأَ حفصٌ: ﴿هُزُوًا﴾ بضمِّ الزَّايِ وإبدالِ الهَمزةِ وَاوًا. وسبق نظيرُه في سُورَةِ «الأنبياء» الآية: ٣٦.

أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا
كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ
ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا
(٤٥) ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا (٤٦) وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا (٤٧) وَهُوَ
ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا (٤٨) لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ
مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا (٤٩) وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ
لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا (٥٠) وَلَوۡ شِئۡنَا
لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا (٥١) فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم
الحزب ٣٧ بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا (٥٢) ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا
عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا
وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا (٥٣) وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ
نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا (٥٤) وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا (٥٥)

[٤٤] ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ﴾ سَماعَ تَفهُّمٍ ﴿أَوۡ يَعۡقِلُونَ﴾ ما تَقُولُ لَهم؟ ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطأُ طَرِيقًا منها؛ لِأَنَّها تَنقادُ لِمَنْ يَتعَهَّدُها، وهُم لَا يُطِيعُونَ مَولَاهُم المُنعِمَ عليهم.

[٤٥] ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: تَنظُرْ ﴿إِلَىٰ﴾ فِعلِ ﴿رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ مِنْ وَقتِ الإِسفَارِ إلى وَقتِ طُلُوعِ الشَّمسِ؟ ﴿وَلَوۡ شَآءَ﴾ رَبُّكَ ﴿لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾: مُقِيمًا لَا يَزُولُ بِطُلُوعِ الشَّمسِ ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ﴾ أَيِ: الظِّلِّ ﴿دَلِيلٗا﴾ - فَلولَا الشَّمسُ مَا عُرِفَ الظِّلُّ-.

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ﴾ أَيِ: الظِّلَّ المَمدُودَ ﴿إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾: خَفِيًّا بِطُلُوعِ الشَّمسِ؟

[٤٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾: سَاتِرًا كَاللِّبَاسِ ﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾: رَاحَةً لِلأَبدَانِ؛ بِقَطعِ الأَعمَالِ ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾: مَنشُورًا فيه لِابتِغَاءِ الرِّزقِ وغَيرِه.

[٤٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وفي قِرَاءَةٍ: ﴿ٱلرِّيحَ﴾[1] ﴿[نُشُرٗا]﴾[2] ﴿بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ﴾: مُتَفَرِّقَةً قُدَّامَ المطَرِ- وفي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِ الشِّينِ تَخفِيفًا[3]، وفي أُخرَى: بِسُكُونِها وفَتحِ النُّونِ[4]: مَصدَرًا[5]، وفي أُخرَى: بِسُكُونِها وضَمِّ المُوَحَّدَةِ بَدَلَ النُّونِ[6]؛ أي: مُبَشِّرَاتٍ. ومُفرَدُ الأُولَى: نَشُورٌ؛ كَرَسُولٍ، والأَخِيرَةِ: بَشِيرٌ- ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾: مُطَهِّرًا.

[٤٩] ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ - بِالتَّخفِيفِ، يَستَوِي فيه المُذَكَّرُ والمُؤَنَّثُ- ذَكَّرَه بِاعتِبَارِ المَكَانِ[7] ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ﴾ أَي: المَاءَ ﴿مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا﴾: إِبِلًا وبَقَرًا وغَنَمًا ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا﴾: جَمعُ إِنسَانٍ. وأَصلُه: «أَنَاسِينُ»؛ فَأُبدِلَتِ النُّونُ يَاءً، وأُدغِمَتْ فيها اليَاءُ. أو جَمعُ إِنسِيٍّ.

[٥٠] ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ﴾ أَيِ: المَاءَ ﴿بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ - أَصلُه: «يَتَذَكَّرُوا»؛ أُدغِمَتِ التَّاءُ في الذَّالِ. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿لِيَذۡكُرُوا﴾[8] بِسُكُونِ الذَّالِ وضَمِّ الكَافِ- أَي: نِعمَةَ اللهِ به ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾: جُحُودًا لِلنِّعمَةِ؛ حَيثُ قَالُوا: مُطِرنَا بِنَوْءِ كَذَا[9].

[٥١] ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا﴾ يُخَوِّفُ أَهلَها. ولَكِن بَعَثنَاكَ إلى أَهلِ القُرَى كُلِّها نَذِيرًا؛ لِيَعظُمَ أَجرُكَ.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في هَوَاهُم ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ أي: [بالقُرآنِ][10] ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾.

[٥٣] ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: أَرسَلَهُما مُتَجَاوِرَينِ ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾: شَدِيدُ العُذُوبَةِ ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾: شَدِيدُ المُلُوحَةِ ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا﴾: حَاجِزًا لا يَختَلِطُ أَحَدُهُما بِالآخَرِ ﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ أي: سِترًا مَمنُوعًا به اختِلَاطُهما.

[٥٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا﴾: مِنَ المَنِيِّ إِنسَانًا ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا﴾: ذَا نَسَبٍ ﴿وَصِهۡرٗاۗ﴾: ذَا صِهرٍ؛ بِأَنْ يَتَزَوَّجَ؛ ذَكَرًا كَانَ أو أُنثَى طَلَبًا لِلتَّنَاسُلِ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾: قَادِرًا عَلَى مَا يَشَاءُ[11].

[٥٥] ﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾ أَي: الكُفَّارُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ﴾ بِعِبَادَتِه ﴿وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ﴾ بِتَركِها- وهو الأَصنَامُ- ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا﴾: مُعِينًا لِلشَّيطَانِ بِطَاعَتِه.

---

(١) ﴿ٱلرِّيحَ﴾؛ بِسُكُونِ اليَاءِ دُونَ أَلِفٍ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ.

(٢) ﴿نُشُرٗا﴾؛ بِالنُّونِ المَضمُومَةِ وضَمِّ الشِّينِ: قِرَاءَةُ: نافع وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو، وسَبَقَ تَخرِيجُ القِرَاءَاتِ تَفصِيلًا وضَبطًا في مَوضِعِ «الأعراف» آية ٥٧.

(٣) أي: ﴿نُشۡرٗا﴾، وهي: لابنِ عامرٍ، كما في مَوضِعِ «الأعراف» آية ٥٧.

(٤) في بَعضِ المطبوعَاتِ: (ونُونٍ مَفتُوحَةٍ).

(٥) أي: ﴿نَشۡرٗا﴾، وهي لِحَمزَةَ والكِسَائِيِّ، كما في مَوضِعِ «الأعراف» آية ٥٧.

(٦) أي: ﴿بُشۡرَۢا﴾، وهِيَ قِرَاءَةُ عاصمٍ، كما في مَوضِعِ «الأعراف» آية ٥٧.

(٧) عبارةُ: (ذَكَّرَه بِاعتِبَارِ المَكَانِ) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة. وهذا توجيهٌ آخر يقتضي أن يكونَ قبلَه: «أو».

(٨) ﴿لِيَذۡكُرُوا﴾؛ بِسُكُونِ الذَّالِ وضَمِّ وتخفيفِ الكَافِ: قِرَاءَةُ: حمزةَ والكِسَائِيِّ، كما في مَوضِعِ «الأعراف» آية ٥٧.

(٩) أخرجه ابنُ أبي حاتم (١٥٢٥٢) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَن عِكرِمةَ. وأَخرَجَ البُخَارِيُّ (٨٤٦)، وفي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، ومسلمٌ (٧١) عَنْ زَيدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبحِ بِالحُدَيبِيَةِ عَلَى إِثرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيلَةِ، فَلَمَّا انصَرَفَ أَقبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. قَالَ: «أَصبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرنَا بِفَضلِ اللهِ وَرَحمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤمِنٌ بِالكَوكَبِ».

(١٠) في الأصلِ: (القُرآنِ)، والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١١) الأَولَى أن يقولَ: قادرٌ على كلِّ شيءٍ، كما هو ظاهرُ آياتِ القرآنِ في إثباتِ القُدرةِ، كما أنه الأكملُ في حَقِّه -سُبحَانَهُ-، ولله الأسماءُ الحُسنَى والصِّفَاتُ المُثلَى.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ
فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ
وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ سجدة
ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا
مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ
أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ
عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا
﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ
أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

[٥٦] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ [- يا مُحَمَّد-](١) ﴿إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ بالجَنَّةِ ﴿وَنَذِيرٗا﴾: مُخَوِّفًا مِنَ النَّارِ.

[٥٧] ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي(٢): على تَبْلِيغِ مَا أُرسِلتُ به ﴿مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾: طَرِيقًا بِإنفَاقِ مَالِه في مَرضَاتِه -تَعَالَى- فلَا أَمنَعُه مِنْ ذَلِكَ.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ﴾ مُلتَبِسًا ﴿بِحَمۡدِهِۦۚ﴾ أي: قُلْ: «سُبْحَانَ اللهِ، والحَمدُ للهِ». ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾: عَالِمًا! تَعَلَّقَ بِـه(٣) ﴿بِذُنُوبِ﴾.

[٥٩] هُو ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ مِنْ أَيَّامِ الدُّنيا؛ أي: في قَدْرِها؛ لِأَنَّه لَم يَكنْ ثَمَّ شَمْسٌ [ولا قَمرٌ](٤)- ولو شَاءَ لَخَلَقَهُنَّ في لَمحَةٍ. والعُدُولُ عنه لِتَعلِيمِ خَلْقِه التَّثَبُّتَ- ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ - هو في اللُّغَةِ: سَرِيرُ المَلِكِ- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: بَدَلٌ مِنْ ضَميرِ ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: استِوَاءً يَلِيقُ به(٥) ﴿فَسۡـَٔلۡ﴾ - أَيُّها الإِنسَانُ- ﴿بِهِۦ﴾: بِالرَّحمَنِ ﴿خَبِيرٗا﴾ يُخبِرْكَ بِصِفَاتِه.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: لِكُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ - بِالفَوقَانِيَّةِ والتَّحتَانِيَّةِ(٦). والآمِرُ مُحَمَّدٌ- ولا نَعرِفُه؟ لا ﴿وَزَادَهُمۡ﴾ هَذا القَولُ لهم ﴿نُفُورٗا۩﴾ عَنِ الإِيمَانِ.

[٦١] قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ﴾: تَعَاظَمَ(٧) ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ اثنَي عَشَرَ: الحَمَلَ والثَّورَ والجَوزَاءَ والسَّرَطَانَ، والأَسَدَ والسُّنبُلَةَ والمِيزَانَ والعَقْرَبَ، والقَوسَ والجَدْيَ والدَّلوَ والحُوتَ- وهي مَنَازِلُ الكَوَاكِبِ السَّبعَةِ السَّيَّارَةِ: المِرِّيخِ وله الحَمَلُ والعَقْرَبُ، والزُّهَرَةِ ولها الثَّورُ والمِيزَانُ، وعُطَارِدٍ وله الجَوزَاءُ والسُّنبُلَةُ، والقَمَرِ وله السَّرَطَانُ، والشَّمسِ ولها الأَسَدُ، والمُشتَرِي وله القَوسُ والحُوتُ، وزُحَلَ وله الجَدْيُ والدَّلوُ- ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أَيضًا ﴿سِرَٰجٗا﴾ هو الشَّمسُ ﴿وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾- وفي قِرَاءَةٍ: ﴿سُرُجًا﴾(٨) بِالجَمعِ؛ أي: نَيِّرَاتٍ، وخُصَّ القَمَرُ منها بِالذِّكرِ لِنَوعِ فَضِيلَةٍ-.

[٦٢] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ أي: يَخلُفُ كُلٌّ منهما الآخَرَ ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ(٩) -كَما تَقَدَّمَ(١٠)-: مَا فاتَـه في أَحَدِهما مِنْ خَيرٍ فيَفعَلَه في الآخَرِ(١١) ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ أي: شُكْرًا لِنِعمَةِ رَبِّه عَليه فِيهِما.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ - مُبتَدَأٌ، ومَا بَعدَه صِفَاتٌ له إلى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ(١٢)﴾(١٣)، غَيرَ المعتَرَضِ فيه(١٤)- ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي: بِسَكِينَةٍ وتَوَاضُعٍ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ بِما يَكرَهُونَه ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ أي: قَولًا يَسلَمُونَ فيه مِنَ الإِثمِ.

[٦٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا﴾: جَمعُ سَاجِدٍ ﴿وَقِيَٰمٗا﴾ بِمَعنَى: قَائِمِينَ؛ أي: يُصَلُّونَ بِاللَّيلِ.

[٦٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لَازِمًا.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ﴾: بِئْسَتْ ﴿مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ هي: أي: مَوضِعَ استِقرَارٍ وإِقَامَةٍ!

[٦٧] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ﴾ على عِيَالِهم ﴿لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ [يَقتِرُوا]﴾ -بِفَتحِ أَوَّلِه وضَمِّه(١٥)- أي: يُضَيِّقُوا(١٦) ﴿وَكَانَ﴾ إِنفَاقُهم ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ الإِسرَافِ والإِقتَارِ ﴿قَوَامٗا﴾: وَسَطًا.

---

(١) عبارة: (يا محمد) لَيسَتْ في الأَصْلِ، وأثبتناها مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة.
(٢) كلمةُ: (أي) لَيستْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.
(٣) أي: تَعلَّقَ بقوله: ﴿خَبِيرٗا﴾ الجَارُّ والمَجرُورُ في قوله: ﴿بِذُنُوبِ﴾.
(٤) عبارة: (ولا قمرٌ) سَقَطَت مِنَ الأَصلِ، وأثبتناها مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة.
(٥) سبق التعليق على هذا التفويض، وأنّه إذا كان يُراد به تفويضُ الكَيفيةِ فهو حَقٌّ، وأمَّا إن كان يُرادُ به تفويضُ معنَى الاستواءِ، الذي هو الاستقرارُ والعُلوُّ؛ فهو خِلَافُ فَهْمِ السَّلف وَمَذْهَبِهِمْ.
(٦) ﴿يَأۡمُرُنَا﴾؛ بالياءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائيِّ.
(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تعظَّم).
(٨) ﴿سُرُجًا﴾؛ بِضَمِّ السِّينِ والرَّاءِ؛ بالجمع: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائيِّ.
(٩) ﴿يَذۡكُرَ﴾؛ بِسُكُونِ الذَّالِ وضَمِّ وتخفيفِ الكافِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائيِّ.
(١٠) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ﴾؛ الآية (٥٠) من السورة نفسِها.
(١١) رَوى الطَّبَريُّ (١٧/ ٤٨٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَولَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ قال: «مَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَعْمَلَهُ أَدْرَكَهُ بِالنَّهَار، أَوْ مِنَ النَّهَارِ أَدْرَكَهُ بِاللَّيْلِ».
(١٢) سقطت كلمة: (﴿ٱلۡغُرۡفَةَ﴾) من الأَصلِ، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.
(١٣) أي: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ خَبَرُ المُبتَدَإِ- على اختيارِ المُفسِّرِ- ويحتمل أن يكون الخَبَرُ قولَه: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾ ويكونَ قَولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ﴾ جُملةً مُستَأنفةً؛ مُبتدأً وخَبَرٌ.
(١٤) أي: باستثناءِ الجُمَلِ الاعتراضِيَّةِ؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ الآية [الفرقان: ٦٨]، إلى قوله: ﴿مَتَابٗا﴾.
(١٥) ﴿يُقۡتِرُواْ﴾؛ بِضَمِّ أَوَّلِه مع كَسرِ التَّاءِ: قِرَاءَةُ نافع وابن عامر. و﴿يَقۡتِرُواْ﴾؛ بِفَتحِ اليَاءِ مع كَسرِ التَّاءِ: قِرَاءَةُ ابن كثير وأبي عَمرٍو. وبِضَمِّ اليَاءِ؛ ﴿يَقۡتُرُواْ﴾ لبَقِيَّةِ السَّبعَةِ.
(١٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لم يُضَيِّقُوا).

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ
ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ
يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ
فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ
إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ
بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا
لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ
وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي
لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾

سورة الشعراء

ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

[٦٨] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلَها ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي: وَاحِدًا(1) مِنَ الثَّلَاثَةِ ﴿يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ أي: عُقُوبَةً.

[٦٩] ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿يُضَعَّفۡ﴾ بِالتَّشْدِيدِ(2)- ﴿لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ﴾ بِجَزْمِ الفِعْلَيْنِ: بَدَلًا(3)، وبِرَفْعِهِما(4): اسْتِئْنَافًا ﴿مُهَانًا﴾: حَالٌ.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ منهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ المَذْكُورَةَ ﴿حَسَنَٰتٖۗ﴾ في الآخِرَةِ(5) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[*] أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذلِكَ.

[٧١] ﴿وَمَن تَابَ﴾ مِنْ ذُنُوبِه، غَيرَ مَنْ ذُكِرَ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا﴾ أي: يَرجِعُ إليه رُجُوعًا؛ فيُجازِيه خيرًا.

[٧٢] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: الكَذِبَ والبَاطِلَ ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ﴾ مِنَ الكَلَامِ القَبِيحِ وغَيرِه ﴿مَرُّواْ كِرَامٗا﴾: مُعْرِضِينَ عنه.

[٧٣] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾: وُعِظُوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: القُرآنِ ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ﴾: يَسقُطُوا ﴿عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ بَلْ خَرُّوا سَامِعِينَ نَاظِرِينَ مُنتَفِعِينَ.

[٧٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ - بِالجمعِ والإِفرَادِ(6)- ﴿قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ لنا؛ بِأَنْ نَراهُم مُطِيعِينَ لَكَ ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الخَيرِ.

[٧٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾: الدَّرَجَةَ العُليا(7) في الجَنَّةِ ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على طَاعَةِ الله ﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾ - بِالتَّشدِيدِ، والتَّخفِيفِ مَعَ فَتحِ اليَاءِ(8)- ﴿فِيهَا﴾: في الغُرْفَةِ ﴿تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ مِنَ المَلَائِكَةِ. [٧٦] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾: مَوضِعَ إِقَامَةٍ لَهم! و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ومَا بَعدَه خَبَرُ: ﴿عِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ المُبتَدَأِ.

[٧٧] ﴿قُلۡ﴾ - يَا مُحَمَّد- لأَهلِ مَكَّةَ: ﴿مَا﴾: نَافِيَةٌ ﴿يَعۡبَؤُاْ﴾: يَكتَرِثُ ﴿بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ إِيَّاهُ في الشَّدَائِدِ، فيَكشِفُها ﴿فَقَدۡ﴾ أي: فَكَيفَ يَعبأُ بِكُم، وقَدْ ﴿كَذَّبۡتُمۡ﴾ الرَّسُولَ والقُرآنَ؟ ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ﴾ العَذَابُ ﴿لِزَامَۢا﴾[**]: مُلَازِمًا لكُم في الآخِرَةِ، بَعدَ مَا يَحُلُّ بِكُم في الدُّنيا. فقُتِلَ منهم يومَ بَدْرٍ سَبعُونَ(9). وجَوَابُ ﴿لَوۡلَا﴾ دَلَّ عليه مَا قَبلَها(10).

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَاتِ (٦٨-٧٠): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا أَنَّ نَاسًا، مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً. فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ ونَزَلَ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الزمر (٣٩) باب (١).

وأخرج أيضًا عَن عبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ، قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِندَ الله؟ قَالَ: «أَنْ تَدْعُوَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»، فَأَنْزَلَ الله تَصْدِيقَهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦).

[**] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَن عبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ، قَالَ: خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: الدُّخَانُ، وَالقَمَرُ، وَالرُّومُ، وَالبَطْشَةُ، وَاللِّزَامُ؛ ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ ... وقال البُخَارِيُّ: ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾: أي: هَلَكَةً. البُخَارِيُّ - كتاب تفسير القُرآن (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (٥) ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ما ذُكِرَ).

(٢) لابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ.

(٣) أي: مِنَ الفِعلِ: ﴿يَلۡقَ﴾ المجزومِ لِكَونِه وَقَعَ جوابًا لِلشَّرطِ.

(٤) بِالرَّفعِ فيهما؛ لِشُعبَةَ، ولابنِ عامرٍ، وكلٌّ على أصلِه في التَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ؛ أي: ﴿يُضَٰعَفُ﴾ لِشعبة، و﴿يُضَعَّفُ﴾ لابنِ عامرٍ. و﴿يَخۡلُدُ﴾ لهما.

(٥) قال ابنُ كثيرٍ (٦/ ١٢٧): «... وَالقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ المَاضِيَةَ تَنْقَلِبُ بِنَفْسِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ حَسَنَاتٍ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ مَا مَضَى نَدِمَ وَاسْتَرْجَعَ وَاسْتَغْفَرَ، فَيَنْقَلِبُ الذَّنْبُ طَاعَةً بِهَذَا الاعْتِبَارِ. فَيَوْمَ القِيَامَةِ وَإِنْ وَجَدَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ لَكِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ، وَيَنْقَلِبُ حَسَنَةً فِي صَحِيفَتِهِ، كَمَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ، وَصَحَّتْ بِهِ الآثَارُ المَرْوِيَّةُ عَنِ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى».

(٦) أي: ﴿ذُرِّيَّتِنَا﴾، بِالإِفرَادِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وأبي عَمرٍو وشُعبةَ.

(٧) كلمةُ: (العُليا) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٨) ﴿وَيَلۡقَوۡنَ﴾ بِالتَّخفِيفِ مع فَتحِ اليَاءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وشُعبةَ. ومعناها: يَجِدُونَ ويُصَادِفُونَ. وعلى القِراءةِ المُفسَّرةِ؛ ﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾؛ فمعناها: يُعطَونَ.

(٩) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٦٣)، عَنْ عُمرَ بنِ الخطابِ، قال: «فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ».

(١٠) وهو قولُه: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾، وتقديرُ الكلامِ: لَولَا دُعاؤكم ما عَبأَ بكم. تفسيرُ ابنِ باديس في مجالسِ التذكيرِ من كلام الحكيم الخبير (ص٢٤٤).

سُورَةُ الشُّعَراءِ

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ إِلى آخِرِهَا فَمَدَنِيٌّ، وهِي مِائتَانِ وسَبعٌ وعِشرُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٣٧

طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا
يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٩) وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ
كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
(١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ
(١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٩)

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هَذِه الآيَاتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ- والإِضَافَةُ بِمَعنَى: مِنْ- ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المُظهِرِ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ﴾ - يا مُحَمَّد- ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: قَاتِلُها غَمًّا مِنْ أَجْلِ ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟﴾ أي: أَهلُ مَكَّةَ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ - و«لَعَلَّ» هنا لِلإِشفَاقِ[1]؛ أي: أَشفِقْ عَليها بِتَخفِيفِ هَذا الغَمِّ-.

[٤] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ﴾ بِمَعنَى المُضَارِعِ؛ أي: تَظَلُّ[2]؛ أَي: تَدُومُ ﴿أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ فَيُؤمِنُونَ. ولَـمَّا وُصِفَتِ الأَعنَاقُ بِالخُضُوعِ الذي هُو لِأَربَابِها؛ جُمِعَتِ الصِّفَةُ منه جَمعَ العُقَلَاءِ.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾: قُرآنٍ ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾: صِفَةٌ كَاشِفَةٌ[3] ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾: عَوَاقِبُ ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يَنظُرُوا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي: كَثِيرًا ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: نَوعٍ حَسَنٍ؟[4]

[٨] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: دَلَالَةً عَلَى كَمالِ قُدرَتِه -تَعالَى- ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في عِلمِ الله [تعالى][5] - و﴿كَانَ﴾ قالَ سِيبَوِيه: زَائِدَةٌ[6]-.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: ذُو العِزَّةِ، يَنتَقِمُ مِنَ الكَافِرِينَ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: يَرحَمُ المُؤمِنِينَ.

[١٠] ﴿وَ﴾ اذكُرْ - يَا مُحَمَّد- لِقَومِكَ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ لَيلَةَ رَأى النَّارَ والشَّجَرَةَ ﴿أَنِ﴾ أي: بِأَنِ ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ رَسُولًا.

[١١] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه؛ ظَلَمُوا أَنفُسَهم بِالكُفرِ باللهِ، وبَنِي إِسرَائِيلَ بِاستِعبَادِهم ﴿أَلَا﴾ - الهَمزَةُ للاستِفهَامِ الإِنكَارِيِّ- ﴿يَتَّقُونَ﴾ اللهَ بِطَاعَتِه فيُوَحِّدُونَه؟

[١٢] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

[١٣] ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ مِنْ تَكذِيبِهم لي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ بِأَدَاءِ الرِّسَالَةِ، لِلعُقْدَةِ التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ﴾ أَخِي ﴿هَٰرُونَ﴾ مَعِي[7].

[١٤] ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ بِقَتلِ القِبْطِيِّ منهم ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به.

[١٥] ﴿قَالَ﴾ -تَعالَى-: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يَقتُلُونَك ﴿فَٱذْهَبَا﴾ أي: أَنتَ وأَخُوكَ. فَفِيه تَغلِيبُ الحَاضِرِ عَلى الغَائِبِ ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ مَا تَقُولُونَ، وما يُقَالُ لَكُم- أُجرِيَا مَجرَى الجَماعَةِ-.

[١٦] ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ كُلًّا مِنَّا ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إِلَيكَ.

[١٧] ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلى الشَّامِ ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. فأَتَيَاه فَقَالَا له مَا ذُكِرَ.

[١٨] ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ لِمُوسَى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾: في مَنَازِلِنا ﴿وَلِيدًا﴾: صَغِيرًا، قَرِيبًا مِنَ الوِلَادَةِ بَعدَ فِطَامِه؟ ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: ثَلاثِينَ سَنَةً، يَلبَسُ مِنْ مَلابِسِ فِرعَونَ، ويَركَبُ مِنْ مَرَاكِبِه، وكانَ يُسَمَّى ابنَه.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ - هِي قَتْلُه القِبْطِيَّ- ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الجَاحِدِينَ لِنِعمَتِي عَلَيكَ بِالتَّربِيَةِ، وعَدَمِ الاستِعبَادِ؟

---

(١) «لَعَلَّ» إذَا جَاءَتْ فِي تَرَجِّي الشَّيْءِ المَخُوفِ سُمِّيَتْ إِشْفَاقًا وَتَوَقُّعًا. التحرير والتنوير (١٩/ ٩٣).

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (تظلَّل).

(٣) وهذا جَرْيًا عَلى مَذهبِ المُفسِّرِ أَنَّ القُرآنَ مَعنًى قَائمٌ بِذَاتِ الرَّبِّ، وأَنَّ كَلامَ الله عَزَّوَجَلَّ قَدِيمٌ. وسَبَقَ الرَّدُّ عليه وبيانُ مذهبِ السَّلَفِ في كلامِ الله -تَعالَى-، وأنَّه -سُبْحَانَهُ- لم يَزَلْ مُتكلِّمًا بِمَشِيئتِه وإرادتِه، بِما شَاءَ وكيفَ شَاءَ، وكَلامُه بِمَشِيئتِه مِنْ لَوازِمِ ذاتِه المُقدَّسَةِ. قال ابنُ تيميةَ في مجموعِ الفتاوى (١٢/ ٣٧٢): «...وَأَمَّا السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ فَقَالُوا: إنَّ الله يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ قَدِيمَ النَّوْعِ - بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إذَا شَاءَ؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ صِفَةُ كَمَالٍ، وَمَنْ يَتَكَلَّمُ أَكْمَلُ مِمَّنْ لَا يَتَكَلَّمُ، وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَكْمَلُ مِمَّنْ لَا يَكُونُ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَمَنْ لَا يَزَالُ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَكْمَلُ مِمَّنْ يَكُونُ الْكَلَامُ مُمْكِنًا لَهُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ مُمْتَنِعًا مِنْهُ...».

(٤) قال ابن جُزَي في التسهيلِ لعلومِ التنزيلِ (٢/ ٨٨): «أي: مِنْ كُلِّ صِنفٍ مِنَ النَّبَاتِ؛ فيَعمُّ ذلك الأَقواتَ والفَواكهَ والأدويةَ والمَرعَى، ووصفُه بِالكَرمِ لِمَا فيه من الحُسنِ ومِنَ المَنافِعِ».

(٥) كلمةُ: (تعالى) في هذا الموضعِ لَيستْ في الأَصلِ، وأثبتناها مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) لَو عبَّر كَما صنع غيرُه؛ فقال: (وقال سيبويه: ﴿كَانَ﴾: زَائِدَةٌ؛ لكانَ أَظهرَ في الفَهمِ). وعلى هذا التوجيهِ؛ يكونُ المعنَى: وما أَكثرُهم مُؤمنينَ. وأمَّا على التوجيهِ الآخرِ باعتبارِها غيرَ زَائِدَةٍ؛ فيكونُ المعنَى: وما كانَ أكثرُهم مُؤمنينَ في عِلمِ الله.

(٧) قال القرطبيُّ (١٣/ ٩٢): «فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِأَمْرٍ، وَيَخَافُ مِنْ نَفْسِهِ تَقْصِيرًا، أَنْ يَأْخُذَ مَنْ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِي ذَلِكَ لَوْمٌ».

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ
﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ
﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾
وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم
بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي: حِينَئِذٍ ﴿وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عمَّا آتاني اللهُ بعدَها، مِنَ العِلْمِ والرِّسَالَةِ.

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾: عِلمًا ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ - أَصْلُه: تَمُنُّ بها عليَّ- ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: بيانٌ لِـ«تِلْكَ»؛ أي: اتَّخذتَهم عَبِيدًا ولَم تَستعبِدْني! لَا نِعمَةَ لكَ بِذلكَ؛ لِظُلْمِكَ بِاستِعبادِهِم. وَقَدَّرَ بَعْضُهُمْ أَوَّلَ الكَلامِ هَمزَةَ استِفهَامٍ، لِلإنكَارِ[١].

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لِـمُوسَى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي قُلتَ إِنَّكَ رَسُولُه؛ أي: أَيُّ شَيءٍ هُو[٢]؟

ولَمَّا لَمْ يَكُنْ سَبِيلٌ لِلخَلْقِ إِلى مَعرِفَةِ حَقِيقَتِه -تَعَالَى- وإِنَّما يَعرِفُونَه بِصِفَاتِه، أَجَابَه مُوسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِبَعْضِها:

[٢٤] ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أَي: خالِقُ ذَلِكَ ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بِأَنَّه -تَعَالَى- خَالِقُه فآمِنُوا به وَحْدَهُ.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ مِنْ أَشرَافِ قَومِه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ جَوابَه الذي لَمْ يُطَابِقِ السُّؤالَ[٣]؟

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهَذا -وإِنْ كَانَ دَاخِلًا فيما قَبلَه- يَغِيظُ فِرعَونَ؛ ولِذلكَ [٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أَنَّه كَذلِكَ فَآمِنُوا به وَحْدَهُ.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ لمُوسَى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ كان سِجْنُه شَدِيدًا، يَحبِسُ الشَّخصَ في مَكَانٍ تَحتَ الأَرضِ وَحْدَهُ، لا يُبصِرُ ولا يَسمَعُ فيه أَحَدًا[٤].

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ له مُوسَى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أَتَفعَلُ ذلك ولَو ﴿جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بُرْهَانٍ بَيِّنٍ على رِسَالَتِي؟

[٣١] ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ له: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه.

[٣٢] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ.

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: أَخرَجَها مِن جَيبِه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذَاتُ شُعَاعٍ ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خِلَافَ مَا كُنتَ عَليه مِنَ الأُدْمَةِ[٥].

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾: فَائِقٌ في عِلْمِ السِّحْرِ.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟

[٣٦] ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أَخِّرْ أَمْرَهُما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: جَامِعِينَ.

[٣٧] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ يَفضُلُ مُوسَى في عِلْمِ السِّحْرِ.

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ -وهُو وقتُ الضُّحَى مِنْ يومِ الزِّينَةِ[٦]-.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾.

---

(١) أي: «أَوَ تلكَ».

(٢) إِنَّما كان المعنى ما ذُكِرَ؛ لِأَنَّ «ما» في قَولِه: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي للسُّؤالِ عَنِ الحَقيقةِ؛ أي عَن حَقيقةِ المُرسِلِ؟

(٣) إِنَّما استعجبَ فرعونُ لِأَنَّه سَأَلَ عن الحقيقةِ، وأُجِيبَ بِالأفعَالِ، فَفِرعُونُ سَأَلَ عن حَقيقةِ ربِّ العَالمينَ الذي أرسَلَ مُوسَى، ومُوسَى عرَّفَه بِإِظهَارِ خَوَاصِّه وآثَارِه، إِشَارَةً إِلى أَنَّ بَيانَ حَقِيقَتِه مُمتَنِعٌ.

(٤) لَمْ نَجِدْهُ مُسنَدًا. ونقل البغويُّ (٦/ ١١١) عَنِ الكَلبيِّ؛ قَالَ: «كَانَ سِجْنُهُ أَشَدَّ مِنَ القَتْلِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ الرَّجُلَ فَيَطْرَحُهُ فِي مَكَانٍ وَحْدَهُ فَرْدًا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ فِيهِ شَيْئًا، يَهْوِي بِهِ فِي الأَرْضِ».
ونقلَ السمرقنديُّ في بحر العلوم (٢/ ٥٥٣) بِدُونِ إِسنادٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قال: «وكانَ سِجنُه أَشدَّ مِن القَتلِ».

(٥) أي: السُّمْرَة.

(٦) كما جاءَ في سُورةِ طه الآيَة (٥٩).

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم الحزب ٣٧
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

[٤٠] ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾؟ الاستِفهامُ لِلْحَثِّ على الاجتِماعِ، والتَّرَجِّي على تَقديرِ غَلَبَتِهم لِيَستَمِرُّوا على دِينِهم؛ فلا يَتَّبِعُوا مُوسَى.

[٤١] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَهما، على الوَجْهَينِ[1] - ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾؟

[٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: حِينَئِذٍ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بَعْدَ مَا قَالُوا لَهُ: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾[2]: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ فالأَمْرُ فيه[3] لِلإِذْنِ بِتَقدِيمِ إِلقَائِهم؛ تَوسُّلًا به إلى إِظهَارِ الحَقِّ.

[٤٤] ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

[٤٥] ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ [تَلَقَّفُ]﴾ بِحَذفِ إِحدَى التَّاءَينِ مِنَ الأَصلِ[4]: تَبتَلِعُ ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يَقلِبُونَه بِتَموِيهِهم فيُخَيِّلُونَ حِبالَهم وعِصِيَّهم أنَّها حَيَّاتٌ تَسعَى[5].

[٤٦] ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

[٤٧] ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لِعِلْمِهم بِأَنَّ مَا شَاهَدُوه مِنَ العَصَا لَا يَتَأَتَّى بِالسِّحْرِ.

[٤٩] ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ: ﴿[ءَآمَنتُمْ]﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإِبدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا[6] - ﴿لَهُۥ﴾: لِـمُوسَى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أَنَا ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعَلَّمَكُم شَيئًا منه وَغَلَبَكُمْ بِآخَرَ ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يَنالُكُم مِنِّي ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي: يَدَ كُلِّ وَاحِدٍ اليُمنَى ورِجلَه اليُسرَى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٠] ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾: لا ضَرَرَ علينا في ذَلِكَ ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بَعدَ مَوتِنا، بِأَيِّ وَجهٍ كَانَ ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: رَاجِعُونَ في الآخِرَةِ.

[٥١] ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾: نَرجُو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن﴾ أي: بِأَنْ ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في زَمَانِنَا.

[٥٢] ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بَعدَ سِنِينَ أَقَامَها بينَهم، يَدعُوهم بِآيَاتِ اللهِ إِلى الحَقِّ، فلَمْ يَزِيدُوا إِلَّا عُتُوًّا: ﴿أَنْ أَسْرِ [بِعِبَادِىَ][7]﴾: بَنِي إِسرَائِيلَ - وفي قِرَاءَةٍ: بِكَسرِ النُّونِ، وَوَصْلِ هَمزَةِ ﴿اسْرِ﴾[8]؛ مِنْ سَرَى: لُغَةٌ في أَسْرَى - أي: سِرْ بِهم لَيلًا إلى البَحرِ ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يَتبَعُكُم فِرعَونُ وَجُنُودُه، فيَلِجُونَ وراءَكُم البَحْرَ؛ فأُنجِيكُم وأُغرِقُهم.

[٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حِينَ أُخبِرَ بِسَيرِهم ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ - قِيلَ: «كانَ له أَلفُ مَدِينَةٍ واثنا عَشَرَ أَلفَ قَريَةٍ»[9] - ﴿حَٰشِرِينَ﴾: جَامِعِينَ الجَيشَ، قَائِلًا:

[٥٤] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾: طَائِفَةٌ ﴿قَلِيلُونَ﴾ - قِيلَ: «كَانُوا سِتَّمِائَةِ أَلفٍ وسَبعِينَ أَلفًا، ومُقَدَّمَةُ جَيشِهِ سَبعُمِائَةِ أَلفٍ»[10] فَقَلَّلَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلى كَثرَةِ جَيشِه -.

[٥٥] ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾: فَاعِلُونَ مَا يَغِيظُنَا. [٥٦] ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ [حَذِرُونَ][11]﴾: مُستَعِدُّونَ. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿حَٰذِرُونَ﴾ مُتَيَقِّظُونَ.

[٥٧] قالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ أي: فِرعَونَ وقَومَه[12] مِنْ مِصرَ، لِيَلحَقُوا مُوسَى وقَومَه ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾: بَسَاتِينَ كَانَت عَلى جَانِبَيِ النِّيلِ ﴿وَعُيُونٍ﴾: أَنهَارٍ جَارِيَةٍ في الدُّورِ مِنَ النِّيلِ.

[٥٨] ﴿وَكُنُوزٍ﴾: أَموَالٍ ظَاهِرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ - وسُمِّيَتْ كُنُوزًا؛ لِأَنَّه لَمْ يُعْطَ حَقَّ اللهِ -تَعَالَى- منها - ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مَجلِسٍ حَسَنٍ لِلأُمَرَاءِ والوُزَرَاءِ، يَحُفُّه أَتبَاعُهم.

[٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: إِخرَاجُنَا كَمَا وَصَفنَا ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بَعدَ إِغرَاقِ فِرعَونَ وقَومِه.

[٦٠] ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: لَـحِقُوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: وَقتَ شُرُوقِ الشَّمسِ.

---

(١) رَاجِعِ التعليقَ على الآيةِ (١١٣) مِن سُورةِ الأعرافِ.

(٢) الأعراف: ١١٥.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (منه).

(٤) قرأ حفصٌ: ﴿تَلْقَفُ﴾؛ بتَخفِيفِ القَافِ وسُكونِ اللامِ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَلَقَّفُ﴾؛ بِتَشدِيدِ القَافِ وفَتحِ اللامِ.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (فيُخَيِّلون أنَّ حِبالَهم وعِصِيَّهم حيَّاتٌ تَسعَى).

(٦) قرأ حفصٌ: ﴿ءَامَنتُمْ﴾؛ بالإخبارِ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالاستِفهَامِ، وحقَّقَ الهَمزَةَ الثَّانيةَ شُعبةُ وحمزةُ والكسائيُّ وسهَّلَها البَاقونَ. وقد ذَكَرَ المُصنِّفُ إبدَالَ الثانيةِ أَلِفًا والإبدالَ إنَّما هو لِلثَّالِثَةِ.

(٧) ﴿بِعِبَادِىَ﴾؛ بِفَتحِ يَاءِ الإِضَافَةِ: قِرَاءَةُ نافعٍ، وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿بِعِبَادِىٓ﴾؛ بإسكانِ يَاءِ الإِضَافَةِ.

(٨) أي: ﴿أَنِ اسْرِ﴾؛ وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ.

(٩) لَمْ نَجِدْهُ مُسنَدًا. وقال البغويُّ (٦/ ١١٤): «وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ: أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَلْفُ مَدِينَةٍ وَاثْنَا عَشْرَةَ أَلْفَ قَرْيَةٍ». وهو رقمٌ كبيرٌ جدًّا، وغير مُتَصَوَّرٍ في تلك العُصورِ، بل لا تَبلُغُ مُدُنُ مِصرَ حاليًا ذلك.

(١٠) أخرجَه ابنُ جَرِيرٍ (١٧/ ٥٧٤)، وغيرُه، عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ: أَنَّ «الشِّرْذِمَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ فِرْعَوْنُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: وَكَانَ مُقَدِّمَةُ فِرْعَوْنَ سَبْعَمِائَةِ أَلْفٍ».

(١١) ﴿حَذِرُونَ﴾؛ بِحَذفِ الأَلِفِ قَبلَ الذَّالِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وهشامٍ. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿حَٰذِرُونَ﴾؛ بإثباتِ الأَلِفِ قَبلَ الذَّالِ.

(١٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وجُنودَه).

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ
ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ
﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾
وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ
يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟
بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ
إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ
يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى
يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى
يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾: رَأى كُلٌّ منهما الآخَرَ ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾: يُدرِكُنا جَمْعُ فِرعَونَ، ولا طَاقَةَ لَنا به.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لَنْ يُدْرِكُونا ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ بنَصْرِه[١] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طَرِيقَ النَّجاةِ. [٦٣] قالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فَضَرَبَه ﴿فَٱنفَلَقَ﴾: فَانشَقَّ[٢] اثنَي عَشرَ فِرْقًا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الجَبَلِ الضَّخمِ، بينهما مَسالِكُ سَلَكُوها، لَم يَبتَلَّ منها سَرْجُ[٣] الرَّاكِبِ ولَا لِبْدُه[٤].

[٦٤] ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: قَرَّبنا ﴿ثَمَّ﴾: هُنَاكَ ﴿ٱلْءَاخَرِينَ﴾: فِرعَونَ وقَومَه، حتَّى سَلَكُوا مَسالِكَهم.

[٦٥] ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ بإخرَاجِهم مِنَ البَحْرِ، عَلى هَيئَتِه المَذكُورَةِ.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾: فِرعَونَ وقَومَه؛ بِإطبَاقِ البَحْرِ عَليهم، لَمَّا تَمَّ دُخُولُهم في البَحْرِ[٥]، وخُرُوجُ بَنِي إِسرَائِيلَ منه.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: إِغرَاقِ فِرعَونَ وقَومِه ﴿لَءَايَةً﴾: عِبرَةً لِـمَنْ بَعدَهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بِالله[٦] - لَمْ يُؤمِنْ منهم غَيرُ «آسِيَةَ» امرَأَةِ فِرعَونَ، و«حِزقِيلَ» مُؤمِنِ آلِ فِرعَونَ، و«مَريَمَ بِنتِ نَامُوسَى» التي دَلَّتْ على عِظَامِ يُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ[٧]-.

[٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فانتَقَمَ مِنَ الكَافِرِينَ بِإِغرَاقِهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِالمُؤمِنِينَ؛ فَأَنجَاهُمْ مِنَ الغَرَقِ.

[٦٩] ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿نَبَأَ﴾: خَبَرَ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ويُبدَلُ منه:

[٧٠] ﴿إِذْ قَالَ﴾ إِبرَاهِيمُ: ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾؟

[٧١] ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صَرَّحُوا بِالفِعْلِ لِيَعطِفُوا عليه: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ أي: نُقِيمُ نَهَارًا عَلى عِبَادَتِها. زَادُوه فِي الجَوَابِ افتِخَارًا به.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ﴾: حِينَ ﴿تَدْعُونَ﴾؟

[٧٣] ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إِنْ عَبدتُمُوهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ كُمْ إِنْ لَمْ تَعبُدُوهم؟

[٧٤] ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مِثْلَ فِعْلِنا.

[٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

[٧٦] ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ لا أَعبُدُهم ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فَإِنِّي أَعبُدُه.

[٧٨] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إِلى الدِّينِ. [٧٩] ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾. [٨٠] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

[٨١] ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾. [٨٢] ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ أَرجُو ﴿أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: الجَزَاءِ.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾: عِلْمًا ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: النَّبِيِّينَ[٨].

---

(١) هذا مِنْ لَوازِمِ مَعيَّتِه -سُبْحَانَهُ- الخَاصَّةِ بِعبادِهِ المُؤمِنينَ. ومَعيَّتُه -سُبْحَانَهُ- مع خَلقِه نَوعَانِ: عَامَّةٌ وخَاصَّةٌ، وقدِ اشتملَ القُرآنُ على النَّوعَينِ. وحَقِيقَتُها: الصُّحبةُ اللائِقَةُ. وقد أَخبرَ سبحانَه أَنَّه مع خَلْقِه، مع كونِه مُستويًا على عَرشِه، وكِلاهما حَقٌّ. ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآيتين: (١٥٣)، (٢٤٩) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (انشَقَّ)؛ بِدُونِ الفاءِ.

(٣) السَّرْج: ما يُوضَعُ على ظَهرِ الفَرَس.

(٤) اللِّبد: ما يكونُ تحتَ السَّرْج.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (دُخُولُهم البَحرَ).

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بالله تعالى).

(٧) المقصودُ البدنُ كلُّه، وهذا مِنْ بَابِ إطلاقِ الجُزءِ وإرادةُ الكُلِّ؛ فـ «إنَّ الله حَرَّمَ على الأَرضِ أَنْ تَأكُلَ أَجسَادَ الأَنبيَاءِ» يُنظرُ: مَوسُوعةُ الألبانيِّ في العقيدة (٨/ ١٥٢).
والمُفسِّرُ يُشيرُ إلى ما أخرجه ابنُ حِبَّان في صَحِيحِه (٧٢٣)، والحاكمُ في مُستَدرَكِه (٣٥٢٣) وصحَّحَه، عن أبي مُوسَى الأشعَرِيِّ مَرفُوعًا: «إنَّ مُوسَى حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ضَلَّ عَنْهُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرَهُ المَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى تُنْقَلَ عِظَامُهُ مَعَنَا. فَقَالَ مُوسَى: أَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ؟ فَقَالَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَكَانَ قَبْرِهِ إِلَّا عَجُوزٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُوسَى. فَقَالَ: دُلِّينَا عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ. قَالَتْ: لَا وَاللهِ، حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. فَقَالَ لَهَا: مَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الجَنَّةِ. فَكَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَعْطِهَا حُكْمَهَا. فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا. فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مُسْتَنْقِعَةٍ مَاءً، فَقَالَتْ لَهُمْ: أَنْضِبُوا هَذَا المَاءَ. فَلَمَّا أَنْضَبُوا، قَالَتْ لَهُمْ: احْفِرُوا. فَحَفَرُوا، فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ...» الحديث. وأخرجه أيضًا أبو يعلى (٧٢٥٤)، وقال الهيثميُّ في مَجمَعِ الزوائدِ (١٠/ ١٧١): «رِجالُ أبي يَعلى رِجالُ الصَّحِيحِ». وصَحَّحَه الألبانيُّ في الصحيحة (٣١٣).

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: النَّبيِّين).

وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ
أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
الحزب ٢٨ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

[٨٤] ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾: ثَنَاءً حَسَنًا ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ الذينَ يأتُونَ بَعدِي إلى يومِ القِيَامَةِ.

[٨٥] ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: ممَّنْ يُعطَاهَا.

[٨٦] ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ بِأَنْ تَتُوبَ عليه؛ فَتَغفِرَ له. وهذا قَبلَ أَنْ يَتَبيَّنَ له أنَّه عَدُوٌّ لله، كَما ذُكِرَ في سُورَةِ «براءة»(١).

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾[*]: تَفضَحْني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: النَّاسُ. قالَ تَعَالَى فيه:

[٨٨] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أحَدًا.

[٨٩] ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِنَ الشِّرْكِ والنِّفَاقِ- وهو: قَلبُ المُؤمِنِ- فإنَّه يَنفَعُه ذلكَ.

[٩٠] ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾: قُرِّبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ فيَرونَها.

[٩١] ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾: أُظهِرَتْ ﴿لِلْغَاوِينَ﴾: الكَافِرِينَ.

[٩٢] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾؟

[٩٣] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه مِنَ الأَصنامِ؟ ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بِدَفعِ العَذَابِ عَنكُم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ بِدَفعِه عَنْ أنفُسِهم؟ لا.

[٩٤] ﴿فَكُبْكِبُواْ﴾: أُلقُوا ﴿فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾.

[٩٥] ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: أَتبَاعُهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ الجِنِّ والإِنسِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

[٩٦] ﴿قَالُواْ﴾ أي: الغَاوُونَ ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مَعَ مَعبُودِيهم:

[٩٧] ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُها مَحذُوفٌ؛ أي: إنَّه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ. [٩٨] ﴿إِذْ﴾: حَيثُ ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في العِبَادَةِ.

[٩٩] ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عَنِ الهُدَى ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: الشَّيَاطِينُ، أو أَوَّلُونَا الذينَ اقتَدَينَا بِهِم.

[١٠٠] ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ كَما لِلمُؤمِنِينَ، مِنَ المَلَائِكَةِ والنَّبِيِّينَ والمُؤمِنِينَ.

[١٠١] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: يُهِمُّه أَمْرُنَا.

[١٠٢] ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رَجْعَةً إلى الدُّنيَا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ «لَو» هُنَا: لِلتَّمَنِّي، و«نَكُونَ»: جَوَابُه.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ مِنْ قِصَّةِ إبرَاهِيمَ وقَومِه ﴿لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بِتكذِيبِهِم لَه؛ لِاشتِرَاكِهم في المَجِيءِ بِالتَّوحِيدِ؛ أو لِأنَّه لِطُولِ لُبثِه فيهم كَأنَّه رُسُلٌ- وتَأنِيثُ ﴿قَوْمُ﴾ باعتِبَارِ مَعنَاه، وتَذكِيرُه باعتِبَارِ لَفظِه-.

[١٠٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نَسَبًا ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله؟

[١٠٧] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عَلى تَبلِيغِ ما أُرسِلْتُ به.

[١٠٨] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمُرُكُم به، مِنْ تَوحِيدِ الله وطَاعَتِه.

[١٠٩] ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: عَلى تَبلِيغِه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: مَا ﴿أَجْرِيَ﴾ أي: ثَوَابِيَ ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: كَرَّرَه تَأكِيدًا.

[١١١] ﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ﴾: نُصَدِّقُ ﴿لَكَ﴾: لِقَولِكَ ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ(٢): ﴿وَأَتْبَاعُكَ﴾ جَمْعُ «تَابِعٍ» مُبتَدَأٌ- ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: السَّفَلَةُ؛ كَالحَاكَةِ والأَسَاكِفَةِ(٣)؟

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ». البُخَارِيُّ - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٨). وأخرجه مختصرًا في كتاب التفسير (٦٥) سورة «الشعراء» (٢٦) باب (١) ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾. و«الذِّيخ»: ذَكَرُ الضِّبَاعِ. وقيلَ: لا يُقَالُ له: «ذِيخ» إِلَّا إذا كانَ كثيرَ الشَّعرِ. «مُلتطخ»: أي في رَجِيعِه؛ فيتمرَّغ في نَتْنِه. وذَكَرَ الحَافظُ أَنَّ الحكمةَ مِنْ مَسخِ آزرَ تنفيرُ نفسِ إبراهيمَ منه؛ لِئلَّا يَبقَى في النَّارِ على صُورتِه فيكونَ فيه غَضَاضَةٌ على إبراهيمَ. الفتح (٨/ ٣٥٩).

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

(٢) وهي عشريَّةٌ ليعقوبَ، لا سبعيَّة.

(٣) جمعُ إسكافي، وهو الذي يُصلِحُ الأحذيةَ.

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾: أيُّ عِلْمٍ لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟

[١١٣] ﴿إِنْ﴾: ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ فيُجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: تعلمُون ذلكَ ما عَيَّرْتُموهم](1)[.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذارِ.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾ عمَّا تقولُ لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارةِ أو بالشَّتمِ.

[١١٧] ﴿قَالَ﴾ نوحٌ: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

[١١٨] ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي: احكُم ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٩] قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملوءِ مِنَ النَّاسِ والحيَوانِ والطَّيرِ.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: بعدَ إنجائِهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ مِن قومِه.

[١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٢٧] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٢٨] ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: مكانٍ مرتفِعٍ ﴿آيَةً﴾: بناءً عَلَمًا للمارَّةِ ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بِمَن يمُرُّ بكُم، وتسخرُونَ منهم؟ - والجملةُ حالٌ مِن ضميرِ: ﴿تَبْنُونَ﴾ -.

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماءِ، تحتَ الأرضِ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: كأنَّكم ﴿تَخْلُدُونَ﴾ فيها لا تموتُون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بضربٍ أو قتلٍ ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ مِن غيرِ رأفةٍ؟

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلكَ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمرتُكم به.

[١٣٢] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾: أنعمَ عليكُم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَجَنَّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾: أنهارٍ.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ، إن عصَيتُموني.

[١٣٦] ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾: مستوٍ عندَنا ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أصلًا؛ أي: لا نرعَوي لوَعظِكَ.

---

(١) في الأصلِ: (عبدتموهم)، والمثبَتُ مِن نُسخةِ قباوة.

[١٣٧] ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي خوَّفتنا به ﴿إِلَّا [خَلْقُ][1] ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: اختِلاقُهم وكَذِبُهم- وفي قِرَاءَةٍ: بِضَمِّ الخَاءِ واللامِ؛ أي: ما هَذا الذي نَحنُ عليه، مِنْ أنْ لا بَعْثَ[2] إلَّا خُلُقُ الأوَّلِينَ؛ أي: طَبِيعَتُهم وعَادَتُهم-.

[١٣٨] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

[١٣٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بِالعَذَابِ ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ في الدُّنيا بِالرِّيحِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٤٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٤١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟

[١٤٣] ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٤٤] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٤٥] ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ﴾ مِنَ الخَيرَاتِ ﴿ءَامِنِينَ﴾.

[١٤٧] ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾.

[١٤٨] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: لَطِيفٌ لَيِّنٌ.

[١٤٩] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا [فَرِهِينَ][3]﴾: بَطِرِينَ؟ وفي قِرَاءَةٍ: ﴿فَٰرِهِينَ﴾: حَاذِقِينَ.

[١٥٠] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فِيمَا أَمَرْتُكم به.

[١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

[١٥٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِالمعَاصِي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بِطَاعَةِ الله.

[١٥٣] ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ الذِينَ سُحِّرُوا كَثِيرًا، حتَّى غُلِبَ على عَقلِهم.

[١٥٤] ﴿مَآ أَنتَ﴾ أيضًا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في رِسَالَتِكَ.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ﴾: نَصِيبٌ مِنَ المَاءِ ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ بِعِظَمِ العَذَابِ.

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عَقَرَهَا بَعْضُهُمْ بِرِضَاهُمْ ﴿فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ﴾ عَلَى عَقْرِهَا.

[١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ المَوعُودُ به، فهَلَكُوا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ
قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

---

(١) هذه قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن كثير، وقرأ بقيةُ السَّبعةِ: ﴿خُلُقُ﴾ بِضمِّ الخاءِ واللامِ.

(٢) في نُسخة قباوة: (نُبعث).

(٣) لنافعٍ وابن كثيرٍ وأبي عمرٍو، وقرأ بقيةُ السَّبعة: ﴿فَٰرِهِينَ﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
ربع الحزب ٣٨ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

[١٦٠] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٦١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟

[١٦٢] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٦٣] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٦٤] ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: مَا ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٦٥] ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: مِنَ النَّاسِ[(١)]؟

[١٦٦] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ أي: أقبالَهنَّ[(٢)]؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: مُتَجاوِزُونَ الحَلَالَ إلى الحَرَامِ.

[١٦٧] ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عَنْ إِنكَارِكَ علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ مِنْ بَلدَتِنَا.

[١٦٨] ﴿قَالَ﴾ لُوطٌ: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: المُبغِضِينَ.

[١٦٩] ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: مِنْ عَذابِه.

[١٧٠] ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٧١] ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: امرَأَته ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: البَاقِينَ، أهلَكنَاهَا.

[١٧٢] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾: أهلَكنَاهُم.

[١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: حِجَارَةً، مِنْ جُملَةِ الإِهلَاكِ[(٣)] ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مَطَرُهُم!

[١٧٤] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٧٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٧٦] ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: بِحذفِ الهَمزَةِ، وإِلقَاءِ حَرَكَتِها عَلى اللَّامِ، وَفتحِ الهَاءِ[(٤)]- هي غَيضَةُ شَجَرٍ[(٥)] قُربَ مَدْيَنَ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٧٧] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ - لَمْ يَقُلْ: «أخوهُم»؛ لِأَنَّه لَمْ يَكُنْ منهم[(٦)]-: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟

[١٧٨] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٧٩] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[١٨٠] ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: مَا ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٨١] ﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾: أَتِمُّوه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾: النَّاقِصِينَ.

[١٨٢] ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: المِيزَانِ السَّوِيِّ.

[١٨٣] ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: لَا تَنقُصُوهم مِنْ حَقِّهِم شَيئًا ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقَتلِ وغَيرِه- مِنْ: «عَثِيَ» بِكَسرِ المُثَلَّثَةِ: أَفسَدَ. و﴿مُفْسِدِينَ﴾: حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ لِمعنَى عَامِلِها [﴿تَعْثَوْا۟﴾][(٧)]-.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (النَّاس)، دون: (من).

(٢) أقبالهنَّ؛ الأقبالُ: جَمعُ قِلَّةٍ مِنَ القُبُلِ، وهو الفَرْج.

(٣) أي: لم يُهلِكْهم بإمطَارِ الحِجَارةِ فقط، بل جَعلَ عَالِيَ قُرَاها سَافِلَها.

(٤) لنافع وابن كثير وابن عامر. وقوله: وفَتحِ الهاءِ، يَعني به فَتحَ تَاءِ التأنيثِ، في حالة الوَصل؛ أي: «لَيكَةَ»؛ فهي على هذه القراءةِ ممنوعةٌ من الصَّرفِ؛ لِلعَلَمِيَّةِ والتَّأنيثِ.

(٥) أي: مكان فيه شَجَرٌ مُتَجَمِّعٌ ومُلْتَفٌّ بعضُه على بعضٍ. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (شجرة).

(٦) وقيلَ: إنَّ أصحَابَ الأيكةِ هُم أهلُ مَدْيَنَ، ولكنَّه قال -أخوهم- لَمَّا ذَكَرَهم باسمِ قَبيلتِهم، لأنَّه يُشارِكُهم في نَسَبِ القَبِيلَةِ، ولم يَقُلْ أخُوهم حِينَ نَسبَهم إلى الأيكةِ، التي هَلَكُوا بها؛ تنزيهًا لِشُعيبٍ عن النِّسبَةِ إليها، كذَا قالَ ابنُ جُزَيٍّ في تَفسِيرِه (٢/ ٩٥).

(٧) كلمة: (﴿تَعْثَوْا۟﴾) ليست في الأَصْلِ، وأثبتناها مِن نُسخَةِ قَبَاوة.

وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ
ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ
عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً
أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ
﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

[١٨٤] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ﴾: الخَلِيقَةَ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

[١٨٥] ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

[١٨٦] ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُها مَحْذُوفٌ؛ أي: إِنَّه ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

[١٨٧] ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا [كِسْفًا]﴾ -بِسُكُونِ السِّينِ وفَتْحِها[1]-: قِطعَةً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في رِسَالَتِكَ.

[١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فَيُجَازِيكُم به.

[١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ هي سَحَابَةٌ، أَظَلَّتهُم بَعدَ حَرٍّ شَدِيدٍ أَصَابَهم؛ فأَمطَرَتْ عَليهِم نَارًا؛ فاحتَرَقُوا[2] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[١٩٢] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: جِبرِيلُ.

[١٩٤] ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ -وفي قِرَاءَةٍ[3]: بِتَشْدِيدِ ﴿نَزَّلَ﴾ ونَصْبِ ﴿ٱلرُّوحَ﴾ والفَاعِلُ: اللهُ-.

[١٩٦] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: ذِكْرَ القُرآنِ المُنَزَّلِ على مُحَمَّدٍ ﴿لَفِى زُبُرِ﴾: كُتُبِ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كَالتَّورَاةِ والإِنجِيلِ.

[١٩٧] ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾: لِكُفَّارِ مَكَّةَ ﴿ءَايَةً﴾ على ذَلِكَ ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كَعَبدِ اللهِ ابنِ سَلامٍ، وأصحَابِه، مِمَّنْ آمَنُوا؟ فإنَّهم يُخبِرُونَ بِذلكَ -و﴿يَكُن﴾ بِالتَّحتَانِيَّةِ ونَصْبِ ﴿ءَايَةً﴾، وبِالفوقَانِيَّةِ ورَفعِ ﴿ءَايَةٌ﴾[4]-.

[١٩٨] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾: جَمعُ أعجَم.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ أَنَفَةً مِنِ اتِّبَاعِه.

[٢٠٠] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ إدخَالِنَا التَّكذِيبَ به بِقِرَاءةِ الأعجَمِي ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾: أَدخَلنَا التَّكذِيبَ به ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ، بِقِرَاءةِ النَّبِيِّ.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [المُلجِئَ لَهم -قِيلَ: هُو المَوتُ-][5].

[٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾: [مُمهَلُون][6] لِنُؤمِنَ؟ فيُقَالُ لَهم: «لا». قَالُوا: مَتَى هَذَا العَذَابُ؟

[٢٠٤] قال تَعَالَى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾؟

[٢٠٥] ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: أَخبِرْنِي ﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾.

[٢٠٦] ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ مِنَ العَذَابِ.

---

(١) بِالسُّكونِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حفصٍ. وقَرَأَ حفصٌ: ﴿كِسَفًا﴾؛ بِفَتحِ السِّينِ.

(٢) روى الحاكمُ في المُستدرَكِ (٤٠٧٤)، وابنُ أبي حَاتمٍ (١٥٩٢٧) عن بَرِيرٍ البَاهِلِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ، عَنْ هَلَاكِ قَوْمِ شُعَيْبٍ وَقَوْلِ الله عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ: «بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ حَرًّا شَدِيدًا، فَأَخَذَ بِأَنْفَاسِهِمْ، فَدَخَلُوا أَجْوَافَ الْبُيُوتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَجْوَافَ الْبُيُوتِ، فَأَخَذَ بِأَنْفَاسِهِمْ، فَخَرَجُوا مِنَ الْبُيُوتِ هِرَابًا إِلَى الْبَرِيَّةِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَةً فَأَظَلَّتْهُمْ مِنَ الشَّمْسِ، فَوَجَدُوا لَهَا بَرْدًا وَلَذَّةً، فَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا تَحْتَهَا أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ نَارًا. قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ: «فَذَاكَ ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾». وروى نحوَه ابنُ جرير (١٧/ ٦٣٧) عَنْ قَتَادَةَ، مُرسلًا.

(٣) لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وشُعبةَ وابنِ عامرٍ، وكان على الشيخِ أن يَذكرَ نَصبَ «الأمينَ» أيضًا على هذه القِراءةِ، ورَفْعَها على قِراءَةِ التَّخفِيفِ.

(٤) بِالتَّاءِ مع رَفعِ ﴿ءَايَةٌ﴾: لابنِ عامرٍ.

(٥) جُملةُ: (المُلجِئَ لهم. قيلَ: هو الموت) لَيستْ في الأَصلِ، وأَثبتنَاها مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) كلمةُ: (مُمهلون) لَيستْ في الأَصلِ، وأثبتنَاها مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ
ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

ترتيبها ٢٧ — سُورَةُ النَّمۡلِ — آياتها ٩٣

[٢٠٧] ﴿مَا﴾: استِفهامِيَّةٌ بِمَعنَى: أَيَّ شَيءٍ ﴿أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ في دَفعِ العَذابِ أو تَخفِيفِه؟ أي: لَمْ يُغنِ.

[٢٠٨] ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾: رُسُلٌ تُنذِرُ أهلَها.

[٢٠٩] ﴿ذِكۡرَىٰ﴾: عِظَةٌ لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في إهلاكِهِم بَعدَ إنذارِهِم.

[٢١٠] وَنَزَلَ رَدًّا لِقَولِ المُشرِكِينَ[١]: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ﴾: بِالقُرآنِ ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنۢبَغِي﴾: يَصلُحُ ﴿لَهُمۡ﴾ أنْ يَنزِلُوا به ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ﴾ لِكَلَامِ المَلَائِكَةِ ﴿لَمَعۡزُولُونَ﴾: [محجُوبُونَ][٢] بِالشُّهُبِ.

[٢١٣] ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ إنْ فَعَلتَ ذلك الذي دَعوكَ إليه.

[٢١٤] ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ - وهُم بَنُو هَاشِمٍ وبَنُو المُطَّلِبِ، وقَدْ أَنذَرَهُم جِهَارًا. رواه البُخَارِيُّ ومُسلمٌ[٣] -.

[٢١٥] ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾: أَلِنْ جَانِبَكَ ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: المُوَحِّدِينَ.

[٢١٦] ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ أي: عَشِيرَتُكَ ﴿فَقُلۡ﴾ لَهم: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ مِنْ عِبادَةِ غيرِ الله.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ -بِالوَاوِ والفَاءِ[٤]- ﴿عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اللهِ؛ أي[٥]: فَوِّضْ إليهِ جَمِيعَ أُمُورِكَ[٦].

[٢١٨] ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصَّلَاةِ.

[٢١٩] ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركَانِ الصَّلَاةِ، قَائِمًا وقَاعِدًا ورَاكِعًا وسَاجِدًا ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: المُصَلِّينَ.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

[٢٢١] ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾ - أي: كُفَّارَ مَكَّةَ - ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾؟ بِحَذفِ إحدَى التَّاءَينِ مِنَ الأَصلِ؟

[٢٢٢] ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كَذَّابٍ ﴿أَثِيمٖ﴾: فَاجِرٍ، مِثْلِ: «مُسَيلِمَةَ» وغَيرِه مِنَ الكَهَنَةِ.

[٢٢٣] ﴿يُلۡقُونَ﴾ أي: الشَّياطِينُ ﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ أي: ما سَمِعُوه مِنَ الملائِكَةِ إلى الكَهَنَةِ ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ يَضُمُّون إلى المَسمُوعِ كَذِبًا كَثِيرًا. وكانَ هذا قبلَ أنْ حُجِبَتِ الشَّياطِينُ عَنِ السَّماءِ.

[٢٢٤] ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ في شِعرِهِم، فيَقُولُونَ به ويَروُونَه عنهم؛ فهُم مَذمُومُونَ.

[٢٢٥] ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: تَعلَمْ ﴿أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ﴾ مِنْ أَودِيَةِ الكَلَامِ وفُنُونِه ﴿يَهِيمُونَ﴾: يَمضُونَ؛ فيُجَاوِزُونَ الحَدَّ مَدْحًا وهِجَاءً[٧].

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ﴾: فَعَلْنَا ﴿مَا لَا يَفۡعَلُونَ﴾ أي: يَكذِبُونَ؟

[٢٢٧] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنَ الشُّعَرَاءِ ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[*] أي: لَمْ يَشغَلْهم الشِّعرُ عَنِ الذِّكرِ ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ بِهَجوِهِمُ الكُفَّارَ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ بِهَجوِ الكُفَّارِ لهم في جُملَةِ المُؤمِنِينَ؛ فَلَيسُوا مَذمُومِينَ. قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾[٨]، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[٩] ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ مِنَ الشُّعَرَاءِ وغَيرِهم ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ﴾: مَرجِعٍ ﴿يَنقَلِبُونَ﴾: يَرجِعُونَ بَعدَ المَوتِ!

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ أبو دَاودَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قال: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ فَنَسَخَ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتَثْنَى فَقَالَ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾. أبو داودَ - كتاب الأدب (٣٥) باب (٩٥) ما جاء في الشعر. وحسَّنَ الألبانيُّ إسنادَه في صَحِيحِ سُنَنِ أبي دَاودَ (٤١٩٥).

---

(١) رَوَى ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٦٠٠٩) عَنْ عَبدِ الرَّحمنِ بن زَيدِ بنِ أَسلَمَ، قال: «زَعَمُوا أنَّ الشَّياطِينَ تَنَزَّلَتْ بِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَخبَرَهُمُ الله عَزَّوَجَلَّ: أَنَّهُ لَا تَقدِرُ عَلَى ذَلِكَ، ولا تَستَطِيعُهُ، وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ أن يَنزِلُوا بِهِ، وَهُوَ مَحجُورٌ عَلَيهِمْ، وَقَرَأَ قَولَ الله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾».

(٢) كلمةُ: (مَحجُوبُونَ) لَيسَتْ في الأَصلِ، وأثبتناها مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٣) أخرَجَ البُخَارِيُّ (٤٧٧٠)، ومسلمٌ (٢٠٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» -لِبُطُونِ قُرَيشٍ- حَتَّى اجتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَستَطِعْ أَنْ يَخرُجَ أَرسَلَ رَسُولًا لِيَنظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيتَكُمْ لَو أَخبَرتُكُمْ أَنَّ خَيلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيكُمْ، أَكُنتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبنَا عَلَيكَ إِلَّا صِدقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَومِ، أَلِهَذَا جَمَعتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾.

(٤) ﴿فَتَوَكَّلۡ﴾، بِالفَاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٥) عبارةُ: (الله، أي) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أمرِكَ).

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (هَجوًا). (٨) النِّساء: ١٤٨. (٩) البقرة: ١٩٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٣٨

طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ
وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ (٥) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن
لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَآءَهَا
نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ (٨) يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ
إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ
سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ
(١٢) فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣)

سُورَةُ النَّمل

مَكِّيَّةٌ، وهي: ثَلاثٌ، أو: أربعٌ، أو: خمسٌ وتسعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طسٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هَذِهِ الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾: آياتٌ مِنه ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: مُظْهِرٍ لِلحَقِّ مِنَ البَاطِلِ - عَطفٌ بِزِيَادَةِ صِفَةٍ(١) -.

[٢] هو ﴿هُدًى﴾ أي: هَادٍ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: المُصَدِّقِينَ به بِالجَنَّةِ.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يَأْتُونَ بها عَلَى وَجْهِهَا ﴿وَيُؤْتُونَ﴾: يُعطُونَ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: يَعلَمُونَها بِالاستِدلَالِ(٢). وأُعِيدَ: ﴿هُمْ﴾، لَمَّا فُصِلَ بينَه وبَينَ الخَبَرِ.

[٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ القَبِيحَةَ، بِتَركِيبِ الشَّهوَةِ، حتَّى رَأَوْهَا حَسَنَةً ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: يَتَحَيَّرُونَ فيها، لِقُبحِها عِندَنَا.

[٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: أَشَدُّه في الدُّنيَا؛ القَتْلُ والأَسْرُ ﴿وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ لِمَصِيرِهم إلى النَّارِ المُؤَبَّدَةِ عليهم.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ﴾ - خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ - ﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾: يُلقَى عَلَيكَ بِشِدَّةٍ ﴿مِن لَّدُنْ﴾: مِنْ عِندِ ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلكَ.

[٧] اذْكُرْ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾: زَوجَتِه، عِندَ مَسِيرِه مِنْ مَدْيَنَ إلى مِصرَ: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾: أَبصَرتُ مِنْ بَعِيدٍ ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عَنْ حَالِ الطَّرِيقِ - وكانَ قَدْ ضَلَّها - ﴿أَوْ ءَاتِيكُم [بِشِهَابِ] قَبَسٍ﴾ بِالإِضَافَةِ لِلبَيَانِ، وتَرْكِها(٣)؛ أي: شُعْلَةِ نَارٍ في رَأسِ فَتِيلَةٍ أو عُودٍ ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: [تَستَدْفِئُونَ مِنَ البَرْدِ](٤) - والطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الافتِعَالِ، مِنْ: صَلِيَ بِالنَّارِ؛ بِكَسرِ اللَّامِ وفَتحِها -.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ﴾ أي: بِأَنْ ﴿بُورِكَ﴾ أي: بَارَكَ اللهُ ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ أي: مُوسَى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: المَلائِكَةُ، أَوِ العَكسُ - و«بَارَكَ» يَتَعَدَّى بِنَفسِه وبِالحَرفِ. ويُقَدَّرُ بَعدَ: «فِي»: «مَكَانِ»(٥) - ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مِنْ جُملَةِ مَا نُودِيَ(٦)؛ ومَعنَاهُ: تَنزِيهُ اللهِ مِنَ السُّوءِ!

[٩] ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ أي: الشَّأنَ ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

[١٠] ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَۚ﴾ فأَلقَاهَا ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تَتَحرَّكُ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حَيَّةٌ خَفِيفَةٌ ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ﴾: يَرجِعْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ منها ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ﴾: عِندِي ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ مِنْ حَيَّةٍ وغَيرِها(٧).

[١١] ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نَفسَه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا﴾: أَتَاهُ ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي: تَابَ ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أَقبَلُ التَّوبَةَ، وأَغفِرُ له.

[١٢] ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾: طَوْقِ قَمِيصِكَ ﴿تَخْرُجْ﴾ خِلَافَ لَونِها، مِنَ الأُدْمَةِ(٨) ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: بَرَصٍ، لَها شُعَاعٌ [يُعْشِي](٩) البَصَرَ، آيَةً ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾(١٠) مُرْسَلًا بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: مُضِيئَةً وَاضِحَةً ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ ظَاهِرٌ.

---

(١) أي: إِنَّه عطفَ: «كِتَاب» على: «قُرْءَان»، مع أَنَّهما لِمعنًى وَاحِدٍ؛ لِإِفَادةِ صِفةِ الإِبانةِ بِقَولِه: ﴿مُّبِينٍ﴾. المفصَّل (ص١٣٧٣).

(٢) أي: مِنَ الآياتِ القرآنيَّةِ والأَحاديثِ النبويَّةِ، فمَنْ شكَّ في ذلك فقد كَفَرَ. حاشيةُ الصَّاوي (٤/ ٢٦٢).

(٣) بِالإِضافَةِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابن عامرٍ، وقَرَأَ الباقونَ: ﴿بِشِهَابٍ﴾.

(٤) جملةُ: (تَستَدفِئونَ مِنَ البردِ) لَيست في الأَصْلِ في هذا الموضِعِ، وإنَّما في نِهايةِ تفسيرِ الآيةِ، بعد قولِه: (بِكَسرِ اللام وفتحِها)، وأَثبتناها في هذا المَوضِعِ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٥) على تفسيرِه الأَوَّلِ أَنَّ مَن في النَّارِ هو مُوسَى، ويكون التقديرُ: أن بُورِكَ مَنْ في مَكَانِ النَّارِ.

(٦) قالَ ابنُ كثيرٍ (٦/ ١٨٠): «أي: الَّذِي يَفعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَصنُوعَاتِهِ، وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ، المُبَايِنُ لِجَمِيعِ المَخلُوقَاتِ، وَلَا يَكْتَنِفُهُ الأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ، بَلْ هُوَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، المُنَزَّهُ عَنْ مُمَاثَلَةِ المُحْدَثَاتِ».

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوة: (أو غيرِها).

(٨) أي السُّمْرَة، وفي هذا ردٌّ على أهلِ الكتاب وما جاءَ في كُتُبِهم أنَّها خَرجَت بَرصَاءَ مِثلَ الثَّلجِ.

(٩) (يُعشي)، بالعينِ المُهمَلَةِ -كما في نُسخة قُرَّة العينينِ- أي: إِنَّ شُعاعَها يَجعلُ البصرَ «أعشى». وفي الأَصلِ، ونُسخة قباوة: (يُغشِّي)؛ بِالغَينِ المُعجمَةِ. قَالَ القَاضي كَنعَان (ص٤٩٥): وهو تصحيفٌ.

(١٠) تقدَّم بيانُها في تفسيرِ آيةِ رقم (٧٥) من سُورة يُونُس.

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ
ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ١٦
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ
١٩ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٢١ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ٢٢

[١٤] ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي: لم يُقِرُّوا ﴿وَ﴾ قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تيقَّنوا أنَّها مِنْ عِندِ الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾: تكبُّرًا عَنِ الإيمانِ بما جاءَ به موسَى - راجِعٌ إلى الجَحْدِ - ﴿فَٱنظُرْ﴾ - يا محمَّد - ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: التي علِمتَها مِنْ إهلاكِهم؟

[١٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًاۖ﴾ بالقضاءِ بينَ النَّاسِ، ومَنطِقِ الطَّيرِ، وغيرِ ذلك ﴿وَقَالَا﴾ شُكرًا لله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بالنُّبُوَّةِ وتَسخيرِ الجِنِّ والإنسِ والشَّياطِينِ ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ النُّبُوَّةَ والعِلْمَ، دُونَ بَاقِي أولَادِه(1) ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: فَهْمَ أصواتِه ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ﴾ تُؤتاهُ الأنبياءُ والمُلُوكُ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المُؤتى ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾: البَيِّنُ الظَّاهِرُ.

[١٧] ﴿وَحُشِرَ﴾: جُمِعَ ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ في مَسِيرٍ له ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُجمَعُونَ ثُمَّ يُساقُونَ.

[١٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ - هو بالطَّائِفِ أو بالشَّامِ(2)، نَمْلِه، صِغارٍ أو كِبارٍ(3) - ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: مَلِكَةُ النَّملِ، وقد رَأَتْ جُندَ سُليمانَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: يَكسِرَنَّكُم ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [بِهلاكِكُم](4). ونُزِّلَ النَّملُ مَنزِلَةَ العُقَلاءِ، في الخِطَابِ، بِخِطَابِهم.

[١٩] ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سُليمانُ ابتِداءً ﴿ضَاحِكًا﴾ انتِهاءً ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾ وقد سَمِعَهُ مِنْ ثَلاثَةِ أميالٍ(5)، حَمَلَتْهُ إليه الرِّيحُ(6)؛ فحَبَسَ جُندَهُ حِينَ أشرَفَ على وَادِيهم، حتَّى دَخَلُوا بُيُوتَهم(7)، وكانَ جُندُه رُكبانًا ومُشاةً في هذا [المَسِيرِ](8) ﴿وَقَالَ رَبِّ [أَوْزِعْنِىٓ](9)﴾: أَلهِمْنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبياءِ والأولياءِ.

[٢٠] ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ لِيَرَى الهُدهُدَ الذي يَرَى الماءَ تحتَ الأرضِ، ويَدُلُّ عليه بِنَقرِه فيها(10)؛ فتستخرِجُه الشَّياطِينُ، لاحتِياجِ سُليمانَ إليه لِلصَّلاةِ، فلم يَرَهُ ﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أي: أَعَرَضَ لي مَا مَنَعَنِي مِنْ رُؤيَتِه؟ ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ فلم أَرَهُ لِغَيبَتِه؟ فلمَّا تحقَّقَها، قالَ: [٢١] ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾: تَعذِيبًا ﴿شَدِيدًا﴾ بِنَتفِ رِيشِه وذَنَبِه، ورَمْيِه في الشَّمسِ؛ فلا يَمتَنِعُ مِنَ الهَوامِّ(11) ﴿أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بِقَطعِ حُلقُومِه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾ -بِنُونٍ مُشَدَّدَةٍ مَكسُورَةٍ، أو مَفتُوحَةٍ يَلِيها نُونٌ مَكسُورَةٌ(12)- ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بِبُرهانٍ(13) بَيِّنٍ ظاهِرٍ، على عُذرِه.

[٢٢] ﴿[فَمَكَثَ]﴾ -بِضَمِّ الكافِ وفَتحِها(14)- ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: يَسِيرًا مِنَ الزَّمَنِ. وحَضَرَ لِسُليمانَ مُتَواضِعًا بِرَفعِ رَأسِه وإرخاءِ ذَنَبِه وجَناحَيهِ؛ فعَفَا عنه، وسَأَلَه عمَّا لَقِيَ في غَيبَتِه ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: اطَّلَعتُ على ما لم تَطَّلِعْ عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ﴾ - بالصَّرفِ وتَركِه(15): قَبِيلَةٌ بِاليَمَنِ، سُمِّيَتْ بِاسمِ جَدٍّ لهم بِاعتِبارِه صُرِفَ - ﴿بِنَبَإٍ﴾: خَبَرٍ ﴿يَقِينٍ﴾.

---

(١) جُملةُ: (دُونَ بَاقِي أولَادِه) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٢) قالَ ابنُ كثيرٍ (٦/ ١٨٣): «ومَنْ قَالَ مِنَ المُفَسِّرِينَ: إنَّ هَذَا الوَادِيَ كَانَ بِأَرضِ الشَّامِ أو بِغَيرِه، وإنَّ هَذِهِ النَّملَةَ كَانَتْ ذَاتَ جَنَاحَينِ كَالذُّبَابِ، أو غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَقَاوِيلِ، فلا حَاصِلَ لها».

(٣) أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ (١٦٢٠٢) عَنْ نَوفٍ الحِمْيَرِيِّ، قالَ: «كَانَ نَمْلُ سُلَيمَانَ مِثْلَ أَمْثَالِ الذِّبَابِ». قالَ ابنُ كثيرٍ (٦/ ١٨٤): «هَكَذَا رَأَيتُهُ مَضبُوطًا بِاليَاءِ المُثَنَّاةِ مِنْ تَحتُ. وإنَّما هُوَ بِالبَاءِ المُوَحَّدَةِ، وذَلِكَ تَصحِيفٌ، والله أعلَمُ».

(٤) كلمةُ: (بِهلاكِكم) لَيسَتْ في الأَصلِ، وأثبتناها مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٥) لم نَجِدْهُ مُسنَدًا. وروى البغويُّ (٦/ ١٥١) عَنْ مُقَاتِلٍ، قالَ: «سَمِعَ سُلَيمَانُ كَلَامَهَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ».

(٦) لم نَجِدْهُ مُسنَدًا. وذكرَه الثعلبيُّ في تَفسِيرِه (٧/ ١٩٧) دُونَ عَزوِه لأحدٍ. وروى الحاكمُ في المُستدرَكِ (٤١٤١) عَنْ مُحَمَّدِ بنِ كَعبٍ، قالَ: «بَلَغَنَا أَنَّ سُلَيمَانَ بنَ دَاوُدَ، كَانَ عَسكَرُهُ مِائَةَ فَرسَخٍ... فَأَوحَى الله إِلَيهِ، وهُوَ يَسِيرُ بَينَ السَّمَاءِ والأَرضِ: إِنِّي قَدْ زِدتُ فِي مُلكِكَ، أَنْ لا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنَ الخَلَائِقِ بِشَيءٍ إِلَّا جَاءَتِ الرِّيحُ فَأَخبَرَتْكَ». وسَكَتَ عنه الذَّهَبِيُّ.

(٧) ذكرَه مُقاتلٌ في تَفسِيرِه (٣/ ٣٠٠).

(٨) في الأَصلِ: (السَّيرِ)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة. ومِثلُ هذه التفاصِيلِ لا دليلَ عليها ولا فائدةَ في ذِكرِها، وغالبًا ما تكونُ مِنَ الإسرائِيلِيَّاتِ.

(٩) ﴿أَوْزِعْنِىَ﴾، بِفَتحِ اليَاءِ: قِرَاءَةُ وَرشٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾.

(١٠) رَواهُ الحاكمُ في المُستدرَكِ على الصَّحِيحَينِ (٣٥٢٥) عَنْ عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قالَ: «كَانَ الهُدهُدُ يَدُلُّ سُلَيمَانَ عَلَى المَاءِ». فَقُلتُ: وكَيفَ ذَاكَ؟! والهُدهُدُ يُنصَبُ لَهُ الفَخُّ، يُلقَى عَلَيهِ التُّرَابُ؟ فَقَالَ: «أَعضَكَ الله بِهَنِ أَبِيكَ! أَوَ لَمْ يَكُنْ إِذَا جَاءَ القَضَاءُ ذَهَبَ البَصَرُ؟». ويُنظَرُ أيضًا ما رواه الحاكمُ (٣٥٢٦) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

(١١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (عَنِ الهَوَامِّ). روى ذلك ابنُ أبي حاتمٍ (١٦٢٢٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، ولم تأتِ هذه التفاصيلُ مِن خَبَرٍ صَحِيحٍ مَرفُوعٍ، ولا تُوجَدُ كَبِيرُ فائدةٍ مِن ذِكرِها، والآيةُ أطلَقَت العذابَ، ووصَفَته بالشِّدَّةِ.

(١٢) ﴿لَيَأْتِيَنَّنِى﴾، بِنُونٍ مَفتُوحَةٍ مُشَدَّدَةٍ وأُخرَى مَكسُورَةٍ مُخَفَّفَةٍ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ.

(١٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بُرهانٍ)، بِدُونِ البَاءِ الأُولى.

(١٤) ﴿فَمَكُثَ﴾، بِضَمِّ الكَافِ: قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عدا عاصمٍ. وقَرَأَ عاصمٌ: ﴿فَمَكَثَ﴾، بِفَتحِ الكَافِ.

(١٥) قرأ أبو عمرٍو والبَزِّيُّ بِفَتحِ الهَمزَةِ مِن غَيرِ تَنوِينٍ، وقَرَأَ قُنبُلٌ بِإسكانِها، وقَرَأَ البَاقُونَ بِالكَسرِ مَعَ التَّنوِينِ.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأۡسٍ شَدِيدٍ وَٱلۡأَمۡرُ
إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

سجدة — الحزب ٣٨

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾ أي: هي مَلِكةٌ لهم، اسمُها «بِلقِيسُ» ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ يحتاجُ إليه المُلوكُ مِنَ الآلةِ والعُدَّةِ ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ﴾: سريرٌ ﴿عَظِيمٌ﴾ طولُه ثمانونَ ذِراعًا، وعرضُه أربعونَ ذِراعًا، وارتفاعُه ثلاثونَ ذِراعًا، مضروبٌ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، مُكلَّلٌ بالدُّرِّ والياقوتِ الأحمرِ والزَّبَرْجَدِ الأخضرِ والزُّمُرُّدِ، وقوائمُه مِنَ الياقوتِ الأحمرِ والزَّبَرْجَدِ الأخضرِ والزُّمُرُّدِ، عليه سبعةُ أبوابٍ، على كُلِّ بيتٍ بابٌ مُغلَقٌ(١).

[٢٤] ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: طريقِ الحقِّ ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾.

[٢٥] ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾ أي: أنْ يَسجُدوا له- فزِيدَتْ «لا» وأُدغِمَ فيها نُونُ «أنْ»؛ كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾(٢). والجملةُ في محلِّ مفعولِ: ﴿يَهۡتَدُونَ﴾ بإسقاطِ: «إلى»- ﴿ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾: مَصدرٌ بمعنى: المَخبُوءِ مِنَ المطرِ والنَّباتِ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا [يُخۡفُونَ]﴾(٣) في قُلوبِهم ﴿وَمَا [يُعۡلِنُونَ]﴾(٤) بألسِنتِهم.

[٢٦] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩﴾: استئنافٌ، جملةُ ثناءٍ، مُشتمِلٍ على عرشِ الرَّحمنِ، في مُقابَلةِ عرشِ بِلقِيسَ، وبينَهما بَونٌ عظيمٌ.

[٢٧] ﴿۞ قَالَ﴾ سُلَيمانُ لِلهُدهُدِ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ﴾ فيما أخبرتَنا به ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي: مِن هذا النَّوعِ؟ فهُوَ أبلغُ مِن: أم كَذَبتَ فيه. ثُمَّ دلَّهُم على الماءِ، فاستُخرِجَ، وارتوَوا وتوضَّؤوا وصلَّوا. ثُمَّ كتبَ سُلَيمانُ كِتابًا صُورتُه: «مِنْ عبدِ اللهِ سُلَيمانَ بنِ داودَ، إلى بِلقِيسَ ملِكةِ سبأ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، السَّلامُ على مَنِ اتَّبعَ الهُدى، أمَّا بعدُ: فلا تَعْلُوا عليَّ وائتوني مُسلِمينَ». ثُمَّ طبعَهُ بالمِسكِ وختَمَهُ بخاتَمِه(٥)، ثُمَّ قالَ لِلهُدهُدِ:

[٢٨] ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: بِلقِيسَ وقومِها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾: انصرِفْ ﴿عَنۡهُمۡ﴾ وقِفْ قريبًا منهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾: يرُدُّونَ مِنَ الجوابِ؟ فأخذَه وأتاها وحولَها جُندُها، وألقاهُ في حِجرِها، فلمَّا رأتْه ارتعَدَتْ(٦) وخضَعتْ خوفًا، ثُمَّ وقفَتْ على ما فيه.

[٢٩] ثُمَّ ﴿قَالَتۡ﴾ لأشرافِ قومِها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ﴾ - بتحقيقِ الهمزتَينِ، وتسهيلِ الثَّانيةِ بقلبِها واوًا مكسورةً(٧)- ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾: مختومٌ.

[٣٠] ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي: مضمونُه: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

[٣١] ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي﴾ - بتحقيقِ الهمزتَينِ، وتسهيلِ الثَّانيةِ بقلبِها واوًا(٨)- أي: أشيروا عليَّ ﴿فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا﴾: قاضيتَه ﴿حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾: تحضُرونِ.

[٣٣] ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأۡسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحابُ شِدَّةٍ في الحربِ ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾نا؟ نُطِعْكِ.

[٣٤] ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾ بالتخريبِ ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ أي: مُرسِلو الكتابِ(٩).

[٣٥] ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ مِن قبولِ الهديَّةِ أو ردِّها؟ إنْ كانَ ملِكًا قبِلَها، أو نبيًّا لم يقبَلْها. فأرسلَتْ خدَمًا ذُكورًا وإناثًا، ألفًا بالسَّويَّةِ، وخمسمائةِ لَبِنةٍ مِنَ الذَّهبِ، وتاجًا مُكلَّلًا بالجواهرِ، ومِسكًا وعنبرًا وغيرَ ذلك، معَ رسولٍ بكتابٍ.

فأسرعَ الهُدهُدُ إلى سُلَيمانَ، يُخبِرُه الخبرَ؛ فأمرَ أنْ تُضرَبَ لَبِناتُ الذَّهبِ والفِضَّةِ، وأنْ تُبسَطَ مِن موضعِه إلى تسعةِ فراسخَ مَيدانًا، وأنْ يبنُوا حولَه حائطًا مُشرِفًا مِنَ الذَّهبِ والفِضَّةِ، وأنْ يُؤتى بأحسنِ دوابِّ البرِّ والبحرِ، معَ أولادِ الجِنِّ، عن يمينِ المَيدانِ وشِمالِه(١٠).

---

(١) لا دليلَ على مثلِ هذه التفاصيلِ، ولا فائدةَ في ذِكرِها، والأَولى في تفسيرِ كلامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنْ لا يُعتمَدَ إلَّا ما هو قطعيٌّ، وأنْ يترُكَ المُفسِّرُ تفصيلَ ما أجملَه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، إلَّا ما صَحَّ فيه الدَّليلُ.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) قرأ حفصٌ والكسائيُّ: ﴿تُخۡفُونَ﴾ بالتَّاءِ، والباقونَ بالياءِ: ﴿يُخۡفُونَ﴾.

(٤) قرأ حفصٌ والكسائيُّ: ﴿تُعۡلِنُونَ﴾ بالتَّاءِ، والباقونَ بالياءِ: ﴿يُعۡلِنُونَ﴾.

(٥) هذه التفاصيلُ والدقائقُ لا دليلَ صحيحَ عليها، ولا فائدةَ في ذِكرِها.

(٦) في نُسخةِ قباوة: (أرعدَت).

(٧) في نُسخةِ قباوة: (بتحقيقِ الهمزتَينِ، وقلبِ الثَّانيةِ واوًا). والتسهيلُ لنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو.

(٨) في نُسخةِ قباوة: (بتحقيقِ الهمزتَينِ، وقلبِ الثَّانيةِ واوًا). والتسهيلُ لنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو.

(٩) اختارَ المصنِّفُ أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ هو مِن تمامِ كلامِ المرأةِ. وقد ذهبَ غيرُه إلى أنَّه مِن كلامِ اللهِ تعالى تصديقًا لقولِها، وأنَّ الوقفَ على: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةً﴾ وقفٌ تامٌّ.

(١٠) لم نقِفْ عليه مُسنَدًا، ولا دليلَ صحيحَ على ذلك أيضًا، والأَولى تركُ حشوِ التَّفاسيرِ بذِكرِه.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ (٣٦) ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم
بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ (٣٧)
قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ
(٣٨) قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ
وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠
ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ
قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ (٤٠) قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا
عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا
جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا
وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن
قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ
وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ
إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٤)

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرَّسُولُ بِالهَدِيَّةِ، ومَعَه أتباعُهُ، ﴿سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ النُّبوَّةِ والمُلْكِ ﴿خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ مِنَ الدُّنيا ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ لِفَخْرِكُم بِزَخارِفِ الدُّنيا.

[٣٧] ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ بِما أَتيتَ به مِنَ الهَدِيَّةِ ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ﴾: لَا طَاقَةَ ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ﴾ مِنْ بَلَدِ سَبَأٍ- سُمِّيتْ بِاسمِ أبي قَبِيلَتِهم- ﴿أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ إِنْ لَمْ يَأتوني مُسلِمِينَ.

فلَمَّا رَجَعَ إِليها الرَّسُولُ بِالهَدِيَّةِ جَعَلَتْ سَرِيرَها دَاخِلَ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ دَاخِلَ قَصْرِهَا، وقَصْرُها دَاخِلُ سَبْعَةِ قُصُورٍ، وغَلَّقَتِ الأَبْوابَ، وجَعَلَتْ عَليها حَرَسًا، وتَجَهَّزَتْ لِلمَسِيرِ إِلى سُلَيمانَ؛ لِتَنظُرَ مَا يَأمُرُها به. فارتَحَلَتْ في اثنَي عَشَرَ أَلفَ قَيْلٍ، مَع كُلِّ قَيْلٍ أُلوفٌ كَثِيرَةٌ، إِلى أَنْ قَرُبَتْ منه على فَرْسَخٍ شَعَرَ بها[١].

[٣٨] ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ﴾ - في الهَمزَتَينِ ما تَقَدَّمَ[٢]- ﴿يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾: مُنقَادِينَ طَائِعِينَ[٣]، فَلِيَ أَخْذُهُ قَبلَ ذَلِكَ لَا بَعدَه[٤].

[٣٩] ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ هو القَوِيُّ الشَّدِيدُ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ الذي تَجلِسُ فيه لِلقَضَاءِ، وهو: مِنَ الغَدَاةِ إِلى نِصفِ النَّهارِ ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: عَلى حَمْلِه ﴿أَمِينٞ﴾ على مَا فيه مِنَ الجَوَاهِرِ وغَيرِها. قَالَ سُلَيمانُ: أُرِيدُ أَسرَعَ مِنْ ذلكَ.

[٤٠] ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ المُنزَلِ؛ وهُو: «آصِفُ بنُ بَرْخَيا»، كَانَ صِدِّيقًا يَعلَمُ اسمَ اللهِ الأَعظَمَ، الذي إِذَا دُعِيَ به أَجابَ ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ إِذَا نَظَرتَ به إِلى شَيءٍ مَا. قَالَ له: «انظُرْ إِلى السَّماءِ». فنَظَرَ إِليها ثُمَّ رَدَّ بِطَرْفِهِ، فَوَجَدَه مَوضُوعًا بَينَ يَدَيهِ. فَفِي نَظَرِهِ إِلى السَّماءِ دَعَا «آصَفُ» بِالاسمِ الأَعظَمِ أَنْ يَأتِيَ اللهُ به؛ فحَصَلَ بِأَنْ جَرَى تَحتَ الأَرضِ، حتَّى نَبَعَ تَحتَ كُرسِيِّ سُلَيمانَ[٥] ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا﴾ أي: سَاكِنًا ﴿عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ أي: الإِتيَانُ لي به ﴿مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ﴾: لِيَختَبِرَني ﴿ءَأَشۡكُرُ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإِبدالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا، وتَسهِيلِهَا، وإِدخَالِ أَلِفٍ بَينَ المُسَهَّلَةِ والأُخرَى، وتَركِه[٦]- ﴿أَمۡ أَكۡفُرُ﴾ النِّعمَةَ؟ ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ﴾ أي: لِأَجلِها؛ لِأَنَّ ثَوابَ شُكْرِهِ له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النِّعمَةَ ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ﴾ عَنْ شُكْرِهِ ﴿كَرِيمٞ﴾ بِالإِفضَالِ عَلى مَنْ يَكفُرُها.

[٤١] ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ أي: غَيِّرُوه إِلى حَالٍ تُنكِرُه إِذا رَأَتْه ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾ إِلى مَعرِفَتِه ﴿أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ إِلى مَعرِفَةِ ما يُغَيَّرُ عَلَيهم؟ قَصَدَ بِذَلِكَ اختِبَارَ عَقْلِها لَمَّا قِيلَ له: إِنَّ فيه شَيئًا. فغَيَّرُوه بِزِيَادَةٍ أو نَقْصٍ أو غَيرِ ذلكَ.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ﴾ لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِ﴾ أي: أَمِثْلُ هَذا عَرشُكِ؟ ﴿قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أي: فعَرَفَتْه، وَشَبَّهَتْ عَلَيهِم كَما شَبَّهُوا عَليها؛ إِذْ لَمْ يُقَلْ: أَهذَا عَرشُكِ؟ ولو قِيلَ: «هَذَا»؟ قَالَتْ: نَعَم. قَالَ سُلَيمانُ لَمَّا رَأَى لَها مَعرِفَةً وعِلْمًا: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا﴾ عَنْ عِبادَةِ اللهِ ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أَيضًا: ﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَ﴾ هو سَطحٌ مِنْ زُجَاجٍ أَبيَضَ شَفَّافٍ، تَحتَه مَاءٌ عَذبٌ جَارٍ، فيه سَمَكٌ، اصطَنَعَه سُلَيمانُ لَمَّا قِيلَ له: «إِنَّ سَاقَيها وقَدَمَيها كَقَدَمَي الحِمَارِ»[٧] ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ مِنَ المَاءِ ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا﴾ لِتَخُوضَهُ. وكَانَ سُلَيمانُ على سَرِيرِه في صَدْرِ الصَّرْحِ، فَرَأَى سَاقَيها وقَدَمَيها حِسَانًا ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ﴾: مُمَلَّسٌ ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: زُجَاجٍ. وَدَعَاها إِلى الإِسلامِ ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ بِعِبادَةِ غَيرِكَ ﴿وَأَسۡلَمۡتُ﴾ كَائِنَةً ﴿مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وأَرَادَ تَزَوُّجَها فكَرِهَ شَعْرَ سَاقَيها؛ فَعَمِلَتْ له الشَّياطِينُ النُّورَةَ، فأَزَالَته بها؛ فتَزَوَّجَها وأَحَبَّها وأَقَرَّها عَلى مُلْكِها، وكَانَ يَزُورُها في كُلِّ شَهرٍ مَرَّةً، ويُقِيمُ عِندَها ثَلاثَةَ أَيَّامٍ. وانقَضَى مُلكُها بِانقِضاءِ مُلْكِ سُلَيمانَ[٨] -رُوِيَ أَنَّه مَلَكَ وهو ابنُ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، ومَاتَ وهو ابنُ ثَلاثٍ وخَمسِينَ سَنَةً- فَسُبحَانَ مَنْ لا انقِضَاءَ لِدَوَامِ مُلْكِه.

---

(١) القَيْلُ: أي: مَلِكٌ مِنْ مُلوكِها؛ سُمِّيَ بذلكَ لِنفوذِ أمرِه. وقِيلَ: القَائدُ مِنْ قُوَّادِ أَهلِ اليَمنِ. وسَبَقَ التعليقُ على هذه الأخبارِ ونحوِها مِنَ الإسرائيليَّاتِ.

(٢) أي: مِنَ التَّحقِيقِ وتَسهِيلِ الثانيةِ بِقَلبِها وَاوًا مَكسورَةً، وهي ثَلاثُ قِراءاتٍ سَبعِيَّةٌ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: مُنقادِينَ طَائِعِينَ). وجُمهورُ المُفَسِّرينَ أَنَّ هذه المَقالَةَ مِن سليمانَ تَجيءُ هَدِيَّتِها ورَدِّه إيَّاها.

(٤) قالَه قَتادةُ وعطاءٌ وزهيرُ بنُ مُحمَّدٍ وغَيرُ واحِدٍ. والمعنَى: أَنَّهم متَى أَسلَمُوا حَرُمَتْ أموالُهم.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (حتى ارتفعَ عندَ كُرسِيِّ سُليمانَ). وسَبَقَ التعليقُ على نَحوِ هَذه الأَخبارِ، وأَنَّه لا دَليلَ صَحِيحَ عليها، ولا فَائِدَةَ في ذِكرِها.

(٦) رَاجِع التعليقَ على الآيةِ رقم (٦) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إِنَّ سَاقَيها ورِجلَيها كَقَدَمِ حِمارٍ). وأَحسَنُ ما قِيلَ في بِناءِ الصَّرحِ، هو أنَّه أَرادَ أَنْ يُرِيَها مُلْكًا أَعظَمَ مِنْ مُلْكِها؛ لِيَكُونَ حَامِلًا لها على أَنْ تُسلِمَ. وما قِيلَ غيرَ ذلكَ فإِسرائيليَّاتٌ لا تَثبُتُ ولا تَلِيقُ بِمَقامِ النُّبُوَّةِ.

(٨) مِثْلُ هذهِ السِّياقَاتِ والدَّقائِقِ التي ذَكَرَها المُفَسِّرُ، الأَقرَبُ فيها أَنَّها مُتَلَقَّاةٌ عَن أَهلِ الكِتَابِ، مِمَّا يُوجَدُ في صُحُفِهِم؛ كَروايَاتِ كَعبٍ ووهبٍ، فيما نَقَلَا إلى هذهِ الأُمَّةِ مِنْ أَخبارِ بني إِسرائيلَ مِنَ الأَوابِدِ والغَرائِبِ والعَجَائِبِ، مِمَّا كانَ وما لم يَكنْ، ومِمَّا حُرِّفَ وبُدِّلَ ونُسِخَ، وقد أَغنانَا اللهُ -سُبحَانَهُ- عَن ذلك بِما هو أَصَحُّ منه وأَوضَحُ وأَبلَغُ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾
قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ
ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ مِنَ القَبِيلَةِ ﴿صَٰلِحًا أَنِ﴾ أي: بِأَنِ ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوهُ ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدِّينِ: فَرِيقٌ مُؤمِنُونَ مِنْ حِينِ إِرسَالِه إليهم، وفَرِيقٌ كَافِرُونَ.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ لِلمُكَذِّبِينَ: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بِالعَذَابِ قَبلَ الرَّحمَةِ؛ حَيثُ قُلتُم: «إنْ كَانَ مَا أَتيتَنَا به حَقًّا فائتِنَا بِالعَذَابِ»؟ ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ مِنَ الشِّركِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فَلا تُعَذَّبُونَ؟

[٤٧] ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ -أصلُه تطَيَّرنَا؛ أُدغِمَتِ التَّاءُ في الطَّاءِ، واجتُلِبَتْ هَمزَةُ الوَصلِ- أَي: تَشَاءَمنَا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أَيِ: المُؤمِنِينَ؛ حَيثُ قُحِطُوا المَطَرَ[1] وجَاعُوا. ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾: شُؤمُكُم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَتَاكُم به ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تُختَبَرُونَ بِالخَيرِ والشَّرِّ.

[٤٨] ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: مَدِينَةِ ثَمُودَ ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: رِجَالٍ ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِالمَعَاصِي؛ منها: قَرْضُهُم الدَّنَانِيرَ والدَّرَاهِمَ[2] ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بِالطَّاعَةِ.

[٤٩] ﴿قَالُوا۟﴾ أي: قَالَ بَعضُهم لِبَعْضٍ: ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾ أَيِ: احلِفُوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ - بِالنُّونِ، والتَّاءِ وضَمِّ التَّاءِ الثَّانِيَةِ[3]- ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: مَنْ آمَنَ به؛ أي: نَقتُلُهم لَيلًا ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ - بِالنُّونِ، والتَّاءِ وضَمِّ اللامِ الثَّانِيَةِ[4]- ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: وَلِيِّ دَمِهِ: ﴿مَا شَهِدْنَا﴾: حَضَرنَا ﴿[مُهْلَكَ] أَهْلِهِۦ﴾ - بِضَمِّ المِيمِ وفَتحِها[5]- أي: إِهلَاكَهُم[6] أو هَلَاكَهُم[7]؛ فلا نَدرِي: مَنْ قَتَلَهم؟ ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ في ذلكَ ﴿مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي: جَازَينَاهم بِتَعجِيلِ عُقُوبَتِهم[8] ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا[9] دَمَّرْنَٰهُمْ﴾: أَهلَكنَاهُم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بِصَيْحَةِ جِبرِيلَ، أو بِرَمْيِ المَلَائِكَةِ بِحِجَارَةٍ يَرَونَهَا ولا يَرَونَهم[10].

[٥٢] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ أي[11]: خَالِيَةً، ونَصْبُه على الحَالِ، والعَامِلُ فيها مَعنَى الإِشَارَةِ ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾: بِظُلْمِهم؛ أي: كُفْرِهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: لَعِبرَةً ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قُدرَتَنا؛ فَيَتَّعِظُونَ.

[٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِصَالِحٍ، وهُم: أَربَعَةُ آلَافٍ[12] ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ.

[٥٤] ﴿وَلُوطًا﴾: مَنصُوبٌ بـ«اذكُرْ» مُقَدَّرًا قَبلَه، ويُبدَلُ منه: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أَيِ: اللِّوَاطَ ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يُبصِرُ بَعضُكُم بَعضًا، انهِمَاكًا في المَعصِيَةِ؟

[٥٥] ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإِدخَالِ أَلِفٍ بَينَهما، عَلَى الوَجْهَينِ[13]- ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عَاقِبَةَ فِعْلِكُم.

---

(١) أي: احتبَسَ عنهم المطرُ.

(٢) رَواهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٦٤٦٩) وعبدُ الرَّزَّاقِ في مُصنَّفِه (١٤٥٩٦)، وغيرُهما عن عَطَاءِ بن أبي رَبَاحٍ، في تفسيرِ الآيةِ؛ قَالَ: «كَانُوا يُقرِضُونَ الدَّرَاهِمَ». قال ابنُ كثيرٍ (٦/ ١٧٩): «يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْهَا وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَامَلُونَ بِهَا عَدَدًا، كَمَا كَانَ العَرَبُ يَتَعَامَلُونَ. وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، أَنَّهُ قَالَ: «قَطْعُ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ مِنَ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ...». قال ابنُ كثيرٍ: «وَالغَرَضُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الكَفَرَةَ الفَسَقَةَ، كَانَ مِنْ صِفَاتِهِمُ الإِفْسَادُ فِي الأَرْضِ بِكُلِّ طَرِيقٍ يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا، فَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ هَؤُلَاءِ الأَئِمَّةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ».

(٣) بالتَّاءِ وضَمِّ التَّاءِ الثَّانِيَةِ: قِرَاءةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ.

(٤) بالتَّاءِ وضَمِّ اللامِ الثَّانِيَةِ: قِرَاءةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ.

(٥) قرأ شُعبةُ: ﴿مَهْلَكَ﴾؛ بِفتحِ الميمِ واللامِ. وقَرَأ حفصٌ: ﴿مَهْلِكَ﴾؛ بِكَسرِ اللامِ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿مُهْلَكَ﴾؛ بِضَمِّ الميمِ وفتحِ اللامِ.

(٦) رَاجِعٌ لِقِراءةِ: ﴿مُهْلَكَ﴾ بِضَمِّ الميمِ؛ لِأَنَّه مِنَ الرُّبَاعِي.

(٧) رَاجِعٌ لِقِراءةِ: ﴿مَهْلِكَ﴾ بِفَتحِ الميمِ؛ لِأَنَّه مِنَ الثُّلَاثِي.

(٨) وهذا تأويلٌ لهذهِ الصِفَةِ التي أثبتَها ربُّنا عَزَّوَجَلَّ لِنفسه. ومَذهبُ السَّلفِ في هذا النَّوعِ مِنَ الصِّفَاتِ إثباتُه لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ بِهِ -سُبْحَانَهُ-، وهي فيما سِيقَت له مَدحٌ وكَمالٌ، ولكن لا تُطلَقُ عليه عَزَّوَجَلَّ مُجَرَّدَةً بِدونِ ذِكْرِ مُتَعَلَّقِها، وكذا لا يُشتَقُّ له اسمٌ أو صفةٌ منها؛ فلا يُقَالُ: مَاكِرٌ ولا مُخادِعٌ.

(٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: ﴿إِنَّا﴾؛ بِكَسرِ الهَمزَةِ: وهي قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابن عامرٍ ونافعٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿أَنَّا﴾؛ بِفَتحِ الهَمزَةِ.

(١٠) لَمْ نَجِدْهُ مُسنَدًا. وذكرَه جَماعةٌ مِنَ المُفسِّرِينَ منهم البغويُّ (٦/ ١٧٠)، والواحديُّ (٣/ ٣٨١) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «أَرْسَلَ اللهُ المَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِلَى دَارِ صَالِحٍ يَحْرُسُونَهُ، فَأَتَى التِّسْعَةُ دَارَ صَالِحٍ شَاهِرِينَ سُيُوفَهُمْ، فَرَمَتْهُمُ المَلَائِكَةُ بِالحِجَارَةِ مِنْ حَيْثُ يَرَوْنَ الحِجَارَةَ وَلَا يَرَوْنَ المَلَائِكَةَ، فَقَتَلَهُمْ».

(١١) كلمةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١٢) لَمْ نَجِدْهُ مُسنَدًا. ونَقَلَ الثعلبيُّ في تَفسِيرِه (٧/ ٢١٧) عَن مُقَاتِلٍ، قالَ: «وكانَتِ الفِرقَةُ المُؤمِنةُ النَّاجِيةُ أربعةَ آلافٍ، خَرجَ بِهِم صَالِحٌ إلى حَضرَمَوت» ونقلَ نحوه عَنِ الضَّحَّاكِ.

(١٣) سَهَّلَ الثانيةَ مع إدخالِ الألفِ: قالونُ وأبو عمرٍو، ومِن غيرِ إدخالٍ: ورشٌ وابنُ كثيرٍ، وحقَّقَها: هشامٌ مع الإدخالِ وعدَمِه، وبَقِيَّةُ السَّبعَةِ كذلكَ مِن غَيرِ إدخالٍ.

الجزء ٢٠ الحزب ٣٩

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ
لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٥٧ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ٥٨ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ
٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن
تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ٦٠
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ
لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ
رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٣﴾

[٥٦] ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾: أهلَهُ ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ مِنْ أدبارِ الرِّجالِ.

[٥٧] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾: جعلناها بِتقديرِنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقِينَ في العَذابِ.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ هُو حِجارَةُ السِّجِّيلِ[1] أهلَكَتهُم ﴿فَسَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ بِالعَذابِ مَطَرُهُم!

[٥٩] ﴿قُلِ﴾ - يا مُحَمَّد-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هَلاكِ الكُفَّارِ مِنَ الأُمَمِ الخالِيَةِ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾هُمْ ﴿ءَآللَّهُ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإبدالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا، وتَسهِيلِها، وإدْخالِ أَلِفٍ بينَ المُسهَّلَةِ والأُخرَى، وتَرْكِه[2]- ﴿خَيْرٌ﴾ لِمَنْ يَعبُدُه ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [- بِالياءِ والتَّاءِ-][3] أي: أهلُ مَكَّةَ به الآلِهَةَ، خَيرٌ لِعَابِدِيها؟

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾ - فيه التِفاتٌ مِنَ الغَيبَةِ إلى التَّكَلُّمِ[4]- ﴿بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾: جَمعُ حَدِيقَةٍ؛ وهو: البُستانُ المُحَوَّطُ ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: حُسْنٍ ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ لِعَدَمِ قُدرَتِكُم عليه؟ ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإدخالِ أَلِفٍ بينَهما، على الوَجهَينِ، في مَواضِعِه السَّبعَةِ[5]- ﴿مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أعانَه على ذَلكِ؟ أي: لَيسَ مَعه إلَهٌ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: يُشرِكُونَ بِاللهِ غَيرَه.

[٦١] ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾: لا تَمِيدُ[6] بِأَهلِها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾: فِيما بَينَها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾: جِبالًا أَثبَتَ بِها الأَرضَ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ﴾ بَينَ العَذْبِ والمِلْحِ، لا يَختَلِطُ أَحدُهما بِالآخَرِ؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تَوحِيدَه.

[٦٢] ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾: المَكرُوبَ الذي مَسَّهُ الضُّرُّ ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ عنه، وعَنْ غَيرِه ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ﴾ - الإضافَةُ بِمَعنَى: «في»- أي: يَخلُفُ كُلُّ قَرْنٍ القَرْنَ الذي قَبلَه؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا [تَذَّكَّرُونَ]﴾: تَتَّعِظُون؛ بِالفَوقَانِيَّةِ والتَّحتانِيَّةِ[7]، وفيه إدغامُ التَّاءِ في الذَّالِ، و﴿مَّا﴾: زائِدَةٌ لِتَقلِيلِ القَلِيلِ.

[٦٣] ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾: يُرشِدُكم إلى مَقاصِدِكُم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ بِالنُّجُومِ لَيلًا، وبِعَلاماتِ الأَرضِ نَهارًا ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ [نُشْرًا][8] بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ﴾: قُدَّامَ المَطَرِ[9]؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غَيرَه!

---

(١) كما في قولِه تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر:٧٤].

(٢) هذا سبقُ قَلمٍ مِنَ الشَّارِحِ؛ لِأَنَّ هذه الوُجوهَ لَم يَقرأْ بِها أَحَدٌ مِنَ القُرَّاءِ، وغَايَةُ ما أَجازُوه: وَجهانِ فَقط: تَسهِيلُ الثانِيَةِ مَقصُورَةً، وإبدالُها أَلِفًا مَمدُودَةً مَدًّا لازِمًا.

(٣) في الأَصلِ: (بِالتَّاءِ والياءِ)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة؛ لِمناسبته القِراءةَ المُفسَّرةَ. وقِراءةُ: ﴿تُشْرِكُونَ﴾ بِالتَّاءِ: خِطابًا لِلمُشرِكِينَ. وهي قِراءةُ السَّبعَةِ عَدا عاصِمٍ وأبي عَمرٍو.

(٤) لأَنَّ تَقدِيرَ الكلامِ: «فأنبتَ».

(٥) أي: وتَركِه. وقَولُه: «في مواضِعِه السَّبعَةِ» أي: مَواضِعِ اجتِماعِ الهَمزَتَينِ؛ المفتوحَةِ ثُمَّ المَكسُورَةِ، وهي لفظُ: ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ خَمسُ مَرَّاتٍ، و﴿أَءِذَا﴾، و﴿أَءِنَّا﴾. وانظرِ التعليقَ على الآيةِ رقم (٨١) مِن سُورةِ الأعرافِ.

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: لا تَمِيدُ).

(٧) ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾، بِالتَّحتانِيَّةِ مَعَ تَشدِيدِ الذَّالِ: قِراءَةُ أبي عَمرٍو وهشامٍ، وقِراءَةُ الباقِينَ بِالتَّاءِ؛ لَكِنْ مَعَ التَّشدِيدِ؛ ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾: لِنافِعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ ذكوان وشُعبةَ، ومِن غَيرِ تَشدِيدٍ؛ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: لِحفصٍ وحَمزةَ والكِسائِيِّ.

(٨) ﴿نُشْرًا﴾، بِنُونٍ مَضمُومَةٍ وسُكُونِ الشِّينِ: قِراءَةُ ابنِ عامرٍ. وقَرَأَ حمزةُ والكِسائِيُّ: ﴿نَشْرًا﴾، بِنُونٍ مَفتُوحَةٍ وسُكُونِ الشِّينِ. وقَرَأَ عاصِمٌ: ﴿بُشْرًا﴾، بِالباءِ المضمُومَةِ وسُكُونِ الشِّينِ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿نُشُرًا﴾، بِضَمِّ النُّونِ والشِّينِ.

(٩) المَطرُ مِنْ آثارِ رحمةِ الله، التي يَرحمُ بها مَخلوقاتِه.

أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل
لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي
شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا
كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا
نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

[٦٤] ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ في الأَرْحَامِ مِنْ نُطْفَةٍ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بَعدَ المَوتِ، وإنْ لَم تعتَرِفُوا بالإعَادَةِ لِقِيَامِ البَرَاهِينِ عَليها؟ ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بِالمَطَرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّبَاتِ؟ ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾؟ أَي: لَا يَفعَلُ شَيئًا مِمَّا ذُكِرَ إِلَّا اللهُ، ولَا إِلَه مَعه ﴿قُلْ﴾ - يا مُحَمَّد-: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حُجَّتَكُم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنَّ مَعِيَ إِلَهًا، فَعَلَ شَيئًا مِمَّا ذُكِرَ.

وَسَأَلُوهُ عَنْ وَقتِ قِيَامِ السَّاعَةِ؛ فنزَلَ[1]:

[٦٥] ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِنَ المَلَائِكَةِ والنَّاسِ ﴿الْغَيْبَ﴾ أي: ما غَابَ عنهم ﴿إِلَّا﴾: لَكِنِ ﴿اللَّهُ﴾ يَعلَمُه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ كَغَيرِهِم[2] ﴿أَيَّانَ﴾: وَقتَ ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿[بَلْ]﴾ بِمَعنَى: هَلْ ﴿[أَدْرَكَ]﴾[3]- وَزْنُ «أكرَمَ». وفي قِرَاءَةٍ أُخرَى: ﴿ادَّارَكَ﴾ بِتَشدِيدِ الدَّالِ، وأَصْلُه: «تَدَارَكَ»؛ أُبدِلَتِ التَّاءُ دَالًا، وأُدغِمَتْ في الدَّالِ، واجتُلِبَتْ هَمزَةُ الوَصلِ- أي: بَلَغَ ولَحِقَ[4]، أو تَتَابَعَ وتَلَاحَقَ[5] ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بِها، حتَّى سَأَلُوا عَنْ وَقتِ مَجِيئِها؟ لَيسَ الأَمرُ كَذَلِكَ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾: مِنْ عَمَى القَلبِ، وهو أَبلَغُ مِمَّا قَبلَه. والأَصلُ: «عَمِيُونَ»؛ استُثقِلَتِ الضَّمَّةُ على اليَاءِ، فنُقِلَتْ إلى المِيمِ بَعدَ حَذفِ كَسرَتِها.

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيضًا، في إِنكَارِ البَعْثِ: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ مِنَ القُبُورِ؟

[٦٨] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: جَمعُ أُسطُورَةٍ بِالضَّمِّ؛ أي: ما سُطِرَ مِنَ الكَذِبِ.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [بِإِنكَارِهم][6]؛ وهي: هَلَاكُهم بِالعَذَابِ؟

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ - تَسلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ- أي: لا تَهتَمَّ بِمَكرِهم عَليكَ؛ فَإِنَّا نَاصِرُوكَ[7] عليهم.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بِالعَذَابِ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ﴾: قَرُبَ ﴿لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فَحَصَلَ لهم القَتلُ بِبَدْرٍ، وبَاقِي العَذَابِ يَأتِيهم بَعدَ المَوتِ.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه تَأخِيرُ العَذَابِ عَنِ الكُفَّارِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ - فَالكُفَّارُ لا يَشكُرُونَ تَأخِيرَ العَذَابِ؛ لِإِنكَارِهم وُقُوعَه-.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تُخفِيهِ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بِأَلسِنَتِهم.

[٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ - الهَاءُ لِلمُبَالَغَةِ- أي: شَيءٍ في غَايَةِ الخَفَاءِ على النَّاسِ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ؛ هو: اللَّوحُ المَحفُوظُ، ومَكنُونُ[8] عِلْمِه -تَعَالَى-، ومنه تَعذِيبُ الكُفَّارِ.

[٧٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المَوجُودِينَ في زَمَانِ نَبِيِّنَا ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: بِبَيَانِ مَا ذُكِرَ على وَجهِهِ[9]، الرَّافِعِ للاختِلَافِ بينَهم، لَو أَخَذُوا به وأَسلَمُوا.

---

(١) لَمْ نَجِدْهُ مُسنَدًا. وقالَ البَغَوِيُّ في تَفسِيرِه (٦/ ١٧٣): «نَزَلَتْ فِي المُشرِكِينَ، حَيثُ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ وَقتِ قِيَامِ السَّاعَةِ»، ولم يَعزُه لأَحدٍ.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: الكُفَّارُ كَغَيرِهم).

(٣) ﴿بَلْ أَدْرَكَ﴾؛ بِسُكُونِ اللامِ، وفَتحِ الهَمزَةِ وسُكُونِ الدَّالِ بلا أَلِفٍ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿بَلِ ادَّارَكَ﴾؛ بِكَسرِ اللامِ وَصْلًا، ووَصْلِ الهَمزَةِ، وفَتحِ وتَشدِيدِ الدَّالِ، وأَلِفٍ بعدَها.

(٤) رَاجِعٌ لِلقِرَاءةِ الأُولى: ﴿أَدْرَكَ﴾.

(٥) رَاجِعٌ لِلقِرَاءةِ الثَّانيةِ: ﴿ادَّارَكَ﴾.

(٦) في الأَصلِ: (بإنكاره)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (فأنا ناصِرُك).

(٨) وهذا تفسيرٌ ثانٍ، فالواو هنا بِمَعنَى: «أو».

(٩) في نُسخَة قَبَاوَة: (على وَجهَينِ)؛ أي: أكثر ما اختلفوا فيه بِمَذهَبَينِ أو أكثر.

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن
ربع الحزب ٣٩ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ
ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ
أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٧٧] ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنَ العَذَابِ.

[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾ كَغَيرِهم، يَومَ القِيامَةِ ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ أي: عَدْلِه[1] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِمَا يَحكُمُ به. فلا يُمكِنُ أَحَدًا مُخالَفَتُه كما خالَفَ الكُفَّارُ في الدُّنيا أَنبياءَه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثِقْ بِهِ ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾: الدِّينِ البَيِّنِ. فالعَاقِبةُ لك بِالنَّصرِ على الكُفَّارِ. ثُمَّ ضَرَبَ أَمثَالًا لهم بِالمَوتَى وبِالصُّمِّ وبِالعُمْيِ، فقالَ: [٨٠] ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ بينَها وبَينَ اليَاءِ[2] - ﴿وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾.

[٨١] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن﴾: ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سَماعَ إِفهامٍ وقَبولٍ ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُخلِصُونَ بِتَوحِيدِ الله.

[٨٢] ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: حَقَّ العَذابُ أَنْ يَنزِلَ بهم، في جُملَةِ الكُفَّارِ ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تُكلِّمُ المَوجُودِينَ حِينَ خُروجِها بِالعَربِيَّةِ، تَقُولُ لهم مِنْ جُملَةِ كَلَامِها عَنَّا: ﴿[إِنَّ] ٱلنَّاسَ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ - وعلى قِراءَةِ: فَتحِ هَمزَةِ ﴿أَنَّ﴾[3] تُقَدَّرُ البَاءُ بعدَ ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ - ﴿كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يُؤمِنُونَ بِالقُرآنِ، المُشتَمِلِ على البَعثِ والحِسابِ والعِقابِ. وبِخُروجِها يَنقَطِعُ الأَمرُ بِالمَعرُوفِ والنَّهيُ عَنِ المُنكَرِ، [ولا يَبقَى مُنِيبٌ، ولا تَائِبٌ][4]، ولا يُؤمِنُ كَافِرٌ[5]، كَما أَوحَى اللهُ إلى نُوحٍ: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[6]. [٨٣] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جَماعَةً ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ - وهُم رُؤَساؤُهم المَتبُوعُونَ - ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُجمَعُونَ، بِرَدِّ آخِرِهم إلى أَوَّلِهم، ثُمَّ يُساقُونَ. [٨٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ مَكانَ الحِسابِ ﴿قَالَ﴾ -تَعالَى- لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أَنبِيائِي ﴿بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ﴾ مِنْ جِهَةِ تَكذِيبِكُم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّا﴾ - فيه إِدغامُ «مَا» الاستِفهامِيَّةِ[7] - ﴿ذَا﴾: مَوصُولٌ؛ أي: مَا الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِمَّا أُمِرتُم به؟ [٨٥] ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾: حَقَّ العَذابُ ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ﴾ أي: أَشرَكُوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ إِذْ لَا حُجَّةَ لهم. [٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا﴾: خَلَقنَا ﴿ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ كَغَيرِهم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بِمَعنَى: يُبصَرُ فيه لِيَتَصَرَّفُوا فيه؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرَتِه -تَعالَى- ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: خُصُّوا بِالذِّكرِ لِانتِفاعِهم بها في الإِيمانِ، بِخِلافِ الكَافِرِينَ. [٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: القَرنِ النَّفخَةَ الأُولَى مِنْ إِسرَافِيلَ ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خَافُوا الخَوفَ المُفضِيَ إلى المَوتِ، كَما في آيَةٍ أُخرَى: ﴿فَصَعِقَ﴾[8] - والتَّعبِيرُ فيه بِالمَاضِي؛ لِتَحقُّقِ وُقُوعِه - ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: جِبرِيلَ ومِيكائِيلَ وإِسرَافِيلَ ومَلَكَ المَوتِ[9]، وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: هُمُ الشُّهَداءُ[10]؛ إِذْ هُم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[11]. ﴿وَكُلٌّ﴾ - تَنوِينُه عِوَضٌ عَنِ المُضافِ إليه - أي: وَكُلُّهم[12] بَعدَ إِحيائِهم يَومَ القِيامَةِ ﴿أَتَوْهُ﴾ بِصِيغَةِ الفِعلِ واسمِ الفَاعِلِ[13] ﴿دَٰخِرِينَ﴾: صَاغِرِينَ. والتَّعبِيرُ في الإِتيانِ بِالمَاضِي لِتَحقُّقِ وُقُوعِه. [٨٨] ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾: تُبصِرُها وقتَ النَّفخَةِ ﴿[تَحْسِبُهَا]﴾[14]: تَظُنُّها ﴿جَامِدَةً﴾: وَاقِفَةً مَكانَها لِعِظَمِها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: المَطَرِ[15] إِذا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ؛ أي: تَسِيرُ سَيرَه، حتَّى تَقَعَ على الأَرضِ، فتَستَوِي بها مَبسُوسَةً، ثُمَّ تَصِيرُ كَالعِهْنِ، ثُمَّ تَصِيرُ هَباءً مَنثُورًا[16] ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ - مَصدَرٌ مُؤكِّدٌ لِمَضمُونِ الجُملَةِ قَبلَه، أُضِيفَ إلى فَاعِلِه بَعدَ حَذفِ عَامِلِه - أي: صَنَعَ اللهُ ذَلِكَ صُنعًا ﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ﴾: أَحكَمَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ صَنَعه ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا [يَفْعَلُونَ]﴾ بِاليَاءِ، والتَّاءِ[17]، أي: أَعداؤُه مِنَ المَعصِيَةِ، وأَولِياؤُه مِنَ الطَّاعَةِ.

---

(١) العَدلُ مِن مُقتضياتِ حُكمِه عَزَّوَجَلَّ، وحُكمُ الله عَزَّوَجَلَّ كأمرِه: كَونيٌّ وشَرعيٌّ، وكِلاهما يَقتضي القولَ والكَلامَ، على ما يَليقُ بِجَلالِه سبحانه. (٢) التَّسهيلُ لِنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.
(٣) بِالكَسرِ لِنافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. (٤) جُملةُ: (ولا يَبقَى مُنِيبٌ، ولا تَائِبٌ) لَيست في الأَصلِ، وأَثبتناها مِنْ قَباوَة. (٥) كَما عِندَ مُسلِمٍ في الإيمانِ (١٥٨) مِن حَديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «ثَلاثٌ إِذا خَرَجنَ لَا يَنفَعُ نَفسًا إِيمانُها لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبلُ، أَو كَسَبَتْ في إِيمانِها خَيرًا: طُلوعُ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرضِ» رَواهُ مُسلِمٌ (١٥٨). (٦) هود: ٣٦.
(٧) أي: إِدغامِ مِيمِ «أَم» في مِيمِ «ما» الاستِفهامِيَّةِ. وكَلِمةُ: (إِدغام) لَيسَت في نُسخَةِ قَباوَة. (٨) الزمر: ٦٨. (٩) رَوى الطَّبَريُّ (٢٠/ ٢٥٤) بِإِسنادٍ ضَعيفٍ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ فَقِيلَ: مَن هَؤُلاءِ الَّذِينَ استَثنَى اللهُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «جَبرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَمَلَكُ المَوتِ...» الحديث، ولم يَذكُر إِسرَافِيلَ. وعَزاهُ في الدُّرِّ المَنثُورِ (٧/ ٢٥٠) إلى الفِريَابِيِّ وَعَبدِ بنِ حُمَيدٍ وَأَبي نَصرٍ السجزِيِّ فِي الإِبانَةِ وَابنِ مَردَوَيهِ؛ كُلُّهم عَن أَنَسٍ، مَرفُوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ جِبرِيل وَمِيكَائِيل وَملك المَوت وإسرافيل وَحَمَلَةُ العَرشِ» بِزيادَةِ: «إِسرافيل، وحَملة العَرش». وإِسنادُه ضَعيفٌ. (١٠) جاءَ ذَلكَ في حَديثٍ عَزاه في المَطالِبِ العَالِيَةِ (٣٧٠٢) لأَبي يَعلَى، عَن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ جِبرِيلَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَن هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: «مَنِ الَّذِينَ لَم يَشَأْ أَن يُصعِقَهُم؟ قَالَ: هُمُ الشُّهَداءُ المُتَقَلِّدُونَ أَسيافَهُم حَولَ عَرشِ الرَّحمَنِ...» الحديث. وجاءَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مَوقوفًا، وبَيَّنَ الحافظُ صِحَّتَه، وأَنَّ له حُكمَ الرَّفعِ -كما قالَ الشثريُّ في تَحقيقِه على المطالِبِ العَالِيَةِ (١٥/ ١٨٢) -. والمُتَقَلِّدونَ: أي أَسيافُهم في أَعناقِهم مُلازِمَةٌ لهم كَالقِلادَةِ. النهاية (٤/ ٩٩). (١١) آل عِمرانَ: ١٦٩. (١٢) في نُسخَةِ قَباوَة: (كلُّهم) بِدُونِ الوَاوِ. (١٣) فيقرأُ بِمَدِّ الهَمزَةِ وضَمِّ التَّاءِ وسُكُونِ الوَاوِ؛ أي: ﴿ءَاتُوهُ﴾، وهي قِراءَةُ السَّبعَةِ عَدا حفصٍ وحمزةَ. (١٤) ﴿تَحْسِبُهَا﴾؛ بِكَسرِ السِّينِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو والكِسائِيِّ ونافعٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَحْسَبُهَا﴾؛ بِفَتحِ السِّينِ. (١٥) المَطَرِ: أي: ذِي المَطَرِ. (١٦) هذا الذي ذَهَبَ إليه المُفَسِّرُ مِن أَنَّ المُرادَ بِتَسيِيرِ الجِبالِ ما يَقَعُ يومَ القِيامَةِ هو قولُ أَكثَرِ المُفَسِّرِينَ، ورَجَّحَ البعضُ أَنَّ المُرادَ بِذلكَ في الدُّنيا، ويكونُ إِشارَةً إلى دَورانِ الأَرضِ، يَحسَبُها أَهلُها سَاكِنَةً وهي مُتَحَرِّكَةٌ، لأَنَّ قولَه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يُناسِبُ مَقامَ التَّهوِيلِ والتَّخوِيفِ، وكذلكَ قولُه: ﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا يُناسِبُ مَقامَ الإِبادَةِ والإِهلاكِ. ولأَنَّ سيرَ الجِبالِ لِلفَناءِ يومَ القِيامَةِ يَحصُلُ عِندَ إِهلاكِ جَمِيعِ الخَلائِقِ، وهذا لا يَراه أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ، كما أَنَّه إذا رَآه أَحَدٌ شَعَرَ به، فيُحِسُّ بِحَرَكَتِها، وهذا يُنافِي قولَه: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فتكونُ هذه الآيَةُ وما قَبلَها مِن قولِه: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ﴾، اعتِراضًا في سِياقِ الآياتِ الدَّالَّةِ على أَحوالِ الحَشرِ وأَهوالِ يومِ القِيامَةِ. فالله أَعلَمُ بِمُرادِه. (١٧) ﴿يَفْعَلُونَ﴾؛ بِاليَاءِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وهشامٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَفْعَلُونَ﴾؛ بِالتَّاءِ.

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا
مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ
ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

[٨٩] ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ أي: «لَا إِلَه إِلَّا اللهُ» يومَ القِيَامَةِ ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ﴾: ثَوَابٌ ﴿مِّنۡهَا﴾ أي: بِسَبَبِها- وليسَ لِلتَفضِيلِ؛ إِذْ لَا فِعلَ خيرٌ مِنها(١). وفي آيَةٍ أُخرَى: ﴿عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾(٢)- ﴿وَهُم﴾ أي: الجَاءونَ بها ﴿مِّن [فَزَعِ يَوۡمِئِذٍ]﴾ - بِالإِضَافَةِ وكَسرِ الميمِ وفَتحِها، و﴿فَزَعٖ﴾ مُنوَّنًا وفَتحِ الميمِ(٣)- ﴿ءَامِنُونَ﴾.

[٩٠] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشِّرْكِ ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ بِأَنْ وَلِيَتْهَا- وذُكِرَتِ الوُجُوهُ؛ لِأَنَّها مَوضِعُ الشَّرَفِ مِنَ الحَوَاسِّ، فَغيرُها مِن بَابِ أولَى- ويُقَالُ لهم تَبْكِيتًا: ﴿هَلۡ﴾ أي: مَا ﴿تُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جَزاءَ ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ والمعَاصِي؟

[٩١] قُلْ لَهم: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ أي: مَكَّةَ ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾: جَعَلَها حَرَمًا آمِنًا، لا يُسفَكُ فيها دَمُ إِنسَانٍ، ولا يُظلَمُ فيها أحَدٌ، ولا يُصَادُ صَيدُها، ولا يُختَلَى خَلَاها(٤)- وذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ على قُرَيشٍ أَهْلِها، في رَفعِ اللهِ عَنْ بَلَدِهِم العَذَابَ، والفِتَنَ الشَّائِعَةَ، في جَمِيعِ بِلَادِ العَرَبِ- ﴿وَلَهُۥ﴾ -تَعَالَى- ﴿كُلُّ شَيۡءٖۖ﴾ فهُو رَبُّهُ وخَالِقُه ومَالِكُه ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ للهِ بتَوحِيدِه.

[٩٢] ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾ عَلَيكُم تِلَاوَةَ الدَّعوَةِ إِلى الإِيمَانِ ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ له ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي: لِأَجْلِها، فَإِنَّ(٥) ثَوَابَ اهتِدَائِه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عَنِ الإِيمَانِ وأخطَأَ طَرِيقَ الهُدَى ﴿فَقُلۡ﴾ له: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾: المُخَوِّفِينَ، فلَيسَ عليَّ إِلَّا التَّبلِيغُ. وهذا قَبلَ الأَمْرِ بِالقِتَالِ.

[٩٣] ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ فأَرَاهُم اللهُ يومَ بَدْرٍ القَتْلَ والسَّبْيَ، وضَرْبَ المَلَائِكَةِ وُجُوهَهُم وأَدبَارَهُم، وعَجَّلَهُمُ اللهُ إِلى النَّارِ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا [يَعۡمَلُونَ]﴾ بِاليَاءِ والتَّاءِ(٦)، وإِنَّما يُمهِلُهُم لِوَقتِهِم.

سُورَةُ القَصَصِ

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الآيَةَ، نَزَلَتْ بِالجُحفَةِ(٧)، وإِلَّا:
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إِلى: ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾، وهي: سَبْعٌ، أَو: ثَمانٍ وثَمانُونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ اللهُ أَعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ.

[٢] ﴿تِلۡكَ﴾ أي: هَذِه الآيَاتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ - الإِضَافَةُ بِمَعنَى: «مِن»- ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾: المُظهِرِ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ.

[٣] ﴿نَتۡلُواْ﴾: نَقُصُّ ﴿عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ﴾: خَبَرِ ﴿مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ﴾: الصِّدْقِ ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: لِأَجلِهِم؛ لِأَنَّهم المُنتَفِعُونَ به.

[٤] ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا﴾: تَعَظَّمَ(٨) ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضِ مِصرَ ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾: فِرَقًا في خِدمَتِه ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ هُم بَنُو إِسرَائِيلَ ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ المَولُودِينَ ﴿وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾: يَستَبقِيهِنَّ أَحيَاءً؛ لِقَولِ بَعضِ الكَهَنَةِ له: «إِنَّ مَولُودًا يُولَدُ في بَنِي إِسرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ زَوَالِ(٩) مُلكِكَ»(١٠) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ بِالقَتلِ وغَيرِه.

[٥] ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإِبدَالِ الثَّانِيَةِ يَاءً(١١) -: يُقتَدَى بِهِم في الخَيرِ ﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ مُلْكَ فِرعَونَ.

---

(١) وهذا التفسيرُ منقولٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، كما في الطبريِّ (١٨/ ١٤٣) عنه قالَ في تَفسيرِها: «فَمِنهَا وَصَلَ إِلَيْهِ الخَيْرُ». وهذا قولُ كثيرٍ مِنَ المُفسِّرينَ، وقِيلَ: بل هي لِلتَفضِيلِ، والمُرادُ ثوابُ الله ورِضوانُه خيرٌ مِن عَمَلِ العَبدِ وقولِه وذِكرِه. ذلكَ أَنَّ بعضَ المُفسِّرينَ رَجَّحَ أنَّ المرادَ بالحسنةِ هُنا يَعُمُّ جميعَ الحَسَنَاتِ؛ قَوليَّةً أو فِعليَّةً أو قَلبيَّةً، وهو هنا لِأقلِّ التَّفضِيلِ، فقدْ بيَّنَ -سُبْحَانَهُ- في سُورةِ «الأنعام» أنَّ له عَشرَ أَمثالِها.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) ﴿فَزَعِ يَوۡمِئِذٍ﴾؛ بالإِضافةِ مع كَسرِ الميمِ: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. ومَع فَتحِها: ﴿فَزَعِ يَوۡمَئِذٍ﴾: قِراءةُ نافعٍ، وقَرأَ الباقونَ مُنوَّنًا وفَتحِ الميمِ ﴿فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ﴾.

(٤) أي لا يُقطَعُ حَشِيشُها الرَّطِبُ.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (لِأَنَّ).

(٦) بالياءِ: قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وشُعبةَ. وقَرأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾؛ بالتَّاءِ.

(٧) رَوَى ابنُ أبي حَاتِمٍ (٩/ ٣٠٢٦) عَنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: «لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ فَبَلَغَ الجُحْفَةَ اشْتَاقَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ القُرْآنَ؛ ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ إِلَى مَكَّةَ». وضعَّفه في الاستيعاب (٣/ ٤٠).

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (تكبَّرَ). (٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ذهاب). (١٠) رَواهُ عبدُ الرزَّاقِ في تَفسيرِه (٢١٩٠) وابنُ أبي حَاتمٍ (١٦٦٧٣) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾؛ قال: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ حَازِيًا حَزَى لِفِرْعَوْنَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ يُولَدُ فِي هَذَا العَامِ غُلَامٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَسْلُبُكَ مُلْكَكَ؛ فَتَتَبَّعَ أَبْنَاءَهُمْ ذَلِكَ العَامَ، فَيُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ حَذَرًا مِمَّا قَالَ لَهُ الحَازِي». قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: «الحَازِي: المُنَجِّمُ». (١١) قرأَ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو بالتسهيلِ بَينَ بَينَ، وذَهبَ بعضُ أهلِ الأداءِ إلى إبدالِ الهمزةِ الثانيةِ ياءً خالِصةً، وهَكذا في جميعِ المَواضِعِ التي وَرَدَتْ فيها الكلمةُ وهي خمسةٌ. وراجعِ التعليقَ على الآيةِ (٧٣) مِن سُورةِ الأنبياءِ.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ٦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٧
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ
أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٠ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
١١ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ
١٢ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣

نصف الحزب ٣٩

[٦] ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصرَ والشَّامِ ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ - وفي قِراءَةٍ: ﴿وَيَرَى﴾ بِفَتحِ التَّحتانِيَّةِ والرَّاءِ ورَفعِ الأَسماءِ الثَّلاثَةِ[1]- ﴿مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾: يَخافُونَ، مِنَ المَولُودِ الذي يَذهَبُ مُلكُهُمْ على يَدَيهِ[2].

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ وَحيَ إِلهامٍ، أو: مَنامٍ ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ - وهُو المَولُودُ المَذكُورُ، ولَمْ يَشعُرْ بِوِلادَتِه غيرُ أُختِهِ- ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾: البَحْرِ؛ أي: النِّيلِ ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غَرَقَهُ ﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ لِفِراقِه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فأَرضَعَتْه ثَلاثَةَ أَشهُرٍ لا يَبكِي، وخَافَتْ عليه فَوَضَعَتْهُ في تابُوتٍ مَطلِيٍّ بِالقارِ مِنْ دَاخِلٍ، مُمَهَّدٍ له فيه، وأَغلَقَته، وأَلقَتهُ في بَحرِ النِّيلِ لَيلًا[3].

[٨] ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ بِالتَّابُوتِ صَبِيحَةَ اللَّيلِ ﴿ءَالُ﴾: أعوانُ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فَوَضَعُوه بَينَ يَدَيه، وفُتِحَ وأُخرِجَ مُوسَى منه، وهو يَمُصُّ مِنْ إِبهامِه لَبَنًا[4] ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عَاقِبَةِ الأَمْرِ[5] ﴿عَدُوًّا﴾ يَقتُلُ رِجالَهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يَستَعبِدَ نِساءَهم. وفي قِراءَةٍ: بِضَمِّ الحاءِ وسُكُونِ الزَّايِ[6]، لُغَتانِ في المَصدَرِ. وهو هنا بِمَعنَى اسمِ الفَاعِلِ مِنْ: حَزَنَه كـ«أَحزَنَه» ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾: وَزِيرَه ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ - مِنَ الخَطِيئَةِ- أي: عَاصِينَ؛ فعُوقِبُوا على يَدَيهِ[7].

[٩] ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقَدْ هَمَّ مع أعوانِه بِقَتلِه: هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ فأَطَاعُوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِعاقِبَةِ أَمْرِهِم معه.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لَمَّا عَلِمَتْ بِالتِقَاطِه ﴿فَٰرِغًا﴾ مِمَّا سِواهُ ﴿إِن﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ واسمُها مَحذُوفٌ- أي: إِنَّها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ أي: بِأَنَّه ابنُها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بِالصَّبرِ، أي: سَكَّنَّاهُ ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المُصَدِّقِينَ بِوَعدِ الله. وجَوابُ ﴿لَوْلَآ﴾ دَلَّ عليه ما قَبلَها[8].

[١١] ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مَريَمَ[9]: ﴿قُصِّيهِ﴾: اتَّبِعِي أَثَرَهُ حتَّى تَعلَمِي خَبَرَهُ ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾: أَبصَرَتْهُ ﴿عَن جُنُبٍ﴾: مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ اختِلاسًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنَّها أُختُهُ وأَنَّها تَرقُبُهُ.

[١٢] ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِ رَدِّهِ إلى أُمِّه؛ أي: مَنَعْنَاهُ مِن قَبُولِ ثَديِ مُرضِعَةٍ غيرِ أُمِّهِ؛ فلَمْ يَقبَلْ ثَديَ وَاحِدَةٍ مِنَ المَراضِعِ المُحضَرَةِ ﴿فَقَالَتْ﴾ أُختُهُ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لَمَّا رَأَتْ حُنُوَّهُم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ بِالإِرضَاعِ وغَيرِه ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾؟ وفَسَّرت ضَمِيرَ: ﴿لَهُۥ﴾ بِالمَلِكِ، جَوابًا لَهُم[10]. فأُجِيبَتْ، فَجَاءَتْ بِأُمِّهِ؛ فقَبِلَ ثَديَها. وأَجابَتْهُم عَن قَبُولِه بِأَنَّها طَيِّبَةُ الرِّيحِ طَيِّبَةُ اللَّبَنِ؛ فأُذِنَ لَها في إِرضَاعِه في بَيتِها؛ فَرَجَعتْ به، كَما قال تَعالَى: [١٣] ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بِلِقَائِهِ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حِينَئِذٍ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِرَدِّهِ إِليها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: النَّاسِ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بِهذا الوَعدِ، ولا بِأَنَّ هذه أُختُهُ وهَذِه أُمُّهُ. فمَكَثَ عِندَها إلى أَنْ فَطَمَتْهُ، وأُجرِيَ عليها أُجرَتُها لِكُلِّ يومٍ دِينَارٌ، وأَخَذَتْها لِأَنَّها مَالُ حَربِيٍّ[11]. فأَتَتْ به فِرعَونَ فتَرَبَّى عندَه، كَما قال تَعالَى، حِكَايَةً عنه، في سُورَةِ «الشُّعَراءِ»: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[12]؟

---

(١) أي: ﴿وَيَرَى فِرْعَوْنُ وَهَٰمَٰنُ وَجُنُودُهُمَا﴾ وهي قِرَاءةُ: حمزةَ والكِسَائِيِّ.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (يده).

(٣) لم نَجِدْ شيئًا مُسنَدًا يُعوَّلُ عليه في سَردِ هذه التفاصيلِ، التي لا كَبيرَ فائدةٍ في الاشتغالِ بها مِن غَيرِ دَليلٍ صَحيحٍ.

(٤) هذه التفاصيلُ لا فائدةَ مِنْ ذِكرِها، ولا دليلَ عليها؛ فالأولَى أن يُصانَ التفسيرُ عنها.

(٥) قال ابنُ القَيِّمِ في بدائعِ الفوائد (١/ ١٠٠): «وسَمِعتُ شيخَنا أبا العبَّاسِ بنَ تيميةَ يقولُ: يَستحيلُ دُخولُ لامِ العَاقِبَةِ في فِعلِ الله؛ فإنَّها حيثُ وَرَدَت في الكلامِ فهي لِجَهلِ الفَاعِلِ لِعاقِبَةِ فِعلِه؛ كالتِقاطِ آلِ فِرعَونَ لِموسَى؛ فإنَّهم لَم يَعلَمُوا عاقِبَتَه. أو لِعَجزِ الفَاعِلِ عَن دَفعِ العَاقِبَةِ نحو: لِدُوا لِلمَوتِ وابنُوا للخَرَابِ. فأَمَّا في فِعلِ مَن لا يَعزبُ عنه مِثقالُ ذَرَّةٍ، ومَنْ هو عَلى كُلِّ شَيءٍ قديرٌ؛ فلا يكونُ قطُّ إلَّا لامَ كَي، وهي لامَ التَّعليلِ». وقالَ ابنُ كثيرٍ في تَفسِيرِه (٦/ ٢٠٠): «قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ: اللَّامُ هُنَا لَامُ الْعَاقِبَةِ، لَا لَامُ التَّعْلِيلِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا بِالْتِقَاطِهِ ذَلِكَ. وَلَا شَكَّ أَنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ يَقْتَضِي مَا قَالُوهُ، وَلَكِنْ إِذَا نُظِرَ إِلَى مَعْنَى السِّيَاقِ، فَإِنَّهُ تَبْقَى اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الله تَعَالَى قَيَّضَهُمْ لِالْتِقَاطِهِ لِيجعله عدوًّا لهم وَحَزَنًا، فَيَكُونَ أَبْلَغَ فِي إِبْطَالِ حَذَرِهِمْ مِنْهُ».

(٦) ﴿وَحُزْنًا﴾: قِرَاءةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (يده).

(٨) أي: لَولا أنْ ربَطْنا على قَلبِها لَكَادَتْ تُبْدِي به.

(٩) قاله مُقاتِلٌ في تَفسيرِه (٣/ ٢٧).

(١٠) صنيعُ المُصنِّفِ يُشِيرُ إلى ما رَواهُ ابنُ أبي حاتِمٍ (١٦٧٣٥) بِسَنَدٍ حَسَنٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّها لَمَّا قالت ذلكَ أَخَذُوها وشَكُّوا في أمرِها، وقَالُوا لها: ومَا يُدرِيكِ نُصحَهم له وشَفَقَتَهم عليه؟ فقالَت: إنَّما أَرَدتُ: وهُم للمَلِكِ نَاصِحُونَ، فخَلَصَت بِذَلكَ مِنَ الشَّرِّ. ولا يمتنعُ أنْ يكونَ قولُها: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ أي لِلطِفلِ؛ فلا يُقصِّرُونَ في خِدمَتِه وتَربِيَتِه.

(١١) نَسبَه النَّسَفِيُّ (٢/ ٦٣٢) لِلسُّدِّيّ. وأخرجَ أبو دَاودَ في مَرَاسِيلِه (٣٣٢)، والبيهقيُّ في سُنَنِه (١٣٨٧٩) عَنْ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ مُرسلًا: «مَثَلُ الَّذِينَ يَغْزُونَ مِنْ أُمَّتِي وَيَأْخُذُونَ الْجُعْلَ، يَتَقَوَّوْنَ بِهِ عَلَى عَدُوِّهِمْ، مَثَلُ أُمِّ مُوسَى؛ تُرْضِعُ وَلَدَهَا، وَتَأْخُذُ أَجْرَهَا». وضعَّفه الألبانيُّ في ضعيفِ الجامع (١٢٠٢٢). والجُعْلُ: هو الأُجرةُ على الشيءِ فِعلًا أو قَولًا.

(١٢) الشُّعراء: ١٨.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ
فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ
إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ
﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ - وهو: ثلاثون سَنَةً، أو: وَثَلَاثٌ- ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي[١]: بَلَغَ أربعِينَ سَنَةً[٢] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حِكْمَةً ﴿وَعِلْمًا﴾: فِقْهًا في الدِّينِ، قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيًّا[٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كَمَا جَزَيْنَاه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لِأَنفُسِهِم.

[١٥] ﴿وَدَخَلَ﴾ مُوسَى ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾: مَدِينَةَ فِرعَونَ- وهي: «مَنْفُ»- بَعدَ أَنْ غَابَ عنه مُدَّةً ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: وَقتَ القَيلُولَةِ[٤] ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: إِسرَائِيلِيٌّ[٥] ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: قِبْطِيٌّ، يُسَخِّرُ الإِسرَائِيلِيَّ، لِيَحمِلَ حَطَبًا إِلَى مَطبَخِ فِرعَونَ[٦] ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فقَالَ له مُوسَى: خَلِّ سَبِيلَهُ. فَقِيلَ: إِنَّه قالَ لِمُوسَى: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَحْمِلَهُ عَلَيْكَ»[٧] ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضَرَبَه بِجُمْعِ كَفِّهِ[٨]- وكَانَ شَدِيدَ القُوَّةِ والبَطْشِ- ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قَتَلَه، ولَمْ يَكُنْ قَصَدَ قَتْلَه[٩]، ودَفَنَه في الرَّمْلِ ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ أَي: قَتْلُهُ ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ المُهَيِّجِ غَضَبِي ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لابنِ آدَمَ ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإِضلَالِ.

[١٦] ﴿قَالَ﴾ نَادِمًا: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بِقَتْلِه ﴿فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَيِ: المُتَّصِفُ بهما أَزَلًا وَأَبَدًا[١٠].

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾ وأثبتناها مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة بِحَقِّ إِنعَامِكَ[١١] ﴿عَلَىَّ﴾ بِالمَغفِرَةِ، اعصِمْنِي ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: عَونًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ بَعدَ هَذه[١٢]، إِنْ عَصَمْتَنِي.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: يَنتَظِرُ مَا يَنالُه مِنْ جِهَةِ القَتِيلِ ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾: يَستَغِيثُ به عَلَى قِبْطِيٍّ آخَرَ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الغَوايَةِ، لِمَا فَعَلتَه أمسِ واليَومَ.

[١٩] ﴿فَلَمَّآ أَنْ﴾: زَائِدَةٌ ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: لِمُوسَى والمُستَغِيثِ به ﴿قَالَ﴾ المُستَغِيثُ ظَانًّا أَنَّه يَبطِشُ بِه؛ لِمَا قَالَ له: [﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾][١٣]: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن﴾: مَا ﴿تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ فَسَمِعَ القِبطِيُّ ذلكَ؛ فعَلِمَ أَنَّ القَاتِلَ مُوسَى، فانطَلَقَ إِلَى فِرعَونَ فأَخبَرَه بِذلِكَ؛ فأَمَرَ فِرعَونُ الذَّبَّاحِينَ بِقَتلِ مُوسَى، فأَخَذُوا في الطَّرِيقِ إِلَيه[١٤].

[٢٠] ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ هو مُؤمِنُ آلِ فِرعَونَ ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾: آخِرِها ﴿يَسْعَىٰ﴾: يُسرِعُ في مَشيِه مِنْ طَرِيقٍ أَقرَبَ مِنْ طَرِيقِهِم ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ مِنْ قَومِ فِرعَونَ ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: يَتَشَاوَرُونَ فيكَ ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ مِنَ المَدِينَةِ ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في الأَمرِ بالخُرُوجِ.

[٢١] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لُحُوقَ طَالِبٍ، أو غَوثَ اللهِ إِيَّاهُ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قَومِ فِرعَونَ.

---

(١) كلمةُ: (أي) لَيستْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآية (٤٠) من سورة «طه». والأظهرُ أَنَّ بُلوغَ الأَشُدِّ مَعَ الاستواءِ إِشارةٌ إِلى عُمُرٍ وَاحِدٍ، لا عُمُرَينِ، كما ذهبَ إليه المُفَسِّرُ، وأَمَّا تحديدُه بِعُمرٍ مُعيَّنٍ فالغَالِبُ أَنْ يَكونَ ذلك في نحوِ الأربعينَ، حيثُ كَمالُ القُوَّةِ واعتدالُ المِزاجِ، وهما بُلوغُ الأَشُدِّ والاستِواءِ. يُنظرُ: تفسيرُ السعديِّ (ص٦١٣)، روحُ المعاني (١٠/ ٢٦١)، مفاتيحُ الغيب (٢٤/ ٥٨٣).

(٣) وقيلَ: المُرادُ بِالعِلْمِ أو بِالحُكمِ والعِلْمِ النُّبوَّةُ، وهذا يتناسبُ مع قولِه: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ فقد فَسَّرَها -أَيِ النِّعمةَ- هنا بِالمَغفِرةِ، ولا عِلمَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذلكَ إِلَّا بِالوَحيِ. وأَمَّا القتلُ فَوَقَعَ منه على سَبيلِ الخَطَإِ، وأَمَّا استغفارُه فوَجهُه- واللهُ أعلم- أَنَّ سببَ خَطئِه عَلَيْهِ السَّلَامُ هو شِدَّةُ الغَضَبِ والتَّعجُّلِ في الانتِقامِ، ولا يَليقُ هذا بِمَكانَتِه كَنَبِيٍّ. وقِيلَ: وَجهُ استِغفارِه أَنَّه لَمْ يَكُنْ لِنَبِيٍّ أَنْ يَقتُلَ حتَّى يُؤمَرَ. ويُنظرُ: تفسيرُ رُوحِ المعاني (١٠/ ٢٦٢)، مفاتيح الغيب (٢٤/ ٥٨٤)، جامع البيان (١٩/ ٥٣٦)، الكشاف (٣/ ٣٩٧).

(٤) رَوَى ابنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٦٧٦١)، وابنُ جرير (١٨/ ١٨٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: نِصفَ النَّهارِ. ورَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨/ ١٨٥) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ قَتَادَةَ، قولَه.

(٥) رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٦٧٦١) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾: «إِسْرَائِيلِيٌّ» ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: «قِبْطِيٌّ». ورَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨/ ١٨٨) بِسَنَدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ قَالَ: «مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ مِنْ فَارِسَ مِنْ إِصْطَخْرَ».

(٦) رَوَى ابنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٦٧٦٩) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «الَّذِي وَكَزَهُ مُوسَى كَانَ خَبَّازًا لِفِرْعَوْنَ».

(٧) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨/ ١٨٦) عن سعيدِ بن جُبَيرٍ. أي: إِنَّه هَمَّ أن يَحمِلَ الحَطَبَ على مُوسَى.

(٨) رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ (١٨/ ١٨٩) عَنْ مُجَاهِدٍ. وجُمْعُ كَفِّه: أي: بِضَمِّ الجِيمِ؛ وهو: أَنْ تُجمَعَ الأَصَابِعُ إِلى بَاطِنِ الكَفِّ.

(٩) أخرجَ مُسلِمٌ في صَحِيحِه (٢٩٠٥) مِنْ حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ قالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ المَشْرِقِ «مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ، وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ، مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، خَطَأً، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]».

(١٠) وهي كَذلكَ مِن صِفَاتِ الأَفعَالِ التي تَحصُلُ عِندَ مُوجِبِها.

(١١) فالباءُ عندَه لِلقَسَمِ. واختارَ غيرُه أَنَّ المُرادَ: بِسَبَبِ ما أنعمتَ به عَلَيَّ؛ فالباءُ حِينَئِذٍ سَبَبِيَّةٌ. قال الشوكانيُّ (٤/ ١٨٩): «هَذِهِ الْبَاءُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بَاءَ الْقَسَمِ، وَالْجَوَابُ مُقَدَّرٌ، أي: أُقْسِمُ بِإِنْعَامِكَ عَلَيَّ لَأَتُوبَنَّ، وَتَكُونُ جُمْلَةُ: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ كَالتَّفْسِيرِ لِلْجَوَابِ، وَكَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ، أَنْ لَا يُظَاهِرَ مُجْرِمًا. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هذه الباءُ هي باءَ السَّبَبِيَّةِ بِمَحْذُوفٍ، أي: اعْصِمْنِي بِسَبَبِ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ مُتَرَتِّبًا عَلَيْهِ، وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ اسْتِعْطَافٌ لله تَعَالَى، وتَوَصُّلٌ إِلى إِنعَامِه بإِنعَامِه».

(١٢) فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (هذا). (١٣) جُملَةُ: (﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾) سَقَطتْ مِنَ الأَصلِ، وأَثبَتناها مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة. (١٤) ذكرَه ابنُ جرير (١٨/ ١٩٨) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ
مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾: قَصَدَ بِوَجهِهِ ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾: جِهَتَها- وهي: قَريَةُ شُعَيبٍ(١)، مَسِيرَةَ ثَمانِيَةِ أَيَّامٍ مِنْ مِصرَ، سُمِّيت بـ«مَدْيَنَ بنِ إبراهِيمَ»- ولَمْ يَكُنْ يَعرِفُ طَرِيقَها ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: قَصْدَ الطَّرِيقِ؛ أي: الطَّرِيقِ الوَسَطِ إِلَيها. فأَرسَلَ الله له مَلَكًا بِيَدِه عَنَزَةٌ، فانطَلَقَ به إِلَيها(٢).

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾: بِئرٌ فيها؛ أي: وَصَلَ إِليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾: جَماعَةً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مَواشِيَهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: سِواهُمُ ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تَمنَعانِ أَغنامَهُما عَنِ المَاءِ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شَأنُكُما لا تَسقِيانِ؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ [يَصْدُرَ] ٱلرِّعَآءُ﴾: جَمعُ رَاعٍ؛ أي: يَرْجِعُوا مِنْ سَقْيِهم، خَوفَ الزِّحَامِ؛ فنَسقِي- وفي قِراءَةٍ(٣): ﴿يُصْدِرَ﴾ مِنَ الرُّبَاعِي؛ أي: يَصرِفُوا مَواشِيَهم عَنِ المَاءِ- ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسقِيَ.[٢٤] ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ مِنْ بِئرٍ أُخرَى بِقُرْبِها، رَفَعَ حَجَرًا عنها، لَا يَرفَعُه إِلَّا عَشَرَةُ أَنفُسٍ(٤) ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾: انصَرَفَ ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ لِسَمُرَةٍ(٥)، مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمسِ، وهُو جَائِعٌ ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾: طَعَامٍ ﴿فَقِيرٌ﴾: مُحتاجٌ.

فَرَجَعَتا إِلى أَبِيهِما في زَمَنٍ أَقَلَّ مِمَّا كَانَتْ تَرجِعَانِ فيه(٦)، فَسَأَلَهُما عَنْ ذلكَ، فأَخبَرَتَاهُ بِمَنْ سَقَى لهما، فَقَالَ لِإِحداهُما: «ادْعِيه لي». قالَ تَعالَى:

[٢٥] ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي: وَاضِعَةً كُمَّ دِرْعِهَا عَلى وَجْهِها حَياءً منه(٧) ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فَأَجابَها مُنْكِرًا في نَفسِهِ أَخْذَ الأُجرَةِ، كَأَنَّها(٨) قَصَدَتِ المُكافَأَةَ، إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُرِيدُها، فَمَشَتْ بَينَ يَدَيه، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَضرِبُ ثَوبَها فَتكشِفَ سَاقَيْها(٩)؛ فقَالَ لها: امْشِي خَلْفِي ودُلِّينِي عَلى الطَّرِيقِ. ففَعَلَتْ إِلى أَنْ جاءَ أَبَاهَا؛ وهو: شُعَيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ(١٠)، وعِندَه عَشاءٌ، فقَالَ: اجلِسْ فتَعَشَّ. قالَ: أَخافُ(١١) أَنْ يَكُونَ عِوَضًا مِمَّا سَقَيتُ لَهُما، وإِنَّا أَهلَ بَيْتٍ لا نَطلُبُ على عَمَلِ خَيرٍ عِوَضًا. قالَ: لَا، عَادَتِي وعَادَةُ آبائِي، نُقْرِي الضَّيفَ، وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ. فأَكَلَ وأَخبَرَه بِحَالِه(١٢). قالَ تَعالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾: مَصْدَرٌ بِمَعنَى: المَقْصُوصَ؛ مِنْ قَتْلِهِ القِبْطِيَّ، وقَصْدِهم قَتْلَهُ، وخَوفِه مِنْ فِرعَونَ ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إِذْ لَا سُلطَانَ لِفِرعَونَ عَلى مَدْيَنَ.

[٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي المُرسَلَةُ الكُبْرَى(١٣) أَوِ الصُّغْرَى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾: اتَّخِذْهُ أَجِيرًا يَرعَى غَنَمَنا، أي: بَدَلَنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أي: استأجِرْه لِقُوَّتِه وأَمانَتِه. فَسَأَلَها عَنهما، فأَخبَرَته بِمَا تَقَدَّمَ، مِنْ رَفْعِه حَجَرَ البِئرِ، ومِن قَولِه لها: «امشِي خَلفِي»(١٤)، وزِيادَةَ أَنَّها لَمَّا جاءَته وعَلِمَ بها صَوَّبَ رَأسَه فَلَم يَرفَعْه. فرَغِبَ في إِنكاحِه.

[٢٧](١٥) ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾ وهِيَ الكُبْرَى أَوِ الصُّغْرَى ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾: تَكُونَ أَجِيرًا لي في رَعْيِ غَنَمِي ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ أي: سِنِينَ ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رَعْيَ عَشْرِ سِنِينَ ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ التَّمَامُ ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بِاشتِرَاطِ العَشْرِ ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ - لِلتَّبَرُّكِ(١٦)- ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الوَافِينَ بِالعَهدِ.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قُلتَهُ ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ الثَّمانَ أَوِ العَشْرَ- و«ما»: زَائِدَةٌ- أي: رَعْيَه ﴿قَضَيْتُ﴾ به(١٧)؛ أي: فَرَغتُ منه ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ بِطَلَبِ الزِّيادَةِ عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أَنا وأَنتَ ﴿وَكِيلٌ﴾: حَفِيظٌ أَو شَهِيدٌ. فتَمَّ العَقدُ بِذلكَ، وأَمَرَ شُعَيبٌ ابنَتَه أَنْ تُعطِيَ مُوسَى عَصًا يَدْفَعُ بها السِّبَاعَ عَنْ غَنَمِه- وكَانَت عِصِيُّ الأَنبِيَاءِ عِندَه- فَوَقَعَ في يَدِها عَصَا آدَمَ مِنْ آسِ الجَنَّةِ، فأَخَذَها مُوسَى بِعِلْمِ شُعَيبٍ(١٨).

---

(١) رَوى الطَّبَرِيُّ (١٨/ ٢٠٤)، وابنُ أَبي حَاتِمٍ (١٦٨٠٣) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ قَتَادَةَ، قال: «وَمَدْيَنُ مَاءٌ كَانَ عَلَيْهِ قَوْمُ شُعَيْبٍ». (٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فأَرسلَ اللهُ إِليه). وخَبَرُ إِرسَالِ المَلَكِ إِلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَدُلَّه على الطَّرِيقِ، رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ عَنِ السُّدِّيِّ الصَّغِيرِ وهُو كَذَّابٌ. والغَالِبُ أَنَّ هذه التفاصِيلَ مِنَ الإِسرَائِيلِيَّاتِ. (٣) والقِرَاءَةُ المذكُورةُ أَوَّلًا لأَبي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُصْدِرَ﴾. (٤) رَوى ابنُ أَبي حَاتِمٍ (١٦٨٢٧) عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغُوا أَعَادُوا الصَّخْرَةَ عَلَى البِئْرِ، ولا يُطِيقُ رَفْعَها إِلَّا عَشَرَةُ رِجَالٍ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ: مَا خَطْبُكُمَا؟ فَحَدَّثَتَاهُ، فَأَتَى الحَجَرَ فَرَفَعَهُ. وصَحَّحَ إِسنَادَه ابنُ كَثِيرٍ (٦/ ٢٢٧). وفي هذا الأَثرِ أَنَّها نَفسُ البِئرِ ولَيسَتْ أُخرَى.

(٥) وهي شَجرةٌ مُرتَفِعةٌ لِيَستَظِلَّ بها. (٦) رَوى الطَّبَرِيُّ (١٨/ ٢٢٠) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قال: «اسْتَنْكَرَ أَبُو الجَارِيَتَيْنِ سُرْعَةَ صُدُورِهِمَا بِغَنَمِهِمَا حُفَّلًا بِطَانًا، فَقَالَ: إِنَّ لَكُمَا اليَوْمَ لَشَأْنًا».

(٧) رَوَاهُ ابنُ أَبي حَاتِمٍ (١٦٨٣٢) عَنْ عُمَرَ، قَالَ: «جَاءَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، قَائِلَةً بِثَوْبِها عَلَى وَجْهِهَا، لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ خَرَّاجَةٍ وَلَّاجَةٍ». وصَحَّحَ إِسنَادَه ابنُ كَثِيرٍ. السَّلْفَعُ: السَّلِيطةُ الجَرِيئَةُ. خَرَّاجَةٍ وَلَّاجَةٍ: كَثِيرةِ الدخولِ، كَثِيرةِ الخُروجِ. (٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وكأَنَّها)؛ بِزِيادَةِ وَاوٍ. (٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (سَاقَها). (١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (عليه الصَّلاةُ والسلامُ). وفي الجَزمِ بِأَنَّه شُعَيبٌ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَظَرٌ؛ وقد اختلَفَ أَهلُ التفسيرِ في ذلكَ على أَقوالٍ، والأَرجَحُ - ومَالَ إِليه ابنُ كَثِيرٍ- كونُه غَيرَه؛ لِأَنَّ شُعَيبًا النَّبِيَّ كان قبلَ مُوسَى بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ تَزِيدُ عَلى أَربَعِمائَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ يَبعُدُ أَنْ يَترُكَ قَومُهُ المُؤمنونَ به بَناتِه يَعْمَلنَ ويَسْقِينَ ولا يَقُومُوا عَنهُنَّ بذلكَ، واللهُ أَعلمُ. (١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (إِنِّي أَخافُ). (١٢) هذه التفاصِيلُ ونَحوُها مِمَّا ذَكَرَه المُفَسِّرُ مِن كَيفِيَّةِ سَقْيِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهما لا دَلِيلَ عليها، وإِنَّما يَتَساهلُ المُفَسِّرُ رَحِمَهُ اللَّهُ في الاعتِمادِ على الإِسرَائِيلِيَّاتِ، وقد سَبَقَ التَّعلِيقُ على ذلكَ. (١٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (والكبرى)؛ بِزِيادَةِ الوَاوِ. (١٤) رَوَاهُ ابنُ أَبي حَاتِمٍ (١٦٨٤٩)، وغيرُه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. وأَخرجَ نَحوَه الحاكمُ في مُستَدرَكِه (٢/ ٤٤١) عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وقالَ: صحيحٌ على شرطِ الشيخَينِ ولَم يُخَرِّجَاه. ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ.

(١٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: زِيادَةُ (ف) في هذا الموضعِ. (١٦) قالَ المُصَنِّفُ ذلكَ بناءً على اختيارِه أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ هو شُعَيبٌ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فيكونُ صَلاحُه مُحَقَّقًا. وسَبَقَ بَيانُ الرَّاجِحِ في ذلكَ، وأَنَّه غَيرُه. (١٧) ﴿قَضَيْتُ﴾: أي: أَتمَمتُ وأَمضَيتُ. وتَفسيرُ المَحَلِّيِّ له بِقَولِه: «به» لا يُناسِبُ نَصبَ «أَيَّ» في قولِه: ﴿أَيَّمَا﴾، وهو يُناسِبُ قِراءَةَ «أَيُّما». المفصل (ص١٤١٧).

(١٨) عَزاهُ الماوَرديُّ (٢/ ٢٤٦) بِدُونِ إِسنادٍ لابنِ عَبَّاسٍ؛ قال: «العَصَا أَوَّلُ آياتِ مُوسَى، وكَانَتْ مِنْ آسِ الجَنَّةِ». وسَبَقَ بَيانُ أَنَّ أَبا المرأتَينِ لَيسَ شُعَيبًا النَّبِيَّ على الرَّاجِحِ.

الحزب ٣٩

* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٩] ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ أي: رَعْيَه- وهو: ثَمانُ أو عَشْرُ سِنِينَ، وهو المَظنُونُ به- ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: زَوجَتِه، بإذْنِ أَبِيها نَحوَ مِصْرَ ﴿ءَانَسَ﴾: أَبْصَرَ مِنْ بَعِيدٍ ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: اسمُ جَبَلٍ ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ هُنا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عَنِ الطَّرِيقِ- وكَانَ قَدْ أَخْطَأَهَا- ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بِتَثْلِيثِ الجِيمِ(١): قِطعَةٍ وشُعْلَةٍ ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تَستَدفِئُونَ- والطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الافتِعَالِ، مِنْ: صَلِيَ بِالنَّارِ؛ بِكَسرِ اللَّامِ وفَتحِها-.

[٣٠] ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾: جَانِبِ ﴿ٱلْوَادِ(٢) ٱلْأَيْمَنِ﴾ لِمُوسَى(٣) ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ ﴾ لِمُوسَى؛ لِسَمَاعِه كَلَامَ اللهِ فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿شَٰطِيِٕ﴾ بِإعَادَةِ الجَارِّ، لِنَبَاتِها فيه- وهي: شَجرةُ عُنَّابٍ أو عُلَّيقٍ أو عَوسَجٍ(٤) ﴿أَن﴾ - مُفسِّرَةٌ، لا مُخَفَّفَةٌ(٥)- ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[٣١] ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فَأَلقَاهَا ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تَتَحَرَّكُ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ - وهِيَ الحَيَّةُ الصَّغِيرَةُ- مِنْ سُرعَةِ حَرَكَتِها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: هَارِبًا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أَي: يَرجِعْ؛ فنُودِيَ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ ﴾.

[٣٢] ﴿ ٱسْلُكْ ﴾: أَدخِلْ ﴿يَدَكَ﴾ اليُمنَى؛ بِمَعنَى: الكَفَّ ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طَوقُ القَمِيصِ، وأَخْرِجْها ﴿تَخْرُجْ﴾ خِلَافَ مَا كَانَتْ عليه مِنَ الأُدْمَةِ(٦) ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: بَرَصٍ- فأَدْخَلَها وأخرَجَها تُضِيءُ كَشُعَاعِ الشَّمسِ تُعْشِي(٧) البَصَرَ- ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ [ٱلرَّهَبِ]﴾ - بِفَتحِ الحَرفَينِ، وسُكُونِ الثَّانِي مَعَ فَتحِ الأَوَّلِ وضَمِّه(٨)- أي: الخَوفِ الحَاصِلِ مِنْ إِضَاءَةِ اليَدِ؛ بِأَنْ تُدخِلَها فِي جَيبِكَ؛ فتَعُودُ إلى حَالَتِها الأُولَى. وَعُبِّرَ عنها بِالجَنَاحِ؛ لِأَنَّها لِلإنسَانِ كَالجَنَاحِ لِلطَّائِرِ ﴿[فَذَٰنِّكَ]﴾ بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ(٩)، أَي: العَصَا واليَدُ- وهُما مُؤنَّثَانِ، وإِنَّما ذُكِّرَ المُشَارُ بِهِ إِلَيهِمَا «المُبْتَدَأُ»؛ لِتَذْكِيرِ خَبَرِه-: ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ مُرسَلَانِ ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾.

[٣٣] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو: القِبْطِيُّ السَّابِقُ ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ به.

[٣٤] ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾: أَبْيَنُ ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: مُعِينًا- وفي قِرَاءَةٍ(١٠): بِفَتحِ الدَّالِ بِلَا هَمزَةٍ- ﴿[يُصَدِّقْنِيٓ]﴾ - بِالجَزمِ-: جَوَابُ الدُّعَاءِ. وفي قِرَاءَةٍ(١١): بِالرَّفعِ، وجُملَتُه: صِفَةُ ﴿رِدْءًا﴾ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ ﴾: نُقَوِّيكَ ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾: غَلَبَةً ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بِسُوءٍ. اذْهَبَا ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ لَهُم.

---

(١) أي: بِفَتحِها وضَمِّها وكَسرِها، فقَرَأَ بِالضَّمِّ حمزةُ، وقَرَأَ عاصمٌ بِالفَتحِ، وقَرَأَ البَاقونَ بِالكَسرِ.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَةَ: (الوادي)؛ بِإثبَاتِ اليَاءِ، وقالَ مُبيِّنًا وَجهَ إثبَاتِها: «وإثباتُها هنا لتبيينِ القِرَاءَةِ التي اختارَها المَحلِّيُّ».

(٣) قال ابنُ كثيرٍ (٦/ ٢٣٤): «أي: مِنْ جَانِبِ الوَادِي مِمَّا يَلِي الجَبَلَ عَنْ يَمِينِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الغَرْبِ... فَهَذَا مِمَّا يُرْشِدُ إِلَى أَنَّ مُوسَى قَصَدَ النَّارَ إِلَى جِهَةِ القِبْلَةِ، وَالجَبَلُ الغَرْبِيُّ عَنْ يَمِينِهِ...». وقال ابنُ عاشورٍ في التحرير والتنوير (٢٠/ ١١٢-١١٣): «ووَصفُ الشَّاطِئِ بِالأيمَنِ: إنْ حُمِلَ الأيمَنُ على أنَّه ضِدُّ الأيسَرِ؛ فهو أيمَن بِاعتبارِ أنَّه وَاقِعٌ على يَمينِ المُستقبِلِ القِبْلَةَ على طَرِيقَةِ العَرَبِ؛ مِنْ جَعْلِ القِبلَةِ هي الجِهةَ الأَصليَّةَ لِضَبطِ المَواقِعِ، وهم يَنعتُونَ الجِهَاتِ بِاليَمِينِ واليَسَارِ يُرِيدُونَ هذا المعنَى. وعلى ذلك جَرَى اصطلاحُ المُسلِمِينَ في تَحدِيدِ المَوَاقِعِ الجُغرَافِيَةِ ومَوَاقِعِ الأرضِينَ، فيَكُونُ الأيمَنُ يَعنِي الغَربِيَّ لِلجَبَلِ، أي: جِهَةَ مَغرِبِ الشَّمسِ مِنَ الطُّورِ... وهذا هو المُلَائِمُ لِقَولِهِ الآتِي: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤]. وأَمَّا جَعلُه بِمَعنَى: الأيمَنَ لِمُوسَى؛ فلا يَستقِيمُ مع قولِه تَعَالَى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [طه: ٨٠]؛ فإنَّه لَمْ يَجْرِ ذِكْرٌ لِمُوسَى هناكَ. وإنْ حُمِلَ على أنَّه تَفضِيلٌ من اليُمنِ وهو البَركةُ؛ فهو كَوَصْفِهِ بِالمُقَدَّسِ، في [سورة النازعات: ١٦]: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ...». وقالَ قَبَاوَةُ (ص١٤١٨): «والرَّاجِحُ أَنَّ الأيمَنَ مِنَ اليُمنِ والبَرَكَةِ هنا، وما في الآيتَينِ (٥٢) مِنْ سُورةِ مَريمَ، و(٨٠) مِنْ سُورةِ طه، خِلافًا لِمَا ذَكَرَه المَحلِّيُّ وبَعضُ المُفسِّرِينَ». وهو اختيارُ القَاسِمِيِّ أيضًا؛ حيث قال في تَفسِيرِه (٧/ ٥٢٠): «﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾: أي: قَرُبَ منها ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾: أي: جَانِبِ ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: أي: المُبَارَكِ. يُقَالُ: يَمُنَ فهو مَيمُونٌ وأَيمَن. وتَفسيرُه بِخِلافِ الأيسرِ بَعيدٌ، لأنَّ أَلفاظَ التَّنزِيلِ وآيَهُ يُفسِّرُ بَعضُها بَعضًا. وقد جَاءَ في غَيرِ آيَةٍ تَوصِيفُ الوَادِي بِالمُقَدَّسِ، وبُقعَتِه بِالمُبَارَكَةِ، والمعنَى وَاحِدٌ».

(٤) أنواعٌ مِنَ الأشجارِ. وهذا لا دليلَ عليه، ولا فَائدةَ في تَعيينِه.

(٥) المُخَفَّفَةُ: هي التي خُفِّفَتْ مِنْ «أَنَّ» بِحذفِ النُّونِ الثانيةِ، وتكونُ لِلتوكيدِ، واسمُها ضميرُ الشَّأنِ المحذوفُ؛ أي: «أنَّه».

(٦) السُّمرَة.

(٧) في الأَصلِ، وفي نُسخَةِ قَبَاوَةَ: (تغشِّي)، والمُثبتُ مِن نُسخَةِ قُرَّةِ العَينَينِ لِلقَاضِي كَنعَان. أي: تَجعل بَصَرَ نَاظِرِها ضَعِيفًا لِشِدَّةِ ضَوئِها. ويُنظرُ ما تَقَدَّمَ في سُورةِ النَّملِ الآية: ١٢.

(٨) ﴿ٱلرَّهَبِ﴾؛ بِفَتحِ الرَّاءِ والهَاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ حفصٌ: ﴿ٱلرَّهْبِ﴾؛ بِفَتحِ الرَّاءِ وإِسكَانِ الهَاءِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿ٱلرُّهْبِ﴾؛ بِضَمِّ الرَّاءِ وإِسكَانِ الهَاءِ.

(٩) ﴿فذانّك﴾؛ بِتَشدِيدِ النُّونِ مع المَدِّ المُشبَعِ: قِرَاءَةُ ابن كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿فَذَٰنِكَ﴾؛ بِالتَّخفِيفِ.

(١٠) أي: ﴿ردًا﴾، وهِيَ قِرَاءَةُ نافعٍ.

(١١) ﴿يصدقْني﴾؛ بِسُكُونِ القَافِ: قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عدا عَاصِمٍ وحَمزَةَ. وقَرَأَ عَاصِمٌ وحَمزَةُ: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾؛ بِالرَّفعِ.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن
تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ
أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾
وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ
أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ
فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: وَاضِحَاتٍ، حَالٌ[١] ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: مُخْتَلَقٌ ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ كَائِنًا ﴿فِىٓ﴾ أَيَّامِ ﴿ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٧] ﴿وَقَالَ﴾ - بِوَاوٍ وبِدُونِها[٢]- ﴿مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ﴾ أي: عَالِمٌ ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ الضَّمِيرُ لِلرَّبِّ ﴿وَمَن﴾: عَطفٌ عَلى «مَنْ» ﴿تَكُونُ﴾ - بِالفَوقَانِيَّةِ والتَّحتَانِيَّةِ[٣]- ﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: العَاقِبةُ المَحمُودَةُ في الدَّارِ الآخِرَةِ؛ أي: وهُو أنا في الشِّقَّينِ؛ فأنا مُحِقٌّ فيما جِئتُ به ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكَافِرُونَ.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ فاطبُخْ لي الآجُرَّ ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾: قَصْرًا عاليًا ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: أنظُرُ إليه، وأَقِفُ عليه ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادِّعَائِه إلَهًا آخرَ، وأنَّه رَسُولُه.

[٣٩] ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا [يَرْجِعُونَ]﴾ - بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ ولِلمَفعُولِ[٤]-.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: طَرحناهُم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: البَحْرِ المَالِحِ؛ فَغَرِقُوا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حِينَ صَارُوا إلى الهَلَاكِ؟

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ - بِتَحقِيقِ الهمزَتَينِ، وإبدَالِ الثَّانِيَةِ يَاءً[٥]-: رُؤسَاءَ في الشِّرْكِ ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بِدُعَائِهم إلى الشِّرْكِ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بِدَفْعِ العَذَابِ عنهم.

[٤٢] ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: خِزْيًا ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: المُبْعَدِينَ.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّورَاةَ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾: قَومَ نُوحٍ وعَادٍ وثَمُودَ[٦] وغَيرَهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾: حَالٌ مِنَ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: جَمعُ بَصِيرَةٍ؛ وهي: نُورُ القَلبِ؛ أي: أنوَارًا لِلقُلُوبِ ﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ لِمَنْ عَمِلَ به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَنْ آمَنَ به ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ بما فيه مِنَ المَوَاعِظِ.

---

(١) كلمةُ: (حَال) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) بِدُونِها: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ؛ مُوافقةً لِرسمِ المُصحَفِ المَكيِّ.

(٣) ﴿يَكُونُ﴾؛ بالياءِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائيِّ.

(٤) ﴿يَرْجِعُونَ﴾؛ بالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وحمزةَ والكِسَائيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بِالبنَاءِ لِلمفعُولِ.

(٥) قرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو بِالتَّسهِيلِ بينَ بينَ، وذَهَبَ بَعضُ أَهلِ الأداءِ إلى إبدالِ الهَمزَةِ الثانيةِ يَاءً خَالِصةً، وهكذا في جميعِ المواضعِ التي وَرَدَتْ فيها الكَلمةُ وهي خمسةٌ. ورَاجعِ التَّعلِيقَ الآيةَ (٧٣) مِن سُورةِ الأنبياءِ.

(٦) الاسمانِ: «عَادٍ وثمودَ» مَعطُوفَانِ على «نُوحٍ» وليس على «قومَ»؛ ولذلك فحقُّهما الجَرُّ، وهذا مِنْ إضافَةِ القَومِ إلى القَبيلَةِ، كَما يُضافُ إلى الفَردِ، والعَرَبُ تُجيزُ ذلكَ، وهذا خِلافًا لما ذَكَرَه الصَّاوِي وصاحبُ الفتوحاتِ عَن شيخِهِ، حيثُ قالَ: «قولُه: «وعادٍ» مَعطوفٌ على: «قومَ نُوحٍ»؛ فهو مَنصُوبٌ، وكانَ الأَولَى رَسمُه بِألِفٍ بَعدَ الدَّالِ؛ إذْ رَسمُه بِدُونِها يُوحِي أنَّه مَعطُوفٌ على: «نُوحٍ»؛ فيَقتَضِي أنَّ لِعَادٍ قَومًا، مَع أنَّهم أنفُسَهم قومُ هُودٍ». المفصَّل (١٤٢٣).

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ
رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ
لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ
مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ
هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

[٤٤] ﴿وَمَا كُنتَ﴾ - يا مُحَمَّد- ﴿بِجَانِبِ﴾ الجَبَلِ، أوِ الوَادِي، أوِ المَكَانِ ﴿ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ مِنْ مُوسَى حِينَ المُنَاجَاةِ[1] ﴿إِذۡ قَضَيۡنَآ﴾: أوحَينَا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ بِالرِّسَالَةِ إلى فِرعَونَ وقَومِه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لِذلِكَ، فَتعلَمَه[2] فَتُخبِرَ به.

[٤٥] ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾: أُمَمًا مِنْ بَعدِ[3] مُوسَى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾ أي: طَالَتْ أعمارُهُم، فَنَسُوا العُهُودَ، واندَرَسَتِ العُلُومُ، وانقَطَعَ الوَحيُ؛ فَجِئنَا بِكَ رَسُولًا، وَأوحَينا إليكَ خَبرَ مُوسَى وغَيرِه ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا﴾: مُقِيمًا ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾: خَبرٌ ثَانٍ، فتَعرِفَ قِصَّتَهم فَتُخبِرَ بها ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ لكَ وإليكَ[4]، بِأَخبَارِ المُتَقَدِّمِينَ.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: الجَبَلِ ﴿إِذۡ﴾: حِينَ ﴿نَادَيۡنَا﴾ مُوسَى: أَنْ خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ[5] ﴿وَلَٰكِن﴾ أرسَلنَاكَ ﴿رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ - وهُم أهلُ مَكَّةَ- ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ.

[٤٧] ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ﴾: عُقُوبَةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ مِنَ الكُفرِ وغَيرِه ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾: هَلَّا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المُرسَلَ بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وجَوَابُ ﴿لَوۡلَآ﴾ مَحذُوفٌ ومَا بَعدَه[6] مُبتَدَأٌ. والمعنَى: لَولَا الإِصَابَةُ المُسَبِّبُ عنها قَولُهم، أو لَولَا قَولُهم المُسَبَّبُ عنها، لعَاجَلنَاهُم بِالعُقُوبَةِ[7]، ولَمَا[8] أرسَلنَاكَ إِليهِم رَسُولًا.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ﴾ مِنَ الآيَاتِ؛ كَاليَدِ البَيضَاءِ والعَصَا وغَيرِهما، أَوِ الكِتَابِ جُملَةً وَاحِدَةً. قالَ تَعالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾ حيثُ ﴿قَالُواْ﴾ فيه وفي مُحَمَّدٍ: ﴿[سَاحِرَانِ][9]﴾- وفي قِرَاءَةٍ: ﴿سِحۡرَانِ﴾ أي: القُرآنُ والتَّورَاةُ[10]- ﴿تَظَٰهَرَا﴾: تَعاوَنَا ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ﴾ مِنَ النَّبِيَّيْنِ والكِتَابَيْنِ ﴿كَٰفِرُونَ﴾؟

[٤٩] ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾ [أي][11]: مِنَ الكِتَابَيْنِ ﴿أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في قَولِكُم.

[٥٠] ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾ دُعَاءَكَ، بِالإِتيَانِ بِكِتَابٍ ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ في كُفرِهِم ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾؟ أي: لَا [أَحَدَ][12] أَضَلُّ منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ.

---

(١) ويَحتَمِلُ أنَّ «الغَربيّ» هو الجَانبُ نَفسُه؛ بِإضَافَةِ المَوصُوفِ إلى صِفَتِه لِلمُبَالَغَةِ، والمُرَادُ: الجَانِبُ الغَربِيُّ. ويُنظَرُ ما تَقدَّمَ في التعليقِ على الآيَةِ (٣٠) مِنَ السُّورَةِ نَفسِها؛ الهامش رقم (٣).

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (فتعرفَه).

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أُمَمًا بَعدَ)؛ بِدونِ (مِنْ).

(٤) أي: أرسَلنَاكَ رَسولًا، وأرسَلنا إليكَ بِأخبارِهم.

(٥) كما في قَولِه تعالى في سُورة «الأعراف» الآيَةِ (١٤٥): ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾.

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وما بعدَها).

(٧) جملةُ: (لعَاجلنَاهم بِالعُقوبةِ) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مَا) بَدَلًا مِنْ: (ولَـمَا).

(٩) وهي قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿سِحۡرَانِ﴾.

(١٠) في نُسخة قَبَاوَة: (التَّوراةُ والقُرآنُ)؛ بِتقديمِ التَّورَاةِ.

(١١) كلمةُ: (أي) ليستْ في الأَصْلِ، وأثبتنَاها مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١٢) كلمةُ: (أحد) لَيستْ في الأَصْلِ، وأثبتنَاها مِنْ نُسخَةِ قَباوة.

الحزب ٤٠

* وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ
مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ
بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ
ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ
عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾
وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ
نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا
مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن
قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ
بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

[٥١] ﴿* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾: القُرآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ فيُؤمِنُونَ.

[٥٢] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ أيضًا- نَزَلَتْ[1] في جَمَاعَةٍ أسلَمُوا، مِنَ اليَهُودِ؛ كَعبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ وغَيرِه[2]، ومِنَ النَّصَارَى قَدِمُوا مِنَ الحَبَشَةِ[3]، ومِنَ الشَّامِ[4]-.

[٥٣] ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القُرآنُ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾: مُوَحِّدِينَ.

[٥٤] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بِإِيمَانِهم بِالكِتَابَيْنِ[5] ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بِصَبرِهِم على العَمَلِ بِهِما ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾: يَدْفَعُونَ ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يَتَصَدَّقُونَ.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾: الشَّتمَ والأذَى مِنَ الكُفَّارِ ﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: سَلَامَ مُتَارَكَةٍ؛ أي: سَلِمتُم مِنَّا مِنَ الشَّتمِ وغَيرِه ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: لَا نَصحَبُهم.

ونَزَلَ في حِرْصِه ﷺ على إيمَانِ عَمِّهِ أبي طَالِبٍ:

[٥٦] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هِدَايَتَه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عَالِمٌ ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[*].

[٥٧] ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: قَومُه: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ أي: نُنتَزَعْ منها بِسُرعَةٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يَأمَنُونَ فيه مِنَ الإغَارَةِ والقَتلِ، الوَاقِعَينِ مِنْ بَعضِ العَرَبِ عَلَى بَعضٍ ﴿[تُجْبَىٰٓ]﴾ - بِالفَوقَانِيَّةِ والتَّحتَانِيَّةِ[6]- ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنْ كُلِّ أَوبٍ ﴿رِّزْقًا﴾ لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: عِندِنا[7]؟ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ مَا نَقُولُه حَقٌّ.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي: عِيشَتَها[8]! وأُرِيدَ بِالقَريَةِ: أَهلُهَا ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لِلمَارَّةِ يَومًا أو بَعضَه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ منهم.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ بِظُلمٍ منها[9] ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي: أعظَمِها ﴿رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ بِتَكذِيبِ الرُّسُلِ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥٦): أخرجَ مُسلِمٌ عَنْ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ، لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ مُسلمٌ - كتاب الإيمان (١) باب (٩). وأخرجَ البُخارِيُّ نحوَه عَنِ المُسَيَّبِ بْنِ حَزْنٍ. البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة القصص (٢٨) باب (١).

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (نَزَلَ).

(٢) أخرجَ ذلك الطَّبَرِيُّ في جَامِعِه (٢٠/ ٥٦، ٥٧) عَنْ قَتَادَةَ، وهو مُرسَلٌ ضَعِيفٌ. وأخرجَ الطبريُّ أيضًا في جَامِعِه (٢٠/ ٥٦)، والطبرانيُّ في الكبيرِ (٥/ ٥٣) رقم (٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، وغيرُهما عن رِفاعَةَ القُرَظِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: نَزَلَت هذه الآيَةُ في عَشَرةٍ، أنا أحدُهم... قال الهيثميُّ في المَجمَع (٧/ ٨٨): «رواه الطبرانيُّ بِإسنادَينِ؛ أحدهما مُتَّصِلٌ، ورِجالُه ثقاتٌ...» وعزاهُ السُّيوطيُّ أيضًا في الدُّرِّ المنثورِ (٦/ ٤٢٢) لابنِ أبي شيبةَ وابنِ المُنذِرِ وغيرِهما، وقال: «بِسنَدٍ جَيدٍ». وصحَّحه في الاستيعابِ (٣/ ٢٨).

(٣) أخرجَ نحوَه ابنُ جرير (٨/ ٦٠٠) وابنُ أبي حَاتمٍ في تَفسيرِه (١٦٩٧٧) عَن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ؛ قالَ: «هُمْ رُسُلُ النَّجَاشِيِّ». وهو ضعيفٌ مُرسَلٌ، كما في الاستيعاب (٣/ ٣٥).

(٤) منهم سَلمانُ الفَارِسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ؛ فإنَّه قَدِمَ مِنَ الشَّامِ، كَما في أثرِ قَتَادةَ المُتَقَدِّمِ.

(٥) أخرجَ البُخارِيُّ ومسلمٌ مِن حَدِيثِ أبي مُوسَى الأشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ...» الحديث. البُخارِيُّ (٣٠١١)، ومسلمٌ (١٥٤) واللفظ له. وأخرجَ أحمدُ في مسنده (٢٢٢٣٤) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنِّي لَتَحْتَ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَقَالَ قَوْلًا حَسَنًا جَمِيلًا، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: «مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ، وَلَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَهُ أَجْرُهُ، وَلَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا». وحَسَّنَه الألبانيُّ في الصحيحة (٣٠٤).

(٦) بالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُجْبَىٰٓ﴾؛ بِاليَاءِ.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مِنْ عِندِنا؟).

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (في عَيشِها)، قال قَبَاوةُ: «وقولُ المحلِّيِّ: «في عَيشِها» يَعني أنَّ المعيشَةَ هي الحياةُ...».

(٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِظُلمِ أهلِها).

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا
هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ
مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ
﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾
فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا
مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ
﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٠] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ أي: تَتَمتَّعُونَ وتَتَزَيَّنُونَ به أيَّامَ حَيَاتِكُم، ثُمَّ يَفنَى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي[1]: ثوابُه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[2]- أنَّ البَاقِيَ خيرٌ مِنَ الفَانِي؟

[٦١] ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: مُصِيبُهُ- وهو الجنَّةُ- ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فَيَزُولُ عَنْ قَرِيبٍ ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ النَّارَ؟ الأَوَّلُ: المُؤمِنُ، والثَّانِي: الكَافِرُ؛ أي: لا تَسَاوِيَ بينَهُما.

[٦٢] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ اللهُ ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ـهُمْ شُرَكَائِي؟

[٦٣] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بِدُخُولِ النَّارِ؛ وهُم رُؤسَاءُ الضَّلالَةِ: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾هُـمْ: مُبتَدأٌ وصِفةٌ[3]، ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾: خَبَرُهُ، فغَوَوا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لَم نُكْرِهْهُم على الغَيِّ ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿مَا﴾: نَافِيَةٌ، وقُدِّمَ المَفعُولُ لِلفَاصِلَةِ.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: الأَصنَامَ، الذينَ كُنتُم تَزعُمُونَ أنَّهم شُرَكَاءُ اللهِ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ دُعَاءَهم ﴿وَرَأَوُا۟﴾ هُمُ ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: أَبصَرُوه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ في الدُّنيا لَمَا رَأَوهُ في [الأُخرَى][4].

[٦٥] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إلَيكُم؟

[٦٦] ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾: الأَخبارُ المُنجِيَةُ في الجَوابِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: لَمْ يَجِدُوا خبَرًا لهم فيه نَجاةٌ ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ عنه، فيَسكُتُونَ.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ ﴿وَءَامَنَ﴾: صَدَّقَ بِتَوحِيدِ اللهِ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: أَدَّى الفَرَائِضَ ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾: النَّاجِينَ بِوَعدِ اللهِ.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يَشاءُ ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾: لِلمُشرِكِينَ ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: الاختِيَارُ في شَيءٍ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عَنْ إِشرَاكِهِم!

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تُسِرُّ قُلُوبُهم، مِنَ الكُفرِ وغَيرِه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بِأَلسِنَتِهم مِنْ ذلكَ.

[٧٠] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾: الدُّنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: الجَنَّةِ ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القَضَاءُ النَّافِذُ في كُلِّ شَيءٍ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بِالنُّشُورِ.

---

(١) في نُسخةِ قَباوَة: (وهو).

(٢) بالياء: قِراءةُ أبي عَمرٍو.

(٣) أي: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مُبتدأٌ. و﴿ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾: صِفةٌ. وجُملَةُ: ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾: خَبَرُه.

(٤) في الأصل: (الآخرة)، والمُثبتُ مِن نُسخةِ قَباوَة.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ
(٧١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ (٧٣) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم
مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٧٥) ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ
فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ
بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ (٧٦) وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ
وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٧٧)

ربع الحزب ٤٠

[٧١] ﴿قُلْ﴾ لِأَهلِ مَكَّةَ: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أي: أخبِرُونِي ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: دائِمًا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بِزَعْمِكُم ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: نَهارٍ تَطْلُبُونَ فيه المَعِيشَةَ؟ ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذلكَ سَماعَ تَفهُّمٍ، فتَرجِعُونَ عَنِ الإشراكِ؟!

[٧٢] ﴿قُلْ﴾ لَهم: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بِزَعْمِكُم ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ﴾: تَستَرِيحُونَ ﴿فِيهِ﴾ مِنَ التَّعَبِ؟ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتُم عليه مِنَ الخَطَأِ في الإشراكِ، فتَرجِعُونَ عنه؟!

[٧٣] ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ -تَعالَى- ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: في اللَّيلِ ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النَّهارِ لِلكَسبِ[1] ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النِّعمَةَ فيهما.

[٧٤] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؟ ذُكِرَ ثانِيًا لِيُبنَى عَليه:

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾: أخرَجْنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ -وهُو نَبِيُّهم- يَشْهَدُ عَليهم بِما قَالُوا[2] ﴿فَقُلْنَا﴾ لَهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ عَلى مَا قُلتُم مِنَ الإشراكِ ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ في الإلَهِيَّةِ ﴿لِلَّهِ﴾ لَا[3] يُشارِكُهُ فيه[4] أحَدٌ ﴿وَضَلَّ﴾: غَابَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ في الدُّنيا مِنْ أَنَّ مَعَه شَرِيكًا. تَعالَى عَنْ ذَلِكَ.

[٧٦] ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ ابنَ عَمِّه، [أو][5] ابنَ خَالَتِه[6] وآمَنَ به ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بِالكِبْرِ والعُلُوِّ وكَثْرةِ المَالِ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾: تَثْقُلُ ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾: الجَماعَةِ ﴿أُو۟لِى﴾: أَصحَابِ ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ أي: تُثقِلُهُم- فَالباءُ لِلتَعدِيَةِ. وعِدَّتُهم؛ قِيلَ: سَبعُونَ. وقِيلَ: أربَعُونَ. وقِيلَ: عَشرةٌ. وقِيلَ غَيرُ ذلكَ[7]-. اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المُؤمِنُونَ مِنْ بَنِي إِسرَائِيلَ: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بِكَثْرَةِ المَالِ فَرَحَ بَطَرٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ بِذَلِكَ.

[٧٧] ﴿وَٱبْتَغِ﴾: اطلُبْ ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ المَالِ ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بِأَنْ تُنفِقَه في طَاعَةِ اللهِ ﴿وَلَا تَنسَ﴾: تَترُكْ ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: أَنْ تَعمَلَ فيها لِلآخِرَةِ ﴿وَأَحْسِن﴾ لِلنَّاسِ بِالصَّدَقَةِ ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ﴾: تَطلُبِ ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِعَمَلِ المَعَاصِي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بِمَعنَى: أَنَّه يُعَاقِبُهم[8].

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِالكَسبِ).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (قالُوه).

(٣) في نسخة الجَمَلِ: (ألَا).

(٤) أي: في هذا الحقِّ. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فيها)؛ أي في الإلهيَّة.

(٥) في الأَصلِ: (و). والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة. وهو قولٌ آخر في قَارونَ، أنّه ابنُ خَالةِ مُوسَى عليه السّلام، وليسَ ابنَ عَمِّه. كما سَيأتي في الحَاشِيةِ التاليةِ:

(٦) حكى ابنُ جرير الإجماعَ على أنّه كانَ مِن بني إسرَائيلَ، واختُلِفَ في جِهةِ قَرابَتِه مِنْ مُوسَى عليه السّلام؛ فقالَ ابنُ عبَّاسٍ وجَماعَةٌ: كان ابنَ عَمِّه، وقالَ ابنُ جرير: وأكثرُ أهلِ العِلْمِ على أنّه كان ابنَ عمِّه، واللهُ أعلمُ. ورُوِيَ عَن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا أنّه ابنُ خالَتِه، والمَشهورُ عنه الأوّلُ.

(٧) رَوَى ابنُ أبي حَاتِمٍ (٧/ ٢١٠٥)، وابنُ جرير (١٨/ ٣١٥) عَنْ قَتَادَةَ: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ قَالَ: «ذُكِرَ لَنا أنَّ العُصْبَةَ ما بَيْنَ العَشَرَةِ إلى الأَربَعِينَ».

(٨) وهذا تأويلٌ لِصِفَةِ المَحَبَّةِ وانتفائِها بِبَعضِ لَوَازِمِها. ومَذهبُ السَّلفِ إثباتُ هذه الصِّفَةِ وغيرِها، مِمّا أثبتَه اللهُ لنفسِه، أو أثبتَه له رَسولُه ﷺ، مِنْ غيرِ تأويلٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي: المَالَ ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ [عِندِيٓ]﴾[١] أي: في مُقَابَلَتِه. وكانَ أَعْلَمَ بَني إسرَائيلَ بِالتَّوراةِ، بَعدَ مُوسَى وهَارُونَ[٢]. قالَ تعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾: الأُمَمِ ﴿مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ لِلمَالِ؟ أي: هُو عَالِمٌ بِذَلِكَ، ويُهلِكُهم[٣] اللهُ ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ لِعِلْمِهِ -تعَالَى- بها؛ فيَدخُلُونَ النَّارَ بِلا حِسَابٍ.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قَارُونُ ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾: بِأَتبَاعِه الكَثِيرِينَ رُكبَانًا، مُتَحلِّينَ بِمَلَابِسِ الذَّهَبِ والحَرِيرِ، على خُيولٍ وبِغَالٍ مُتَحلِّيَةٍ[٤] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَا﴾ - لِلتَّنبِيهِ- ﴿لَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ فِي الدُّنيا ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾: نَصِيبٍ ﴿عَظِيمٖ﴾: وَافٍ فيها.

[٨٠] ﴿وَقَالَ﴾ لَهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ بِما وَعَدَ اللهُ في الآخِرَةِ: ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾: كَلِمَةُ زَجرٍ ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخِرَةِ بِالجَنَّةِ ﴿خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ مِمَّا أُوتِيَ قَارُونُ في الدُّنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: الجَنَّةَ المُثَابَ بها ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطَّاعَةِ وعَنِ المَعصِيَةِ.

[٨١] ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ﴾: بِقَارُونَ ﴿وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه[٥]، بِأَنْ يَمنَعُوا عنه الهَلَاكَ ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ منه.

[٨٢] ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ أي: مِنْ قَرِيبٍ ﴿يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ﴾: يُوَسِّعُ ﴿ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ﴾: يُضَيِّقُ على مَنْ يَشَاءُ. و«وَيْ» اسمُ فِعْلٍ؛ بِمَعنَى: أَعجَبُ؛ أي: أنَا. و«الكَافُ»: بِمَعنَى اللَّامِ[٦] ﴿لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ﴾ - بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ والمَفعُولِ[٧]- ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ لِنِعمَةِ اللهِ؛ كَقَارُونَ.

[٨٣] ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ أي: الجَنَّةُ ﴿نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بِالبَغيِ ﴿وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ بِعَمَلِ المَعَاصِي ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المَحمُودَةُ ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ عِقَابَ اللهِ، بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ.

[٨٤] ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ﴾: ثَوابٌ بِسَبَبِها؛ وهُو: عَشْرُ أَمثَالِها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا﴾ جَزَاءَ ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: مِثلَه[٨].

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ
مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ
وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ
فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا
مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ
وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ
مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ
وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ
٨٣ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤

---

(١) ﴿عِندِيَ أَوَلَمۡ﴾؛ بِفَتحِ يَاءِ الإِضَافَةِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿عِندِيٓ أَوَلَمۡ﴾؛ بإِسكَانِ يَاءِ الإِضَافَةِ.

(٢) لَمْ نَجِدْهُ مُسنَدًا. ونقلَه بَعضُ المُفسِّرِينَ؛ منهم البغويُّ (٦/ ٢٢٣)، قال: «قَالَ أَهْلُ العِلْمِ بِالأَخْبَارِ: كَانَ قَارُونُ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَأَقْرَأَهُمْ لِلتَّوْرَاةِ...».

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (ويُهلكه).

(٤) لَمْ نَجِدْه بهذا السِّياقِ، لَكِنْ ذَكَرَه بَعضُ المُفسِّرِينَ بسِياقاتٍ مُختلفةٍ؛ فروى عبدُ الرَّزَّاقِ (٢/ ٤٩٧) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «خَرَجَ عَلَى بَرَاذِينَ بِيضٍ، سُرُوجُهَا أُرْجُوَانٌ، وَعَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مُعَصْفَرَةٌ»، وروى الطَّبَرِيُّ (١٨/ ٣٣٠) عَنِ ابنِ زيدٍ، قال: «خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا، عَلَيْهِمُ المُعَصْفَرَاتُ»، ورَوَى ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٧١٣٥) عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «عَلَى أَلْفِ بَغْلَةٍ شُهْبٍ عَلَيْهَا مَيَاثِرُ الأُرْجُوَانِ»، وروى (١٧١٣٦) عَنْ عَطَاءٍ الخُرَاسَانِيِّ، قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، عَلَى البِغَالِ الشُّهْبِ فِي الرَّحائلِ البِزْيُونِ». وليسَ هناكَ شيءٌ مُسنَدٌ يُعوَّلُ عليه، ولَيسَ في مَعرفةِ تَفاصِيلِها كَبيرُ فَائدةٍ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (مِن غيرِه).

(٦) وهذا أحدُ مَذاهبَ خمسةٍ في مَعنى كلمةِ «وَيكَأَنَّ» والوَقف فيها.

(٧) ﴿لَخُسِفَ﴾؛ بالبِنَاءِ لِلمفعُولِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حفصٍ.

(٨) جملةُ: (أي: مثله) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ. وقَالَ (ص١٤٣٩)، مُعلِّقًا على عَدمِ إثباتِها-بعد أن أشارَ إلى عَدمِ وُجودِ هذه الزِّيادةِ في الأَصلِ المعتَمدِ عندَه في التحقيقِ-قال: «والصَّوابُ أَنَّ قولَ المحلِّيِّ: «جزاء» يُغني عن هذه الزِّيادةِ؛ لأنَّ الجزاءَ هو لِلشَّيءِ لا لِمِثلِه».

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا
تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ
كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثمن الحزب ٤٠ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ
لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

[٨٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أنزَلَه ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: إلى مَكَّةَ(١). وكَانَ قَدِ اشتَاقَها(٢) ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ نَزَلَ جَوابًا لِقَولِ كُفَّارِ مَكَّةَ له: «إِنَّكَ في ضَلَالٍ». أي: فهُو الجَائِي بِالهُدَى، وهُم في الضَّلالِ. و﴿أَعْلَمُ﴾ بِمَعنَى: عَالِمٌ.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: القُرآنُ ﴿إِلَّا﴾: لَكِن أُلقِيَ إِلَيكَ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾: مُعِينًا ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ عَلى دِينِهم الذِي دَعَوْكَ إِليه.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ - أصلُه: «يَصدُّونَنَّكَ»؛ حُذِفَتْ نُونُ الرَّفعِ لِلجَازِمِ، والوَاوُ الفَاعِلُ؛ لالتِقَائِها(٣) مَعَ النُّونِ السَّاكِنَةِ- ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لا تَرجِعْ إِلَيهِم في ذلك ﴿وَٱدْعُ﴾ النَّاسَ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بِتَوحِيدِه وعِبَادَتِه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بِإِعَانَتِهم- ولَمْ يُؤَثِّرِ الجَازِمُ في الفِعْلِ لِبنَائِه-.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾: تَعبُدْ ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إِلَّا إِيَّاهُ(٤) ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القَضَاءُ النَّافِذُ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بِالنُّشُورِ مِنْ قُبُورِكُم(٥).

سُورَةُ العَنكَبُوت

مَكِّيَّةٌ، وهي: تِسعٌ وسِتُّونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه بِذَلِكَ.

[٢] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ﴾ أي: بِقَولِهِم: ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: يُختَبَرُونَ بِما يَتَبَيَّنُ به حَقِيقَةُ إِيمَانِهم؟- نَزَلَ في جَمَاعَةٍ آمَنُوا، فَآذَاهُم المُشرِكُونَ(٦)-.

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إِيمَانِهم عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الشِّرْكَ والمَعَاصِيَ ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: يَفُوتُونَا، فلا نَنتَقِمَ منهم؟ ﴿سَآءَ﴾: بِئسَ ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾ ـهُ حُكْمُهم هذا!

[٥] ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ﴾: يَخافُ ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ به ﴿لَءَاتٍ﴾ فَليَستَعِدَّ له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأَقوَالِ العِبَادِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِأَفعَالِهم.

[٦] ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جِهادَ حَرْبٍ، أو نَفْسٍ ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ فإِنَّ(٧) مَنفَعَةَ جِهادِهِ لَه، لَا للهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الإِنسِ والجِنِّ والملائِكَةِ، وعَنْ عِبادَتِهم.

---

(١) وهو قولُ كثيرٍ مِنَ المُفسِّرينَ، واختارَ ابنُ كثيرٍ وغيرُه أنَّ المُرَادَ بِالمَعادِ يومُ القِيامَةِ، قالَ: فيسألُه عمَّا استرعَاه مِنْ أعباءِ النُّبُوَّةِ. كَما قالَ تَعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]، وقالَ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وهذا أقربُ، واللهُ أعلم.

(٢) يُشيرُ إلى ما رَواهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٧٢٠٢) عَنْ قَتَادَةَ: قالَ مقاتِلٌ: خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ مِنَ الغَارِ لَيلًا مُهاجِرًا إلى مَكَّةَ، فاشتَاقَ إليها، فقَالَ له جِبرِيلُ: إنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي: إلى مَكَّةَ ظَاهِرًا عليها. وذكرَ نحوَه السُّيوطيُّ في الدُّرِّ المنثُورِ (٦/ ٤٤٥) عَنِ الضحَّاكِ، وعَزَاه لابنِ أبي حَاتِمٍ. وضعَّفَه جِدًّا في الاستيعاب (٣/ ٤٠).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لإتيانها).

(٤) وهذا تأويلٌ لِصِفَةِ الوَجهِ التي أثبتَها رَبُّنا عزَّوَجَلَّ لِنفسِه، وهي مِنَ الصِّفَاتِ الحَقِيقِيَّةِ التي نُثبِتُها له -سُبْحَانَهُ- على الوَجهِ اللائِقِ بِه، ولا شَكَّ أنَّ الوَجهَ يَستلزِمُ الذَّاتَ. ولكن لا يَجوزُ إرادةُ اللازِمِ ونَفيُ الملزُومِ؛ بل يَجبُ إثباتُهما مَعًا.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (القُبُور).

(٦) أخرجَه الطَّبَريُّ في جامع البيان (٢٠/ ٨٣)، وابنُ أبي حاتِمٍ في تَفسِيرِه (١٧١٣١) عَنِ الشَّعبيِّ، وهو مُرسَلٌ ضَعِيفٌ، كما ذكَرَ صَاحِبُ الاستيعاب (٣/ ٤١، ٤٢).

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لأنَّ).

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ
أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بِمَعنى: حَسَنَ- ونَصْبُه بِنَزعِ الخَافِضِ: البَاءِ- ﴿ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وهُـو الصَّالِحَات.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إِيصَاءً ذَا حُسْنٍ؛ بِأَنْ يَبَرَّهُمَا، ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾: بِإشرَاكِه ﴿عِلْمٌ﴾ - مُوَافَقَةً لِلوَاقِعِ، فَلا مَفهُومَ له(١)- ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ فِي الإِشْرَاكِ[*] ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأُجَازِيكُم به.

[٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأَنبِيَاءِ والأَولِيَاءِ؛ بِأَنْ نَحشُرَهم مَعَهم.

[١٠] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أَذَاهم له ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الخَوفِ منه؛ فيُطِيعهم فيُنَافِق ﴿وَلَئِن﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿جَآءَ نَصْرٌ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغَنِمُوا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ - حُذِفَتْ منه نُونُ الرَّفعِ؛ لِتَوَالي النُّونَاتِ، والوَاوُ ضَمِيرُ الجَمعِ؛ لِالتِقَاءِ السَّاكِنَينِ-: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإِيمَانِ؛ فأَشرِكُونَا في الغَنِيمَةِ. قال تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بِعَالِمٍ ﴿بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: قُلُوبِهم، مِنَ الإِيمَانِ والنِّفَاقِ؟ بَلَى.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِقُلُوبِهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيُجَازِي الفَرِيقَينِ. واللَّامُ في الفِعْلَينِ لَامُ قَسَمٍ.

[١٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾: دِينَنَا(٢) ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ في اتِّبَاعِنَا، إِنْ كَانَت. والأَمرُ بِمَعنَى الخَبَرِ(٣). قال تَعَالَى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ذلكَ.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أَوزَارَهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ بِقَولِهم لِلمُؤمِنِينَ: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ وإِضلَالِهم مُقَلِّدِيهم ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: يَكذِبُونَ عَلى اللهِ، سُؤَالَ تَوبِيخٍ- واللَّامُ في الفِعْلَينِ(٤): لَامُ قَسَمٍ، وحُذِفَ فَاعِلُهما: الوَاوُ، ونُونُ الرَّفعِ-.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وعُمُرُه أربعونَ سَنَةً أو أكثرُ(٥) ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيدِ اللهِ؛ فكَذَّبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي: الماءُ الكثيرُ، طَافَ بهم وعَلَاهُم؛ فغَرِقُوا ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: مُشرِكُونَ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٨): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ سعدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنه، قَالَ: «أُنزِلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ» - فَذَكَرَ قِصَّةً - فَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: أَلَيسَ قَدْ أَمَرَ اللهُ بِالبِرِّ، واللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ، قَالَ: «فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطعِمُوهَا شَجَرُوا [أي فتحوا] فَاهَا» فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾. التِّرمذيُّ - كتاب تفسير القُرآن (٤٨) باب (٣٠).

والحديثُ أخرجَه مسلمٌ في صحيحِه (١٧٤٨) لكنْ لَفظُ الآيَةِ عندَه أقربُ إِلى آيَةِ «لُقمان» (١٤، ١٥)، وهو الأَقربُ في قِصَّةِ أُمِّ سَعدٍ، حيثُ إِنَّ نُزولَ سُورةِ «لُقمانَ» كانَ قبلَ نُزُولِ سُورةِ «العنكبوت» بِكثيرٍ، ولو كانت آيَةُ «العنكبوتِ» قد نَزَلَت سَاعةَ وَقعَةِ سَعدٍ مَع أُمِّه لَقَرأَ عليها آيَةَ «لُقمانَ»، ولَم يَكنْ له كَبيرُ مَزِيَّةٍ في نُزول آيَةِ «العَنكبُوتِ» فيه، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ كِلتَا الآيَتَينِ نَزَلَتْ في قِصَّتِه مَع أُمِّه، وهو بَعيدٌ، واللهُ أَعلَمُ.

---

(١) أي: فلا يُفهَم منه أنَّه إنْ استندَ إلى عِلْمٍ في إشرَاكِه جازَ؛ لِأنَّ الإشراكَ باللهِ لايُتصوَّرُ إلَّا بِغَيرِ عِلْمٍ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (طريقَنا في دينِنا).

(٣) أي: منكم الاتِّباع، وعلينا حَمْلُ خطايَاكم.

(٤) أي: في ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾، و﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ﴾.

(٥) رَواهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٥٧٦٦)، وابنُ أبي شَيبةَ (٣٣٩١٨)، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قوله: «بُعِثَ نُوحٌ وَهُوَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ سَنَةً، حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَنَمَوْا». وأخرجَه الحاكمُ عنه مَرفُوعًا: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَعَثَ اللهُ نُوحًا لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، يَدْعُوهُمْ، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ سنةً، حتى كثُرَ النَّاسُ وفشَوْا». وإِسنادُه ضعيفٌ، وسَكتَ عنه الذَّهبيُّ. وقِيلَ غير ذلك في عُمُرِه.

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: نُوحًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي: الذِينَ كانُوا مَعَه فيها ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾: عِبرَةً ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: لِمَنْ بَعدَهم مِنَ النَّاسِ، إنْ عَصَوا رُسُلَهم(1). وعَاشَ نُوحٌ بَعدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ سَنَةً، أو أكثرَ، حتَّى كَثُرَ النَّاسُ(2).

[١٦] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾: خَافُوا عِقَابَه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِمَّا أنتُم عليه مِن عِبَادَةِ الأصنَامِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخَيرَ مِنْ غَيرِه.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: تَقُولُونَ كَذِبًا: «إنَّ الأَوثَانَ شُرَكَاءُ للهِ»(3) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: لا يَقدِرُونَ أنْ يرزُقُوكُم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: اطلُبُوه منه ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ أي: تُكَذِّبُوني - يا أَهلَ مَكَّةَ -(4) ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ مَنْ قَبلي ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: إلَّا البَلَاغُ البَيِّنُ - في هَاتَينِ القِصَّتَينِ تَسلِيَةٌ لِلنَّبيِّ ﷺ - وقالَ تَعالَى في قَومِه:

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ - بالياءِ والتَّاءِ(5) -: يَنظُرُوا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ - هُو بِضَمِّ أَوَّلِه، وقُرِئَ بِفَتحِه(6)؛ مِن: «بَدَأ»، و«أَبدَأ»؛ بِمَعنًى - أي: يَخلُقُهم ابتِدَاءً؟ ﴿ثُمَّ﴾ هُو ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾ أي: الخَلْقَ، كَما بَدَأَهم(7) ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورَ، مِنَ الخَلْقِ الأَوَّلِ والثَّاني ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فكَيفَ يُنكِرُونَ الثَّاني؟!

[٢٠] ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ لِمَنْ كَانَ قَبلَكُم وأَمَاتَهم؟ ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ [النَّشَاءَةَ] ٱلْءَاخِرَةَ﴾ - مَدًّا، وقَصْرًا مَع سُكُونِ الشِّينِ(8) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنهُ البَدءُ والإِعَادَةُ.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تَعذِيبَه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رَحمَتَه ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تُرَدُّونَ.

[٢٢] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ رَبَّكم عَنْ إدرَاكِكُم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لَو كُنتُم فيها؛ أي: لا تَفُوتُونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ يَمنَعُكُم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَنصُرُكم مِنْ عَذَابِه.

[٢٣] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: القُرآنِ والبَعثِ(9) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي: جَنَّتِي(10) ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (رَسُولَهم)؛ بالإفرادِ.
(٢) يُنظَرُ أثرُ ابنِ عبَّاسٍ المتقدِّم، في بيانِ عُمْرِ نُوحٍ عَلَيهِ السَّلَامُ عندَ البِعثةِ.
(٣) وقالَ عِكرِمَةُ وقَتَادَةُ والحَسَنُ: تَنحِتُونها أصنَامًا. واختاره ابنُ جرير.
(٤) وقيلَ: هذا مِن قَولِ إبراهيمَ عَلَيهِ السَّلَامُ.
(٥) بالتَّاءِ: قِرَاءةُ حمزةَ والكِسَائيِّ وشُعبةَ.
(٦) أي: شُذُوذًا.
(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بدأه)؛ أي: الخلقَ.
(٨) بالمدِّ: قِرَاءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾؛ بِسُكُونِ الشِّينِ دُونَ أَلِفٍ، ويقِفُ حمزةُ بنقلٍ وإبدالِ أَلِفًا.
(٩) وهو لِقَاءٌ حَقِيقيٌّ كيفَما يَشَاؤه رَبُّنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى.
(١٠) وهذا تأويلٌ لِصِفَةِ الرَّحمةِ بأحدِ لَوازِمِها. ومَذهبُ السَّلفِ إثباتُها له سُبحَانَهُ وتَعَالَى على الوَجهِ اللائقِ به، كما سَبقَ مِرارًا.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ
ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

ربع الحزب ٤٠

[٢٤] قالَ - تعالَى- في قِصَّةِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ الَّتي قَذَفُوهُ فيها؛ بِأَنْ جَعَلَها عليه بَرْدًا وسَلَامًا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: إنجائِه منها ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ هي عَدَمُ تأثيرِها فيه مَعَ عِظَمِها، وإخمادُها وإنشاءُ رَوضٍ مَكانَها في زَمَنٍ يَسيرٍ[1] ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَ بتوحيدِ اللهِ وقُدرَتِه؛ لِأَنَّهم المُنتَفِعُونَ بها.

[٢٥] ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيمُ: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ تَعبُدُونَها - و«ما»: مَصْدَرِيَّةٌ- ﴿[مَّوَدَّةُ] بَيْنِكُمْ﴾: خَبَرُ «إنَّ»، وعلى قِراءةِ النَّصبِ[2]: مَفعُولٌ له[3]، و«مَا»: كافَّةٌ[4]. المَعنَى: تَوادَدتُم على عِبادَتِها[5] ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: يَتَبَرَّأُ القَادةُ مِنَ الأتباعِ ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: يَلعَنُ الأتباعُ القادةَ ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾: مَصيرُكُم جَميعًا ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَانِعِينَ منها.

[٢٦] ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾: صَدَّقَ بِإبراهيمَ ﴿لُوطٌ﴾ وهو: ابنُ أخيه هارانَ[6] ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيمُ: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ مِنْ قَومِي ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي: إلى حَيثُ أمَرَني رَبِّي. وَهَجَرَ قَوْمَهُ، وهاجَرَ مِنْ سَوادِ العِراقِ إلى الشَّامِ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه[7].

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾ بَعدَ إسماعِيلَ ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بَعدَ إسحاقَ ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ - فكُلُّ الأنبياءِ بَعدَ إبراهيمَ مِنْ ذُرِّيَّتِه- ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بِمَعنَى: الكُتُبَ؛ أي: التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبُورَ والفُرقانَ[8] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وهُو الثَّناءُ الحَسَنُ في كُلِّ أَهْلِ الأَدْيانِ ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذينَ لَهم الدَّرَجاتُ العُلَى.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ [أَئِنَّكُمْ][9]﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإدْخالِ ألِفٍ بَينَهما، على الوَجهَينِ في المَوضِعَينِ[10]- ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: أدبارَ الرِّجالِ ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ؟

[٢٩] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: طَرِيقَ المَارَّةِ بِفِعلِكُم الفاحِشَةَ بِمَنْ يَمُرُّ بِكُم؛ فتَرَكَ النَّاسُ المَمَرَّ بِكُم[11] ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ أي: مُتَحَدَّثِكُم ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾: فِعلَ الفاحِشةِ بعضُكُم ببعضٍ؟ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في استِقباحِ ذلكَ، وأنَّ العذابَ نازِلٌ بفاعِليه.

[٣٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بِتَحقِيقِ قَولي، في إنزالِ العَذابِ ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: العاصِينَ، بإتيانِ الرِّجالِ. فاستَجابَ اللهُ دُعاءَه.

---

(١) المذكورُ في القُرآنِ إنَّما هو جَعلُ النَّارِ بَردًا وسَلَامًا عليه، ومَاعَدا ذلك لم يَأْتِ عليه دليلٌ صحيحٌ.

(٢) القِراءةُ المَذكُورةُ أوَّلًا: ﴿مَّوَدَّةُ بَيْنِكُمْ﴾؛ بالرَّفعِ والإضافَةِ: لِلكسائيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ حفصٌ وحمزةُ: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بالفَتحِ والإضافَةِ. وقَرَأَ البَاقُونَ: ﴿مَّوَدَّةً بَيْنَكُمْ﴾؛ بِفَتحِ وتَنوِينِ التَّاءِ، وفَتحِ النُّونِ.

(٣) أي: لِأَجلِ المَودَّةِ.

(٤) أي: كُفَّتْ «إنَّ» عَن عَمَلِها بِنَصبِ اسمِها ورَفعِ خَبرِها.

(٥) قالَ البِقاعِيُّ في نَظمِ الدُّررِ في تناسبِ الآياتِ والسُّوَرِ (١٤/ ٤٢٤): «ويَدخُلُ في هذا كُلُّ مَن وَافقَ أصحابَه مِن أهلِ المَعاصِي أوِ البطالة على الرذائلِ، لِيعدُّوه حَسَنَ العِشْرةِ مُهذَّبَ الأخلاقِ لَطِيفَ الذَّاتِ، أو خَوفًا مِنْ أن يَصِفُوه بِكثافَةِ الطَّبعِ وسُوءِ الصُّحبَةِ، ولَقدْ عَمَّ هذا لَعمرِي أهلَ الزَّمانِ؛ لِيُوصَفُوا بِمُوافاةِ الإخوَانِ ومُصافاةِ الخِلَّانِ، مُعرِضِينَ عَن رِضَى المَلِكِ الدَّيَّانِ».

(٦) يُنظَرُ ما تَقدَّمَ في سُورةِ الأنبياءِ الآية (٧١).

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (خَلقه).

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (القُرآن).

(٩) وهي قِراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وأبي عَمرٍو. وأجمعَ القُرَّاءُ على الاستفهامِ في المَوضِعِ الثَّاني، وهُو ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾.

(١٠) أي: وتَركِه، وقرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وحفصٌ بالخبرِ؛ أي بِهَمزةٍ مَكسورةٍ بَعدَها نُونٌ مَفتوحةٌ مُشَدَّدَةٌ، وقَرَأَ البَاقُونَ ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بالاستفهامِ؛ أي: بِهَمزةٍ مَفتوحَةٍ بعدَها همزةٌ مكسورةٌ، إلَّا أنَّ منهم مَن سهَّلَ الثانيةَ، ومنهم مَنْ حقَّقَها؛ فأبو عَمرٍو سهَّلَ الثانيةَ وأدخلَ بينها وبينَ الأُولى ألِفًا، وشُعبةُ، وحمزةُ، والكِسائيُّ بتحقِيقِهما مِنْ غَيرِ إدخالٍ بينهما.

(١١) الأظهرُ أنَّ قطعهم السَّبيلَ أعمُّ من ذلك، فيشملُ مع ما ذُكِر إخافةَ المارَّةِ وإرهابَهم بأخذِ أموالِهم وسَفكِ دِمائِهم، ونحوَ ذلك.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟
أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا
ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم
مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بِإسحاقَ ويعقوبَ بعدَه ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي: قَريةِ لُوطٍ ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾: كَافِرِينَ.

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ إبراهِيمُ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟﴾ أي: الرُّسُلُ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ [لَنُنجِيَنَّهُۥ]﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[١] - ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: البَاقِينَ في العَذَابِ.

[٣٣] ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾: حَزِنَ بِسَبَبِهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صَدْرًا؛ لِأَنَّهم حِسَانُ الوُجُوهِ في صُورَةِ أَضيَافٍ؛ فَخَافَ عَليهم قَومَه؛ فأَعْلَمُوه أَنَّهم[٢] رُسُلُ رَبِّهِ ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ[٣] - ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ - ونَصْبُ: «أَهْلَكَ» عَطْفٌ[٤] على مَحَلِّ الكَافِ[٥] -.

[٣٤] ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[٦] - ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾: عَذَابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا﴾: بِالفِعْلِ الَّذِي ﴿كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ به؛ أي: بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ.

[٣٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾: ظَاهِرَةً؛ هي: آثَارُ خَرَابِها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

[٣٦] ﴿وَ﴾ أرسَلنَا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾: اخشَوْه - هو: يَومُ القِيَامَةِ - ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ لِعَامِلِها، مِنْ: «عَثِيَ» بِكَسرِ المُثَلَّثَةِ: أَفسَدَ.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزَلَةُ الشَّدِيدَةُ ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: بَارِكِينَ على الرُّكَبِ مَيِّتِينَ.

[٣٨] ﴿وَ﴾ أهلَكنَا ﴿عَادًا [وَثَمُودَا۟]﴾ - بِالصَّرفِ[٧] وتَرْكِه[٨]؛ بِمَعنَى: الحَيِّ والقَبِيلَةِ[٩] - ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إِهلاكُهُم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ﴾ بِالحِجْرِ واليَمَنِ[١٠] ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ مِنَ الكُفرِ والمَعَاصِي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سَبِيلِ الحَقِّ ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: ذَوِي بَصَائِرَ.

---

(١) ﴿لَنُنجِيَنَّهُۥ﴾: بِتخفِيفِ الجِيمِ وسُكونِ النُّونِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسائيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾: بِتشدِيدِ الجِيمِ مَعَ فَتحِ النُّونِ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِأَنَّهم).

(٣) ﴿مُنجُوكَ﴾: بِتَخفِيفِ الجِيمِ مَعَ سُكونِ النُّونِ: قِرَاءَةُ حمزةَ والكِسَائِيِّ وشُعبةَ وابنِ كثيرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مُنَجُّوكَ﴾: بِتَشدِيدِ الجِيمِ وفَتحِ النُّونِ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ونُصِبَ: «أَهْلَكَ» عَطفًا).

(٥) أي: في كلمةِ: ﴿مُنَجُّوكَ﴾؛ فهو مَبنِيٌّ على الفَتحِ في مَحَلِّ نَصْبٍ.

(٦) ﴿مُنَزِّلُونَ﴾: بِتَشدِيدِ الزَّايِ وفَتحِ النُّونِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ.

(٧) أي: صرفِ: «ثمود». وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِصرفِ «ثمود» وتركه).

(٨) ﴿وثَمُودَا﴾: بالصَّرفِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حمزةَ وحفصٍ. وقَرَأَ حمزةُ وحفصٌ: ﴿وَثَمُودَا۟﴾: دُونَ تَنوِينٍ.

(٩) أي: على كُلٍّ مِنَ القِراءَتَينِ بِالتَّرتِيبِ؛ أي: يَنصرِفُ «ثمود» إذا كان بِمَعنَى: الحَيِّ، ويُمنعُ مِنَ الصَّرفِ إذا كانَ اسمًا لِلقبيلةِ؛ أي: لِلعَلَمِيَّةِ والتأنيثِ. قالَ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ في الدرِّ المَصونِ في عُلومِ الكتابِ المكنونِ (٦/ ٣٤٦): «والعَامَّةُ على مَنْعِ «ثمود» الصَّرفَ هنا لِعِلَّتَينِ: وهُما العَلَمِيَّةُ والتَّأنِيثُ، ذَهَبُوا به مَذهبَ القَبِيلَةِ، والأعمشُ ويَحيى بنُ وَثَّابٍ صَرَفُوه، ذَهَبَا به مَذهَبَ الحَيِّ».

(١٠) لَفٌّ ونَشْرٌ غَيرُ مُرَتَّبٍ؛ عَادٌ بِاليمنِ، وثَمودُ بِالحِجْرِ شَمالَ المدينةِ.

[٣٩] ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ مِنْ قَبلُ ﴿مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الحُجَجِ[1] الظَّاهِرَاتِ ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾: فَائِتِينَ عَذَابَنا.

[٤٠] ﴿فَكُلًّا﴾ مِنَ المَذكُورِينَ ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: رِيحًا عَاصِفَةً فيها حَصْبَاءُ؛ كَقَومِ لُوطٍ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كَثَمُودَ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كَقَارُونَ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كَقَومِ نُوحٍ، وفِرعَونَ وقَومِه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فَيُعَذِّبَهم بِغَيرِ ذَنبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِارتِكَابِ الذَّنبِ.

[٤١] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أصنامًا يرجُونَ نَفْعَها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لِنَفسِها تَأوِي إِلَيهِ ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾: أَضْعَفَ ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لَا يَدفَعُ عَنها حَرًّا ولَا بَرْدًا؛ كَذَلِكَ الأَصنَامُ لا تَنفَعُ عَابِدِيها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ مَا عَبَدُوها.

[٤٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بِمَعنَى: الذي ﴿يَدْعُونَ﴾: يَعبُدُونَ- بِاليَاءِ والتَّاءِ[2]- ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: غَيرِه ﴿مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه.

[٤٣] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ في القُرآنِ ﴿نَضْرِبُهَا﴾: نَجْعَلُها ﴿لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي: يَفهَمُها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾: المُتَدبِّرُونَ.

[٤٤] ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أَي: مُحِقًّا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ دَالَّةً على قُدرَتِه -تَعَالَى-: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهم المُنتَفِعُونَ بها في الإِيمَانِ، بِخِلَافِ الكَافِرِينَ.

[٤٥] ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ شَرعًا أي: مِنْ شَأنِها ذلك مَا دَامَ المَرْءُ فيها[3] ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مِنْ غَيرِه مِنَ الطَّاعَاتِ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فَيُجَازِيكُم به.

سُورَةُ العَنكَبُوتِ — الجُزْءُ العِشْرُونَ

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٤٠١

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِالحُجَج).

(٢) بالتَّاءِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا عاصِمٍ وأبي عَمرٍو.

(٣) رَوَى ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٧٣٤٦) عَن حَمَّادِ بنِ أَبِي سُلَيمَانَ فِي قَولِ الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، قَالَ: «مَا دُمْتَ فِيهَا»، وعزاه عبد الرزَّاق (٢٢٥٠) لِلكلبيِّ. وعَزاهُ البَغويُّ (٦/ ٢٤٥) لابنِ عَونٍ. وهذا أحد الأقوالِ في تفسيرِ الآيَةِ.

والقَولُ الثاني: أنَّ الصَّلاةَ سَترُدُّه وتَحمِلُه على تَركِ ذلك، كما في مُسنَدِ أحمدَ (٩٧٧٨)، وصحيحِ ابنِ حِبَّان (٢٥٦٠)، وصَحَّحه الألبانيُّ في الصَّحِيحةِ (٣٤٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ. قَالَ: «إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ». قَالَ أَبُو حَاتِمٍ ابنُ حبَّان عَقِبَه: «قَوْلُهُ: «سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ» مِمَّا نَقُولُ فِي كُتُبِنَا: إِنَّ العَرَبَ تُضِيفُ الفِعْلَ إِلَى الفِعْلِ نَفْسِهِ، كَمَا تُضِيفُ إِلَى الفَاعِلِ، أَرَادَ ﷺ أَنَّ الصَّلَاةَ إِذَا كَانَتْ عَلَى الحَقِيقَةِ فِي الابْتِدَاءِ وَالانْتِهَاءِ، يَكُونُ المُصَلِّي مُجَانِبًا لِلمَحظُورَاتِ مَعَهَا، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾». قَالَ ابنُ كثيرٍ (٦/ ٢٨٠): «يَعْنِي: أَنَّ الصَّلَاةَ تَشْتَمِلُ عَلَى شَيْئَيْنِ: عَلَى تَرْكِ الفَوَاحِشِ وَالمُنكَرَاتِ، أَي: إِنَّ مُوَاظَبَتَهَا تَحْمِلُ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ...».

والقَولُ الثالث: أنَّ الصَّلاةَ تَنهى عنها في جميعِ الأوقاتِ. قال القرطبيُّ (١٣/ ٣٤٨): «وَفِي الآيَةِ تَأْوِيلٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ الَّذِي ارْتَضَاهُ المُحَقِّقُونَ، وَقَالَ بِهِ المَشْيَخَةُ الصُّوفِيَّةُ، وَذَكَرَهُ المُفَسِّرُونَ، فَقِيلَ: المُرَادُ بِـ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: إِدَامَتُهَا وَالقِيَامُ بِحُدُودِهَا، ثُمَّ أَخْبَرَ حُكْمًا مِنْهُ بِأَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى صَاحِبَهَا وَمُمْتَثِلَهَا عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ المُشْتَمِلِ عَلَى المَوْعِظَةِ. وَالصَّلَاةُ تَشْغَلُ كُلَّ بَدَنِ المُصَلِّي، فَإِذَا دَخَلَ المُصَلِّي فِي مِحْرَابِهِ وَخَشَعَ وَأَخْبَتَ لِرَبِّهِ وَادَّكَرَ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَيَرَاهُ، صَلُحَتْ لِذَلِكَ نَفْسُهُ وَتَذَلَّلَتْ، وَخَامَرَهَا ارْتِقَابُ اللهِ تَعَالَى، وَظَهَرَتْ عَلَى جَوَارِحِهِ هَيْبَتُهَا، وَلَمْ يَكَدْ يَفْتُرُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى تُظِلَّهُ صَلَاةٌ أُخْرَى يَرْجِعُ بِهَا إِلَى أَفْضَلِ حَالَةٍ. فَهَذَا مَعْنَى هَذِهِ الأَخْبَارِ، لِأَنَّ صَلَاةَ المُؤْمِنِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ».

الجزء ٦ الحزب ٤١

* وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ
٤٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا
يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن
قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ
ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩ وَقَالُواْ
لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ
وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ
لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ
شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢

[٤٦] ﴿* وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي﴾ أي: المُجادَلَةِ[1] التي ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾ كالدُّعاءِ إلى اللهِ بآياتِه، والتَّنبيهِ على حُجَجِه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ بأنْ حارَبُوا وأَبَوْا أنْ يُقِرُّوا بالجِزيَةِ؛ فجادِلُوهم بالسَّيفِ، حتَّى يُسْلِمُوا أو يُعْطُوا الجِزيَةَ ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لِمَنْ قَبِلَ الإقرارَ بالجِزيَةِ، إذا أخبَرُوكم بشَيءٍ مِمَّا في كُتُبِهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾[*] - ولا تُصَدِّقُوهُم ولا تُكَذِّبُوهم في ذلكَ- ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: مُطِيعُونَ.

[٤٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾: القُرآنَ؛ كَما أنزَلْنا إليهِمُ التَّوراةَ وغيرَها ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ؛ كعَبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ وغيرِه ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾: بالقُرآنِ ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهلِ مَكَّةَ ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعدَ ظُهُورِها ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ أي: اليَهُودُ[2]. وظَهَرَ لهم أنَّ القُرآنَ حَقٌّ والجائِيَ به مُحِقٌّ، وجَحَدُوا ذلِكَ.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ ﴿مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا﴾ أي: لو كُنتَ قارِئًا كاتِبًا ﴿لَّٱرۡتَابَ﴾: شَكَّ ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: اليَهُودُ فِيكَ، وقالُوا: «الذي في التَّوراةِ أنَّه أُمِّيٌّ لا يَقرَأُ ولا يَكتُبُ».

[٤٩] ﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي: القُرآنُ الذي جِئتَ به ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ أي: المُؤمِنِينَ يَحفَظُونَه ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي[3]: اليَهُودُ. وجَحَدُوها بعدَ ظُهُورِها لهم.

[٥٠] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ: ﴿لَوۡلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ أي[4]: مُحَمَّدٍ ﴿[ءَايَةٞ] مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾[5] - وفي قِراءَةٍ: ﴿ءَايَٰتٞ﴾- كَناقَةِ صالِحٍ، وعَصا مُوسى، ومائِدَةِ عِيسى ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يُنزِلُها كَيفَ[6] يَشاءُ ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: مُظْهِرٌ إنذارِيَ بالنَّارِ أهلَ المَعصِيَةِ[7].

[٥١] ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ فِيما طَلَبُوا ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فهو آيَةٌ مُستَمِرَّةٌ، لا انقِضاءَ لها، بخِلافِ ما ذُكِرَ مِنَ الآياتِ؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الكِتابِ ﴿لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾: عِظَةً ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾ بِصِدْقِي ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ومِنهُ حالِي وحالُكُم! ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ - وهو ما يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ- ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ مِنكُم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ في صَفقَتِهم؛ حيثُ اشتَرَوُا الكُفرَ بالإيمانِ.

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ أبي هُرَيرَةَ، قالَ: كانَ أهلُ الكِتابِ يَقرَءُونَ التَّوراةَ بالعِبرانِيَّةِ، ويُفَسِّرُونَها بالعَرَبِيَّةِ لِأهلِ الإسلامِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تُصَدِّقُوا أهلَ الكِتابِ ولا تُكَذِّبُوهُم، وقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة:١٣٦] وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ» الآيَةَ. البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سُورةُ البقرة (٢) باب (١١) قُولُوا آمنَّا بِالله وما أُنزلَ إلينا...

---

(١) في نُسخَةِ قَباوَة: (بالمجادَلَةِ).

(٢) المُناسِبُ أن يقولَ: إلَّا الكافِرُونَ؛ كاليهودِ وغيرِهم. فالآيَةُ تَشمَلُ هَؤلاءِ جميعًا، ولا فائِدَةَ في حَصرِها في اليَهُودِ.

(٣) كلمةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَباوَة.

(٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (على) بَدَلًا مِنْ: (أي).

(٥) ﴿ءَايَةٞ﴾ بالإفرادِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وشُعبَةَ وحَمزَةَ والكِسائِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿ءَايَٰتٞ﴾؛ بالجَمعِ.

(٦) في نُسخَةِ قَباوَة: (كَما) بَدَلًا مِنْ: (كيف).

(٧) في نُسخَةِ قَباوَة: (بيْنُ الإنذارِ بالنَّارِ) بدلًا مِن: (مُظْهِرٌ إنذارِيَ بالنَّارِ أهلَ المَعصِيَةِ).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ له ﴿لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجِلًا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقتِ إتيانِه.

[٥٤] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدُّنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [وَنَقُولُ](١)﴾ فيه؛ بالنُّونِ: أي: نَأمُرُ بالقَولِ، وبِالياءِ(٢): أي: ﴿يَقُولُ﴾، [أي](٣): المُوَكَّلُ بِالعَذَابِ(٤): ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزَاءَه. فَلا تَفُوتُونَنا.

[٥٦] ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ في أيِّ أرضٍ تَيَسَّرَتْ فيها العِبَادَةُ؛ بِأَنْ تُهاجِرُوا إليها مِنْ أرضٍ لَمْ تَتَيَسَّرْ فيها. نَزَلَ في ضُعَفاءِ مُسلِمِي مَكَّةَ، كَانُوا في ضَيقٍ مِنْ إظهَارِ الإسلَامِ بها.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ(٥)- بَعدَ البَعْثِ.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: نُنْزِلَنَّهُم- وفي قِرَاءَةٍ(٦): بِالمُثَلَّثَةِ بَعدَ النُّونِ؛ مِن الثَّوَاءِ(٧): الإقَامَةِ. وتَعدِيَتُه إلى ﴿غُرَفًا﴾ بِحَذْفِ «في»- ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾: مُقَدَّرِينَ الخُلُودَ ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هذا الأَجرُ!

[٥٩] هُمُ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي(٨): عَلى أذَى المُشرِكِينَ، والهِجْرَةِ لِإظهَارِ الدِّينِ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فَيَرزُقُهم مِنْ حَيثُ لا يَحتَسِبُونَ.

[٦٠] ﴿وَكَأَيِّن﴾: كَمْ ﴿مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لِضَعْفِها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ - أيُّها المُهاجِرُونَ- وإنْ(٩) لَمْ يَكُنْ مَعَكُم زَادٌ ولا نَفَقَةٌ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأقوَالِكُم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِضَمائِرِكُم(١٠).

[٦١] ﴿وَلَئِن﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿سَأَلْتَهُم﴾ أي: الكُفَّارَ ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصْرَفُونَ عَنْ تَوحِيدِهِ بَعدَ إقرَارِهم بِذلكَ؟!

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يُوَسِّعُه ﴿لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتِحَانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُ(١١) ﴿لَهُ﴾ بَعدَ البَسْطِ؛ أي(١٢): لِمَنْ يَشَاءُ ابتِلَاءً ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مَحَلُّ البَسْطِ والتَّضيِيقِ.

[٦٣] ﴿وَلَئِن﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿سَأَلْتَهُم﴾ أي: الكُفَّارَ: ﴿مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فَكَيفَ يُشرِكُونَ به؟! ﴿قُلِ﴾ لَهُم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلى ثُبُوتِ الحُجَّةِ عَلَيكُم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تَنَاقُضَهُم في ذَلِكَ.

---

(١) ﴿ونَقُولُ﴾؛ بالنُّونِ: قِرَاءَةُ ابن كثير وأبي عمرٍو وابن عامر.

(٢) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وحَمزَةَ والكِسَائِيِّ وعاصمٍ.

(٣) كلمة: (أي) لَيسَتْ في الأَصْلِ، وأَثبَتْنَاها مِن نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) في الآيَةِ إثباتُ صِفَةِ القَولِ والكَلامِ لله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه يَتعلَّقُ بِمَشِيئتِه واختيَارِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يَتَكَلَّمُ بما شَاءَ كيفَ شَاءَ. وجُنُوحُ المُفَسِّرِ إلى نِسبَةِ القَولِ إلى غَيرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إنَّما هو جَرْيٌ على مَذْهَبِه في إنكَارِ صِفَةِ القَولِ والكَلَامِ لله عَزَّوَجَلَّ.

(٥) ﴿يُرجَعُونَ﴾؛ بالياءِ: قِرَاءَةُ شُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتَّاءِ.

(٦) أي: وبِالياءِ بَدَلَ الهَمْزَةِ فتكونَ: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُم﴾ وهي قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الثُّوِيِّ).

(٨) كلمةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (إن) بدون الواو.

(١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ضميركم).

(١١) في نُسْخَة قَبَاوَة: (يُضَيِّقُه).

(١٢) في نُسْخَة قباوَة: (أو).

وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ
ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ
مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾
لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ
حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ
أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾

ترتيبها ٣٠ ـ سُورَةُ الرُّومِ ـ آياتها ٦٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٤١

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ
بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ
مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

[٦٤] ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ وأَمَّا القُرَبُ فمِنْ أُمُورِ الآخِرَةِ؛ لِظُهورِ ثَمَرَتِها فيها ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ بِمعنَى: الحَياةُ ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ ذلكَ مَا آثَرُوا الدُّنيا عَليها.

[٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الدُّعاءَ؛ أي: لا يَدْعُونَ معه غَيرَه؛ لِأَنَّهم في شِدَّةٍ لَا يَكشِفُها إِلَّا هُو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ به.

[٦٦] ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ مِنَ النِّعْمَةِ ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ﴾ باجتِماعِهم عَلى عِبادَةِ الأَصْنامِ. وفي قِراءَةٍ[1]: بِسُكُونِ اللَّامِ؛ أَمْرُ تَهدِيدٍ ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ عاقِبَةَ ذلكَ.

[٦٧] ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾: يَعلَمُوا ﴿أَنَّا جَعَلۡنَا﴾ بَلدَهُم مَكَّةَ ﴿حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ قَتْلًا وَسَبْيًا دُونَهم؟ ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾: الصَّنَمِ ﴿يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾ بِإِشْراكِهم؟!

[٦٨] ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لَا أَحدَ ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِأَنْ أَشْرَكَ به ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: النَّبِيِّ أَوِ الكِتابِ ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى﴾: مَأْوًى ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾؟ أي: فِيها ذلكَ، وهو مِنهم.

[٦٩] ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾: في حَقِّنَا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ أي: طُرُقَ السَّيرِ إِلَينا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: المُؤمِنِينَ، بِالنَّصرِ والعَونِ[2].

سُورَةُ الرُّومِ

مَكِّيَّةٌ، وهي: سِتُّونَ، أو: تِسْعٌ وخَمْسُونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اللهُ أَعلَمُ بِمُرَادِهِ في ذلكَ.

[٢] ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ - وهُم أَهلُ الكِتابِ- غَلَبَتْها فارِسُ ولَيسُوا أَهْلَ كِتابٍ بل يَعبُدُونَ الأَوثَانَ؛ فَفَرِحَ كُفَّارُ مَكَّةَ بِذلكَ، وقَالُوا لِلمُسلِمِينَ: «نَحنُ نَغلِبُكُم كَما غَلَبَتْ فارِسُ الرُّومَ»[3].

[٣] ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أَقْرَبِ أَرضِ الرُّومِ إِلى فَارِسَ بِالجَزِيرَةِ، التَقَى فيها الجَيشانِ، والبَادِي بِالغَزوِ الفُرسُ ﴿وَهُم﴾ أي: الرُّومُ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ - أُضِيفَ المَصْدَرُ إِلى المَفعُولِ- أي: غَلَبَةِ فَارِسَ إِيَّاهُم ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ فَارِسَ.

[٤] ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾[*] هو ما بَينَ الثَّلاثِ إِلى التِّسعِ أو العَشْرِ. فالتَقَى الجَيشانِ في السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الالتِقَاءِ الأَوَّلِ، وغَلَبَتِ الرُّومُ فَارِسَ ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي: مِنْ قَبلِ غَلَبِ الرُّومِ ومِنْ بَعدِه. المَعنَى: أَنَّ غَلَبَةَ فَارِسَ أَوَّلًا، وغَلَبَةَ الرُّومِ ثَانِيًا بِأَمرِ اللهِ؛ أي: إِرادَتِه[4] ﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يَومَ تَغْلِبُ الرُّومُ ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

[٥] ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ إِيَّاهُم على فَارِسَ. وقَدْ فَرِحُوا بذلكَ، وعَلِمُوا به يومَ وُقُوعِه؛ أي: يَومَ بَدرٍ، بِنُزُولِ جِبرِيلَ بِذلكَ، مَعَ فَرَحِهِم بِنَصْرِهم عَلى المُشرِكِينَ فيه[**] ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِالمُؤمِنِينَ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾... خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ قَالَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِأَبِي بَكْرٍ: فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، زَعَمَ صَاحِبُكَ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، أَفَلَا نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: بَلَى -وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ- فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرِّهَانَ، وَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ: كَمْ تَجْعَلُ؟: الْبِضْعُ ثَلَاثُ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ؛ فَسَمِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ. قَالَ: فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِنِينَ. قَالَ: فَمَضَتِ السِّتُّ سِنِينَ، قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا، فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ. فَلَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ السَّابِعَةُ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ. التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٣١) ومِنْ سُورةِ الروم، وحَسَّنَه الأَلبانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٥٢).

[**] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآياتِ (١-٥): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ، فَنَزَلَتْ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ قَالَ: فَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ. التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٣١) سُورة الرُّوم، (صحيحٌ بِما بَعدَه) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٥٠).

---

(١) ﴿وَلۡيَتَمَتَّعُواْۖ﴾؛ بِسُكُونِ اللَّامِ: لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ وقالون.

(٢) وهذا مِنْ لَوازِمِ مَعِيَّتِه سُبحانَه وتَعالَى الخَاصَّةِ بِعِبادِهِ المُؤمِنِينَ، وحَقِيقَتُها الصُّحبَةُ اللائِقَةُ -كَما سَبَقَ-، ولا تَنَافِي بينها وبين كَونِه مُستَوِيًا على عَرشِه، بَائِنًا مِنْ خَلْقِه.

(٣) أَخرَجَ البيهقيُّ في الدَّلائل (٢/ ٣٣٢) عَنِ ابنِ شِهَابٍ، قَالَ: «كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُجَادِلُونَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ بِمَكَّةَ، يَقُولُونَ: الرُّومُ أَهْلُ كِتَابٍ وَقَدْ غَلَبَتْهُمُ الْفُرْسُ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ سَتَغْلِبُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّكُمْ، فَسَنَغْلِبُكُمْ كَمَا غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عزوجل: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾.

(٤) الأَمرُ غَيرُ الإِرادَةِ؛ فإِنَّ الأَمْرَ يَقْتَضِي الكَلامَ. واللهُ عزوجل يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ، كَيفَ شَاءَ، على ما يَلِيقُ به سُبحانَه وتَعالَى.

[٦] ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾: مَصْدَرٌ، بَدَلٌ مِنَ اللَّفْظِ بِفِعلِه، والأَصْلُ: وَعَدَهُم اللهُ النَّصرَ ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ[1] ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وَعْدَه -تَعَالَى- بِنَصْرِهِم.

[٧] ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: مَعَايِشَها، مِنَ التِّجَارَةِ والزِّرَاعَةِ والبِنَاءِ والغَرْسِ وغَيرِ ذلك ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ - إِعَادَةُ ﴿هُمۡ﴾ تأكِيدٌ[2]-.

[٨] ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ لِيَرْجِعُوا عَنْ غَفْلَتِهم ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾؟ لِذَلكَ تَفنَى عِندَ انتِهَائِه، وبَعدَه البَعْثُ ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ أي: لا يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ بَعدَ المَوتِ[3].

[٩] ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ مِنَ الأُمَمِ؛ وهي: إِهْلَاكُهم بِتكذِيبِهم رُسُلَهم؟ ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ كعَادٍ وثَمُودَ ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾: حَرَثُوها، وقَلَبُوهَا لِلزَّرْعِ والغَرْسِ ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾: بِالحُجَجِ الظَّاهِرَاتِ ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بِإِهْلَاكِهم بغَيرِ جُرْمٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بِتكذِيبِهم رُسُلَهم.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ [عَٰقِبَةُ] ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: تَأْنِيثُ الأَسوَأِ: الأَقبح، خَبَرُ ﴿كَانَ﴾ على رَفْعِ ﴿عَٰقِبَةُ﴾[4]، واسمُ ﴿كَانَ﴾ على نَصْبِ ﴿عَٰقِبَةَ﴾. والمُرَادُ بِها جَهَنَّمُ. وإِسَاءَتُهم ﴿أَن﴾ أَي: بِأَنْ ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

[١١] ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أي: يُنشِئُ خَلْقَ النَّاسِ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: خَلْقَهم بَعدَ مَوتِهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ [يُرۡجَعُونَ]﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ[5]-.

[١٢] ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: يَسكُتُ المُشرِكُونَ؛ لِانقِطَاعِ حُجَّتِهم.

[١٣] ﴿وَلَمۡ يَكُن﴾ أَي: لا يَكُونُ ﴿لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ مِمَّنْ أَشرَكُوهم بِالله- وهُمُ الأَصْنَامُ، لِيَشْفَعُوا لهم- ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ﴾ أي: يَكُونُونَ ﴿بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ أي: مُتَبَرِّئِينَ منهم.

[١٤] ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ﴾: تَأْكِيدٌ ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ أَيِ: المُؤْمِنونَ والكَافِرُونَ.

[١٥] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ﴾: جَنَّةٍ ﴿يُحۡبَرُونَ﴾: يُسَرُّونَ.

وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا
مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ
أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا
عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ
عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ
بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ
﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن
شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ
﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾

(١) الأَوْلَى تفسيرُها بِالعُمومِ، ويَدخلُ الكُفَّارُ فيها دُخولًا أوَّليًّا.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تأكيدًا).

(٣) وهو لِقاءٌ حَقيقيٌّ كيفَما يَشاؤه رَبُّنا سُبحانَهُ وتَعالَى.

(٤) بالرَّفع: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٥) بالياءِ: قِراءَةُ أبي عمرٍو وشُعبَةَ.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡـَٔاخِرَةِ
فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ
وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ
ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ
١٩ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ
تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ
أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ
خَلۡقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَـٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّلۡعَـٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم
بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَـٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ
خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ
بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤

[١٦] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلۡـَٔاخِرَةِ﴾: البَعْثِ وغَيرِه ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: سَبِّحُوا اللهَ؛ بِمَعنَى: صَلُّوا ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾ أي: تَدْخُلُونَ في المَسَاءِ؛ وفيه صَلَاتَانِ: المَغرِبُ والعِشَاءُ ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾: تَدخُلُونَ في الصَّباحِ، وفيه صَلَاةُ الصُّبْحِ.

[١٨] ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: اعتِرَاضٌ[1]؛ ومَعْنَاه: يَحمَدُه أهلُهما ﴿وَعَشِيّٗا﴾: عَطفٌ على ﴿حِينَ﴾، وفيه صَلَاةُ العَصْرِ ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾: تَدْخُلُونَ في الظَّهِيرَةِ، وفيه صَلَاةُ الظُّهْرِ!

[١٩] ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ كَالإِنسَانِ مِنَ النُّطْفَةِ، والطَّائِرِ مِنَ البَيضَةِ ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ﴾: النُّطْفَةَ والبَيضَةَ ﴿مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ أي: يُبْسِها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإِخْرَاجِ ﴿[تُخۡرَجُونَ]﴾ مِنَ القُبُورِ- بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ والمَفعُولِ[2]-.

[٢٠] ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ -تَعَالَى- الدَّالَّةِ على قُدْرَتِه ﴿أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ أي: أَصْلَكُم آدَمَ ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ﴾ مِنْ دَمٍ وَلَحمٍ ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ في الأَرضِ.

[٢١] ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ فَخُلِقَتْ حَوَّاءُ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ[3]، وسَائِرُ النَّاسِ مِنْ نُطَفِ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ وتَأْلَفُوها ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم﴾ جَمِيعًا ﴿مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذْكُورِ ﴿لَأٓيَـٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنْعِ اللهِ تَعَالَى.

[٢٢] ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَـٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ أي: لُغَاتِكُم؛ مِنْ عَرَبِيَّةٍ وعَجَمِيَّةٍ وغَيرِهما ﴿وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ مِنْ بَيَاضٍ وسَوَادٍ وغَيرِهما، وأَنتُم أَولَادُ رَجُلٍ وَاحِدٍ وامرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ﴾: دَلَالَاتٍ على قُدْرَتِه -تَعَالَى- ﴿[لِّلۡعَـٰلِمِينَ]﴾ - بِفَتحِ اللَّامِ وكَسرِهَا[4]- أي: ذَوِي العُقُولِ[5]، وأُولِي العِلْمِ[6].

[٢٣] ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بِإِرَادَتِهِ رَاحَةً لَكُم ﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم﴾ بِالنَّهَارِ ﴿مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: تَصَرُّفُكُم في طَلَبِ المَعِيشَةِ بِإِرَادَتِه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ واعتِبَارٍ.

[٢٤] ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي: إِرَاءَتُكُمُ ﴿ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا﴾ لِلمُسَافِرِ مِنَ الصَّوَاعِقِ ﴿وَطَمَعٗا﴾ لِلمُقِيمِ في المَطَرِ[7] ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ أي: يُبْسِها؛ بِأَنْ تُنبِتَ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذْكُورِ ﴿لَأٓيَـٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

---

(١) أي: قولُه تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، ويكونُ تَقدِيرُ الكَلام: فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ.

(٢) ﴿تَخۡرُجُونَ﴾، بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ ذكوان بِخِلَافٍ عنه. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تُخۡرَجونَ﴾، بِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ.

(٣) وقد تَقَدَّمَ هذا في سورةِ البَقَرةِ الآيَة (٣٥)، وأَنَّ هذا القولَ هو قَولُ جُمهورِ المُفَسِّرِينَ، وأَنَّ حَوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ عليهما السَّلامُ، وذَكَرُوا في ذلكَ رِوَايَاتٍ كثيرةً مَوقُوفَةً، ورَجَّحَ مُحمَّد رشيد رضا والألبانيُّ أَنَّها مِنَ الإِسرَائِيلِيَّاتِ. وقالَ الألبانيُّ في الضعيفة (١٣/ ١١٤٠): «إِنَّه لم يَثبُتْ حَدِيثٌ في خَلْقِ حَوَّاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ». لكن لا يَخفَى ثُبوتُ خِلقَتِها مِنْ ضِلَعٍ، كما ثبتَ عِندَ البُخَارِيِّ (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ». قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم (١٠/ ٥٧): «وَفِيهِ دَلِيلٌ لِمَا يَقُولُهُ الفُقَهَاءُ، أَوْ بَعْضُهُمْ، أَنَّ حَوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ ...». وقد جَزَمَ به شيخُ الإِسلامِ في الجوابِ الصَّحِيحِ (٤/ ٥٥).

(٤) ﴿لِّلۡعَـٰلَمِينَ﴾، بِالفَتحِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ إِلَّا حفصًا، وقَرَأَ حفصٌ: ﴿لِّلۡعَـٰلِمِينَ﴾، بِالكَسرِ.

(٥) على قِرَاءَةِ الفَتحِ: ﴿لِّلۡعَـٰلَمِينَ﴾.

(٦) على قِرَاءَةِ الكَسرِ: ﴿لِّلۡعَـٰلِمِينَ﴾.

(٧) لا وَجهَ لِهذا القَصرِ والتَّفرِقَةِ؛ فلا يَمتنعُ أَنْ يَكُونَ خَوفًا وطَمَعًا لِلمُسافِرِينَ والمُقِيمِينَ؛ فهو تَارةً يَكُونُ خيرًا، وتَارةً يَكُونُ شَرًّا، لِلجَمِيعِ.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا
مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ
كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ
فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

نصف الحزب ٤١

[٢٥] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ﴾: بِإِرَادَتِه[1] مِنْ غَيرِ عَمَدٍ ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بِأَنْ يَنفُخَ إِسرَافِيلُ في الصُّورِ لِلبَعْثِ مِنَ القُبُورِ ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها أَحياءً. فَخُرُوجُكُم منها بِدَعوةٍ؛ مِنْ آيَاتِه -تَعَالَى-.

[٢٦] ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ مُلْكًا وخَلْقًا وعَبِيدًا ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مُطِيعُونَ.

[٢٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ لِلنَّاسِ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بَعدَ هَلَاكِهِم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾ مِنَ البَدْءِ، بِالنَّظَرِ إلى مَا عِندَ المُخَاطَبِينَ، مِنْ أَنَّ إِعَادَةَ الشَّيءِ أَسْهَلُ مِن ابتِدَائِه- وإِلَّا فَهُمَا عِندَ اللهِ -تَعَالَى- سَوَاءٌ في السُّهُولَةِ- ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أَيِ: الصِّفَةُ العُلْيَا؛ وهي: أَنَّه لَا إِلَه إِلَّا اللهُ[2] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خَلْقِهِ.

[٢٨] ﴿ضَرَبَ﴾: جَعَلَ ﴿لَكُم﴾ - أَيُّها المُشرِكُونَ- ﴿مَّثَلًا﴾ كَائِنًا ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ﴾ وهو: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أَي: مِنْ مَمَالِيكِكُم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ لَكُم ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ مِنَ الأَمْوَالِ وغَيرِها ﴿فَأَنتُمْ﴾ وهُمْ ﴿فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ أَي: أَمثَالَكُم مِنَ الأَحرَارِ؟ والاستِفهَامُ بِمَعنَى النَّفيِ. المَعنَى: لَيسَ مَمَالِيكُكُم شُرَكَاءَ لَكُم -إلى آخِرِه- عِندَكُم؛ فَكَيفَ تَجعَلُونَ بَعضَ مَمَالِيكِ اللهِ شُرَكَاءَ له؟ ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نُبَيِّنُهَا مِثْلَ ذلكَ التَّفصِيلِ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

[٢٩] ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بِالإِشرَاكِ ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾؟ أَي: لا هَادِيَ له[3] ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَانِعِينَ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

[٣٠] ﴿فَأَقِمْ﴾ - يا مُحَمَّد- ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ﴾: مَائِلًا إِلَيه؛ أَي: أَخلِصْ دِينَكَ للهِ، أَنتَ ومَنْ تَبِعَكَ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: خِلْقَتَه ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ وهِيَ دِينُه؛ أَيِ: الزَمُوهَا ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾: لِدِينِه؛ أَي: لَا تُبَدِّلُوه بِأَنْ تُشرِكُوا ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[*] المُستَقِيمُ تَوحِيدُ اللهِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أَي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ تَوحِيدَ اللهِ.

[٣١] ﴿۞ مُنِيبِينَ﴾: رَاجِعِينَ ﴿إِلَيْهِ﴾ -تَعَالَى- فِيما أَمَرَ به ونَهَى عنه، حَالٌ مِنْ فَاعِلِ ﴿أَقِمْ﴾ ومَا أُرِيدَ به، أَي: أَقِيمُوا ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: خَافُوهُ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[٣٢] ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: بَدَلٌ بِإِعَادَةِ الجَارِّ ﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ بِاختِلَافِهِم فِيما يَعبُدُونَه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ﴾: فِرَقًا في ذلكَ ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: عِندَهم ﴿فَرِحُونَ﴾: مَسرُورُونَ. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿فَارَقُوا﴾[4] أَي: تَرَكُوا دِينَهم الذِي أُمِرُوا به.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب الجنائز (٢٣) باب (٧٩) إِذا أَسلَمَ الصَّبِيُّ فمَاتَ، هل يُصَلَّى عليه؟ وكتاب التفسير (٦٥) سورة الرُّوم (٣٠) باب لا تبديلَ لخلقِ الله. وأَخرجَه مسلمٌ - كتاب القدر (٤٦) باب (٦) كُلُّ مولود يُولَدُ على الفِطرةِ. وعِندَه زِيادةُ قَولِ أَبِي هُرَيرةَ: «اقرَءُوا إِنْ شِئتُم...».

---

(١) سَبَقَ مِرارًا بَيَانُ أَنَّ الأَمْرَ غَيرُ الإِرَادَةِ، وبَيَانُ السَّبَبِ الذِي دَفَعَ المُفَسِّرَ رَحِمَهُ اللهُ إلى ذلكَ.

(٢) في نُسخةِ قباوة: (أنَّه لا إله غيره).

(٣) في نُسخةِ قباوة: (لهم).

(٤) لحَمزةَ والكِسَائيِّ.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن
زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿ضُرٌّ﴾: شِدَّةٌ ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾: رَاجِعِينَ ﴿إِلَيْهِ﴾ دُونَ غَيرِه ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمَطَرِ[1] ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

[٣٤] ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ - أُرِيدَ به التَّهدِيدُ - ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةَ تَمَتُّعِكُم. فيه التِفَاتٌ عَنِ الغَيبَةِ.

[٣٥] ﴿أَمْ﴾ - بِمَعنَى هَمزَةِ الإنكَارِ[2] - ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً وكِتَابًا ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تَكَلُّمَ دَلَالَةٍ ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يَأمُرُهُم بِالإشرَاكِ؟ لا.

[٣٦] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾: كُفَّارَ مَكَّةَ وغَيرَهم ﴿رَحْمَةً﴾: نِعْمَةً[3] ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ فَرَحَ بَطَرٍ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شِدَّةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ [يَقْنِطُونَ][4]﴾: يَيأَسُونَ مِنَ الرَّحمَةِ. ومِنْ شَأنِ المُؤمِنِ أَنْ يَشكُرَ عِندَ النِّعمَةِ، ويَرجُو رَبَّه عِندَ الشِّدَّةِ.

[٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾: يَعلَمُوا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتِحَانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُه لِمَنْ يَشَاءُ ابتِلَاءً؟ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

[٣٨] ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القَرَابَةِ ﴿حَقَّهُۥ﴾ مِنَ البِرِّ والصِّلَةِ ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُسَافِرَ، مِنَ الصَّدَقَةِ. وأُمَّةُ النَّبِيِّ تَبَعٌ له في ذَلكَ ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: ثَوَابَه[5]، بِمَا يَعمَلُونَ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفَائِزُونَ.

[٣٩] ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ بِأَنْ يُعطِيَ شَيئًا هِبَةً أو هَدِيَّةً؛ لِيَطْلُبَ أكثَرَ منه؛ فسُمِّيَ[6] باسمِ المَطلُوبِ، مِنَ الزِّيَادَةِ في المُعَامَلَةِ ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ المُعْطِينَ؛ أي: يَزِيدَ[7] ﴿فَلَا يَرْبُواْ﴾: يَزْكُو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا ثَوَابَ فيه لِلمُعْطِينَ ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾: صَدَقَةٍ ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ثَوَابَهم بِمَا أَرَادُوه. فيه التِفَاتٌ عَنِ الخِطَابِ.

[٤٠] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾: مِمَّنْ أَشرَكتُم بِاللهِ ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾؟ لا ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به!

[٤١] ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ أي: القِفَارِ؛ بِقَحْطِ المَطَرِ وقِلَّةِ النَّبَاتِ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: البِلَادِ التي عَلى الأَنهَارِ بِقِلَّةِ مَائِها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ مِنَ المعَاصِي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ - بِاليَاءِ والنُّونِ[8] - ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ أي: عُقُوبَتَه ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يَتُوبُونَ.

---

(١) الصَّوابُ أنَّ الرَّحمةَ عامَّةٌ، وتَشمَلُ هنا الخلاصَ مِن كُلِّ شِدَّةٍ تنزلُ بهم، وهو المناسبُ لتفسيرِه الضُّرَّ بالشِّدَّةِ. وفي الآيةِ إثباتُ صِفَةِ الرَّحمةِ لله سُبحانَهُ وتعالَى.

(٢) أي: أَأَنزَلْنَا.

(٣) النِّعمَةُ مِنْ آثارِ رَحمةِ الله، ونُثبتُ صِفَةَ الرَّحمَةِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به.

(٤) ﴿يقنِطون﴾، بِكَسرِ النُّونِ: قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو والكِسَائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَقْنَطُونَ﴾، بِفَتحِها.

(٥) وفيه إثباتٌ لِصِفَةِ الوَجهِ التي أثبتَها الله عَزَّوَجَلَّ لِنَفسِه، ونُثبتُها له على الوَجهِ اللائِقِ بِه مِنْ غَيرِ تَأوِيلٍ ولا تَعطِيلٍ ولا تَمثِيلٍ ولا تَكيِيفٍ. وقالَ ابنُ كثيرٍ (٦/ ٣١٨) في تفسيرِ هذه الآيةِ: «أي: النَّظرُ إلَيهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَهُوَ الغَايَةُ القُصوَى».

(٦) أي: هذا العَطاءُ، سَمَّاهُ الله عَزَّوَجَلَّ رِبًا لِذلكَ. وهذا تفسيرُ ابنِ عبَّاسٍ ومجاهدٍ وقتادةَ وغيرِهم لهذه الآيَةِ.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ليزيد).

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (﴿لِنُذِيقَهم﴾، بِالنُّونِ والياءِ). وقِرَاءَةُ النُّونِ: هي قِرَاءَةُ قنبل وروح. وقَرَأَ البَقِيَّةُ بِالياءِ.

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٤٠٩

[٤٢] ﴿قُلْ﴾ لِكُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فأُهلِكُوا بإشرَاكِهم، ومَسَاكِنُهم ومَنازِلُهم خاوِيَةٌ.

[٤٣] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: دِينِ الإسلامِ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ -هو يومُ القِيامَةِ- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ -فيه إدغامُ التَّاءِ في الأَصْلِ في الصَّادِ[1]-: يَتفَرَّقُونَ بَعْدَ الحِسَابِ، إلى الجَنَّةِ والنَّارِ.

[٤٤] ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾: وَبَالُ كُفْرِه؛ وهُو النَّارُ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يُوطِّئُونَ مَنازِلَهم في الجَنَّةِ.

[٤٥] ﴿لِيَجْزِىَ﴾: مُتَعَلِّقٌ بـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: يُثِيبُهُم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: يُعَاقِبُهم[2].

[٤٦] ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ -تَعَالَى- ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بِمَعنَى: لِتُبَشِّرَكم بِالمَطَرِ ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ بها ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: المَطَرِ والخِصْبِ[3] ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾: السُّفُنُ بها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بِإِرَادَتِه[4] ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾: تَطْلُبُوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الرِّزْقَ بِالتِّجارَةِ في البَحْرِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذِه النِّعَمَ -يا أَهلَ مَكَّةَ- فَتُوَحِّدُونَه.

[٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: بِالحُجَجِ الوَاضِحَاتِ، عَلَى صِدْقِهِم في رِسَالَتِهِم إليهم؛ فَكَذَّبُوهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾: أَهلَكنَا الذينَ كَذَّبُوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عَلَى الكَافِرِينَ، بِإِهلَاكِهم وإِنجاءِ المُؤْمِنِينَ.

[٤٨] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تُزْعِجُه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مِنْ قِلَّةٍ وكَثْرَةٍ ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: بِفَتحِ السِّينِ وسُكُونِها[5]: قِطَعًا مُتَفَرِّقَةً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المَطَرَ ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾ أي: وَسْطِه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾: بِالْوَدْقِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يَفرَحُونَ بِالمَطَرِ.

[٤٩] ﴿وَإِن﴾: وَقَدْ ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: تَأْكِيدٌ[6] ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: آيِسِينَ مِنْ إِنزَالِه.

[٥٠] ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ [أَثَرِ]﴾[7] -وفي قِرَاءَةٍ: ﴿ءَاثَـٰرِ﴾- ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: نِعمَتِه[8] بِالمَطَرِ: ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: يُبْسِها بِأَنْ تُنبِتَ؟ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المُحيِيَ الأَرضَ ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) أي: يتصَدَّعُونَ.

(٢) وهذا تأويلٌ لِصِفَةِ المَحبَّةِ بِلَازِمِها، وسَبَقَ بيانُ مذهبِ السَّلفِ في هذه الصِّفَةِ وغَيرِها، وإِثبَاتها لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ به.

(٣) المَطَرُ والخِصبُ مِنْ آثارِ رَحمةِ الله عَزَّوَجَلَّ، وصفةُ الرَّحمةِ ثَابتةٌ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(٤) الأَمْرُ غيرُ الإِرَادَةِ، كما سَبقَ التنبيهُ على ذلكَ.

(٥) ﴿كِسْفًا﴾؛ بِسُكُونِ السِّينِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ، بخلافٍ عَن هشامٍ.

(٦) أي: لِقَولِه: ﴿من قبل﴾.

(٧) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وشُعبَةَ، وقَرَأَ بقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ءَاثَـٰرِ﴾.

(٨) نِعمتُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمطرِ أثرٌ من آثارِ رحمتِه. وفي الآيةِ إثباتُ صِفَةِ الرَّحمةِ لله عَزَّوَجَلَّ.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ
﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ
سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا
ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ
فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ
لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ
وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا
مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

[٥١] ﴿وَلَئِنْ﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مُضِرَّةً عَلى نَبَاتٍ ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾: صَارُوا- جَوَابُ القَسَمِ- ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بَعدِ اصفِرَارِه ﴿يَكْفُرُونَ﴾: يَجحَدُونَ النِّعمَةَ بِالمَطَرِ.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ بَينَها وبَينَ اليَاءِ[(١)]- ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

[٥٣] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن﴾: ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سَمَاعَ إِفهَامٍ وقَبُولٍ ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُخلِصُونَ بِتَوحِيدِ اللهِ [تعالى][(٢)].

[٥٤] ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن [ضُعْفٍ]﴾: مَاءٍ مَهِينٍ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ [ضُعْفٍ]﴾ آخَرَ - وهو: ضُعْفُ الطُّفُولِيَّةِ- ﴿قُوَّةً﴾ أَي: قُوَّةَ الشَّبَابِ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ [ضُعْفًا] وَشَيْبَةً﴾: ضُعْفَ الكِبَرِ، وشَيبَ الهِرَمِ- والضُّعْفُ في الثَّلَاثَةِ بِضَمِّ أَوَّلِه وفَتْحِهِ[(٣)]- ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ مِنَ الضُّعْفِ والقُوَّةِ، والشَّبَابِ والشَّيبَةِ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِتَدْبِيرِ خَلْقِه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ عَلى مَا يَشَاءُ[(٤)].

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾: يَحلِفُ ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: الكَافِرُونَ ﴿مَا لَبِثُوا﴾ في القُبُورِ ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ؛ «البَعْثِ»، كَما صُرِفُوا عَنِ الحَقِّ: «الصِّدْقِ في مُدَّةِ اللَّبْثِ».

[٥٦] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ مِنَ المَلَائِكَةِ وغَيرِهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: فيما كَتَبَه في سَابِقِ عِلْمِه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذي أنكَرتُمُوه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وُقُوعَهُ.

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ[(٥)]- ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إِنكَارِهم لَه ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطلَبُ منهم العُتبَى؛ أَيِ: الرُّجُوعُ إِلى مَا يُرضِي اللهَ.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جَعَلنَا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ تَنبِيهًا لهم ﴿وَلَئِن﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿جِئْتَهُم﴾ -يَا مُحَمَّد- ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مِثْلِ العَصَا واليَدِ لِمُوسَى ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾ - حُذِفَ منه نُونُ الرَّفعِ لِتَوالِي النُّونَاتِ، والوَاوُ ضَمِيرُ الجَمْعِ لِالتِقَاءِ السَّاكِنَينِ- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي: مُحَمَّدٌ وأَصْحَابُه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: أَصحَابُ أَبَاطِيلَ[(٦)].

[٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التَّوحِيدَ؛ كَما طَبَعَ على قُلُوبِ هَؤُلَاءِ.

[٦٠] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِنَصرِكَ عَلَيهِم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بِالبَعْثِ؛ أَي: لَا يَحمِلَنَّكَ على الخِفَّةِ والطَّيشِ بِتَرْكِ الصَّبْرِ؛ أَي: لا تَترُكَنَّه.

---

(١) التَّسهِيلُ قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٢) كلمةُ: (تعالى) لَيسَتْ في الأَصْلِ، وأَثبَتْنَاها مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٣) ﴿ضُعْفٍ﴾، بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حَمزَةَ وشُعبَةَ، وحفصٍ في أَحدِ الوَجْهَينِ، والوَجْهُ الآخَرُ لِحفصٍ بِخُلفٍ عنه، وحَمزَةَ، وشُعبَةَ: ﴿ضَعْفٍ﴾ بِالفَتحِ.

(٤) القُدرةُ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ شَامِلَةٌ لِمَا شَاءَ ومَا لم يَشَأْهُ، لَكن ما شَاءَه سبحانَه وَقَعَ، ومَا لَمْ يَشَأْهُ لَمْ يَقَعْ، والآيَاتُ في ذلك كثيرةٌ. كما سبَقَ في تفسيرِ سُورةِ البقرةِ الآية (٢٠).

(٥) ﴿تنفعُ﴾، بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَنفَعُ﴾، بِاليَاءِ.

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (الأَبَاطِيل).

سورة لقمان — ترتيبها ٣١ — آياتها ٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ (٨)
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١١)

٤١١

سورة لقمان

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ الآيتينِ؛ فَمَدَنِيَّتانِ،
وهي: أربعٌ وثلاثون آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرادِه به.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذهِ الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: ذِي الحِكْمَةِ -والإِضافَةِ بِمَعنَى: مِنْ-.

[٣] هو ﴿هُدًى [وَرَحْمَةٌ]﴾ -بِالرَّفعِ- ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ -وفي قِراءَةِ العامَّةِ: بِالنَّصْبِ(١): حالًا مِنَ الآياتِ، العامِلُ فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ مِنْ مَعنَى الإِشارَةِ-.

[٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: بَيانٌ لِلمُحسِنِينَ ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثَّاني: تَأكِيدٌ.

[٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائِزُونَ.

[٦] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: ما يُلهِي منه عَمَّا يَعنِي ﴿[لِيَضِلَّ]﴾ -بِفَتحِ الياءِ وضَمِّها(٢)- ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طَرِيقِ الإِسلامِ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾ -بِالنَّصبِ: عَطفًا على «يَضِلَّ»، وبِالرَّفعِ(٣): عَطفًا على ﴿يَشْتَرِى﴾- ﴿[هُزُؤًا]﴾(٤): مَهْزُوءًا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[*]: ذُو إِهانَةٍ.

[٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القُرآنُ ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: مُتَكَبِّرًا ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: صَمَمًا. وجُملَتا التَّشبِيهِ: حالانِ مِنْ ضَمِيرِ: ﴿وَلَّىٰ﴾، أوِ: الثَّانِيَةُ بَيانٌ لِلأُولَى(٥) ﴿فَبَشِّرْهُ﴾: أَعلِمْهُ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِمٍ. وذِكْرُ البِشارَةِ تَهَكُّمٌ به. وهو النَّضرُ بنُ الحارِثِ، كانَ يَأتِي الحِيرَةَ يَتجُرُ فَيشتَرِي كُتُبَ أخبارِ الأعاجِمِ، ويُحَدِّثُ بها أهلَ مَكَّةَ، ويَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا يُحَدِّثُكُم أحادِيثَ عادٍ وثَمُودَ، وأنا أُحَدِّثُكم أحادِيثَ فارِسَ والرُّومِ. فَيستَملِحُونَ حَدِيثَه، ويَترُكُونَ استِماعَ القُرآنِ(٦).

[٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[٩] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: حالٌ مُقَدَّرَةٌ؛ أي: مُقَدَّرًا خُلُودُهم فيها إذا دَخَلُوها ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وَعَدَهُمُ اللهُ ذلك، وحَقَّهُ حَقًّا ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يَغلِبُه شَيءٌ فيَمنَعَه مِنْ(٧) إِنجازِ وَعدِه ووَعِيدِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يَضَعُ شَيئًا إلَّا في مَحَلِّه.

[١٠] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العَمَدَ، جَمعُ عِمادٍ؛ وهو: الأُسطُوانَةُ، وهو صادِقٌ بِأنْ لا عَمَدَ أصلًا ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: جِبالًا مُرتَفِعَةً لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تَتَحَرَّكَ ﴿بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا﴾ -فيه التِفاتٌ عَنِ الغَيبَةِ- ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: صِنفٍ حَسَنٍ.

[١١] ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي: مَخلُوقُه ﴿فَأَرُونِى﴾: أَخبِرُونِي -يا أهلَ مَكَّةَ-: ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: غَيرُه؟ أي: آلهتُكم حتَّى أشرَكتُمُوها به -تَعالَى-؟ و«ما»: استِفهامُ إِنكارٍ: مُبتَدَأٌ، و«ذا»: بِمَعنَى «الذي» بِصِلَتِه: خَبَرُه، و«أَرُونِي» مُعَلَّقٌ عَنِ العَمَلِ، وما بَعدَهُ سَدَّ مَسَدَّ المَفعُولَينِ ﴿بَلِ﴾: لِلانتِقالِ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ بِإِشراكِهم، وأنتم منهم.

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عن أبي أُمامَةَ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: «لا تَبِيعُوا القَيْناتِ ولا تَشتَرُوهُنَّ ولا تُعَلِّمُوهُنَّ، ولا خَيرَ في تِجارَةٍ فيهِنَّ، وثَمَنُهُنَّ حَرامٌ»، وفي مِثلِ ذلكَ أُنزِلَت عَلَيهِ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآيةَ. التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٣٢) ومِن سُورةِ لقمان. وحَسَّنَه الألبانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٥٥٣). قالَ ابنُ الأثيرِ: «القَيْنَةُ: الأَمَةُ؛ غَنَّتْ أو لَم تُغَنِّ... وجَمعُها: قَيْنات...»، (النهاية ٤/ ١٣٥). وروى البُخارِيُّ في الأدبِ المفردِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ في تفسيرِ هذه الآيةِ؛ قالَ: «الغِناءُ وأشباهُه». صَحِيحُ الأدبِ المُفرَدِ (٩٥٥).

---

(١) ﴿وَرَحْمَةٌ﴾؛ بالرَّفعِ: قِراءَةُ حَمزَةَ. وقَرَأَ الباقُونَ: ﴿وَرَحْمَةً﴾؛ بِالنَّصبِ.

(٢) ﴿لِيَضِلَّ﴾؛ بِفَتحِ الياءِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. أي: لِيَضِلَّ هو في نفسِه.

(٣) ﴿لِيُضِلَّ﴾؛ بِرَفعِ الياءِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبَةَ. أي: لِيُضِلَّ غيرَه.

(٤) سَبَقَ تخريجُ القِراءاتِ تَفصِيلًا وضَبطًا في سورة الأنبياء الآية (٢٦).

(٥) أي: جملةُ: ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ بَيَّنَت معنَى: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾.

(٦) ذَكَرَه الواحِدِيُّ في أسبابِ النُّزُولِ (ص٢٣٢)، عَنِ الكلبيِّ ومقاتلٍ. وأخرجَ نحوَه البيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ (٤/ ٣٠٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ من طريقِ السُّدِّيِّ الصَّغيرِ عَنِ الكلبيِّ عَنْ أبي صالحٍ، وثلاثَتُهم مُتَّهَمُونَ بالكَذِبِ. وانظر: الاستيعاب (٣/ ٥٩، ٦٠). ويُنظَرُ ما تقدَّمَ في سورةِ الأنفالِ الآيَةِ (٣١).

(٧) في نُسخَةِ قباوة: (عن).

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، منها: العِلْمُ والدِّيَانَةُ والإِصَابَةُ في القَولِ- وَحِكَمُهُ كَثِيرَةٌ مَأْثُورَةٌ، كان يُفتِي قَبلَ بِعْثَةِ[1] دَاودَ، وأَدرَكَ بِعْثَتَه[2] وأَخَذَ عنه العِلمَ وتَرَكَ الفُتيَا، وقالَ في ذلكَ: أَلَا أَكتَفِي إِذَا كُفِيتُ؟![3] وقيلَ له: أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قالَ: «الذِي لا يُبَالِي أَنْ رَآه النَّاسُ مُسِيئًا»[4]- ﴿أَنِ﴾ أي: وقُلنَا له: أَنِ ﴿ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ عَلى مَا أَعطَاكَ مِنَ الحِكمَةِ ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لِأَنَّ ثَوَابَ شُكْرِهِ له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النِّعْمَةَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عَنْ خَلْقِه ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ في صُنْعِه.

[١٣] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ﴾ - تَصْغِيرُ إِشْفَاقٍ- ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ بِاللهِ ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فَرَجَعَ إِليه وأَسْلَمَ[5].

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾: أَمَرنَاهُ أَنْ يَبَرَّهُمَا ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فَوَهَنَتْ ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضَعُفَتْ لِلحَمْلِ، وضَعُفَتْ لِلطَّلْقِ، وضَعُفَتْ لِلوِلَادَةِ ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: فِطَامُه ﴿فِى عَامَيْنِ﴾ وقُلنَا له: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المَرْجِعُ.

[١٥] ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، مُوافَقَةٌ لِلوَاقِعِ[6] ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: بِالمَعرُوفِ: البِرّ والصِّلَةَ[*] ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾: طَرِيقَ ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رَجَعَ ﴿إِلَىَّ﴾ بِالطَّاعَةِ ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأُجَازِيكُم عليه- وجُملَةُ الوَصِيَّةِ ومَا بَعدَها اعتِرَاضٌ[7]-.

[١٦] ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ﴾ أي: الخَصْلَةَ السَّيِّئَةَ ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في أَخفَى مَكَانٍ مِنْ ذلكَ ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ فيُحَاسِبُ عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بِاستِخرَاجِها ﴿خَبِيرٌ﴾ بِمَكَانِها.

[١٧] ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ بِسَبَبِ الأَمْرِ والنَّهْيِ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورَ ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مَعْزُومَاتِها التي يُعْزَمُ عليها لِوُجُوبِها.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ[8]: ﴿تُصَاعِرْ﴾- ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تُمِلْ وَجْهَكَ عنهم تكبُّرًا ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خُيَلَاءَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: مُتَبَختِرٍ في مَشيِه ﴿فَخُورٍ﴾ على النَّاسِ.

[١٩] ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: تَوسَّطْ فيه بَينَ الدَّبِيبِ والإِسرَاعِ، وعَليكَ السَّكِينَةُ والوَقَارُ ﴿وَٱغْضُضْ﴾: اخفِضْ ﴿مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: أَقبَحَها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أَوَّلُهُ زَفِيرٌ، وَآخِرُهُ شَهِيقٌ.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَتَينِ (١٤، ١٥): أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ سَعدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ القُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي القُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى...﴾ وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ مسلمٌ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فَضل سعدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ. وتَقَدَّمَ في تفسيرِ آيةِ العنكبوت (٨) ذكرُ الاختلاف في قِصَّةِ سعدٍ والآيةِ التي نَزَلَت فيها، وتَرجيحُ أَنَّها آيةُ «لُقمَانَ»، واللهُ أَعلَمُ.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بَعْثِ).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (زَمنَه).

(٣) هذه الأخبارُ عن لُقمانَ عَلَيهِ السَّلامُ وابنِه مِمَّا لم تَثبُتْ بِدليلٍ صَحيحٍ، فالأَولَى أن لا تُعتَمَدَ في تَفسيرِ كَلامِ الله عَزَّ وَجَلَّ وأن يُقتَصَرَ على مَوضِعِ العِبرَةِ والفَائِدَةِ مِنَ القِصَّةِ.

(٤) أخرجَه أحمد في الزُّهد (٢٧٥)، وهَنَّادُ بنُ السَّرِيِّ في الزُّهد (١/ ٣٠٦) عَن سُفيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: «سُئِلَ لُقمَانُ: أَيُّ النَّاسِ خَيرٌ؟ قَالَ: المُسلِمُ العَالِمُ الغَنِيُّ. قَالُوا: الغَنِيُّ فِي المَالِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِ الَّذِي إِذَا احْتِيجَ إِلَيْهِ نَفَعَ». قَالَ: «قِيلَ لَهُ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا». وأخرجَه البيهقيُّ في الشُّعَبِ (٦٦٠٢) عَن محمَّد بنِ عَجْلَانَ، وهُو مِنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ.

(٥) قال مقاتلٌ في تفسيرِه (٣/ ٤٣٤): «كان ابنُه وامرأتُه كُفَّارًا فما زَالَ بهما حتَّى أسلَما». وقَالَ الماورديُّ (٤/ ٣٣٣): «وقيلَ: إنَّه قالَ ذلك لابنِه وكانَ مُشرِكًا».

(٦) أي: فلا مَفهومَ له؛ لِأنّه لا يُوجَدُ شِرْكٌ عليه آثارةٌ مِنَ العِلْمِ.

(٧) أي: قولُه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ إلى قولِه: ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، اعتراضٌ بَينَ قولِه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وبَينَ قولِه: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾.

(٨) لِحَمْزَةَ والكِسَائيِّ ونافعٍ وأبي عَمرٍو.

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

الحزب ٤٢

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: تعلَمُوا - يا مُخاطَبِينَ- ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ مِنَ الشَّمسِ والقَمَرِ والنُّجُومِ؛ لِتَنتَفِعُوا بها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مِنَ الثِّمارِ والأَنهارِ والدَّوابِّ ﴿وَأَسْبَغَ﴾: أَوْسَعَ وأَتَمَّ ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ - وهي حُسْنُ الصُّورَةِ وتَسوِيَةُ الأَعضاءِ، وغيرُ ذلكَ- ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي: المَعرِفَةُ وغيرُها؟[١] ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: أَهلِ مَكَّةَ ﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ مِنْ رَسُولٍ ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أَنزَلَهُ اللهُ، بَلْ بِالتَّقلِيدِ.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾. قالَ تَعالَى: ﴿أَ﴾ يَتَّبِعُونَه ﴿وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: مُوجِباتِه؟ لا.

[٢٢] ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يُقبِلْ على طَاعَتِه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مُوَحِّدٌ ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾: بِالطَّرَفِ الأَوثَقِ، الذي لا يُخافُ انقِطاعُه ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: مَرجِعُها.

[٢٣] ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ - يا مُحَمَّد- ﴿كُفْرُهُ﴾: لا تَهتَمَّ بِكُفْرِه ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بِما فيها كَغَيرِه[٢]، فمُجازٍ عليه.

[٢٤] ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿قَلِيلًا﴾، أَيَّامَ حَياتِهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخِرةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو عَذابُ النَّارِ، لا يَجِدُونَ عنه مَحِيصًا.

[٢٥] ﴿وَلَئِن﴾ - لامُ قَسَمٍ- ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ - حُذِفَ منه نُونُ الرَّفعِ لِتَوالِي الأَمثالِ، و«واوُ» الضَّمِيرِ لِالتِقاءِ السَّاكِنَينِ- ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظُهُورِ الحُجَّةِ عليهم بِالتَّوحِيدِ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وُجُوبَه عليهم.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وخَلْقًا وعَبِيدًا؛ فلَا يَستَحِقُّ العِبادَةَ فيهما غَيرُه ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ خَلْقِه ﴿الْحَمِيدُ﴾: المَحمُودُ في صُنْعِه.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ [وَالْبَحْرَ]﴾[٣]: عَطْفٌ على اسمِ «أَنَّ» ﴿يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مِدادًا ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ المُعَبَّرُ بها عَن مَعلُوماتِه[٤]، بِكَتْبِها بِتِلكَ الأَقلامِ، بِذلكَ المِدادِ، ولا بِأَكثَرَ[٥] مِنْ ذلكَ؛ لِأَنَّ مَعلُوماتِه[٦] -تَعالَى- غَيرُ مُتَناهِيَةٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُعجِزُه شَيءٌ ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يَخرُجُ شَيءٌ عَنْ عِلْمِه وحِكْمَتِه.

[٢٨] ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خَلْقًا وبَعْثًا؛ لِأَنَّه بِكَلِمَةِ «كُنْ» فيَكُونُ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: يَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ ﴿بَصِيرٌ﴾: يُبصِرُ كُلَّ مُبْصَرٍ، لا يَشغَلُه شَيءٌ عَنْ شَيءٍ.

(١) النِّعَمُ الظَّاهِرةُ: هي ما أَدرَكَها الإِنسانُ بِحاسَّةِ البَصرِ والمُعايَنَةِ، ومنها: نِعْمَةُ الإِسلامِ والقُرآنِ، والصِّحَّةِ والذُّرِّيَّةِ والمالِ والجاهِ والأَنهارِ والمَطرِ والزَّرعِ والأَنعامِ والماءِ البارِدِ، وغَيرُها الكثيرُ، ومنها ما يُرَى بِالأَبصارِ في النَّاسِ مِنَ المالِ والجاهِ والجَمالِ والتَّوفِيقِ لِلطَّاعاتِ. والنِّعَمُ الباطِنَةُ: هِيَ مَا خَفِيَتْ عنه؛ فأَدرَكَها بِقَلبِه وإِيمانِه، ومنها: ما يَجِدُ المرءُ في نَفْسِهِ مِنَ العِلْمِ بِاللهِ وحُسْنِ اليَقِينِ، وَمَا يَدْفَعُهُ اللهُ تعالى عَنِ العَبدِ مِنَ الآفاتِ، ومنها: سَتْرُ الذُّنوبِ وعَدَمُ تَعجِيلِ العُقُوبَةِ المُستَحَقَّةِ.

(٢) أي: كَغَيرِ ما في الصُّدُورِ، فلا تَخفَى عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خافِيَةٌ.

(٣) بِالنَّصْبِ، وهي قِراءَةُ أَبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَالْبَحْرُ﴾ بِالضَّمِّ.

(٤) تفسيرُ كَلِماتِ اللهِ بِمَعلُوماتِه عُدُولٌ عن ظاهِرِ اللَّفظِ، وهو خِلافُ ما فَهِمَه السَّلَفُ منها. وكَلِماتُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي كَلامُه وقَولُه الذي لا نَفادَ له؛ فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يَزَلْ ولا يَزالُ يَتَكَلَّمُ بِما شاءَ إذا شاءَ. وما ذَهَبَ إليه المُفَسِّرُ راجِعٌ إلى مَذهَبِ الأَشاعِرَةِ وغيرِهم مِنَ المتكلِّمِينَ أَنَّ كلامَ الله مَعنًى واحِدٌ قائِمٌ بِالنَّفسِ قَدِيمٌ لا يُوصَفُ بِالتَّعَدُّدِ. وهذا خِلافُ مذهبِ السَّلَفِ وطَرِيقَتِهم.

(٥) في نُسْخَةِ قَباوَة: (وبأكثرَ)؛ بِدُونِ: (لا).

(٦) يُنظَرُ ما تقدَّمَ في الحاشيةِ السَّابقةِ. وكَلِماتُه وأَوامِرُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكَونِيَّةُ والشَّرعِيَّةُ غيرُ مُتَناهِيَةٍ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ — ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعْلَمْ يا [مُخاطَبًا][1] ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾: يُدْخِلُ ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾: يُدْخِلُه ﴿فِي الَّيْلِ﴾ فيَزِيدُ كُلٌّ منهما بِما نَقَصَ مِنَ الآخَرِ ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فَلَكِه ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ - هو[2] يومُ القِيامَةِ- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكُورُ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ[3]-: يَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾: الزَّائِلُ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عَلى خَلْقِه بِالقَهْرِ[4] ﴿الْكَبِيرُ﴾: العَظِيمُ.

[٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾: السُّفُنَ ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾ - يا مُخاطَبِينَ- بذلك ﴿مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: عِبَرًا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَنْ مَعَاصِي اللهِ ﴿شَكُورٍ﴾ لِنِعمَتِه.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي: عَلا الكُفَّارَ ﴿مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: كَالجِبَالِ التي تُظِلُّ مَنْ تَحتَها ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدُّعَاءَ بِأَنْ يُنْجِيَهم؛ أي: لا يَدعُونَ معه غَيرَه ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: مُتَوَسِّطٌ بَينَ الكُفْرِ والإِيمَانِ، ومنهم بَاقٍ عَلى كُفْرِه[5] ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ومِنها الإِنجَاءُ مِنَ المَوجِ ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غَدَّارٍ ﴿كَفُورٍ﴾ لِنِعَمِ اللهِ تَعالَى.

[٣٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أَهلَ مَكَّةَ[6] ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي﴾: يُغنِي ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ فيه شَيئًا ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بِالبَعْثِ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عَنِ الإِسلَامِ ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ في حِلْمِهِ وإِمهَالِه ﴿الْغَرُورُ﴾: الشَّيطَانُ.

[٣٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: متَى تَقُومُ ﴿[وَيُنَزِّلُ]﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[7]- ﴿الْغَيْثَ﴾ بِوَقْتٍ يَعْلَمُه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أَذَكَرٌ أَمْ أُنثَى، ولَا يَعلَمُ وَاحِدًا مِنَ الثَّلاثَةِ غَيرُ اللهِ -تَعالَى-[8] ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ مِنْ خَيرٍ أو شَرٍّ؟ ويَعلَمُه اللهُ -تَعالَى- ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾؟ ويَعلَمُه اللهُ -تَعالَى- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِكُلِّ شَيءٍ ﴿خَبِيرٌ﴾ بِبَاطِنِه كَظَاهِرِه. رَوى البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عُمَرَ حَدِيثَ: «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسَةٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إِلى آخِرِ السُّورَةِ»[9].

---

(١) في الأَصْلِ: (يا مُخاطَب)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة؛ لِأَنَّه نكرةٌ غيرُ مقصودةٍ؛ فيُنصَب.

(٢) كلمة: (هو) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٣) ﴿تَدْعُونَ﴾؛ بالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ وشُعْبَةَ.

(٤) وهذا مِنْ قَصْرِ العَامِّ على بَعضِ أفرادِه. والله عَزَّوَجَلَّ له العُلُوُّ المُطلَقُ ذَاتًا وشَأنًا وقَهرًا.

(٥) قال ابنُ الجوزيِّ في زادِ المسيرِ في عِلم التفسيرِ (٣/ ٤٣٥): «﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: فيه ثَلاثَةُ أقوالٍ: أَحدها: مُؤمِنٌ. قالَه الحَسَنُ. والثَّاني: مُقتَصِدٌ في قَولِه، وهو كَافِرٌ. قاله مُجاهِدٌ. يَعني أَنَّه يَعتَرِفُ بِأَنَّ اللهَ تَعالَى وَحدَه القَادِرُ على إنجائه، وإنْ كَانَ مُضمِرًا لِلشِّركِ. والثَّالِث: أنَّه العَادِلُ في الوفاءِ بِما عَاهَدَ اللهَ عليه في البَحرِ مِنَ التَّوحِيدِ. قاله مُقاتِلٌ».
وقالَ ابنُ كثيرٍ (٦/ ٣٥١): «﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ كَافِرٌ. كَأَنَّهُ فَسَّرَ الْمُقْتَصِدَ هَاهُنَا بِالْجَاحِدِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٦٥]. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هُوَ الْمُتَوَسِّطُ فِي الْعَمَلِ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ هُوَ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فَاطِرٍ: ٣٢]، فَالْمُقْتَصِدُ هَاهُنَا هُوَ: الْمُتَوَسِّطُ فِي الْعَمَلِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا هُنَا أَيْضًا، وَيَكُونُ مِنْ بَابِ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ شَاهَدَ تِلْكَ الْأَهْوَالَ وَالْأُمُورَ الْعِظَامَ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ بَعْدَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلَاصِ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ بِالْعَمَلِ التَّامِّ، وَالدُّؤُوبِ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ. فَمَنِ اقْتَصَدَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ مُقَصِّرًا وَالْحَالَةُ هَذِهِ، والله أَعْلَمُ». وقال السعديُّ (ص ٦٥٢): «فِرقَةٌ مُقتَصِدَةٌ، أي: لم تَقُمْ بِشُكرِ الله على وَجهِ الكَمَالِ، بلْ هُم مُذنِبُونَ ظَالمونَ لِأنفُسِهم». وقال البغويُّ (٦/ ٢٩٣): «﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ أي: عَدْلٌ مُوفٍ فِي الْبَرِّ بِمَا عَاهَدَ اللهَ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ مِنَ التَّوْحِيدِ لَهُ، يَعْنِي: ثَبَتَ عَلَى إِيمَانِهِ».

(٦) الخِطابُ لأَهلِ مَكَّةَ ولِغَيرِهم.

(٧) ﴿وَيُنْزِلُ﴾؛ بالتخفِيفِ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾؛ بِالتَّشدِيدِ.

(٨) قالَ الشيخُ الشعراويُّ في تَفسِيرِه (١٩/ ١١٧٦٨): «ومعَ تقدُّمِ العُلومِ حَاوَلَ البَعضُ التَّنبؤَ به، بِناءً على حِسابَاتٍ دقيقةٍ لِسرعةِ الرِّيَاحِ ودَرجةِ الحَرَارةِ.. إلخ، ورُبَّما صَحَّتْ حِسابَاتُهم، لكنْ فَاتَهم أَنَّ لله أَقدارًا في الكَونِ تَحدثُ ولا تَدخُلُ في حِسابَاتِهم، فكثيرًا ما نُفاجَأُ بتغيُّرِ دَرجةِ الحَرارةِ أوِ اتِّجاهِ الرِّيحِ، فتنقَلِبُ كُلُّ حِسابَاتِنا...» وقَالَ في تَفسِيرِ قولِه تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾: «هذه أيضًا مِنْ مَفَاتِحِ الغَيبِ، وسَتَظَلُّ كَذلكَ مَهما تقدَّمَتِ العُلومُ، ومَهما ادَّعى الخَلقُ أنَّهم يَعلَمُونَ ما في الأَرحامِ، والذي أحدَثَ إِشكَالًا في هذهِ المَسألةِ الآنَ الأَجهِزَةُ الحَدِيثَةُ التي استَطَاعُوا بها رُؤيةَ الجَنِينِ، وتَحدِيدَ نَوعِه ذَكَرٌ أم أُنثَى، فهذه الخُطوةُ العِلمِيَّةُ أَحدَثَتْ بَلبَلَةً عِندَ بَعضِ النَّاسِ، فتوَهَّموا أنَّ الأَطِبَّاءَ يَعلَمُونَ ما في الأَرحَامِ، وبِناءً عليه ظَنُّوا أنَّ هَذه المَسألَةَ لَم تَعُدْ مِنْ مَفَاتِحِ الغَيبِ التي استَأثَرَ اللهُ بها. ونقولُ: أَنتُم بِسُلطَانِ العِلمِ عَلِمتُم ما في الأَرحَامِ بعدَ أن تَكوَّنَ ووَضِحَتْ مَعَالِمُه، واكتَمَلَتْ خِلقَتُه، أَمَّا الخَالِقُ عزَّوجلَّ فيَعلَمُ ما في الأَرحَامِ قَبلَ أنْ تَحمِلَ الأُمُّ به، أَلَمْ يُبشِّرِ اللهُ تعالى نَبِيَّه زَكَرِيَّا عليه السلام بِوَلَدِه يَحيَى قَبلَ أن تَحمِلَ فيه أُمُّه؟ ونحنُ لا نَعلَمُ هذا الغَيبَ بِذوَاتِنا، إِنَّما بِما عَلَّمَنا اللهُ، فالطَّبِيبُ الذي يُخبِرُكَ بِنَوعِ الجَنِينِ لا يَعلَمُ الغَيبَ، إِنَّما مُعلَّمُ غَيبٍ».

(٩) البُخَارِيُّ (٤٦٢٧) بِلفظِ: «مَفَاتِح»، وأخرجَه أيضًا في (٤٧٧٨) بنحوِ هذا اللفظِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن
رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى
الحزب ٤٢ خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مَكِّيَّةٌ، ثَلاثُونَ آيَةً[*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه به.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ، مُبْتَدأٌ ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ﴾: خَبَرٌ أوَّلُ ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خَبَرٌ ثانٍ.

[٣] ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ مُحَمَّدٌ؟ لا ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا مَّآ﴾: نَافِيَةٌ ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بِإنْذارِكَ.

[٤] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أَوَّلُها الأَحَدُ وآخِرُها الجُمُعَةُ(١) ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغَةِ: سَرِيرُ المَلِكِ، استِواءً يَلِيقُ به(٢) ﴿مَا لَكُم﴾ - يا كُفَّارَ مَكَّةَ- ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غَيرَه ﴿مِن وَلِىٍّ﴾: اسم ﴿مَا﴾ بِزِيادَةِ ﴿مِن﴾؛ أَي: نَاصِرٍ ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يَدْفَعُ عَذَابَه عَنكُم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فَتُؤمِنُونَ(٣)؟

[٥] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مُدَّةَ الدُّنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾: يَرجِعُ الأَمْرُ والتَّدْبِيرُ(٤) ﴿إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدُّنيا. وفي سُورَةِ «سَأَلَ»: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٥) وهو يَومُ القِيامَةِ؛ لِشِدَّةِ أَهْوَالِه، بِالنِّسبَةِ إلى [الكَافِرِ](٦)، وأَمَّا المُؤمِنُ فيَكُونُ أَخَفَّ عليه مِنْ صَلَاةٍ مَكتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا في الدُّنيا، كَما جاء في الحَدِيثِ(٧).

[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخَالِقُ المُدَبِّرُ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: مَا غَابَ عَنِ الخَلْقِ ومَا حَضَرَ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المَنِيعُ في مُلْكِهِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِأَهْلِ طَاعَتِه.

[٧] ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ - بِفَتحِ اللَّامِ؛ فِعْلًا مَاضِيًا: صِفَةٌ، وبِسُكُونِها(٨): بَدَلُ اشتِمالٍ- ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدَمَ ﴿مِن طِينٍ﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾: ذُرِّيَّتَه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾: عَلَقَةٍ ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: ضَعِيفٍ؛ هو: النُّطْفَةُ.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي: خَلقَ آدَمَ ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي: جَعلَهُ حَيًّا حَسَّاسًا بَعدَ أَنْ كَانَ جَمادًا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: لِذُرِّيَّتِه ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ بِمَعنَى: الأَسْمَاعَ ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القُلُوبَ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿مَّا﴾: زَائِدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لِلقِلَّةِ.

[١٠] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي: مُنْكِرُو البَعْثِ: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: غِبْنَا فيها بِأَنْ صِرْنا تُرابًا مُختَلِطًا بِتُرابِها ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ استِفهَامُ إِنكارٍ- بِتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَهُما، عَلى الوَجْهَينِ، في المَوضِعَينِ(٩)- قالَ تَعالَى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾: بِالبَعْثِ(١٠) ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لَهم: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: يَقْبِضُ أَروَاحَكُم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أَحيَاءً؛ فَيُجَازِيكُم بِأَعمَالِكُم.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قال: «كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقرأُ في الجُمُعَةِ في صَلاةِ الفَجْرِ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجدَة، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾». البُخَارِيُّ - كتاب الجمعة (١١) باب (١٠) ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة. وأَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ جابرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ لا يَنامُ حتى يَقرأَ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾. التِّرمِذِيُّ - كتاب فضائل القُرآنِ (٤٦) باب (٩) ما جاءَ في فضل سورة الملك، وصَحَّحَه الألبَانِيُّ في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

---

(١) يُنظَرُ ما تَقدَّمَ في التعليقِ على سُورةِ «هُود» الآيَة (٧). وكانَ الأَولَى أنْ يَقولَ هنا كَما قال في تَفسيرِ الآيَةِ (٥٩) مِنْ سُورةِ «الفُرقان»: «أي: في قَدْرِها، لِأَنَّه لَمْ يَكنْ ثَمَّ شمسٌ».

(٢) سبَقَ التعليقُ مِرارًا على هذا التفويضِ. وبيانُ الفَارِقِ بين تفويضِ الكيفيَّةِ والذي هو حَقٌّ، وبين تَفويضِ المعنَى، وأنَّه خِلافُ فَهمِ السَّلَفِ، الذين كانوا يَعلَمُونَ أنَّ الاستِواءَ يُفِيدُ الاستقرارَ والعُلُوَّ.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فتؤمنونَ به).

(٤) قالَ ابنُ جريرٍ في تفسيرِ الآية (١٨/ ٥٩٦): «وَأَولَى الأَقوالِ في ذَلِكَ عِندِي بِالصَّوابِ: قَولُ مَنْ قالَ: مَعنَاهُ: يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرضِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيهِ في يَوْمٍ، كَانَ مِقْدارُ ذَلِكَ اليَومِ في عُرُوجِ ذَلِكَ الأَمْرِ إِلَيهِ وَنُزُولِهِ إِلَى الأَرضِ: أَلفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ مِنْ أَيَّامِكُمْ، خَمْسُمِائَةٍ فِي النُّزُولِ، وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الصُّعُودِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَظْهَرُ مَعَانِيهِ، وَأَشْبَهُهَا بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ».

(٥) المعارج: ٤.

(٦) في الأصلِ: (الكُفَّارِ) والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، وهو أنسبُ للسِّياقِ.

(٧) رواه أحمدُ (١١٧١٧)، وأبو يَعلَى (١٣٩٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَوْمًا كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، مَا أَطْوَلَ هَذَا اليَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى المُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا» وضعَّفه الألبانيُّ في ضعيفِ الترغيبِ والترهيبِ (٢/ ٢٠٩٢). لكن روى ابنُ حِبَّان في صَحِيحِه (٧٣٣٣) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يُهَوَّنُ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تغرب». قال الأرناؤوطُ في تعليقه (١٦/ ٣٢٨): «إسنادُه صحيح على شرط البُخَارِيِّ، رِجالُه ثقاتٌ رِجالُ الشَّيخَينِ، غيرُ عبد الرحمن بن إبراهيم، فمِنْ رِجَالِ البُخَارِيِّ».

(٨) ﴿خَلْقَهُۥ﴾؛ بِسُكُونِها: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ.

(٩) أي: وتركه. وقرأ ابنُ عامرٍ بالإخبارِ في الأوَّلِ والاستِفهامِ في الثاني. وراجع التعليقَ على الآية (٨١) مِن سُورةِ «الأعراف».

(١٠) وهو لِقاءٌ حقيقيٌّ كيفما يشاؤه ربُّنا سُبحانَه وتعالى.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ
ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
سجدة
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا
لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: الكَافِرُونَ ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: مُطَأْطِئُوهَا حَيَاءً، يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ مَا أَنْكَرْنَا مِنَ البَعْثِ ﴿وَسَمِعْنَا﴾ مِنكَ تَصدِيقَ الرُّسُلِ فيما كَذَّبْنَاهُم فيه ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدُّنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآنَ. فَمَا يَنفَعُهم ذلك، ولا يَرجِعُونَ. وجَوَابُ ﴿لَوْ﴾: لَرَأيتَ أمْرًا فَظِيعًا.

[١٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ فتهتَدِي بالإيمانِ والطَّاعَةِ باختِيَارٍ منها ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: الجِنِّ ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وتَقُولُ لهم الخَزَنَةُ(١)، إذَا دَخَلُوهَا:

[١٤] ﴿فَذُوقُوا۟﴾ العَذَابَ ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ أي: بِتَرْكِكُمُ الإيمَانَ به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾: تَرَكْنَاكُم في العَذَابِ ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدَّائِمِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الكُفْرِ والتَّكذِيبِ.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾: وُعِظُوا ﴿بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟﴾ مُلتَبِسِينَ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قَالُوا: «سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِه» ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾ عَنِ الإيمَانِ والطَّاعَةِ.

[١٦] ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: تَرتَفِعُ ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: مَوَاضِعِ الاضطِجَاعِ بِفُرُشِها، لِصَلَاتِهم بِاللَّيلِ تَهَجُّدًا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ مِنْ عِقَابِه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رَحمَتِه[*] ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يَتَصَدَّقُونَ.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ﴾: خُبِّئَ ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[**]: ما تَقَرُّ به أعيُنُهم - وفي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِ اليَاءِ؛ مُضَارِعٌ(٢) - ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨] ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ أي: المُؤمِنُونَ والفَاسِقُونَ.

[١٩] ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾ - هُو ما يُعَدُّ لِلضَّيفِ - ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ بالكُفْرِ والتَّكْذِيبِ ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٦): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ «أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ...﴾ نَزَلَتْ فِي انْتِظَارِ هَذِهِ الصَّلَاةِ الَّتِي تُدْعَى العَتَمَةَ». التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٣٣) ومِنْ سُورَةِ السَّجدَةِ، وصَحَّحَه الألبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٥٤).

[**] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عن سَهلِ بنِ سعدٍ قالَ: شهدتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ ﷺ في آخِرِ حَدِيثِهِ: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. مسلم - كتاب الجَنَّةِ وصِفَةِ نعيمِها وأهلِها (٥١) حديث رقم (٢٨٢٥).

---

(١) لا مُلجِئَ لِحَملِ اللفظِ على خِلَافِ ظاهِرِه وجَعلِ القَولِ للخَزَنَةِ، وكَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ المنفيُّ عنهم في الآخرةِ هو كَلَامُ الرَّحمةِ والإكرامِ، لا الزَّجرِ والتبكيتِ.

(٢) أي: ﴿أُخفِي﴾، وهي لحَمزَةَ. والمعنى: ما أُخفِي أنا.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ — ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

[٢١] ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: عَذَابِ الدُّنيا؛ بِالقَتْلِ، والأَسْرِ، والجَدْبِ سِنِينَ، والأَمْرَاضِ ﴿دُونَ﴾: قَبلَ ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: عَذَابِ الآخِرَةِ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: مَنْ بَقِيَ منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإِيمَانِ.

[٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾: القُرآنِ ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾؟ أي: لا أَحَدَ أظلَمَ منه ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المُشرِكِينَ ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التَّورَاةَ ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ وقدْ التَقَيَا لَيلَةَ الإِسرَاءِ[١] ﴿وَجَعَلْنَـٰهُ﴾ أي: مُوسَى أَوِ الكِتَابَ ﴿هُدًى﴾: هَادِيًا ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

[٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ يَاءً[٢]-: قَادَةً ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ عَلى دِينِهِم، وعَلى البَلَاءِ مِنْ عَدُوِّهِم، ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الدَّالَّةِ على قُدْرَتِنا ووَحدَانِيَّتِنا ﴿يُوقِنُونَ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ[٣]: بِكَسْرِ اللَّامِ وتَخفِيفِ المِيمِ-.

[٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ.

[٢٦] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أي: يَتَبَيَّنْ لِكُفَّارِ مَكَّةَ إِهلَاكُنَا كَثِيرًا ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأُمَمِ بِكُفْرِهم ﴿يَمْشُونَ﴾: حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ في أَسفَارِهِم إلى الشَّامِ وغَيرِها؛ فَيَعتَبِرُوا؟ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾: دَلَالَاتٍ عَلى قُدْرَتِنَا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ واتِّعَاظٍ؟

[٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾: اليَابِسَةِ التي لا نَبَاتَ فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا، فيَعلَمُونَ أَنَّا نَقدِرُ عَلى إِعَادَتِهِم؟

[٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلمُؤمِنِينَ: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ بَينَنا وبَينَكُم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾؟

[٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ بِإِنزَالِ العَذَابِ بهم ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمْهَلُونَ لِتَوبَةٍ أو مَعذِرَةٍ.

[٣٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ﴾ إِنزَالَ العَذَابِ بهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بِكَ حَادِثَ مَوتٍ، أو قَتلٍ، فَيَستَرِيحُونَ مِنكَ. وهذَا قَبلَ الأَمْرِ بِقِتَالِهِم.

(١) البُخَارِيُّ (٧٥١٧)، ومسلمٌ (١٦٢) عن أنسِ بنِ مَالكٍ، وقد سَبَقَ ذِكْرُه في تَفسيرِ سُورةِ الإِسراءِ.

(٢) رَاجعِ التعليقَ على الآيَةِ (٧٣) مِن سُورَةِ الأنبيَاءِ.

(٣) ﴿لِمَا﴾؛ بِكَسرِ اللامِ وتخفِيفِ الميمِ، وهي قِرَاءَةُ: حَمزَةَ والكِسَائيِّ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٤٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ
مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن
قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ
مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم
بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤
ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ
فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ
أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ
وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ
فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦

سُورَةُ الأحزاب

مَدَنِيَّةٌ، ثَلاثٌ وسَبْعُونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: دُمْ على تَقْواهُ ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ فِيما يُخالِفُ شَرِيعَتَكَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِما يَكُونُ قَبلَ كَونِه ﴿حَكِيمٗا﴾ فيما يَخْلُقُه.

[٢] ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أَي: القُرآنَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا [يَعۡمَلُونَ] خَبِيرٗا﴾ - وفي قِراءَةٍ: بِالفوقانِيَّةِ[1]-.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في أَمْرِكَ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾: حافِظًا لكَ! وأُمَّتُه تَبَعٌ له في ذلكَ كُلِّه.

[٤] ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ﴾ رَدًّا على مَنْ قالَ مِنَ الكُفَّارِ: «إنَّ له قَلبَينِ يَعقِلُ بِكُلٍّ منهما، أفضَلَ مِنْ عَقْلِ مُحَمَّدٍ»[2] ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي﴾ - بِهَمْزَةٍ وياءٍ، وبِلا ياءٍ[3]- ﴿[تَظَّهَّرُونَ]﴾ بِلا أَلِفٍ قَبلَ الهاءِ وبِها[4]، والتَّاءُ الثَّانِيَةُ في الأَصْلِ مُدْغَمَةٌ في الظَّاءِ ﴿مِنۡهُنَّ﴾- يَقُولُ الوَاحِدُ مَثَلًا لِزَوجَتِه: «أَنتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي»- ﴿أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ أَي: كَالأُمَّهاتِ في تَحرِيمِها بذلكَ، المُعَدُّ في الجاهِلِيَّةِ طَلَاقًا، وإِنَّما تَجِبُ به الكَفَّارَةُ بِشَرْطِه؛ كَما ذُكِرَ في سُورَةِ «المُجادَلَةِ» ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ﴾: جَمْعُ دَعِيٍّ- وهو مَنْ يُدْعَى لِغَيرِ أَبِيهِ ابْنًا له- ﴿أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ حَقِيقَةً ﴿ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡ﴾ أَي: اليَهُودِ والمُنافِقِينَ، قَالُوا لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَينَبَ بِنتَ جَحْشٍ، التي كَانَتِ امرَأَةَ زَيدِ بنِ حارِثَةَ، الذي تَبَنَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالُوا: تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ امرَأَةَ ابنِه. فأَكْذَبَهُمُ اللهُ -تَعالَى- في ذلك[5] ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ في ذلكَ ﴿وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾: سَبِيلَ الحَقِّ.

[٥] لَكِنِ ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ﴾: أَعْدَلُ ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾: بَنُو عَمِّكُم[6] ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ﴾ في ذلكَ ﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾ فيه. وهُو بَعدَ النَّهْيِ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لِمَا كانَ مِنْ قَولِكُم قَبلَ النَّهْيِ ﴿رَّحِيمًا﴾ بِكُم في ذلكَ[*].

[٦] ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ فِيما دَعاهُم إليه، ودَعَتْهُم أنفُسُهم إلى خِلافِه ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ في حُرْمَةِ نِكاحِهِنَّ عليهم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾: ذَوُو القَرَاباتِ ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ في الإِرْثِ ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ أَي: مِنَ الإِرْثِ بالإِيمانِ والهِجْرَةِ، الذي كَانَ أَوَّلَ الإِسلامِ، فنُسِخَ ﴿إِلَّآ﴾: لَكِنْ ﴿أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗا﴾ بِوَصِيَّةٍ فَجائِزٌ ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أَي: نَسْخُ الإِرْثِ بالإِيمانِ والهِجْرَةِ بِإِرْثِ ذَوِي الأَرْحامِ ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾. وأُرِيدَ بِـ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في المَوضِعَينِ: اللَّوحُ المَحفُوظُ.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥): أَخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ عَبدِ الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: «أَنَّ زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ ما كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ القُرْآنُ»: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾. البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٢).

وأخرج أيضًا عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها: «... وَكانَ مَنْ تَبَنَّى رَجُلًا فِي الجاهِلِيَّةِ دَعاهُ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَوَرِثَ مِنْ مِيراثِهِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ تَعالَى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ إلى قولِه: ﴿وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾، فَرُدُّوا إِلَى آبائِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُعْلَمْ لَهُ أَبٌ، كانَ مَوْلًى وَأَخًا فِي الدِّينِ...». البُخارِيُّ - كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكفاء في الدِّينِ.

---

(١) ﴿يَعۡمَلُونَ﴾؛ بالياءِ: قِراءَةُ أبي عمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾؛ بالفوقانِيَّةِ.

(٢) قال ابنُ جرير (١٩/ ٦-٧): «اختَلَفَ أَهلُ التَّأوِيلِ فِي المُرادِ مِنْ قَوْلِ الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ﴾ [الأحزاب:٤]؛ فَقالَ بَعْضُهُمْ: عَنَى بِذَلِكَ تَكْذِيبَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ النِّفاقِ وَصَفُوا نَبِيَّ الله ﷺ بِأَنَّهُ ذُو قَلْبَيْنِ، فَنَفَى الله ذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ، وَكَذَّبَهُمْ...وَقالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَى بِذَلِكَ: رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ كانَ يُدْعَى ذا القَلْبَيْنِ مِنْ دَهْيِهِ». وأخرجَ ابنُ جرير (١٩/ ٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ﴾ قالَ: «كانَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُسَمَّى مِنْ دَهْيِهِ ذا القَلْبَيْنِ، فَأَنْزَلَ الله هَذا فِي شَأْنِهِ». وضعَّفه في الاستيعاب (٣/ ٧٨). الدَّهْوُ والدَّهْيُ والدَّهاءُ: العَقْلُ. وروى التِّرمِذِيُّ (٣١٩٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ قالَ: «قامَ نَبِيُّ الله ﷺ يَوْمًا يُصَلِّي فَخَطَرَ خَطْرَةً، فَقالَ المُنافِقُونَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ مَعَهُ: أَلا تَرَى أَنَّ لَهُ قَلْبَيْنِ، قَلْبًا مَعَكُمْ، وَقَلْبًا مَعَهُمْ؟ فَأَنْزَلَ الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ﴾». قالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذا حَدِيثٌ حَسَنٌ». وضعَّفَ الألبانيُّ إسنادَه في ضَعِيفِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٣١٩٩). قال ابنُ جرير (١٩/ ٩): «وَأَوْلَى الأَقْوالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوابِ: قَوْلُ مَنْ قالَ: ذَلِكَ تَكْذِيبٌ مِنَ الله تَعالَى قَوْلَ مَنْ قالَ لِرَجُلٍ فِي جَوْفِهِ قَلْبانِ يَعْقِلُ بِهِما، عَلَى النَّحْوِ الَّذِي رُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. وَجائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَكْذِيبًا مِنَ الله لِمَنْ وَصَفَ رَسُولَ الله ﷺ بِذَلِكَ، وَأَنْ يَكُونَ تَكْذِيبًا لِمَنْ سَمَّى القُرَشِيَّ الَّذِي ذُكِرَ أَنَّهُ سُمِّيَ ذا القَلْبَيْنِ مِنْ دَهْيِهِ، وَأَيُّ الأَمْرَيْنِ كانَ فَهُوَ نَفْيٌ مِنَ الله عَنْ خَلْقِهِ مِنَ الرِّجالِ أَنْ يَكُونُوا بِتِلْكَ الصِّفَةِ».

(٣) قرأ ابنُ عامرٍ والكوفيُّونَ بِهَمْزَةٍ مَكسُورَةٍ بَعدَها ياءٌ، وقَرَأَ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو بِحَذفِ الياءِ؛ واختَلَفُوا في الهَمْزَةِ؛ فحَقَّقَها قالُونُ وقُنْبُلٌ؛ ﴿اللاء﴾، وسَهَّلها بَينَ بَينَ وَرْشٌ والبَزِّيُّ وأبو عمرٍو في أَحَدِ وَجهَيها، ولَهما إِبدالُها ياءً ساكِنَةً، وبَعضُ أَهلِ الأَداءِ بالوقوفِ بالياءِ لِمَنْ سَهَّلَ.

(٤) قرأ حَمزَةُ والكِسائِيُّ: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾؛ بِفتحِ التَّاءِ والهاءِ مَعَ تَخفيفِ الظَّاءِ وأَلِفٍ بَعدَها، وكذلكَ ابنُ عامرٍ لكن مَعَ تَشديدِ الظَّاءِ؛ ﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾، ومِثْلُه نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو لكن بِدُونِ أَلِفٍ بعدَ الظَّاءِ؛ ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾. وقَرَأَ عاصِمٌ: ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ بِضَمِّ التَّاءِ وكَسرِ الهاءِ مَعَ تَخفِيفِ الظَّاءِ وأَلِفٍ بعدَها.

(٥) ذَكَرَه الواحِدِيُّ في أَسبابِ النُّزُولِ (ص٢٩٤)، بِدُونِ إِسنادٍ. ورواه ابنُ المُنذِرِ (٢/ ٦٣١) عَنْ عَبدِ المَلِكِ بنِ جُرَيجٍ.

(٦) المَولَى له في اللغةِ استعمالاتٌ عَديدةٌ، منها ابنُ العَمِّ، والمُرادُ بالآيَةِ: أَي: ادْعُوهم بالأُخُوَّةِ الإِيمانِيَّةِ، والمُوالاةِ على ذلك، فقولُوا: هذا أَخِي، وهذا مَولَاي، ويا أَخِي، ويا مَولَاي.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ
لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا
اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

[٧] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حِينَ أُخرِجُوا مِنْ صُلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ[١]: جَمْعُ ذَرَّةٍ- وهي: أَصْغَرُ النَّمْلِ- ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بِأَنْ يَعبُدُوا اللهَ ويَدْعُوا إلى عِبادَتِه- وذِكْرُ الخَمْسَةِ مِنْ عَطفِ الخَاصِّ على العَامِّ- ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾: شَدِيدًا، بِالوَفَاءِ بِما حُمِّلُوه- وهُو اليَمِينُ باللهِ تَعالَى-.

[٨] ثُمَّ أَخذُ المِيثاقِ ﴿لِّيَسْأَلَ﴾ اللهُ ﴿الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تَبليغِ الرِّسالَةِ، تَبكِيتًا لِلكافِرِينَ بِهِم ﴿وَأَعَدَّ﴾ -تَعالَى- ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بِهِم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِمًا. هو عَطفٌ على ﴿أَخَذْنَا﴾.

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ مِنَ الكُفَّارِ مُتحَزِّبُونَ، أَيَّامَ حَفْرِ الخَنْدَقِ[٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ مِنَ المَلائِكَةِ[٣] ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بِالتَّاءِ: مِنْ حَفْرِ الخَنْدَقِ، وبالياءِ[٤]: مِنْ تَحْزِيبِ المُشْرِكِينَ ﴿بَصِيرًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: مِنْ أَعلَى الوَادِي وأَسفَلِه، مِنَ المَشْرِقِ والمَغرِبِ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: مَالَتْ عَنْ كُلِّ شَيءٍ إلى عَدُوِّها مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾: جَمْعُ حَنجَرَةٍ- وهي مُنتَهَى الحُلقُومِ- مِنْ شِدَّةِ الخَوفِ ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المُختَلِفَةَ بِالنَّصرِ واليَأسِ.

[١١] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: اُختُبِروا، لِيَتَبَيَّنَ المُخلِصُ مِنْ غَيرِه ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: حُرِّكُوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ.

[١٢] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضَعْفُ اعتِقادٍ: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بِالنَّصرِ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: بَاطِلًا.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أَيِ: المُنافِقِينَ: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ -هي أَرْضُ المَدِينَةِ. ولَم تُصْرَفْ لِلعَلَمِيَّةِ ووَزْنِ الفِعْلِ- ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ -بِضَمِّ المِيمِ وفَتحِها[٥]-: أَي: لا إِقامَةَ ولَا مَكانَةَ[٦] ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى مَنازِلِكُم مِنَ المَدِينَةِ. وكَانُوا خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إلى سَلْعٍ -جَبَلٍ خَارِجَ المَدِينَةِ- لِلقِتالِ[٧] ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ في الرُّجُوعِ ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غَيرُ حَصِينَةٍ يُخْشَى[٨] عَلَيْهَا. قال تَعالَى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن﴾: مَا ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ مِنَ القِتالِ.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أَيِ: المَدِينَةُ ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: نَوَاحِيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾ أَي: سَأَلَهُم الدَّاخِلُونَ ﴿الْفِتْنَةَ﴾: الشِّرْكَ ﴿لَآتَوْهَا﴾ -بِالمَدِّ والقَصْرِ[٩]- أَي: أَعطَوْها وفَعَلُوها[١٠] ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عَنِ الوَفاءِ به.

---

(١) أخرجَ أحمدُ في المُسنَدِ (١/ ٢٧٢) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَخَذَ اللهُ المِيثاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ -يَعْنِي عَرَفَةَ- فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَها، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا، قالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾». وقال الشيخُ أحمدُ شاكر في تخريجِه على المُسنَدِ (٢٤٥٥): إسنادُه صحيحٌ. وصَحَّحَ الألبانيُّ إسنادَه في المِشكاةِ (١٢١)، وفي تعليقِه على الطحاويةِ (٢١٩) ونَعمانُ بِالفَتحِ: وَادٍ في طَريقِ الطائفِ يَخرجُ إلى عَرفاتٍ. وتَقدَّمَ في تفسيرِ سُورةِ الأعرافِ الآيَةِ (١٧٢).

(٢) أخرجَ البُخاريُّ (٤١٠٣)، ومسلمٌ (١١٣٣٤) عَنْ عائشةَ، في قَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ قالَتْ: «كانَ ذَلِكَ يَوْمَ الخَنْدَقِ».
وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ (١٧٦٠٠)، وابنُ جرير (١٩/ ٢٨) عَنْ مُجاهِدٍ، قَولَهُ: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ قَالَ: «الأَحزَابُ: عُيَيْنَةُ بنُ بَدْرٍ، وَأَبُو سُفيانَ، وَقُرَيْظَةُ».

(٣) في نُسخةِ قَباوة: (مَلائِكَةً)، بدلًا مِن: (مِنَ الملائِكَةِ).

(٤) ﴿يعملون﴾: بالياءِ: قِراءةُ أبي عَمرٍو.

(٥) ﴿مَقام﴾: بالفَتحِ: قِراءةُ السَّبعَةِ عدا حَفصٍ.

(٦) أي: تمكُّنًا، وهو بِمَعنَى الإِقامَة.

(٧) نسبه ابنُ الجوزيِّ (٣/ ٤٥٢) لِجُمهورِ المُفسِّرينَ، ولم يَعزُهُ لأحدٍ بِعَينِه. ويُنظَرُ تفسيرُ الطبريِّ (١٩/ ٤٢-٤٣)؛ حيثُ عَزاهُ لابنِ إسحاقَ عن يَزيدَ بنِ رُومَانَ.

(٨) في نُسخةِ قَباوة: (نَخشى) بالنُّونِ.

(٩) بِقَصرِ الهَمزَةِ: قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ.

(١٠) لفٌّ ونشرٌ مُرتَّبٌ على القِراءتَينِ. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾؛ أي: مَا احتَبَسُوا عَنِ الفِتْنَةِ، وَلَأَسرَعُوا الإِجابَةَ إِلَى الشِّركِ، طَيِّبَةً بِهِ أَنفُسُهُمْ، هَذا قَولُ أَكثَرِ المُفَسِّرينَ. أي: لَيسَ لَهم مَنعةٌ ولا تصلُّبٌ على الدِّينِ، بَلْ بِمُجرَّدِ ما تكونُ الدَّولةُ لِلأعداءِ، يُعطونَهم ما طَلَبوا، ويُوافِقونَهم على كُفرِهم. يُنظَرُ: تفسير البغويِّ (٦/ ٣٣٣)، وتفسيرُ السعديِّ (ص ٦٦٠).

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ
إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ۞قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ
لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ
كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم
بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ
ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ
ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم
بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ
لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾

الحزب ٤٢

[١٦] ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا﴾: إنْ فَرَرْتُم ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدُّنيا بَعدَ فِرارِكُم ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾: بَقِيَّةَ آجالِكُم[1].

[١٧] ﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم﴾: يُجيرُكُم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا﴾: هَلاكًا وهَزِيمَةً ﴿أَوۡ﴾ يُصِيبُكُم بِسُوءٍ، إِنْ ﴿أَرَادَ﴾ اللهُ ﴿بِكُمۡ رَحۡمَةٗ﴾: خَيرًا؟[2] ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿وَلِيّٗا﴾ يَنفَعُهم ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ يَدْفَعُ الضُّرَّ عنهم.

[١٨] ﴿۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ﴾: المُثَبِّطِينَ ﴿مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ﴾: تَعالَوا ﴿إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ﴾: القِتالَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رِياءً وسُمْعَةً.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡ﴾ بِالمُعاوَنَةِ- جَمعُ شَحِيحٍ، وهو حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿يَأۡتُونَ﴾- ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي﴾: كَنَظَرِ أو كَدَوَرانِ الذي ﴿يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ أي: سَكَرَاتِه ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ﴾ وَحِيزَتِ الغَنائِمُ ﴿سَلَقُوكُم﴾: آذَوْكُم أو ضَرَبُوكُم ﴿بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: الغَنِيمَةِ يَطلُبُونَها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ حَقِيقَةً ﴿فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإِحباطُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ بِإِرادَتِه.

[٢٠] ﴿[يَحۡسِبُونَ][3] ٱلۡأَحۡزَابَ﴾ مِنَ الكُفَّارِ ﴿لَمۡ يَذۡهَبُواْ﴾ إلى مَكَّةَ؛ لِخَوفِهم منهم ﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ كَرَّةً أُخرَى ﴿يَوَدُّواْ﴾: يَتَمَنَّوا ﴿لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ أي: كَائِنُونَ في البَادِيَةِ ﴿يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡ﴾: أَخبارِكُم مَعَ الكُفَّارِ ﴿وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم﴾ هَذِه الكَرَّةَ ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ رِياءً وخَوفًا مِنَ التَّعيِيرِ.

[٢١] ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ [إِسۡوَةٌ]﴾ - بِكَسرِ الهَمْزَةِ وضَمِّها[4]- ﴿حَسَنَةٞ﴾: اقتِداءٌ به، في القِتالِ والثَّباتِ في مَواطِنِه ﴿لِّمَن﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿لَكُمۡ﴾ ﴿كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ﴾: يَخافُه ﴿وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ بِخِلافِ مَنْ لَيسَ كَذلِكَ.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ﴾ مِنَ الكُفَّارِ ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ مِنَ الابتِلاءِ والنَّصرِ ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الوَعْدِ ﴿وَمَا زَادَهُمۡ﴾ ذَلِكَ ﴿إِلَّآ إِيمَٰنٗا﴾: تَصدِيقًا بِوَعْدِ اللهِ ﴿وَتَسۡلِيمٗا﴾ لِأَمْرِه.

---

(١) قالَ الطاهرُ بنُ عاشور في التحرير والتنوير (٢١/ ٢٩١): «وَالمَقْصُودُ مِنَ الآيَةِ: تَخْلِيقُ المُسْلِمِينَ بِخُلُقِ اسْتِضْعَافِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَصَرْفُ هِمَمِهِمْ إِلَى السَّعْيِ نَحْوَ الكَمَالِ، الَّذِي بِهِ السَّعَادَةُ الأَبَدِيَّةُ، سَيْرًا وَرَاءَ تَعَالِيمِ الدِّينِ، الَّتِي تَقُودُ النُّفُوسَ إِلَى أَوْجِ المَلَكِيَّةِ».

(٢) كلمةُ: (خيرًا) نكرةٌ تُفيدُ العُمومَ، وهي تَشمَلُ كُلَّ خيرٍ؛ مِنْ نصرٍ وغيرِه، وهي كُلُّها مِنْ آثارِ رَحمتِه سُبحانَه وتعالى.

(٣) قرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمزةُ بفتحِ السِّينِ؛ ﴿يَحۡسَبُونَ﴾. وقرأ الباقونَ بكسرِها.

(٤) بالكسرِ: قِراءةُ السَّبعةِ عدا عاصمٍ.

[٢٣] ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ مِنَ الثَّبَاتِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: مَاتَ أو قُتِلَ في سَبِيلِ اللهِ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذَلِكَ ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ في العَهْدِ، – وهُمْ بِخِلَافِ حَالِ المُنَافِقِينَ[*]–.

[٢٤] ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ﴾ بِأَنْ يُمِيتَهم عَلى نِفَاقِهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِمَنْ تَابَ ﴿رَّحِيمًا﴾ به.

[٢٥] ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الأحزابَ ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾: مُرَادَهم مِنَ الظَّفَرِ بالمُؤمِنِينَ ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالرِّيحِ والمَلَائِكَةِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ عَلى إِيجادِ ما يُرِيدُه ﴿عَزِيزًا﴾: غَالِبًا عَلى أَمْرِه.

[٢٦] ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: قُرَيْظَةَ[1] ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: حُصُونِهم، جَمْعُ صِيْصِيَةٍ؛ وهو: مَا يُتَحَصَّنُ به ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخَوفَ ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم– وهُمُ المُقَاتِلَةُ– ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم؛ أي: الذَّرَارِيَّ.

[٢٧] ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ بَعْدُ– وهِيَ خَيبَرُ[2]، أُخِذَتْ بَعدَ قُرَيظَةَ– ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ وهُنَّ تِسْعٌ[3]، وطَلَبْنَ منه مِنْ زِينَةِ الدُّنيا مَا لَيسَ عِندَه: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي: مُتْعَةَ الطَّلَاقِ ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: أُطَلِّقْكُنَّ مِنْ غَيرِ ضِرَارٍ.

[٢٩] ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: الجَنَّةَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾ بِإِرَادَةِ الآخِرَةِ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجَنَّةَ. فاخْتَرْنَ الآخِرَةَ على الدُّنيا[**].

[٣٠] ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ [مُّبَيَّنَةٍ]﴾ – بِفَتحِ اليَاءِ وكَسرِها[4]– أي: بُيِّنَتْ، أو هِيَ بَيِّنَةٌ ﴿يُضَاعَفْ﴾ – وفي قِرَاءَةٍ[5]: ﴿يُضَعَّفْ﴾ بِالتَّشدِيدِ، وفي أُخرَى: ﴿نُضَعِّفْ﴾ بِالنُّونِ مَعَه[6] وَنَصْبِ ﴿الْعَذَابَ﴾– ﴿لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضِعْفَي عَذَابِ غَيرِهِنَّ، أي: مِثْلَيْه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ
اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ
الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٢٣): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، -يَعْنِي المُشْرِكِينَ- ثُمَّ تَقَدَّمَ»، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ. قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. البُخَارِيُّ – كتاب الجهاد والسير (٥٦) باب (١٢).

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَتَيْنِ (٢٨، ٢٩): أَخرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ، سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ». فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ! فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ. ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا -أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ- ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾. قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا، أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَالدَّارَ الآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا» مسلمٌ – كتاب الطلاق (١٨) باب (٤) بيان أَنَّ تخييرَ امرأتِه لا يكونُ طلاقًا إِلَّا بنيَّة.

---

(١) أخرجَ الطبريُّ (١٩/ ٧١) عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قَالَ: «قُرَيْظَةُ»..

(٢) في تفسير مُقاتلِ بنِ سُليمانَ (٣/ ٤٨٥): «﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ يعني: خَيبرَ».

(٣) في تفسيرِ ابنِ كثيرٍ (٦/ ٤٠٣): «قَالَ عِكْرِمَةُ: وَكَانَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعُ نِسْوَةٍ، خَمْسٌ مِنْ قُرَيْشٍ: عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ، وَسَوْدَةُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ ﷺ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ النَّضْرِيَّةُ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الحَارِثِ الهِلَالِيَّةُ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ الأَسَدِيَّةُ، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ المُصْطَلِقِيَّةُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ».

(٤) ﴿مُّبَيَّنَةٍ﴾؛ بالفتحِ: قِراءةُ ابنِ كثيرٍ وشُعبةَ. وقرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾؛ بالكَسرِ.

(٥) ﴿يُضَعَّفْ﴾؛ بالياءِ وفتحِ وتَشديدِ العَينِ: قِراءةُ أبي عَمرٍو.

(٦) أي: مَعَ تَشديدِ العَينِ؛ ﴿نُضَعِّفْ﴾، ونَصْبِ ﴿الْعَذَابَ﴾، وهي قِراءةُ: ابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ.

الجزء ٢٢ الحزب ٤٣

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[٣١] ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ﴾: يُطِعْ ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: مِثلَي ثَوابِ غيرِهِنَّ مِنَ النِّساءِ- وفي قِراءَةٍ(١): بالتَّحتانيَّةِ في ﴿تَعْمَلْ﴾ و﴿نُّؤْتِهَآ﴾- ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجَنَّةِ زِيادَةً.

[٣٢] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾: كَجَماعَةٍ ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ اللهَ فَإِنَّكُنَّ أعظَمُ ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ لِلرِّجالِ ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: نِفاقٌ ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ مِن غَيرِ خُضُوعٍ.

[٣٣] ﴿[وَقِرْنَ]﴾ - بِكَسرِ القافِ وفَتحِها(٢)- ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ - مِنَ القَرارِ، وأصْلُه: «اقرِرْنَ» بِكَسْرِ الرَّاءِ وفَتْحِها؛ مِنْ: «قَرِرْت»، بِفَتْحِ الرَّاءِ وكَسْرِها، نُقِلَتْ حَرَكَةُ الرَّاءِ إلى القافِ، وحُذِفَتْ مَعَ هَمْزَةِ الوَصْلِ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾؛ بِتَرْكِ إحدَى التَّاءَينِ مِنْ أصْلِه- ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: مَا قَبلَ الإسلامِ، مِنْ إظْهارِ النِّساءِ مَحاسِنَهُنَّ لِلرِّجالِ. -والإظهارُ بَعدَ الإسلامِ مَذكُورٌ في آيةِ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾(٣)- ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: الإثمَ، يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: نِساءَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ منه ﴿تَطْهِيرًا﴾[*].

[٣٤] ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: السُّنَّةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بِأولِيائِه ﴿خَبِيرًا﴾ بِجَميعِ خَلْقِه.

[٣٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: المُطيعاتِ ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في الإيمانِ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطَّاعاتِ ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾: المُتَواضِعينَ(٤) ﴿وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عَنِ الحَرامِ ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لِلمَعاصِي ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ عَلَى الطَّاعاتِ[**].

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٣٣): أخرَجَ أحمدُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها تذكُرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهَا، فَأَتَتْهُ فَاطِمَةُ بِبُرْمَةٍ، فِيهَا خَزِيرَةٌ، فَدَخَلَتْ بِهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: «ادْعِي زَوْجَكِ وَابْنَيْكِ» قَالَتْ: فَجَاءَ عَلِيٌّ، وَالْحُسَيْنُ، وَالْحَسَنُ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ، وَهُوَ عَلَى مَنَامَةٍ لَهُ عَلَى دُكَّانٍ تَحْتَهُ كِسَاءٌ خَيْبَرِيٌّ. قَالَتْ: وَأَنَا أُصَلِّي فِي الْحُجْرَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] قَالَتْ: فَأَخَذَ فَضْلَ الْكِسَاءِ، فَغَشَّاهُمْ بِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ، فَأَلْوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا» قَالَتْ: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي الْبَيْتَ، فَقُلْتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ». أحمد - المُسنَدُ (٦/ ٢٩٢)، وصحَّحه الأرناؤوطُ بِمَجموعِ طُرُقِه في تَخريجِه على المُسنَدِ (٤٤/ ١١٧، ١١٨)، وأخرجَه التِّرمِذيُّ عَنْ عُمَرَ بنِ أبي سَلَمَةَ بِنَحوِه مُختَصرًا. (صحيحٌ)، صَحيح سُنَنِ التِّرمِذيِّ (٢٥٦٢). والخَزِيرَةُ: لحمٌ يُقطعُ صغارًا ويُصبُّ عليه ماءٌ كثيرٌ، فإذا نَضِجَ ذُرَّ عليه الدَّقِيقُ، فإنْ لم يَكنْ فيه لحمٌ فهي عَصِيدَةٌ. وقيلَ غيرُ ذلك. والبُرمةُ: القِدْرُ مُطلقًا، وجمعُها: بِرام، والمَنامَةُ هنا: القَطِيفَةُ. والدُّكَّانُ: الدَّكَّةُ المَبنِيَّةُ لِلجُلوسِ عليها. النهاية (١/ ١٢١، ٥/ ١٣١، ٢/ ١٢٨).

والمعنى: إذا كنتَ ياربِّ قد أذهبتَ الرِّجسَ عَن زَوجَاتي وطَهَّرتَهُنَّ تَطهيرًا؛ ففاطِمَةُ وعليٌّ والحسنُ والحُسينُ آلُ بَيتي وخَاصَّتي فَطَهِّرْهُم تَطهيرًا.

[**] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٣٥): أَخرَجَ التِّرمِذيُّ عَنْ أُمِّ عُمَارَةَ الأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: «مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ»؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآيةَ. التِّرمِذيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٣٤) ومِنْ سُورةِ الأحزابِ. (صَحيحُ الإِسنادِ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذيِّ (٢٥٦٥).

---

(١) ﴿وَيَعْمَلْ﴾ و﴿يُؤْتِهَآ﴾؛ بالياءِ فيهما: قِراءَةُ حَمزَةَ والكِسائيِّ.

(٢) ﴿وقِرْن﴾؛ بكسرِ القافِ: قِراءَةُ السَّبعَةِ عدا عاصِمٍ ونافِعٍ. وقرَأ عاصمٌ ونافعٌ: ﴿وقَرْنَ﴾؛ بِفَتحِ القافِ.

(٣) النُّور: ٣١.

(٤) الخُشوعُ غيرُ التَّواضُعِ؛ ومعناه: الخُضوعُ والخوفُ والسُّكونُ؛ أي: باطِنًا وظاهِرًا. واختارَ ابنُ جريرٍ أنَّ الخُشوعَ: التَّذَلُّلُ والخُضوعُ. ويُنظَرُ ما تقدَّمَ في التعليقِ على الآيةِ (٢) سُورة «المؤمنون».

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ
لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن [تَكُونَ]﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ(1)- ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أَيِ: الاختِيارُ ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ خِلَافَ أمرِ اللهِ ورَسُولِه. نَزَلَتْ في عَبدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ وأُختِه زَينَبَ، خَطَبَها النَّبِيُّ، وعَنَى لِزَيدِ بنِ حارِثَةَ، فكَرِهَا ذَلكَ حِينَ عَلِمَا؛ لِظَنِّهِما قَبلُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَها لِنَفْسِه، ثُمَّ رَضِيَا لِلآيَةِ(2) ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾: بَيِّنًا. فزَوَّجَها النَّبِيُّ ﷺ لِزَيدٍ. ثُمَّ وَقَعَ بَصَرُه عليها بَعدَ حِينٍ؛ فَوقَعَ في نَفْسِه حُبُّها(3)، وفي نَفسِ زَيدٍ كَرَاهَتُها، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أُرِيدُ فِرَاقَها. فقَالَ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾؛ كَما قَالَ تَعالَى: [٣٧] ﴿وَإِذْ﴾: مَنصُوبٌ بِـ«اذْكُرْ» ﴿تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بِالإِسلَامِ ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بِالإِعْتَاقِ- وهو: زَيدُ بنُ حَارِثَةَ، كَانَ مِن سَبْيِ الجَاهِلِيَّةِ، اشتَرَاه رَسُولُ الله ﷺ قَبلَ البِعْثَةِ، وأَعْتَقَهُ وَتَبَنَّاهُ-: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أَمرِ طَلَاقِها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: مُظْهِرُه؛ مِنْ مَحبَّتِها(4)، وأَنْ لَو فَارَقَها زَيدٌ تَزَوَّجْتَها ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أَنْ يَقُولُوا: تَزَوَّجَ زَوجَةَ ابنِه. ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ في كُلِّ شَيءٍ، وتَزَوَّجْها(5) ولا عَليكَ مِنْ قَولِ النَّاسِ. ثُمَّ طَلَّقَها زَيدٌ، وانقَضَتْ عِدَّتُها. قَالَ تَعالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حَاجَةً ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فَدَخَلَ عَليها النَّبِيُّ ﷺ بِغَيرِ إِذْنٍ، وأَشْبَعَ المُسلِمِينَ خُبْزًا ولَحمًا(6) ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: مَقْضِيُّهُ ﴿مَفْعُولًا﴾[*]. [٣٨] ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾: أَحَلَّ ﴿ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: كَسُنَّةِ اللهِ- فنُصِبَ بِنَزْعِ الخَافِضِ- ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ مِنَ الأَنبِيَاءِ؛ أَنْ لَا حَرَجَ عليهم في ذلِكَ، تَوسِعَةً لهم في النِّكَاحِ ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: فِعْلُه(7) ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: مَقْضِيًّا. [٣٩] ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نَعتٌ لِـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قَبلَه ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فلَا يَخشَونَ مَقالَةَ(8) النَّاسِ فِيما أَحَلَّ(9) اللهُ لهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: حَافِظًا لِأَعمالِ خَلقِه و[مُحاسِبَهم](10)! [٤٠] ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ -فلَيسَ أَبَا زَيدٍ؛ أي: وَالِدَهُ؛ فلَا يَحرُمُ عليه التَّزَوُّجُ بِزَوجَتِه زَينَبَ- ﴿وَلَٰكِن﴾ كَانَ ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ [وَخَاتِمَ](11) ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ فلَا يَكُونُ له ابنٌ رَجُلٌ بَعدَه، يَكُونُ نَبِيًّا. وفي قِرَاءَةٍ: بِفَتحِ التَّاءِ؛ كَالَةِ الخَتمِ؛ أي: به خُتِمُوا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ منه: بِأَنْ(12) لا نَبِيَّ بَعدَه. وإِذَا نَزَلَ السَّيِّدُ عِيسَى يَحكُمُ بِشَرِيعَتِه(13). [٤١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [أي: اذكُرُوه في جَميعِ الأَحوَالِ](14). [٤٢] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أَوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ. [٤٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ أي: يَرْحَمُكُم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ أي: يَستَغفِرُونَ لَكُم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾: لِيُدِيمَ إِخراجَهُ إِيَّاكُم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الكُفرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: الإِيمَانِ ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

---

[*] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٣٧)**: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٤) باب (٦).

وأَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ قال: نَزَلَت هَذِه الآيَةُ: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، جَاءَ زَيْدٌ يَشْكُو فَهَمَّ بِطَلَاقِهَا، فَاسْتَأْمَرَ النَّبِيَّ ﷺ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾. التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٣٤) ومِنْ سُورةِ الأَحزابِ (صحيحٌ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٦٧).

---

(١) بالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ ذَكوانَ.

(٢) جُمهورُ المُفسِّرينَ -وهو المرويُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ومُجاهِدٍ وقَتادةَ- أَنَّها نَزَلَتْ في زَينَبَ بِنتِ جَحشٍ، عِندما كَرِهَتْ نِكَاحَ زَيدٍ؛ لِكَونِه مولى. وذكرَ ابنُ الجوزيِّ في زادِ المَسيرِ (٣/ ٤٦٥) أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ جَحشٍ أخا زَينبَ كَرِهَ ذلك، كما كَرِهَته زينبُ، فلَمَّا نَزَلَتِ الآيَةُ رَضِيا وسَلَّما. ورِوايةُ المُصنِّفِ هي المنقولةُ عَنْ قَتادةَ، دُونَ ذِكرِ عبدِ اللهِ بنِ جَحشٍ، أخرجَها الطبريُّ في جامعِه (٢٢/ ٩)، والطبرانيُّ في الكبيرِ (٢٤/ ٣٦، ٣٧) مِنْ طُرُقٍ عنه، وقالَ الهيثميُّ في مَجمعِ الزَّوائِدِ (٧/ ٩٢): رواه الطبرانيُّ بِأَسانيدَ ورِجالُ بَعضِها رِجالُ الصَّحيحِ. وهو ضعيفٌ لِإرسالِه كما في الاستيعاب (٣/ ١١٥).

(٣) هكذا أَوردَ غيرُ واحِدٍ مِنَ المفسِّرينَ هذا الكلامَ في تفسيرِ الآيةِ الكريمةِ، ولا أساسَ له من الصِّحَّةِ، كما بَيَّنَ ذلكَ المُحقِّقُونَ مِنْ أهلِ العِلمِ. قالَ ابنُ كثيرٍ (٦/ ٤٢٤): «ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ هَاهُنَا آثَارًا عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم، أَحْبَبْنَا أَنْ نَضْرِبَ عَنْهَا صَفْحًا لِعَدَمِ صِحَّتِهَا فَلَا نُورِدُهَا». وجاء نحوُ ذلك عَنِ ابنِ حَجَرٍ، وقالَ (٨/ ٥٢٤): «وَالحَاصِلُ أَنَّ الَّذِي كَانَ يُخْفِيهِ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ إِخْبَارُ اللهِ إِيَّاهُ أَنَّهَا سَتَصِيرُ زَوْجَتَهُ. وَالَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ عَلَى إِخْفَاءِ ذَلِكَ: خَشْيَةَ قَوْلِ النَّاسِ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ ابْنِهِ. وَأَرَادَ اللهُ إِبْطَالَ مَا كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ التَّبَنِّي، بِأَمْرٍ لَا أَبْلَغَ فِي الإِبْطَالِ مِنْهُ، وَهُوَ تَزَوُّجُ امْرَأَةِ الَّذِي يُدْعَى ابْنًا، وَوُقُوعُ ذَلِكَ مِنْ إِمَامِ المُسْلِمِينَ لِيَكُونَ أَدْعَى لِقَبُولِهِمْ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الخَبْطُ فِي تَأْوِيلِ مُتَعَلَّقِ الخَشْيَةِ. والله أَعْلَمُ». (٤) انظرِ التَّعليقَ السَّابِقَ. (٥) في نُسخَةِ قَباوَة: (ويُزَوِّجكَها). (٦) أَخرجَهُ البُخارِيُّ (٥١٦٨)، ومسلمٌ (٨٧) -واللفظُ له-: «قالَ أَنَسٌ: وَشَهِدْتُ وَلِيمَةَ زَيْنَبَ، فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا». (٧) قالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِ الآيةِ (٦/ ٤٢٦): «وَكَانَ هَذَا الأَمْرُ الَّذِي وَقَعَ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ تَعَالَى وحَتَّمه، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، كَانَتْ زَيْنَبُ فِي عِلْمِ اللهِ سَتَصِيرُ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ». (٨) في نُسخَةِ قَباوَة: (قالة). (٩) في نُسخَةِ قَباوَة: (أحلَّه).

(١٠) في الأَصلِ: (مُحاسِبَهم)، والمُثبتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة. (١١) وهي قِراءَةُ السَّبعَةِ عدا عَاصِم. وقَرَأَ عاصِمٌ: ﴿وَخَاتَمَ﴾ بِفَتحِ التَّاءِ. (١٢) في نُسخَةِ قَباوَة: (أَنْ).

(١٣) أي: بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. رَوى أبو داودَ (٤٣٢٤)، وأحمدُ (٩٢٧٠) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي عِيسَى - وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ المِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ». وصَحَّحَه الأَلبانِيُّ في الصحيحة (٢١٨٢).

(١٤) جُملَةُ: (أي: اذكُرُوهُ في جَميعِ الأَحوالِ) سقطتْ من الأصلِ، وأَثبتناها مِن نُسخَةِ قَباوَة.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ
إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

[٤٤] ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه -تعالَى- ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ بِلِسانِ المَلائِكَةِ(١) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجَنَّةُ.

[٤٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ عَلى مَنْ أُرْسِلْتَ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ مَنْ صَدَّقَكَ بالجَنَّةِ ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُنذِرًا مَنْ كَذَّبَكَ بِالنَّارِ.

[٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى طاعَتِه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بِأَمْرِه ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: مِثْلَهُ في الاهتِدَاءِ به.

[٤٧] ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ هو الجَنَّةُ.

[٤٨] ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يُخالِفُ شَرِيعَتَكَ ﴿وَدَعْ﴾: اتْرُكْ ﴿أَذَىٰهُمْ﴾: لا تُجازِهِم عليه إلى أَنْ تُؤمَرَ فيهم بِأَمْرٍ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ - فهو كافِيكَ- ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: مُفَوَّضًا إليه!

[٤٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ - وفي قِراءَةٍ(٢): ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾- أي: تُجامِعُوهُنَّ ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: تُحْصُونَها بِالأَقْراءِ وغَيرِها(٣) ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطُوهُنَّ ما يَستَمتِعْنَ به؛ أي: إِنْ لَمْ يُسَمَّ لَهُنَّ أَصْدِقَةٌ(٤)- وإِلَّا فَلَهُنَّ نِصفُ المُسَمَّى، فَقَطْ. قالَه ابنُ عَبَّاسٍ(٥)، وعَلَيه الشَّافِعِيُّ- ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: خَلُّوا سَبِيلَهُنَّ، مِنْ غَيرِ إِضْرارٍ.

[٥٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهُنَّ ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ مِنَ الكُفَّارِ بالسَّبْيِ؛ كَصَفِيَّةَ وجُوَيرِيَّةَ ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ بِخِلافِ مَنْ لَمْ يُهاجِرْنَ ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾: يَطْلُبَ نِكاحَها بِغَيرِ صَداقٍ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ﴾ النِّكاحُ بِلَفظِ الهِبَةِ مِنْ غَيرِ صَداقٍ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المُؤمِنِينَ ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ مِنَ الأحكامِ؛ بِأَنْ لا يَزِيدُوا على أَربَعِ نِسوَةٍ، ولا يَتَزَوَّجُوا إِلَّا بِوَلِيٍّ وشُهُودٍ ومَهْرٍ ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ مِنَ الإِماءِ، بِشِراءٍ وغَيرِه؛ بِأَنْ تَكُونَ الأَمَةُ مِمَّنْ تَحِلُّ لِمالِكِها؛ كَالكِتابِيَّةِ، بِخِلافِ المَجُوسِيَّةِ والوَثَنِيَّةِ، وأَنْ تُستَبرَأَ قَبلَ الوَطءِ ﴿لِكَيْلَا﴾: مُتَعَلِّقٌ بِما قَبلَ ذلِكَ(٦) ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ﴾: ضِيقٌ في النِّكاحِ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ فيما(٧) يَعسُرُ التَّحَرُّزُ عنه ﴿رَّحِيمًا﴾ بِالتَّوسِعَةِ في ذلِكَ.

---

(١) إذا قُلنا: إِنَّ التحيَّةَ منه سُبْحانَهُ، بِمَعنَى: أنَّه يُسَلِّم عليهم، كَما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، فنِسبَةُ هذا إلى المَلائِكَةِ مِنَ التَّأويلِ السَّقِيمِ، وهو مَذهَبُ المُؤَوِّلَةِ القائِلِينَ بِالكَلامِ النَّفسِيِّ، أَوِ الذينَ يَنفُونَ عَنِ الله هذه الصِّفَةَ. وعلى القولِ الآخَرِ أَنَّ المُرادَ: أَنَّهم يُحَيِّي بَعضُهم بَعضًا بِالسَّلامِ، يومَ يَلقَونَ الله في الدَّارِ الآخِرَةِ، وهو اختيارُ ابنِ جريرٍ (١٩/ ١٢٤) - فلا مَعنَى لِهذا التَّأويلِ ولا وَجهَ له. والتَّفسيرُ الأَوَّلُ أَظهَرُ، وهو اختيارُ ابنِ كثيرٍ (٦/ ٤٣٧).

(٢) لِحَمزَةَ والكِسائِيِّ، وهي بِضَمِّ التَّاءِ وبِإِشباعِ المَدِّ بَعدَ السِّينِ.

(٣) في نُسخَةِ حاشيةِ الجَمَلِ: (وغَيرِهِنَّ). والأَقراءُ: جمع قُرْءٍ، وهو الطُّهرُ مِنَ الحَيضِ. وغيرها: أي: الأَشهُرُ والأَيَّامُ في عِدَّةِ مَنْ لا تَحِيضُ.

(٤) مِن جُموعِ الصَّداقِ، وهو: مَهرُ المرأةِ. قالَ ابنُ منظورٍ في لِسانِ العَرَبِ (١٠/ ١٩٧): «والصَّدُقَةُ والصَّداقُ والصِّداقُ: مَهْرُ المرأةِ، وجَمعُها في أدنى العَدَدِ: أَصْدِقَةٌ، والكَثيرِ: صُدُقٌ».

(٥) رَوَى ابنُ أبي حاتِمٍ (١٧٧١٧)، والطبريُّ (١٩/ ١٢٨) عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ قالَ: «إِنْ كانَ سَمَّى لَهَا صَداقًا، فَلَيسَ لَهَا إِلَّا النِّصفُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَّى لَهَا صَداقًا، مَتَّعَها عَلَى قَدْرِ عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ، وَهُوَ السَّراحُ الجَمِيلُ». وعليُّ بنُ أبي طَلحةَ لَمْ يَسمَعْ مِنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

(٦) وهو قولُه: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾.

(٧) في نُسخَةِ قَباوة: (لِما).

[٥١] ﴿۞ [تُرْجِئُ]﴾ - بالهَمْزَةِ والياءِ بَدَلَه[1] -: تُؤخِّرُ ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أي: أزواجِكَ عَنْ نَوبَتِها[*][2] ﴿وَتُـْٔوِىٓ﴾: تَضُمُّ ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ مِنهُنَّ فتأتِيها ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾: طَلَبْتَ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ مِنَ القِسْمَةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طَلَبِها، وضَمِّها إليكَ. خُيِّرَ في ذلكَ، بَعدَ أنْ كانَ القَسْمُ واجِبًا عليه[3] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّخِييرُ ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرَبُ إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾ ما ذُكِرَ[4]؛ المُخَيَّرَ فيه ﴿كُلُّهُنَّ﴾: تأكيدٌ لِلفاعِلِ في ﴿وَيَرْضَيْنَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ مِنْ أمرِ النِّساءِ، والمَيلِ إلى بَعْضِهِنَّ، وإنَّما خَيَّرناكَ فِيهِنَّ تَيسِيرًا عَلَيكَ في كُلِّ مَا أَرَدْتَ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِه ﴿حَلِيمًا﴾ عَنْ عِقابِهِم.

[٥٢] ﴿لَّا [تَحِلُّ]﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ[5] - ﴿لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾: بَعدَ التِّسْعِ اللَّاتِي[6] اخْتَرْنَكَ ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ﴾ - بِتَرْكِ إِحدَى التَّاءَينِ في الأَصْلِ - ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ بِأَنْ تُطَلِّقَهُنَّ أو بَعضَهُنَّ، وَتَنْكِحَ بَدَلَ مَنْ طَلَّقْتَ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ مِنَ الإِمَاءِ؛ فَتَحِلُّ لكَ. وقَدْ مَلَكَ ﷺ بعدَهُنَّ مَارِيَةَ، وَوَلَدَتْ له إبرَاهِيمَ، ومَاتَ في حَيَاتِه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾: حَفِيظًا.

[٥٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في الدُّخولِ، بالدُّعَاءِ ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فتَدْخُلُوا ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾: مُنتَظِرِينَ ﴿إِنَىٰهُ﴾: نُضْجَهُ، مَصْدرُ: أَنَى يَأْنِي ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا﴾ تَمكُثُوا ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ مِنْ بَعضِكُم لِبَعضٍ ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ المُكْثَ ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أَنْ يُخْرِجَكُم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أَنْ يُخْرِجَكُم، أي: لَا يَترُكُ بَيانَه[7] - وقُرِئَ[8]: ﴿يَسْتَحِي﴾ بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ - ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾: سِتْرٍ ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ مِنَ الخَوَاطِرِ المُرِيبَةِ ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بِشَيءٍ ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذَنْبًا ﴿عَظِيمًا﴾[**].

[٥٤] ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ مِنْ نِكَاحِهِنَّ بَعدَه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فَيُجَازِيكُم عَلَيه.

سورة الأحزاب — الجزء الثاني والعشرون

ربع الحزب ٤٣

۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ
إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ
لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ
وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ
مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

٤٢٥

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥١): أخرَجَ البُخَارِيُّ عَن عُروةَ بنِ الزُّبَيرِ قال: كَانَتْ خَولَةُ بِنتُ حَكيمٍ مِنَ اللَّائِي وَهَبْنَ أَنفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «أَمَا تَستَحِي المَرْأَةُ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ؟!»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ قُلْتُ: «يَا رَسُولَ الله، مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ». البُخَارِيُّ - كتاب النِّكاح (٦٧) باب (٢٩) هل لِلمرأةِ أَنْ تَهَبَ نفسها لأحدٍ.

[**] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥٣): أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَنسِ بنِ مَالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، دَعَا القَوْمَ فَطَعِمُوا، ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ، قَامَ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَدْخُلَ فَإِذَا القَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا، فَانطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انطَلَقُوا، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ، فَأَلْقَى الحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآيَة. البُخَارِيُّ - التفسير (٦٥) سُورةُ الأحزاب (٣٣) باب (٥٩).

---

(١) ﴿تُرْجِئُ﴾؛ بالهَمْزَةِ المَضمُومَةِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تُرْجِى﴾؛ بالياءِ.

(٢) أخرجَ البُخَارِيُّ عَن مُعاذَةَ، عَن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَستَأذِنُ فِي يَومِ المَرْأَةِ مِنَّا، بَعدَ أَنْ أُنزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾ فَقُلْتُ لَهَا: مَا كُنْتِ تَقُولِينَ؟ قَالَتْ: كُنْتُ أَقُولُ لَهُ: إِنْ كَانَ ذَاكَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ يَا رَسُولَ الله، أَنْ أُوثِرَ عَلَيْكَ أَحَدًا. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٧). وهذا الحديثُ يُؤيِّدُ تخصيصَ المُصنِّفِ تخييرَه ﷺ بين الإرجاءِ والإيواءِ بزَوجاتِه ﷺ؛ أي في القَسْمِ بينهنَّ كيف يَشاءُ. وهذا أحدُ القولَينِ في تفسيرِ الآيةِ. والقولُ الثاني: أنَّ الآيةَ عامَّةٌ في الواهِباتِ أنفُسَهُنَّ له ﷺ؛ في قَبُولِ مَنْ شَاءَ مِنهُنَّ، وَرَدِّ مَنْ شَاءَ، وكذا في زَوجاتِه اللاتي عنده؛ في القَسْمِ بينَهنَّ. واختارَ هذا القولَ ابنُ جرير (١٩/ ١٤٢)، واستحسنَه ابنُ كثيرٍ، وقالَ (٦/ ٤٤٦): «وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ حَسَنٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَفِيهِ جَمْعٌ بَيْنَ الأَحَادِيثِ».

(٣) ولكنَّه ﷺ كان يَقسِمُ بَيْنَ نِسائِه فيَعدِلُ، كما روى أبو داودَ (٢١٣٥) عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: «يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي القَسْمِ، مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتَ عِنْدَهَا». وحسَّنَه الألبانيُّ في الإرواءِ (٧/ ٨٥).

(٤) قولُه: «ما ذُكِرَ» مفعولٌ به، و«المُخَيَّرَ فيه» بَدَلٌ منه. وفي نُسخةٍ: (مِنَ المُخَيَّرِ فيه). والمُخَيَّرُ فيه: هو القَسْمُ وتَركُهُ والعَزْلُ والإيواءُ. الفتوحاتُ الإلهية (٣/ ٤٤٨).

(٥) ﴿تَحِلُّ﴾؛ بالتَّاءِ: قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو. وقرأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَحِلُّ﴾؛ بالياءِ.

(٦) في نُسخةِ قباوة: (التي).

(٧) والصَّوابُ إثباتُ صفةِ الحياءِ لله عزَّ وجلَّ على الوجهِ الذي يَليقُ به سُبحانَه وتعالى، ومِنْ لَوازِمِ الإثباتِ التَّركُ، وتفسيرُ الصِّفةِ بِلازِمِها ليسَ مَذهبَ السَّلَفِ.

(٨) أي: شُذوذًا.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ
أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ
مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا
يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

نصف الحزب ٤٣

[٥٥] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: المُؤمناتِ ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ مِنَ الإماءِ والعَبيدِ، أنْ يَرَوْهُنَّ ويُكَلِّمُوهُنَّ مِنْ غيرِ حِجابٍ ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فِيمَا أُمِرْتُنَّ به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يَخفَى عليه شيءٌ.

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ مُحمَّدٍ ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[*] أي: قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وسَلِّمْ.

[٥٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهُمُ الكُفَّارُ، يَصِفُونَ اللهَ بما هو مُنَزَّهٌ عنه مِنَ الوَلَدِ والشَّرِيكِ، ويُكَذِّبُونَ رَسُولَه ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: أبْعَدَهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذا إهانَةٍ. وهُو: النَّارُ.

[٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾: يَرمُونَهم بِغَيرِ ما عَمِلُوا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾: تَحَمَّلُوا كَذِبًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: بَيِّنًا.

[٥٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[**] جَمعُ جِلبابٍ- وهي: المُلاءَةُ التي تَشتَمِلُ بها المَرأةُ- أي: يُرخِينَ بَعضَها على الوُجُوهِ، إذا خَرَجْنَ لِحاجَتِهِنَّ، إلَّا عَينًا واحِدَةً[***] ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾: أقرَبُ إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ بأنَّهُنَّ حَرائِرُ ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بِالتَّعَرُّضِ لَهُنَّ، بِخِلافِ الإماءِ، فلا يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ. فكانَ المُنافِقُونَ يَتعَرَّضُونَ لَهُنَّ(١) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِما سَلَفَ مِنهُنَّ، مِنْ تَرْكِ السَّترِ ﴿رَّحِيمًا﴾ بِهِنَّ إذْ سَتَرَهُنَّ.

[٦٠] ﴿۞ لَّئِن﴾ - لامُ قَسَمٍ- ﴿لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عَنْ نِفاقِهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بِالزِّنا(٢) ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ المُؤمِنينَ(٣) بِقَولِهم: «قدْ أتاكُم العَدُوُّ، وسَراياكُم قُتِلُوا أو هُزِمُوا» ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لَنُسَلِّطَنَّكَ عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾: يُساكِنُونَك ﴿فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ يُخرَجُونَ.

[٦١] ﴿مَّلْعُونِينَ﴾: مُبعَدِينَ عَنِ الرَّحمَةِ ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾: وُجِدُوا ﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ أي: الحُكْمُ فيهم هَذا، علَى جِهَةِ الأَمرِ به.

[٦٢] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: سَنَّ اللهُ ذلكَ ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ مِنَ الأُمَمِ الماضِيَةِ، في مُنافِقِيهم المُرجِفِينَ المُؤمِنِينَ ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ أحمَدُ عَنْ كعبِ بنِ عُجْرةَ قالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ قالوا: كَيفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ يا نَبيَّ اللهِ؟ قالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». المُسنَدُ (٤/ ٢٤٤)، وصحَّحه الأرناؤوط (١٨١٣٣). والحديثُ في الصَّحيحَينِ والسُّنَنِ دُونَ ذِكرِ الآيَةِ؛ البُخاريُّ (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

[**] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥٩): أخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ عائِشَةَ، أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى المَنَاصِعِ، وَهُوَ صَعِيدٌ أَفْيَحُ. فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: احْجُبْ نِسَاءَكَ، فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفْعَلُ. فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عِشَاءً، وَكَانَتِ امْرَأَةً طَوِيلَةً، فَنَادَاهَا عُمَرُ: أَلَا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ، حِرْصًا عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الحِجَابُ. فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الحِجَابِ. البُخارِيُّ - كتاب الوضوء (٤) باب (١٣) خُروج النِّساءِ إلى البَرازِ.

وأخرجَ أيضًا عَنْ أنسٍ قالَ: قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِالحِجَابِ. فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الحِجَابِ». البُخارِيُّ - التفسير (٦٥) سُورة الأحزاب (٣٣) باب (٨).

[***] فائِدَةٌ: أخرَجَ أبو داودَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خَرَجَ نِسَاءُ الأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ الغِرْبَانَ مِنَ الأَكْسِيَةِ. أبو داودَ - كتاب (اللباس) (٢٦) باب (٣٢) في قولِه تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ وصَحَّحه الألبانيُّ في حِجابِ المرأةِ المُسلمةِ (ص٣٨).

---

(١) أخرجه ابنُ جريرٍ (١٩/ ١٨٢) بِسنَدٍ حسَنٍ عن مُقاتِلٍ، وعَنْ مُجاهِدٍ، قولهما.

(٢) أي: بِحُبِّ ذلك، وكذا حُبِّ الفَواحِشِ.

(٣) «المؤمنينَ» مفعولٌ به لِـ«المُرجِفون»؛ أي: الذين يُرجِفُونَ المُؤمنين.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

[٦٣] ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهلُ مَكَّةَ ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: مَتَى تَكُونُ؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعْلِمُكَ بها؟ أي: أنتَ لَا تعلمُها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾: تُوجَدُ ﴿قَرِيبًا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أبعَدَهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾: نارًا شَدِيدَةً يَدْخُلُونَها.

[٦٥] ﴿خَٰلِدِينَ﴾: مُقَدَّرًا خُلودُهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾: يَحفَظُهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: يَدفعُها عنهم.

[٦٦] ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا﴾: لِلتنبيهِ ﴿لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الأَتباعُ منهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ - وفي قِرَاءَةٍ[1]: ﴿سَادَاتِنَا﴾ جَمْعُ الجمْعِ - ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾: طَرِيقَ الهُدَى.

[٦٨] ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: مِثلَي عَذَابِنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾: عَذِّبْهم[2] ﴿لَعْنًا [كَثِيرًا][3]﴾ عَدَدُه. وفي قِرَاءَةٍ: بِالمُوَحَّدَةِ؛ أي: عَظِيمًا.

[٦٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟﴾ مَعَ نَبِيِّكُم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ بِقَولِهِم -مَثَلًا-: «ما يَمنعُه أَنْ يَغتَسِلَ مَعَنا إِلَّا أَنَّه آدَرُ» ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ بِأَنْ وَضَعَ ثَوبَه على حَجَرٍ لِيَغتَسِلَ؛ فَفَرَّ الحَجَرُ به، حتَّى وقَفَ بَيْنَ مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسرَائِيلَ؛ فأدرَكَه مُوسَى، فَأَخَذَ ثَوبَه فَاستَتَرَ به، فَرَأَوه ولَا أُدْرَةَ به[4]- وهي: نُفْخَةٌ في الخُصْيَةِ- ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾: ذَا جَاهٍ. ومِمَّا أُوذِيَ به نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّه قَسَمَ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: هذه قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بها وَجْهُ الله -تَعَالَى- فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذَلكَ، وقَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا؛ فَصَبَرَ»[5] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

[٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صَوَابًا.

[٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: يَتَقَبَّلُها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: نَالَ غَايَةَ مَطْلُوبِه.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾: الصَّلَوَاتِ وغَيرَها، مِمَّا في فِعْلِها مِنَ الثَّوَابِ وتَرْكِها مِنَ العِقَابِ ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بِأَنْ خلَقَ فِيها فَهْمًا ونُطْقًا ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾: خِفْنَ ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ﴾ آدَمُ بَعدَ عَرْضِها عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لِنَفسِه بِمَا حَمَلَه ﴿جَهُولًا﴾ به.

[٧٣] ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ اللامُ: مُتَعَلِّقَةٌ بِـ﴿عَرَضْنَا﴾ المُتَرَتِّبِ عليه حَمْلُ آدَمَ[6] ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ المُضَيِّعِينَ الأَمَانَةَ ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المُؤَدِّينَ الأَمَانَةَ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِلمُؤْمِنِينَ ﴿رَّحِيمًا﴾ بِهِم.

---

(١) لابنِ عامرٍ.

(٢) اللعنةُ غيرُ العَذَابِ. قالَ الشيخُ هراسٌ في شرحِ العَقيدةِ الواسطيةِ (ص١٠٨-١١٠) في تعليقِه عَلى بَعضِ الآيَاتِ التي تَضَمَّنَت صِفَاتِ الرِّضَا والغَضَبِ واللعْنِ والكُرهِ ونحوِها؛ قالَ: «تضمَّنَت هَذِهِ الآيَاتُ إِثْبَاتَ بَعْضِ صِفَاتِ الفِعْلِ مِنَ الرِّضَى لله، والغَضَبِ، واللَّعنِ، وَالكُرهِ، والسَّخطِ، والمَقتِ، والأَسَفِ. وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، وَلَا تُشْبِهُ مَا يَتَّصِفُ بِهِ المَخْلُوقُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهَا مَا يَلْزَمُ فِي المَخْلُوقِ... وَاللَّعْنُ: هُوَ الطَّرْدُ وَالإِبْعَادُ عَنْ رَحْمَةِ الله، وَاللَّعِينُ وَالمَلْعُونُ: مَنْ حَقَّت عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ، أَوْ دُعِيَ عَلَيْهِ بِهَا».

(٣) لِلسَّبعةِ عدا عاصم. وقَرَأَ عَاصِمٌ: ﴿كَبِيرًا﴾ بِالبَاءِ.

(٤) كما في حديثِ أبي هُرَيرَةَ عِندَ البُخَارِيِّ (٢٧٨)، ومسلمٍ (٣٣٩).

(٥) البُخَارِيُّ (٣٤٠٥)، ومسلمٌ (١٠٦٢) مِن حَدِيثِ عبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ.

(٦) قال ابنُ كثيرٍ (٦/ ٤٩٣): «أي: إنَّما حمل ابنُ آدمَ الأَمَانَةَ، وَهِي التَّكَالِيفُ؛ لِيُعَذِّبَ الله المُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَالمُنَافِقَاتِ... إلخ».

سُورَةُ سَبَإٍ — آياتها ٥٤ — ترتيبها ٣٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ
ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

سُورةُ سبأ

مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ الآيَةَ، فمَدَنِيَّةٌ،

وهي: أربَعٌ، أو: خَمسٌ وخَمسُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حَمِدَ -تعَالَى- نَفْسَه بِذلك؛ والمُرادُ(١) به: الثَّناءُ بِمَضمُونِه مِن ثُبُوتِ الحَمْدِ- وهو الوَصْفُ بِالجَمِيلِ لله -تعَالَى(٢)- ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وخَلْقًا ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كَالدُّنيا، يَحمَدُه أولِيَاؤُه إِذَا دَخَلُوا الجَنَّةَ(٣) ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فِعْلِه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ في خَلْقِه.

[٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يَدخُلُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كَماءٍ وغَيرِه ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كَنَباتٍ وغَيرِه ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مِنْ رِزْقٍ وغَيرِه ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يَصْعَدُ ﴿فِيهَا﴾ مِن عَمَلٍ وغَيرِه ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بِأَولِيَائِه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لهم.

[٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾: القِيامَةُ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ - بِالجَرِّ: صِفَةٌ، والرَّفعِ(٤): خَبَرَ مُبْتَدَإٍ. و﴿عَلَّامِ﴾(٥) بالجَرِّ- ﴿لَا يَعْزُبُ﴾: يَغِيبُ ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾: وَزْنُ ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغَرِ نملَةٍ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ؛ هو: اللَّوحُ المَحفُوظُ.

[٤] ﴿لِّيَجْزِىَ﴾ فيها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: حَسَنٌ في الجَنَّةِ.

[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ﴾ إِبطَالِ ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿[مُعَجِّزِينَ]﴾(٦) وفي قِراءَةٍ هنا، وفيما يَأتي: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: أي: مُقَدِّرِينَ عَجزَنا، أو مُسَابِقِينَ لنا، فَيَفُوتُونا؛ لِظَنِّهم أَنْ لَا بَعْثَ ولَا عِقابَ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾: سَيِّءِ العَذابِ ﴿أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ. بِالجَرِّ والرَّفعِ(٧)، صِفَةٌ لِـ﴿رِّجْزٍ﴾ أو ﴿عَذَابٌ﴾.

[٦] ﴿وَيَرَى﴾: يَعلَم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: مُؤمِنُو أَهلِ الكِتَابِ؛ كَعبدِ الله بنِ سَلامٍ وأَصْحَابِه ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿هُوَ﴾ -فَصْلٌ(٨)- ﴿ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: طَرِيقِ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: اللهِ ذِي العِزَّةِ المَحمُودِ.

[٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قالَ بَعضُهم على جِهَةِ التَّعجِيبِ(٩) لِبَعضٍ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو مُحَمَّد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يُخبِرُكُم أَنَّكُم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾: قُطِّعتُم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بِمَعنَى: تَمزِيقٍ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (المُرَادُ) بِدُونِ الوَاوِ. بِاعتبارِه خَبرًا لِـ«حَمْدُ تَعَالى نَفسَه»؛ حيثُ اختارَ أَنَّ «حَمْدُ» اسمٌ وليس فِعلاً؛ هكَذا ضبطه.

(٢) كلمةُ: (تعالى) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٣) قال السَّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تيسيرِ الكريم الرحمن (ص٦٧٤): «لِأَنَّ في الآخِرَةِ، يَظهرُ مِن حَمْدِه، والثَّناءِ عليه، ما لا يَكونُ في الدُّنيا، فإذا قَضى اللهُ تعالى بين الخلائِقِ كُلِّهم، ورَأى النَّاسُ والخَلْقُ كُلُّهم، ما حَكَمَ به، وكَمالَ عَدْلِه وقِسْطِه، وحِكْمَتِه فيه، حَمِدُوه كلُّهم على ذلك، حتَّى أهل العِقَابِ ما دَخَلوا النَّارَ، إِلَّا وقُلوبُهم مُمتَلِئَةٌ مِنْ حَمْدِه، وأَنَّ هذا مِنْ جَزَاءِ أعمالِهم، وأنَّه عَادِلٌ في حُكْمِه بِعِقَابِهم». وانظر التعليق عل الآيةِ (٧٥) مِن سُورةِ «الزمَر» الحاشية رقم (٣).

(٤) ﴿عَٰلِمُ﴾؛ بِالرَّفعِ: وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٥) وهي قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسائِيِّ.

(٦) وهي قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وكذلك في الآيَةِ الآتيةِ رقم (٣٨)، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾.

(٧) ﴿أَلِيمٍ﴾؛ بِالجرِّ: قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عدا حفصٍ وابنِ كثيرٍ، وهي بِالجرِّ: صِفَةٌ لِـ﴿رِّجْزٍ﴾، وبِالرَّفعِ: صِفَةٌ لِـ﴿عَذَابٌ﴾.

(٨) أي: ضَميرُ فصلٍ، وهو لا محَلَّ له مِنَ الإِعرابِ.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (التعجُّب).

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَاخِرَةِ
فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ
أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَايَةً
لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ
سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ
وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ
أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

الحزب ٤٣

[٨] ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ - بِفَتحِ الهَمْزَةِ للاستِفهَامِ، واستُغنِيَ بها عَنْ هَمزةِ الوَصْلِ - ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: جُنُونٌ، تَخَيَّلَ به ذلكَ؟ قالَ تَعالَى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَاخِرَةِ﴾ المُشتَمِلَةِ على البَعْثِ والعَذَابِ ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ عَنِ الحَقِّ في الدُّنيا.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يَنظُرُوا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾: مَا فَوقَهم ومَا تَحتَهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ [كِسْفًا]﴾ بِسُكُونِ السِّينِ وفَتحِها[1]: قِطعَةً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وفي قِرَاءَةٍ في الأفعَالِ الثَّلاثَةِ بالياءِ[2] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَرئِيِّ ﴿لَأَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: رَاجِعٍ إلى رَبِّهِ، تَدُلُّ عَلى قُدْرَةِ الله على البَعْثِ وما يَشَاءُ.

[١٠] ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: نُبُوَّةً وكِتَابًا، وقُلنَا: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾: رَجِّعِي ﴿مَعَهُۥ﴾ بِالتَّسْبِيحِ ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ - بِالنَّصْبِ: عَطفًا عَلى مَحَلِّ «الجِبَالِ»[3]- أَي: ودَعَونَاهَا تُسَبِّحُ معه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فكانَ في يَدِه كَالعَجِينِ[4].

[١١] وقُلنَا: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ منه ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾: دُرُوعًا كَوَامِلَ، يَجُرُّها لابِسُها عَلى الأَرْضِ ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: نَسْجِ الدُّرُوعِ - قِيلَ لِصَانِعِها: سَرَّادٌ - أَي: اجْعَلْه بِحَيثُ تَتَنَاسَبُ حَلَقُهُ ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾ أي: آلَ دَاودَ مَعه ﴿صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فَأُجَازِيكُم به.

[١٢] ﴿وَ﴾ سَخَّرنَا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ - وقِرَاءَةُ الرَّفعِ[5] بتَقْدِيرِ: تَسخِيرُ - ﴿غُدُوُّهَا﴾: مَسِيرُها مِنَ الغُدْوَةِ؛ بِمَعنَى: الصَّباحِ إلى الزَّوَالِ ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾: سَيرُها مِنَ الزَّوَالِ إلى الغُرُوبِ ﴿شَهْرٌ﴾ أي: مَسِيرَتُه ﴿وَأَسَلْنَا﴾: أَذَبْنَا ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أَي: النُّحَاسِ[6]؛ فَأُجْرِيَتْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهِنَّ كَجَرْيِ المَاءِ[7]- وَعَمَلُ النَّاسِ إِلَى اليَوْمِ مِمَّا أُعطِيَ سُلَيمانُ[8]- ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾: بِأَمرِ ﴿رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ﴾: يَعْدِلْ ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بِطَاعَتِه ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّارِ فِي الآخِرَةِ - وَقِيلَ: فِي الدُّنْيَا؛ بِأَنْ يَضْرِبَهُ مَلَكٌ بِسَوْطٍ مِنْهَا ضَرْبَةً تُحْرِقُهُ[9]-.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: أَبْنِيَةٍ مُرْتَفِعَةٍ، يُصْعَدُ إِلَيْهَا بِدَرَجٍ ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: جَمْعُ تِمْثَالٍ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ مَثَّلْتَهُ بِشَيْءٍ؛ أَي: صُوَرٌ مِنْ نُحَاسٍ وَزُجَاجٍ وَرُخَامٍ - وَلَمْ يَكُنِ اتِّخَاذُ الصُّوَرِ حَرَامًا فِي شَرِيعَتِهِ[10]- ﴿وَجِفَانٍ﴾: جَمْعُ جَفْنَةٍ ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ـي[11]، جَمْعُ جَابِيَةٍ - وَهِيَ حَوْضٌ كَبِيرٌ، يَجْتَمِعُ عَلَى الجَفْنَةِ أَلْفُ رَجُلٍ يَأْكُلُونَ مِنْهَا[12]- ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾: ثَابِتَاتٍ، لها قَوَائِمُ لَا تَتَحَرَّكُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، تُتَّخَذُ مِنَ الجِبَالِ بِاليَمَنِ، يُصْعَدُ إِلَيْهَا بِالسَّلَالِمِ[13]. وقُلنَا: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بِطَاعَةِ الله ﴿شُكْرًا﴾ له عَلى مَا آتَاكُم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾: العَامِلُ بِطَاعَتِي شُكْرًا لِنِعْمَتِي.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾: عَلى سُلَيمَانَ ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ أي: مَاتَ، وَمَكَثَ قَائِمًا عَلَى عَصَاهُ حَوْلًا مَيْتًا، وَالجِنُّ تَعمَلُ تِلْكَ الأَعْمَالَ الشَّاقَّةَ عَلَى عَادَتِهَا، لَا تَشْعُرُ بِمَوْتِهِ، حَتَّى أَكَلَتِ الأَرَضَةُ عَصَاهُ فَخَرَّ مَيْتًا[14] ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: مَصْدَرُ: أُرِضَتِ الخَشَبَةُ، بِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ: أَكَلَتْهَا الأَرَضَةُ ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ بِالهَمْزِ وتَرْكِه بِأَلِفٍ[15]: عَصَاهُ؛ لِأَنَّهَا تُنْسَأُ: تُطْرَدُ[16] ويُزْجَرُ بِهَا ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ مَيْتًا ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾: انكَشَفَ لهم ﴿أَن﴾: مُخَفَّفَةٌ؛ أَي: أَنَّهُم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ وَمِنْهُ مَا غَابَ عَنْهُمْ مِنْ مَوْتِ سُلَيْمَانَ ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: العَمَلِ الشَّاقِّ لَهُمْ؛ لِظَنِّهِمْ حَيَاتَهُ خِلَافَ ظَنِّهِمْ عِلْمَ الغَيْبِ. وَعُلِمَ كَوْنُهُ سَنَةً بِحِسَابِ مَا أَكَلَتْهُ الأَرَضَةُ مِنَ العَصَا، بَعْدَ مَوْتِهِ، يَوْمًا وَلَيْلَةً مَثَلًا[17].

---

(١) ﴿كِسْفًا﴾؛ بِسُكُونِ السِّينِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حفصٍ. وقرَأَ حفصٌ: ﴿كِسَفًا﴾؛ بِفَتحِ السِّينِ.

(٢) أي: ﴿يَشَأْ﴾، و﴿يَخْسِفْ﴾، و﴿يُسْقِطْ﴾، وهي قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ. (٣) مَحَلُّه النَّصْبُ؛ لِأَنَّه مُنَادًى.

(٤) رَوَاهُ ابنُ أَبي حَاتِمٍ (١٧٨٧٤) عَنِ الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قَوْلِهِ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾؛ قَالَ: «يَصِيرُ فِي يَدِهِ مِثْلَ العَجِينِ، فَيَصْنَعُ مِنْهُ الدُّرُوعَ». ورواه ابنُ المنذرِ -كما في الدُّرِّ المَنثُورِ (٦/ ٦٧٦)- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: «كالعَجِينِ». ولَم نَقِفْ على إسنادِهما. وفي تفسيرِ مُقاتِلِ بنِ سُلَيمانَ (٣/ ٥٢٦): «فكانَ داودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُضَفِّرُ الحَدِيدَ ضَفرَ العَجِينِ، مِن غَيرِ نَارٍ، فيَتَّخِذُها دُرُوعًا طِوالًا».

(٥) ﴿ٱلرِّيحُ﴾؛ بِضَمِّ الحَاءِ: وهي قِرَاءَةُ شُعبَةَ.

(٦) أخرجَه ابنُ المُنذرِ -كما في الدُّرِّ المنثُورِ في التفسيرِ بالمأثورِ (٦/ ٦٧٨)- مِن طَرِيقِ ابنِ جُرَيجٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «﴿ٱلْقِطْرِ﴾: النُّحَاسُ». ورواه الطبريُّ (١٩/ ٢٢٨) عَنْ قَتَادَةَ.

(٧) أخرجَه ابنُ المُنذرِ -كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٦/ ٦٧٨)- عَنْ عِكرِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قَوْلِهِ: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قَالَ: «أَسَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ القِطْرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، يَسِيلُ كَمَا يَسِيلُ المَاءُ».

(٨) رواه الطبريُّ (١٩/ ٢٢٨) عَنْ قَتَادَةَ، ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: «عَيْنَ النُّحَاسِ، كَانَتْ بِأَرْضِ اليَمَنِ، وَإِنَّمَا يُنْتَفَعُ اليَوْمَ بِمَا أَخْرَجَ اللهُ لِسُلَيْمَانَ».

(٩) قالَ مقاتلُ بنُ سليمانَ (٣/ ٥٢٧): «كانَ مَلَكٌ بيده سَوطٌ مِنْ نَارٍ، مَنْ يَزِغْ عَنْ أَمْرِ سُلَيمانَ ضَرَبَه بِسَوطٍ مِنْ نَارٍ؛ فذلك عَذابُ السَّعِيرِ». وعَزاهُ أبو السُّعودِ في تَفسِيرِه (٧/ ١٢٥) لِلسُّدِّيِّ.

(١٠) لَم نَجِدْ له إسنادًا. ونقلَه في البحرِ المحيطِ في التفسيرِ (٨/ ٥٢٨)، والقرطبيُّ (١٤/ ٢٧٣) عَنْ أَبِي العَالِيَةِ؛ قَالَ: «لَمْ يَكُنِ اتِّخَاذُ الصُّوَرِ إِذْ ذَاكَ مُحَرَّمًا».

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة وحَاشِيَةِ الجَمَلِ: (﴿كالجوابي﴾)؛ بِإِثْبَاتِ اليَاءِ. وهي قِرَاءَةُ وَرْشٍ وأَبِي عَمرٍو وَصلًا، وابنِ كثيرٍ في الحَالَينِ. (١٢) ذَكَرَه مُقاتلٌ في تَفسِيرِه (٣/ ٥٢٧).

(١٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بالسلاليم). والأثرُ رواهُ بنحوه الطبريُّ (١٩/ ٢٣٥) عَنْ قَتَادَةَ، وعنِ ابنِ زَيدٍ؛ قَالَ: «مِثَالُ الجِبَالِ مِنْ عِظَمِهَا، يُعْمَلُ فِيهَا الطَّعَامُ مِنَ الكِبَرِ وَالعِظَمِ، لَا تُحَرَّكُ وَلَا تُنْقَلُ».

(١٤) رواه الحاكمُ (٧٤٢٨) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَرفوعًا، وقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وَهُوَ غَرِيبٌ بِمَرَّةٍ ...». وصحَّحَ الألبانيُّ وَقفَه، وضَعَّفَ رَفْعَه في الضعيفة (٦٥٧٣).

(١٥) ثلاثُ قِراءاتٍ؛ قرأَ نافعٌ وأبو عَمرٍو بِأَلِفٍ مِنْ غَيرِ هَمْزٍ، وقرأَ البَاقُونَ بِهَمزَةٍ مفتوحةٍ، إلَّا ابنَ ذكوانَ فإنَّه أسكنَ الهَمزَةَ. (١٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يُنسأ: يُطرَد)؛ بالياءِ فيهما.

(١٧) رواه الطبريُّ (١٩/ ٢٤١) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. وقالَ ابنُ عُثَيمين في تفسيرِ سُورةِ سبأ (ص١٢٢): «لا حَاجَةَ لنا إلى تقديرِ المُدَّةِ التي لَبِثَها سُلَيمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأَنَّ مِثْلَ هذه الأمورِ لا يُركَنُ إليها ولا يُعتمدُ، إلَّا إذا جاءتْ عَنِ الشَّارِعِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، أو جاءت في كِتابِ الله تعالى، وأمَّا ما يأتي عَنْ بَني إسرائيلَ في مِثلِ هذه الأُمورِ فإنَّنا نَقِفُ فيه، لا نُصَدِّقُ ولا نُكَذِّبُ».

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ
وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصَّرْفِ وعدَمِه[١]؛ قَبِيلَةٌ، سُمِّيتِ بِاسْمِ جَدٍّ لَهم[٢] مِنَ العَرَبِ ﴿فِي [مَسَٰكِنِهِمْ]﴾[٣] بِاليَمَنِ ﴿ءَايَةٌ﴾ دَالَّةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى ﴿جَنَّتَانِ﴾: بَدَلٌ، ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: عَنْ يَمِينِ وَادِيهِمْ وَشِمَالِهِ. وقِيلَ لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ﴾ عَلَى مَا رَزَقَكُمْ مِنَ النِّعْمَةِ. فِي أَرْضِ سَبَإٍ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾: لَيسَ فيها سِبَاخٌ[٤]، ولا بَعُوضَةٌ، ولا ذُبَابَةٌ، ولا بُرْغُوثٌ، ولا عَقْرَبٌ، ولا حَيَّةٌ، وَيَمُرُّ الغَرِيبُ فيها وفي ثِيَابِه قُمَّلٌ، فَيَمُوتُ لِطِيبِ هَوَائِها[٥] ﴿وَ﴾ اللهُ ﴿رَبٌّ غَفُورٌ﴾.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عَنْ شُكْرِهِ وَكَفَرُوا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: جَمْعُ عَرِمَةٍ، وَهُوَ مَا يُمْسِكُ المَاءَ مِنْ إِنَاءٍ وَغَيْرِهِ، إِلَى وَقْتِ حَاجَتِهِ، أي: سَيْلَ وَادِيهِمُ المَمْسُوكِ بِمَا ذُكِرَ، فَأَغْرَقَ جَنَّتَيْهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾: تَثْنِيَةُ ذَوَاتٍ- مُفْرَدٍ عَلَى الأَصْلِ[٦]- ﴿[أُكُلٍ][٧] خَمْطٍ﴾: مُرٍّ بَشِعٍ، بِإِضَافَةِ ﴿أُكُلٍ﴾؛ بِمَعْنَى: مَأْكُولٍ وَتَرْكِهَا، وَيُعْطَفُ عَلَيْهِ: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

[١٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّبْدِيلَ ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾: بِكُفْرِهِم ﴿وَهَلْ [يُجَازَىٰ] إِلَّا [الْكَفُورُ]﴾؟ - بِاليَاءِ[٨]، والنُّونِ مَعَ كَسْرِ الزَّايِ وَنَصْبِ ﴿الْكَفُورَ﴾- أي: ما يُنَاقَشُ[٩] إِلَّا هُوَ.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بَيْنَ سَبَإٍ- وهُم بِاليَمَنِ- ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بِالمَاءِ وَالشَّجَرِ وَالثِّمَارِ- وَهِيَ قُرَى الشَّامِ، الَّتِي يَسِيرُونَ إِلَيْهَا لِلتِّجَارَةِ- ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: مُتَوَاصِلَةً مِنَ اليَمَنِ إِلَى الشَّامِ ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بِحَيْثُ يَقِيلُونَ فِي وَاحِدَةٍ وَيَبِيتُونَ فِي أُخْرَى، إِلَى انْتِهَاءِ سَفَرِهِمْ، وَلَا يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى حَمْلِ زَادٍ وَمَاءٍ؛ أي[١٠]: وقُلْنَا: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾: لا تَخَافُونَ فِي لَيلٍ ولَا فِي نَهَارٍ. [١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا [بَعِّدْ]﴾[١١]- وفي قِرَاءَةٍ: ﴿بَاعِدْ﴾- ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إِلَى الشَّامِ: اجْعَلْهَا مَفَاوِزَ؛ لِيَتَطَاوَلُوا عَلَى الفُقَرَاءِ بِرُكُوبِ الرَّوَاحِلِ وَحَمْلِ الزَّادِ وَالمَاءِ؛ فَبَطِرُوا النِّعْمَةَ ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بِالكُفْرِ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لِمَنْ بَعْدَهُمْ فِي ذَلِكَ ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فَرَّقْنَاهُمْ فِي البِلَادِ كُلَّ التَّفْرِيقِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذْكُورِ ﴿لَآيَاتٍ﴾: عِبَرًا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَنِ المَعَاصِي ﴿شَكُورٍ﴾ عَلَى النِّعَمِ.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ [صَدَقَ]﴾ - بِالتَّخْفِيفِ والتَّشْدِيدِ[١٢]- ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكُفَّارِ؛ مِنْهُمْ سَبَأٌ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أَنَّهم بِإِغْوَائِهِ يَتَّبِعُونَهُ ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ فَـ﴿صَدَقَ﴾ بِالتَّخْفِيفِ: فِي ظَنِّهِ، أَوْ ﴿صَدَّقَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ: ظَنَّهُ؛ أي: وَجَدَهُ صَادِقًا ﴿إِلَّا﴾ بِمَعْنَى: لَكِنْ ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [«مِنْ»][١٣]: لِلْبَيَانِ[١٤]؛ أي: هُمُ المُؤْمِنُونَ لَمْ يَتَّبِعُوهُ.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾: تَسْلِيطٍ ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ فَنُجَازِيَ كُلًّا منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: رَقِيبٌ.

[٢٢] ﴿قُلِ﴾ - يا مُحَمَّدُ- لِكُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي: زَعَمْتُمُوهم آلِهَةً ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غَيْرَه، لِيَنفَعُوكُم بِزَعْمِكُم. قال -تعالَى- فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾: وَزْنَ ﴿ذَرَّةٍ﴾ مِنْ خَيرٍ أو شَرٍّ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: شَرِكَةٍ ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ -تَعَالَى- ﴿مِنْهُم﴾: مِنَ الآلِهَةِ ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾: مُعِينٍ.

---

(١) قَرَأَ أبو عمرٍو والبَزِّيُّ بِفَتحِ الهَمْزَةِ مِنْ غَيرِ تَنوِينٍ، وقَرَأَ قُنبلٌ بِإسكانِ الهَمْزَةِ، وقَرَأَ الباقونَ بِكَسْرِ الهَمْزَةِ مع التَّنوِينِ.

(٢) روى أحمد (٢٨٩٨) وغيرُه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ سَبَإٍ، مَا هُوَ: أَرَجُلٌ أَمِ امْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ؟ فَقَالَ: «بَلْ هُوَ رَجُلٌ وَلَدَ عَشَرَةً...». وحَسَّنَ الأَرناؤوطُ إِسنادَه.

(٣) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ حفصٌ وحمزةُ: ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بِالإفرادِ وفَتحِ الكافِ، وقَرَأَ الكِسائيُّ: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بِالإفرادِ وكَسرِ الكافِ.

(٤) «السَّبَخَةُ»: أَرْضٌ ذَاتُ مِلْحٍ ونَزٍّ، وجَمْعُها: «سِبَاخٌ». و«السَّبَخَةُ»: الأرضُ المالِحَةُ. و«السَّبَخُ»: المَكانُ يَسْبَخُ؛ فَيُنْبِتُ المِلْحَ، وتَسُوخُ فِيهِ الأَقدامُ. لِسانُ العَرَبِ (٣/ ٢٤).

(٥) رواه الطبريُّ (١٩/ ٢٤٧) عن ابنِ زَيدٍ؛ قال: «وَلَمْ يَكُنْ يُرَى فِي قَرْيَتِهِمْ بَعُوضَةٌ قَطُّ، وَلَا ذُبَابٌ، وَلَا بُرْغُوثٌ، وَلَا عَقْرَبٌ، وَلَا حَيَّةٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّكْبُ لَيَأْتُونَ وَفِي ثِيَابِهِمُ القَمْلُ وَالدَّوَابُّ، فَمَا هُمْ إِلَّا أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ، فَتَمُوتُ الدَّوَابُّ». ولا حَاجَةَ إلى ذِكرِ هذه الأُمورِ التي لا دَليلَ عليها، وإِنَّما يَكتَفِي أَكثَرُ المُفسِّرينَ بِتفسيرِ البَلدَةِ الطَّيِّبَةِ بِأَنَّها المُبَارَكَةُ الكَثِيرَةُ الثَّمَرَاتِ اللَّطِيفَةُ الهَوَاءِ.

(٦) لفظ: «ذَوَات» مُفرَدٌ.

(٧) ﴿أُكُلٍ﴾؛ بِضَمِّ الكافِ بِلا تَنوينٍ، وهي: قِراءَةُ أبي عَمرٍو. وقَرَأَ نافعٌ وابنُ كثيرٍ: ﴿أُكْلٍ﴾؛ بِإسكانِ الكافِ مَعَ تَنوينِ اللامِ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿أُكُلٍ﴾؛ بِضَمِّ الكافِ، مَعَ تَنوينِ اللامِ. وفي نُسخَةِ قَبَاوَة: (﴿أُكْلِ خَمْطٍ﴾)؛ بِسُكونِ الكافِ والإِضافَةِ، وهو سبقُ قَلَمٍ؛ إِذْ لَيسَتْ مِنَ القِراءَاتِ.

(٨) ﴿يُجَازَىٰ﴾؛ بِضَمِّ الياءِ، وفَتحِ الزَّايِ؛ مَبنيًّا لِلمَفعُولِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبَةَ. وقَرَأَ ورشٌ عَن نافعٍ بِضَمِّ الياءِ، وفَتحِ الزَّايِ، مَبنيًّا لِلمَفعُولِ، وقَلَّلَ الأَلِفَ بِخُلْفٍ عنه. وعلى هذه القِراءَةِ؛ يُقرَأُ ﴿الكَفُورُ﴾؛ بِضَمِّ الرَّاءِ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿نُجَٰزِيٓ﴾؛ بِالنُّونِ، وكَسرِ الزَّايِ، مَبنيًّا لِلفاعِلِ. وعلى هذه القِراءَةِ؛ يُقرَأُ ﴿الكَفُورَ﴾؛ بِفَتحِ الرَّاءِ.

(٩) المُجازاةُ هنا بِمَعنى: المُناقَشَة. وعِندَ البُخاريِّ (٦٥٣٦)، ومسلمٍ (٢٨٧٦) عَن عائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ». قالَتْ: قُلْتُ: أَلَيسَ يَقُولُ اللهُ تَعالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٨]؟ قالَ: «ذَلِكِ العَرْضُ».

(١٠) كلمةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١١) وهي قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وهِشامٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿بَٰعِدْ﴾.

(١٢) بِالتخفيفِ قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿صَدَّقَ﴾ بِالتَّشديدِ.

(١٣) كلمةُ: «مِنْ» لَيسَتْ في الأَصلِ، والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١٤) أي: «مِنْ» بَيَانِيَّةٌ، ولَيسَت تَبعِيضِيَّةً؛ لِأَنَّها لو كانَت لِلتَّبعِيضِ لَكانَ المَعنَى: إِلَّا فريقًا مِنَ المُؤمِنينَ نَجَا منهم، وفَرِيقٌ آخَرُ لَم يَنْجُ، وهذا المعنَى فاسِدٌ. تفسيرُ «سورة سبأ» لابنِ عُثيمين (ص١٥١).

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ
﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ٤٤

[٢٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ -تَعَالَى- رَدًّا لِقَولهم: إنَّ آلِهتَهم تَشفَعُ عِندَه- ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ -بِفَتحِ الهَمْزَةِ وضَمِّهَا[١]- ﴿لَهُۥ﴾ فيها[٢] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا [فَزَّعَ]﴾ - بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ والمَفعُولِ[٣]- ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾: كَشَفَ عنها الفَزَعَ، بِالإِذْنِ فيها[٤] ﴿قَالُوا۟﴾: قالَ بَعضُهم لِبَعضٍ استِبشَارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا۟﴾: القَولَ ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي: قَدْ أَذِنَ فيها[٥] ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ فوقَ خَلقِهِ بِالقَهْرِ[٦] ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾[*]: العَظِيمُ.

[٢٤] ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المَطَرَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النَّبَاتَ؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إِنْ لَمْ يَقُولُوه، لَا جَوَابَ غَيره ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي: أَحَدَ الفَرِيقَينِ ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ. في الإِبهَامِ تَلَطُّفٌ بهم دَاعٍ إِلَى الإِيمانِ، إِذَا وُفِّقُوا لَهُ.

[٢٥] ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾: أَذْنَبْنَا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لِأَنَّا بَرِيئُونَ مِنكُم.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يومَ القِيَامَةِ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾: يَحكُمُ ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فيُدْخِلُ المُحِقِّينَ الجَنَّةَ والمُبْطِلِينَ النَّارَ ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾: الحَاكِمُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِما يَحكُمُ به.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِىَ﴾: أَعْلِمُونِي ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ في العِبَادَةِ ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ لهم عَنِ اعتِقَادِ شَرِيكٍ له ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ على أَمْرِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تَدْبِيرِه لِخَلْقِه. فَلَا يَكُونُ له شَرِيكٌ في مُلْكِه.

[٢٨] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ -حَالٌ مِنَ «النَّاسِ»، قُدِّمَ لِلاهتِمَامِ- ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾: مُبَشِّرًا لِلمُؤْمِنِينَ بِالجَنَّةِ ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُنْذِرًا لِلكَافِرِينَ بِالعَذَابِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بِالعَذَابِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؟

[٣٠] ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه- وهُو: يَومُ القِيَامَةِ-.

[٣١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ أَهلِ مَكَّةَ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تَقَدَّمَهُ؛ كَالتَّورَاةِ والإِنجِيلِ، الدَّالَّيْنِ على البَعْثِ؛ لِإِنكَارِهم له. قالَ -تَعَالَى- فيهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ - يا مُحَمَّد- ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكَافِرونَ ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: الأَتبَاعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: الرُّؤسَاءِ[٧]: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ صَدَدْتُمُونَا عَنِ الإِيمَانِ ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بِالنَّبِيِّ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قال: إنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ...» الحديث. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سُورة سَبأ (٣٤) باب (١) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ...﴾.

---

(١) ﴿أُذِنَ﴾؛ بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ وأَبي عَمرٍو.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (فيها ﴿لَهُۥ﴾)؛ بِتَقدِيمِ: (فيها).

(٣) ﴿فَزَّعَ﴾؛ بِالبِنَاءِ للفَاعِلِ: قِرَاءَةُ ابنِ عامرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿فُزِّعَ﴾؛ بِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ.

(٤) ذَهبَ المُفسِّرُ إِلى أَنَّ الضَّمِيرَ في: ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ يَعُودُ على المَشفُوعِ له؛ أي: إِنَّ المَشفُوعَ له قَبلَ الشَّفَاعَةِ يَلحَقُه الفَزَعُ والخَوفُ مِنْ ذُنُوبِه، أو مِنْ غَيرِ ذلك، فإذا أُذِنَ في الشَّفَاعَةِ زَالَ الفَزَعُ. ودَلَّتِ السُّنَّةُ على أَنَّ الضَّمِيرَ في: ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ يَعُودُ على المَلائِكَةِ؛ أي: إِنَّ المَلائِكَةَ الذين هُم عِندَ الله تعالى، إذا تَكَلَّمَ الله تعالى بالوَحْيِ صُعِقُوا، فإذا صُوعِقُوا ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾؛ يَعنِي: أُزِيلَ الفَزَعُ عنها، ثُمَّ صاروا يَتَسَاءَلُونَ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ. ويُنظَرُ حاشية الفوائد.

(٥) أي: في الشَّفَاعَةِ.

(٦) وهذا مِنْ قَصرِ العَامِّ على بعضِ أفرادِه، وهو -سُبْحَانَهُ- له العُلُوُّ المُطلَقُ؛ عُلُوُّ الذَّاتِ، وعُلُوُّ الشَّأنِ، وعُلُوُّ القَهْرِ.

(٧) في نُسْخة قباوة: (للرُّؤساء).

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ
عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ
تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ
هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤
وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ
عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ
ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ
يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ
وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

[٣٢] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم﴾؟ لا ﴿بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ في أنفسِكُم.

[٣٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: مَكرٌ فيهما مِنكُم بنا ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗا﴾: شُرَكَاءَ ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ أي: الفَرِيقَانِ ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾ على تَرْكِ الإِيمانِ به ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: أخفاهَا كُلٌّ عَنْ رَفِيقِه مَخَافَةَ التَّعييرِ ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النَّارِ ﴿هَلۡ﴾: ما ﴿يُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاءَ ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في الدُّنيا؟

[٣٤] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾: رُؤسَاؤُها المُتَنَعِّمُونَ: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾ مِمَّنْ آمَنَ ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

[٣٦] ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾: يُوسِّعُه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتِحَانًا ﴿وَيَقۡدِرُ﴾: يُضَيِّقُه لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلاءً ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلكَ.

[٣٧] ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾: قُرْبَى؛ أي: تَقْرِيبًا ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي: جَزَاءُ العَمَلِ: الحَسَنَةُ -مَثَلاً- بِعَشْرٍ فَأَكْثَرَ ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾ مِنَ الجَنَّةِ ﴿ءَامِنُونَ﴾ مِنَ المَوتِ وغَيرِه- وفي قِراءَةٍ: ﴿الْغُرْفَةِ﴾[1] بِمَعنَى الجَمْعِ-.

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ بالإبطَالِ ﴿[مُعَجِّزِينَ]﴾[2] لنا: مُقَدِّرِينَ عَجْزَنَا، وأَنَّهم يَفُوتُونَنا[3] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾: يُوسِّعُه ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ امتِحَانًا ﴿وَيَقۡدِرُ﴾: يُضَيِّقُه ﴿لَهُۥ﴾ بعدَ البَسْطِ، أو لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلاءً ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ في الخَيرِ ﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾[4] ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يُقَالُ: كُلُّ إِنسَانٍ يَرزُقُ عَائِلَتَه؛ أي: مِنْ رِزْقِ اللهِ[5].

---

(١) وهي قِرَاءَةُ حَمْزَةَ.

(٢) وهي قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾.

(٣) قوله: «مُقَدِّرِينَ عَجْزَنَا»؛ هذا تَفسيرٌ لِقِرَاءَةِ: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾. وقولُه: «وأنَّهم يفوتُونَنا»؛ هذا تفسيرٌ لِقِرَاءَةِ: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾. وقالَ العزُّ بنُ عبدِ السلامِ في تَفسيرِه (٢/ ٣٥٩): «﴿مُعَجِّزِينَ﴾: مُثَبِّطِينَ مَنْ أرادَ اتِّبَاعَ الرَّسُولِ ﷺ أو مُثَبِّطِينَ في اتِّبَاعِه، أو مُكَذِّبِينَ، أو مُظهِرِينَ لِمَنْ آمَنَ به تَعجِيزَه في إيمانِه. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مُشَاقِّينَ، أو مُتَسَارِعِينَ، أو مُعَانِدِينَ، أو يَظُنُّونَ أنَّهم يُعجِزُونَ اللهَ هَرَبًا».

(٤) قالَ ابنُ عاشورٍ في التحريرِ والتنويرِ (٢٢/ ٢٢١): «قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: «قَدْ يُعَوِّضُ مِثْلَهُ أَوْ أَزْيَدَ، وَقَدْ يُعَوِّضُ ثَوَابًا، وَقَدْ يُدَّخَرُ لَهُ، وَهُوَ كَالدُّعَاءِ فِي وَعْدِ الْإِجَابَةِ» اهـ. قُلْتُ -أي: ابنُ عاشورٍ-: وَقَدْ يُعَوِّضُ صِحَّةً، وَقَدْ يُعَوِّضُ تَعْمِيرًا. وللهِ فِي خَلْقِهِ أَسْرَارٌ».

(٥) هذا جَوَابُ سُؤالٍ مُقَدَّرٍ، وهو: أنَّ ﴿خَيۡرُ﴾ أفعَلُ تفضِيلٍ؛ وهذَا يَقتَضِي أنَّ هناكَ رَازِقِينَ غيرَ اللهِ، لَكِنِ اللهُ خيرٌ منهم؟ فالجَوَابُ: أنَّ هذا كَما يُقَالُ: كُلُّ إِنسَانٍ يَرزُقُ عَائِلَتَه. يَعني: يُعطِيها، لَكِن عَطَاءُ الإنسَانِ عَائِلَتَه أو رِزْقُ غيرِ عَائِلَتِه مِنْ رِزْقِ اللهِ عزَّوجلَّ. أو يُقَالُ: إنَّ صِيغَةَ التَّفضِيلِ هنا لا يُرادُ بها التَّفضِيلُ بَينَ رَازِقِينَ، وإنَّما هي لِمُطلَقِ الوَصفِ، وهذا كثيرٌ في القُرآنِ. يقولُ الشَّاطِبيُّ في المقاصِدِ الشافيةِ شرحِ ألفيةِ ابنِ مالكٍ (٤/ ٥٨٢-٥٨٣): «فأمَّا المُفَاضَلَةُ فيما يَرجِعُ إلى اللهِ -تعالى- فهي بالنِّسبَةِ إلى عَادَةِ المَخلُوقِينَ في التَّخَاطُبِ، وعلى حَسَبِ تَوَهُّمِهم العَادِيِّ، فقولُه: «اللهُ أكبرُ» معنَى ذلكَ: أكبرُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ يُتَوَهَّمُ له كِبَرٌ، أو على حَسَبِ ما اعتَادُوه في المُفَاضَلَةِ بينَ المَخلُوقِينَ، وإِنْ كَانَ كِبرِيَاءُ اللهِ -تعالى- لا نِسبَةَ لها إلى كِبَرِ المَخلُوقِ. وكذلكَ قولُه: ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم:٢٧] يُرِيدُ: على نَحوِ مَا جَرَتْ به عَادَتُكم، أنَّ إعادَةَ ما تَقَدَّمَ اختِرَاعُه أسهَلُ مِنِ اختِرَاعِه ابتِدَاءً. وقولُه: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾ [النجم:٣٢]؛ أي: منكم، حَيثُ تَتَوَهَّمُونَ أنَّ لكم عِلمًا، وللهِ تعالى عِلمًا، أو على حَدِّ ما تَقُولونَ: هذا أعلمُ مِنْ هذا. وهي طَرِيقَةُ العَرَبِ في كَلامِها، وبها نَزَلَ القُرآنُ، فخُوطِبُوا بِمُقتَضَى كَلامِهم، وبما يَعتَادُونَ فيما بينَهم».

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟
الحزب ٤٤ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن
جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ
مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

[٤٠] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ [نَحْشُرُهُمْ] [1] جَمِيعًا﴾ أي: المُشرِكِينَ ﴿ثُمَّ [نَقُولُ] [2] لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾ - بتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وإبدالِ الأُولَى ياءً، وإسقاطِها [3] - ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾؟

[٤١] ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾: تَنْزِيهًا لَكَ عَنِ الشَّرِيكِ! ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: لَا مُوَالَاةَ بَيْنَنَا وبَينَهم مِنْ جِهَتِنَا ﴿بَلْ﴾: لِلانتِقَالِ ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾: الشَّيَاطِينَ [4]؛ أي: يُطِيعُونَهم في عِبادَتِهم إيَّانَا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾: مُصَدِّقُونَ فيما يَقُولُونَ لهم.

[٤٢] قالَ تَعالَى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: بَعْضُ المَعْبُودِينَ لِبَعْضِ العَابِدِينَ ﴿نَّفْعًا﴾: شَفَاعَةً ﴿وَلَا ضَرًّا﴾: تَعْذِيبًا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كَفَرُوا: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: وَاضِحَاتٍ، بِلِسانِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ مِنَ الأَصْنامِ ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ أي: القُرآنُ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كَذِبٌ ﴿مُّفْتَرًى﴾ على اللهِ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾: القُرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ﴾: مَا ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ.

[٤٤] قال تَعالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ فَمِنْ أَينَ كَذَّبُوكَ؟!

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟﴾ أي: هَؤُلَاءِ ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ مِنَ القُوَّةِ وطُولِ العُمُرِ وكَثْرَةِ المَالِ ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكَارِي عليهم بالعُقُوبَةِ والإِهْلَاكِ؟ أي: هُو وَاقِعٌ مَوقِعَه.

[٤٦] ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ هِيَ ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي: لِأَجْلِه ﴿مَثْنَىٰ﴾ أي: اثنَينِ اثنَينِ ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾: وَاحِدًا وَاحِدًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ فتَعلَمُوا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ مُحَمَّدٍ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جُنُونٍ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ﴾ أي: قَبلَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخِرَةِ، إنْ عَصَيْتُمُوه.

[٤٧] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا سَأَلْتُكُم﴾ على الإِنْذَارِ والتَّبْلِيغِ ﴿مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لَا أسألُكُم عليه أَجْرًا ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾: مَا ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: مُطَّلِعٌ يَعْلَمُ صِدْقِي.

[٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾: يُلقِيه إلى أنبِيائِه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: مَا غَابَ عَنْ خَلْقِه، في السَّماوَاتِ والأَرْضِ.

---

(١) وهي قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حفصٍ، وقَرَأ حفصٌ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.

(٢) وهي قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حفصٍ، وقَرَأ حفصٌ: ﴿يَقُولُ﴾.

(٣) قوله: «وإبدال الأولى ياءً»، هذا سَبْقُ قَلَم من المُفسِّرِ رَحِمَهُ اللهُ؛ إذ لم يَقرأ بذلك أحدٌ مِنَ القُرَّاءِ. وأمَّا إسقاطُ الأولَى مَعَ تَحقِيقِ الثَّانِيَةِ؛ فقِرَاءَةُ أبي عَمرٍو، وأمَّا تحقيقُ الأولى وتَسهيلُ الثَّانِيَةِ؛ فقِرَاءَةُ ورشٍ، وعكسُه قالونُ والبزِّيُّ، ولِوَرشٍ أيضًا إِبْدَالُ الثَّانِيَةِ يَاءً سَاكِنَةً مَمْدُودَةً مَع تحقيقِ الأولى.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: الشَّيَاطِينَ)، بزِيَادةِ: (أي).

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ — ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ
يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

[٤٩] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإِسْلَامُ ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الكُفْرُ ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لَمْ يَبْقَ لَه أثَرٌ.

[٥٠] ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عَنِ الحَقِّ ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي: إِثْمُ ضَلَالِي عليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ مِنَ القُرآنِ والحِكْمَةِ ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لِلدُّعَاءِ ﴿قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ -يا مُحَمَّد- ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عِندَ البَعْثِ؛ لَرَأيتَ أَمْرًا عَظِيمًا ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لهم مِنَّا؛ أي: لَا يَفُوتُونَنا ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أيِ: القُبُورِ.

[٥٢] ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: بِمُحَمَّدٍ، أَوِ القُرآنِ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ -بِوَاوٍ[1]، وبِالهَمْزَةِ بَدَلَها[2]- أي: تَنَاوُلُ الإِيمَانِ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ عَنْ مَحِلِّه؛ إِذْ هُم في الآخِرَةِ، ومَحِلُّه الدُّنيا؟

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في الدُّنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾: يَرمُونَ ﴿بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بِمَا غَابَ عِلْمُه عنهم غَيْبَةً بَعِيدَةً؛ حَيثُ قَالُوا في النَّبِيِّ: سَاحِرٌ، شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، وفي القُرآنِ: سِحْرٌ، شِعْرٌ، كِهَانَةٌ.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ مِنَ الإِيمَانِ؛ أي: قَبُولِه ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾: أَشْبَاهِهِمْ في الكُفْرِ ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ أي: مُوقِعٍ فِي الرِّيبَةِ[3] لهم، فِيمَا آمَنُوا بِهِ الآنَ، وَلَم يَعتَدُّوا بِدَلَائِلِه فِي الدُّنيَا.

سُورَةُ فَاطِرٍ

مَكِّيَّةٌ، وهي: خَمسٌ، أو: سِتٌّ وأَربَعُونَ آيَةً[*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: حَمِدَ -تَعالَى- نَفسَه بِذلِكَ، كما بُيِّنَ في أَوَّلِ سُورَةِ «سَبَأٍ» ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خَالِقِهما على غَيرِ مِثَالٍ سَبَقَ ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأَنبِيَاءِ ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ في المَلَائِكَةِ وغَيرِها ﴿مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ كَرِزْقٍ ومَطَرٍ ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ مِن ذَلكَ ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بَعدِ إِمْسَاكِه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ على أَمْرِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في فِعْلِه.

[٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أَهلَ مَكَّةَ[4] ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِإِسْكَانِكُمُ الحَرَمَ، ومَنْعِ الغَارَاتِ عَنكُمْ ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾ -﴿مِنْ﴾: زَائِدَةٌ، و﴿خَٰلِقٍ﴾: مُبْتَدَأٌ- ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ -بِالرَّفعِ، والجَرِّ[5]-: نَعتٌ لِـ﴿خَٰلِقٍ﴾ لَفظًا ومَحَلًّا. وخَبَرُ المُبتَدَأِ: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المَطَرَ ﴿وَ﴾ مِنَ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النَّبَاتَ؟ والاستِفهَامُ لِلتَّقرِيرِ؛ أي: لَا خَالِقَ رَازِقٌ غَيرُه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: مِنْ أَينَ تُصرَفُونَ عَنْ تَوحِيدِه، مَعَ إِقْرَارِكُم بِأَنَّه الخَالِقُ الرَّازِقُ؟!

---

[*] فَائِدَةٌ: قالَ البُخَارِيُّ: سُورَةُ المَلَائِكَةِ. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة (٣٥). وكذلك سَمَّاها التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٣٦).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِالوَاوِ).

(٢) بِالهَمْزَةِ بَدلَ الوَاوِ: ﴿التَّنَاؤُشُ﴾ وهي قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ وشُعبَةَ وأبي عَمرٍو.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مُوقِعِ الرِّيبَةَ)؛ بِدونِ (في).

(٤) سَبَقَ التعليقُ على نحوِ هذا مِرارًا؛ بِأَنَّ الأَولَى التَّعمِيمُ وعَدمُ التخصِيصِ.

(٥) بالجَرِّ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ.

[٤] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ -يا مُحَمَّد- في مَجِيئِكَ بِالتَّوحِيدِ والبَعْثِ والحِسَابِ والعِقَابِ ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك؛ فَاصْبِرْ كَما صَبَرُوا ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ في الآخِرَةِ؛ فَيُجَازِي المُكَذِّبِينَ، وَيَنصُرُ المُرسَلِينَ.

[٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِالبَعْثِ وغَيرِه ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عَنِ الإِيمَانِ بِذلكَ ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حِلْمِهِ وإِمْهَالِه ﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشَّيطَانُ.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بِطَاعَةِ الله، ولا تُطِيعُوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾: أَتْبَاعَهُ في الكُفْرِ ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّارِ الشَّدِيدَةِ.

[٧] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هَذَا بَيَانُ مَا لِمُوَافِقِي الشَّيطَانِ، وَمَا لِمُخَالِفِيه.

[٨] وَنَزَلَ في أَبِي جَهلٍ وغَيرِه[1]: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ بِالتَّموِيهِ ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ «مَنْ»: مُبْتَدَأٌ، خَبَرُه: «كَمَنْ هَدَاهُ الله»؟ لَا. دَلَّ عليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ على المُزَيَّنِ لهم ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ بِاغْتِمَامِكَ أَنْ لا يُؤْمِنُوا[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فَيُجَازِيهم عليه.

[٩] ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ -وفي قِرَاءَةٍ[3]: ﴿ٱلرِّيحَ﴾- ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ -المُضَارِعُ لِحِكَايَةِ الحَالِ المَاضِيَةِ- أَي: تُزْعِجُه ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ -فيه التِفَاتٌ عَنِ الغَيْبَةِ- ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ -بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ[4]-: لا نَبَاتَ بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ مِنَ البَلَدِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يُبْسِها؛ أَي: أَنْبَتْنَا بِه الزَّرْعَ وَالْكَلأَ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أَيِ: البَعْثُ والإِحيَاءُ.

[١٠] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أَي: في الدُّنيا والآخِرَةِ؛ فَلَا تُنَالُ منه إِلَّا بِطَاعَتِه، فَلْيُطِعْهُ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: يَعْلَمُهُ[5] -وهو: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، ونحوها- ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾: يَقْبَلُهُ[6] ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المَكَرَاتِ ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بِالنَّبِيِّ، في دَارِ النَّدوَةِ؛ مِنْ تَقْيِيدِهِ، أَو قَتلِهِ، أَو إِخْرَاجِه، -كما ذُكِرَ في «الأَنفَالِ»[7]- ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يَهلِكُ.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ
ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

[١١] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بِخَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أَي: مَنِيٍّ؛ بِخَلْقِ ذُرِّيَّتِهِ مِنْهَا ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: ذُكُورًا وإِنَاثًا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: حَالٌ؛ أَي: مَعْلُومَةً له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أَي: ما يُزَادُ في عُمُرِ طَوِيلِ العُمُرِ ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ أَي: ذَلِكَ المُعَمَّرِ، أَوْ مُعَمَّرٍ آخَرَ[8] ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ هو: اللَّوحُ المَحفُوظُ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هَيِّنٌ.

---

(١) قالَه مُقاتِلٌ في تَفسِيرِه (٣/ ٥٥٢). وعَزاهُ الوَاحِديُّ (٣/ ٥٠١) لابنِ عَبَّاسٍ، وكذا السُّيوطيُّ في لُبَابِ النقولِ في أَسبَابِ النُّزُولِ (ص١٨١) عَن جُوَيبر عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ به، وجُوَيبر متروكُ الحديثِ، والضَّحَّاكُ لم يَلْقَ ابنَ عَبَّاسٍ، وهو ضعيفٌ جدًّا، كما ذكر صاحبُ الاستيعاب (٣/ ١٤٨).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أَنْ لا يُؤمِنونَ).

(٣) لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ.

(٤) ﴿مَيْتٍ﴾؛ بِسُكونِ اليَاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ عَن عَاصِمٍ.

(٥) مُرادُ المُفسِّرِ -غَفَرَ الله لنا وله- مِن هذا التأويلِ: نفيُ ما يَدلُّ عليه من إِثبَاتِ عُلوِّ الذَّاتِ لله عَزَّوَجَلَّ، جريًا على طَرِيقتِه في ذلكَ.

(٦) يُنظَرُ التَّعلِيقُ السَّابقُ في تأويلِ صِفَةِ العُلوِّ.

(٧) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...﴾ الآية [الأنفال:٣٠].

(٨) قال ابنُ كثيرٍ (٦/ ٥٣٨): «الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الجِنْسِ، لَا عَلَى العَيْنِ؛ لِأَنَّ العَيْنَ الطَّوِيلَ لِلْعُمُرِ فِي الْكِتَابِ وَفِي عِلْمِ الله لَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ، وَإِنَّمَا عَادَ الضَّمِيرُ عَلَى الجِنْسِ». وقال ابنُ جرير (١٩/ ٣٤٤): «قَالَ ابنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر:١١] قَالَ: «أَلَا تَرَى النَّاسُ الْإِنْسَانَ يَعِيشُ مِائَةَ سَنَةٍ، وَآخَرَ يَمُوتُ حِينَ يُولَدُ؟ فَهَذَا هَذَا» فَالْهَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [فاطر:١١] عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَإِنْ كَانَتْ فِي الظَّاهِرِ أَنَّهَا كِنَايَةٌ عَنِ اسْمِ الْمُعَمَّرِ الْأَوَّلِ، فَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ اسْمِ آخَرَ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا حَسُنَ ذَلِكَ لِأَنَّ صَاحِبَهَا لَوْ أُظْهِرَ لَظَهَرَ بِلَفْظِ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: عِنْدِي ثَوْبٌ وَنِصْفُهُ، وَالْمَعْنَى: وَنِصْفُ الْآخَرِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ بِفَنَاءِ مَا فَنِيَ مِنْ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، فَذَلِكَ هُوَ نُقْصَانُ عُمُرِهِ، وَالْهَاءُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ لِلْمُعَمَّرِ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: مَا يَطُولُ عُمُرُ أَحَدٍ، وَلَا يَذْهَبُ مِنْ عُمُرِهِ شَيْءٌ فَيَنْقُصَ، إِلَّا وَهُوَ فِي كِتَابٍ عِنْدَ الله مَكْتُوبٌ، قَدْ أَحْصَاهُ وَعَلِمَهُ». قال ابنُ جرير: «وَأَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ أَظْهَرُ مَعْنَيَيْهِ، وَأَشْبَهُهُمَا بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ»، وهو اختيارُ ابن كثيرٍ أيضًا. ويَكونُ مَعنَى الآيةِ على هذا القولِ: أي: ما يُعطى بعضُ النُّطف -عند نفخ الرُّوح وكتبِ الأجلِ- مِنَ العُمُرِ الطَّويلِ، يَعلمُه الله تعالى.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
نصف الحزب ٤٤ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شَدِيدُ العُذُوبَةِ ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾: شُرْبُهُ ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شَدِيدُ المُلُوحَةِ ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السَّمَكُ ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ مِنَ المِلْحِ، وقِيلَ: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلُؤُ والمَرْجَانُ ﴿وَتَرَى﴾: تُبصِرُ ﴿ٱلْفُلْكَ﴾: السُّفُنَ ﴿فِيهِ﴾: في كُلٍّ منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾: تَمْخُرُ الماءَ؛ أي: تَشُقُّهُ بِجَرْيِهَا فيه مُقْبِلَةً ومُدْبِرةً بِرِيحٍ وَاحِدةٍ ﴿لِتَبْتَغُوا۟﴾: تَطلُبُوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ -تَعَالَى- بِالتِّجَارَةِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلكَ.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾: يُدخِلُ اللهُ ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ فيَزِيدُ[1] ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾: يُدْخِلُه ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيَزِيدُ[2] ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ في فَلَكِهِ ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يومِ القِيَامَةِ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غَيرَه- وهُمُ الأَصنَامُ- ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾: لِفَافَةِ النَّوَاةِ.

[١٤] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ - فَرْضًا- ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾: ما أَجَابُوكُم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: بِإِشْرَاكِكُم إِيَّاهُم مَعَ اللهِ؛ أي: يَتَبَرَّؤُونَ مِنكم ومِنْ عِبَادَتِكم إِيَّاهُم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بِأَحوَالِ الدَّارَينِ ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: عَالِمٍ. وهو اللهُ تَعَالَى.

[١٥] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بِكُلِّ حَالٍ ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عَنْ خَلْقِه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المَحمُودُ في صُنْعِه بهم.

[١٦] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بَدَلَكم.

[١٧] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: شَدِيدٍ.

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نَفْسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثِمَةٌ؛ أي: لا تَحمِلُ ﴿وِزْرَ﴾ نَفسٍ ﴿أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ﴾ نَفسٌ ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بِالوِزْرِ ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه[3] أَحَدًا لِيحْمِلَ بَعضَه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المَدْعُوُّ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾: قَرَابَةٍ؛ كَالأَبِ والابنِ. وعَدمُ الحَمْلِ في الشِّقَّينِ[4] حُكْمٌ مِنَ اللهِ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يَخَافُونَه وَمَا رَأَوْهُ؛ لِأَنَّهُمُ المُنتَفِعُونَ بِالإِنذَارِ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أَدَامُوها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: تَطَهَّرَ مِنَ الشِّرْكِ وغَيرِه ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾: فَصَلَاحُهُ مُخْتَصٌّ به ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ؛ فيَجزِي بِالعَمَلِ في الآخِرَةِ.

---

(١) أي: الليل ويَطُول.

(٢) أي: النهار ويَطُول.

(٣) أي: مِنَ الوِزْرِ، وهي تبعِيضِيَّةٌ.

(٤) أي في الحَمْلِ القَهرِيِّ في قولِه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أو الاختياريِّ؛ تَأْبيةً لدعوةِ المُثقَلةِ غيرَها ليحمِل بعضَه.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا
ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي
ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا
وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ
جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ
إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الكَافِرُ والمُؤمِنُ.

[٢٠] ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الكُفْرُ ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾: الإِيمانُ.

[٢١] ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: الجَنَّةُ والنَّارُ.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: المُؤمِنونَ والكُفَّارُ. وزِيَادَةُ «لَا» في الثَّلاثَةِ تَأكِيدٌ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هِدايَتَهُ؛ فيُجِيبُه بِالإِيمانِ ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ أي: الكُفَّارَ، شَبَّهَهُم بِالمَوتَى، فيُجِيبُونَ[1].

[٢٣] ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: مُنْذِرٌ لهم.

[٢٤] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بِالهُدَى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أَجابَ إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لَمْ يُجِبْ إليه ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾: سَلَفَ ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: نَبِيٌّ يُنْذِرُهَا.

[٢٥] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أَهلُ مَكَّةَ ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجِزَاتِ ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ كَصُحُفِ إِبرَاهِيمَ ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ هو التَّورَاةُ والإِنجِيلُ- فَاصْبِرْ كَما صَبَرُوا-.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِتكذِيبِهِم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إِنكَارِي عليهم بِالعُقُوبَةِ والإِهلَاكِ؟ أي: هو وَاقِعٌ مَوقِعَه.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ - فيه التِفَاتٌ عَنِ الغَيبَةِ- ﴿بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ كَأَخضَرَ وأَحمَرَ وأَصفَرَ وغَيرِها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: جَمعُ «جُدَّةٍ»: طَرِيقٌ في الجَبَلِ وغَيرِه[2] ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وَصُفْرٌ ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ بِالشِّدَّةِ والضَّعفِ ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: عَطفٌ على ﴿جُدَدٌ﴾، أي: صُخُورٌ شَدِيدَةُ السَّوَادِ- يُقَالُ كَثِيرًا: أَسوَدُ غِربِيبٌ، وقَلِيلًا: غِربِيبٌ أَسوَدُ-.

[٢٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾: كَاختِلَافِ الثِّمارِ والجِبالِ؟ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ بِخِلَافِ الجُهَّالِ كَكُفَّارِ مَكَّةَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في مُلْكِهِ ﴿غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ عِبادِه المُؤمِنِينَ.

[٢٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾: يَقرَؤُونَ ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أَدَامُوها ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زَكَاةً وغَيرَها ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾: تَهلِكَ.

[٣٠] ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾: ثَوَابَ أَعمالِهِم المَذكُورَةِ ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِهِم ﴿شَكُورٌ﴾ لِطَاعَتِهِم.

(١) في نسخة قباوة: (فلا يُجِيبون).

(٢) قال القرطبيُّ (١٤/ ٣٤٢): «الجُدَد: جمعُ جُدَّةٍ، وهي الطَّرائِقُ المُختلِفةُ الألوان، وإن كانَ الجَميعُ حجرًا أو تُرابًا. قالَ الأخفش: ولَو كانَ جمعَ جَديدٍ لَقالَ: جُدُدٌ -بِضَمِّ الجيمِ والدَّالِ- نحوَ سَريرٍ وسُرُرٍ... قالَ الجوهريُّ: والجُدَّةُ: الخُطَّةُ الَّتي في ظَهرِ الحِمارِ، تُخالِفُ لونَهُ. والجُدَّةُ: الطَّريقةُ، والجمعُ جُدَدٌ، قالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾؛ أي: طَرائِقُ تُخالِفُ لونَ الجَبلِ».

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ
عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ
غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: القُرآنِ ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: تَقَدَّمَهُ مِنَ الكُتُبِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عَالِمٌ بِالبَوَاطِنِ والظَّوَاهِرِ(١).

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: أَعْطَينا ﴿الْكِتَابَ﴾: القُرآنَ ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهُم أُمَّتُك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بِالتَّقصِيرِ في العَمَلِ به ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يعمَلُ به أغلَبَ الأوقَاتِ ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يَضُمُّ إلى العَمَلِ(٢) التَّعلِيمَ والإرْشَادَ إلى العَمَلِ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِإِرَادَتِه(٣) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إيرَاثُهُم الكِتَابَ ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[*].

[٣٣] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي: إقَامَةٍ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثَّلاثَةُ(٤)- بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ ولِلمَفعُولِ(٥)؛ خَبَرُ ﴿جَنَّاتُ﴾ المُبْتَدَأِ- ﴿يُحَلَّوْنَ﴾: خَبَرٌ ثَانٍ ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بَعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مُرَصَّعٍ بِالذَّهَبِ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ جَمِيعَهُ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لِلذُّنُوبِ ﴿شَكُورٌ﴾ لِلطَّاعَةِ(٦).

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ أي: الإقَامَةِ ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تَعَبٌ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: إعْيَاءٌ مِنَ التَّعَبِ؛ لِعَدَمِ التَّكلِيفِ فيها. وذُكِرَ الثَّانِي التَّابِعُ لِلأَوَّلِ لِلتَّصرِيحِ بِنَفْيِهِ(٧).

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ بِالمَوتِ ﴿فَيَمُوتُوا﴾: يَستَرِيحُوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طَرْفَةَ عَينٍ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جَزَينَاهُم ﴿[يُجْزَى كُلُّ] كَفُورٍ﴾: كَافِرٍ- بالياءِ(٨)، والنُّونِ المفتُوحَةِ، مَعَ كَسرِ الزَّايِ، ونَصْبِ: ﴿كُلَّ﴾-.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: يَستَغِيثُونَ بِشِدَّةٍ وعَوِيلٍ، يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيُقَالُ لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا﴾: وَقْتًا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: الرَّسُولُ، فَمَا أَجَبتُم؟ ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يَدفَعُ العَذَابَ عنهم.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِمَا في القُلُوبِ. فعِلْمُهُ بغيرِه أَوْلَى؛ بالنَّظَرِ إلى حَالِ النَّاسِ(٩).

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قالَ في هذهِ الآيَةِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قالَ: «هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكُلُّهُمْ فِي الجَنَّةِ». التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٣٦) سُورة فاطر، وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٧٧). قالَ ابنُ كثيرٍ (٦/ ٥٤٧): «وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ": أي: فِي أَنَّهُمْ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمْ فَرْقٌ فِي المَنَازِلِ فِي الجَنَّةِ».

---

(١) إذا كانَ مُرَادُ المُفسِّرِ بِذلكَ تفسيرَ قولِه: ﴿لَخَبِيرٌ﴾ فنَعَم؛ وإنْ كانَ مُرَادُه تفسيرَ ﴿بَصِيرٌ﴾ بذلكَ أيضًا؛ فإنَّ هذا مِن تأويلِ صِفَةِ البَصرِ، الثَّابتةِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ بِه، وهو مَردُودٌ.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (العمل به).

(٣) الإرَادَةُ غَيرُ الإذْنِ، وغَيرُ الأَمرِ، ويُنظَرُ ماتَقَدَّمَ من التعليقِ على الآية (١٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: الثلاثة). والمقصُودُ: الأَصنافُ الثلاثةُ في الآيَةِ قبلَها.

(٥) ﴿يُدخَلونها﴾، بالبِنَاءِ لِلمفعولِ: قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَدخُلونَها﴾، بِالبِنَاءِ للفَاعِلِ.

(٦) في نُسخَة قَبَاوَة: (لِلطَّاعاتِ).

(٧) لِأنَّ نفيَ النَّصبِ يستلزِمُ نفيَ اللُّغوبِ.

(٨) ﴿يُجزَى كُلُّ﴾، بِاليَاءِ، مع فتحِ الزَّايِ، ورفعِ: ﴿كُلُّ﴾ وهي قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿نَجزِي كُلَّ﴾، بِالنُّونِ، مع كَسرِ الزَّايِ، ونَصبِ ﴿كُلَّ﴾.

(٩) أي: أمَّا بِالنسبةِ إليه سُبحانه؛ فالسِّرُّ والعلانيةُ سواءٌ.

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

[٣٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: جَمْعُ خَلِيفَةٍ؛ أي: يَخْلُفُ بعضُكم بعضًا ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ مِنكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: وَبالُ كُفْرِهِ ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: غَضَبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ لِلآخِرَةِ.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرَه- وهُمُ الأَصنامُ الذينَ زَعمْتُم أنَّهم شُرَكاءُ اللهِ -تعالَى- ﴿أَرُونِي﴾: أَخبِرُوني ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: شَرِكَةٌ مَعَ اللهِ ﴿فِي﴾ خَلْقِ ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾: حُجَّةٍ ﴿مِّنْهُ﴾ بِأَنَّ لهم معي شَرِكَةً؟ لا شَيْءَ مِنْ ذلكَ ﴿بَلْ إِن﴾: ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: الكَافِرُونَ ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾: بَاطِلًا، بِقَولِهِمُ: الأَصنَامُ تَشفَعُ لهم.

[٤١] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أَي: يَمنَعُهما مِنَ الزَّوالِ ﴿وَلَئِن﴾ -لَامُ قَسَمٍ- ﴿زَالَتَآ إِنْ﴾: مَا ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾: يُمسِكُها ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أَي: سِوَاهُ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ في تَأْخِيرِ عِقَابِ الكُفَّارِ.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾: غَايَةَ[1] اجتِهَادِهِم فيها ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رَسُولٌ ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾: اليَهُودِ والنَّصارَى وغَيرِهم[2]؛ أي: أَيِّ وَاحِدةٍ منها، لِمَا رَأَوا مِنْ تكذِيبِ بَعضِهم بَعضًا؛ إِذْ ﴿قَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[3] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مَجِيئُهُ ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: تَبَاعُدًا عَنِ الهُدَى.

[٤٣] ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عَنِ الإِيمَانِ: مَفعُولٌ له ﴿وَمَكْرَ﴾ العَمَلِ ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ مِنَ الشِّرْكِ وغَيرِه ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: يُحِيطُ ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وهو المَاكِر. ووَصْفُ المَكْرِ بِالسَّيِّئِ: أَصلٌ[4]، وإِضافَتُه إِليه قَبلُ[5]: استِعمالٌ آخَرَ، قُدِّرَ فيه مُضَافٌ[6]؛ حَذَرًا مِنَ الإِضَافَةِ إِلى الصِّفَةِ ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: يَنتَظِرُونَ ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: سُنَّةَ اللهِ فيهم؛ مِنْ تَعْذِيبِهم بِتكذِيبِهم رُسُلَهم؟ ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أَي: لَا يُبَدَّلُ بِالعَذَابِ غيرُه، ولا يُحَوَّلُ إِلى غَيرِ مُستَحِقِّه.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأَهلَكَهمُ اللهُ بِتكذِيبِهم رُسُلَهم؟ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾: يَسبِقُه ويَفُوتَه ﴿فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي[7]: بِالأَشيَاءِ كُلِّها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: غاية).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وغيرهما).

(٣) البقرة: ١١٣.

(٤) أي: جاء على الأصل؛ مِن استِعمالِ الصِّفَةِ تابعةً لِلمَوصُوفِ.

(٥) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، جاءَ على خِلافِ الأصلِ؛ حيثُ أُضِيفَت فيه الصِّفَةُ إلى المَوصُوفِ.

(٦) قدَّرَه الجلالُ المحلِّيُّ هنا: «العمل»؛ أي: «مَكرَ العَمَلِ السَّيِّئ».

(٧) كلمةُ: (أي) ليستْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا
مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا
جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ — ترتيبها ٣٦ — آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟
وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ مِنَ المَعَاصِي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي: الأرضِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: نَسَمَةٍ تَدِبُّ عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يَومِ القِيامَةِ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ فيُجازِيهم على أعمالِهم؛ بإثابَةِ المُؤمِنِينَ وعِقابِ الكافِرِينَ.

سُورَةُ يس

مَكِّيَّةٌ، أو إلَّا: قَولَه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ الآيَةَ، أو: مَدَنِيَّةٌ(١)،
ثِنتَانِ [أو ثَلاثٌ](٢) وثَمانُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يسٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه به.

[٢] ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحكَمِ بِعَجِيبِ النَّظْمِ وبَدِيعِ المَعَانِي.

[٣] ﴿إِنَّكَ﴾ - يا مُحَمَّد- ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[٤] ﴿عَلَىٰ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِما قَبْلَه ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طَرِيقِ الأنبياءِ قَبْلَكَ؛ التَّوحِيدِ والهُدَى. والتَّأكِيدُ بِالقَسَم وغَيرِه رَدٌّ لِقَولِ الكُفَّارِ له: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾(٣).

[٥] ﴿[تَنزِيلُ](٤) ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بِخَلْقِه: خَبَرُ مُبْتَدَإٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: القُرآنُ.

[٦] ﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿تَنزِيلُ﴾ ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي: لَمْ يُنذَرُوا في زَمَنِ الفَترَةِ ﴿فَهُمْ﴾ أي: القَومُ ﴿غَٰفِلُونَ﴾ عَنِ الإيمانِ والرُّشْدِ.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾: وَجَبَ ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ بِالعَذابِ ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأَكثَرُ.

[٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ بِأَنْ تُضَمَّ إليها الأَيدِي؛ لِأَنَّ الغُلَّ يَجمَعُ اليَدَ إلى العُنُقِ ﴿فَهِىَ﴾ أي: الأَيدِي مَجمُوعَةٌ ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾: جَمْعُ ذَقَنٍ؛ وهي مُجْتَمَعُ اللَّحْيَيْنِ ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾: رَافِعُونَ رُؤُوسَهم، لا يَستَطِيعُونَ خَفضَها- وهذا تَمثِيلٌ؛ والمُرادُ أَنَّهم لا يُذعِنُونَ لِلإيمانِ، ولا يَخفِضُونَ رُؤُوسَهم له-.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: بِفَتحِ السِّينِ وضَمِّها في المَوضِعَينِ(٥) ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تَمثِيلٌ أيضًا لِسَدِّ طُرُقِ الإيمانِ عليهم.

[١٠] ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإبدالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا، وتَسهِيلِها، وإدخالِ أَلِفٍ بَينَ المُسَهَّلَةِ والأُخرَى، وتَرْكِه(٦)- ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾: يَنفَعُ إنذارُكَ ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾: القُرآنَ ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خافَه ولَمْ يرَهُ ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هُو الجَنَّةُ.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لِلبَعْثِ ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللَّوحِ المَحفُوظِ ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾ في حَيَاتِهم مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ؛ لِيُجازَوا عليه ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾: ما اسْتُنَّ به بَعْدَهم ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: نَصْبُهُ بِفِعلٍ يُفَسِّرُهُ: ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: ضَبَطْناهُ ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: كِتَابٍ بَيِّنٍ؛ هو اللَّوحُ المَحفُوظُ[*].

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٢): أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ قالَ: كَانَتْ بَنُو سَلِمَةَ فِي نَاحِيَةِ المَدِينَةِ، فَأَرَادُوا النُّقْلَةَ إِلَى قُرْبِ المَسْجِدِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ آثَارَكُمْ تُكْتَبُ؛ فَلَا تَنْتَقِلُوا». التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٣٧). (صحيحٌ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٧٨).

---

(١) لَم يذكرْ هذا الخلافَ أحدٌ غيره مِنَ المُفسِّرينَ، والسُّورَةُ مَكِّيَّةٌ بإجماعٍ، كما قالَ القرطبيُّ.

(٢) عبارةُ: (أو ثَلاثٌ) لَيست في الأَصلِ، وأَثبتناها تبعًا لِقباوَة. قالَ ابنُ الجَوزيِّ في فنونِ الأفنانِ، (ص٢٧٨-٣٢٧): «سُورةُ يس: اثنتانِ وثمانونَ آيةً في عَدِّ الشَّاميِّ والمَكِّيِّ والمدنيينَ والبَصريِّ وعطاءٍ، وثلاثٌ في عَدِّ الكوفيِّ». وقَالَ عُثمانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ، في البيان (ص٢١١): «وهي ثَمانونَ وثلاثُ آياتٍ في الكُوفيِّ، وآيتانِ في عددِ البَاقِينَ». وقالَ السَّخاوِيُّ في جمالِ القُرَّاء (١/ ٢١٣): «وهي ثَمانونَ وثلاثُ آياتٍ في الكُوفيِّ، وآيتانِ في سُواه». وقالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بنُ عَاشُورٍ في التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٤٢): «وعُدَّت آياتها عندَ جُمهورِ الأَمصارِ اثنتَينِ وثَمانِينَ. وعُدَّت عند الكوفيِّين ثَلاثًا وثَمانِينَ». وذلك أَنَّ ﴿يسٓ﴾ في الكُوفيِّ وَحدَها آيةٌ، وفي غيرِه جُزءٌ مِنْ آيَةٍ.

(٣) سورة الرعد: ٤٣.

(٤) هذه قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وشُعبةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالفَتحِ: ﴿تَنزِيلَ﴾، إمَّا مفعولًا مُطلَقًا، أو لِفعلٍ مَحذُوفٍ مُقدَّرٍ.

(٥) بالضَّمِّ: قِرَاءَةُ نافع وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ.

(٦) بالتسهيلِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وهشام، وفَصَلَ بينَ الهَمزَتَينِ بالأَلِفِ: أبو عَمرٍو وقَالُونُ وهِشامٌ، والأكثرونَ عَن ورشٍ عَلى إبدالِ الهَمزَةِ الثانيةِ أَلِفًا خَالِصةً، وقَرَأَ البَاقونَ بتحقِيقِ الهَمزَتَينِ.

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ
(١٣) إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ
إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ (١٤) قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا
وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ (١٥) قَالُواْ
رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ
ٱلۡمُبِينُ (١٧) قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ (١٨) قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن
ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ (١٩) وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ
رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٢٠) ٱتَّبِعُواْ
مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ
ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٢٢) ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً
إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا
وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ (٢٧)

[١٣] ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾: اجعَلْ ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾: مفعولٌ أوَّلُ ﴿أَصۡحَٰبَ﴾: مفعولٌ ثانٍ ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾: أنطاكيَة[١] ﴿إِذۡ جَآءَهَا﴾ إلى آخرِه؛ بَدَلُ اشتِمالٍ مِن: ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أي: رُسُلُ عيسى[٢].

[١٤] ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخرِه؛ بَدَلٌ مِن: ﴿إِذۡ﴾ الأولى [إلى آخرِه][٣] ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ - بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[٤]-: قَوَّيْنا الاثنَينِ[٥] ﴿بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾.

[١٥] ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ﴾: ما ﴿أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾.

[١٦] ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾: جارٍ مَجرَى القَسَمِ، وزِيدَ التَّأكيدُ به وباللَّامِ، على ما قبلَهُ، لِزيادةِ الإنكارِ، في ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: التَّبليغُ البيِّنُ الظَّاهِرُ بالأدلَّةِ الواضِحةِ. وهي: إبراءُ الأكمَهِ والأبرصِ والمَريضِ وإحياءُ الميِّتِ[٦].

[١٨] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا﴾: تشاءَمنا ﴿بِكُمۡۖ﴾ لانقطاعِ المطرِ عنَّا بسببِكُم[٧] ﴿لَئِن﴾ - لامُ قَسَمٍ- ﴿لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ بالحِجارةِ ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلِمٌ.

[١٩] ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم﴾: شُؤمُكُم ﴿مَّعَكُمۡۚ﴾ بكُفرِكُم ﴿أَئِن﴾: همزةُ استِفهامٍ دَخَلَتْ على «إنْ» الشَّرطيَّةِ، وفي همزَتِها: التَّحقيقُ والتَّسهيلُ، وإدخالُ ألِفٍ بينَها -بوجهَيها- وبينَ الأُخرى[٨] ﴿ذُكِّرۡتُمۚ﴾: وُعِظتُم وخُوِّفتُم. وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ؛ أي: تطيَّرتُم وكفَرتُم؟ وهو محَلُّ الاستِفهامِ، والمُرادُ به التَّوبيخُ ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾: مُتجاوِزونَ الحَدَّ بشِرْكِكُم.

[٢٠] ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ﴾ هو حَبيبٌ النَّجَّارُ[٩]، كانَ قد آمنَ بالرُّسلِ، ومنزِلُه بأقصى البَلَدِ ﴿يَسۡعَىٰ﴾: يَشتدُّ عَدْوًا لمَّا سمِعَ بتكذيبِ القومِ الرُّسُلَ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

[٢١] ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾: تأكيدٌ للأوَّلِ ﴿مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ على رِسالتِه ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ فقيلَ له: أنتَ على دينِهم. فقالَ:

[٢٢] ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلَقني؛ أي: لا مانِعَ لي مِن عِبادتِه الموجودِ مُقتضيها، وأنتُم كذلكَ ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بعدَ الموتِ فيُجازيكُم بكُفرِكُم؟[١٠].

[٢٣] ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ - في الهَمزتَينِ منه ما تقدَّمَ في ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾[١١]، وهو استِفهامٌ بمَعنى النَّفيِ- ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيرِه ﴿ءَالِهَةً﴾: أصنامًا ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ التي زعَمتُموها ﴿شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾؟ صِفَةُ: ﴿ءَالِهَةً﴾.

[٢٤] ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ أي[١٢]: إنْ عَبَدتُ غيرَ اللهِ ﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾: بيِّنٍ. [٢٥] ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ أي: اسمعُوا قولي. فرَجَموه فماتَ[١٣].

[٢٦] ﴿قِيلَ﴾ له عندَ موتِه: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ وقيلَ: دخَلَها حيًّا ﴿قَالَ يَٰ﴾: حرفُ تنبيهٍ ﴿لَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾: بغُفرانِه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾.

---

(١) رواه الطبريُّ (١٩/ ٤١٣) عن قتادةَ، مُرسلًا. وقال السَّعديُّ (ص٦٩٣): «وتعيينُ تلكَ القريةِ، لو كانَ فيه فائدةٌ، لعَيَّنها اللهُ، فالتَّعرُّضُ لذلكَ وما أشبهه مِن بابِ التَّكلُّفِ والتَّكلُّمِ بلا عِلمٍ».

(٢) اختارَ ابنُ كثيرٍ (٦/ ٥٧٣) أنَّهم رُسلٌ من اللهِ تعالى، وهو ما يُؤيِّدُه سِياقُ الآياتِ، وليسَ ما اختارَه المصنِّفُ وبعضُ المفسِّرينَ أنَّهم رسلُ عيسى.

(٣) جملةُ: (إلى آخره) ليستْ في الأصلِ، وأثبتناها مِن نُسخةِ قَباوة.

(٤) ﴿فَعَزَزۡنَا﴾؛ بالتَّخفيفِ: قِراءةُ شُعبةَ، وقرأ الباقونَ: ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾؛ بالتَّشديدِ.

(٥) هذا على قِراءةِ التَّشديدِ؛ مِن: «عزَّزَ»، أمَّا على قِراءةِ التَّخفيفِ فهو مِن: «عزَّ»؛ أي: غَلَبَ. والمعنى: فغلبنا أهلَ القريةِ بثالثٍ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

(٦)، (٧) تفسيرُ الأدلةِ بهذهِ الآياتِ، والتشاؤم بسببِ انقطاعِ المطرِ ممَّا لا دَليلَ صَحيحٌ على ثُبوتِه، وكذلكَ ما سَيأتي مِن تَسميَةِ الرَّجُلِ الذي جاءَ مِن أقصى المَدينةِ بحَبيبِ النَّجَّارِ، ومَا سَبَقَ مِن تَسميَةِ القَريةِ بأنطاكيَّةَ؛ فالأولى في تَفسيرِ القُرآنِ إجمالُ ما أجمَلَه، وتَفصيلُ مَا فَصَّلَه والاقتصارُ على مَوضعِ الفَائدةِ والعِبرَةِ، إلَّا مَا قَامَ عليه دَليلٌ قَاطعٌ، كما عليه أهلُ التَّحقيقِ منَ المفسِّرينَ.

(٨) قرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو بهمزتَينِ؛ الأولى مَفتوحَةٌ، والثانيةُ مكسورةٌ مُسهَّلَةٌ، وقَرأَ قالونُ وأبو عَمرٍو ﴿ءَائِن﴾ بإدخالِ ألِفٍ بَينَ الهَمزتَينِ، وقرأ الباقونَ بغَيرِ إدخالٍ.

(٩) يُنظَرُ التَّعليقُ المتقدِّمُ في عَدَمِ ثُبوتِ تلكَ التَّسمِيَةِ.

(١٠) في نُسخَةِ قَباوَة، ونُسخةِ القاضي كنعان: (كَغيرِكم).

(١١) سورة البقرة: (الآية ٦)؛ أي: مِنَ القِراءاتِ، وتَقدَّمَ بيانُها.

(١٢) (أي): ليستْ في نُسخَةِ قَباوَة.

(١٣) رواه الطبريُّ (١٩/ ٤٢٣)، عَنْ قَتادَةَ قوله. وروى ابنُ أبي حاتِمٍ (١٨٠٤٧) أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا بَلَغَه خَبرُ مَقتَلِ عُروَةَ بنِ مَسعُودٍ الثَّقفيِّ الذي أرسَلَه لِدَعوةِ قومِه إلى الإسلامِ، فَرَماهُ رَجُلٌ فَأصَابَ أَكحَلَهُ فقتَلَهُ -قال: «هَذَا مَثَلُهُ كَمَثَلِ صَاحِبِ يس؛ ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾». ورواه الطبرانيُّ (٣٧٤)، والحاكمُ (٦٥٧٩)، عن عُروةَ مُرسَلًا؛ بلفظِ: «مَثَلُ عُرْوَةَ مَثَلُ صَاحِبِ يَاسِينَ؛ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللهِ فَقَتَلُوهُ». وضعَّفه الألبانيُّ في الضعيفة (١٦٤٢).

الجزء ٢٣ الحزب ٤٥

۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ
﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا
فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ
وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ
ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

٤٤٢

[٢٨] ﴿۞ وَمَآ﴾: نَافِيَةٌ ﴿أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ أي: حَبِيبٍ(١) ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بَعدِ مَوتِه ﴿مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: مَلائِكَةٍ لِإهْلَاكِهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ مَلائِكَةً لِإهْلَاكِ أَحَدٍ.

[٢٩] ﴿إِن﴾: ما ﴿كَانَتۡ﴾ عُقُوبَتُهم ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ صَاحَ بهم جِبرِيلُ ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾: سَاكِنُونَ مَيِّتُونَ.

[٣٠] ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ هَؤلَاءِ ونَحوِهم، مِمَّنْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ فأُهلِكُوا. وهِيَ: شِدَّةُ التَّأَلُّمِ، ونِدَاؤُهَا مَجَازٌ؛ أي: هَذا أَوَانُكِ فَاحْضُرِي ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ مَسُوقٌ لِبَيَانِ سَبَبِها(٢)؛ لِاشتِمَالِه على استِهزَائِهِمُ، المُؤدِّي إلى إِهْلَاكِهم، المُسبَّبِ عنه الحَسرَةُ.

[٣١] ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أي: أَهلُ مَكَّةَ القَائِلُونَ لِلنَّبِيِّ: ﴿لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾(٣)، والاستفهَامُ لِلتَّقرِيرِ؛ أي: عَلِمُوا ﴿كَمۡ﴾: خَبَرِيَّةٌ بِمَعنَى: كَثِيرًا، مَعمُولَةٌ لِمَا بَعدَها، مُعَلِّقَةٌ ما(٤) قَبلَها عَنِ العَمَلِ؛ والمَعنَى: أَنَّا ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم﴾ كَثِيرًا ﴿مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾: الأُمَمِ! ﴿أَنَّهُمۡ﴾ أَيِ: المُهلَكِينَ ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ أَيِ: المُكَذِّبِينَ ﴿لَا يَرۡجِعُونَ﴾؟ أفلَا يَعتَبِرُونَ بهم؟ و﴿أَنَّهُمۡ﴾ إِلخ: بَدَلٌ مِمَّا قَبلَهُ، بِرِعَايَةِ المَعنَى المَذكُورِ.

[٣٢] ﴿وَإِن﴾: نَافِيَةٌ أو مُخَفَّفَةٌ ﴿كُلّٞ﴾ أي: كُلُّ الخَلَائِقِ: مُبْتَدأٌ ﴿لَّمَّا﴾ بِالتَّشدِيدِ؛ بِمَعنَى: إِلَّا، أو بِالتَّخفِيفِ(٥)، فَـ«اللَّامُ» فَارِقَةٌ، و«ما»: مَزِيدَةٌ ﴿جَمِيعٞ﴾: خَبَرُ المُبتَدَإِ؛ أي: مَجمُوعُونَ ﴿لَّدَيۡنَا﴾: عِندَنا في المَوقِفِ بَعدَ بَعثِهِم ﴿مُحۡضَرُونَ﴾ لِلحِسَابِ: خَبَرٌ ثَانٍ.

[٣٣] ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ على البَعثِ: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ ﴿ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(٦)- ﴿أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾ بِالمَاءِ: مُبْتَدأٌ ﴿وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا﴾ كَالحِنْطَةِ ﴿فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ﴾: بَسَاتِينَ ﴿مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ﴾ أي: بَعضَها.

[٣٥] ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ -بِفَتحَتَينِ وضَمَّتَينِ(٧)- أي: ثَمَرِ المَذكُورِ، مِنَ النَّخِيلِ وغَيرِه(٨) ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ أي: لَمْ تَعمَلِ الثَّمَرَ(٩) ﴿أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ أَنعُمَهُ -تَعَالَى- عليهم؟

[٣٦] ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾: الأَصْنَافَ ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ مِنَ الحُبُوبِ وغَيرِها ﴿وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ مِنَ الذُّكُورِ والإِنَاثِ ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ مِنَ المَخلُوقَاتِ العَجِيبَةِ الغَرِيبَةِ! [٣٧] ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ على القُدرَةِ العَظِيمَةِ: ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ﴾: نَفصِلُ ﴿مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾: دَاخِلُونَ في الظَّلَامِ. [٣٨] ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ إلى آخِرِه: مِنْ جُملَةِ الآيَةِ لهم، أو آيَةٌ أُخرَى، والقَمَرُ كَذَلِكَ ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ أي: إِليه لَا تَتَجَاوَزُه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: جَريُها ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾[*] بِخَلْقِه.

[٣٩] ﴿[وَٱلۡقَمَرَ]﴾ بِالرَّفعِ والنَّصبِ(١٠)، وهو مَنصُوبٌ بِفِعلٍ يُفَسِّرُهُ ما بَعدَهُ ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ مِنْ حَيثُ سَيرُه ﴿مَنَازِلَ﴾ ثَمَانِيَةً وعِشرِينَ مَنزِلًا، في ثَمَانٍ وعِشرِينَ لَيلَةً، مِنْ كُلِّ شَهرٍ، ويَستَتِرُ لَيلَتَينِ: إِنْ كَانَ الشَّهرُ ثَلَاثِينَ يومًا، ولَيلَةً: إِنْ كانَ تِسعَةً وعِشرِينَ يومًا ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخِرِ مَنَازِلِه في رَأْيِ العَينِ ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ أي: كَعُودِ الشَّمَارِيخِ، إذا عَتَقَ؛ فإِنَّه يَرِقُّ(١١) ويَتَقَوَّسُ ويَصفَرُّ.

[٤٠] ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي﴾: يَسهُلُ ويَصِحُّ(١٢) ﴿لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتَجتَمِعَ مَعهُ في اللَّيلِ ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فلا يَأتِي قَبلَ انقِضَائِه ﴿وَكُلّٞ﴾ -تَنوِينُهُ، عِوَضٌ عَنِ المُضَافِ إليه- مِنَ(١٣) الشَّمسِ والقَمَرِ والنُّجُومِ ﴿فِي فَلَكٖ﴾: مُستَدِيرٍ ﴿يَسۡبَحُونَ﴾: يَسِيرُونَ. نُزِّلُوا مَنزِلَةَ العُقَلَاءِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ». البُخَارِيُّ - كتاب التوحيد (٩٧) (٣٨) باب قول الله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤].

---

(١) رَاجِعْ ما تَقَدَّمَ في التعليقِ على الآيةِ (٢٠) مِنَ السُّورةِ نفسِها مِن أنّه لا دَليلَ على صِحَّةِ تَسمِيَةِ الرَّجُلِ -الذي جَاءَ مِنْ أَقصَى المدينَةِ يَسعَى- حَبِيبًا.

(٢) أي: سبب الحَسرةِ.

(٣) سورة الرعد:٤٣.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لِمَا). وهي مُعَلِّقَةٌ ما قَبلَها عَنِ العَمَلِ؛ لِأَنَّ ﴿كَمۡ﴾ الخَبَرِيَّةَ يَكُونُ لها الصَّدَارَةُ؛ فلا يَعمَلُ ما قَبلَها -وهو ﴿يَرَوۡاْ﴾- فيها.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وبالتَّخفِيفِ)؛ أي: ﴿لَمَا﴾، وهي: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ والكِسَائِيِّ وأبي عَمرٍو. ومعنى: «اللام» فارقةٌ: أي: بينَ «إِنْ» المُخَفَّفَةِ والنَّافِيَةِ.

(٦) بِالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ نافعٍ.

(٧) ﴿ثُمُرِهِۦ﴾؛ بِضَمَّتَينِ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ.

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مِنَ النَّخِيلِ والأَعنَابِ وغَيرِهما).

(٩) هذا بِاعتِبَارِ أَنَّ «مَا» نَافِيَةٌ، وهو أَحَدُ الأَقوَالِ، والقَولُ الثَّانِي -وهو الأَظهَرُ- أَنَّها مَوصُولَةٌ، في مَوضِعِ خَفضٍ عَلَى العَطفِ، وهو اختِيَارُ ابنِ جريرٍ، ولَم يَذكُرْ غَيرَه. والمعنَى: ومِمَّا عَمِلَته أَيدِيهم، وهو ما يُتَّخَذُ مِنَ الثَّمَرِ كَالعَصِيرِ والدِّبسِ ونَحوِهما، أوِ المُرَادُ الذي عَمِلَته بِالغَرسِ، والسَّقيِ، والآبَارِ.

(١٠) بالرَّفعِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿وَٱلۡقَمَرَ﴾؛ بِالنَّصبِ.

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يَدِقُّ)؛ بالدَّالِ.

(١٢) كلمةُ: (يَصِحُّ) لَيستْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(١٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (عِوَضٌ مِنَ المُضَافِ إليه- أي:).

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ
يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

سكتة لطيفة على الألف

[٤١] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ على قُدْرَتِنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿ذُرِّيَاتِهِمْ﴾[1] -أي: آباءَهُم الأُصُولَ[2] ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: سَفِينَةِ نُوحٍ ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المَملُوءِ.

[٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: مِثْلِ فُلْكِ نُوحٍ- وهو: ما عَمِلُوه على شَكْلِهِ مِنَ السُّفُنِ الصِّغَارِ والكِبَارِ، بِتَعْلِيمِ اللهِ تَعَالَى- ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه.

[٤٣] ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مَعَ إِيجَادِ السُّفُنِ ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾: مُغِيثَ ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: يُنْجَونَ.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا يُنجِيهم إِلَّا رَحمَتُنا لهم[3]، وتَمتِيعُنا إيَّاهم بِلَذَّاتِهِم إلى انقِضَاءِ آجَالِهِم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ مِنْ عَذَابِ الدُّنيا كَغَيرِكُم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. أَعْرَضُوا.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي: قَالَ فُقَرَاءُ الصَّحَابَةِ[4] ﴿لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ عَلَيْنا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ مِنَ الأَموَالِ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ استِهزَاءً بهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ في مُعتَقَدِكُم هذا[5]؟ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قَولِكُم لنا ذلكَ، مَعَ مُعتَقَدِكم هذا ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ. ولِلتَّصرِيحِ بِكُفرِهِم مَوقِعٌ عَظِيمٌ[6].

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بِالبَعْثِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؟

[٤٩] قالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي: [مَا يَنتَظِرُونَ][7] ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي: نَفخَةُ إِسرَافِيلَ الأُولَى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ [يَخَصِّمونَ]﴾ - بِالتَّشدِيدِ، أَصلُه: يَختَصِمُونَ؛ نُقِلَتْ حَرَكَةُ التَّاءِ إلى الخَاءِ، وأُدغِمَتْ في الصَّادِ؛ أي: وهُم في غَفْلَةٍ عنها بِتَخَاصُمٍ وتَبَايُعٍ وأَكْلٍ وشُرْبٍ وغَيرِ ذَلِكَ. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿يَخْصِمُونَ﴾[8] كـ«يَضرِبُونَ» أي: يَخْصِمُ بَعضُهم بَعْضًا-.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: أَنْ يُوصُوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ مِنْ أَسوَاقِهِم وأَشغَالِهِم، بَلْ يَمُوتُونَ فيها. [٥١] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ - هُو قَرْنٌ- النَّفخَةُ الثَّانِيَةُ لِلبَعْثِ، وبَينَ النَّفخَتَينِ أَربَعُونَ سَنَةً[9] ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: المَقبُورُونَ ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القُبُورِ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يَخرُجُون بِسُرعَةٍ.

[٥٢] ﴿قَالُوا۟﴾ أَيِ: الكُفَّارُ منهم: ﴿يَا﴾ لِلتَّنبِيه ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلَاكَنا- وهو مَصدَرٌ لا فِعلَ له مِنْ لَفظِهِ- ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾؟ لِأَنَّهم كَانُوا بينَ النَّفخَتَينِ نَائِمِينَ، لَمْ يُعَذَّبُوا ﴿هَٰذَا﴾ أَيِ: البَعْثُ ﴿مَا﴾ أَيِ: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أَقَرُّوا حِينَ لا يَنفَعُهم الإِقرَارُ. وقِيلَ: يُقَالُ لَهُم ذَلِكَ.

[٥٣] ﴿إِن﴾: ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾: عِندَنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾. [٥٤] ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جَزَاءَ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) لِنافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٢) أشارَ بذلكَ إلى أنَّ لَفظَ الذُّرِّيَّةِ كما يُطلَقُ على الفُرُوعِ يُطلَقُ على الأُصُولِ. قال السَّعديُّ في تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٩٦): «وهذا الموضِعُ مِن أشكَلِ المَواضِعِ عَلَيَّ في التَّفسيرِ، فإنَّ ما ذَكَرَه كثيرٌ مِنَ المفسِّرِينَ، مِنْ أنَّ المُرادَ بالذُّرِّيَّةِ الآباءُ؛ مِمَّا لا يُعهَدُ في القُرآنِ إطلاقُ الذُّرِّيَّةِ على الآباءِ، بَلْ فيها مِنَ الإِيهامِ، وإخراجِ الكَلامِ عَن مَوضُوعِه، ما يَأبَاهُ كَلامُ رَبِّ العَالَمِينَ، وإرادَتُه البَيَانَ والتَّوضِيحَ لِعِبادِهِ...» ثُمَّ قالَ -بعدَ أنْ ذَكَرَ جُملَةً مِنَ الأَقوالِ المُحتَمَلَةِ في تَفسيرِ الآيَةِ-: «فلمَّا وَصَلتُ في الكِتابَةِ إلى هَذَا المَوضِعِ، ظَهَرَ لي مَعنًى لَيسَ بِبَعِيدٍ مِنْ مُرادِ اللهِ تَعالى، وذلكَ أنَّ مَنْ عَرَفَ جَلالَةَ كِتابِ اللهِ وبَيَانَه التَّامَّ مِنْ كُلِّ وَجهٍ، لِلأُمُورِ الحَاضِرَةِ والمَاضِيَةِ والمُستَقبَلَةِ، وأنَّه يَذكُرُ مِنْ كُلِّ مَعنًى أَعلاه وأَكمَلَ ما يَكُونُ مِن أَحوالِه، وكَانَتِ الفُلْكُ مِن آياتِه تَعالى ونِعَمِه عَلى عِبادِه، مِن حِينِ أَنعَمَ عليهم بِتَعلُّمِها إلى يَومِ القِيامَةِ، ولم تَزَلْ مَوجُودَةً في كُلِّ زَمانٍ، إلى زَمانِ المُواجَهِينَ بِالقُرآنِ. فلمَّا خاطَبَهُمُ اللهُ تَعالى بِالقُرآنِ، وذَكَرَ حالَةَ الفُلْكِ، وعَلِمَ تَعالى أنَّه سَيَكُونُ أَعظَمُ آياتِ الفُلْكِ في غَيرِ وَقتِهِم، وفي غَيرِ زَمانِهِم، حِينَ يُعَلِّمُهم [صَنعَةَ] الفُلْكِ [البَحرِيَّةِ] الشِّراعِيَّةِ منها والنَّارِيَّةِ، والجَوِّيَّةِ السَّابِحَةِ في الجَوِّ، كَالطُّيُورِ ونَحوِها، [والمَراكِبِ البَرِّيَّةِ] مِمَّا كانَتِ الآيَةُ العُظمَى فيه لم تُوجَدْ إلَّا في الذُّرِّيَّةِ، نَبَّه في الكِتابِ على أَعلَى نَوعٍ مِنْ أَنواعِ آياتِها؛ فقالَ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي: المَملُوءِ رُكبانًا وأَمتِعَةً».

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (لا نُنجِيهم إِلَّا لِرَحمَتِنا لهم).

(٤) الأَولَى في تَفسِيرِها ما ذَكَرَه ابنُ كثيرٍ (٦/ ٥٨٠): أي: «وَإِذَا أُمِرُوا بِالإِنفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ عَلَى الفُقَرَاءِ وَالمَحَاوِيجِ مِنَ المُسلِمِينَ...أي: قَالُوا لِمَنْ أَمَرَهُمْ مِنَ المُؤمِنِينَ بِالإِنفَاقِ مُحَاجِّينَ لَهُمْ فِيمَا أَمَرُوهُم بِهِ... إلخ».

(٥) كلمةُ: (هذا) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) أي: في قولِه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، والموقِعُ العظيمُ الذي يُشيرُ إليه المُصنِّفُ هو: التَّشنِيعُ عليهم.

(٧) في الأَصلِ: (ينتظرونَ)، بِدُونِ (مَا) والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٨) لِحَمزَةَ. والقِرَاءَةُ المُفسَّرةُ أَوَّلًا، لِورشٍ وهِشامٍ وابنِ كثيرٍ، وقَرَأَ قالونُ بِإِخفاءِ حَرَكَةِ الخَاءِ مَعَ التَّشدِيدِ كذلكَ. ومِثلُه أبو عمرٍو، وقيلَ عن أبي عَمرٍو إنَّه اختلَسَ حَرَكَةَ الخَاءِ، وقَرَأَ عاصمٌ والكِسائيُّ وابنُ ذكوان: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

(٩) الأَولى عَدَمُ التَّعيِينِ؛ فيُقالُ: «أربعونَ» فَقط، كما في حديثِ أبي هُرَيرَةَ عِندَ البُخارِيِّ (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قالوا: أَربَعُونَ شَهرًا؟ قالَ: أَبَيتُ، قالوا: أربعونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ...، وذكر الحافظُ في الفتح (٨/ ٧٠٤) أنَّه وَقَعَ في رِوايَةِ ابنِ مَردويه: «أربعونَ سَنَةً» وضَعَّفَه.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ
وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟
ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ
أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ
ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى
كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾
ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ
فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

ربع الحزب ٤٥

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى [شُغْلٍ]﴾ - بِسُكُونِ الغَينِ وضَمِّها(1)- عَمَّا فيه أَهْلِ النَّارِ مِمَّا يَتَلَذَّذُونَ به، كَافْتِضَاضِ الأَبْكَارِ(2)، لا شُغْلٍ يَتعَبُونَ فيه؛ لِأَنَّ الجَنَّةَ لا نَصَبَ فيها ﴿فَٰكِهُونَ﴾: نَاعِمُونَ: خَبَرٌ ثَانٍ لِـ﴿إِنَّ﴾، والأَوَّلُ: ﴿فِى شُغُلٍ﴾.

[٥٦] ﴿هُمْ﴾: مُبْتَدَأٌ ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾: جَمْعُ ظُلَّةٍ أو ظِلٍّ: خَبَرٌ؛ أي: لا تُصِيبُهُمُ الشَّمْسُ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جَمْعُ أَرِيكَةٍ- وهو السَّرِيرُ في الحَجَلَةِ(3)، أَوِ الفُرُشُ فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾: خَبَرٌ ثَانٍ مُتَعَلَّقٌ ﴿عَلَى﴾-.

[٥٧] ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾: يَتَمَنَّوْنَ.

[٥٨] ﴿سَلَٰمٌ﴾: مُبْتَدَأٌ ﴿قَوْلًا﴾ أي: بِالقَولِ، خَبَرُهُ: ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ بِهِم، أي: يَقُولُ لهم: سَلَامٌ عَلَيكُم.

[٥٩] ﴿وَ﴾ يَقُولُ: ﴿ٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفَرِدُوا عَنِ المُؤْمِنِينَ. عِندَ اختِلَاطِهِم بِهِم.

[٦٠] ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾: آمُرْكُم ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ عَلى لِسَانِ رُسُلِي ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: لا تُطِيعُوه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ العَدَاوَةِ.

[٦١] ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾: وَحِّدُوني وأَطِيعُوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾: طَرِيقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ [جُبْلًا]﴾: خَلْقًا، جَمْعُ جَبِيلٍ؛ كَقَدِيمٍ- وفي قِرَاءَةٍ: بِضَمِّ البَاءِ(4)- ﴿كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ عَدَاوَتَه وإِضْلَالَه، أو مَا حَلَّ بهم مِنَ العَذَابِ؛ فتُؤْمِنُونَ؟ ويُقَالُ لهم في الآخِرَةِ: [٦٣] ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.

[٦٤] ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٦٥] ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: الكُفَّارِ لِقَولِهِم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(5) ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ وغَيرُها ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ فَكُلُّ عُضْوٍ يَنطِقُ بِمَا صَدَرَ منه.

[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لَأَعْمَيْنَاهَا(6) طَمْسًا ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟﴾ ابْتَدَرُوا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطَّرِيقَ، ذَاهِبِينَ كَعَادَتِهِم ﴿فَأَنَّىٰ﴾ فَكَيفَ ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حِينَئِذٍ؟ أي: لا يُبْصِرُونَ.

[٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قِرَدَةً وخَنَازِيرَ أو حِجَارَةً ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾(7) جَمْعُ مَكَانَةٍ؛ بِمَعنَى: مَكَانٍ- أي: في مَنَازِلِهِم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لَمْ يَقْدِرُوا على ذَهَابٍ ولَا مَجِيءٍ.

[٦٨] ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ بِإِطَالَةِ أَجَلِهِ ﴿[نَنْكُسْهُ]﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: [﴿نُنَكِّسْهُ﴾](8)، بِالتَّشدِيدِ(9)، مِنَ التَّنكِيسِ- ﴿فِى ٱلْخَلْقِ﴾ أي: خَلْقِه؛ فيَكُونَ بَعدَ قُوَّتِه وشَبَابِه ضَعِيفًا وهَرِمًا ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ القَادِرَ على ذَلِكَ المعلُومِ عِندَهم قَادِرٌ على البَعْثِ فيُؤْمِنُونَ؟ وفي قِرَاءَةٍ: بِالتَّاءِ(10).

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: النَّبِيَّ ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ رَدٌّ لِقَولِهِم: «إِنَّ مَا أَتَى به مِنَ القُرآنِ شِعْرٌ» ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾: يَسْهُلُ(11) ﴿لَهُۥٓ﴾ الشِّعْرُ ﴿إِنْ هُوَ﴾: لَيسَ الذي أَتَى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾: مُظْهِرٌ لِلأَحكَامِ وغَيرِها.

[٧٠] ﴿لِّيُنذِرَ﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ(12)- به ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: يَعقِلُ مَا يُخَاطَبُ به؛ وهُمُ المؤمِنُونَ ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ بِالعَذَابِ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهم كَالمَيِّتِينَ، لا يَعقِلُونَ ما يُخَاطَبُونَ به.

---

(1) بِالسُّكُونِ: لنافع وابنِ كثيرٍ وأَبِي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿شُغُلٍ﴾؛ بِالضَّمِّ.

(2) أَورَدَه تَمثِيلًا لَا تَعيِينًا، والأَولَى عَدَمُ التَّعيِينِ؛ و﴿شُغُلٍ﴾ نكرةٌ تفيدُ الإِبهامَ، ومِنْ مَقَاصِدِه التَّعظِيمُ والتَّشوِيقُ. قالَ ابنُ عَطِيَّةَ في المُحرَّرِ الوَجيزِ (٤/ ٤٥٨): «واختَلَفَ النَّاسُ في تَعيِينِ هَذا الشُّغلِ، فقَالَ ابنُ مَسعُودٍ وابنُ عبَّاسٍ وابنُ المُسَيَّبِ: في افتِضَاضِ الأَبكَارِ. وحَكَى النَّقَّاشُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: سَمَاعُ الأَوتَارِ. وقَالَ مُجَاهِدٌ: مَعنَاه نَعِيمٌ قد شَغَلَهم. قَالَ القَاضِي أبو مُحَمَّدٍ: وهذا هو القَولُ الصَّحِيحُ، وتَعيِينُ شَيءٍ دُونَ شَيءٍ لا قِيَاسَ له...».

(3) بِفَتحَتَينِ أو بِسكُونِ الجِيمِ مَعَ ضَمِّ الحَاءِ أو كَسرِها، وهي قُبَّةٌ تُعَلَّقُ على السَّرِيرِ، وتُزَيَّنُ به العَرُوسُ.

(4) أي: مَع ضَمِّ الجِيمِ، وهي لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ. والقِراءةُ المُفَسَّرةُ: ﴿جُبْلًا﴾؛ بِضَمِّ الجِيمِ وسُكُونِ البَاءِ وتَخفِيفِ اللامِ: قِرَاءَةُ أَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿جِبِلًّا﴾؛ بِكَسرِ الجِيمِ والبَاءِ وتَشدِيدِ اللامِ: جَمعُ جِبِلَّة.

(5) الأنعام: ٢٣.

(6) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لأعميناهم).

(7) لِشُعبَةَ.

(8) كلمةُ: (﴿نُنَكِّسْهُ﴾)؛ لَيسَتْ في الأَصلِ، وأَثبَتنَاها مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(9) ﴿نُنَكِّسْهُ﴾؛ بِضَمِّ النُّونِ الأُولَى، وفتح الثانيةِ، مَع كَسرِ وتَشدِيدِ الكَافِ: وهي قِرَاءَةُ عَاصم وحَمزَةَ، وقَرَأَ البَاقُونَ: ﴿نَنْكُسْهُ﴾ بِالتَّخفِيفِ.

(10) ﴿تَعْقِلُونَ﴾؛ بِالتَّاءِ: لنافع وابنِ ذكوان.

(11) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يَتسهَّل).

(12) بِالتَّاءِ لِنافعٍ وابنِ عامرٍ.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ
﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَعْلَمُوا- والاستِفهَامُ لِلتَّقرِيرِ، والوَاوُ الدَّاخِلَةُ عليها[١] لِلعَطْفِ- ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ في جُملَةِ النَّاسِ ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ أي: عَمِلنَاه بِلا شَرِيكٍ ولا مُعِينٍ[٢] ﴿أَنْعَامًا﴾ هي: الإِبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾: ضَابِطُونَ[٣].

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾: سَخَّرْنَاها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مَركُوبُهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؟

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كَأَصوَافِها وأَوبَارِها وأَشعَارِها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ مِنْ لَبَنِها، جَمعُ مَشْرَبٍ؛ بِمَعنَى: شُرْبٍ، أو مَوضِعِه؟ ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المُنْعِمَ عليهم بها، فيُؤمِنُونَ؟ أي: مَا فَعَلُوا ذلك.

[٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿آلِهَةً﴾: أَصْنَامًا يَعبُدُونَها ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ -تَعَالَى- بِشَفَاعَةِ آلِهَتِهم، بِزَعْمِهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أَيِ: آلِهَتُهُم- نُزِّلُوا مَنْزِلَةَ العُقَلَاءِ- ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: آلِهَتُهُم مِنَ الأَصْنَامِ ﴿لَهُمْ جُندٌ﴾ بِزَعْمِهِم نَصْرَهُمْ ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ في النَّارِ مَعَهم.

[٧٦] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لَكَ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[٤] وغَيرَ ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ مِنْ ذَلِكَ وغَيرِه؛ فنُجَازِيهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ يَعلَمْ- وهو: [العَاصِ][٥] بنُ وَائِلٍ- ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ، إلى أَنْ صَيَّرْنَاهُ شَدِيدًا قَوِيًّا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شَدِيدُ الخُصُومَةِ لنا ﴿مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُها، في نَفْيِ البَعْثِ؟ [٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذَلِكَ ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ مِنَ المَنِيِّ، وهو أَغرَبُ مِنْ مَثَلِهِ ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بَالِيَةٌ؟ ولَمْ يقلْ بِالتَّاءِ؛ لِأَنَّه اسمٌ لَا صِفَةٌ. ورُوِيَ[٦] أنه أَخَذَ عَظْمًا رَمِيمًا فَفَتَّتَهُ، وقالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَتَرَى يُحيِي اللهُ هَذا بَعدَ مَا بَلِيَ وَرَمَّ؟» فقالَ ﷺ: «نَعَمْ، وَيُدْخِلُكَ النَّارَ»[٧].

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾: مَخْلُوقٍ[٨] ﴿عَلِيمٌ﴾ مُجمَلًا ومُفَصَّلًا، قَبلَ خَلْقِهِ وبَعْدَ خَلْقِهِ. [٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾ في جُملَةِ النَّاسِ ﴿مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾: المَرْخِ والعَفَارِ[٩]، أو كُلِّ شَجَرٍ إِلَّا العُنَّابَ[١٠] ﴿نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾: تَقدَحُونَ. وهذا دَالٌّ عَلى القُدْرَةِ على البَعْثِ؛ فإِنَّه جَمَعَ فيه بَينَ المَاءِ والنَّارِ والخَشَبِ؛ فَلا المَاءُ يُطفِئُ النَّارَ، ولا النَّارُ تُحرِقُ الخَشَبَ.

[٨١] ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عِظَمِها ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أَيِ: الأَنَاسِيَّ في الصِّغَرِ؟ ﴿بَلَىٰ﴾ أي: هو قَادِرٌ على ذَلِكَ- أَجَابَ نَفْسَهُ- ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾: الكَثِيرُ الخَلْقِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِكُلِّ شَيءٍ.

[٨٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾: شَأْنُه[١١] ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خَلْقَ شَيءٍ ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهُو يَكُونُ. وفي قِرَاءَةٍ[١٢]: بِالنَّصبِ عَطْفًا على: ﴿يَقُولَ﴾.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: مُلْكُ، زِيدَتِ الوَاوُ والتَّاءُ لِلمُبَالَغَةِ؛ أَيِ: القُدْرَةُ على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تُرَدُّونَ في الآخِرَةِ!

---

(١) جُملَةُ: (الدَّاخِلَةُ عليها) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) وله -سُبْحَانَهُ- يَدانِ حَقِيقَةً، تَلِيقَانِ بِجَلالِه وكَمالِه، كما قال سُبحانَهُ وتَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

(٣) أي: قَاهِرُونَ مُذَلِّلُونَ، والأَظهَرُ والأَولَى تَفسِيرُ المِلكِ في الآيَةِ بالمِلكِ الشَّرعِيِّ، وإِبَاحَةِ التَّصرُّفِ فيها بِسَائِرِ الوُجُوه الشَّرعِيَّةِ، ولِيَكُونَ قولُه تعالى بعدَها: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ تَأسِيسًا لِنِعمَةٍ أُخرَى لا تَتمِيمًا لِمَا قَبلَه.

(٤) الرعد: ٤٣.

(٥) في الأَصلِ: (العَاصي) والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (رُوِي) بِدُونِ الواو.

(٧) رواه الحاكمُ في المُستدرَكِ (٢/ ٤٦٦) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «جَاءَ العَاصِ بنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِعَظْمٍ حَائِلٍ فَفَتَّهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَيَبْعَثُ اللهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَبْعَثُ الله هَذَا، يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ» قَالَ: فَنَزَلَتِ الآيَاتُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ»، وقال الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخرِجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ.

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: مَخْلُوقٍ).

(٩) نوعَانِ مِنَ الشَّجَرِ سَرِيعَا القَدحِ.

(١٠) لَمْ يَذكُرِ الجلالُ المَحلِّيُّ سَبَبَ هذا الاستِثنَاءِ لِـ«العُنَّابِ» مِن جُملَةِ شَجَرِ النَّارِ، وقَالَ في حَاشِيَةِ الجَمَل على الجلالَينِ: «هذا قولُ الحُكَمَاءِ، يَقُولُونَ: في كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ إِلَّا العُنَّابَ». وهذا مُتعَقَّبٌ، وهو مَحَلُّ نَظَرٍ، كَمَا ذَكَرَ القَاضِي كَنعَان في تعليقِه على الجلالَينِ.

(١١) الأَمْرُ يَقتَضِي الكَلَامَ والقَولَ، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَكَلَّمُ كَمَا يَلِيقُ بِجَلالِه. والصَّوَابُ ما قَالَه ابنُ كثيرٍ في تَفسِيرِه (٦/ ٥٣١): «أي إِنَّمَا يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ أَمْرًا وَاحِدًا، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تِكرَارٍ أو تَأكِيدٍ».

(١٢) لابنِ عَامِرٍ والكِسَائِيِّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ
إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم
مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ
﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾
وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا
هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

نصف الحزب ٤٥

سورة الصافات

مَكِّيَّةٌ، مِائَةٌ واثنتانِ وثمانونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾: الملائِكَةِ، تَصُفُّ نُفُوسَها في العِبادَةِ، أو أَجْنِحَتَها في الهَواءِ، تَنتَظِرُ ما تُؤمَرُ به. [٢] ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾: الملائِكَةِ تزجُرُ السَّحابَ؛ أي: تَسُوقُه. [٣] ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ أي: قُرَّاءِ القرآنِ يتلُونَه[1] ﴿ذِكْرًا﴾: مَصْدَرٌ مِنْ مَعنَى: «التَّالِيَاتِ». [٤] ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ - يا أهلَ مَكَّةَ- ﴿لَوَٰحِدٌ﴾. [٥] ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ أي: والمغارِبِ لِلشَّمسِ، ولها كُلَّ يومٍ مَشرِقٌ ومَغرِبٌ. [٦] ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا [بِزِينَةِ] ٱلْكَوَاكِبِ﴾ أي: بِضَوئِها أو بِها- والإضافَةُ لِلبَيانِ[2]؛ كَقِراءَةِ تنوينِ «زِينَةٍ» المُبيَّنَةِ بِـ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾[3]-. [٧] ﴿وَحِفْظًا﴾: مَنصُوبٌ بِفِعْلٍ مُقدَّرٍ؛ أي: حَفِظْناها بِالشُّهُبِ ﴿مِّن كُلِّ﴾: مُتَعلِّقٌ بِالمُقدَّرِ ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾: عاتٍ خارجٍ عَنِ الطَّاعَةِ. [٨] ﴿لَّا [يَسْمَعُونَ][4]﴾ أي: الشَّياطِينُ- مُستأنَفٌ[5]. وسَماعُهُم هو في المَعنَى: المَحفُوظ عنه[6]- ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الملائِكَةِ في السَّماءِ- وَعُدِّيَ السَّماعُ بِـ﴿إِلَى﴾ لِتَضَمُّنِه معنَى الإصْغاءِ. وفي قِراءَةٍ: بِتَشديدِ المِيمِ والسِّينِ، أَصْلُهُ: «يَتَسَمَّعُونَ»؛ أُدغِمَتِ التَّاءُ في السِّينِ- ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي: الشَّياطِينُ بِالشُّهُبِ ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ مِنْ آفاقِ السَّماءِ. [٩] ﴿دُحُورًا﴾: مَصدَرُ: دَحَرَهُ؛ أي: طَرَدَهُ وأَبعَدَهُ، وهو مَفعُولٌ له ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخِرَةِ ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: دائِمٌ. [١٠] ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾: مَصْدَرٌ؛ أي: المَرَّةَ- والاستِثْناءُ مِنْ ضَمِيرِ: ﴿يَسْمَعُونَ﴾- أي: لا يَسْمَعُ إلَّا الشَّيطانُ الذي سَمِعَ الكَلِمَةَ مِنَ الملائِكَةِ، فأَخَذَها بِسُرعَةٍ ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾: كَوكَبٌ مُضِيءٌ[7] ﴿ثَاقِبٌ﴾: يَثقُبُه، أو يُحرِقُه، أو يُخبِّلُه[8]. [١١] ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: استَخْبِرْ كُفَّارَ مَكَّةَ، تَقريرًا أو تَوبِيخًا: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ مِنَ الملائِكَةِ والسَّماواتِ والأَرَضِينَ وما فيهما؟ وفي الإتيانِ بِـ﴿مَّنْ﴾ تغليبُ العُقَلاءِ ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي: أَصْلَهم آدَمَ ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: لازِمٍ، يَلْصَقُ بِاليَدِ. المعنَى: أَنَّ خَلْقَهم ضَعِيفٌ؛ فلا [يَتَكَبَّرُوا][9] بِإنكارِ النَّبِيِّ والقُرآنِ، المُؤدِّي إلى هَلاكِهِم اليَسِيرِ. [١٢] ﴿بَلْ﴾: للانتِقالِ مِنْ غَرَضٍ إلى آخَرَ؛ وهو: الإخبارُ بِحالِه وحالِهِم ﴿عَجِبْتَ﴾ - بِفَتحِ التَّاءِ[10]: خِطابًا لِلنَّبِيِّ ﷺ- أي: مِنْ تَكذِيبِهِم إيَّاكَ ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ مِنْ تَعَجُّبِكَ. [١٣] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟﴾: وُعِظُوا بِالقُرآنِ ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾: لا يَتَّعِظُونَ. [١٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ كانشِقاقِ القَمَرِ ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يَستَهزِئُونَ بها. [١٥] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ فيها: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ. وقالوا مُنكِرِينَ لِلبَعْثِ: [١٦] ﴿أَءِذَا [مُتْنَا][11] وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ - في الهَمزَتَينِ في المَوضِعَينِ التَّحقِيقُ، وتَسهِيلُ الثَّانِيَةِ، وإدخالُ أَلِفٍ بَينَهما، على الوَجْهَينِ[12]-. [١٧] ﴿[أَوَ] ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾؟ بِسُكُونِ الواوِ: عَطفًا بِـ﴿أَوْ﴾، وبِفَتحِها[13] والهَمزَةُ: لِلاستِفهامِ، والعَطفُ بِالواوِ. والمَعطُوفُ عليه[14] مَحَلُّ «إنَّ» واسمِها[15]، أوِ: الضَّمِيرُ في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾[16]، والفاصِلُ: هَمزَةُ الاستِفهامِ-. [١٨] ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تُبعَثُونَ ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾: صاغِرُونَ. [١٩] ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾: ضَمِيرٌ مُبهَمٌ يُفسِّرُهُ: ﴿زَجْرَةٌ﴾ أي: صَيحَةٌ ﴿وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: الخَلائِقُ أحياءٌ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يُفعَلُ بِهِم. [٢٠] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الكُفَّارُ: ﴿يَا﴾: لِلتَّنبِيهِ ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلاكَنا. وهو مَصدَرٌ لا فِعْلَ له مِنْ لَفظِهِ. وتَقُولُ لهم الملائِكَةُ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: الحِسابِ والجَزاءِ. [٢١] ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بَينَ الخَلائِقِ ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾. ويُقالُ لِلملائِكَةِ: [٢٢] ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أَنفُسَهم بِالشِّركِ ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾: قُرَناءَهُم مِنَ الشَّياطِينِ ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾. [٢٣] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه مِنَ الأوثانِ ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾: دُلُّوهُم وسُوقُوهُم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾: طَرِيقِ النَّارِ. [٢٤] ﴿وَقِفُوهُمْ﴾: احبِسُوهم عِندَ الصِّراطِ ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ عَنْ جَمِيعِ أقوالِهِم وأفعالِهِم. ويُقالُ لهم تَوبِيخًا:

---

(١) في نُسخَةِ قَباوَة: (جَماعةِ قُرَّاءِ القرآنِ، تَتلُوه). (٢) أي: بِزينَةٍ هي الكَواكِب.

(٣) قَرَأَ بِالإضافَةِ السَّبعَةُ عدا عاصم وحَمزَة، وقَرَأَ شُعبَةُ بِنَصبِ «الكَواكِبَ» مع تَركِ الإضافَةِ، وقَرَأَ حفصٌ وحمزةُ: ﴿بِزِينَةٍ﴾؛ بِالتَّنوينِ مع الخَفضِ، على أنَّها مَفعُولٌ لِمَحذُوفٍ تَقدِيرُه: «أعني».

(٤) وهي قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ حفصٌ وحَمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ بِتَشدِيدِ السِّينِ والمِيمِ مِنَ التَّسَمُّعِ، وهو: تَطَلُّبُ السَّماعِ.

(٥) أي: لِبَيانِ حالِهِم بعدَ حِفظِ السَّماءِ منهم. ولا يَصِحُّ مِنْ حَيثُ المعنَى أنْ تكونَ صِفَةً لِـ﴿شَيْطَٰنٍ﴾. (٦) أي: لا يُصغُونَ إلى الملأِ الأعلَى. ويُشِيرُ بهذا إلى أنَّ قولَه: ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ على حَذفِ مُضافٍ؛ أي: مِنْ سَماعِ كُلِّ شَيطانٍ. (٧) المقصودُ: بِشُهُبٍ تنفصِلُ منها، كما بَيَّنَ ذلك في تَفسيرِ سُورَةِ «المُلكِ»: «بِأنْ يَنفَصِلَ شِهابٌ عَنِ الكَوكَبِ كالقَبَسِ». (٨) أي: يُفسِدُ عَقلَه أو أعضاءَه.

(٩) في الأَصلِ: «فلا يتكبَّرونَ»، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة.

(١٠) وفي قِراءَةِ حَمزَةَ والكِسائيِّ: ﴿عَجِبْتُ﴾؛ بِضَمِّ التَّاءِ، وفي بَعضِ النُّسَخِ بعدَ قولِه: «تكذيبِهِم إيَّاكَ» زِيادةُ: (وبِضَمِّها؛ لله تعالى، أو على تقديرِ: «قُلْ»). ويكونُ المُتَعَجِّبُ هو اللهَ -سُبحانَهُ-، وأمَّا على تقديرِ: «قُلْ»: وتكونُ التَّاءُ المَضمُومَةُ راجِعَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ. وصِفَةُ العَجَبِ ثابِتَةٌ لله تعالى، على الوَجهِ اللائِقِ به، كما دَلَّ على ذلك نُصُوصُ الكِتابِ والسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ.

(١١) ﴿مِتْنَا﴾؛ بِكَسرِ المِيمِ: قِراءَةُ: نافعٍ، وحَفصٍ عَنْ عاصمٍ وحَمزَةَ والكِسائيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿مُتْنَا﴾؛ بِضَمِّ المِيمِ.

(١٢) وقَرَأَ نافعٌ والكِسائيُّ: ﴿أَءِذَا ... إِنَّا﴾ بِالاستِفهامِ في الأوَّلِ والإخبارِ في الثَّاني، وقَرَأَ ابنُ عامرٍ: ﴿إِذَا ... أَءِنَّا﴾ بِهَمزَةٍ مَكسُورَةٍ على الخَبَرِ في الأوَّلِ، وبِهَمزَةٍ مَفتُوحَةٍ بعدَها هَمزَةٌ مَكسُورَةٌ؛ مُحقَّقَتَينِ على الاستِفهامِ، وقَرَأَ الباقُونَ: ﴿أَءِذَا ... أَءِنَّا﴾ بِالاستِفهامِ فيهما.

(١٣) قَرَأَ ابنُ عامرٍ وقالُونُ بِواوٍ ساكِنَةٍ قبلَها هَمزَةٌ مَفتُوحَةٌ، وقَرَأَ الباقُونَ بِواوٍ مَفتُوحَةٍ قبلَها هَمزَةٌ مَفتُوحَةٌ. (١٤) على كُلٍّ مِنَ القِراءَتَينِ.

(١٥) مِنْ قولِه: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾. (١٦) هذا على القِراءَةِ الثَّانِيَةِ.

مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ
عَلَىٰ بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ
بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٍ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا
لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ
لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾
فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾

[٢٥] ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لا يَنصُرُ بعضُكُم بعْضًا، كَحَالِكُمْ في الدُّنيا؟ ويُقَالُ لهم:

[٢٦] ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾: مُنقَادُونَ أذِلَّاءُ.

[٢٧] ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: يَتَلَاوَمُونَ ويَتخَاصَمُونَ.

[٢٨] ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الأَتبَاعُ منهم لِلمَتبُوعِينَ: ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾: عَنِ الجِهَةِ التي كُنَّا نَأمَنُكُم منها؛ لِحَلِفِكُمْ[1] أنَّكُم على الحَقِّ؛ فَصَدَّقنَاكُم واتَّبَعنَاكُم. المَعنَى: أنَّكُم أَضلَلتُمُونَا.

[٢٩] ﴿قَالُواْ﴾ أي: المَتبُوعُونَ لهم: ﴿بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ - وإنَّما يَصدُقُ الإِضلَالُ مِنَّا أنْ لَو كُنتُم مُؤمِنِينَ، فَرَجَعتُم عَنِ الإِيمَانِ إِلَينَا-.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ﴾: قُوَّةٍ وقُدْرَةٍ، تَقْهَرُكُم على مُتَابَعَتِنا ﴿بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا طَٰغِينَ﴾: ضَالِّينَ مِثْلَنا.

[٣١] ﴿فَحَقَّ﴾: وَجَبَ ﴿عَلَيۡنَا﴾ جَمِيعًا ﴿قَوۡلُ رَبِّنَآۖ﴾ بِالعَذَابِ؛ أي: قَولُه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[2] ﴿إِنَّا﴾ جميعًا ﴿لَذَآئِقُونَ﴾ العَذَابَ بِذَلكَ القَولِ. ونَشَأَ عنه قَولُهم:

[٣٢] ﴿فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ﴾ المُعلَّلُ بِقَولِهِم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

[٣٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾: يومَ القِيَامَةِ ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ أي: لِاشتِرَاكِهِم في الغَوايَةِ.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كَمَا نَفعَلُ بِهَؤُلَاءِ ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ غَيرِ هَؤُلَاءِ؛ أي: نُعذِّبُهم، التَّابِعَ منهم والمَتبُوعَ.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمۡ﴾ أي: هَؤُلَاءِ، بِقَرِينَةِ مَا بَعدَه ﴿كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ - في هَمزَتَيهِ ما تَقَدَّمَ[3]- ﴿لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ أي: لِأَجلِ مُحَمَّدٍ؟

[٣٧] قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ الجَائِينَ به؛ وهُو: أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[4].

[٣٨] ﴿إِنَّكُمۡ﴾ - فيه التِفَاتٌ- ﴿لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جَزَاءَ ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ [ٱلۡمُخۡلِصِينَ][5]﴾ أي: المُؤمِنِينَ، استِثنَاءٌ مُنقَطِعٌ؛ أي: ذُكِرَ جَزَاؤُهُم في قَولِه: [٤١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ﴾ في الجَنَّةِ ﴿رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ﴾ بُكرَةً وعَشِيًّا.

[٤٢] ﴿فَوَٰكِهُۖ﴾: بَدَلٌ، أو: بَيَانٌ لِلرِّزْقِ- وهو: مَا يُؤكَلُ تَلَذُّذًا، لَا لِحِفْظِ صِحَّةٍ؛ لِأَنَّ أَهلَ الجَنَّةِ مُستَغنُونَ عَنْ حِفظِهَا بِخَلقِ أَجسَامِهِم لِلأَبَدِ- ﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾ بِثَوَابِ اللهِ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[٤٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: لَا يَرَى بَعضُهُم قَفَا بَعضٍ.

[٤٥] ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم﴾: عَلَى كُلِّ منهم ﴿بِكَأۡسٖ﴾ هو الإِنَاءُ بِشَرَابِه ﴿مِّن مَّعِينِۭ﴾: مِنْ خَمرٍ يَجرِي عَلَى وَجهِ الأَرضِ كَأَنهَارِ المَاءِ.

[٤٦] ﴿بَيۡضَآءَ﴾ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ﴿لَذَّةٖ﴾: لَذِيذَةٍ ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بِخِلَافِ خَمرِ الدُّنيا؛ فَإِنَّها كَرِيهَةٌ عِندَ الشُّربِ.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ﴾: مَا يَغتَالُ عُقُولَهم ﴿وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾ - بِفَتحِ الزَّايِ وكَسرِهَا[6]؛ مِنْ: نُزِفَ الشَّارِبُ، وأَنزَفَ- أي: يَسكَرُونَ، بِخِلَافِ خَمرِ الدُّنيا.

[٤٨] ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾: حَابِسَاتُ الأَعيُنِ عَلى أَزوَاجِهِنَّ، لا يَنظُرْنَ إِلى غَيرِهِم لِحُسنِهِم عِندَهُنَّ ﴿عِينٞ﴾: ضِخَامُ الأَعيُنِ حِسَانُها.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللَّونِ ﴿بَيۡضٞ﴾ لِلنَّعَامِ ﴿مَّكۡنُونٞ﴾: مَستُورٌ بِرِيشِهِ، لَا يَصِلُ إِلَيه غُبَارٌ، وَلَونُهُ -وهو البَيَاضُ في صُفرَةٍ- أَحسَنُ أَلوَانِ النِّسَاءِ.

[٥٠] ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ﴾: بَعْضُ أَهْلِ الجَنَّةِ ﴿عَلَىٰ بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ عَمَّا مَرَّ بِهِم في الدُّنيَا.

[٥١] ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ﴾: صَاحِبٌ يُنكِرُ البَعْثَ.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بحلِفِكم).

(٢) هود: ١١٩.

(٣) أي: مِنَ التَّحقِيقِ وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ بِأَلِفٍ ودُونِها.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهو قولُ: لا إله إلَّا الله).

(٥) بِكسرِ اللامِ: قِرَاءَةُ: ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾؛ بِفَتحِ اللامِ.

(٦) بِالكَسرِ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ.

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٤٤٨

[٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تَبْكِيتًا: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبَعْثِ؟

[٥٣] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا﴾ -في الهَمْزَتَينِ في الثَّلَاثَةِ مَوَاضِعَ ما تَقَدَّمَ(١)- ﴿لَمَدِينُونَ﴾: مَجْزِيُّونَ ومُحَاسَبُونَ؟ أنكَرَ ذَلكَ أيضًا.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلكَ القَائِلُ لِإِخوَانِه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ مَعِي إِلى النَّارِ لِنَنظُرَ حالَه؟ فيَقُولُونَ: لا.

[٥٥] ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ ذلكَ القَائِلُ مِنْ بَعضِ كُوَى الجَنَّةِ(٢) ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي: رَأى قَرِينَهُ ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: في وَسطِ النَّارِ.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تَشْمِيتًا: ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ﴿كِدتَّ﴾: قَارَبْتَ ﴿لَتُرْدِينِ﴾: لَتُهْلِكُنِي بِإِغوَائِكَ!

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ [أي: إِنعَامُه عَلَيَّ بِالإِيمَانِ](٣) ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ مَعكَ في النَّارِ.

[٥٨] ويَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾.

[٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: التي في الدُّنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استِفهَامُ تَلَذُّذٍ وَتَحَدُّثٍ بِنِعمَةِ الله -تَعَالَى- مِنْ تَأبِيدِ الحَيَاةِ، وعَدَمِ التَّعذِيبِ(٤).

[٦٠] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذُكِرَ لِأَهْلِ الجَنَّةِ ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[٦١] ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ قِيلَ: يُقَالُ لَهم ذَلكَ. وقِيلَ: هُم يَقُولُونَه.

[٦٢] ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المَذْكُورُ لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ -وهُو ما يُعَدُّ لِلنَّازِلِ، مِنْ ضَيفٍ وغَيرِه- ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ المُعَدَّةُ لِأَهْلِ النَّارِ؟ وهِيَ مِنْ أَخبَثِ الشَّجَرِ المُرِّ بِتِهَامَةَ، يُنْبِتُهَا اللهُ في الجَحِيمِ؛ كَمَا سَيَأتِي. [٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ بِذَلك ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؛ إِذْ قَالُوا: النَّارُ تُحْرِقُ الشَّجَرَ؛ فكَيفَ تُنبِتُه؟(٥)

[٦٤] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: قَعْرِ جهنَّمَ، وأَغصَانُها تَرتَفِعُ إلى دَرَكَاتِها.

[٦٥] ﴿طَلْعُهَا﴾ المُشبَّهُ بِطَلْعِ النَّخلِ ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: الحَيَّاتِ(٦) القَبِيحَةِ المَنْظَرِ.

[٦٦] ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: الكُفَّارَ ﴿لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ مَعَ قُبحِها؛ لِشِدَّةِ جُوعِهم ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: مَاءٍ حَارٍّ يَشرَبُونَه، فيَختَلِطُ بِالمَأكُولِ منها؛ فيَصِيرُ شَوْبًا(٧) له.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ يُفِيدُ أَنَّهم يَخرُجُونَ منها لِشُربِ الحَمِيمِ، وأَنَّه خَارِجُها(٨). [٦٩] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾: وَجَدُوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾.

[٧٠] ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يُزْعَجُونَ إلى اتِّبَاعِهم، فيُسرِعُونَ إليه. [٧١] ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ مِنَ الرُّسُلِ، مُخَوِّفِينَ. [٧٣] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الكَافِرِينَ؟ أي: عَاقِبَتُهم العَذَابُ.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ [ٱلْمُخْلِصِينَ](٩)﴾ أي: المُؤْمِنِينَ؛ فإِنَّهم نَجَوا مِنَ العَذَابِ؛ لِإِخلَاصِهم في العِبَادَةِ، أو لِأَنَّ اللهَ أَخلَصَهم لها، على قِرَاءَةِ فَتحِ اللَّامِ.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بِقَولِه: ﴿رَبِّ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾(١٠) ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ له نَحنُ! أي: دَعَانَا على قَومِه، فأَهلَكنَاهم بِالغَرَقِ.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الغَرَقِ.

---

(١) أي: بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ بِإِدخَالِ أَلِفٍ، وتَركِه، وقَرَأَ ابنُ عامرٍ بِالإِخبَارِ في الأَوَّلِ والاستِفهَامِ في الثاني. وراجِعِ التعليقَ بسورة الرَّعدِ الآيَة (٥) هامش (٩).

(٢) الكُوَّةُ: الفَتحةُ أو النَّافذةُ في جِدَارِ البَيتِ. وروى أبو مُحَمَّدٍ في الهداية (١٢/ ٧٩٣٦): «قالَ كَعبٌ: مِنَ الجَنَّةِ إلى النَّارِ كِوَاءٌ يَتَطَلَّعُ منها رِجَالٌ مِن (أَهلِ) الجَنَّةِ إلى رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَنظُرُونَ إلى عَذَابِهم. ثُمَّ قَرَأَ كَعبٌ: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: في وَسَطِها». وروى نحوَه عبدُ الرزَّاق (٣٥٤٣) عَنْ قَتَادَةَ، عن كَعْبٍ.

(٣) في الأَصلِ: (عليَّ بالإيمانِ)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، ونُسخَةِ القَاضِي كَنعَان.

(٤) أي: فهو مِن كَلَامِ بعضِ أهلِ الجنَّةِ لِبَعضٍ، وقِيلَ: مِنْ كَلَامِ المُؤمِنِينَ لِلمَلَائِكَةِ حِينَ يُذبَحُ الموتُ، ويحتمِلُ أَنْ يَكُونَ هذا خِطَابًا مِن أَهلِ الجَنَّةِ لِأَهلِ النَّارِ، عَلَى سَبِيلِ التَّبكِيتِ لهم، والتَّذكِيرِ بِقَولِهِم هذا في الدُّنيا؛ حَيثُ كَانُوا يُنكِرُونَ البَعثَ والعَذَابَ.

(٥) رَوَى الطَّبَرِيُّ (١٩/ ٥٥٢) عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «لَمَّا ذَكَرَ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ افتُتِنَ الظَّلَمَةُ، فقالُوا: يُنبِئُكُم صَاحِبُكُم هَذَا أَنَّ فِي النَّارِ شَجَرَةً، وَالنَّارُ تَأكُلُ الشَّجَرَ، فَأَنزَلَ اللهُ مَا تَسمَعُونَ: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾، غُذِّيَتْ بِالنَّارِ وَمِنهَا خُلِقَتْ». ونَسَبَه مقاتلٌ في تَفسِيرِه (٢/ ٥٣٩) لأَبِي جَهلٍ.

(٦) وَقِيلَ: المُرَادُ بِذَلِكَ ضَربٌ مِنَ الحَيَّاتِ، رُءُوسُهَا بَشِعَةُ المَنظَرِ. واختارَ ابنُ كثيرٍ (٧/ ٢٠) أَنَّ الآيَةَ على ظَاهِرِها، وأَنَّها رُءوسُ الشَّيَاطِينِ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا شَبَّهَهَا بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعرُوفَةً عِندَ المُخَاطَبِينَ؛ لِأَنَّهُ قَدِ استَقَرَّ فِي النُّفُوسِ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَبِيحَةُ المَنظَرِ.

(٧) أي: فيَصِيرُ الحَمِيمُ شَوبًا؛ أي خَلِيطًا لِلزَّقُّومِ. رَوى عبدُ الرزَّاقِ (٣/ ٩٥) عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قَالَ: «مِزَاجًا مِنْ حَمِيمٍ».

(٨) مَقصُودُ المُصَنِّفِ أَنَّ الكُفَّارَ يُؤخَذُ بهم مِنَ الجَحِيمِ إلى الحَمِيمِ، ثُمَّ يُرجَعُونَ إلى الجَحِيمِ، وهما في النَّارِ، ولَيسَ المقصُودُ خُرُوجَهم مِنَ النَّارِ؛ لِقَولِه تعالى فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. ورَوَى ابنُ أَبي حَاتِمٍ (١٨٢٠١) عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «فَهُمْ فِي عَنَاءٍ وَعَذَابٍ بَيْنَ نَارٍ وَحَمِيمٍ، وَتَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]».

(٩) وهي قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بِفَتحِ اللَّامِ.

(١٠) القمر: ١٠.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ
إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ
ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

الحزب ٤٥

[٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ - فالنَّاسُ كُلُّهُم مِنْ نَسْلِهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكَانَ له ثَلاثَةُ أَولَادٍ: «سَامٌ» وهو أَبُو العَرَبِ وفَارِسَ والرُّومِ، و«حَامٌ» وهو أَبو السُّودَانِ، و«يَافِثُ» وهو أَبو التُّركِ والخَزَرِ[١] ويَأجُوجَ ومَأجُوجَ، وما هُنَالِكَ[٢]-.

[٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أبقَينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثَنَاءً حَسَنًا ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ مِنَ الأَنبِيَاءِ والأُمَمِ إِلى يومِ القِيَامَةِ.

[٧٩] ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كَمَا جَزَينَاهُم ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٢] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾: كُفَّارَ قَومِهِ.

[٨٣] ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: مِمَّنْ تَابَعَه في أَصْلِ الدِّينِ ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بينَهُما- وهو أَلفَانِ وسِتُّمِائَةٌ وأربَعُونَ سَنَةً[٣]، وكان بينَهُما هُودٌ وصَالِحٌ-.

[٨٤] ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ أي: تَابَعَه وَقتَ مَجِيئِهِ ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِنَ الشَّكِّ وغَيرِه.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هَذِهِ الحَالَةِ المُستَمِرَّةِ له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ مُوَبِّخًا: ﴿مَاذَا﴾: مَا الذي ﴿تَعْبُدُونَ﴾؟

[٨٦] ﴿أَئِفْكًا﴾- في هَمزَتَيهِ مَا تَقَدَّمَ[٤]- ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾؟ و«إِفْكًا»: مَفعُولٌ له، و﴿ءَالِهَةً﴾: مَفعُولٌ به لِـ﴿تُرِيدُونَ﴾ والإِفكُ: أَسوَأُ الكَذِبِ؛ أي: أَتعبُدُونَ غَيرَ اللهِ؟

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إِذْ عَبَدتُّم غَيرَه، أَنَّه يَترُكُكُم بِلَا عِقَابٍ؟ لا. وكَانُوا نَجَّامِينَ، فَخَرَجُوا إِلى عِيدٍ لَهم، وتَرَكُوا طَعَامَهم عِندَ أَصنَامِهم -زَعَمُوا التَّبَرُّكَ عَلَيه- فَإِذَا رَجَعُوا أَكَلُوه، وقَالُوا لِلسَّيِّدِ إِبرَاهِيمَ: اخرُجْ معنَا[٥].

[٨٨] ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ إِيهَامًا لَهم أَنَّه يَعتَمِدُ عَلَيها، [لِيَتَّبِعُوه][٦].

[٨٩] ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾: عَلِيلٌ؛ أي: سَأَسقَمُ.

[٩٠] ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ إِلى عِيدِهِم ﴿مُدْبِرِينَ﴾.

[٩١] ﴿فَرَاغَ﴾: مَالَ في خِفيَةٍ ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ - وهي الأَصْنَامُ- وعِندَها الطَّعَامُ ﴿فَقَالَ﴾ استِهزَاءً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ فلَمْ يَنْطِقُوا.

[٩٢] فقَالَ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾؟ فلَمْ يُجِبْ.

[٩٣] ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾: بِالقُوَّةِ[٧]؛ فكَسَرَها؛ فَبَلَغَ قَومَه مِمَّنْ رَآهُ.

[٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ أي: يُسرِعُونَ المَشيَ، فقَالُوا له: نَحنُ نَعبُدُها وأَنتَ تَكسِرُها؟!

[٩٥] ﴿قَالَ﴾ لهم مُوَبِّخًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ مِنَ الحِجَارَةِ وغَيرِها أَصنَامًا؟!

[٩٦] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنْ نَحتِكُم ومَنحُوتِكُم؟ فاعبُدُوه وَحدَهُ. و﴿مَا﴾: مَصدَرِيَّةٌ، وقِيلَ: مَوصُولَةٌ، وقِيلَ: مَوصُوفَةٌ.

[٩٧] ﴿قَالُوا۟﴾ بينَهم: ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ فامْلَؤُوه حَطَبًا، وأَضرِمُوه بِالنَّارِ، فَإِذَا التَهَبَ ﴿فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ﴾: النَّارِ الشَّدِيدَةِ.

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ بِإِلقَائِهِ في النَّارِ لِتُهلِكَهُ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: المَقهُورِينَ. فخَرَجَ مِنَ النَّارِ سَالِمًا.

[٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾: مُهَاجِرٌ إِلَيه مِنْ دَارِ الكُفرِ ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إِلى حَيثُ أَمَرَني رَبِّي بِالمَصِيرِ إِلَيه؛ وهُوَ الشَّامُ. فلَمَّا وَصَلَ إِلى الأَرضِ المُقَدَّسَةِ قَالَ: [١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ وَلَدًا ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. [١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذِي حِلْمٍ كَثِيرٍ. [١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ أي: أَنْ يَسعَى مَعَه ويُعِينَه- قِيلَ: بَلَغَ سَبعَ سِنِينَ. وقِيلَ: ثَلاثَ عَشرَةَ سَنَةً- ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ أي: رَأَيتُ ﴿فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورُؤيَا الأَنبِيَاءِ حَقٌّ، وأَفعَالُهم بِأَمرِ اللهِ -تَعَالَى- ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ مِنَ الرَّأيِ؟ شَاوَرَهُ لِيَأنَسَ بِالذَّبحِ، ويَنقَادَ لِلأَمرِ به ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ - التَّاءُ عِوَضٌ عَنْ يَاءِ الإِضَافَةِ[٨]- ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ عَلى ذلكَ.

---

(١) قالَ الزَّبِيديُّ في تَاجِ العَرُوسِ (١١/ ١٥٥): «الخَزَرُ، ويُقَالُ لَهُم: الخَزَرَةُ أَيضًا: (اسمُ جِيلٍ) مِنْ كَفَرَةِ التُّرْكِ، وقِيلَ: مِنَ العَجَمِ، وقِيلَ: مِنَ التَّتَارِ...».

(٢) روى البزَّارُ (٢١٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَلَدُ نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ، فَوَلَدَ سَامٌ العَرَبَ وَفَارِسَ وَالرُّومَ، وَالخَيْرُ فِيهِمْ، وَوَلَدَ يَافِثُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَالتُّرْكَ وَالصَّقَالِبَةَ، خَيْرَ فِيهِمْ، وَوَلَدَ حَامٌ القِبْطَ وَالبَرْبَرَ وَالسُّودَانَ». وضعَّفه الألبانيُّ في الضعيفة (٨/ ١٦١). ورواه الحاكمُ (٨٤٢٩) عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ. ورواه أحمد (٢٠٠٩٩)، والتِّرمِذِيُّ (٣٢٣١، ٣٩٣١)، والحاكمُ (٤٠٠٦)، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَامٌ أَبُو العَرَبِ، وَحَامٌ أَبُو الحَبَشِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ». وقال الحاكمُ: «صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». ووافقه الذَّهبيُّ. وضعَّفه الألبانيُّ في الضعيفة (٣٦٨٣).

(٣) وقِيلَ غَيرُ ذلك، ولا دَلِيلَ صَحِيحَ مُعتَبَرَ عَلى التَّحدِيدِ، والصَّوابُ عَدَمُه، واللهُ أَعلَمُ.

(٤) أي: مِنْ تَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ بِأَلِفٍ بينَهما، وتَركِه.

(٥) رَوى ابنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٨٢١٩) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ رضي الله عنه، قَالَ: «أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ غَدًا عِيدُنَا فَاخْرُجْ. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى نَجْمٍ؛ فَقَالَ: إِنَّ ذَا النَّجْمَ لَمْ يَطْلُعْ قَطُّ إِلَّا طَلَعَ بِسُقْمٍ لِي. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ».

(٦) في الأَصلِ: (لِيَعتَمِدُوه)، وقَد استَشكَلَ ذلكَ صَاحِبُ الفُتُوحَاتِ (٣/ ٥٤٣)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، والقَاضِي كنعان.

(٧) تفسيرُ اليَمِينِ بِالقُوَّةِ خِلافُ ظَاهِرِ اللفظِ، ولو قَالَ: إِنَّما ضَرَبَهم بِاليَمِينِ؛ لِأَنَّها أَشَدُّ وأَنكَى؛ لَكَانَ أَظهَرَ. وقِيلَ: المُرَادُ بِاليَمِينِ قَسَمُه، الوَارِدُ في آيَةِ الأَنبِيَاءِ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ وتَكُونُ البَاءُ سَبَبِيَّةً.

(٨) أي في: «أبي».

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾
قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ
بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا
عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا
ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ
﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

[١٠٣] ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾: خَضَعَا وَانْقَادَا لأَمْرِ اللهِ -تَعَالَى- ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾: صَرَعَهُ عليه- ولِكُلِّ إِنسَانٍ جَبِينَانِ بينهما الجَبهَةُ(١)- وكان ذلك بِمِنًى(٢)، وَأَمَرَّ السِّكِينَ على حَلْقِهِ، فلَمْ تَعمَلْ شَيئًا، بِمَانِعٍ مِنَ القُدرَةِ الإِلَهِيَّةِ.

[١٠٤] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾.

[١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ بِما أَتَيتَ به مِمَّا أمكَنَكَ، مِنْ أَمْرِ الذَّبحِ؛ أي: يَكفِيكَ ذلكَ. فجُملَةُ: ﴿نَٰدَيْنَٰهُ﴾: جَوَابُ «لَمَّا» بِزِيَادَةِ الوَاوِ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كَما جَزَينَاكَ ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لِأَنفُسِهم بِامتِثَالِ الأَمْرِ، بِإِفْرَاجِ الشِّدَّةِ عنهم.

[١٠٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذَّبحَ المأمُورَ به ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الاختِبَارُ الظَّاهِرُ.

[١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ أي: المَأمُورَ بِذَبحِهِ- وهو إِسماعِيلُ أو إِسحَاقُ، قَولَانِ(٣)- ﴿بِذِبْحٍ﴾: بِكَبْشٍ ﴿عَظِيمٍ﴾ مِنَ الجَنَّةِ، وهو الذي قَرَّبَهُ هَابِيلُ(٤)، جَاءَ به جِبرِيلُ عَلَيهِ السَّلَامُ، فذَبَحه السَّيِّدُ إِبرَاهِيمُ مُكَبِّرًا.

[١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أَبقَينَا ﴿عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ثَنَاءً حَسَنًا:

[١٠٩] ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

[١١٠] ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كَما جَزَينَاهُ ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لِأَنفُسِهم.

[١١١] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٢] ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ استُدِلَّ بذلكَ على أَنَّ الذَّبِيحَ غَيرُه ﴿نَبِيًّا﴾: حَالٌ مُقَدَّرَةٌ؛ أي: يُوجَدُ مُقدَّرًا نُبُوَّتُه ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

[١١٣] ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بِتَكثِيرِ ذُرِّيَّتِه ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ وَلَدِهِ؛ بِجَعْلِنا أَكْثَرَ الأَنبِيَاءِ مِنْ نَسْلِهِ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾: مُؤمِنٌ ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: كَافِرٌ ﴿مُبِينٌ﴾: بَيِّنُ الكُفرِ.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ بِالنُّبُوَّةِ.

[١١٥] ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بَنِي إِسرَائِيلَ ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: استِعبَادِ(٥) فِرعَونَ إِيَّاهُم.

[١١٦] ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ على القِبْطِ ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

[١١٧] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: البَلِيغَ البَيَانِ، فِيمَا أَتَى به مِنَ الحُدُودِ والأَحكَامِ وغَيرِها؛ وهو التَّورَاةُ.

[١١٨] ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطَّرِيقَ ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

[١١٩] ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أَبقَينَا ﴿عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ثَنَاءً حَسَنًا:

[١٢٠] ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

[١٢١] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كَما جَزَينَاهُما ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [١٢٢] ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٣] ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ - بِالهَمْزِ أَوَّلَهُ، وتَرْكِهِ(٦)- ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قِيلَ: هو ابنُ أَخِي(٧) هَارُونَ أَخِي مُوسَى. وقِيلَ: غَيرُه. أُرسِلَ إِلى قَومٍ بِبَعْلَبَكَّ ونَوَاحِيها.

[١٢٤] ﴿إِذْ﴾: مَنصُوبٌ بِـ«اذْكُرْ» مُقَدَّرًا ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللهَ؟

[١٢٥] ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: اسمُ صَنَمٍ(٨) لهم مِنْ ذَهَبٍ، وبه سُمِّيَ البَلَدُ أَيضًا مُضَافًا إِلى «بَكّ»؛ أي: أَتَعبُدُونَه ﴿وَتَذَرُونَ﴾: تَترُكُونَ ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فَلَا تَعبُدُونَه؟

[١٢٦] ﴿[ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ] ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ - بِرَفعِ الثَّلَاثَةِ عَلَى إِضمَارِ «هُو»، وبِنَصْبِها(٩) على البَدَلِ مِنْ ﴿أَحْسَنَ﴾-.

---

(١) قالَ ابنُ عاشورٍ في التحرير والتنوير (٢٣/ ١٥٣): «والجَبِينُ: أَحَدُ جَانِبَي الجَبهَةِ، ولِلجَبهَةِ جَبِينَانِ، ولَيسَ الجَبِينُ هو الجَبهَةَ». فليسَ الجَبِينُ هو الجَبهَةَ، كما هو في إِطلَاقِ العَامَّةِ.

(٢) رواه أحمدُ في مُسنَدِه (٢٧٠٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، ورِجَالُه ثِقاتٌ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غيرَ أبي عاصمٍ الغَنَوِي. وقد وثَّقَه ابنُ مَعِينٍ. وله شاهدٌ رَوَاهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٨٢٣٣) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

(٣) والرَّاجِحُ الأَوَّلُ: أَنَّه إِسمَاعِيلُ، وهو الذي تَشهَدُ له النُّصُوصُ، وكَذَا سِياقُ الآياتِ بعدَها حيثُ قالَ: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصافات:١١٢]، بَعدَ أَنْ ذَكَرَ قِصَّةَ الذَّبِيحِ؛ فَدَلَّ على أَنَّه غَيرُه.

(٤) ذَكَرَ هذا الطبريُّ (١٩/ ٦٠١) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ قالَ: «الكَبْشُ الَّذِي ذَبَحَهُ إِبْرَاهِيمُ هُوَ الكَبْشُ الَّذِي قَرَّبَهُ ابْنُ آدَمَ فَتُقُبِّلَ مِنْهُ»، وأخرجَ ابنُ أبي حَاتِمٍ عنه (١٨٢٤٣) أَنَّه كَبْشٌ مِنَ الجَنَّةِ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مِنِ استِعبَادِ).

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِالهَمزَةِ أَوَّلَه، وتَرْكِها). وقَرَأَ ابنُ ذكوان بِخُلفٍ عنه بتَرْكِ الهَمزَةِ -وَصْلًا- فإذا ابتدأَ فَتَحَ الهَمزَةَ.

(٧) هكذا في أكثرِ النُّسَخِ المطبُوعةِ، وفي نُسخَةِ القَاضِي كنعان: (ابن هارون)؛ أي: مِنْ ذُرِّيَّتِه، قالَ: وهو الصَّحِيحُ، والآخر سَهوٌ؛ لِأَنَّ إِليَاسَ مِن ذُرِّيَّةِ هَارُونَ، وتَقَدَّمَ في تفسيرِ الأنعامِ (الآية ٨٦) أَنَّ الصَّوابَ إِسقاطُ (أَخِي) الأُولى، لِأَنَّ إِليَاسَ هو ابنُ ياسينَ الذي هو ابنُ حَفِيدِ هارونَ، و أَنَّ إِقحامَ تلكَ الكَلِمةِ لا فائدةَ منه؛ لِأَنَّ أخا هارونَ هو أخو مُوسَى أيضًا.

(٨) في نُسْخَةِ قباوة: (اسمٌ لِصَنَمٍ).

(٩) بِالرَّفعِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ﴾؛ بِنَصْبِ الثَّلَاثَةِ.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ
﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ
يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ
﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا الحزب ٤٦
عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ
أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا
وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النَّارِ.

[١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المُؤمِنِينَ منهم؛ فإنَّهم نَجَوا منها.

[١٢٩] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثَناءً حَسَنًا:

[١٣٠] ﴿سَلَامٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ قِيلَ: هو إِلياسُ المُتَقَدِّمُ ذِكْرُه. وقِيلَ: هُو ومَنْ آمَنَ مَعَه؛ فجُمِعُوا معه تَغْلِيبًا؛ كَقَولِهم لِلمُهَلَّبِ وقَومِه: المُهَلَّبُونَ. وعلى قِراءَةِ: ﴿ءَالِ يَاسِينَ﴾ بِالمَدِّ[١]؛ أي: أَهلِهِ، المُرادُ[٢] به إِلياسُ أيضًا. [١٣١] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كَما جَزَيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٣٢] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١٣٣] ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [١٣٤] اذْكُرْ ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾. [١٣٥] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي: البَاقِينَ في العَذابِ.

[١٣٦] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾: أهلَكْنا ﴿الْآخَرِينَ﴾: كُفَّارَ قَومِه. [١٣٧] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾: عَلى آثَارِهم ومَنازِلهم في أسفَارِكُم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي: وَقتَ الصَّباحِ؛ يَعنِي: بِالنَّهارِ.

[١٣٨] ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ - يا أهلَ مَكَّةَ - مَا حَلَّ بهم؛ فتعتَبِرُونَ به؟!

[١٣٩] ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. [١٤٠] ﴿إِذْ أَبَقَ﴾: هَرَبَ ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: السَّفِينَةِ المَملُوءَةِ، حِينَ غَاضَبَ قَومَه، لَمَّا لَم يَنزِلْ بِهم العَذابُ الذي وَعَدَهم به؛ فرَكِبَ السَّفِينَةَ، فوَقَفَتْ في لُجَّةِ البَحرِ، فقَالَ المَلَّاحُونَ: هنا عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ سَيِّدِه، تُظهِرُه القُرْعَةُ[٣].

[١٤١] ﴿فَسَاهَمَ﴾: قَارَعَ أهْلَ السَّفِينَةِ ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: المَغْلُوبِينَ بِالقُرْعَةِ؛ فَأَلقَوهُ في البَحرِ. [١٤٢] ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: ابْتَلَعَهُ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: آتٍ بِمَا يُلَامُ عليهِ، مِنْ ذَهَابِه إلى البَحرِ ورُكُوبِه السَّفِينَةَ، بِلَا إِذْنٍ مِنْ رَبِّه. [١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: الذَّاكِرِينَ، بِقَولِه كَثِيرًا في بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

[١٤٤] ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: لَصَارَ بَطْنُ الحُوتِ قَبْرًا له[٥] إلى يوم القِيامَةِ.

[١٤٥] ﴿۞ فَنَبَذْنَاهُ﴾: أَلقَيناه مِنْ بَطْنِ الحُوتِ ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بِوَجهِ الأَرضِ؛ أي: بِالسَّاحِلِ، مِنْ يَومِه، أو بَعدَ ثَلاثَةٍ، أو سَبعَةِ أَيَّامٍ، أو عِشرِينَ، أو أربَعِينَ يومًا[٦] ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: عَلِيلٌ كَالفَرْخِ المُمَعَّطِ[٧]. [١٤٦] ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ - وهي: القَرْعُ تُظِلُّه بِساقٍ[٨] على خِلَافِ العَادَةِ في القَرْعِ، مُعجِزَةً له. وكَانَت تَأتِيه وَعِلَةٌ[٩] صَباحًا ومَسَاءً يَشرَبُ مِنْ لَبَنِها حتَّى قَوِيَ-. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ بَعدَ ذلكَ كَقَبْلِه[١٠]، إلى قَومٍ بـ«نِينَوَى» مِنْ أرضِ المَوْصِلِ ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾: بَلْ ﴿يَزِيدُونَ﴾ عِشرِينَ[١١]، أو ثَلاثِينَ، أو سَبعِينَ أَلفًا. [١٤٨] ﴿فَآمَنُوا﴾ عِندَ مُعايَنَةِ العَذابِ المَوعُودِينَ به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾: أَبقَيناهُم مُمَتَّعِينَ بِما لهم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تَنقَضِي آجالُهم فيه. [١٤٩] ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: استَخبِرْ كُفَّارَ مَكَّةَ، تَوبِيخًا لَهم: ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ بِزَعمِهم أنَّ المَلائِكَةَ بَنَاتُ الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ فيَختَصُّونَ بالأَسنَى؟! [١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ خَلقَنا؛ فيَقُولُونَ ذلك؟!

[١٥١] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ﴾: كَذِبِهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾: [١٥٢] ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ بِقَولِهم: المَلائِكَةُ بَنَاتُ الله. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيه.

[١٥٣] ﴿أَصْطَفَى﴾ -بِفَتحِ الهَمزَةِ للاستِفهَامِ، واستُغنِيَ بها عَن هَمزَةِ الوَصلِ، فحُذِفَتْ- أي: أَختَارَ ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾؟

---

(١) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (والمُرادُ)؛ بِزِيادَةِ الوَاوِ.

(٣) رواهُ بنحوِه عبدُ الرزّاق في تفسيرِه (٢٥٥٠) عَن طاوسَ. ونَسبَه البَغويُّ (٧/ ٦٠) لابنِ عبَّاسٍ ووهبٍ، بِدُونِ سندٍ. وذكرَ ابنُ كثيرٍ (٧/ ٣٨) وأكثرُ المُفسِّرينَ: «أَنَّ السَّفِينَةَ تَلَعَّبَتْ بِهَا الْأَمْوَاجُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَأَشْرَفُوا عَلَى الْغَرَقِ، فَسَاهَمُوا عَلَى مَنْ تَقَعُ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ يُلْقَى فِي الْبَحْرِ، لِتَخِفَّ بِهِمُ السَّفِينَةُ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى نَبِيِّ اللهِ يُونُسَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَهُمْ يَضِنُّونَ بِهِ أَنْ يُلْقَى مِنْ بَيْنِهِمْ...».

(٤) سُورة الأنبياء: ٨٧. والحديثُ رواه التِّرمِذيُّ (٣٥٠٥) وغيرُه، وتقدَّمَ في تفسيرِ سُورةِ الأنبياءِ. وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي وَقْتِ تَسْبِيحِ يُونُسَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ بِهِ؛ فقالَ بعضُهم: كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ قَبْلَ الْبَلَاءِ، فَذَكَرَهُ اللهُ فِي حَالِ الْبَلَاءِ، فَأَنْقَذَهُ وَنَجَّاهُ، جاءَ ذلكَ عَنِ الضحَّاكِ وقَتادةَ وغيرِهما. قالَ قَتادةُ: «كَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ فِي الرَّخَاءِ، فَنَجَّاهُ اللهُ بِذَلِكَ؛ قَالَ: وَقَدْ كَانَ يُقَالُ فِي الْحِكْمَةِ: إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ إِذَا مَا عَثَرَ، فَإِذَا صُرِعَ وَجَدَ مُتَّكَأً»، وقِيلَ: إِنَّمَا أَحْدَثَ ذلك فِي بَطْنِ الْحُوتِ، جاءَ ذلكَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ والحَسَنِ. تفسيرُ الطبريِّ (١٩/ ٦٢٨-٦٣١).

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (له قبرًا)؛ بِتقديمِ له.

(٦) ولا دليلَ على شيءٍ مِنْ تِلكَ الأقوالِ.

(٧) المُمَعَّطُ: أي: المُتَساقِطُ الشَّعرِ والرِّيشِ.

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (وهو بِسِياقٍ)؛ جمعُ ساقٍ.

(٩) وهي أُنثى الوَعِلِ؛ ذَكَرُ الأروى، وهو الشَّاةُ الجَبليَّةُ. والأثرُ رواه القرطبيُّ (١٥/ ١٢٨)، والطبريُّ (١٩/ ٦٣٥) عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: «... هَيَّأَ اللهُ لَهُ أُرْوِيَّةً وَحْشِيَّةً، تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ- أَوْ هَشَاشِ الْأَرْضِ- فَتَفْشِجُ عَلَيْهِ، فَتَرْوِيهِ مِنْ لَبَنِهَا كُلَّ عَشِيَّةٍ وَبُكْرَةٍ حَتَّى نَبَتَ». والأُرْوِيَّةُ: الأُنثى مِنَ الوُعُولِ. وتَفْشِجُ: أي: تفرج ما بين رِجلَيها. ولفظُ الطبريِّ: «فَتَفْشَخُ عَلَيْهِ».

(١٠) أي: قبلَ التِقامِ الحُوتِ؛ أي: إنَّ هذا الإرسالَ كان أيضًا إلى من بُعِثَ إليهم قَبلُ. والأثرُ رواه الطبريُّ (١٢/ ٢٩٣) عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ قَوْمَ يُونُسَ كَانُوا بِنِينَوَى أَرْضِ الْمَوْصِلِ».

(١١) روى التِّرمِذيُّ (٣٢٢٩) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن قولِه تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قَالَ: «يَزِيدُونَ عِشْرِينَ أَلْفًا». وهو في الضعيفةِ (٦٩٠).

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾
فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ
نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا
لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ترتيبها ٣٨ — سُورَةُ ص — آياتها ٨٨

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هَذَا الحُكمَ الفَاسِدَ؟

[١٥٥] ﴿أفلا [تَذَكَّرونَ]﴾ - بِإدغَامِ التَّاءِ في الذَّالِ(١) - أنَّه سُبحَانَهُ وتَعَالَى(٢) مُنَزَّهٌ عَنِ الوَلَدِ؟

[١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾: حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ أَنَّ(٣) للهِ وَلَدًا؟

[١٥٧] ﴿فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ﴾ التَّوراةِ، فَأَرُوني ذلكَ فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قَولِكُم ذلكَ.

[١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أيِ: المُشرِكُونَ ﴿بَيْنَهُ﴾ -تَعَالَى- ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ أيِ: الملائِكَةِ؛ لِاجْتِنَانِهِمْ(٤) عَنِ الأَبصَارِ ﴿نَسَبًا﴾ بِقَولِهِم: إِنَّها بَنَاتُ الله. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قَائِلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ لِلنَّارِ(٥)، يُعَذَّبُونَ فيها.

[١٥٩] ﴿سُبْحَٰنَ اللَّهِ﴾: تَنزِيهًا له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بِأَنَّ للهِ وَلَدًا!

[١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ [الْمُخْلِصِينَ]﴾ أيِ: المُؤمِنِينَ- استِثنَاءٌ مُنقَطِعٌ- أي: لَكِنِ المؤمِنُونَ فَإِنَّهم [مُنَزِّهُونَ](٦) اللهَ -تَعَالَى- عَمَّا يَصِفُه هؤلَاءِ.

[١٦١] ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ مِنَ الأَصْنَامِ.

[١٦٢] ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: عَلى مَعبُودِكُم، و﴿عَلَيْهِ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِقَولِه: ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ أي: أحَدًا(٧).

[١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ في عِلمِ الله -تَعَالَى-.

[١٦٤] قالَ جِبرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَمَا مِنَّا﴾ - مَعشَرَ الملائِكَةِ- أَحَدٌ ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ في السَّماوَاتِ، يَعْبُدُ اللهَ فيه لَا يَتَجَاوَزُه(٨).

[١٦٥] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أَقدَامَنا في الصَّلَاةِ.

[١٦٦] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾: المُنَزِّهُونَ اللهَ عَمَّا لَا يَلِيقُ به.

[١٦٧] ﴿وَإِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ﴿كَانُوا﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿لَيَقُولُونَ﴾:

[١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾: كِتَابًا ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: مِنْ كُتُبِ الأُمَمِ المَاضِيَةِ.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ [الْمُخْلِصِينَ]﴾(٩) العِبَادَةَ له.

[١٧٠] قالَ تَعَالَى: ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾: بِالكِتَابِ الذي جَاءَهم؛ وهو القُرآنُ، الأَشرَفُ مِنْ تِلكَ الكُتُبِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةَ كُفرِهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بِالنَّصرِ ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾(١٠). أو هي قَولُه: [١٧٢] ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ أيِ: المُؤمِنِينَ ﴿لَهُمُ الْغَٰلِبُونَ﴾ الكُفَّارَ، بِالحُجَّةِ والنُّصرَةِ عليهم في الدُّنيا، وإِنْ لَمْ يَنتَصِرْ بَعضٌ منهم في الدُّنيا، فَفِي الآخِرَةِ.

[١٧٤] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أَعرِضْ عَنْ كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تُؤمَرُ فيه بِقِتَالِهم.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إِذَا نَزَلَ بِهِمُ العَذَابُ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عَاقِبَةَ كُفرِهم. فَقَالُوا استِهزَاءً: مَتَى نُزُولُ هذَا العَذَابِ؟! قال تَعَالَى، تَهدِيدًا لَهم: [١٧٦] ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾؟

[١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: بِفِنَائِهم. قالَ الفَرَّاءُ: «العَرَبُ تَكتَفِي بِذِكرِ السَّاحَةِ عَنِ القَومِ» ﴿فَسَاءَ﴾: بِئسَ صَبَاحًا ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾! فيه إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ المُضمَرِ.

[١٧٨] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. [١٧٩] ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كُرِّرَ تَأكِيدًا لِتَهدِيدِهم، وتَسلِيَةً له ﷺ.

[١٨٠] ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: الغَلَبَةِ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بِأَنَّ له وَلَدًا! [١٨١] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾: المُبَلِّغِينَ عَنِ اللهِ التَّوحِيدَ والشَّرَائِعَ.

[١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾ عَلى نَصرِهم وهَلَاكِ الكَافِرِينَ.

---

(١) لِنافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بِتَخفِيفِ الذَّالِ.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (تعالى).

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِأَنَّ).

(٤) أي: استِتَارِهم.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (النَّارَ).

(٦) في الأَصلِ: (يُنَزِّهُونَ)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٧) أي: بِمُضِلِّينَ أحدًا.

(٨) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (نَعْبُدُ اللهَ فيه لا نتجاوزُه).

(٩) في هذا الموضع والذي قبله -في الآيةِ (١٦٩)- بِكَسرِ اللامِ: قِرَاءَةُ: ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ بِفتحِ اللام.

(١٠) المجادلة: ٢١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ (١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ (٢)
كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ (٣) وَعَجِبُوٓاْ
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ (٤)
أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ (٥) وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ
مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ (٦)
مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ (٧) أَءُنزِلَ
عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ
(٨) أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ (٩) أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ (١٠) جُندٞ
مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ (١١) كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ
وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ
لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٖ (١٥) وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ (١٦)

سُورَةُ صٓ

مَكِّيَّةٌ، سِتٌّ، أو: ثَمانٍ وثَمانُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صٓ﴾ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ به ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ أي: البَيَانِ أوِ الشَّرَفِ. وجَوَابُ هَذَا القَسَمِ مَحْذُوفٌ؛ أي: مَا الأَمْرُ كَما قَالَ كُفَّارُ مَكَّةَ، مِنْ تَعدُّدِ الآلِهَةِ.

[٢] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِنْ أهلِ مَكَّةَ ﴿فِي عِزَّةٖ﴾: حَمِيَّةٍ وتَكَبُّرٍ عَنِ الإِيمَانِ ﴿وَشِقَاقٖ﴾: خِلَافٍ وعَدَاوَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

[٣] ﴿كَمۡ﴾ أي: كَثِيرًا ﴿أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ أي: أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ ﴿فَنَادَواْ﴾ حِينَ نُزُولِ العَذَابِ بهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾ أي: لَيسَ الحِينُ حِينَ فِرَارٍ! والتَّاءُ زَائِدَةٌ، والجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ «نَادَوْا»؛ أي: استَغَاثُوا، والحَالُ أنْ لَا مَهْرَبَ ولَا مَنْجَى. ومَا اعتَبَرَ بهم كُفَّارُ مَكَّةَ.

[٤] ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾: رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِهم، يُنذِرُهم ويُخَوِّفُهمُ النَّارَ[(١)] بَعْدَ البَعْثِ - وهو النَّبِيُّ ﷺ - ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ - فيه وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضْمَرِ -: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾.

[٥] ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ حيثُ قَالَ لَهم: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؟ أي: كَيفَ يَسَعُ الخَلْقَ كُلَّهم إِلَهٌ وَاحِدٌ؟! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ أي[(٢)]: عَجِيبٌ.

[٦] ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ مِنْ مَجْلِسِ اجتِماعِهم عِندَ أَبِي طَالِبٍ، وسَماعِهم فيه مِنَ النَّبِيِّ ﷺ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[(٣)] ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ أي: يَقُولُ بَعْضُهم لِبَعْضٍ: امْشُوا ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾: اثْبُتُوا عَلى عِبَادَتِها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المَذكُورَ مِنَ التَّوحِيدِ ﴿لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ مِنَّا.

[٧] ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: مِلَّةِ عِيسَى ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾: كَذِبٌ.

[٨] ﴿أَءُنزِلَ﴾ - بِتَحْقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَهما عَلى الوَجْهَينِ، وتَرْكِه[(٤)] - ﴿عَلَيۡهِ﴾: على مُحَمَّدٍ ﴿ٱلذِّكۡرُ﴾ أي: القُرآنُ ﴿مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ ولَيسَ بِأَكبَرِنا ولَا أَشْرَفِنا؟ أي: لَمْ يَنْزِلْ عليه. قالَ تَعَالَى: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾: وَحْيِي؛ أي: القُرآنِ؛ حَيثُ كَذَّبُوا الجَائِيَ به ﴿بَل لَّمَّا﴾: لَمْ[(٥)] ﴿يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ ولَو ذَاقُوهُ لَصَدَّقُوا النَّبِيَّ ﷺ فِيما جَاءَ به. ولَا يَنفَعُهم التَّصدِيقُ حِينَئذٍ. [٩] ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ﴾: الغَالِبِ ﴿ٱلۡوَهَّابِ﴾ مِنَ النُّبُوَّةِ وغَيرِها، فَيُعْطُونَها مَنْ شَاءُوا؟! [١٠] ﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾؟ إنْ زَعَمُوا ذلك ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾ المُوَصِّلَةِ إلى السَّماءِ، فيَأتُوا بِالوَحْيِ، فيَخُصُّوا به مَنْ شَاءُوا؟! و﴿أَمۡ﴾ في المَوضِعَينِ بِمَعنَى هَمْزَةِ الإِنكَارِ.

[١١] ﴿جُندٞ مَّا﴾ أي: هُمْ جُنْدٌ حَقِيرٌ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في تَكْذِيبِهم لكَ ﴿مَهۡزُومٞ﴾: صِفَةُ ﴿جُندٞ﴾ ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: صِفَةُ ﴿جُندٞ﴾ أيضًا؛ أي: كَالأَجْنَادِ مِنْ جِنْسِ الأَحْزَابِ المُتَحَزِّبِينَ عَلى الأَنبِيَاءِ قَبلَكَ - وأُولَئِكَ قَدْ قُهِرُوا وأُهلِكُوا. فكَذَا يَهلِكُ هَؤُلَاءِ -. [١٢] ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ - تَأْنِيثُ ﴿قَوۡمُ﴾ بِاعتِبَارِ المَعنَى - ﴿وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ - كانَ يَتِدُ لِكُلِّ مَنْ يَغضَبُ عليه أَربَعَةَ أَوتَادٍ، يَشُدُّ إِليها يَدَيهِ ورِجْلَيهِ، ويُعَذِّبُهُ[(٦)] -. [١٣] ﴿وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ﴾ أي: الغَيضَةِ[(٧)]. وهُم قَومُ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾.

[١٤] ﴿إِن﴾: مَا ﴿كُلٌّ﴾ مِنَ الأَحزَابِ ﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ لِأَنَّهم إِذَا كَذَّبُوا وَاحِدًا منهم فَقَدْ كَذَّبُوا جَمِيعَهم؛ لِأَنَّ دَعوَتَهم وَاحِدَةٌ، وهي دَعوَةُ التَّوحِيدِ ﴿فَحَقَّ﴾: وَجَبَ ﴿عِقَابِ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾: يَنتَظِرُ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ وهي نَفْخَةُ القِيَامَةِ، تَحُلُّ بِهِمُ العَذَابَ ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ - بِفَتْحِ الفَاءِ وضَمِّها[(٨)] -: رُجُوعٍ.

[١٦] ﴿وَقَالُواْ﴾ لَمَّا نَزَلَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[(٩)] إلخ: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: كِتَابَ أَعمَالِنا ﴿قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ قَالُوا ذَلِكَ استِهزَاءً.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِهم، يَدْعُوهُم إلى اللهِ، ويُخَوِّفُهم بِالنَّارِ)، وفي نُسخَةِ حَاشِيَةِ الجَمَلِ: (رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِهم، يُنذِرُهم ويُخَوِّفُهم بِالنَّارِ).

(٢) كلمةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٣) يُشِيرُ إلى ما أَخرَجَه التِّرمِذِيُّ (٣٢٣٢) مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ - وقَالَ: هذا حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ - أَنَّ قُرَيشًا شَكَوا النَّبِيَّ ﷺ إلى أَبِي طَالِبٍ، فقَالَ: «يَا ابنَ أَخِي، مَا تُرِيدُ مِنْ قَومِكَ؟» قال: «إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيهِمُ العَجَمُ الجِزْيَةَ». قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قال: «كَلِمَةً وَاحِدَةً». قال: «يَا عَمِّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا؟! مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ، إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ. قال: فنَزَلَ فِيهِمُ القُرآنُ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ إلى قَولِه: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾. والحديثُ ضَعَّفَه الأَلبَانِيُّ في ضعيف سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٦٣٦). وأَخرَجَه الحَاكِمُ في مُستَدرَكِه (٢/ ٤٣٢)، وصَحَّحَ إسنادَه، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ. وأَخرَجَ الحاكِمُ القِصَّةَ مُختَصَرَةً عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ (٢/ ٤٣٢)، وصَحَّحه على شرطِ مُسلم ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ، وحَسَّنه صاحب الاستيعاب (٣/ ١٦٤).

(٤) قَرَأَ بِالتَّسهِيلِ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو. وفَصَلَ بينَهما بِأَلِفٍ قَالونُ، وكذا أبو عمرٍو وهشامٌ بِخِلَافٍ عنهما، وكَذَلكَ في مَوضِعِ سُورَةِ القَمَرِ: ﴿أَءُلۡقِيَ﴾، وفي مَوضِعِ آلِ عِمرَانَ ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾، ولِهِشَامٍ في (ص) والقَمَرِ وَجْهٌ ثَالِثٌ هو التَّسهِيلُ مَعَ الإِدخَالِ.

(٥) كَلِمَةُ: (لم) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٦) رَوَى الطَّبَرِيُّ (٢٤/ ٣٧١) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «كَانَ يُوتِدُ النَّاسَ بِالأَوْتَادِ». وروى أبو يَعلَى (٦٤٣١) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، أَنَّ فِرْعَونَ، أَوْتَدَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي يَدَيهَا ورِجْلَيهَا. قال الحافظُ في المطالب العَالية (١٥/ ٣٦٨): صَحِيحٌ مَوقُوفٌ. وقال حسين سليم أسد: إِسنادُه صحيحٌ. وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في الصحيحة (٢٥٠٨).

(٧) وهي الأَشجارُ المُلتَفَّةُ المُجتَمِعَةُ. (٨) بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ. (٩) الحَاقَّة: ١٩.

اَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا
سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
ربع الحزب ٤٦ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
سجدة مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩
﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾
يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] قالَ تَعالَى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القُوَّةِ في العِبادَةِ؛ كانَ يَصُومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا، ويَقُومُ نِصفَ الليلِ ويَنامُ ثُلُثَه ويَقُومُ سُدُسَه[1] ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ إلى مَرْضاةِ الله.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بِتَسْبِيحِه ﴿بِالْعَشِيِّ﴾: وَقتِ صَلَاةِ العِشَاءِ ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾: وَقتِ صَلَاةِ الضُّحَى - وهُو أن تُشرِقَ الشَّمْسُ ويَتَناهَى ضَوْؤُها-.

[١٩] ﴿وَ﴾ سَخَّرنَا ﴿الطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: مَجْمُوعَةً إليه تُسَبِّحُ مَعَه ﴿كُلٌّ﴾ مِنَ الجِبالِ والطَّيرِ ﴿لَهُ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ إلى طَاعَتِه بالتَّسْبِيحِ.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: قَوَّيناه بِالحَرَسِ والجُنُودِ. وكانَ يَحرُسُ مِحرَابَه في كُلِّ لَيلَةٍ ثَلاثُونَ ألفَ رَجُلٍ[2] ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾: النُّبُوَّةَ والإِصَابَةَ في الأُمُورِ ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾: البَيانَ الشَّافي في كُلِّ قَصْدٍ.

[٢١] ﴿۞ وَهَلْ﴾ - مَعنَى الاستِفْهامِ هُنا التَّعْجِيبُ والتَّشوِيقُ إلى استِماعِ ما بَعدَه- ﴿أَتَاكَ﴾ -يا مُحَمَّدُ- ﴿نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾: مِحرَابَ دَاوُدَ؛ أي: مَسْجِدَه؛ حَيثُ مُنِعُوا الدُّخُولَ عليه مِنَ البَابِ؛ لِشُغْلِه بِالعِبادَةِ؛ أي: خَبَرُهم وقِصَّتُهم؟

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ نحنُ ﴿خَصْمَانِ﴾ - قِيلَ: فَرِيقَانِ لِيُطابِقَ ما قَبلَه مِنْ ضَمِيرِ الجَمْعِ، وقِيلَ: اثنَانِ، والضَّمِيرُ بِمَعنَاهما، والخَصْمُ يُطلَقُ على الوَاحِدِ وأكثَرَ، وهُما مَلَكَانِ جَاءَا في صُورَةِ خَصْمَينِ، وَقعَ لهما مَا ذُكِرَ على سبيلِ الفَرْضِ؛ لِتَنبِيه دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ على مَا وَقَعَ منه، وكَانَ له تِسْعٌ وتِسعُونَ امرَأةً وطَلَبَ امرَأةَ شَخْصٍ لَيسَ له غَيرُها وتَزَوَّجَها ودَخَلَ بها[3]- ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: تَجُرْ ﴿وَاهْدِنَا﴾: أَرْشِدْنا ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: وَسَطِ الطَّرِيقِ الصَّوابِ.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي﴾ أي: عَلى دِينِي ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ يُعَبَّرُ بها عَنِ المَرْأةِ ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: اجْعَلْنِي كَافِلَها ﴿وَعَزَّنِي﴾: غَلَبَنِي ﴿فِي الْخِطَابِ﴾ أي: الجِدالِ. وأَقَرَّهُ الآخَرُ عَلى ذَلِكَ.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ لِيَضُمَّها ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾: الشُّرَكَاءِ ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ ﴿مَا﴾: لِتَأكِيدِ القِلَّةِ، فقالَ المَلَكَانِ صَاعِدَينِ في صُورَتَيْهما إلى السَّماءِ: قَضَى الرَّجُلُ على نَفْسِه. فتَنبَّه دَاوُدُ، قالَ تَعالَى: ﴿وَظَنَّ﴾ أي: أَيقَنَ ﴿دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾: أوقَعناهُ في فِتنَةٍ؛ أي: بَلِيَّةٍ، بِمَحَبَّتِه تِلكَ المَرأةَ[4] ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: سَاجِدًا ﴿وَأَنَابَ ۩﴾.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: زِيادَةَ خَيرٍ في الدُّنيا ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: مَرجِعٍ[5] في الآخِرَةِ.

[٢٦] ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تُدَبِّرُ أَمْرَ النَّاسِ ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: هَوَى النَّفْسِ ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عَنِ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ على تَوحِيدِه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عَنِ الإِيمَانِ بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا﴾: بِنِسيانِهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المُرَتَّبُ[6] عليه تَرْكُهُمُ الإِيمَانَ. ولو أَيقَنُوا بِيَومِ الحِسابِ لآمَنُوا في الدُّنيا.

---

(١) هَكَذا وَقَعَ في كَثِيرٍ مِنَ النُّسَخِ، وهو يُوَافِقُ تَعبِيرَ القُرطُبِيِّ والبَيضاوِيِّ وأبي السُّعودِ، وجَاءَ في بَعضِ النُّسَخِ: (ويَنَامُ نِصفَ الليلِ ويَقُومُ ثُلُثَه ويَنَامُ سُدُسَه)، وهَذا هو المُوافِقُ لِروايَةِ الحَدِيثِ في دَوَاوِينِ السُّنَّةِ؛ البُخارِيِّ (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) جَاءَ في تَفسِيرِ مُقاتِلٍ (٣/ ٦٣٩): «كانَ يَحرُسُه كُلَّ لَيلَةٍ ثَلاثَةٌ وثَلاثُونَ ألفًا مِن بَني إِسرائيل». وقال البَغَوِيُّ (٧/ ٧٦): قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «كَانَ أَشَدَّ مُلُوكِ الأَرضِ سُلطَانًا، كَانَ يَحرُسُ مِحرَابَهُ كُلَّ لَيلَةٍ سِتَّةٌ وَثَلاثُونَ أَلفَ رَجُلٍ».

(٣) رواه الطبريُّ (٢٠/ ٧٤) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، مَرفُوعًا. وضَعَّفَه السُّيوطِيُّ في الدُّرِّ المنثُورِ (٧/ ١٥٦). قَالَ ابنُ كثيرٍ (٧/ ٦٠): «قَدْ ذَكَرَ المُفَسِّرُونَ هَاهُنَا قِصَّةً أَكثَرُهَا مَأخُوذٌ مِنَ الإِسرَائِيلِيَّاتِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِيهَا عَنِ المَعصُومِ حَدِيثٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ... فَالأَولَى أَنْ يُقتَصَرَ عَلَى مُجَرَّدِ تِلَاوَةِ هَذِهِ القِصَّةِ، وَأَنْ يُرَدَّ عِلمُهَا إِلَى الله عَزَّوَجَلَّ؛ فَإِنَّ القُرآنَ حَقٌّ وَمَا تَضَمَّنَ فَهُوَ حَقٌّ أَيضًا». وحَاشَا لله أَنْ يُنسَبَ لِنَبِيٍّ كَرِيمٍ مِنْ أنبِياءِ الله عَزَّوَجَلَّ الذين اصطَفَاهم مِثْلُ هذا الإِفْكِ البَيِّنِ، وغَفَرَ الله لِلمُفَسِّرِ إِذْ نَقَلَ هذا، وهو مِنَ الإِسرَائِيلِيَّاتِ المُفتَرَاةِ على صَفوَةِ خَلْقِ الله عَزَّوَجَلَّ. وهَذانِ الخَصمَانِ هما مِن بَني آدَمَ حَقِيقَةً، على القَولِ الصَّحِيحِ لا مِنَ المَلائِكَةِ، كما أَنَّ النَّعْجَةَ لَيسَ المُرادُ بها المرأةَ على الصَّحِيحِ، بَلِ المُرادُ هنا أُنثَى الضَّأنِ، والآيَاتُ على ظَاهِرِها لِوُجُوهٍ عَدِيدَةٍ لا يَتَّسِعُ المَقَامُ لِبَسطِها، والمُرَادُ منها تَنبِيهُ دَاودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ومَنْ بَعدَه مِنَ المُلُوكِ عَلى عَظِيمِ فِتنَةِ المُلْكِ والغِنَى وبَسْطِ الدُّنيا.

(٤) يُنظَرُ التَّعلِيقُ السَّابِقُ.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: مَرجِع).

(٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (المُترَتِّب).

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ
(٢٨) كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟
ٱلْأَلْبَٰبِ (٢٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ
(٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ
حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ
فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ
وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ
لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٣٥)
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ (٣٨) هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ (٤٠) وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ أي: عبثًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: خلقُ ما ذُكِر لا لِشيءٍ ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ أهلِ مكَّةَ ﴿فَوَيْلٌ﴾: وادٍ ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. [٢٨] ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾؟ نَزَلَ لَمَّا قالَ كُفَّارُ مَكَّةَ لِلمُؤمِنِينَ: إنَّا نُعطَى في الآخِرَةِ مِثلَ ما تُعطَونَ[1]. و﴿أَمْ﴾ بِمَعنَى هَمزَةِ الإنكارِ.

[٢٩] ﴿كِتَٰبٌ﴾: خَبَرُ مُبتَدإٍ محذُوفٍ؛ أي: هذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾ - أصْلُه: «يَتَدَبَّروا»؛ أُدغِمَتِ التَّاءُ في الدَّالِ- ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: يَنظُروا في مَعانِيها، فيُؤمِنُوا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾: يَتَّعِظَ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أَصحابُ العُقُولِ. [٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ ابنَه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أي: سُلَيمانُ! ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ في التَّسبِيحِ والذِّكرِ في جَميعِ الأَوقَاتِ. [٣١] ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ هو ما بَعْدَ الزَّوالِ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: الخَيلُ، جَمْعُ صافِنَةٍ- وهي: القَائِمَةُ على ثَلاثٍ وإِقَامَةُ[2] الأُخرَى على طَرَفِ الحافِرِ. وهو مِنْ: صَفَنَ يَصْفِنُ صُفُونًا- ﴿ٱلْجِيَادُ﴾: جَمعُ جَوادٍ، وهو السَّابِقُ. المعنَى: أنَّها إذَا استُوقِفَت سَكَنَت، وإنْ رُكِضَتْ سَبَقَتْ. وكَانتْ أَلْفَ فَرَسٍ[3]، عُرِضَتْ عليه بَعدَ أنْ صَلَّى الظُّهرَ؛ لِإرادَتِه الجِهادَ عليها العَدُوَّ. فعِندَ بُلُوغِ العَرْضِ منها تِسعَمِائَةٍ غَرَبَتِ الشَّمسُ، ولَمْ يَكُنْ صَلَّى العَصْرَ، فاغْتَمَّ. [٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ﴾ أي: أَرَدتُ ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الخَيلِ ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ أي: صَلاةِ العَصرِ[4] ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي: الشَّمسُ ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ أي: استَتَرَتْ بِما يَحْجُبُها عَنِ الأبصارِ. [٣٣] ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ أي: الخَيلَ المَعرُوضَةَ. فَرَدُّوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ بِالسَّيفِ ﴿بِٱلسُّوقِ﴾: جَمْعُ سَاقٍ ﴿وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي: ذَبَحَها وقَطَعَ أَرْجُلَها؛ تَقَرُّبًا إلى الله -تَعالَى- حيثُ اشْتَغَلَ بها عَنِ الصَّلاةِ، وتَصَدَّقَ بِلَحمِها. فعَوَّضَه الله خَيرًا منها وأَسرَعَ، وهي الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِه كَيفَ شاءَ. [٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾: ابتَلَيناه بِسَلْبِ مُلْكِه- وذلك لِتَزَوُّجِه بِامرَأَةٍ هَوَاهَا[5]، وكَانَت تَعبُدُ الصَّنَمَ في دَارِه مِنْ غَيرِ عِلْمِه، وكَانَ مُلْكُه في خاتَمِه، فنَزَعَه مَرَّةً عِندَ إِرادَةِ الخَلاءِ، ووَضَعَه عِندَ امرَأتِه المُسَمَّاةِ بِالأَمِينَةِ، على عادَتِه، فَجاءَها جِنِّيٌّ في صُورَةِ سُلَيمانَ فأَخَذَه منها- ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ هو ذَلكَ الجِنِّيُّ، وهو صَخْرٌ أو غَيرُه، جَلَسَ على كُرسِيِّ سُلَيمانَ، وعَكَفَتْ عليه الطَّيرُ وغَيرُها، فخَرَجَ سُلَيمانُ في غَيرِ هَيئَتِه، فرَآه على كُرسِيِّه، وقَالَ لِلنَّاسِ: أَنَا سُلَيمانَ، فأَنكَرُوه ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: رَجَعَ سُلَيمانُ إلى مُلكِه بعدَ أيَّامٍ، بِأَنْ وَصَلَ إلى الخاتَمِ، فلَبِسَه وجَلَسَ على كُرسِيِّه[6]. [٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى﴾: لا يَكُونُ ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[*] أي: سِوَايَ؛ نَحوَ: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾[7]؛ أي: سِوَى الله؟ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

[٣٦] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾: لَيِّنَةً ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أَرادَ. [٣٧] ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ يَبنِي الأَبنِيَةَ العَجِيبَةَ ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ في البَحرِ، يَستَخرِجُ اللُّؤلُؤَ.

[٣٨] ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مَشْدُودِينَ ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾: القُيُودِ، بِجَمْعِ[8] أيدِيهم إلى أَعناقِهم. [٣٩] وقُلنَا له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾ أَعْطِ مِنه مَنْ شِئتَ ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عَنِ الإعطاءِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا حِسَابَ عليكَ في ذلكَ. [٤٠] ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ تَقَدَّمَ مِثلُه. [٤١] ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ أي: بِأَنِّي ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾: ضُرٍّ[9] ﴿وَعَذَابٍ﴾: أَلَمٍ. ونَسَبَ ذلك إلى الشَّيطانِ، وإنْ كَانَت الأَشياءُ كُلُّها مِنَ الله؛ تَأَدُّبًا معه -تَعالَى-. [٤٢] وقِيلَ له: ﴿ٱرْكُضْ﴾: اضرِبْ ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأَرضَ، فضَرَبَ فنَبَعَتْ عَينُ ماءٍ، فقِيلَ: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾: ماءٌ تَغتَسِلُ به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ تَشرَبُ منه، فاغتَسَلَ وشَرِبَ، فذَهَبَ عنه كُلُّ داءٍ كانَ بِباطِنِه وظاهِرِه[10].

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ أبي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إنَّ عِفرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البارِحَةَ -أو كَلِمَةً نَحوَها- لِيَقطَعَ عَلَيَّ الصَّلاةَ، فأَمكَنَنِي الله مِنهُ، فأَرَدتُ أَنْ أَربِطَهُ إلى سارِيَةٍ مِنْ سَوارِي المَسجِدِ حَتَّى تُصبِحُوا وتَنظُرُوا إلَيهِ كُلُّكُم، فذَكَرتُ قَولَ أَخِي سُلَيمانَ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فرَدَدتُه خاسِئًا». البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سُورة ص (٣٨) باب (٢) ﴿هَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ...﴾.

---

(١) لَمْ نَقِفْ عليه مُسنَدًا، وعَزاه الواحِدِيُّ في التفسير الوسيط (٣/ ٥٥٠) لمقاتلٍ؛ قال: «قالَ كُفَّارُ قُرَيشٍ لِلمُؤمِنِينَ: إنَّا نُعطَى في الآخِرَةِ مِنَ الخَيرِ ما تُعطَونَ؛ فأَنزَلَ اللهُ تعالى:...»، وذَكَرَ الآيَةَ.
(٢) في نُسخَةِ قَباوَة: (وأَقامَتِ).
(٣) لَمْ نَقِفْ على دَلِيلٍ لهذا العَدَدِ مُسنَدًا. وفي تفسيرِ مُقاتِلٍ (٣/ ٦٤٤): «ثُمَّ جلَس على كُرسِيِّه لِتُعرَضَ عليه الخَيلُ، وعلى أَلفِ فَرَسٍ، كان وَرِثَها مِنْ أَبيه داوُدَ -عليهما السَّلامُ-».
(٤) رَوَى ابنُ أبي حاتِمٍ (١٧٨٧٧) عَنِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قالَ: «إنَّ سُلَيمانَ عَلَيهِ السَّلامُ لَمَّا شَغَلَتْهُ الخَيلُ، فاتَتْهُ صَلاةُ العَصرِ، غَضِبَ لله فعَقَرَ الخَيلَ، فأَبدَلَهُ الله مَكانَها خَيرًا مِنها وأَسرَعَ: الرِّيحَ ...».
(٥) هذا كَلامٌ باطِلٌ لا أَساسَ لَه مِنَ الصِّحَّةِ، وهو مِنَ الإسرائيلِيَّاتِ التي ثَبَتَ كَذِبُها بِمُخالَفَتِها ما يَلِيقُ بِمَقامِ النُّبُوَّةِ. قالَ القاضِي عِياضٌ في الشِّفا (٢/ ٣٨١): «ولَا يَصِحُّ ما نَقَلَهُ الأَخبارِيُّونَ مِنْ تَشَبُّهِ الشَّيطانِ بِه، وتَسَلُّطِهِ عَلَى مُلكِهِ، وتَصَرُّفِهِ في أُمَّتِهِ بِالجَوْرِ في حُكمِهِ؛ لِأَنَّ الشَّياطِينَ لا يُسَلَّطُونَ عَلَى مِثلِ هَذا، وَقَدْ عُصِمَ الأَنبِياءُ مِنْ مِثلِهِ». والصَّحِيحُ الذي عليه المُحَقِّقُون، وتَشهَدُ له النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ أَنَّ الفِتنَةَ هي وَلَدُه المَيِّتُ، وأنَّه الجَسَدُ الذي أُلقِيَ على كُرسِيِّه. كما عِندَ البُخارِيِّ (١٧٨٧٧) وغيرِه؛ عَنْ أبي هُرَيرَةَ، مَرفُوعًا: «قالَ سُلَيمانُ بنُ داوُدَ عَلَيهِما السَّلامُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيلَةَ عَلَى مِائَةِ امرَأَةٍ، أو تِسعٍ وتِسعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأتِي بِفارِسٍ يُجاهِدُ في سَبِيلِ الله، فَقالَ لَهُ صاحِبُهُ: إنْ شاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إنْ شاءَ اللهُ، فَلَمْ يَحمِلْ مِنهُنَّ إلَّا امرَأَةٌ واحِدَةٌ، جاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ...».
(٦) كُلُّ هذا مِنَ الإسرائيلِيَّاتِ التي ثَبَتَ كَذِبُها ومُخالَفَتُها لِلنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ، وإنَّما مَعنَى: ﴿أَنَابَ﴾ في الآيَةِ: أي: رَجَعَ إلى الله تعالى واستَغفَرَهُ، يُفَسِّرُه قولُه تَعالى بعدَ ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ...﴾.
(٧) الجاثية: ٢٣. (٨) في نُسخَةِ قَباوَة: (تَجمَعُ). (٩) في نُسخَةِ قَباوَة: (بِضُرٍّ). (١٠) في نُسخَةِ قَباوَة: (بِظاهِرِه وباطِنِه).

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ
ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى
ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾
وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ
وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ
فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا
لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ
﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ
وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ
مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟
بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

نصف الحزب ٤٦

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي: أحيا اللهُ له مَنْ مَاتَ مِنْ أولَادِه، ورزَقَه مِثلَهم ﴿رَحْمَةً﴾: نِعْمَةً(١) ﴿مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾: عِظَةً ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: لِأَصْحَابِ العُقُولِ.

[٤٤] ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو حِزْمَةٌ مِنْ حَشِيشٍ، أو قُضْبَانٍ ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ زَوجَتَكَ -وكَانَ قَدْ حَلَفَ لَيَضْرِبَنَّها مِائَةَ ضَرْبَةٍ لِإِبْطَائِها عليه يومًا- ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بِتَرْكِ ضَرْبِها. فأَخَذَ مِائَةَ عُودٍ مِنَ الإِذْخِرِ، أو غيرِه، فضَرَبَها به ضَرْبَةً واحِدَةً ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيُّوبُ! ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رَجَّاعٌ إلى اللهِ -تعالَى-.

[٤٥] ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾: أَصْحَابَ القُوَى في العِبَادَةِ ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾: البَصَائِرِ في الدِّينِ -وفي قِرَاءَةٍ(٢): ﴿عَبْدَنَآ﴾، و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: بَيَانٌ له، وما بَعدَه عَطْفٌ على: ﴿عَبْدَنَا﴾-.

[٤٦] ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ هِيَ ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ الآخِرَةِ؛ أي: ذِكْرُها والعَمَلُ لها. وفي قِرَاءَةٍ بالإِضَافَةِ(٣)، وهِيَ لِلبَيَانِ.

[٤٧] ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: المُخْتَارِينَ ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾: جَمْعُ «خَيِّرٍ» بِالتَّشْدِيدِ.

[٤٨] ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ هو نَبِيٌّ، واللامُ: زَائِدَةٌ ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ اُخْتُلِفَ في نُبُوَّتِه، قِيلَ: كَفَلَ مِائَةَ نَبِيٍّ، فَرُّوا إليه مِنَ القَتْلِ(٤) ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كُلُّهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾: جَمْعُ خَيِّرٍ بِالتَّثْقِيلِ(٥).

[٤٩] ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ لَهم بِالثَّنَاءِ الجَمِيلِ هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشَّامِلِينَ لهم ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مَرجِعٍ في الآخِرَةِ.

[٥٠] ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: بَدَلٌ، أو عَطْفُ بَيَانٍ لِـ«حُسْنَ مَـَٔابٍ» ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ منها.

[٥١] ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ عَلَى الأَرَائِكِ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾.

[٥٢] ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: حَابِسَاتُ العَيْنِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ ﴿أَتْرَابٌ﴾: أَسْنَانُهُنَّ وَاحِدَةٌ؛ وهُنَّ: بَنَاتُ ثَلَاثٍ وثَلَاثِينَ سَنَةً، جَمْعُ تِرْبٍ.

[٥٣] ﴿هَٰذَا﴾ المَذْكُورُ ﴿مَا [يُوعَدُونَ]﴾ -بِالغَيْبَةِ(٦)، وبِالخِطَابِ التِفَاتًا- ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: لِأَجْلِه.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: انقِطَاعٍ. والجُملَةُ: حَالٌ مِنْ «رِزْقُنَا»، أو خَبَرٌ ثَانٍ لِـ﴿إِنَّ﴾؛ أي: دَائِمًا أو دَائِمٌ.

[٥٥] ﴿هَٰذَا﴾ المَذْكُورُ لِلمُؤْمِنِينَ، ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾: مُسْتَأْنَفٌ ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: يَدْخُلُونَها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفِرَاشُ!

[٥٧] ﴿هَٰذَا﴾ أي: العَذَابُ المَفْهُومُ مِمَّا بَعدَه ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: مَاءٌ حَارٌّ مُحْرِقٌ ﴿[وَغَسَاقٌ]﴾ -بِالتَّخْفِيفِ(٧) والتَّشْدِيدِ-: ما يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ.

[٥٨] ﴿[وَأُخَرُ]﴾ -بِالجَمْعِ(٨)، والإِفْرَادِ- ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي: مِثْلِ المَذْكُورِ مِنَ الحَمِيمِ والغَسَّاقِ ﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أَصْنَافٌ؛ أي: عَذَابُهم مِنْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ. ويُقَالُ لَهم عِندَ دُخُولِهم النَّارَ بِأَتْبَاعِهم:

[٥٩] ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾: جَمْعٌ ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾: دَاخِلٌ ﴿مَّعَكُمْ﴾ النَّارَ بِشِدَّةٍ. فيَقُولُ المَتْبُوعُونَ(٩): ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي: لَا سَعَةَ عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾.

[٦٠] ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الأَتْبَاعُ: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي: الكُفْرَ ﴿لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ لنا ولَكُمُ، النَّارُ!

[٦١] ﴿قَالُوا۟﴾ أيضًا: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مِثْلَ عَذَابِه على كُفْرِه ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾.

---

(١) النِّعمَةُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ولَيسَتْ هي ذَاتَها، وهذه الصِّفَةُ نُثبِتُها للهِ عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ بِه، كَما سبَقَ بيانُ ذلك مِرارًا.

(٢) ﴿عَبْدَنَا﴾؛ بِالإِفرَادِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ.

(٣) أي: ﴿بِخَالِصَة﴾؛ بِالإِضَافَةِ؛ بِدُونِ تَنوِينٍ: وهِيَ قِرَاءَةُ نَافعٍ وهِشَامٍ.

(٤) والصَّحِيحُ أَنَّه نَبِيٌّ، وأَمَّا سَبَبُ التَّسمِيَةِ التي ذَكَرَها المُصَنِّفُ فلا دَلِيلَ عليها، وقِيلَ غَيرُ ذلك. وانظرِ التعليقَ على الآيَةِ رقم (٨٥) مِن سُورةِ الأنبياءِ.

(٥) جُملَةُ: (جَمعُ خَيِّرٍ بِالتثقيلِ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٦) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ، وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تُوعَدُون﴾؛ بِالتَّاءِ.

(٧) بالتَّخفِيفِ: قِرَاءَةُ نَافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وغَسَّاق﴾؛ بِالتَّشدِيدِ.

(٨) وهي قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَءَاخَر﴾؛ بِالإِفرَادِ.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (المتبَعُون).

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ
﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

[٦٢] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ، وهُم في النَّارِ: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدُّنيا ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾؟

[٦٣] ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ [سُخْرِيًّا]﴾ بِضَمِّ السِّينِ، وكَسرِها(١): كُنَّا نَسْخَرُ بهم في الدُّنيا- والياءُ لِلنَّسَبِ(٢)- أي: أَمَفْقُودُونَ هُم؟ ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مَالَتْ ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فَلَمْ نَرَهُم؟ وهُم فُقَرَاءُ المُسلِمِينَ؛ كَعَمَّارٍ وبِلَالٍ وصُهَيبٍ وسَلمَانَ.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾: وَاجِبٌ وُقُوعُه، وهُو(٣): ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ كَمَا تَقدَّمَ.

[٦٥] ﴿قُلْ﴾ - يا مُحَمَّدُ- لِكُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾: مُخَوِّفٌ بِالنَّارِ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ لِخَلْقِه.

[٦٦] ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ على أَمْرِه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لِأَولِيَائِه.

[٦٧] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾. [٦٨] ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي: القُرآنُ الذي أَنبأتُكم به، وجِئتُكُم فيه بِمَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِوحَيٍ. وهُو قَولُه:

[٦٩] ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ أي: المَلَائِكَةِ ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شَأْنِ آدَمَ، حِينَ قَالَ الله تَعالَى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٤) إِلخ.

[٧٠] ﴿إِن﴾: ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠﴾ أي: أَنِّي ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإِنذَارِ.

[٧١] اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ هو آدَمُ.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: أَتْمَمْتُه ﴿وَنَفَخْتُ﴾: أَجْرَيتُ ﴿فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ فَصَارَ حَيًّا- وإِضَافَةُ الرُّوحِ إِليه تَشرِيفٌ لِآدَمَ. والرُّوحُ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَحيَا به الإِنسَانُ بِنُفُوذِه فيه(٥)- ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ سُجُودَ تَحِيَّةٍ بِالانحِنَاءِ(٦).

[٧٣] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ - فيه تَأْكِيدَانِ-.

[٧٤] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هُو أَبُو الجِنِّ(٧)، كَانَ بَينَ المَلَائِكَةِ ﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في عِلْمِ الله تَعالَى.

[٧٥] ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ أي: تَوَلَّيتُ خَلْقَه(٨)؟ وهَذا تَشْرِيفٌ لآدَمَ- فَإِنَّ كُلَّ مَخلُوقٍ تَوَلَّى اللهُ خَلْقَه- ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الآنَ عَنِ السُّجُودِ؟ استِفهَامُ تَوبِيخٍ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾: المُتكَبِّرِينَ، فتكَبَّرتَ عَنِ السُّجُودِ لِكَونِك منهم؟

[٧٦] ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: مِنَ الجَنَّةِ، وقِيلَ: مِنَ السَّمَاوَاتِ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مَطرُودٌ.

[٧٨] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الجَزَاءِ.

[٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: النَّاسُ.

[٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: وَقْتِ النَّفْخَةِ الأُولَى.

[٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ [ٱلْمُخْلِصِينَ](٩)﴾ أي: المُؤمِنِينَ.

---

(١) بالضَّمِّ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ ونَافع، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿سِخْرِيًّا﴾؛ بِالكَسرِ.

(٢) قالَ الطاهِرُ بنُ عَاشورٍ في التَّحرِيرِ والتَّنوِيرِ (١٨/ ١٢٩): «فلَمَّا قُصِدَ منه المُبَالَغَةُ في حُصُولِ المَصدَرِ أُدخِلَتْ يَاءُ النِّسبَةِ، كَمَا يُقَالُ: الخُصُوصِيَّةُ لِمَصدَرِ الخُصُوصِ».

(٣) كَلِمةُ: (وهو) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) البقرة: ٣٠.

(٥) الأَولَى الإِمسَاكُ عَنْ تَفسِيرِ الرُّوحِ، كَمَا سبَقَ في سورَةِ الإِسراءِ الآية (٨٥).

(٦) رَاجِعِ التعليقَ على الآية رقم (٣٤) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٧) رَاجِعِ التعليقَ على الآية رقم (٣٤) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٨) وهذا الذي ذَهَبَ إليه المُفَسِّرُ، هو تَعطِيلٌ لِصِفَةِ اليَدَينِ، التي أَثبَتَهَا الله عَزَّوَجَلَّ لِنَفسِه، وهو عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللفظِ، وخِلَافٌ لِمَا فَهِمَه السَّلَفُ، والمُفَسِّرُ يَرُدُّ على نفسِه؛ حَيثُ قَالَ بَعدَها: وهذا تَشرِيفٌ لآدم؛ فإنَّ كُلَّ مَخلُوقٍ تَوَلَّى الله خَلقَه - فما وَجْهُ اختِصَاصِه بذلك إِذَن؟! وفي الصَّحِيحَينِ؛ البُخَارِيِّ (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) عَنْ أَنسٍ، مَرفُوعًا: «يَجتَمِعُ المُؤمِنُونَ يَومَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَو اسْتَشْفَعنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيأتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا...».

(٩) بِكَسرِ اللامِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾؛ بِفَتحِ اللامِ.

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۢ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ — ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ
مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ
بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ
كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ
مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى
ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

[٨٤] ﴿قَالَ [فَٱلۡحَقُّ] وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾ - بِنَصْبِهما، وَرَفعِ الأَوَّلِ ونَصْبِ الثَّاني(١)؛ فنَصْبُه بالفِعْلِ بَعدَه(٢)، ونَصْبُ الأَوَّلِ؛ قِيلَ: بِالفِعْلِ المذكُورِ، وقِيلَ: عَلى المصدَرِ؛ أي: أَحُقُّ الحَقَّ، وقِيلَ: على نَزْعِ حَرْفِ القَسَمِ. ورَفْعُه عَلى أَنَّهُ مُبتَدَأٌ مَحذُوفُ الخَبَرِ- أي: فالحَقُّ مِنِّي. وقِيلَ: فالحَقُّ قَسَمِي، وجَوَابُ القَسَم: [٨٥] ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بِذُرِّيَّتِكَ ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ أي: النَّاسِ(٣) ﴿أَجۡمَعِينَ﴾.

[٨٦] ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿مِنۡ أَجۡرٖ﴾: جُعْلٍ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ المُتَقَوِّلِينَ القُرآنَ مِنْ تِلقَاءِ نَفْسِي.

[٨٧] ﴿إِنۡ هُوَ﴾ أي: ما القُرآنُ ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: عِظَةٌ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: لِلإِنْسِ(٤) والجِنِّ العُقَلَاءِ(٥)، دُونَ المَلائِكَةِ.

[٨٨] ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ﴾ - يَا كُفَّارَ مَكَّةَ- ﴿نَبَأَهُۥ﴾: خَبَرَ صِدْقِه ﴿بَعۡدَ حِينِۢ﴾ أي: يومَ القِيامَةِ. و«عَلِمَ» بِمَعنَى: عَرَفَ. واللامُ قَبْلَها لَامُ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: واللهِ.

سُورَةُ الزُّمَرِ

مَكِّيَّةٌ، إِلَّا: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ(٦)﴾ الآيَةَ، فمَدَنِيَّةٌ، وهي: خَمْسٌ وسَبْعُونَ آيَةً[*]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ، مُبتَدَأٌ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: خَبَرُه، ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ في صُنْعِه.

[٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ - يا مُحَمَّدُ- ﴿ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: مُتَعلِّقٌ بـ«أَنزَلَ» ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ؛ أي: مُوَحِّدًا له.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ لا يَستَحِقُّه غَيرُه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الأَصْنَامَ ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ - وهُم كُفَّارُ مَكَّةَ- قَالُوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾: قُرْبَى، مَصْدَرٌ بِمَعنَى: تَقرِيبًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ وبَينَ المُسلِمِينَ ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، فيُدْخِلُ المُؤمِنِينَ الجَنَّةَ، والكَافِرِينَ النَّارَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾ في نِسبَةِ الوَلَدِ إليه(٧) ﴿كَفَّارٞ﴾ بِعِبادَتِه غيرَ الله.

[٤] ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا﴾ كَما قَالُوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾(٨) ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ واتَّخَذَه وَلَدًا، غيرَ مَنْ قَالُوا: [المَلَائِكَةُ](٩) بَنَاتُ اللهِ، وعُزَيرٌ ابنُ اللهِ، والمَسِيحُ ابنُ اللهِ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾: تَنزِيهًا له عَنِ اتِّخَاذِ الوَلَدِ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ لِخَلْقِه!

[٥] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾: مُتَعلِّقٌ بـ﴿خَلَقَ﴾ ﴿يُكَوِّرُ﴾: يُدْخِلُ(١٠) ﴿ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ فيَزِيدُ ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾: يُدْخِلُه ﴿عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ فيَزِيدُ ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي﴾ في فَلَكِه ﴿لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾: لِيومِ القِيامَةِ ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ على أَمرِه، المُنتَقِمُ مِنْ أَعدائِه ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ لِأَولِيائِه.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقرَأَ بَني إِسْرَائِيلَ وَالزُّمَرَ». التِّرمِذِيُّ - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٢١) الترجمة، وكتاب الدعوات (٤٩) باب (٢٢) ما جاء فِيمَن يَقرَأُ القُرآنَ عِندَ المَنَامِ. وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٧١١).

---

(١) ﴿فَٱلۡحَقُّ﴾ ﴿وَٱلۡحَقَّ﴾؛ بِالرَّفعِ ثُمَّ النَّصبِ: قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عَدا عَاصِمٍ وحَمزَةَ. وبِنَصْبِهما: قِرَاءَةُ عَاصِمٍ وحَمزَةَ.

(٢) وهو قوله: ﴿أَقُولُ﴾.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (مِنَ النَّاسِ) بَدلًا مِنْ: (أَيِ: النَّاسِ).

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (الإِنسِ)، بِدُونِ اللام.

(٥) كَلِمَةُ: (العُقَلَاءِ) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) جُزْءُ الآيَةِ: (﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إِلى الله).

(٨) الأنبياء: ٢٦.

(٩) في الأَصلِ: (مِنَ الملائِكَةِ)، وفي نُسخَةِ القَاضِي كنعان: (إِنَّ الملائِكَةَ)، والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١٠) ما ذَكَرَه المُصَنِّفُ في مَعنَى التَّكوِيرِ هو اختِيَارُ ابنِ جرير، وهو عِندَه كَمَعنَى الإِيلَاجِ، كما في قَولِه تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾. وقَالَ مقاتلٌ (٣/ ٦٧٠): «يُكَوِّرُ: يَعني: يُسَلِّطُ اللَّيلَ عَلَى النَّهارِ، ويُكَوِّرُ النَّهارَ؛ يَعني: ويُسَلِّطُ النَّهارَ عَلَى اللَّيلِ؛ يَعني: انتقاص كُلِّ وَاحِدٍ منهما مِنَ الآخَرِ». والتَّكوِيرُ في الأَصلِ: هو اللَّفُّ واللَّيُّ؛ مِن كَارَ العِمَامَةَ على رَأسِهِ وكَوَّرَها.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ
خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ
لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾
۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً
مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ
﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ
وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

ربع الحزب ٤٦

[٦] ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي: آدمَ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حوَّاءَ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبلِ والبقرِ والغنمِ؛ الضَّأنِ والمَعزِ ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ مِن كُلٍّ زوجانِ[١]: ذكرٌ وأُنثى، كما بيَّنَ في سورةِ «الأنعامِ»[٢] ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نُطفًا ثُمَّ عَلَقًا ثُمَّ مُضَغًا ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ هي ظُلْمةُ البطنِ، وظُلْمةُ الرَّحِمِ، وظُلْمةُ المَشِيمةِ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادتِه إلى عبادةِ غيرِه؟!

[٧] ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ وإنْ أرادَه مِن بعضِهم[٣] ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟﴾ اللهَ، فتؤمِنوا ﴿[يَرْضَهُ]﴾ - بسُكونِ الهاءِ، وضمِّها مع إشباعٍ، ودونَه[٤]- أي: الشُّكرَ ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمِلُه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في القلوبِ.

[٨] ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: الكافرَ ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ﴾: تضرَّعَ[٥] ﴿مُنِيبًا﴾: راجِعًا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً﴾: أعطاه إنعامًا ﴿مِّنْهُ نَسِىَ﴾: تركَ ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟﴾: يتضرَّعُ ﴿إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ وهو اللهُ - فـ«ما» في موضعِ «مَنْ» - ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شُركاءَ ﴿[لِّيَضِلَّ]﴾ - بفتحِ الياءِ وضمِّها[٦] - ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: دِينِ الإسلامِ[٧] ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾: بقيَّةَ أجلِك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

[٩] ﴿[أَمَنْ]﴾[٨] - بتخفيفِ الميمِ - ﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾: قائمٌ بوظائفِ الطَّاعاتِ ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: ساعاتِه ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ في الصَّلاةِ ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: يخافُ عذابَها ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ﴾: جنَّةَ[٩] ﴿رَبِّهِۦ﴾ كمَنْ هو عاصٍ بالكُفرِ أو غيرِه؟ - وفي قراءةٍ: «أم مَنْ»، فـ«أم»[١٠] بمعنى: «بل» و«الهمزةُ» - ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يستويانِ، كما لا يستوي العالمُ والجاهلُ ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتَّعِظُ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابُ العقولِ.

[١٠] ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي: عذابَه، بأنْ تُطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالطَّاعةِ ﴿حَسَنَةٌ﴾ هي: الجنَّةُ ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ فهاجِروا إليها، مِن بينِ الكُفَّارِ ومُشاهدةِ المُنكَراتِ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطَّاعةِ، وما يُبتَلَون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغيرِ مِكيالٍ ولا ميزانٍ.

---

(١) في نُسخةِ القاضي: (زوجينِ)، و(ذكرًا) بالنَّصبِ.

(٢) الآية: (١٤٣).

(٣) أي: كونًا وقدرًا لا شرعًا.

(٤) ﴿يَرْضَهُ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ والكِسائيُّ وابنُ ذكوان بضمِّ الهاءِ مع الإشباعِ، وقرأ السُّوسيُّ بالإسكانِ، وقرأ الدُّوريُّ بالإسكانِ والإشباعِ، وهشامٌ بالاختلاسِ والإسكانِ، وقرأ الباقون: ﴿يَرْضَهُ﴾، بالضَّمِّ دونَ صِلةٍ؛ وهم نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ.

(٥) كلمةُ: (تضرَّع) ليست في نُسخةِ قباوة.

(٦) بالفتحِ: قراءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو، وقرأ بقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿لِيُضِلَّ﴾، بالضَّمِّ.

(٧) عِبارةُ: (دينِ الإسلام) ليست في نُسخةِ قباوة.

(٨) وهي قراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وحمزةَ، وقرأ بقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿أَمَّنْ﴾ بتشديدِ الميمِ.

(٩) الجنَّةُ أثرٌ مِن آثارِ رحمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ بعبادِه المؤمنينَ، وهي غيرُها؛ فتفسيرُ الرَّحمةِ بها خِلافُ الظَّاهرِ، وهو تأويلٌ لصفةِ الرَّحمةِ التي أثبتَها ربُّنا عزَّ وجلَّ لنفسِه، ونُثبتُها له على الوجهِ اللائقِ به.

(١٠) كلمةُ: (فـ«أم») ليست في نُسخةِ قباوة، ولا في نُسخةِ القاضي، وحاصلُ كلامِ المُصنِّفِ -كما ذكر في حاشيةِ الجملِ (٣/ ٥٩٣): «وأمَّا القراءةُ الثانيةُ؛ فهي «أم» داخلةٌ على «مَنْ» موصولةٌ أيضًا؛ فأُدغمتِ الميمُ في الميمِ، وفي «أم» حينئذٍ قولانِ: أحدُهما: أنَّها مُتَّصِلةٌ، ومُعادِلُها محذوفٌ، تقديرُه: الكافرُ خيرٌ، أم الذي هو قانتٌ؟ والثاني: أنَّها مُنقطِعةٌ، فتُقدَّرُ بـ«بل» والهمزةِ؛ أي: بل أمَنْ هو قانتٌ كغيرِه؟ أو كالكافرِ المقولِ له: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾؟».

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ
أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

[١١] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ مِنْ هَذِه الأُمَّةِ.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٤] ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ مِنَ الشِّرْكِ.

[١٥] ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾: غَيرَه. فيه تَهدِيدٌ لَهم، وإِيذانٌ بِأَنَّهم لا يَعبُدُونَ اللهَ -تَعالَى- ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِتَخلِيدِ الأَنفُسِ في النَّارِ، وبِعَدمِ وُصُولِهم إِلى الحُورِ المُعَدَّةِ لهم في الجَنَّةِ، لَو آمَنُوا ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: البَيِّنُ.

[١٦] ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾: طِباقٌ ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ مِنَ النَّارِ ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ أي: المُؤمِنِينَ، لِيَتَّقُوه، يَدُلُّ عَليه: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

[١٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الأَوثَانَ ﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟﴾: أَقبَلُوا ﴿إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بِالجَنَّةِ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

[١٨] ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ وهُو مَا فيه صَلَاحُهُم[١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أَصْحابُ العُقُولِ.

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي[٢]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[٣] الآيَةَ ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾: تُخرِجُ ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؟ جَوابُ الشَّرْطِ. وأُقِيمَ فيه الظَّاهِرُ مَقامَ المُضمَرِ، والهَمزَةُ: لِلإِنكارِ. والمَعنَى: لا تَقدِرُ عَلى هِدايَتِه، فتُنقِذَه مِنَ النَّارِ.

[٢٠] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ بِأَنْ أَطاعُوه ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أَي: مِنْ تَحتِ الغُرَفِ، الفَوقَانِيَّة والتَّحتانِيَّةِ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: مَنصُوبٌ بِفِعْلِه المُقَدَّرِ ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾: وَعْدَه.

[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾: أَدخَلَه أَمكِنَةَ نَبعٍ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يَيبَسُ ﴿فَتَرَىٰهُ﴾ بَعدَ الخُضرَةِ مَثَلًا ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾: فُتاتًا؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾: تَذكِيرًا ﴿لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يَتذَكَّرُونَ به؛ لِدَلالَتِه[٤] على وَحدانِيَّةِ اللهِ -تَعالَى- وقُدرَتِه.

---

(١) في نُسخَةِ قَباوَة والقاضي: (فَلاحُهم).

(٢) في نُسخَةِ قَباوَة والقاضي: (هي).

(٣) هود: ١١٩.

(٤) في نُسخَةِ حاشِيَةِ الجَمَلِ: (دَلالَتِه).

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم
مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

[٢٢] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فاهتَدَى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كَمَنْ طَبَعَ على قَلْبِه؟ دَلَّ عَلى هَذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عَنْ قَبُولِ القُرآنِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ.

[٢٣] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿أَحْسَنَ﴾؛ أي: قُرآنًا ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي: يُشْبِهُ بَعْضُه بَعْضًا، في النَّظْمِ وغَيرِه ﴿مَّثَانِىَ﴾: ثُنِّيَ فيه الوَعْدُ والوَعِيدُ، وغَيرُهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾: تَرتَعِدُ عِندَ ذِكْرِ وَعِيدِه ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾: يَخافُونَ ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾: تَطْمَئِنُّ ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عِندَ ذِكْرِ وَعْدِه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الكِتَابُ ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

[٢٤] ﴿أَفَمَن يَتَّقِى﴾: يَلْقَى ﴿بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: أَشَدَّهُ، بِأَنْ يُلْقَى في النَّارِ مَغلُولَةً يَدَاهُ إِلى عُنُقِه، كَمَنْ أَمِنَ مِنهُ بِدُخُولِ الجَنَّةِ؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جَزَاءَه.

[٢٥] ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلَهم، في إِتيَانِ العَذَابِ ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: مِنْ جِهَةٍ لا تَخطُرُ بِبالِهِم.

[٢٦] ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾: الذُّلَّ والهَوَانَ، مِنَ المَسْخِ والقَتْلِ وغَيرِه(١) ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟﴾ أي: المُكَذِّبُونَ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عَذَابَها ما كَذَّبُوا.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جَعَلنَا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ.

[٢٨] ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: لَبْسٍ واختِلَافٍ ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكُفْرَ.

[٢٩] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ لِلمُشرِكِ والمُوَحِّدِ ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿مَثَلًا﴾ ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾: مُتَنَازِعُونَ، سَيِّئَةٌ أَخلَاقُهم ﴿وَرَجُلًا [سالِمًا](٢)﴾: خَالِصًا ﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؟ تَمييزٌ؛ أي: لا يَستَوِي العَبْدُ لِجَمَاعَةٍ والعَبْدُ لِوَاحِدٍ، فَإِنَّ الأَوَّلَ إِذَا طَلَبَ منه كُلٌّ مِنْ مَالِكِيهِ خِدْمَتَه في وَقتٍ وَاحِدٍ تَحَيَّرَ فِيمَنْ يَخْدِمُه منهم. وهَذا مَثَلٌ لِلمُشرِكِ. والثَّاني مَثَلٌ لِلمُوَحِّدِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وَحْدَه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أَهلِ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يَصِيرُونَ إِلَيه مِنَ العَذَابِ، فَيُشرِكُونَ.

[٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: سَتَمُوتُ ويَمُوتُونَ، فَلا شَمَاتَةَ بِالمَوتِ- نَزَلَتْ لَمَّا استَبطَؤُوا مَوتَه ﷺ(٣)-.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ - أَيُّها النَّاسُ- فِيما بَينَكُم مِنَ المَظَالِمِ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[*].

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ قالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قَالَ الزُّبَيرُ: يَا رَسُولَ الله، أَتُكَرَّرُ عَلَينَا الخُصُومَةُ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنيَا؟ قَالَ: «نعم»، فَقَالَ: إِنَّ الأَمْرَ إِذًا لَشَدِيدٌ. التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وحَسَّنَ الأَلبانِيُّ إِسنادَه في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٨٣). وأخرجه أيضًا أحمدُ (١/ ١٦٧) مُطَوَّلًا بِلَفظِ: «قالَ الزُّبَيرُ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، أَيُكَرَّرُ عَلَينَا مَا كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنيَا، مَعَ خَوَاصِّ الذُّنُوبِ؟ قال: «نَعَمْ لَيُكَرَّرَنَّ عَلَيكُمْ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ». فَقَالَ الزُّبَيرُ: وَاللهِ إِنَّ الأَمْرَ لَشَدِيدٌ». وحسَّن الأرناؤوطُ إسنادَه (١٤٣٤). وكذا قالَ أحمدُ شاكر: إِسنادُه حَسَنٌ (١٤٣٨).

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة والقاضي: (وغيرهما).

(٢) وهي قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿سلمًا﴾ بِدُونِ أَلِفٍ. مَصْدَرٌ، صِفَةٌ لِـ«رَجُلٍ»؛ مُبالَغَةٌ في الخُلوصِ مِنَ الشَّرِكَةِ.

(٣) لَمْ نَقِفْ عَلَيه مُسنَدًا، وذَكَرَهُ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ دُونَ عَزوِهِ لِأَحَدٍ؛ يُنظَرُ: الكَشَّافُ عن حقائقِ غوامضِ التنزيلِ (٤/ ١٢٧)، وتفسيرُ النَّسَفِيِّ (٣/ ١٧٩).

الجزء ٢٤ الحزب ٤٧

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ
ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ
قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿۞ فَمَنْ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ والوَلَدِ إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: بِالقُرآنِ ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مَأْوًى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؟ بَلَى.

[٣٣] ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النَّبِيُّ ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هُمُ المُؤْمِنُونَ[1]- فـ«الَّذِي» بِمَعْنَى: «الَّذِينَ»- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الشِّرْكَ.

[٣٤] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لِأَنْفُسِهِم بِإِيمَانِهِم.

[٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ «أَسْوَأ» و«أَحْسَن» بِمَعْنَى: السَّيِّئِ والحَسَنِ.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أي: النَّبِيَّ[2]؟ بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ - الخِطَابُ له- ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الأَصْنَامِ أَنْ تَقْتُلَه أو تُخَبِّلَه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: غَالِبٍ على أَمْرِه ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ مِنْ أَعدائِه؟ بَلَى.

[٣٨] ﴿وَلَئِن﴾ - لامُ قَسَمٍ- ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأَصْنَامَ ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ [كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ]﴾؟ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ [مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ]﴾؟ لَا. وفي قِرَاءَةٍ[3] بالإِضَافَةِ، فِيهِما ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: يَثِقُ الوَاثِقُونَ.

[٣٩] ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حَالَتِكم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على حَالَتِي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿مَن﴾: مَوصُولَةٌ، مَفعُولُ العِلْمِ ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾: يَنزِلُ ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دَائِمٌ، هو عَذَابُ النَّارِ. وقَدْ أَخزَاهُمُ اللهُ بِبَدْرٍ.

---

(١) قال ابنُ الجوزيّ في زادِ المسيرِ (٤/ ١٨): «﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: أحدُها: أنّه رَسُولُ الله ﷺ. قالَه عليُّ بنُ أبي طَالِبٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وقَتَادةُ، وابنُ زَيدٍ. ثُمَّ في «الصِّدقِ الذي جاءَ به» قَولانِ: أحدُهما: أنّه «لا إله إلّا الله»، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ سَعيدُ بنُ جُبَيرٍ. والثاني: القُرآنُ. قالَه قَتَادةُ. وفي «الذي صَدَّقَ به» ثَلاثةُ أقوالٍ: أحدُها: أنّه رَسُولُ الله ﷺ أيضًا، هو جاءَ بِالصِّدقِ، وهو صَدَّقَ به. قالَه ابنُ عبَّاسٍ، والشَّعبيُّ. والثَّاني: أنّه أبو بكرٍ. قالَه عليُّ بنُ أبي طالب. والثَّالثُ: أنَّهم المُؤمِنونَ. قالَه قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ.
والقولُ الثَّاني: أنَّ «الذي جاءَ بالصِّدقِ»: أَهلُ القُرآنِ، وهُو الصِّدقُ الذي يُجِيبُونَ به يومَ القِيامَةِ، وقَدْ أَدَّوا حَقَّه، فَهُمُ الذين صَدَّقُوا به. قالَه مُجاهِدٌ. والثَّالثُ: أنَّ الذي جاءَ بالصِّدقِ الأنبياءُ. قالَه الربيعُ، فَعَلَى هذا، يَكُونُ «الذي صَدَّقَ به»: المؤمِنونَ. والرَّابعُ: أنَّ «الذي جاءَ بالصِّدقِ»: جِبرِيلُ، وصَدَّقَ به: مُحَمَّدٌ. قالَه السُّدِّيُّ».
وقال ابنُ جرير (٢٠/ ٢٠٦-٢٠٧) -بعدَ أن نَقلَ الخِلافَ في المَقصودِ بذلكَ-: «والصَّوابُ مِنَ القَولِ في ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الله تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ كُلَّ مَنْ دَعَا إِلَى تَوْحِيدِ الله، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَالعَمَلِ بِمَا ابْتُعِثَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِن بَيْنِ رَسُولِ الله وَأَتْبَاعِهِ وَالمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَأَنْ يُقَالَ: الصِّدْقُ هُوَ القُرْآنُ، وَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالمُصَدِّقُ بِهِ: المُؤْمِنُونَ بِالقُرْآنِ، مِنْ جَمِيعِ خَلْقِ الله كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنْ نَبِيِّ الله وَأَتْبَاعِهِ. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ وَذَلِكَ ذَمٌّ مِنَ الله لِلْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ، المُكَذِّبِينَ بِتَنْزِيلِهِ وَوَحْيِهِ، الجَاحِدِينَ وَحْدَانِيَّتَهُ، فَالوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ عَقِيبَ ذَلِكَ مَدْحُ مَنْ كَانَ بِخِلَافِ صِفَةِ هَؤُلَاءِ المَذْمُومِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ دَعَوْهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ الله، وَوَصْفِهِ بِالصِّفَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا، وَتَصدِيقِهِمْ بِتَنْزِيلِ الله وَوَحْيِهِ، وَالَّذِي هم كَانُوا يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ؛ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، القَائِمُونَ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ بِالدُّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِ الله، وَحُكْمِ كِتَابِهِ، لِأَنَّ الله تَعَالَى ذِكْرُهُ لَمْ يَخُصَّ وَصْفَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي فِي هَذِهِ الآيَةِ عَلَى أَشْخَاصٍ بِعَيْنِهِمْ، وَلَا عَلَى أَهْلِ زَمَانٍ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِصِفَةٍ، ثُمَّ مَدَحَهُمْ بِهَا، وَهِيَ المَجِيءُ بِالصِّدْقِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ ذَلِكَ وَصْفَهُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الآيَةِ، إِذَا كَانَ مِنْ بَنِي آدَمَ».

(٢) وقيل: المُرادُ به الخالِصُ في العُبوديَّةِ لله عزّوجلّ، ويُؤيِّدُه قِراءةُ: ﴿عِبادَهُ﴾ بِالجَمعِ، وهي لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ.

(٣) والقِراءةُ المَذكورةُ أوَّلًا لِأبي عَمرٍو، بِالتنوينِ في الكلِمَتَينِ: ﴿كَٰشِفَٰتٌ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتٌ﴾، مَعَ النَّصبِ في ﴿ضُرَّهُۥ﴾ و﴿رَحْمَتَهُۥ﴾، وقَرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالإِضافَةِ فيهما؛ أي: ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾.

[٤١] ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾: مُتَعلِّقٌ بـ«أنزَلَ» ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾ اهتِدَاؤُه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتُجبِرَهُم على الهُدَى.

[٤٢] ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَ﴾ يَتوفَّى ﴿ٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ أي: يَتوفَّاها وَقتَ النَّومِ ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ أي: وَقتِ مَوتِها. والمُرسَلَةُ نَفسُ التَّمييزِ، تَبقَى بِدُونِها نَفسُ الحَيَاةِ، بِخِلَافِ العَكسِ[١] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾: دَلَالَاتٍ ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيَعلَمُونَ أنَّ القَادِرَ على ذلكَ قَادِرٌ عَلى البَعثِ. وقُرَيشٌ لَمْ يَتفَكَّرُوا في ذَلِكَ.

[٤٣] ﴿أَمِ﴾: بَلِ ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أيِ: الأَصْنامَ آلِهَةً ﴿شُفَعَآءَۚ﴾ عِنْدَ الله، بِزَعمِهم ﴿قُلۡ﴾ لَهم: ﴿أَ﴾ يَشفَعُونَ ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا﴾ مِنَ الشَّفَاعَةِ وغَيرِها ﴿وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ أنَّكُم تَعبُدُونَهم، ولَا غَيرَ ذَلكَ؟ لا.

[٤٤] ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ أي: هو مُختَصٌّ بها، فلا يَشفَعُ أَحدٌ إلَّا بِإذْنِه ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ أي: دُونَ آلِهَتِهم ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾: نَفرَتْ وانقَبَضَتْ ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أيِ: الأَصْنامُ ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ بِمعنَى: يَا أللهُ ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: مُبْدِعَهُما ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غَابَ ومَا شُوهِدَ ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، «اهْدِني لِمَا اختَلَفُوا[٢] فيه مِنَ الحَقِّ»[٣].

[٤٧] ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا﴾: ظَهَرَ ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾: يَظُنُّونَ[٤].

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٍ ٤١ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي
لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ
وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ ٤٢ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ
أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل
لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧

---

(١) أي: فمَتَى ذَهبَتْ نَفسُ الحَيَاةِ لا تَبقَى نَفسُ التَّمييزِ والإحساسِ. والتَّحقِيقُ أنَّها رُوحٌ وَاحِدَةٌ، والتَّعَدُّدُ باعتِبَارِ أوصَافِها.

(٢) في نُسخَةِ قبَاوَة: (اختُلِفَ).

(٣) رَوى مُسلِمٌ (٧٧٠) عَن أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبدِ الرَّحمَنِ بْنِ عَوفٍ، قَالَ: سَألْتُ عَائِشَةَ أُمَّ المُؤمِنِينَ، بِأيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبيُّ اللهِ ﷺ يَفتَتِحُ صَلاتَهُ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيلِ افتَتَحَ صلاتَهُ: «اللهُمَّ ربَّ جبْرَائِيلَ، ومِيكَائِيلَ، وإسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّماوَاتِ وَالأرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإذْنِكَ، إنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

(٤) قال القرطبيُّ (١٥/ ٢٦٥): «عنْ مُجاهِدٍ قال: عَمِلُوا أعْمالًا تَوَهَّمُوا أنَّها حَسَناتٌ، فإذا هِيَ سَيِّئَاتٌ. وَقَالَهُ السُّدِّيُّ. وَقِيلَ: عَمِلُوا أعْمالًا تَوَهَّمُوا أنَّهُمْ يَتُوبُونَ مِنها قَبْلَ المَوْتِ، فأدْرَكَهُمُ المَوْتُ قَبْلَ أنْ يَتُوبُوا، وقَدْ كانُوا ظَنُّوا أنَّهُمْ يَنْجُونَ بالتَّوْبَةِ. ويَجُوزُ أنْ يَكُونُوا تَوَهَّمُوا أنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ فـ﴿بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ مِن دُخُولِ النَّارِ».

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ
مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

ربع الحزب ٤٧

[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العَذَابُ.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾: الجِنْسَ ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾: أعطيناهُ ﴿نِعْمَةً﴾: إنعامًا ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ مِنَ اللهِ بأنّي له أهلٌ[١] ﴿بَلْ هِيَ﴾ أي: القَولَةُ ﴿فِتْنَةٌ﴾: بَلِيَّةٌ، يُبتَلَى بها العَبْدُ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ التَّخْوِيلَ استِدْرَاجٌ وامتِحَانٌ.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الأُمَمِ؛ كَقَارُونَ وقَومِه الرَّاضِينَ بها ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: جَزَاؤُها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: قُرَيشٍ ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بِفَائِتِينَ عَذَابَنا. فَقُحِطُوا سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ وُسِّعَ عَلَيهِم[٢].

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يُوَسِّعُه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتِحَانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُه، لِمَنْ يَشَاءُ ابتِلَاءً؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٥٣] ﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا [تَقْنِطُوا]﴾ - بِكَسْرِ النُّونِ وفَتْحِها[٣]، وقُرِئَ بِضَمِّها[٤]-: تَيأَسُوا ﴿مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لِمَنْ تَابَ مِنَ الشِّرْكِ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[*].

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوا﴾: ارجِعُوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾: أَخْلِصُوا العَمَلَ ﴿لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ بِمَنْعِه، إنْ لَم تَتُوبُوا.

[٥٥] ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ هو القُرآنُ ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قَبْلَ إِتيانِه بِوَقتِه.

[٥٦] فَبادِرُوا[٥] قَبلَ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ﴾ - أَصْلُه: «يا حَسْرَتِي»- أي: نَدَامَتِي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي: طَاعَتِه[٦] ﴿وَإِن﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ- أي: وإنِّي ﴿كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ بِدِينِه وكِتَابِه.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥٣): أخرجَ البُخاريُّ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ ناسًا، مِنْ أهلِ الشِّرْكِ كانُوا قد قَتَلُوا وأكثَرُوا، وزَنَوا وأكثَرُوا، فأتَوا محمَّدًا ﷺ فقالُوا: إنَّ الَّذِي تَقُولُ وتَدْعُو إليهِ لَحَسَنٌ، لو تُخبِرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارَةً، فنَزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونَزَلَتْ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾. البُخاريُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الزُّمَر (٣٩) باب (١) يا عِبَادِيَ الذينَ أسرَفُوا. ورواه أيضًا مسلمٌ - كتاب الإيمان (١)، باب (٥٤)... وسبق تخريجُه في سُورةِ الفُرقانِ، عند الآيةِ (٦٨).

---

(١) قالَ ابنُ كثيرٍ (٧/ ١٠٥): «أي: لِمَا يَعْلَمُ اللهُ مِنِ استِحقَاقِي لَهُ، ولَوْلَا أنِّي عِندَ اللهِ تعالى خَصِيصٌ لَمَا خَوَّلَنِي هَذَا!» وقِيلَ: أي: على خَيرٍ عَلِمَهُ اللهُ عِندِي. زاد المسير (٤/ ٢٢). أوِ المَعنى: على عِلمٍ عِندِي بِوُجُوهِ المَكَاسِبِ والتِّجَارَةِ. قالَه قَتادةُ؛ كما في القرطبيِّ (١٥/ ٢٦٦).

(٢) يُنظَرُ ما جاءَ في أسبابِ النُّزولِ في سُورةِ الدُّخَان.

(٣) بالكسرِ: قِرَاءَةُ الكِسائيِّ وأبي عَمرٍو. وقرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَقْنَطُوا﴾؛ بِفَتحِ النُّونِ.

(٤) أي: شُذُوذًا.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بَادِرُوا)؛ بدونِ الفَاءِ.

(٦) وقالَ الفرَّاءُ: في قُرْبِ اللهِ وجِوَارِه.

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾[*] بِالطَّاعَةِ فاهتَدَيتُ ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ عَذَابَه.

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾: رَجْعَةً إِلى الدُّنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الْمُؤمِنِينَ. فيُقَالُ له مِنْ قِبَلِ اللهِ(١):

[٥٩] ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾: القُرآنُ(٢)، وهُو(٣) سَبَبُ الهِدَايَةِ ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾: تكَبَّرتَ عَنِ الإِيمانِ بِها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ والوَلَدِ إِلَيه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مَأْوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عَنِ الإِيمانِ؟ بَلَى.

[٦١] ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ﴾ مِنْ جَهَنَّمَ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّرْكَ ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أَي: بِمَكَانِ فَوزِهِم مِنَ الجَنَّةِ، بِأَنْ يُجعَلُوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾: مُتَصَرِّفٌ فيه كَيفَ يَشاءُ.

[٦٣] ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أَي: مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهما مِنَ المَطَرِ والنَّبَاتِ وغَيرِهما ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: مُتَّصِلٌ بِقَولِه: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ إِلَخ، وما بَينَهما اعْتِرَاضٌ(٤).

[٦٤] ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾: «غَيْرَ» مَنصُوبٌ بِـ﴿أَعْبُدُ﴾ المَعمُولِ لِـ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾؛ بِتَقدِيرِ: «أَنْ»(٥)، بِنُونٍ وَاحِدَةٍ، وبِنُونَينِ بِإِدْغَامٍ وَفَكٍّ(٦).

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ واللهِ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ - يا مُحَمَّدُ- فَرْضًا ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلِ ٱللَّهَ﴾ وَحْدَه ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إِنْعَامَه عَليكَ(٧).

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: مَا عَرَفُوه حَقَّ مَعْرِفَتِه، أَو مَا عَظَّمُوه حَقَّ عَظَمَتِه، حِينَ أَشْرَكُوا به غَيرَه ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾: حَالٌ؛ أَيِ: السَّبع ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أَي: مَقْبُوضَةٌ له؛ أَي: في مُلْكِه وتَصَرُّفِه(٨) ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾: مَجْمُوعَاتٌ ﴿بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾[**] بِقُدْرَتِه(٩) ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ مَعَه!

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ
حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى
ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ
أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ
أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ
لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ
ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي. فَيَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً». قالَ: «وَكُلُّ أَهْلِ الجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ اللهَ هَدَانِي. قَالَ: فَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا». المسند (٢/ ٥١٢) وحَسَّنَه الأَلبَانيُّ في صحيح الجامع (٤٥١٤).

[**] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّها سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَولِه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ قَالَتْ: قُلْتُ: فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ، يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ». التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزُّمَر. وصحَّحَ الأَلبَانيُّ إِسنادَه في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٨٩).

---

(١) الآيَةُ ظَاهِرَةٌ في أَنَّ القَائِلَ هو اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وصِفَةُ الكَلَامِ ثَابِتَةٌ لله عَزَّوَجَلَّ يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ وكَيفَ شَاءَ، على الوَجهِ اللائِقِ بِه.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقاضي: (أَي: القُرآنُ).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقاضي: (وهِي)؛ أَي: ﴿ءَايَٰتِى﴾.

(٤) الاعتِرَاضُ هُنا هُو قَولُه تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾.

(٥) جُمْلَةُ: (بِتَقْدِيرِ: «أَنْ») لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة ولا القاضي.

(٦) قَولُه: «بِإِدْغَامٍ»؛ أَي: مَعَ فَتحِ اليَاءِ وسُكُونِها، وقَولُه: «وفَكٍّ»؛ أَي: مَعَ سُكُونِ اليَاءِ لا غَيرُ؛ يُرِيدُ ثَلَاثَ قِرَاءَاتٍ لا أَربَعًا؛ خِلَافًا لِمَا في الفتوحَاتِ (٣/ ٦٠٧)، والصَّاوي (٥/ ١٧٤)، ومَنْ نَقَلَ عنهما؛ قال الصَّاوِيُّ: «فَالقِرَاءَاتُ أَربَعٌ سَبْعِيَّةٌ». قَرَأَ قَالُونُ عَن نَافِعٍ بِنُونٍ وَاحِدَةٍ خَفِيفَةٍ، مَعَ فَتحِ اليَاءِ. وقَرَأَ وَرْشٌ عَن نَافع وأَبو جعفرَ بِنُونٍ وَاحِدَةٍ خَفِيفَةٍ، مَعَ فَتحِ اليَاءِ، وإِبْدَالِ الهَمْزَةِ. وقَرَأَ ابنُ كثيرٍ بِنُونٍ مُشَدَّدَةٍ، مَعَ فَتحِ اليَاءِ. وقَرَأَ السُّوسِيُّ عَن أَبي عَمرٍو بِنُونٍ مُشَدَّدَةٍ، مَعَ إِبْدَالِ الهَمْزَةِ، وإِسكَانِ اليَاءِ. وقَرَأَ ابنُ عامر بِنُونَينِ مُخَفَّفَتَينِ مَفتُوحَةٍ فَمَكسُورَةٍ، مَعَ إِسكَانِ اليَاءِ. وقَرَأَ حَمْزَةُ بِنُونٍ مُشَدَّدَةٍ، مَعَ إِبدَالِ الهَمْزَةِ وَقفًا، وإِسكَانِ اليَاءِ. وقَرَأَ بَاقِي الرُّوَاةِ بِنُونٍ مُشَدَّدَةٍ، مَعَ إِسكَانِ اليَاءِ.

(٧) رَوَى الطَّبَرِيُّ (٢٤/ ٧٠٣) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا، فَيَكُونَ أَغْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيُزَوِّجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَطَئُوا عَقِبَهُ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، فَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، فَهِيَ لَكَ وَلَنَا فِيهَا صَلَاحٌ. قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً: اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، قَالَ: «حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي» فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ السُّورَة، وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. وحسَّنَ الأَلبَانيُّ إِسنَادَه في صَحِيحِ السِّيرة (ص٢٠٧).

(٨) وهذا عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللفظِ، وهو خِلَافُ مَا فَهِمَهُ السَّلَفُ مِنْ إِثْبَاتِ هَذِه الصِّفَةِ وغَيرِها لله عَزَّوَجَلَّ، مِمَّا أَثبَتَهُ لِنَفسِهِ وأَثبَتَهُ له رَسُولُهُ ﷺ على الوَجهِ اللائِقِ بِه. وثَبَتَ عِندَ البُخَارِيِّ (٧٤١٣) مِن حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ مَرفُوعًا: «إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ».

(٩) يُنظَرُ التَّعلِيقُ السَّابِقُ.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
٦٨ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ٧٠
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
٧١ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ
زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ٧٤

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ النَّفْخَةَ الأُولَى ﴿فَصَعِقَ﴾: مَاتَ ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ الحُورِ والوِلْدَانِ وغيرِهما(١) ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جَمِيعُ الخَلَائِقِ المَوتَى ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[*]: يَنتَظِرُونَ مَا يُفْعَلُ بهم.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: أَضَاءَتْ ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حِينَ يَتَجَلَّى اللهُ لِفَصْلِ القَضَاءِ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: كِتَابُ الأَعمَالِ لِلحِسَابِ ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي: بِمُحَمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِه(٢) يَشهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالبَلَاغِ(٣) ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العَدْلِ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شَيئًا.

[٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جَزَاءَه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾: عَالِمٌ ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلَا يَحتَاجُ إلى شَاهِدٍ.

[٧١] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِعُنفٍ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً(٤) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: جَوابُ: ﴿إِذَا﴾ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾: القُرآنَ وغيرَه ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾(٥) الآيَةَ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مُقَدَّرِينَ الخُلُودَ ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مَأْوَى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جَهَنَّمُ!

[٧٣] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ بِلُطْفٍ ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ - الوَاوُ فيه لِلحَالِ؛ بِتَقدِيرِ: «قَدْ» - ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ حالًا ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾: مُقَدَّرِينَ الخُلُودَ فيها. وجَوَابُ ﴿إِذَا﴾: مُقَدَّرٌ؛ أَي: دَخَلُوها - وسَوْقُهم وفَتْحُ الأَبْوَابِ قَبْلَ مَجِيئِهم تَكرِمَةٌ(٦) لَهم، وسَوْقُ الكُفَّارِ وفَتْحُ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ عِندَ مَجِيئِهم لِيَبقَى حَرُّها إِلَيهم(٧) إِهَانَةٌ لَهم(٨) -.

[٧٤] ﴿وَقَالُواْ﴾ عَطْفٌ على: «دُخُولِها» المُقَدَّرِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بِالجَنَّةِ ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أَرْضَ الجَنَّةِ(٩) ﴿نَتَبَوَّأُ﴾: نَنزِلُ ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ لِأَنَّها كُلَّها لا يُختَارُ فيها مَكَانٌ على مَكَانٍ ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الجَنَّةُ!

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ بِسُوقِ المَدِينَةِ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، قَالَ: فَرَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ يَدَهُ فَصَكَّ بِهَا وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ هَذَا وَفِينَا نَبِيُّ الله ﷺ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَرَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي، أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللهُ؟...». التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سُورَةِ الزُّمَرِ. وقال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٨٧). وهو في الصَّحِيحَينِ بِنَحوِه؛ البُخَارِيُّ (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٢).

---

(١) قِيلَ: كَالشُّهَدَاءِ، أو خَوَاصِّ المَلَائِكَةِ، أو إِسرَافِيلَ نَفْسِه، ثُمَّ يَمُوتُ بَعدَ ذلكَ. ويُنظَرُ: التَّعلِيقُ على سُورَةِ النَّملِ الآية (٨٧). والأَولَى أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَعلَمُ بِثُنْيَتِه، إِذْ لا يُصَارُ إلى بَيَانِ المُبهَمَاتِ إِلَّا بِقَاطِعٍ. قَالَ ابنُ تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦١): «وَأَمَّا الاِستِثْنَاءُ فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ لِمَنْ فِي الجَنَّةِ مِنَ الحُورِ العِينِ؛ فَإِنَّ الجَنَّةَ لَيسَ فِيهَا مَوتٌ وَمُتَنَاوِلٌ لِغَيرِهِم. وَلَا يُمكِنُ الجَزْمُ بِكُلِّ مَنِ اسْتَثْنَاهُ اللهُ؛ فَإِنَّ اللهَ أَطلَقَ فِي كِتَابِهِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ يُصعَقُونَ يَومَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَى آخِذًا بِسَاقِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي: هَلْ أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَاهُ اللهُ؟» وَهَذِهِ الصَّعْقَةُ؛ قَدْ قِيلَ: إِنَّهَا رَابِعَةٌ. وَقِيلَ: إِنَّهَا مِنَ المَذْكُورَاتِ فِي القُرْآنِ. وَبِكُلِّ حَالٍ: النَّبِيُّ ﷺ قَدْ تَوَقَّفَ فِي مُوسَى، وَهَلْ هُوَ دَاخِلٌ فِي الاِستِثْنَاءِ فِيمَنِ اسْتَثْنَاهُ اللهُ أَمْ لَا؟ فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُخْبِرْ بِكُلِّ مَنِ اسْتَثْنَى اللهُ: لَمْ يُمكِنَّا نَحنُ أَنْ نَجزِمَ بِذَلِكَ، وَصَارَ هَذَا مِثْلَ العِلْمِ بِوَقْتِ السَّاعَةِ، وَأَعيَانِ الأَنبِيَاءِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُخبِرْ بِهِ، وَهَذَا العِلْمُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِالخَبَرِ. واللهُ أَعلَمُ».

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: أُمَّةِ مُحَمَّدٍ) بَدَلًا مِن: (أي: بِمُحَمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِه).

(٣) الصَّوَابُ عَدَمُ تَخصِيصِ النَّبِيِّينَ هُنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، بَلْ هُو قَولٌ غَرِيبٌ وبَعِيدٌ، ولَا تَخصِيصِ الشُّهَدَاءِ بِأُمَّتِه عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لِأَنَّه خِلَافُ الظَّاهِرِ. وجُمهُورُ المفسِّرِينَ على أَنَّ المُرَادَ جَمَاعَةُ الأَنبِيَاءِ لِيَشهَدُوا على أُمَمِهم بِأَنَّهم بَلَّغُوهم، أَمَّا الشُّهَدَاءُ؛ فَقِيلَ بِما ذَكَرَه المُفَسِّرُ، وقِيلَ: المُرَادُ المَلَائِكَةُ الحَفَظَةُ على أَعمَالِ العِبَادِ، وقِيلَ: أَعضَاءُ الإِنسَانِ، وقِيلَ: الأَرضُ، وقِيلَ: الذين استُشهِدُوا في سَبِيلِ الله، والآيَةُ تَحتَمِلُ كُلَّ ذَلِكَ، ولا تَعَارُضَ. (٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (في تَفرِقَةٍ). قالَ الطاهرُ بنُ عَاشُورٍ في التحرير والتنوير (٢٤/ ٦٩): «وإِنَّما جُعِلُوا زُمَرًا لاختِلَافِ دَرَجَاتِ كُفرِهم». (٥) هود: ١١٩.

(٦) «تكرمَةٌ» و«إِهَانَةٌ»: كُلٌّ منهما خَبَرٌ لِلمُبتَدَأِ قَبلَه؛ «سَوقُ» وما عُطِفَ عليه. وفي نُسخَةِ قُرَّةِ العَينَينِ: «تكرِمَةً» و«إِهَانَةً». (٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إليه)؛ أي: إلى وَقتِ الفَتحِ.

(٨) قال القُرطُبِيُّ (١٥/ ٢٨٤): «وَقَالَ فِي حَقِّ الفَرِيقَيْنِ: ﴿وَسِيقَ﴾ بِلَفظٍ وَاحِدٍ، فَسَوقُ أَهلِ النَّارِ: طَرْدُهُمْ إِلَيهَا بِالخِزْيِ والهَوَانِ، كَمَا يُفعَلُ بِالأُسَارَى والخَارِجِينَ عَلَى السُّلطَانِ، إِذَا سِيقُوا إِلَى حَبْسٍ أَوْ قَتْلٍ. وَسَوقُ أَهلِ الجِنَانِ: سَوقُ مَرَاكِبِهِمْ إِلَى دَارِ الكَرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ، لِأَنَّهُ لَا يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَّا رَاكِبِينَ، كَمَا يُفعَلُ بِمَنْ يُشَرَّفُ وَيُكَرَّمُ مِنَ الوَافِدِينَ عَلَى بَعضِ المُلُوكِ، فَشَتَّانَ مَا بَينَ السَّوقَينِ». قالَ الخَطِيبُ الشِّربِينِيُّ في السِّرَاجِ المُنِيرِ (٣/ ٤٦٤): «وهذا مِن بَدَائِعِ أَنوَاعِ البَدِيعِ، وهو أَنْ يَأتِيَ سُبحَانَه بِكَلِمَةٍ في حَقِّ الكُفَّارِ فَتَدُلُّ عَلى هَوَانِهِم بِعِقَابِهِم، ويَأتِيَ بِتِلكَ الكَلِمَةِ بِعَينِهَا وَهَيئَتِها في حَقِّ المُؤمِنِينَ فَتَدُلُّ عَلى إِكرَامِهِم بِحُسنِ ثَوَابِهِم! فَسُبحَانَ مَنْ أَنزَلَه مُعجِزَ المَبَانِي، مُتَمَكِّنَ المَعَانِي، عَذْبَ المَوَارِدِ والمَثَانِي».

(٩) هذا قولُ كَثِيرٍ مِنَ المُفَسِّرِينَ، كَما تَقَدَّمَ في سُورَةِ الأَنبِيَاءِ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وسَبَقَ هُنَالِكَ بَيَانُ اعتِرَاضِ القَاضِي كَنعَانَ عَلى ذلك، واختِيَارُه أَنَّ الأَرضَ في الآيَتَينِ هِيَ الأَرضُ المَعهُودَةُ، ولَيسَتْ أَرضَ الجَنَّةِ، واللهُ أَعلَمُ.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ — ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ
وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ
تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ
مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ
وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ
كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ
لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

[٧٥] ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾: حالٌ ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ مِنْ كُلِّ جانِبٍ منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: حالٌ مِنْ ضَميرِ: ﴿حَآفِّينَ﴾ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: مُلابِسِينَ لِلحَمدِ؛ أي: يَقولُونَ: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِه ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بَينَ جَميعِ الخَلائِقِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العَدْلِ، فيَدْخُلُ المُؤمِنونَ[1] الجَنَّةَ، والكَافِرُونَ[2] النَّارَ ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خُتِمَ استِقْرارُ الفَريقَينِ بِالحَمْدِ مِنَ المَلائِكَةِ[3].

سورةُ غافر

مَكِّيَّةٌ، إلَّا: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ الآيتَينِ، خَمسٌ وثَمانُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه به.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ: مُبتَدأٌ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: خَبَرُه، ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بخَلْقِه.

[٣] ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لَهم، مَصْدَرٌ ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ لِلكافِرِينَ؛ أي: مُشَدِّدِه ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: الإنعَامِ الوَاسِعِ- وهُو مَوصُوفٌ على الدَّوَامِ بِكُلٍّ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ. فَإِضَافَةُ المُشْتَقِّ منها لِلتَّعرِيفِ[4]، كَالأَخِيرَةِ- ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ.

[٤] ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ أَهلِ مَكَّةَ ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ لِلمَعَاشِ سَالِمِينَ؛ فَإِنَّ عَاقِبَتَهم النَّارُ.

[٥] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ كَعَادٍ وثَمُودَ وغَيرِهما ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ﴾: يَقْتُلُوه ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾: يُزِيلُوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ﴾ بِالعِقَابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لَهم؟ أي: هو وَاقِعٌ مَوقِعَه.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآيَةَ[5] ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿كَلِمَتُ﴾.

[٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾[*]: مُبتَدأٌ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾: عَطفٌ عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: خَبَرُه ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: مُلَابِسِينَ لِلحَمْدِ؛ أي: يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِه ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ -تَعالَى- بِبَصَائِرِهم؛ أي: يُصَدِّقُونَ بِوَحْدَانِيَّتِه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وَسِعَ[6] رَحمَتُكَ كُلَّ شيءٍ، وعِلْمُكَ كُلَّ شَيءٍ ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ مِنَ الشِّرْكِ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾: دِينَ الإِسلَامِ ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: النَّارِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ أبو دَاودَ عن جَابِرِ بنِ عبد الله عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ». أبو داودَ – كتاب السُّنَّة (٣٤) باب (١٩) في الجَهمِيَّةِ، وصَحَّحَه الأَلبَانيُّ في صَحيح الجامع (٨٥٤).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فيُدخِل المُؤمِنِينَ).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (والكافِرِينَ)، عَطفًا على (المُؤمِنِينَ).

(٣) وقِيلَ: إِنَّ القَائِلَ هُمُ المُؤمِنُونَ. قالَ ابنُ كثير (٧/ ١٢٥): «أي: وَنَطَقَ الكَوْنُ أَجْمَعُهُ -نَاطِقُهُ وَبَهِيمُهُ- للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، بِالحَمْدِ فِي حُكْمِهِ وَعَدْلِهِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يُسْنِدِ القَوْلَ إِلَى قَائِلٍ؛ بَلْ أَطْلَقَهُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ المَخْلُوقَاتِ شَهِدَتْ لَهُ بِالحَمْدِ».

(٤) وهو قَولُه: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾. أي: فَإِضَافَةُ المُشتَقِّ مِن هَذه الصِّفَاتِ؛ ﴿غَافِرِ﴾ و﴿قَابِلِ﴾ و﴿شَدِيدِ﴾؛ لِتَعرِيفِ المُضَافِ؛ لِيَصِحَّ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِلمَعرِفَةِ؛ وهُو لَفظُ الجَلَالَةِ المُتَقَدِّمِ في قَولِه: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾. ويُنظَرُ: حاشية الجمل (٤/ ٣).

(٥) هود: ١١٩.

(٦) لم يَتَّصِلِ الفِعْلُ بِالتَّاءِ؛ لِأَنَّ الفَاعِلَ مُؤَنَّثٌ لَفظِيٌّ. وفي بعض النُّسَخِ: (وَسِعَتْ).

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ
أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ
إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ
وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ
ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إِقَامَةٍ ﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ﴾: عَطْفٌ على: «هُمْ» في: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾، أو في: ﴿وَعَدتَّهُمْ﴾ ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه.

[٩] ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: عَذَابَها ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القِيامَةِ ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ مِنْ قِبَلِ المَلَائِكَةِ، وهُم يَمقُتُونَ أنفُسَهم عِندَ دُخولِهِمُ النَّارَ: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ إِيَّاكُم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

[١١] ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: إِمَاتَتَينِ ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: إِحياءَتَينِ؛ لِأَنَّهم -[وكَانُوا نُطَفًا][1]- أمواتٌ، فَأُحْيُوا، ثُمَّ أُمِيتُوا، ثُمَّ أُحْيُوا لِلبَعْثِ ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾: بِكُفرِنَا بِالبَعْثِ ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ مِنَ النَّارِ، والرُّجُوعِ إلى الدُّنيا، لِنُطِيعَ رَبَّنا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾: طَرِيقٍ؟ وجَوَابُهم: لَا.

[١٢] ﴿ذَٰلِكُم﴾؛ أي: العَذَابُ الذي أنتُم فيه ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي: بِسَبَبِ أنَّه في الدُّنيا ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ بِتَوحِيدِه ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾: يُجْعَلْ لَه شَرِيكٌ ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾: تُصَدِّقُوا بالإِشْرَاكِ ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ في تَعذِيبِكم ﴿لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ﴾ على خَلقِه ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾: العَظِيمِ.

[١٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: دَلَائِلَ تَوحِيدِه ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ بِالمَطَرِ ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يَتَّعِظُ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: يَرجِعُ عَنِ الشِّرْكِ.

[١٤] ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾: اعبُدُوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إِخْلَاصَكُم منه.

[١٥] ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي: اللهُ عَظِيمُ الصِّفَاتِ، أو رَافِعُ دَرَجَاتِ المُؤمِنِينَ في الجَنَّةِ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: خَالِقُه[2] ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾: الوَحْيَ ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي: قَولِه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾: يُخَوِّفَ المُلْقَى عليه[3] النَّاسَ ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ -بِحَذْفِ اليَاءِ وإِثْبَاتِها[4]-: يومَ القِيَامَةِ؛ لِتَلَاقِي أَهْلِ السَّمَاءِ والأَرْضِ، والعَابِدِ والمَعبُودِ، والظَّالِمِ والمَظْلُومِ فيه.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾: خَارِجُونَ مِنْ قُبُورِهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ يَقُولُه -تَعَالَى-، ويُجِيبُ نَفْسَه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أي: لِخَلْقِه.

---

(١) المُثبتُ مِن نُسخةِ قَبَاوَة. وفي الأَصلِ وفي بَعضِ النُّسَخِ: (نُطَفًا) بِدُونِ (كانوا)، بِنَصْبِ «نُطَفًا» على الحَالِ، والمُنَاسِبُ -كما في حَاشِيَةِ الصَّاوي (٥/ ١٨٣)-: أَنْ يَقُولَ: لِأَنَّهم كَانُوا، أو خُلِقُوا نُطَفًا.

(٢) اللهُ عز وجل خَالِقُ كُلِّ شيءٍ، والإِضَافَةُ هنا لِأَمْرٍ اختُصَّ به العَرشُ دُونَ سَائِرِ المخلُوقَاتِ، وهو استِوَاؤُه سُبحَانَه عليه بِنَفسِه المُقَدَّسَةِ استِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِه.

(٣) وهو النَّبِيُّ، أَوِ الرَّسُولُ، فَاعِلُ: يُخَوِّفُ.

(٤) بِاليَاءِ وَصْلًا ووَقْفًا: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ، وأَثْبَتَها وَرْشٌ وَصْلًا فَقَط، وكذلك قَالُونُ بِخِلَافٍ عنه.

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ
يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ
إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ
عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟
نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

الحزب ٤٧

[١٧] ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يُحاسِبُ جَمِيعَ الخَلْقِ في قَدْرِ نِصْفِ نَهارٍ مِنْ أَيّامِ الدُّنيا؛ لِحَدِيثٍ بِذَلكَ(١).

[١٨] ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: يومَ القِيامَةِ؛ مِنْ(٢) أَزِفَ الرَّحِيلُ: قَرُبَ ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾ تَرتَفِعُ خَوفًا ﴿لَدَى﴾: عِندَ ﴿ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾: مُمتَلِئِينَ غَمًّا: حَالٌ مِنَ ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾، عُومِلَتْ بِالجَمْعِ بالياءِ والنُّونِ مُعَامَلَةَ أَصْحَابِها ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: مُحِبٌّ ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ لا مَفهُومَ لِلوَصْفِ؛ إِذْ لا شَفِيعَ لَهم أَصْلًا؛ ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾(٣)، أو له مَفهُومٌ بِنَاءً عَلى زَعْمِهم أَنَّ لَهم شُفَعَاءَ؛ أي: لَو شَفَعُوا فَرْضًا لَم يُقْبَلوا.

[١٩] ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: اللهُ ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ بِمُسارَقَتِها النَّظَرَ إِلى مُحَرَّمٍ(٤) ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾: القُلُوبُ.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يَعبُدُونَ؛ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ -بِالياءِ والتَّاءِ(٥)- ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ - وهُمُ الأَصْنَامُ- ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ فكَيفَ يَكُونُونَ شُرَكَاءَ للهِ(٦)؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأَقوالِهِمُ ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بِأَفْعالِهِم.

[٢١] ﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ - وفي قِراءَةٍ(٧): «مِنكُمْ»- ﴿قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ مَصانِعَ وقُصُورٍ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أَهْلَكَهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ عَذابَه.

[٢٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ الظَّاهِراتِ ﴿فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بُرهانٍ بَيِّنٍ ظَاهِرٍ.

[٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟﴾: هُو ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

[٢٥] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بِالصِّدْقِ ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟﴾: اسْتَبْقُوا ﴿نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: هَلاكٍ.

---

(١) سبقَ بيانُ أنَّ هذا سَبْقُ قَلَمٍ مِنَ المُصنِّفِ رَحِمَهُ اللهُ، وانظرِ التعليقَ على الآيَةِ رقم (٥١) مِنْ سُورَةِ إبراهيم.

(٢) كلمة: (من) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَباوَة.

(٣) الشعراء: ١٠٠.

(٤) روى القُرطُبيُّ (١٥/ ٣٠٣) عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قال: «هُوَ الرَّجُلُ يَكُونُ جالِسًا مَعَ القَوْمِ، فَتَمُرُّ المَرْأَةُ فَيُسارِقُهُمُ النَّظَرَ إِلَيْهَا. وَعَنْهُ: هُوَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى المَرْأَةِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ غَضَّ بَصَرَهُ، فَإِذَا رأى مِنْهُمْ غفلَةً تَدَسَّسَ بالنَّظَرِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ غَضَّ بَصَرَهُ، وَقَدْ عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ أَنَّهُ يَوَدُّ لَوْ نَظَرَ إِلَى عَوْرَتِهَا».

(٥) بالتَّاء: قِراءةُ نافعٍ وهشامٍ، وقرأ بقيَّةُ السَّبعةِ بالياءِ.

(٦) في نُسخةِ قَباوة: (الله).

(٧) لابنِ عامرٍ.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ
يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ
جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ
ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ
إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ
عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لِأَنَّهم كَانُوا يَكُفُّونه عَنْ قَتْلِه[١] ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ لِيَمْنَعَهُ مِنِّي ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ مِنْ عِبَادَتِكُم إِيَّايَ، فَتَتَّبِعُونَه ﴿[وَ] أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ مِنْ قَتْلٍ وغَيْرِه[٢]. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿أَوْ﴾، وفي أُخرَى: بِفَتْحِ اليَاءِ والهَاءِ وضَمِّ الدَّالِ[٣].

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لِقَومِه، وَقَدْ سَمِعَ ذلكَ: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قِيلَ: هُو ابنُ عَمِّهِ[٤] ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي: لِأَنْ ﴿يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَاتِ ﴿مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: ضَرَرُ كَذِبِه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ بِه مِنَ العَذَابِ عَاجِلًا؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مُشْرِكٌ ﴿كَذَّابٌ﴾: مُفْتَرٍ.

[٢٩] ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾: غَالِبِينَ: حَالٌ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾: عَذَابِه، إِنْ قَتَلْتُم أَولِيَاءَهُ ﴿إِن جَآءَنَا﴾؟ أي: لا نَاصِرَ لَنَا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: مَا أُشِيرُ عليكُم إِلَّا بِمَا أُشِيرُ بِه على نَفْسِي- وهو قَتْلُ مُوسَى- ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: طَرِيقَ الصَّوَابِ.

[٣٠] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حِزْبٍ بَعْدَ حِزْبٍ[٥].

[٣١] ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ - ﴿مِثْلَ﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿مِثْلَ﴾ قَبْلَه- أي: مِثْلَ جَزَاءِ عَادَةِ مَنْ كَفَرَ قَبْلَكُم، مِنْ تَعْذِيبِهم في الدُّنيا ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

[٣٢] ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ - بِحَذْفِ اليَاءِ وإِثْبَاتِها[٦]- أي: يَومَ القِيَامَةِ؛ يَكْثُرُ فيه نِدَاءُ أَصْحَابِ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ، وبِالعَكْسِ، والنِّدَاءُ بِالسَّعَادَةِ لِأَهْلِها، وبِالشَّقَاوَةِ لِأَهلِها، وغَيرُ ذلكَ.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عَنْ مَوقِفِ الحِسَابِ إِلى النَّارِ ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ عَذَابِه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾: مَانِعٍ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

---

(١) لَمْ نَجِدْهُ مُسْنَدًا. وقالَ الزمخشريُّ (٤/ ١٦٠): «كَانُوا إِذَا هَمَّ بِقَتْلِه كَفُّوه بِقَولِهِم: لَيسَ بِالذي تَخَافُه، وهُو أَقَلُّ مِنْ ذلك وأَضعَفُ، ومَا هُوَ إِلَّا بَعْضُ السَّحَرَةِ، ومِثْلُه لَا يُقَاوِمُ إِلَّا سَاحِرًا مِثْلَه، ويَقُولُونَ: إِذَا قَتَلْتَه أَدخَلتَ الشُّبهَةَ عَلى النَّاسِ، واعتَقَدُوا أَنَّكَ قَدْ عَجَزْتَ عَنْ مُعَارَضَتِه بِالحُجَّةِ. فَلَم يَكُنْ مَنْعُهُم لَه مِنْ قَتْلِه شَفَقَةً عَلى مُوسَى، ولَا مَنْعًا لِفِرعَونَ مِنْ قَتلِه ظُلْمًا بِغَيرِ حَقٍّ؛ وإِلَّا فَإِنَّهم كَانُوا يُحَرِّضُونَه عَلَيه وعَلى قَومِه الذين آمَنُوا به بعدَ ذلكَ، بَعدَ أَنْ أَقَامَ عَلَيه الحُجَّةَ؛ فَقَالُوا -كَمَا في سُورَةِ الأَعرَافِ-: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٧]. وقالَ ابنُ الجَوزِيِّ في زادِ المَسِيرِ (٤/ ٣٥): «وإِنَّمَا قَالَ هَذا، لِأَنَّه كَانَ في خَاصَّةِ فِرعَونَ مَنْ يَمْنَعُه مِنْ قَتلِه خَوفًا مِنَ الهَلَاكِ». وقالَ أبو الطيبِ مُحمَّد صِدِّيق خَان القِنَّوجِي في فتح البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ١٧٩): «أي: اترُكُونِي أَنْ أَقتُلَه. والظَّاهِرُ مِنْ حَالِ اللَّعِينِ أَنَّه قَدِ استَيقَنَ أَنَّه نَبِيٌّ، وأَنَّ مَا جَاءَ به حَقٌّ، ولَكِن كَانَ يَخَافُ إِنْ هَمَّ بِقَتلِه أَنْ يُعَاجَلَ بِالهَلَاكِ، وإِنَّمَا قَالَ ذلكَ تَموِيهًا وإِيهَامًا أَنَّهم هُمُ المَانِعُونَ لَه مِنْ قَتلِه، ولَولَاهُم لَقَتَلَهُ، مَعَ أَنَّه مَا مَنَعَه إِلَّا مَا في نَفسِه مِنَ الفَزَعِ الهَائِلِ».

(٢) قالَ الرازيُّ في مفاتيح الغيب (٢٧/ ٥٠٧): «المَقصُودُ مِنْ هَذَا الكَلَامِ بَيَانُ السَّبَبِ المُوجِبِ لِقَتْلِهِ، وَهُوَ أَنَّ وُجُودَهُ يُوجِبُ إِمَّا فَسَادَ الدِّينِ، أَوْ فَسَادَ الدُّنْيَا، أَمَّا فَسَادُ الدِّينِ: فَلِأَنَّ القَومَ اعتَقَدُوا أَنَّ الدِّينَ الصَّحِيحَ هُوَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ مُوسَى سَاعِيًا فِي إِفْسَادِهِ كَانَ فِي اعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ سَاعٍ فِي إِفْسَادِ الدِّينِ الحَقِّ. وَأَمَّا فَسَادُ الدُّنْيَا فَهُوَ أَنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قَوْمٌ وَيَصِيرَ ذَلِكَ سَبَبًا لِوُقُوعِ الخُصُومَاتِ وَإِثَارَةِ الفِتَنِ». قال مُحمَّد طنطاوي في التفسيرِ الوسيطِ (١٢/ ٢٨٠): «وهَكَذَا الطُّغَاةُ المَاكِرُونَ في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ: يَضرِبُونَ الحَقَّ بِكُلِّ سِلَاحٍ مِنْ أَسلِحَتِهِم البَاطِلَةِ. ثُمَّ يَزعُمُونَ بَعدَ ذَلِكَ أَمَامَ العَامَّةِ والبُسَطَاءِ والمَغلُوبِينَ على أَمرِهِم.. أَنَّهم مَا فَعَلُوا ذَلكَ إِلَّا مِنْ أَجلِ الحِرصِ عَلى مَصَالِحِهِمُ الدِّينِيَّةِ والدُّنيَوِيَّةِ!».

(٣) قَرَأَ نافعٌ وأبو عمرٍو: بِالوَاوِ وضَمِّ اليَاءِ وكَسرِ الهَاءِ وفَتحِ الدَّالِ؛ ﴿وَأَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾، وقَرَأَ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ: بِالوَاوِ وفَتحِ اليَاءِ والهَاءِ وضَمِّ الدَّالِ؛ ﴿وَأَن يَظْهَرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادُ﴾. وقَرَأَ شُعبةُ وحَمزَةُ والكِسَائِيُّ: بِسُكُونِ الوَاوِ وهَمزَةٍ مَفتُوحَةٍ قَبلَها، وفَتحِ اليَاءِ والهَاءِ، وضَمِّ الدَّالِ؛ ﴿أَوْ أَن يَظْهَرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادُ﴾. وقَرَأَ حفصٌ: بِسُكُونِ الوَاوِ وهَمزَةٍ مَفتُوحَةٍ قَبلَها، وضَمِّ اليَاءِ وكَسرِ الهَاءِ وفَتحِ الدَّالِ؛ ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾.

(٤) ذَكَرَه الثَّعلَبِيُّ في الكشفِ والبيَانِ عَن تفسيرِ القُرآنِ (٨/ ٢٧٣): «قالَ السُّدِّيُّ ومُقَاتِلٌ: كَانَ ابنَ عَمِّ فِرعَونَ». وقالَ الحافظُ في فتح الباري (٦/ ٤٢٨): «وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: اسمُه حَبِيبٌ، وَهُوَ ابنُ عَمِّ فِرْعَوْنَ. أَخرَجَهُ عَبدُ بنُ حُمَيدٍ».

(٥) أَشَارَ بِذَلكَ إِلى أَنَّ قَولَه: ﴿يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ مُفْرَدٌ في مَعنَى الجَمْعِ؛ أي: أَيَّامِها؛ حَيثُ إِنَّ هَلَاكَ الأَحزَابِ المُكَذِّبِينَ؛ كَقَومِ نُوحٍ وغَيرِهم مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ، لم يَكُنْ في يَومٍ وَاحِدٍ. قَالَ الرَّازِيُّ في مفاتيح الغيبِ (٢٧/ ٥١١): «وَالتَّقْدِيرُ: مِثْلُ أَيَّامِ الأَحْزَابِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا أَضَافَ اليَوْمَ إِلَى الأَحْزَابِ، وَفَسَّرَهُمْ بِقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، فَحِينَئِذٍ ظَهَرَ أَنَّ كُلَّ حِزْبٍ كَانَ لَهُ يَوْمٌ مُعَيَّنٌ فِي البَلَاءِ، فَاقْتَصَرَ مِنَ الجَمْعِ عَلَى ذِكْرِ الوَاحِدِ لِعَدَمِ الِالْتِبَاسِ».

(٦) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثيرٍ وَصْلًا ووَقْفًا، وأَثْبَتَها ورشٌ وَصْلًا فقط، وكذلكَ قَالُون بِخِلَافٍ عنه.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي
شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ
مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ
السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ
يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ
إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِ مُوسَى- وهو يُوسُفُ بنُ يَعقُوبَ في قَولٍ[١]، عُمِّرَ إلى زَمَنِ مُوسَى، أو يُوسُفُ بنُ إبرَاهِيمَ بنِ يُوسُفَ بنِ يَعقُوبَ في قَولٍ- ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالمُعجِزَاتِ الظَّاهِرَاتِ ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ مِنْ غَيرِ بُرهَانٍ: ﴿لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي: فَلَنْ تَزَالُوا كَافِرِينَ بِيُوسُفَ وغَيرِه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ إِضلَالِكم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مُشرِكٌ ﴿مُّرْتَابٌ﴾: شَاكٌّ فيما شَهِدَتْ بِهِ البَيِّنَاتُ.

[٣٥] ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: مُعجِزَاتِه: مُبتَدَأٌ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: بُرهَانٍ ﴿أَتَاهُمْ كَبُرَ﴾ جِدَالُهم: خَبَرُ المُبتَدَأِ ﴿مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ﴾: مِثْلَ إِضلَالِهم ﴿يَطْبَعُ﴾: يَختِمُ ﴿اللَّهُ﴾ بِالضَّلَالِ ﴿عَلَىٰ كُلِّ [قَلْبِ] مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ بِتَنوِينِ «قَلْبٍ» ودُونِه[٢]. ومَتَى تَكَبَّرَ القَلْبُ تَكَبَّرَ صَاحِبُه، وبِالعَكْسِ. و﴿كُلِّ﴾ على القِرَاءَتَينِ لِعُمُومِ الضَّلَالِ جَمِيعَ القَلْبِ، لَا لِعُمُومِ القُلُوبِ[٣].

[٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾: بِنَاءً عَالِيًا ﴿لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾.

[٣٧] ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾: طُرُقَها المُوصِلَةَ إِليها ﴿[فَأَطَّلِعُ]﴾ - بِالرَّفعِ[٤]: عَطفًا على: ﴿أَبْلُغُ﴾، وبِالنَّصبِ: جَوَابًا لِـ ﴿ابْنِ﴾- ﴿إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي: مُوسَى ﴿كَاذِبًا﴾ في أَنَّ لَه إِلَهًا غَيرِي. قَالَ فِرعَونُ ذَلكَ تَموِيهًا ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ [وَصَدَّ] عَنِ السَّبِيلِ﴾: طَرِيقِ الهُدَى- بِفَتحِ الصَّادِ وضَمِّها[٥]- ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾: خَسَارٍ[٦].

[٣٨] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ [اتَّبِعُونِي]﴾ - بِإِثبَاتِ اليَاءِ وحَذفِها[٧]- ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾. تَقَدَّمَ.

[٣٩] ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾: تَمَتُّعٌ يَزُولُ ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

[٤٠] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ [يُدْخَلُونَ] الْجَنَّةَ﴾ - بِضَمِّ اليَاءِ وفَتحِ الخَاءِ، وبِالعَكْسِ[٨]- ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: رِزْقًا وَاسِعًا، بِلَا تَبِعَةٍ.

---

(١) وهو الرَّاجِحُ، لَكِنْ قَولُ المُفسِّرِ: إِنَّه عُمِّرَ إِلى زَمَنِ مُوسَى غَرِيبٌ، وخِلَافُ الظَّاهِرِ، ورَدَّه غَيرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهلِ العِلْمِ، بَلِ المُرَادُ: جَاءَ آبَاءَكم.

(٢) بِالتَّنوِينِ: قِرَاءَةُ أَبِي عَمرٍو وابنِ ذَكوان. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿قَلْبِ﴾، بِتَركِ التَّنوِينِ.

(٣) أي: يَختِمُ اللهُ بِالضَّلَالِ عَلى جَمِيعِ القَلْبِ.

(٤) قِرَاءَةُ السَّبعةِ عدا حفصٍ. وقَرَأَ حفصٌ: ﴿فأطلعَ﴾، بِالنَّصبِ.

(٥) بِالفتحِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَصُدَّ﴾، بِالضَّمِّ.

(٦) قال ابنُ عاشورٍ في التحريرِ والتنوير (٢٤/ ١٤٨): «وسُمِّيَ كَيدًا لِأنَّه عَمَلٌ لَيسَ المُرَادُ به ظَاهِرَه، بَلْ أُرِيدَ به الإِفضَاءُ إِلى إِيهَامِ قَومِه كَذِبَ مُوسَى عليه السلام».

(٧) بِاليَاءِ وَصْلًا ووقفًا قِرَاءةُ ابنِ كثيرٍ. وأثبتها وصْلًا فقط أبو عمرٍو وقالون. وقرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿اتبعون﴾، بِحذفِ اليَاءِ الزَّائِدَةِ في الحَالَينِ.

(٨) بِضمٍّ ثُمَّ فتحٍ: قِرَاءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وشُعبةَ. وبالعكس: ﴿يَدْخُلُون﴾: قِرَاءةُ بَقِيَّةِ السَّبْعَةِ.

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ
﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ
عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا
تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ
وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ
عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ
فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ
تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ
ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ
بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ
ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

[٤١] ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

[٤٢] ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾: الغَالِبِ على أمْرِه ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ لِـمَنْ تَابَ.

[٤٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ لِأَعبُدَهُ ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ أي: استِجابَةُ دَعْوَةٍ[١] ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾: مَرْجِعَنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: الكَافِرِينَ ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إِذَا عَايَنتُمُ العَذَابَ ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ قَالَ ذلكَ لَـمَّا تَوَعَّدُوهُ بِمُخَالَفَةِ دِينِهِم[٢].

[٤٥] ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ بِه مِنَ القَتْلِ ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾: قَومِهِ مَعَه ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: الغَرَقُ.

[٤٦] ثُمَّ ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: يُحَرَّقُونَ[٣] بِها ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: صَبَاحًا ومَسَاءً[٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يُقَالُ: ﴿[ٱدْخُلُوا۟][٥]﴾ يا ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي قِرَاءَةٍ: بِفَتحِ الهَمزَةِ وكَسرِ الخَاءِ: أَمْرٌ لِلمَلَائِكَةِ ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾: عَذَابَ جَهنَّمَ.

[٤٧] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾: يَتَخَاصَمُ الكُفَّارُ ﴿فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: جَمْعُ تَابِعٍ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: دَافِعُونَ ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾: جُزْءًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؟

[٤٨] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ فأَدْخَلَ المُؤمِنِينَ الجَنَّةَ والكَافِرِينَ النَّارَ.

[٤٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قَدْرَ يومٍ ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

---

(١) وقِيلَ: المُرَادُ ليسَ له دَعوَةٌ تُوجِبُ لَه الأُلوهِيَّةَ، ولَعَلَّه أَقرَبُ.

(٢) في نُسخَةِ قَباوَة: (بِمُخَالَفَتِه دِينَهم).

(٣) في نُسخَةِ قَباوَة: (يُخَوَّفُونَ).

(٤) أي: في عالَمِ القبرِ والحَياةِ البَرزَخيَّةِ. قالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه: (٧/ ١٤٦): «وَهَذِهِ الآيَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي اسْتِدْلَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى عَذَابِ البَرْزَخِ فِي القُبُورِ».

(٥) وهي قِرَاءةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبَةَ، وقرَأ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿ادخلوا﴾ بِفتحِ الهَمزَةِ.

[٥٠] ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الخزنةُ تهكُّمًا: ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾: بِالْمُعْجِزاتِ الظَّاهِراتِ؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ أي: فكفَروا بِهِم ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ﴾ أنتم. فإنَّا لا نَشْفَعُ لِلكافِرِينَ[1]. قالَ تَعالَى: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾: انعِدام.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾: جَمْعُ شاهِدٍ، وهُمُ الملائكةُ يَشْهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالبَلاغِ، وعَلى الكُفَّارِ بِالتَّكْذِيبِ.

[٥٢] ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ[2]- ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ﴾: عُذْرُهُم، لَوِ اعتَذَرُوا ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي: البُعْدُ مِنَ الرَّحمَةِ ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الآخِرَةِ؛ أي: شِدَّةُ عَذابِها.

[٥٣] ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾: التَّوراةَ والمُعجِزاتِ ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ.

[٥٤] ﴿هُدٗى﴾: هادِيًا ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: تَذْكِرَةً لِأَصْحابِ العُقُولِ.

[٥٥] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ - يا مُحَمَّدُ- ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بِنَصْرِ أولِيائِهِ ﴿حَقّٞ﴾ وأَنتَ ومَنْ تَبِعَكَ منهم ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ لِيُسْتَنَّ بكَ[3] ﴿وَسَبِّحۡ﴾: صَلِّ مُلتَبِسًا ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ وهُو مِنْ بَعْدِ الزَّوالِ ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ الصَّلَواتِ الخَمْسَ[4].

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾: بُرْهانٍ ﴿أَتَىٰهُمۡ إِن﴾: ما ﴿فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾: تَكَبُّرٌ وطَمَعٌ أَنْ يَعْلُوا عليكَ ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ﴾ مِنْ شَرِّهِم ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأَقوالِهِم ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بِأَحوالِهِم.

[٥٧] ونَزَلَ في مُنكِرِي البَعْثِ[5]: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ابتِداءً ﴿أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ مَرَّةً ثانِيَةً- وهِيَ الإِعادَةُ- ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ[6] ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلكَ. فهُم كَالأَعمَى، ومَنْ يَعلَمُه كَالبَصِيرِ.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ - وهُو المُحْسِنُ- ﴿وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ فيه زِيادَةُ «لا»[7] ﴿قَلِيلٗا مَّا [يَتَذَكَّرُونَ]﴾: يَتَّعِظُونَ، بِالياءِ والتَّاءِ[8]؛ أي: تَذَكُّرُهم قَليلٌ جِدًّا.

سورة غافر — الجزء الرابع والعشرون

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ
قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠
إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣ هُدٗى
وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٤ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨

٤٧٣

---

(١) في نُسخةِ قَباوَة: (لِلكافِرِ).

(٢) بِالتَّاءِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالياءِ.

(٣) قال القرطبيُّ (١٥/ ٣٢٤) في تفسيرِ الآيَةِ: «قِيلَ: لِذَنْبِ أُمَّتِكَ، حُذِفَ المُضافُ وَأُقِيمَ المُضافُ إِلَيْهِ مَقامَهُ. وَقِيلَ: لِذَنْبِ نَفْسِكَ، عَلَى مَنْ يُجَوِّزُ الصَّغائِرَ عَلَى الأَنْبِياءِ. وَمَنْ قالَ: لا تَجُوزُ؛ قالَ: هَذا تَعَبُّدٌ لِلنَّبِيِّ عليه السلام بِدُعاءٍ،... وَالفائِدَةُ: زِيادَةُ الدَّرَجاتِ، وَأَنْ يَصِيرَ الدُّعاءُ سُنَّةً لِمَنْ بَعْدَهُ. وَقِيلَ: فَاسْتَغْفِرِ اللهَ مِنْ ذَنْبٍ صَدَرَ مِنْكَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ». وقال الشِّنقيطيُّ في أضواءِ البيانِ (٤/ ١١٩): «الَّذِي يَظْهَرُ لَنا أَنَّهُ الصَّوابُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ أَنَّ الأَنْبِياءَ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ: لَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ مَا يُزْرِي بِمَراتِبِهِمُ العَلِيَّةِ، وَمَناصِبِهِمُ السَّامِيَةِ، وَلا يَسْتَوْجِبُ خَطَأً مِنْهُمْ، وَلا نَقْصًا فِيهِمْ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ فَرَضْنا أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُمْ بَعْضُ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَدارَكُونَ ما وَقَعَ مِنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَالإِخْلاصِ، وَصِدْقِ الإِنابَةِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنالُوا بِذَلِكَ أَعْلَى دَرَجاتِهِمْ، فَتَكُونُ بِذَلِكَ دَرَجاتُهُمْ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ...». ويُنظَرُ أيضًا: المستدرك على الفتاوى لابن تيمية (١/ ٢٠٨).

(٤) يعني أنَّ التَّسبيحَ في هَذينِ الوَقتَينِ يُرادُ به الصَّلَواتُ الخَمسُ. وقِيلَ: المُرادُ: صَلاةُ العَصرِ وصَلاةُ الفَجرِ، وقِيلَ: هي صَلاةٌ كانَت بِمَكَّةَ، قَبلَ أَنْ تُفرَضَ الصَّلَواتُ الخَمسُ: رَكعَتانِ غُدوَةً ورَكعَتانِ عَشِيَّةً. والأَقرَبُ أنَّ المُرادَ بِالتَّسبيحِ أَعَمُّ مِنَ الصَّلاةِ، فيَشمَلُها ويَشمَلُ تَنزيهَه -سُبحانَهُ- بِالذِّكرِ والدُّعاءِ والإِخلاصِ في العِبادَةِ والتَّوَجُّهِ ونَحوِ ذلكَ.

(٥) لم نقِفْ على مَنْ قالَ ذلكَ.

(٦) في نُسخةِ قباوة: (الكُفَّار) بدلًا مِن: (كُفَّارِ مَكَّةَ).

(٧) لِتوكيدِ النَّفيِ في «ما»، ولِطولِ الكلامِ بالصِّلَةِ.

(٨) بالياءِ: قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ، وقرأَ بقيَّةُ السَّبعةِ بالتَّاءِ.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ
خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى
نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

ربع الحزب ٤٨

[٥٩] ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[*] أي: اعبُدُوني أُثِبْكُم(١). بقَرِينَةِ ما بَعْدَه(٢): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ﴾ - بِفَتحِ الياءِ وضَمِّ الخاءِ، وبِالعَكْسِ(٣)- ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: صَاغِرِينَ.

[٦١] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ - إسنادُ الإبصارِ إليه مَجازِيٌّ؛ لِأَنَّهُ يُبْصَرُ فيه- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ اللهَ، فلَا يُؤْمِنُونَ.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: فكَيفَ تُصْرَفُونَ عَنِ الإِيمانِ مَعَ قِيامِ البُرْهانِ؟

[٦٣] ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أي: مِثْلَ أَفْكِ هؤلاءِ أُفِكَ ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: مُعْجِزاتِه(٤) ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

[٦٤] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سَقْفًا(٥) ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٦٥] ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾: اعبُدُوهُ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٦٦] ﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: دَلائِلُ التَّوحِيدِ ﴿مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

[*] فائِدَةٌ: أخرجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ في قَولِه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قالَ: «الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ»، وقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قَولِه: ﴿دَاخِرِينَ﴾. التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١)، ومِن سُورة المُؤمن. وصَحَّحَه الألبانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٨٥).

(١) كانَ المُفَسِّرُ رَحِمَهُ اللهُ قَصَرَ الدُّعاءَ في الآيَةِ على دُعاءِ العِبادَةِ؛ لِذلك فَسَّرَ ﴿أَسْتَجِبْ﴾ بِمَعنى: «أُثِبْكُم»، لكِنَّ الصَّوابَ أَنَّ الدُّعاءَ أَعَمُّ مِنْ ذلكَ، فَيَشمَلُ دُعاءَ العِبادَةِ، كَما يَشمَلُ دُعاءَ المَسألَةِ، وما بَعدَه لَيسَ قَرِينَةً لِهذا التَّفسِيرِ كَما قالَ، بَلْ يَدُلُّ على أَنَّ الدُّعاءَ عِبادَةٌ، كَما دَلَّتْ عَلى ذلكَ السُّنَّةُ -كما في حَدِيثِ النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ، في حاشِيَةِ الفَوائِدِ- ومِن ثَمَّ فَإِنَّ الاستِجابَةَ أَعَمُّ مِنَ الإِثابَةِ، وهِيَ تَشمَلُ القَبُولَ والإِثابَةَ، كَما تَشمَلُ إِعطاءَ السَّائِلِينَ سُؤلَهم. ويُنظَرُ تفسير القرآنِ لابنِ عُثيمين (ص٤١٤-٤١٥).

(٢) جُملَةُ: (ما بَعدَه) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَباوَة.

(٣) بِضَمٍّ ثُمَّ فَتحٍ: قِراءَةُ ابن كثيرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِالعَكسِ.

(٤) آياتُ الله أَعَمُّ وأَشمَلُ مِنَ المُعجِزاتِ، وآياتُه سُبحانَه هِيَ دَلالاتُه التي تَدُلُّ على كَمالِه واستِحقاقِه وَحدَهُ العِبادَةَ، وهي تَشمَلُ الآياتِ الكَونِيَّةَ مِن خَلْقِ المَخلُوقاتِ وغَيرِها، مِمَّا يَدُلُّ على خالِقِها وحِكمَتِه وقُدرَتِه ورَحمَتِه، وغَيرِ ذلك مِن صِفاتِ الكَمالِ والجَلالِ، كَما تَشمَلُ الآياتِ الشَّرعِيَّةَ التي جاءَتْ بِها الرُّسُلُ؛ مِنَ الأَحكامِ العادِلَةِ والأَخبارِ الصَّادِقَةِ والقَصَصِ الرَّائِعَةِ.

(٥) في نُسخَةِ قَباوَة: (﴿وَالسَّماءَ﴾ سقفًا ﴿بِناءً﴾)؛ بتقديم كلمة (سقفًا).

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (٦٩) ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ
وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ
فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِى ٱلْحَمِيمِ
ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن
نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤)
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ (٧٥) ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧)

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بِخَلْقِ أَبِيكُم آدَمَ منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: دَمٍ غَلِيظٍ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بِمَعنَى: أَطْفَالًا ﴿ثُمَّ﴾ يُبْقِيكُم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾: تَكَامُلَ قُوَّتِكُم، مِنَ الثَّلَاثِينَ سَنَةً إلى الأَربَعِينَ ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ - بِضَمِّ الشِّينِ وكَسرِهَا[١]- ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبلِ الأَشُدِّ والشَّيخُوخَةِ، فَعَلَ ذَلكَ بِكُم لِتَعِيشُوا ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾: وَقتًا محدُودًا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دَلَائِلَ التَّوحِيدِ، فتُؤمِنُونَ.

[٦٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أَرَادَ إِيجَادَ شَيءٍ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ - بِضَمِّ النُّونِ وفَتحِها[٢]؛ بِتَقدِيرِ: «أَن»- أي: يُوجَدُ عَقِبَ الإِرَادَةِ، التي هِيَ مَعنَى القَولِ المَذكُورِ[٣].

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿أَنَّىٰ﴾: كَيفَ ﴿يُصْرَفُونَ﴾ عَنِ الإِيمَانِ؟

[٧٠] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ مِنَ التَّوحِيدِ والبَعْثِ. وهُم كُفَّارُ مَكَّةَ؟ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عُقُوبَةَ تَكذِيبِهم.

[٧١] ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ - ﴿إِذِ﴾ بِمَعْنَى: إِذَا- ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾: عَطفٌ عَلَى: ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾ فتكُونُ في الأَعنَاقِ، أو مُبتَدَأٌ خَبَرُه محذُوفٌ؛ أي: في أَرجُلِهم، أو خَبَرُه: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ أي: يُجَرُّونَ بها.

[٧٢] ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: جَهَنَّمَ ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يُوقَدُونَ.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تَبكِيتًا: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

[٧٤] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مَعَه؟ وهِيَ الأَصنَامُ ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟﴾: غَابُوا ﴿عَنَّا﴾ فَلَا نَرَاهُم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أَنكَرُوا عِبَادَتَهم إِيَّاها. ثُمَّ أُحضِرَتْ[٤]. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٥]؛ أي: وَقُودُها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ إِضلَالِ هَؤُلَاءِ المُكَذِّبِينَ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[٧٥] ويُقَالُ لَهم أَيضًا: ﴿ذَٰلِكُم﴾ العَذَابُ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ مِنَ الإِشرَاكِ وإِنكَارِ البَعْثِ ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تَتَوسَّعُونَ في الفَرَحِ.

[٧٦] ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مَأْوَى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

[٧٧] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِعَذَابِهم ﴿حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ - فيه «إِنْ» الشَّرطِيَّةُ مُدغَمَةٌ، و«مَا»: زَائِدَةٌ، تُؤَكِّدُ مَعنَى الشَّرطِ أَوَّلَ الفِعلِ، والنُّونُ تُؤَكِّدُ آخِرَه- ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به مِنَ العَذَابِ، في حَيَاتِكَ. وجَوَابُ الشَّرطِ محذُوفٌ، أي: فَذَاكَ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبلَ تَعذِيبِهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فنُعَذِّبُهم أَشَدَّ العَذَابِ. فالجَوَابُ المَذكُورُ لِلمَعطُوفِ فَقَط[٦].

---

(١) قَرَأَ ورشٌ وحفصٌ وأبو عمرٍو وهشامٌ وقالونُ بِالضَّمِّ، وقَرَأَ شُعبَةُ وحَمزَةُ وابنُ كثيرٍ وابنُ ذكوان والكِسَائِيُّ بِالكَسرِ.

(٢) بِالفَتحِ: قِرَاءَةُ ابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ البَاقُونَ بِضَمِّ النُّونِ.

(٣) وفي هذا التَّفسِيرِ نَظَرٌ؛ حَيثُ إِنَّ الأَمرَ والقَولَ غَيرُ الإِرَادَةِ، وهذَا الكَلَامُ مَبنَاه عَلى مَذهَبِ المُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللهُ في تَأوِيلِ صِفَةِ الكَلَامِ بِالكَلَامِ النَّفسِيِّ؛ أي إِنَّه مَعنًى قَائِمٌ بِالنَّفسِ، ولَيسَ شَيئًا يُسمَعُ. وهذا خِلَافُ مَذهَبِ السَّلَفِ الذين يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَتَكَلَّمُ بِحَرفٍ وصَوتٍ مَسمُوعٍ، بِما شَاءَ كَيفَ شَاءَ ومَتَى شَاءَ.

(٤) أَجَابَ به المُفَسِّرُ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ حَملَ الآيَةِ على هَذا الوَجهِ يُخَالِفُ قولَه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨] فأَجَابَ بِأَنَّهم أَوَّلًا تَضِلُّ عنهم آلِهَتُهم ويَتَبَرَّأُونَ، ثُمَّ تُحضَرُ وتُقرَنُ بِهِم.

(٥) الأنبياء: ٩٨.

(٦) أي: لِقَولِه: ﴿نتوفينك﴾؛ لِأَنَّ جوابَ ﴿نرينك﴾ محذُوفٌ كما تَقَدَّمَ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ
تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ
الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا
بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ - رُوِي أنّه -تعالَى- بعَثَ ثمانِيَةَ آلافِ نبِيٍّ: أربعَةَ آلافِ نبِيٍّ مِنْ بَنِي إسرائِيلَ، وأربعَةَ آلافِ مِنْ سائرِ النَّاسِ(١) - ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لِأَنَّهم عَبِيدٌ مَربُوبُونَ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بِنزُولِ العَذابِ على الكُفَّارِ ﴿قُضِيَ﴾ بينَ الرُّسُلِ ومُكَذِّبِيها ﴿بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: ظَهَرَ القَضاءُ والخُسرَانُ لِلنَّاسِ، وهُمْ خاسِرُونَ في كُلِّ وَقتٍ قبلَ ذلك.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قِيلَ: الإِبِلُ خاصَّةً هنا(٢). والظَّاهِرُ: والبَقَرُ والغَنَمُ ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ مِنَ الدَّرِّ والنَّسْلِ والوَبَرِ والصُّوفِ ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حَمْلُ الأَثقالِ إلى البِلادِ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البَرِّ ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السُّفُنِ في البَحْرِ ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدَّالَّةِ على وَحدانِيَّتِه ﴿تُنكِرُونَ﴾؟ استِفهامُ تَوبِيخٍ. وتَذكِيرُ «أيَّ» أشهَرُ مِنْ تأنِيثِه(٣).

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ مِنْ مَصانِعَ وقُصُورٍ ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المُعجِزاتِ الظَّاهِراتِ ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿بِمَا عِندَهُم﴾ أي: الرُّسُلِ(٤) ﴿مِّنَ الْعِلْمِ﴾ فَرَحَ استِهزاءٍ وضَحِكٍ، مُنكِرِينَ له(٥) ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العَذابُ.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: شِدَّةَ عذابِنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ﴾ - نَصْبُهُ على المَصْدَرِ بِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ مِنْ لَفظِه(٦)- ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ في الأُمَمِ، أَنْ لا يَنفَعَهُم الإيمانُ وَقتَ نُزُولِ العَذابِ ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾: تَبَيَّنَ خُسرانُهم لِكُلِّ أحَدٍ، وهُم خاسِرونَ في كُلِّ وَقتٍ قبلَ ذلك.

---

(١) رواه أبو نُعيم في حِليةِ الأولياءِ وطَبقاتِ الأصفياءِ (٣/ ١٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ عَلَى أَثَرِ ثَمَانِيَةِ آلَافِ نَبِيٍّ، مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافِ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ». وقال أبو نُعيم: «غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ زِيَادٍ تَفَرَّدَ بِهِ زَكَرِيَّا، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ صَفْوَانَ، وَمُحَمَّدٍ، عَنْ أَنَسٍ، مَقْرُونًا». وضعَّفه الألبانيُّ في الضعيفة (٦٠٩٠). وأخرجَ ابنُ حِبَّان (٣٦١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل، وفيه: «...قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَمِ الْأَنْبِيَاءُ؟، قَالَ: «مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟، قَالَ: «ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا». وَرَوَاهُ الحَاكِمُ في مُستدرَكِه (٤١٦٦) فِي الْفَضَائِلِ عَن يحيى بنِ سعيدِ السَّعْدِيِّ عَن ابنِ جُريج عَن عَطاءٍ عَن عُبيدِ بنِ عُمَيْرٍ عَن أَبِي ذَرٍّ ... فَذَكَره بِلَفظِ ابْنِ حِبَّان سَوَاء، وَسَكَتَ عَنْهُ. وَبِهَذَا السَّنَدِ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِه (٧٨٧١). وقالَ الهيثميُّ في مجمعِ الزوائدِ (١/ ١٥٩): «وَمَدَارُهُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ». وَالْبَيْهَقِيُّ فِي أَوَّلِ شُعَبِ الْإِيمَانِ (١٣١)، وَقَالَ: «إِنَّ يَحْيَى السَّعْدِيَّ ضَعِيفٌ». وضعَّفَه الألبانيُّ في الضعيفةِ (١٩١٠، ٦٠٩٠). وقالَ في سِلسلةِ الأحاديثِ الصَّحيحةِ وشيءٍ مِن فِقهِها وفوائِدِها (٦/ ٣٦٣) -بعدَ أن سَاقَ طُرُقَه ورِوَايَاتِه-: «وجملةُ القَولِ: إنَّ عَدَدَ الرُّسُلِ المذكُورِينَ في حَدِيثِ الترجمَةِ صَحِيحٌ لِذَاتِه، وأنَّ عَدَدَ الأنبِيَاءِ المذكُورِينَ في أحدِ طُرُقِه، وفي حَدِيثِ أبي ذَرٍّ مِن ثَلاثِ طُرُقٍ، فهو صَحِيحٌ لِغَيرِه، ولَعَلَّه لِذلكَ لَمَّا ذَكَره ابنُ كثيرٍ في «تاريخه» (١/ ٩٧) مِن رِوايةِ ابنِ حِبَّان في «صحيحه» سَكَت عنه، ولَم يَتَعَقَّبْه بِشيءٍ، فدَلَّ على ثُبوتِه عنده. وكذلك فعلَ الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ في «الفتح» (٦/ ٢٥٧)...».

(٢) أي: لِأنَّها هي التي يُوجَدُ فيها المَنافِعُ الآتِيَةُ في الآياتِ هنا.

(٣) أي: أشهَرُ مِنْ «أيَّة».

(٤) الرَّاجِحُ أنَّ المُرادَ فَرَحُ الكُفَّارِ بما عِندَ أنفُسِهم مِنَ العِلْمِ؛ لا بِما عِندَ الرُّسُلِ؛ ولِذَا آثَرُوه على مَا جَاءَتْ به الرُّسُلُ. قال مجاهدٌ في تفسيرِه (ص٥٨٤) في تفسيرِ قَولِه تعالى: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ قَالَ: «هُوَ قَوْلُهُمْ لِلرُّسُلِ: نَحْنُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، لَنْ نُبْعَثَ، وَلَنْ نُعَذَّبَ». ونَسَبَه ابنُ الجوزيِّ لِجُمهورِ المُفَسِّرينَ؛ قالَ في زادِ المسيرِ (٤/ ٤٤): «في المُشارِ إليهم قَولانِ: أحدُهما: أنَّهم الأُمَمُ المُكَذِّبَةُ. قالَه الجُمهورُ. ثُمَّ في معنَى الكَلامِ قَولانِ: أحدُهما: أنَّهم قالُوا: نحنُ أعلَم منهم؛ لَنْ نُبعثَ، ولَنْ نُحاسَبَ. قالَه مُجاهِدٌ. والثاني: فَرِحُوا بِما كانَ عِندَهم أنَّه عِلْمٌ. قالَه السُّدِّيُّ. والقَولُ الثاني: أنَّهم الرُّسُلُ، والمعنَى: فَرِحَ الرُّسُلُ لَـمَّا هَلَكَ المُكَذِّبُونَ ونَجَوْا، بِما عِندَهم مِنَ العِلْمِ باللهِ؛ إذ جاءَ تَصدِيقُه. حَكاهُ أبو سُليمانَ وغَيرُه». وقال ابنُ عُثَيمِين في تفسيرِ القُرآنِ (ص٥٤٨): «والحاصِلُ: أنَّ هذا التَّفسِيرَ الذي ذَكَرَه المُفَسِّرُ ضَعِيفٌ جِدًّا، بل هُو تَحرِيفٌ، والصَّوابُ: أنَّ المعنَى: فَرِحَ الكُفَّارُ بما عِندَهم؛ أي بِمَا عِندَ الكُفَّارِ مِنَ العِلْمِ، وقالُوا: نحنُ أعلَمُ بِما يُصلِحُنا وما يُصلِحُ دُنيَانا ودِينَنا الذي نحنُ عليه...».

(٥) وعلى القولِ الرَّاجِحِ؛ يَكونُ فَرَحَ إِعجابٍ وجَهْلٍ، وبَطَرٍ واستِبشارٍ، فيما يَظنُّونَ أنَّهم على عِلْمٍ أعلَى مِن عِلْمِ الأنبياءِ عليهمُ السَّلامُ.

(٦) تَقديرُه: سَنَّ اللهُ بِهِم سُنَّةَ مَنْ قَبلَهم.

سورةُ فصلت

ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ
وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ
٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ
لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ
ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا
وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً
لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ١١

نصف الحزب ٤٨

سُورةُ حمٓ السَّجْدَة[1]

مَكِّيَّةٌ، ثَلاثٌ وخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ به.

[٢] ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: مُبتَدأٌ.

[٣] ﴿كِتَٰبٌ﴾: خبَرُه. ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: بُيِّنَتْ بِالأحكَامِ والقِصَصِ والمَوَاعِظِ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: حَالٌ مِنْ ﴿كِتَٰبٌ﴾ بِصِفَتِه[2] ﴿لِّقَوْمٍ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿فُصِّلَتْ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ﴾: يَفْهَمُونَ ذَلكَ- وهُمُ العَرَبُ-.

[٤] ﴿بَشِيرًا﴾: صِفَةُ ﴿قُرْءَانًا﴾ ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ قَبُولٍ.

[٥] ﴿وَقَالُوا۟﴾ لِلنَّبِيِّ: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾: أَغْطِيَةٍ ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾: ثِقَلٌ ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: خِلَافٌ في الدِّينِ ﴿فَٱعْمَلْ﴾ على دِينِكَ ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ على دِينِنَا.

[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ بِالإِيمانِ والطَّاعَةِ ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾.

[٧] ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾: تَأْكِيدٌ ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

[٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: مَقْطُوعٍ.

[٩] ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ، وتَسهِيلِهَا، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَها بِوَجْهَيها وبَينَ الأُولَى[3]- ﴿لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ الأحَدِ والاثنَينِ[4] ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شُرَكَاءَ؟ ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾: مَالِكُ[5] ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جَمْعُ عَالَمٍ- وهُو ما سِوَى اللهِ. وجُمِعَ لاختِلَافِ أَنوَاعِه بِاليَاءِ والنُّونِ؛ تَغْلِيبًا لِلعُقَلَاءِ-.

[١٠] ﴿وَجَعَلَ﴾: مُسْتَأْنَفٌ، ولَا يَجُوزُ عَطْفُه عَلى صِلَةِ «الَّذِي»؛ لِلفَاصِلِ الأَجنَبِيِّ[6] ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جِبالًا ثَوابِتَ ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بِكَثْرَةِ المِيَاهِ والزُّرُوعِ والضُّرُوعِ ﴿وَقَدَّرَ﴾: قَسَّمَ ﴿فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ لِلنَّاسِ والبَهَائِمِ ﴿فِىٓ﴾ تَمَامِ ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أَيِ: الجَعْلُ، وما ذُكِرَ مَعَه في يَومِ الثُّلَاثَاءِ والأَربَعَاءِ[7] ﴿سَوَآءً﴾: مَنصُوبٌ عَلى المَصْدَرِ؛ أَيِ: استَوَتِ الأَربَعَةُ استِوَاءً لا تَزِيدُ ولا تَنقُصُ[8] ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عَنْ خَلْقِ الأَرضِ بِما فيها.

[١١] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾: قَصَدَ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾: بُخَارٌ مُرتَفِعٌ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ إلى مُرَادِي مِنكُما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: في مَوضِعِ الحَالِ؛ أَيْ: طَائِعَتَينِ أو مُكْرَهَتَينِ ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾ بِمَنْ فِينا ﴿طَآئِعِينَ﴾ فيه تَغلِيبُ المُذَكَّرِ العَاقِلِ، أو: نُزِّلَتَا لِخِطَابِهِما مَنزِلَتَه.

---

(١) في بَعضِ النُّسَخِ: (سُورَة فُصِّلَت). وفي أُخرَى: (سُورَة السَّجْدَةِ فُصِّلَتْ). وعَدَدُ آيَاتِها عِندَ أَهلِ المَدِينَةِ وأَهلِ مَكَّةَ ثَلاثٌ وخَمْسُونَ، وعِندَ أَهلِ الكُوفَةِ أَربَعٌ وخَمسُونَ. وسَبَبُ الاختِلَافِ في العَدَدِ هو اختِلافُ الرِّوَايَةِ في تَحدِيدِ أَوَاخِرِ بَعضِ الآيَاتِ.

(٢) أَي: الكِتَابُ؛ والمَعنَى: أَنَّ المُسَوِّغَ لِمَجِيءِ الحَالِ منه مع كَونِه نَكِرَةً، هو وَصْفُه بِما بَعدَه، وهو جُملَةُ: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾.

(٣) قَرَأَ قَالُون وأَبو عَمرٍو بِتَسهِيلِ الهَمزَةِ الثانِيَةِ بَينَ بَينَ مَع إِدخَالِ الأَلِفِ بينَهما، وابنُ كَثِيرٍ ووَرشٌ بِالتَّسهِيلِ مِنْ غَيرِ إِدخَالٍ، وهِشامٌ بِالإِدخَالِ مَعَ التَّسهِيلِ وتَركِه، وبَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِالتَّحقِيقِ مِنْ غَيرِ إِدخَالٍ.

(٤) روى ابنُ جرير (٢٠/ ٣٨٢)، والحَاكِمُ (٣٩٩٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ اليَهُودَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرضِ، فَقَالَ: «خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ اللهُ الجِبَالَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ مَنَافِعَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ الشَّجَرَ وَالمَاءَ وَالمَدَائِنَ وَالعُمْرَانَ وَالخَرَابَ فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ»...الحديث. قال الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». وقال الأَلبانيُّ في الضعيفة (٥٩٧٣): «مُنكَرٌ». وأَخرَجَ مُسلِمٌ (٢٧٨٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ». ونَقَلَ ابنُ الجوزيِّ في زاد المسير (٢/ ١٢٧) إِجمَاعَ أَهلِ العِلمِ على أَنَّ بَدءَ الخَلْقِ هو يومُ السبتِ؛ فقال: «وقَالَ ابنُ الأَنبَارِيِّ: وهذا إِجمَاعُ أَهلِ العِلْمِ».

(٥) هذا أَحَدُ مَعَاني الرَّبِّ. والرَّبُّ هو: الخَالِقُ المَالِكُ المُتَصَرِّفُ السَّيِّدُ المُطَاعُ. قال ابنُ جرير (١/ ١٤٣): «فَرَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: السَّيِّدُ الَّذِي لَا شِبْهَ لَهُ، وَلَا مِثْلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالمُصْلِحُ أَمْرَ خَلْقِهِ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَالمَالِكُ الَّذِي لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ».

(٦) وهو قولُه: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقولُه: «مُستَأنَفٌ، ولا يَجوزُ عَطفُه عَلى صِلَةِ «الذي»... إلخ»؛ قَالَ الصَّاوِي في حَاشِيَتِه (٥/ ٢٠٤): «هذه العِبَارَةُ في بَعضِ النُّسَخِ، وهي مُعتَرَضَةٌ بِأَنَّه لا مَحْذُورَ في الفَصلِ بَينَ المُتَعَاطِفَينِ بِالجُمَلِ المُعتَرِضَةِ، ولا يُقَالُ: إِنَّه وَقَعَ بَينَ أَجزَاءِ صِلَةِ المَوصُولِ؛ لِأَنَّه يُقَالُ: المَوصُولُ قَدِ استَوفَى صِلَتَه، ويُغتَفَرُ في التَّابِعِ مَا لَا يُغتَفَرُ في المَتبُوعِ؛ فَالأَولَى إِسقَاطُ هذه العِبَارَةِ، كما هو في بَعضِ النُّسَخِ» اهـ.

(٧) يُنظَرُ التَّعلِيقُ المُتَقَدِّمُ قَرِيبًا في تَعيِينِ هَذه الأَيَّامِ بِأَسمَائِها.

(٨) في نُسخَةِ قَباوَة: (لا يَزِيدُ ولا يَنقُصُ).

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ
إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ -الضَّمِيرُ يَرجِعُ إلى ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لِأنَّها في مَعنَى الجمعِ الآيِلَةِ إِلَيه(١)- أي: صَيَّرَها ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخَمِيسِ والجُمُعةِ(٢)، فَرَغَ منها في آخِرِ سَاعَةٍ منه، وفيها خلَقَ آدمَ(٣)- ولِذلكَ لَمْ يَقلْ هُنا: ﴿سَوَآءً﴾. وَوافَقَ مَا هُنا(٤) آياتِ خَلْقِ السَّماوَاتِ والأرْضِ في سِتَّةِ أيَّامٍ- ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أَمَرَ به مَنْ فيها، مِنَ الطَّاعَةِ والعِبادَةِ ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: بِنُجُومٍ ﴿وَحِفْظًا﴾: مَنصُوبٌ بِفِعْلِه المُقَدَّرِ؛ أي: حَفِظنَاها مِنِ استِرَاقِ الشَّياطِينِ السَّمْعَ بِالشُّهُبِ ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بِخَلْقِه.

[١٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ، عَنِ الإيمانِ، بَعدَ هَذا البَيانِ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾: خَوَّفتُكم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: عَذابًا يُهلِكُكم مِثلَ الذي أهلَكَهُم.

[١٤] ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مُقْبِلِينَ عَليهم ومُدْبِرِينَ عنهم، فَكَفَرُوا، كَما سَيأتي- والإِهلَاكُ في زَمَنِه(٥) فَقطْ- ﴿أَ﴾ن، أي: بِأنْ ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ عَلَينا ﴿مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ عَلى زَعْمِكُم ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟﴾ لَمَّا خُوِّفُوا بِالعَذَابِ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾؟ أي: لَا أَحَدَ. كَانَ وَاحِدُهم يَقْلَعُ الصَّخْرةَ العَظِيمَةَ مِنَ الجَبَلِ، يَجعَلُها حَيثُ يَشاءُ(٦) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يَعلَمُوا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المُعجِزَاتِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

[١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: بَارِدَةً شَدِيدَةَ الصَّوتِ، بِلا مَطَرٍ(٧) ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ - بِكَسرِ الحَاءِ وسُكُونِها(٨)-: مَشئُومَاتٍ عليهم ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾: الذُّلِّ ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾: أَشَدُّ ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ بِمَنْعِه عنهم.

[١٧] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: بَيَّنَّا لهم طَرِيقَ الهُدَى ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ﴾: اختَارُوا الكُفرَ ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾: المُهِينِ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ منها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ.

[١٩] ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ - بِاليَاءِ، والنُّونِ المفتُوحَةِ، وضَمِّ الشِّينِ وفَتحِ الهَمزَةِ(٩)- ﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُسَاقُونَ.

[٢٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾: زائِدَةٌ ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) «أل» في «السَّماءِ» لِلجِنسِ؛ فهو في مَعنَى الجَمْعِ الذي آلَت إِليه السَّماءُ بَعدَ الخَلْقِ؛ حَيثُ كَانَت سَبْعَ سَمَواتٍ.

(٢) يُنظَرُ الحديثُ المُتَقَدِّمُ.

(٣) روى أحمدُ في مُسنَدِه (١٠٥٤٥)، والتِّرمِذِيُّ (٤٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ...». وصَحَّحَه الألبَانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٤٩٢). وظَاهِرُ كَلَامِ المُصَنِّفِ أَنَّ آدَمَ خُلِقَ في نَفسِ اليومِ الذي خُلِقَتْ فيه السَّماوَاتِ، وهو خِلَافُ المشهُورِ مِنْ أنَّ بَينَ خَلْقِ آدَمَ وخَلْقِها آلافًا مِنَ السِّنِينَ. أو يَكُونُ مُرادُه: أنَّه خُلِقَ في مِثلِ هَذا اليَومِ، كَما تَقُولُ: وُلِدَ مُحَمَّدٌ يومَ الاثنَينِ، وتُوفِّيَ يومَ الاثنَينِ.

(٤) أي: العَدَدُ المذكُورُ لِخَلْقِ الأَرضِ وما فيها، ولِخَلْقِ السَّماءِ وما فيها.

(٥) أي: الإِهلَاكُ الذي خَوَّفَ به مُحَمَّدٌ ﷺ قُرَيشًا خاصٌّ بِحَيَاتِه ﷺ لا بَعْدَ وَفَاتِه.

(٦) ذَكَرَ ذلك بَعضُ المُفَسِّرِينَ دُونَ إِسنَادِه لِأَحَدٍ، كما قال الزَّمَخشَرِيُّ في الكَشَّافِ (٤/ ٧٤٨): «... لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها مِثلَ عَادٍ فِي البِلادِ عِظَمَ أجرَامٍ وقُوَّةٍ، كانَ طولُ الرَّجُلِ منهم أربَعمِائَةَ ذِرَاعٍ، وكانَ يَأتي الصَّخْرَةَ العَظِيمَةَ فَيَحمِلُها فيُلقِيها عَلى الحَيِّ فيُهلِكهم». ورَوَى ابنُ أبي حَاتِمٍ (٩/ ٢٧٩٨) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنْ قَوْمِ عَادٍ لَيَتَّخِذُ المِصْرَاعَ، لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَمْسُ مِائَةٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ لَمْ يَستَطِيعُوا أَنْ يَنْقُلُوهُ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُدْخِلُ قَدَمَهُ فِي الأَرْضِ فَتَدْخُلُ فِيهَا». والمِصرَاعُ: هو شَطرُ البَابِ.

(٧) قال البغويُّ (٧/ ١٦٩): «قَالَ الضَّحَّاكُ: أَمْسَكَ اللهُ عَنْهُمُ المَطَرَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَدَامَتِ الرِّيَاحُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ مَطَرٍ».

(٨) بِسُكُونِها: قِرَاءَةُ نافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٩) أي: الأَخِيرَةِ مِن «أعدَاء»، وهي قِرَاءَةُ نافِعٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِاليَاءِ، ورَفعِ ﴿أَعْدَآءُ﴾.

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ
فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم
مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ
خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ
ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

ربع الحزب ٤٨

[٢١] ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: أَرَادَ نُطْقَهُ ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ - قِيلَ: هُو مِنْ كَلَامِ الجُلُودِ. وقِيلَ: هو مِنْ كَلَامِ اللهِ -تَعَالَى- كَالذي بَعدَه. ومَوقِعُه قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَه(١)، بِأَنَّ القَادِرَ عَلى إِنشَائِكُمْ ابتِدَاءً وإِعادَتِكم بَعدَ المَوتِ أحيَاءً، قَادِرٌ على إِنطَاقِ جُلُودِكُم وأَعْضَائِكُم-.

[٢٢] ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عَنِ ارتِكَابِكُمُ الفَوَاحِشَ، مِنْ ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لِأَنَّكُم لَمْ تُوقِنُوا بِالبَعْثِ ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عِندَ استِتَارِكُم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾: مُبتَدأٌ ﴿ظَنُّكُمُ﴾: بَدَلٌ منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾: نَعْتٌ(٢)، والخَبَرُ: ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أَهْلَكَكُم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ﴾ على العَذَابِ ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾: مَأْوَى(٣) ﴿لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾: يَطلُبُوا العُتْبَى أيِ: الرِّضَا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾: المَرضِيِّينَ[*].

[٢٥] ﴿۞ وَقَيَّضْنَا﴾: سَبَّبنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ مِنَ الشَّيَاطِينِ ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنْ أَمْرِ الدُّنيَا واتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ، بِقَولِهِم: لَا بَعْثَ ولَا حِسَابَ ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بِالعَذَابِ- وهُو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآيَةَ(٤)- ﴿فِىٓ﴾ جُملَةِ ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾: هَلَكَتْ ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عِندَ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾: ائْتُوا بِاللَّغَطِ ونَحْوِه، وصِيحُوا في زَمنِ قِرَاءَتِهِ(٥) ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيَسْكُتَ عَنِ القِرَاءَةِ.

[٢٧] قالَ اللهُ تَعَالَى(٦) فيهم: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: أَقبَحَ جَزَاءِ عَمَلِهِم.

[٢٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ العَذَابُ الشَّدِيدُ وأَسْوَأُ الجَزَاءِ ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ - بِتَحْقِيقِ الهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ، وإِبْدَالِها وَاوًا(٧)- ﴿ٱلنَّارُ﴾: عَطْفُ بَيَانٍ [لِـ﴿جَزَآءُ﴾](٨) المُخْبَرِ به عَنْ ﴿ذَٰلِكَ﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: إِقَامَةٍ لا انتِقَالَ منها ﴿جَزَآءًۢ﴾: مَنصُوبٌ على المَصْدَرِ بِفِعْلِه المُقَدَّرِ(٩) ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾. [٢٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النَّارِ: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أي: إِبْلِيسَ وقَابِيلَ(١٠)؛ سَنَّا الكُفْرَ والقَتْلَ ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النَّارِ ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أَشَدَّ عَذَابًا مِنَّا.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (٢٢-٢٤): أَخرَجَ أَحمَدُ عَن عَبدِ اللهِ (ابنِ مَسعُودٍ) قالَ: كُنْتُ مُسْتَتِرًا بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ، فَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، ثَقَفِيٌّ وَخَتَنَاهُ قُرَشِيَّانِ، كَثِيرٌ شُحُومُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، قَالَ: فَتَحَدَّثُوا بَيْنَهُمْ بِحَدِيثٍ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَى اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ مَا رَفَعْنَا، وَمَا خَفَضْنَا لَا يَسْمَعُ. قَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ شَيْئًا، فَهُوَ يَسْمَعُهُ كُلَّهُ. قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ إِلى قَولِه: ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾. أحمد (١/ ٤٤٤)، وصحَّحه الأَرناؤوطُ في تخريجه على المُسنَدِ (٧/ ٢٧٣). وأخرجَاه في الصَّحِيحَينِ بِدُونِ ذِكْرِ الآيَتَينِ، وأخرجَه التِّرمِذِيُّ إِلى قَولِه: ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٢) ومن سورة حم السجدة.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وموقعه تَقريبُ مَا قَبلَه).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (نَعْتُ البَدَلِ).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مَنزِلٌ).

(٤) هود: ١١٩.

(٥) أخرج الطبريُّ (٢٠/ ٤١٨) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ؛ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾، قَالَ: «بِالْمُكَاءِ وَالتَّصْفِيرِ وَالتَّخْلِيطِ فِي الْمَنْطِقِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، قُرَيْشٌ تَفْعَلُهُ».

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (قَالَ تَعَالى)؛ بِدُونِ لفظِ الجَلَالَةِ.

(٧) تحقيقُ الهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ هو قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ وعَاصِمٍ وابنِ عامرٍ، وإِبدَالُها وَاوًا هو قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٨) في الأَصْلِ: (لِلجَزَاءِ) والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٩) أي: يُجزَونَ جَزَاءً.

(١٠) رواهُ ابنُ جرِيرٍ (٢٠/ ٤٢٠)، وابنُ أبي شيبةَ في مُصنَّفِه (٢٧٧٥٨)، والحاكِمُ في المُستدرَكِ (٢/ ٤٧٨) عَنْ مَالِكِ بْنِ حُصَيْنِ بْنِ عُقْبَةَ الْفَزَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللهِ عزوجل: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ قَالَ: «ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ وَإِبْلِيسُ»، قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذَّهَبِيُّ. ومدارُ إِسنَادِه على مَالِكِ بْنِ حُصَيْنِ بْنِ عُقْبَةَ الْفَزَارِيِّ؛ لم يُوثِّقه إِلَّا ابنُ حِبَّان؛ حيثُ وثَّقَه في الثِّقَاتِ، وقال: يَروِي المَرَاسِيلَ. كما تُعقِّبَ بِأَنَّه لا يَصِحُّ عَنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإِنَّ قَابِيلَ مُؤمِنٌ عاصٍ. ويَكُونُ المَقصُودُ مِن قَولِه: ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: فَرِيقَي شَيَاطِينِ النَّوعَينِ المُقيِّضِينِ لهم، الحَامِلِينِ لهم على الكُفْرِ والمَعَاصِي بِالتَّسوِيلِ والتَّزيِينِ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ
قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ
بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ
وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ
سجدة رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ عَلَى التَّوحِيدِ، وغَيرِه مِمَّا وَجَبَ عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ عِندَ المَوتِ ﴿أَ﴾ن؛ بِأَنْ[1] ﴿لَا تَخَافُوا۟﴾ مِنَ المَوتِ ومَا بَعدَه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ عَلى مَا خَلَّفتُم مِنْ أهلٍ وَوَلَدٍ؛ فنَحنُ نَخلُفُكم [فيهم][2] ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: نَحفَظُكُم فيها ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: نَكُونُ مَعكُم فيها حتَّى تَدخُلُوا الجَنَّةَ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: تَطلُبُونَ.

[٣٢] ﴿نُزُلًا﴾: رِزقًا مُهيَّئًا. مَنصُوبٌ بـ«جُعِلَ» مُقدَّرًا ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أي: اللهِ.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لَا أَحَدَ أحسَنَ قَولًا[3] ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بِالتَّوحِيدِ ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ في جُزْئِيَّاتِها؛ لِأَنَّ بعضَها فوقَ بَعضٍ ﴿ٱدْفَعْ﴾ السَّيِّئَةَ[4] ﴿بِٱلَّتِى﴾ أَي: بِالخَصْلَةِ التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كَالغَضَبِ بِالصَّبرِ، والجَهْلِ بِالحِلْمِ، والإِسَاءَةِ بِالعَفْوِ ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[*] أي: فَيَصِيرُ عَدُوُّكَ كَالصَّدِيقِ القَرِيبِ، في مَحبَّتِه، إذا فَعلتَ ذلكَ. فـ﴿ٱلَّذِى﴾: مُبتدأٌ، و﴿كَأَنَّهُۥ﴾: الخَبَرُ، و«إِذَا»: ظَرْفٌ لِمَعنَى التَّشْبِيهِ[5].

[٣٥] ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: يُؤتَى الخَصْلَةَ التي هِيَ أَحْسَنُ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾: ثَوَابٍ ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٣٦] ﴿وَإِمَّا﴾ - فيه إِدْغَامُ نُونِ «إِنْ» الشَّرطِيَّةِ في «مَا» الزَّائِدَةِ - ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ﴾ أَي: [إِنْ][6] يَصْرِفْكَ عَنِ الخَصْلَةِ وغَيرِها مِنَ الخَيرِ صَارِفٌ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: جَوَابُ الشَّرْطِ، وجَوَابُ الأَمْرِ مَحذُوفٌ؛ أي: يَدْفَعْه عَنكَ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلقَولِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِالفِعْلِ.

[٣٧] ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآيَاتِ الأَربَعَ ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عَنِ السُّجُودِ للهِ وَحدَه ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: فالمَلَائِكَةُ ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: يُصَلُّونَ ﴿لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾: لا يَمَلُّونَ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: «الصَّبرُ عِندَ الغَضَبِ، وَالعَفوُ عِندَ الإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلُوهُ عَصَمَهُمُ اللهُ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ» ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: بِأَنْ).

(٢) في الأَصْلِ: (فيه) والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٣) كَلِمَةُ: (قولًا) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: السَّيِّئَةَ).

(٥) «إِذَا» هنا ظَرفِيَّةٌ فُجَائِيَّةٌ، العَامِلُ فيها مَعنَى التَّشبِيهِ؛ فهي ظَرفٌ لِمَعنَى التَّشبِيهِ كَمَا قَالَ.

(٦) كَلِمَةُ: (إِنْ) لَيسَتْ في الأَصْلِ، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ
﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾: يَابِسَةً لا نَبَاتَ فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تَحَرَّكَت ﴿وَرَبَتْ﴾: انتفخَتْ وعَلَتْ ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ - مِنْ: أَلْحَدَ ولَحَدَ(١) - ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ بالتَّكذِيبِ(٢) ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنُجازِيهم. ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تَهدِيدٌ لهم.

[٤١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾: القُرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ نُجازِيهم(٣) ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾: مَنِيعٌ.

[٤٢] ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي: لَيس قَبلَه كِتابٌ يُكذِّبُه ولَا بَعْدَه(٤)، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أَيِ: اللهِ المَحمُودِ في أَمْرِهِ.

[٤٣] ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ مِنَ التَّكْذِيبِ ﴿إِلَّا﴾ مِثْلُ ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لِلكَافِرِينَ.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أَيِ: الذِّكْرَ ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنَتْ ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ حتى نَفهَمَها ﴿أَ﴾ قُرآنٌ ﴿[أَعْجَمِىٌّ] وَ﴾ نَبِيٌّ ﴿عَرَبِىٌّ﴾؟ استِفهامُ إِنكَارٍ منهم - بِتَحقِيقِ الهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ وقَلْبِها أَلِفًا، بِإِشْباعٍ ودُونِه(٥) - ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ مِنَ الضَّلالَةِ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ مِنَ الجَهْلِ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: ثِقَلٌ، فلَا يَسْمَعُونَهُ ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يَفهَمُونَه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أَي: هُمْ كَالمُنَادَى مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، لا يَسْمَعُ ولا يَفْهَمُ ما يُنَادَى به.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بِالتَّصدِيقِ والتَّكذِيبِ، كَالقُرآنِ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتَأْخِيرِ الحِسابِ والجَزاءِ لِلخَلائِقِ إلى يَومِ القِيامَةِ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدُّنيا فيما اختَلَفُوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أَيِ: المُكَذِّبِينَ به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ في الرِّيبَةِ.

[٤٦] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عَمِلَ ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: فَضَرَرُ إِسَاءَتِه على نَفْسِهِ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: بِذِي ظُلْمٍ(٦)؛ لِقَولِه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(٧).

---

(١) يُشِيرُ إلى القِراءَتَينِ، فبِفَتحِ الياءِ والحاءِ؛ ﴿يَلْحَدُونَ﴾: قَرَأَ حَمْزَةُ، مِن «لَحَدَ» الثُّلاثِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُلْحِدُونَ﴾؛ بِضَمِّ الياءِ وكَسرِ الحاءِ.

(٢) ومِنَ الإلحادِ في آياتِ اللهِ تَحريفُها وتَأويلُها بِغَيرِ ما قُصِدَ منها.

(٣) أي: خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾ مَحذُوفٌ، هذا تَقدِيرُه.

(٤) قاله مقاتِلٌ -كما في تفسير البغويِّ (٧/ ١٧٦) -: «لا يَأتِيهِ التَّكذِيبُ مِنَ الكُتُبِ الَّتِي قَبلَهُ، ولَا يَجِيءُ مِن بَعدِهِ كِتابٌ فَيُبطِلُهُ». وقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: هُوَ الشَّيْطَانُ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَهُ أَوْ يَزِيدَ فِيهِ أَوْ يَنْقُصَ مِنْهُ. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَحْفُوظٌ مِنْ أَنْ يُنْقَصَ مِنْهُ، فَيَأْتِيَهُ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَوْ يُزَادَ فِيهِ فَيَأْتِيَهُ الْبَاطِلُ مِنْ خَلْفِهِ، وَعَلَى هَذَا مَعْنَى ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ. قال السَّعدِيُّ في تَفسِيرِه (ص٧٥٠): «أي: لا يَقرَبُه شَيطانٌ مِن شَياطِينِ الإِنسِ والجِنِّ، لا بِسَرِقَةٍ، ولَا بِإِدْخالِ ما لَيسَ منه به، ولَا بِزِيادَةٍ ولَا نَقصٍ، فهو مَحفُوظٌ في تَنزِيلِه، مَحفُوظَةٌ أَلفاظُه ومَعانِيه، قَدْ تَكَفَّلَ مَنْ أَنزَلَه بِحِفْظِه، كَما قالَ تَعالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾». وقالَ ابنُ كثيرٍ (٧/ ١٨٣): «أي: لَيْسَ لِلْبُطْلَانِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ؛ لِأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، حَمِيدٌ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ، أَيْ: فِي جَمِيعِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، الْجَمِيعُ مَحْمُودَةٌ عَوَاقِبُهُ وَغَايَاتُهُ».

(٥) هذا سَبْقُ قَلَمٍ مِنَ المُفَسِّرِ رحمه الله، والصَّوابُ أَنْ يُقالَ: وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ بِإِشْباعٍ ودُونِه؛ فالإِشباعُ: هو إِدخالُ أَلِفٍ بَينَ المُحَقَّقَةِ والمُسَهَّلَةِ، وعَدَمُه: هو تَرْكُ الإِشْبَاعِ. قَرَأَ قالون عن نافع، وابو جعفر وأبو عمرو بِتَسهِيلِ الهَمْزَةِ الثانِيَةِ مع الإِدخالِ. وقَرَأَ ورش عن نافع بِتَحقِيقِ الهَمْزَةِ الأُولَى بِلَا إِدخالٍ، وله إِبدالُ الثَّانِيَةِ أَلِفًا مَعَ الإِشباعِ. وقَرَأَ ابن كثير ورويس عن يعقوب وابنُ ذكوان عن ابن عامرٍ وحفصٌ عَنْ عاصمٍ بِهَمزَتَينِ مع تَسْهِيلِ الهَمْزَةِ الثانِيَةِ بِلا إِدخالٍ؛ ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ﴾. وقَرَأَ هِشامٌ عن ابنِ عامرٍ بِهَمْزَةٍ واحِدَةٍ على الخَبَرِ؛ ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾.

(٦) قال أبو البقاءِ في الكُلِّيَّاتِ (ص٥٤٦): «صِفاتُ الذَّمِّ إذا نُفِيَت على سَبِيلِ المُبالَغَةِ لم يُنفَ أَصْلُها، ولِهَذا يُقالُ: إِنَّ صِيغَةَ «فَعَّال» في قَولِه تَعالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لِلنَّسَبِ؛ أي: لَيسَ بِذِي ظُلْمٍ».

(٧) النساء: ٤.

۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُم
مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨)
لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ
(٥١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ
مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا
فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَآ إِنَّهُمْ
فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ (٥٤)

[٤٧] ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: مَتَى تَكُونُ؟ لا يَعلَمُها(١) غيرُه ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن [ثَمَرَٰتٍ]﴾ - وفي قِراءَةٍ(٢): ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ - ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: أوعِيَتِها؛ جَمعُ «كِمٍّ» بِكَسرِ الكَافِ، إلَّا بِعِلْمِه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾: أَعْلَمْنَاكَ الآنَ ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي: شَاهِدٍ بِأَنَّ لكَ شَرِيكًا.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ﴾: غَابَ ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾: يَعبُدُونَ ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدُّنيا مِنَ الأَصنَامِ ﴿وَظَنُّوا۟﴾: أيقَنُوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مَهرَبٍ مِنَ العَذَابِ. والنَّفي في المَوضِعَينِ(٣) مُعَلَّقٌ عَنِ العَمَلِ، وجُملَةُ النَّفي(٤) سَدَّتْ مَسَدَّ المفعُولَينِ.

[٤٩] ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لا يَزَالُ يَسْأَلُ رَبَّـهُ المَالَ والصِّحَّةَ وغَيرَهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الفَقْـرُ والشِّدَّةُ ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وهـذا ومَا بَعْـدَه في الكَافِرِينَ.

[٥٠] ﴿وَلَئِنْ﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾: آتَيناهُ ﴿رَحْمَةً﴾: غِنًى وصِحَّةً(٥) ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾: شِدَّةٍ وبَلَاءٍ ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي: بِعَمَلي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن﴾: لَامُ قَسَمٍ ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجَنَّةَ ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شَدِيدٍ- واللَّامُ في الفِعْلَينِ لَامُ قَسَمٍ-.

[٥١] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الجِنْسِ ﴿أَعْرَضَ﴾ عَنِ الشُّكْرِ ﴿[وَنَآءَ](٦) بِجَانِبِهِۦ﴾: ثَنَى عِطْفَه مُتَبَخْتِرًا. وفي قِرَاءَةٍ بِتَقدِيمِ الهَمْزَةِ(٧) ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: كَثِيرٍ.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ أَيِ: القُرآنُ ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ﴾ أَي: لَا أَحَدَ ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ﴾: خِلَافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾ عَنِ الحَقِّ؟ أُوقِعَ هذا(٨)، مَوقِعَ: «مِنكُم»: بَيَانًا لِحَالِهِم.

[٥٣] ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾: أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، مِنَ النَّيِّرَاتِ، والنَّبَاتِ، والأَشْجَارِ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مِنْ لَطِيفِ الصَّنْعَةِ وبَدِيعِ الحِكمَةِ ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أَيِ: القُرآنَ ﴿ٱلْحَقُّ﴾: المُنَزَّلُ مِنَ اللهِ، بِالبَعْثِ والحِسَابِ والعِقَابِ، فَيُعَاقَبُونَ عَلَى كُفْرِهم به وبِالجَائِي به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾: فَاعِلُ ﴿يَكْفِ﴾، ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾؟ بَدَلٌ منه؛ أَي: أَوَ لَمْ يَكْفِهم في صِدْقِكَ أَنَّ رَبَّكَ لا يَغِيبُ عنه شَيءٌ ما؟!

[٥٤] ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ لِإنكَارِهِمُ البَعْثَ ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ -تَعَالَى- ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ عِلْمًا وقُدْرَةً(٩)، فَيُجَازِيهم بِكُفْرِهِم.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لا يَعلَمُه)؛ أي: عِلم السَّاعَةِ.

(٢) لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كثيرٍ وأَبِي عَمرٍو وشُعْبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾.

(٣) أي في قَولِه: ﴿مَا مِنَّا﴾، وقَولِه: ﴿مَا لَهُم﴾؛ فَالنَّفيُ فيهما مُعَلِّقٌ لِكُلٍّ مِنْ: ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾، و«ظَنَّ» عَنِ العَمَلِ لَفظًا لا محَلًّا.

(٤) أي: في المَوضِعَينِ؛ في قَولِه: ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾، وقَولِه: ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾؛ فالجُملَةُ الأُولَى سَدَّتْ مَسَدَّ مَفعُولَي ﴿ظَنُّوا۟﴾، والثَّانِيَةُ: سَدَّتْ مَسَدَّ المفعُولِ الثَّاني لِـ«آذَنَ»، وأَمَّا المفعُولُ الأَوَّلُ فهو كَافُ الخِطَابِ في: ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾.

(٥) مع إِثبَاتِ صِفَةِ الرَّحمَةِ لله عَزَّوَجَلَّ على ما يَليقُ به.

(٦) وهي قِرَاءَةُ ابنِ ذكوان، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَنَـَٔا﴾.

(٧) عَلى وَزنِ: «وَعَى».

(٨) أي: قَولُه: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

(٩) قَالَ البَيهقيُّ في الأَسمَاءِ والصِّفَاتِ (ص٤٠): «قَالَ الحَلِيميُّ: ومَعناه: الذي لا يُقْدَرُ على الفِرَارِ منه، وهَذه الصِّفَةُ لَيسَت حَقًّا إِلَّا لله جَلَّ ثَنَاؤُه، وهي رَاجِعَةٌ إلى كَمَالِ العِلْمِ والقُدْرَةِ، وانتِفَاءِ الغَفلَةِ والعَجزِ عنه». وقَالَ ابنُ تيميةَ في مجموعِ الفَتَاوى (٦/ ٥٦٧): «واللهُ تَعَالى مُحِيطٌ بِالمَخلُوقَاتِ كُلِّها إِحَاطَةً تَليقُ بِجَلَالِه؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبعَ والأَرضَ في يَدِه، أَصغَرُ مِنَ الحِمَّصَةِ في يَدِ أَحَدِنا».

سورة الشورى | ترتيبها ٤٢ | آياتها ٥٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ
وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي
ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن
يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

٤٨٣

سُورَةُ الشُّورَى

مَكِّيَّةٌ، إِلَّا: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ الآيَاتِ الأَرْبَعَ، ثَلَاثٌ وخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾.

[٢] ﴿عٓسٓقٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه به.

[٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ ذَلِكَ الإِيحَاءِ ﴿يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَ﴾ أَوْحَى ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ﴾: فَاعِلُ الإِيحَاءِ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه.

[٤] ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على خَلْقِه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: الكَبِيرُ.

[٥] ﴿تَكَادُ﴾ - بِالتَّاءِ واليَاءِ[١]- ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ [يَنْفَطِرْنَ]﴾ - بِالنُّونِ[٢]، وفي قِرَاءَةٍ بِالتَّاءِ والتَّشْدِيدِ - ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي: تَنْشَقُّ كُلُّ وَاحِدَةٍ فَوقَ التي تَلِيها، مِنْ عَظَمَةِ اللهِ -تَعَالَى[٣]- ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: مُلَابِسِينَ لِلحَمْدِ ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِأَولِيَائِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

[٦] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأَصنَامَ ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾: مُحْصٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لِيُجَازِيَهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تُحَصِّلُ المَطلُوبَ منهم، مَا عَلَيكَ إِلَّا البَلَاغُ.

[٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مِثْلَ ذَلِكَ الإِيحَاءِ ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾: تُخَوِّفَ ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أَهلَ مَكَّةَ وسَائِرَ النَّاسِ ﴿وَتُنذِرَ﴾ النَّاسَ ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ أي: يومَ القِيَامَةِ، تُجْمَعُ فيه الخَلَائِقُ[٤] ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾ مِنْهُم ﴿فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّارِ.

[٨] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ، وهُو الإِسْلَامُ ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكَافِرُونَ ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَدْفَعُ عنهم العَذَابَ.

[٩] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأَصنَامَ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾؟ ﴿أَمِ﴾: مُنْقَطِعَةٌ بِمَعنَى: «بَلِ» التي لِلانتِقَالِ، والهَمْزَةُ لِلإِنكَارِ[٥]؛ أي: لَيسَ المُتَّخَذُونَ أَولِيَاءَ ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ أي: النَّاصِرُ لِلمُؤْمِنِينَ- والفَاءُ لِمُجَرَّدِ العَطْفِ- ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ مَعَ الكُفَّارِ ﴿فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ مِنَ الدِّينِ وغَيرِه ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾ مَردُودٌ ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾[٦] يومَ القِيَامَةِ، يَفْصِلُ بينكم. قُلْ لهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أَرْجِعُ.

---

(١) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ نافع والكِسَائِيِّ.

(٢) وهي قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مِنْ عَظَمَتِه -تَعَالَى-).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يُجْمَعُ فيه الخَلْقُ).

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقاضي كنعان: (وهَمزَةُ الإِنكَارِ)؛ أي: إِنَّ «أَم» بِمَعنَى: هَمزَةِ الإِنكَارِ.

(٦) قال أبو العباس أحمد بن محمد البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٥/ ١٩٨): «كُلُّ ما اُختُلِف فيه يُردُّ إلى كتاب الله، ثُمَّ إلى سُنَّةِ رَسُولِ الله، ثُمَّ إلى الإجمَاعِ، ثُمَّ القِيَاسِ، فهذه هي قَواعِدُ الشَّرِيعَةِ، وعليها بُنِيت الأَحكَامُ، فمَنْ خَرَج عنها فهو مُبْطِلٌ، فَفِي كِتَابِ الله، وسُنَّةِ رَسُولِه ﷺ مِنْ عِلْمِ الأُصُولِ والفُرُوعِ ما فيه غُنْيَةٌ، فإِنْ لم يُوجَدْ نَصٌّ فَالإجمَاعُ أو القِيَاسُ».

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ
الحزب ٤٩ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ
فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ
ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ
ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[١١] ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مُبْدِعُهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ حيثُ خلقَ حوَّاءَ مِنْ ضِلَعِ آدمَ(1) ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾: ذُكورًا وإناثًا ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ بالمُعْجَمَةِ: يخْلُقُكم ﴿فِيهِ﴾: في الجَعْلِ المَذكُورِ؛ أي: يُكَثِّرُكم بِسَبَبِه بالتَّوالُدِ -والضَّميرُ للأَناسِيِّ والأنعامِ بالتَّغليبِ- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ الكافُ: زائدةٌ؛ لِأَنَّه -تعالَى- لا مِثْلَ له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما يُقالُ ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [بِما](2) يُفعَلُ(3).

[١٢] ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مَفاتِيحُ خزائنِها؛ مِنَ المَطَرِ والنَّباتِ وغيرِهما ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتِحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُه لِمَنْ يَشاءُ ابتِلاءً ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هو أَوَّلُ أنبياءِ الشَّريعَةِ(4) ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ هذا هو المَشْروعُ المُوصَّى به، والمُوحَى إلى محمَّدٍ ﷺ، وهو التَّوحيدُ ﴿كَبُرَ﴾: عَظُمَ ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ مِنَ التَّوحيدِ ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ﴾: إلى التَّوحيدِ ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾: يُقبِلُ إلى طاعَتِه.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ أي: أهلُ الأديانِ في الدِّينِ، بِأَنْ وَحَّدَ بعضٌ، وكَفَرَ بعضٌ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتَّوحيدِ ﴿بَغْيًۢا﴾ مِنَ الكافِرينَ ﴿بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخيرِ الجَزاءِ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يومِ القِيامَةِ ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بتعذيبِ الكافِرينَ في الدُّنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهُمُ اليَهودُ والنَّصارَى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: مِنْ محمَّدٍ ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ في الرِّيبَةِ.

[١٥] ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التَّوحيدِ ﴿فَٱدْعُ﴾ -يا محمَّدُ- النَّاسَ ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في تَرْكِه ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي: بِأَنْ أَعْدِلَ ﴿بَيْنَكُمُ﴾ في الحُكْمِ ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ فكُلٌّ يُجازَى بعمَلِه ﴿لَا حُجَّةَ﴾: خُصومَةَ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هذا قبلَ أَنْ يُؤمَرَ بالجِهادِ ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المَعادِ لِفَصْلِ القَضاءِ ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرْجِعُ.

---

(١) وهذا القولُ هو قولُ جُمهورِ المُفسِّرينَ -كما تقدَّمَ في تفسيرِ سورةِ البقرةِ الآية (٣٥)-، وقد ذكَرَ المُفسِّرونَ أنَّ حوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدمَ عليهما السَّلامُ، وذكَروا في ذلكَ رِواياتٍ كثيرةً موقوفةً، ورجَّحَ محمَّدُ رشيدُ رضا والألبانيُّ أنَّها مِنَ الإسرائيليَّاتِ. وقالَ الألبانيُّ في الضعيفة (١٣/ ١١٤٠): «إنَّه لم يَثبُتْ حديثٌ في خَلْقِ حوَّاءَ مِنْ ضِلَعِ آدمَ». لكِنْ لا يَخفَى ثُبوتُ خِلْقَتِها مِنْ ضِلَعٍ، كما ثبَتَ عِندَ البُخاريِّ (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨) عَنْ أبي هُريرَةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «استَوْصُوا بالنِّساءِ؛ فَإِنَّ المَرأةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أعلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ». قالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم (١٠/ ٥٧): «وَفِيهِ دَليلٌ لِما يَقولُهُ الفُقهاءُ أو بَعضُهم أنَّ حوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدمَ ...». وقد جزَمَ به شيخُ الإسلامِ في الجوابِ الصَّحيحِ (٤/ ٥٥).

(٢) في الأصلِ: (لِما)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَباوَة.

(٣) هذه الآيَةُ حُجَّةٌ فيما ذهَبَ إليه أهلُ السُّنَّةِ في إثباتِ ما أثبَتَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَفسِه في كِتابِه، ورسولُه ﷺ في سُنَّتِه الصَّحيحَةِ، مِنَ الأسماءِ والصِّفاتِ. قالَ محمَّدُ الأمينُ الشِّنقيطيُّ في مَنهجٍ ودِراساتٍ لآياتِ الأسماءِ والصِّفاتِ (ص١١): «فهذِهِ الآيَةُ فيها تعليمٌ عظيمٌ يَحُلُّ جَميعَ الإشكالاتِ ويُجيبُ عَنْ جَميعِ الأسئلَةِ حَولَ المَوضوعِ؛ ذلكَ لِأَنَّ اللهَ قالَ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بعدَ قولِه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، ومَعلومٌ أنَّ السَّمعَ والبَصَرَ، مِنْ حيثُ هُما سَمعٌ وبَصَرٌ، يتَّصِفُ بهما جميعُ الحَيَواناتِ؛ فكأَنَّ اللهَ يُشيرُ لِلخَلْقِ ألَّا يَنفُوا عنهُ صِفَةَ سَمعِه وبَصَرِه، بادِّعاءِ أنَّ الحَوادِثَ تَسمَعُ وتُبصِرُ، وأنَّ ذلكَ تَشبيهٌ؛ بَلْ عليهِم أن يُثبِتُوا لهُ صِفَةَ سَمعِه وبَصَرِه، على أساسِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾؛ فاللهُ جَلَّ وَعَلَا لهُ صِفاتٌ لائقَةٌ بكَمالِه وجَلالِه، والمَخلوقاتُ لهم صِفاتٌ مُناسِبَةٌ لِحالِهم، وكُلُّ هذا حَقٌّ ثابِتٌ لا شَكَّ فيه، إلَّا أنَّ صِفَةَ رَبِّ السَّمواتِ والأرضِ أعلَى وأكمَلُ مِنْ أنْ تُشبِهَ صِفاتِ المَخلوقينَ؛ فمَنْ نَفَى عَنِ اللهِ وَصفًا أثبَتَه لِنَفسِه فقَدْ جعَلَ نَفسَه أعلَمَ باللهِ مِنَ اللهِ! سُبحانَكَ هذا بُهتانٌ عَظيمٌ...».

وقالَ ابنُ تيميَّةَ في مِنهاجِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ (٢/ ٥٢٣): «وطَريقَةُ سَلَفِ الأُمَّةِ وأئمَّتِها: أنَّهُم يَصِفُونَ اللهَ بما وَصَفَ بهِ نَفسَهُ، وبما وَصَفَهُ بهِ رَسولُهُ: مِنْ غَيرِ تَحريفٍ ولا تَعطيلٍ، ولا تَكييفٍ ولا تَمثيلٍ: إثباتٌ بلا تَمثيلٍ، وتَنزيهٌ بلا تَعطيلٍ، إثباتُ الصِّفاتِ، ونَفيُ مُماثَلَةِ المَخلوقاتِ، قالَ تَعالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ فهذا رَدٌّ علَى المُمَثِّلَةِ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] رَدٌّ علَى المُعَطِّلَةِ؛ فقَولُهُم في الصِّفاتِ مَبنيٌّ علَى أصلَيْنِ:

أحَدُهُما: أنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتَعالَى مُنَزَّهٌ عَنْ صِفاتِ النَّقصِ مُطلَقًا؛ كالسِّنَةِ والنَّومِ والعَجزِ والجَهلِ وغَيرِ ذلكَ.

والثَّاني: أنَّهُ مُتَّصِفٌ بصِفاتِ الكَمالِ الَّتي لا نَقصَ فيها علَى وَجهِ الاختِصاصِ بما لَهُ مِنَ الصِّفاتِ، فلا يُماثِلُهُ شَيءٌ مِنَ المَخلوقاتِ في شَيءٍ مِنَ الصِّفاتِ...».

(٤) أي: أوَّلُ الرُّسُلِ الذينَ جاءُوا بشَريعَةٍ شامِلَةٍ؛ كما في حَديثِ الشَّفاعَةِ المشهورِ في الصَّحيحَينِ وغيرِهما؛ البُخاريِّ (٧٤١٠)، ومسلم (٣٢٢)، وفيه: «ولَكِنِ ائتُوا نُوحًا، فإنَّهُ أوَّلُ رَسولٍ بعَثَهُ اللهُ إلى أهلِ الأرضِ»، وأمَّا آدمُ فإنَّه أوَّلُ نبيٍّ. قالَ الشِّنقيطيُّ في أضواءِ البَيانِ (١/ ١٥٥) في الجَمعِ بَينَ ما ثبَتَ عِندَ ابنِ حِبَّانَ وغَيرِه مِنَ التَّصريحِ بأنَّ آدمَ رَسولٌ، وهذا الحَديثِ؛ قالَ: «والظَّاهِرُ أنَّهُ لا طَريقَ لِلجَمعِ إلَّا مِنْ وَجهَينِ: الأوَّلُ: أنَّ آدمَ أُرسِلَ لِزَوجِهِ وذُرِّيَّتِهِ في الجَنَّةِ، ونُوحٌ أوَّلُ رَسولٍ أُرسِلَ في الأرضِ... الوَجهُ الثَّاني: أنَّ آدمَ أُرسِلَ إلى ذُرِّيَّتِهِ وهُم علَى الفِطرَةِ لَم يَصدُرْ مِنهُم كُفرٌ فأطاعُوهُ، ونُوحٌ هُوَ أوَّلُ رَسولٍ أُرسِلَ لِقَومٍ كافِرينَ، يَنهاهُم عَنِ الإشراكِ باللهِ تَعالَى، ويَأمُرُهُم بإخلاصِ العِبادَةِ لَهُ وَحدَهُ...».

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ﴾: [يُجادِلُونَ](1) ﴿فِي﴾ دِينِ ﴿اللَّهِ﴾ نَبِيِّهِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ بِالإيمانِ، لِظُهُورِ مُعْجِزَتِه(2)، وهُمُ اليَهُودُ ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: بَاطِلَةٌ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

[١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾: القُرآنَ ﴿بِالْحَقِّ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿أَنزَلَ﴾ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: العَدْلِ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعْلِمُكَ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: إِتيانَها ﴿قَرِيبٌ﴾؟ و﴿لَعَلَّ﴾ مُعَلِّقٌ لِلفِعْلِ(3) عَنِ العَمَلِ، أو(4) مَا بعدَه(5) سَدَّ مَسَدَّ المَفعُولَينِ.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يَقُولُونَ: مَتَى تَأْتِي؟ ظَنًّا منهُم أنَّها غيرُ آتِيَةٍ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾: خَائِفُونَ ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: يُجادِلُونَ ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ؛ حَيثُ لَمْ يُهلِكْهُم جُوعًا بِمَعَاصِيهِم ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ مِنْ كُلٍّ منهم مَا يَشاءُ ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ عَلى مُرادِه ﴿الْعَزِيزُ﴾: الغَالِبُ عَلى أَمْرِه.

[٢٠] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِه ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أَي: كَسْبَها، وهُو الثَّوابُ ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بالتَّضعِيفِ فيه؛ الحَسَنَةَ إلى العَشْرَةِ(6) وأَكثَرَ ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ بِلا تَضْعِيفٍ، مَا قُسِمَ له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿لَهُمْ﴾: لِكُفَّارِ مَكَّةَ ﴿شُرَكَاءُ﴾ هُم شَياطِينُهم ﴿شَرَعُوا﴾ أَي: الشُّرَكاءُ ﴿لَهُم﴾: لِلكُفَّارِ ﴿مِّنَ الدِّينِ﴾ الفَاسِدِ ﴿مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ كَالشِّرْكِ وإِنْكَارِ البَعْثِ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أَي: القَضاءِ السَّابِقِ، بِأَنَّ الجَزاءَ في يَومِ القِيامَةِ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبَينَ المُؤمِنِينَ؛ بِالتَّعْذِيبِ لَهُم في الدُّنيا ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يَومَ القِيامَةِ ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خَائِفِينَ ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ في الدُّنيا مِنَ السَّيِّئاتِ، أَنْ يُجازَوا عَلَيها ﴿وَهُوَ﴾ أَي: الجَزاءُ عَلَيها ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يَومَ القِيامَةِ لا مَحالَةَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾: أَنْزَهِهَا، بِالنِّسْبَةِ إلى مَنْ دُونَهم ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
(١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨)
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
(١٩) مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِن نَّصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم
مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢)

---

(١) كَلِمَةُ: (يجادِلُونَ) ليست في الأصلِ، وأثبتناها مِن نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) في نُسْخَةِ القَاضي: (مُعجِزاتِه).

(٣) وهو: ﴿يُدْرِيكَ﴾.

(٤) في نُسْخَةِ حَاشِيَةِ الجَمَلِ: (و).

(٥) أي: ما بعد الفِعْلِ وهو: ﴿يُدْرِيكَ﴾، والذي بعدَه: جُملَةُ: ﴿السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾. يُنظرُ حَاشِيَةُ الجَمَلِ (٤/ ٥٩). وقال الصَّاوِي في حاشيته (٥/ ٢٢٨): «قولُه: «او مَا بَعدَه سَدَّ مَسَدَّ المفعُولَينِ»: أي: الثّاني والثّالث، وأمّا الأوّلُ فهو الكَافُ، ويَتَعَيَّنُ جَعْلُ «أو» بِمَعنى الواو». وقال قباوةُ في تعليقِه على الجلالَينِ (ص١٧١٢): «وقولُه: «او مَا بَعدَه»؛ أي: مَا بَعْدَ: ﴿لَعَلَّ﴾. وهذا تَعبيرٌ مُشكِلٌ عن وجهٍ آخر في التّوجيهِ الإعرابيِّ. يَعني أنّ ﴿لعل﴾ وإن كانت مِن أدَواتِ التّعلِيقِ، اسمُها وخَبرُها أصلُهما: المبتَدأُ والخَبَرُ، فهما يَسُدّانِ مَسَدَّ المفعُولَينِ؛ كأنّه قِيلَ: ومَا يُدْرِيكَ السَّاعَةَ قَرِيبَةً؟».

(٦) في نُسخة قباوة: (العشر).

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ
قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ
ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ
وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ
﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

نصف الحزب ٤٩

[٢٣] ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي [يَبْشُرُ]﴾ -مِنَ البِشَارَةِ؛ مُخفَّفًا ومُثقَّلًا(١)- به(٢) ﴿ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: عَلى تَبْليغِ الرِّسالَةِ ﴿أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: استِثناءٌ مُنقَطِعٌ؛ أي: لَكِنْ أسْألُكم أنْ تَوَدُّوا قَرابَتِي، التي هِي قَرابَتُكم أيضًا. فإنَّ له في كُلِّ بَطْنٍ مِنْ قُرَيشٍ قَرابَةً(٣) ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾: يَكتَسِبْ ﴿حَسَنَةً﴾: طَاعَةً ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ بِتَضعيفِها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلذُّنُوبِ ﴿شَكُورٌ﴾ لِلقَليلِ فيُضاعِفُه.

[٢٤] ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسْبَةِ القُرآنِ إلى اللهِ -تَعالَى- ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ﴾: يَرْبِطْ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بِالصَّبرِ على أذاهُم بِهذا القَولِ وغَيرِه، وقَدْ فَعَلَ(٤) ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ الذي قَالُوه ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾: يُثْبِتُه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ المُنزَّلَةِ على نَبِيِّه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِمَا في القُلُوبِ.

[٢٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ مِنهُم ﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المُتَابِ عَنْهَا ﴿وَيَعْلَمُ مَا [يَفْعَلُونَ]﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ(٥)-.

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: يُجِيبُهم إلى ما يَسألُونَ(٦) ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

[٢٧] ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جَميعِهم ﴿لَبَغَوْا۟﴾ جَميعُهم؛ أي: طَغَوا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن [يُنْزِلُ]﴾ - بِالتَّخْفيفِ وضِدِّه(٧)- مِنَ الأَرْزَاقِ ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ فيَبسُطُها لِبَعضِ عِبادِه دُونَ بَعْضٍ، ويَنشَأُ عَنِ البَسْطِ البَغْيُ ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

[٢٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾: المَطَرَ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾: يَئِسُوا مِنْ نُزُولِه ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾: يَبسُطُ مَطَرَه(٨) ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾: المُحسِنُ لِلمُؤمِنينَ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المَحْمُودُ عِندَهم(٩).

[٢٩] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ﴾ خَلْقُ ﴿مَا بَثَّ﴾: فَرَّقَ ونَشَرَ ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ هِي ما يَدِبُّ عَلى الأَرضِ(١٠) مِنَ النَّاسِ وغَيرِهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ لِلحَشْرِ ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ - في الضَّميرِ تَغليبُ العَاقِلِ على غَيرِه-.

[٣٠] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ خِطَابٌ لِلمُؤمِنينَ(١١) ﴿مِّن مُّصِيبَةٍ﴾: بَلِيَّةٍ وشِدَّةٍ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كَسَبتُم مِنَ الذُّنُوبِ. وَعَبَّرَ بِالأيدِي؛ لِأَنَّ أكثَرَ الأفعَالِ تُزاوَلُ(١٢) بها ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ منها؛ فَلا يُجازِي عَلَيه. وهو -تَعالَى- أكرَمُ مِنْ أنْ يُثَنِّيَ الجَزاءَ في الآخِرَةِ. وأمَّا غَيرُ المُذنِبينَ فَما يُصِيبُهم في الدُّنيا لِرَفعِ دَرَجاتِهم في الآخِرَةِ.

[٣١] ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ - يَا مُشرِكُونَ(١٣)- ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ اللهَ هَرَبًا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فتَفُوتُونَه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَدْفَعُ عَذابَه عَنكُم.

---

(١) ﴿يَبْشُرُ﴾ مخفَّفًا: قِراءَةُ حَمْزَةَ والكِسائِيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُبَشِّرُ﴾.
(٢) كَلِمَةُ: (به) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَباوَة.
(٣) رَوَى البُخارِيُّ (٤٨١٨) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ -فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ- فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَجِلْتَ؛ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ: «إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ القَرَابَةِ».
(٤) الرَّاجِحُ -وعليه أكثَرُ المُفَسِّرينَ-: أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ كَقَولِهِ تَعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾، والمُرادُ منها الاستِشهادُ على بُطلانِ ما قَالُوا بِبَيانِ أنَّه عَلَيهِ السَّلامُ لو افتَرَى عَلى اللهِ كَذِبًا لمَنَعَه مِن ذلك قَطْعًا؛ فخَتَمَ على قَلبِه؛ بِحَيثُ لَم يَخطِرْ بِبالِه مَعنًى مِنْ مَعانيه، ولَم ينطِقْ بِحَرفٍ مِنْ حُروفِه، وهذا الأُسلُوبُ مُؤدَّاهُ استِبْعادُ الافتِراءِ مِنْ مِثلِه ﷺ. وأخرَجَ الطبريُّ (٢٠/ ٥٠٤) عَنْ قَتَادَةَ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ قَالَ: «فَيُنْسِيكَ القُرْآنَ».
(٥) بِالياءِ: قِراءَةُ نافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامِرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَفْعَلُونَ﴾؛ بِالتَّاءِ.
(٦) فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على هَذا القَولِ في مَوضِعِ نَصْبٍ. وقِيلَ: بَلْ في مَوضِعِ رَفْعٍ، ويكونُ المعنَى: يَستَجِيبُونَ لِرَبِّهم؛ فينقادُونَ له ويُلَبُّونَ دَعوَتَه، فإذا فَعَلُوا ذلكَ شَكَرَ لَهم وزادَهم تَوفِيقًا ونَشاطًا على العَمَلِ، ومُضاعَفَةً في الأَجرِ. وهَذا القَولُ أقرَبُ، واللهُ أعلم.
(٧) بِالتَّخفيفِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُنَزِّلُ﴾؛ بِالتَّشديدِ.
(٨) الصَّحِيحُ أَنَّ الرَّحمَةَ صِفَتُه سُبحانَهُ وتَعالَى، وهِي غَيرُ المَطَرِ، وهُو مِنْ آثارِ رَحمَتِه، التي هِي أعَمُّ، وَوَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ.
(٩) قال ابنُ جريرٍ في جامعِ البَيانِ (١٦/ ٥٠٠): «وَالحَمِيدُ: فَعِيلٌ، صُرِّفَ مِنْ مَفعُولٍ إِلَيهِ، وَمَعنَاهُ: أَنَّهُ مَحمُودٌ عِندَ أَولِيَائِهِ مِنْ خَلقِهِ، ثُمَّ صُرِّفَ مِنْ مَحمُودٍ إِلَى حَمِيدٍ».
(١٠) ظَاهِرُ الآيَةِ يُفِيدُ مَا يَدِبُّ على السَّماءِ كَذلكَ مِنْ مَلائِكَةٍ، وبه قال بَعضُ المُفَسِّرينَ، بَلْ ذَهَبَ بَعضُ البَاحِثِينَ إلى وُجودِ حَيَوانَاتٍ كَحَيَوانَاتِ الأرضِ ولَوازِمِ حَيَاتِها مِنْ نَبَاتَاتٍ وأشجَارٍ وبِحَارٍ وأنهَارٍ هُنَالِكَ، واستَبعَدَه غَيرُهم مِنْ أهلِ العِلمِ. قال ابن كثير (٧/ ١٨٩): «وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ وَسُلْطَانِهِ القَاهِرِ: خَلْقُ السَّماواتِ وَالأرضِ وَما بَثَّ فِيهِما؛ أَيْ ذَرَأَ فِيهِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ مِنْ دابَّةٍ، وَهَذَا يَشْمَلُ المَلائِكَةَ والإنسَ والجِنَّ وَسَائِرَ الحَيَوانَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهِمْ وَأَلوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وطِبَاعِهِم وَأَجْنَاسِهِمْ وَأَنْوَاعِهِمْ، وَقَدْ فَرَّقَهُمْ فِي أَرْجَاءِ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ والأرضِ...».
(١١) الظَّاهِرُ أنَّ الخِطَابَ عَامٌّ لِلمُؤمِنينَ وغَيرِهم.
(١٢) كَلِمَةُ: (تزاول) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَباوَة.
(١٣) بِالرَّفعِ؛ بِاعتِبارِ أنَّ المَقصُودَ مُشرِكُو مَكَّةَ ومَا حَولَها. وفي نُسْخَةِ قَباوَة: (يا مُشرِكِين)؛ يَعني: أنَّ المُرادَ جَميعُهم دُونَ تَخصِيصٍ.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

[٣٢] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾: السُّفُنُ ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾: كَالجِبَالِ في العِظَمِ.

[٣٣] ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾: يَصِرْنَ ﴿رَوَاكِدَ﴾: ثَوَابِتَ لا تَجْرِي ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ هُو المُؤمِنُ يَصْبِرُ في الشِّدَّةِ، ويَشْكُرُ في الرَّخَاءِ.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾: عَطْفٌ عَلى ﴿يُسْكِنِ﴾: أي: يُغْرِقْهُنَّ بِعَصْفِ الرِّيحِ بِأَهْلِهِنَّ ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أَي: أَهْلُهُنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها، فلا يُغرِقُ أَهْلَه.

[٣٥] ﴿[وَيَعْلَمُ]﴾ - بِالرَّفعِ: مُسْتَأْنَفٌ، وبِالنَّصْبِ[١]: مَعطُوفٌ عَلى تَعلِيلٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: يُغرِقُهم لِيَنتَقِمَ منهم، ويَعْلَمَ- ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مَهرَبٍ مِنَ العَذَابِ. وجُملَةُ النَّفيِ سَدَّتْ مَسَدَّ مَفعُولَيِ «يَعْلَم»، والنَّفيُ مُعَلِّقٌ عَنِ العَمَلِ.

[٣٦] ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ - خِطَابٌ لِلمُؤمِنِينَ وغيرِهم- ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ مِنْ أَثَاثِ الدُّنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّعُ به فيها، ثُمَّ يَزُولُ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. ويُعْطَفُ عليه[٢]:

[٣٧] ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: مُوجِبَاتِ الحُدُودِ، مِنْ عَطْفِ البَعْضِ عَلى الكُلِّ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: يَتَجَاوَزُونَ.

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾: أَجَابُوه إلى مَا دَعَاهُم إليه، مِنَ التَّوحِيدِ والعِبَادَةِ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أَدَامُوها ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذي يَبْدُو لَهم ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: يَتَشَاوَرُونَ فيه ولا يَعْجَلُونَ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أَعْطَيناهُم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طَاعَةِ اللهِ. وَمَنْ ذُكِرَ صِنْفٌ.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾: الظُّلْمُ ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ صِنْفٌ؛ أي: يَنتَقِمُونَ مِمَّنْ ظَلَمَهُم بِمِثْلِ ظُلْمِه، كَما قالَ تَعَالَى:

[٤٠] ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سُمِّيَتِ الثَّانِيَةُ سَيِّئَةً لِمُشَابَهَتِها لِلأُولَى في الصُّورَةِ. وهَذا ظَاهِرٌ فِيما يُقتَصُّ فيه مِنَ الجِرَاحَاتِ. قَالَ بَعْضُهم: وإِذَا قَالَ له: أَخْزَاكَ اللهُ؛ فَيُجِيبُه: أَخزَاكَ اللهُ[٣] ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عَنْ ظَالِمِه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الوُدَّ بينَه وبينَ المَعْفُوِّ[٤] عنه[٥] ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إنَّ اللهَ يَأْجُرُهُ لا مَحَالَةَ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَي: البَادِئِينَ بِالظُّلْمِ، فيَتَرَتَّبُ[٦] عليهم عِقَابُه[٧].

[٤١] ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: ظُلْمِ الظَّالِمِ إِيَّاهُ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾: مُؤَاخَذَةٍ.

[٤٢] ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾: [يَعْلُونَ][٨] ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بِالمَعَاصِي ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ.

[٤٣] ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فَلَم يَنتَصِرْ ﴿وَغَفَرَ﴾: تَجَاوَزَ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصَّبْرَ والتَّجَاوُزَ ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مَعْزُومَاتِها؛ بِمَعنَى المَطْلُوبَاتِ[٩] شَرْعًا.

[٤٤] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: أَحَدٍ يَلِي هِدَايَتَه، بَعْدَ إِضْلَالِ اللهِ إِيَّاه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ إلى الدُّنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾: طَرِيقٍ؟

---

(١) بِالرَّفعِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالنَّصْبِ: ﴿وَيَعْلَمَ﴾.

(٢) أي: على قَولِه: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة، والقَاضِي، وحاشية الجمل: (عليهم).

(٣) لَكِن لَو قَذَفَهُ لا يَجُوزُ له أن يَرُدَّ بِقَذْفٍ مِثْلِه؛ لِكَونِه فيه حَدٌّ. قَالَ القرطبيُّ (١٦/ ٤٠): «وَلَا يُقَابَلُ القَذْفُ بِقَذْفٍ، وَلَا الكَذِبُ بِكَذِبٍ».

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (الوُدَّ بينَه وبينَه بِالعَفوِ).

(٥) والمَعنَى الآخَرُ للآيَةِ: أَنَّ هَذا العَفوَ لَا يُندَبُ إِلَيه ولا يُشْرَعُ إِلَّا إذا تَرَتَّبَ عليه إِصْلَاحٌ. قال ابنُ عُثَيمِين في شَرحِ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٥٢٥): «وفي هذا حَثٌّ على العَفْوِ، ولَكِنَّ العَفوَ مُقَيَّدٌ بِما إذا كَانَ إِصْلَاحًا؛ لِقَولِ اللهِ تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، أَمَّا إِذا لَم يَكُن إِصْلَاحًا بَلْ كَانَ إِفسَادًا؛ فإِنَّه لا يُؤمَرُ به». قَالَ ابنُ تيميةَ في جامعِ المسائلِ (٦/ ٣٨): «والعَدلُ نَوعَانِ: أَحَدُهما: هو الغَايَةُ، والمَأمُورُ بها، فَلَيسَ فَوقَه شَيءٌ هو أَفضَلُ منه يُؤمَرُ به، وهو العَدلُ بَينَ النَّاسِ. والثَّانِي: مَا يَكُونُ الإِحسَانُ أَفضَلَ منه، وهو عَدلُ الإِنسَانِ بَينَه وبَينَ خَصْمِه في الدَّمِ والمَالِ والعِرْضِ، فَإِنَّ الاستِيفَاءَ عَدلٌ، والعَفوَ إِحْسَانٌ، والإِحسَانُ هنا أَفضَلُ، لَكن هَذا الإِحسَان لا يكونُ إِحسَانًا إِلَّا بَعدَ العَدلِ، وهو أَلَّا يَحصُلَ بِالعَفوِ ضَرَرٌ، فإذا حَصَلَ منه ضَرَرٌ: كَانَ ظُلْمًا مِنَ العَافِي، إِمَّا لِنَفْسِه، وإِمَّا لِغَيرِه، فَلا يُشْرَعُ».

(٦) في نُسخَةِ القَاضِي: (فَيُرَتَّبُ).

(٧) هَذا مِنْ آثَارِ عَدَمِ مَحَبَّتِه عَزَّوَجَلَّ لِلظَّالِمِينَ، وليسَ هذا تَفسِيرَ مُقَابِلِ المَحَبَّةِ، وهذه طَرِيقَةُ المُفَسِّرِ -غَفَرَ اللهُ لنا وله- في تَأوِيلِ هَذه الصِّفَةِ ونَحوِها، بِآثَارِها ولَوَازِمِها.

(٨) في الأَصْلِ: (يَعمَلُونَ)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي: (مَطلُوبَاتها).

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ
ربع الحزب ٤٩ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النَّارِ ﴿خَٰشِعِينَ﴾: خائِفِينَ مُتَواضِعِينَ ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: ضَعِيفِ النَّظَرِ، مُسارَقَةً، و﴿مِن﴾: ابتِدائِيَّةٌ، أو بِمَعنَى الباءِ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِتَخلِيدِهِم في النَّارِ، وعَدَمِ وُصُولِهِم إلى الحُورِ المُعَدَّةِ لَهم في الجَنَّةِ، لو آمَنُوا. والمَوصُولُ: خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾ ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ ﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: دَائِمٍ. هُو مِنْ مَقُولِ اللهِ -تَعالَى-.

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه، يَدْفَعُ عَذابَه عنهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾: طَرِيقٍ، إلى الحَقِّ في الدُّنيا، وإلى الجَنَّةِ في الآخِرَةِ.

[٤٧] ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾: أَجِيبُوهُ بِالتَّوحِيدِ والعِبادَةِ ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ هُو يَومُ القِيامَةِ ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: أنَّه إذا أَتَى بِهِ لا يَرُدُّه ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تَلجَؤُونَ إلَيه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾: إنكَارٍ لِذُنُوبِكُم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عَنِ الإجابَةِ ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: تَحفَظُ أَعمالَهم، بأَنْ تُوافِقَ المَطلُوبَ منهم[1] ﴿إِنْ﴾: ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ وهَذا قَبلَ الأَمرِ بِالجِهادِ ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: نِعْمَةً[2]؛ كَالغِنَى والصِّحَةِ ﴿فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ - الضَّمِيرُ لِـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، بِاعتِبارِ الجِنْسِ - ﴿سَيِّئَةٌۢ﴾: بَلاءٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قَدَّمُوه، وعُبِّرَ بِالأَيدِي؛ لِأَنَّ أَكثَرَ الأَفعالِ تُزاوَلُ[3] بها ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ لِلنِّعْمَةِ.

[٤٩] ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾ مِنَ الأَولادِ ﴿إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أي: يَجْعَلُهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ فَلا يَلِدُ ولا يُولَدُ له ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بِما يَخْلُقُ ﴿قَدِيرٌ﴾ عَلى ما يَشاءُ[4].

[٥١] ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ أَنْ يُوحِيَ إلَيه ﴿وَحْيًا﴾ في المَنامِ أو بِإلْهامٍ ﴿أَوْ﴾ إلَّا ﴿مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ بِأَنْ يُسْمِعَهُ كَلامَهُ ولا يَراهُ؛ كَما وَقَعَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَوْ﴾ إلَّا أَنْ ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: مَلَكًا كَجِبرِيلَ ﴿فَيُوحِىَ﴾ الرَّسُولُ إلى المُرسَلِ إلَيه؛ أي: يُكَلِّمُه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: اللهِ ﴿مَا يَشَآءُ﴾ اللهُ ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ﴾ عَنْ صِفاتِ المُحْدَثِينَ[5] ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنْعِه.

---

(١) أي: الأعمالَ المطلوبةَ منهم كَالإيمانِ والطَّاعَةِ. والمَعنَى: لَمْ نُرسِلْكَ لِتَخلُقَ الهُدَى في قُلُوبِهم، وتَجعَلَ أعمالَهم مُوافِقَةً لِلوَجهِ الذي طَلَبْناه منهم. حاشية الصَّاوي على تفسيرِ الجلالَين (٥/ ٢٣٨).

(٢) النِّعمَةُ مِنْ آثارِ الرَّحمَةِ، وهذا يَلزَمُ منه إثباتُ صِفَةِ الرَّحمَةِ صِفَةً لله قائِمَةً بذاتِه، عل ما يليقُ به سبحانه..

(٣) كَلِمةُ: (تُزاوَلُ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) الصَّوابُ عدمُ تَقيِيدِ القُدرَةِ بالمَشِيئَةِ، فظاهِرُ القرآنِ إثباتُ القُدرَةِ المُطلَقَةِ، وهذا هو الأكمَلُ والأحسَنُ في الصِّفَةِ. وما أثبتَه المُفسِّرُ رحمه الله إنَّما هو منه جريًا على طَريقَةِ الأشاعِرَةِ.

(٥) وهَذا مِنْ قَصْرِ العَامِ على بَعْضِ أفرادِه؛ فَضْلًا عَنْ كونِ هَذه العِبَارَةِ مُوهِمَةً، ويَستَخدِمُها البَعضُ لِنَفيِ الصِّفاتِ الثَّابِتَةِ لله عز وجل، والآيةُ مِنْ أدِلَّةِ إثباتِ صِفَةِ العُلُوِّ التَّامِّ لله عز وجل ذاتًا وقَهرًا وشأنًا.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ — ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

[٥٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ إيحائِنا إلى غيرِكَ مِنَ الرُّسُلِ ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ - يا مُحَمَّدُ- ﴿رُوحًا﴾ هُو القُرآنُ، بِه تَحيا القُلوبُ ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نُوحِيه إليكَ ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾: تَعرِفُ قَبْلَ الوَحْيِ إليكَ: ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾: القُرآنُ ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي: شَرائِعُه ومَعالِمُه؟ والنَّفْيُ مُعَلِّقٌ لِلفِعْلِ عَنِ العَمَلِ(١)، أو مَا بعدَه(٢) سَدَّ مَسَدَّ المَفعُولَينِ ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الرُّوحَ، أوِ الكِتابَ ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾: تَدْعُو بِالوَحْيِ إليك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: دِينِ الإسلامِ.

[٥٣] ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وخُلْقًا وعَبِيدًا ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾: تَرْجِعُ.

سُورَةُ الزُّخْرُف

مَكِّيَّةٌ، وقِيلَ: إلَّا: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ الآيَةَ، تِسْعٌ وثَمانُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرادِه بِه.

[٢] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المُظهِرِ طَرِيقَ الهُدَى ومَا يُحتاجُ إليه مِنَ الشَّرِيعَةِ.

[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾: أوجَدْنا(٣) الكِتابَ ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾: بِلُغَةِ العَرَبِ ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ - يا أَهْلَ مَكَّةَ- ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تفهَمُونَ مَعانِيَه.

[٤] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مُثْبَتٌ ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصْلِ الكُتُبِ؛ أي: اللَّوحِ المَحْفُوظِ ﴿لَدَيْنَا﴾: بَدَلٌ: عِندَنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ على الكُتُبِ قَبْلَه ﴿حَكِيمٌ﴾: ذُو حِكْمَةٍ بالِغَةٍ.

[٥] ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾: نُمسِكُ ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾: القُرآنَ ﴿صَفْحًا﴾: إمساكًا، فَلا تُؤمَرُونَ ولا تُنهَونَ؛ لِأَجْلِ ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ مُشرِكِينَ؟ لا.

[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

[٧] ﴿وَمَا﴾ كانَ ﴿يَأْتِيهِم﴾: أتاهُم ﴿مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كَاستِهزاءِ قَومِكَ بِكَ- وهذا تَسلِيَةٌ له ﷺ-.

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾: مِنْ قَومِكَ ﴿بَطْشًا﴾: قُوَّةً ﴿وَمَضَىٰ﴾: سَبَقَ في آياتٍ ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صِفَتُهم في الإهْلاكِ! فَعاقِبَةُ قَومِكَ كَذلِكَ.

[٩] ﴿وَلَئِن﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ -حُذِفَ منه نُونُ الرَّفْعِ، لِتَوالي النُّوناتِ، ووَاوُ الضَّمِيرِ لِالتِقاءِ السَّاكِنَينِ-: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ آخِرُ جَوابِهِم، أي: اللهُ ذُو العِزَّةِ والعِلْمِ. زادَ -تَعالَى-:

[١٠] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: فِراشًا كَالمَهْدِ لِلصَّبِيِّ ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طُرُقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مَقاصِدِكُم في أسفارِكُم.

---

(١) قال قَباوةُ في حَاشِيتِه عَلى الجَلالَينِ (ص١٧٢٤): «قولُه: «النَّفي مُعَلِّقٌ» خطأٌ، لأنَّ النَّفي قبلَ ﴿كُنتَ﴾ لا عَلاقَةَ له بِتَعليقِ ﴿تَدْرِى﴾ عَنِ العَمَلِ لَفظًا. والمُعَلِّقُ في الحَقِيقَةِ هو «مَا» الثَّانِيَةُ، وهي استِفهامِيَّةٌ لِغَيرِ العَاقِلِ، تَوَهَّمَ المحلِّي أنَّها نافِيَةٌ، وحُكمُها في التَّعلِيقِ هو حُكمُ ﴿لَعَلَّ﴾ كما في الآية (١٧)». ويُنظَرُ التَّعلِيقُ في الحاشِيةِ رقم (٥) على الآية (١٧) مِنْ هَذه السُّورَةِ.

(٢) في بَعْضِ النُّسَخِ: (وما بَعدَه)، وفي حَاشِيةِ الجَمَلِ: (أو مَا بَعد). وقال الصاوي في حاشيته على الجلالين (٥/ ٢٤٠): «"أو" بِمَعنَى: الواو». وقال قَباوةُ في حَاشِيتِه عَلى الجَلالَينِ (ص١٧٢٤): «قولُه: «أو مَا بَعدَه» خطأٌ آخَرُ مَبنِيٌّ على الأوَّلِ، تَوَهَّمَ فيه أنَّ بعدَ «مَا» الثانيةِ؛ مُبتَدَأً وخَبَرًا، سَدَّ مَسَدَّ المفعُولَينِ؛ الأوَّلِ والثاني لِـ ﴿تَدْرِى﴾».

(٣) تَفسِيرُ الجَعْلِ بِالإيجادِ مَبنِيٌّ عَلى القَولِ بِخَلْقِ القُرآنِ، والصَّوابُ تَفسِيرُه بالإنزالِ أو نَحوِه، مِمَّا ذَكَرَ أَصحابُ السُّنَّةِ مِنَ المُفسِّرينَ؛ كابنِ جريرٍ وابنِ كثيرٍ والبَغَويِّ وغَيرِهم؛ لِأَنَّ «جَعَلَ» هنا مُتَعَدٍّ إلى مَفعُولَينِ، فَلا يَكُونُ بِمَعنَى الخَلْقِ والإيجادِ، بَلْ بِمَعنَى التَّصيِيرِ ونَحوِه.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم
بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي
الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم
مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ
كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي: بِقَدْرِ حَاجَتِكم إِلَيه، ولَمْ يُنَزِّلْه طُوفَانًا ﴿فَأَنشَرْنَا﴾: أَحْيَينَا ﴿بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ﴾ أي: مِثْلَ هذا الإِحياءِ ﴿تُخْرَجُونَ﴾ مِنْ قُبُورِكُم أَحيَاءً.

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾: الأَصنَافَ ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ﴾: السُّفُنِ ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ كَالإِبلِ ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ - حُذِفَ العَائِدُ اختِصَارًا، وهو مَجْرُورٌ في الأَوَّلِ[1]؛ أي: «فيه»، مَنصُوبٌ في الثَّاني[2]-.

[١٣] ﴿لِتَسْتَوُوا﴾: لِتَستَقِرُّوا ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ - ذُكِّرَ الضَّمِيرُ، وجُمِعَ الظَّهْرُ؛ نَظَرًا لِلَفظِ ﴿مَا﴾ ومَعنَاها- ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: مُطِيقِينَ!

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[*]: لَـمُنصَرِفُونَ.

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ حَيثُ قَالُوا: «المَلَائِكَةُ بَنَاتُ الله»؛ لِأَنَّ الوَلَدَ جُزْءٌ مِنَ الوَالِدِ، والمَلَائِكَةَ مِنْ عِبَادِ الله -تَعَالَى- ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ القَائِلَ مَا تَقَدَّمَ[3] ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ ظَاهِرُ الكُفْرِ.

[١٦] ﴿أَمِ﴾ بِمَعنَى هَمْزَةِ الإِنْكَارِ، والقَولُ مُقَدَّرٌ؛ أي: أَتَقُولُونَ: ﴿اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لِنَفسِه ﴿وَأَصْفَاكُم﴾: أَخْلَصَكُم ﴿بِالْبَنِينَ﴾ اللازِمَ مِنْ قَولِكُم السَّابِقِ، فهو مِنْ جُمْلَةِ المُنْكَرِ.

[١٧] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾: جَعَلَ له شَبَهًا بِنِسبَةِ البَنَاتِ إِلَيه؛ لِأَنَّ الوَلَدَ يُشبِهُ الوَالِدَ؛ المَعنَى: إِذَا أُخْبِرَ أَحَدُهم بِالبِنتِ تُولَدُ له ﴿ظَلَّ﴾: صَارَ ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: مُتَغَيِّرًا تَغَيُّرَ مُغْتَمٍّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مُمتَلِئٌ غَمًّا؟ فَكَيفَ يَنسِبُ البَنَاتِ إِلَيه؟ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ[4].

[١٨] ﴿أَوَ﴾ هَمْزَةُ الإِنكَارِ وَوَاوُ العَطْفِ، بِجُملَةٍ[5]؛ أي: يَجْعَلُونَ لله ﴿مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾: الزِّينَةِ ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: مُظْهِرِ الحُجَّةِ[6]؛ لِضَعْفِه عنها بِالأُنوثَةِ؟!

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا﴾: حَضَرُوا[7] ﴿خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ بِأَنَّهم إِنَاثٌ ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخِرَةِ، فيَتَرَتَّبُ عَليها العِقَابُ.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ أي: المَلَائِكَةَ، فعِبَادَتُنا إِيَّاهُم بِمَشِيئَتِه، فَهُو رَاضٍ بها. قال تَعَالَى: ﴿مَّا لَهُم بِذَلِكَ﴾ المَقُولِ مِنَ الرِّضَا بِعِبَادَتِها ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: مَا ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يَكْذِبُون فيه، فيَتَرَتَّبُ عَليهِمُ العِقَابُ به.

[٢١] ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: القُرآنِ، بِعِبَادَةِ غَيرِ الله ﴿فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾؟ أي: لَمْ يَقَعْ ذَلكَ.

[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾: مِلَّةٍ ﴿وَإِنَّا﴾ مَاشُونَ ﴿عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ بِهِم، وكَانُوا يَعبُدُونَ غَيرَ الله.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عنِ ابنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا...» الحديث. مسلم - كتاب الحج (١٥) باب (٧٥) ما يقولُ إذا رَكِبَ إِلى سَفَرِ الحَجِّ وغيرِه.

---

(١) أي: إذا أُعِيدَ إِلى الفُلْكِ، والمَعنَى: «وجَعَلَ لَكُم مِنَ الفُلْكِ مَا تَركَبُونَ».

(٢) أي: إذا أُعِيدَ إِلى الأَنعَامِ، والمَعنَى: «وجَعَلَ لكُم مِنَ الأَنعَامِ مَا تَركَبُونَها».

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (القَائِلَ ذلك).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقاضي: (فكَيفَ يَنسِبُ البناتِ إِليه تَعَالَى؟) ويَنتَهِي الكَلَامُ عِندَها دُونَ إِضَافَةِ عِبَارَةِ: (عَن ذَلكَ).

(٥) أي: هُما كَلِمَتَانِ حَرْفَانِ، لا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ.

(٦) في نُسْخَةِ القَاضِي كَنعَان: (الحُجَّتِه).

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي كَنعَان: (أَحضَرُوا).

[٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: مُتَنَعِّمُوهَا مِثْلَ قَوْلِ قَومِكَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: مِلَّةٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾: مُتَّبِعُونَ.

[٢٤] ﴿[قُلْ]﴾[1] لَهم: ﴿أَ﴾ تَتَّبِعُونَ ذَلِكَ ﴿وَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أَنتَ ومَنْ قَبْلَكَ ﴿كَٰفِرُونَ﴾. قَالَ تَعَالَى تَخْوِيفًا لَهُم:

[٢٥] ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: مِنَ المُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ قَبْلَكَ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾؟

[٢٦] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أي[2]: بَرِيءٌ ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: خَلَقَنِي ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾: يُرْشِدُنِي لِدِينِه.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كَلِمَةَ التَّوحِيدِ[3]؛ المَفْهُومَةَ مِنْ قَولِه: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[4] ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: ذُرِّيَّتِه[5]، فَلَا يَزَالُ فيهم مَنْ يُوحِّدُ اللهَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: أَهلَ مَكَّةَ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عمَّا هُم عَليه إلى دِينِ إبرَاهِيمَ أَبِيهِم.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المُشْرِكِينَ ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ ولَمْ أُعَاجِلْهُم بِالعُقُوبَةِ ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: القُرآنُ ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: مُظهِرٌ لَهمُ الأَحكَامَ الشَّرعِيَّةَ- وهو مُحَمَّدٌ ﷺ-.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: القُرآنُ ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

[٣١] ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ﴾ أَهْلِ ﴿ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ مِنْ أَيَّةِ منهما ﴿عَظِيمٍ﴾؟ أَيِ: الوَلِيدِ بنِ المُغِيرَةِ بِمَكَّةَ، أَو عُروَةَ بنِ مَسعُودٍ الثَّقَفِيِّ بِالطَّائِفِ.

[٣٢] ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: النُّبُوَّةَ[6]؟ ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فَجَعَلْنَا بَعْضَهم غَنِيًّا وبَعْضَهم فَقِيرًا ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بِالغِنَى ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم﴾: الغَنِيُّ ﴿بَعْضًا﴾: الفَقِيرَ ﴿سُخْرِيًّا﴾: مُسَخَّرًا في العَمَلِ له بِالأُجْرَةِ. واليَاءُ لِلنَّسَبِ، وقُرِئَ[7] بِكَسْرِ السِّينِ ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أَي: الجَنَّةُ[8] ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الدُّنيا.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ عَلى الكُفْرِ ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾: بَدلٌ مِنْ ﴿لِمَن﴾ ﴿[سَقْفًا]﴾ - بِفَتحِ السِّينِ وسُكُونِ القَافِ، وبِضَمِّهما[9]؛ جَمْعًا- ﴿مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدَّرَجِ مِنْ فِضَّةٍ ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: يَعْلُونَ إِلى السَّطْحِ.

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ
الحزب ٥٠
قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ
إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

(١) وهي قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدا حفصٍ وابنِ عامرٍ، وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿قَٰلَ﴾.
(٢) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.
(٣) المُرادُ بِقولِه: «وجعَلَها» يَحتَمِلُ أن يَكُونَ اللهَ عزّوجلّ، ويَحتَمِلُ أن يَكُونَ إبرَاهِيمَ عليه السّلام؛ قَولَانِ لِلمُفَسِّرِينَ، ويَدُلُّ على الثَّاني قَولُه تَعَالَى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ الآيَةَ.
(٤) الصّافّات: ٩٩. وقولُه: «المفهُومَةَ مِنْ قَولِه: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾» لَعلَّه سَبقُ قَلَمٍ، والصَّوابُ أن يَقُولَ: المفهُومَةَ مِنْ قَولِه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾.
(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (في ذُرِّيَّتِه)؛ بِزِيَادَةِ: (في).
(٦) الرَّحمَةُ أعمُّ من النُّبوّةِ، وهِيَ مِنْ آثَارِ رَحمَةِ الله تعالى، وفي الآيَةِ إِثْبَاتُ رَحمَةِ الله تعالى.
(٧) أي: شُذُوذًا.
(٨) الجنّةُ مِنْ آثَارِ رحمة الله عزّوجلّ، وليست هي نفسَها.
(٩) بالإفراد؛ بفتح السّين وسُكُون القاف: قِراءةُ ابن كثيرٍ وأبي عمرٍو، وقرأ بَقِيَّةُ السّبْعة: ﴿سُقُفًا﴾؛ بضمّهما.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا
نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

[٣٤] ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾ مِنْ فِضَّةٍ ﴿وَ﴾ جعلنَا لهم ﴿سُرُرًا﴾ مِنْ فِضَّةٍ: جَمْعُ سَرِيرٍ ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا﴾: ذَهَبًا. المَعنَى: لَولَا خَوفُ الكُفرِ علَى المُؤمِنِ مِنْ إِعْطَاءِ الكَافِرِ مَا ذُكِرَ لَأَعطَيناه ذَلكَ؛ لِقِلَّةِ خطَرِ الدُّنيا عِندَنا، وعَدَمِ حَظِّهِ في الآخِرَةِ في النَّعِيمِ ﴿وَإِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ [لَمَا]﴾ - بِالتَّخفِيفِ، فَـ«مَا» زَائِدَةٌ، وبِالتَّشدِيدِ[1]: بِمَعنَى: «إِلَّا» فَـ«إِنْ»: نَافِيَةٌ- ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يُتَمَتَّعُ به فيها ثُمَّ يَزُولُ ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾: الجَنَّةُ ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٦] ﴿وَمَن يَعْشُ﴾: يُعرِض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أَيِ: القُرآنِ ﴿نُقَيِّضْ﴾: نُسَبِّبْ ﴿لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ لا يُفَارِقُه.

[٣٧] ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أَيِ: الشَّيَاطِينَ ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أَيِ: العَاشِينَ ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: طَرِيقِ الهُدَى ﴿وَ[يَحْسِبُونَ][2] أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾. في الجَمْعِ رِعَايَةُ مَعنَى «مَنْ».

[٣٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا[3]﴾ العَاشِي، بِقَرِينِه يومَ القِيَامَةِ ﴿قَالَ﴾ له: ﴿يَا﴾: لِلتَّنبِيهِ ﴿لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أَي: مِثْلَ بُعْدِ مَا بَينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أنتَ لِي! قَالَ تَعَالَى:

[٣٩] ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾ -أي: العَاشِينَ- تَمَنِّيكُمْ ونَدَمُكُمْ ﴿ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي: تَبَيَّنَ لَكُم ظُلْمُكُم بالإِشْرَاكِ في الدُّنيا ﴿أَنَّكُمْ﴾ مَعَ قُرَنَائِكُم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾. عِلَّةٌ بِتَقْدِيرِ اللَّامِ؛ لِعَدَمِ النَّفْعِ. و﴿إِذ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾.

[٤٠] ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ؟ أي: فَهُم لَا يُؤْمِنُونَ.

[٤١] ﴿فَإِمَّا﴾ -فيه إِدْغَامُ نُونِ «إِنْ» الشَّرطِيَّةِ في «مَا» الزَّائِدَةِ[4]- ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بِأَنْ نُمِيتَكَ قَبلَ تَعْذِيبِهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ في الآخِرَةِ.

[٤٢] ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حَيَاتِك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ بِه مِنَ العَذَابِ ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾: عَلَى عَذَابِهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾: قَادِرُونَ. [٤٣] ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي: القُرآنِ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾: لَشَرَفٌ ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لِنُزُولِه بِلُغَتِهم ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عَنِ القِيَامِ بِحَقِّه.

[٤٥] ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: غَيرِه ﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾؟ قِيلَ: هو عَلَى ظَاهِرِه، بِأَنْ جُمِعَ له الرُّسُلُ لَيلَةَ الإِسْرَاءِ. وقِيلَ: المُرَادُ أُمَمٌ، مِنْ أَيٍّ[5] أَهلُ[6] الكِتَابَينِ، ولَم يَسأَلْ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ القَولَينِ[7]؛ لِأَنَّ المُرَادَ مِنَ الأَمْرِ بِالسُّؤَالِ: التَّقرِيرُ لِمُشْرِكِي قُرَيشٍ، أَنَّه لَم يَأْتِ رَسُولٌ مِنَ اللهِ وَلَا كِتَابٌ بِعِبَادَةِ غَيرِ اللهِ.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ أَيِ: القِبْطِ ﴿فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدَّالَّةِ عَلَى رِسَالَتِه ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.

---

(١) بِالتَّخفِيفِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا عَاصِمٍ وحَمْزَةَ، وهشامٍ بِخِلَافٍ عنه؛ فقَرَأُوا: ﴿لَمَّا﴾؛ بِالتَّشدِيدِ.

(٢) قرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمزةُ بِفَتحِ السِّينِ؛ ﴿يَحْسَبُونَ﴾. وقرأ البَاقونَ بِكَسرِها.

(٣) قَرَأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وشُعبةُ: ﴿جاءانا﴾، وقَرَأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿جَآءَنَا﴾.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (المَزِيدَةِ).

(٥) «أَيِّ»: يَعني: الذين؛ اسم مَوصُول بعدَه جُملَةُ الصِّلَةِ.

(٦) «أَهلُ»: خَبَرٌ لِمُبتَدَإٍ مَحذُوفٍ تَقدِيرُه: هُم. المُفَصَّل (ص١٧٣٧). وقال بعدَها: «وكثيرًا مَا اضطرَبَ المُعَاصِرُون في مِثْلِ هَذا التَّعبِيرِ، ومَا اهتَدَوا إلى صَوابِه».

(٧) يعني أنَّه لم يسأَل. قال البغويُّ في تفسيرِه (٧/ ٢١٦): «قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ بَعَثَ اللهُ لَهُ آدَمَ وَوَلَدَهُ مِنَ المُرْسَلِينَ، فَأَذَّنَ جِبْرِيلُ ثُمَّ أَقَامَ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، تَقَدَّمْ فَصَلِّ بِهِمْ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: سَلْ يَا مُحَمَّدُ ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾، الْآيَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا أَسْأَلُ فَقَدِ اكْتَفَيْتُ»، وَهَذَا قَوْلُ الزُّهْرِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَابْنِ زَيْدٍ، قَالُوا: جَمَعَ اللهُ لَهُ الْمُرْسَلِينَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، وأَمَرَه أَنْ يَسأَلَهم، فَلَمْ يَشُكَّ، وَلَمْ يَسْأَلْ». وذكره القُرطبيُّ (١٦/ ٩٤-٩٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ وابنِ زَيدٍ. وانظر: الطَّبَرِي (٢٥/ ٧٨).
والقولُ الثاني: أنه سَأَلَ الأنبياءَ، واختَارَه القُرطبيُّ (١٦/ ٩٥)، ونَقَلَ ذلك عَن سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ وقَتَادَةَ أَنَّه سَأَلَهم لَيلَةَ الإِسرَاءِ، وقال: «هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي تَفسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ»، وعلى هذا تَكُونُ الآيَةُ مَكِّيَّةً. أو أنه سَأَلَ أهلَ الكِتَابِ لِتَقرِيرِ الحقِيقَةِ وتوبيخِ الكافِرِينَ، وعَزَاهُ البَغَوِيُّ لابنِ عبَّاسٍ ومُجَاهِدٍ والضَّحَّاكِ وغَيرِهم، وقال: «وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: سَلْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءَ: هَلْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ؟ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي سَائِرِ الرِّوَايَاتِ، وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ وَالسُّدِّيِّ وَالْحَسَنِ وَالْمُقَاتِلَيْنِ. يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ وَأُبَيٍّ: «واسئل الذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنَا»، ومعنَى الأَمْرِ بالسُّؤالِ: التَّقرِيرُ لِمُشركِي قُرَيشٍ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ رَسُولٌ وَلَا كِتَابٌ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ»، وعلى هذا تَكُونُ الآيَةُ مَدَنِيَّةً؛ لِأَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ إِنَّمَا كانُوا في المَدِينَةِ.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن
تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ
هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

ربع الحزب ٥٠

[٤٨] ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ مِنْ آياتِ العَذابِ؛ كَالطُّوفانِ -وهُو ماءٌ دَخَلَ بُيُوتَهم، ووَصَلَ[1] إلى حُلُوقِ الجالِسِينَ، سَبْعَةَ أيّامٍ[2]- والجَرادِ ﴿إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: قَرِينَتِها التي قَبْلَها ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَنِ الكُفْرِ.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا۟﴾ لِمُوسَى، لَمّا رَأَوُا العَذابَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي: العالِمُ الكامِلُ؛ لِأَنَّ السِّحْرَ عِندَهم عِلْمٌ عَظِيمٌ ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ مِنْ كَشْفِ العَذابِ عَنّا إِنْ آمَنّا ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مُؤْمِنُونَ.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بِدُعاءِ مُوسَى ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: يَنْقُضُونَ عَهْدَهم، ويُصِرُّونَ على كُفْرِهم.

[٥١] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتِخارًا ﴿فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ مِنَ النِّيلِ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ أي: تَحْتَ قُصُورِي؟ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عَظَمَتِي؟

[٥٢] ﴿أَمْ﴾ تُبْصِرُونَ[3]؟ وحِينَئِذٍ ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: مُوسَى ﴿ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾: ضَعِيفٌ حَقِيرٌ ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾؟: يُظْهِرُ كَلامَه؛ لِلُثْغَتِه بِالجَمْرَةِ التي تَناوَلَها في صِغَرِه[4].

[٥٣] ﴿فَلَوْلَآ﴾: هَلّا ﴿أُلْقِىَ عَلَيْهِ﴾ إِنْ كانَ صادِقًا ﴿[أَساوِرَةٌ] مِّن ذَهَبٍ﴾: جَمْعُ أَسْوِرَةٍ[5] كَـ«أَغْرِبَةٍ»، جَمْعُ سُوارٍ، كَعادَتِهم فِيمَنْ يُسَوِّدُونَه، أَنْ يُلْبِسُوهُ أَسْوِرَةَ ذَهَبٍ، ويُطَوِّقُوه[6] طَوْقَ ذَهَبٍ ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: مُتَتابِعِينَ، يَشْهَدُونَ بِصِدْقِه.

[٥٤] ﴿فَٱسْتَخَفَّ﴾: اسْتَفَزَّ فِرْعَونُ ﴿قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ فِيما يُرِيدُ مِنْ تَكْذِيبِ مُوسَى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

[٥٥] ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾: أَغْضَبُونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾: جَمْعُ سالِفٍ، كَخادِمٍ وخَدَمٍ؛ أي: سابِقِينَ عِبْرَةً ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ بَعدَهم، يَتَمَثَّلُونَ بِحالِهم، فلا يُقْدِمُونَ على مِثْلِ أَفْعالِهم[7].

[٥٧] ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ﴾: جُعِلَ ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حِينَ نَزَلَ قَولُه تَعالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[8] فقالَ المُشْرِكُونَ: «رَضِينا أَنْ تَكُونَ آلِهَتُنا مَعَ عِيسَى؛ لِأَنَّه عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ» ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي: المُشْرِكُونَ ﴿مِنْهُ﴾: مِنَ المَثَلِ ﴿يَصِدُّونَ﴾: [يَضِجُّونَ][9]؛ فَرَحًا بِما سَمِعُوا[*].

[٥٨] ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: عِيسَى؟ فنَرضَى أَنْ تَكُونَ آلِهَتُنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المَثَلَ ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾: خُصُومَةً بِالباطِلِ، لِعِلْمِهم أَنَّ «ما» لِغَيرِ العاقِلِ، فَلا يَتَناوَلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[**]: شَدِيدُو الخُصُومَةِ.

[٥٩] [﴿إِنْ هُوَ﴾: ما][10] عِيسَى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بِالنُّبُوَّةِ ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ بِوُجُودِه مِنْ غَيرِ أَبٍ ﴿مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: كَالمَثَلِ لِغَرابَتِه، يُسْتَدَلُّ به على قُدْرَةِ اللهِ -تَعالَى- على ما يَشاءُ.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾: بَدَلَكُم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ بِأَنْ نُهْلِكَكُم.

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيةِ (٥٧): أَخرَجَ أَحمدُ عَن مَوْلَى ابنِ عُقَيْلٍ الأَنصارِيِّ، قالَ: قالَ ابنُ عَبّاسٍ: «...إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لِقُرَيْشٍ: "يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِيهِ خَيْرٌ"، وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ، وَما تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ، فَقالُوا: يا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبادِ اللهِ صالِحًا؟ فَلَئِنْ كُنْتَ صادِقًا، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَما تَقُولُونَ. قالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. قالَ: قُلْتُ: ما يَصِدُّونَ؟ قالَ: يَضِجُّونَ. ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، قالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ». أحمد - المسند (١-٣١٨)، وحسَّن الأرناؤوطُ إسنادَه في تخريجه على المسند (٥/ ٨٦، ٨٧).

[**] فائِدَةٌ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَن أَبِي أُمامَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ما ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ» ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللهِ هَذِهِ الآيَةَ ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٤) ومن سورة الزخرف. وحَسَّنَه الأَلبانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٩٣).

---

(١) في نُسخَةِ قَباوَة: (حَتَّى وَصَلَ).

(٢) ذَكَرَهُ البَغَوِيُّ بِنَحوِه في تَفسِيرِه (٣/ ٢٦٩) عَن قَتادَةَ وَمُحَمَّدِ بنِ إِسحاقَ: «وَدامَ ذَلِكَ عَلَيْهِم سَبْعَةَ أَيّامٍ، مِنَ السَّبْتِ إِلَى السَّبْتِ». وأَخرَجَ ابنُ جَرِيرٍ في تَفسِيرِه (١٥٠١٧) عَن قَتادَةَ، قالَ: «أَرسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الماءَ حَتَّى قامُوا فِيهِ قِيامًا». وتَقَدَّمَ في سُورَةِ الأَعرافِ الآيةِ (١٣٣).

(٣) في نُسخَةِ قَباوَة: (بَلْ تُبصِرُونَ). وَعَلَى هَذا التَّفسِيرِ: فَقَدْ تَمَّ الكَلامُ عِندَ قَوْلِهِ: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقالَ: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ بِمَعْنَى: بَلْ أَنا خَيْرٌ. وَقالَ الباقُونَ: ﴿أَمْ﴾ هَذِهِ مُتَّصِلَةٌ، عَلَى الاسْتِفْهامِ؛ قالَ الطبريُّ (٢٠/ ٦١٢): «وَأَوْلَى التَّأْوِيلاتِ بِالكَلامِ...تَأْوِيلُ مَنْ جَعَلَ: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ مِنَ الاسْتِفْهامِ الَّذِي جُعِلَ بِـ﴿أَمْ﴾، لِاتِّصالِهِ بِما قَبْلَهُ مِنَ الكَلامِ، وَوَجَّهَهُ إِلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى: أَأَنا خَيْرٌ مِنْ هَذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ؟ أَمْ هُوَ؟ ثُمَّ تَرَكَ ذِكْرَ: «أَمْ هُوَ»، لِما فِي الكَلامِ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ...». ويُنظَرُ: ابنُ كثير (٧/ ٢٣١)، والبغوي (٧/ ٢١٧)، والرَّازِيُّ (٢٧/ ٦٣٧).

(٤) سَبَقَ بيانُ ذلكَ في تَفسِيرِ سُورَةِ طه آية (٢٧). (٥) أي: جَمْعُ الجَمْعِ، وهي قِراءَةُ السَّبعَةِ عدا حفصٍ، وقَرَأَ حفصٌ: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾. (٦) في نُسخَةِ قَباوَة: (ويُطَوِّقُونَه).

(٧) في نُسخَةِ قَباوَة: (فِعالِهم). (٨) الأنبياء: ٩٨. (٩) في الأَصلِ: (يَضحَكُونَ)، والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَباوَة. (١٠) في الأَصلِ: (﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ﴾)، والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَباوَة.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

[٦١] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: عِيسَى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: تُعْلَمُ بِنُزُولِه[١] ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: تَشُكُّنَّ فيها[٢]، حُذِفَ منه نُونُ الرَّفعِ لِلجَزْمِ، وَوَاوُ الضَّمِيرِ لِالتِقَاءِ السَّاكِنَينِ ﴿وَ﴾ قُلْ لهم: ﴿ٱتَّبِعُونِۚ﴾ عَلى التَّوحِيدِ ﴿هَٰذَا﴾ الذي آمُرُكُم به ﴿صِرَٰطٌ﴾: طَرِيقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾: يَصْرِفَنَّكُم عَنْ دِينِ اللهِ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ العَدَاوَةِ.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجِزَاتِ وَالشَّرَائِعِ ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بِالنُّبُوَّةِ وشَرَائِعِ الإِنْجِيلِ ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ مِنْ أَحْكَامِ التَّوراةِ، مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وغَيرِه. فبَيَّنَ لَهُم أَمْرَ الدِّينِ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾: طَرِيقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ﴾ في عِيسَى: أَهُوَ اللهُ، أو ابنُ اللهِ، أو ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كَفَرُوا، بِمَا قَالُوه في عِيسَى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤْلِمٍ.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ؛ أي: مَا يَنتَظِرُونَ ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾: بَدَلٌ مِنَ ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ ﴿بَغْتَةً﴾: فَجْأَةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقْتِ مَجِيئِها قَبْلَه؟

[٦٧] ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ على المَعْصِيةِ في الدُّنيا ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾: يومَ القِيامَةِ، مُتَعَلِّقٌ بِقَولِه: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المُتَحَابِّينَ في اللهِ على طَاعَتِه، فإِنَّهم أَصْدِقَاءُ. ويُقَالُ لهم:

[٦٨] ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٦٩] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نَعْتٌ لِـ«عِبَادِي» ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾.

[٧٠] ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾: مُبتَدَأٌ ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾: زَوجَاتُكُم ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تُسَرُّونَ وتُكْرَمُونَ: خَبَرُ المُبتَدَأِ.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾: بِقِصَاعٍ ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ﴾: جَمْعُ كُوبٍ؛ وهُوَ: إِنَاءٌ لَا عُروَةَ له، لِيَشْرَبَ الشَّارِبُ مِنْ حَيثُ شَاءَ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ تَلَذُّذًا ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ﴾ نَظَرًا ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[٧٢] ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[*].

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا﴾ أي: بَعْضَها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكُلُّ مَا يُؤكَلُ يَخْلُفُ بَدَلُه.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وأَبِي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا؛ فَذَلِكَ قَولُه تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١) سورة الزُّمَر. وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٨٨).

---

(١) يُنظَرُ أَثَرُ ابنِ عَبَّاسٍ المُتَقَدِّمُ في الفَوائِدِ قَرِيبًا.

(٢) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (تَشُكُّنَّ فيها)، بِدُونِ: (أي)، وجَاءَت بعدَ قولِه: (لِالتِقَاءِ السَّاكِنَينِ) وليس في هذا المَوضِعِ.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا
مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[٧٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

[٧٥] ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾: يُخَفَّفُ ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: سَاكِتُونَ سُكُوتَ يَأْسٍ.

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٧٧] ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ هو خَازِنُ النَّارِ ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: لِيُمِتْنَا ﴿قَالَ﴾ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ[1]: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: مُقِيمُونَ في العَذَابِ دَائِمًا.

[٧٨] قالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم﴾ أي: أهلَ مَكَّةَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ على لِسَانِ الرَّسُولِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

[٧٩] ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ: أَحْكَمُوا ﴿أَمْرًا﴾ في كَيدِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ؟ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: مُحْكِمُونَ كَيدَنَا في إهلاكِهم.

[٨٠] ﴿أَمْ [يَحْسِبُونَ][2] أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾: مَا يُسِرُّونَ إلى غيرِهم، ومَا يَجْهَرُونَ به بينَهم؟ ﴿بَلَىٰ﴾ نَسْمَعُ ذَلكَ ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحَفَظَةُ ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عِندَهُم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذَلكَ.

[٨١] ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ فَرْضًا ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ لِلوَلدِ. لَكِنْ ثَبَتَ أَنْ لَا وَلَدَ له -تَعَالَى- فَانتَفَتْ عِبادَتُه[3].

[٨٢] ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾: الكُرْسِيِّ[4] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يَقُولُونَ، مِنَ الكَذِبِ بِنِسْبَةِ الوَلَدِ إِلَيه!

[٨٣] ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في بَاطِلِهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دُنيَاهُم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ فيه العَذَابَ. وهُو يومُ القِيَامَةِ.

[٨٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ هُو ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ -بِتَحْقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وإِسْقَاطِ الأُولَى، وتَسْهِيلِها كَاليَاءِ[5]- أَي: مَعبُودٌ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وكُلٌّ مِنَ الظَّرْفَينِ مُتَعَلِّقٌ بِمَا بَعْدَه ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تَدبِيرِ خَلْقِه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِمَصَالِحِهم.

[٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ﴾: تَعَظَّمَ[6] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: مَتَى تَقُومُ ﴿وَإِلَيْهِ [يُرْجَعُونَ]﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ[7]-.

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يَعبُدُونَ؛ أَي: الكُفَّارُ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أَي: اللهِ ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لِأَحَدٍ ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: قَالَ: «لَا إِلَه إِلَّا اللهُ» ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بِقُلُوبِهم مَا شَهِدُوا به بِأَلسِنَتِهم. وهُم عِيسَى وعُزَيرٌ والمَلَائِكَةُ، فَإِنَّهم يَشْفَعُونَ لِلمُؤمِنِينَ.

[٨٧] ﴿وَلَئِن﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ - حُذِفَ منه نُونُ الرَّفْعِ وَوَاوُ الضَّمِيرِ[8]- ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ؟

[٨٨] ﴿[وَقِيلَهُۥ]﴾ أي: قَولَ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، ونَصْبُه عَلَى المَصْدَرِ بِفِعْلِه المُقَدَّرِ[9]؛ أَي: وقَالَ: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٨٩] قالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصْفَحْ﴾: أَعْرِضْ ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ مِنكُم. وهَذَا قَبْلَ أَنْ يُؤمَرَ بِقِتَالِهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ[10]- تَهدِيدٌ لَهم.

---

(١) رَواهُ الحَاكِمُ (٣٦٧٧)، وعبدُ الرَّزَّاقِ في تفسيرِه (٢٧٩٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، في قَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]؛ قَالَ: «مَكَثَ عَنْهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ»، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾. وقال الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ. ولا حُجَّةَ فيه؛ لِأنَّه إنْ صَحَّ عنه؛ فقَدْ خَالَفَه غيرُه مِنَ الصَّحَابَةِ، فروى الطَّبَرِيُّ (٢٠/ ٦٥٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ يَدْعُونَ مَالِكًا أَرْبَعِينَ عَامًا فَلَا يُجِيبُهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾». وكِلَاهُما رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَعروفٌ بِالتَّحدِيثِ عَنْ بَنِي إسرَائِيلَ؛ فَالأَولَى تَرْكُ ذَلكَ.

(٢) قرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمزةُ بِفتحِ السِّينِ؛ ﴿يَحْسَبُونَ﴾. وقرأ البَاقونَ بِكَسرِها.

(٣) قال ابنُ كثيرٍ (٧/ ٢٤١): «يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ أي: لَوْ فُرِضَ هذا لَعَبدتُه عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنِّي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ، مُطِيعٌ لِجَمِيعِ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ، لَيْسَ عِنْدِي اسْتِكْبَارٌ وَلَا إِبَاءٌ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَلَوْ فُرِضَ كَانَ هَذَا، وَلَكِنْ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى. وَالشَّرْطُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْوُقُوعُ وَلَا الْجَوَازُ أَيْضًا... وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ أي: الْآنِفِينَ. وَمِنْهُمْ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَالْبُخَارِيُّ حَكَاهُ فَقَالَ: وَيُقَالُ: ﴿أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾: الْجَاحِدِينَ، مِنْ عَبِدَ يَعْبَدُ... وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ كَيْفَ يَلْتَئِمُ مَعَ الشَّرْطِ فَيَكُونَ تَقْدِيرُهُ: إِنْ كَانَ هَذَا فَأَنَا مُمْتَنِعٌ مِنْهُ؟ هذا فِيهِ نَظَرٌ، فَلْيُتَأَمَّلْ». وقال البغويُّ (٧/ ٢٢٣): «يَعْنِي: إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فِي قَوْلِكُمْ وَعَلَى زَعْمِكُمْ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ عَبَدَهُ، فَإِنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَلَدَ».

(٤) سَبَقَ التَّنبيهُ على أنَّ العَرشَ غيرُ الكُرسِيِّ، وأنَّه أعظَمُ منه، ويَدُلُّ على ذلكَ قولُه ﷺ في الحَدِيثِ الذي صحَّحه الألبانيُّ بِشَوَاهِدِه في الصَّحِيحةِ (١٠٩) (١/ ٢٢٣-٢٢٦): «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ».

(٥) سهَّلَ الأُولَى مَعَ المَدِّ والقَصْرِ قالونُ والبَزِّيُّ، وأسقطَها مَعَ القَصْرِ والمَدِّ أبو عَمرٍو، وسَهَّلَ الثَّانِيَةَ ورشٌ وقنبل، ولِورش وقُنبل إبدالُها يَاءً مَعَ القَصْرِ لِتَحَرُّكِ مَا بَعْدَها، وحقَّقَها بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ.

(٦) قال السعديُّ في تيسيرِ الكريمِ الرحمنِ (ص٧٧١) في تَفسيرِها: «تَبَارَكَ: بِمَعنَى تَعَالَى وتَعَاظَمَ، وكَثُرَ خَيرُه، واتَّسَعَتْ صِفَاتُه، وعَظُمَ مُلْكُه».

(٧) بالياءِ: قراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ، وقرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تُرْجَعُونَ﴾؛ بالتَّاءِ. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتَّاءِ والياءِ)؛ بِتَقدِيمِ قِرَاءَةِ التَّاءِ.

(٨) حُذِفَتْ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي النُّونَاتِ، ووَاوُ الضَّمِيرِ لِالتِقَاءِ السَّاكِنَينِ.

(٩) أي: وقَالَ ﴿قِيلَهُۥ﴾، وهي قِراءَةُ السَّبعةِ عدا عاصمٍ وحمزةَ، وقرأ عاصمٌ وحمزةُ: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بالجَرِّ عَطفًا على ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: ويَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِها، ويَعلَمُ وَقْتَ تَضَرُّعِه وقِيلِه.

(١٠) بالتَّاءِ: قراءةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ، وقرأ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالياءِ.

سُورَةُ الدُّخَانِ — ترتيبها ٤٤ — آياتها ٥٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا
مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾
فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ
هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ
﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٥٠

سُورَةُ الدُّخَانِ

مَكِّيَّةٌ، وقِيلَ: إِلَّا: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ الآيَةَ، وهِي: سِتٌّ، أو: سَبْعٌ، أو: تِسْعٌ وخَمْسُونَ آيَةً[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ اللهُ أعلَمُ بِمُرَادِه به.

[٢] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المُظْهِرِ الحَلَالَ مِنَ الحَرَامِ.

[٣] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ هِي لَيلَةُ القَدْرِ، أو لَيلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ[2]، نَزَلَ فيها مِنْ أُمِّ الكِتَابِ، مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلى سَمَاءِ الدُّنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: مُخَوِّفِينَ به.

[٤] ﴿فِيهَا﴾ أي: في لَيلَةِ القَدْرِ، أو لَيلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ[3] ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفْصَلُ ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: مُحكَمٍ، مِنَ الأَرْزَاقِ والآجَالِ وغَيرِهما، التي تَكُونُ في السَّنَةِ، إِلى مِثْلِ تِلكَ الليلَةِ.

[٥] ﴿أَمْرًا﴾: فَرْقًا ﴿مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرُّسُلَ؛ مُحَمَّدًا، ومَنْ قَبْلَه.

[٦] ﴿رَحْمَةً﴾: رَأفَةً بِالمُرْسَلِ إِليهم ﴿مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأَقْوالِهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِأَفْعَالِهم.

[٧] ﴿[رَبُّ] ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ بِرَفْعِ ﴿رَبُّ﴾: خَبَرٌ ثَالِثٌ، وبِجَرِّه[4]: بَدَلٌ مِنْ ﴿رَبِّكَ﴾ ﴿إِن كُنتُم﴾ - يا أَهلَ مَكَّةَ- ﴿مُّوقِنِينَ﴾ بِأَنَّه -تَعَالَى- رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ، فَأَيقِنُوا بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُه.

[٨] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

[٩] ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ مِنَ البَعْثِ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استِهزَاءً بِكَ يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ، كَسَبْعِ يُوسُفَ**»[5].

[١٠] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فَأَجْدَبَتِ الأَرْضُ، واشتَدَّ بِهِمُ الجُوعُ، إِلى أَنْ رَأَوا مِنْ شِدَّتِه كَهَيئَةِ الدُّخَانِ، بَينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ[6].

[١١] ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: مُصَدِّقُونَ نَبِيَّكَ.

[١٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: لا يَنفَعُهم الإِيمَانُ[7] عِندَ نُزُولِ العَذَابِ ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنُ الرِّسَالَةِ؟

[١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾ أي: يُعَلِّمُه القُرآنَ بَشَرٌ، ﴿مَّجْنُونٌ﴾. [١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: الجُوعِ عَنكُم زَمَنًا ﴿قَلِيلًا﴾ فَكُشِفَ عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إِلى كُفْرِكُم. فَعَادُوا إِليه.

[١٦] اذكُرْ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ هُو يومُ بَدْرٍ ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ مِنهُم. والبَطْشُ: الأَخْذُ بِقُوَّةٍ[*].

[١٧] ﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: بَلَونَا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ مَعَه ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿كَرِيمٌ﴾ عَلى اللهِ -تَعَالَى-.

[١٨] ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ﴾ مَا أَدعُوكُم إِليه مِنَ الإِيمَانِ؛ أي: أَظْهِرُوا إِيمَانَكُم بِالطَّاعَةِ لي[8] يَا ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عَلى مَا أُرْسِلْتُ به.

---

[*] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (١٠-١٦)**: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَن عَبدِ اللهِ (ابنِ مَسعُودٍ) قَالَ: إِنَّمَا كَانَ هَذَا، لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى أَكَلُوا العِظَامَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الجَهْدِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالَ: فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ: اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ، فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ، قَالَ: «لِمُضَرَ؟! إِنَّكَ لَجَرِيءٌ!» فَاسْتَسْقَى لَهُمْ فَسُقُوا، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الدخان (٤٤) باب (٢).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (إِلَّا: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾). وسَبَبُ الاختِلَافِ في عَدَدِ الآيَاتِ اختِلَافُ الرِّوَايَةِ في تَعيِينِ مَكَانِ فَوَاصِلِ بَعضِها.

(٢) وهذا القَولُ بَاطِلٌ مُخَالِفٌ لِصَرِيحِ القُرآنِ، كَمَا جَزَمَ بِهِ ابنُ العَرَبِيِّ وَغَيرُ وَاحِدٍ مِنَ المُحَقِّقِينَ. والصَّحِيحُ الذي عليه الجُمْهُورُ أَنَّ اللَّيلَةَ المُبَارَكَةَ هِي لَيلَةُ القَدْرِ، وفيها ابتِدَاءُ نُزُولِ القُرآنِ. قَالَ الشِّنقِيطِيُّ في أَضْوَاءِ البَيَانِ (٧/ ١٧٢): «فَدَعْوَى أَنَّهَا لَيلَةُ النِّصفِ مِنْ شَعْبَانَ كَمَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ وَغَيرِهِ، لَا شَكَّ فِي أَنَّهَا دَعْوَى بَاطِلَةٌ لِمُخَالَفَتِهَا لِنَصِّ القُرْآنِ الصَّرِيحِ».

(٣) وهذا القَولُ ضَعِيفٌ مَردُودٌ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُه.

(٤) بِالرَّفعِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابن عامر، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿رَبِّ﴾، بالجَرِّ.

(٥) البُخَارِيُّ (٤٨٠٩)، وفي مواضع، ومُسلِمٌ (٢٧٩٨) عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ مَرفُوعًا، واللفظُ للبُخَارِيِّ. ويُنظَرُ حَاشِيَةُ أَسبَابِ النُّزُولِ.

(٦) هو حَدِيثُ ابنِ مَسعُودٍ المُتَقَدِّمُ.

(٧) الظَّاهِرُ أَنَّ المَنفِيَّ هُو استِبعَادُ وُقُوعِ الإِيمَانِ منهم عِندَ كَشفِ العَذَابِ، أو انتِفَاعِهم بِمَا يَحِيقُ بهم مِنْ عَذَابِ الدُّنيا، لَا أَنَّ حُصُولَ الإِيمَانِ منهم لا يَنفَعُهم.

(٨) الأَرجَحُ والمَشهُورُ عِندَ المُفَسِّرِينَ أَنَّ المُرَادَ: أَرسِلُوا مَعِيَ بَنِي إِسرَائِيلَ، وأَطلِقُوهم مِنَ العَذَابِ، كَمَا جَاءَ في سُورَةِ الأَعرَافِ والشُّعَرَاءِ. قَالَ مُجَاهِدٌ في تَفسِيرِه (ص٥٩٧)، فِي قَولِهِ: ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ: «أَرسِلُوا مَعِيَ بَنِي إِسرَائِيلَ»، قَالَ: «هذا قَولُ مُوسَى عليه السلام»، وقَالَ نَحوَه مُقَاتِلٌ في تَفسِيرِه (٣/ ٨٢٠).

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ
بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾
فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا
بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ
﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

[١٩] ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾: تتجبَّروا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بتَرْكِ طاعتِه ﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ﴾: بُرهانٍ ﴿مُّبِينٍ﴾: بيِّنٍ، على رِسالَتِي. فتوعَّدوه بالرَّجمِ، فقالَ:

[٢٠] ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ بالحِجارةِ.

[٢١] ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾: تُصدِّقوني ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾: فاترُكوا أذايَ، فلَمْ يترُكوه.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ﴾ أي: بِأَنَّ ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: مُشرِكونَ. فقالَ تعالَى:

[٢٣] ﴿فَأَسْرِ﴾ - بِقَطْعِ الهَمْزةِ ووَصْلِها(١) - ﴿بِعِبَادِي﴾ بَنِي إسرائيلَ ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يَتَّبِعُكُم فِرعونُ وقومُه.

[٢٤] ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾ إذا قَطَعْتَه أنتَ وأصحابُكَ ﴿رَهْوًا﴾: ساكِنًا مُنفرِجًا، حتَّى يَدخُلَه القِبْطُ ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ فاطْمَأَنَّ بِذلكَ، فأُغرِقوا.

[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تَجرِي!

[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مَجْلِسٍ حَسَنٍ!

[٢٧] ﴿وَنَعْمَةٍ﴾: مُتْعَةٍ ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾: ناعِمِينَ!

[٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾: خَبَرُ مُبتدَإٍ؛ أي: الأَمْرُ ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أَموالَهم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ أي: بَنِي إسرائيلَ.

[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخِلافِ المُؤمِنِينَ، يَبكِي عليهم بِمَوتِهم مُصلَّاهُم مِنَ الأَرضِ، ومَصْعَدُ عَمَلِهم مِنَ السَّماءِ(٢) ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾: مُؤخَّرِينَ لِلتَّوبةِ.

[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: قَتْلِ الأَبناءِ واستِخدامِ النِّساءِ.

[٣١] ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ قِيلَ: بَدَلٌ مِنَ ﴿الْعَذَابِ﴾ بتَقديرِ مُضافٍ؛ أي: عَذابِ، وقِيلَ: حالٌ مِنَ ﴿الْعَذَابِ﴾ ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ أي: بَنِي إسرائيلَ ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ مِنَّا بحالِهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالَمِي زَمانِهم؛ أي(٣): العُقَلاءِ.

[٣٣] ﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾: نِعْمةٌ ظاهِرةٌ، مِنْ فَلْقِ البَحرِ والمَنِّ والسَّلْوَى وغَيرِها.

[٣٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿لَيَقُولُونَ﴾:

[٣٥] ﴿إِنْ هِيَ﴾: ما المَوتةُ التي بَعدَها الحَياةُ ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ أي: وهُم نُطَفٌ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾: بِمَبْعُوثِينَ أحياءً بَعدَ الثانيةِ.

[٣٦] ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أحياءً ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّا نُبعَثُ بعدَ موتِنا؛ أي: نَحيا.

[٣٧] قالَ تعالَى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو نَبِيٌّ، أو رَجُلٌ صالِحٌ(٤) ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الأُمَمِ؟ ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بِكُفرِهم(٥). والمَعنَى: لَيسُوا أقوَى منهم، وأُهلِكُوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ بخَلْقِ ذلكَ: حالٌ.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينَهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحِقِّينَ في ذلكَ؛ لِيُستدَلَّ(٦) به على قُدرَتِنا ووَحدانِيَّتِنا وغيرِ ذلكَ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) بِوَصْلِها: قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ، وقرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعةِ بِقَطعِ الهَمزةِ.

(٢) رُوِيَ هذا عَنِ ابنِ عبَّاسٍ وغيرِه، كما أخرجه الطَّبَرِيُّ في تفسيرِه (٢٢/ ٣٤-٣٦)، ورُوِيَ مرفوعًا عَنْ أنسٍ بنحوِه عِندَ التِّرمِذِيِّ برَقْم (٣١٧٨) بلَفظ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ بَابَانِ، بَابٌ يَصْعَدُ مِنْهُ عَمَلُهُ، وَبَابٌ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ، فَإِذَا مَاتَ بَكَيَا عَلَيْهِ، فذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾»، وضعَّفه الألبانيُّ في ضعيفِ الجامع (٥١٩٧).

(٣) كَلِمةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسخةِ قَباوَة.

(٤) تُبَّعٌ الحِمْيَرِيُّ؛ الصَّحيحُ الذي عليه جُمهورُ المُفسِّرينَ أنَّه رَجُلٌ صالِحٌ، وأنَّه لَيسَ نَبِيًّا، وقَومُه هُم «سَبَأ» وكانُوا يُسمُّونَ مَلِكَهم «تُبَّعًا»، كما يُسمَّى مَلِكُ الفُرسِ «كِسرَى»، و«قَيصَر» لِمَن مَلَكَ الرُّومَ. وقِيلَ: إنَّه كانَ كافِرًا ثُمَّ أسلَمَ وتابَعَ دِينَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانَ ذلكَ قَبلَ بَعثةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. روى الحاكِمُ في مُستدرَكِه (٣٦٨١)، وعبدُ الرزَّاقِ في تفسيرِه (٢٨١٩) عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنَّها قالَتْ: «كَانَ تُبَّعٌ رَجُلًا صَالِحًا، أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَمَّ قَوْمَهُ وَلَمْ يَذُمَّهُ؟» قالَ الحاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافَقَه الذَّهَبِيُّ، وصحَّحه الألبانيُّ في الصحيحة (٥/ ٥٤٩).

(٥) في نُسخةِ قَباوَة: (لِكُفرِهم).

(٦) في نُسخةِ قَباوَة: (يُستدَلُّ).

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ
ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا
ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن
رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

ترتيبها ٤٥ — سُورَةُ الجَاثِيَةِ — آياتها ٣٧

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: يومَ القِيامَةِ، يَفصِلُ اللهُ فيه بَينَ العِبادِ ﴿مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لِلعَذابِ الدَّائمِ.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ بِقَرابةٍ أو صَداقةٍ؛ أي: لا يَدفَعُ عنه ﴿شَيْـًٔا﴾ مِنَ العَذابِ! ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُونَ منه - و﴿يَوْمَ﴾ بَدَلٌ مِن: ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾-.

[٤٢] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ وهُمُ المُؤمِنُونَ؛ فإنَّه يَشفَعُ بَعضُهم لِبَعضٍ بإذنِ اللهِ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالِبُ في انتِقامِه مِنَ الكُفَّارِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِالمُؤمِنِينَ.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ هِي مِنْ أخبَثِ الشَّجَرِ المُرِّ بتِهامَةَ، يُنبِتُها اللهُ -تَعالَى- في الجَحِيمِ.

[٤٤] ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أبي جَهلٍ(١) وأصحابِه ذَوِي الإثمِ الكَبيرِ.

[٤٥] ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ أي: كَدُرْدِيِّ(٢) الزَّيتِ الأسودِ: خَبَرٌ ثانٍ ﴿[تَغْلِى] فِى ٱلْبُطُونِ﴾ - بِالفَوقانيَّةِ: خَبَرٌ ثالِثٌ، وبِالتَّحتانيَّةِ(٣): حالٌ مِنَ «المُهلِ»-.

[٤٦] ﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾: الماءِ(٤) الشَّديدِ الحَرارَةِ.

[٤٧] ﴿خُذُوهُ﴾ يُقالُ لِلزَّبانيَةِ: خُذُوا الأثيمَ ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ - بِكَسرِ التَّاءِ وضَمِّها(٥)-: جُرُّوهُ بِغِلظَةٍ وشِدَّةٍ ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وَسَطِ النَّارِ.

[٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: مِنَ الحَميمِ الذي لا يُفارِقُه العَذابُ، فَهو أبلَغُ مِمَّا في آيةِ: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾(٦). ويُقالُ له:

[٤٩] ﴿ذُقْ﴾ أي: العَذابَ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ بِزَعمِكَ، وقَولِكَ: ما بَينَ جَبَلَيها أعَزُّ وأكرَمُ مِنِّي(٧). ويُقالُ لهم:

[٥٠] ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ الذي تَرَونَ مِنَ العَذابِ ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾: فيه تَشُكُّونَ.

[٥١] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾: مَجلِسٍ ﴿أَمِينٍ﴾: يُؤمَنُ فيه الخَوفُ.

[٥٢] ﴿فِى جَنَّـٰتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾.

[٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رَقَّ مِنَ الدِّيباجِ، وما غَلُظَ منه ﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾: حالٌ؛ أي: لا يَنظُرُ بعضُهم إلى قَفا بَعضٍ، لِدَوَرانِ الأسِرَّةِ بهم.

[٥٤] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يُقَدَّرُ قَبلَه: الأمرُ(٨) ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم﴾ مِنَ التَّزويجِ، أو قَرَنَّاهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: بِنِساءٍ بِيضٍ واسِعاتِ الأعيُنِ حِسانِها.

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾: يَطلُبُونَ الخَدَمَ ﴿فِيهَا﴾ أي: الجَنَّةِ، أنْ يَأتُوا ﴿بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ﴾ منها ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنِ انقِطاعِها، ومَضَرَّتِها، ومِنْ كُلِّ مَخُوفٍ: حالٌ.

[٥٦] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: التي في الدُّنيا بَعدَ حَياتِهم فيها(٩)، قالَ بَعضُهم: ﴿إِلَّا﴾ بِمَعنَى: «بَعدَ» ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿فَضْلًا﴾: مَصدَرٌ بِمَعنَى تَفَضُّلًا، مَنصُوبٌ بِـ«تَفَضَّلَ» مُقَدَّرًا ﴿مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ﴾: سَهَّلنا القُرآنَ ﴿بِلِسَانِكَ﴾: بِلُغَتِكَ، لِتَفهَمَه العَرَبُ مِنكَ(١٠) ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ فيُؤمِنُونَ. لَكِنَّهم لا يُؤمِنُونَ.

[٥٩] ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾: انتَظِرْ هَلاكَهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ هَلاكَكَ. وهَذا قَبلَ نُزُولِ الأمرِ بِجِهادِهم.

---

(١) في نُسخَةِ قَباوَة: (كأبي جهلٍ).

(٢) في نُسخَةِ قَباوَة: (دُرْدِيّ). وروى أحمدُ في مسنده (١١٦٧٢)، والتِّرمِذيُّ (٣٣٢٢)، والحاكمُ في مُستدرَكِه (٨٧٨٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «مَاءٌ كَالْمُهْلِ كَعَكَرِ الزَّيْتِ فَإِذَا أُقْرِبَ إِلَى فِيهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ»، وقال الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ. وضَعَّفَه الألبانيُّ في ضعيف الترغيب والترهيب (٢١٥٤).

(٣) بالتَّاءِ: قِراءَةُ السَّبعَةِ عدا حفصٍ وابنِ كثيرٍ، وقَرَأَ حفصٌ وابنُ كثيرٍ: ﴿يَغْلِى﴾؛ بِالياءِ.

(٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (أي: الماءِ)؛ بِزيادةِ: (أي).

(٥) ﴿فَٱعْتُلُوهُ﴾؛ بِالضَّمِّ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ.

(٦) الحج: ١٩.

(٧) يُشيرُ إلى ما أخرجَه الطَّبَرِيُّ في جامع البيان (٢٥/ ٨٠) عَنْ قَتادَةَ أنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ في عَدُوِّ اللهِ أبي جَهلٍ، عِندَما قالَ ذلكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ. وهو ضعيفٌ لإرسالِه، كما في الاستيعاب (٣/ ٢٠٢).

(٨) أي: الأمرُ كَذَلكَ؛ فهو خَبَرٌ لِمُبتَدَإٍ مَحذُوفٍ.

(٩) أي: فالاستِثناءُ مُنقَطِعٌ، والمَعنَى: لَكِنِ الموتَةَ الأُولَى قَدْ ذَاقُوها في الدُّنيا.

(١٠) في نُسخَةِ قَباوَة: (عَنك).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
(٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ (٩) مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَٰذَا
هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (١١)
الحزب ٥٠ * ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟
مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)

سُورَةُ الجَاثِيَة

مَكِّيَّةٌ، إِلَّا: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ الآيَةَ، وهِيَ: سِتٌّ،
أو: سَبْعٌ وثَلاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِه.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ: مُبْتَدأٌ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: خَبَرُه ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صُنْعِه.

[٣] ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: في خَلْقِهما ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالَّةً على قُدْرَةِ الله ووَحدانِيَّتِه -تَعالَى[١]- ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤] ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خَلْقِ[٢] كُلٍّ مِنكُم، مِنْ نُطفَةٍ، ثُمَّ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مُضْغَةٍ[٣]، إلى أنْ صارَ إنْسانًا ﴿وَ﴾ خَلْقِ ﴿مَا يَبُثُّ﴾: يُفَرِّقُ في الأَرْضِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: هِيَ ما يَدِبُّ على الأرْضِ مِنَ النَّاسِ وغَيرِهم[٤] ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بِالبَعْثِ.

[٥] ﴿وَ﴾ في ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: ذَهابِهِما ومَجِيئِهِما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾: مَطَرٍ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ الرِّزْقِ ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تَقْلِيبِها، مَرَّةً جَنُوبًا، ومَرَّةً شِمالًا، وبارِدَةً وحارَّةً ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدَّلِيلَ؛ فيُؤْمِنونَ.

[٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآياتُ المَذْكُورَةُ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: حُجَجُهُ الدَّالَّةُ على وَحْدانِيَّتِه ﴿نَتْلُوهَا﴾: نَقُصُّها ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ«نَتْلُو» ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: حَدِيثِه وهُوَ القُرآنُ ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾: حُجَجِه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ؟؛ أي: لا يُؤمِنونَ. وفي قِراءَةٍ[٥] بِالتَّاءِ.

[٧] ﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذابٍ ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كَذَّابٍ ﴿أَثِيمٍ﴾: كَثِيرِ الإثْمِ.

[٨] ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنَ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كُفْرِه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: مُتَكَبِّرًا عَنِ الإيمانِ ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤْلِمٍ.

[٩] ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: القُرآنِ ﴿شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا [هُزُؤًا][٦]﴾ أي: مَهْزُوءًا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: الأَفَّاكُونَ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذُو إهانَةٍ.

[١٠] ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ أي: أَمَامِهم؛ لِأَنَّهم[٧] في الدُّنيا ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟﴾ مِنَ المالِ والفِعَالِ ﴿شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأَصْنامَ ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١١] ﴿هَٰذَا﴾ أي: القُرآنُ ﴿هُدًى﴾ مِنَ الضَّلالَةِ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾: حَظٌّ ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أي: عَذابٍ ﴿أَلِيمٌ﴾: مُوجِعٌ.

[١٢] ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾: السُّفُنُ ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾: بِإِذْنِه[٨] ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾: تَطْلُبُوا بِالتِّجارَةِ ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِنْ شَمْسٍ وقَمَرٍ ونُجُومٍ وماءٍ وغَيرِه ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ دابَّةٍ وشَجَرٍ ونَباتٍ وأَنْهارٍ وغَيرِها[٩]؛ أي: خَلَقَ ذَلِكَ لِمَنافِعِكم ﴿جَمِيعًا﴾: تَأْكِيدٌ ﴿مِّنْهُ﴾: حالٌ؛ أي: سَخَّرَها كائِنَةً منه -تَعالَى- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيُؤْمِنُونَ.

---

(١) في نُسْخَةِ قَباوَة: (أي: خَلْقِ)؛ بِدُونِ: (في).

(٢) في نُسْخَةِ قَباوَة: (قُدْرَةِ الله -تَعالَى- ووَحدانِيَّتِه).

(٣) في نُسْخَةِ قَباوَة: (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ).

(٤) هَذِه الآيَةُ كَقَولِه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ فلا يُقتَصَرُ على كَونِ بَثِّ الدَّوابِّ في الأَرْضِ. رَاجِعِ التَّعليقَ على الآيَة (٢٩) في سورة الشورى.

(٥) لِحَمْزَةَ والكِسائِيِّ وابنِ عامِرٍ وشُعْبَةَ.

(٦) بِضَمِّ الزَّايِ وبِالهَمْزِ، وهي قِراءَةُ السَّبْعَةِ عَدا حَمْزَةَ وحَفصٍ، وقَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿هُزْءًا﴾ بِالهَمْزِ مَعَ سُكُونِ الزَّايِ، وقَرَأَ حَفصٌ: ﴿هُزُوًا﴾ بِضَمِّ الزَّايِ وإِبْدالِ الهَمْزَةِ واوًا. وسَبَقَ ذِكْرُ القِراءاتِ تَفصِيلًا وإِجمالًا في سورة الأنبياء، آية (٣٦).

(٧) في نُسْخَةِ القاضي زِيادَةُ: (الآنَ) في هَذا المَوضِعِ.

(٨) سَبَقَ التَّنبِيهُ على أنَّ الأمرَ غَيرُ الإِذْنِ، وأنَّ الأَمْرَ يَتَضَمَّنُ إِثباتَ صِفَةِ الكَلامِ لله عزّوجلّ على الوَجهِ اللائِقِ به.

(٩) في نُسْخَةِ قَباوَة: (وغَيرِه).

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ
قَوْمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحْمَةٞ لِّقَوْمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾
أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

[١٤] ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾: يخافونَ ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: وقائعَهُ؛ أي: اغفِرُوا لِلكُفَّارِ ما وقعَ منهم، مِنَ الأذى لكُم، وهذا قَبلَ الأمرِ بجِهادِهِم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: اللهُ، وفي قِرَاءَةٍ بالنُّونِ[١] ﴿قَوْمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ مِنَ الغَفرِ لِلكُفَّارِ أذاهُم[٢].

[١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عمِلَ ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساءَ[٣] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: تَصيرُونَ، فيُجازِي المُصلِحَ والمُسِيءَ.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ بهِ بينَ النَّاسِ ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ لِموسى وهارُونَ منهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الحَلالاتِ؛ كالمَنِّ والسَّلوى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالَمِي زَمانِهِم العُقَلاءِ.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أمرِ الدِّينِ، مِنَ الحَلالِ والحَرامِ، وبعثةِ مُحمَّدٍ -عليه أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ- ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ في بعثتِهِ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لِبَغْيٍ حدَثَ بينهم، حَسَدًا له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ - يا مُحمَّدُ- ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٖ﴾: طريقةٍ ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أمرِ الدِّينِ ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عِبادةِ غيرِ اللهِ.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ﴾: يدفَعُوا ﴿عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: مِن عذابِهِ ﴿شَيْـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرينَ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: المُؤمِنينَ.

[٢٠] ﴿هَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾: مَعالِمُ يَتبصَّرُونَ بها في الأحكامِ والحُدودِ ﴿وَهُدٗى وَرَحْمَةٞ لِّقَوْمٖ يُوقِنُونَ﴾ بالبَعثِ.

[٢١] ﴿أَمْ﴾: بمعنى همزةِ الإنكارِ ﴿حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ﴾: اكتسَبُوا ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكُفرَ والمعاصيَ ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ﴾[٤]: خبرٌ ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾: مُبتدأٌ ومعطوفٌ، والجُملةُ بدلٌ مِنَ الكافِ[٥]، والضَّميرانِ لِلكُفَّارِ. المعنى: أحَسِبُوا أنْ نجعلَهم في الآخرةِ في خيرٍ كالمُؤمِنينَ؟ أي: في رَغَدٍ مِنَ العيشِ، مُساوٍ لِعيشِهم في الدُّنيا؛ حيثُ قالُوا لِلمُؤمِنينَ: لَئِن بُعِثنا لَنُعطَى[٦] مِنَ الخيرِ مِثلَ ما تُعطَونَ. قال تعالَى - على وَفقِ إنكارِهِ بالهمزةِ[٧]-: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾! أي: ليسَ الأمرُ كذلكَ، فهُم في الآخرةِ في العذابِ، على خِلافِ عيشِهِم في الدُّنيا، والمُؤمِنونَ في الآخرةِ في الثَّوابِ، بعمَلِهِمُ الصَّالِحاتِ في الدُّنيا؛ مِنَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصِّيامِ وغيرِ ذلكَ، و﴿مَا﴾: مصدريَّةٌ؛ أي: بِئسَ حُكمًا حُكمُهم هذا!

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ﴾ خلَقَ[٨] ﴿ٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: مُتعلِّقٌ بـ﴿خَلَقَ﴾؛ لِيَدُلَّ على قُدرتِهِ ووحدانيَّتِهِ ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ مِنَ المعاصي والطَّاعاتِ، فلا يُساوِي الكافرُ المُؤمِنَ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

---

(١) لِحمزةَ والكِسائيِّ وابنِ عامرٍ.

(٢) أي: المُؤمِنونَ، فيُثيبُهم، ويُمكِنُ أنْ يكونَ المعنَى: لِيَجزيَ الكافرينَ على أذاهم لِلمُؤمِنينَ، كما قال الطَّبريُّ (٢١/ ٨٠): «لِيَجزِيَ اللهُ هؤلاءِ الَّذينَ يُؤذُونَهم مِنَ المُشرِكينَ في الآخرةِ، فيُصيبُهم عذابُهُ بما كانُوا في الدُّنيا يَكسِبُونَ مِنَ الإثمِ، ثُمَّ بأذاهُم أهلَ الإيمانِ باللهِ».

(٣) في نُسخةِ قباوة: (إساءَتُه).

(٤) وهي قِراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ، وقرأ بقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿سَوَآءً﴾ بالفتحِ، على الحالِ.

(٥) في قولِهِ: ﴿كَٱلَّذِينَ﴾، لأنَّ الكافَ هنا اسمٌ مبنيٌّ على الفتحِ في محلِّ نصبٍ مفعولٌ ثانٍ لِـ﴿نجعلَ﴾، والتَّقديرُ: أن نجعلَهم مِثلَ الذين...

(٦) في نُسخةِ قباوة: (لَنُعطَيَنَّ).

(٧) أي: همزةِ الإنكارِ المُشارِ إليها في صدرِ الآيةِ.

(٨) كلمةُ: (خلَقَ) ليستْ في نُسخةِ قباوة.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ
وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾
وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا
قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

[٢٣] ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: أَخْبِرْنِي ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: مَا يَهوَاهُ مِنْ حَجَرٍ بَعْدَ حَجَرٍ، يَرَاهُ أَحْسَنَ ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منه -تَعَالَى- أَي: عَالِمًا بِأَنَّه مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ، قَبْلَ خَلْقِه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ فَلَمْ يَسْمَعِ الهُدَى ولَمْ يَعْقِلْهُ، [فَلا يَتَفَكَّرُ فِي الآيَاتِ][1]، ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾: ظُلْمَةً، فَلَمْ يُبْصِرِ الهُدَى. ويُقَدَّرُ هنا المَفعُولُ الثَّانِي لِـ«رَأَيْتَ»: «أَيَهْتَدِي»[2]؟ ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أَي: بَعْدَ إِضْلَالِه إِيَّاه؟ أَي: لَا يَهتَدِي ﴿أَفَلَا [تَذَّكَّرُونَ]﴾: تَتَّعِظُونَ؟ فيه إِدْغَامُ إِحْدَى التَّاءَيْنِ فِي الذَّالِ[3].

[٢٤] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أَي: مُنْكِرُو البَعْثِ: ﴿مَا هِىَ﴾ أَي: الحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ الَّتِي فِي ﴿ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أَي: يَمُوتُ بَعْضٌ، ويَحيَا بَعْضٌ؛ بِأَنْ يُولَدُوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾ أَي: مُرُورُ الزَّمَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المَقُولِ ﴿مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ﴾: مَا ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ مِنَ القُرآنِ، الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى البَعْثِ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: وَاضِحَاتٍ: حَالٌ ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أَحيَاءً ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أَنَّا نُبْعَثُ.

[٢٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ حِينَ كُنْتُم نُطَفًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أَحيَاءً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُمُ القَائِلُونَ مَا ذُكِرَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يُبْدَلُ مِنه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: الكَافِرُونَ؛ أَي: يَظْهَرُ خُسْرَانُهم، بِأَنْ يَصِيرُوا إِلَى النَّارِ.

[٢٨] ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ أَي: أَهْلِ دِينٍ ﴿جَاثِيَةً ۚ﴾ عَلَى الرُّكَبِ، أَو: مُجتَمِعَةً ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: كِتَابِ أَعمَالِها. ويُقَالُ لهُم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَي: جَزَاءَه.

[٢٩] ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾: دِيوَانُ الحَفَظَةِ ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: نُثْبِتُ ونَحْفَظُ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٠] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾: جَنَّتِه[4] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: البَيِّنُ الظَّاهِرُ.

[٣١] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فيُقَالُ لَهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾: القُرآنُ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تَكَبَّرْتُم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: كَافِرِينَ؟

[٣٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لَكُم -أَيُّها الكُفَّارُ-: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِالبَعْثِ ﴿حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ﴾ -بِالرَّفْعِ والنَّصْبِ[5]- ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن﴾: مَا ﴿نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ -قَالَ المُبَرِّدُ: أَصْلُه: إِنْ نَحْنُ إِلَّا نَظُنُّ ظَنًّا- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أَنَّها آتِيَةٌ.

---

(١) عِبَارَةُ: (فَلا يَتَفَكَّرُ فِي الآيَاتِ) لَيسَتْ فِي الأَصْلِ، وأَثْبَتْنَاها مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي.

(٢) فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي: (أَي: «أَيَهتَدِي»).

(٣) وهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ بِتَخفِيفِ الذَّالِ. وتكرَّر مِرَارًا؛ فهِيَ قَاعِدَةٌ كُلِّيَّةٌ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ خَفَّفَها حَفْصٌ وحَمزَةُ والكِسَائِيُّ، وشَدَّدَها البَاقُونَ.

(٤) الجَنَّةُ مِنْ آثَارِ رَحمَةِ الله عز وجل، ورَحمَةُ الله عز وجل صِفَةٌ له قَائِمَةٌ بِذَاتِه، ونُثبِتُها له -سُبحَانَهُ- عَلَى الوَجهِ اللَّائِقِ بِه.

(٥) بِالنَّصْبِ: قِرَاءَةُ حَمزَة.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا
وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾
وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

الجزء ٢٦ الحزب ٥١

[٣٣] ﴿وَبَدَا﴾: ظَهَرَ ﴿لَهُمْ﴾ في الآخِرَةِ ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدُّنيا؛ أي: جَزاؤُها ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أيِ: العَذابُ.

[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾: نَتْرُكُكُم في النَّارِ ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [أي][(١)]: كَما تَرَكْتُم العَمَلَ لِلِقائِه ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: مَانِعِينَ[(٢)] منها.

[٣٥] ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: القُرآنَ ﴿[هُزُوًا][(٣)] وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حَتَّى قُلتُم: لَا بَعْثَ ولَا حِسَابَ ﴿فَالْيَوْمَ لَا [يَخْرُجُونَ]﴾ - بِالبِناءِ لِلفاعِلِ ولِلمَفعُولِ[(٤)] - ﴿مِنْهَا﴾: مِنَ النَّارِ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلَبُ منهم أنْ يُرضُوا رَبَّهم بِالتَّوبَةِ والطَّاعَةِ؛ لِأَنَّها لا تَنفَعُ يومَئِذٍ.

[٣٦] ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾: الوَصفُ بِالجَميلِ، عَلى وَفاءِ وَعْدِهِ في المُكَذِّبِينَ[(٥)] ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خَالِقِ مَا ذُكِرَ - والعَالَمُ: مَا سُوَى اللهِ، وجُمِعَ لِاختِلَافِ أنواعِه، و﴿رَبِّ﴾: بَدَلٌ -.

[٣٧] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾: العَظَمَةُ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: حالٌ؛ أي: كَائِنَةً فِيهِما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تَقَدَّمَ[(٦)].

سُورَةُ الأَحْقَاف

مَكِّيَّةٌ، إِلَّا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ الآيَةَ، وإِلَّا: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[(٧)] الآيَةَ، وإِلَّا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ الثَّلَاثَ آياتٍ،
وهِيَ: أربعٌ، أو خَمسٌ وثَلاثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حم﴾ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِه.

[٢] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾: القُرآنِ: مُبْتَدَأٌ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: خَبَرُه ﴿الْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صُنْعِه.

[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خَلْقًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ لِيَدُلَّ على قُدْرَتِنا ووَحْدانِيَّتِنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فَنائِهِما يومَ القِيامَةِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾: خُوِّفُوا بِه مِنَ العَذابِ[(٨)] ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾: أَخْبِرُونِي ﴿مَا تَدْعُونَ﴾: تَعْبُدُونَ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أيِ: الأَصنامَ: مَفْعُولٌ أَوَّلُ ﴿أَرُونِي﴾: أَخْبِرُونِي - تَأْكِيدٌ - ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾: مَفْعُولٌ ثَانٍ ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾؟ بَيانُ ﴿مَا﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: مُشارَكَةٌ[(٩)] ﴿فِي﴾ خَلْقِ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ مَعَ اللهِ؟ و﴿أَمْ﴾: بِمَعنَى هَمْزَةِ الإِنْكارِ ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ مُنَزَّلٍ ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القُرآنِ ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾: بَقِيَّةٍ ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يُؤثَرُ عَنِ الأَوَّلِينَ، بِصِحَّةِ دَعْواكُم في عِبادَةِ الأَصنامِ، أَنَّها تُقَرِّبُكُم إلى اللهِ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعْواكُم.

[٥] ﴿وَمَنْ﴾: استِفهامٌ بِمَعنَى النَّفْيِ؛ أي: لَا أَحَدَ ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو﴾: يَعْبُدُ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهُم؛ [أي][(١٠)]: الأَصْنامُ، لا يُجِيبُونَ عابِدِيهِم إلى شَيْءٍ يَسأَلُونَه أَبَدًا ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ﴾: عِبادَتِهِم ﴿غَافِلُونَ﴾ لِأَنَّهم جَمادٌ لا يَعقِلُونَ؟

---

(١) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في الأَصْلِ، وأثبتناها مِن نُسْخَةِ قَبَاوَة والقاضي.

(٢) كَلِمَةُ: (مَانِعِينَ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة، ولا القَاضِي.

(٣) قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدا حَمْزَةَ وحفصٍ، كما تَقَدَّمَ في الآيَة (١١) مِنْ هذه السُّورَةِ.

(٤) بالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالبِنَاءِ لِلمَفْعُولِ: ﴿يُخْرَجُونَ﴾.

(٥) أي: إِنَّه سُبحَانَه يُحمَدُ عَلى «العَدْلِ» وهُو إِدْخَالُه الكَافِرِينَ النَّارَ، كَما يُحمَدُ عَلى «الفَضْلِ» وهو إِدْخَالُه المُؤمِنِينَ الجَنَّةَ. واقتَصَرَ المُصَنِّفُ عَلى الأَوَّلِ هنا دَفْعًا لِتَوَهُّمِ اقتِصارِ الحَمْدِ على الفَضْلِ فَقَطْ.

(٦) أي: ﴿الْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صُنْعِه. كَما تَقَدَّمَ في أَكثَرَ مِنْ مَوضِعٍ.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾)، دُونَ إِثْبَاتِ جُزْءِ الآيَةِ: (﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾).

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي: (القُرآنِ).

(٩) في نُسْخَةِ الجَمَلِ وفي بَعْضِ النُّسَخِ المَطبُوعَةِ: (مُشَارِكٌ)، وقَالَ في حَاشِيَةِ الجَمَلِ تَعلِيقًا عَلى ذَلِكَ: لَو فَسَّرَ الشِّركَ بِالشَّرِكَةِ لَكَانَ أَوضَحَ، وفي السَّمِينِ الحَلَبِيِّ: والشِّرْكُ: المُشَارَكَةُ.

(١٠) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في الأَصْلِ، وأَثبَتنَاهَا مِن نُسْخَةِ قَبَاوَة.

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ أي: الأَصْنامُ ﴿لَهُمْ﴾: لِعَابِدِيهم ﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾: بِعِبَادَةِ عَابِدِيهم ﴿كَافِرِينَ﴾: جَاحِدِينَ.

[٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: أَهْلِ مَكَّةَ ﴿آيَاتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: ظَاهِرَاتٍ: حَالٌ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: القُرآنِ[1] ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: بَيِّنٌ ظَاهِرٌ.

[٨] ﴿أَمْ﴾: بِمَعنَى بَلْ، وهَمْزَةِ الإِنْكَارِ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: القُرآنَ؟ ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ فَرْضًا ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي[2]: مِنْ عَذَابِه ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تَقْدِرُونَ على دَفْعِه عَنِّي، [إِنْ][3] عَذَّبَنِيَ اللهُ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تَقُولُونَ في القُرآنِ ﴿كَفَى بِهِ﴾ -تعالَى- ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لِـمَنْ تَابَ ﴿الرَّحِيمُ﴾ به، فَلَمْ يُعَاجِلْكُم بِالعُقُوبَةِ.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا﴾: بَدِيعًا ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: أَوَّلَ مُرْسَلٍ، قَدْ سَبَقَ قَبْلِي كَثِيرُونَ منهم، فكَيفَ تُكَذِّبُوني[4]؟ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدُّنيا[5]؛ أَأُخْرَجُ مِنْ بَلَدِي، أَمْ أُقْتَلُ كَما فُعِلَ بِالأَنْبِيَاءِ قَبْلِي؟ أَو تُرْمَونَ بِالحِجَارَةِ، أَمْ[6] يُخْسَفُ بِكُم كَالمُكَذِّبِينَ قَبْلَكُم؟ ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ أي: القُرآنَ، ولَا أَبْتَدِعُ مِنْ عِنْدِي شَيئًا ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإِنْذَارِ.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أَخْبِرُوني، مَاذَا حَالُكُم ﴿إِنْ كَانَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾: جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هُو عَبْدُ الله بنُ سَلَامٍ[7] ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ أي: عَليه أَنَّه مِنْ عِنْدِ الله ﴿فَآمَنَ﴾ الشَّاهِدُ ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تَكَبَّرْتُم عَنِ الإِيمَانِ. وجَوابُ الشَّرْطِ بِمَا[8] عُطِفَ عليه: أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ[9]؟ دَلَّ عَلَيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[*].

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: في حَقِّهِم: ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإِيمَانُ ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ أي: القَائِلُونَ ﴿بِهِ﴾ أي: بِالقُرآنِ ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا﴾ أي: القُرآنُ ﴿إِفْكٌ﴾: كَذِبٌ ﴿قَدِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ أي: التَّوراةُ ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ لِلمُؤمِنِينَ به: حَالَانِ ﴿وَهَذَا﴾ أي: القُرآنُ ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ لِلكُتُبِ قَبْلَه ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾: حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ في ﴿مُصَدِّقٌ﴾ ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: مُشْرِكِي مَكَّةَ ﴿وَ﴾ هُو ﴿بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾: المُؤمِنِينَ[10].

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ عَلى الطَّاعَةِ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٤] ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: حَالٌ ﴿جَزَاءً﴾: مَنصُوبٌ عَلى المَصْدَرِ بِفِعْلِه المُقَدَّرِ؛ أي: يُجْزَونَ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٠): أَخرَجَ البُخارِيُّ عَن عَبدِ اللهِ بنِ يُوسفَ قَالَ: سَمِعتُ مَالِكًا يُحدِّثُ عَنْ أَبي النَّضْرِ... عَنْ سَعدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ. قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ الآيَةَ. البُخَارِيُّ - كتاب مناقب الأنصار (٦٢) باب (١٩) مناقب عبد الله بن سَلَام.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: في القُرآنِ).

(٢) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٣) في الأَصْلِ: (إذا) والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تُكذِّبُونَني).

(٥) قوله: «في الدُّنيا»؛ هَذا قولُ الحَسنِ البَصرِيِّ وجَمَاعَةٍ، كما نقلَ عنه ذَلِكَ ابنُ كَثيرٍ (٧/ ٢٧٦) في تفسيرِ قَولِه تَعالَى: عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قَالَ: «أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَمَعَاذَ الله، قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ فِي الجَنَّةِ، وَلَكِنْ قَالَ: لَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فِي الدُّنْيَا؛ أُخرَجُ كَمَا أُخرِجَتِ الأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي؟ أَمْ أُقْتَلُ كَمَا قُتِلَتِ الأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي؟ وَلَا أَدْرِي أَيُخْسَفُ بِكُمْ أَوْ تُرمَونَ بِالحِجَارَةِ؟». قال ابنُ كثيرٍ: «وَهَذَا القَوْلُ هُوَ الَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ ابْنُ جَرِيرٍ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ، صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الآخِرَةِ جَازِمٌ أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الجَنَّةِ هُوَ وَمَنِ اتَّبَعَهُ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَدْرِ مَا كَانَ يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَأَمْرُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ إِلَى مَاذَا: أَيُؤْمِنُونَ أَمْ يَكْفُرُونَ، فَيُعَذَّبُونَ فَيُسْتَأْصَلُونَ بِكُفْرِهِمْ». وعلى القَولِ الآخَرِ تَكُونُ هذه الآيَةُ مَنْسُوخَةً بِقَولِه تَعالَى فِي سُورَةِ الفَتْحِ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أو).

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨١٢)، وراجِع نصَّ الحديثِ في حَاشيةِ أَسبَابِ النُّزُولِ.

(٨) أي: مَع ما.

(٩) أي: محذوفٌ تَقديرُه: «أَلستُم ظَالمِينَ؟».

(١٠) في نُسْخة قباوة: (لِلمُؤمِنين).

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ
عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ
إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ
عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ
لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن
قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ
فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ
﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ
ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ [حُسْنًا][١]﴾ وفي قِراءَةٍ: ﴿إِحْسَٰنًا﴾ أي: أَمَرْنَاهُ أَنْ يُحسِنَ إِلَيهما. فَنَصْبُ ﴿إِحْسَٰنًا﴾ على المَصْدَرِ بِفِعْلِه المُقَدَّرِ، ومِثْلُه ﴿حُسْنًا﴾ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: عَلى مَشَقَّةٍ ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ مِنَ الرَّضَاعِ ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾: سِتَّةُ أشْهُرٍ أَقَلُّ مُدَّةِ الحَمْلِ، والبَاقِي أَكْثَرُ مُدَّةِ الرَّضَاعِ. وقِيلَ: إِنْ حَمَلَتْ بِه سِتَّةً أو تِسْعَةً أَرْضَعَتْهُ البَاقِيَ[٢] ﴿حَتَّىٰٓ﴾: غَايَةٌ لِجُمْلَةٍ مُقَدَّرَةٍ؛ أي: وعَاشَ حَتَّى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: هُو كَمالُ قُوَّتِه وعَقْلِه ورَأْيِه، أَقَلُّهُ ثَلَاثٌ وثَلَاثُون سَنَةً، أو ثَلاثُون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تَمَامَها، وهو أَكْثَرُ الأَشُدِّ ﴿قَالَ رَبِّ﴾ إلَخ، نَزَلَ في أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ[٣] لَمَّا بَلَغَ أَربَعِينَ سَنَةً بَعْدَ سَنَتَينِ مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ آمَنَ به، ثُمَّ آمَنَ أَبَوَاهُ، ثُمَّ ابنُه عَبدُ الرَّحمَنِ، وابنُ عَبدِ الرَّحمَنِ أَبُو عَتِيقٍ ﴿[أَوْزِعْنِىَ]﴾[٤]: أَلْهِمْنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾ بِها ﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ وهِيَ التَّوحِيدُ[٥] ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ - فَأَعْتَقَ تِسْعَةً مِنَ المُؤْمِنِينَ[٦]، يُعَذَّبُونَ في اللهِ- ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ فَكُلُّهم مُؤمِنُونَ ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: قَائِلُو هَذَا القَولِ، أَبُو بَكْرٍ وغَيرُه ﴿ٱلَّذِينَ [يُتَقَبَّلُ] عَنْهُمْ [أَحْسَنُ]﴾ بِمَعنَى: حَسَنُ ﴿مَا عَمِلُوا۟ وَ[يُتَجَاوَزُ][٧] عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾: حَالٌ؛ أي: كَائِنِينَ في جُمْلَتِهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في قَولِه تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾[٨].

[١٧] ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ بالإِدْغَامِ[٩]؛ أُرِيدَ بِه الجِنْسُ-: ﴿[أُفِّ]﴾: بِكَسْرِ الفَاءِ وفَتْحِها[١٠]؛ بِمَعنَى: مَصْدَرٍ؛ أي: نَتْنًا وقُبْحًا ﴿لَّكُمَآ﴾: أَتَضَجَّرُ منكما ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ بالإِدْغَامِ[١١]- ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ مِنَ القَبْرِ ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ﴾: الأُمَمُ ﴿مِن قَبْلِى﴾ ولَمْ تُخْرَجْ مِنَ القُبُورِ ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾: يَسْأَلَانِه الغَوثَ بِرُجُوعِه، ويَقُولَانِ: إِنْ لَم تَرْجِعْ ﴿وَيْلَكَ﴾ أي: هَلَاكَكَ، بِمَعنَى: هَلَكْتَ ﴿ءَامِنْ﴾ بالبَعْثِ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾[١٢] أي: القَولُ بالبَعْثِ ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أَكَاذِيبُهم.

[١٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ﴾: وَجَبَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بِالعَذَابِ ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

[١٩] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنْ جِنْسِ[١٣] المُؤمِنِ والكَافِرِ ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ فَدَرَجَاتُ المُؤمِنِينَ[١٤] في الجَنَّةِ عَالِيَةٌ، ودَرَجَاتُ الكَافِرِينَ[١٥] في النَّارِ سَافِلَةٌ ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي: المُؤمِنُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ، والكَافِرُونَ[١٦] مِنَ المَعَاصِي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أي: اللهُ- وفي قِرَاءَةٍ[١٧] بالنُّونِ- ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جَزَاءَها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شَيئًا، يُنْقَصُ لِلمُؤمِنِينَ، ويُزَادُ لِلكُفَّارِ.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بِأَنْ تُكْشَفَ لَهم، يُقَالُ لَهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ - بِهَمْزَةٍ، وبِهَمْزَتَينِ، وبِهَمْزَةٍ ومَدَّةٍ[١٨]، وبِهِمَا وتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ[١٩]- ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ بِاشْتِغَالِكم بِلَذَّاتِكُم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾: تَمَتَّعْتُم ﴿بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: الهَوَانِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تَتَكَبَّرُونَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ بِه. ويُعَذَّبُونَ بِها.

---

(١) لِنَافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿إِحْسَٰنًا﴾.

(٢) رواه الطحاويُّ في مُشكِلِ الآثارِ (٧/ ٢٩٢)، والبيهقيُّ (١٥٧٦٦) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قالَ: «إِذَا كَانَ الحَمْلُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كَفَاهَا مِنَ الرَّضَاعِ أَحَدٌ وعِشْرُونَ شَهْرًا، وإِذَا حَمَلَتْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ كَفَاهَا مِنَ الرَّضَاعِ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ شَهْرًا». ثُمَّ قَرَأَ ابنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾. قالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَفِي هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ ابنَ عَبَّاسٍ لَمْ يُخْرِجِ الحَمْلَ والفِصَالَ عَنِ الثَّلَاثِينَ شَهْرًا.

(٣) يُشِيرُ إلى ما ذَكَرَه الوَاحِدِيُّ في أَسبَابِ النُّزُولِ (ص٣٢٢)، والسُّيوطِيُّ في الدُّرِّ المَنثُورِ (٧/ ٤٤٣) عَن عَطَاءٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وعَزَاه السُّيُوطِيُّ لابنِ مَردويه. وذَكَرَ البَغَوِيُّ مِثلَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ. وقِيلَ: نَزَلَتْ في سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ. وهو مَذهَبُ الضَّحَّاكِ. وقِيلَ: إِنَّ الآيَةَ عَامَّةٌ، وهُو قَولُ الحَسَنِ. ولَعَلَّ هَذا هُو الأَقْرَبُ؛ فَإِنَّ أَبَا قُحَافَةَ وَالِدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لَمْ يُسلِمْ إِلَّا بَعْدَ فَتحِ مَكَّةَ، وكَانَ عُمُرُ أَبِي بَكْرٍ وَقتَها تِسعًا وخَمسِينَ سَنَةً. واللهُ أَعلَمُ.

(٤) بِفَتْحِ يَاءِ الإِضَافَةِ: وهِيَ قِرَاءَةُ: وَرشٍ عَن نَافِعٍ، والبَزِّيِّ عَنِ ابنِ كَثِيرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾، بِإِسْكَانِ يَاءِ الإِضَافَةِ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (نِعمَةَ التَّوحِيدِ).

(٦) هذا عَلَى اختِيَارِ المُصَنِّفِ أَنَّها نَزَلَتْ في أَبِي بَكْرٍ، ويُشِيرُ إِلى مَا رَوَاهُ البَغَوِيُّ (٧/ ٢٥٨) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، في تَفسِيرِ قَولِه تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾: «وَأَجَابَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَعْتَقَ تِسْعَةً مِنَ المُؤْمِنِينَ يُعَذَّبُونَ فِي اللهِ». وأَخرَجَ نَحوَه ابنُ بَطَّةَ في الإِبَانَةِ (١٢٣) عَن عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ.

(٧) ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ ﴿نَتَجَاوَزُ﴾ بِنُونٍ مَفتُوحَةٍ مَعَ نَصْبِ: ﴿أَحْسَنَ﴾: قِرَاءَةُ حَفصٍ وحَمزَةَ والكِسَائِيِّ وخَلَفٍ. وقَرَأَ البَقِيَّةُ: ﴿يُتَقَبَّلُ﴾ ﴿يُتَجَاوَزُ﴾، بِاليَاءِ المَضمُومَةِ ورَفعِ ﴿أَحْسَنُ﴾.

(٨) التوبة: ٧٢.

(٩) أي: إِدْغَامُ لَامِ ﴿قَالَ﴾ مَعَ إِسْكَانِها، مَعَ لَامِ ﴿لِوَٰلِدَيْهِ﴾، وهُو مَذهَبُ أَبِي عَمرٍو مِن رِوَايَةِ السُّوسِيِّ. وعِبَارَةُ: (وفي قِرَاءَةٍ بالإِدْغَامِ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ.

(١٠) ﴿أُفٍّ﴾، بالكَسْرِ وبِدُونِ تَنْوِينٍ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وأَبِي عَمرٍو وشُعْبَةَ. وبالفَتْحِ وبِدُونِ تَنْوِينٍ؛ ﴿أُفَّ﴾: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وابنِ عَامِرٍ، وبالكَسْرِ مَعَ التَّنْوِينِ؛ ﴿أُفٍّ﴾: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وحَفْصٍ.

(١١) مَعَ المَدِّ المُشْبَعِ؛ ﴿أَتَعِدَانِّى﴾: لِهِشَامٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِنُونَينِ مُخَفَّفَتَينِ مَكسُورَتَينِ، ويَفتَحُ يَاءَ الإِضَافَةِ: نَافِعٌ وابنُ كَثِيرٍ؛ ﴿أَتَعِدَانِنِىَ﴾، ويُسَكِّنُها بَقِيَّةُ الرُّوَاةِ؛ ﴿أَتَعِدَانِنِى﴾.

(١٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ به ﴿حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾)؛ بِزِيَادَةِ: (به). (١٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (جِنْسَيِ). (١٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (المُؤمِنِ). (١٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (الكَافِرِ).

(١٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (والكُفَّارُ). (١٧) لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ ونَافِعٍ وابنِ ذَكْوَانَ.

(١٨) المُنَاسِبُ أَن يَقُولَ: «وبِهَمْزَتَينِ مُحَقَّقَتَينِ ومَدَّةٍ». (١٩) قَرَأَ بِهَمْزَتَينِ عَلى الاستِفْهَامِ ابنُ كَثِيرٍ وابنُ عَامِرٍ، كُلٌّ عَلى أَصْلِه في التَّسهِيلِ وعَدَمِه، والإِدخَالِ وعَدَمِه، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾.

ربع الحزب ٥١

* وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ
مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ
بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾
فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ
بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

[٢١] ﴿* وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هُودٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِذْ﴾ إلخ: بَدَلُ اشتِمالٍ ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾: خَوَّفَهم ﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾: وَادٍ باليَمَنِ، بِه مَنازِلُهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾: مَضَتِ الرُّسُلُ ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ هُودٍ ومِنْ بَعْدِه، إلى أقوامِهم ﴿أَ﴾نْ؛ أي: بِأَنْ قَالَ: ﴿لَا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وجُمْلَةُ: ﴿وَقَدْ خَلَتِ﴾ مُعْتَرِضَةٌ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إنْ عَبَدتُم غيرَ اللهِ ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: لِتَصرِفَنا عَنْ عِبادَتِها؟ ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ مِنَ العَذابِ عَلى عِبادَتِها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أنَّه يأتِينا.

[٢٣] ﴿قَالَ﴾ هُودٌ: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو الذِي يَعلَمُ مَتَى يَأْتِيكُمُ العَذابُ؟ ﴿[وَأُبْلِغُكُم](1) مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إلَيكُم ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ باستِعْجالِكُم العَذابَ.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: مَا هُو العَذابُ ﴿عَارِضًا﴾: سَحابًا عَرَضَ في أُفُقِ السَّماءِ ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي: مُمْطِرٌ إيَّانا(2). قالَ تَعالَى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ مِنَ العَذابِ ﴿رِيحٌ﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿مَا﴾ ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[*]: مُؤلِمٌ.

[٢٥] ﴿تُدَمِّرُ﴾: تُهلِكُ ﴿كُلَّ شَىْءٍۭ﴾ مَرَّتْ عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: بإرادَتِه(3)؛ أي: كُلَّ شَيءٍ أرادَ إهْلاكَه بِها. فأهْلَكَتْ رِجالَهم ونِساءَهم وصِغارَهم وأمْوالَهم، بِأنْ طارَتْ بِذلِكَ بَينَ السَّماءِ والأرْضِ، ومَزَّقَتْه(4)، وبَقِيَ هُودٌ ومَنْ آمَنَ مَعَهُ ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ﴾: كَما جَزَيناهُم ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ غيرَهم.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ﴾: في الذِي ﴿إِن﴾: نافِيَةٌ أو زائِدَةٌ ﴿مَّكَّنَّٰكُمْ﴾ - يا أهلَ مَكَّةَ- ﴿فِيهِ﴾ مِنَ القُوَّةِ والمالِ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بِمَعنَى: أسْماعًا ﴿وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾: قُلوبًا ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: شَيئًا مِنَ الإغْناءِ- و﴿مِن﴾: زائِدَةٌ- ﴿إِذْ﴾: معمُولَةٌ لِـ﴿أَغْنَىٰ﴾ وأُشْرِبَتْ مَعنَى التَّعْلِيلِ ﴿كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: حُجَجِه البَيِّنَةِ! ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العَذابُ.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: مِنْ أهْلِها؛ كَثَمُودَ وعادٍ وقَومِ لُوطٍ ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: كرَّرْنا الحُجَجَ البَيِّناتِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾: هَلَّا(5) ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بِدَفْعِ العَذابِ عنهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه(6) ﴿قُرْبَانًا﴾: مُتقَرَّبًا بِهم إلى اللهِ ﴿ءَالِهَةًۢ﴾ مَعَهُ- وهُمُ الأصْنامُ. ومَفعُولُ «اتَّخَذَ» الأوَّلُ ضَمِيرٌ مَحذُوفٌ، يَعُودُ عَلى المَوصُولِ؛ أي: هُمْ، و﴿قُرْبَانًا﴾: الثَّاني، و﴿ءَالِهَةًۢ﴾: بَدَلٌ منه- ﴿بَلْ ضَلُّوا۟﴾: غابُوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عِندَ نُزُولِ العَذابِ ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي: اتِّخاذُهُم الأصنامَ آلِهَةً قُرْبانًا ﴿إِفْكُهُمْ﴾: كَذِبُهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: يَكْذِبُون. و﴿مَا﴾ مَصْدَرِيَّةٌ، أو مَوصُولَةٌ، والعائِدُ مَحذُوفٌ؛ أي: فيه.

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ عائِشَةَ قالَتْ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّماءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذا أَمْطَرَتِ السَّماءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَّفَتْهُ عائِشَةُ ذَلِكَ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ما أَدْرِي لَعَلَّهُ كَما قالَ قَوْمٌ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾» الآيَةَ. البُخارِيُّ - كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٥)، وكتاب التفسير (٦٥) سورة الأحقاف (٤٦) باب (٢) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾. (مَخِيلَةً): سَحابَةً يُخالُ فيها المَطَر.

---

(١) ﴿وَأُبْلِغُكُم﴾؛ بِسُكُونِ الباءِ، وتَخفِيفِ اللَّامِ: قِراءَةُ أبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ﴾؛ بِفَتْحِ الباءِ وتَشدِيدِ اللَّامِ.

(٢) في نُسْخَةِ القاضِي: (مطر أتانا).

(٣) الأمْرُ غَيرُ الإرادَةِ، وغَيرُ القُدْرَةِ، وقَدْ جَرَتْ عادَةُ المُصنِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُفَسِّرَ الأمْرَ بِذَلِكَ، وهَذا مَبْناه عَلى مَذهَبِه في كَلامِ اللهِ، أنَّهُ مَعنًى نَفسِيٌّ لا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ، وهُو خِلافُ مَذهَبِ السَّلَفِ في أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَكَلَّمُ بِما شاءَ، وكَيفَ شاءَ، ومَتَى شاءَ، ومِنْ ذَلِكَ أنَّه يَأمُرُ بِما شاءَ وكَيفَ شاءَ ومَتَى شاءَ.

(٤) يُشِيرُ إلى ما رَواهُ ابنُ أبي حاتِمٍ (١٨٩٦٠) عَنِ ابنِ عُمَرَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ما فَتَحَ اللهُ عَلَى عادٍ مِنَ الرِّيحِ الَّتي أُهْلِكُوا فِيها إلَّا مِثْلَ مَوْضِعِ الخاتَمِ، فَمَرَّتْ بِأَهْلِ البادِيَةِ فَحَمَلَتْهُمْ وَمَواشِيَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ فَجَعَلَتْهُمْ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ الحاضِرَةِ الرِّيحَ وَما فِيها قالُوا: هَذا عارِضٌ مُمْطِرُنا فَأَلْقَتْ أَهْلَ البادِيَةِ وَمَواشِيَهُمْ عَلَى أَهْلِ الحاضِرَةِ». وذَكَرَه ابنُ كَثيرٍ في تَفسِيرِه (٧/ ٢٨٨)، وسَكَتَ عليه. وضَعَّفَه الألبانيُّ في الضعيفةِ (٩/ ٤١٠).

(٥) في نُسْخَةِ قَباوَة: (فَهَلَّا).

(٦) عِبارَةُ: (أي: غيرَه) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَباوَة.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
(٢٩) قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
(٣٠) يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ
فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (٣٢) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ (٣٥)

سورة محمد — ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

[٢٩] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ صَرَفْنَآ﴾: أَمَلْنَا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: جِنَّ «نَصِيبِينَ»، بِاليَمَنِ(١) أو جِنَّ «نِينَوى»(٢)- وكَانُوا سَبْعَةً(٣) أو تِسْعَةً(٤)، «وكَانَ ﷺ بِبَطْنِ [نَخْلَةٍ](٥) يُصَلِّي بِأَصْحَابِه الفَجْرَ». رَوَاهُ الشَّيخَانِ(٦)- ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟﴾ أي: قَالَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ: ﴿أَنصِتُوا۟﴾: اصْغَوا لِاستِمَاعِه ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾: فُرِغَ مِنْ قِرَاءَتِه ﴿وَلَّوْا۟﴾: رَجَعُوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: مُخَوِّفِينَ قَومَهم العَذَابَ، إِنْ لَمْ يُؤمِنُوا. وكَانُوا يَهُودًا(٧). وَقَدْ أَسْلَمُوا(٨).

[٣٠] ﴿قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا﴾ هو القُرآنَ ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تَقَدَّمَه كَالتَّورَاةِ ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: الإِسْلَامِ ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طَرِيقِه.

[٣١] ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ إلى الإِيمَانِ ﴿وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ﴾ اللهُ(٩) ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: بَعْضَها؛ لِأَنَّ منها المَظَالِمَ، ولَا تُغْفَرُ إِلَّا بِرِضَا أَصْحَابِها(١٠) ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِمٍ. [٣٢] ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يُعْجِزُ اللهَ بِالهَرَبِ منه، فَيَفُوتَه ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ﴾: لِمَنْ لَا يُجِيبُ ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: اللهِ ﴿أَوْلِيَآءُ﴾: أَنْصَارٌ يَدْفَعُونَ عنه العَذَابَ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الذِينَ لَمْ يُجِيبُوا ﴿فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ ظَاهِرٍ.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يَعْلَمُوا؛ أي: مُنْكِرُو البَعْثِ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾: لَمْ يَعْجِزْ عنه ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾: خَبَرُ ﴿أَنَّ﴾، وَزِيدَتْ البَاءُ فيه؛ لِأَنَّ الكَلَامَ في قُوَّةِ: «أَلَيْسَ اللهُ بِقَادِرٍ؟»(١١) ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ﴾ هُو قَادِرٌ على إِحْيَاءِ المَوتَى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بِأَنْ يُعَذَّبُوا بِها، يُقَالُ(١٢) لَهم: ﴿أَلَيْسَ هَـٰذَا﴾ التَّعْذِيبُ ﴿بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ عَلى أَذَى قَومِكَ ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾: ذَوُو الثَّبَاتِ والصَّبْرِ عَلى الشَّدَائِدِ ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قَبْلَك، فَتَكُونَ ذَا عَزْمٍ. و﴿مِنَ﴾ لِلبَيَانِ، فَكُلُّهم ذَوُو عَزْمٍ. وقِيلَ: لِلتَّبْعِيضِ(١٣)؛ فَلَيسَ منهم آدَمُ؛ لِقَولِه تَعَالَى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾(١٤) ولا يُونُسُ؛ لِقَولِه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾(١٥) ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: لِقَومِكَ نُزُولَ العَذَابِ بِهم. قِيلَ: كَأَنَّه ضَجِرَ منهم، فَأَحَبَّ نُزُولَ العَذَابِ بهم، فَأُمِرَ بِالصَّبْرِ وتَرْكِ الاستِعْجَالِ لِلعَذَابِ؛ فَإِنَّه نَازِلٌ لَا مَحَالَةَ(١٦) ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ مِنَ العَذَابِ في الآخِرَةِ، لِطُولِه ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدُّنيا في ظَنِّهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾. هَذَا القُرآنُ ﴿بَلَـٰغٌ﴾: تَبْلِيغٌ مِنَ اللهِ إِلَيكُم ﴿فَهَلْ﴾ أي: لَا ﴿يُهْلَكُ﴾ عِنْدَ رُؤْيَةِ العَذَابِ ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ أي: الكَافِرُونَ؟

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (نَصِيبِينِ» اليَمَنِ)، وهي لَيسَتْ بِاليَمَنِ، وإنَّما هي مَدِينَةٌ عَامِرَةٌ مِنْ بِلَادِ الجَزِيرَةِ، شَمالَ العِرَاقِ، على جَادَّةِ القَوَافِلِ مِنَ المَوصِلِ إلى الشَّامِ. ويُنظَرُ التَّعليقُ الآتي.

(٢) نِينَوَى: بِكَسْرِ أَوَّلِه، وسُكُونِ ثَانِيه، وفَتْحِ النُّونِ والوَاوِ -كَما قَالَ يَاقُوتُ في مُعجمِ البُلدانِ (٥/ ٣٣٩)-: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ بِالعِرَاقِ، منها نَبِيُّ اللهِ يُونُسُ بنُ مَتَّى، وهي اليَومَ أَطلَالٌ وآثَارٌ على الضَّفَّةِ اليُسرَى لِنَهرِ دِجلَةَ، مُقَابِلَ مَدِينَةِ المَوصِلِ مِنْ جِهَةِ الشَّرقِ، والنَّهرُ بينهما. وروى مُسلِمٌ (٤٥٠) -بعدَ أَنْ سَاقَ حَدِيثَ ابنِ مَسعُودٍ مَرفُوعًا: «أَتَانِي دَاعِي الجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ، فَقَرَأْتُ عَلَيهِمُ القُرْآنَ» ...قَالَ الشَّعْبِيُّ: وَسَأَلُوهُ الزَّادَ، وَكَانُوا مِنْ جِنِّ الجَزِيرَةِ. والجَزِيرَةُ كَما قَالَ يَاقُوتُ (٢/ ١٣٤): «جَزِيرَةُ أَقُورَ: بِالقَافِ: وهي التي بَينَ دِجلَةَ والفُرَاتِ، مُجاوِرَةَ الشَّامِ تَشتَمِلُ على دِيارِ مُضَرَ ودِيارِ بَكرٍ، سُمِّيتْ الجَزِيرَةَ لِأَنَّها بَينَ دِجلَةَ والفُرَاتِ...». وعِندَ البُخَارِيِّ (٣٨٦٠) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ مَرفُوعًا: «وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ، وَنِعْمَ الجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ».

(٣) أخرجَه الطَّبَرِيُّ (١١/ ٢٥٦)، والطبرانيُّ في الكَبِيرِ (١١٦٦٠) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، بِسَنَدٍ لا بَأْسَ به، قَالَ: «كَانُوا تِسْعَةَ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ» فَجَعَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ».

(٤) أخرجَه الطَّبَرِيُّ عَنْ زِرِّ بنِ حُبَيشٍ (٢١/ ١٦٥) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، قَالَ: «كَانُوا تِسْعَةَ نَفَرٍ، فِيهِمْ زَوْبَعَةُ».

(٥) في الأَصلِ: (نَخلٍ)، والمُثبَتُ مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي، وهو الصَّحِيحُ كَما في صَحِيحِ البُخَارِيِّ، و«نَخلَة» هي نَخلَةُ اليَمَانِيَّةُ، وهو مَوضِعٌ في الطَّرِيقِ إلى الطَّائِفِ. أمَّا «نَخل» فهو مَوضِعٌ في نَجْدٍ على بُعدِ لَيلَتَينِ مِنَ المَدِينَةِ؛ حَيثُ صَلَّى صَلَاةَ الخَوفِ.

(٦) البُخَارِيُّ (٧٧٣)، ومسلمٌ (٤٤٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، ولَيسَ فيها سَبَبٌ لِنُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ.

(٧) عَزَاه البَغَوِيُّ (٦/ ٨٧٢) لِعَطَاءٍ، قَالَ: «كَانَ دِينُهُمُ اليَهُودِيَّةَ، لِذَلِكَ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾» وعَزَاهُ في اللباب (١٧/ ٤١٧) لِلحَسَنِ أَيضًا.

(٨) عِبارَةُ: (وقَدْ أَسلَمُوا) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة، وفي نُسْخَةِ القَاضِي: (فَأَسلَمُوا). (٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿يَغْفِرْ لَكُم﴾ اللهُ). (١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أَربَابِها).

(١١) قَولُه: «في قُوَّةِ: «أَلَيسَ اللهُ بِقَادِرٍ؟»»: جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ البَاءَ لا تُزَادُ إِلَّا في خَبَرِ «لَيسَ» و«مَا»، كَما قَالَ ابنُ مَالِكٍ: وبَعدَ «مَا» و«لَيسَ» جَرَّ البَا الخَبَرْ. (١٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ويُقَالُ).

(١٣) قال ابنُ كثيرٍ (٧/ ٣٠٥): «وَقَدِ اختَلَفُوا في تَعْدَادِ أُولِي العَزْمِ عَلَى أَقْوَالٍ، وَأَشْهَرُهَا أَنَّهُمْ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ». اهـ. وقِيلَ: إِنَّ الخِلَافَ لَفظِيٌّ، مِنْ حَيثُ أَصْلِ العَزْمِ وكَمَالِه؛ فَكُلُّهم أَصحَابُ عَزْمٍ، ولَكِنَّهم مُتَفَاوِتُونَ في ذَلِكَ. (١٤) طه: ١١٥. (١٥) القلم: ٤٨.

(١٦) لَم نَقِفْ عليه مُسْنَدًا. قَالَ الرَّازِيُّ (٢٨/ ٣١): «قِيلَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَجِرَ مِن قَوْمِهِ بَعْضَ الضَّجَرِ، وَأَحَبَّ أَنْ يُنْزِلَ اللهُ العَذَابَ بِمَنْ أَبَى مِن قَوْمِهِ، فَأُمِرَ بِالصَّبْرِ وَتَرْكِ الاسْتِعْجَالِ». وهو خِلَافُ الثَّابِتِ المَعرُوفِ مِنْ هَدْيِه ﷺ؛ كَما في حَدِيثِ عَائِشَةَ عِندَ البُخَارِيِّ (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥)، عِندَما أَرسَلَ اللهُ له مَلَكَ الجِبَالِ لِيَأْمُرَهُ بِمَا شَاءَ فِيهِم، بَعدَ تَكذِيبِهم وإِيذَائِهم لَه؛ فَسَأَلَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

سُورَةُ القِتَالِ[١]

مَدَنِيَّةٌ، إِلَّا: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الآيَةَ، أو: مَكِّيَّةٌ، وهِي: ثمان، أو: تِسْعٌ وثَلاثُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم
بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
الحزب ٥١ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

٥٠٧

[١] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿وَصَدُّواْ﴾ غيرَهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الإيمانِ ﴿أَضَلَّ﴾: أَحْبَطَ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ كإطْعامِ الطَّعامِ وصِلَةِ الأَرْحامِ، فَلَا يَرونَ لها في الآخِرَةِ ثَوابًا، ويُجْزَونَ بها في الدُّنيا، مِنْ فَضْلِه -تعالَى[٢]-.

[٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: الأنصارُ وغيرُهم ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ أي: القُرآنِ ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾: غَفَرَ لهم ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: حالَهم، فَلا يَعْصُونَه.

[٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إِضْلالُ الأَعْمالِ، وتَكْفِيرُ السَّيِّئاتِ ﴿بِأَنَّ﴾: بِسَبَبِ أَنَّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ﴾: الشَّيطانَ ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ﴾: القُرآنَ ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ ذَلِكَ البَيانِ ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾: يُبيِّنُ أَحْوالَهم؛ أي[٣]: فالكافِرُ يُحْبِطُ عَمَلَه، والمُؤمِنُ يَغْفِرُ زَلَلَهُ.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾: مَصْدَرٌ، بَدَلٌ مِنَ اللَّفظِ بِفِعْلِه؛ أي: فاضْرِبُوا رِقابَهم؛ أَي: اقْتُلوهم. وعُبِّر بـ«ضَرْبَ الرِّقَابِ»؛ لِأَنَّ الغالِبَ في القَتْلِ أَنْ يَكونَ بِضَرْبِ الرَّقَبةِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: أَكْثَرتُم فيهمُ القَتْلَ ﴿فَشُدُّواْ﴾ أي: فأَمْسِكُوا عنهم وائسِرُوهم، وشُدُّوا ﴿ٱلْوَثَاقَ﴾: ما يُوثَقُ به الأَسْرَى ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾: مَصْدَرٌ، بَدَلٌ مِنَ اللَّفْظِ بِفِعْلِه؛ أي: تَمُنُّونَ عليهم بِإِطْلاقِهم مِنْ غَيرِ شَيءٍ ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾: تُفادُونَهم بِمالٍ، أو أَسْرَى مُسْلِمِينَ ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ﴾ أي: أَهْلُها ﴿أَوْزَارَهَا﴾: أَثْقالَها، مِنَ السِّلاحِ وغَيرِه؛ بِأَنْ يُسلِمَ الكُفَّارُ، أو يَدْخُلُوا في العَهْدِ. وهَذه غايَةٌ لِلقَتْلِ والأَسْرِ ﴿ذَٰلِكَ﴾: خَبَرُ مُبتَدَإٍ مُقدَّرٍ؛ أي: الأَمْرُ فيهم مَا ذُكِرَ ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بِغَيرِ قِتالٍ ﴿وَلَٰكِن﴾ أَمَرَكُم به ﴿لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ منهم في القِتالِ، فَيَصِيرَ مَنْ قُتِلَ مِنكُم إِلى الجَنَّةِ، ومِنهُم إِلى النَّارِ ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ وفي قِراءَةٍ[٤]: ﴿قَٰتَلُواْ﴾- الآيَةُ نَزَلَتْ يومَ أُحُدٍ[٥]، وقَدْ فَشَا في المُسلِمِينَ القَتْلُ والجِراحاتُ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾: يُحْبِطَ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

[٥] ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ في الدُّنيا والآخِرَةِ، إِلى مَا يَنفَعُهم ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: حالَهم فيهما، ومَا في الدُّنيا لِـمَنْ لَمْ يُقْتَلْ، وأُدْرِجُوا في ﴿قُتِلُواْ﴾؛ تَغْليبًا.

[٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾: بَيَّنَها ﴿لَهُمْ﴾ فيَهتَدُونَ إِلى مَساكِنِهم منها، وأَزْواجِهم وخَدَمِهم، مِنْ غَيرِ اسْتِدْلالٍ[٦].

[٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: دِينَه ورَسُولَه ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عَدُوِّكُم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: يُثَبِّتْكُم في المُعْتَرَكِ.

[٨] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: مُبْتَدَأٌ، خَبَرُه: «تَعِسُوا»[٧]، يَدُلُّ عليه: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي: هَلاكًا وخَيبَةً مِنَ اللهِ ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: عَطْفٌ على: «تَعِسُوا».

[٩] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التَّعْسُ والإِضْلالُ ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ القُرآنِ المُشْتَمِلِ على التَّكالِيفِ ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

[١٠] ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أَهْلَكَ[٨] أَنفُسَهم وأَولادَهم وأَموالَهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ أي[٩]: أَمْثالُ عاقِبَةِ مَنْ قَبلَهم.

[١١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نَصْرُ المُؤمِنِينَ، وقَهْرُ الكافِرِينَ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى﴾: وَلِيُّ ونَاصِرُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

---

(١) وتُسَمَّى أيضًا: سُورَةَ «مُحَمَّد» ﷺ. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (سُورَة محمَّد).

(٢) كما في حَديثِ أَنسٍ رضي الله عنه عِندَ مُسْلِمٍ (٢٨٠٨) وغيرِه، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «إنَّ الله لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً؛ يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ. وَأَمَّا الكَافِرُ: فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ للهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»، وفي الآيَةِ والحَديثِ رَدٌّ وَاضِحٌ عَلَى مَنْ يُغَالِي في الثَّنَاءِ على أَمْوَاتِ الكُفَّارِ، الذين مَاتُوا على الكُفْرِ، مِنَ الذينَ لَهم أَعمالٌ دُنيَوِيَّةٌ نَافِعَةٌ ومَوَاقِفُ جَيِّدَةٌ، فيَشهَدُ لهم بِالجَنَّةِ؛ لِمَوَاقِفِهِم وأَعمالِهِم الدُّنيَوِيَّة. كما تَقدَّمَ في تفسير سورة الفرقان الآية (٢٣).

(٣) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) لِلسَّبْعَةِ عَدا حَفصٍ وأَبي عَمرٍو.

(٥) هذا قولُ ابنِ جُرَيجٍ؛ كما في الدُّرِّ المنثورِ (٧/ ٤٦١)، ونَسَبَه لابنِ المُنذِرِ، وروى عبدُ الرزَّاقِ (٣/ ٢٠٤) والطبريُّ (٢١/ ١٩٠) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ قَتَادَةَ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾ [محمد:٤] قَالَ: «الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ». وضَعَّفَ إسنادَه في الاستيعاب (٣/ ٢١٨).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٤٤٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

(٧) أي: تَقديرُه: «تَعِسُوا».

(٨) في نُسْخَة قبَاوَة: (أهلَكَ اللهُ).

(٩) كلمةُ: (أي) ليسَتْ في نُسْخَة قبَاوَة.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي
وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ
طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ
مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا
خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ
زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ
أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ
ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي: لَيسَ لَهُم هِمَّةٌ إلَّا بُطُونُهم وفُرُوجُهم، ولا يَلتَفِتُونَ إلى الآخِرَةِ ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: مَنْزِلٌ ومُقَامٌ ومَصِيرٌ.

[١٣] ﴿وَكَأَيِّن﴾: وكَمْ ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ -أُرِيدَ بِها أَهْلُها- ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾: مَكَّةَ؛ أي: أَهْلِها ﴿ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ - رُوعِيَ لَفظُ ﴿قَرْيَةٍ﴾[1]- ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ - رُوعِيَ معنى ﴿قَرْيَةٍ﴾[2] الأُولَى- ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ مِنْ إِهْلاكِنا!

[١٤] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حُجَّةٍ وبُرْهَانٍ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ - وهُمُ المُؤمِنونَ - ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فَرَآه حَسَنًا- وهُمْ كُفَّارُ مَكَّةَ - ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ في عِبادَةِ الأَوثانِ؟ أي: لا مُماثَلةَ بَينَهما.

[١٥] ﴿مَّثَلُ﴾ أي: صِفَةُ ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ المُشتَرَكَةُ[3] بَينَ دَاخِلِيها، مُبتَدأٌ، خَبَرُه: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ - بِالمَدِّ والقَصْرِ[4]؛ كَضَارِبٍ وحَذِرٍ- أي: غَيرِ مُتَغَيِّرٍ، بِخِلَافِ مَاءِ الدُّنيا، فَيَتَغَيَّرُ بِعَارِضٍ[5] ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ بِخِلَافِ لَبَنِ الدُّنيا، لِخُرُوجِه مِنَ الضُّرُوعِ ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾: لَذِيذَةٍ ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنيا؛ فَإِنَّها كَرِيهَةٌ عِندَ الشُّرْبِ ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ بِخِلَافِ عَسَلِ الدُّنيا؛ فَإِنَّه بِخُرُوجِه مِنْ بُطُونِ النَّحْلِ يُخَالِطُه الشَّمْعُ وغَيرُه ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ أَصْنَافٌ ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ - فَهُو رَاضٍ عنهم، مع إِحسَانِه إِلَيهِم بِمَا ذُكِرَ، بِخِلَافِ سَيِّدِ العَبِيدِ في الدُّنيا، فإنَّه قد يَكُونُ مع إِحْسَانِه إِلَيهِم سَاخِطًا عَلَيهِم - ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾؟ خَبَرُ مُبْتَدَإٍ مُقَدَّرٌ؛ أي: أَمَنْ[6] هُو في هَذَا النَّعِيمِ؟ ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا﴾ أي: شَدِيدَ الحَرَارَةِ ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ أي: مَصَارِينَهم، فَخَرَجَتْ مِنْ أَدْبَارِهم؟ وهُو جَمْعُ مِعًى بِالقَصْرِ، وأَلِفُه عَنْ يَاءٍ؛ لِقَولِهم: مِعَيَانِ[7].

[١٦] ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: الكُفَّارِ ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في خُطْبَةِ الجُمُعَةِ- وهُمُ المُنافِقُونَ - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: لِعُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ، منهم: ابنُ مَسعُودٍ، وابنُ عَبَّاسٍ[8]، استِهزَاءً وسُخْرِيَّةً: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ - بِالمَدِّ والقَصْرِ[9]- أي: السَّاعَةَ؛ أي: لا نَرْجِعُ إِلَيهِ[10] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بِالكُفْرِ ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في النِّفَاقِ.

[١٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ - وهُمُ المُؤمِنُونَ- ﴿زَادَهُمْ﴾ اللهُ ﴿هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾: أَلهَمَهُم مَا يَتَّقُونَ به النَّارَ.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: مَا يَنتَظِرُونَ؛ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾: بَدَلُ اشتِمَالٍ مِنَ ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾؛ أي: لَيسَ الأَمْرُ إلَّا أَنْ تَأْتِيَهم ﴿بَغْتَةً﴾: فَجْأَةً؟ ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾: عَلَامَاتُها، منها: بِعْثَةُ[11] النَّبِيِّ ﷺ، وانْشِقَاقُ القَمَرِ، والدُّخَانُ. ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ السَّاعَةُ ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾: تَذَكُّرُهم؟ أي: لا يَنْفَعُهم.

[١٩] ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: دُمْ - يا مُحَمَّدُ- عَلى عِلْمِكَ بِذَلِكَ، النَّافِعِ في القِيَامَةِ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: لِأَجْلِه- قِيلَ له ذَلِكَ مَعَ عِصْمَتِه؛ لِتَسْتَنَّ به أُمَّتُه[12]، وقَدْ فَعَلَه، قَالَ ﷺ: «إِنِّي لَأَستَغْفِرُ اللهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»[13]- ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فيه إِكْرَامٌ لَهُم بِأَمْرِ نَبِيِّهم بِالاستِغْفَارِ لَهُم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مُتَصَرَّفَكُم لِأَشغَالِكُم بِالنَّهَارِ ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: مَأْوَاكُم إلى مَضَاجِعِكُم بِاللَّيلِ؛ أي: هُو عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِكُم، لَا يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِنها، فَاحْذَرُوه. والخِطَابُ لِلمُؤمِنِينَ وغَيرِهم.

---

(١) ولَفظُها مُؤَنَّثٌ؛ ولِذَلِكَ قال: ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾.

(٢) ومَعناها: الجَمْعُ؛ لِأَنَّ المعنَى: أَهلُ القَريةِ؛ ولِذَلِكَ قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (المُشتَرَكُ)؛ أي: المَثَلُ المَوصُوفُ بِأَوصَافِه العَجِيبَةِ، وأَنَّه مُشتَرَكٌ بَينَ أَعلَى أَهلِ الجَنَّةِ وأَدْنَاهم. المُفَصَّلُ (١٧٩٤).

(٤) بِالقَصْرِ؛ أي: ﴿أَسِنٍ﴾: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لِعَارِضٍ).

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أَمْ مَنْ).

(٧) أي: في تَثنِيَتِه.

(٨) قال القرطبيُّ (١٦/ ٢٣٨): «قَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُنْتُ مِمَّنْ يُسْأَلُ، أَيْ كُنْتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ. وَكَذَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ. وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: هُوَ أَبُو الدَّرْدَاءِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّهُمُ الصَّحَابَةُ».

(٩) بِالقَصْرِ؛ أي: ﴿أَنِفًا﴾: قِرَاءَةُ البزيِّ بِخِلَافٍ عنه.

(١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لا يُرْجَعُ إليه). يَقصِدُونَ: لَيسَ فيه ما يُستَفَادُ منه، ولَا حَاجَةَ إلى تَتَبُّعِه وإِدرَاكِ مَقْصِدِه. المفصَّل. وقال الزَّجاجُ في معاني القُرآنِ (٥/ ١٠): «كانُوا يَسْمَعُونَ خُطبَةَ النَّبِيِّ ﷺ فإِذَا خَرَجُوا سَأَلُوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ استِهزَاءً وإِعلَامًا أَنَّهم لَم يَلتَفِتُوا إلى مَا قَالَ، فَقَالُوا: مَاذَا قَالَ آنِفًا، أي: مَاذَا قَالَ السَّاعَةَ؟!».

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بَعْثُ).

(١٢) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على تفسيرِ الآيَةِ (٥٥) من سُورةِ غَافِرٍ، في تَوجِيهِ أَمْرِه ﷺ بِالاستِغْفَارِ.

(١٣) أَخرجَ نَحوَه مسلمٌ (٢٧٠٢) عَنِ الأَغَرِّ بنِ يَسَارٍ مَرفُوعًا.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ
٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ٢١ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ٢٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ
ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ٢٦
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ٢٨ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ٢٩

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ طَلَبًا لِلجِهَادِ: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذِكْرُ الجِهَادِ ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ أي: لَمْ يُنْسَخْ مِنها شَيءٌ ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي: طَلَبُه ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شَكٌّ- وهُمُ المُنافِقُونَ- ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ خَوفًا منه وكَرَاهِيَةً له؛ أي: فَهُم يَخَافُونَ مِنَ القِتَالِ ويَكرَهُونَه ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: مُبْتَدَأٌ، خَبَرُه:

[٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: حَسَنٌ لكَ ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فُرِضَ القِتَالُ ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الإِيمانِ والطَّاعَةِ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجُمْلَةُ: «لَو» جَوَابُ: «إِذَا».

[٢٢] ﴿فَهَلْ [عَسِيتُمْ]﴾ - بِكَسرِ السِّينِ وفَتْحِها[١]، وفيه التِفَاتٌ عَنِ الغَيبَةِ إِلى الخِطَابِ[٢]- أي: لَعَلَّكُم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أَعْرَضْتُم عَنِ الإِيمانِ ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تَعُودُوا إِلى أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، مِنَ البَغْيِ والقِتَالِ؟

[٢٣] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: المُفْسِدُونَ ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عَنِ استِمَاعِ الحَقِّ ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[*] عَنْ طَرِيقِ الهُدَى.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيَعْرِفُونَ الحَقَّ؟ ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ لَهم ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ فَلَا يَفْهَمُونَه.

[٢٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟﴾ بِالنِّفَاقِ ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ﴾ أي[٣]: زَيَّنَ ﴿لَهُمْ [وَأُمْلِيَ] لَهُمْ﴾ بِضَمِّ أَوَّلِه، وبِفَتْحِه واللَّامِ[٤]، والمُمْلِي: الشَّيطَانُ بِإِرَادَتِه -تَعَالَى-، فَهُو المُضِلُّ لَهم.

[٢٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إِضْلَالُهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي: لِلمُشْرِكِينَ: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي[٥]: المُعَاوَنَةِ على عَدَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وتَثبِيطِ النَّاسِ عَنِ الجِهَادِ مَعَه. قَالُوا ذَلِكَ سِرًّا، فَأَظْهَرَه الله -تَعَالَى- ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ [أَسْرَارَهُمْ]﴾ - بِفَتْحِ الهَمْزَةِ: جَمْعُ «سِرٍّ»، وبِكَسْرِها[٦]: مَصْدَرٌ-.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ حَالُهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾: حَالٌ مِنَ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾: ظُهُورَهم، بِمَقَامِعَ مِنْ حَدِيدٍ؟

[٢٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التَّوَفِّي على [الحَالِ][٧] المَذْكُورَةِ ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي: العَمَلَ بِمَا يُرْضِيه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

[٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾: يُظْهِرَ أَحْقَادَهم، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ والمُؤْمِنِينَ؟

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ أَبي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾». مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (٦) صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِفَتْحِ السِّينِ وكَسْرِها). وبِالكَسْرِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿عَسَيْتُمْ﴾؛ بِفَتْحِ السِّينِ.

(٢) عِبَارَةُ: (إِلى الخِطَابِ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٣) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) بِضَمِّ الهَمْزَةِ وكَسْرِ اللامِ وفَتْحِ اليَاءِ: قِرَاءَةُ أَبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ بِفَتْحِ أَوَّلِه واللَّامِ.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أَمْرِ) بَدَلًا مِنْ: (أي).

(٦) بِالفَتْحِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بِكَسْرِ الهَمْزَةِ.

(٧) في الأَصْلِ: (الحَالَةِ)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ
الحزب ٥١ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ
وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟
وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟
يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا
فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ
تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾: عَرَّفْنَاكَهُمْ. وكُرِّرَتِ اللامُ في: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: عَلامَتِهِم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ - الوَاوُ: لِقَسَمٍ مَحْذُوفٍ، ومَا بَعْدَها جَوَابُه- ﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: مَعْنَاه[١]، إِذَا تَكَلَّمُوا عِندَكَ، بِأَنْ يُعَرِّضُوا بِمَا فيه تَهْجِينُ أَمْرِ المُسلِمِينَ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نَخْتَبِرَنَّكُم بِالجِهَادِ وغَيرِه ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الجِهَادِ وغَيرِه ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾: نُظْهِرَ ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ مِنْ طَاعَتِكُم وعِصْيَانِكُم في الجِهَادِ وغَيرِه- بِاليَاءِ والنُّونِ[٢] في الأَفْعَالِ الثَّلاثَةِ-.

[٣٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طَرِيقِ الحَقِّ[٣] ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: خَالَفُوه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ هُو مَعنَى: سَبِيلِ اللهِ ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٤]: يُبْطِلُها مِنْ صَدَقَةٍ ونَحْوِها، فَلا يَرونَ لَها في الآخِرَةِ ثَوَابًا. نَزَلَتْ في المُطْعِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ[٥] أو في قُرَيظَةَ والنَّضِيرِ[٦].

[٣٣] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ بِالمَعَاصِي[٧] مَثَلًا.

[٣٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طَرِيقِه، وهُو الهُدَى ﴿ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ نَزَلَتْ في أَصْحَابِ القَلِيبِ[٨].

[٣٥] ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾: تَضْعُفُوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ - بِفَتْحِ السِّينِ وكَسْرِها[٩]- أي: الصُّلْحِ مَعَ الكُفَّارِ إِذا لَقِيتُمُوهُم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ - حُذِفَ منه وَاوُ لَامِ الفِعْلِ[١٠]-: الأَغْلَبُونَ القَاهِرُونَ ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بِالعَونِ والنَّصْرِ[١١] ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾: يَنْقُصَكُم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي: ثَوَابَها.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الاشْتِغَالُ فيها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ اللهَ- وذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الآخِرَةِ - ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ جَمِيعَها، بَلِ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ فيها.

[٣٧] ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾: يُبَالِغْ في طَلَبِها ﴿تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ﴾ البُخْلُ ﴿أَضْغَٰنَكُمْ﴾ لِدِينِ الإِسْلَامِ.

[٣٨] ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: مَا فُرِضَ عَلَيكُم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ - يُقَالُ: بَخِلَ عليه وعنه - ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عَنْ نَفَقَتِكُم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ إِلَيه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ عَنْ طَاعَتِه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يَجْعَلْهم بَدَلَكُم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[*] في التَّوَلِّي عَنْ طَاعَتِه، بَلْ مُطِيعِينَ لَه، عَزَّ وَجَلَّ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: تَلَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ قَالُوا: وَمَنْ يُسْتَبْدَلُ بِنَا؟ قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى مَنْكِبِ سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ هَذَا وَقَوْمُهُ». التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٤٧) ومن سورة مُحمَّد. وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٥٩٨).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (في مَعناه).

(٢) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ شُعْبَةَ في الأَفْعَالِ الثَّلاثَةِ؛ أي: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾، و﴿يَعْلَمَ﴾، و﴿يَبْلُوَا﴾، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ في الأَفْعَالِ الثَّلاثَةِ، بِالنُّونِ. وكَانَ الأَوْلَى بِالمُفَسِّرِ أَنْ يَقُولَ: «بالنُّونِ واليَاءِ»؛ جَرْيًا عَلَى طَرِيقَتِه في تَقْدِيمِ ذِكْرِ القِرَاءَةِ المُفَسَّرَةِ.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ﴾ طَرِيقِ ﴿ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾)، دُونَ كَلِمَةِ: (الحَقِّ).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ﴾ اللهُ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾).

(٥) هذا قَولُ ابنِ عَبَّاسٍ، كَمَا في تفسيرِ البَغَوِيِّ (٧/ ٢٩٠)؛ قالَ: «هُمُ المُطْعِمُونَ يَوْمَ بَدْرٍ»؛ أي الذين أَطْعَمُوا فُقَرَاءَ أَهلِ مَكَّةَ، الذين خَرَجُوا لِقِتَالِ المُسلِمِينَ فيها.

(٦) ذَكَرَه الوَاحِدِيُّ في الوَسِيط (٤/ ١٢٩). وفي تفسيرِ أَبي السعودِ (٨/ ١٠١): «وهُم قُرَيظَةُ والنَّضِيرُ، أو المُطْعِمُونَ يَومَ بَدْرٍ».

(٧) لَيسَتْ كُلُّ مَعصِيَةٍ مُبْطِلَةً لِلأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، بَلْ منها ما يُبْطِلُها جَمِيعَها؛ كَالرِّدَّةِ، ومنها ما يُبْطِلُ بَعضَها؛ كَالرِّيَاءِ في أَصْلِ العَمَلِ، ومنها مَا لا يُبْطِلُ شَيئًا.

(٨) «القَلِيبُ»: هُو بِئْرٌ في «بَدْرٍ»، أُلقِيَ فيه قَتْلَى الكُفَّارِ في مَعرَكَةِ بَدْرٍ. وظَاهِرُ الآيَةِ العُمُومُ، وإِنْ كَانَ السَّبَبُ خَاصًّا، كَمَا قَالَ الشَّوكَانِيُّ في فَتْحِ القَدِيرِ.

(٩) بِالكَسْرِ: قِرَاءَةُ شُعبَةَ وحَمْزَةَ.

(١٠) قال الجَمَلُ في حَاشِيَتِه على الجلالَين (٤/ ١٥٤): «أي: هِيَ لَامُ الفِعْلِ، وأَصْلُه: «الأعلَوُونَ»؛ بِوَاوَينِ؛ الأُولَى: لامُ الكَلِمَةِ، والثَّانِيَةُ: وَاوُ جَمْعِ المُذَكَّرِ السَّالِمِ؛ فَيُقَالُ: تَحَرَّكَتِ اللامُ الأُولَى وانفَتَحَ مَا قَبلَها؛ فَقُلِبَتْ أَلِفًا؛ فَالتَقَى سَاكِنَانِ؛ فَحُذِفَتِ الأَلِفُ».

(١١) هَذا مِنْ لَوَازِمِ مَعِيَّتِه -سُبْحَانَهُ- الخَاصَّةِ بِعِبَادِه المُؤمِنِينَ. ومَعِيَّتُه -سُبْحَانَهُ- مع خَلْقِه نَوعَانِ؛ عَامَّةٌ وخَاصَّةٌ، وقَدِ اشْتَمَلَ القُرآنُ عَلَى النَّوعَينِ. وحَقِيقَتُها الصُّحْبَةُ اللائِقَةُ. وقَدْ أَخبَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّه مَعَ خَلْقِه، مَع كَونِه مُسْتَوِيًا عَلَى عَرْشِه، بَائِنًا مِنْ خَلْقِه، وقَرَنَ بَينَ الأَمْرَينِ في آيَةِ الحَدِيدِ -كَمَا سَيَأتِي- وكِلَاهُمَا حَقٌّ.

سُورَةُ الفتح

مَدَنِيَّةٌ، تِسْعٌ وعِشْرُونَ آيَةً[*]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ﴾: قَضَينا بِفَتْحِ مَكَّةَ[1] وغَيرِها، المُستَقبَلَ عَنْوَةً بِجِهادِكَ ﴿فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾: بَيِّنًا ظَاهِرًا.

[٢] ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ بِجِهَادِكَ ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه؛ لِتَرْغَبَ أُمَّتُكَ في الجِهادِ. وهُو مُؤَوَّلٌ؛ لعِصْمَةِ الأَنبِياءِ -عَليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ[2]- بالدَّلِيلِ العَقْلِيِّ القَاطِعِ، مِنَ الذُّنُوبِ. واللَّام: لِلعِلَّةِ الغَائِيَّةِ، فَمَدْخُولُها مُسَبَّبٌ لَا سَبَبٌ[3] ﴿وَيُتِمَّ﴾ بِالفَتْحِ المَذكُورِ ﴿نِعۡمَتَهُۥ﴾: إِنْعَامَه ﴿عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ﴾ به ﴿صِرَٰطٗا﴾: طَرِيقًا ﴿مُّسۡتَقِيمٗا﴾ يُثَبِّتُكَ عليه- وهُو دِينُ الإِسْلَامِ-. [٣] ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ بِه ﴿نَصۡرًا عَزِيزًا﴾: ذَا عِزٍّ، لَا ذُلَّ له.

[٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾: الطُّمَأْنِينَةَ ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ بِشَرَائِعِ الدِّينِ، كُلَّما نَزَلَ وَاحِدَةٌ منها آمَنُوا بِها، ومنها الجِهَادُ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ - فَلَو أَرادَ نَصْرَ دِينِه بِغَيرِكُم لَفَعَلَ- ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صُنْعِه؛ أي: لَمْ يَزلْ مُتَّصِفًا بذَلِكَ.

[٥] ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أي: أَمَرَ بِالجِهادِ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾[**].

[٦] ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ - بِفَتْحِ السِّينِ وضَمِّها في المَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ[4]- ظَنُّوا أَنَّه لَا يَنصُرُ مُحَمَّدًا ﷺ والمُؤْمِنِينَ ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ بِالذُّلِّ والعَذَابِ ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾: أَبْعَدَهُم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ أي: مَرْجِعًا

[٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في مُلْكِه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صُنْعِه[5]؛ أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

سُورَةُ الفَتۡح — ترتيبها ٤٨ — آياتها ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ
سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ
بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ
وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ
أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ السُّورَةِ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَرْتَ رَسُولَ الله ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ المُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، وَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»، ثُمَّ قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفتح (٤٨) باب (١).

وأخرجَ أيضًا عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ فَقَالَ: «بَلَى». فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي الله أَبَدًا»، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ الله، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا. فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». البُخَارِيُّ - كتاب الجزية والموادعة (٥٨) باب (١٨).

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٥): أَخرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مَرْجِعَهُ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ» ثُمَّ قَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ عليهم. فَقَالُوا: هَنِيئًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ الله، لَقَدْ بَيَّنَ الله لَكَ مَاذَا يُفْعَلُ بِكَ، فَمَاذَا يُفْعَلُ بِنَا؟ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾. التِّرْمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٤٩) ومن سورة الفتح، وصَحَّحه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٠١).

---

(١) الرَّاجِحُ أَنَّ المُرادَ بالفَتْحِ هنا هو صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ. كما ثَبَتَ عِندَ البُخَارِيِّ (٤١٥٠) عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: «تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ».

(٢) عِبارَةُ: (عَليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة. ويُنظَرُ في مَسأَلَةِ عِصْمَةِ الأَنبِياءِ مِنَ الذُّنُوبِ: مَا تَقَدَّمَ في تَفسِيرِ سُورَةِ غافر، الآيَةَ (٥٥).

(٣) قال أبو السعود (٨/ ١٠٤) في تَفسِيرِه ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾: «غَايَةٌ للفَتْحِ، مِنْ حَيثُ إِنَّه مُتَرَتِّبٌ على سَعيِه عليه الصلاة والسلام في إِعلاءِ كَلِمَةِ الله -تَعالَى-، بِمُكَابَدَةِ مَشَاقِّ الحُرُوبِ، واقتِحامِ مَوارِدِ الخُطُوبِ. ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: أي: جَمِيعَ مَا فَرَطَ مِنكَ مِنْ تَرْكِ الأَوْلَى. وتَسمِيَتُه ذَنْبًا بالنَّظَرِ إلى مَنصِبِه الجَلِيلِ». وقَولُ المُصَنِّفِ: «ومَدْخُولُها»: هو: الغُفرانُ وإِتمامُ النِّعمَةِ والهِدايَةِ.

(٤) هذا سَبْقُ قَلَمٍ مِنَ المُصَنِّفِ رحمه الله؛ فهذه الآيَةَ، والمَوضِعُ الثاني في الآيَةِ (١٢) مِن هذِه السُّورَةِ، وهو قولُه تعالى: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾؟ لَيسَ فيهما إلَّا فَتْحُ السِّينِ بِاتِّفَاقِ القُرَّاءِ، ولَيسَ فيهما ضَمُّها بِاتِّفاقِهِم. وأَمَّا الضَّمُّ والفَتحُ؛ فَفِي قولِه تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ فَقَطْ؛ بِفَتحِ السِّينِ وضَمِّها. والضَّمُّ: قِرَاءَةُ ابن كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو.

(٥) في نُسْخَةِ قَباوة: (في خلقِه).

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ
بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) سَيَقُولُ
لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا
فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ
فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ
نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا (١١) بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن
يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى
قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا (١٢) وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٤) سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا
ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ
أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)

[٨] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أُمَّتِكَ في القِيامَةِ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم في الدُّنيا بِالجَنَّةِ ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُنْذِرًا، مُخَوِّفًا فيها مَنْ عَمِلَ سُوءًا بِالنَّارِ.

[٩] ﴿[لِيُؤْمِنُوا] بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ[1]، فيه وفي الثَّلاثَةِ بَعْدَه - ﴿[وَيُعَزِّرُوهُ]﴾: يَنْصُرُوه. وقُرِئَ: بِزايَيْنِ مَعَ الفَوقَانيَّةِ[2] ﴿[وَيُوَقِّرُوهُ]﴾: يُعَظِّمُوه- وضَمِيرُهُما للهِ أو لِرَسُولِه- ﴿[وَيُسَبِّحُوهُ]﴾ أي: اللهَ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: بِالغَداةِ والعَشِيِّ.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بَيعَةَ الرِّضْوانِ بِالحُدَيبِيَةِ ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ -هو نَحْو: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3]- ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ التي بَايَعُوا بِها النَّبِيَّ؛ أي: هُو -تَعالَى- مُطَّلِعٌ على مُبَايَعَتِهم فيُجَازِيهم عليها[4] ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نَقَضَ البَيْعَةَ ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾: يَرْجِعُ وبَالُ نَقْضِه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ -بِالياءِ والنُّونِ[5]- ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ حَولَ المَدِينَةِ؛ أي: الذين خَلَّفَهم اللهُ عَنْ صُحْبَتِكَ، لَمَّا طَلَبْتَهم لِيَخْرُجُوا مَعَكَ إلى مَكَّةَ، خَوْفًا مِنْ تَعرُّضِ قُرَيشٍ لَك عَامَ الحُدَيبِيَةِ، إِذا رَجَعْتَ منها: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عَنِ الخُرُوجِ مَعَكَ ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ اللهَ، مِنْ تَرْكِ الخُروجِ مَعَكَ. قَالَ تَعالَى، مُكَذِّبًا لَهُم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ أي: مِنْ طَلَبِ الاستِغْفارِ ومَا[6] قَبْلَه ﴿مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ فَهُم كَاذِبُونَ في اعتِذَارِهم ﴿قُلْ فَمَن﴾ - استِفْهامٌ بِمَعنى النَّفْيِ- أي: لَا أَحَدَ ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ - بِفَتْحِ الضَّادِ وضَمِّها[7]- ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

[١٢] ﴿بَلْ﴾ - في المَوضِعَينِ لِلانتِقَالِ مِنْ غَرَضٍ إلى آخَرَ - ﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: أَنَّهم يُستَأْصَلُونَ بِالقَتْلِ، فَلَا يَرْجِعُون ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ هَذا وغَيرَه ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾: جَمْعُ بَائِرٍ؛ أي: هَالِكِينَ عِندَ اللهِ بِهذا الظَّنِّ.

[١٣] ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾: نَارًا شَدِيدَةً.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِما ذُكِرَ.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المَذكُورُونَ: ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ -هِي مَغَانِمُ خَيبَرَ[8]- ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾: اُتْرُكُونَا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لِنَأْخُذَ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بِذَلِكَ ﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ - وفي قِراءَةٍ[9]: ﴿كَلِمَ ٱللَّهِ﴾ بِكَسْرِ اللامِ- أي: مَوَاعِيدَه بِغَنائِمِ خَيبَرَ أَهْلَ الحُدَيبِيَةِ خاصَّةً[10] ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبْلِ عَودِنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أَنْ نُصِيبَ مَعَكُم مِنَ الغَنائِمِ، فَقُلْتُم ذَلِكَ. ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ مِنَ الدِّينِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم.

---

(١) بِالياءِ في المَوَاضِعِ الأَربَعَةِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ في المَوَاضِعِ الأَربَعَةِ بِالتَّاءِ؛ ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾.

(٢) أي شُذُوذًا. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بزاءَينِ مَع الفَوقَانيَّةِ).

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) وهذا تَفسِيرٌ بِاللازِمِ، ولا يَمنَعُ ذَلِكَ مِنْ إِثبَاتِ اليَدِ حَقِيقَةً لله عَزَّ وَجَلَّ على ما يَلِيقُ به، كَما هُو مَذْهَبُ أَهلِ السُّنَّةِ.

(٥) بِالنُّونِ: قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالياءِ.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ومِمَّا).

(٧) بِالضَّمِّ: قِراءَةُ حَمزَةَ والكِسائِيِّ.

(٨) رَوى الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٢٦٢) عَنْ مُجاهِدٍ، قَالَ: «رَجَعَ، يَعْنِي رَسُولَ الله ﷺ عَنْ مَكَّةَ، فَوَعَدَهُ الله مَغَانِمَ كَثِيرَةً، فَعُجِّلَتْ لَهُ خَيْبَرُ».

(٩) لِحَمْزَةَ والكِسائِيِّ.

(١٠) قال ابنُ كثيرٍ (٧/ ٣٣٧): «قَالَ مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وَجُوَيْبِرٌ: وَهُوَ الوَعْدُ الَّذِي وُعِدَ بِهِ أَهْلُ الحُدَيْبِيَةِ. واختَارَه ابنُ جَرِيرٍ». ورَوى الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٢٦٤) عَنْ قَتادَةَ، قَالَ: «أَيْ إِنَّما جُعِلَتِ الغَنِيمَةُ لِأَهْلِ الجِهَادِ، وَإِنَّما كَانَتْ غَنِيمَةُ خَيْبَرَ لِمَنْ شَهِدَ الحُدَيْبِيَةَ، لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ فِيهَا نَصِيبٌ».

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ
عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ
عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى
قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الحزب ٥٢

[١٦] ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المَذكُورِينَ؛ اختِبَارًا: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى﴾: أَصْحَابِ ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ -قِيلَ: هُم بَنُو حَنِيفَةَ أَصْحَابُ اليَمَامَةِ(١). وقِيلَ: فَارِسُ والرُّومُ(٢)- ﴿تُقَـٰتِلُونَهُمْ﴾: حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، هِيَ المَدْعُوُّ إليها في المَعنَى(٣) ﴿أَوْ﴾ هُم ﴿يُسْلِمُونَ﴾ فَلا تُقَاتِلُونَ(٤) ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ إِلى قِتَالِهِم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِمًا.

[١٧] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ﴾ في تَرْكِ الجِهَادِ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ -بِاليَاءِ والنُّونِ(٥)- ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ -بِاليَاءِ والنُّونِ(٦)- ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٨] ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بِالحُدَيبِيَةِ ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ - هِيَ سَمُرَةٌ، وهُم أَلْفٌ وثَلَاثُمِائَةٍ أو أَكثَرُ، ثُمَّ بَايَعَهُم عَلى أَنْ يُنَاجِزُوا قُرَيشًا، [وعَلى أَلَّا يَفِرُّوا(٧)، وعَلى المَوتِ](٨)- ﴿فَعَلِمَ﴾ اللهُ ﴿مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ مِنَ الصِّدْقِ والوَفَاءِ ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هُو فَتْحُ خَيبَرَ(٩)، بَعدَ انصِرَافِهم مِنَ الحُدَيبِيَةِ.

[١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ﴾ مِنْ خَيبَرَ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ مِنَ الفُتُوحَاتِ ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ﴾: غَنِيمَةَ خَيبَرَ ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عِيَالِكُم، لَمَّا خَرَجْتُم وهَمَّتْ بِهِمُ اليَهُودُ، فَقَذَفَ اللهُ في قُلُوبِهِم الرُّعْبَ(١٠) ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي: المُعَجَّلَةُ، عَطْفٌ عَلى مُقَدَّرٍ؛ أي: [فَعَلَ ذَلِكَ](١١) لِتَشْكُرُوه ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نَصْرِهِم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: طَرِيقَ التَّوَكُّلِ عَلَيه، وتَفوِيضِ الأَمْرِ إِلَيه -تَعَالَى-.

[٢١] ﴿وَأُخْرَىٰ﴾: صِفَةُ «مَغَانِمَ» مُقَدَّرًا: مُبْتَدَأٌ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ هِيَ: مِنْ فَارِسَ والرُّومِ(١٢) ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ﴾: عَلِمَ أَنَّها سَتَكُونُ لَكُم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

[٢٢] ﴿وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِالحُدَيبِيَةِ ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يَحْرُسُهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَضمُونِ الجُمْلَةِ قَبلَه، مِنْ هَزِيمَةِ الكَافِرِينَ ونَصْرِ المُؤمِنِينَ؛ أي: سَنَّ اللهُ ذَلِكَ سُنَّةً ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

---

(١) قال النَّيسابوريُّ في التفسيرِ البَسيطِ (٢٠/ ٣٠٠): «قالَ ابنُ عَبَّاسٍ في رِوايةِ عَطاءٍ وأبي صَالِحٍ: هُمْ بَنُو حَنِيفَةَ أَتباعُ مُسَيلَمَةَ، وهو قَولُ المُقاتِلَينِ والزُّهريِّ والكَلبيِّ، واختيارُ الفَرَّاءِ والزَّجاجِ، ويُؤكِّدُه ما رُوِيَ عَن رَافعِ بنِ خَديجٍ أنَّه قالَ: لَقَد كُنَّا نَقرَأُ هَذه الآيَةَ، ولا نَعلمُ مَنْ هُمْ، حتَّى دَعا أبو بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ إلى قِتالِ بَني حَنِيفَةَ، فَعلِمنَا أنَّهم هُمْ».

(٢) رَوى الطَّبَريُّ (٢١/ ٢٦٩) عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قَالَ: «الرُّومُ»... ثُمَّ قال ابنُ جريرٍ مُعقِّبًا: «وَأَولَى الأَقوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ المُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ أَنَّهُمْ سَيُدْعَوْنَ إِلَى قِتَالِ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ فِي القِتَالِ، وَنَجْدَةٍ فِي الحُرُوبِ، وَلَمْ يُوضَعْ لَنَا الدَّلِيلُ مِنْ خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ عَلَى أَنَّ المَعْنِيَّ بِذَلِكَ هَوَازِنُ، وَلَا بَنُو حَنِيفَةَ، وَلَا فَارِسُ، وَلَا الرُّومُ، وَلَا أَعْيَانٌ بِأَعْيَانِهِمْ...».

(٣) أي: إنَّ المَقصُودَ هو الدَّعوةُ إلى القِتَالِ، لا إلى القَومِ المَذكُورِينَ.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (فَلا يُقَاتِلُونَ).

(٥) بِالنُّونِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٦) بِالنُّونِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ.

(٧) رَوى مُسْلِمٌ (١٨٥٦) عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ. وَقَالَ: «بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى المَوْتِ».

(٨) عِبارةُ: (وعَلى ألَّا يَفِرُّوا، وعَلى المَوتِ) لَيسَتْ في الأَصْلِ، وأَثبَتنَاها مِن نُسخَةِ قَبَاوَة، والقَاضِي. والذي في الأَصْلِ: (وأن لَا يَفِرُّوا مِنَ المَوتِ). والبَيعَةُ على المَوتِ جَاءَتْ عِندَ البُخَارِيِّ (٧٢٠٦) عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِسَلَمَةَ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: «عَلَى المَوْتِ». ولا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذِه الرِّوَايَةِ وَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ؛ قَالَ الحَافِظُ فِي فَتْحِ البَارِي (٦/ ١١٨): «وَقَدْ أَخْبَرَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ، وَهُوَ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، أَنَّهُ بَايَعَ عَلَى المَوْتِ؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ: بَايَعُوهُ عَلَى المَوْتِ، وَعَلَى عَدَمِ الفِرَارِ؛ لِأَنَّ المُرَادَ بِالمُبَايَعَةِ عَلَى المَوْتِ: أَنْ لَا يَفِرُّوا، وَلَوْ مَاتُوا، وَلَيْسَ المُرَادُ أَنْ يَقَعَ المَوْتُ وَلَا بُدَّ...». وعلى هذا يُحمَلُ نَفْيُ مَنْ نَفَى أنَّ البَيعَةَ كَانَت على المَوتِ؛ كَما رَوى البُخَارِيُّ (٢٩٥٨) عَنْ نَافِعٍ، لَمَّا سُئِلَ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعَهُمْ، عَلَى المَوْتِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ بَايَعَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ».

(٩) رَوى الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٢٧٨) عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّهَا خَيْبَرُ». وروى (٢١/ ٢٨٠) عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ﴾ قَالَ: «عَجَّلَ لَكُمْ خَيْبَرَ». ورواه الطبريُّ أيضًا عنه (٢١/ ٣١٨) بِسَنَدٍ حَسَنٍ، في قَوْلِهِ: ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قَالَ: «النَّحْرُ بِالحُدَيْبِيَةِ، وَرَجَعُوا فَافْتَتَحُوا خَيْبَرَ، ثُمَّ اعْتَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَانَ تَصْدِيقُ رُؤْيَاهُ فِي السَّنَةِ القَابِلَةِ».

(١٠) رَوى الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٢٨٢) عَنْ قَتَادَةَ، ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾؛ قال: «عَنْ بُيُوتِهِمْ، وَعَنْ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ، حِينَ سَارُوا إِلَى الحُدَيْبِيَةِ، وَإِلَى خَيْبَرَ، وَكَانَتْ خَيْبَرُ فِي ذَلِكَ الوَجْهِ».

(١١) عِبَارَةُ: (فَعَلَ ذَلِكَ) لَيسَتْ في الأَصْلِ، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١٢) رَوى الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٢٨٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾؛ قال: «فَارِسُ وَالرُّومُ».

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾
هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ
مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ
بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ
وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾
لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ
ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

[٢٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾: بِالحُدَيْبِيَةِ ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فَإِنَّ ثَمَانِينَ منهم طَافُوا بِعَسْكَرِكِم؛ لِيُصِيبُوا مِنكُم؛ فَأُخِذُوا وأُتِيَ بِهم إِلى رَسُولِ الله ﷺ، فعفَا عنهم، وخَلَّى سَبِيلَهم، فَكَانَ ذَلِكَ سَببَ الصُّلْحِ[*] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا [يَعْمَلُونَ] بَصِيرًا﴾ -بِالياءِ والتَّاءِ[1]- أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

[٢٥] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: عَنِ الوُصُولِ إِليه ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾: مَعْطُوفٌ عَلى «كُمْ»[2] ﴿مَعْكُوفًا﴾: مَحْبُوسًا، حَالٌ ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي: مَكَانَه الذي يُنْحَرُ فيه عَادَةً- وهُو الحَرَمُ- بَدَلُ اشْتِمَالٍ ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ مَوجُودُونَ بِمَكَّةَ مَعَ الكُفَّارِ ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بِصِفَةِ الإِيمَانِ ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أي: تَقْتُلُوهم مَعَ الكُفَّارِ- لَو أُذِنَ لَكُم فِي الفَتْحِ- بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ «هُم» ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ أي[3]: إِثْمٌ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مِنْكُم به. وضَمَائِرُ الغَيبَةِ لِلصِّنفَينِ بِتَغْلِيبِ الذُّكُورِ، وجَوَابُ: ﴿لَوْلَا﴾ مَحذوفٌ؛ أي: لَأُذِنَ لَكُم فِي الفَتْحِ. لَكِنْ لَمْ يُؤْذَنْ فيه حِينئِذٍ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ كَالمُؤْمِنِينَ المَذْكُورِينَ ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾: تَمَيَّزُوا عَنِ الكُفَّارِ ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾: مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ حِينئِذٍ، بِأَنْ نَأْذَنَ لَكُم فِي فَتْحِها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِمًا.

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ«عَذَّبْنا» ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: فَاعِلٌ ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾: الأَنَفَةَ مِنَ الشَّيءِ ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: بَدَلٌ مِنَ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾، وهِي صَدُّهُم النَّبِيَّ وأَصْحَابَه عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فَصَالَحُوهم عَلى أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابِلٍ، ولَمْ يَلْحَقْهم مِنَ الحَمِيَّةِ مَا لَحِقَ الكُفَّارَ، حَتَّى يُقَاتِلُوهُم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي: المُؤْمِنِينَ ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، وأُضِيفَتْ إِلى التَّقْوى؛ لِأَنَّها سَبَبُها ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾: بِالكَلِمَةِ مِنَ الكُفَّارِ ﴿وَأَهْلَهَا﴾: عَطْفٌ تَفسِيرِيٌّ[4] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ. ومِنْ مَعْلُومِه -تَعَالَى- أَنَّهم أَهْلُها.

[٢٧] ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾: رَأَى رَسُولُ الله ﷺ في النَّومِ، عَامَ الحُدَيبِيَةِ قَبلَ خُرُوجِه أَنَّه يَدْخُلُ مَكَّةَ هو وأَصْحَابُه، آمِنِينَ ويُحَلِّقُونَ ويُقَصِّرُونَ، فَأَخبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَه فَفَرِحُوا. فَلَمَّا خَرَجُوا مَعَه وصَدَّهُم الكُفَّارُ بِالحُدَيبِيَةِ، ورَجَعُوا وشَقَّ عَلَيهم ذَلِكَ، ورَابَ بَعضَ المُنَافِقِينَ، نَزَلَتْ[5]. وقَولُه: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿صَدَقَ﴾، أو حَالٌ مِنَ: ﴿ٱلرُّءْيَا﴾، ومَا بَعدَها تَفسِيرُها[6] ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لِلتَّبَرُّكِ[7] ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جَمِيعَ شُعُورِها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بَعضَ شُعُورِها- وهُما حَالَانِ مُقَدَّرَتَانِ- ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أَبَدًا ﴿فَعَلِمَ﴾ فِي الصُّلْحِ ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ مِنَ الصَّلَاحِ ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: الدُّخُولِ ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فَتْحُ خَيبَرَ، وتَحَقَّقَتِ الرُّؤيَا فِي العَامِ القَابِلِ.

[٢٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي: دِينَ الحَقِّ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: عَلى جَمِيعِ بَاقِي الأَدْيَانِ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أَنَّك مُرسَلٌ بِمَا ذُكِرَ! كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى[8]:

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٢٤): أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ، يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَأَخَذَهُمْ سِلْمًا فَاسْتَحْيَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٦) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾. وأَخرَجَ مُسلِمٌ أَيضًا عَنْ سَلَمَةَ بنِ الأَكوَعِ - فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ، بَعدَ تَمَكُّنِه مِنْ أَربَعَةٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، بَعدَ اصطِلَاحِهم مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ-... قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ العَبَلَاتِ يُقَالُ لَهُ: «مِكْرَزٌ» مِنَ المُشْرِكِينَ يَقُودُهُ، حَتَّى وَقَفْنَا بِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي سَبْعِينَ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وقال: «دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الفُجُورِ وَثِنَاهُ» فَعَفَا عنهم رَسُولُ اللهِ ﷺ، وأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآيَةَ. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٥) غزوة ذي قَرد وغيرها. وأَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، وفيه قِصَّةُ أَبِي بَصِيرٍ وتَرَبُّصِه ومَنْ آوَى إِلَيه مِنَ المُسلِمِينَ حَتَّى لا يَرُدَّهم المُسلِمُونَ إِلى قُرَيشٍ -كَما فِي شُرُوطِ صُلْحِ الحُدَيبِيَةِ- وقَطْعِهِم الطَّرِيقَ عَلى قَوافِلِ قُرَيشٍ وعِيرِها، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم...﴾ الآيَةَ. البُخَارِيُّ - كتاب الشروط (٥٤) باب (١٥) الشروط في الجهاد. قال الحافظ: «وظَاهِرُه أَنَّها نَزَلَتْ فِي شَأْنِ أَبِي بَصِيرٍ، وَفِيهِ نَظَرٌ وَالمَشْهُورُ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا مَا أَخرَجَهُ مُسلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ، وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ» الفتح (٥/ ٤١٤).

---

(١) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ أَبِي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾، بِالتَّاءِ. (٢) أي: الضَّمِيرِ في: «صَدُّوكُمْ»، والمَعنَى: مَنَعُوكُم ومَنَعُوا الهَدْيَ. (٣) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٤) أي: إِنَّ ﴿وَأَهْلَهَا﴾ فيه تَفسِيرُ: ﴿أَحَقَّ﴾ بِـ«أَهل». (٥) رواه الطبريُّ (٢١/ ٣١٦) عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ قَالَ: «أُرِيَ بِالحُدَيْبِيَةِ أَنَّهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ وَأَصْحَابُهُ مُحَلِّقِينَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ حِينَ نَحَرَ بِالحُدَيْبِيَةِ: أَيْنَ رُؤْيَا مُحَمَّدٍ ﷺ». ورواه البيهقيُّ في الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ (١/ ٤٩٥) بنحوه، بِإِسنَادٍ ضَعِيفٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ. وقال الحافظ في الفتح (١٢/ ٣٦٢): «وَقَدْ أَخرَجَ ابن مردويه فِي التَّفْسِيرِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الآيَةِ؛ قَالَ: تَأْوِيلُ رُؤْيَا رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ». (٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تَفسِير لها، وهي). (٧) قال الحافظُ (١٢/ ٣٦٢): «وَاختُلِفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فِي الآيَةِ؛ فَقِيلَ: هِيَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَقَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: هِيَ حِكَايَةٌ لِمَا قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي مَنَامِهِ. وَقِيلَ: هِيَ عَلَى سَبِيلِ التَّعْلِيمِ، لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مُسْتَقْبَلًا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. وَقِيلَ: هِيَ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِثْنَاءِ مِنْ عُمُومِ المُخَاطَبِينَ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ قُتِلَ». (٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (كَما قَالَ تَعَالَى).

مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ
تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى
ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا (٢٩)

سُورَةُ الحُجُرَاتِ — ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٢
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟
أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ
ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)

[٢٩] ﴿مُحَمَّدٌ﴾: مُبْتَدأٌ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾: خَبَرُه ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أَصْحَابُه مِنَ الْمُؤمِنِينَ، مُبْتَدأٌ، خَبَرُه: ﴿أَشِدَّاءُ﴾: غِلَاظٌ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لَا يَرْحَمُونَهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾: خَبَرٌ ثَانٍ؛ أي: مُتَعَاطِفُونَ مُتَوَادُّونَ، كَالوَالِدِ مَعَ الوَلَدِ ﴿تَرَاهُمْ﴾: تُبْصِرُهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: حَالَانِ ﴿يَبْتَغُونَ﴾: مُسْتَأْنَفٌ، يَطْلُبُونَ ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾: عَلَامَتُهم، مُبْتَدأٌ ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾: خَبَرُه- وهو نُورٌ وبَيَاضٌ، يُعْرَفُونَ به في الآخِرَةِ أَنَّهم سَجَدُوا في الدُّنيا[1]- ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِما تَعَلَّقَ به الخَبَرُ؛ أي: كَائِنَةٌ. وأُعْرِبَ حَالًا مِنْ ضَمِيرِه المُنْتَقِلِ إلى الخَبَرِ[2] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الوَصْفُ المَذْكُورُ ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صِفَتُهم ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾: مُبْتَدأٌ وخَبَرٌ. ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾: مُبْتَدأٌ، خَبَرُه: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ - بِسُكُونِ الطَّاءِ وفَتْحِها[3]-: فِرَاخَهُ[4] ﴿فَآزَرَهُ﴾ - بِالمَدِّ والقَصْرِ[5]-: قَوَّاهُ وأَعَانَه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾: غَلُظَ ﴿فَاسْتَوَى﴾: قَوِيَ واسْتَقَامَ ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾: أُصُولِه، جَمْعُ سَاقٍ ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: زُرَّاعَه؛ لِحُسْنِه- مُثِّلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهم بَدَأُوا في قِلَّةٍ وضَعْفٍ، فَكَثُرُوا وَقَوُوا على أَحْسَنِ الوُجُوهِ- ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[6]: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ دَلَّ عليه مَا قَبْلَه؛ أي: شُبِّهُوا بِذَلِكَ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ أي: الصَّحَابَةِ. و«مِنْ» لِبَيَانِ الجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ؛ لِأَنَّهم كُلَّهم بِالصِّفَةِ المَذْكُورَةِ[7] ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: الجَنَّةَ. وهُمَا[8] لِمَنْ بَعْدَهم أيضًا في آياتٍ.

سُورَةُ الحُجُورات

مَدَنِيَّةٌ، ثَمَانِي عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا﴾ مِنْ: قَدَّمَ بِمَعْنَى: تَقَدَّمَ؛ أي: لا تَقَدَّمُوا بِقَوْلٍ ولَا فِعْلٍ[9] ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المُبَلِّغِ عَنه؛ أي: بِغَيْرِ إِذْنِهِما ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِكُم ﴿عَلِيمٌ﴾ بِفِعْلِكُم. نَزَلَتْ في مُجَادَلَةِ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على[10] النَّبِيِّ ﷺ في تَأْمِيرِ الأَقْرَعِ بنِ حَابِسٍ أو القَعْقَاعِ بنِ مَعْبَدٍ[11]. ونَزَلَ فِيمَنْ رَفَعَ صَوْتَه عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ: [٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إِذَا نَطَقْتُم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إِذَا نَطَقَ ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إِذَا نَاجَيْتُمُوه ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بَلْ دُونَ ذَلِكَ إِجْلَالًا له ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: خَشْيَةَ ذَلِكَ؛ بِالرَّفْعِ والجَهْرِ المَذْكُورَيْنِ[*]. ونَزَلَ فِيمَنْ كَانَ يَخْفِضُ صَوْتَه عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ[12] وغَيْرِهِما[13] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: [٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ﴾: اخْتَبَرَ ﴿اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أي: لِتَظْهَرَ منهم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: الجَنَّةُ. [٤] ونَزَلَ في قَوْمٍ جَاؤُوا وَقْتَ الظَّهِيرَةِ، والنَّبِيُّ ﷺ في مَنْزِلِه، فَنَادَوْه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾: حُجُرَاتِ نِسَائِه ﷺ، جَمْعُ: حُجْرَةٍ، وهِيَ مَا يُحْجَرُ عليه مِنَ الأَرْضِ بِحَائِطٍ ونَحْوِه- كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ منهم نَادَى خَلْفَ حُجْرَةٍ؛ لِأَنَّهم لَمْ يَعْلَمُوه في أَيِّ حُجْرَةٍ[14]؟ مُنَادَاةَ الأَعْرَابِ بِغِلْظَةٍ وَجَفَاءٍ[15]- ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ -فِيما فَعَلُوه- مَحَلَّكَ الرَّفِيعَ، ومَا يُنَاسِبُه مِنَ التَّعْظِيمِ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَتَيْنِ (١، ٢): أَخْرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، أَخْبَرَهُمْ: أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرِ القَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) روى الطبرانيُّ في الصغير (٦١٩)، والأوسط (٤٤٦٤) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قَالَ: «النُّورُ يَوْمَ القِيَامَةِ». وقال الهَيْثَمِيُّ في مَجْمَعِ الزوائدِ (٧/ ١٠٧): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالأَوْسَطِ، وَفِيهِ رَوَّادُ بْنُ الجَرَّاحِ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ، وَضَعَّفَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ». وقال الطبريُّ (٢١/ ٣٢٣): قَالَ عَلِيُّ بْنُ المُبَارَكِ: سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ، عَنِ الحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قَالَ: «بَيَاضًا فِي وُجُوهِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ». وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ سِيمَا الإِسْلَامِ وَسَمْتُهُ وَخُشُوعُهُ، وَعَنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ يُرَى مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا. رَوى الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٣٢٣) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي تَفسِيرِ الآيَةِ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِالَّذِي تَرَوْنَ، وَلَكِنَّهُ سِيمَا الإِسْلَامِ وَسَحْنَتُهُ وَسَمْتُهُ وَخُشُوعُهُ».

(٢) الخَبَرُ هو: ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾. وانتِقالُ الضَّمِيرِ المُشَارِ إليه مَبْنِيٌّ على أنه إذا حُذِفَ الخَبَرُ بِدَلَالَةِ الجَارِّ والمَجْرُورِ وهو كَوْنٌ عَامٌّ، انتَقَلَ إِلَيهِما ضَمِيرُ الاستِقرارِ وكَانَا عَامِلَيْنِ فيه.

(٣) بالفَتْحِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وابنِ ذكوان. (٤) الشَّطْءُ: فِرَاخُ النَّخْلِ. (٥) بِالقَصْرِ: قِرَاءَةُ ابن ذكوان. (٦) استنبطَ الإمامُ مَالِكٌ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ تَكْفِيرَ الشِّيعَةِ والرَّوَافِضِ الذين يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فإنَّهم يَغِيظُونَهم، ومَنْ غَاظَه الصَّحَابَةُ فهو كَافِرٌ، ووافَقَه كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ. انتهى مِنَ «المواهب» نقلًا عَن روح المعاني للألوسي. (٧) عِبَارَةُ: (أي: الصَّحَابَةِ، و«مِنْ» لِبَيَانِ الجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ؛ لِأَنَّهم كُلَّهم بِالصِّفَةِ المَذْكُورَةِ) لَيْسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي، وعندهما بَدَلًا منها، كَلِمَةُ: (لِلبَيَانِ). (٨) أي: المَغْفِرَةُ والأَجْرُ العَظِيمُ؛ لَهما: لِـمَنْ بَعدَهم مِنَ المُؤمِنِينَ. (٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أو فعل). (١٠) أي: «عَلَى مَسمَعِه»، وفي حَاشِيَةِ الجَمَلِ والصَّاوي: «الأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: «عِندَ النَّبِيِّ»، وفي نُسْخَةِ القَاضِي: (عِندَ). (١١) البُخَارِيُّ (٤٣٦٧، ٤٨٤٧). (١٢) أي: حِينَ بَلَغَهما النَّهْيُ عَنْ رَفعِ الصَّوتِ؛ فَصَارَا يَخْفِضَانِ صَوتَهما عِندَ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَما قَالَ ابنُ الزُّبَيرِ عِندَ البُخَارِيِّ (٤٨٤٥): «فَما كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ الله ﷺ بَعدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَه».

(١٣) كَثَابِتِ بنِ قَيسِ بنِ شَمَّاسٍ، رَواه الطبريُّ (٢٦/ ٧٥)، والطبرانيُّ في الكبير (١٣١٦)، والهَيثَمِيُّ في المَجمع (٩/ ٣٢١) وإسنادُه ضعيفٌ كما ذكرَ في الاستيعاب (٣/ ٢٦١). وعِندَ مُسْلِمٍ (١١٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ... الحديث. وفيه: قَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». (١٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (في أَيِّها). (١٥) أخرجَ الطبريُّ (٢٦/ ٧٧)، وغيرُه، عَنِ الأَقْرَعِ بنِ حَابِسٍ أَنَّه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اخْرُجْ إِلَينَا، فَلَمْ يُجِبْه، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ. فَقَالَ ﷺ: «ذَاكَ اللهُ»؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وأَخرَجَه أَحمَدُ في مُسنَدِه مُختَصَرًا؛ دُونَ ذِكرِ أَنَّه سَبَبُ نُزُولِ الآيَةِ. وصحَّحه في الاستيعاب (٣/ ٢٦٣).

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن
تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ
إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ
فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ
ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ - ﴿أَنَّهُمْ﴾ في مَحَلِّ رَفعٍ بِالابتِداءِ، وقِيلَ: فاعِلٌ لِفِعْلٍ مُقدَّرٍ؛ أي: ثَبَتَ(١)- ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِـمَنْ تابَ منهم.

ونَزَلَ في الوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ، وقَدْ بَعَثَه النَّبيُّ ﷺ إلى بَني المُصْطَلِقِ مُصدِّقًا، فَخافَهم؛ لِتِرَةٍ(٢) كَانَت بَيْنَه وبَينَهم في الجَاهِليَّةِ، فَرَجَعَ وقَالَ: إِنَّهم مَنَعُوا الصَّدَقَةَ وهَمُّوا بِقَتْلِه. فَهَمَّ النَّبيُّ ﷺ بِغَزْوِهم(٣)، فَجَاؤُوا مُنْكِرِينَ مَا قَالَه عنهم: [٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾: خَبَرٍ ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ صِدْقَه مِنْ كَذِبِه- وفي قِراءَةٍ(٤): ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾: مِنَ الثَّباتِ- ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا﴾: مَفعُولٌ لَه؛ أي: خَشْيَةَ ذَلِكَ ﴿بِجَهَالَةٍ﴾: حَالٌ مِنَ الفَاعِلِ؛ أي: جَاهِلِينَ ﴿فَتُصْبِحُوا﴾: تَصِيرُوا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ مِنَ الخَطَأِ بِالقَومِ ﴿نَادِمِينَ﴾. وَأَرْسَلَ ﷺ إِلَيهم بَعْدَ عَوْدِهم(٥) إلى بِلَادِهم خالِدًا، فَلَم يَرَ فيهم إِلَّا الطَّاعَةَ والخَيرَ، فأَخبَرَ النَّبيَّ بِذَلِكَ(٦).

[٧] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فَلَا تَقُولُوا البَاطِلَ، فَإِنَّ اللهَ يُخْبِرُه بِالحَالِ ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ الذِي تُخْبِرُونَ بِه عَلى خِلَافِ الوَاقِعِ، فيُرَتِّبَ على ذَلِكَ مُقْتَضاهُ ﴿لَعَنِتُّمْ﴾: لَأَثِمْتُم دُونَه؛ إِثْمَ التَّسَبُّبِ إلى المُرَتَّبِ(٧) ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ﴾: حَسَّنَه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ - استِدْرَاكٌ مِنْ حَيثُ المعنَى دُونَ اللَّفظِ(٨)؛ لِأَنَّ مَنْ حُبِّبَ إليه الإيمانُ... إلَخ، غَايَرَتْ صِفَتُه صِفَةَ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُه- ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ﴾ - فيه التِفَاتٌ عَنِ الخِطَابِ - ﴿الرَّاشِدُونَ﴾: الثَّابِتُونَ عَلى دِينِهم.

[٨] ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾: مَصْدَرٌ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِه المُقَدَّرِ؛ أي: أَفْضَلَ ﴿وَنِعْمَةً﴾ مِنه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إنْعَامِه عَلَيهم.

[٩] ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الآيَةُ نَزَلَتْ في قَضِيَّةٍ، هِي أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا ومَرَّ عَلى ابنِ أُبَيٍّ، فبَالَ الحِمارُ، فَسَدَّ ابنُ أُبَيٍّ أَنفَهُ، فقَالَ ابنُ رَوَاحَةَ: واللهِ لَبَولُ حِمارِه أَطْيَبُ رِيحًا مِنْ مِسْكِكَ؛ فكَانَ بَينَ قَومَيْهما ضَرْبٌ بِالأَيدِي والنِّعَالِ والسَّعَفِ(٩)- ﴿اقْتَتَلُوا﴾: جُمِعَ نَظَرًا إلى المَعنَى؛ لِأَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ جَمَاعَةٌ- وقُرِئَ(١٠): ﴿اقْتَتَلَتَا﴾- ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ثُنِّيَ نَظَرًا إلى اللَّفظِ ﴿فَإِن بَغَتْ﴾: تَعَدَّتْ ﴿إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ﴾: تَرجِعَ ﴿إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾: الحَقِّ ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾: بالإِنْصافِ ﴿وَأَقْسِطُوا﴾: اعْدِلُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[*].

[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدِّينِ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تَنازَعَا- وقُرِئَ(١١): ﴿إِخْوَتِكُمْ﴾ بِالفَوقَانِيَّةِ- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [في الإِصْلَاحِ](١٢) ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ﴾ الآيَةُ نَزَلَتْ في وَفْدِ تَمِيمٍ حِينَ سَخِرُوا مِنْ فُقَراءِ المُسلِمِينَ؛ كَعَمَّارٍ، وصُهَيبٍ(١٣). والسُّخْرِيَةُ: الازْدِراءُ والاحْتِقَارُ ﴿قَوْمٌ﴾ أي: رِجَالٌ مِنكُم ﴿مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عِندَ اللهِ ﴿وَلَا نِسَاءٌ﴾ مِنكُم ﴿مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾: لا تَعِيبُوا فَتُعَابُوا؛ أي: لَا يَعِبْ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: لا يَدْعُـــوا(١٤)

= ﴿آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حَتَّى انْقَضَتْ. البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سُورَةُ الحُجُراتِ (٤٩) باب (٢). وأَخرَجَ البُخارِيُّ أَيضًا عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: «كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ -قَالَ نَافِعٌ لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ- فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآيَةَ. قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ..» البُخارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات باب (٣).

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٩): أَخرَجَ البُخارِيُّ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ المُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، واللهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ: واللهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِالله رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ، فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. البُخارِيُّ - كتاب الصلح (٥٣) باب (١) ما جاء في الإِصلاحِ بين النَّاس.

---

(١) أي: ثَبَتَ صَبرُهم. (٢) أي: عَدَاوَة. (٣) رُوِي ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بن عَبدِ الله، كَما عندَ الطبرانيِّ في الأَوسطِ (٤/ ١٣٣، ١٣٤ رقم ٣٧٩٧)، والهَيثَميِّ في المَجمَع (٧/ ١١٠) وقال: «وفيه عبدُ الله ابنُ عبدِ القُدُّوسِ التَّمِيمِيُّ، وقَدْ ضَعَّفَه الجُمهُورُ ووثَّقه ابنُ حِبَّان، وبَقِيَّةُ رِجَالِه ثِقَاتٌ». وضعَّفه في الاستيعاب (٣/ ٢٧٦). وقَدْ جَاءَ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ ذَكَرَها الطبريُّ والسيوطيُّ وغَيرُهما، حَسَّنَ بَعضَها صاحبُ الاستيعاب (٣/ ٢٧٥). (٤) لِحَمزَةَ والكِسَائِيِّ. (٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (عَودَتِهم). (٦) رُوِي ذَلِكَ عَنْ قَتَادَةَ، ذَكَرَه الطبريُّ في جَامِعِه (٢٦/ ٧٩)، والسيوطيُّ في الدُّرِّ المنثُورِ (٧/ ٥٥٨)، وهو ضَعِيفٌ لِإرسَالِه كَما في الاستِيعَابِ (٣/ ٢٧٧). (٧) أي: إِنَّه يَقعُ عليكم وَحدَكم إِثْمُ تَسبُّبِكم فيما رَتَّبَه ﷺ على ادِّعَائِكُم، وهو بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ مَعذُورٌ. (٨) لِأَنَّ ﴿لَٰكِنَّ﴾ وَقَعَتْ بَينَ مُتَنافِيَيْنِ مِنْ حَيثُ المَعنَى، وإِنْ لَم يَكُنْ في اللفظِ تَصْرِيحٌ به. (٩) أَخرَجَ نَحوَه البُخارِيُّ (٢٦٩١)، ومسلمٌ (١٧٩٩) عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ. ولَيس فيه ذِكرُ البولِ ولَا المِسْكِ. (١٠) أي: شُذُوذًا. (١١) ظاهِرُ كلامِ المُصنِّف أنَّها قِرَاءَةٌ شاذَّةٌ جَرْيًا على قَاعِدتِه، ولَيسَتْ كَذَلِكَ؛ بَل هي قِرَاءَةٌ عَشْرِيَّةٌ لِيَعقُوبَ الحَضْرَمِيِّ. (١٢) عِبارَة: (في الإِصْلَاح) لَيسَتْ في الأَصلِ، وأَثبتْنَاها مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة، والقَاضِي. (١٣) رُوِي ذَلِك عن مُقاتِلٍ، ذَكرَهُ السيوطيُّ في الدُّرِّ المنثُورِ (٧/ ٥٦٣)، ونسبه لابنِ أبي حَاتِمٍ، وهو ضَعِيفٌ لِإعضالِه، كما في الاستيعابِ (٣/ ٢٨٢). (١٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لايدعُو)، وهي إذا كانت على الإفرادِ؛ فكانَ الأصحُّ أن تَكُونَ: (لايدْعُ) -كَما في بَعضِ النُّسَخِ- بِاعتِبارِه تفسيرًا لِلمَجزُوم، وإِنْ كانَ لايلزَمُ أَنْ يُعطَى التَّفسِيرُ حُكْمَ المُفسَّرِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ
إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ
نصف الحزب ٥٢ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

بَعْضُكُم بعضًا بِلَقَبٍ يَكْرَهُهُ؛ ومنه: يَا فَاسِقُ، يَا كَافِرُ ﴿بِئْسَ الِاسْمُ﴾ أي: المَذْكُورُ مِنَ السُّخْرِيَّةِ واللَّمْزِ والتَّنَابُزِ ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾؛ بَدَلٌ مِنَ: ﴿الِاسْمُ﴾؛ لإِفَادَةِ أَنَّه فِسْقٌ، لِتَكَرُّرِه عَادَةً ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ مِنْ ذَلِكَ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[*].

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي: مُؤْثِمٌ. وهُو كَثِيرٌ، كَظَنِّ السَّوْءِ بِأَهْلِ الخَيْرِ مِنَ المُؤْمِنِينَ، وهُمْ كَثِيرٌ، بِخِلَافِه بِالفُسَّاقِ مِنهم، فَلا إِثْمَ فيه، في نَحوِ ما يَظْهَرُ منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ حُذِفَ منه إِحْدَى التَّاءَيْنِ: لا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ المُسلِمِينَ ومَعَايِبَهم بِالبَحْثِ عنها ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: لَا يَذْكُرْه بِشَيْءٍ يَكْرَهُه، وإِنْ كَانَ فيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾؟ -بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(1)- أي: لا يَحْسُنُ به(2) ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فَاغْتِيَابُه في حَيَاتِه كَأَكْلِ لَحْمِه بَعدَ مَمَاتِه، وقَدْ عُرِضَ عَلَيكُم الثَّاني فَكَرِهْتُمُوه، فَاكْرَهُوا الأَوَّلَ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: عِقَابَه في الأَغْتِيَابِ، بِأَنْ تَتُوبُوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾: قَابِلٌ تَوبَةَ التَّائِبِينَ ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾: آدَمَ وحَوَّاءَ ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾: جَمْعُ شَعْبٍ، بِفَتْحِ الشِّينِ، هُو أَعلَى طَبَقَاتِ النَّسَبِ ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هِي دُونَ الشُّعُوبِ، وبَعدَها: العَمَائِرُ، ثُمَّ البُطُونُ، ثُمَّ الأَفخَاذُ، ثُمَّ الفَصَائِلُ آخِرُها- مِثَالُه: خُزَيمَةُ: شَعْبٌ، كِنَانَةُ: قَبِيلَةٌ، قُرَيشٌ: عِمَارَةٌ -بِكَسْرِ العَينِ-، قُصَيٌّ: بَطْنٌ، هَاشِمٌ: فَخِذٌ، العَبَّاسُ: فَصِيلَةٌ- ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ - حُذِفَ منه إِحْدَى التَّاءَينِ-: لِيَعْرِفَ بَعْضُكُم بَعْضًا، لَا لِتَفَاخَرُوا بِعُلُوِّ النَّسَبِ. وإِنَّمَا الفَخْرُ بِالتَّقْوَى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِكُم ﴿خَبِيرٌ﴾ بِبَوَاطِنِكُم.

[١٤] ﴿* قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ(3): ﴿آمَنَّا﴾: صَدَّقْنَا بِقُلُوبِنا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾: انْقَدْنَا ظَاهِرًا ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لَمْ ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ إِلى الآنَ، لَكِنَّه يُتَوَقَّعُ مِنكُم ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بِالإِيمَانِ وغَيرِه ﴿لَا [يَأْلِتْكُمْ]﴾ - بِالهَمْزِ، وتَرْكِه، وبِإِبْدَالِه أَلِفًا(4)-: لا يَنْقُصْكُم ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ أي: مِنْ ثَوَابِها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلمُؤْمِنِينَ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهم.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصَّادِقُونَ في إِيمَانِهم- كَمَا صَرَّحَ به بَعْدُ- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾: لَمْ يَشُكُّوا في الإِيمَانِ ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فَجِهَادُهم يُظْهِرُ صِدْقَ إِيمَانِهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إِيمَانِهم، لَا مَنْ قَالُوا: آمَنَّا، ولَمْ يُوجَدْ منهم غَيرُ الإِسْلَامِ.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ - مُضَعَّفُ «عَلِمَ» بِمَعنَى: شَعَرَ- أي: أَتُشْعِرُونَه بِمَا أَنتُم عليه في قَولِكُم: آمَنَّا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؟

[١٧] ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ مِنْ غَيرِ قِتَالٍ، بِخِلَافِ غَيرِهم مِمَّنْ أَسْلَمَ بَعْدَ قِتَالٍ مِنهُم ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾: مَنصُوبٌ بِنَزْعِ الخَافِضِ «البَاءِ»(5)، ويُقَدَّرُ(6) قَبلَ ﴿أَنْ﴾ في المَوضِعَينِ(7)، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قَولِكُم: آمَنَّا.

[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مَا غَابَ فِيهِما ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا [يَعْمَلُونَ]﴾ -بِاليَاءِ والتَّاءِ(8)-: لا يَخْفَى عليه شَيءٌ منه.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١١): أَخرَجَ أَبو دَاودَ عَنْ أَبِي جَبِيرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي بَنِي سَلِمَةَ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ، وَلَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «يَا فُلَانُ»؛ فَيَقُولُونَ: مَهْ يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الِاسْمِ، فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (٧١) في الألقاب. (صحيحٌ) صَحِيحُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ (٤١٥١).

---

(١) بِالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقاضي وغيرهما: (لا يُحَسُّ به؟ لا).

(٣) رواه الطبريُّ (٢١/ ٣٨٨) عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ قَالَ: «أَعْرَابُ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ».

(٤) قَرَأَ أبو عمرو بِهَمزَةٍ سَاكِنَةٍ بَينَ اليَاءِ واللَّامِ، ويُبْدِلُ السُّوسِيُّ منها أَلِفًا، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾.

(٥) أي: «بِإِسلَامِكم».

(٦) أي: حَرف البَاءِ.

(٧) أي: في ﴿أَنْ أَسْلَمُوا﴾، و﴿أَنْ هَدَاكُمْ﴾.

(٨) باليَاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بِالتَّاءِ.

سورة ق — ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥
أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا
لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ
قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

سُورةُ ق

مَكِّيَّةٌ، إلَّا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾(١) الآيةَ، فمَدَنِيَّةٌ، خَمسٌ وأربعُونَ آيَةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿قٓ﴾ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِه به ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾: الكَرِيمِ، مَا آمَنَ كُفَّارُ مَكَّةَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ(٢).

[٢] ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِهِم، يُخَوِّفُهُم(٣) بِالنَّارِ بَعْدَ البَعْثِ ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ الإِنْذَارُ ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

[٣] ﴿أَءِذَا﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَهما على الوَجْهَينِ(٤) - ﴿[مُتْنَا](٥) وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نَرْجِعُ؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾: في غَايَةِ البُعْدِ!

[٤] ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾: تَأْكُلُ ﴿مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ هو اللَّوحُ المَحفُوظُ، فيه جَمِيعُ الأَشياءِ المُقَدَّرَةِ.

[٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: بِالقُرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ﴾ في شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ والقُرآنِ ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾: مُضطَرِبٍ؛ قَالُوا مَرَّةً: سَاحِرٌ وسِحرٌ، ومَرَّةً: شَاعِرٌ وشِعْرٌ، ومَرَّةً: كَاهِنٌ وكِهَانَةٌ.

[٦] ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ بِعُيُونِهم، مُعْتَبِرِينَ بِعُقُولِهم، حِينَ أَنكَرُوا البَعْثَ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ كَائِنَةً ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ بِلَا عَمَدٍ ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بِالكَوَاكِبِ ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾: شُقُوقٍ تَعِيبُها؟

[٧] ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: مَعطُوفٌ عَلى مَوضِعِ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾(٦)، كَيفَ ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾: دَحَوْنَاها على وَجْهِ المَاءِ(٧) ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جِبَالًا تُثَبِّتُها ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾: صِنْفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾: يُبْهَجُ به؛ لِحُسْنِه؟ [٨] ﴿تَبْصِرَةً﴾: مَفعُولٌ له؛ أي: فَعَلْنَا ذَلِكَ؛ تَبصِيرًا مِنَّا ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تَذْكِيرًا ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: رَجَّاعٍ إلى طَاعَتِنا؟

[٩] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾: كَثِيرَ البَرَكَةِ ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾: بَسَاتِينَ ﴿وَحَبَّ﴾ الزَّرْعِ ﴿ٱلْحَصِيدِ﴾: المَحْصُودِ. [١٠] ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾: طِوَالًا، حَالٌ مُقَدَّرَةٌ(٨) ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾: مُتَرَاكِبٌ بَعضُه فَوقَ بَعضٍ. [١١] ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾: مَفعُولٌ له ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾؟ - يَستَوِي فيه المُذَكَّرُ والمُؤَنَّثُ - ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلُ هَذَا الإِحْيَاءِ ﴿ٱلْخُرُوجُ﴾ مِنَ القُبُورِ. فَكَيفَ تُنكِرُونَه(٩)؟ والاستِفهَامُ لِلتَّقرِيرِ، والمَعنَى: أَنَّهم نَظَرُوا وعَلِمُوا مَا ذُكِرَ.

[١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ - تَأْنِيثُ الفِعْلِ بِمَعنَى ﴿قَوْمُ﴾ - ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ هي بِئْرٌ كَانُوا مُقِيمِينَ عَلَيها بِمَوَاشِيهِم(١٠)، يَعبُدُونَ الأَصنَامَ. ونَبِيُّهم؛ قِيلَ: حَنظَلَةُ بنُ صَفوَانَ، وقِيلَ: غَيرُه(١١) ﴿وَثَمُودُ﴾: قَومُ صَالِحٍ. [١٣] ﴿وَعَادٌ﴾: قَومُ هُودٍ ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾. [١٤] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ أي: الغَيضَةِ، قَومُ شُعَيبٍ ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هُو مَلِكٌ كَانَ بِاليَمَنِ، أَسلَمَ ودَعَا قَومَه إلى الإِسلَامِ، فَكَذَّبُوه(١٢) ﴿كُلٌّ﴾ مِنَ المَذكُورِينَ ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كَقُرَيشٍ ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: وَجَبَ نُزُولُ العَذَابِ عَلى الجَمِيعِ. فَلا [يَضِقْ](١٣) صَدرُك مِن كُفرِ قُرَيشٍ بِكَ.

[١٥] ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾؟ أي: لَمْ نَعْيَ بِه، فَلا نَعْيَا بِالإِعَادَةِ ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البَعْثُ.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (إِلَّا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾).

(٢) أي: أَنَّ قَولَه تَعَالَى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ قَسَمٌ، جَوَابُه مَحذُوفٌ، تَقدِيرُه مَا ذُكِرَ.

(٣) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (يُنذِرُهم: يُخَوِّفُهم).

(٤) سَهَّلَ الهَمزَةَ الثَّانِيَةَ مَعَ الإِدْخَالِ قَالُونُ وأَبو عَمرٍو، وسَهَّلَها مِن غَيرِ إِدخَالٍ وَرْشٌ وابنُ كَثِيرٍ، وحَقَّقَها بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ، مِن غَيرِ إِدخَالٍ، إِلَّا هِشَامًا فلَه الإِدْخَالُ وعَدَمُه.

(٥) ﴿مُتْنَا﴾، بِضَمِّ المِيمِ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مِتْنَا﴾، بِكَسْرِ المِيمِ.

(٦) أي: في مَحَلِّ نَصْبٍ مِثْلِها.

(٧) قال ابنُ كَثِيرٍ (٧/ ٣٩٦): ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾: «أي: وَسَّعْنَاها وفَرَشْنَاها». وقال الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٤٠٩): «بَسَطْنَاها».

(٨) لِأَنَّ الطُّولَ لا يَكُونُ في النَّخلِ وَقتَ إِنبَاتِه.

(٩) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (يُنكِرُونَه).

(١٠) رَوَى عبدُ الرَّزَّاقِ في تَفسِيرِه (٣/ ٢٢٨) عَنْ قَتَادَةَ، قال: «كَانُوا بِحِجْرٍ بِنَاحِيَةِ اليَمَامَةِ عَلَى آبَارٍ». وأَمَّا عِبَادَتُهم الأَصنَامَ فلَم نَقِفْ عليه مُسنَدًا، وعَزَاه البَغَوِيُّ (٦/ ٨٤)، وابنُ الجَوزِيِّ في زَادِ المَسِيرِ (٣/ ٣٢١)، والقُرطُبِيُّ (١٣/ ٣٢) وغَيرُهم، لِوَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ؛ قال: «كَانُوا أَهْلَ بِئرٍ قُعُودًا عَلَيهَا، وَأَصْحَابَ مَوَاشِي، يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ».

(١١) عَزَاه البَغَوِيُّ (٦/ ٨٤) لِسَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ؛ قَولَه: «كَانَ لَهُمْ نَبِيٌّ يُقَالُ لَهُ: حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ، فَقَتَلُوهُ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى». وَقَالَ كَعْبٌ وَمُقَاتِلٌ وَالسُّدِّيُّ -كما عند البغوي (٦/ ٨٤)-: «الرَّسُّ: بِئْرٌ بِأَنْطَاكِيَةَ قَتَلُوا فِيهَا حَبِيبًا النَّجَّارَ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي سُورَةِ يس».

(١٢) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآيَةِ (٣٧) مِن سُورَةِ الدُّخَانِ.

(١٣) في الأَصلِ: (فَلا يَضِيقُ) والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ
قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ (علامة الربع الحزب ٥٢)
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾: حَالٌ بِتَقْدِيرِ: «نَحْنُ» ﴿مَا﴾: مَصْدَرِيَّةٌ ﴿تُوَسْوِسُ﴾: تُحَدِّثُ ﴿بِهِۦ﴾ - البَاءُ: زَائِدَةٌ، أو لِلتَّعْدِيَةِ، والضَّمِيرُ لِلإِنسَانِ - ﴿نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بِالعِلْمِ(١) ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ - الإِضَافَةُ لِلبَيَانِ، والوَرِيدَانِ: عِرْقَانِ بِصَفْحَتَيِ العُنُقِ-.

[١٧] ﴿إِذْ﴾: نَاصِبُه «اذكُرْ» مُقَدَّرًا ﴿يَتَلَقَّى﴾: يَأْخُذُ ويُثْبِتُ ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: المَلَكَانِ المُوَكَّلَانِ بِالإِنسَانِ، ما يَعمَلُه ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قَاعِدَانِ - وهو مُبْتَدَأٌ، خَبَرُه ما قَبلَه-.

[١٨] ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾: حَافِظٌ ﴿عَتِيدٌ﴾: حَاضِرٌ، وكُلٌّ منهما بِمَعنَى المُثَنَّى(٢).

[١٩] ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: غَمْرَتُه وشِدَّتُه ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ، حَتَّى يَرَاهُ المُنْكِرُ لَها عِيَانًا- وهو نَفْسُ الشِّدَّةِ- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المَوتُ ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تَهرَبُ وتَفزَعُ.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ لِلبَعْثِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يَومُ النَّفْخِ ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ لِلكُفَّارِ بِالعَذَابِ.

[٢١] ﴿وَجَآءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المَحْشَرِ ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾: مَلَكٌ يَسُوقُها إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يَشهَدُ عَليها بِعَمَلِها، وهُو الأَيدِي والأَرْجُلُ وغَيرُها- ويُقَالُ لِلكَافِرِ:

[٢٢] ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ في الدُّنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النَّازِلِ بِكَ اليَومَ ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾: أَزَلْنَا غَفْلَتَك بِما تُشَاهِدُه اليَومَ ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: حَادٌّ تُدْرِكُ بِه ما أَنْكَرْتَه في الدُّنْيا.

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾: المَلَكُ المُوكَلُ به: ﴿هَٰذَا مَا﴾ أي: الذي ﴿لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾: حَاضِرٌ. فيُقَالُ لِمَالِكٍ(٣): [٢٤] ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ أَي: أَلْقِ أَلْقِ، أو «أَلْقِيَنْ»- وبِه قَرَأَ الحَسَنُ(٤)، فأُبدِلَتِ النُّونُ أَلِفًا- ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: مُعَانِدٍ لِلحَقِّ. [٢٥] ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كَالزَّكَاةِ ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظَالِمٍ ﴿مُّرِيبٍ﴾: شَاكٍّ في دِينِه. [٢٦] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: مُبْتَدَأٌ ضُمِّنَ مَعنَى الشَّرْطِ، خَبَرُه: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ -[تَفسِيرُه مِثلُ مَا تَقَدَّمَ](٥)- ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾.

[٢٧] ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الشَّيطَانُ: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾: أَضْلَلْتُه ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فَدَعَوتُه فَاستَجَابَ لي، وقَالَ: هُو أَطْغَانِي بِدُعَائِه(٦).

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ تَعالَى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أَي: مَا يَنفَعُ الخِصَامُ هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدُّنيا ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾: بِالعَذَابِ في الآخِرَةِ، لَو لَمْ تُؤمِنُوا، ولا بُدَّ منه. [٢٩] ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾: يُغَيَّرُ ﴿ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ في ذَلِكَ ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فَأُعَذِّبَهم بِغَيرِ جُرْمٍ، و«ظَلَّام» بِمَعنَى: ذِي ظُلْمٍ؛ لِقَولِه: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾(٧). [٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ نَاصِبُه: «ظَلَّام» ﴿نَقُولُ﴾ -بِالنُّونِ والياءِ(٨)- ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾؟ استِفهَامُ تَحقِيقٍ؛ لِوَعْدِه بِمَلْئِها ﴿وَتَقُولُ﴾ بِصُورَةِ الاستِفهَامِ؛ كَالسُّؤالِ: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أَي: فِيَّ؟ لا أَسَعُ(٩) غَيرَ ما امتَلَأْتُ بِه؛ أَي: قَدِ امتَلَأْتُ(١٠).

[٣١] ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾: قُرِّبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مَكَانًا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم فيَرَونَها. ويُقَالُ لهم: [٣٢] ﴿هَٰذَا﴾ المَرئِيُّ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ(١١)- في الدُّنيا، ويُبْدَلُ مِنْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: قولُه: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: رَجَّاعٍ إلى طَاعَةِ الله ﴿حَفِيظٍ﴾: حَافِظٍ لِحُدُودِه. [٣٣] ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خَافَه ولَمْ يَرَهُ ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾: مُقبِلٍ على طَاعَتِه. ويُقَالُ لِلمُتَّقِينَ -أَيضًا-:

[٣٤] ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾: سَالِمِينَ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ، أو مَعَ سَلَامٍ؛ أَي: سَلِّمُوا وادخُلُوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليَومُ الذي حَصَلَ فيه الدُّخُولُ ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾: الدَّوَامِ في الجَنَّةِ. [٣٥] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: زِيَادَةٌ على ما عَمِلُوا وطَلَبُوا.

---

(١) الأَوْلَى إِجرَاؤُها عَلى ظَاهِرِهَا عَلى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِ الله سُبحَانَه، والعِلْمُ هو مِنْ لَوازِمِ القُرْبِ والإِحَاطَةِ.

(٢) يَعنِي: أَنَّ كُلًّا مِنْ: ﴿رَقِيبٌ﴾ و﴿عَتِيدٌ﴾ يَدُلُّ عَلى مُثَنًّى.

(٣) قَالَ السمرقنديُّ (٣/ ٣٣٦): «يُقَالُ: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ، على مَعنَى تَكرِيرِ الأَمْرِ، يَعنِي: أَلْقِ أَلْقِ، وهو عَلى مَعنَى التَّأكِيدِ». وقَالَ مقاتلٌ في تَفسِيرِه (٤/ ١١٣): «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ؛ يَعنِي الخَازِن، وهو في كَلامِ العَرَبِ: خُذَاه؛ يُخَاطِبُ الوَاحِدَ مُخَاطَبَةَ الاثنَيْنِ لِلوَاحِدِ». وقَالَ الشوكانيُّ في فَتحِ القدير (٥/ ٩٠): «قَالَ الزَّجَّاجُ: هَذَا أَمْرٌ لِلمَلَكَيْنِ المُوَكَّلَيْنِ بِه، وَهُمَا السَّائِقُ وَالشَّاهِدُ».

(٤) وهي قِرَاءَةٌ شَاذَّةٌ، وقَالَ القَاضِي في قُرَّةِ العَيْنَيْنِ حاشية (ص٦٩٠): «هذا سَهوٌ مِنَ الجَلَالِ المَحَلِّيِّ، صَوَابُه: أَنَّ قِرَاءَةَ الحَسَنِ هي: بِهَمْزَةٍ مَكسُورَةٍ، وبِأَلِفٍ مَمدُودَةٍ بَعدَ القَافِ، وهَمْزَةٍ مَنصُوبَةٍ مُنَوَّنَةٍ؛ أَي: «إِلْقَاء» مَصدَر «أَلْقَى»» اهـ.

(٥) مَوضِعُها في الأَصْلِ بَعدَ قَولِه تَعالَى: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بدعائه لي). وفي حاشية الجمل (٤/ ١٩٥): «كَانَ الأَولَى لِلشَّارِحِ أَنْ يُقَدِّمَ قَولَه: «وقَالَ: هُو أَطغَانِي» عَلى قَولِه: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾؛ فيَقُولُ: فَقَالَ قَرِينُه جَوَابًا لِقَولِه: «هُو أَطْغَانِي»: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾».

(٧) غافر: ١٧.

(٨) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وشُعْبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالنُّونِ.

(٩) في نُسْخَةِ الجَمَلِ: (أَيْ لا أَسَعُ)، بَدَلًا مَنْ عِبَارَةِ: (أي: فِيَّ؟ لا أَسَعُ).

(١٠) هذَا قَوْلُ عَطَاءٍ وَمُجَاهِدٍ وَمُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ. وَقِيلَ: هَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى الاسْتِزَادَةِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ. يُنظَرُ: تفسير البَغَوِيِّ (٧/ ٣٦٢). قال ابنُ كثيرٍ (٧/ ٤٠٣): «هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ سِيَاقِ الآيَةِ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّ الأَحَادِيثُ». ويُؤيِّدُه ما في الصَّحِيحَيْنِ؛ البُخَارِيِّ (٤٨٤٨، ٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨) مِنْ حَدِيثِ أنس عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العِزَّةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَعِزَّتِكَ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ».

(١١) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟
فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن
كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أهلكنا قبلَ كفارِ قريشٍ قرونًا كثيرةً(١) مِنَ الكفارِ ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾: قوّةً ﴿فَنَقَّبُوا﴾: فتّشوا ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ لهم أو لغيرِهم مِنَ الموتِ؟ فلم يجدُوا.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: لعظةً ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾: عقلٌ ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾: استمعَ الوعظَ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: [حاضرُ القلبِ](٢).

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أوّلُها الأحدُ، وآخرُها الجمعةُ(٣) ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾: تعبٍ. نزلَ ردًّا على اليهودِ في قولِهم: «إنَّ اللهَ استراحَ يومَ السبتِ»(٤). وانتفاءُ التعبِ عنه؛ لتنزُّهِه -تعالى- عن صفاتِ المخلوقينَ(٥)، ولعدمِ المماسَّةِ(٦) بينَه وبينَ غيرِه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٧).

[٣٩] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ خطابٌ للنبيِّ ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهودُ وغيرُهم، مِنَ التشبيهِ(٨) والتكذيبِ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: صلِّ حامدًا ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: صلاةَ الصبحِ ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ أي: [صلاتَي](٩) الظهرِ والعصرِ. [٤٠] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صلِّ العشاءينِ ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ -بفتحِ الهمزةِ: جمعُ دُبُرٍ، وكسرِها(١٠): مصدرُ: أدبرَ- أي: صلِّ النوافلَ المسنونةَ عقبَ الفرائضِ. وقيلَ: المرادُ حقيقةُ التسبيحِ في هذه الأوقاتِ، ملابسًا للحمدِ. [٤١] ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ -يا مخاطَبُ- مقولي(١١) ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾(١٢) هو إسرافيلُ ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ مِنَ السماءِ(١٣)- وهو صخرةُ بيتِ المقدسِ، أقربُ موضعٍ مِنَ الأرضِ إلى السماءِ. يقولُ: أيّتُها العظامُ الباليةُ، والأوصالُ المتقطّعةُ، واللحومُ المتمزّقةُ، والشعورُ المتفرّقةُ، إنَّ اللهَ يأمرُكُنَّ أنْ تجتمعنَ لفصلِ القضاءِ-. [٤٢] ﴿يَوْمَ﴾: بدلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ﴾ قبلَه ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلقُ كلُّهم ﴿ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالبعثِ. وهي النفخةُ الثانيةُ مِنْ إسرافيلَ. ويحتملُ أنْ تكونَ قبلَ ندائِه وبعدَه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يومُ النداءِ والسماعِ(١٤) ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ مِنَ القبورِ. وناصبُ ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ مقدَّرٌ؛ أي: يعلمونَ عاقبةَ تكذيبِهم(١٥). [٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾. [٤٤] ﴿يَوْمَ﴾: بدلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ﴾ قبلَه، وما بينَهما اعتراضٌ ﴿تَشَقَّقُ﴾ -بتخفيفِ الشينِ، وتشديدِها بإدغامِ التاءِ الثانيةِ في الأصلِ فيها(١٦)- ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾: جمعُ «سريعٍ»، حالٌ مِنْ مقدَّرٍ؛ أي: فيخرجونَ مسرعينَ ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصلٌ بينَ الموصوفِ والصفةِ بمتعلّقِها، للاختصاصِ، وهو لا يضرُّ(١٧). و﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى معنى الحشرِ المخبرِ به عنه، وهو الإحياءُ بعدَ الفناءِ، والجمعُ للعرضِ والحسابِ. [٤٥] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفارُ قريشٍ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ تجبرُهم على الإيمانِ. وهذا قبلَ الأمرِ بالجهادِ ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وهم المؤمنونَ.

سورة الذاريات

مكيّةٌ، ستونَ آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾: الرياحِ تذرو الترابَ وغيرَه ﴿ذَرْوًا﴾: مصدرٌ- ويقالُ: تذريه ذريًا: تهبُّ به-. [٢] ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ﴾: السحبِ تحملُ الماءَ ﴿وِقْرًا﴾: ثقلًا، مفعولُ «الحاملاتِ».

[٣] ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ﴾: السفنِ تجري على وجهِ الماءِ ﴿يُسْرًا﴾: بسهولةٍ، مصدرٌ في موضعِ الحالِ؛ أي: ميسّرةً. [٤] ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾: الملائكةِ تقسّمُ الأرزاقَ والأمطارَ وغيرَها، بينَ البلادِ والعبادِ.

[٥] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ - «ما»: مصدريّةٌ- أي: إنَّ وعدَهم بالبعثِ وغيرِه ﴿لَصَادِقٌ﴾: لوعدٌ صادقٌ. [٦] ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾: الجزاءَ بعدَ الحسابِ ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ لا محالةَ.

---

(١) في نسخةِ قباوة: (قرونًا، أي: أممًا كثيرةً). (٢) في الأصلِ: (حاضرٌ بالقلبِ). والمثبتُ مِنْ قباوة. (٣) راجعِ التعليقَ على تعيينِ هذه الأيامِ وتحديدِها في تفسيرِ سورةِ فصّلت، الآيات (٩-١٢).

(٤) رُوي هذا عنِ ابنِ عباسٍ، كما عند الحاكم في مستدركِه (٢/ ٥٤٣)، وصحّحه، وتعقّبه الذهبيُّ، وأخرجه أيضًا الطبريُّ في جامع البيان (٢٤/ ٦١)، وضعّفه في الاستيعاب (٣/ ٢٩٠، ٢٩١).

(٥) إنْ أرادَ نفيَ مشابهةِ صفاتِه -سبحانَه- لصفاتِ المخلوقينَ فهذا حقٌّ، وإنْ أرادَ نفيَ الصفاتِ عنه كصفةِ اليدِ والوجهِ وغيرِها مِنَ الصفاتِ الذاتيّةِ؛ فهذا باطلٌ، وهو مذهبُ أهلِ التعطيلِ.

(٦) مثلُ هذه العباراتِ المجملةِ؛ لا يجوزُ إطلاقُها ولا نفيُها بإطلاقٍ؛ بل يُستفصَلُ عنها؛ فما تضمّنَتْهُ مِنْ حقٍّ يُثبتُ بلفظِه الشرعيِّ، وما اشتملَتْ عليه مِنْ باطلٍ يُردُّ. (٧) يس: ٨٢. (٨) التشبيهُ لفظٌ مجملٌ؛ فإنْ قصدَ به المفسّرُ التشبيهَ المطلقَ الذي هو بمعنى التمثيلِ؛ فهو حقٌّ. وإنْ قصدَ به مطلقَ الشبهِ؛ فهو باطلٌ مردودٌ؛ لأنّه ما مِن شيئينِ إلّا وبينهما نوعُ شبهٍ؛ فصفةُ الوجودِ التي هي ضدُّ العدمِ، فيها قدرٌ مشتركٌ بينَ الخالقِ والمخلوقِ، مع تفاوتِ الوجودينِ، وهكذا يُقالُ في صفةِ الحياةِ والعلمِ والسمعِ والبصرِ؛ فلذا لم يأتِ نفيُ الشبهِ في كلامِ اللهِ ورسولِه وإنّما نفيُ المثلِ. (٩) في الأصلِ: (صلاة)، والمثبتُ مِنْ قباوة. (١٠) بالكسرِ: قراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وحمزةَ. (١١) في قباوة: (يا مخاطب بقولي). (١٢) في قباوة: ﴿يوم ينادي المنادي﴾، و﴿ينادي﴾: بإثباتِ الياءِ وقفًا؛ وهي قراءةُ ابنِ كثيرٍ بخلفٍ عنه. و﴿المنادي﴾: بإثباتِ الياءِ الزائدةِ وصلًا وحذفِها وقفًا: قراءةُ نافعٍ وأبي عمرٍو، وبإثباتِها في الحالينِ: قراءةُ ابنِ كثيرٍ. (١٣) رُوي هذا عنْ كعبِ الأحبارِ، كما عندَ الطبريِّ (٢١/ ٤٧٥)، وليسَ فيه نصٌّ ثابتٌ مرفوعٌ إلى النبيِّ ﷺ. (١٤) في قباوة: (ويومُ السماعِ). (١٥) قال في حاشيةِ الجمل: «ولو قدّرَهُ الشارحُ بجنبِ منصوبِه؛ لكانَ أسهلَ في الفهمِ؛ لأنَّ قولَه: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ مِنْ جملةِ الاعتراضِ الآتي التنبيهُ عليه؛ فالعاملُ في ﴿يوم ينادي﴾ يُقدَّرُ قبلَه». (١٦) بالتشديدِ معَ ما ذُكِرَ: قراءةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ، وقرأَ بقيّةُ السبعةِ بالتخفيفِ.

(١٧) عبارةُ: (وهو لا يضرُّ) ليسَتْ في قباوة. والصفةُ هي ﴿يسير﴾، ومتعلّقُها المشارُ إليه هو: الجارُّ والمجرورُ في ﴿علينا﴾، وأفادَ الاختصاصَ؛ أي: كأنّه قالَ: ذلكَ الحشرُ لا يتيسّرُ إلّا علينا.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ
أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ
هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾
كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ
أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾
فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

[٧] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: جَمْعُ «حَبِيكَةٍ»؛ كَطَرِيقَةٍ و«طُرُقٍ» أي: صَاحِبَةِ الطُّرُقِ في الخِلْقَةِ؛ كَالطُّرُقِ في الرَّمْلِ. [٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أَهْلَ مَكَّةَ، في شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ والقُرآنِ ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قِيلَ: شَاعِرٌ، سَاحِرٌ، كَاهِنٌ، شِعْرٌ، سِحْرٌ، كِهانَةٌ. [٩] ﴿يُؤْفَكُ﴾: يُصْرَفُ ﴿عَنْهُ﴾: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ والقُرآنِ؛ أي: عَنِ الإِيمانِ به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾: صُرِفَ عَنِ الهِدَايَةِ، في عِلْمِ الله تَعَالَى.

[١٠] ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: لُعِنَ الكَذَّابُونَ، أَصْحَابُ القَوْلِ المُخْتَلِفِ.

[١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: جَهْلٍ يَغْمُرُهم ﴿سَاهُونَ﴾: غَافِلُونَ عَنْ أَمْرِ الآخِرَةِ.

[١٢] ﴿يَسْأَلُونَ﴾ النَّبِيَّ اسْتِفْهَامَ اسْتِهزَاءٍ(١): ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: مَتَى مَجِيئُهُ؟ وجَوابُهم: يَجِيءُ:

[١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي: يُعَذَّبُونَ فيها. ويُقَالُ لَهم حِينَ التَّعْذِيبِ: [١٤] ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾: تَعْذِيبَكُم ﴿هَٰذَا﴾ التَّعْذِيبُ(٢) ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدُّنيا اسْتِهزَاءً.

[١٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾: بَسَاتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تَجْرِي فيها.

[١٦] ﴿آخِذِينَ﴾: حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ في خَبَرِ ﴿إِنَّ﴾ ﴿مَا آتَاهُمْ﴾: أَعْطَاهُم ﴿رَبُّهُمْ﴾ مِنَ الثَّوَابِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: [قَبْلَ](٣) دُخُولِهم الجَنَّةَ ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدُّنيا.

[١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: يَنَامُونَ، و﴿مَا﴾: زَائِدَةٌ. و﴿يَهْجَعُونَ﴾: خَبَرُ «كَانَ»، و﴿قَلِيلًا﴾: ظَرْفٌ؛ أي: يَنَامُونَ في زَمَنٍ يَسِيرٍ مِنَ اللَّيلِ، ويُصَلُّونَ أَكْثَرَه.

[١٨] ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يَقُولُونَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرِ لنا».

[١٩] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يَسْأَلُ لِتَعَفُّفِه.

[٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ مِنَ الجِبَالِ والبِحَارِ والأَشْجَارِ والثِّمَارِ والنَّبَاتِ وغَيرِها ﴿آيَاتٌ﴾: دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى(٤) ووَحْدَانِيَّتِه ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

[٢١] ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ آيَاتٌ -أيضًا- مِنْ مَبْدَإِ خَلْقِكم إلى مُنْتَهَاهُ، ومَا في تَرْكِيبِ خَلْقِكُم مِنَ العَجَائِبِ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذَلِكَ، فتَسْتَدِلُّونَ بِه عَلى صَانِعِه وقُدْرَتِه؟

[٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: المَطَرُ المُسَبَّبُ عنه النَّبَاتُ، الذي هُو رِزْقٌ ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ المَآبِ والثَّوَابِ والعِقَابِ؛ أي: مَكْتُوبٌ ذَلِكَ في السَّماءِ.

[٢٣] ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: مَا تُوعَدُونَ ﴿لَحَقٌّ [مِثْلُ] مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ - بِرَفْعِ ﴿مِثْلُ﴾: صِفَةٌ، و﴿مَا﴾: مَزِيدَةٌ، وبِفَتْحِ اللَّامِ مُرَكَّبَةً مَعَ ﴿مَا﴾(٥)- المَعنَى: مِثْلُ نُطْقِكُم في حَقِيقَتِه؛ أي: مَعلُومِيَّتِه عِندَكُم ضَرُورَةَ صُدُورِه عنكُم.

[٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ - خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ- ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهُم مَلَائِكَةٌ؛ اثنَا عَشَرَ، أو عَشَرَةٌ، أو ثَلَاثَةٌ، مِنهم جِبْرِيلُ(٦).

[٢٥] ﴿إِذْ﴾: ظَرْفٌ لِـ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ﴾ ﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هَذَا اللفظُ ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: هَذَا اللفظُ(٧) ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: لا نَعْرِفُهم. قَالَ ذَلِكَ في نَفْسِه. وهو خَبَرُ مُبْتَدَإٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: هَؤُلَاءِ. [٢٦] ﴿فَرَاغَ﴾: مَالَ ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ سِرًّا ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ - وفي سُورَةِ هُودٍ: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾(٨) أي: مَشْوِيٍّ-.

[٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ عَرَضَ عليهم الأَكْلَ، فَلَمْ يُجِيبُوا.

[٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أَضْمَرَ في نَفْسِه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾: ذِي عِلْمٍ كَثِيرٍ، وهو إِسْحَاقُ كَمَا ذُكِرَ في «هُودٍ».

[٢٩] ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ سَارَةُ ﴿فِي صَرَّةٍ﴾: صَيْحَةٍ، حَالٌ؛ أي: جَاءَتْ صَائِحَةً ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: لَطَمَتْهُ ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: لَمْ تَلِدْ قَطُّ. وعُمرُها تِسْعٌ وتِسْعُونَ سَنَةً، وعُمرُ إبرَاهِيمَ مِائَةُ سَنَةٍ، أو عُمرُه مِائَةٌ وعِشْرُونَ سَنَةً، وعُمرُها تِسعُونَ سَنَةً(٩).

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ﴾ أي: مِثْلَ قَولِنا في البِشَارَةِ ﴿قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِخَلْقِه.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (استِهزَاءً).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (العَذَابُ).

(٣) كَلِمَةُ: (قَبلَ) لَيسَت في الأَصْلِ، وأَثْبَتْنَاها مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تَعَالَى).

(٥) قولُه: (مُرَكَّبَةً مع ﴿مَا﴾)، قَالَ في حَاشِيَةِ الجَمَلِ (٤/ ٢٠٣): «أي: حَالَ كَونِها مُرَكَّبَةً مَعَ ﴿مَا﴾ تَركِيبَ مَزْجٍ كَـ«كُلَّما» و«طَالَمَا» و«أَينَما» و«قَلَّما»...». والرَّفعُ: قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائِيِّ وشُعْبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿مِثْلَ﴾؛ بِالفَتحِ.

(٦) جَاءَ ذَلِكَ في بَعضِ كُتُبِ التَّفسِيرِ بِدُونِ إِسنَادٍ، والثَّابتُ أَنَّهم مَلَائِكَةٌ فَقَط، ولَيسَ هناكَ كَبِيرُ فَائِدَةٍ في مَعرِفَةِ عَدَدِهم، أو مَنْ هم؟ يُنظَرُ: الكَشَّافُ (٤/ ٤٠١)، ومَفَاتِيحُ الغَيبِ (٢٨/ ١٧٤).

(٧) أي: الذي صَدَرَ منهم هُو لَفظُ: «سَلَامًا»؛ مَنصُوبٌ بِفِعلٍ مُقَدَّرٍ، والذي صَدَرَ منه هو لَفظُ: «سَلَامٌ»؛ مَرفُوعٌ عَلَى الخَبَرِيَّةِ لِمُبتَدإٍ مُضمَرٍ.

(٨) هود: ٦٩.

(٩) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآيةِ (٧٢) مِنْ سُورَةِ هُودٍ.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ
ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ
فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

[٣١] ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: شأنُكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: كافرينَ، هُم قومُ لُوطٍ.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ مطبوخٍ[1] بالنَّارِ.

[٣٤] ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعلَّمةً، عليها اسمُ مَنْ يُرمَى بها[2] ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: ظرفٌ لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بإتيانِهِم الذُّكورَ مَعَ كُفرِهِم.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي: قُرى قومِ لوطٍ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاكِ الكافرينَ.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ - وهُم لوطٌ وابنتاه- وُصِفوا بالإيمانِ والإسلامِ؛ أي: هُم مُصدِّقونَ بقُلوبِهِم، عامِلونَ بجوارِحِهِم الطَّاعاتِ.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ بعدَ إهلاكِ الكافرينَ ﴿ءَايَةً﴾: علامةً على إهلاكِهِم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ فلا يَفعلونَ مِثلَ فِعلِهِم.

[٣٨] ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ - معطوفٌ على ﴿فِيهَآ﴾- المعنى: وجعَلْنا في قصَّةِ موسى آيةً ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ مُلتبسًا ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحُجَّةٍ واضحةٍ.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ عنِ الإيمانِ ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: مَعَ جُنودِه؛ لأنَّهم له كالرُّكنِ ﴿وَقَالَ﴾ لموسى: هو ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: طرَحْناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: البحرِ، فغَرِقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعونُ ﴿مُلِيمٌ﴾: آتٍ بما يُلامُ عليه؛ مِن تكذيبِ الرُّسلِ، ودَعوى الرُّبوبيَّةِ.

[٤١] ﴿وَفِى﴾ إهلاكِ ﴿عَادٍ﴾ آيةٌ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خيرَ فيها؛ لأنَّها لا تَحمِلُ المطرَ، ولا تُلقِحُ الشَّجرَ، وهي الدَّبورُ[3].

[٤٢] ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ﴾: نفسٍ أو مالٍ ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾: كالبالي المُتفتِّتِ.

[٤٣] ﴿وَفِى﴾ إهلاكِ ﴿ثَمُودَ﴾ آيةٌ ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعدَ عقرِ النَّاقةِ: ﴿تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاءِ آجالِكُم، كما في آيةٍ: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾[4]. [٤٤] ﴿فَعَتَوْا۟﴾: تكبَّروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عنِ امتثالِه[5] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ بعدَ مُضيِّ الثَّلاثةِ أيامٍ؛ أي: الصَّيحةُ المُهلِكةُ ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: بالنَّهارِ. [٤٥] ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ أي[6]: ما قدَروا على النُّهوضِ حينَ نزولِ العذابِ ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ على مَن أهلكَهُم.

[٤٦] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ - بالجرِّ: عطفٌ على ﴿ثَمُودَ﴾؛ أي: وفي إهلاكِهِم [بماءِ][7] السَّماءِ والأرضِ آيةٌ، وبالنَّصبِ[8]؛ أي: وأهلَكْنا قومَ نوحٍ- ﴿مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: قبلَ إهلاكِ هؤلاءِ المذكورينَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾: بقُوَّةٍ[9] ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: قادِرونَ؛ يُقالُ: آدَ الرَّجلُ يَئيدُ: قَوِيَ. وأوسعَ الرَّجلُ: صارَ ذا سَعةٍ وقُوَّةٍ.

[٤٨] ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾: مهَّدْناها ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ نحنُ!

[٤٩] ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: متعلِّقٌ بقولِه: ﴿خَلَقْنَا﴾ ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: صنفَينِ؛ كالذَّكَرِ والأُنثى، والسَّماءِ والأرضِ، والشَّمسِ والقمرِ، والسَّهلِ والجبلِ، والصَّيفِ والشِّتاءِ، والحُلوِ والحامِضِ، والنُّورِ والظُّلمةِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ - بحذفِ إحدى التَّاءَينِ منَ الأصلِ- فتَعلَمونَ أنَّ خالقَ الأزواجِ فردٌ فتَعبُدونَه.

[٥٠] ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابِه مِن عِقابِه؛ بأن تُطيعوه ولا تَعصوه[10] ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذارِ.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يُقدَّرُ قبلَ ﴿فَفِرُّوٓا۟﴾: قُل لهم.

---

(١) في نُسخةِ قَباوة: (يُطبَخ).

(٢) يُنظرُ التَّعليقُ على الآيةِ (٨٣) من سورةِ هُود.

(٣) كما عندَ البُخاريِّ (١٠٣٥) ومسلم (٩٠٠) مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ مرفوعًا: «نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبورِ». والصَّبا: هي الرِّيحُ التي تَهُبُّ مِن مَطلعِ الشَّمسِ، والدَّبورُ: هي التي تَهُبُّ مِن مَغربِها.

(٤) هود: ٦٥.

(٥) في نُسخةِ قباوة: (عنِ اللهِ، وامتثالِ أمرِه).

(٦) كلمةُ: (أي) ليسَتْ في نُسخةِ قباوة.

(٧) في الأصلِ: (بما في)، والمُثبتُ مِن نُسخةِ قباوة والقاضي.

(٨) قرأ أبو عمرٍو وحمزةُ والكِسائيُّ بالخفضِ، وقرأ بقيَّةُ السَّبعةِ: ﴿وَقَوْمَ﴾؛ بالنَّصبِ.

(٩) الأيدُ هنا مَصدرُ آدَ، وليسَ بجمعِ لِيَدٍ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص:١٧]، فليسَ في الآيةِ تأويلٌ، ومِن ثَمَّ فليسَ فيها مُتمسَّكٌ لِمَن زعَمَ تناقُضَ السَّلفِ في آياتِ الصِّفاتِ تأويلًا وتركًا له.

(١٠) قال التُّستَريُّ في تفسيرِه (ص ١٥٤): «يَعني: ففِرُّوا مِمَّا سوى اللهِ إلى اللهِ، وفِرُّوا مِنَ المعصيةِ إلى الطَّاعةِ، ومِنَ الجهلِ إلى العِلمِ، ومِن عذابِه إلى رحمتِه، ومِن سَخطِه إلى رِضوانِه».

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ
٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ
بِمَلُومٖ ٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥ وَمَا خَلَقۡتُ
ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ
أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ
٥٩ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠

سُورَةُ الطُّورِ — ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ
مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ
١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤

[٥٢] ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ هُو: ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ أي: مِثْلُ تَكْذِيبِهم لَكَ - بِقَولِهم: إِنَّكَ سَاحِرٌ، أو مَجْنُونٌ- تَكْذِيبُ الأُمَمِ قَبْلَهم رُسُلَهم، بِقَولِهم ذَلِكَ.

[٥٣] ﴿أَتَوَاصَوۡاْ﴾ كُلُّهم ﴿بِهِۦ﴾؟ استِفهَامٌ بِمَعنَى النَّفي ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ جَمَعَهُم عَلى هذا القَولِ طُغْيَانُهم.

[٥٤] ﴿فَتَوَلَّ﴾: أَعْرِضْ ﴿عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾؛ لِأَنَّكَ بَلَّغْتَهم الرِّسَالَةَ.

[٥٥] ﴿وَذَكِّرۡ﴾: عِظْ بِالقُرآنِ ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ مَنْ عَلِمَ اللهُ -تَعَالَى- أَنَّه يُؤْمِنُ.

[٥٦] ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ - ولا يُنَافِي ذَلِكَ عَدَمَ عِبَادَةِ الكَافِرِينَ؛ لِأَنَّ الغَايَةَ لا يَلزَمُ وُجُودُها، كَما فِي قَولِك: بَرِيتُ هَذَا القَلَمَ لِأَكْتُبَ به، فَإِنَّكَ قَدْ لَا تَكْتُبُ به-.

[٥٧] ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ لي، ولِأَنْفُسِهِم وغَيرِهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ ولَا أَنْفُسَهم ولا غَيرَهم.

[٥٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾: الشَّدِيدُ.

[٥٩] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أَنفُسَهم بِالكُفْرِ، مِنْ أَهلِ مَكَّةَ وغَيرِهم ﴿ذَنُوبٗا﴾: نَصِيبًا مِنَ العَذَابِ ﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ﴾: نَصِيبِ ﴿أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ الهَالِكِينَ قَبلَهم ﴿فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ بِالعَذَابِ؛ إِنْ أَخَّرْتُهم إلى يومِ القِيَامَةِ.

[٦٠] ﴿فَوَيۡلٞ﴾: شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن﴾: في ﴿يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: يَومِ القِيَامَةِ.

سُورَةُ الطُّور

مَكِّيَّةٌ، تِسْعٌ وأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلطُّورِ﴾ أي: الجَبَلِ الذي كَلَّمَ اللهُ عَليه مُوسَى.

[٢] ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾.

[٣] ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ أي: التَّورَاةِ أو القُرآنِ.

[٤] ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ - هُو في السَّماءِ الثَّالِثَةِ[١]، أَوِ السَّادِسَةِ[٢]، أو السَّابِعَةِ[٣]، بِحِيَالِ الكَعْبَةِ[٤]، يَزُورُه كُلَّ يَومٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، بِالطَّوَافِ والصَّلَاةِ، لَا يَعُودُونَ إِلَيه أَبَدًا[٥]-.

[٥] ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ أي: السَّماءِ.

[٦] ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ أي: المَمْلُوءِ[٦].

[٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾: لَنَازِلٌ بِمُسْتَحِقِّهِ.

[٨] ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾ عنه.

[٩] ﴿يَوۡمَ﴾: مَعْمُولٌ لِـ«وَاقِعٌ» ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا﴾: تَتَحَرَّكُ وتَدُورُ.

[١٠] ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾: تَصِيرُ هَبَاءً مَنْثُورًا. وذَلِكَ في يومِ القِيَامَةِ.

[١١] ﴿فَوَيۡلٞ﴾: شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ لِلرُّسُلِ[٧].

[١٢] ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ﴾: بَاطِلٍ ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ أي: يَتَشَاغَلُونَ بِكُفْرِهم.

[١٣] ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: يُدْفَعُونَ بِعُنْفٍ- بَدَلٌ مِن: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ﴾[٨]- ويُقَالُ لَهم تَبْكِيتًا:

[١٤] ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

---

(١) لَمْ أَجِدْهُ، ورُوِيَ عَن أَبي هُرَيرَةَ مَرفوعًا أنه في السَّماءِ الدُّنيا، وهو مُخالِفٌ لِمَا في الصَّحِيحَينِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّه في السَّابِعَةِ، وَسَيَأْتِي.

(٢) رَوَاهُ الطبريُّ (٢١/ ٥٦٣) عَنْ عَليٍّ، قِيلَ له: مَا البَيْتُ المَعْمُورُ؟ قَالَ: «بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ يُقَالُ لَهُ: الضُّرَاحُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ فِيهِ أَبَدًا»، وعِندَه أيضا عنه بِلَفظ: «بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ الضُّرَاحُ، وَهُوَ بِحِيَالِ الكَعْبَةِ...». وقال الألبانيُّ في الصحيحة (١/ ٨٥٩): «ورِجَالُه ثِقَاتٌ غَيرُ خَالِدِ بنِ عَرعَرَةَ، وهو مَستُورٌ». وأَخرَجَ ابنُ المُنذِرِ وابنُ جريرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ-كما في الدُّرِّ المنثورِ (٦/ ١٤٤) - في قولِه: ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ قال: «أُنزِلَ مِنَ الجَنَّةِ فَكَانَ يُعمَرُ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ الغَرَقُ رَفَعَهُ اللهُ، فَهُوَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ...».

(٣) أَخرَجَ أَحمَدُ (١٢٥٥٨) عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «البَيْتُ المَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»، والحاكمُ (٣٧٤٢) وصححه، والبيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ (٣٧٠٤)، وصَحَّحَ الأرناؤوطُ إِسنادَه في تخريجِه على المُسنَدِ (٢٠/ ٢٨)، وصَحَّحَه الألبانيُّ في الصحيحةِ (٤٧٧). وهو في الصَّحِيحَينِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ كما سَيأتي.

(٤) أَخرجَ ابنُ أبي حَاتمٍ (١٨٦٧٣) عَن أَبي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «فِي السَّمَاءِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ المَعْمُورُ بِحِيَالِ الكَعْبَةِ...» الحَدِيثَ، وضَعَّفَه السُّيوطِيُّ في الدُّرِّ المنثورِ (٦/ ١٤٤). وضَعَّفَه الألبانيُّ في الضَّعيفَةِ (٧٥٤). وأخرجَ ابنُ جَرِيرٍ (٢١/ ٥٦٥) عَنْ قَتَادَةَ في قولِه: ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا البَيْتُ المَعْمُورُ» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ فِي السَّمَاءِ تَحْتَهُ الكَعْبَةُ، لَوْ خَرَّ لَخَرَّ عَلَيْهَا» الحديث. قال الألبانيُّ في الصَّحِيحَةِ (١/ ١٧٨): «وجُمْلَةُ القَولِ: أَنَّ هذه الزِّيَادَةَ: «حِيال الكعبة» ثَابِتَةٌ بِمَجمُوعِ طُرُقِها...».

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٩٦٨)، ومسلمٌ (٢٣٤) - واللفظُ له- مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ مَرفُوعًا: «... ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ...».

(٦) هذا قولُ قَتادةَ، والحَسَنِ، كما عَزاه إليه مُقَاتِلٌ (٤/ ١٤٤). واختَارَهُ ابنُ جَرِيرٍ (٢١/ ٥٩٦)، وَوَجَّهَهُ بِأَنَّهُ لَيسَ مُوقَدًا اليَومَ فَهُوَ مَمْلُوءٌ. وقَالَ ابنُ زَيْدٍ كَما عِندَ الطبريِّ (٢١/ ٥٦٨): يَعني: «المُوقَد». وروى الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٥٦٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «المَحْبُوسُ». وعنه أيضا، قَالَ: «سَجْرُهُ حِينَ يَذْهَبُ مَاؤُهُ وَيُفَجَّرُ». وقِيلَ غيرُ ذَلِكَ.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الرُّسُل).

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿تَمُورُ﴾)، بدلًا مِن: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ﴾.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟
أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا
كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

ربع الحزب ٥٢

[١٥] ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العَذَابُ الذي تَرَونَ، كما كُنتُم تَقُولُونَ في الوَحْيِ: هذا سِحْرٌ؟ ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟

[١٦] ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾. صَبْرُكُم وجَزَعُكُم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لِأَنَّ صَبْرَكُم لا يَنفَعُكُم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزَاءَهُ.

[١٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾.

[١٨] ﴿فَٰكِهِينَ﴾: مُتَلَذِّذِينَ ﴿بِمَآ﴾: مَصْدَرِيَّةٌ ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾: أَعْطَاهُم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ - عَطْفًا(١) على: ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾- أي: بِإِتيَانِهم وَوِقَايَتِهم. ويُقَالُ لهم:

[١٩] ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾: حَالٌ؛ أي: مُهَنَّئِينَ(٢) ﴿بِمَا﴾- البَاءُ سَبَبِيَّةٌ- ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ المُسْتَكِنِّ في قَولِه: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾: بَعْضُها إلى جَنْبِ بَعْضٍ ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾: عَطْفٌ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾(٣)؛ أي: قَرَنَّاهُم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: عِظَامِ الأَعْيُنِ حِسَانِها(٤).

[٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: مُبْتَدَأٌ ﴿[وَأَتْبَعْنَٰهُمْ](٥)﴾: مَعْطُوفٌ على ﴿ءَامَنُوا۟﴾، ﴿[ذُرِّيَّاتِهِمْ](٦)﴾ الصِّغَارَ والكِبَارَ ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ مِنَ الكِبَارِ، ومِنَ الآبَاءِ في الصِّغَارِ(٧). والخَبَرُ: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ [ذُرِّيَّاتِهِمْ](٨)﴾ المَذْكُورِينَ في الجَنَّةِ، فيَكُونُونَ في دَرَجَتِهم، وإِنْ لَمْ يَعمَلُوا بِعَمَلِهم؛ تَكْرِمَةً لِلآبَاءِ بِاجْتِمَاعِ الأَولَادِ إليهم ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ - بِفَتْحِ اللَّامِ وكَسْرِها(٩)-: نَقَصْنَاهُم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن﴾: زَائِدَةٌ ﴿شَىْءٍ﴾ يُزَادُ في عَمَلِ الأَوْلَادِ ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ﴾ مِنْ عَمَلِ خَيرٍ أو شَرٍّ ﴿رَهِينٌ﴾: مَرهُونٌ؛ يُؤَاخَذُ بِالشَّرِّ، ويُجَازَى بِالخَيرِ.

[٢٢] ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾: زِدْنَاهُم في وَقتٍ بَعْدَ وَقْتٍ ﴿بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وإِنْ لَمْ يُصَرِّحُوا بِطَلَبِه. [٢٣] ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: يَتَعَاطَونَ بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجَنَّةِ ﴿كَأْسًا﴾: خَمْرًا ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: بِسَبَبِ شُرْبِها يَقَعُ بينهم ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾(١٠) به يَلْحَقُهم، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنيا.

[٢٤] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ لِلخِدْمَةِ ﴿غِلْمَانٌ﴾: أَرِقَّاءُ(١١) ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حُسْنًا ولَطَافَةً ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: مَصُونٌ في الصَّدَفِ؛ لِأَنَّه فيها أَحْسَنُ منه في غَيرِها.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: يَسْأَلُ بَعْضُهم بَعْضًا عَمَّا كَانُوا عليه ومَا وَصَلُوا إليه؛ تَلَذُّذًا واعتِرَافًا بِالنِّعْمَةِ.

[٢٦] ﴿قَالُوٓا۟﴾ إِيمَاءً إلى عِلَّةِ الوُصُولِ: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا﴾ في الدُّنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِ الله.

[٢٧] ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِالمَغْفِرَةِ ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: النَّارِ؛ لِدُخُولِها في المَسَامِّ. وقَالُوا إِيمَاءً -أيضًا-: [٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدُّنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أي: نَعْبُدُه مُوَحِّدِينَ ﴿إِنَّهُۥ﴾ - بالكَسْرِ استِئنَافًا، وإِنْ كَانَ تَعْلِيلًا مَعنًى، وبالفَتحِ(١٢): تَعْلِيلًا لَفْظًا(١٣)- ﴿هُوَ ٱلْبَرُّ﴾: المُحْسِنُ الصَّادِقُ في وَعْدِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: العَظِيمُ الرَّحْمَةِ.

[٢٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾: دُمْ على تَذْكِيرِ المُشْرِكِينَ، ولا تَرْجِعْ عنه لِقَولِهم لَكَ: كَاهِنٌ مَجْنُونٌ ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: بِإِنْعَامِه عَلَيكَ ﴿بِكَاهِنٍ﴾: خَبَرُ «مَا» ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾: مَعْطُوفٌ عليه.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿يَقُولُونَ﴾: هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: حَوَادِثَ الدَّهْرِ(١٤)، فَيَهْلِكُ كَغَيرِه مِنَ الشُّعَرَاءِ؟

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ هَلَاكِي ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ هَلَاكَكُم. فَعُذِّبُوا بِالسَّيفِ يَومَ بَدْرٍ. والتَّرَبُّصُ: الانتِظَارُ.

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (عَطْفٌ).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مُتَهَنِّئِينَ).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾).

(٤) هذا المَذْكُورُ تَفسِيرُ «عِينٍ»، ومُفْرَدُها: عَينَاءُ. وأَمَّا مَعنَى «حُور» فهو اسوِدَادُ المُقْلَةِ، ولا يُقَالُ لِلمَرأَةِ حَورَاء إِلَّا لِلبَيضَاءِ مَع حورِها. ويُقَالُ: حَوِرَتِ العَيْنُ؛ أي: اشتَدَّ بَيَاضُ بَيَاضِها، وسَوَادُ سَوَادِها.

(٥) وهي قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾.

(٦) بِالجَمْعِ والنَّصْبِ، وهي قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو؛ مَفعُولٌ به لِـ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ﴾ على قِرَاءَتِه. وقَرَأَ ابنُ عَامِرٍ: ﴿ذُرِّيَّاتُهُم﴾؛ بِالجَمعِ والرَّفْعِ؛ فَاعِلٌ لِـ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾؛ بِالرَّفْعِ والإِفْرَادِ.

(٧) أي: وبِإِيمَانِ الآبَاءِ في الصِّغَارِ.

(٨) وهي قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو، وابنِ عَامِرٍ: ﴿ذُرِّيَّاتِهِم﴾؛ بِالجَمْعِ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿ذُرِّيَّتَهُم﴾؛ بِالإِفْرَادِ.

(٩) بالكَسْرِ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ.

(١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة، أَثبَتَ قِرَاءَةَ: (﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمَ﴾)؛ بِفَتحِ الوَاوِ في ﴿لَغْوَ﴾ والمِيمِ في ﴿تَأْثِيمَ﴾ بِدُونِ تَنوِينٍ، وهي قِرَاءَةُ: ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِرَفعِهما مَعَ التَّنْوِينِ.

(١١) أي: كَالأَرِقَّاءِ في الحِيَازَةِ والاستِيلَاءِ؛ مُسَخَّرِينَ لِخِدْمَتِهم.

(١٢) بالفَتحِ: قِرَاءَةُ نَافعٍ والكِسَائِيِّ.

(١٣) أي: «لِأَنَّه»، عَلَى تَقدِيرِ كَونِ اللَّامِ مَلفُوظًا بها؛ أي: لِأَنَّه هُو البَرُّ الرَّحِيمُ.

(١٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (حَوادثَ الدَّهرِ فيه).

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ
أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ — ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾: عُقُولُهم ﴿بِهَٰذَآ﴾: قَولِهم له: سَاحِرٌ[١]، شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، مَجْنُونٌ؟ أَي: لَا تَأْمُرُهُم بِذَلِكَ ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بِعِنَادِهم.

[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾: اخْتَلَقَ القُرآنَ؟ لَمْ يَخْتَلِقْهُ ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ اسْتِكْبَارًا. فَإِنْ قَالُوا: اخْتَلَقَهُ: [٣٤] ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ﴾ مُخْتَلَقٍ ﴿مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في قَولِهِم.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أي: خَالِقٍ؟ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أَنْفُسَهُم، ولا يُعْقَلُ مَخْلُوقٌ بِغَيرِ خَالِقٍ، ولَا مَعْدُومٌ يَخْلُقُ؟ فَلَا بُدَّ لَهُم مِنْ خَالِقٍ، هُو اللهُ الوَاحِدُ. فَلِمَ لَا يُوَحِّدُونَه ويُؤْمِنُونَ بِرَسُولِه وكِتَابِه؟

[٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ولَا يَقْدِرُ عَلى خَلْقِهِما إِلَّا اللهُ الخَالِقُ؟ فَلِمَ لا يَعْبُدُونَه؟ ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ بِه. وإِلَّا لَآمَنُوا بِنَبِيِّه.

[٣٧] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ مِنَ النُّبُوَّةِ والرِّزْقِ وغَيرِهِما، فَيَخُصُّوا مَنْ شَاؤُوا بِمَا شَاؤُوا؟ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: المُتَسَلِّطُونَ الجَبَّارُونَ؟ وفِعْلُه: سَيْطَرَ. ومِثْلُه: بَيْطَرَ وبَيْقَرَ[٢].

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: مَرْقًى إِلى السَّمَاءِ ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عَليه؛ كَلَامَ المَلَائِكَةِ، حَتَّى يُمْكِنَهم مُنَازَعَةُ النَّبِيِّ، بِزَعْمِهم، إِنِ ادَّعَوا ذَلِكَ؟ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾: مُدَّعِي الاسْتِمَاعِ، عليه ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ وَاضِحَةٍ. ولِشَبَهِ هَذَا الزَّعْمِ بِزَعْمِهم أَنَّ المَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ؛ قَالَ تَعَالَى:

[٣٩] ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ بِزَعْمِكُم ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾؟ تَعَالَى اللهُ عَمَّا زَعَمُوه!

[٤٠] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ عَلى مَا جِئْتَهُم به مِنَ الدِّينِ ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: غُرْمِ ذَلِكَ ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يُسْلِمُونَ؟

[٤١] ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: عِلْمُه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْكِنَهم مُنَازَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ في البَعْثِ وأُمُورِ الآخِرَةِ، بِزَعْمِهم؟

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بِكَ، لِيُهْلِكُوكَ في دَارِ النَّدْوَةِ؟ ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾: المَغْلُوبُونَ المُهلَكُونَ. فَحَفِظَه اللهُ منهم، ثُمَّ أَهْلَكَهُم بِبَدْرٍ.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِنَ الآلِهَةِ! والاستِفهَامُ بِـ﴿أَمْ﴾ في مَوَاضِعِها لِلتَّقْبِيحِ والتَّوبِيخِ.

[٤٤] ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾: بَعْضًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ عَليهم، كَمَا قَالُوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[٣]؛ أي: تَعْذِيبًا لَهُم ﴿يَقُولُوا۟﴾: هَذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: مُتَرَاكِبٌ نَرْتَوِي به، ولَا يُؤْمِنُوا.

[٤٥] ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: يَمُوتُونَ.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمَهُمُ﴾ ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمْنَعُونَ مِنَ العَذَابِ في الآخِرَةِ.

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بِكُفْرِهِم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ في الدُّنيا، قَبْلَ مَوتِهم، فَعُذِّبُوا بِالجُوعِ والقَحْطِ سَبْعَ سِنِينَ[٤]، وبِالقَتْلِ يومَ بَدْرٍ[٥] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ العَذَابَ يَنْزِلُ بِهِم.

[٤٨] ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بِإِمْهَالِهِم، ولَا يَضِقْ صَدْرُكَ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بِمَرأًى مِنَّا، نَرَاكَ ونَحْفَظُكَ[٦] ﴿وَسَبِّحْ﴾ مُلْتَبِسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِه ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ مِن مَنَامِكَ، أو مِنْ مَجْلِسِكَ.

[٤٩] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حَقِيقَةً أيضًا ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: مَصْدَرٌ؛ أي: عَقِبَ غُرُوبِها سَبِّحْهُ أيضًا، أو: صَلِّ في الأَوَّلِ: العِشَاءَينِ، وفي الثَّاني: الفَجْرَ[٧]، وقِيلَ: الصُّبْحَ[٨].

---

(١) كَلِمَةُ: (سَاحِرٌ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) أي: في الوَزْنِ «مُفَيْعِل»، ولَمْ يَأْتِ عَلى هَذا الوَزْنِ إِلَّا خَمْسَةُ أَفعَالٍ. وبَيْطَرَ: عَالَجَ الدَّوَابَّ. ومُبَيْقِر، مِنْ: بَيْقَرَ؛ أي: فَسَدَ وهَلَكَ، ومَشَى مِشْيَةَ المُتَكَبِّرِ.

(٣) الشُّعَرَاء: ١٨٧. و﴿كِسَفًا﴾ في آيَةِ الطُّورِ؛ هي بِسُكُونِ السِّينِ، بِاتِّفَاقِ القُرَّاءِ.

(٤) قَالَه الضَّحَّاكُ، كَمَا نَقَلَه عنه البغويُّ (٧/ ٣٩٤)؛ قال: هُوَ الجُوعُ، وَالقَحْطُ سَبْعَ سِنِينَ. ورَوَى البُخَارِيُّ (٤٨٠٩)، وفي غَيرِه مِنَ المَوَاضِعِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا قُرَيْشًا إِلَى الإِسْلَامِ، فَأَبْطَئُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ» فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ فَحَصَتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا المَيْتَةَ وَالجُلُودَ...

(٥) قاله ابنُ عبَّاسٍ، كما نقلَه عنه البغويُّ (٧/ ٣٩٤)؛ قال: يَعْنِي القَتْلَ يَوْمَ بَدْرٍ.

(٦) وفي الآيةِ إِثْبَاتُ صِفَةِ العَيْنِ له -سُبْحَانَهُ- على الوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِه، وجَمْعُها في بَعْضِ النُّصُوصِ، وأَمَّا إِفرَادُها في بَعْضِ النُّصُوصِ، وجَمْعُها في البَعْضِ الآخَرِ؛ فَهَذا مِمَّا تَسَعُه لُغَةُ العَرَبِ؛ حَيثُ يُعَبَّرُ فيها عَنِ الاثنَينِ بِلَفْظِ الجَمْعِ، ويَقُومُ فيها الوَاحِدُ مَقامَ الاثنينِ، فَلا حُجَّةَ لِي ذَلِكَ عَلى نَفْيِها.

(٧) أي: سُنَّةَ الفَجْرِ. روى عبدُ الرَّزَّاقِ (٢٩٦٨) عنِ الحسنِ بْنِ عَلِيٍّ: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾؛ قَالَ: «رَكْعَتَانِ قَبْلَ الصُّبْحِ». وَرَوَى الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٦٠٩) عَنْ عَلِيٍّ؛ قَالَ: «الرَّكْعَتَانِ قَبْلَ الفَجْرِ».

(٨) أي: الفَرِيضَة. روى الطَّبَرِيُّ (٢١/ ٦٠٩) عنِ ابْنِ زَيْدٍ؛ قال: «صلاةُ الصُّبْحِ». وقال: «وأَوْلَى القَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنَى بِهَا: الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ؛ صَلَاةَ الفَجْرِ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ
الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ
الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ
وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

نصف الحزب ٥٣

سُورَةُ النَّجْمِ

مَكِّيَّةٌ، ثِنتَانِ وسِتُّونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾: الثُّرَيَّا ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: غَابَ. [٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ طَرِيقِ الهِدَايَةِ ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: مَا لَابَسَ الغَيَّ- وهو جَهْلٌ مِنِ اعتِقَادٍ فَاسِدٍ-. [٣] ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بِما يَأْتِيكُم بِهِ ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾: هَوَى نَفسِه. [٤] ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إليه. [٥] ﴿عَلَّمَهُ﴾ إِيَّاه مَلَكٌ ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. [٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: قُوَّةٍ وشِدَّةٍ، أو مَنْظَرٍ حَسَنٍ؛ أي: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: استَقَرَّ. [٧] ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾: أُفُقِ الشَّمْسِ؛ أي: عِندَ مَطْلَعِها، عَلى صُورَتِه التي خُلِقَ عليها، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ وكَانَ بِـ«حِرَاءٍ»، قَدْ سَدَّ الأُفُقَ إِلى المَغْرِبِ، فخَرَّ مَغْشِيًّا عليه[1]، وكَانَ قَدْ سَأَلَه أَنْ يُرِيَه نَفْسَه على صُورَتِه التي خُلِقَ عَليها، فَوَاعَدَه بِـ«حِرَاءٍ»، فنَزَلَ جِبرِيلُ لَه فِي صُورَةِ الآدَمِيِّينَ[2]. [٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: قَرُبَ منه ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: زَادَ في القُرْبِ.

[٩] ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ﴾: قَدْرَ ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى أَفَاقَ وسَكَنَ رُوعُهُ. [١٠] ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ تَعَالَى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ جِبْرِيلَ ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ جِبْرِيلُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ- ولَمْ يَذْكُرِ المُوحَى تَفْخِيمًا لِشَأْنِه-. [١١] ﴿مَا كَذَبَ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ[3]-: أَنكَرَ ﴿الْفُؤَادُ﴾: فُؤَادُ النَّبِيِّ ﴿مَا رَأَىٰ﴾ بِبَصَرِه مِنْ صُورَةِ جِبرِيلَ. [١٢] ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾: تُجَادِلُونَه وتَغْلِبُونَه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾؟ خِطَابٌ لِلمُشْرِكِينَ المُنْكِرِينَ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ ﷺ لِجبرِيلَ. [١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على صُورَتِه ﴿نَزْلَةً﴾: مَرَّةً ﴿أُخْرَىٰ﴾. [١٤] ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ لَمَّا أُسْرِيَ به في السَّمَاوَاتِ، وهِي شَجَرَةُ نَبْقٍ[4] عَنْ يَمِينِ العَرْشِ، لا يَتَجَاوَزُها أَحَدٌ مِنَ المَلَائِكَةِ وغَيرِهِم[5]. [١٥] ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ تَأْوِي إِليها المَلَائِكَةُ، وأَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ والمُتَّقِينَ[6]. [١٦] ﴿إِذْ﴾: حِينَ ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ مِنْ طَيرٍ وغَيرِه، و﴿إِذْ﴾ مَعْمُولَةٌ لِـ﴿رَآهُ﴾. [١٧] ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: مَا مَالَ بَصَرُه عَنْ مَرئِيِّه المَقْصُودِ له، ولَا جَاوَزَه تِلكَ اللَّيلَةَ. [١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ أَي: العِظَامِ؛ أي: بَعضَها؛ فرَأى مِنْ عَجَائِبِ المَلَكُوتِ رَفْرَفًا أَخْضَرَ، سَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ[7]، وجِبرِيلَ له سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ[8]. [١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾. [٢٠] ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ﴾ لِلَّتَيْنِ قَبْلَها ﴿الْأُخْرَىٰ﴾: صِفَةُ ذَمٍّ لِلثَّالِثَةِ؟ وهِي أَصْنَامٌ مِنْ حِجَارَةٍ، كَانَ المُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَها، ويَزْعُمُونَ أَنَّها تَشْفَعُ لَهم عِندَ اللهِ. ومَفْعُولُ «أَرَأَيتَ» الأَوَّلُ: ﴿اللَّاتَ﴾ ومَا عُطِفَ عليه، والثَّانِي: مَحْذُوفٌ. والمَعنَى: أَخبِرُونِي، أَلِهَذِهِ الأَصْنَامِ قُدْرَةٌ على شَيءٍ مَا، فتَعْبُدُونَها دُونَ اللهِ القَادِرِ عَلى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُه؟ ولَمَّا زَعَمُوا -أيضًا- أَنَّ المَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ مَعَ كَرَاهَتِهِم البَنَاتِ؛ نَزَلَتْ[9]: [٢١] ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾؟ [٢٢] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾: جَائِرَةٌ، مِنْ: ضَازَه يَضِيزُه: إِذَا ظَلَمَه[10] وجَارَ عليه. [٢٣] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أَي: مَا المَذْكُورَاتُ ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أَي: سَمَّيتُم بِها ﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ أَصْنَامًا تَعْبُدُونَها ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أَي: بِعِبَادَتِها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾: حُجَّةٍ وبُرهَانٍ ﴿إِن﴾: مَا ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عِبَادَتِها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ مِمَّا زَيَّنَ[11] لَهُمُ الشَّيطَانُ، مِنْ أَنَّها تَشْفَعُ لَهم عِندَ اللهِ -تَعَالَى- ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ عَلى لِسَانِ النَّبِيِّ ﷺ بِالبُرهَانِ القَاطِعِ، فَلَمْ يَرجِعُوا عَمَّا هُم عليه.

[٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أَي: لِكُلِّ إِنسَانٍ مِنهُم ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ مِنْ أَنَّ الأَصْنَامَ تَشْفَعُ لَهم؟ لَيسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ. [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ أَي: الدُّنيا، فلَا يَقَعُ فِيهِما إِلَّا مَا يُرِيدُه -تَعَالَى-.

[٢٦] ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ أَي: وكَثِيرٌ مِنَ المَلَائِكَةِ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ ومَا أَكْرَمَهُم عِندَ اللهِ! ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لَهم فِيها ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ مِنْ عِبَادِه ﴿وَيَرْضَىٰ﴾ عَنه؛ لِقَولِه[12]: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[13]. ومَعْلُومٌ أَنَّها لَا تُوجَدُ مِنهُم إِلَّا بَعْدَ الإِذْنِ فيها: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾؟[14].

---

(١) هَذِه المَرَّةُ الأُولَى التي رَأَى ﷺ جِبرِيلَ عَلى صُورَتِه التي خَلَقَه اللهُ عليها، والمَرَّةُ الثَّانِيَةُ في قَولِه: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ كَما عِندَ مُسْلِمٍ (١٧٧) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ مَرفُوعًا، وفيه: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ». وأَمَّا قَولُه: «فخَرَّ مَغْشِيًّا عليه» فلَم أَقِفْ عليه، لَكِن ذَكَرَه بِنَحوِه الزَّيلَعِيُّ في تَخرِيجِ أَحَادِيثِ الكَشَّافِ (٣/ ١٤٦)، وعَزَاه لابْنِ المُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ، وقَالَ: وَهُوَ مُرْسَلٌ جَيِّدٌ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فنَزَلَ جِبرِيلُ -عليه السَّلَامُ-). ولَم نَجِدْه بِهَذا اللَّفظِ. وثَبَتَ أَنه كَانَ يَأْتِي فِي صُورَةِ دِحيَةَ الكَلْبِيِّ؛ البُخَارِيُّ (٣٦٣٣)، وغَيرُه. وأَخرَجَ أَحمَدُ (٢٩٦٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ جِبرِيلَ أَنْ يَرَاهُ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: ادْعُ رَبَّكَ. قَالَ: فَدَعَا رَبَّهُ، قَالَ: فَطَلَعَ عَلَيْهِ سَوَادٌ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَرْتَفِعُ وَيَنْتَشِرُ، قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ، صَعِقَ، فَأَتَاهُ فَنَعَشَهُ، وَمَسَحَ البُزَاقَ عَنْ شِدْقِهِ». وأَخرَجَه الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ (١١/ ٥٧)، والهَيثَمِيُّ فِي المَجمَعِ (٨/ ٢٥٧)، وقَالَ: رَوَاه أَحمَدُ والطَّبَرَانِيُّ، ورِجَالُهما ثِقَاتٌ. وقَالَ أَحمَد شَاكِر (٤/ ٣٤٨): إِسنَادُه صَحِيحٌ، وضَعَّفَ الأَرنَاؤوطُ إِسنَادَه في تَخرِيجِه عَلى المُسنَدِ. (٣) بِالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ هِشَامٍ. (٤) كَما عِندَ البُخَارِيِّ (٣٨٨٧) مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فِي حَدِيثِ المِعرَاجِ، مَرفُوعًا، وفيه: «ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ...». (٥) كَما عِندَ مُسْلِمٍ (١٧٣) عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ، قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا». (٦) كَذَا فِي الأَصْلِ؛ ويَكُونُ المَعنَى: (أَو أَروَاحِ المُتَّقِينَ)، وفيه نَظَرٌ؛ إِذْ أَروَاحُ المُؤمِنِينَ مُطلَقًا تَأْوِي إِلى الجَنَّةِ؛ أَي: تَنتَهِي إِليها وتَسْكُنُها. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي: (أَو: أَروَاحُ الشُّهَدَاءِ، أَو: المُتَّقُونَ). (٧) كَما فِي الصَّحِيحَينِ مِنْ حَدِيثِ عَبدِاللهِ بنِ مَسعُودٍ؛ البُخَارِيُّ (٣٢٣٣)، ومُسلِمٌ (١٧٤). والرَّفْرَفُ: كِسَاءٌ، أَو ثَوبٌ رَقِيقٌ. (٨) البُخَارِيُّ (٣٢٣٢)، ومُسلِمٌ (١٧٤) مِنْ حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ. (٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (نَزَلَ).

(١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ضَامَه). (١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (زَيَّنَه). (١٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (كَقَولِه). (١٣) الأَنبِيَاء: ٢٨. (١٤) البَقَرَة: ٢٥٥.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ
﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ
﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

[٢٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ حيثُ قَالُوا: «هُم بَنَاتُ اللهِ».

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾: بِهَذَا المَقُولِ ﴿مِنْ عِلْمٍ إِن﴾: مَا ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الذي تَخَيَّلُوه ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي: عَنِ العِلْمِ، فِيما المَطلُوبُ فيه العِلْمُ!

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أَيِ: القُرآنِ ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهَذَا قَبلَ الأَمْرِ بِالجِهَادِ.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: طَلَبُ الدُّنيا ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: نِهَايَةُ عِلمِهم؛ أَنْ آثَرُوا الدُّنيا على الآخِرَةِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: عَالِمٌ بهما، فيُجازِيهما.

[٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: هُو مَالِكٌ لِذَلِكَ، ومنه الضَّالُّ والمُهتَدِي، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ مِنَ الشِّرْكِ وغَيرِه[١] ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بِالتَّوحِيدِ وغَيرِه مِنَ الطَّاعَاتِ ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ أَيِ: الجَنَّةِ. وبَيَّنَ المُحْسِنِينَ بِقَولِه:

[٣٢] ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ هو صِغَارُ الذُّنُوبِ، كَالنَّظرَةِ والقُبْلَةِ واللَّمسَةِ. فهو استِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ. والمَعنَى: لَكِنَّ اللمَمَ يُغفَرُ بِاجتِنَابِ الكَبَائِرِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بِذَلِكَ، وبِقَبُولِ التَّوبَةِ. ونَزَلَ فِيمَنْ كَانَ يَقُولُ: «صَلاتُنا صِيامُنا حَجُّنا»[٢]: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أَي: عَالِمٌ ﴿بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خَلَقَ أَبَاكُم آدمَ مِنَ التُّرَابِ ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾: جَمْعُ جَنِينٍ ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: لا تَمدَحُوها؛ أَي: عَلى سَبِيلِ الإِعْجَابِ. أَمَّا عَلى سَبِيلِ الاعتِرَافِ بِالنِّعْمَةِ فَحَسَنٌ ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عَالِمٌ ﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

[٣٣] ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ عَنِ الإِيمَانِ، أَيِ: ارتَدَّ لَمَّا عُيِّرَ به، وقَالَ: إِنِّي خَشِيتُ عِقَابَ اللهِ. فَضَمِنَ له المُعَيِّرُ له أَنْ يَحمِلَ عنه عَذَابَ اللهِ، إِنْ رَجَعَ إِلى شِرْكِه، وأَعْطَاهُ مِنْ مَالِه كَذا، فرَجَعَ[٣].

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ مِنَ المَالِ المُسَمَّى ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: مَنَعَ البَاقِي؟ مَأْخُوذٌ مِنَ الكُدْيَةِ- وهي أَرْضٌ صُلْبَةٌ كَالصَّخْرَةِ، تَمنَعُ حَافِرَ البِئْرِ إِذَا وَصَلَ إِليها مِنَ الحَفْرِ-.

[٣٥] ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾: يَعلَمُ مِنْ جُملَتِه أَنَّ غَيرَه يَتَحَمَّلُ عنه عَذَابَ الآخِرَةِ؟ لا. وهو الوَلِيدُ بنُ المُغِيرَةِ، أو غَيرُه[٤]. وجُملَةُ: ﴿أَعِندَهُۥ﴾: المَفعُولُ الثَّانِي لِـ«أَرَأَيتَ»؛ بِمَعنَى: أَخبِرْنِي.

[٣٦] ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾: أَسْفَارِ التَّورَاةِ، أو صُحُفٍ قَبْلَها.

[٣٧] ﴿وَ﴾ صُحُفِ ﴿إِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾: تَمَّمَ مَا أُمِرَ به- نَحو: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[٥]- وبَيَانُ «مَا»:

[٣٨] ﴿أَ﴾نْ ﴿لَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إِلَخ، و«أَنْ» مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ؛ أي: أَنَّه لا تَحمِلُ نَفسٌ ذَنْبَ غَيرِها.

[٣٩] ﴿وَأَن﴾ أي: أَنَّه ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ مِنْ خَيرٍ، فلَيسَ له مِنْ سَعْيِ غَيرِه الخَيرِ شَيءٌ.

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي: يُبْصَرُ في الآخِرَةِ.

[٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾: الأَكمَلَ؟ يُقَالُ: جَزَيتُه سَعْيَه، وبِسَعْيِه.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ﴾ - بِالفَتحِ: عَطْفًا. وقُرِئَ[٦] بِالكَسْرِ: استِئْنَافًا. وكَذَا مَا بَعدَها. فلا يَكُونُ مَضمُونُ الجُمَلِ في الصُّحُفِ، على الثَّانِي[٧]- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: المَرجِعُ والمَصِيرُ بَعْدَ المَوتِ، فيُجَازِيهم.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾: مَنْ شَاءَ أَفْرَحَه ﴿وَأَبْكَىٰ﴾: مَنْ شَاءَ أَحْزَنَه.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ لِلبَعْثِ.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أو غيره).

(٢) أي: يَقُولُونَ ذَلِكَ، على سَبِيلِ الإعجَابِ والإِدْلَالِ بِعَمَلِهم. ولَم نَقِفْ عليه مُسنَدًا. وهو في تَفسِيرِ البَغَوِيِّ (٧/ ٤١٣): «قَالَ الكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: كَانَ النَّاسُ يَعْمَلُونَ أَعْمَالًا حَسَنَةً، ثُمَّ يَقُولُونَ: صَلَاتُنَا وَصِيَامُنَا وَحَجُّنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ...».

(٣) رُوِيَ ذَلِكَ عَن زَيدِ بنِ أَسلَمَ، كما عِندَ الطبريِّ في جامع البيان (٢٢/ ٧٢)، وهو ضَعِيفٌ جِدًّا، كما في الاستيعاب (٣/ ٢٩٩).

(٤) روى الطَّبَرِيُّ (٢٢/ ٧٢) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ: أَعْطَى قَلِيلًا ثُمَّ أَكْدَى». وذكر ابنُ الجوزيِّ في زاد المسير (٤/ ١٩١) فيها أَربعَةَ أَقوَالٍ؛ الأَوَّلُ: أَنَّه الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ. والثاني: أَنَّه النَّضرُ بنُ الحارِث. والثالث: أَنَّه أبو جَهلٍ. والرَّابع: أَنَّه العَاصِ بنُ وائلٍ السَّهمِيُّ.

(٥) البقرة: ١٢٤.

(٦) أي: شُذوذًا.

(٧) أي: قِراءةِ الكسْرِ؛ لأنّه ابتداءُ كلامٍ، فيكونُ ما في الصُّحُفِ قد تَمَّ بيانُه عِندَ قولِه: ﴿الجزاءَ الأوفى﴾. حاشيةُ الجَمَلِ (٤/ ٢٣٧).

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ
﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ
هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ
أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ
﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ
﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ
تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ
﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ۩ ﴿٦٢﴾

سجدة

سُورَةُ القَمَرِ

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ
سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣﴾
وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ
ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾: الصِّنفَينِ ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾. [٤٦] ﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿إِذَا تُمۡنَىٰ﴾: تُصَبُّ في الرَّحِمِ. [٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ [ٱلنَّشَآءَةَ]﴾ - بِالمَدِّ والقَصْرِ[1]- ﴿ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾: الخَلْقَةَ الأُخْرَى[2] لِلبَعْثِ، بَعدَ الخَلقَةِ الأُولَى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ﴾ النَّاسَ، بالكِفَايَةِ بالأَمْوَالِ ﴿وَأَقۡنَىٰ﴾: أَعطَى المَالَ المُتَّخَذَ قُنيَةً. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ هو: كَوكَبٌ خَلْفَ الجَوزَاءِ، كَانَتْ تُعبَدُ في الجَاهِلِيَّةِ[3]. [٥٠] ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ[4] بِإِدْغَامِ التَّنوِينِ في اللَّامِ وضَمِّها بِلا هَمْزٍ- هِيَ قَومُ هُودٍ، والأُخرَى قَومُ صَالِحٍ. [٥١] ﴿[وَثَمُودَا]﴾ - بِالصَّرْفِ: اسمٌ لِلأَبِ، وبِلَا صَرْفٍ[5]: لِلقَبِيلَةِ[6]، وهو مَعْطُوفٌ عَلى ﴿عَادًا﴾- ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ مِنهُم أَحَدًا. [٥٢] ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ﴾ أي: قَبلِ عَادٍ وثَمُودٍ، أَهْلَكنَاهُم ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ مِنْ عَادٍ وثَمُودٍ؛ لِطُولِ لَبْثِ نُوحٍ فيهم: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾[7] وهُم - مَعَ عَدَمِ إِيمَانِهِم به- يُؤذُونَه ويَضرِبُونَه. [٥٣] ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾ وهِيَ: قُرَى قَومِ لُوطٍ ﴿أَهۡوَىٰ﴾: أَسْقَطَها، بَعْدَ رَفعِها إلى السَّمَاءِ، مَقلُوبَةً إلى الأَرضِ، بِأَمْرِه جِبرِيلَ بِذَلِكَ. [٥٤] ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ مِنَ الحِجَارَةِ بَعدَ ذَلِكَ ﴿مَا غَشَّىٰ﴾؟ أُبهِمَ تَهوِيلًا. وفي «هُودٍ»: ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾[8]. [٥٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾: أَنْعُمِه الدَّالَّةِ عَلى وَحدَانِيَّتِه وقُدرَتِه ﴿تَتَمَارَىٰ﴾: تَتَشَكَّكُ - أيُّها الإِنسَانُ- أو تُكَذِّبُ؟ [٥٦] ﴿هَٰذَا﴾ مُحَمَّدٌ ﴿نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ﴾: مِنْ جِنسِهِم؛ أي: رَسُولٌ كَالرُّسُلِ قَبلَه، أُرسِلَ إِلَيكُم، كَمَا أُرسِلُوا إلى أَقوَامِهِم. [٥٧] ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ﴾: قَرُبَتِ القِيَامَةُ. [٥٨] ﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نَفْسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أي: لَا يَكْشِفُها ويُظْهِرُها إِلَّا هُو؛ كَقَولِه[9]: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾[10]. [٥٩] ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿تَعۡجَبُونَ﴾ تَكْذِيبًا. [٦٠] ﴿وَتَضۡحَكُونَ﴾ استِهزَاءً ﴿وَلَا تَبۡكُونَ﴾ لِسَمَاعِ وَعْدِه ووَعِيدِه. [٦١] ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾: لَاهُونَ غَافِلُونَ عَمَّا يُطلَبُ مِنكُم؟ [٦٢] ﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾[11] الذي خَلَقَكُم ﴿وَٱعۡبُدُواْ۩﴾ ولا تَسْجُدُوا لِلأَصْنَامِ ولَا تَعبُدُوهَا.

سُورَةُ القَمَرِ

مَكِّيَّةٌ، إِلَّا: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾ الآيَةَ. وهِيَ: خَمْسٌ وخَمْسُونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: قَرُبَتِ القِيَامَةُ ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾: انفَلَقَ فِلقَتَينِ، على أَبِي قُبَيسٍ وقُعَيقِعَانَ، آيَةً له ﷺ، وقدْ سُئِلَها فَقَالَ: «اشْهَدُوا» رَوَاهُ الشَّيخَانِ[12]. [٢] ﴿وَإِن يَرَوۡاْ﴾ أي[13]: كُفَّارُ قُرَيشٍ ﴿ءَايَةٗ﴾: مُعْجِزَةً له ﷺ؛ [كانشِقَاقِ القَمرِ][14] ﴿يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ﴾: هذا ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾: قَوِيٌّ، مِنَ المِرَّةِ: القُوَّةِ، أو دَائِمٌ[*]. [٣] ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ النَّبِيَّ ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ في البَاطِلِ ﴿وَكُلُّ أَمۡرٖ﴾ مِنَ الخَيرِ والشَّرِّ ﴿مُّسۡتَقِرّٞ﴾ بِأَهلِه، في الجَنَّةِ أو النَّارِ. [٤] ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ﴾: أَخبَارِ إِهْلَاكِ[15] الأُمَمِ المُكَذِّبَةِ رُسُلَهم ﴿مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ﴾ لهم. اسمُ مَصْدَرٍ، أو اسمُ مَكَانٍ، والدَّالُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الافتِعَالِ- وازْدَجَرْتُه وزَجَرْتُه: نَهَيتُه بِغِلْظَةٍ. و﴿مَا﴾: مَوصُولَةٌ أو مَوصُوفَةٌ- [٥] ﴿حِكۡمَةُۢ﴾: خَبَرُ مُبتَدَإٍ مَحذُوفٍ، أو بَدَلٌ مِنْ ﴿مَا﴾، أو مِنْ ﴿مُزۡدَجَرٌ﴾ ﴿بَٰلِغَةٞۖ﴾: تَامَّةٌ ﴿فَمَا تُغۡنِ﴾[16]: تَنفَعُ فيهم ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: جَمعُ نَذِيرٍ، بِمَعنَى: مُنْذِرٍ؛ أي: الأُمُورُ المُنذِرَةُ لَهُم. و«مَا»: لِلنَّفيِ، أو لِلاستِفهَامِ الإِنكَارِيِّ. وهِيَ عَلى الثَّانِي: مَفعُولٌ مُقدَّمٌ. [٦] ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ﴾ هُو فَائِدَةُ مَا قَبلَه، وتَمَّ به[17] الكَلَامُ. ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ هُو إِسْرَافِيلُ. ونَاصِبُ ﴿يَوۡمَ﴾: ﴿يَخۡرُجُونَ﴾ بَعدُ ﴿إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ - بِضَمِّ الكَافِ وسُكُونِها[18]- أي: مُنكَرٍ تُنكِرُهُ النُّفُوسُ لِشِدَّتِه، وهُو الحِسَابُ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَتَينِ (١، ٢): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَنسِ بنِ مَالِكٍ قالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً، فَانشَقَّ القَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَينِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ إلى قَولِهِ: ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾. يَقُولُ: ذَاهِبٌ. التِّرمِذِيُّ - تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٥٤). (صحيحٌ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٢٠)، وهو في الصَّحِيحَينِ مُختَصَرًا.

---

(١) بالمَدِّ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالقَصْرِ: ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾. (٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الآخِرَة).
(٣) عَلَّقَه البُخَارِيُّ بِصِيغَةِ الجَزمِ عَن مُجَاهِدٍ في صَحِيحِه (٦/ ١٤٠)؛ قَالَ: «هُوَ مِرزَمُ الجَوْزَاءِ»، ووَصَلَه الطبريُّ (٢٢/ ٨٦) بِسَنَدٍ حَسَنٍ إليه. ورَوَى أيضًا (٢٢/ ٨٦) عَنْ قَتَادَةَ، قَولَهُ: «كَانَ حَيٌّ مِنَ العَرَبِ يَعْبُدُونَ الشِّعْرَى، هَذَا النَّجمَ الَّذِي رَأَيتُم». قَالَ بِشْرٌ: قَالَ: يُرِيدُ النَّجمَ الَّذِي يَتْبَعُ الجَوْزَاءَ. قال الحافظُ في الفَتْحِ (٨/ ٦٠٥): «وَقَالَ ابنُ التِّينِ: المِرزَمُ: بِكَسْرِ المِيمِ، وَسُكُونِ الرَّاءِ، وَفَتحِ الزَّايِ: نَجْمٌ يُقَابِلُ الشِّعْرَى، مِنْ جِهَةِ القِبْلَةِ، لَا يُفَارِقُهَا، وَهُوَ الهَنْعَةُ». (٤) لأبي عَمرٍو ووَرشٍ، وقَرَأَ قالونُ كذلِكَ، لكنَّه يَأتِي بِهَمزَةٍ سَاكِنَةٍ بَعدَ اللَّامِ. (٥) بِالتَّنوِينِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حَمزَةَ وعاصمٍ، فقرَآ: ﴿وَثَمُودَاْ﴾. (٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (اسمٌ لِلقَبِيلَةِ). (٧) العنكبوت: ١٤. (٨) هود: ٨٢. (٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (كَقَولِه تَعَالَى). (١٠) الأعراف: ١٨٧.
(١١) هذه أَوَّلُ آيَةِ سَجدَةٍ نَزَلت، كَمَا عِندَ البُخَارِيِّ (١٠٧١) مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: «سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّجمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ وَالمُشرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنسُ».
(١٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٨٦٤)، ومسلمٌ (٢٨٠٠) عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: انشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرقَتَينِ، فِرقَةً فَوقَ الجَبَلِ، وَفِرقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْهَدُوا». وأخرجَ عبدُ الرزاقِ (٣٠٥٩)، والحاكمُ (٣٧٥٧) وصَحَّحه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «رَأَيْتُ القَمَرَ مُنشَقًّا بِشِقَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ بِمَكَّةَ قَبلَ مَخرَجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ شِقَّةً عَلَى أَبِي قُبَيسٍ، وَشِقَّةً عَلَى السُّوَيدَاءِ».
(١٣) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة. (١٤) عِبَارَةُ: (كانشِقَاقِ القَمرِ) لَيسَتْ في الأَصلِ، وأَثبَتنَاهَا مِنْ قَبَاوَة والقَاضِي. (١٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (هَلَاكِ). (١٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿تُغۡنِي﴾)؛ بِإِثبَاتِ اليَاءِ، وهِيَ قِرَاءَةٌ عَشْرِيَّةٌ لِيَعقُوبَ؛ حيثُ يُثبِتُ اليَاءَ الزَّائِدَةَ وَقفًا، وقَرَأَ بَقِيَّةُ الرُّوَاةِ بِحَذفِهَا في الحَالَينِ. (١٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وبه تمَّ). (١٨) بالسُّكُونِ: قِرَاءَةُ ابنِ كثيرٍ.

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾
كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ
﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

[٧] ﴿[خَٰشِعًا]﴾ أي: ذَلِيلًا، وفي قِراءَةٍ(١): ﴿خُشَّعًا﴾ بِضَمِّ الخَاءِ وفَتْحِ الشِّينِ مُشَدَّدَةً ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾: حَالٌ مِنْ فَاعِلِ ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي: النَّاسُ ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القُبُورِ ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ لا يَدْرُونَ أينَ يَذْهَبُونَ، مِنَ الخَوفِ والحَيْرَةِ؟ والجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ ﴿يَخْرُجُونَ﴾، وكَذَا قَولُه: [٨] ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي: مُسرِعِينَ مَادِّينَ أَعْنَاقَهم(٢) ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ مِنهم: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: صَعْبٌ على الكَافِرِينَ؛ كَما في «المُدَّثِّر»: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣).

[٩] ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قَبْلَ(٤) قُرَيشٍ ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ -تَأْنِيثُ الفِعْلِ لِمَعنَى ﴿قَوْمُ﴾- ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نُوحًا ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ أي: انتَهَرُوه بِالسَّبِّ وغَيرِه. [١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ بالفَتْحِ(٥)؛ أي: بِأَنِّي ﴿مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾. [١١] ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ -بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(٦)- ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: مُنْصَبٌّ انصِبَابًا شَدِيدًا. [١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تَنبُعُ ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾: مَاءُ السَّماءِ والأَرضِ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾: حَالٍ ﴿قَدْ قُدِرَ﴾: قُضِيَ به في الأَزَلِ- وهو: هَلَاكُهُم غَرَقًا-. [١٣] ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أَي: نُوحًا ﴿عَلَىٰ﴾ سَفِينَةٍ ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ وهُو(٧) ما تُشَدُّ به الأَلوَاحُ مِنَ المَسَامِيرِ وغَيرِها، وَاحِدُها: دِسَارٌ؛ كَكِتَابٍ. [١٤] ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾: بِمَرْأًى مِنَّا(٨)؛ أي: مَحفُوظَةً ﴿جَزَآءً﴾: مَنصُوبٌ بِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: أُغْرِقُوا انتِصَارًا ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وقُرِئَ(٩): ﴿كَفَرَ﴾ بِالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ(١٠)- أي: أُغرِقُوا عِقَابًا لَهم. [١٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾: أَبقَينَا هَذه الفَعْلَةَ ﴿ءَايَةً﴾ لِمَنْ يَعتَبِرُ بها؛ أي(١١): شَاعَ خَبَرُها واستَمَرَّ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: مُعْتَبِرٍ ومُتَّعِظٍ بها؟ وأَصْلُه: «مُذْتَكِرٍ»؛ أُبدِلَتِ التَّاءُ دَالًا مُهْمَلَةً، وكَذَا المُعْجَمَةُ، وأُدْغِمَتْ فيها. [١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: إِنْذَارِي؟ استِفهَامُ تَقرِيرٍ. و«كَيفَ»: خَبَرُ ﴿كَانَ﴾، وهِيَ لِلسُّؤَالِ عَنِ الحَالِ. والمَعنَى: حَمْلُ المُخَاطَبِينَ عَلى الإِقْرَارِ بِوُقُوعِ عَذَابِه -تَعَالَى- بِالمُكَذِّبِينَ لِنُوحٍ مَوقِعَه. [١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾: سَهَّلنَاهُ لِلحِفْظِ، وهَيَّأنَاهُ(١٢) لِلتَّذَكُّرِ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: مُتَّعِظٍ به، وحَافِظٍ له؟ والاستِفهَامُ بِمَعنَى الأَمْرِ؛ أَي: احْفَظُوهُ واتَّعِظُوا به. ولَيسَ يُحْفَظُ مِنْ كُتُبِ الله عَنْ ظَهْرِ القَلْبِ غَيرُه. [١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نَبِيَّهم هُودًا؛ فَعُذِّبُوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أَي: إِنْذَارِي لَهم بِالعَذَابِ قَبلَ نُزُولِه؟ أَي: وَقَعَ مَوقِعَه. وقَدْ(١٣) بَيَّنَه بِقَولِه: [١٩] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شَدِيدَةَ الصَّوتِ ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾: شُؤْمٍ ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾: دَائِمِ الشُّؤْمِ، أو قَوِيِّه، وكَان يَومَ الأَربعَاءِ آخِرَ الشَّهرِ(١٤).

[٢٠] ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: تَقْلَعُهُم مِنْ حُفَرِ الأَرْضِ المُندَسِّينَ فيها، وتَصْرَعُهُم عَلى رُؤُوسِهِم، فَتَدُقُّ رِقَابَهم، فَتُبِينُ الرَّأْسَ عَنِ الجَسَدِ(١٥) ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحَالُهم مَا ذُكِرَ ﴿أَعْجَازُ﴾: أُصُولُ ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: مُنْقَلِعٍ سَاقِطٍ عَلى الأَرضِ. وشُبِّهُوا بِالنَّخْلِ لِطُولِهِم، وَذُكِّرَ هُنا وأُنِّثَ في «الحَاقَّةِ»: ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(١٦)؛ مُرَاعَاةً لِلفَوَاصِلِ، في المَوضِعَينِ. [٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾؟

[٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟ [٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾: جَمْعُ نَذِيرٍ؛ بِمَعنَى: مُنْذِرٍ؛ أَي: بِالأُمُورِ التي أَنذَرَهُم بها نَبِيُّهم صَالِحٌ، إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا به ويَتَّبِعُوه.

[٢٤] ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا﴾: مَنصُوبٌ عَلى الاشتِغَالِ ﴿مِّنَّا وَٰحِدًا﴾: صِفَتَانِ لِـ«بَشَرًا» ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾؟ مُفَسِّرٌ لِلفِعْلِ النَّاصِبِ له، والاستِفهَامُ بِمَعنَى النَّفْيِ. المَعنَى: كَيفَ نَتَّبِعُه ونَحنُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، وهو وَاحِدٌ مِنَّا، ولَيسَ بِمَلِكٍ؟ أي: لا نَتَّبِعُه ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي: إِنِ اتَّبَعْنَاهُ ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾: ذَهَابٍ عَنِ الصَّوَابِ ﴿وَسُعُرٍ﴾: جُنُونٍ. [٢٥] ﴿أَءُلْقِىَ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَهما عَلى الوَجْهَينِ، وتَرْكِه(١٧)- ﴿ٱلذِّكْرُ﴾: الوَحْيُ ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾؟ أي: لَمْ يُوحَ إِليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قَولِه: «إِنَّه أُوحِيَ إِلَيه مَا ذُكِرَ» ﴿أَشِرٌ﴾: مُتَكَبِّرٌ بَطِرٌ.

[٢٦] قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ في الآخِرَةِ(١٨) ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ وهُو: هُم، بِأَنْ يُعَذَّبُوا عَلى تَكذِيبِهم نَبِيَّهُم صَالِحًا(١٩). [٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾: مُخْرِجُوها مِنَ الهَضْبَةِ الصَّخْرَةِ، كَما سَأَلُوا، ﴿فِتْنَةً﴾: مِحْنَةً ﴿لَّهُمْ﴾ لِنَختَبِرَهُم ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ -يَا صَالِحُ- أَي: انتَظِرْ مَا هُم صَانِعُونَ، ومَا يُصْنَعُ بِهِم ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ - الطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الافتِعَالِ- أَي: اصْبِرْ عَلى أَذَاهُم.

---

(١) وهي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ وعاصمٍ، وقَرَأَ حَمزَةُ والكِسَائِيُّ وأبو عمرٍو: ﴿خَٰشِعًا﴾ وهِيَ القِرَاءَةُ المُفَسَّرَةُ. (٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مَادِّي أعناقِهم). (٣) المدثر: ٩، ١٠.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: قَبلَ). (٥) كَلِمَةُ: (بِالفَتحِ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٦) بِالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ ابنِ عَامِرٍ. (٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهِي). (٨) وفيها إِثْبَاتُ صِفَةِ العَينِ له -سُبْحَانَهُ- على الوَجهِ اللائِقِ به. (٩) أي: شُذُوذًا. (١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِنَاءً للفَاعِلِ). (١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (إِذْ). (١٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أو هَيَّأنَاه). (١٣) كَلِمَةُ: (قَدْ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(١٤) أخرجَ الخطيبُ في تاريخِ بغدادَ (١٤ / ٤٠٥)، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَرفُوعًا: «آخِرُ أَربِعَاءَ مِنَ الشَّهرِ يَومُ نَحْسٍ مُستَمِرٌّ»، قال الألبانيُّ في الضعيفة (٤/ ٨٣): مَوضُوعٌ. وأخرجَه ابنُ أبي حَاتِمٍ (١٨٧٠٨) عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ: ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ قَالَ: يَومُ الأَربِعَاءِ. وقال الشنقيطيُّ في أضواءِ البيانِ (٧/ ١٩) -بَعدَ أَنْ سَاقَ جُمْلَةً مِنَ الرِّوَايَاتِ في بَيَانِ شُؤْمِ ذَلِكَ اليَومِ-: «فَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ وَأَمْثَالُهَا لَا تَدُلُّ عَلَى شُؤْمِ يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ عَلَى مَنْ لَمْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَلَمْ يَعْصِهِ؛ لِأَنَّ أَغْلَبَهَا ضَعِيفٌ، وَمَا صَحَّ مَعْنَاهُ مِنْهَا فَالمُرَادُ بِنَحْسِهِ شُؤْمُهُ عَلَى أُولَئِكَ الكَفَرَةِ العُصَاةِ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ فِيهِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ. فَالحَاصِلُ أَنَّ النَّحْسَ وَالشُّؤْمَ إِنَّمَا مَنْشَؤُهُ وَسَبَبُهُ الكُفْرُ وَالمَعَاصِي. أَمَّا مَنْ كَانَ مُتَّقِيًا للهِ مُطِيعًا لَهُ فِي يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ المَذْكُورِ - فَلَا نَحْسَ وَلَا شُؤْمَ فِيهِ عَلَيْهِ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ النَّحْسَ وَالشُّؤْمَ وَالنَّكَدَ وَالبَلَاءَ وَالشَّقَاءَ عَلَى الحَقِيقَةِ، فَلْيَتَحَقَّقْ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَعَدَمِ امْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَالعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى».

(١٥) أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ (١٥٨٣٨) عَنِ الحَسَنِ، قَالَ: «لَمَّا جَاءَتِ الرِّيحُ إِلَى قَوْمِ عَادٍ رَكَزُوا أَقْدَامَهُمْ فِي الأَرْضِ، وَأَخَذُوا بِيَدِ بَعْضِهِمْ وَقَالُوا: مَنْ يُزِيلُ أَقْدَامَنَا عَنْ أَمَاكِنِهَا، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟ فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ تَنْزِعُ أَقْدَامَهُمْ مِنَ الأَرْضِ، وَكَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ». وروى الطَّبَرِيُّ (٢٢/ ١٣٨) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «سَقَطَتْ رُءُوسُهُمْ كَأَمْثَالِ الأَخْبِيَةِ، وَتَفَرَّدَتْ، أَوْ وَتَفَرَّقَتْ أَعْنَاقُهُمْ» - الشَّكُّ مِنَ الطَّبَرِيِّ-. (١٦) الحاقَّة: ٧. (١٧) رَاجِعِ التعليقَ على الآيَةِ (٨) من سورة (ص). (١٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: في الآخِرَةِ). (١٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لِنَبِيِّهم صَالِحٍ).

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ
﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى
وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ
فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾
إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

[٢٨] ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ﴾: مَقْسُومٌ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبَيْنَ النَّاقَةِ؛ فَيومٌ لَهم، ويَومٌ لها ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾: نَصِيبٍ مِنَ المَاءِ ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾: [يَحْضُرُ][1] القَومُ يومَهم، والنَّاقةُ يومَها. فتمادَوا على ذلِكَ، ثُمَّ مَلُّوه، فهَمُّوا بِقتلِ النَّاقَةِ. [٢٩] ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قُدارًا؛ لِيقتُلَها ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾: تناوَلَ السَّيفَ ﴿فَعَقَرَ﴾ بِه النَّاقَةَ؛ أي: قَتَلَها مُوافَقَةً لَهم.

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾؟ أي: إِنْذارِي لَهم بِالعَذابِ، قَبلَ نُزولِه؟؛ أي: وَقَعَ مَوقِعَه. وبيَّنَه بِقولِه: [٣١] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ هُو الذي يَجْعَلُ لِغَنَمِه حَظِيرَةً، مِنْ يَابِسِ الشَّجَرِ والشَّوكِ، يَحْفَظُهُنَّ فيها مِنَ الذِّئابِ والسِّباعِ. ومَا سَقَطَ مِنْ ذَلِكَ فَداسَتْهُ هو: الهَشِيمُ. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟

[٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: بِالأُمورِ المُنْذِرَةِ لهُم عَلى لِسانِه.

[٣٤] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: رِيحًا تَرمِيهِم بِالحَصْباءِ- وهي صِغارُ الحِجارَةِ، الوَاحِدُ دُونَ مَلءِ الكَفِّ- فَهلَكُوا ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ وهُمُ ابنَتاه مَعَه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ مِنَ الأَسْحارِ، أَي: وَقْتَ الصُّبحِ مِنْ يومٍ غيرِ مُعَيَّنٍ- ولو أُرِيدَ مِنْ يومٍ مُعَيَّنٍ لَمُنِعَ الصَّرْفَ؛ لِأَنَّه مَعْرِفَةٌ مَعدُولٌ عَنِ «السَّحَرِ»؛ لِأَنَّ حَقَّه أَنْ يُستعمَلَ في المَعْرِفَةِ بِـ«أَل». وهل أُرْسِلَ الحَاصِبُ على آلِ لُوطٍ أَوْ لَا؟ قَولَانِ. وعُبِّرَ عَنِ الاستِثْناءِ عَلى الأَوَّلِ: بِأَنَّه مُتَّصِلٌ، وعَلى الثاني: بِأَنَّه مُنْقَطِعٌ، وإِنْ كَانَ مِنَ الجِنْسِ، تَسَمُّحًا-.

[٣٥] ﴿نِّعْمَةً﴾: مَصْدَرٌ؛ أَي: إِنْعامًا ﴿مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي[2]: مِثْلَ ذَلِكَ الجَزاءِ ﴿نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ أَنْعُمَنَا، وهُو مُؤمِنٌ، أو مَنْ آمَنَ باللهِ [وَرُسُلِهِ][3] وأَطَاعَهُم.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾: خَوَّفَهُم لُوطٌ ﴿بَطْشَتَنَا﴾: أَخْذَتَنا إِيَّاهُم بِالعَذابِ ﴿فَتَمَارَوْا﴾: تَجادَلُوا وكَذَّبُوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾: بِإِنْذارِه. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ أي: أَنْ يُخَلِّيَ بَينَهم وبَينَ القَومِ الذينَ أَتَوْهُ في صُورَةِ الأَضْيافِ؛ لِيَخْبُثُوا بِهِم، وكَانُوا مَلَائِكَةً ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾: أَعْمَيْنَاها، وجَعَلْنَاها بِلا شَقٍّ كَباقِي الوَجْهِ، بِأَنْ صَفَقَها جِبرِيلُ بِجَنَاحِه[4] ﴿فَذُوقُوا﴾ فَقُلْنَا لهم: ذُوقُوا ﴿عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: إِنْذارِي وتَخْوِيفِي؛ أي: ثَمَرَتَه وفَائِدَتَه.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾: وَقتَ الصُّبحِ، مِنْ يومٍ غيرِ مُعَيَّنٍ ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾: دَائِمٌ مُتَّصِلٌ بِعَذابِ الآخِرَةِ. [٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟

[٤١] ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: قَومَهُ مَعه ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: الإِنذارُ، عَلى لِسانِ مُوسَى وهَارُونَ، فَلَم يُؤمِنُوا. بَلْ: [٤٢] ﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ أَي: التِّسعِ التي أُوتِيَها مُوسَى ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ﴾ بِالعَذابِ ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾: قَوِيٍّ ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: قَادِرٍ، لا يُعجِزُه شَيءٌ. [٤٣] ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ - يا قُرَيشُ- ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ المَذْكُورِينَ، مِنْ قَومِ نُوحٍ إِلى فِرْعَونَ، فَلَمْ يُعَذَّبُوا؟ ﴿أَمْ لَكُم﴾ - يا كُفَّارَ قُرَيشٍ- ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مِنَ العَذابِ ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾: الكُتُبِ؟ والاستِفْهامُ في المَوضِعَينِ بِمَعنَى النَّفْيِ؛ أي: لَيسَ الأَمْرُ كَذلِكَ. [٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَي: كُفَّارُ قُرَيشٍ: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جَمْعٌ ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ عَلى مُحَمَّدٍ. ولَمَّا قَالَ أَبُو جَهْلٍ يومَ بَدْرٍ: «إِنَّا [جَمِيعٌ][5] مُنتَصِرٌ»، نَزَلَ[6]: [٤٥] ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فَهُزِمُوا بِبَدْرٍ، ونُصِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عليهم.

[٤٦] ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بِالعَذابِ ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ أَي: عَذابُها ﴿أَدْهَىٰ﴾: أَعظَمُ بَلِيَّةٍ ﴿وَأَمَرُّ﴾: أَشَدُّ مَرارَةً مِنْ عَذابِ الدُّنيا. [٤٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾: هَلاكٍ بِالقَتْلِ في الدُّنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾: نَارٍ مُسَعَّرَةٍ -بِالتَّشدِيدِ- أي: مُهَيَّجَةٍ، في الآخِرَةِ. [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: في الآخِرَةِ، ويُقَالُ لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: إِصابَةَ جَهنَّمَ لَكُم.

[٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ﴾: مَنصُوبٌ بِفِعْلٍ يُفَسِّرُه: ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾: بِتَقدِيرٍ، حَالٌ مِنْ: ﴿كُلَّ﴾؛ أي: مُقَدَّرًا- وقُرِئَ[7]: «كُلُّ» بِالرَّفعِ؛ مُبْتَدَأً، خَبَرُه: ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾[*]-.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَتَينِ (٤٨، ٤٩): أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيشٍ يُخاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ في القَدَرِ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾. مسلم - كتاب القدر (٤٦) باب (٤) كل شيء بِقَدَرٍ.

---

(١) في الأَصلِ: (يَحضُرُه)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي.

(٢) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٣) في الأَصلِ: (ورَسُولِه)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ القَاضِي.

(٤) جُزءٌ مِنْ حَدِيثٍ رواه الحاكمُ (٤٠٥٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ، وعَنْ أُناسٍ، مِنْ أَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرْفُوعًا، وقال الحاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٥) في الأَصلِ: (جَمْعٌ)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوة.

(٦) رَواه بِنَحوه ابنُ أَبي شَيبَةَ (١٨٥٠٩)، والطبريُّ (٢٧/ ٦٤) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، دُونَ ذِكْرِ أَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ هو أبو جَهْلٍ، وحسَّنه في الاستيعاب (٣/ ٣٠٥). وفي البُخَارِيِّ (٤٩٩٣) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَقَدْ أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾. وظَاهِرُ هذا أَنَّ قولَه تَعالَى قَبلَ هَذِه الآيَةِ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ مِمَّا نَزَلَ أَيضًا بِمَكَّةَ، ويُؤَيِّدُه ما ذَكَرَه الحَافِظُ في الفتح (٨/ ٦١٩): «أَنَّ عُمَرَ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾: جَعَلْتُ أَقُولُ: أَيُّ جَمْعٍ يُهْزَمُ؟ فَلَمَّا كَانَ يَومُ بَدْرٍ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾...». فظَاهِرُ هَذَا أَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ، ولا يُنافِي ذَلِكَ أَن يَتلُوَها الرَّسُولُ ﷺ في بَدْرٍ، دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ سَبَبَ نُزُولِها، أو يُقَالُ: إِنَّها نَزَلَتْ مَرَّتَينِ؛ إِحداهُما بِبَدْرٍ، واللهُ أَعلَمُ.

(٧) أي: شُذُوذًا.

وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ
(٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ (٥٥)

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ — ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ (٢) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٤)
ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦)
وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ (٨)
وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ (٩) وَٱلْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ (١١)
وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(١٣) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن
مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ
ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨)

الحزب ٥٤

[٥٠] ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ لِشَيْءٍ نُرِيدُ وُجُودَه ﴿إِلَّا﴾ أَمْرَةٌ ﴿وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ فِي السُّرْعَةِ، وهِيَ قَولُ(١): «كُنْ»، فيُوجَدُ؛ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٢).

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾: أَشْبَاهَكُم فِي الكُفْرِ، مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟ استِفْهَامٌ بِمَعنَى الأَمْرِ؛ أَي: [اذْكُرُوا](٣) واتَّعِظُوا.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أَي: العِبَادُ، مَكْتُوبٌ ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾: كُتُبِ الحَفَظَةِ.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ مِنَ الذَّنْبِ، أَوِ العَمَلِ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: مُكْتَتَبٌ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ.

[٥٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾: بَسَاتِينَ ﴿وَنَهَرٍ﴾ - أُرِيدَ به الجِنسُ. وقُرِئَ: [«نُهُرٍ»](٤)؛ بِضَمِّ النُّونِ والهَاءِ جَمْعًا؛ كَأَسَدٍ وأُسُدٍ- والمَعنَى: أَنَّهم يَشْرَبُونَ مِنْ أَنهَارِها المَاءَ واللَّبَنَ والعَسَلَ والخَمْرَ. [٥٥] ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: مَجْلِسِ حَقٍّ، لَا لَغْوَ فيه ولَا تَأْثِيمَ- أُرِيدَ به الجِنسُ. وقُرِئَ(٥): «مَقَاعِدِ». المَعنَى: أَنَّهم فِي مَجَالِسَ مِنَ الجَنَّاتِ، سَالِمَةٍ مِنَ اللَّغْوِ والتَّأْثِيمِ، بِخِلَافِ مَجَالِسِ الدُّنيا فَقَلَّ أَنْ تَسْلَمَ مِنْ ذَلِكَ. وأُعْرِبَ هَذا خَبَرًا ثَانِيًا، وبَدَلًا، وهُو صَادِقٌ بِبَدَلِ البَعْضِ، وغَيرِه(٦)- ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾: مِثَالُ مُبَالَغَةٍ؛ أَي: عَزِيزِ المُلْكِ وَاسِعِه ﴿مُّقْتَدِرٍۭ﴾: قَادِرٍ لَا يُعْجِزُه شَيءٌ، وهُو اللهُ -تَعَالَى-، و﴿عِندَ﴾: إِشَارَةٌ إِلى الرُّتْبَةِ والقُرْبَةِ(٧) مِنْ فَضْلِه تَعَالَى(٨).

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ إِلَّا: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآيَةَ، وهِيَ: سِتٌّ، أَوْ: ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾. [٢] ﴿عَلَّمَ﴾ مَنْ شَاءَ ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أَي: الجِنْسَ. [٤] ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: النُّطْقَ. [٥] ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾: يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ(٩).

[٦] ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾: مَا لَا سَاقَ لَه مِنَ النَّبَاتِ ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾: مَا لَه سَاقٌ ﴿يَسْجُدَانِ﴾: يَخْضَعَانِ لِمَا يُرَادُ مِنهُما(١٠). [٧] ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾: أَثْبَتَ العَدْلَ. [٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أَي: لِأَجْلِ أَنْ لَا تَجُورُوا ﴿فِى ٱلْمِيزَانِ﴾: مَا يُوزَنُ بِه. [٩] ﴿وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بِالعَدْلِ ﴿وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ﴾: تَنْقُصُوا المَوزُونَ.

[١٠] ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾: أَثْبَتَها ﴿لِلْأَنَامِ﴾: لِلخَلْقِ؛ الإِنْسِ والجِنِّ وغَيرِهم. [١١] ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ﴾ المَعْهُودُ ﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾: أَوعِيَةِ طَلْعِها.

[١٢] ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ كَالحِنْطَةِ والشَّعِيرِ ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾: التِّبْنِ ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: [الرِّزْقُ](١١) أَوِ المَشْمُومُ.

[١٣] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ﴾: نِعَمِ ﴿رَبِّكُمَا﴾ -أَيُّها الإِنسُ والجِنُّ- ﴿تُكَذِّبَانِ﴾؟ ذُكِرَتْ إِحدَى وثَلَاثِينَ مَرَّةً. والاستِفْهَامُ فِيها لِلتَّقْرِيرِ؛ لِمَا رَوَى الحَاكِمُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَرَأَ علَينا رَسُولُ اللهِ ﷺ سُورَةَ الرَّحمَنِ حَتَّى خَتَمَها، ثُمَّ قَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟! لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا. مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ هَذِه الآيَةَ مِنْ مَرَّةٍ: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ -رَبَّنَا- نُكَذِّبُ، فَلَكَ الحَمْدُ»(١٢). [١٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدَمَ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: طِينٍ(١٣) يَابِسٍ، يُسْمَعُ لَه صَلصَلَةٌ؛ أَي: صَوتٌ إِذَا نُقِرَ ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ - وهُو مَا طُبِخَ مِنَ الطِّينِ-. [١٥] ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾: أَبَا الجِنِّ، وهُو إِبْلِيسُ(١٤) ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لَهَبُها الخَالِصُ مِنَ الدُّخَانِ. [١٦] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

---

(١) كَلِمَةُ: (قَول) لَيسَتْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) يس: ٨٢.

(٣) فِي الأَصْلِ: (ادَّكروا)، والمُثبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، والجَمَلِ، والقَاضِي.

(٤) أَي: شُذُوذًا. وكَلِمَةُ: (نُهُر)، لَيسَتْ فِي الأَصْلِ وأَثبتنَاهَا مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي.

(٥) أَي: شُذُوذًا.

(٦) أَي: وهُو بَدَلُ الاشتِمَالِ؛ لِأَنَّ الجَنَّاتِ مُشتَمِلَةٌ عَلَى المَقعَدِ. وبَدَلُ البَعْضِ بِاعتِبَارِ أَنَّ المَقعَدَ بَعضُ الجَنَّاتِ.

(٧) كَلِمَةُ: (القُرْبَة) لَيسَتْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٨) وفيه إِشَارَةٌ كَذَلِكَ إِلى أَنَّهم فِي جِهَةِ العُلُوِّ عِندَ اللهِ جَلَّ فِي عُلَاه؛ فَإِنَّ الفِردَوسَ سَقفُها عَرشُ الرَّحمَنِ، وهَذِه العِندِيَّةُ مِمَّا استَدَلَّ بِه السَّلَفُ عَلى إِثبَاتِ العُلُوِّ للهِ عَزَّوَجَلَّ.

(٩) فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي: (بِحِسَابٍ يَجْرِيَانِ)، بتقديم: (بِحِسَابٍ)، وفِي نُسْخَةِ الجَمَلِ: (يَجْرِيَانِ)؛ دون: (بِحِسَابٍ).

(١٠) قَالَ السَّعدِيُّ فِي تيسيرِ الكريمِ الرحمنِ (ص ٨٢٩): «أَي: نُجُومُ السَّمَاءِ، وأَشجَارُ الأَرضِ، تَعرِفُ رَبَّها وتَسْجُدُ له، وتُطِيعُ وتَخشَعُ وتَنقَادُ لِمَا سَخَّرَها لَه مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِه ومَنَافِعِهم».

(١١) فِي الأَصْلِ: (الوَرَق)- وهذا يصحُّ فِي قراءةِ: ﴿والرَّيْحَانِ﴾؛ بِالكَسْرِ عَطفًا عَلى: ﴿ٱلْعَصْفِ﴾، وهي قِرَاءَةُ: حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ- والمُثبَتُ مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي. رَوَى الطَّبَرِيُّ (٢٢/ ١٨٦) عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ قَالَ: «الرِّزْقُ». قال الشنقيطيُّ فِي أَضواءِ البَيَانِ (٧/ ٤٩٣): «وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: هُوَ كُلُّ مَا طَابَ رِيحُهُ مِنَ النَّبْتِ، وَصَارَ يُشَمُّ لِلتَّمَتُّعِ بِرِيحِهِ. وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: الرَّيْحَانُ: الرِّزْقُ... وَيَتَعَيَّنُ كَوْنُ الرَّيْحَانِ بِمَعْنَى الرِّزْقِ؛ عَلَى قِرَاءَةِ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ غَيْرِهِمَا: فَهُوَ مُحْتَمِلٌ لِلْأَمْرَيْنِ المَذْكُورَيْنِ...».

(١٢) الحَاكِمُ (٣٧٦٦)، وقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ، وأَخرَجَ نَحوَه التِّرْمِذِيُّ (٣٢١٣)، وحَسَّنَه الأَلبَانِيُّ فِي صحيح الجامع (٥١٣٨).

(١٣) فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مِنْ طِينٍ).

(١٤) نُقِلَ هذا القولُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ومُجَاهِدٍ وقَتَادَةَ والحَسَنِ البَصرِيِّ وغَيرِهم. وهو قولُ أكثرِ أهلِ العِلْمِ. ويُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآيَةِ (٣٤) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ (٢٤)
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ
رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)
يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ
أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ (٣٣) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ
(٣٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن
ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)
يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ (٤١)

[١٧] ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: مَشرِقِ الشِّتَاءِ، ومَشرِقِ الصَّيفِ ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ كَذَلِكَ. [١٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [١٩] ﴿مَرَجَ﴾: أَرْسَلَ ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العَذْبَ والمِلحَ ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رَأْيِ العَينِ. [٢٠] ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حَاجِزٌ مِنْ قُدْرَتِه -تَعَالَى- ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يَبْغِي وَاحِدٌ منهما على الآخَرِ، فيَختَلِطُ به. [٢١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [٢٢] ﴿[يُخْرَجُ]﴾ - بالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ والفَاعِلِ[١] - ﴿مِنْهُمَا﴾: مِنْ مَجمُوعِهِما، الصَّادِقِ بِأَحَدِهما، وهُوَ: المِلْحُ[٢] ﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾: خَرَزٌ أَحمَرُ، أو صِغَارُ اللُّؤلُؤِ. [٢٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [٢٤] ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ[٣]﴾: السُّفُنُ ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾: المُحْدَثَاتُ ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾: كَالجِبَالِ عِظَمًا وارتِفَاعًا. [٢٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: الأَرضِ مِنَ الحَيَوَانِ ﴿فَانٍ﴾: هَالِكٌ - وعُبِّرَ بِـ﴿مَنْ﴾ تَغلِيبًا لِلعُقَلَاءِ -. [٢٧] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾: ذَاتُه[٤] ﴿ذُو ٱلْجَلَـٰلِ﴾: العَظَمَةِ ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ لِلمُؤمِنِينَ[٥] بِأَنْعُمِه عليهم. [٢٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [٢٩] ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بِنُطْقٍ أو حَالٍ مَا يَحتَاجُونَ إِلَيه، مِنَ القُوَّةِ عَلى العِبَادَةِ والرِّزْقِ والمَغفِرَةِ وغَيرِ ذَلِكَ ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾: وَقْتٍ ﴿هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[*]: أَمْرٍ؛ يُظهِرُه عَلى وَفْقِ ما قَدَّرَه في الأَزَلِ؛ مِنْ إِحْيَاءٍ وإِمَاتَةٍ، وإِعْزَازٍ وإِذْلَالٍ، وإِغْنَاءٍ وإِعْدَامٍ، وإِجَابَةِ دَاعٍ، وإِعْطَاءِ سَائِلٍ، وغَيرِ ذَلِكَ. [٣٠] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: سَنَقْصِدُ لِحِسَابِكم[٦] ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: الإِنسُ والجِنُّ. [٣٢] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [٣٣] ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾: تَخْرُجُوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾: نَوَاحِي ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ أَمْرُ تَعْجِيزٍ ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾: بِقُوَّةٍ، ولَا قُوَّةَ لكُم عَلى ذَلِكَ. [٣٤] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لَهَبُها الخَالِصُ مِنَ الدُّخَانِ أو مَعَه ﴿[وَنُحَاسٍ]﴾[٧] أي[٨]: دُخَانٍ لَا لَهَبَ فيه[٩] ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: تَمتَنِعَانِ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ يَسُوقُكم إِلى المَحْشَرِ. [٣٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [٣٧] ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: انفَرَجَتْ أَبوَابًا لِنُزُولِ المَلَائِكَةِ ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: مِثْلَها مُحْمَرَّةً ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾: كَالأَدِيمِ الأَحمَرِ، عَلى خِلَافِ العَهْدِ بِها. وجَوَابُ «إِذَا»: فَمَا أَعْظَمَ الهَولَ! [٣٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ [٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ عَنْ ذَنبِه. ويُسْأَلُونَ في وَقْتٍ آخَرَ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٠]، والجَانُّ هُنا -وفيما سيَأْتِي[١١]- بِمَعنَى: الجِنِّي، والإِنسُ فيهما بِمَعنَى: الإِنْسِيِّ. [٤٠] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ ابنُ مَاجه عَن أَبي الدَّرداءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ في قَولِه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قَالَ: «مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَخْفِضَ آخَرِينَ». ابن ماجه - المقدمة باب (١٣) فيما أنكرت الجهميَّةُ. وحَسَّنَه الألبَانيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ ابن ماجه (١٦٧).

---

(١) بِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَخْرُجُ﴾؛ بالبِنَاءِ لِلفَاعِلِ.

(٢) جَاءَ في حَاشِيَةِ (المنتخَب في تفسيرِ القُرآنِ الكريم)، الذي أَصْدَرَه المَجلِسُ الأَعلَى لِلشُّؤونِ الإِسلَامِيَّةِ بِمِصرَ: «قد يَستَبعِدُ بَعضُ النَّاسِ أن تكونَ المِيَاهُ العَذبَةُ مَصْدَرًا لِلحُلِيِّ، ولكِنِ العِلمُ والوَاقِعُ أَثبَتَا غَيرَ ذَلِكَ: أَمَّا اللؤلُؤُ فإنَّه كَمَا يُستَخرَجُ مِن أَنواعٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ البَحرِ، يُستَخرَجُ أيضًا مِن أَنواعٍ مُعَيَّنَةٍ أُخرَى مِنَ الأَنهَارِ...». وقَالَ ابنُ عُثَيمِين: «فإذا كَانَت الآيَةُ ظَاهِرُها أَنَّ اللؤلؤَ يَخرُجُ منهما جَمِيعًا، وَجَبَ الأَخذُ بِظَاهِرِها، لَكِن لا شَكَّ أَنَّ اللؤلؤَ مِنَ المَاءِ المَالِحِ أَكثَرُ وأَطيَبُ».

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿الجَوَارِي﴾)، وهي قِرَاءَةُ يَعقُوبَ؛ بِإِثبَاتِ اليَاءِ الزَّائِدَةِ وَقْفًا.

(٤) وهذا لا يُنَافِي صِفَةَ الوَجْهِ التي أَثبَتَها رَبُّنا عَزَّجَلَّ لِنَفسِه، ونُثبِتُها لَه حَقِيقَةً على الوَجهِ اللائِقِ بِه، ومِنْ لَوَازِمِ بَقَاءِ الوَجْهِ بَقَاءُ الذَّاتِ؛ لَكِن لا يُقَالُ: إِنَّ الوَجهَ هو الذَّاتُ. وقَالَ ابنُ كَثيرٍ في تَفسِيرِ الآيَةِ (٧/ ٤٩٤): «ولَا يَبْقَى أَحَدٌ سِوَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ -تَعَالَى وَتَقَدَّسَ- لَا يَمُوتُ، بَلْ هُوَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا الآيَةَ».

(٥) قَولُه عزَّوجلَّ: ﴿ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ في الآيَةِ هِيَ صِفَةٌ لِـ«وَجْهُ» ولَيسَ لِـ«رَبّ»، كَمَا قَالَ ابنُ كثيرٍ والطَّبريُّ، وَوَجْهُه -سُبْحَانَهُ- ذُو الجَلالِ والإِكرَامِ كَمَا أَنَّه -سُبْحَانَهُ- ذُو الجَلالِ والإِكرَامِ. فَقَولُ المُفَسِّرِ: «لِلمؤمِنِينَ» دَلِيلٌ على إِرَادَةِ نَفيِ صِفَةِ الوَجْهِ، لا عَنْ مُجَرَّدِ إِرَادةِ الدَّلَالَةِ عَلى أَنَّ بَقَاءَ الوَجْهِ يَلزَمُ منه بَقَاءُ الذَّاتِ.

(٦) قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «وَعِيدٌ مِنَ اللهِ لِلعِبَادِ، ولَيسَ بِاللهِ شُغْلٌ، وَهُوَ فَارِغٌ». رواه الطبريُّ (٢٢/ ٢١٦) وغَيرُه بِسَنَدٍ حَسَنٍ عنه. وقَالَ البُخَارِيُّ (٦/ ١٤٥): «سَنُحَاسِبُكُمْ، لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَن شَيْءٍ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ في كَلَامِ العَرَبِ، يُقَالُ: لَأَتَفَرَّغَنَّ لَكَ، وَمَا بِهِ شُغْلٌ...».

(٧) ﴿وَنُحَاسٍ﴾؛ بِكَسْرِ السِّينِ: قِرَاءَةُ: ابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَنُحَاسٌ﴾؛ بِضَمِّها.

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أو)؛ أي: إِنَّ الوَاوَ في قولِه: ﴿وَنُحَاسٍ﴾ بِمَعنَى: أو؛ لِلتَّقسِيمِ؛ أي: إِنَّ الشُّوَاظَ المُرسَلَ: إِمَّا لَهَبٌ خَالِصٌ، وإِمَّا لَهَبٌ مع دُخَانٍ، وإِمَّا دُخَانٌ خَالِصٌ.

(٩) وهذا قَولُ ابنِ عَبَّاسٍ المَشهورُ عنه، وسَعيد بن جبيرٍ وغَيرِهما، كما عند الطبريِّ (٢٢/ ٢٢٤-٢٢٥). ورَوَى الطَّبَرِيُّ (٢٢/ ٢٢٥) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «يُذَابُ الصُّفْرُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ»، ورَوَى نَحوَه عَنْ قَتَادَةَ. وَرَوَاه أيضًا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. تفسير الطبريّ (٢٢/ ٢٢٥). قال الطبريُّ: «وَأَوْلَى القَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالنُّحَاسِ: الدُّخَانُ... وَالعَرَبُ تُسَمِّي الدُّخَانَ نُحَاسًا بِضَمِّ النُّونِ، ونِحَاسًا بِكَسْرِهَا، وَالقُرَّاءُ مُجْمِعَةٌ عَلَى ضَمِّهَا». (١٠) الحجر: ٩٢. (١١) أي: في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ في الآيَتَينِ: (٥٦، ٧٤) مِنَ السُّورَةِ.

[٤١] ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: سَوَادِ الوُجُوهِ، وزُرْقَةِ العُيُونِ ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾. [٤٢] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ أي: تُضَمُّ نَاصِيَةُ كُلٍّ مِنهم إلى قَدَمَيهِ، مِن خَلفُ أو قُدَّامُ، ويُلقَى في النَّارِ. ويُقَالُ لَهُم:

[٤٣] ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾: يَسْعَوْنَ ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾: مَاءٍ حَارٍّ ﴿ءَانٍ﴾: شَدِيدِ الحَرَارَةِ. يُسْقَونَه إِذَا استَغَاثُوا مِنْ حَرِّ النَّارِ. وهو مَنْقُوصٌ؛ كـ«قَاضٍ».

[٤٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٤٦] ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ أي: لِكُلٍّ منهم، أو لِمَجْمُوعِهِم ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: قِيَامَه بَينَ يَدَيهِ لِلحِسَابِ، فَتَرَكَ مَعْصِيَتَه ﴿جَنَّتَانِ﴾.

[٤٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٤٨] ﴿ذَوَاتَآ﴾: تَثْنِيَةُ «ذَوَات» على الأَصْلِ[1]، ولَامُهَا يَاءٌ[2] ﴿أَفْنَانٍ﴾: أَغْصَانٍ، جَمْعُ «فَنَنٍ»؛ كـ«طَلَلٍ».

[٤٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

[٥١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ في الدُّنيا، أو كُلِّ مَا يُتَفَكَّه به ﴿زَوْجَانِ﴾: نَوعَانِ؛ رُطَبٌ ويَابِسٌ، والمُرُّ منها في الدُّنيا كَالحَنظَلِ حُلْوٌ.

[٥٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٥٤] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: حَالٌ عَامِلُه مَحذُوفٌ؛ أي: يَتَنَعَّمُونَ ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: مَا غَلُظَ مِنَ الدِّيبَاجِ وخَشُنَ، والظَّهَائِرُ مِنَ السُّنْدُسِ ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾: ثَمَرُهما ﴿دَانٍ﴾: قَرِيبٌ، يَنَالُه القَائِمُ والقَاعِدُ والمُضطَجِعُ.

[٥٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ (٤٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(٥٣) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ
(٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(٥٧) كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(٥٩) هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ (٦٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَآمَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧)
فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩)

[٥٦] ﴿فِيهِنَّ﴾: في الجَنَّتَينِ، ومَا اشتَمَلَتَا عَليه مِنَ العَلَالِي والقُصُورِ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: العَيْنِ، عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ المُتَّكِئِينَ، مِنَ الإِنْسِ والجِنِّ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: يَفْتَضَّهُنَّ، وهُنَّ مِنَ الحُورِ، أو مِنْ نِسَاءِ الدُّنيا المُنْشَآتِ[3] ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

[٥٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾ صَفَاءً ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي: اللُّؤْلُؤُ بَيَاضًا.

[٥٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٦٠] ﴿هَلْ﴾: مَا ﴿جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ بِالطَّاعَةِ ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ بِالنَّعِيمِ؟

[٦١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٦٢] ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: الجَنَّتَينِ المَذْكُورَتَينِ ﴿جَنَّتَانِ﴾[*] أيضًا، لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه.

[٦٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٦٤] ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾: سَودَاوَانِ، مِنْ شِدَّةِ خُضْرَتِها.

[٦٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾: فَوَّارَتَانِ بِالمَاءِ، لَا يَنْقَطِعَانِ[4].

[٦٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ عَبدِ اللهِ بنِ قَيسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الرحمن (٥٥) باب (١) ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

---

(١) أي: على ما قَبلَ حَذفِ الوَاوِ؛ وبَعدَ الحَذفِ تُصبِحُ «ذَات» فتُثَنَّى على «ذَاتَانِ». والفَصِيحُ في تَثنِيَتِها: «ذَوَاتَا»، كما في الآيَةِ.

(٢) أي: لِأَنَّ أَصلَها: «ذَوَيٌ»؛ تَحرَّكَتِ اليَاءُ، وانفَتَحَ مَا قَبلَها؛ فَقُلِبَتْ أَلِفًا، فَأَصبَحَتْ: «ذَوَى»؛ كـ«فَتَى».

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة:٣٥-٣٦]؛ أي: يَجعَلُهُنَّ بَعدَ الثُّيُوبَةِ أَبْكَارًا.

(٤) في نُسخَةِ قَباوَة: (لا تَنقطِعَانِ).

فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ
وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَة

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٤

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ
هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ
مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

[٦٨] ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ هُمَا مِنها[١]، وقِيلَ: مِنْ غيرِها.

[٦٩] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنَّتينِ وما فِيهما[٢] ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسَانٌ﴾ وُجوهًا.

[٧١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٧٢] ﴿حُورٌ﴾: شَديداتُ سَوادِ العُيونِ وبَياضِها ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾: مَسْتُوراتٌ ﴿فِي ٱلْخِيَامِ﴾ مِنْ دُرٍّ مُجَوَّفٍ، مُضافَةٌ إلى القُصورِ، شَبيهَةٌ بالخُدُورِ.

[٧٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ أزْواجِهِنَّ ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾.

[٧٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٧٦] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ أي: أزْواجُهُنَّ - وإعرابُه كَما تَقَدَّمَ- ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾: جَمعُ رَفرَفَةٍ؛ أي: بُسُطٍ، أو: وَسائِدَ ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾: جَمعُ عَبْقَرِيَّةٍ؛ أي: طَنافِسَ[٣].

[٧٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

[٧٨] ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ -تَقَدَّمَ- ولَفْظُ ﴿ٱسْمُ﴾ زائِدٌ.

سُورَةُ الوَاقِعَة

مَكِّيَّةٌ، إِلَّا: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ الآيَةَ، و: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الآيَةَ،
وهي: سِتٌّ، أو: سَبْعٌ، أو: تِسْعٌ وتِسْعُونَ آيَةً[*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: قَامَتِ القِيامَةُ.

[٢] ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾: نَفْسٌ تُكَذِّبُ؛ بِأَنْ تَنفِيَها كَما نفَتْها في الدُّنيا.

[٣] ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: هِي مُظْهِرَةٌ لِخَفضِ أَقْوامٍ بِدُخولِهم النَّارَ، ولِرَفْعِ آخَرِينَ بِدُخُولِهم الجَنَّةَ.

[٤] ﴿رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾: حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً.

[٥] ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾: فُتِّتَتْ. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾: غُبارًا ﴿مُّنۢبَثًّا﴾: مُنتَشِرًا- و﴿إِذَا﴾ الثَّانِيَةُ: بَدَلٌ مِنَ الأُولَى-. [٧] ﴿وَكُنتُمْ﴾ في القِيامَةِ ﴿أَزْوَٰجًا﴾: أَصْنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾.

[٨] ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وهُمُ الذِينَ يُؤْتَونَ كُتُبَهم بِأَيمانِهم، مُبْتَدَأٌ، خَبَرُه: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾! تَعْظِيمٌ لِشَأْنِهم بِدُخُولِهِمُ الجَنَّةَ.

[٩] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أَي: الشِّمالِ، بِأَنْ يُؤتَى كُلٌّ مِنهُم كِتابَه بِشِمالِه ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾! تَحْقِيرٌ لِشَأْنِهم بِدُخُولِهم النَّارَ.

[١٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الخَيرِ، وهُمُ الأَنبياءُ[٤]: مُبْتَدَأٌ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: تَأْكِيدٌ لِتَعْظِيمِ شَأْنِهم. والخَبَرُ: [١١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾. [١٢] ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

[١٣] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: مُبْتَدَأٌ[٥]؛ أي: جَماعَةٌ مِنَ الأُمَمِ الماضِيَةِ. [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾: مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهُمُ السَّابِقُونَ مِنَ الأُمَمِ الماضِيَةِ وهَذِه الأُمَّةِ[٦]. والخَبَرُ:

[١٥] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: مَنسُوجَةٍ بقُضْبانِ الذَّهَبِ والجَواهِرِ. [١٦] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾: حالَانِ مِنَ الضَّميرِ في الخَبَرِ.

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: قالَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رَسُولَ الله، قَدْ شِبْتَ؟! قالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلاتُ، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾». وسبقَ تخريجُه في أَوَّلِ سُورَةِ هُودٍ.

---

(١) أي: النَّخلُ والرُّمَّانُ مِنَ الفاكِهَةِ؛ فهُو مِن عَطفِ الخاصِّ عَلى العامِّ. وأَمَّا عَلى القَولِ الآخَرِ؛ أنَّهما مِن غَيرِ الفاكِهَةِ؛ باعتِبارِ أَنَّ النَّخلَ عامَّةُ قُوتِهم، والرُّمَّانَ كالشَّرابِ. حاشية الصاوي (٦/ ٤٤).

(٢) في نُسخَةِ قَباوَة، والقاضِي: (وقُصورِهما)، بَدَلًا مِنْ: (وما فيهما). وقالَ ابنُ الجوزيِّ في زاد المسيرِ (٤/ ٢١٦): «﴿فِيهِنَّ﴾: يَعني في الجِنانِ الأَربَعِ». وهُو قَولُ مُقاتِلٍ كما في تَفسِيرِه (٤/ ٢٠٥). وفي حَديثِ أبي مُوسَى الأَشعَرِيِّ في الصَّحِيحَينِ؛ البُخارِيِّ (٤٨٧٨)، ومسلمٍ (١٨٠) أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «جَنَّتانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِمَا...».

(٣) الطَّنافِس: وَاحِدُها: طِنفِسَة: والطنفُسَة: وَهِيَ بِكَسْرِ الطَّاءِ وَالفَاءِ وَبِضَمِّهِما، وَبِكَسْرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الفَاءِ: البِساطُ الَّذِي لَهُ خَمْلٌ رَقِيقٌ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٤٠).

(٤) أي: وخُلَّصُ أتباعِهم؛ لِيَستَقِيمَ له تَفسِيرُه الآتي في الآيَةِ (١٤).

(٥) المُناسِبُ لِتَفسيرِه هذا أَنْ تَكُونَ ﴿ثُلَّةٌ﴾ خَبَرًا لِمُبتَدَإٍ مَحذُوفٍ، تَقدِيرُه: هُم. يَعُودُ عَلَى: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾.

(٦) هذا قولُ مُجاهِدٍ والحَسَنِ البَصرِيِّ، واختارَه ابنُ جَرِيرٍ، ولم يَحكِ غيرَه (٢٢/ ٢٨٧). قالَ ابنُ كثيرٍ (٧/ ٥١٨): «وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ هَاهُنَا، فِيهِ نَظَرٌ، بَلْ هُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ بِنَصِّ القُرْآنِ، فَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ المُقَرَّبُونَ فِي غَيْرِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَابَلَ مَجْمُوعُ الأُمَمِ بِهَذِهِ الأُمَّةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ المُقَرَّبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَكْثَرُ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ، والله أعلَمُ». ثمَّ قالَ ابنُ كثيرٍ (٧/ ٥١٨-٥١٩): «فَالقَوْلُ الثَّانِي فِي هَذَا المَقَامِ، هُوَ الرَّاجِحُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ أَيْ: مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ». ثمَّ قالَ مُعقِّبًا -بعدَ أَنْ نَقَلَ قولَ الحَسَنِ وابنِ سِيرِينَ-: «فَهَذَا قَوْلُ الحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ: أَنَّ الجَمِيعَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ أَوَّلَ كُلِّ أُمَّةٍ خَيْرٌ مِنْ آخِرِهَا، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُمَّ الأَمْرُ جَمِيعَ الأُمَمِ؛ كُلُّ أُمَّةٍ بِحَسَبِهَا»، وأَوَّلُ هذه الأُمَّةِ هُمُ الصَّحابَةُ والتَّابِعُونَ وتابِعُوهم بِإِحسانٍ، وآخِرُها: الصُّلَحاءُ، وهم قَلِيلٌ.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
(١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
(٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا (٢٦) وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
(٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
(٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا
(٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩)
وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ
(٤١) فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا۟
يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠)

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ لِلخِدْمَةِ ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: عَلَى شَكْلِ الأَولَادِ، لَا يَهرَمُونَ.

[١٨] ﴿بِأَكْوَابٍ﴾: أَقْدَاحٍ لَا عُرَى لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لها عُرَى وخَرَاطِيمُ ﴿وَكَأْسٍ﴾: إِنَاءِ شُرْبِ الخَمْرِ ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: خَمْرٍ جَارِيَةٍ مِنْ مَنْبَعٍ لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا.

[١٩] ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا [يُنزَفُونَ]﴾ - بفَتْحِ الزَّايِ وكَسْرِها[١]؛ مِنْ: نُزِفَ الشَّارِبُ وأَنْزَفَ- أَي: لا يَحصُلُ لَهم مِنها صُدَاعٌ، ولا ذَهَابُ عَقْلٍ، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنيا.

[٢٠] ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾. [٢١] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَ﴾ لَهم لِلاستِمْتَاعِ ﴿حُورٌ﴾: نِساءٌ شَدِيدَاتُ سَوَادِ العُيُونِ وبَيَاضِها[٢] ﴿عِينٌ﴾: ضِخَامُ العُيُونِ- كُسِرَتْ عَينُه بَدَلَ ضَمِّها؛ لِمُجَانَسَةِ اليَاءِ[٣]، ومُفْرَدُه: عَيناءُ؛ كَحَمرَاءَ، وفي قِرَاءَةٍ[٤] بِجَرِّ ﴿حُورٍ عِينٍ﴾-. [٢٣] ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾: المَصُونِ.

[٢٤] ﴿جَزَآءً﴾: مَفعُولٌ لَه، أَو مَصْدَرٌ، والعَامِلُ مُقَدَّرٌ؛ أَي: جَعَلنَا لَهم مَا ذُكِرَ لِلجَزَاءِ، أَو جَزَينَاهُم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجَنَّةِ ﴿لَغْوًا﴾: فَاحِشًا مِنَ الكَلَامِ ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: مَا يُؤْثِمُ.

[٢٦] ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿قِيلًا﴾: قَولًا ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿قِيلًا﴾ فَإِنَّهم يَسْمَعُونَه.

[٢٧] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾.

[٢٨] ﴿فِى سِدْرٍ﴾: شَجَرِ النَّبْقِ ﴿مَّخْضُودٍ﴾: لَا شَوكَ فيه.

[٢٩] ﴿وَطَلْحٍ﴾: شَجَرِ المَوزِ ﴿مَّنضُودٍ﴾ بِالحَمْلِ، مِنْ أَسْفَلِه إِلى أَعْلَاه.

[٣٠] ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[*]: دَائِمٍ. [٣١] ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: جَارٍ دَائِمًا.

[٣٢] ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾. [٣٣] ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زَمَنٍ ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بِثَمَنٍ.

[٣٤] ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على السُّرُرِ.

[٣٥] ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أَي: الحُورَ العِينَ، مِنْ غَيرِ وِلَادَةٍ.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾: عَذَارَى، كُلَّما أَتَاهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ وَجَدُوهُنَّ عَذَارَى، ولَا وَجَعَ.

[٣٧] ﴿عُرُبًا﴾ - بِضَمِّ الرَّاءِ وسُكُونِها[٥]-: جَمْعُ عَرُوبٍ، وهِيَ: المُتَحَبِّبَةُ إِلى زَوجِها عِشقًا له ﴿أَتْرَابًا﴾: جَمْعُ تِرْبٍ؛ أَي: مُسْتَوِيَاتٍ في السِّنِّ. [٣٨] ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾: صِلَةُ ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ أَو «جَعَلْنَاهُنَّ». وهُم: [٣٩] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. [٤٠] ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾[**].

[٤١] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِى سَمُومٍ﴾: رِيحٍ حَارَّةٍ مِنَ النَّارِ، تَنفُذُ في المَسَامِّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾: مَاءٍ شَدِيدِ الحَرَارَةِ. [٤٣] ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾: دُخَانٍ شَدِيدِ السَّوَادِ.

[٤٤] ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كَغَيرِه مِنَ الظِّلَالِ ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: حَسَنِ المَنْظَرِ. [٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾: في الدُّنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾: مُنَعَّمِينَ؛ لَا يَتعَبُونَ في الطَّاعَةِ.

[٤٦] ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ﴾: الذَّنْبِ ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ أَي: الشِّرْكِ. [٤٧] ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ - في الهَمْزَتَينِ في المَوضِعَينِ: التَّحْقِيقُ، وتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ، وإِدْخَالُ أَلِفٍ بَينَهما عَلى الوَجْهَينِ[٦]-. [٤٨] ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾؟ بِفَتحِ الوَاوِ لِلعَطْفِ. والهَمْزَةُ لِلاستِفْهَامِ، وهُو في ذَلِكَ وفِيما قَبلَه لِلاستِبْعَادِ. وفي قِرَاءَةٍ[٧]: بِسُكُونِ الوَاوِ، عَطْفًا بِـ«أَو»، والمَعْطُوفُ عَلَيه: مَحَلُّ: «إِنَّ» واسمِها. [٤٩] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ﴾. [٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾: لِوَقْتِ[٨] ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أَي: يَومِ القِيَامَةِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ يَبلُغُ به النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الواقعة (٥٦) باب (١) ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾.

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَتَينِ (٣٩، ٤٠): أَخرَجَ أَحمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَنَزَلَتْ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ فقَالَ: «أَنْتُمْ ثُلُثُ أَهْلِ الجَنَّةِ، بَلْ أَنْتُمْ نِصفُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَتُقَاسِمُونَهُمُ النِّصفَ البَاقِيَ». أخرجه أحمدُ في المُسنَدِ (٢/ ٣٩١)، وصحَّحه الشيخُ أحمد شاكر في تخريجه على المُسنَدِ (١٧/ ١٣٢) رقم (٩٠٦٩). وقال الهَيثَمِيُّ في مَجمَعِ الزَّوائدِ (٧/ ١١٨): «رَوَاهُ أَحمَدُ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ بَيَّاعِ المُلَاءِ عَنْ أَبِيهِ، وَلَمْ أَعرِفْهُمَا، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ». وضعَّفه في الاستيعاب (٣/ ٣١٦).

---

(١) بِالفَتْحِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾؛ بِالكَسْرِ.
(٢) أي: سَوادُ الحَدَقَةِ وبَيَاضُ مَا حَولَها، وقِيلَ: مَع شِدَّةِ بَيَاضِ الجَسَدِ كذَلِكَ.
(٣) لِأَنَّ أصلَها: «عُيْن» بِضَمِّ العَينِ وسُكُونِ اليَاءِ.
(٤) لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ.
(٥) بالسُّكُونِ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وشُعْبَةَ.
(٦) أي: وتَرْكِه، وقَرَأَ نَافعٌ والكِسَائِيُّ بِالاستِفهَامِ في الأَوَّلِ، والإِخبَارِ في الثَّانِي، ورَاجِع التَّعلِيقَ في سورة الرَّعدِ الآيَة (٥).
(٧) بالسُّكُونِ: قِراءَةُ ابنِ عامرٍ وقَالون.
(٨) في نُسْخَة قباوَة: (وقْتِ)؛ بِدُونِ اللام.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ
شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ
مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ
شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا
لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَا أُقْسِمُ (نصف الحزب ٥٤)
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾. [٥٢] ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾: بَيانٌ لِلشَّجَرِ.

[٥٣] ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾: مِنَ الشَّجَرِ ﴿الْبُطُونَ﴾. [٥٤] ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: الزَّقُّومِ المأكُولِ ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾. [٥٥] ﴿فَشَارِبُونَ [شَرْبَ]﴾ -بِفَتحِ الشِّينِ وضَمِّها[1]- مَصْدَرٌ- ﴿الْهِيمِ﴾: الإبِلِ العِطاشِ، العِطاشِ، جَمْعُ هَيْمانَ لِلذَّكَرِ، وهَيْمَى لِلأُنْثَى؛ كَعَطْشانَ وعَطْشَى.

[٥٦] ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾: ما أُعِدَّ لَهُم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يومَ القِيامَةِ.

[٥٧] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾: أوجَدْناكُم مِن عَدَمٍ ﴿فَلَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبَعْثِ؛ إذِ القادِرُ على الإنشاءِ قادِرٌ على الإعادَةِ.

[٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾: تُريقُونَ مِنَ المَنِيِّ في أرحامِ النِّساءِ؟ [٥٩] ﴿ءَأَنتُمْ﴾ - بتَحقيقِ الهَمزَتَينِ، وإبْدالِ الثّانيَةِ ألِفًا، وتَسهيلِها، وإدخالِ ألِفٍ بَينَ المُسَهَّلَةِ والأُخرى، وتَركِه[2]، في المَواضِعِ الأربَعَةِ- ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: المَنِيَّ بَشَرًا ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾؟ [٦٠] ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ - بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ[3]- ﴿بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بعاجِزينَ. [٦١] ﴿عَلَىٰ﴾: عَن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾: نَجعَلَ ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ مَكانَكُم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾: نَخلُقَكُم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنَ الصُّوَرِ؛ كالقِرَدَةِ والخَنازيرِ.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ [النَّشَاءَةَ][4] الْأُولَىٰ﴾ وفي قِراءَةٍ: بِسُكُونِ الشِّينِ ﴿فَلَوْلَا [تَذَّكَّرُونَ]﴾ - فيه إدغامُ التّاءِ الثّانِيَةِ في الأصلِ في الذّالِ[5]-.

[٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: تُثِيرونَ الأرضَ، وتُلقُونَ البَذرَ فيها؟

[٦٤] ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾: تُنبِتُونَه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾؟

[٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾: نَباتًا يابِسًا، لا حَبَّ فيه ﴿فَظَلْتُمْ﴾ - أصلُه: «ظَلِلْتُم» بِكَسرِ اللّامِ، حُذِفَت تَخفيفًا- أي: أقَمتُم نَهارًا ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ - حُذِفَت منه إحدَى التّاءَينِ في الأصلِ-: تَعجَبُونَ مِن ذلِكَ، وتَقُولونَ: [٦٦] ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ نَفَقَةَ زَرعِنا.

[٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: مَمنُوعونَ رِزقَنا.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾؟

[٦٩] ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾: السَّحابِ، جَمعُ: «مُزْنَة» ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾؟

[٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾: مِلحًا لا يُمكِنُ شُربُه ﴿فَلَوْلَا﴾: فهَلَّا ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تُخرِجُونَ مِنَ الشَّجَرِ الأخضَرِ؟ [٧٢] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾: كالمَرْخِ والعَفارِ والكَلْخِ[6] ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾؟

[٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لِنارِ جَهَنَّمَ ﴿وَمَتَاعًا﴾: بُلغَةً ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: لِلمُسافِرينَ. مِن: أقوَى القَومُ؛ أي: صارُوا بالقِوا، بالقَصرِ والمَدِّ[7]؛ أي: القَفرِ. وهُو مَفازَةٌ لا نَباتَ فيها ولا ماءَ. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ﴾: نَزِّهْ ﴿بِاسْمِ﴾: زائِدٌ[8] ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: اللهِ.

[٧٥] ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ﴾ «لا»: زائِدَةٌ ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾: بِمَساقِطِها لِغُروبِها[9].

[٧٦] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القَسَمَ بها ﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: لَو كُنتُم مِن ذَوي العِلمِ لَعَلِمتُم عِظَمَ هذا القَسَمِ.

---

(١) بِالفَتحِ: قِراءَةُ الكِسائِيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿شُرْبَ﴾؛ بالضَّمِّ.

(٢) انظرِ التَّعليقَ على الآيَةِ (١٧) مِن سُورَةِ الفُرقانِ.

(٣) بالتَّخفيفِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ.

(٤) لابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿النَّشْأَةَ﴾؛ بِسُكُونِ الشِّينِ.

(٥) وهي قِراءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو وابنِ عامرٍ وشُعبةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ بتَخفيفِ الذّالِ.

(٦) أنواعٌ مِنَ الشَّجَرِ سَريعَةُ القَدحِ.

(٧) في نُسخَةِ قَباوَة: (صارُوا بالقِواءِ، بالمَدِّ والقَصرِ).

(٨) أي: لَفظُ: ﴿اسْمِ﴾، والمعنَى: «سَبِّحْ رَبَّكَ» وسَبِّحْ يَتَعدَّى بِنَفسِهِ وبالباءِ. قالَ الصّاوي في حاشيته على الجلالين (٥/ ٥٤): «وما مَشَى عليه المُفَسِّرُ، مِن زِيادَةِ لَفظِ ﴿اسْمِ﴾: أحَدُ قَولَينِ، والآخَرُ أنّه لَيسَ زائِدًا، بَل كَما يَجِبُ تَعظيمُ الذّاتِ وتَنزيهُها عَنِ النَّقائِصِ، كَذلِكَ يَجِبُ تَعظيمُ الاسمِ وتَنزيهُه عَنِ النَّقائِصِ...». وفي قُرَّةِ العَينَينِ المعروفِ بحاشيَةِ الجَملِ (٤/ ٢٨٠): «قوله: زائِدٌ»: أي: لَفظُ: ﴿بِاسْمِ﴾ زائِدٌ، وسَبِّحْ يَتَعدَّى بِنَفسِهِ وبِحَرفِ الجَرِّ؛ فالمَعنَى: «سَبِّحْ رَبَّكَ» فالباءُ زائِدَةٌ، والاسمُ باقٍ على مَعناه، أو بِمَعنَى الذّاتِ، أو بِمَعنَى الذِّكرِ، أو الباءُ مُتَعلِّقَةٌ بِمَحذوفٍ، وقِيلَ: الباءُ زائِدَةٌ...». وقال قباوةُ في المفصَّل (ص١٩٠١) -تَعليقًا على ذلك-: «أمّا زِيادَةُ الأسماءِ فَغَيرُ مَقبُولَةٍ، وزِيادَةُ الجارِّ والمَجرورِ أبعَدُ، وأمّا الباءُ هُنا فتَحتَمِلُ أن تَكُونَ زائِدَةً لِلتَّقوِيَةِ والتَّوكيدِ».

(٩) عزاه القرطبيُّ (١٧/ ٢٢٣) لِقَتادَةَ. وقال ابنُ كثيرٍ (٨/ ٣١): «وقالَ مُجاهِدٌ: مَواقِعُ النُّجُومِ في السَّماءِ وَيُقالُ مَطالِعُها وَمَشارِقُها. وَكَذا قالَ الحَسَنُ وَقَتادَةُ، وَهُوَ اختِيارُ ابنِ جَريرٍ». وروى النَّسائيُّ في الكُبرَى (١١٥٠١)، والبيهقيُّ (٢٠٥٤)، والحاكمُ في المُستدرَكِ (٣٧٨١) عَنِ ابنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما، قالَ: «أُنزِلَ القُرآنُ في لَيلَةِ القَدرِ مِنَ السَّماءِ العُليا إلى السَّماءِ الدُّنيا جُملَةً واحِدَةً، ثُمَّ فُرِّقَ في السِّنينَ» قالَ: وتَلا هذه الآيَةَ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾. وقالَ الحاكمُ: «هذا حَديثٌ صَحيحٌ عَلى شَرطِ الشَّيخَينِ وَلَم يُخرِجاهُ»، ووافقه الذَّهَبيُّ.

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ
أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ
إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

[٧٧] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: المَتْلُوَّ عليكم ﴿لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾. [٧٨] ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾: مَكْتُوبٍ[1] ﴿مَّكۡنُونٖ﴾: مَصُونٍ وهُو المُصْحَفُ[2]. [٧٩] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾: خَبَرٌ بِمَعنَى النَّهْيِ ﴿إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ الذِينَ طَهَّرُوا أنفُسَهم مِنَ الأَحْدَاثِ. [٨٠] ﴿تَنزِيلٞ﴾: مُنَزَّلٌ ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

[٨١] ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾: القُرآنِ ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾: مُتَهَاوِنُونَ مُكَذِّبُونَ؟ [٨٢] ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ مِنَ المَطَرِ؛ أَي: شُكْرَه ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ بِسُقْيَا اللهِ حَيثُ قُلْتُم: مُطِرْنَا بنَوءِ كَذَا؟[*]

[٨٣] ﴿فَلَوۡلَآ﴾: فَهَلَّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الرُّوحُ وَقْتَ النَّزْعِ ﴿ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ هُو مَجْرَى الطَّعَامِ.

[٨٤] ﴿وَأَنتُمۡ﴾ - يَا حَاضِرِي المَيِّتِ- ﴿حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾ إليه.

[٨٥] ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ بِالعِلْمِ[3] ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾: مِنَ البَصِيرَةِ؛ أَي: لا تَعلَمُونَ ذَلِكَ.

[٨٦] ﴿فَلَوۡلَآ﴾: فَهَلَّا ﴿إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ﴾: مَجْزِيِّينَ بِأَنْ تُبْعَثُوا؛ أَي: غَيرَ مَبْعُوثِينَ بِزَعْمِكُم.

[٨٧] ﴿تَرۡجِعُونَهَآ﴾: تَرُدُّونَ الرُّوحَ إِلى الجَسَدِ بعدَ بُلُوغِ الحُلْقُومِ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فِيمَا زَعَمْتُم. فَـ«لَوْلَا» الثانِيَةُ: تَأْكِيدٌ لِلأُولَى[4]، و«إِذَا»: ظَرْفٌ لِـ«تَرْجِعُونَ» المُتَعَلِّقِ بِه الشَّرْطَانِ. والمَعنَى: هَلَّا تَرْجِعُونَها، إِنْ نَفَيْتُم البَعْثَ صَادِقِينَ في نَفيِه؛ أَي: لِيَنتَفِيَ عَنْ مَحَلِّها المَوتُ كَالبَعْثِ[5].

[٨٨] ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المَيِّتُ ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾. [٨٩] ﴿فَرَوۡحٞ﴾ أَي: فَلَه استِرَاحَةٌ ﴿وَرَيۡحَانٞ﴾: رِزْقٌ حَسَنٌ ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ - وهَلِ الجَوَابُ لِـ«أَمَّا»[6] أو: لِـ«إِنْ»، أو: لَهُما؟ أَقْوَالٌ-.

[٩٠] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾. [٩١] ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ﴾ أَي: لَه السَّلَامَةُ مِنَ العَذَابِ[7] ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾: مِنْ جِهَةِ أَنَّه مِنهُم. [٩٢] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

[٩٣] ﴿فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾. [٩٤] ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾. [٩٥] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ مِنْ إِضَافَةِ المَوصُوفِ إِلى صِفَتِه. [٩٦] ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾: تَقَدَّمَ.

سُورَةُ الحَدِيدِ

مَكِّيَّةٌ، أو: مَدَنِيَّةٌ، تِسْعٌ[8] وعِشْرُونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أَي: نَزَّهَهُ كُلُّ شَيءٍ- فَاللَّامُ مَزِيدَةٌ. وَجِيءَ بِـ﴿مَا﴾ دُونَ «مَنْ» تَغلِيبًا لِلأَكْثَرِ- ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صُنعِه[9].

[٢] ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ﴾ بِالإِنْشَاءِ ﴿وَيُمِيتُۖ﴾ بَعْدَه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

[٣] ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، بِلا بِدَايَةٍ ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ بَعْدَ كُلِّ شَيءٍ، بِلَا نِهَايَةٍ ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بِالأَدِلَّةِ عليه ﴿وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ عَنْ إِدْرَاكِ الحَوَاسِّ[10] ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (٧٥-٨٢): أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ على عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنهُمْ كَافِرٌ؛ قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾. مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٣٢) كُفر مَنْ قَالَ مُطِرنَا بِالنَّوءِ.

---

(١) كَلِمَةُ: (مَكتُوبٌ) لَيسَتْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) وهذا قَولُ مُجاهِدٍ وقَتَادَةَ، كَما في النُّكَتِ والعُيونِ، لِلماوَرْدِيِّ (٥/ ٤٦٣). وأَكثَرُ المُفَسِّرِينَ على أَنَّ المُرادَ بِالكِتَابِ المَكنُونِ هو اللَّوحُ المَحفُوظُ -وهو قولُ ابنِ عَبَّاسٍ- والمُطَهَّرُونَ هُمُ المَلائِكَةُ، ولا يَمَسُّه يُفِيدُ النَّفيَ عَلى ظَاهِرِه، وهَذا هو الأَرْجَحُ. ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٨)، والبَغَوِيِّ (٨/ ٢٢).

(٣) وقُربًا يَلِيقُ بِجَلَالِ الله عَزَّوَجَلَّ وكَمالِه.

(٤) الثَّانِيَةُ: في قَولِه: ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ﴾، وهِي تَأكِيدٌ لِلأُولَى: في قَولِه: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ﴾.

(٥) أي: لِيَنتَفِيَ عَنْ مَحَلِّ الرُّوحِ، وهُو الجَسَدُ. وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فالبَعثُ)، وقَالَ في تَعلِيقِه (ص١٩٠٣): «والفَاءُ هِي الفَصِيحَةُ لِلاستِئنَافِ والسَّبَبِيَّةِ».

(٦) أي: وَجَوَابُ «إِنْ» مَحذُوفٌ؛ لِدَلَالَةِ المَذكُورِ عليه، وهذَا مَعهُودٌ كَثِيرًا.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فَسَلَامةٌ). أي: إِنَّ «السَّلَامَ» في الآيَةِ بِمَعنَى: السَّلَامَةِ، وهو قَولُ ابنِ عَبَّاسٍ، كَما في زَادِ المسيرِ (٤/ ٢٣١). وقَالَ عَطَاءٌ: تُسَلِّمُ عليه المَلائِكَةُ، وتُخبِرُه أَنَّه مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ، وهو قَرِيبٌ مِنْ قَولِ البُخَارِيِّ (٦/ ١٤٦): «أي مُسَلَّمٌ لَكَ: إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ، وَأُلْغِيَتْ إِنَّ وَهُوَ مَعنَاهَا». وَقِيلَ: المَعنَى: سَلَامٌ لَكَ يَا صَاحِبَ اليَمِينِ، مِنْ إِخوَانِكَ أَصْحَابِ اليَمِينِ. فتح القدير للشوكانيِّ (٥/ ١٩٥).

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهي تِسعٌ). وسَبَبُ اختِلَافِهِم أَنَّ بَعضَ الآيَاتِ مَكِّيٌّ، وبَعضَها مَدَنِيٌّ.

(٩) سَبَقَ التَنبِيهُ في سُورَةِ البَقَرةِ آية (١٢٩) على أَنَّ الأَولَى التَّعمِيمُ في مُتَعَلَّقِ الحِكْمَةِ؛ فيُقَالُ: الحَكِيمُ في كُلِّ شَأنٍ مِن شُئُونِه؛ مِن صُنعِه، وقَدَرِه، وتَشرِيعِه، وجَزَائِه، وإِرْسَالِه رُسُلَه، وإِنزَالِه كُتُبَه.

(١٠) والأَولَى تَفسِيرُ هَذَينِ الاسمَينِ بِما فَسَّرَهما به النَّبِيُّ ﷺ كَما في الصَّحِيحَينِ وغَيرِهما؛ البُخَارِيُّ (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٣) - واللفظُ له- مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ، مَرفُوعًا: «وَأَنتَ الظَّاهِرُ فَلَيسَ فَوقَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ البَاطِنُ فَلَيسَ دُونَكَ شَيءٌ» فيَكُونُ اسمُه الظَّاهِرُ دَالًّا عَلى عُلُوِّه، واسمُه البَاطِنُ دالًّا عَلى إِحَاطَةِ عِلْمِه.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ
وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ
وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا
ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

[٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِنْ أَيَّامِ الدُّنيا؛ أَوَّلُها الأَحَدُ وآخِرُها الجُمُعَةُ(١) ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: الكُرْسِيِّ(٢) استِوَاءً(٣) يَلِيقُ به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يَدْخُلُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كَالمَطَرِ والأَمْوَاتِ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كَالنَّبَاتِ والمَعَادِنِ ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كَالرَّحْمَةِ والعَذَابِ ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يَصْعَدُ ﴿فِيهَا﴾ كَالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ والسَّيِّئَةِ(٤) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بِعِلْمِهِ(٥) ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٥] ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ المَوجُودَاتُ جَمِيعُها.

[٦] ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾: يُدْخِلُه ﴿فِى ٱلنَّهَارِ﴾ فيَزِيدُ ويَنقُصُ اللَّيلُ ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيَزِيدُ ويَنقُصُ النَّهارُ ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما فيها مِنَ الأَسْرَارِ والمُعتَقَدَاتِ.

[٧] ﴿ءَامِنُوا۟﴾: دَاوِمُوا على الإيمانِ ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟﴾ في سَبِيلِ الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ مِنْ مَالِ مَنْ تَقَدَّمَكُم، وسَيَخْلُفُكُم فيه مَنْ بَعْدَكُم. نَزَلَ في غَزْوَةِ العُسْرَةِ، وهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ(٦) ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟﴾ - إِشَارَةٌ إلى عُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ(٧) - ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ - خِطَابٌ لِلكُفَّارِ- أي: لا مَانِعَ لَكُم مِنَ الإيمانِ ﴿بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ [أُخِذَ]﴾ - بِضَمِّ الهَمْزَةِ وكَسْرِ الخَاءِ، وبِفَتْحِهِما ونَصْبِ مَا بَعدَه(٨)- ﴿[مِيثَاقُكُم]﴾ عليه؟ أي: أَخَذَهُ اللهُ في عَالَمِ الذَّرِّ، حِينَ أَشْهَدَهُم على أنفُسِهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾(٩) ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مُرِيدِينَ الإيمانَ به، فبَادِرُوا إِلَيه.

[٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: آيَاتِ(١٠) القُرآنِ ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفْرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ﴾ في إِخْرَاجِكُم مِنَ الكُفْرِ إلى الإيمانِ ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بَعْدَ إِيمانِكُم ﴿أَلَّا﴾ - فيه إِدْغَامُ(١١) نُونِ «أَنْ» في لَامِ «لَا»- ﴿تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بِمَا فِيهِما؛ فتَصِلُ إِلَيه أَموَالُكُم مِنْ غَيرِ أَجْرِ الإِنْفَاقِ، بِخِلَافِ مَا لَو أَنفَقْتُم فتُؤْجَرُونَ؟ ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ لِمَكَّةَ ﴿وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا﴾ مِنَ الفَرِيقَينِ- وفي قِرَاءَةٍ(١٢): بِالرَّفْعِ: مُبْتَدَأٌ- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجَنَّةَ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيُجَازِيكُم به.

[١١] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بِإِنفَاقِ مَالِه في سَبِيلِ اللهِ ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِأَنْ يُنْفِقَه لله ﴿[فَيُضَاعِفُهُ]﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ بِالتَّشدِيدِ(١٣)- ﴿لَهُۥ﴾ مِنْ عَشْرٍ إلى أَكثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ، كَمَا ذُكِرَ في «البَقَرَةِ»(١٤) ﴿وَلَهُۥٓ﴾ مَعَ المُضَاعَفَةِ ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مُقْتَرِنٌ بِه رِضًا وإِقْبَالٌ؟

---

(١) سَبَقَ الرَّدُّ على تَعيِينِ هذه الأَيَّامِ بِأَسمَائِها، عَلى النَّحوِ الذي سَاقَه المَحَلِّي هنا، أو في نَحوِها مِنَ الآيَاتِ، وأَنَّ هَذا لا سَنَدَ له. وذَلِكَ في سُورَةِ فُصِّلَتْ الآيَة (٩).

(٢) العَرشُ غَيرُ الكُرسِيِّ، وهو أعظَم منه كما في الحَدِيثِ، كَمَا سَبَقَ في سُورَةِ البَقَرَةِ، الآيَة (٢٥٥)، وسُورَةِ التَّوبَةِ، الآيَة (١٢٩).

(٣) سَبَقَ في تفسِيرِ سُورَةِ الأَعرَافِ الآيَة (٥٤)، التَّعلِيقُ على تَفوِيضِ الاستِوَاءِ، وأَنَّه إذا كَانَ يُرِيدُ تَفوِيضَ الكَيفِيَّةِ فهَذا حَقٌّ، وإِن كَانَ يُرِيدُ تَفوِيضَ المَعنَى؛ فَغَيرُ صَحِيحٍ، إِذْ إِنَّ السَّلَفَ يَعلَمُونَ مِن مَعنَاه: الاستِقرَار والعُلُوّ.

(٤) المُنَاسِبُ حَذفُه، لِأَنَّ الذي يُرفَع إِنَّما هُو الأَعمَالُ الصَّالِحَةُ، كَما في قَولِه تَعَالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

(٥) أي: وهُو فَوقَ عَرْشِه بِذَاتِه المُقَدَّسَةِ، لَا يَخفَى عَلَيه شَيءٌ مِنْ خَلقِه. ومَعِيَّةُ الله تَعَالى مَعَ عَبدِه نَوعَانِ؛ مَعِيَّةٌ عَامَّةٌ، ومَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وقَدِ اشتَمَلَ القُرآنُ عَلى النَّوعَينِ. وحَقِيقَةُ المَعِيَّةِ: الصُّحبَةُ اللائِقَةُ. وقَدْ أَخبَرَ سُبحَانَه أَنَّه مَعَ خَلقِه، مَعَ كَونِه مُستَوِيًا على عَرْشِه، وقَرَنَ بَينَ الأَمرَينِ، كَما في قَولِه تَعَالى في هذه الآيَةِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] فأَخبَرَ أَنَّه استَوَى عَلى عَرْشِه، وأَنَّه مَعَ خَلقِه يُبصِرُ أَعمَالَهم مِنْ فَوقِ عَرشِه؛ فَعِلْمُه لا يُنَاقِضُ مَعِيَّتَه، ومَعِيَّتُه لا تُبطِلُ عُلُوَّهُ.

(٦) لم نَقِفْ عليه مُسنَدًا، وعَزَاهُ أبو حَيَّان في البحرِ المُحيطِ (١٠/ ١٠١) لِلضَّحَّاك؛ قَالَ: «نَزَلَتْ في غَزوَةِ تَبُوكَ». والصَّحِيحُ أَنَّها عَامَّةٌ، ولَيسَتْ مِمَّا نَزَلَ عَلى سَبَبٍ، واللهُ أعلَمُ.

(٧) وكَذا إِلى غَيرِه مِنَ الصَّحَابَةِ رُضوَانُ الله عليهم، ولا دَلِيلَ عَلى قَصرِها عَلى عُثمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

(٨) بالضَّمِّ: قِرَاءَةُ أبي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بالفَتحِ: ﴿أَخَذَ﴾، ونَصبِ: ﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾.

(٩) الأعراف: ١٧٢.

(١٠) كَلِمَةُ: (آيَاتِ) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِإِدْغَام).

(١٢) لابنِ عامِرٍ.

(١٣) قَرَأَ ابنُ كثيرٍ: ﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾، بِالرَّفعِ مَعَ تَشدِيدِ العَينِ وحَذفِ الأَلِفِ. وقَرَأَ ابنُ عَامِرٍ: ﴿فَيُضَعِّفَهُ﴾، بِالنَّصبِ مَعَ تَشدِيدِ العَينِ وحَذفِ الأَلِفِ. وقَرَأَ عَاصِمٌ: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾، بِالنَّصبِ مَعَ تَخفِيفِ العَينِ والأَلِفِ قَبلَها. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿فَيُضَٰعِفُهُۥ﴾، بالرَّفعِ مَعَ تَخفِيفِ العَينِ والأَلِفِ قَبلَها. وهِيَ القِرَاءَةُ المُفَسَّرَةُ.

(١٤) في قولِه تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ
فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ
وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ
وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ
حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ (ربع الحزب ٥٤)
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ
وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

[١٢] اذْكُرْ ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أَمَامَهم ﴿وَ﴾ يَكُونُ ﴿بِأَيْمَٰنِهِم﴾ ويُقَالُ لَهم: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ أي: دُخُولُها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾: أَبْصِرُونَا - وفي قِرَاءَةٍ[١] بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وكَسْرِ الظَّاءِ: أَمْهِلُونَا- ﴿نَقْتَبِسْ﴾: نَأْخُذِ القَبَسَ والإِضَاءَةَ ﴿مِن نُّورِكُمْ قِيلَ﴾ لَهُمُ اسْتِهْزَاءً بِهِم: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ فَرَجَعُوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ وبَيْنَ المُؤْمِنِينَ ﴿بِسُورٍ﴾ -قِيلَ: هُو سُورُ الأَعْرَافِ- ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ مِنْ جِهَةِ المُؤْمِنِينَ ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ مِنْ جِهَةِ المُنَافِقِينَ ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

[١٤] ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بِالنِّفَاقِ ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بِالمُؤْمِنِينَ الدَّوَائِرَ ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: شَكَكْتُم في دِينِ الإِسْلَامِ ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾: الأَطْمَاعُ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: المَوْتُ ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الشَّيْطَانُ.

[١٥] ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ[٢]- ﴿مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أَوْلَى بِكُم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هِيَ!

[١٦] ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ﴾: يَحِنْ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ - نَزَلَتْ في شَأْنِ الصَّحَابَةِ، لَمَّا أَكْثَرُوا المِزَاحَ[٣]- ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا [نَزَلَ]﴾ - بِالتَّشْدِيدِ والتَّخْفِيفِ[٤]- ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القُرْآنِ؟ ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾: مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿تَخْشَعَ﴾ ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ - هُمُ اليَهُودُ والنَّصَارَى- ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾: الزَّمَنُ بَيْنَهم وبَيْنَ أَنْبِيَائِهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: لَمْ تَلِنْ لِذِكْرِ اللهِ ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

[١٧] ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾ - خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ المَذْكُورِينَ- ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بِالنَّبَاتِ. فَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِقُلُوبِكم؛ يَرُدُّها إِلَى الخُشُوعِ ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَتِنا بِهَذا وغَيْرِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ - مِنَ التَّصَدُّقِ، أُدْغِمَتِ التَّاءُ في الصَّادِ- أي: الَّذِينَ تَصَدَّقُوا ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾: اللَّاتِي تَصَدَّقْنَ. وفي قِرَاءَةٍ[٥] بِتَخْفِيفِ الصَّادِ فِيهِما؛ مِنَ التَّصْدِيقِ: الإِيمَانِ ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ - رَاجِعٌ إِلَى الذُّكُورِ والإِنَاثِ بِالتَّغْلِيبِ، وعُطِفَ الفِعْلُ عَلَى الاسْمِ في صِلَةِ «أل»؛ لِأَنَّه فيها حَلَّ مَحَلَّ الفِعْلِ، وذِكْرُ القَرْضِ بِوَصْفِه بَعْدَ التَّصَدُّقِ تَقْيِيدٌ لَه- ﴿يُضَٰعَفُ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ[٦]: ﴿يُضَعَّفُ﴾ بِالتَّشْدِيدِ- أي: قَرْضُهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

---

(١) لِحَمْزَةَ؛ أي: ﴿أَنظِرُونَا﴾.

(٢) بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ ابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِاليَاءِ.

(٣) يُشِيرُ إِلَى مَا أَخْرَجَه ابن أبي شَيبةَ في مُصَنَّفِه (١٤/ ٦٠ رَقم ٣٥٧١٥) عَنِ ابْنِ أَبِي رَوَّادٍ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ظَهَرَ فِيهِمُ المِزَاحُ وَالضَّحِكُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. وضَعَّفَه في الاستيعاب (٣/ ٣٢٠) لِإِعْضَالِه. وأَخْرَجَ مُسْلِمٌ في صَحِيحِه (٣٠٢٧) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ».

(٤) بِالتَّشْدِيدِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا نَافِعٍ وحَفْصٍ؛ فَقَرَآ: ﴿نَزَلَ﴾؛ بِالتَّخْفِيفِ.

(٥) بِتَخْفِيفِ الصَّادِ فِيهِما؛ ﴿ٱلْمُصَدِّقِينَ وَٱلْمُصَدِّقَٰتِ﴾: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وشُعْبَةَ.

(٦) وهي قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وابنِ عَامِرٍ بِغَيْرِ أَلِفٍ مَعَ تَشْدِيدِ العَيْنِ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالأَلِفِ وتَخْفِيفِ العَيْنِ.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ
وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ
ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن
قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا
تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤

[١٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾: المُبَالِغُون في التَّصْدِيقِ ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ على المُكَذِّبِينَ مِنَ الأُمَمِ ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدَّالَّةِ على وَحْدَانِيَّتِنَا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: النَّارِ.

[٢٠] ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾: تَزْيِينٌ ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ أي: الاشتِغَالُ فيها- وأَمَّا الطَّاعَاتُ ومَا يُعِينُ عليها فمِنْ أُمُورِ الآخِرَةِ- ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هِي في إِعْجَابِها لكُم واضمِحْلَالِها كَمَثَلِ ﴿غَيۡثٍ﴾: مَطَرٍ ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ﴾: الزُّرَّاعَ[1] ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ النَّاشِئُ عنه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يَيْبَسُ ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾: فُتَاتًا يَضْمَحِلُّ بالرِّيَاحِ ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ لِـمَنْ آثَرَ عَليها الدُّنيا ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ لِمَنْ لَمْ يُؤثِرْ عَليها الدُّنيا ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾: مَا التَّمَتُّعُ فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لَو وُصِلَتْ إِحْدَاهُما بِالأُخرَى- والعَرْضُ: السَّعَةُ- ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

[٢٢] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بِالجَدْبِ[2] ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ كَالمَرَضِ، وفَقْدِ الوَلَدِ ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ يَعْنِي اللَّوحَ المَحفُوظَ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾: نَخْلُقَها، ويُقَالُ في النِّعْمَةِ كَذَلِكَ. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

[٢٣] ﴿لِّكَيۡلَا﴾ «كَي»: نَاصِبَةٌ لِلفِعْلِ بِمَعنَى «أَنْ»؛ أي: أَخْبَرَ -تَعَالَى- بِذَلِكَ لِئَلَّا ﴿تَأۡسَوۡاْ﴾: تَحْزَنُوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ﴾ فَرَحَ بَطَرٍ، بَلْ فَرَحَ شُكْرٍ عَلى النِّعْمَةِ ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ - بِالمَدِّ: أَعطَاكُم، وبِالقَصْرِ[3]: جَاءَكُم منه- ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾: مُتَكَبِّرٍ بِما أُوتِيَ ﴿فَخُورٍ﴾ به عَلى النَّاسِ.

[٢٤] ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بِمَا يَجِبُ عَليهم ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ بِه، لَهُم وَعِيدٌ شَدِيدٌ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عَمَّا يَجِبُ عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ - ضَمِيرُ فَصْلٍ، وفي قِرَاءَةٍ بِسُقُوطِه[4]- ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ عَنْ غَيرِه ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ لِأَولِيَائِه.

---

(١) وهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ المُفَسِّرِينَ؛ وقِيلَ: المرادُ الكَافِرُونَ بالله عز وجل. قال القرطبيُّ (١٧/ ٢٥٥): «الكُفَّارُ هُنَا: الزُّرَّاعُ لِأَنَّهُمْ يُغَطُّونَ البَذْرَ. وَالمَعْنَى أَنَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا كَالزَّرْعِ يُعْجِبُ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ لِخُضْرَتِهِ بِكَثْرَةِ الأَمْطَارِ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَصِيرَ هَشِيمًا كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، وَإِذَا أَعْجَبَ الزُّرَّاعَ فَهُوَ غَايَةُ مَا يُسْتَحْسَنُ... وقيل: الكُفَّارُ هُنَا الكَافِرُونَ بالله عز وجل، لِأَنَّهُمْ أَشَدُّ إِعْجَابًا بِزِينَةِ الدُّنْيَا مِنَ المُؤْمِنِينَ. وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ، فَإِنَّ أَصْلَ الإِعْجَابِ لَهُمْ وَفِيهِمْ، وَمِنْهُمْ يَظْهَرُ ذَلِكَ، وَهُوَ التَّعْظِيمُ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. وَفِي المُوَحِّدِينَ مِنْ ذَلِكَ فُرُوعٌ تَحْدُثُ مِنْ شَهَوَاتِهِمْ، وَتَتَقَلَّلُ عِنْدَهُمْ وَتَدِقُّ إِذَا ذَكَرُوا الآخِرَةَ».

(٢) ونحوه كالوَبَاءِ والغَلَاءِ والقَحْطِ، والأَوْلَى: أَنْ يَقُولَ: كَالجَدْبِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ.

(٣) بالقصرِ: قراءةُ أبي عمرٍو.

(٤) أي: بعدم وُرُودِه، أي: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾، وهي قِراءَةُ: نافعٍ وابن عامرٍ.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ٢٦ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ
فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ٢٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٨ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢٩

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾: المَلائِكَةَ إلى الأنبياءِ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالحُجَجِ القَواطِعِ ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بِمَعنَى: الكُتُب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: العَدْلَ ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾: أَخرَجْناه مِنَ المَعادِنِ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يُقاتَلُ به ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلْمَ مُشاهَدَةٍ- مَعطُوفٌ عَلى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ - ﴿مَن يَنصُرُهُ﴾ بِأَنْ يَنصُرَ دِينَه بِآلاتِ الحَرْبِ، مِنَ الحَدِيدِ وغَيرِه ﴿وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾: حَالٌ مِنْ هَاءِ ﴿يَنصُرُهُ﴾؛ أي: غَائِبًا عَنهم في الدُّنيا. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «يَنْصُرُونَه ولَا يُبْصِرُونَه»[١] ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: لَا حَاجَةَ له[٢] إلى النُّصْرَةِ، لَكِنَّها تَنفَعُ مَنْ يَأْتِي بها.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يَعنِي: الكُتُبَ الأَرْبعَةَ: التَّوراةَ، والإِنجِيلَ، والزَّبُورَ، والفُرقَانَ؛ فَإنَّها في ذُرِّيَّةِ إِبْراهيمَ ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هِيَ رَفْضُ النِّساءِ واتِّخاذُ الصَّوامِعِ ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ مِنْ قِبَلِ أَنفُسِهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾: مَا أَمَرْنَاهُم بها ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ فَعَلُوها ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ﴾: مَرْضَاةِ ﴿اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ إِذْ تَرَكَها كَثِيرٌ مِنهُم، وكَفَرُوا بِدِينِ عِيسَى، ودَخَلُوا في دِينِ مَلِكِهم، وبَقِيَ عَلى دِينِ عِيسَى كَثِيرٌ مِنهُم، فَآمَنُوا بِنَبِيِّنا ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِعِيسَى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ مُحَمَّدٍ [صَلَّى اللهُ عَليه وعَلى عِيسَى وسلَّم][٣] ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾: نَصِيبَينِ ﴿مِن رَّحْمَتِهِ﴾ لِإِيمانِكُم بالنَّبِيَّينِ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ عَلى الصِّراطِ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي: أَعلَمَكُم بِذَلِكَ، لِيَعْلَمَ ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: التَّوراةِ، الَّذِينَ لَمْ يُؤمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿أَ﴾ نْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُها: ضَمِيرُ الشَّأْنِ. والمَعنَى: أَنَّهم ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ خِلافُ مَا في زَعْمِهم أَنَّهم أَحِبَّاءُ اللهِ وأَهْلُ رِضْوانِه ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾: يُعْطِيهِ ﴿مَن يَشَاءُ﴾ فَآتَى المُؤْمِنِينَ مِنهم أَجْرَهُم مَرَّتَينِ، كَما تَقَدَّمَ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[*].

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (٢٧-٢٩): أَخرَجَ النَّسَائِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ مُلُوكٌ بَعْدَ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَدَّلُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، وَكَانَ فِيهِمْ مُؤْمِنُونَ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ. قِيلَ لِمُلُوكِهِمْ: مَا نَجِدُ شَتْمًا أَشَدَّ مِنْ شَتْمٍ يَشْتِمُونَا هَؤُلَاءِ، إِنَّهُمْ يَقْرَءُونَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الآيَاتُ، مَعَ مَا يَعِيبُونَا بِهِ فِي أَعْمَالِنَا فِي قِرَاءَتِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَلْيَقْرَءُوا كَمَا نَقْرَأُ، وَلْيُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَّا، فَدَعَاهُمْ، فَجَمَعَهُمْ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ القَتْلَ، أَوْ يَتْرُكُوا قِرَاءَةَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، إِلَّا مَا بَدَّلُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: مَا تُرِيدُونَ إِلَى ذَلِكَ، دَعُونَا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا أُسْطُوَانَةً ثُمَّ ارْفَعُونَا إِلَيْهَا، ثُمَّ اعْطُونَا شَيْئًا نَرْفَعُ بِهِ طَعَامَنَا وَشَرَابَنَا، فَلَا نَرِدُ عَلَيْكُمْ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: دَعُونَا نَسِيحُ فِي الأَرْضِ، وَنَهِيمُ وَنَشْرَبُ كَمَا يَشْرَبُ الوَحْشُ، فَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَاقْتُلُونَا. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا دُورًا فِي الفَيَافِي، وَنَحْتَفِرُ الآبَارَ، وَنَحْتَرِثُ البُقُولَ فَلَا نَرِدُ عَلَيْكُمْ، وَلَا نَمُرُّ بِكُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ القَبَائِلِ إِلَّا وَلَهُ حَمِيمٌ فِيهِمْ. قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ وَالآخَرُونَ قَالُوا: نَتَعَبَّدُ كَمَا تَعَبَّدَ فُلَانٌ، وَنَسِيحُ كَمَا سَاحَ فُلَانٌ، وَنَتَّخِذُ دُورًا كَمَا اتَّخَذَ فُلَانٌ، وَهُمْ عَلَى شِرْكِهِمْ، لَا عِلْمَ لَهُمْ بِإِيمَانِ الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ ﷺ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، انْحَطَّ رَجُلٌ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، وَجَاءَ سَائِحٌ مِنْ سِيَاحَتِهِ، وَصَاحِبُ الدَّيْرِ مِنْ دَيْرِهِ، فَآمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوهُ، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾: أَجْرَيْنِ بِإِيمَانِهِمْ بِعِيسَى وَبِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَبِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصْدِيقِهِمْ. قَالَ: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: القُرْآنَ، وَاتِّبَاعُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الَّذِينَ يَتَشَبَّهُونَ بِكُمْ: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ الآيَةَ. النَّسَائِيُّ - كتاب آداب القضاة (٤٩) باب (١٢). (صحيح الإسناد موقوف) صحيح سُنَنِ النَّسَائيِّ (٤٩٩٠). وقَالَ ابنُ كثيرٍ (٨/ ٣٠): «هَذَا السِّيَاقُ فِيهِ غَرَابَةٌ، وَسَيَأْتِي تَفْسِيرُ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ عَلَى غَيْرِ هَذَا، والله أَعْلَمُ».

---

(١) لم نَقِفْ عليه مُسنَدًا. ونَسبَه إليه الرَّازي في مفاتحِ الغيبِ (٢٩/ ٤٧٢)، والخازنُ في لُبابِ التأويلِ في مَعاني التنزيلِ (٤/ ٢٥٢)، والكُورانيُّ في غايةِ الأماني في تفسيرِ الكلامِ الربَّاني (ص ١٠٠).

(٢) في نُسخةِ قباوَة: (به).

(٣) في الأصلِ: (ﷺ وعلى عيسى)، والمُثبَتُ مِن نُسخةِ قباوَة.

ترتيبها ٥٨ — سُورَةُ المُجَادَلَةِ — آياتها ٢٢

الجزء ٢٨ الحزب ٥٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ
بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ
مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ
مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

مَدَنِيَّةٌ، ثِنتَانِ وعِشْرُونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾: تُراجِعُكَ- أيُّها النَّبيُّ- ﴿فِي زَوۡجِهَا﴾ المُظَاهِرِ مِنها- وكَانَ(١) قال لَها: أنتِ عَليَّ كَظَهْرِ أُمِّي. وقَدْ سَألَتِ النَّبيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؛ فأجَابَها بِأنَّها حَرُمَتْ عليه(٢)، عَلى مَا هُو المَعهُودُ عِندَهم، مِنْ أنَّ الظِّهَارَ مُوجَبه فُرْقَةٌ مُؤبَّدَةٌ(٣). وهِي خَولَةُ(٤) بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، وهو: أوسُ بنُ الصَّامِتِ- ﴿وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وِحدَتَها وَفاقَتَها، وَصِبيَةً صِغَارًا؛ إِنْ ضَمَّتْهم إِليه ضَاعُوا، أو إِليها جَاعُوا، ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾: تَرَاجُعَكُما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾: عَالِمٌ(٥).

[٢] ﴿ٱلَّذِينَ [يَظَّهَّرُونَ](٦)﴾ - أَصْلُه: «يَتَظَهَّرُونَ» أُدغِمَتِ التَّاءُ في الظَّاءِ، وفي قِرَاءَةٍ(٧): بِأَلِفٍ بَينَ الظَّاءِ والهَاءِ الخَفِيفَةِ، وفي أُخرَى(٨): كـ«يُقَاتِلُونَ»، والمَوضِعُ(٩) الثَّاني(١٠) كَذَلِكَ- ﴿مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بِهَمْزَةٍ ويَاءٍ، وبِلَا يَاءٍ(١١) ﴿وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ﴾ بِالظِّهَارِ ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ﴾: كَذِبًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ لِلمُظَاهِرِ، بِالكَفَّارَةِ.

[٣] ﴿وَٱلَّذِينَ [يَظَّهَّرُونَ] مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: فِيه؛ بِأَنْ يُخَالِفُوه بِإمْسَاكِ المُظَاهَرِ منها، الذِي هُو خِلَافُ مَقْصُودِ الظِّهَارِ، مِنْ وَصْفِ المَرأةِ بِالتَّحْرِيمِ ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ أي: إِعتَاقُها عَليه ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ بِالوَطءِ ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

[٤] ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ رَقَبَةً ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ أي: الصِّيَامَ ﴿فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾ عليه؛ أي: مِنْ قَبلِ أَنْ يَتَمَاسَّا؛ حَمْلًا لِلمُطلَقِ على المُقَيَّدِ؛ لِكُلِّ مِسكِينٍ مُدٌّ مِنْ غَالِبِ قُوتِ البَلَدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التَّخفِيفُ في الكَفَّارَةِ ﴿لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ﴾ أي: الأَحكَامُ المَذْكُورَةُ ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بِها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ[*].

[٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾: يُخَالِفُونَ ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ﴾: أُذِلُّوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ في مُخَالَفَتِهم رُسُلَهم ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ﴾ دَالَّةً عَلى صِدْقِ الرَّسُولِ ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بِالآيَاتِ(١٢) ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: ذُو إِهَانَةٍ.

[٦] ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (١-٤): أَخرَجَ أَبو دَاودَ عَنْ خُوَيْلَةَ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: ظَاهَرَ مِنِّي زَوْجِي أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ، فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَشْكُو إِلَيْهِ، وَرَسُولُ الله ﷺ يُجَادِلُنِي فِيهِ، وَيَقُولُ: «اتَّقِي الله فَإِنَّهُ ابْنُ عَمِّكِ». فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ إِلَى الْفَرْضِ، فَقَالَ: «يُعْتِقُ رَقَبَةً». قَالَتْ: لَا يَجِدُ، قَالَ: «فَيَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ، قَالَ: «فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا»، قَالَتْ: مَا عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ، قَالَتْ: فَأُتِيَ سَاعَتَئِذٍ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنِّي أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: «قَدْ أَحْسَنْتِ، اذْهَبِي فَأَطْعِمِي بِهَا عَنْهُ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَارْجِعِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ». قَالَ: وَالْعَرَقُ: سِتُّونَ صَاعًا. أبو داود - كتاب الطلاق (١٧) في الظِّهَارِ. حَسَنٌ دُونَ قَولِه: «وَالْعَرَقُ: سِتُّونَ صَاعًا». صَحِيحُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ (١٩٣٤).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (كَانَ)، بِدُونِ الوَاوِ.

(٢) رَوَاهُ البَيهَقيُّ (١١٩٤٩) عَنْ أَبِي العَالِيَةِ مُرسَلًا.

(٣) رواه الطبرانيُّ في المُعجَمِ الكبيرِ (١١/ ٢٦٥) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ الظِّهَارُ فِي الجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُ النِّسَاءَ».

(٤) ويُقَالُ لها أيضًا: «خُوَيلَةُ» بِالتَّصغِيرِ، كَما فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاودَ فِي حَاشِيَةِ أَسبَابِ النُّزُولِ.

(٥) العِلْمُ غَيرُ السَّمْعِ والبَصَرِ؛ فَالسَّمْعُ تُدْرَكُ به الأَصوَاتُ، والبَصَرُ تُدرَكُ به المَرئِيَّاتُ، والعِلْمُ يَشمَلُ هَذا وغَيرَه، وكُلُّها صِفَاتٌ ثَابِتَةٌ لله عَزَّوَجَلَّ يَجِبُ الإيمَانُ بها على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبحَانَهُ-.

(٦) وهِي قِرَاءَةُ نَافِعٍ وابنِ كَثيرٍ وأَبي عَمرٍو.

(٧) أي: ﴿يَظَّاهَرُونَ﴾، وهِي قِرَاءَةُ حَمزَةَ والكِسَائيِّ وابنِ عَامِرٍ.

(٨) أي: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾، وهِي قِرَاءَةُ عَاصِمٍ.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وفي المَوضِعِ).

(١٠) أي: في قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾ آية (٣).

(١١) قَرَأَ ابنُ عَامِرٍ والكُوفِيُّونَ بِهَمزَةٍ مَكسُورَةٍ بَعدَها يَاءٌ، وقَرَأَ نَافِعٌ وابنُ كَثِيرٍ وأَبو عَمرٍو بِحَذفِ اليَاءِ؛ واختَلَفُوا في الهَمزَةِ؛ فَحَقَّقَها قَالُون وقُنبُل؛ ﴿اللاءِ﴾، وسَهَّلَها بَينَ بَينَ وَرْشٌ والبَزِّيُّ وأَبو عمرٍو في أَحَدِ وَجهَيها، ولَهُما إِبدَالُها يَاءً سَاكِنَةً، وبَعضُ أَهلِ الأَدَاءِ بِالوُقُوفِ بِاليَاءِ لِمَنْ سَهَّلَ. واللهُ أَعلَمُ.

(١٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة، وحَاشِيَةِ الجَمَلِ: (بِها).

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بِعِلْمِه[١] ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنْظُرْ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ هُمُ اليَهُودُ، نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَمَّا كَانُوا يَفعَلُونَ مِنْ تَنَاجِيهِم؛ أي: تَحَدُّثِهم سِرًّا، نَاظِرِينَ إلى المُؤمِنِينَ؛ لِيُوقِعُوا في قُلُوبِهِمُ الرِّيبَةَ ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ - أيُّها النَّبِيُّ - ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وهُو قَولُهم: «السَّامُ عليكَ»؛ أي: المَوتُ ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ مِنَ التَّحِيَّةِ، وأنَّه ليس بِنَبِيٍّ، إنْ كَانَ نَبِيًّا؟ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هِي![*]

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ بالإثْمِ ونَحْوِه ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بِغُرُورِه ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ﴾ هُو ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: إرَادَتِه[٢] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟﴾: تَوسَّعُوا ﴿فِى [ٱلْمَجْلِسِ][٣]﴾: مَجلِسِ النَّبِيِّ ﷺ، أوِ الذِّكْرِ؛ حَتَّى يَجْلِسَ مَنْ جاءَكُم. وفي قِراءَةٍ: ﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجَنَّةِ ﴿وَإِذَا قِيلَ [ٱنشِزُوا۟]﴾: قُومُوا إلى الصَّلاةِ، وغَيرِها مِنَ الخَيرَاتِ ﴿[فَٱنشِزُوا۟][٤]﴾ - وفي قِراءَةٍ: بِضَمِّ الشِّينِ فيهِما - ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بالطَّاعَةِ في ذَلِكَ ﴿وَ﴾ يرفَعِ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ في الجَنَّةِ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن
نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ
وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ
شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٨): أخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أُنَاسٌ مِنَ اليَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ. قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، لَا تَكُونِي فَاحِشَةً»، فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ». وفي رِوَايَةٍ عِنْدَه: فَفَطِنَتْ بِهِمْ عَائِشَةُ فَسَبَّتْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ». وَزَادَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. مسلم، كتاب السلام (٣٩) باب (٤) النهي عن ابتداءِ أهل الكتاب بِالسَّلام. وأخرجَه البُخَارِيُّ عنها في أكثر من موضع (٢٩٣٥، ٦٠٢٤، ٦٠٣٠، ٦٢٥٦) وفي غَيرِها، دُونَ ذِكرِ أَنَّ ذَلِكَ سببُ نُزولِ الآيَةِ.

---

(١) أي: وهو فوق عَرشه بِذاتِه المُقدَّسة، لا يَخفَى عليه شَيءٌ مِن خَلقِه، وسَبَقَ بَيانُ قِسمَي المَعِيَّةِ العَامِّ والخَاصِّ، وبَيانُ حَقِيقَتِها في آخِرِ سُورَةِ النَّحلِ، وسُورَةِ الحَدِيدِ الآيَة (٤).

(٢) الإذْنُ غيرُ الإرادةِ، وسبَق التنبيهُ على ذلِكَ مِرارًا، ويُنظَرُ التَّعليقُ على الآية (١٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٣) وهي قراءةُ السَّبْعة عدا عاصِم، وقرأ عاصِمٌ: ﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾.

(٤) وهي قراءةُ حمْزَة والكِسائيِّ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو وشُعْبَة بخِلَافٍ عنه، وقرأ بقِيَّةُ السَّبْعةِ -وهو الوَجه الثَّاني لِشُعْبَة-: ﴿ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾ بِضَمِّ الشِّينِ فيهما.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ
صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ
(١٢) ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
ربع الحزب ٥٥ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٣) ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ
قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ (١٦) لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٧) يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ
عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (١٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ
(٢٠) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (٢١)

[١٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾: أَرَدْتُم مُنَاجَاتَه ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾: قبْلَها ﴿صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ لِذُنُوبِكُم ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ مَا تَتَصَدَّقُونَ به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِمَنَاجَاتِكُم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِكُم؛ يَعني: فَلَا عَلَيكُم في المُنَاجَاةِ مِنْ غيرِ صَدَقةٍ. ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِقَولِه:

[١٣] ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وإِبْدَالِ الثَّانِيةِ أَلِفًا، وتَسهِيلِها، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَ المُسَهَّلَةِ والأُخرَى، وتَرْكِه[1] - أَي: خِفْتُم مِنْ ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ الفَقْرَ؟ ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ الصَّدَقَةَ ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾: رَجَعَ بِكُم عنها ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ أي: دُومُوا على ذَلِكَ ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ﴾: تَنْظُرْ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ﴾ - هُمُ المُنَافِقُونَ- ﴿قَوۡمًا﴾ - هُمُ اليَهُودُ- ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم﴾ أَيِ: المُنَافِقُونَ ﴿مِّنكُمۡ﴾: مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾: مِنَ اليَهُودِ، بَلْ هُمْ مُذَبْذَبُونَ ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾ أي: قَولِهِم: إِنَّهم مُؤمِنُونَ ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أَنَّهم كَاذِبُونَ فيه؟[*]

[١٥] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ مِنَ المَعَاصِي!

[١٦] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾: سِتْرًا على[2] أَنْفُسِهم وأَمْوَالِهم ﴿فَصَدُّواْ﴾ بِها المُؤْمِنِينَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجِهَادِ فيهم، بِقَتْلِهم وأَخْذِ أَمْوَالِهم ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: ذُو إِهَانَةٍ.

[١٧] ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مِنْ عَذَابِه ﴿شَيۡـًٔاۚ﴾ مِنَ الإِغْنَاءِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

[١٨] اذْكُرِ ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ﴾ إِنَّهم مُؤمِنُونَ ﴿كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ﴾ مِنْ نَفْعِ حَلِفِهم في الآخِرَةِ كَالدُّنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾.

[١٩] ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ﴾: استَولَى ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بِطَاعَتِهم له ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾: أَتبَاعُه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾: يُخَالِفُونَ ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾: المَغْلُوبِينَ.

[٢١] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللَّوحِ المَحْفُوظِ، أو قَضَى ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ بِالحُجَّةِ، أوِ[3] السَّيفِ[4] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَتَينِ (١٤، ١٨): أَخرَجَ أَحمَدُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسًا في ظِلِّ حُجْرَتِهِ... فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «يَجِيئُكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَلَا تُكَلِّمُوهُ»، فَجَاءَ رَجُلٌ أَزْرَقُ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ: «عَلَامَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟» قَالَ: كَمَا أَنْتَ حَتَّى آتِيَكَ بِهِمْ، قَالَ: فَذَهَبَ، فَجَاءَ بِهِمْ، فَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا، وَمَا فَعَلُوا، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. أحمد - المسند (١/ ٣٥٠) (٣٢٧٧). ونحوه في (١/ ٢٤٠) (٢١٤٧)، لكن فيه: قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي المُجَادَلَةِ: ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾. وصحَّح الشيخ أحمد شاكر إسناده في المُسند (٤/ ١٧، ١٨) رَقم (٢١٤٧)، وحَسَّنَ الأرناؤوطُ إسنادَه في تَخريجِه على المُسنَدِ (٤/ ٤٨). وقال الهيثميُّ في مَجمعِ الزَّوائدِ (٧/ ١٢٢): «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ، وَرِجَالُ الجَمِيعِ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

(١) انظُرِ التَّعليقَ على الآيَةِ رقم (١٧) من سُورة الفُرقَانِ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (عَن).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وَ).

(٤) أو بِهِما جَمِيعًا.

[٢٢] ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾: يُصادِقُون ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا﴾ أي: المُحادُّون ﴿آبَاءَهُمْ﴾ أي: المُؤمِنينَ ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بَلْ يَقصِدُونَهم بالسُّوءِ، ويُقَاتِلُونَهم عَلى الإِيمانِ، كَما وَقَعَ لِجَماعةٍ مِنَ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم[1] ﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِين لا يُوادُّونَهم ﴿كَتَبَ﴾: أَثْبتَ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ﴾: بِنُورٍ ﴿مِنْهُ﴾ تَعالى ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِه[2] ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِثَوابِه ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يَتَّبِعُونَ أَمْرَه، ويَجْتَنِبُونَ نَهيَه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفَائِزُونَ.

سُورَةُ الحَشْر

مَدَنِيَّةٌ، أَرْبَعٌ وعِشْرُونَ آيَةً[*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ- فاللَّامُ مَزِيدَةٌ، وفي الإِتيانِ بِـ﴿مَا﴾ تَغْلِيبٌ لِلأَكْثرِ- ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في مُلْكِه وصُنْعِه.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هُم بَنُو النَّضِيرِ مِنَ اليَهُودِ[3] ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: مَسَاكِنِهم بِالمَدِينَةِ ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هُو حَشْرُهُم إِلى الشَّامِ[4]. وآخِرُه: أَنْ جَلَّاهُم عُمَرُ في خِلافَتِه إِلى خَيبَرَ[5] ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ - أَيُّها المُؤمِنُونَ- ﴿أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ﴾: خَبَرُ «أَنَّ» ﴿حُصُونُهُمْ﴾: فَاعِلُه به تَمَّ[6] الخَبَرُ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: مِنْ عَذَابِه ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾: أَمْرُه وعَذَابُه[7] ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهم، مِنْ جِهَةِ المُؤمِنِينَ ﴿وَقَذَفَ﴾: أَلْقَى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ - بِسُكُونِ العَينِ وضَمِّها[8]-: الخَوفَ؛ بِقَتلِ سَيِّدِهم كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ ﴿[يُخَرِّبُونَ]﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيفِ[9]؛ مِنْ: «أَخْرَبَ»- ﴿بُيُوتَهُمْ﴾ لِيَنقِلُوا مَا اسْتَحْسَنُوه منها، مِنْ خَشَبٍ وغَيرِه ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

[٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾: قَضَى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾: الخُروجَ[10] مِنَ الوَطَنِ ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بِالقَتْلِ والسَّبْيِ، كَما فَعَلَ بِقُرَيظَةَ مِنَ اليَهُودِ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ
بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ — تَرْتِيبُهَا ٥٩ — آيَاتُهَا ٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ السُّورَةِ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ: «التَّوْبَةُ هِيَ الفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنزِلُ، وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الأَنفَالِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٦ب) باب (١). وأخرجه مُسلمٌ- كتاب التفسير (٦٤) - (٥) بَابٌ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ وَالأَنفَالِ وَالحَشْرِ.

---

(١) قال ابنُ كثيرٍ (٨/ ٥٤): «... وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ نَزَلَتْ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فِي الصِّدِّيقِ، هَمَّ يَوْمَئِذٍ بِقَتْلِ ابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ فِي مُصْعَبِ ابْنِ عُمَيْرٍ، قَتَلَ أَخَاهُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَوْمَئِذٍ، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ فِي عُمَرَ، قَتَلَ قَرِيبًا لَهُ يَوْمَئِذٍ أَيْضًا، وَفِي حَمْزَةَ وَعَلِيٍّ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الحَارِثِ، قَتَلُوا عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَالوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ يَوْمَئِذٍ، والله أَعْلَمُ».

وروى الطبرانيُّ في الكبيرِ (٣٦٠)، والبيهقيُّ في السُّنَنِ (١٧٨٣٥) عَنِ ابنِ شَوْذَبٍ، قَالَ: «جَعَلَ أَبُو أَبِي عُبَيْدَةَ يَتَصَدَّى لِأَبِي عُبَيْدَةَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَحِيدُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ، قَصَدَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَتَلَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ الآيَةَ حِينَ قَتَلَ أَبَاهُ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. وقال الهيثميُّ في المجمعِ (٩/ ١٥٥): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَإِسْنَادُهُ مُنْقَطِعٌ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ».

(٢) كأَنَّ المُفَسِّرَ يُرِيدُ تأويلَ رِضَا الله عَنِ المُؤمِنِينَ بِالتَّوفِيقِ إِلى الطَّاعَةِ، وهَذا خِلافُ مَذهَبِ السَّلَفِ فِي إِثبَاتِ هَذِه الصِّفَةِ وغَيرِها، مِمَّا أَثبتَه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَفسِه على الوَجْهِ اللائِقِ.

(٣) روى الحاكمُ (٣٧٩٧)، والبيهقيُّ في الدلائل (٣/ ١٧٨)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: «كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ، وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ اليَهُودِ، عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَكَانَ مَنْزِلُهُمْ وَنَخْلُهُمْ بِنَاحِيَةِ المَدِينَةِ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الجَلَاءِ، وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الإِبِلُ مِنَ الأَمْتِعَةِ وَالأَمْوَالِ إِلَّا الحَلْقَةَ، يَعْنِي السِّلَاحَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾، فَقَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الجَلَاءِ، فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ...». وقال الحاكمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذَّهبيُّ. وخَبَرُ إِجلاءِ بَني النَّضِيرِ رَواه أَيضًا أبو داودَ (٣٠٠٤) وغيرُه، وصَحَّحَه الأَلبانِيُّ في صحيح سُنَنِ أَبي داودَ (٢٦٥٦).

(٤) اتَّفَقَ المُفَسِّرُونَ عَلى أَنَّ «أَوَّلَ الحَشْرِ» هو: إِخراجُهم مِنَ المَدِينَةِ.

(٥) هذا سَبْقُ قَلَمٍ أَو سَهْوٌ مِنَ المُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ وصَوابُه: «مِنْ خَيبَرَ»؛ حَيثُ إِنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أَجلاهم مِن خَيبرَ وجَميعِ جَزيرةِ العَربِ، إِلى أَذْرُعَاتٍ وأَرِيحا مِنْ أَرضِ الشَّامِ. وتَفسيرُ الحشرِ الثاني بذَلِكَ؛ هو قَولُ مُرَّةَ الهَمْدانيِّ. وقال الحَسَنُ: هو: إِلى أَرضِ المحشَرِ يومَ القيامةِ. وقيلَ غيرُ ذَلِكَ. يُنظَرُ في ذَلِكَ: زاد المسير (٤/ ٢٥٤).

(٦) في نُسخَةِ قَباوَة: (تمَّ به) بتَقدِيمِ: (تمَّ).

(٧) مَعَ إِثباتِ صِفَةِ الإِتيانِ لله عَزَّ وَجَلَّ على ما يَلِيقُ بِجَلالِه سُبحانَه.

(٨) بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ وابنِ عامرٍ.

(٩) بالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ أَبي عَمرٍو.

(١٠) في نُسخَة قَباوَة: (بالخُروج).

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ
دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ
أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن
قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

[٤] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾: خَالَفُوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٥] ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ - يَا مُسلِمِينَ- ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾: نَخلَةٍ ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: خَيَّرَكُم في ذَلِكَ ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ بالإذنِ في القَطْعِ ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: اليَهُودَ، في اعْتِرَاضِهم بِأَنَّ قَطْعَ الشَّجَرِ المُثْمِرِ فَسَادٌ[*].

[٦] ﴿وَمَا أَفَاءَ﴾: رَدَّ(١) ﴿اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾: أَسرَعْتُم، يَا مُسلِمِينَ ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾: زَائِدَةٌ ﴿خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: إِبْلٍ؛ أي: لَم تُقَاسُوا فيه مَشَقَّةً ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَلَا حَقَّ لَكُم فيه، ويَختَصُّ به النَّبِيُّ ﷺ، ومَنْ ذُكِرَ مَعَه في الآيَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الأَصْنَافِ الأَرْبَعةِ، عَلى مَا كَان يَقسِمُه؛ مِنْ أَنَّ لِكُلٍّ منهم خُمُسَ الخُمُسِ، وله ﷺ البَاقِي، يَفْعَلُ فيه مَا يَشَاءُ. فَأَعْطَى منه المُهَاجِرِينَ، وثَلَاثَةً مِنَ الأَنْصَارِ(٢) لِفَقْرِهم.

[٧] ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ كَـ«الصَّفْرَاءِ» و«وَادِي القُرَى» و«يَنْبُعَ» ﴿فَلِلَّهِ﴾ يَأْمُرُ فيه بِمَا يَشَاءُ ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي﴾: صَاحِبِ ﴿الْقُرْبَىٰ﴾: قَرَابَةِ النَّبِيِّ؛ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِبِ ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: أَطفَالِ المُسلِمِينَ الذِينَ هَلَكَتْ آبَاؤُهُم، وهُم فُقَرَاءُ ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: ذَوِي الحَاجَةِ مِنَ المُسلِمِينَ ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المُنْقَطِعِ فِي سَفَرِه مِنَ المُسلِمِينَ؛ أي: يَستَحِقُّه النَّبِيُّ ﷺ والأَصْنَافُ الأَربَعَةُ، عَلى مَا كَانَ يَقْسِمُه، مِنْ أَنَّ لِكُلٍّ مِنَ الأَربَعَةِ خُمُسَ الخُمُسِ، وله البَاقِي ﴿كَيْ لَا﴾ - «كَي» بِمَعنَى اللَّام، و«أَنْ» مُقَدَّرَةٌ بَعْدَها(٣)- ﴿يَكُونَ﴾ الفَيءُ(٤) - عِلَّةٌ لِقَسْمِه كذَلِكَ- ﴿دُولَةً﴾: مُتَدَاوَلًا ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ﴾: أَعْطَاكُم ﴿الرَّسُولُ﴾ مِنَ الفَيءِ وغَيرِه ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أي: اعْجَبُوا(٥) ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إِيمَانِهم.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المَدِينَةَ ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي: أَلِفُوه- وهُمُ الأَنصَارُ- ﴿مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾: حَسَدًا ﴿مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي: آتَى النَّبِيُّ ﷺ المُهَاجِرِينَ مِنْ أَموَالِ بَنِي النَّضِيرِ المُختَصَّةِ به ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: حَاجَةٌ إِلى مَا يُؤثِرُونَ به ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: حِرْصَها عَلى المَالِ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[**]

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٥): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قَالَ: «اللِّينَةُ: النَّخلَةُ». ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ قَالَ: «اسْتَنزَلُوهُم مِنْ حُصُونِهِمْ»، قَالَ: «أُمِرُوا بِقَطْعِ النَّخلِ فَحَكَّ فِي صُدُورِهِمْ. فَقَالَ المُسلِمُونَ: قَدْ قَطَعْنَا بَعْضًا وَتَرَكْنَا بَعْضًا، فَلَنَسْأَلَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: هَلْ لَنَا فِيمَا قَطَعْنَا مِنْ أَجْرٍ؟ وَهَلْ عَلَيْنَا فِيمَا تَرَكْنَا مِنْ وِزْرٍ؟ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾ الآيَة». التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٥٩) ومِنْ سُورَةِ الحَشْرِ. (صحيحُ الإِسنادِ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٣١). وهو في الصَّحِيحِ عن ابنِ عُمَرَ مُختَصَرًا.

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٩): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَصَابَنِي الجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِندَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ الله؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ الله ﷺ لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا. قَالَتْ: والله مَا عِندِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ الله عَزَّوَجَلَّ -أَوْ ضَحِكَ- مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ» فَأَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. البُخَارِيُّ - التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٩) باب (٦).

---

(١) فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (رَدَّه).

(٢) ذَكَرَه الزَّمَخشَرِيُّ فِي الكَشَّافِ (٤/ ٥٠٥) بِغَيرِ سَنَدٍ؛ قَالَ: «قَسَمَ أَموَالَ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى المُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُعطِ الأَنصَارَ إِلَّا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مُحتَاجِينَ: أَبَا دُجَانَةَ سِمَاكَ بنَ خَرَشَةَ، وَسَهلَ بنَ حُنيف، والحَارِثَ بنَ الصِّمَّةِ». ورَوَاهُ الوَاقِدِيُّ فِي كتاب المَغَازِي (١/ ٣٧٨) بِإِسنَادِه عَن أُمِّ العَلَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه: «ولم يُعطِ أَحَدًا مِنَ الأَنصَارِ إِلَّا رَجُلَيْنِ كَانَا مُحتَاجَيْنِ: سَهل بن حنيف، وَأَبا دُجَانَة، وَنَفَلَ سَعدَ بنَ مُعَاذٍ بِسَيفِ ابْنِ أَبِي الحُقَيقِ، وَكَانَ لَهُ ذِكْرٌ عِندَهم». والوَاقِدِيُّ كَذَّبَه أَحمدُ وغيرُه، وقال ابنُ المَدِينِيِّ وغيرُه: يَضَعُ الحَدِيثَ. وَرَوَى أَبو دَاوُد فِي سُنَنه (٣٠٠٤) عَن رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: «... فَكَانَ نَخلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ الله ﷺ خَاصَّةً، أَعطَاهُ الله إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا... فَأَعطَى النَّبِيُّ ﷺ أَكثَرَهَا لِلمُهَاجِرِينَ، وَقَسَمَهَا بَينَهُم، وَقَسَمَ مِنهَا لِرَجُلَيْنِ مِنَ الأَنصَارِ، وَكَانَا ذَوِي حَاجَةٍ، لَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ مِنَ الأَنصَارِ غَيرِهِمَا». وصَحَّحَ الحَافِظُ إِسنَادَه فِي الفَتحِ (٧/ ٣٣١)، والأَلبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي داود (٢٦٥٦)، وكَذَا الأَرنَاؤوطُ فِي تَعلِيقِه عليه (٤/ ٦١٩).

(٣) والتَّقدِيرُ: لِأَنْ لَا يَكُونَ دُولَةً.

(٤) كَلِمَةُ: (الفَيءُ) لَيسَتْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٥) الأَقرَبُ أَنَّ الكَلَامَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبلَه، وهُو قَولُه: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، فَالمَعنَى: الفَيءُ والغَنَائِمُ لِهَؤُلَاءِ الفُقَرَاءِ من المُهَاجِرِين والأَنصَار.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: مِنْ بَعدِ المُهاجِرينَ والأنصارِ، إلى يومِ القِيامَةِ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: حِقْدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

[١١] ﴿۞ أَلَمْ تَرَ﴾: تَنْظُرْ ﴿إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهُم بَنُو النَّضِيرِ، وإِخْوانُهم في الكُفْرِ: ﴿لَئِنْ﴾ - لَامُ قَسَمٍ في الأَرْبَعَةِ(١) - ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ مِنَ المَدِينَةِ ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في خُذْلَانِكُم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ - حُذِفَتْ منه اللَّامُ المُوطِّئَةُ - ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

[١٢] ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أي: جاؤُوا لِنَصْرِهِم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ - واسْتُغْنِيَ بِجَوابِ القَسَمِ المُقَدَّرِ عَنْ جوابِ الشَّرْطِ، في المَواضِعِ الخَمْسَةِ(٢) - ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ أي: اليَهُودُ.

[١٣] ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾: خَوفًا ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي: المُنافِقِينَ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ لِتَأْخِيرِ عَذابِه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[١٤] ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أي: اليَهُودُ ﴿جَمِيعًا﴾: مُجْتَمِعِينَ ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ [جِدَارٍ](٣)﴾: سُورٍ - وفي قِراءَةٍ: ﴿جُدُرٍ﴾ - ﴿بَأْسُهُمْ﴾: حَرْبُهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ [تَحْسِبُهُمْ](٤) جَمِيعًا﴾: مُجْتَمِعِينَ ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾: مُتَفَرِّقَةٌ، خِلافَ الحُسْبانِ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[١٥] مَثَلُهُم في تَرْكِ الإِيمانِ ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾: بِزَمَنٍ قَرِيبٍ. وهُم أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ(٥) ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: عُقُوبَتَه في الدُّنيا مِنَ القَتْلِ وغَيرِه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ في الآخِرَةِ.

[١٦] مَثَلُهم -أيضًا- في سَماعِهم مِنَ المُنافِقِينَ، وتَخَلُّفِهم عنهم: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ كَذِبًا منه ورِياءً(٦).

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ
أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ
أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

الحزب ٥٥

(١) وهي: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، و﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾، و﴿لَئِنْ قُوتِلُوا﴾، و﴿لَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾.

(٢) هي: الأَرْبَعَةُ المُتَقَدِّمَةُ المُشارُ إليها في التَّعليقِ السَّابِقِ، والخامِسُ هو قولُه تَعالَى: ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾.

(٣) وهي قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأَبي عمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿جُدُرٍ﴾.

(٤) ﴿تَحْسِبُهُمْ﴾؛ بِكَسْرِ السِّينِ: قِراءَةُ ابنِ كثيرٍ وأَبي عمرٍو والكِسائِيِّ ونافعٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾؛ بِفَتْحِها.

(٥) قال مُجاهِدٌ في تفسيرِه (ص٦٥٣) في قَوْلِه: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: يَعْني: «كُفَّارَ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ». وقال الطبريُّ (٢٢/ ٥٤٠) - بَعدَ أَنْ سَاقَ اختلافَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ في الَّذين عَنَوا بـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ -: «وَأَوْلَى الأَقْوالِ بِالصَّوابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الله عزّ وجلّ مَثَّلَ هَؤُلَاءِ الكُفَّارَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِمَّا هُوَ مُذِيقُهُمْ مِنْ نَكالِهِ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ مُكَذِّبِي رَسُولِهِ ﷺ، الَّذين أَهْلَكَهُمْ بِسَخَطِهِ، وأَمْرُ بَنِي قَيْنُقاعَ وَوَقْعَةُ بَدْرٍ، كانَا قَبْلَ جَلاءِ بَنِي النَّضِيرِ، وَكُلُّ أُولَئِكَ قَدْ ذَاقُوا وبالَ أَمْرِهِمْ، وَلَمْ يُخَصِّصِ الله عزّ وجلّ مِنْهُمْ بَعْضًا فِي تَمْثِيلِ هَؤُلَاءِ بِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، وَكُلٌّ ذائِقٌ وبالَ أَمْرِهِ، فَمَنْ قَرُبَتْ مُدَّتُهُ مِنْهُمْ قَبْلَهُمْ، فَهُمْ مُمَثَّلُونَ بِهِمْ فِيمَا عُنُوا بِهِ مِنَ المَثَلِ».

(٦) في نُسْخَةِ قَباوَة: (كاذِبٌ منه ورِياءٌ)؛ بالرَّفعِ.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ
مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨
وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ
ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ
هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ
ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ
ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ
لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤

سُورَةُ المُمْتَحِنَة

٦٠ — آياتها ١٣

[١٧] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ أي: الغاوي والمُغوِي- وقُرِئ[(١)]: بالرَّفعِ؛ اسمُ «كَانَ»[(٢)]- ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرِينَ.

[١٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾: لِيومِ القِيامَةِ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: تَرَكُوا طَاعَتَهُ ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ أنْ يُقَدِّمُوا لها خيرًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

[٢١] ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ وجُعِلَ فيه تَمييزٌ كالإنسانِ ﴿لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا﴾: مُتَشَقِّقًا ﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ المَذْكُورَةُ ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيُؤمِنُونَ.

[٢٢] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾: السِرِّ والعَلانِيَةِ ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾: الطَّاهِرُ، عمَّا لَا يَلِيقُ به ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: ذُو السَّلَامَةِ مِنَ النَّقَائِصِ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾: المُصَدِّقُ رُسُلَه، بِخَلْقِ المُعْجِزَةِ لَهم[(٣)] ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ - مِنْ: هَيمَنَ يُهَيمِنُ؛ إِذَا كَانَ رَقِيبًا عِلى الشَّيءِ- أي: الشَّهِيدُ على عِبَادِه بِأَعْمَالِهم ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: القَوِيُّ ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾: جَبَرَ خَلقَه على مَا أَرَادَ[(٤)] ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ عمَّا لَا يَلِيقُ به ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: نَزَّه نَفْسَه ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ به!

[٢٤] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ﴾: المُنْشِئُ مِنَ العَدَمِ ﴿ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ التِّسْعَةُ والتِّسْعُونَ، الوَارِدُ بها الحَدِيثُ[(٥)]- و«الحُسْنَى»: مُؤَنَّثُ الأَحْسَن- ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ تقدَّم أَوَّلَها[(٦)].

---

(١) أي: شُذُوذًا.

(٢) عِبَارَةُ: (اسمُ «كَانَ») لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٣) وقِيلَ: الذي يُؤَمِّنُ خَلقَه مِنْ ظُلمِه، وقِيلَ غيرُ ذَلِكَ. وهذا من التفسيرِ الجُزئِيِّ، وهو يَشمَلُ ذَلِكَ كُلَّه. كما أَنَّ دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ أَعَمُّ مِنَ المُعجِزةِ، واللهُ يُصَدِّقُ رُسُلَه بِالمُعجِزَاتِ والنَّصرِ والتَّأيِيدِ والكُتُبِ الهَادِيَةِ التي أنزلَها عَليهِم، وغيرِ ذَلِكَ.

(٤) وهذا أحدُ وُجوهِ مَعنَى اسمِه: «الجبَّار»، كما قالَ لِرَسُولِه ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ [ق:٤٥]. والوَجهُ الثاني: المُصلِحُ؛ مِنْ جَبَرَ الكَسرَ: إذَا أَصلَحَه، وجَبَرَ الفَقِيرَ: إذا أَغنَاه. وعَلى هَذَينِ المَعنَيَينِ؛ يَكونُ اسمُه تَعالى «الجَبَّار» مِنْ صِفَاتِ الفِعْلِ. وثَمَّ وجهٌ ثالثٌ، هو: العَالي على خَلْقِه. وهو بهذا المَعنَى مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ. النَّهجِ الأَسمَى في شَرحِ أسماءِ اللهِ الحُسنَى (١/ ١٣٢).
ولَفظُ «الجبر» مِنَ الأَلفَاظِ المُحْدَثَةِ، وهو لَفظٌ مُجمَلٌ يَحتَمِلُ حَقًّا وبَاطِلًا، والحَقُّ الذي فيه: أَنَّ المَخلُوقَاتِ وأفعَالَها مَخلُوقةٌ ومَفعُولَةٌ لله، ولكِنَّ أفعَالَهم هُم فَاعِلُونَ لها على الحَقِيقَةِ، تُنسَبُ إليهم بما خَلَقَ اللهُ فيهم من إِرَادَةٍ وقُدرَةٍ واختِيَارٍ. ولِهَذا كَرِهَ بَعضُ السَّلَفِ استِعمالَ هَذا اللفظِ. قالَ ابنُ تيميةَ في منهاجِ السُّنَّة النبويَّةِ (٣/ ٢٤٦): «...لَفظُ الجَبْرِ لَمْ يَرِدْ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، لَا بِنَفْيٍ وَلَا إِثْبَاتٍ، وَاللَّفظُ إِنَّمَا يَكُونُ لَهُ حُرْمَةٌ إِذَا ثَبَتَ عَنِ المَعْصُومِ، وَهِيَ أَلفَاظُ النُّصُوصِ، فَتِلْكَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ مَعَانِيَهَا، وَأَمَّا الأَلفَاظُ المُحْدَثَةُ؛ مِثْلُ لَفظِ «الجَبْرِ»؛ فَهُوَ مِثْلُ لَفظِ «الجِهَةِ» وَ«الحَيِّزِ»، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَلِهَذَا كَانَ المَنصُوصُ عَنْ أَئِمَّةِ الإِسْلَامِ؛ مِثْلَ الأَوزَاعِيِّ وَالثَّورِيِّ وَعَبدِ الرَّحمَنِ بنِ مَهدِيٍّ وَأَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ وَغَيرِهِم أَنَّ هَذَا اللَّفظَ لَا يُثْبَتُ وَلَا يُنْفَى مُطلَقًا، فَلَا يُقَالُ مُطلَقًا: جَبَرَ، وَلَا يُقَالُ: لَمْ يَجْبُرْ. فَإِنَّهُ لَفظٌ مُجمَلٌ. وَمِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ مَنْ أَطلَقَ نَفيَهُ، كَالزُّبَيدِيِّ صَاحِبِ الزُّهرِيِّ، وَهَذَا نَظَرٌ إِلَى المَعنَى المَشهُورِ مِنْ مَعنَاهُ فِي اللُّغَةِ، فَإِنَّ المَشهُورَ إِطلَاقُ لَفظِ الجَبْرِ وَالإِجبَارِ عَلَى مَا يُفعَلُ بِدُونِ إِرَادَةِ المَجبُورِ، بَلْ مَعَ كَرَاهَتِهِ كَمَا يُجبِرُ الأَبُ ابنَتَهُ عَلَى النِّكَاحِ. وَهَذَا المَعنَى مُنتَفٍ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُ سُبحَانَهُ لَا يَخْلُقُ فِعلَ العَبدِ الاختِيَارِيَّ بِدُونِ اختِيَارِهِ، بَلْ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ مُرِيدًا مُختَارًا، وَهَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ...».

(٥) يُشِيرُ إلى ما أخرَجَهُ البُخَارِيُّ في صَحِيحِه (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) -واللفظُ له- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الوِتْرَ» وَفِي رِوَايَةِ ابنِ أَبِي عُمَرَ: «مَنْ أَحْصَاهَا». فالحديثُ إنَّما هو في فَضلِ مَنْ يُحصِي تِسعَةً وتِسعِينَ اسمًا منها، ولَيسَ في حَصرِها في تِسعَةٍ وتِسعِينَ اسمًا. وأمَّا سَردُ هذه الأَسماءِ فقَد وَرَدَ في حَدِيثِ أبي هُرَيرَةَ عند التِّرمِذِيِّ (٣٥٠٧)، وقد ضعَّفه الألبانيُّ في ضعيف الجامع (١٩٤٥). وحَصْرُ الأسماءِ في التِّسعَةِ وتِسعِينَ في هذا الحديثِ الذي رواه التِّرمِذِيُّ وغيرُه؛ لا يَصِحُّ؛ وأسماءُ الله الحُسنَى أكثرُ مِن ذَلِك ولا يُحصِيها إلَّا اللهُ عزوجل؛ كما في حَدِيثِ عَبدِ الله بن مَسعُودٍ مَرفُوعًا عندَ أحمد (٣٧١٢، ٤٣١٨، وغيرها)، وأخرَجه ابنُ حِبَّان في صَحِيحِه (٩٧٢) مِن حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ أيضًا مَرفُوعًا: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابنُ عَبْدِكَ وابنُ أَمَتِك...» وفيه: «أَسأَلُك بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيتَ به نَفسَك، أَو أَنزَلتَهُ في كِتَابِكَ، أَو عَلَّمتَهُ أَحَدًا مِن خَلقِكَ، أَو استَأثَرتَ بِهِ فِي عِلمِ الغَيبِ عِندَكَ...». والحديثُ صحَّحه الألبانيُّ في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢). وسَبَقَ التنبيهُ إلى ذَلِكَ في التَّعليقِ على الآيَةِ (١٨٠) من سورة الأعراف. ولا يُحصِيها إلَّا الله عزوجل.

(٦) يَعني: في أَوَّلِ السُّورَةِ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ
إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي
وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ
وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم
بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾ قَدۡ كَانَتۡ
لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا
بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا
وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ
إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ
رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا
فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

مَدَنِيَّةٌ، ثَلَاثَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ﴾: تُوصِلُونَ ﴿إِلَيۡهِم﴾ قَصْدَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَهم، الذي أَسَرَّهُ إليكم، ووَرَّى بِحُنَيْنٍ(١) ﴿بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم- كَتَبَ حَاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ إليهم كِتَابًا بذَلِكَ؛ لِمَا له عِندَهم مِنَ الأَوْلَادِ والأَهْلِ المُشْرِكِينَ، فاسْتَرَدَّه النَّبِيُّ ﷺ مِمَّنْ أَرْسَلَه مَعَه، بِإِعْلَامِ الله -تَعَالَى- له بذَلِكَ، وقَبِلَ عُذْرَ حَاطِبٍ فيه(٢)- ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: دِينِ الإِسْلَامِ والقُرآنِ ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾ مِنْ مَكَّةَ، بِتَضْيِيقِهم عَلَيكم ﴿أَن تُؤۡمِنُواْ﴾ أي: لِأَجْلِ أَنْ آمَنْتُم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا﴾: لِلجِهَادِ ﴿فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ﴾ - وجَوَابُ الشَّرْطِ دَلَّ عليه ما قَبْلَه؛ أي: فَلَا تَتَّخِذُوهُم أولِيَاءَ- ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ﴾ أي: إِسْرَارَ خَبَرِ النَّبِيِّ إِلَيهم ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أَخْطَأَ طَرِيقَ الهُدَى. والسَّوَاءُ في الأَصلِ: الوَسَطُ[*].

[٢] ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾: يَظْفَرُوا بِكُم ﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بِالقَتْلِ والضَّرْبِ ﴿وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: بِالسَّبِّ والشَّتْمِ ﴿وَوَدُّواْ﴾: تَمَنَّوا ﴿لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾.

[٣] ﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ﴾: قَرَابَاتُكُم ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ المُشْرِكُونَ الذِين لِأَجْلِهم أَسْرَرْتُم الخَبَرَ، مِنَ العَذَابِ في الآخِرَةِ ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ [يُفۡصَلُ]﴾ - بِالبِنَاءِ لِلمَفْعُولِ والفَاعِلِ(٣)- ﴿بَيۡنَكُمۡۚ﴾ وبَينَهم، فتَكُونُونَ في الجَنَّةِ، وهُم في جُمْلَةِ الكُفَّارِ في النَّارِ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

[٤] ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ [إِسۡوَةٌ]﴾ - بِكَسْرِ الهَمْزَةِ، وضَمِّها(٤)، في المَوضِعَينِ(٥)-: قُدْوَةٌ ﴿حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: بِه، قَوْلًا وفِعْلًا ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴿إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ﴾: جَمْعُ «بَرِيءٍ»؛ كَـ«ظَرِيفٍ» ﴿مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾: أَنْكَرْنَاكُم ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا﴾ - بِتَحْقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ وَاوًا(٦)- ﴿حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾: مُسْتَثْنًى مِنْ ﴿إِسۡوَةٌ﴾، فَلَيسَ لَكُمُ التَّأَسِّي بِه في ذَلِكَ؛ بِأَنْ تَسْتَغْفِرُوا لِلكُفَّارِ، وقَولُه: ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ عَذَابِه وثَوَابِه ﴿مِن شَيۡءٖۖ﴾: كَنَّى بِه عَنْ أَنَّه لا يَمْلِكُ له غَيرَ الاستِغْفَارِ. فهُو مَبْنِيٌّ عليه مُسْتَثْنًى مِنْ حَيثُ المُرَادُ منه(٧)، وإِنْ كَانَ حَيثُ ظَاهِرُه مِمَّا يُتَأَسَّى فيه: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾(٨). واستِغْفَارُه له قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ له أَنَّه عَدُوٌّ للهِ، كَمَا ذَكَرَه(٩) في «بَرَاءَة»(١٠). ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ مِنْ مَقُولِ الخَلِيلِ ومَنْ مَعَه؛ أي: قَالُوا(١١):

[٥] ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لَا تُظْهِرْهُم عَلَينا، فيَظُنُّوا أَنَّهم عَلى الحَقِّ، فيُفْتَنُوا(١٢)؛ أي: تَذْهَبَ عُقُولُهم بِنَا ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في مُلْكِكَ وصُنْعِكَ.

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عُبَيدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، كَاتِبِ عَلِيٍّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَقُولُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟» قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا، وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». قَالَ عَمْرٌو -بنُ دِينَارٍ-: وَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة الممتحنة (٦٠) باب (١).

---

(١) لَمْ نَجِدْه مُسنَدًا، وفي بَعْضِ النُّسَخِ: (بِخَيبَرَ). وعِندَ الطبريِّ (٢٢/ ٥٦٠) مِنْ رِوَايَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ -بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ-: «وَأَفْشَى فِي النَّاسِ أَنَّهُ يُرِيدُ خَيْبَرَ».

(٢) قِصَّةُ حَاطِبِ بنِ أبي بَلْتَعَةَ في الصَّحِيحَينِ وغَيرِهما، مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ البُخَارِيُّ (٣٩٨٣)، ومُسلِم (٢٤٩٤). وانظرْ حَاشِيَةَ أَسبَابِ النُّزُولِ.

(٣) بِالبِنَاءِ لِلمَفعُولِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو. وقَرَأَ ابنُ عامرٍ كذَلِكَ مع تَشْدِيدِ الصَّادِ، وقَرَأَ حَمْزَةُ والكِسَائِيُّ بِضَمِّ اليَاءِ وكَسْرِ الصَّادِ وتَشْدِيدِها، وقَرَأَ عَاصِمٌ: ﴿يَفۡصِلُ﴾؛ بِفَتْحِ اليَاءِ وكَسْرِ الصَّادِ وتَخْفِيفِها.

(٤) بالكَسْرِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا عَاصِمٍ، وقَرَأَ عَاصِمٌ: ﴿أُسۡوَةٌ﴾، بِالضَّمِّ. (٥) أي: في هَذِه الآيَةِ، وفي الآيَةِ السَّادِسَةِ الآتِيَةِ. (٦) تَحْقِيقُ الهَمْزَتَينِ: هو قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وعَاصِمٍ وابنِ عَامِرٍ، وإِبْدَالُ الثَّانِيَةِ وَاوًا: هو قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عمرٍو. (٧) قَوْلُه: «فهو مَبْنِيٌّ عليه» أي: ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ ومُرْتَبِطٌ به، ولَكِنَّه مُسْتَثْنًى منه، كَمَا أَفَادَه قَولُه بَعدَ ذَلِكَ: «مُسْتَثْنًى... إلخ»، والمَعْنَى: «اقْتَدُوا به إِلَّا في الاستِغْفَارِ لِكَافِرٍ». (٨) الفتح: ١١. والآيَةُ أَتَى بِها المُصَنِّفُ عَلى سَبِيلِ الاستِدْلَالِ لِقَولِه: «مِمَّا يُتَأَسَّى فيه»؛ فكَأَنَّه قَالَ: بِدَلِيلِ قَولِه تَعَالَى: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾.

(٩) في قَبَاوَة: (كَمَا ذُكِرَ)، وفي الجَمَلِ: (كَمَا ذُكِرَ له). (١٠) وهو قَولُه تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [براءة: ١١٤]. (١١) في قَبَاوَة والقَاضِي: (وقَالُوا). (١٢) في قَبَاوَة: (فَيَفْتَتِنُوا).

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ
فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ- جَوَابُ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ- ﴿فِيهِمْ [إِسْوَةٌ] حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ﴾: بَدَلُ اشتِمَالٍ مِنْ «كُم»(1) بِإِعَادَةِ الجَارِّ ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يَخَافُهما، أو يَظُنُّ الثَّوابَ والعِقَابَ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: بِأَنْ يُوَالِيَ الكُفَّارَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ خَلْقِه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لِأَهْلِ طَاعَتِه.

[٧] ﴿۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾: مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ، طَاعَةً للهِ -تَعَالَى- ﴿مَّوَدَّةً﴾ بِأَنْ يَهدِيَهم لِلإِيمَانِ، فَيَصِيرُوا لَكُم أولِيَاءَ ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ عَلَى ذَلِكَ- وقَدْ فَعَلَه بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ- ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لَهم مَا سَلَفَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

[٨] ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مِنَ الكُفَّارِ ﴿فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾: بَدَلُ اشتِمَالٍ مِنَ ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿وَتُقْسِطُوا﴾: تُفْضُوا(2) ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقِسْطِ؛ أي: بِالعَدْلِ(3)، وهَذَا قَبْلَ الأَمْرِ بِجِهَادِهِم(4) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: العَادِلِينَ[*].

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾: عَاوَنُوا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾: بَدَلُ اشتِمَالٍ مِنَ ﴿الَّذِينَ﴾؛ أي: تَتَّخِذُوهُم أولِيَاءَ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بِأَلْسِنَتِهِنَّ ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ مِنَ الكُفَّارِ، بَعْدَ الصُّلْحِ مَعَهم في الحُدَيبِيَةِ، عَلَى أَنَّ مَنْ جَاءَ منهم إِلَى المُؤْمِنِينَ يُرَدُّ(5) ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ بِالحَلِفِ أَنَّهُنَّ مَا خَرَجْنَ إِلَّا رَغْبَةً في الإِسْلَامِ، لَا بُغْضًا لِأَزْوَاجِهِنَّ الكُفَّارِ، ولا عِشْقًا لِرِجَالٍ مِنَ المُسلِمِينَ- كَذَا كَانَ ﷺ يُحَلِّفُهُنَّ(6)-. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾: ظَنَنْتُمُوهُنَّ بِالحَلِفِ ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾: تَرُدُّوهُنَّ ﴿إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم﴾ أي: أَعْطُوا الكُفَّارَ أَزْوَاجَهُنَّ(7) ﴿مَّا أَنفَقُوا﴾ عَلَيهِنَّ مِنَ المُهُورِ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بِشَرْطِه ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهُنَّ ﴿ولا [تُمَسِّكُوا]﴾ - بِالتَّشْدِيدِ والتَّخفِيفِ(8)- ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ زَوجَاتِكُم، لِقَطْعِ إِسْلَامِكُم لَها بِشَرْطِه(9)، أَوِ اللَّاحِقَاتِ بِالمُشْرِكِينَ مُرْتَدَّاتٍ، لِقَطْعِ ارتِدَادِهِنَّ نِكَاحَكُم بِشَرْطِه(10) ﴿وَاسْأَلُوا﴾: اُطْلُبُوا ﴿مَا أَنفَقْتُمْ﴾ عَلَيهِنَّ مِنَ المُهُورِ، فِي صُورَةِ الارتِدَادِ، مِمَّنْ تَزَوَّجَهُنَّ مِنَ الكُفَّارِ ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ عَلَى المُهَاجِرَاتِ، كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهم يُؤْتُونَه ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ بِه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[**].

[١١] ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: وَاحِدَةٌ فَأَكْثَرُ مِنْهُنَّ، أو شَيءٌ مِنْ مُهُورِهِنَّ، بِالذَّهَابِ ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مُرْتَدَّاتٍ ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: فَغَزَوتُم وَغَنِمْتُم ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾ مِنَ الغَنِيمَةِ ﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ لِفَوَاتِه عَليهم مِنْ جِهَةِ الكُفَّارِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ وقَدْ فَعَلَ المُؤْمِنُونَ مَا أُمِرُوا به مِنَ الإِيتَاءِ لِلكُفَّارِ والمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ ارتَفَعَ هَذَا الحُكْمُ[***].

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (٨): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً، فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: آصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب الأدب (٧٨) باب (٧) صِلَةَ الوَالِدِ المُشْرِكِ.

[**] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١٠): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ مَرْوَانَ، وَالمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُخْبِرَانِ، عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: لَمَّا كَاتَبَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَوْمَئِذٍ كَانَ فِيمَا اشْتَرَطَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ لا يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، وَخَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ... «فَكَاتَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَرَدَّ يَوْمَئِذٍ أَبَا جَنْدَلٍ إِلَى أَبِيهِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ المُدَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا»، وَجَاءَتِ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ، وَكَانَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَهِيَ عَاتِقٌ، فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يُرْجِعْهَا إِلَيْهِمْ، لِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِنَّ: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ إِلَى قَوْلِه: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب الشروط (٤٥) باب (١) ما يجوزُ مِنَ الشُّروطِ في الإِسْلَامِ.

[***] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَةِ (١١): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ عُرْوَةُ: فَأَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ، وَبَلَغَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: أَنْ يَرُدُّوا إِلَى المُشْرِكِينَ مَا أَنْفَقُوا عَلَى مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، وَحَكَمَ عَلَى المُسْلِمِينَ أَنْ لَا يُمَسِّكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ، أَنَّ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ، قُرَيْبَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، وَابْنَةَ جَرْوَلٍ الخُزَاعِيِّ، فَتَزَوَّجَ قُرَيْبَةَ مُعَاوِيَةُ،

---

(١) أي في قوله: ﴿لَكُمْ﴾. (٢) في نُسْخَةِ الجَمَلِ: (تَقْضُوا). (٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (العَدْل). (٤) يُشِيرُ المُفَسِّرُ إِلَى أَنَّ الآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، والرَّاجِحُ أَنَّها مُحْكَمَةٌ، وهِيَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ البِرَّ والقِسْطَ غَيرُ المُوَالَاةِ المَنْهِيِّ عنها، وأَيضًا تُفِيدُ في التَّفرِيقِ في الحُكْمِ بَيْنَ الكُفَّارِ المُحَارِبِينَ والمُسَالِمِينَ. يَقُولُ ابنُ القَيِّمِ في أَحكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ (١/ ٦٠٢): «فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا نَهَى فِي أَوَّلِ السُّورَةِ عَنِ اتِّخَاذِ المُسْلِمِينَ الكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ، وَقَطَعَ المَوَدَّةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ، تَوَهَّمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ بِرَّهُمْ وَالإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ مِنَ المُوَالَاةِ وَالمَوَدَّةِ، فَبَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ المُوَالَاةِ المَنْهِيِّ عَنْهَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَنْهَ عَنْ ذَلِكَ؛ بَلْ هُوَ مِنَ الإِحْسَانِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ... وَإِنَّمَا المَنْهِيُّ عَنْهُ تَوَلِّي الكُفَّارِ، وَالإِلْقَاءُ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ». (٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧١١) عَنْ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ وَالمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وانظُرْ حَاشِيَةَ أَسْبَابِ النُّزُولِ.

(٦) رَوَى عبدُ الرزَّاقِ في تَفْسِيرِه (٣٢٠٢)، وفي مُصَنَّفِه (٩٨٢٨) عَنْ قَتَادَةَ، مُرسَلًا: «وَكَانَ يُحَلِّفُهُنَّ بِاللهِ مَا خَرَجْنَ إِلَّا رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ وَحُبًّا للهِ وَرَسُولِهِ». ورَوَاهُ الطَّبَرِيُّ عنه، قوله (٢٢/ ٥٧٧). وقَالَ الحَافِظُ في الفَتْحِ (٨/ ٦٣٧): «وَأَخرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيدٍ مِن طَرِيقِ بنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ، وزَادَ: وَلَا خَرَجَ بِكِ عِشْقُ رَجُلٍ مِنَّا، وَلَا فِرَارٌ مِنْ زَوجِك». وكِلَاهما مُرسَلٌ.

(٧) أي: أَعْطُوا الكُفَّارَ الذِينَ هُم أَزْوَاجُهُنَّ. (٨) بالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ أَبِي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تُمْسِكُوا﴾، بِالتَّخْفِيفِ. (٩) قَالَ القُرطُبِيُّ (١٨/ ٦٥): «يَعْنِي إِذَا أَسْلَمْنَ وَانْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ؛ لِمَا ثَبَتَ مِنْ تَحْرِيمِ نِكَاحِ المُشْرِكَةِ وَالمُعْتَدَّةِ». قَالَ البَغَوِيُّ (٨/ ٩٨): «وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الكُفْرِ؛ لِأَنَّ الإِسْلَامَ فَرَّقَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِنَّ الكُفَّارِ».

(١٠) أي: وهُو دَوَامُ الرِّدَّةِ إِلَى وَفَاءِ العِدَّةِ؛ فَإِنْ رَجَعَت لِلإِسْلَامِ قَبْلَ وَفَاءِ العِدَّةِ، تَرجِع إِلَيه مِنْ غَيرِ عَقْدٍ جَدِيدٍ. وكَلَامُ المُفَسِّرِ على قَاعِدَةِ مَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ. حَاشِيَةُ الصَّاوِي (٦/ ١٠٠).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ
شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ
بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي
مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ
يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ (ترتيبها ٦١) (آياتها ١٤)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم
بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ
تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ
أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

[١٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ كَمَا كَانَ يُفْعَلُ فِي الجَاهِلِيَّةِ، مِنْ وَأْدِ البَنَاتِ؛ أَي: دَفْنِهِنَّ أَحْيَاءً، خَوفَ العَارِ والفَقْرِ ﴿وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ﴾ أي: بِوَلَدٍ مَلْقُوطٍ، يَنسِبْنَه إلى الزَّوجِ- وَوُصِفَ بِصِفَةِ الوَلَدِ الحَقِيقِيِّ؛ فَإِنَّ الأُمَّ إِذَا وَضَعَتْهُ سَقَطَ بَيْنَ يَدَيْها ورِجْلَيْها- ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي﴾ فِعْلٍ[1] ﴿مَعۡرُوفٖ﴾: هُو مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللهِ؛ كَتَرْكِ النِّيَاحَةِ، وتَمْزِيقِ الثِّيَابِ، وجَزِّ الشُّعُورِ، وشَقِّ الجَيبِ، وخَمْشِ الوَجْهِ ﴿فَبَايِعۡهُنَّ﴾ - فَعَلَ ذَلِكَ ﷺ بالقَولِ، ولَمْ يُصَافِحْ وَاحِدَةً مِنهُنَّ[2]- ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

[١٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ - هُمُ اليَهُودُ- ﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: مِنْ ثَوَابِها، مَعَ إِيقَانِهم بِها، لِعِنَادِهِم النَّبِيَّ مَعَ عِلْمِهِم بِصِدْقِه ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ﴾ الكَائِنُونَ ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ أي: المَقْبُورِينَ، مِنْ خَيرِ الآخِرَةِ؛ إِذْ تُعْرَضُ عَلَيهِم مَقَاعِدُهم مِنَ الجَنَّةِ لَو كَانُوا آمَنُوا، ومَا يَصِيرُونَ إِليه مِنَ النَّارِ[3].

سُورَةُ الصَّفِّ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، أَرْبَعَ عَشْرَةَ آيَةً[*]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: نَزَّهَهُ- فَاللَّامُ مَزِيدَةٌ. وجِيءَ بِـ﴿مَا﴾ دُونَ «مَنْ» تَغْلِيبًا لِلأَكْثَرِ- ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه[4].

[٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ﴾ في طَلَبِ الجِهَادِ ﴿مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ إِذِ انْهَزَمْتُم بِأُحُدٍ[5]؟

[٣] ﴿كَبُرَ﴾: عَظُمَ ﴿مَقۡتًا﴾: تَمييزٌ ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ﴾ فَاعِلُ ﴿كَبُرَ﴾ ﴿مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾: يَنْصُرُ ويُكْرِمُ[6] ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾: حَالٌ؛ أي: صَافِّينَ ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾: مُلْزَقٌ بَعْضُه إلى بَعْضٍ، ثَابِتٌ.

[٥] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي﴾ قَالُوا: «إِنَّه آدَرُ»؛ أي: مُنْتَفِخُ الخُصْيَةِ. ولَيسَ كَذَلِكَ، وكَذَّبُوه ﴿وَقَد﴾: لِلتَّحْقِيقِ[7] ﴿تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾ الجُمْلَةُ حَالٌ، والرَّسُولُ يُحْتَرَمُ؟ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾: عَدَلُوا عَنِ الحَقِّ بِإِيذَائِه ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾: أَمَالَها عَنِ الهُدَى، عَلى وَفْقِ مَا قَدَّرَه في الأَزَلِ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الكَافِرِينَ في عِلْمِه.

= وَتَزَوَّجَ الأُخْرَى أَبُو جَهْمٍ، فَلَمَّا أَبَى الكُفَّارُ أَنْ يُقِرُّوا بِأَدَاءِ مَا أَنْفَقَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ﴾. وَالعَقْبُ: مَا يُؤَدِّي المُسْلِمُونَ إِلَى مَنْ هَاجَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنَ الكُفَّارِ، فَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى مَنْ ذَهَبَ لَهُ زَوْجٌ مِنَ المُسْلِمِينَ مَا أَنْفَقَ مِنْ صَدَاقِ نِسَاءِ الكُفَّارِ اللَّائِي هَاجَرْنَ، وَمَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ المُهَاجِرَاتِ ارْتَدَّتْ بَعْدَ إِيمَانِهَا. البُخَارِيُّ - السابق باب (١٥) الشُّروط في الجِهَادِ.

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ السُّورَةِ: أَخرَجَ أَحمَدُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: تَذَاكَرْنَا بَيْنَنَا، قُلْنَا: أَيُّكُم يَأْتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيَسْأَلَهُ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَهِبْنَا أَنْ يَقُومَ مِنَّا أَحَدٌ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْنَا رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى جَمَعَنَا فَجَعَلَ بَعْضُنَا يُشِيرُ إِلَى بَعْضٍ، فَقَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا﴾. قَالَ: فَتَلَاهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. أحمد - المُسْنَدُ (٥/ ٤٥٢)، والتِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٦١). (صحيح) صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٣٦).

---

(١) كَلِمَةُ: (فِعْلِ) لَيسَتْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) كَمَا فِي الصَّحِيحَينِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَتْ: «... فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرطِ مِنَ المُؤمِنَاتِ؛ قَالَ لها رَسُولُ اللهِ ﷺ: "قَدْ بَايَعْتُكِ" كَلَامًا، وَلَا واللهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي المُبَايَعَةِ، مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا بِقَولِهِ: "قَدْ بَايَعْتُكِ عَلَى ذَلِكَ"». البُخَارِيُّ (٤٨٩١)، ومُسلم (١٨٦٦). وعِندَ النَّسَائِيِّ وغَيرِه مِنْ حَدِيثِ أُمَيمَةَ بِنتِ رَقِيقَةَ: «إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ»، وهُو فِي صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٣٨٩٧). فهَذا الحَدِيثُ دَلِيلٌ صَرِيحٌ عَلى عَدَمِ جَوازِ مُصَافَحَةِ المَرأَةِ الأَجنَبِيَّةِ؛ لِأَنَّنَا مَأمُورُونَ بِالتَّأَسِّي بِالرَّسُولِ ﷺ في قَولِه تَعالَى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١].

(٣) رَوَاهُ أَحمد (١١٠٠٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: شَهِدتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جِنَازَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا...» الحَدِيثَ، وفِيه-عَنْ حَالِ الكَافِرِ في ومَا يَقُولُ له المَلَكُ-: «ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِهِ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ». وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ (٣٣٩٤).

(٤) سَبَقَ التَّعلِيقُ عَلى ذَلِكَ، بِأَنَّ الأَولَى التَّعمِيمُ في مُتَعَلَّقِ الحِكْمَةِ، ولَيسَ تَخصِيصُهَا بِصُنْعِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَط.

(٥) يُشِيرُ إِلى ما جَاءَ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ في سَبَبِ نُزُولِ الآيَةِ-كَمَا عِندَ القُرطُبِيِّ (١٨/ ٧٨) - عِندَما قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعدَ مَا سَمِعُوا مَدْحَ الجِهَادِ: «لَئِنْ لَقِينَا قِتَالًا لَنُفْرِغَنَّ فِيهِ وُسْعَنَا»، فَفَرُّوا يَومَ أُحُدٍ، فَعَيَّرَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ.

(٦) هَذا مِنَ التَّأوِيلِ المَذمُومِ وصَرْفِ اللَّفظِ عَنْ ظَاهِرِه. ومَذهَبُ السَّلَفِ إِثبَاتُ هَذِه الصِّفَةِ وغَيرِها للهِ عَزَّ وَجَلَّ على الوَجهِ اللَّائِقِ بِه، ومِنْ لَازِمِها نُصْرَةٌ وإِكرَامٌ وإِثَابَةٌ مَنْ يُحِبُّهم.

(٧) رَاجِعِ التَّعلِيقَ عَلى آيَةِ (١٠٣) مِن سُورَةِ النَّحلِ، في دُخُولِ «قَدْ» عَلى الفِعلِ المُضَارِعِ.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ
تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

[٦] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ - لَمْ يَقُلْ: «يَا قَوْمِ»؛ لِأَنَّه لَمْ يَكُنْ لَه فِيهِم قَرَابَةٌ[1] - ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾: قَبْلِي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾: جَاءَ أَحْمَدُ الكُفَّارَ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الآيَاتِ والعَلَامَاتِ ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا﴾ أي: المَجِيءُ بِه ﴿سِحْرٌ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ[2]: ﴿سَاحِرٌ﴾ أي: الجَائِي بِه - ﴿مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ.

[٧] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لَا أَحَدَ ﴿أَظْلَمُ﴾: أَشَدُّ ظُلْمًا ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ والوَلَدِ إِلَيه، ووَصْفِ آيَاتِه بِالسِّحْرِ ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ - مَنْصُوبٌ بِـ«أَنْ» مُقَدَّرَة، واللَّام مَزِيدَةٌ - ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾: شَرْعَه وبَرَاهِينَه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بِأَقْوَالِهِم: إِنَّه سِحْرٌ وشِعْرٌ وكِهَانَةٌ ﴿وَاللهُ [مُتِمٌّ][3]﴾: مُظْهِرٌ ﴿[نُورَهُۥ]﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: بِالإِضَافَةِ - ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذَلِكَ.

[٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: يُغْلِبَه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: جَمِيعِ الأَدْيَانِ المُخَالِفَةِ لَه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذَلِكَ[*].

[١٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ - بِالتَّخْفِيفِ والتَّشْدِيدِ[4]- ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤْلِمٍ؟ فَكَأَنَّهم قَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ:

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ﴾: تَدُومُونَ عَلَى الإِيمَانِ ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّه خَيرٌ لَكُم[5] فَافْعَلُوه.

[١٢] ﴿يَغْفِرْ﴾: جَوَابُ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: إِنْ تَفْعَلُوه يَغْفِرْ ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إِقَامَةٍ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[١٣] ﴿وَ﴾ يُؤْتِكُم نِعْمَةً ﴿أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالنَّصْرِ والفَتْحِ.

[١٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ [أَنصَارًا لِّلَّهِ][6]﴾: لِدِينِه - وفي قِرَاءَةٍ: بِالإِضَافَةِ - [﴿كَمَا﴾ المَعْنَى: كَمَا كَانَ الحَوَارِيُّونَ كَذَلِكَ، الدَّالُّ عَلَيه][7]: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مَنِ الأَنْصَارُ الذِينَ يَكُونُونَ مَعِي، مُتَوَجِّهًا إِلَى نُصْرَةِ اللهِ؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والحَوَارِيُّونَ أَصْفِيَاءُ عِيسَى، وهُمْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِه، وكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا[8]، مِنَ الحَوَرِ، وهو البَيَاضُ الخَالِصُ. وقِيلَ: كَانُوا قَصَّارِينَ يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ؛ أي: يُبَيِّضُونَهَا[9] ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بِعِيسَى، وقَالُوا: إِنَّه عَبْدُ اللهِ، رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ لِقَوْلِهِم: إِنَّه ابنُ اللهِ، رَفَعَه إِلَيه. فَاقْتَتَلَتِ الطَّائِفَتَانِ ﴿فَأَيَّدْنَا﴾: قَوَّيْنَا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾: الطَّائِفَةِ الكَافِرَةِ ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾: غَالِبِينَ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالعُزَّى». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا. قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ». مُسلِمٌ - كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) باب (١٧) لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الخَلَصَةِ.

---

(١) قَالَ الشَّيخ عبدُ الرزَّاق عَفِيفِي رَحِمَهُ اللهُ في تَعْلِيقِه عَلَى الجَلَالَينِ (ص١٧٢): «الأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: نَادَاهُم بِذَلِكَ تَذكِيرًا لَهم بِأَبِيهِم يَعقُوبَ؛ لِيَستَمِيلَ بِذَلِكَ قُلُوبَهم إِلَى سُلُوكِ مَنهَجِ أَبِيهِم».

(٢) لِحَمزَةَ والكِسَائِيِّ.

(٣) لِنَافِعٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِالإِضَافَةِ: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾.

(٤) بِالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ ابنِ عَامِرٍ.

(٥) كَلِمَةُ: (لَكُم) لَيسَتْ فِي نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٦) وهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِالإِضَافَةِ: ﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾.

(٧) فِي الأَصلِ: (﴿كَمَا قَالَ﴾ إلخ؛ المعنى: كَمَا كَانَ الحَوَارِيُّونَ كَذَلِكَ، الدَّالُّ عَلَيه: قَالَ)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي.

(٨) يُنظَرُ التَّعلِيقُ عَلَى تَفسِيرِ الآيَةِ (٥٢) مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ.

(٩) يُنظَرُ التَّعلِيقُ عَلَى تَفسِيرِ الآيَةِ (٥٢) مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ.

سُورَةُ الجُمُعَةِ — ترتيبها ٦٢ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٥٦

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ (١) هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢) وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ
ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢاۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
(٥) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ
أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٧) قُلْ
إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

سُورَةُ الجُمُعَةِ

مَدَنِيَّةٌ، إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً[*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: يُنَزِّهُهُ، فاللَّامُ: زَائِدَةٌ ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ - في ذِكْرِ «مَا» تَغْلِيبٌ لِلأَكْثَرِ - ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾: المُنَزَّهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ في مُلْكِهِ وصُنْعِهِ(١).

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: العَرَبِ - والأُمِّيُّ: مَنْ لَا يَكْتُبُ ولَا يَقْرَأُ كِتَابًا - ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هُو مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القُرْآنَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُم مِنَ الشِّرْكِ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرْآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: مَا فِيهِ مِنَ الأَحْكَامِ ﴿وَإِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُها مَحْذُوفٌ؛ أي: وإِنَّهم ﴿كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾: قَبْلِ مَجِيئِهِ ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ.

[٣] ﴿وَءَاخَرِينَ﴾: عَطْفٌ عَلَى ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾؛ أَيِ: [المَوجُودِينَ مِنهم، وآتِينَ ﴿مِنْهُمْ﴾ بَعْدَهم](٢) ﴿لَمَّا﴾: لَمْ(٣) ﴿يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ﴾ في السَّابِقَةِ والفَضْلِ(٤) ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في مُلْكِهِ وصُنْعِهِ(٥). وهُمُ التَّابِعُونَ(٦). والاقْتِصَارُ عَلَيهم كَافٍ في بَيَانِ فَضْلِ الصَّحَابَةِ، المَبْعُوثِ فيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، على مَنْ عَدَاهُم، مِمَّنْ بُعِثَ إِلَيهِم وآمَنُوا بِهِ، مِنْ جَمِيعِ الإِنْسِ والجِنِّ، إِلى يَومِ القِيَامَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ قَرْنٍ خَيرٌ مِمَّنْ يَلِيهِ.

[٤] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾: النَّبِيَّ ومَنْ ذُكِرَ مَعَه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

[٥] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: كُلِّفُوا العَمَلَ بِهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: لَم يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا، مِنْ نَعتِهِ ﷺ، فلَم يُؤمِنُوا بِهِ ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢاۚ﴾ أَي: كُتُبًا؛ في عَدَمِ انتِفَاعِهِ بها ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ المُصَدِّقَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ! والمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُه: هَذا المَثَلُ. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ.

[٦] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: تَعلَّقَ بِـ«تَمَنَّوا»(٧) الشَّرْطَانِ، عَلَى أَنَّ الأَوَّلَ قَيْدٌ في الثَّانِي(٨)؛ أَي: إِنْ صَدَقْتُم في زَعْمِكُم أَنَّكُم أَولِيَاءُ للهِ، والوَلِيُّ يُؤْثِرُ الآخِرَةَ، ومَبْدَؤُها المَوتُ؛ فتَمَنَّوهُ.

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ﴾ مِنْ كُفْرِهِم بِالنَّبِيِّ المُستَلزِمِ لِكَذِبِهِم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكَافِرِينَ.

[٨] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ﴾ - الفَاءُ: زَائِدَةٌ - ﴿مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: السِّرِّ والعَلَانِيَةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيُجَازِيكُم بِهِ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الجُمُعَةِ سُورَةَ الجُمُعَةِ، وَالمُنَافِقِينَ. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٧) مَا يُقْرَأُ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ.

(١) سَبَقَ التَّنبِيهُ في سُورَةِ البَقَرَةِ آية (١٢٩) على أَنَّ الأَولَى التَّعمِيمُ في مُتَعَلَّقِ الحِكْمَةِ؛ فيُقَالُ: الحَكِيمُ في كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُئُونِه؛ مِنْ صُنْعِه، وقَدَرِه، وتَشْرِيعِه، وجَزَائِه، وإِرْسَالِه رُسُلَه، وإِنزَالِه كُتُبَه.

(٢) في الأَصلِ: (المَوجُودِينَ ﴿مِنْهُمْ﴾ والآتِينَ مِنهم بَعْدَهم)؛ بِتَقدِيمِ جُزءِ الآيةِ؛ ﴿مِنْهُمْ﴾، وبِإِثْبَاتِ: (الآتِينَ) بَدَلًا مِنْ: (آتِينَ)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة. وقَولُ المَحَلِّيِّ: «المَوجُودِينَ مِنهم»: يَعنِي: الأُمِّيِّينَ المَذكُورِينَ؛ أَي: الصَّحَابَة. وقَولُه: «آتِينَ»: تَفسِيرٌ لِقَولِه تَعَالَى: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾.

(٣) هُنَاكَ فُرُوقٌ بينهما؛ فَـ«لَمَّا» حَرْفُ جَزْمٍ مَعْنَاهُ النَّفيُ كَـ«لَم»، لَكِن هُو أَبلَغُ مِنَ النَّفيِ بِـ«لَم»، لِأَنَّها لَا تَنفِي إِلَّا الزَّمَانَ المُتَّصِلَ بِزَمَانِ الحَالِ. والفَرْقُ بينَها وبَينَ «لَم» مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُها: أَنَّه قَد يُحْذَفُ الفِعْلُ بَعدَها في فَصِيحِ الكَلَامِ إِذَا دَلَّ عليه دَلِيلٌ. ومنها: أَنَّها لِنَفيِ المَاضِي المُتَّصِلِ بِزَمَانِ الحَالِ، و«لَم» لِنَفيِهِ مُطلَقًا أَو مُنقَطِعًا. ومنها: أَنَّ «لَمَّا» لَا تَدْخُلُ على فِعْلِ شَرْطٍ ولَا جَزَاءٍ بِخِلَافِ «لَمْ». يُنظَرُ: الدُّرُّ المَصُونُ في عُلُومِ الكتابِ المكنُون، لِلسَّمِينِ الحَلَبِي (٢/ ٣٨١). وتَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ في تفسيرِ سُورَةِ البَقَرَةِ الآيَة (٢١٤).

(٤) أَخرَجَ البُخَارِيُّ ومسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِندَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُنزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ -أَوْ رَجُلٌ- مِنْ هَؤُلَاءِ». البُخَارِيُّ (٤٨٩٨)، ومسلمٌ (٢٥٤٦).

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (في صُنعِه) دُونَ ذِكْرِ (مُلْكِه).

(٦) هذا قَولُ عِكْرِمَةَ في تَفسِيرِ قَولِه تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾؛ كَمَا في تَفسِيرِ عَبدِ الرَّزَّاقِ (٣٢٢٣) وغَيرِه. وقَالَ آخَرُونَ: هُمُ الأَعَاجِمُ. قَالَه ابنُ عُمَرَ وسَعِيدُ بن جُبَيرٍ ورِوَايَة لَيثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ. تفسيرُ الطبريِّ (٢٢/ ٦٢٨). ويَشْهَدُ له حَدِيثُ الصَّحِيحَينِ المُتَقَدِّمُ. وقَالَ القُرطُبِيُّ (١٨/ ٩٣): «مُجَاهِدٌ: هُمُ النَّاسُ كُلُّهُم، يَعْنِي مَنْ بَعْدَ العَرَبِ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ». قَالَ الطَّبَرِيُّ -بَعدَ أَنْ سَاقَ الخلاف فيهم- (٢٢/ ٦٣١): «وَأَوْلَى القَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ كُلُّ لَاحِقٍ لَحِقَ بِالَّذِينَ كَانُوا صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي إِسْلَامِهِمْ مِنْ أَيِّ الأَجْنَاسِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ كُلَّ لَاحِقٍ بِهِمْ مِنْ آخَرِينَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْهُمْ نَوْعًا دُونَ نَوْعٍ...».

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِتَمَنِّيه).

(٨) إِذَا اجتَمَعَ شَرطَانِ وتَوسَّطَ بينَهما جَوَابٌ، فالجَوَابُ لِلأَخِيرِ، والأَوَّلُ قَيدٌ فيه، ولا يَحتَاجُ لِجَوَابٍ ثَانٍ. والتَّقدِيرُ في الآيَةِ: إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ في زَعْمِكم أَنَّكُم أَولِيَاءُ للهِ فتَمَنَّوا المَوتَ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا
إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
(٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ
اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)

سُورَةُ المُنَافِقُونَ
ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا
أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا
تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)

الحزب ٥٦

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن﴾: بِمَعنَى: في ﴿يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾: فَامْضُوا ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: الصَّلاةِ ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾: اتْرُكُوا عَقْدَه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنّه خيرٌ فَافعَلُوه. [١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أَمْرُ إِباحَةٍ ﴿وَابْتَغُوا﴾: اطْلُبُوا الرِّزْقَ ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذِكْرًا ﴿كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُونَ.

كَانَ ﷺ يَخْطُبُ يومَ الجُمُعَةِ، فَقَدِمَتْ عِيرٌ، وضُرِبَ لِقُدُومِها الطَّبْلُ على العَادَةِ، فَخَرَجَ لها النَّاسُ مِنَ المَسْجِدِ غيرَ اثني عَشَرَ رَجُلًا، فنَزَلَ(١):

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أي: التِّجارَةِ؛ لِأَنّها مَطْلُوبُهم دُونَ اللَّهْوِ ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخُطْبَةِ ﴿قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوابِ ﴿خَيْرٌ﴾ لِلذِينَ آمَنُوا ﴿مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يُقَالُ: كُلُّ إِنْسَانٍ يَرْزُقُ عَائِلَته؛ أي: مِنْ رِزْقِ الله -تَعالَى-(٢)[*].

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

مَدَنِيَّةٌ، إِحْدَى عَشْرَةَ(٣) آيَةً[**]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا﴾ بِأَلسِنَتِهم على خِلافِ مَا في قُلُوبِهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾: يَعْلَمُ(٤) ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فِيما أَضْمَرُوه، مُخالِفًا لِما قَالُوه. [٢] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾: سُتْرَةً على(٥) أَمْوالِهم ودِمَائِهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بِها ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عَنِ الجِهادِ فيهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: سُوءُ عَمَلِهم ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ بِاللِّسانِ ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بِالقَلْبِ؛ أي: استَمَرُّوا على كُفْرِهم به ﴿فَطُبِعَ﴾: خُتِمَ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بِالكُفْرِ ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإِيمانَ.

[٤] ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لِجَمالِها ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لِفَصَاحَتِه ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ مِنْ عِظَمِ أَجْسَامِهم، في تَرْكِ التَّفَهُّمِ ﴿[خُشْبٌ]﴾ - بِسُكُونِ الشِّينِ وضَمِّها(٦)- ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾: مُمالَةٌ إِلى الجِدارِ ﴿[يَحْسِبُونَ](٧) كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تُصاحُ؛ كَنِداءٍ في العَسْكَرِ، وإِنْشادِ ضالَّةٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لِما في قُلُوبِهم مِنَ الرُّعْبِ؛ أَنْ يَنْزِلَ فيهم ما يُبِيحُ دِمَاءَهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ فَإِنَّهم يُفْشُونَ سِرَّكَ لِلكُفَّارِ ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: أَهْلَكَهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كَيفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الإِيمانِ بَعْدَ قِيامِ البُرْهانِ؟!

---

[*] ما جاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١١): أَخرجَ البُخارِيُّ عَنْ جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعامًا، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ البُخارِيُّ - كتاب الجمعة (١١) باب (٣٨) إذا نَفَرَ النَّاسُ عَنِ الإِمامِ في صَلاةِ الجُمُعَةِ.

[**] ما جاءَ في نُزُولِ السُّورَةِ: أَخرجَ البُخارِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ». البُخارِيُّ - التفسير (٦٥) سُورَةُ المنافقون (٦٣) باب (١).

---

(١) أَخرجَ نَحوَه البُخارِيُّ (٩٣٦)، ومسلمٌ (٨٦٣) عن جابرِ بن عبدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وهُو في حَاشِيَةِ أَسبابِ النُّزُولِ- ولَيسَ فيه ذِكْرُ الطَّبْلِ، ولَكِن جاءَ ذِكْرُ الطَّبْلِ عَن مُقاتِلٍ، كَما في تَفسيرِه (٤/ ٣٢٨)، ورَوى الطَّبَرِيُّ (٢٢/ ٦٤٨) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجاهِدٍ، قَالَ: «اللَّهْوُ: الطَّبْلُ».

(٢) هذا جَوابُ سُؤالٍ مُقدَّرٍ، وهو: أَنَّ ﴿خَيْرُ﴾ أَفعَلُ تَفضِيلٍ؛ وهَذا يَقتَضِي أَنَّ هناكَ رَازِقِينَ غَيرَ الله، لَكِنَّ اللهَ خيرٌ منهم؟ فالجَوابُ أَنَّ هَذا كَما يُقَالُ: كُلُّ إِنسانٍ يَرزُقُ عائِلَته. يَعني: يُعطِيها، لَكِنَّ عَطاءَ الإِنسانِ عائِلَته أو رِزقَ غَيرِ عائِلَتِه مِن رِزقِ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيَكونُ اسمُ التَّفضِيلِ في قَولِه: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ على بَابِه؛ أي: فالرَّازِقُونَ مُتَعَدِّدُونَ، ولكِن على سَبيلِ المَجازِ، وإِلَّا فالرَّازِقُ حَقِيقَةً هو اللهُ تَعالَى وَحدَه. أو يُقالُ: إِنَّ صِيغَةَ التَّفضِيلِ هُنا لا يُرادُ بِها التَّفضِيلُ بَينَ رَازِقِينَ، وإِنَّما هي لِمُطلَقِ الوَصفِ، وهَذا كَثيرٌ في القُرآنِ. وتَقدَّمَ كَلامُ الشَّاطِبِيِّ في تَفسِيرِ سُورَةِ سَبَأ الآيَةِ (٣٩).

(٣) في نُسخَةِ الجَمَلِ: (عَشَر).

(٤) الشَّهادَةُ غَيرُ العِلمِ، وهِي: الإِقرارُ عَلى الغَيرِ، ومِنْ لَوازِمِها العِلمُ بِالمَشهُودِ، وقَدْ أَثبَتَتِ الآيَةُ المُتَقَدِّمَةُ عِلمَ الله سُبحانَه بِرِسالَتِه ﷺ في قَولِه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ وهي جُملَةٌ مُعتَرِضَةٌ، احتِرَازًا مِنْ فَهمٍ قَدْ يَطرَأُ عَلى السَّامِعِ، إِذَا طَرَقَ سَمْعَه ما بعدَها، وهِي قَولُه تَعالَى في هَذِه الآيَةِ: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فَلَمْ يُكَذِّبْ أَلسِنَتهم، بَل كَذَّبَ مَا انطَوَى عَنْ ضَمائِرِهِم مِنْ خِلافِه، فهَذِه الشَّهادَةُ مُتَضَمِّنَةٌ مَعنَى القَسَمِ، وهِي أَعَمُّ مِنَ العِلمِ، كَما أَنَّها تَتَضَمَّنُ إِثباتَ صِفَةِ الكَلامِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ بِه سُبحانَه، وكَأَنَّ المُفَسِّرَ أَرادَ الفِرارَ مِنْ إِثباتِها.

(٥) في نُسخَةِ قَباوَة: (عَنْ).

(٦) بِسُكُونِها: قِرَاءَةُ الكِسائِيِّ وأبي عَمرٍو وقُنبُل، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِضَمِّ الشِّينِ؛ ﴿خُشُبٌ﴾.

(٧) قرأَ ابنُ عامِرٍ وعاصِمٌ وحمزةُ بِفَتحِ السِّينِ؛ ﴿يَحْسَبُونَ﴾. وقرأَ البَاقُونَ بِكَسرِها.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ﴾ مُعْتَذِرِينَ ﴿يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ والتَّخفِيفِ(١)-: عَطَفُوا ﴿رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾: يُعْرِضُونَ عَنْ ذَلِكَ ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

[٦] ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ﴾ - استُغْنِيَ بِهَمْزَةِ الاستِفْهَامِ عَنْ هَمْزَةِ الوَصْلِ- ﴿أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

[٧] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لِأَصْحَابِهِم مِنَ الأَنْصَارِ: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مِنَ المهَاجِرِينَ ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾: يَتفَرَّقُوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بِالرِّزْقِ، فهو الرَّازِقُ(٢) لِلمُهَاجِرِينَ وغَيرِهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ﴾ أي: مِنْ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ(٣) ﴿إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ﴾: عَنَوْا بِهِ أَنْفُسَهم ﴿مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾[*] عَنَوْا بِه المُؤْمِنِينَ(٤) ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾: الغَلَبَةُ ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذَلِكَ.

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ﴾: تَشْغَلْكُم ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾: الصَّلَواتِ الخَمْسِ(٥) ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في الزَّكَاةِ(٦) ﴿مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ﴾ بِمَعنَى: هَلَّا، أو: «لَا»: زَائِدَةٌ، و«لَو»: لِلتَّمَنِّي ﴿أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ﴾ بِإِدْغَامِ التَّاءِ في الأَصْلِ في الصَّادِ: أَتَصَدَّقُ بِالزَّكَاةِ ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بِأَنْ أَحُجَّ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: «مَا قَصَّرَ أَحَدٌ في الزَّكَاةِ والحَجِّ، إِلَّا سَأَلَ الرَّجْعَةَ عِندَ المَوتِ»(٧).

[١١] ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ - بِالتَّاءِ واليَاءِ(٨)-.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ
وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ
أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ
٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ
مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ
أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ
ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم
مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن
يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١

ترتيبها ٦٤ — سُورَةُ التَّغَابُنِ — آياتها ١٨

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَمَّا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾. وَقَالَ أَيْضًا: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ أَخْبَرْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَلَامَنِي الأَنْصَارُ، وَحَلَفَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ مَا قَالَ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ إِلَى المَنْزِلِ فَنِمْتُ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ»، وَنَزَلَ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ﴾ الآيَةَ. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سُورَةُ المنافقينَ (٦٣) باب (٣) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾. وتَقَدَّمَ بِسِيَاقٍ أَتَمَّ مِنْ هذا.

(١) بِالتَّخْفِيفِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتَّشْدِيدِ.

(٢) في نُسْخَةِ الجَمَلِ: (الرزَّاق).

(٣) تَسمِيَةُ هذه الغَزْوَةِ بِغَزْوَةِ بَنِي المُصطَلِقِ وَرَدَ في رِوَايَةِ أَحمدَ (١٥٢٢٣)، والترمذيِّ (٣٣١٥) عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ، قَالَ سُفْيَانُ- هو ابن عُيَيْنَةَ، أَحدُ الرُّوَاةِ-: يَرَوْنَ أَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لِلأَنْصَارِ فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»، فَسَمِعَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ، فَقَالَ: أَوَقَدْ فَعَلُوهَا؟ واللهِ ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ﴾، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ». وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو، فَقَالَ: لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ: واللهِ لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ العَزِيزُ، فَفَعَلَ. قَالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وأَصلُه في الصَّحِيحَينِ؛ البُخَارِيُّ (٤٩٠٧)، ومُسلِمٍ (٢٥٨٤)، وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ، وفي الصَّحِيحَةِ (٣١٥٥).

(٤) الذي عليه جَمَاهِيرُ العُلَمَاءِ مِنْ أَهلِ السِّيَرِ والتفسيرِ: أَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ هو هَذَا المُنَافِقُ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ، عَنَى بِالأَعَزِّ نَفسَه الخَبِيثَةَ ومَنْ معَهُ مِنَ المُنَافِقِينَ، وبِالأَذَلِّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ومَنْ معَه مِنَ المُؤمِنِينَ، والأَمرُ عَكسُ مَا قَالَه اللَّعِينُ، وذَكَرَ ابنُ كَثِيرٍ تَفصِيلَ ذَلِكَ ومُنَاسَبَتَه في تَفسِيرِه (٨/ ١٢٧-١٣٢)، فرَاجِعْه ثَمَّ.

(٥) رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ (٢٢/ ٦٧٠) عَنِ الضَّحَّاكِ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ قَالَ: الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ. وَرَوى المروزيُّ في تَعظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ (١/ ١٢٨) عَنْ عَطَاءٍ يَقُولُ: «هِيَ المَكْتُوبَةُ». وهذا من التفسيرِ بِالمِثَالِ، والتَّنبِيهُ لِلمَطلوبِ بِأَهمِّ جُزئِيَّاتِه؛ لِأَنَّ ذِكرَ الله أَعَمُّ مِنَ الصَّلَوَاتِ الخَمسِ، وكَذَا الإِنفَاقُ أَعَمُّ مِنَ الزَّكَاةِ، والصَّلَاحُ أَعَمُّ مِنَ الحَجِّ.

(٦) روى الطَّبَرِيُّ (٢٢/ ٦٧٢) عَنِ الضَّحَّاكِ: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ﴾ قَالَ: «فَأَتَصَدَّقُ بِزَكَاةِ مَالِي». وَأَخرَجَ ابنُ المُنْذِرِ-كما في الدُّرِّ المنثُورِ (٨/ ١٨٠) - عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا في قَوْلِه: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ قَالَ: أُزَكِّي ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قَالَ: أَحُجُّ.

(٧) أَخرَجه التِّرمِذِيُّ (٣٣١٦)، وضَعَّفَ الأَلبَانِيُّ إِسنَادَه في ضَعِيفِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٦٥٣)، وفي الضَّعِيفَةِ (٧٩٨).

(٨) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ شُعْبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتَّاءِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم
مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ② خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ③ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ④ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑤ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ⑥ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ
وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ⑦
فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
⑧ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑨

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مَكِّيَّةٌ، أو: مَدَنِيَّةٌ، ثَمانِيَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: يُنَزِّهُهُ- فاللَّام: زَائِدَةٌ، وأُتِيَ بِـ«مَا» دُونَ «مَنْ» تَغْلِيبًا لِلأَكْثَرِ- ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في أَصْلِ الخِلْقَةِ، ثُمَّ يُمِيتُهم ويُعِيدُهم على ذَلِكَ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إِذْ جَعَلَ شَكْلَ الآدَمِيِّ أَحْسَنَ الأَشْكَالِ ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِمَا فيها مِنَ الأَسْرَارِ والمُعْتَقَدَاتِ.

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ -يا كُفَّارَ مَكَّةَ- ﴿نَبَؤُا﴾: خَبَرُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: عُقُوبَةَ الكُفْرِ في الدُّنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخِرَةِ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ؟

[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: عَذابُ الدُّنيا ﴿بِأَنَّهُ﴾ -ضَمِيرُ الشَّأْنِ- ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾: الحُجَجِ[١] الظَّاهِرَاتِ عَلى الإِيمانِ ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ﴾ -أُرِيدَ بِهِ الجِنْسِ- ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ عَنِ الإِيمانِ ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عَنْ إِيمانِهِم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عَنْ خَلْقِهِ ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ في أَفْعالِه.

[٧] ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن﴾ -مُخَفَّفَةٌ، واسمُها مَحْذُوفٌ- أي: أَنَّهم ﴿لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٨] ﴿فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ﴾: القُرآنِ ﴿الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٩] اذْكُرْ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾: يوم القِيامَةِ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾: يَغْبِنُ المُؤمِنُونَ الكافِرِينَ، بِأَخْذِ مَنازِلِهِم وأَهْلِيهِم في الجَنَّةِ، لَو آمَنُوا ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ -وفي قِراءَةٍ بِالنُّونِ في الفِعْلَيْنِ[٢]- ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

---

(١) في نُسخة قباوة: (بالحُجَجِ).

(٢) لِنافعٍ وابنِ عامرٍ، أي: ﴿نُكَفِّرْ﴾، و﴿نُدْخِلْهُ﴾.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هِيَ!

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِقَضَائِه ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ في قَولِه: «إِنَّ المُصِيبَةَ بِقَضَائِه» ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ لِلصَّبْرِ عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: البَيِّنُ.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أَنْ تُطِيعُوهُم في التَّخَلُّفِ عَنِ الخَيرِ؛ كَالجِهَادِ والهِجْرَةِ - فَإِنَّ سَبَبَ نُزُولِ الآيَةِ الإِطَاعَةُ في ذَلِكَ[1] - ﴿وَإِن تَعْفُوا﴾ عَنهُم في تَثْبِيطِهم إِيَّاكُم عَنْ ذَلِكَ الخَيرِ، مُعْتَلِّينَ بِمَشَقَّةِ فِرَاقِكُم عليهم ﴿وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[*].

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لَكُم، شَاغِلَةٌ عَنْ أُمُورِ الآخِرَةِ ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فَلَا تُفَوِّتُوه، بِاشْتِغَالِكُم بِالأَموَالِ والأَولَادِ.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ - نَاسِخَةٌ لِقَولِه: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[2] - ﴿وَاسْمَعُوا﴾ مَا أُمِرْتُم بِه سَمَاعَ قَبُولٍ ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا﴾ في الطَّاعَةِ ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾: خَبَرُ «يَكُنْ» مُقَدَّرَةً؛ جَوَابُ الأَمْرِ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفَائِزُونَ.

[١٧] ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِأَنْ تَتَصَدَّقُوا عَنْ طِيبِ قَلْبٍ ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ[3]: ﴿يُضَعِّفْهُ﴾ بِالتَّشْدِيدِ؛ بِالوَاحِدَةِ عَشْرًا، إِلَى سَبعِمِائَةٍ وأَكثَرَ - ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مَا يَشَاءُ ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾: مُجَازٍ عَلَى الطَّاعَةِ[4] ﴿حَلِيمٌ﴾ في العِقَابِ عَلَى المَعْصِيَةِ.

[١٨] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: السِّرِّ ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: العَلَانِيَةِ ﴿الْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِه[5].

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ — تَرْتِيبُهَا ٦٥ — آيَاتُهَا ١٢

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (١٤): أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قَالَ: «هَؤُلَاءِ رِجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يَدَعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَوُا النَّاسَ قَدْ فَقِهُوا فِي الدِّينِ هَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾. التِّرمِذِيُّ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٤٦) ومن سورة التغابن. (حَسَنٌ) صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٤٢).

(١) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ (٣٣١٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وهُو في حَاشِيَةِ أَسبَابِ النُّزُولِ.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

(٣) لابنِ كَثِيرٍ وابنِ عَامِرٍ.

(٤) نُثبِتُ صِفَةَ الشُّكرِ لَه سُبحَانَه عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِه وكَمَالِه، والإِثَابَةُ والمُجَازَاةُ إِنَّما هِيَ أَثَرٌ له. قَالَ ابنُ القَيِّمِ: «وأَمَّا شُكرُ الرَّبِّ تعالى فَلَه شَأنٌ آخر كَشَأنِ صَبرِه، فهو أَولَى بِصِفَةِ الشُّكرِ مِن كُلِّ شَكُورٍ، بَل هُو الشَّكُورُ عَلَى الحَقِيقَةِ». انظر عِدَة الصابرين (ص٢٨٠). قَالَ السَّعدِيُّ في بَيَانِ اسمَيهِ تَعَالى الشَّاكِرِ والشَّكُورِ: «وهُو الذِي يَشكُرُ القَلِيلَ مِنَ العَمَلِ الخَالِصِ النَّقِيِّ النَّافِعِ، ويَعفُو عنِ الكَثِيرِ مِنَ الزَّلَلِ، ولَا يُضِيعُ أَجرَ مَنْ أَحسَنَ عَمَلًا، بَلْ يُضاعِفُه أَضعَافًا مُضاعَفَةً بِغَيرِ عَدٍّ ولَا حِسَابٍ، ومِن شُكرِه أَنَّه يَجزِي بِالحَسَنَةِ عَشرَةَ أَمثَالِها إِلى سَبعِمِائَةِ ضِعفٍ إِلى أَضعَافٍ كَثِيرَةٍ، وقَد يَجزِي اللهُ العَبدَ على العَمَلِ بِأَنوَاعٍ مِنَ الثَّوَابِ العَاجِلِ قَبلَ الآجِلِ، ولَيسَ عَلَيه حَقٌّ وَاجِبٌ بِمُقتَضَى أَعمَالِ العِبَادِ، وإِنَّما هو الذِي أَوجَبَ الحَقَّ عَلى نَفسِه كَرَمًا منه وجُودًا، واللهُ لا يُضِيعُ أَجرَ العَامِلِينَ به إذا أَحسَنُوا في أَعمالِهم وأَخلَصُوها لله تَعالى». الحَقُّ الوَاضِحُ المُبِينُ (ص٧٠)، وتَوضِيحُ الكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ (ص١٢٥-١٢٦)؛ كِلَاهما لِلسَّعدِيِّ.

(٥) سبق التَّنبِيهُ في سُورَةِ البَقَرةِ آية (١٢٩) عَلى أنّ الأَولى التَّعمِيمُ في مُتَعلَّقِ الحِكْمَةِ؛ فيُقَالُ: الحَكِيمُ في كُلِّ شَأنٍ مِن شُئونِه؛ مِن صُنعِه، وقَدَرِه، وتَشرِيعِه، وجَزَائِه، وإِرسَالِه رُسُلَه، وإِنزَالِه كُتُبَه.

الحزب ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن
يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١)
فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ
بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ
مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ
قَدْرًا (٣) وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ
ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ
ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ
يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا (٤) ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا (٥)

سُورَةُ الطَّلاق

مَدَنِيَّةٌ، ثَلاثَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [المُرادُ هو وأُمَّتُه](1)، بِقَرِينَةِ ما بَعْدَه، أو قُلْ لهم: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي(2): أَرَدْتُمُ الطَّلَاقَ ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: لِأَوَّلِها؛ بِأَنْ يَكُونَ الطَّلَاقُ في طُهْرٍ لَمْ تُمَسَّ فيه؛ لِتَفْسِيرِه ﷺ بِذَلِكَ. رَوَاه الشَّيخانِ(3) ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾: احْفَظُوها؛ لِتُراجِعُوا قَبلَ فَرَاغِها ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: أَطِيعُوه في أَمْرِهِ ونَهْيِهِ ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ مِنهَا، حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾: زِنًا ﴿[مُّبَيَّنَةٍ]﴾ - بِفَتْحِ اليَاءِ وكَسْرِها(4)-: بُيِّنَتْ أو بَيِّنَةٍ، فَيُخْرَجْنَ لِإِقَامَةِ الحَدِّ عَلَيهِنَّ ﴿وَتِلْكَ﴾ المَذْكُورَاتُ ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الطَّلَاقِ ﴿أَمْرًا﴾: مُرَاجَعَةً، فِيمَا إِذَا كَانَ وَاحِدَةً أَوِ اثْنَتَيْنِ(5).

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قَارَبْنَ انقِضَاءَ عِدَّتِهِنَّ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بِأَنْ تُرَاجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِنْ غَيرِ ضِرَارٍ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتْرُكُوهُنَّ حَتَّى تَنقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ، ولا تُضَارُّوهُنَّ بِالمُرَاجَعَةِ ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على المُرَاجَعَةِ أَوِ الفِرَاقِ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ لَا لِلْمَشْهُودِ عَلَيه، أَوْ له ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ مِنْ كَرْبِ الدُّنيا والآخِرَةِ.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: يَخْطُرُ بِبَالِه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في أُمُورِه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: كَافِيهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ [بَٰلِغٌ أَمْرَهُۥ](6)﴾: مُرَادَه -وفي قِرَاءَةٍ بِالإِضَافَةِ- ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ﴾ كَرَخَاءٍ وَشِدَّةٍ ﴿قَدْرًا﴾: مِيقَاتًا.

[٤] ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى﴾ - بِهَمْزَةٍ وَيَاءٍ، وبِلَا يَاءٍ في المَوضِعَينِ(7)- ﴿يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ بِمَعنَى: الحَيضِ ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: شَكَكْتُم في عِدَّتِهِنَّ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ لِصِغَرِهِنَّ؛ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ. والمَسْأَلَتَانِ في غَيرِ المُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ. أَمَّا هُنَّ فَعِدَّتُهُنَّ مَا في آيَةِ: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(8) ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾: انْقِضَاءُ عِدَّتِهِنَّ؛ مُطَلَّقَاتٍ أو مُتَوَفًّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ: ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

[٥] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذْكُورُ في العِدَّةِ ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: حُكْمُه ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

---

(١) في الأَصلِ: (المُرادُ وأُمَّتُه)، وفي نُسخَةِ الجَمَلِ: (المُرادُ أُمَّتُه)، والمُثبَتُ مِن نُسخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي.

(٢) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٣) البُخَارِيُّ (٤٩٠٨)، ومُسلِمٌ (١٤٧١) عَنْ عَبدِ الله بنِ عُمَرَ، ولَفظُه عِندَ البُخَارِيِّ: أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَتَغَيَّظَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: «لِيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ يُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهُرَ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا، فَتِلْكَ العِدَّةُ كَمَا أَمَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ».

(٤) بِالفَتحِ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ بِالكَسرِ: ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾.

(٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (ثِنتَينِ).

(٦) وهي قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عَدَا حَفصٍ، وقَرَأَ حَفصٌ بِالإِضَافَةِ: ﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾.

(٧) قَرَأَ الكُوفِيُّونَ وابنُ عَامِرٍ بِهَمزَةٍ مُحَقَّقَةٍ بَعدَها يَاءٌ، وقَرَأَ البَاقُونَ بِحَذفِ اليَاءِ، وحَقَّقَ الهَمزَةَ منهم قَالُونُ وقُنبل، وسَهَّلَها وَرْشٌ، وأَبدَلَها يَاءً سَاكِنَةً مَعَ مَدِّ الأَلِفِ بِالإِشبَاعِ بِالسَّاكِنَينِ البَزِّيُّ وأَبُو عَمرٍو. وسَبَقَ تَفصِيلُ ذَلِكَ في سُورَةِ الأَحزَابِ الآيَةِ (٤).

(٨) البقرة: ٢٣٤.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟
عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن
تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن
قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا
نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ
ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ
بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ أي: المُطَلَّقاتِ ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: بَعْضَ مَساكِنِكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي: سَعَتِكُم، عَطفُ بَيانٍ، أو بَدَلٌ مِمَّا قَبْلَه بإعادةِ الجارِّ وتَقْدِيرِ مُضافٍ؛ أي: أمْكِنَةِ سَعَتِكُم، لا ما دُونَها ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ المَساكِنَ؛ فيَحْتَجْنَ إلى الخُروجِ، أوِ النَّفَقَةَ، فيَفْتَدِينَ مِنكُم ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادَكُم مِنهُنَّ ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ عَلى الإرْضاعِ ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾ وبَيْنَهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بِجَميلٍ، في حَقِّ الأَولادِ، بالتَّوافُقِ على أجْرٍ مَعلومٍ على الإرْضاعِ ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: تَضايَقْتُم في الإرْضاعِ، فامْتَنَعَ الأبُ مِنَ الأُجْرَةِ، والأُمُّ مِن فِعْلِه ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾: لِلأَبِ ﴿أُخْرَىٰ﴾ ولا تُكْرَهُ الأُمُّ على إرْضاعِه.

[٧] ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المُطَلَّقاتِ والمُرْضِعاتِ ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ﴾: ضُيِّقَ ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾: أعطاه ﴿ٱللَّهُ﴾ على قَدْرِه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾. وقَدْ جَعَلَه بالفُتُوحِ.

[٨] ﴿وَكَأَيِّن﴾ - هِيَ: كافُ الجَرِّ، دَخَلَتْ على «أيّ»؛ بِمَعنى: «كَمْ» - ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكَثِيرٌ مِنَ القُرى ﴿عَتَتْ﴾: عَصَتْ؛ يَعْني: أهْلُها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ في الآخِرَةِ - وإنْ لَمْ تَجِئْ؛ لِتَحَقُّقِ وُقُوعِها - ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ - بِسُكُونِ الكافِ وضَمِّها[1] -: فَظيعًا، وهُو عَذابُ النَّارِ.

[٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: عُقُوبَتَه ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾: خَسارًا وهَلاكًا!

[١٠] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تَكْرِيرُ الوَعِيدِ تَوكِيدٌ[2] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابَ العُقُولِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نَعْتٌ لِلمُنادى، أو بَيانٌ له ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هُو القُرآنُ.

[١١] ﴿رَّسُولًا﴾ أي: مُحَمَّدًا ﷺ، مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: وأَرْسَلَ [رَسُولًا][3] ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ [مُبَيِّنَٰتٍ]﴾ - بِفَتْحِ الياءِ وكَسْرِها[4]، كَما تَقَدَّمَ - ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بَعْدَ مَجِيءِ الذِّكْرِ والرَّسُولِ ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفْرِ الذي كانُوا عَلَيه ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ الذي قامَ بِهِم بَعْدَ الكُفْرِ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ - وفي قِراءَةٍ[5] بالنُّونِ - ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ هُو رِزْقُ الجَنَّةِ، التي لا يَنْقَطِعُ نَعِيمُها.

[١٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يَعْني: سَبْعَ أرَضِينَ ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾: الوَحْيُ ﴿بَيْنَهُنَّ﴾: بَيْنَ السَّماواتِ والأرْضِ، يَنْزِلُ بِه جِبْرِيلُ مِنَ السَّماءِ السَّابِعَةِ إلى الأرْضِ السَّابِعَةِ[6] ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أي: أعْلَمَكُم بِذلِكَ الخَلْقِ والتَّنْزِيلِ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

---

(١) بالضَّمِّ: قِراءَةُ نافِعٍ وابنِ ذَكْوانَ وشُعْبَةَ.

(٢) في نُسْخَةِ قَباوَة: (تَكْرِيرٌ لِلوَعِيدِ تَوكِيدًا).

(٣) كَلِمَةُ: (رَسُولًا) لَيْسَتْ في الأصْلِ، والمُثْبَتُ مِنْ نُسْخَةِ قَباوَة.

(٤) بالفَتْحِ: قِراءَةُ نافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وأبي عَمْرٍو وشُعْبَةَ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالكَسْرِ: ﴿مُبَيِّنَٰتٍ﴾.

(٥) لِنافِعٍ وابنِ عامِرٍ.

(٦) رَوى الطَّبَرِيُّ (٢٣/ ٨١) عَنْ مُجاهِدٍ، قَوْلَهُ: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ قالَ: «بَيْنَ الأرْضِ السَّابِعَةِ إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ».

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٥٦

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا
نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا
نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن
تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ
ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ
مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ
وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

مَدَنِيَّةٌ، اثنتا عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ مِنْ أَمَتِكَ مَارِيَةَ القِبْطِيَّةِ؛ لَمَّا وَاقَعَها في بَيتِ حَفْصَةَ، وكَانَت غَائِبَةً، فَجَاءَتْ وشَقَّ عَليها كَونُ ذَلِكَ في بَيتِها وعَلى فِرَاشِها؛ حَيثُ قُلْتَ: «هِي حَرَامٌ عَلَيَّ»(١) ﴿تَبْتَغِي﴾ بِتَحْرِيمِها ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ أي: رِضَاهُنَّ؟ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غَفَرَ لَكَ هَذَا التَّحْرِيمَ.

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ﴾: شَرَعَ ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: تَحْلِيلَها؛ بِالكُفَّارَةِ المَذْكُورَةِ في «سُورَةِ المَائِدَةِ»(٢)، ومِنَ الأَيمانِ: تَحْرِيمُ الأَمَةِ. وهَلْ كَفَّرَ ﷺ؟ قَالَ مُقَاتِلٌ: أَعْتَقَ رَقَبَةً في تَحْرِيمِ مَارِيَةَ(٣). وقَالَ الحَسَنُ: لَمْ يُكَفِّرْ؛ لِأَنَّه ﷺ مَغْفُورٌ له(٤) ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: نَاصِرُكُم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

[٣] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ هِي حَفْصَةُ ﴿حَدِيثًا﴾ هُو تَحْرِيمُ مَارِيَةَ، وقَالَ لَها: «لا تُفْشِيه» ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ عَائِشَةَ؛ ظَنًّا منها أَنْ لَا حَرَجَ في ذَلِكَ ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾: أَطْلَعَه ﴿عَلَيْهِ﴾: عَلَى المُنَبَّإِ بِهِ ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ لِحَفْصَةَ ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ تَكَرُّمًا منه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أي: اللهُ.

[٤] ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ أي: حَفْصَةُ وعَائِشَةُ ﴿إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مَالَتْ إلى تَحْرِيمِ مَارِيَةَ؛ أي: سَرَّكُما ذَلِكَ، مَعَ كَرَاهَةِ النَّبِيِّ ﷺ له، وذَلِكَ ذَنْبٌ. وجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ؛ أي: تُقْبَلا. وأُطْلِقَ «قُلُوبُ» على قَلبَينِ ولَم يُعَبَّرْ به؛ لِاسْتِثْقَالِ الجَمْعِ بَينَ تَثْنِيَتَينِ فِيما هُو كَالكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ ﴿وَإِن [تَظَّاهَرَا]﴾ بِإِدغَامِ التَّاءِ الثَّانِيةِ في الأَصْلِ في الظَّاءِ(٥)، وفي قِرَاءَةٍ بِدُونِها: تَتَعاوَنا ﴿عَلَيْهِ﴾ أَي: النَّبِيِّ فيما يَكرَهُهُ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ فَصْلٌ(٦) ﴿مَوْلَىٰهُ﴾: نَاصِرُه ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَعطُوفٌ عَلى مَحَلِّ اسمِ «إِنَّ»، فَيَكُونُونَ نَاصِرِيه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بَعْدَ(٨) نَصرِ اللهِ والمَذْكُورِينَ ﴿ظَهِيرٌ﴾: ظُهَرَاءُ؛ أَعْوَانٌ لَه في نَصْرِه عَلَيكُما[*].

[٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: طَلَّقَ النَّبِيُّ أَزْوَاجَه ﴿أَن [يُبَدِّلَهُ]﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخْفِيفِ(٩) - ﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾: خَبَرُ ﴿عَسَىٰ﴾ - والجُمْلَةُ: جَوَابُ الشَّرْطِ. ولَمْ يَقَعِ التَّبْدِيلُ؛ لِعَدَمِ وُقُوعِ الشَّرْطِ - ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾: مُقِرَّاتٍ بِالإِسْلامِ ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾: مُخْلِصَاتٍ ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾: مُطِيعَاتٍ ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾: صَائِمَاتٍ أو مُهَاجِرَاتٍ ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[**] [٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بِالحَمْلِ عَلى طَاعَةِ اللهِ ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾: الكُفَّارُ ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كَأَصْنَامِهم منها؛ يَعنِي: أَنَّها مُفْرِطَةُ الحَرَارَةِ تَتَّقِدُ بِما ذُكِرَ، لا كَنَارِ الدُّنيا، تَتَّقِدُ بِالحَطَبِ ونَحوِه ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾: خَزَنَتُها، عِدَّتُهم تِسْعَةَ عَشَرَ، كَما سَيَأْتِي في «المُدَّثِّرِ» ﴿غِلَاظٌ﴾ مِن: غِلَظِ القَلْبِ ﴿شِدَادٌ﴾ في البَطْشِ

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَاتِ (١-٤): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إِلَى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ... البُخَارِيُّ - كتاب الطلاق (٦٨) باب (٨).

وأخرج النَّسَائِيُّ عَنْ أَنَسٍ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ. النَّسَائِيُّ - كتاب عشرة النِّسَاءِ (٣٧) باب (٤) الغيرة. وصحَّحه الحَافِظُ في الفَتْحِ (٩/ ٣٧٦)، وقَالَ (٩/ ٢٨٩): «وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الَّذِي حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ وَعُوتِبَ عَلَى تَحْرِيمِهِ... وَالرَّاجِحُ مِنَ الأَقْوَالِ كُلِّهَا: قِصَّةُ مَارِيَةَ؛ لِاخْتِصَاصِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ بِهَا، بِخِلَافِ العَسَلِ؛ فَإِنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُنَّ...». وصَحَّحه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٣٦٩٥). وقَالَ القُرطُبِيُّ (١٨/ ١٧٩): «الصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ فِي العَسَلِ... وَتَظَاهَرَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ فِيهِ، فَجَرَى مَا جَرَى فَحَلَفَ أَلَّا يَشْرَبَهُ، وَأَسَرَّ ذَلِكَ. وَنَزَلَتِ الآيَةُ فِي الجَمِيعِ». وهو اختيارُ ابنِ كَثيرٍ (٨/ ١٦٠) أَيضًا.

[**] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَةِ (٥): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ»؛ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة التحريم (٦٦) باب (٥).

---

(١) أخرجه ابنُ جَرِيرٍ (٢٣/ ٨٨) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ إلى ابنِ إِسحَاقَ عَنِ الزُّهرِيِّ عَنْ عُبَيدِ الله بن عبد الله عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، عَن عُمَرَ، وفيه عَنْعَنَةُ ابنِ إِسحَاقَ. وانظرْ رِوَايَةَ أَنَسٍ عِندَ النَّسَائِيِّ في الحَاشِيَةِ.

(٢) الآية (٨٩).

(٣) ذَكَرَهُ في التَّفسِيرِ المَنسُوبِ إليه (٤/ ٣٧٦)، وعَزَاه الطَّبَرِيُّ (٢٣/ ٨٨) لِقَتَادَةَ؛ قَالَ: «وَكَانَ الحَسَنُ يَقُولُ: حَرَّمَهَا عَلَيْهِ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهَا كَفَّارَةَ يَمِينٍ».

(٤) قَالَ الحَافِظُ في الفَتحِ (١١/ ٦١٣): «رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يُكَفِّرْ أَصْلًا، لِأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ كَفَّارَةُ اليَمِينِ تَعْلِيمًا لِلأُمَّةِ. وَتُعُقِّبَ بِمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ فِي قِصَّةِ حَلِفِهِ عَلَى العَسَلِ أَوْ مَارِيَةَ فَعَاتَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَعَلَ لَهُ كَفَّارَةَ يَمِينٍ. وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ كَفَّرَ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ نَصًّا فِي رَدِّ مَا ادَّعَاهُ الحَسَنُ...».

(٥) لِنَافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتَّخْفِيفِ: ﴿تَظَٰهَرَا﴾.

(٦) أي: الضَّمِيرُ ﴿هُوَ﴾ ضَمِيرُ فَصلٍ.

(٧) رَوَى مُسْلِمٌ (١٤٧٩) عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، في خَبَرِ اعتِزَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نِسَاءَه، في حَدِيثٍ طَوِيلٍ وفيه: «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ، وَمَلَائِكَتَهُ، وَجِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَأَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَالمُؤْمِنُونَ مَعَكَ...».

(٨) في نُسْخَةِ قبَاوَة: (أي: بَعْدَ).

(٩) بِتَشدِيدِ الدَّالِ وفَتْحِ البَاءِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وأَبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُبْدِلَهُۥٓ﴾ بِتَخفِيفِ الدَّالِ وسُكُونِ البَاءِ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ
عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾: بَدَلٌ مِنَ الجَلَالَةِ[١]؛ أي: لا يَعْصُونَ أَمْرَ الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: تَأْكِيدٌ- والآيَةُ تَخوِيفٌ لِلمُؤْمِنِينَ عَنِ الارتِدَادِ، ولِلمُنَافِقِينَ المُؤْمِنِينَ بِأَلسِنَتِهِم دُونَ قُلُوبِهم-.

[٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ يُقَالُ لهم ذَلِكَ عِندَ دُخُولِهِمُ النَّارَ؛ أي: لِأَنَّه لَا يَنفَعُكُم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزَاءَه.

[٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ - بِفَتْحِ النُّونِ وضَمِّهَا[٢]-: صَادِقَةً؛ بِأَنْ لَا يُعَادَ إِلى الذَّنبِ، ولَا يُرَادَ العَودُ إِلَيه ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾: تَرْجِيَةٌ تَقَعُ[٣] ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ﴾: بَسَاتِينَ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾ بِإِدْخَالِ النَّارِ ﴿ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أَمَامَهم ﴿وَ﴾ يَكُونُ ﴿بِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ﴾ مُستَأْنَفٌ: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إلى الجَنَّةِ- والمُنَافِقُونَ يَطْفَأُ[٤] نُورُهم- ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ رَبَّنا[٥] ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بِالسَّيفِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بِاللِّسَانِ والحُجَّةِ ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بِالانتِهَارِ والمَقْتِ ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هِيَ!

[١٠] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدِّينِ؛ إِذْ كَفَرَتَا- وكَانَتِ امْرَأَةُ نُوحٍ واسْمُهَا «وَاهِلَةُ»[٦] تَقُولُ لِقَومِه: إِنَّه مَجْنُونٌ[٧]. وامْرَأَةُ لُوطٍ واسْمُهَا «وَاعِلَةُ»[٨]، تَدُلُّ قَومَه عَلى أَضْيَافِه إِذَا نَزَلُوا بِه لَيلًا؛ بِإِيقَادِ النَّارِ ونَهَارًا بِالتَّدْخِينِ[٩]- ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أَي: نُوحٌ ولُوطٌ ﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾: مِنْ عَذَابِه ﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ﴾ لَهما: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ مِنْ كُفَّارِ قَومِ نُوحٍ وقَومِ لُوطٍ.

[١١] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آمَنَتْ بِمُوسَى، واسْمُهَا «آسِيَةُ»، فعَذَّبَها فِرْعَونُ، بِأَنْ أَوتَدَ يَدَيْهَا ورِجْلَيها، وأَلْقَى عَلى صَدْرِها رَحًى عَظِيمَةً، واسْتَقْبَلَ بها الشَّمْسَ، فكَانَتْ إِذَا تَفرَّقَ عنها مَنْ وُكِلَ بِها ظَلَّلَتْها المَلَائِكَةُ[١٠] ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حَالِ التَّعْذِيبِ: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فَكُشِفَ لَها فَرَأَتْهُ، فَسَهُلَ عَلَيها التَّعْذِيبُ ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾: وتَعْذِيبِه ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَهْلِ دِينِه، فقَبَضَ الله رُوحَها. وقَالَ ابنُ كَيسَانَ: رُفِعَتْ إِلى الجَنَّةِ حَيَّةً، فَهِيَ تَأْكُلُ وتَشْرَبُ[١١].

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ﴾: عَطْفٌ عَلى: ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حَفِظَتْهُ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جِبْرِيلَ، حَيثُ نَفَخَ في جَيْبِ دِرْعِهَا، بِخَلْقِ الله -تَعَالَى-[١٢] فِعْلَه الوَاصِلَ إِلى فَرْجِها، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾: شَرَائِعِه ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ المُنَزَّلَةِ ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾: مِنَ القَومِ المُطِيعِينَ.

---

(١) أي: مِنْ لَفظِ الجَلَالَةِ.

(٢) بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ شُعْبَةَ.

(٣) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلى أَنَّ هَذا التَّرَجِّي وَاجِبُ الوُقُوعِ لِكَونِه مِنَ الله تَعَالى. قَالَ ابنُ عَطِيَّةَ في المُحَرَّرِ الوَجِيزِ (٥/ ٣٣٤): «وقَولُه تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ الآيَة، تَرجِيَةٌ، وقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَسَى مِنَ الله وَاجِبَةٌ».

(٤) بِفَتحِ اليَاءِ: أي: يَخمَدُ ويَذهَبُ.

(٥) كَلِمَةُ: (رَبَّنا) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٦) لَمْ نَقِفْ عَليه مُسنَدًا، وعَزَاهُ الشربينيُّ في السِّرَاجِ المُنِيرِ (٤/ ٣٣٤) لِلضَّحَّاكِ، قَالَ: عَنْ عَائِشَةَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلَامُ نَزَلَ عَلى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخبَرَه أَنَّ اسمَ امرَأَةِ نُوحٍ وَاعِلَةُ، واسمَ امرَأَةِ لُوطٍ وَالِهَةُ». وفي تفسيرِ مُقَاتِلٍ (٤/ ٣٨٠) أَنَّه أَخبَرَه أَنَّ اسمَ امرَأَةِ نُوحٍ وَالِغَةُ، واسمَ امرَأَةِ لُوط وَالِهَةُ.

(٧) رَوى الطَّبَرِيُّ (٢٣/ ١١٢)، والحَاكِمُ (٣٨٣٣) -واللَّفظُ له- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ: «مَا زَنَتَا، أَمَّا امْرَأَةُ نُوحٍ فَكَانَتْ تَقُولُ لِلنَّاسِ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ، وَأَمَّا امْرَأَةُ لُوطٍ فَكَانَتْ تَدُلُّ عَلَى الضَّيفِ؛ فَذَلِكَ خِيَانَتُهُمَا». وقَالَ الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ. وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في الضَّعِيفَةِ (١٢/ ٤٣٠)، في تَعلِيقِه عَلى الحَدِيثِ (٥٦٨٧).

(٨) يُنظَرُ التَّعلِيقُ قَبلَ السَّابِقِ.

(٩) يُنظَرُ أَثرُ ابنِ عَبَّاسٍ المُتَقَدِّمُ. ولَمْ أَقِفْ عَلى ما ذَكَرَهُ المُفَسِّرُ مِنْ كَونِ دَلَالَتِها عَلى أَضيَافِه بِالنَّارِ لَيلًا، وبِالتَّدخِينِ نَهَارًا.

(١٠) رَوى الحَاكِمُ (٣٨٣٤) عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ تُعَذَّبُ بِالشَّمْسِ، فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْهَا أَظَلَّتْهَا المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَكَانَتْ تَرَى بَيْتَهَا فِي الجَنَّةِ». وقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهَبِيُّ. ورَوى أبو يعلى (٦٤٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ فِرْعَوْنَ، أَوْتَدَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا. وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في الصَّحِيحَةِ (٢٥٠٨). وتَسمِيَتُها «آسِيَة» ثَبَتَتْ عِندَ البُخَارِيِّ (٣٤١١) عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ...».

(١١) قَالَ البَغَوِيُّ (٨/ ١٧١): «وَقَالَ الحَسَنُ وَابنُ كَيسَانَ: رَفَعَ الله امْرَأَةَ فِرْعَونَ إِلَى الجَنَّةِ، فَهِيَ فِيهَا تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ». ومِثْلُ هَذا مِنَ الأُمورِ الغَيبِيَّةِ التي يَحتَاجُ إِثبَاتُها إِلى دَلِيلٍ صَحِيحٍ مَرفُوعٍ ثَابِتٍ.

(١٢) مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿نَفَخْنَا﴾، وكَانَ المَقَامُ لِلإِضمَارِ بِأَنْ يَقُولَ: «بِخَلْقِنا». و«فِعلَه»: أي: فِعلَ جِبرِيلَ، وهو: النَّفخ. ومَعنَى: خَلقِه: إِيصَالُ أَثرِه، وهُو: الرِّيحُ، والهَوَاءُ الحَاصِلُ به إِلى فَرْجِها.

سورة الملك — ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء ٢٩ الحزب ٥٧

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ
﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

سُورَةُ المُلْك

مَكِّيَّةٌ، ثَلاثُونَ آيَةً[*]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿تَبَٰرَكَ﴾: تنَزَّه عَنْ صِفَاتِ المُحْدَثِينَ(١) ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ﴾: في تَصرُّفِه(٢) ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: السُّلْطَانُ والقُدْرَةُ(٣) ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ في الآخِرَةِ، أو هُما في الدُّنيا- فَالنُّطْفَةُ تَعْرِضُ لها الحَيَاةُ، وهِي: ما بِهِ الإِحْسَاسُ، والمَوتُ: ضِدُّها، أَو: عَدَمُها(٤)؛ قَولَانِ. والخَلْقُ على الثاني بِمَعنَى: التَّقْدِير- ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: لِيَخْتَبِرَكُم في الحَيَاةِ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أَطْوَعُ لله؟ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انْتِقَامِه مِمَّنْ عَصَاهُ ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لِـمَنْ تَابَ إِليه.

[٣] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾: بَعْضُها فَوقَ بَعْضٍ، مِنْ غَيرِ مُمَاسَّةٍ ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لَهُنَّ، أو لِغَيرِهِنَّ ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾: تبَايُنٍ وعَدَمِ تَنَاسُبٍ ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾: أَعِدْهُ إِلى السَّمَاءِ ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٍ﴾: صُدُوعٍ وشُقُوقٍ؟

[٤] ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ ﴿يَنقَلِبْ﴾: يَرْجِعْ ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: ذَلِيلًا؛ لِعَدَمِ إِدْرَاكِ خَلَلٍ ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: مُنْقَطِعٌ عَنْ رُؤْيَةِ خَلَلٍ.

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: القُرْبَى إِلى الأَرْضِ ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: بِنُجُومٍ ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾: مَرَاجِمَ ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ إِذَا اسْتَرَقُوا السَّمْعَ، بِأَنْ يَنْفَصِلَ شِهَابٌ عَنِ الكَوكَبِ، كَالقَبَسِ يُؤْخَذُ مِنَ النَّارِ، فيَقْتُلُ الجِنِّيَّ أو يُخَبِّلُهُ، لا أَنَّ الكَوكَبَ يَزُولُ عَنْ مَكَانِه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّارِ المُوقَدَةِ.

[٦] ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هِيَ!

[٧] ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾: صَوْتًا مُنْكَرًا كَصَوتِ الحِمَارِ ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾: تَغْلِي.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ وقُرِئَ(٥): ﴿تَتَمَيَّزُ﴾ على الأَصْلِ: تَتَقَطَّعُ ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ غَضَبًا على الكَافِرِ ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: جَمَاعَةٌ منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ سُؤَالَ تَوبِيخٍ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: رَسُولٌ يُنْذِرُكُم عَذَابَ الله -تَعَالَى-؟

[٩] ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ﴾: مَا ﴿أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ المَلَائِكَةِ لِلكُفَّارِ، حِينَ أُخْبِرُوا بِالتَّكْذِيبِ، وأَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الكُفَّارِ لِلنُّذُرِ.

[١٠] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سَمَاعَ تَفَهُّمٍ ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي: عَقْلَ تَفَكُّرٍ ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[١١] ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟﴾ حَيثُ لَا يَنْفَعُ الاعْتِرَافُ ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ وهُو تَكْذِيبُ النُّذُرِ ﴿فَسُحْقًا﴾ - بِسُكُونِ الحَاءِ وضَمِّهَا(٦)- ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: فَبُعْدًا لَهم، عَنْ رَحْمَةِ الله.

[١٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾: يَخَافُونَه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: في غَيبَتِهم عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ؛ فَيُطِيعُونَه سِرًّا، فيَكُونُ عَلَانِيَةً أَوْلَى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الجَنَّةُ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ أبو دَاودَ عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سُورَةٌ مِنَ القُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً، تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾». أبو داود - كتاب الصلاة (٢) في عدد الآي. وحَسَّنَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ أَبي دَاودَ (١٢٤٧).

---

(١) مِثْلُ هَذِه العِبَارَاتِ المُجْمَلَةِ؛ لايَجُوزُ إِطلَاقُها ولَا نَفيُها بِإِطلَاقٍ؛ بَلْ يُستَفصَلُ عنها؛ فَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ حَقٍّ يُثْبَتُ بِلَفظِه الشَّرعِيِّ، ومَا اشتَمَلَتْ عليه مِنْ بَاطِلٍ يُرَدُّ. ويَستَعمِلُها الأَشَاعِرَةُ والمُتَكَلِّمُونَ لِنَفيِ الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ الاختِيَارِيَّةِ الثَّابِتَةِ لله عَزَّ وَجَلَّ؛ كَالاستِوَاءِ عَلَى العَرْشِ، والنُّزُولِ إِلى سَمَاءِ الدُّنيا، ونَحْوِها مِنَ الصِّفَاتِ؛ التي يُؤَوِّلُها البَعْضُ بِزَعمِ تَنزِيهِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْ مُشَابَهَةِ خَلقِه. و﴿تَبَٰرَكَ﴾: عَلَى وَزنِ تَفَاعَلَ؛ مِنَ البَرَكَةِ، وهي: النَّمَاءُ، والزِّيَادَةُ؛ حِسِّيَّةً كَانَتْ أو مَعنَوِيَّةً، وكَثْرَةُ الخَيرِ ودَوَامُه. وقَالَ الطَّبَرِيُّ (٢٣/ ١١٨): «تَعَاظَمَ وَتَعَالَى».

(٢) وهَذَا تَعطِيلٌ لِصِفَةِ اليَدِ، وعُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفظِ، وخِلَافُ مَا فَهِمَه السَّلَفُ منها؛ كَما قَالَ ابنُ جَرِيرٍ (٢٣/ ١١٨): «﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾: بِيَدِهِ مُلْكُ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَسُلْطَانُهُمَا، نَافِذٌ فِيهِمَا أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ». كَما أَنَّ تَقدِيرَ الكَلَامِ عَلَى تَفسِيرِه: ﴿بِيَدِهِ﴾ أي: «في تَصَرُّفِه» يَكُونُ مُضطَرِبًا -كَما قَالَ الشيخُ عبدُ الرزَّاق عَفِيفِي في تَعلِيقِه عَلى الجلالَينِ (ص١٢٧) - وتَكُونُ العِبَارَةُ غَيرَ مُستَقِيمَةٍ؛ ويَكُونُ المَعنَى: «تَنَزَّهَ عَنْ صِفَاتِ المُحدَثِينَ الذي في تَصَرُّفِه السُّلطَانُ والقُدرَةُ». وهُمَا لَيسَا في التَّصَرُّفِ.

(٣) الأَولَى تَفسِيرُ: ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ بِأَنَّه حِيَازَةُ الكَونِ كُلِّه، مَعَ التَّفَرُّدِ في التَّصَرُّفِ فيه. قَالَ ابنُ كَثِيرٍ (٨/ ١٧٦): «يُمَجِّدُ تَعَالَى نَفسَهُ الكَرِيمَةَ، وَيُخبِرُ أَنَّهُ بِيَدِهِ المُلكُ، أي: هُوَ المُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ المَخلُوقَاتِ بِمَا يَشَاءُ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكمِهِ، وَلَا يُسأَلُ عَمَّا يَفعَلُ لِقَهرِهِ وَحِكمَتِهِ وَعَدلِهِ».

(٤) يُشِيرُ المُفَسِّرُ إِلى اختِلَافِ المُتَكَلِّمِينَ في المَوتِ؛ حَيثُ ذَهَبَ بَعضُهم إِلى أَنَّه أَمْرٌ وُجُودِيٌّ؛ أي: شَيءٌ يُوجَدُ، وهو ضِدُّ الحَيَاةِ، وذَهَبَ آخَرُونَ إِلى أَنَّه أَمْرٌ عَدَمِيٌّ؛ اي لَيسَ شَيئًا يُخلَقُ وإِنَّمَا هُو عَدَمُ الحَيَاةِ؛ وعَلى هذا القَولِ يَكُونُ ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ بِمَعنَى: قَدَّرَ المَوتَ. والأَوَّلُ هو الصَّحِيحُ؛ أَنَّ المَوتَ أَمْرٌ وُجُودِيٌّ كَالخَلْقِ؛ يَخلُقُه اللهُ عِندَ نِهَايَةِ الحَيَاةِ. وهو ظَاهِرُ الآيَةِ.

(٥) أي: شُذُوذًا.

(٦) بِضَمِّها: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾
ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾
أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ
يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ الْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا
الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن
يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ
وَالْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا﴾ - أيها النَّاس - ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ﴾ تعالَى ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِمَا فِيها. فكيف بِمَا نطقتُم به؟ وسَبَبُ نُزُولِ ذَلِكَ: أَنَّ المُشركِينَ قَالَ بعضُهم لِبعضٍ: أَسِرُّوا قَولَكُم، لا يَسْمَعْكُم إِلَهُ مُحَمَّدٍ[1].

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ مَا تُسِرُّونَ؛ أي: أَيَنْتَفِي عِلْمُه بِذَلِكَ ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في عِلْمِه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه؟ لا.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: سَهْلَةً لِلمَشْيِ فيها ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: جَوَانِبِها ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ﴾ المَخْلُوقِ لِأَجْلِكُم ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ مِنَ القُبُورِ لِلجَزَاءِ.

[١٦] ﴿ءَأَمِنتُم﴾ - بِتَحْقِيقِ الهَمْزَتَيْنِ، وتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَيْنَها وبَيْنَ الأُخْرَى، وتَرْكِه، وإِبْدَالِها أَلِفًا[2]- ﴿مَّن فِي السَّمَآءِ﴾ سُلْطَانُه وقُدْرَتُه[3] ﴿أَن يَخْسِفَ﴾: بَدَلٌ مِن ﴿مَّن﴾[4] ﴿بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: تَتَحَرَّكُ بِكُم وتَرتَفِعُ فَوقَكُم؟

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ﴾: بَدَلٌ مِن ﴿مَّن﴾ ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: رِيحًا تَرْمِيكُم بِالحَصْبَاءِ؟ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عِندَ مُعَايَنَةِ العَذَابِ: ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾: إِنْذَارِي بِالعَذَابِ؟ أي: إِنَّه[5] حَقٌّ.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الأُمَمِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إِنْكَارِي عَلَيهِمُ [التَّكذِيبَ][6] عِندَ إِهْلَاكِهِم؟ أي: إِنَّه حَقٌّ.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَنظُرُوا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهَوَاءِ ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: بَاسِطَاتٍ أَجْنِحَتَهُنَّ ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أَجْنِحَتَهُنَّ بَعدَ البَسْطِ؛ أي: وقَابِضَاتٍ؟ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عَنِ الوُقُوعِ في حَالِ البَسْطِ والقَبْضِ ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ بِقُدْرَتِه[7] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ المَعنَى: أَلَم يَستَدِلُّوا بِثُبُوتِ الطَّيرِ في الهَوَاءِ، عَلَى قُدْرَتِنا أَنْ نَفعَلَ بِهِم مَا تَقَدَّمَ، وغَيرَه مِنَ العَذَابِ؟

[٢٠] ﴿أَمَّنْ﴾: مُبْتَدَأٌ ﴿هَٰذَا﴾: خَبَرُه ﴿الَّذِي﴾: بَدَلٌ مِن ﴿هَٰذَا﴾ ﴿هُوَ جُندٌ﴾: أَعْوَانٌ ﴿لَّكُمْ﴾: صِلَةُ ﴿الَّذِي﴾ ﴿يَنصُرُكُم﴾: صِفَةُ ﴿جُندٌ﴾ ﴿مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ﴾ أي: غَيرِه، يَدفَعُ عَنكُم عَذَابَه؟ أي: لا نَاصِرَ لَكُم ﴿إِنِ﴾: مَا ﴿الْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: غَرَّهُم الشَّيطَانُ بِأَنَّ العَذَابَ لا يَنزِلُ بِهِم.

[٢١] ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرَّحْمَنُ ﴿رِزْقَهُۥ﴾ أي: المَطَرَ عَنكُم؟ وجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ دَلَّ عليه مَا قَبلَه؛ أي: فَمَن يَرزُقُكُم؟ أي: لا رَازِقَ لَكُم غَيرُه ﴿بَل لَّجُّوا﴾: تَمَادَوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾: تَكَبُّرٍ ﴿وَنُفُورٍ﴾: تَبَاعُدٍ عَنِ الحَقِّ.

[٢٢] ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا﴾: وَاقِعًا ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾: مُعْتَدِلًا ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَرِيقٍ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾؟ وخَبَرُ ﴿مَّن﴾ الثَّانِيَةِ مَحْذُوفٌ، دَلَّ عليه خَبَرُ الأُولَى؛ أي: أَهْدَى. والمَثَلُ في المُؤمِنِ والكَافِرِ، أي: أَيُّهما عَلَى هُدًى؟

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ﴾: خَلَقَكُم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ﴾: القُلُوبَ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: ﴿مَّا﴾: مَزِيدَةٌ، والجُملَةُ مُستَأنَفَةٌ، مُخْبِرَةٌ بِقِلَّةِ شُكْرِهِم جِدًّا عَلَى هذِه النِّعَمِ.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾: خَلَقَكُم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لِلحِسَابِ.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلمُؤمِنِينَ: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾: وَعدُ الحَشْرِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؟

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بِمَجِيئِه ﴿عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإِنذَارِ.

---

(١) عزاه الواحديُّ في أسبابِ النُّزولِ (ص٤٤٢) بدونِ إسنادٍ لابنِ عبَّاسٍ؛ قال: «نزلت في المشركين، كانوا ينالون من رسولِ الله ﷺ فخبَّره جبريلُ عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه، فيقولُ بعضهم لبعضٍ: أسِرُّوا قولَكم لئلَّا يسمعَ إلهُ محمَّدٍ».

(٢) راجِعِ التَّعليقَ على الآيةِ رقم (٦) مِن سُورةِ البَقرةِ. وإذا وَصَلَ قُنبل ﴿النُّشُورُ﴾ بـ﴿ءَأَمِنتُم﴾ فله وَجهانِ: الأوَّلُ: إبدالُ الهمزةِ الأولى واوًا، والثَّاني: تحقيقُ الهمزةِ الثَّانيةِ وتسهيلُها بدونِ إدخالٍ. أمَّا إذا وَقَفَ على ﴿النُّشُورُ﴾ وبدأ بـ﴿ءَأَمِنتُم﴾ فله تحقيقُ الهمزةِ الأولى وسَهَّلَ الهمزةَ الثَّانيةَ بدونِ إدخالٍ.

(٣) وهذا تعطيلٌ لِصفةِ العُلُوِّ، وعُدولٌ عن ظاهرِ اللَّفظِ، وخِلافُ ما دلَّت عليه النُّصوصُ المُتواتِرةُ مِن عُلُوِّه سُبحانَه وتعالى على خلقِه بذاتِه المُقدَّسةِ واستوائِه على عرشِه. ومِن ذلك ما رواه مُسلمٌ (٥٣٧) عن مُعاويةَ بنِ الحكمِ السُّلميِّ، قال: ...وكانت لي جاريةٌ ترعى غنمًا لي قِبَلَ أُحُدٍ والجَوَّانيَّةِ، فاطَّلَعتُ ذاتَ يومٍ فإذا الذِّيبُ قد ذهبَ بشاةٍ مِن غنمِها، وأنا رجلٌ مِن بني آدمَ، آسَفُ كما يأسفون، لكنِّي صكَكتُها صكَّةً، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فعظَّمَ ذلك عليَّ، قلتُ: يا رسولَ الله، أفلا أُعتِقُها؟ قال: «ائتني بها» فأتيتُه بها، فقال لها: «أين اللهُ؟» قالت: في السَّماءِ، قال: «مَن أنا؟» قالت: أنتَ رسولُ الله، قال: «أعتِقْها، فإنَّها مُؤمِنةٌ».

(٤) أي: بدَلُ اشتِمالٍ.

(٥) في نُسخةِ قباوة: (أنَّه)؛ بدون: (أي).

(٦) في الأصلِ: (بالتكذيب)، والمُثبتُ مِن نُسخةِ قباوة.

(٧) مع إثباتِ صفةِ الإمساكِ لله عزَّ وجلَّ على ما يليقُ به سُبحانه وتعالى.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا
فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ
ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ — تَرْتِيبُهَا ٦٨ — آيَاتُهَا ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٧ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ
لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ
وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ
﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ
﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾
عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العَذَابَ بَعْدَ الحَشْرِ ﴿زُلْفَةً﴾: قَرِيبًا ﴿سِيٓـَٔتْ﴾: اسْوَدَّتْ ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ﴾ أي: قَالَ الخَزَنَةُ لهم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العَذَابُ ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ﴾: بإنْذَارِه ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنَّكُم لا تُبْعَثُونَ. وهَذِه حِكَايَةُ حَالٍ تَأْتِي، عُبِّرَ عنها بِطَرِيقِ المُضِيِّ؛ لِتَحَقُّقِ وُقُوعِها.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ مِنَ المُؤْمِنِينَ بِعَذَابِه، كَمَا تَقصِدُونَ، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فَلَمْ يُعَذِّبْنَا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟ أي: لَا مُجِيرَ لهم منه.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ - بالتَّاءِ والياءِ[١]- عِنْدَ مُعَايَنَةِ العَذَابِ: ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ، أَنَحْنُ، أَمْ أَنْتُم[٢]، أَمْ هُم[٣]؟

[٣٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾: غَائِرًا[٤] في الأَرْضِ ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾: جَارٍ؛ تَنَالُه الأَيْدِي والدِّلَاءُ كَمَائِكُم؟ أي: لَا يَأْتِي بِه إِلَّا اللهُ -تَعَالَى[٥]-. فَكَيفَ تُنْكِرُونَ أنْ يَبْعَثَكُم؟! ويُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ القَارِئُ عَقِبَ ﴿مَّعِينٍ﴾: اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ. كَمَا وَرَدَ في الحَدِيثِ[٦]. وتُلِيَتْ هذه الآيَةُ عِنْدَ بَعْضِ المُتَجَبِّرِينَ فَقَالَ: تَأْتِي بِه الفُؤُوسُ والمَعَاوِلُ! فَذَهَبَ مَاءُ عَيْنِه وعَمِيَ[٧]. نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الجَرَاءَةِ[٨] عَلَى اللهِ وعَلَى آيَاتِه.

سُورَةُ القَلَمِ

مَكِّيَّةٌ، ثِنْتَانِ وخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿نٓ﴾: أَحَدُ حُرُوفِ الهِجَاءِ، اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ به. ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ الذِي كُتِبَ بِهِ الكَائِنَاتُ، في اللَّوحِ المَحْفُوظِ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: المَلَائِكَةُ، مِنَ الخَيرِ والصَّلَاحِ.

[٢] ﴿مَآ أَنتَ﴾ - يَا مُحَمَّدُ- ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتَفَى الجُنُونُ عَنْكَ، بِسَبَبِ إِنْعَامِ رَبِّكَ عَلَيكَ بِالنُّبُوَّةِ وغَيرِها- وهَذَا رَدٌّ لِقَولِهم: إِنَّه مَجْنُونٌ-.

[٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: مَقْطُوعٍ.

[٤] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾: دِينٍ ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٥] ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾.

[٦] ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾؟ مَصْدَرٌ؛ كَالمَعْقُولِ؛ أي: الفُتُونُ؛ بِمَعنَى: الجُنُون؛ أي: أَبِكَ أَمْ بِهِم؟

[٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ لَه. و﴿أَعْلَمُ﴾ بِمَعنَى: عَالِمٍ. [٨] ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٩] ﴿وَدُّوا۟﴾: تَمَنَّوا ﴿لَوْ﴾: مَصْدَرِيَّةٌ ﴿تُدْهِنُ﴾: تَلِينُ لَهُم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: يَلِينُونَ لَكَ. وهو مَعطُوفٌ عَلَى: ﴿تُدْهِنُ﴾. وإِنْ جُعِلَ جَوَابَ التَّمَنِّي، المَفهُومِ مِنْ: ﴿وَدُّوا۟﴾، قُدِّرَ قَبْلَه بَعْدَ الفَاءِ: «هُمْ». [١٠] ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كَثِيرِ الحَلِفِ بِالبَاطِلِ ﴿مَّهِينٍ﴾: حَقِيرٍ. [١١] ﴿هَمَّازٍ﴾: عَيَّابٍ؛ أي[٩]: مُغْتَابٍ ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾: سَاعٍ بِالكَلَامِ بَيْنَ النَّاسِ، عَلَى وَجْهِ الإِفْسَادِ بينَهم.

[١٢] ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بَخِيلٍ بِالمَالِ عَنِ الحُقُوقِ ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظَالِمٍ ﴿أَثِيمٍ﴾: آثِمٍ.

[١٣] ﴿عُتُلٍّۭ﴾: غَلِيظٍ جَافٍ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: دَعِيٍّ في قُرَيشٍ. وهُو الوَلِيدُ بنُ المُغِيرَةِ[١٠]، ادَّعَاه أَبُوه بَعْدَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: لا نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ وَصَفَ أَحَدًا بِمَا وَصَفَه بِه مِنَ العُيُوبِ، فَأَلْحَقَ بِه عَارًا لا يُفَارِقُه أَبَدًا[١١]. وتَعَلَّقَ بِـ﴿زَنِيمٍ﴾ الظَّرْفُ قَبْلَه.

[١٤] ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لِأَنْ، وهُو مُتَعَلِّقٌ بِمَا دَلَّ عليه:

[١٥] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿قَالَ﴾: هِي ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: كَذَّبَ بِها؛ لِإِنْعَامِنَا عليه بِمَا ذُكِرَ. وفي قِرَاءَةٍ[١٢]: ﴿ءَأَن﴾ بِهَمْزَتَينِ مَفتُوحَتَينِ.

---

(١) بِالياءِ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ. (٢) عَلَى قِرَاءَةِ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾. (٣) عَلَى قِرَاءَةِ: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾. (٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: غَائِرًا). (٥) كَلِمَةُ: (تَعَالَى) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٦) هذا الحُكْمُ يَحتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ عَنِ المَعصُومِ ﷺ، ولَمْ نَقِفْ على دَلِيلٍ خَاصٍّ بِذَلِكَ، إِلَّا إِنْ كانَ يَقْصِدُ عُمُومَ حَدِيثِ عَائِشَةَ عِندَ البُخَارِيِّ (٨١٧)، ومُسلمٍ (٤٨٤): كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»؛ يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ. وحَدِيثِ جَابِرٍ عندَ التِّرمِذِيِّ (٣٢٩١) مَرفُوعًا، وحَسَّنَه الأَلبَانِيُّ في الصَّحِيحَةِ (٢١٥٠)، حِكَايَةً عَن مَوقِفِ الجِنِّ مِنْ قِرَاءَتِه ﷺ سُورَةَ الرَّحمَنِ، وفيه: «لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ؛ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُم، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ». (٧) ذَكَرَها مُحَمَّد صِدِّيق خَان في فَتْحِ البَيَانِ في مَقَاصِدِ القُرآنِ (١٤/ ٢٤٩). (٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والجَمَلِ: (الجُرْأَةِ).

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أو). (١٠) قَالَه مُقَاتِلٌ في تَفسِيرِه (٤/ ٤٠٤)، ومُعظَمُ المُفَسِّرِينَ عَلَى هَذَا.

(١١) لم نَقِفْ عَلَى هَذَا القَولِ لابنِ عَبَّاسٍ، لَكِن قَالَه ابنُ قُتَيبَةَ؛ كما في تَفسِيرِ البَغَوِيِّ (٨/ ١٩٣). وأَخرَجَ البُخَارِيُّ (٤٩١٧) عنه: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، قَالَ: «رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُ زَنَمَةٌ مِثْلُ زَنَمَةِ الشَّاةِ». والزَّنَمَةُ: مَا يُقطَعُ مِنْ أُذُنِ الشَّاةِ. وقِيلَ: المَعنَى: أنَّه الذي يُعرَفُ بِالشَّرِّ كَمَا تُعرَفُ الشَّاةُ بِزَنَمَتِهَا. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «الزَّنِيمُ: المُعَلَّقُ فِي القَوْمِ لَيسَ مِنْهُمْ، قَالَ الشَّاعِرُ: زَنِيمٌ لَيسَ يُعرَفُ مَنْ أَبُوهُ». فتحُ البَارِي (٨/ ٦٦٣).

(١٢) لِحَمزَةَ وشُعْبَةَ، وكذَلِكَ ابنِ عَامِرٍ لَكِن مَعَ تَسهِيلِ الهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ.

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ
﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ
﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا
خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ
أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾
أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ
كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا
بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ
زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ
يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

[١٦] ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: سَنجْعَلُ على أَنْفِهِ عَلَامَةً، يُعَيَّرُ بها مَا عَاشَ. فَخُطِمَ أَنْفُه بِالسَّيفِ يومَ بَدْرٍ(١).

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾: اِمْتَحَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ بِالقَحْطِ والجُوعِ ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: البُسْتَانِ ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: يَقْطَعُونَ ثَمَرَتَها ﴿مُصْبِحِينَ﴾: وَقْتَ الصَّبَاحِ؛ كَي لَا يَشْعُرَ بِهِمُ المَسَاكِينُ؛ فَلَا يُعْطُونَهم(٢) مِنهَا مَا كَانَ أَبُوهم يَتَصَدَّقُ بِهِ عَليهِم مِنهَا.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ في يَمِينِهم بِمَشِيئَةِ اللهِ -تَعَالَى-. والجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ؛ أَي: وشَأْنُهم ذَلِكَ.

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: نَارٌ أَحْرَقَتْها لَيلًا ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾: كَاللَّيلِ الشَّدِيدِ الظُّلْمَةِ؛ أَي: سَوداءَ.

[٢١] ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾: غَلَّتِكُمْ- تَفسِيرٌ لِـ«تَنَادَوْا»(٣)، أَو ﴿أَنِ﴾: مَصْدَرِيَّةٌ؛ أَي: «بِأَنْ»- ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾: مُرِيدِينَ القَطْعَ. وجَوَابُ الشَّرْطِ دَلَّ عَليه مَا قَبْلَه.

[٢٣] ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾: يَتَشَاوَرُونَ.

[٢٤] ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾: تَفْسِيرٌ لِمَا قَبْلَه، أَو ﴿أَن﴾: مَصْدَرِيَّةٌ؛ أَي: بِأَنْ.

[٢٥] ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾: مَنْعٍ لِلفُقَرَاءِ ﴿قَٰدِرِينَ﴾ عَليه في ظَنِّهِم.

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سَوداءَ مُحْتَرِقَةً ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ عَنها؛ أَي: لَيسَتْ هَذِه. ثُمَّ قَالُوا لَمَّا عَلِمُوهَا:

[٢٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ثَمَرَتَها، بِمَنْعِنَا الفُقَرَاءَ منها.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: خَيرُهُم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ اللهَ تَائِبِينَ؟

[٢٩] ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بِمَنْعِ الفُقَرَاءِ(٤) حَقَّهُم.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾.

[٣١] ﴿قَالُوا۟ يَا﴾: لِلتَّنبِيهِ ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلَاكَنَا ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن [يُبَدِّلَنَا]﴾ - بالتَّشْدِيدِ والتَّخْفِيفِ(٥)- ﴿خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ لِيَقْبَلَ تَوبَتَنا، ويَرُدَّ عَلَينا خَيرًا مِنْ جَنَّتِنَا. رُوِيَ أَنَّهم أُبْدِلُوا خَيرًا مِنها(٦).

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مِثْلُ العَذَابِ لِهَؤُلَاءِ ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ لِـمَنْ خَالَفَ أَمْرَنَا، مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ وغَيرِهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ عَذَابَها، مَا خَالَفُوا أَمْرَنَا. ونَزَلَ لَمَّا قَالُوا: «إِنْ بُعِثْنَا نُعْطَى أَفضَلَ مِنكُم»(٧): [٣٤] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾. [٣٥] ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أَي: تَابِعِينَ لَهُم في العَطَاءِ؟

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هَذا الحُكْمَ الفَاسِدَ؟ [٣٧] ﴿أَمْ﴾ أَي: بَلْ أَ﴿لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ مُنَزَّلٌ ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أَي: تَقرَؤُونَ؟ [٣٨] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: تَخْتَارُونَ؟

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾: عُهُودٌ ﴿عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾: وَاثِقَةٌ(٨) ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مُتَعَلِّقٌ مَعْنًى بِـ﴿عَلَيْنَا﴾. وفي هَذَا الكَلَامِ مَعنَى القَسَمِ؛ أَي: [أَأَقْسَمْنَا](٩) لَكُم؟ وجَوَابُه: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ بِهِ لِأَنْفُسِكُم. [٤٠] ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحُكْمِ الذِي يَحْكُمُونَ بِه لِأَنْفُسِهِم، مِنْ أَنَّهم يُعْطَونَ في الآخِرَةِ أَفضَلَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴿زَعِيمٌ﴾: كَفِيلٌ لَهُم؟

[٤١] ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أَي: عِنْدَهُم(١٠) ﴿شُرَكَآءُ﴾ مُوافِقُونَ لَهم في هَذَا المَقُولِ، يَكْفُلُونَ لَهم بِه؟ فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ الكَافِلِينَ لَهم بِه ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.

[٤٢] اذْكُرْ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ - هو(١١) عِبَارَةٌ عَنْ شِدَّةِ الأَمْرِ يَومَ القِيَامَةِ لِلحِسَابِ والجَزَاءِ(١٢). يُقَالُ: كَشَفَتِ الحَرْبُ عَنْ سَاقٍ: إِذَا اشْتَدَّ الأَمْرُ فيها- ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ امْتِحَانًا لِإِيمَانِهِم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تَصِيرُ ظُهُورُهُم طَبَقًا وَاحِدًا.

---

(١) رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ (٢٣/ ١٧٠) بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ قَالَ: «فَقَاتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَخُطِمَ بِالسَّيْفِ فِي القِتَالِ». وَقَالَ قَتَادَةُ: «سَنُلْحِقُ بِهِ شَيْنًا لَا يُفَارِقُهُ». البَغَوِيُّ (٨/ ١٩٤).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فَلَا يُعْطُوهُم). (٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لِلتَّنَادِي) بَدَلًا مِنْ: (لِـ«تَنَادَوا»).

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِمَنْعِنَا الفُقَرَاءَ). (٥) بِالتَّشْدِيدِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وأَبِي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يُبْدِلَنَا﴾؛ بِالتَّخْفِيفِ.

(٦) لَمْ نَجِدْه مُسْنَدًا. وقَالَ البَغَوِيُّ (٨/ ١٩٧): «قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: بَلَغَنِي أَنَّ القَوْمَ أَخْلَصُوا، وَعَرَفَ اللهُ مِنْهُمُ الصِّدْقَ، فَأَبْدَلَهُمْ بِهَا جَنَّةً يُقَالُ لَهَا: الحَيَوَانُ...».

(٧) قَالَه مُقَاتِلٌ في تَفسِيرِه (٣/ ٦٤٢). وقَالَ القُرْطُبِيُّ (١٨/ ٢٤٦): «قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: قَالَتْ كُفَّارُ مَكَّةَ: إِنَّا نُعْطَى فِي الآخِرَةِ خَيْرًا مِمَّا تُعْطَوْنَ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾». وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: («إِنْ بُعِثْنَا [فَإِنَّا] نُعْطَى أَفضَلَ مِنكُم»)؛ بِإِثْبَاتِ ([فَإِنَّا])، هَكَذَا، وقَالَ مُعَقِّبًا: «وعِبَارَةُ المَحَلِّيِّ مَنقُولَةٌ مِنَ التَّلخِيصِ، أُسقِطَ مِنهَا: «فَإِنَّا»، فَكَانَ إِشْكَالٌ في عَدَمِ جَزْمِ «نُعْطَى»...».

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وَثِيقَةٌ). (٩) في الأَصْلِ: (أَقْسَمْنَا)، وفي نُسْخَةِ الجَمَلِ: (قَسَمْنَا)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(١٠) عِبَارَةُ: (أَي: عِندَهُم) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة. (١١) كَلِمَةُ: (هُو) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(١٢) هذا أَحَدُ قَوْلَيِ العُلَمَاءِ في تَفسِيرِ الآيَةِ، وأَنَّها لَيسَتْ مِن آيَاتِ الصِّفَاتِ. وأَصْحَابُ هَذَا القَولِ مِنَ السَّلَفِ لا يَنفُونَ عَنِ اللهِ -تَعَالَى- صِفَةَ السَّاقِ التي ثَبَتَتْ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وإِنَّمَا يُثْبِتُونَها له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الوَجهِ اللائِقِ بِه. والقَولُ الثَّاني: أَنَّ المُرَادَ في الآيَةِ هُنَا أَنَّ اللهَ يَكشِفُ عَنْ سَاقِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويَدُلُّ على هَذَا القَولِ مَا ثَبَتَ في الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا». رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٩١٩). وقَالَ ابنُ عُثَيمِين في شَرحِ العَقِيدَةِ السَّفَارِينِيَّةِ (١/ ٢٦٢): «يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِذَلِكَ سَاقُ اللهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِالسَّاقِ الشِّدَّةُ، وقَد قَالَ السَّلَفُ بِهَذَينِ القَولَينِ». ويُنظَرُ في ذَلِكَ: تَفسِيرُ ابنِ جَرِيرٍ (٢٣/ ١٨٦)، وتَفسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ (٨/ ١٩٨، ١٩٩)، ومَجموعُ الفَتَاوَى لابنِ تَيمِيَةَ (٦/ ٣٩٤، ٣٩٥)، وبَيَانُ تَلبِيسِ الجَهْمِيَّةِ، لابنِ تَيمِيَةَ (٥/ ٤٧٣، ٤٧٤)، والصَّوَاعِقُ المُرْسَلَةُ لابنِ القَيِّمِ (١/ ٢٥٢، ٢٥٣).

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ
سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم
مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ
أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ
﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ
وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ
وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ
ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ — ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٥٧
ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ
بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ
صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى
ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

[٤٣] ﴿خَٰشِعَةً﴾: حالٌ مِنْ ضَمِيرِ: ﴿يُدۡعَوۡنَ﴾؛ أي: ذَلِيلَةً ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ لَا يَرْفَعُونَها ﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾: تَغْشَاهُم ﴿ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ فَلَا يَأْتُونَ بِه، بِأَنْ لَا يُصَلُّوا.

[٤٤] ﴿فَذَرۡنِي﴾: دَعْنِي ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾: القُرآنِ ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾: نَأْخُذُهم قَلِيلًا قَلِيلًا ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾: أُمْهِلُهُم ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾: شَدِيدٌ لا يُطَاقُ.

[٤٦] ﴿أَمۡ﴾: بَلْ أَ﴿تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ على تبليغِ الرِّسَالَةِ ﴿أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ﴾ مِمَّا يُعْطُونَكَهُ ﴿مُّثۡقَلُونَ﴾ فلا يُؤْمِنُونَ لِذَلِكَ؟

[٤٧] ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ أي: اللَّوحُ المَحْفُوظُ[1]، الذِي فيه الغَيبُ ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ منه مَا يَقُولُونَ؟

[٤٨] ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ فِيهم بِمَا يَشَاءُ ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ في الضَّجَرِ والعَجَلَةِ - وهو يُونُسُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾: دَعَا رَبَّه ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾: مَمْلُوءٌ غَمًّا، في بَطْنِ الحُوتِ.

[٤٩] ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾: أَدْرَكَه ﴿نِعۡمَةٞ﴾: رَحْمَةٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ﴾ مِنْ بَطْنِ الحُوتِ ﴿بِٱلۡعَرَآءِ﴾: بِالأَرْضِ الفَضَاءِ ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ لَكِنَّه رُحِمَ فنُبِذَ غيرَ مَذْمُومٍ.

[٥٠] ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالنُّبُوَّةِ ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأَنْبِيَاءِ[2].

[٥١] ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ - بِضَمِّ اليَاءِ وفَتْحِها[3] - ﴿بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾: يَنْظُرُونَ إِلَيكَ نَظَرًا شَدِيدًا، يَكَادُ أَنْ[4] يَصْرَعَكَ، ويُسْقِطَكَ عَنْ مَكَانِكَ ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾: القُرآنَ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حَسَدًا: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ بِسَبَبِ القُرآنِ الذِي جَاءَ به.

[٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: مَوعِظَةٌ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: الجِنِّ والإِنْسِ[5]، لا يَحْدُثُ بِسَبَبِه جُنُونٌ.

سُورَةُ الحَاقَّةِ

مَكِّيَّةٌ، إِحْدَى، أَو: اثْنَتَانِ وخَمْسُونَ آيَةً

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾: القِيَامَةُ[6]، التي يَحِقُّ فيها مَا أُنْكِرَ، مِنَ البَعْثِ والحِسَابِ والجَزَاءِ، أَوِ المُظْهِرَةُ لذَلِكَ.

[٢] ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؟ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِها - وهُمَا: مُبْتَدَأٌ وخَبَرٌ، خَبَرُ: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾[7] -.

[٣] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾: أَعْلَمَكَ: ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؟ زِيَادَةُ تَعْظِيمٍ لِشَأْنِها. فـ﴿مَا﴾ الأُولَى: مُبتدأٌ، ومَا بَعدَها خَبرُه، و﴿مَا﴾ الثَّانيةُ وخَبرُها: في مَحَلِّ المَفْعُولِ الثَّاني لـ«أَدْرَى».

[٤] ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ﴾: القِيَامَةِ؛ لِأَنَّها تَقْرَعُ القُلُوبَ بِأَهْوَالِها. [٥] ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: بِالصَّيْحَةِ المُجَاوِزَةِ لِلحَدِّ، في الشِّدَّةِ.

[٦] ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ﴾: شَدِيدَةِ الصَّوتِ ﴿عَاتِيَةٖ﴾: قَوِيَّةٍ شَدِيدَةٍ على عَادٍ، مَعَ قُوَّتِهم وشِدَّتِهم.

[٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾: أَرْسَلَها بالقَهْرِ ﴿عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ - أَوَّلُها مِنْ صُبْحِ يومِ الأَرْبِعَاءِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ، وكَانَتْ في عَجُزِ الشِّتَاءِ[8] - ﴿حُسُومٗا﴾: مُتَتَابِعَاتٍ، شُبِّهَتْ بِتَتَابُعِ فِعْلِ الحَاسِمِ، في إِعَادَةِ الكَيِّ على الدَّاءِ كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، حَتَّى يَنْحَسِمَ ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ﴾: مَطْرُوحِينَ هَالِكِينَ ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ﴾: أُصُولُ ﴿نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾: سَاقِطَةٍ فَارِغَةٍ.

[٨] ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾: صِفَةُ «نَفْسٍ» مُقَدَّرَةٍ[9]، أَوِ التَّاءُ لِلمُبَالَغَةِ؛ أي: بَاقٍ؟ لا.

---

(١) كَلِمَةُ: (المَحفوظ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) قَالَ القُرطُبِيُّ (١٨/ ٢٥٤): «أي: اصْطَفَاهُ واخْتَارَهُ. فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: رَدَّ اللهُ إِلَيْهِ الوَحْيَ، وَشَفَّعَهُ في نَفْسِهِ وَفي قَوْمِهِ، وَقَبِلَ تَوْبَتَهُ، وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ؛ بِأَنْ أَرْسَلَهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أو يَزِيدُون». وقَالَ الرَّازِيُّ (٣٠/ ٦١٧): «في الآيَةِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: رَدَّ اللهُ إِلَيْهِ الوَحْيَ، وَشَفَّعَهُ فِي قَوْمِهِ. وَالثَّانِي: قَالَ قَوْمٌ: وَلَعَلَّهُ مَا كَانَ رَسُولًا صَاحِبَ وَحْيٍ قَبْلَ هَذِهِ الوَاقِعَةِ، ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الوَاقِعَةِ جَعَلَهُ اللهُ رَسُولًا، وَهُوَ المُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾...».

(٣) بالفَتْحِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٤) كَلِمَةُ: (أَنْ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الإِنسِ والجِنِّ) بِتَقْدِيمِ: (الإِنْسِ).

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: القِيَامَةُ).

(٧) أي: وجُمْلَةُ المُبْتَدَإِ والخَبَرِ: خَبَرُ: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾.

(٨) عَجُزُ الشِّتَاءِ: أي: آخِرُه. ولَم نَجِدْ هَذا التَّعْيِينَ لِتِلكَ الأَيَّامِ مُسْنَدًا. وَنَقَلَ القُرطُبِيُّ في تَفسِيرِه (١٥/ ٣٤٨)، والشوكانيُّ في فَتْحِ القَدِيرِ (٤/ ٥٨٥) عَنْ مُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، قَالَا: «كُنَّ آخِرَ شَوَّالٍ مِنْ يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ إِلَى يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ وَذَلِكَ: ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾». وقَالَ القُرطُبِيُّ: «قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: مَا عُذِّبَ قَوْمٌ إِلَّا فِي يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ». وانظُرِ التَّعلِيقَ عَلَى الآيَةِ (١٩) مِنْ سُورَةِ القَمَرِ.

(٩) أي: «فَهَل تَرَى لهم مِنْ نَفْسٍ بَاقِيَةٍ؟».

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ
بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ
﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾
كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ
﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ
﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾

[٩] ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن [قِبَلَهُ](1)﴾: أتباعُه- وفي قِراءَةٍ بِفَتْحِ القَافِ وسُكُونِ البَاءِ: أي: مَنْ تَقَدَّمه مِنَ الأُمَمِ الكَافِرَةِ- ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي: أَهْلُها، وهِي قُرَى قَومِ لُوطٍ ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: بِالفَعْلاتِ ذَاتِ الخَطَأ.

[١٠] ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لُوطًا وغَيرَه ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: زَائِدَةً في الشِّدَّةِ عَلى غَيرِها.

[١١] ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: عَلَا فَوقَ كُلِّ شَيءٍ، مِنَ الجِبَالِ وغَيرِها، زَمَنَ الطُّوفَانِ ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ يَعنِي: آبَاءَكُم؛ إِذْ أَنتُم في أَصْلَابِهِم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾: السَّفِينَةِ التي عَمِلَها نُوحٌ، ونَجَا هو ومَنْ كَانَ مَعَهُ فيها، وغَرِقَ البَاقُونَ.

[١٢] ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: هَذِه الفَعْلَةَ -وهِي إِنجاءُ المُؤمِنِينَ، وإِهْلَاكُ الكَافِرِينَ- ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عِظَةً ﴿وَتَعِيَهَآ﴾: ولِتَحْفَظَها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: حَافِظَةٌ لِمَا تَسْمَعُ.

[١٣] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ لِلفَصْلِ بَينَ الخَلَائِقِ- وهِي الثَّانِيَةُ-.

[١٤] ﴿وَحُمِلَتِ﴾: رُفِعَتِ ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾: دُقَّتَا ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾.

[١٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: قَامَتِ القِيَامَةُ.

[١٦] ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: ضَعِيفَةٌ.

[١٧] ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يَعنِي: المَلَائِكَةُ ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: جَوانِبِ السَّماءِ ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: المَلَائِكَةِ المَذْكُورِينَ ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ مِنَ المَلَائِكَةِ، أَوْ مِنْ صُفُوفِهِم.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ لِلحِسَابِ ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾ -بِالتَّاءِ واليَاءِ(2)- ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ مِنَ السَّرَائِرِ.

[١٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ خِطَابًا لِجَمَاعَتِه لِمَا سُرَّ بِه: ﴿هَآؤُمُ﴾: خُذُوا ﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾: تَنَازَعَ فيه: ﴿هَآؤُمُ﴾ و﴿ٱقْرَءُوا۟﴾(3).

[٢٠] ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾: تَيَقَّنْتُ ﴿أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

[٢١] ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: مَرْضِيَّةٍ.

[٢٢] ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

[٢٣] ﴿قُطُوفُهَا﴾: ثِمَارُهَا ﴿دَانِيَةٌ﴾: قَرِيبَةٌ، يَتَنَاوَلُها القَائِمُ والقَاعِدُ والمُضْطَجِعُ. فيُقَالُ لَهم:

[٢٤] ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾: حَالٌ؛ أي: مُتَهَنِّئِينَ ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾: المَاضِيَةِ في الدُّنيا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَا﴾: لِلتَّنْبِيهِ ﴿لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾.

[٢٦] ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾.

[٢٧] ﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ أي: المَوتَةَ في الدُّنيا ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾: القَاطِعَةَ لِحَيَاتي، بِأَنْ لَا أُبْعَثَ.

[٢٨] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾.

[٢٩] ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾: قُوَّتي وحُجَّتِي. وهَاءُ: ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ و﴿حِسَابِيَهْ﴾ و﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ لِلسَّكْتِ، تُثْبَتُ وَقْفًا ووَصْلًا؛ اتِّبَاعًا لِلمُصْحَفِ الإِمَامِ والنَّقْلِ(4). ومِنهم(5) مَنْ حَذَفَها وَصْلًا.

[٣٠] ﴿خُذُوهُ﴾ -خِطَابٌ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ- ﴿فَغُلُّوهُ﴾: اجْمَعُوا يَدَيْهِ إِلى عُنُقِهِ في الغُلِّ.

[٣١] ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ﴾: النَّارَ المُحْرِقَةَ ﴿صَلُّوهُ﴾: أَدْخِلُوه.

[٣٢] ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بِذِرَاعِ المَلَكِ ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾: أَدْخِلُوه فِيها بَعْدَ إِدْخَالِه النَّارَ. ولَمْ تَمنَعِ الفَاءُ مِنْ تَعَلُّقِ الفِعْلِ بِالظَّرْفِ المُتَقَدِّمِ(6).

[٣٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾.

---

(١) وهِي قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ وأَبِي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿قَبْلَهُ﴾ بِفَتْحِ القَافِ وسُكُونِ البَاءِ.

(٢) بالياءِ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ.

(٣) التَّنَازُعُ هو: تَوَجُّهُ عَامِلَيْنِ إلى مَعْمُولٍ وَاحِدٍ. والعَامِلَانِ هنا، هما: ﴿هَآؤُمُ﴾، و﴿ٱقْرَءُوا۟﴾، والمَعمُولُ هو: ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾، فَأَيُّهما أُعْمِلَتْ، فيُقَدَّرُ لِلآخَرِ مَفعُولُه، وقَدْ أُعْمِلَ الثَّانِي عِندَ البَصْرِيِّينَ، والأَوَّلُ عِندَ الكُوفِيِّينَ، وأُضمِر في الآخَرِ، وحُذِفَ لِأَنَّه فَضْلَةٌ. يُنظَرُ: غَايَةُ الأَمَانِي في تفسيرِ الكلامِ الربَّانِي، لِأَحمَدَ بنِ إسماعيلَ الكُورَانِيِّ (ص٢٢٣)، والتحرير والتنوير (٢٩/ ١٣١).

(٤) أي: عنِ النَّبِيِّ ﷺ. والمُصحَفُ الإِمَامُ هو مُصحَفُ عُثمَانَ بنِ عَفَّانَ رضي الله عنه؛ أي: اتِّبَاعًا لِرَسْمِه.

(٥) وهُما: حَمزَةُ ويعقُوبُ.

(٦) وهو: ﴿فِى﴾؛ لأنَّ النُّحاة يجعلُون حُرُوف الجرِّ مِنَ الظُّرُوفِ.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم
مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِج

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾
مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ
فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا
﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ
كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

[٣٥] ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾: قَرِيبٌ يَنْتَفِعُ به.

[٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، أو شَجَرٍ فيها.

[٣٧] ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾: الكَافِرُونَ.

[٣٨] ﴿فَلَآ﴾ «لَا»: زَائِدَةٌ ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنَ المَخْلُوقَاتِ.

[٣٩] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنها؛ أي: بِكُلِّ مَخْلُوقٍ:

[٤٠] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي: قَالَه رِسَالَةً عَنِ الله -تَعَالَى-.

[٤١] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٢] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ في الفِعْلَيْنِ(1)- و﴿مَا﴾: زَائِدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ. والمَعْنَى: أَنَّهم آمَنُوا بِأَشْيَاءَ يَسِيرَةٍ وتَذَكَّرُوها، مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، مِنَ الخَيْرِ والصِّلَةِ والعَفَافِ، فَلَمْ تُغْنِ عَنهم شَيئًا.

[٤٣] بَلْ هُو: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[٤٤] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أي: النَّبِيُّ ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ بِأَنْ قَالَ عَنَّا ما لَمْ نَقُلْه.

[٤٥] ﴿لَأَخَذْنَا﴾: لَنِلْنَا ﴿مِنْهُ﴾ عِقَابًا ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾: بِالقُوَّةِ والقُدْرَةِ(2).

[٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾: نِيَاطَ القَلْبِ. وهُو عِرْقٌ مُتَّصِلٌ به، إِذَا انقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُه.

[٤٧] ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ هُو اسْمُ «مَا»، و﴿مِّنْ﴾: زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، و﴿مِنكُم﴾: حَالٌ مِنْ: ﴿أَحَدٍ﴾ ﴿عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾: مَانِعِينَ، خَبَرُ: «مَا». وجُمِعَ؛ لِأَنَّ «أَحَدًا» في سِيَاقِ النَّفْيِ بِمَعْنَى الجَمْعِ. وضَمِيرُ ﴿عَنْهُ﴾ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أي: لا مَانِعَ لَنا عَنه، مِنْ حَيثُ العِقَابُ.

[٤٨] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٩] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ - أَيُّها النَّاسُ - ﴿مُّكَذِّبِينَ﴾ بِالقُرآنِ، ومُصَدِّقِينَ.

[٥٠] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إِذَا رَأَوا ثَوَابَ المُصَدِّقِينَ، وعِقَابَ المُكَذِّبِينَ به.

[٥١] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: لَلْيَقِينُ الحَقُّ.

[٥٢] ﴿فَسَبِّحْ﴾: نَزِّهْ ﴿بِٱسْمِ﴾: زَائِدَةٌ(3) ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ سُبْحَانَه(4).

سُورَةُ المَعَارِج

مَكِّيَّةٌ، أَرْبَعٌ وأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾: دَعَا دَاعٍ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾. [٢] ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ - هُو النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ(5)، قَالَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ الآيَةَ(6)-.

[٣] ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مُتَّصِلٌ بِـ﴿وَاقِعٍ﴾(7) ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: مَصَاعِدِ المَلَائِكَةِ، وهِي السَّمَاوَاتُ.

[٤] ﴿تَعْرُجُ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ(8)- ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾: جِبْرِيلُ ﴿إِلَيْهِ﴾: إِلى مَهْبِطِ أَمْرِه مِنَ السَّمَاءِ(9) ﴿فِى يَوْمٍ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أي: يَقَعُ العَذَابُ بِهم في يَومِ القِيَامَةِ ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بِالنِّسْبَةِ إِلى الكَافِرِ، لِمَا يَلْقَى فيه مِنَ الشَّدَائِدِ. وأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَكُونُ أَخَفَّ عليه مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، يُصَلِّيها في الدُّنيا؛ كَمَا جَاءَ في الحَدِيثِ(10).

[٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ - وهذَا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالقِتَالِ- ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: لَا جَزَعَ فيه. [٦] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ أي: العَذَابَ ﴿بَعِيدًا﴾: غَيرَ وَاقِعٍ. [٧] ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾: وَاقِعًا لَا مَحَالَةَ.

[٨] ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أي: يَقَعُ- ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: كَذَائِبِ الفِضَّةِ.

[٩] ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾: كَالصُّوفِ؛ في الخِفَّةِ والطَّيَرَانِ بِالرِّيحِ. [١٠] ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قَرِيبٌ قَرِيبَه؛ لِاشْتِغَالِ كُلٍّ بِحَالِه.

---

(١) بِاليَاءِ؛ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ ويَعقُوبَ وهِشَامٍ عَنِ ابنِ عَامِرٍ. أَمَّا ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾؛ فَهي قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ ويَعقُوبَ وهِشَامٍ عَنِ ابنِ عَامِرٍ، وكذَا ابنِ ذَكوانَ عَنِ ابنِ عَامِرٍ؛ بِخُلْفٍ عنه.

(٢) هَذَا قَولُ ابنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ (٢٣/ ٢٤٣)؛ قَالَ: «لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالقُوَّةِ مِنَّا وَالقُدْرَةِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ نِيَاطَ القَلْبِ. وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُعَاجِلُهُ بِالعُقُوبَةِ، وَلَا يُؤَخِّرُهُ بِهَا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَدِ اليُمْنَى مِنْ يَدَيْهِ؛ قَالُوا: وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ، وَمَعْنَاهُ: إِنَّا كُنَّا نُذِلُّهُ وَنُهِينُهُ...». وفي الآيَةِ إِثْبَاتُ صِفَةِ اليَمِينِ لِيَدِ الله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ بِه، وكِلتَا يَدَيْه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَمِينٌ. كَمَا عِندَ مُسْلِمٍ وغَيرِه (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عبدِ الله بنِ عَمرٍو.

(٣) أي: البَاءُ، كَمَا تَقَدَّمَ، ولَيسَ لَفظَةُ: «اسْم». وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (البَاءُ: زَائِدَةٌ). (٤) كَلِمَةُ: (سُبحانه) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٥) قَالَه ابنُ عَبَّاسٍ، كَمَا عِندَ النَّسَائِيِّ في تَفسِيرِه (٢/ ٤٦٣، رقم ٦٤٠)، وحَسَّنَه في الاستيعاب (٣/ ٤٥٧). (٦) رَوَاهُ ابنُ أَبي حَاتِمٍ (١٨٩٨٣) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾؛ قَالَ: هُوَ النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ، قَالَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال:٣٢]. وحَسَّنَه في الاستيعاب (٣/ ٤٥٧)، ورَوَاهُ الحَاكِمُ (٣٨٥٤) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قوله، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وقَالَ الذَّهبِيُّ: على شَرطِ البُخَارِيِّ. (٧) أي: مُتَعَلِّقٌ به، والمَعنَى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ مِنَ الله. (٨) بِاليَاءِ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ.

(٩) وهَذَا مِنْ تَأْوِيلِ المُعَطِّلَةِ الذينَ يَنفُونَ عُلُوَّ الله -سُبْحَانَهُ- بِذَاتِه على خَلْقِه، وفي الآيَةِ إِثْبَاتُ عُرُوجِ المَلَائِكَةِ إِلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١٠) رَوَاهُ أَحمدُ (١١٧١٧)، وأَبو يَعلَى (١٣٩٠) عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وضَعَّفَهُ الأَلبَانِيُّ في ضَعِيفِ التَّرغِيبِ والتَّرهِيبِ (٢/ ٢٠٩٢)، وانظُرِ التَّعلِيقَ على الآيَةِ رَقْم (٥) مِن سُورَةِ السَّجْدَةِ.

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ
جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ
عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ
وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ
رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ
﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾
فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ
عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم
مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾

الحزب ٥٧

[١١] ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يُبْصِرُ الأَحِمَّاءُ بَعْضُهم بَعْضًا، ويَتَعارَفُونَ ولَا يَتَكَلَّمُونَ - والجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ - ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾: يَتَمَنَّى الكَافِرُ ﴿لَوْ﴾ بِمَعْنَى: «أَنْ» ﴿يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ - بِكَسْرِ المِيمِ وفَتْحِها[1] - ﴿بِبَنِيهِ﴾.

[١٢] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زَوجَتِه ﴿وَأَخِيهِ﴾.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: عَشِيرَتِه؛ لِفَصْلِه منها ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾: تَضُمُّه.

[١٤] ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذَلِكَ الافتِدَاءُ: عَطْفٌ عَلَى: ﴿يَفْتَدِى﴾.

[١٥] ﴿كَلَّآ﴾: رَدٌّ لِمَا يَوَدُّه ﴿إِنَّهَا﴾ أَيِ: النَّارَ ﴿لَظَىٰ﴾: اسْمٌ لِجَهَنَّمَ؛ لِأَنَّها تَتَلَظَّى؛ أي: تَتَلَهَّبُ على الكُفَّارِ.

[١٦] ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾: جَمْعُ «شَوَاةٍ»، وهِيَ جِلْدَةُ الرَّأْسِ.

[١٧] ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عَنِ الإِيمَانِ؛ بِأَنْ تَقُولَ: «إِلَيَّ إِلَيَّ»[2].

[١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾ المَالَ ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾: أَمْسَكَهُ في وِعَائِه، ولَمْ يُؤْدِ حَقَّ الله منه.

[١٩] ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: حَالٌ مُقَدَّرَةٌ[3]، وتَفسِيرُه:

[٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وَقْتَ مَسِّ الشَّرِّ.

[٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وَقْتَ مَسِّ الخَيرِ؛ أَيِ: المَالِ، لِحَقِّ الله منه.

[٢٢] ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أَيِ: المُؤْمِنِينَ.

[٢٣] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾: مُوَاظِبُونَ.

[٢٤] ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هُوَ الزَّكَاةُ.

[٢٥] ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: المُتَعَفِّفِ عَنِ السُّؤَالِ؛ فَيُحْرَمُ.

[٢٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الجَزَاءِ.

[٢٧] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خَائِفُونَ.

[٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نُزُولُه.

[٢٩] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾.

[٣٠] ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ مِنَ الإِمَاءِ ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

[٣١] ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: المُتَجَاوِزُونَ الحَلَالَ إِلى الحَرَامِ.

[٣٢] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ[4] بِالإِفْرَادِ -: مَا ائْتُمِنُوا عليه مِنْ أَمْرِ الدِّينِ والدُّنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المَأْخُوذِ عَلَيهِم في ذَلِكَ ﴿رَٰعُونَ﴾: حَافِظُونَ.

[٣٣] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم [بِشَهَادَتِهِمْ][5]﴾ - وفي قِرَاءَةٍ بِالجَمْعِ - ﴿قَآئِمُونَ﴾: يُقِيمُونَها ولَا يَكْتُمُونَها.

[٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بِأَدَائِها في أَوْقَاتِها.

[٣٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

[٣٦] ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ﴾: نَحْوَكَ ﴿مُهْطِعِينَ﴾: حَالٌ؛ أي: مُدِيمِي النَّظَرِ.

[٣٧] ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ مِنكَ ﴿عِزِينَ﴾: حَالٌ -أَيضًا-؛ أي: جَمَاعَاتٍ حِلَقًا حِلَقًا؟ يَقُولُونَ استِهْزَاءً بِالمُؤْمِنِينَ: لَئِنْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ الجَنَّةَ لَنَدْخُلَنَّها قَبْلَهم. قَالَ تَعَالَى:

[٣٨] ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؟

[٣٩] ﴿كَلَّآ﴾: رَدْعٌ لهم عَنْ طَمَعِهِم في الجَنَّةِ ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ كَغَيرِهم ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾: مِنْ نُطَفٍ. فَلَا يُطْمَعُ بِذَلِكَ في الجَنَّةِ، وإِنَّما يُطْمَعُ فيها بِالتَّقْوَى.

---

(١) بالفَتْحِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ والكِسَائِيِّ.

(٢) عَزَاهُ في التفسيرِ البَسِيطِ (٢٢/ ٢٢٣) إلى مُقَاتِلٍ؛ قَالَ: تَدعُو النَّارُ يومَ القِيَامَةِ: إِلَيَّ أهلي، إِلَيَّ أهلي. وهو بِنحوِه في تفسيرِ مقاتلٍ (٤/ ٤٣٧).

(٣) لِأَنَّ الهَلَعَ لَيسَ مَوجُودًا حِينَ خَلْقِه، وإِنَّما يُوجَدُ مُستَقبَلًا.

(٤) لِابنِ كَثيرٍ.

(٥) وهِيَ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا حَفْصٍ، وقَرَأَ حَفْصٌ بِالجَمعِ: ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾.

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ
يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾
خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ
ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

[٤٠] ﴿فَلَا﴾ - «لا»: زَائِدَةٌ- ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ لِلشَّمْسِ والقَمَرِ وسَائِرِ الكَوَاكِب ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾.

[٤١] ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ﴾: نَأْتِيَ بَدَلَهُم ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بِعَاجِزِينَ عَنْ ذَلِكَ.

[٤٢] ﴿فَذَرْهُمْ﴾: اتْرُكْهُم ﴿يَخُوضُوا﴾ في بَاطِلِهِم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دُنْيَاهُم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾: يَلْقَوْا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العَذَابَ.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: القُبُورِ ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المَحْشَرِ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ [نَصْبٍ](١)﴾ - وفي قِرَاءَةٍ بِضَمِّ الحَرْفَينِ-: شَيْءٍ مَنْصُوبٍ؛ كَعَلَمٍ أو رَايَةٍ ﴿يُوفِضُونَ﴾: يُسْرِعُونَ.

[٤٤] ﴿خَاشِعَةً﴾: ذَلِيلَةً ﴿أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾: تَغْشَاهُم ﴿ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾: مُبْتَدَأٌ، ومَا بَعْدَه الخَبَرُ، ومَعْنَاه: يَومُ القِيَامَةِ.

سُورَةُ نُوح

مَكِّيَّةٌ، ثَمانٍ، أو: تِسْعٌ وعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ﴾ أي: بِإِنْذَارِ ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ﴾ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

[٢] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإِنْذَارِ.

[٣] ﴿أَنِ﴾ أي: بِأَنْ أَقُولَ لَكُم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

[٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ - ﴿مِّن﴾: زَائِدَةٌ، فَإِنَّ الإِسْلَامَ يُغْفَرُ بِه مَا قَبْلَه، أو تَبْعِيضِيَّةٌ؛ لِإِخْرَاجِ حُقُوقِ العِبَادِ- ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ بِلَا عَذَابٍ ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أَجَلِ المَوتِ ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بِعَذَابِكم، إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴿إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ لَآمَنْتُم.

[٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دَائِمًا مُتَّصِلًا.

[٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ عَنِ الإِيمَانِ.

[٧] ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لِئَلَّا يَسْمَعُوا كَلَامِي ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: غَطَّوْا رُؤُوسَهم بها؛ لِئَلَّا يَنْظُرُونِي(٢) ﴿وَأَصَرُّوا﴾ على كُفْرِهِم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾: تَكَبَّرُوا عَنِ الإِيمَانِ ﴿اسْتِكْبَارًا﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: بِأَعْلَى صَوتِي.

[٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ صَوتِي ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الكَلَامَ ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.

[١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشِّرْكِ ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

---

(١) وهي قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حَفْصٍ وابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ حَفْصٌ وابنُ عَامِرٍ: ﴿نُصُبٍ﴾ بِضَمِّ النُّونِ والصَّادِ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي: (يُبْصِرُونِي).

يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل
لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾
وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ
إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا
سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا
كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾

[١١] ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾: المَطرَ، وكَانُوا قَدْ مُنِعُوه ﴿عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾: كَثِيرَ الدُّرُورِ.

[١٢] ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾: بَسَاتِينَ ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ جَارِيَةً.

[١٣] ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ أي: تَأْمُلونَ[١] وَقَارَ الله إِيَّاكُم بِأَنْ تُؤمِنُوا؟!

[١٤] ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾: جَمْعُ طَوْرٍ، وهو الحَالُ- فَطَوْرًا: نُطْفَةً، وطَوْرًا: عَلَقَةً، إِلى تَمَامِ خَلْقِ الإِنسَانِ- والنَّظَرُ فِي خَلْقِه يُوجِبُ الإِيمَانَ بِخَالِقِه؟

[١٥] ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ﴾: تَنْظُروا ﴿كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾: بَعْضُها فَوقَ بَعْضٍ؟

[١٦] ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أَي: فِي مَجْمُوعِهِنَّ؛ الصَّادِقِ بِالسَّماءِ الدُّنيا ﴿نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾: مِصْبَاحًا مُضِيئًا، وهُو أَقْوَى مِنْ نُورِ القَمَرِ؟

[١٧] ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم﴾: خَلَقَكُم ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ إِذْ خَلَقَ أَبَاكُم آدَمَ منها ﴿نَبَاتٗا﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾ مَقْبُورِينَ ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ﴾ لِلبَعْثِ ﴿إِخۡرَاجٗا﴾.

[١٩] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾: مَبْسُوطَةً.

[٢٠] ﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا﴾: طُرُقًا ﴿فِجَاجٗا﴾: وَاسِعَةً.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ﴾ أَي: السَّفَلَةُ والفُقَرَاءُ ﴿مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ [وَوُلْدُهُ][٢]﴾ وهُمُ الرُّؤَسَاءُ، المُنْعَمُ عليهم بِذَلِكَ، و«وُلْد» بِضَمِّ الوَاوِ وسُكُونِ اللَّام وبِفَتْحِهِما. والأَوَّلُ: قِيلَ: جَمْعُ: «وَلَد» بِفَتْحِهِما؛ كَـ«خُشْبٍ»، و«خَشَبٍ»، وقِيلَ: بِمَعنَاه كَـ«بُخْل»، و«بَخَل» ﴿إِلَّا خَسَارٗا﴾: طُغيَانًا وكُفْرًا.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أَي: الرُّؤَسَاءُ ﴿مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾: عَظِيمًا جِدًّا؛ بِأَنْ كَذَّبُوا نُوحًا وآذَوْه ومَنِ اتَّبَعَه.

[٢٣] ﴿وَقَالُواْ﴾ لِلسَّفَلَةِ: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا﴾ -بِفَتْحِ الوَاوِ وضَمِّها[٣]- ﴿وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ هِيَ أَسْمَاءُ أَصْنَامِهم.

[٢٤] ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ﴾ بِها ﴿كَثِيرٗاۖ﴾ مِنَ النَّاسِ؛ بِأَنْ أَمَرُوهُم بِعِبَادَتِهم ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾: عَطْفًا[٤] عَلى ﴿قَدۡ أَضَلُّواْ﴾ دَعَا عَلَيهم لَمَّا أُوحِيَ إِلَيه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾[٥].

[٢٥] ﴿مِّمَّا﴾ - «مَا»: صِلَةٌ- ﴿[خَطَايَاهُم][٦]﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾ بالهَمْزِ- ﴿أُغۡرِقُواْ﴾ بِالطُّوفَانِ ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ عُوقِبُوا بِها عَقِبَ الإِغْرَاقِ تَحتَ المَاءِ[٧] ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ﴾ أي: غَيرَ ﴿ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ يَمْنَعُونَ عنهم العَذَابَ.

[٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أَي: نَازِلَ دَارٍ، والمَعنَى: أَحَدًا.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾: مَنْ يَفْجُرُ ويَكْفُرُ. قَالَ ذَلِكَ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الإِيحَاءِ إِليه.

[٢٨] ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وكَانَا مُؤمِنَينِ ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ﴾: مَنْزِلِي، أو مَسْجِدِي[٨] ﴿مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ إِلى يَومِ القِيَامَةِ ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾: هَلَاكًا. فأُهْلِكُوا.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (تُؤمِّلونَ).

(٢) وهي قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾ بِفَتْحِ الوَاوِ واللَّامِ.

(٣) بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة والجَمَلِ: (عَطْفٌ)؛ بِالرَّفْعِ.

(٥) هود: ٣٦.

(٦) وهي قِرَاءَةُ أَبِي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾ بِالهَمْزِ.

(٧) أَي فِي الدُّنيا؛ وهذا قَولُ الضَّحَّاكِ -كَما في تفسيرِ البَغَوِيِّ (٨/ ٢٣٣) وغيرِه-: «قَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الدُّنْيَا يُغْرَقُونَ مِنْ جَانِبٍ وَيَحْتَرِقُونَ مِنْ جَانِبٍ». وَقَالَ مُقَاتِلٌ -كَمَا نَقَلَه عنه البَغوِيُّ (٨/ ٢٣٣)-: «فَأُدْخِلوا نَارًا فِي الآخِرَةِ». ونَقَلَ ابنُ الجَوزِيِّ في زَادِ المسيرِ (٤/ ٣٤٤) عَنِ ابنِ السَّائِبِ قولَه: «سَيَدْخُلُونَ فِي الآخِرَةِ نَارًا؛ فَجَاءَ لَفظُ المَاضِي بِمَعنَى الاستقبَالِ؛ لِأَنَّ الوَعدَ حَقٌّ». قال ابنُ الجوزيِّ: وهذا قولُ الأكثَرِينَ. وقَالَ آخَرُونَ: هي نَارُ البَرزَخِ، والمُرَادُ: عَذَابُ القَبرِ. وهو قَولُ ابنِ الأَنبَارِيِّ كَما في التفسيرِ الوسيطِ (١٠/ ١٦٠٦).

(٨) رواهُ الطَّبَرِيُّ (٢٣/ ٣٠٨) عَنِ الضَّحَّاكِ، في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾ قَالَ: مَسْجِدِي.

سورة الجن

ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٥٨

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣)

سورة الجن

مَكِّيَّةٌ، ثَمانٍ وعِشْرُونَ آيَةً[*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ﴾ - يَا مُحَمَّدُ- لِلنَّاسِ: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أُخبِرتُ بِالوَحْيِ مِنَ الله -تَعَالَى[1]- ﴿أَنَّهُ﴾ -الضَّمِيرُ لِلشَّأْنِ- ﴿اسْتَمَعَ﴾ لِقِرَاءَتِي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جِنُّ نَصِيبِينَ- وذَلِكَ في صَلَاةِ الصُّبْحِ، بِبَطْنِ [نَخْلَةَ][2]، مَوضِعٍ بَينَ مَكَّةَ والطَّائِفِ، وهُمُ الذِينَ ذُكِرُوا في قَولِه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآيَةَ[3]- ﴿فَقَالُوا﴾ لِقَومِهم لَمَّا رَجَعُوا إِليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾: يُتَعَجَّبُ منه؛ في فَصَاحَتِه وغَزَارَةِ مَعَانِيه وغَيرِ ذَلِكَ. [٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: الإِيمانِ والصَّوَابِ ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ﴾ بَعْدَ اليَوم ﴿بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾. [٣] ﴿[وَإِنَّهُ]﴾[4] - الضَّمِيرُ لِلشَّأْنِ، فيه وفي المَوضِعَينِ بَعْدَه- ﴿تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾: تَنَزَّهَ جَلَالُهُ وعَظَمَتُه، عَمَّا نُسِبَ إِليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾: زَوْجَةً ﴿وَلَا وَلَدًا﴾. [٤] ﴿[وَإِنَّهُ] كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: جَاهِلُنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾: غُلُوًّا في الكَذِبِ؛ بِوَصْفِه بِالصَّاحِبَةِ والوَلَدِ. [٥] ﴿[وَإِنَّا] ظَنَنَّا أَن﴾: مُخَفَّفَةٌ؛ أي: أَنَّه ﴿لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِوَصْفِه بذَلِكَ، حَتَّى تَبَيَّنَّا كَذِبَهم بذَلِكَ. [٦] قَالَ تَعَالَى: ﴿[وَإِنَّهُ] كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ﴾: يَسْتَعِيذُونَ ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حِينَ يَنزِلُونَ في سَفَرِهم بِمَخُوفٍ، فيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ: «أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذا المَكَانِ مِنْ شَرِّ سُفَهَائِه»[5] ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ بِعَوْذِهِم به ﴿رَهَقًا﴾: طُغيَانًا؛ فقَالُوا: «سُدْنَا الجِنَّ والإِنسَ». [٧] ﴿[وَإِنَّهُمْ]﴾ أَي: الجِنَّ ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ -يَا إِنْسُ- ﴿أَن﴾: مُخَفَّفَةٌ؛ أي: أَنَّه ﴿لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بَعْدَ مَوتِه. [٨] قَالَ الجِنُّ: ﴿[وَإِنَّا] لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: رُمْنَا اسْتِرَاقَ السَّمْعِ مِنها ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ مِنَ المَلَائِكَةِ ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾: نُجُومًا مُحْرِقَةً. وذَلِكَ لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ. [٩] ﴿[وَإِنَّا] كُنَّا﴾ أي: قَبْلَ مَبْعَثِه ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: نَستَمِعُ ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾: أُرْصِدَ لَهُ لِيُرمَى به. [١٠] ﴿[وَإِنَّا] لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بِعَدَمِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ ﴿بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خَيرًا؟ [١١] ﴿[وَإِنَّا] مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بَعْدَ استِمَاعِ القُرآنِ ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قَومٌ غَيرُ صَالِحِينَ ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾: فِرَقًا مُختَلِفِينَ؛ مُسْلِمِينَ وكَافِرِينَ. [١٢] ﴿[وَإِنَّا] ظَنَنَّا أَن﴾: مُخَفَّفَةٌ؛ أي: أَنَّه ﴿لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾: لَا نَفُوتُه كَائِنِينَ في الأَرْضِ، أو هَارِبِينَ منها إِلى السَّماءِ. [١٣] ﴿[وَإِنَّا] لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾: القُرآنَ ﴿آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ بِتَقْدِيرِ: «هُو» بَعْدَ الفَاءِ ﴿بَخْسًا﴾: نَقْصًا مِنْ حَسَنَاتِه ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: ظُلْمًا بِالزِّيَادَةِ في سَيِّئَاتِه.

---

[*] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ السُّورَةِ**: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالَ: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا مَا حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ، فَانْطَلَقُوا فَضَرَبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، يَنْظُرُونَ مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى رَسُولِ الله بِنَخْلَةَ، «وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ تَسَمَّعُوا لَهُ»، فَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يا قَومَنا، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، وأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على نَبِيِّه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٧٢) باب (١).

---

(١) كَلِمَةُ: (تَعَالَى) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) في الأَصْلِ: (نَخْل)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي، وهو الصَّحِيحُ كما في صَحِيحِ البُخَارِيِّ، كَمَا في حَاشِيَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ. و«نَخْلَةُ» هي نَخْلَةُ اليَمَانِيَّةُ، وهو مَوضِعٌ بَينَ مَكَّةَ والطَّائِفِ. أَمَّا «نَخْلٌ» فهو مَوضِعٌ في نَجْد عَلى بُعدِ لَيلَتَينِ مِنَ المَدِينَةِ؛ حَيثُ صَلَّى صَلَاةَ الخَوفِ. كَمَا تَقَدَّمَ في تفسيرِ سُورَةِ الأَحقَافِ الآيَةِ (٢٩).

(٣) الأحقاف: ٢٩.

(٤) ﴿وَإِنَّهُ تَعَالَىٰ﴾، ومابعدَ ذَلِكَ مِنَ المَوَاضِعِ، وهي: ﴿وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا﴾، ﴿وَإِنَّهُمْ ظَنُّوا﴾، ﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا﴾، ﴿وَإِنَّا كُنَّا﴾، ﴿وَإِنَّا لَا نَدْرِي﴾، ﴿وَإِنَّا مِنَّا﴾، ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا﴾، ﴿وَإِنَّا لَمَّا﴾؛ بِكَسْرِ الهَمْزَةِ: قِرَاءَةُ: ابن كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو ونَافِعٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ فيها: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا﴾، ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَّا﴾؛ بِفَتْحِ الهَمْزَةِ.

(٥) أَخرَجَه ابنُ سَعدٍ في الطَّبَقَاتِ (٧/ ١٣٨، ١٣٩) عَنْ أَبِي رَجَاءٍ العَطَارِدِيِّ، يَقُولُ: «... فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ خَرَجْنَا هُرَّابًا فَأَتَيْنَا عَلَى فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ. وَكُنَّا إِذَا أَمْسَيْنَا بِمِثْلِهَا قَالَ شَيْخُنَا: إِنَّا نَعُوذُ بِعَزِيزِ هَذَا الوَادِي مِنَ الجِنِّ اللَّيْلَةَ. فَقُلْنَا ذَاكَ... فَرَجَعْنَا فَدَخَلْنَا فِي الإِسْلَامِ قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: إِنِّي لَأَرَى هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيَّ وَفِي أَصْحَابِي: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾». وضَعَّفَ إِسنَادَه في الاستيعاب (٣/ ٤٦٢). وأَشَارَ إِليه الأَلبَانِيُّ في مَوسُوعَةِ العَقِيدةِ (٣/ ١٠٧٨) مُحتَجًّا به. ورَوَى ابنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٩٠٠٠) عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: «كَانَ الجِنُّ يَفْرَقُونَ مِنَ الإِنسِ، كَمَا يَفْرَقُ الإِنسُ مِنْهُمْ أَوْ أَشَدَّ، وَكَانَ الإِنسُ إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا هَرَبَ الجِنُّ، فَيَقُولُ سَيِّدُ القَوْمِ: نَعُوذُ بِسَيِّدِ أَهْلِ هَذَا الوَادِي. فَقَالَ الجِنُّ: نَرَاهُمْ يَفْرَقُونَ مِنَّا كَمَا نَفْرَقُ مِنْهُمْ، فَدَنَوْا مِنَ الإِنسِ فَأَصَابُوهُمْ بِالخَبَلِ وَالجُنُونِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾».

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ
أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ
أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

[١٤] ﴿[وَإِنَّا] مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾: الجائرون بِكُفْرِهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾: قَصَدُوا هِدايَةً. [١٥] ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: وَقُودًا.

وَ﴿إِنَّا﴾، وَ﴿إِنَّهُمْ﴾، وَ﴿إِنَّهُۥ﴾: في اثْنَيْ عَشَرَ مَوْضِعًا - هِيَ: ﴿وَإِنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ ﴿وَإِنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ وما بينَهما- بِكَسْرِ الهَمْزَةِ: استِئْنَافًا، وبِفَتْحِها[١] بِما يُوَجَّهُ به.

[١٦] قَالَ -تَعَالَى- في كُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿وَأَ﴾نْ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ واسْمُها مَحْذُوفٌ- أي: وأَنَّهُم. وهو مَعْطُوفٌ عَلَى: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ ﴿لَوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي: طَرِيقَةِ الإِسْلَامِ ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: كَثِيرًا مِنَ السَّماءِ- وذَلِكَ بَعْدَ ما رُفِعَ المَطَرُ عَنهم سَبْعَ سِنِينَ[٢]-.

[١٧] ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾: لِنَخْتَبِرَهُم ﴿فِيهِ﴾ فنَعْلَمَ كَيفَ شُكْرُهُم، عِلْمَ ظُهُورٍ؟ ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: القُرآنِ ﴿[نَسْلُكْهُ]﴾ - بِالنُّونِ والياءِ[٣]-: نُدْخِلْهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شَاقًّا.

[١٨] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾: مَواضِعَ الصَّلَاةِ ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾ فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ بِأَنْ تُشْرِكُوا، كَما كَانَتِ اليَهُودُ والنَّصَارَى، إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُم وبِيَعَهُم أَشْرَكُوا.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بِالفَتْحِ، والكَسْرِ[٤] استِئْنَافًا، والضَّمِيرُ لِلشَّأْنِ ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾: يَعبُدُه بِبَطْنِ [نَخْلَةَ][٥] ﴿كَادُوا۟﴾ أي: الجِنُّ المُسْتَمِعُونَ لِقِراءَتِه ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ - بِكَسْرِ اللَّامِ وضَمِّها[٦]-: جَمْعُ لِبْدَةٍ؛ كَاللِّبَدِ في رُكُوبِ بَعْضِهم بَعْضًا، ازْدِحَامًا، حِرْصًا عَلى سَماعِ القُرآنِ.

[٢٠] ﴿[قَالَ][٧]﴾ مُجِيبًا لِلكُفَّارِ في قَولِهِم: «ارجِعْ عَمَّا أنتَ فيه»- وفي قِرَاءَةٍ: ﴿قُلْ﴾-: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ إِلَهًا ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: غَيًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾: خَيرًا.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: مِنْ عَذَابِه إِنْ عَصَيتُه ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غَيرِه ﴿مُلْتَحَدًا﴾: مُلْتَجأً. [٢٣] ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾: اسْتِثْنَاءٌ مِنْ مَفْعُولِ ﴿أَمْلِكُ﴾؛ أي: لَا أَمْلِكُ لَكُم إِلَّا البَلَاغَ إِلَيكُم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عَنه ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾: عَطْفٌ عَلى ﴿بَلَٰغًا﴾- ومَا بَينَ المُسْتَثْنَى منه والاستِثْنَاءِ اعْتِرَاضٌ؛ لِتَأْكِيدِ نَفْيِ الاستِطَاعَةِ- ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التَّوحِيدِ، فلَمْ يُؤمِنْ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾: حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ: «مَنْ» في: ﴿لَهُۥ﴾؛ رِعَايَةً لِمَعنَاها، وهِيَ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، والمَعنَى: يَدْخُلُونَها مُقَدَّرًا خُلُودُهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ [﴿حَتَّىٰٓ﴾][٨]: ابْتِدَائِيَّةٌ، فيها مَعنَى الغَايَةِ لِمُقَدَّرٍ قَبْلَها؛ أي: لا يَزَالُونَ عَلى كُفْرِهم، إِلى أَنْ يَرَوا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ مِنَ العَذَابِ ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عِندَ حُلُولِه بِهم يَومَ بَدْرٍ، أو يَومَ القِيَامَةِ ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾: أَعْوَانًا؟ أَهُمْ أَمِ المُؤْمِنُونَ؟ على القَولِ الأَوَّلِ، أَوْ أَنَا أَمْ هُم؟ عَلى الثَّاني. فَقَالَ بَعْضُهم: مَتَى هَذا الوَعْدُ؟ فَنَزَلَ[٩]:

[٢٥] ﴿قُلْ إِنْ﴾ أي: مَا ﴿أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ العَذَابِ ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾: غَايَةً وأَجَلًا، لا يَعلَمُه إِلَّا هُوَ؟

[٢٦] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: مَا غَابَ به[١٠] عَنِ العِبَادِ ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: يُطْلِعُ ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ مِنَ النَّاسِ.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ﴾ مَعَ إِطْلَاعِه عَلى مَا شَاءَ منه مُعْجِزَةً له ﴿يَسْلُكُ﴾: يَجْعَلُ ويُسَيِّرُ ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: الرَّسُولِ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾: مَلَائِكَةً يَحْفَظُونَه، حَتَّى يُبَلِّغَه في جُمْلَةِ الوَحْيِ.

[٢٨] ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ اللهُ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿أَن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ؛ أي: أَنَّه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ أي: الرُّسُلُ ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ - رُوعِيَ بِجَمْعِ الضَّمِيرِ مَعنَى «مَنْ»- ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: عَطْفٌ عَلى مُقَدَّرٍ؛ أي: فَعَلِمَ ذَلِكَ ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾: تَمْيِيزٌ. وهُو مُحَوَّلٌ عَنِ المَفْعُولِ، والأَصْلُ: أَحْصَى عَدَدَ كُلِّ شَيءٍ.

---

(١) بِالكَسْرِ: قِرَاءَةُ نافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وشُعْبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالفَتْحِ. وتَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ في أَوَّلِ مَوضِعٍ مِنَ السُّورَةِ، في التَّعْلِيقِ عَلى القِرَاءَاتِ في الآيَةِ (٣).

(٢) يُنظَرُ مَا جَاء في حَاشِيَةِ أَسبَابِ النُّزُولِ في سُورَةِ الدُّخَانِ.

(٣) بِالنُّونِ: قِرَاءَةُ نافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ.

(٤) بِالكَسْرِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وشُعْبَةَ.

(٥) في الأَصْلِ: (نَخْل)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة، وهو الصَّوابُ- كَما تَقَدَّم-.

(٦) بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ هِشَامٍ بِخِلَافٍ عنه.

(٧) وهي قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عدا حَمْزَةَ وعَاصِمٍ، وقَرَأَ حَمْزَةُ وعَاصِمٌ: ﴿قُلْ﴾.

(٨) كَلِمَةُ: (﴿حَتَّىٰٓ﴾) لَيسَتْ في الأَصْلِ، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة. وقَولُ المَحَلِّيِّ: «﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابْتِدَائِيَّةٌ»: أي: حَرْفُ استِئْنَافٍ، والأَولَى هنا تَجرِيدُها مِن مَعنَى الغَايَةِ فتَكُون لِلاستِئْنَافِ وحدَه.

(٩) قَالَه مُقَاتِلٌ في تَفسِيرِه (٤/ ٤٦٦)، وذَكَرَه الوَاحِدِيُّ في التفسير الوسيط (٤/ ٣٦٩) دُونَ إِسنَادِه لِأَحَدٍ، وجَاءَ عِندَهما أَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ هُو: النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ.

(١٠) أي: ما غيَّبَه، والبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ. وقَالَ في حَاشِيَةِ الجَمَلِ (٤/ ٤٢٤): «لو أَسقَطَ «بِه» لَكَانَ أَوضَحَ. ويُمكِنُ أَنْ يُفَسِّرَ «غَابَ» بِاختَصَّ؛ أي: ما اختَصَّ بِه عَنِ العِبَادِ».

سورة المزمل (ترتيبها ٧٣ · آياتها ٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى
ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ
أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا
يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا
﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

٥٧٤

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: إِلَّا قَولَه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى آخِرِها؛ فمَدَنِيٌّ،

تِسْعَ عَشْرَةَ، أَوْ: عِشْرُونَ آيَةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾: النَّبِيُّ- وأَصْلُه: «المُتَزَمِّلُ»، أُدْغِمَتِ التَّاءُ في الزَّايِ- أَيِ: المُتَلَفِّفُ بِثِيَابِه حِينَ مَجِيءِ الوَحْيِ لَه؛ خَوفًا منه لِهَيبَتِه. [٢] ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾: صَلِّ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٣] ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿قَلِيلًا﴾، وقِلَّتُه بِالنَّظَرِ إلى الكُلِّ ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾: مِنَ النِّصْفِ ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثُّلُثِ. [٤] ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ إلى الثُّلُثَيْنِ- و﴿أَوْ﴾ لِلتَّخْيِيرِ- ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾: تَثَبَّتْ في تِلَاوَتِه ﴿تَرْتِيلًا﴾.

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا﴾: قُرْآنًا[1] ﴿ثَقِيلًا﴾: مَهِيبًا، أَوْ شَدِيدًا؛ لِمَا فيه مِنَ التَّكَالِيفِ.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: القِيامَ بَعْدَ النَّومِ ﴿هِىَ أَشَدُّ [وِطَآءًا][2]﴾: مُوَافَقَةَ السَّمْعِ لِلقَلْبِ على تَفَهُّمِ القُرآنِ ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أَبْيَنُ قَولًا.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: تَصَرُّفًا في أَشْغَالِكَ، لا تَفْرُغُ فيه لِتِلَاوةِ القُرآنِ.

[٨] ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أَي: قُلِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ» في ابْتِدَاءِ قِرَاءَتِك[3] ﴿وَتَبَتَّلْ﴾: انقَطِعْ ﴿إِلَيْهِ﴾ في العِبَادَةِ ﴿تَبْتِيلًا﴾: مَصْدَرُ: «بَتَّلَ». جِيءَ به رِعَايَةً لِلفَوَاصِلِ، وهُو مَلْزُومُ التَّبَتُّلِ[4]. [٩] هُو ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: مَوكُولًا له أُمُورُكَ.

[١٠] ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ، مِنْ أَذَاهُم ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: لَا جَزَعَ فيه- وهذا قَبْلَ الأَمْرِ بِقِتَالِهِم-.

[١١] ﴿وَذَرْنِى﴾: اتْرُكْنِي ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾- عَطْفٌ عَلَى المَفْعُولِ، أَو مَفعُولٌ مَعَه- والمَعنَى: أَنَا كَافِيكَهُم، وهُم صَنَادِيدُ قُرَيشٍ ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾: التَّنَعُّمِ ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ مِنَ الزَّمَنِ. فقُتِلُوا بَعْدَ يَسِيرٍ مِنه بِبَدْرٍ.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾: قُيودًا ثِقَالًا؛ جَمْعُ: «نِكْلٍ» بِكَسْرِ النُّونِ ﴿وَجَحِيمًا﴾: نَارًا مُحْرِقَةً.

[١٣] ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: يُغَصُّ به في الحَلْقِ، وهو الزَّقُّومُ[5]، أَوِ الضَّرِيعُ، أَوِ الغِسلِينُ، أَو شَوكٌ مِنْ نَارٍ، لَا يَخْرُجُ ولَا يَنْزِلُ[6] ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِمًا، زِيَادَةً على مَا ذُكِرَ، لِمَنْ كَذَّبَ النَّبِيَّ ﷺ.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تَزَلْزَلُ ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾: رَمْلًا مُجْتَمِعًا ﴿مَّهِيلًا﴾: سَائِلًا بَعْدَ اجْتِمَاعِه. وهُو مِنْ: هَالَ يَهِيلُ. وأَصْلُه: «مَهْيُولٌ»؛ استُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى اليَاءِ فنُقِلَتْ إلى الهَاءِ، وحُذِفَتِ الوَاوُ ثَانِي السَّاكِنَيْنِ لِزِيَادَتِها، وقُلِبَتِ الضَّمَّةُ كَسْرَةً لِمُجَانَسَةِ اليَاءِ.

[١٥] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ - يَا أَهْلَ مَكَّةَ- ﴿رَسُولًا﴾ هو مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يومَ القِيَامَةِ، بِمَا يَصْدُرُ مِنكُم مِنَ العِصْيَانِ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هُو مُوسَى، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

[١٦] ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: شَدِيدًا.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿يَوْمًا﴾: مَفعُولُ ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ أَي: عَذَابَه؛ أَي: بِأَيِّ حِصْنٍ تَتَحَصَّنُونَ مِنْ عَذَابِ يَومِ ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾: جَمْعُ أَشْيَبَ؛ لِشِدَّةِ هَولِه، وهُو يَومُ القِيَامَةِ. والأَصْلُ في شِينِ ﴿شِيبًا﴾ الضَّمُّ، وكُسِرَتْ لِمُجَانَسَةِ اليَاءِ. ويُقَالُ في اليَومِ الشَّدِيدِ: يَومٌ يُشِيبُ نَوَاصِيَ الأَطْفَالِ. وهُو مَجَازٌ. ويَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ في الآيَةِ الحَقِيقَةَ[7].

[١٨] ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾: ذَاتُ انْفِطَارٍ؛ أَي: انْشِقَاقٍ ﴿بِهِۦ﴾: بِذَلِكَ اليَومِ لِشِدَّتِه؟ ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ -تَعَالَى- بِمَجِيءِ ذَلِكَ ﴿مَفْعُولًا﴾ أَي: هُو كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

[١٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيَاتِ المُخَوِّفَةَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظَةٌ لِلخَلْقِ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا، بِالإِيمَانِ والطَّاعَةِ.

---

(١) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أَي: قُرْآنًا).

(٢) هذه قِرَاءَةُ أَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَطْـًٔا﴾ بِفَتْحِ الوَاوِ وسُكُونِ الطَّاءِ؛ أَي: أَثْبَتُ قِرَاءَةً وقِيَامًا.

(٣) ذِكْرُ اسْمِ الرَّبِّ في الآيَةِ أَعَمُّ مِنْ قَصْرِه عَلى ذِكْرِ البَسْمَلَةِ في ابْتِدَاءِ القِرَاءَةِ، وإِنَّمَا المَعنَى: دُمْ على ذِكْرِه تَعَالَى لَيلًا ونَهَارًا، بِالتوحِيدِ والتَّعظِيمِ، عَلى أَيِّ وَجْهٍ كَانَ، مِنْ تَسْبِيحٍ وتَهلِيلٍ وتَحمِيدٍ وصَلَاةٍ وقِرَاءَةِ قُرآنٍ وغَيرِ ذَلِكَ.

(٤) أَي: إِنَّ «التَّبَتُّلَ» الذي هو مَصْدَرُ: «تَبَتَّلَ»، كَـ«تَكَرَّمَ»، أُطلِقَ وأُرِيدَ: «التَّبْتِيلُ» الذي هو مَصْدَرُ: «بَتَّلَ»، كَـ«قَدَّسَ»، كَونُه لَازِمًا لَه ومِنْ مَادَّتِه. حَاشِيَةُ الصَّاوِي (٦/ ١٨٩).

(٥) رَوَاهُ الحَاكِمُ (٨٧٥٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾، قَالَ: «شَجَرَةُ الزَّقُّومِ»، وقَالَ الحَاكِمُ: صَحِيحٌ. ورَوَاهُ الطَّبَرِيُّ (٢٣/ ٣٨٤) عَنْ مُجَاهِدٍ قولَه. وقَالَه مُقَاتِلٌ في تَفسِيرِه (٤/ ٤٧٧).

(٦) رَوَاهُ البَيهَقِيُّ في البَعْثِ والنُّشُورِ (ص٧٠٧)، والطَّبَرِيُّ في تَفسِيرِه (٢٣/ ٣٨٤)، والحَاكِمُ (٣٨٦٧) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قَالَ: «شَوْكًا يَأْخُذُ بِالحَلْقِ لَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ». وقَالَ الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ولَمْ يُخَرِّجَاهُ» ورَدَّه الذَّهَبِيُّ -كَمَا في مُختَصَرِ التلخيصِ (٢/ ٩٦٦)- بِأَنَّ فيه شَبِيبَ بنَ شَيبَةَ؛ ضَعَّفُوه. وضَعَّفَهُ الأَلبَانِيُّ في ضعيفِ الترغيبِ (٢١٦١).

(٧) وهو الأَصْلُ، كَمَا في البُخَارِيِّ (٤٧٤١)، ومُسلِمٍ (٢٢٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ -أُرَاهُ قَالَ- تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ...».

ربع الحزب ٥٨

*إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ (٢٠)

سُورَةُ المُدَّثِّر — ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)

[٢٠] ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾: أَقَلَّ ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَ[نِصْفِهِۦ] وَ[ثُلُثِهِۦ]﴾ - بالجَرِّ: عَطْفٌ على ﴿ثُلُثَيِ﴾، وبالنَّصْبِ[1]: عَطْفٌ على ﴿أَدْنَىٰ﴾. وقِيَامُه كذَلِكَ نَحْوُ مَا أُمِرَ به أَوَّلَ السُّورَةِ- ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾: عَطْفٌ عَلى ضَمِيرِ: ﴿تَقُومُ﴾، وجَازَ مِنْ غَيرِ تَأْكِيدٍ للفَصْلِ- وقِيَامُ طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِه كَذَلِكَ لِلتَّأَسِّي بِه. ومِنهم مَنْ كانَ لَا يَدْرِي: كَمْ صَلَّى مِنَ الليلِ، وكَمْ بَقِيَ منه؟ فكانَ يَقُومُ اللَّيلَ كُلَّه احتِيَاطًا، فَقَامُوا حَتَّى انتَفَخَتْ أَقْدَامُهم سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ؛ فَخُفِّفَ عنهم[2]- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾: يُحْصِي ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسْمُها مَحْذُوفٌ؛ أي: أَنَّه ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي: اللَّيلَ؛ لِتَقُومُوا فِيمَا يَجِبُ القِيَامُ فيه، إِلَّا بِقِيَامِ جَمِيعِه، وذَلِكَ يَشُقُّ عَلَيكُم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: رَجَعَ بِكُم إلى التَّخْفِيفِ ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الصَّلَاةِ، بِأَنْ تُصَلُّوا مَا تَيَسَّرَ ﴿عَلِمَ أَن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ؛ أي: أَنَّه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يُسَافِرُونَ ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: يَطْلُبُونَ مِنْ رِزْقِه؛ بِالتِّجَارةِ وغَيرِها ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكُلٌّ مِنَ الفِرَقِ الثَّلَاثَةِ[3] يَشُقُّ عَليهم مَا ذُكِرَ في قِيَامِ اللَّيلِ، فَخُفِّفَ عنهم بِقِيَامِ مَا تَيَسَّرَ منه، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِالصَّلَواتِ الخَمْسِ[4] ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كَمَا تَقَدَّمَ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المَفْرُوضَةَ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِأَنْ تُنْفِقُوا مَا سُوَى المَفْرُوضِ مِنَ المَالِ، في سَبِيلِ الخَيرِ ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ عَنْ طِيبِ قَلْبٍ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ مِمَّا خَلَّفْتُم. و«هُو»: فَصْلٌ، ومَا بَعدَه[5] وإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْرِفَةً: يُشْبِهُها؛ لِامْتِنَاعِه مِنَ التَّعْرِيفِ ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِلمُؤْمِنِينَ.

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

مَكِّيَّةٌ، خَمْسٌ وخَمْسُونَ آيَةً[*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ النَّبِيُّ ﷺ، وأَصْلُه: «المُتَدَثِّر»، أُدْغِمَتِ التَّاءُ في الدَّالِ: أي: المُتَلَفِّفُ بِثِيَابِه، عِندَ نُزُولِ الوَحْيِ عليه. [٢] ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: خَوِّفْ أَهْلَ مَكَّةَ النَّارَ، إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا. [٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: عَظِّمْ عَنْ إِشْرَاكِ المُشْرِكِينَ. [٤] ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عَنِ النَّجَاسَةِ، أو قَصِّرْها خِلَافَ جَرِّ العَرَبِ ثِيَابَهم خُيَلَاءَ؛ فَرُبَّمَا أَصَابَتْها نَجَاسَةٌ. [٥] ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ - فَسَّرَه النَّبِيُّ ﷺ بالأَوثَانِ[6]- ﴿فَٱهْجُرْ﴾ أي: دُمْ عَلى هَجْرِه. [٦] ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ - بِالرَّفْعِ حَالٌ- أي: لا تُعطِ شيئًا لِتَطْلُبَ أَكْثَرَ مِنه، وهَذا خَاصٌّ به ﷺ؛ لِأَنَّه مَأْمُورٌ بِأَجْمَلِ[7] الأَخْلَاقِ وأَشْرَفِ الآدَابِ. [٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ عَلى الأَوَامِرِ والنَّوَاهِي. [٨] ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾: نُفِخَ في الصُّورِ- وهُو القَرْنُ- النَّفْخَةُ الثانِيَةُ. [٩] ﴿فَذَٰلِكَ﴾ أي: وَقْتُ النَّقْرِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: بَدَلٌ مِمَّا قَبلَه؛ المُبْتَدَأِ، وبُنِيَ لِإِضَافَتِه إلى غَيرِ مُتَمَكِّنٍ[8]، وخَبَرُ المُبْتَدَأِ: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ - والعَامِلُ في «إِذَا» مَا دَلَّتْ عليه الجُمْلَةُ؛ أي: اشْتَدَّ الأَمْرُ-. [١٠] ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ فيه دَلَالَةٌ على أَنَّه يَسِيرٌ على المُؤْمِنِينَ؛ أي: في عُسْرِه.

[١١] ﴿ذَرْنِى﴾: اتْرُكْنِي ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾: عَطْفٌ عَلى المَفْعُولِ، أَوْ مَفْعُولٌ مَعَه ﴿وَحِيدًا﴾: حَالٌ مِنْ: «مَنْ»، أو مِنْ ضَمِيرِه المَحْذُوفِ، مِنْ ﴿خَلَقْتُ﴾؛ أي: مُنْفَرِدًا بِلَا أَهْلٍ ولَا مَالٍ،

---

[*] **مَا جَاءَ في نُزُولِ السُّورَةِ**: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾...» البُخَارِيُّ - كتاب بدءِ الوحي (١) باب (٣).

(١) بالجَرِّ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ، وأَبِي عَمْرٍو، وابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالنَّصْبِ فيهما: ﴿نِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾.

(٢) أَخرَجَ مُسلِمٌ (٧٤٦) عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّه قَالَ لِعَائِشَةَ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ». وعند أبي داودَ (١٣٤٢)، والنَّسَائِيِّ (١٦٠١) زِيَادَةُ: «فَقَامَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ...». وصَحَّحَها الأَلْبَانِيُّ في صحيح سنن أبي داودَ (١٢١٣).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (الثَّلَاثِ).

(٤) لَمْ نَقِفْ عليه مُسنَدًا، وذَكَرَهُ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ. وقَالَ الشَّافِعِيُّ في تَفسِيرِه (٣/ ١٤٠٦)، وفي معرفةِ السُّنَنِ والآثَارِ (٢٢٩٣-٢٢٩٩) في تَفسِيرِ آيَةِ المُزَّمِّلِ: سَمِعْتُ مَنْ أَثِقُ بِخَبَرِهِ وَعِلْمِهِ، يَذْكُرُ: «أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فَرْضًا فِي الصَّلَاةِ، ثُمَّ نَسَخَهُ بِفَرْضٍ غَيْرِهِ، ثُمَّ نَسَخَ الثَّانِي بِالفَرْضِ فِي الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ».

(٥) وهو قولُه تعالى: ﴿خَيْرًا﴾، والمعنى: أَنَّ ضَمِيرَ الفَصْلِ «هُو» وإِنْ كَانَ لَا يَقَعُ إِلَّا بَينَ مَعرِفَتَينِ إِلَّا أَنَّه إِنَّمَا جَازَ الإِتيَانُ به هُنا بَينَ مَعرِفَةٍ ونَكِرَةٍ؛ لِأَنَّ أَفعَلَ التَّفضِيلِ؛ ﴿خَيْرًا﴾ يُشْبِهُ المَعرِفَةَ.

(٦) أَخرَجَه الحَاكِمُ (٢٩٩٣) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ، قَالَ: «فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي فَدَثِّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾»، قَالَ: «هِيَ الأَوْثَانُ». وقَالَ الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ». وتفسيرُ الرُّجْزِ بِالأَوثَانِ: عِندَ البُخَارِيِّ (١٩٩٥)، ومُسلم (١٦١)، وأحمدَ (١٤٦١٧) مِنْ قَولِ أَبِي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (بِأَجَلِّ). (٨) وهُو: «إِذْ» في: «يومئذٍ»، حَيثُ إِنَّه مُنَوَّنٌ تَنوِينَ عِوَضٍ عَنِ الجُمْلَةِ؛ أي: يَومَ إِذْ نُقِرَ في النَّاقُورِ.

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ
﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا
إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾
لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا
لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ
يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ
مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

هو: الوَلِيدُ بنُ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ(1). [١٢] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: وَاسِعًا مُتَّصِلًا مِنَ الزُّرُوعِ والضُّرُوعِ والتِّجَارَةِ. [١٣] ﴿وَبَنِينَ﴾ عَشَرَةً أَوْ أَكْثَرَ(2) ﴿شُهُودًا﴾: يَشْهَدُونَ المَحَافِلَ، وتُسْمَعُ شَهَادَاتُهم. [١٤] ﴿وَمَهَّدتُّ﴾: بَسَطْتُ ﴿لَهُ﴾ في العَيْشِ والعُمُرِ والوَلَدِ ﴿تَمْهِيدًا﴾.
[١٥] ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾. [١٦] ﴿كَلَّا﴾ لا أَزِيدُه عَلى ذَلِكَ ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿عَنِيدًا﴾: مُعَانِدًا. [١٧] ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾: أُكَلِّفُه ﴿صَعُودًا﴾: مَشَقَّةً مِنَ العَذَابِ، أَوْ جَبَلًا مِنْ نَارٍ، يَصعَدُ فيه ثُمَّ يَهوِي أَبَدًا(3). [١٨] ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ فِيمَا يَقُولُ في القُرآنِ الذِي سَمِعَه مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نَفسِه ذَلِكَ. [١٩] ﴿فَقُتِلَ﴾: لُعِنَ وَعُذِّبَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾: على أي حَالٍ كان تَقدِيره؟ [٢٠] ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾. [٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وُجُوهِ قَومِه، أو فِيمَا يَقدَحُ به فِيه. [٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قَبَضَ وَجْهَهُ وكَلَّحه؛ ضِيقًا بِمَا يَقُولُ ﴿وَبَسَرَ﴾: زَادَ في القَبْضِ والكُلُوحِ. [٢٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عَنِ الإِيمَانِ ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: تَكَبَّرَ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ.
[٢٤] ﴿فَقَالَ﴾ فِيمَا جَاءَ به: ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يُنقَلُ عَنِ السَّحَرَةِ.
[٢٥] ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ كَمَا قَالُوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾(4).
[٢٦] ﴿سَأُصْلِيهِ﴾: أُدْخِلُه ﴿سَقَرَ﴾: جَهَنَّمَ. [٢٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾؟ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِها.
[٢٨] ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ شَيئًا مِنْ لَحمٍ ولَا عَصَبٍ إِلَّا أَهْلَكَتْه، ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ.
[٢٩] ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾: مُحْرِقَةٌ لِظَاهِرِ الجِلْدِ.
[٣٠] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ مَلَكًا، خَزَنَتُها. قَالَ بَعْضُ الكُفَّارِ - وكَانَ قَوِيًّا شَدِيدَ البَأْسِ -: «أَنَا أَكْفِيكُم سَبْعَةَ عَشَرَ، واكْفُونِي أَنْتُم اثنَينِ»(5). قَالَ تَعَالَى:
[٣١] ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: فَلَا يُطَاقُونَ كَمَا يَتَوَهَّمُونَ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ ذَلِكَ ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾: ضَلَالًا ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِأَنْ يَقُولُوا: لِمَ كَانُوا تِسْعَةَ عَشَرَ؟ ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾: لِيَسْتَبِينَ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليَهُودُ صِدْقَ النَّبِيِّ ﷺ في كَونِهم تِسْعَةَ عَشَرَ، المُوَافِقِ لِمَا في كِتَابِهم ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ ﴿إِيمَانًا﴾: تَصْدِيقًا؛ لِمُوافَقَتِه مَا أَتَى بِه النَّبِيُّ ﷺ لِمَا في كِتَابِهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ مِنْ غَيرِهم، في عَدَدِ المَلَائِكَةِ ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شَكٌّ بِالمَدِينَةِ(6) ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بِمَكَّةَ: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العَدَدِ ﴿مَثَلًا﴾؟ سَمَّوْهُ لِغَرَابَتِهِ بذَلِكَ، وأُعرِبَ حَالًا. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ إِضْلَالِ مُنْكِرِ هَذَا العَدَدِ، وهُدَى مُصَدِّقِه ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أي: المَلَائِكَةَ؛ في قُوَّتِهم وأَعْوَانِهم ﴿إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ﴾ أي: سَقَرُ ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾: [عِظَةٌ](7) ﴿لِلْبَشَرِ﴾.
[٣٢] ﴿كَلَّا﴾: استِفتَاحٌ بِمَعنَى: أَلَا ﴿وَالْقَمَرِ﴾. [٣٣] ﴿وَاللَّيْلِ [إِذَا]﴾ بِفَتْحِ الذَّالِ ﴿[دَبَرَ](8)﴾: جَاءَ بَعْدَ النَّهَارِ. وفي قِرَاءَةٍ: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ بِسُكُونِ الذَّالِ بَعْدَها هَمْزَةٌ؛ أي: مَضَى.
[٣٤] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾: ظَهَرَ. [٣٥] ﴿إِنَّهَا﴾ أي: سَقَرَ ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾: البَلَايَا العِظَامِ. [٣٦] ﴿نَذِيرًا﴾: حَالٌ مِنْ «إِحْدَى»(9)، وذُكِّرَ لِأَنَّها(10) بِمَعنَى العَذَابِ ﴿لِّلْبَشَرِ﴾.
[٣٧] ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ﴾: بَدَلٌ مِنَ «البَشَرِ»(11) ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إِلى الخَيرِ، أَوِ الجَنَّةِ، بِالإِيمَانِ ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ إِلى الشَّرِّ، أَوِ النَّارِ، بِالكُفرِ.
[٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مَرْهُونَةٌ مَأْخُوذَةٌ بِعَمَلِها في النَّارِ. [٣٩] ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهُمُ المُؤمِنُونَ، فنَاجُونَ منها، كَائِنُونَ: [٤٠] ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ بَينَهم.
[٤١] ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وحَالِهم. ويَقُولُونَ لهم بَعْدَ إِخْرَاجِ المُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ: [٤٢] ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾: مَا أَدْخَلَكُم ﴿فِي سَقَرَ﴾؟ [٤٣] ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾.
[٤٤] ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾. [٤٥] ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في البَاطِلِ ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ﴾. [٤٦] ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: البَعْثِ والجَزَاءِ. [٤٧] ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾: المَوْتُ.

---

(١) رَوَاهُ الحَاكِمُ (٣٨٧٢)، والطَّبَرِيُّ (٢٣/ ٤٢١) عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَنْزَلَ اللهُ فِي الوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ قَوْلَهُ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾. وقَالَ الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ البُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وتَعَقَّبَه الذَّهَبِيُّ بِقَولِه: «عَلَى شَرْطِ البُخَارِيِّ». وهو في صَحِيحِ السِّيرَةِ لِلأَلبَانِيِّ (ص١٥٩). وفي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهو: الوَلِيدُ بنُ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ)؛ بِزِيَادَةِ الوَاوِ.
(٢) رَوَى الطَّبَرِيُّ (٢٣/ ٤٢٤) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَ بَنُوهُ عَشَرَةً. وذَكَرَهُ ابنُ الجوزيِّ في زَادِ المَسِيرِ (٤/ ٣٦٢) عنه، ورَوَى عَن ابنِ جُبَيرٍ أَنَّهم ثَلَاثَةَ عَشَرَ، وعَنِ الكَلْبِيِّ أَنَّهم اثنا عَشَرَ.
(٣) رَوَاهُ بِهذا اللَّفظِ الطبرانيُّ في الأَوسطِ (٥٥٧٣) عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرفوعًا، ورَوَاهُ التِّرمِذِيُّ (٢٥٧٦، ٣٣٢٦) بِنَحوِه عَنِ ابنِ لَهِيعَةَ، عَنْ دَرَّاجٍ، عَنْ أَبِي الهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، مَرفُوعًا، وقَالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابنِ لَهِيعَةَ». وضَعَّفَهُ الأَلبَانِيُّ في ضَعِيفِ التَّرغِيبِ والتَّرهِيبِ (٢١٣٧).
(٤) النَّحل: ١٠٣.
(٥) قَالَه مُقَاتِلٌ (٤/ ٤٩٧)، وذَكَرَهُ البَغَوِيُّ (٨/ ٢٧٠)، وغَيرُه، عَن رَجُلٍ يُقَالُ له: أَبُو الأَشُدَّين [لِأَنَّه بَلَغَ مِنَ العُمُرِ أَشُدَّين. وعِندَ البَغَوِيِّ: الأَشَدُّ] بْنُ أُسَيْدِ بنِ كَلَدَةَ الجُمَحِيُّ. ولَم نَقِفْ عَلَى سَنَدِه.
(٦) أي: المُنَافِقِينَ، وهَذَا يُخَالِفُ نَصَّ المَحَلِّيِّ أَنَّ السُّورَةَ كُلَّها مَكِّيَّةٌ، إِلَّا أَن يَكُونَ ذَلِكَ من بَابِ الإِخبَارِ بِما سَيَكُونُ مِن نِفَاقٍ بَعدَ ذَلِكَ، مُعْجِزَةً بِالإِخبَارِ بِما يَقَعُ في المستقبَلِ، وهُوَ بَعِيدٌ. واللهُ أَعلَمُ.
(٧) كَلِمَةُ: (عِظَةٌ) لَيسَتْ في الأَصْلِ، وأَثبتنَاها من نُسْخَةِ قَبَاوَة.
(٨) وهي قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ وابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ بِسُكُونِ الذَّالِ بَعدَها هَمْزَةٌ.
(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: («إِحْدَى الكُبَرِ»).
(١٠) أي: وذُكِّر الحَالُ، وهو ﴿نَذِيرًا﴾؛ لِأَنَّها؛ أي: «إِحْدَى الكُبَرِ» بِمَعنَى العَذَابِ.
(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (﴿لِلْبَشَرِ﴾).

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ — ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ
ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟
ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾
وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

نصف الحزب ٥٨

[٤٨] ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ مِنَ المَلَائِكَةِ والأَنبِيَاءِ والصَّالِحِينَ. والمَعنَى: لَا شَفَاعَةَ لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا﴾: مُبْتَدأٌ ﴿لَهُمْ﴾: خَبَرُه، مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ انتَقَلَ ضَمِيرُه إِلَيه(١) ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؟ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ، والمَعنَى: أَيُّ شَيءٍ حَصَلَ لَهُم، فِي إِعْرَاضِهم عَنِ الاتِّعَاظِ؟

[٥٠] ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾: وَحْشِيَّةٌ.

[٥١] ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾: أَسَدٍ؛ أي: هَرَبَتْ منه أَشَدَّ الهَرَبِ؟

[٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: مِنَ اللهِ -تَعَالَى- بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ؛ كَمَا قَالُوا: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾(٢).

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ عَمَّا أَرَادُوه ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: عَذَابَها.

[٥٤] ﴿كَلَّآ﴾: استِفْتَاحٌ ﴿إِنَّهُۥ﴾ أَيِ: القُرآنَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظَةٌ.

[٥٥] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: قَرَأَهُ فاتَّعَظَ به.

[٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ - بِاليَاءِ والتَّاءِ(٣)- ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بِأَنْ يُتَّقَى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بِأَنْ يَغْفِرَ لِمَنِ اتَّقَاهُ.

سُورَةُ القِيَامَةِ

مَكِّيَّةٌ، أَرْبَعُونَ(٤) آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿لَآ﴾ - زَائِدَةٌ فِي المَوضِعَينِ- ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

[٢] ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: التِي تَلُومُ نَفْسَها، وإِنِ اجْتَهَدَتْ فِي الإِحْسَانِ. وجَوَابُ القَسَمِ مَحْذُوفٌ؛ أي: لَتُبْعَثُنَّ. دَلَّ عَلَيه: [٣] ﴿[أَيَحْسِبُ](٥) ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أَيِ: الكَافِرُ ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ لِلبَعْثِ والإِحْيَاءِ؟ [٤] ﴿بَلَىٰ﴾ نَجْمَعُها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ مَعَ جَمْعِها ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ - وهُوَ: الأَصَابِعُ- أي: نُعِيدَ عِظَامَها كَمَا كَانَتْ مَعَ صِغَرِها. فَكَيفَ بِالكَبِيرَةِ؟

[٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ﴾ -اللَّامُ: زَائِدَةٌ. ونَصْبُه بِـ«أَنْ» مُقَدَّرَةٌ- أي: أَنْ يُكَذِّبَ ﴿أَمَامَهُۥ﴾ أي: يَومَ القِيَامَةِ. دَلَّ عَليه: [٦] ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾: مَتَى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟ سُؤَالَ استِهْزَاءٍ وتَكْذِيبٍ.

[٧] ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ - بِكَسْرِ الرَّاءِ وفَتْحِها(٦)-: دَهِشَ وتَحَيَّرَ، لِمَا رَأَى، مِمَّا كَانَ يُكَذِّبُ به.

[٨] ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾: أَظْلَمَ وذَهَبَ ضَوءُهُ.

[٩] ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ فطَلَعَا مِنَ المَغرِبِ، أو ذَهَبَ ضَوءُهُما- وذَلِكَ فِي يومِ القِيَامَةِ-.

[١٠] ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾: الفِرَارُ؟

[١١] ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ عَنْ طَلَبِ الفِرَارِ ﴿لَا وَزَرَ﴾: لَا مَلْجَأَ يُتَحَصَّنُ به.

[١٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾: مُسْتَقَرُّ الخَلَائِقِ؛ فَيُحَاسَبُونَ ويُجَازُونَ.

[١٣] ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: بِأَوَّلِ عَمَلِه وآخِرِه.

[١٤] ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾: شَاهِدٌ؛ تَنطِقُ جَوارِحُه بِعَمَلِه- والهَاءُ: لِلمُبَالَغَةِ- فَلَا بُدَّ مِنْ جَزَائِه.

[١٥] ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: جَمْعُ «مَعْذِرَة»، عَلَى غَيرِ قِيَاسٍ؛ أي: لَو جَاءَ بِكُلِّ مَعْذِرَةٍ مَا قُبِلَتْ مِنهُ.

[١٦] قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾: بِالقُرآنِ قَبْلَ فَرَاغِ جِبْرِيلَ منه ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ خَوفَ أَنْ يَنفَلِتَ مِنكَ.

[١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ فِي صَدْرِكَ ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: قِرَاءَتَك إِيَّاه؛ أي: جَرَيَانَه عَلَى لِسَانِكَ.

[١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ عليكَ بِقِرَاءَةِ جِبْرِيلَ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: استَمِعْ قِرَاءَتَه. فَكَانَ ﷺ يَستَمِعُ ثُمَّ يَقْرَؤُه.

[١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بِالتَّفْهِيمِ لَكَ. والمُنَاسَبَةُ بَينَ هَذِهِ الآيَةِ ومَا قَبْلَها: أَنَّ تِلكَ تَضَمَّنَتِ الإِعرَاضَ عَنْ آيَاتِ الله، وهَذه تَضَمَّنَتِ المُبَادَرَةَ إِلَيها بِحِفْظِها[*].

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ: (١٦-١٩): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَولِه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ الله الآيَةَ الَّتِي فِي ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قَالَ: عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ، قَالَ: فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢) سورة القيامة (٧٦). وأخرجه مسلمٌ-كتاب الصلاة (٤) باب (٣٢) الإِسْتِمَاعِ لِلْقِرَاءَةِ.

---

(١) لِأَنَّ القَاعِدَةَ: أَنَّ الجَارَّ والمَجْرُورَ إِذَا وَقَعَ خَبَرًا؛ حُذِفَ مُتَعَلَّقُه وُجُوبًا، وانتَقَلَ ضَمِيرُه إِليه.

(٢) الإِسراء: ٩٣.

(٣) بِالتَّاءِ: قِرَاءَةُ نافع.

(٤) فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهِيَ أَربَعُونَ).

(٥) ﴿أَيَحْسِبُ﴾؛ بِكَسْرِ السِّينِ: قِرَاءَةُ: ابن كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو ونَافِعٍ والكِسَائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿أَيَحْسَبُ﴾؛ بِفَتْحِها.

(٦) بِالفَتْحِ: قِرَاءَةُ نافع.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ
﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا
فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ
﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا
صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ
﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ
أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ
وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَان — ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا
هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟
وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

[٢٠] ﴿كَلَّا﴾: استِفْتَاحٌ بِمَعنَى: أَلَا ﴿بَلْ [يُحِبُّونَ] ٱلْعَاجِلَةَ﴾: الدُّنيا -بالياءِ والتَّاءِ في الفِعْلَينِ[1]-.

[٢١] ﴿[وَيَذَرُونَ] ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فلَا يَعْمَلُونَ لها.

[٢٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في يومِ القِيامَةِ ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: حَسَنَةٌ مُضِيئَةٌ.

[٢٣] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: يَرونَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآخِرَةِ.

[٢٤] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: كَالِحَةٌ شَدِيدَةُ العُبُوسِ.

[٢٥] ﴿تَظُنُّ﴾: تُوقِنُ ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: دَاهِيَةٌ عَظِيمَةٌ، تَكسِرُ فَقَارَ الظَّهْرِ.

[٢٦] ﴿كَلَّآ﴾ بِمَعنَى: أَلَا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النَّفْسُ ﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾: عِظَامَ الحَلْقِ.

[٢٧] ﴿وَقِيلَ﴾: قَالَ مَنْ حولَهُ: ﴿مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ يَرْقِيهِ لِيُشْفَى؟

[٢٨] ﴿وَظَنَّ﴾: أيقَنَ مَنْ بَلَغَتْ نَفْسُه ذَلِكَ ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾: فِرَاقُ الدُّنيا.

[٢٩] ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: إِحْدَى سَاقَيهِ بِالأُخْرَى عِنْدَ المَوتِ، أَوِ التَفَّتْ شِدَّةُ فِراقِ الدُّنيا بِشِدَّةِ إِقْبَالِ الآخِرَةِ.

[٣٠] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ أَيِ: السَّوْقُ. وهَذَا يَدُلُّ على العَامِلِ في ﴿إِذَا﴾. والمَعَنى: إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ الحُلقُومَ تُسَاقُ إِلى حُكْمِ رَبِّها.

[٣١] ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الإِنسَانُ ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي: لَمْ يُصَدِّقْ ولَمْ يُصِلّ.

[٣٢] ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بِالقُرآنِ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عَنِ الإِيمَانِ.

[٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾: يَتَبَخْتَرُ في مِشْيَتِه إِعْجَابًا.

[٣٤] ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ - فِيهِ التِفَاتٌ عَنِ الغَيبَةِ. والكَلِمَةُ اسمُ فِعْلٍ، واللَّام لِلتَّبيِينِ- أَي: وَلِيَكَ ما تَكْرَهُ! ﴿فَأَوْلَىٰ﴾ أي: فَهُو أَولَى بِكَ مِنْ غَيرِكَ. [٣٥] ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ تَأْكِيدٌ!

[٣٦] ﴿[أَيَحْسِبُ]﴾[2]: يَظُنُّ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: هَمَلًا، لا يُكَلَّفُ بِالشَّرَائِعِ؟ أَي: لَا يَحسِبْ ذَلِكَ.

[٣٧] ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ أَي: كَانَ ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ[3]-: تُصَبُّ في الرَّحِمِ؟

[٣٨] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ المَنِيُّ ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ اللهُ منها الإِنْسَانَ ﴿فَسَوَّىٰ﴾: عَدَّلَ أَعْضَاءَه؟

[٣٩] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ مِنَ المَنِيِّ الذِي صَارَ عَلَقَةً، أي: قِطْعَةَ دَمٍ ثُمَّ مُضغَةً؛ أي: قِطْعَةَ لَحمٍ ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾: النَّوعَينِ ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾: يَجْتَمِعَانِ تَارَةً، ويَنفَرِدُ كُلٌّ مِنهُما عَنِ الآخَرِ تَارَةً؟

[٤٠] ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الفَعَّالُ لِهَذِه الأَشْياءِ ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ قَالَ ﷺ: «بَلَى»[4].

سُورَةُ الإِنسَانِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، إِحْدَى وثَلَاثُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ﴾: قَدْ[5] ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدَمَ ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أَربَعُونَ سَنَةً[6] ﴿لَمْ يَكُن﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾؟ كَانَ فيه مُصَوَّرًا مِن طِينٍ لا يُذْكَرُ. أَوِ المُرادُ بِالإِنسَانِ الجِنسُ، وبِالحِينِ: مُدَّةُ الحَمْلِ.

[٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجِنسَ ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾: أَخْلَاطٍ؛ أَي: مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ ومَاءِ المَرْأَةِ، المُختَلِطَينِ المُمْتَزِجَينِ ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: نَخْتَبِرُه بِالتَّكلِيفِ -والجُملَةُ مُستَأنَفَةٌ، أو حَالٌ مُقَدَّرَةٌ- أي: مُرِيدِينَ ابْتِلاءَه حِينَ تَأَهُّلِه ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ بِسَبَبِ ذَلِكَ ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾. [٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: بَيَّنَّا له طَرِيقَ الهُدَى، بِبَعْثِ الرُّسُلِ ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي: مُؤْمِنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾: حَالَانِ مِنَ المَفْعُولِ؛ أي: بَيَّنَّا له في حَالِ شُكرِه أو كُفْرِه، المُقَدَّرَةِ. و«إِمَّا»: لِتَفصِيلِ الأَحْوالِ. [٤] ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾: هَيَّأْنَا ﴿لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ يُسْحَبُونَ بِها في النَّارِ ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ في أَعْنَاقِهِم، تُشَدُّ فيها السَّلَاسِلُ ﴿وَسَعِيرًا﴾: نَارًا مُسَعَّرَةً؛ أي: مُهَيَّجَةً، يُعَذَّبُونَ بها. [٥] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: جَمْعُ: «بَرٍّ» أو «بَارٍّ»- وهُمُ المُطِيعُونَ- ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ هُو إِنَاءُ شُرْبِ الخَمْرِ وهِي فيه- والمُرَادُ: مِنْ خَمْرٍ؛ تَسْمِيَةٌ لِلحَالِّ بِاسْمِ المَحَلِّ، و﴿مِن﴾ لِلتَّبْعِيضِ- ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: مَا تُمْزَجُ بِه ﴿كَافُورًا﴾.

---

(١) أي: ﴿يُحِبُّونَ﴾ و﴿يَذَرُونَ﴾، وهي قِراءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وأبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تُحِبُّونَ﴾ و﴿وَتَذَرُونَ﴾؛ بِالتَّاءِ.

(٢) بِكَسْرِ السِّينِ: قِرَاءَةُ نافِعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو والكِسَائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿أَيَحْسَبُ﴾؛ بِفَتْحِ السِّينِ.

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (بِالتَّاءِ والياءِ)؛ بِتَقدِيمِ قِرَاءَةِ التَّاءِ. وقِرَاءَةُ التَّاءِ؛ ﴿تُمْنَىٰ﴾: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا حَفْصٍ.

(٤) أخرَجَ أبو دَاودَ (٧٥٣)، وأحمدُ (٧٠٨٦)، والحَاكِمُ (٣٨٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قَالَ: «بَلَى». وقَالَ الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». ووافَقَه الذَّهَبِيُّ. وضَعَّفَهُ الأَلبَانِيُّ في ضَعِيفِ أبِي دَاودَ (١٥٦). لَكِن يَشْهَدُ له مارَوَاهُ أبو داودَ (٧٥٠) عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ قَالَ: «سُبْحَانَكَ فَبَلَى» فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ». وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ أبِي داودَ (٧٨٦)، وفي تَمَامِ المِنَّةِ (ص١٨٦).

(٥) أي: فلَيسَتْ ﴿هَلْ﴾ لِلاستِفهَامِ. وقِيلَ: إِنَّها لِلاستِفهَامِ التَّقرِيرِيِّ. والمَقصُودُ إِلزَامُ الخَصْمِ المُنكِرِ لِلبَعْثِ؛ لِأَنَّ القَادِرَ عَلى إِيجَادِ الإِنسَانِ مِنْ عَدَمٍ قَادِرٌ عَلى إِعَادَتِه.

(٦) قيلَ: مَرَّتْ عليه أربَعُون سَنَةً، وكَانَ مُصَوَّرًا مِن طِينٍ لم يُنفَخْ فيه الرُّوحُ. وهَذَا قَولُ الجُمهُورِ، كَما حَكَاه ابنُ الجَوزِيِّ في زادِ المَسِيرِ (٤/ ٣٧٤)، ولَم يَعزُه لِأحَدٍ، وذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ (٢٣/ ٥٣٠) دُون عَزوِهِ لِأَحَدٍ. وعَزاه في تَفسِيرِ أبي السُّعُودِ (٩/ ٧٠) بِدُونِ سَنَدٍ، لابنِ عَبَّاسٍ، مِن رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ عنْهُ، قَالَ: «مَرَّتْ به أربعُونَ سَنَةً قَبلَ أَنْ يُنفَخَ فيه الرُّوحُ، وهُو مُلْقًى بَينَ مَكَّةَ والطَّائِفِ...».

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾
مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (الحزب ٥٨)
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

[٦] ﴿عَيْنًا﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿كَافُورًا﴾ فيها رَائِحَتُه ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: مِنها ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾: أَوْلِيَاؤُه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: يَقُودُونَها حَيثُ شَاءُوا، مِنْ مَنَازِلِهم.

[٧] ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ في طَاعَةِ اللهِ ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾: مُنْتَشِرًا.

[٨] ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: الطَّعَامِ[1] وشَهْوَتِهم له ﴿مِسْكِينًا﴾: فَقِيرًا ﴿وَيَتِيمًا﴾: لَا أَبَ لَهُ ﴿وَأَسِيرًا﴾ يَعنِي: المَحْبُوسَ بِحَقٍّ.

[٩] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾: لِطَلَبِ ثَوَابِه[2] ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾: شُكْرًا. فيه عِلَّةُ الإِطْعَامِ. وهَلْ تَكَلَّمُوا بِذَلِكَ، أَوْ عَلِمَه اللهُ منهُم، فَأَثْنَى عَليهم به؟ قَوْلَانِ.

[١٠] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تَكْلَحُ الوُجُوهُ فيه؛ أي: كَرِيهَ المَنْظَرِ لِشِدَّتِه ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شَدِيدًا في ذَلِكَ.

[١١] ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ﴾: أَعْطَاهُم ﴿نَضْرَةً﴾: حُسْنًا، وإِضَاءَةً في وُجُوهِهِم ﴿وَسُرُورًا﴾.

[١٢] ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾: بِصَبْرِهِم عَنِ المَعْصِيَةِ ﴿جَنَّةً﴾ أُدْخِلُوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ أُلْبِسُوه.

[١٣] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: حَالٌ مِنْ مَرْفُوعِ «أُدْخِلُوهَا» المُقَدَّرِ ﴿فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرُرِ في الحِجَالِ[3] ﴿لَا يَرَوْنَ﴾: لَا يَجِدُونَ: حَالٌ ثَانِيَةٌ ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: لَا حَرًّا ولَا بَرْدًا. وقِيلَ: الزَّمْهَرِيرُ: القَمَرُ، فهِي مُضِيئَةٌ مِنْ غَيرِ شَمْسٍ ولَا قَمَرٍ.

[١٤] ﴿وَدَانِيَةً﴾: قَرِيبَةً، عَطْفٌ على مَحَلِّ ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ أي: غَيرَ رَائِينَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: مِنْهُم ﴿ظِلَٰلُهَا﴾: شَجَرُها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: أُدْنِيَتْ ثِمَارُها؛ فَيَنَالُها القَائِمُ والقَاعِدُ والمُضْطَجِعُ.

[١٥] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ فيها ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أَقْدَاحٍ بِلَا عُرًى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾[4].

[١٦] ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: أَنَّها مِنْ فِضَّةٍ، يُرَى بَاطِنُها مِنْ ظَاهِرِهَا كَالزُّجَاجِ ﴿قَدَّرُوهَا﴾؛ أَيِ: الطَّائِفُونَ ﴿تَقْدِيرًا﴾ على قَدْرِ رِيِّ الشَّارِبِينَ، مِنْ غَيرِ زِيَادَةٍ ولَا نَقْصٍ -وذَلِكَ أَلَذُّ الشَّرَابِ-.

[١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾: خَمْرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: مَا تُمْزَجُ به ﴿زَنجَبِيلًا﴾.

[١٨] ﴿عَيْنًا﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿زَنجَبِيلًا﴾ ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ يَعنِي أَنَّ مَاءَها كَالزَّنْجَبِيلِ، الذِي تَسْتَلِذُّ به العَرَبُ، سَهْلُ المَسَاغِ في الحَلْقِ.

[١٩] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: بِصِفَةِ الوِلْدَانِ، لا يَشِيبُونَ ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لِحُسْنِهِم، وانتِشَارِهِم في الخِدْمَةِ ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ مِنْ سِلْكِه، أَوْ مِنْ صَدَفِه، وهُو أَحْسَنُ منه في غَيرِ ذَلِكَ[5].

[٢٠] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: وُجِدَتِ الرُّؤْيَةُ مِنكُ في الجَنَّةِ ﴿رَأَيْتَ﴾: جَوَابُ «إِذَا» ﴿نَعِيمًا﴾ لَا يُوصَفُ ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: وَاسِعًا لَا غَايَةَ له.

[٢١] ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾: فَوقَهُم، فَنَصْبُه على الظَّرْفِيَّةِ، وهو خَبَرُ المُبْتَدَأِ بَعْدَه. وفي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِ اليَاءِ[6]: مُبْتَدَأٌ، ومَا بَعْدَهُ: خَبَرُه، والضَّمِيرُ المُتَّصِلُ به [لِلْمَطُوفِ][7] عليهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: حَرِيرٍ ﴿خُضْرٌ﴾ بالرَّفْعِ ﴿[وَإِسْتَبْرَقٌ]﴾ بِالجَرِّ[8]: مَا غَلُظَ مِنَ الدِّيبَاجِ؛ فهُو البَطَائِنُ، والسُّنْدُسُ: الظَّهَائِرُ. وفي قِرَاءَةٍ: عَكْسُ مَا ذُكِرَ فيهما[9]، وفي أُخْرَى: بِرَفْعِهِما[10]، وفي أُخْرَى[11]: بِجَرِّهِما[12] ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ - وفي مَوضِعٍ آخَرَ[13]: ﴿مِن ذَهَبٍ﴾[14]؛ لِلإِيذَانِ بِأَنَّهم يُحَلَّوْنَ مِنَ النَّوْعَينِ مَعًا ومُفَرَّقًا- ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ مُبَالَغَةٌ في طَهَارَتِه ونَظَافَتِه، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنيا. [٢٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النَّعِيمَ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

[٢٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ - تَأْكِيدٌ لاسْمِ «إِنَّ»[15]، أَوْ فَصْلٌ - ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾: خَبَرُ «إِنَّ»؛ أي: فَصَّلْنَاهُ ولَمْ نُنْزِلْهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

[٢٤] ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عَلَيكَ بِتَبْلِيغِ رِسَالَتِه ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: الكُفَّارِ ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، والوَلِيدَ بنَ المُغِيرَةِ؛ قَالَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: ارْجِعْ عَنْ هَذَا الأَمْرِ[16]. ويَجُوزُ أَنْ يُرَادَ كُلُّ آثِمٍ وكَافِرٍ؛ أي: لَا تُطِعْ أَحَدَهُما أَيًّا كَانَ، فِيما دَعَاكَ إِليه مِنْ إِثْمٍ أو كُفْرٍ.

[٢٥] ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصَّلَاةِ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يَعنِي الفَجْرَ والظُّهْرَ والعَصْرَ.

---

(١) عِبَارَةُ: (أي: الطَّعَامِ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٢) وهَذَا لا يُنَافِي إِثْبَاتَ صِفَةِ الوَجْهِ لله تَعَالَى عَلَى الحَقِيقَةِ، على الوَجْهِ اللائِقِ بِه، وقَدْ أَفَاضَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في الرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ لَفْظَ الوَجْهِ مَجَازٌ، وبَيَّنَ بُطْلَانَ هَذَا القَولِ مِنْ سِتَّةٍ وعِشْرِينَ وَجْهًا في الصَّوَاعِقِ المُرْسَلَةِ. وانظُرِ التَّعْلِيقَ عَلَى الآيَةِ (٢٠) عِندَ تفسيرِ سُورةِ الليلِ.

(٣) وَاحِدُه: حَجَلَةٌ بِفَتْحَتَينِ، وهِي المُسَمَّاةُ بِالنَّامُوسِيَّةِ. حَاشِيَةُ الصَّاوِي (٦/ ٢١٢).

(٤) قَرَأَ نَافِعٌ والكِسَائِيُّ وشُعْبَةُ بِالتَّنْوِينِ في المَوضِعَينِ، وقَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ بِالتَّنوِينِ في الأَوَّلِ وبِغَيرِ التَّنوِينِ في الثَّاني، والبَاقُونَ بِغَيرِ تَنْوِينٍ فيهما، وكُلُّهم وَقَفَ عَلَى الأَوَّلِ بِأَلِفٍ، إِلَّا حَمْزَةَ فَوَقَفَ بِغَيرِ أَلِفٍ. ووَقَفَ نَافِعٌ والكِسَائِيُّ وشُعْبَةُ وهِشَامٌ على الثَّاني بِأَلِفٍ.

(٥) هَذا جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: مَا الحِكْمَةُ في تَشْبِيهِهِم بِاللُّؤْلُؤِ المَنْثُورِ دُونَ المَنْظُومِ؟ فَأَجَابَ بِذَلِكَ؛ أي: اللُّؤْلُؤُ المَنْثُورُ أَجْمَلُ في المَنْظَرِ مِنَ اللُّؤْلُؤِ المُنْتَظِمِ في سِلْكِه.

(٦) لِنَافِعٍ وحَمْزَةَ.

(٧) في الأَصلِ: (لِلْمَعْطُوفِ) والمُثْبَتُ مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٨) لأَبِي عَمْرٍو وابنِ عَامِرٍ.

(٩) أي: وهو جَرُّ ﴿خُضْرٍ﴾، ورَفْعُ ﴿إِسْتَبْرَقٌ﴾ وهِي قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وشُعْبَةَ.

(١٠) لِنَافِعٍ وحَفْصٍ.

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وأُخرَى)، بِدُونِ: (في).

(١٢) لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ. وحَاصِلُ ما ذَكَرَ المُصَنِّفُ مِنَ القِرَاءَاتِ أَرْبَعٌ وكُلُّها سَبْعِيَّةٌ؛ رَفْعُ ﴿خُضْرٌ﴾، و﴿إِسْتَبْرَقٌ﴾، وجَرُّهما، ورَفْعُ الأَوَّلِ وجَرُّ الثَّاني، وعَكْسُه.

(١٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وفي مَوَاضِعَ أُخرَى).

(١٤) كَمَا في قَولِه تَعَالَى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: ٣٣].

(١٥) اسم «إِنَّ» هو الضَّمِيرُ المُتَّصِلُ؛ ضَمِيرُ العَظَمَةِ في: «نَا»، في مَحَلِّ نَصْبٍ.

(١٦) قَالَه مُقَاتِلٌ في تَفْسِيرِه (٤/ ٥٣٣).

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ
وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ
هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٦] ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ يَعني: المَغرِبَ والعِشَاءَ ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾: صَلِّ التَّطَوُّعَ فيه؛ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ ثُلُثَيْهِ أَو نِصْفِهِ أَو ثُلُثِه.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ الدُّنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾: شَدِيدًا؛ أَي: يومَ القِيامَةِ لا يَعْمَلُونَ له.

[٢٨] ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ﴾: قَوَّينا ﴿أَسۡرَهُمۡ﴾: أَعْضَاءَهُم ومَفَاصِلَهم ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ﴾: جَعَلْنَا ﴿أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ في الخِلْقَةِ بَدَلًا منهم، بِأَنْ نُهلِكَهُم ﴿تَبۡدِيلًا﴾: تَأْكِيدٌ. وَوَقَعَتْ «إِذَا» مَوقِعَ «إِنْ» نَحوَ: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾[1]؛ لِأَنَّه -تَعَالَى- لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ، و«إِذَا»: لِمَا يَقَعُ.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السُّورَةَ ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾: عِظَةٌ لِلخَلْقِ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾: طَرِيقًا بِالطَّاعَةِ.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ - بِالتَّاءِ واليَاءِ[2]- اتِّخاذَ السَّبِيلِ بِالطَّاعَةِ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذَلِكَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِه ﴿حَكِيمٗا﴾ في فِعْلِه.

[٣١] ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾: جَنَّتِه[3]، وهُمُ المُؤمِنُونَ ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نَاصِبُه فِعْلٌ مُقَدَّرٌ؛ أَي: «أَوْعَدَ»، يُفَسِّرُه: ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾: مُؤلِمًا. وهُمُ الكَافِرُونَ.

سُورَةُ المُرسَلات

مَكِّيَّةٌ، خَمْسُونَ آيَةً[*]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ أَي: الرِّيَاحِ مُتَتَابِعَةً؛ كَعُرْفِ الفَرَسِ[4]، يَتْلُو بَعْضُه بَعْضًا- ونَصْبُه على الحَالِ-.

[٢] ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾: الرِّيَاحِ الشَّدِيدَةِ.

[٣] ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾: الرِّيَاحِ تَنْشُرُ المَطَرَ.

[٤] ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾ أَي: آيَاتِ القُرآنِ، تَفْرُقُ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، والحَلَالِ والحَرَامِ.

[٥] ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ أَي: المَلَائِكَةِ تَنْزِلُ بِالوَحْيِ إِلى الأَنبِيَاءِ، والرُّسُلِ يُلقُونَ الوَحْيَ إِلى الأُمَمِ.

[٦] ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ أَي: لِلإِعْذَارِ والإِنْذَارِ مِنَ الله تَعَالَى- وفي قِرَاءَةٍ[5]: بِضَمِّ ذَالِ «نُذُرًا»، وقُرِئَ[6]: بِضَمِّ ذَالِ «عُذُرًا»-.

[٧] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أَي: كُفَّارَ مَكَّةَ؛ مِنَ البَعْثِ والعَذَابِ ﴿لَوَٰقِعٞ﴾: كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

[٨] ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾: مُحِيَ نُورُها.

[٩] ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾: شُقَّتْ.

[١٠] ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾: فُتِّتَتْ وَسُيِّرَتْ.

[١١] ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ [وُقِّتَتۡ]﴾ بِالوَاوِ، وبِالهَمْزَةِ[7] بَدَلًا منها: أَي: جُمِعَتْ لِوَقْتٍ.

[١٢] ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ﴾: لِيَومٍ عَظِيمٍ ﴿أُجِّلَتۡ﴾ لِلشَّهَادَةِ على أُمَمِهِم بِالتَّبْلِيغِ!

[١٣] ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾ بَيْنَ الخَلْقِ؟ ويُؤخَذُ منه جَوَابُ: «إِذَا»؛ أَي: وَقَعَ الفَصْلُ بَيْنَ الخَلَائِقِ.

[١٤] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾؟ تَهوِيلٌ لِشَأْنِه!

[١٥] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ هَذا وَعِيدٌ لَهم.

[١٦] ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ بِتَكْذِيبِهم؟ أَي: أَهْلَكْنَاهُم.

[١٧] ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ مِمَّنْ كَذَّبُوا؛ كَكُفَّارِ مَكَّةَ؛ فَنُهْلِكُهُم.

[١٨] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِثْلَ مَا فَعَلْنَا بِالمُكَذِّبِينَ ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: بِكُلِّ مَنْ أَجْرَمَ، فِيمَا يُسْتَقبَلُ؛ فَنُهْلِكُهُم. [١٩] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: تَأْكِيدٌ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسعُودٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارٍ، إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾ فَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا وَإِنِّي لَأَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ، وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا، إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقْتُلُوهَا» فَابْتَدَرْنَاهَا فَذَهَبَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة المرسلات (٧٧) باب (٤) - مسلم-كتاب السلام (٣٩) - بَابُ قَتْلِ الحَيَّاتِ وَغَيْرِهَا (٣٧).

---

(١) فاطر: ١٦.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِاليَاءِ والتَّاءِ) بِتَقْدِيمِ قِرَاءَةِ اليَاءِ، وهِيَ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ.

(٣) الجَنَّةُ مِنْ آثَارِ رَحمَةِ الله عَزَّوَجَلَّ، ولَيسَتْ هِيَ، وفي الآيَةِ إِثبَاتُ صِفَةِ الرَّحمَةِ لله عَزَّوَجَلَّ، فَنُثْبِتُها له -سُبْحَانَهُ- على الوَجهِ اللائِقِ بِه.

(٤) العُرْفُ، بِالضَّمِّ: شَعَرُ عُنُقِ الفَرَسِ. القاموس المحيط (ص٨٣٦).

(٥) لِنَافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وابنِ عَامِرٍ وشُعْبَةَ.

(٦) ظَاهِرُ كَلامِ المُصَنِّفِ أَنَّها قِرَاءَةٌ شَاذَّةٌ، وإِنَّمَا هي لِرَوحٍ مِنَ العَشَرَةِ الكُبْرَى.

(٧) بِالوَاوِ: قِرَاءَةُ أَبِي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿أُقِّتَتۡ﴾ بِالهَمْزَةِ.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

[٢٠] ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: ضَعِيفٍ، وهو المَنِيُّ.

[٢١] ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: حَرِيزٍ، وهو الرَّحِمُ.

[٢٢] ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وَقْتُ الوِلَادَةِ.

[٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ عَلى ذَلِكَ؟ ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ نَحنُ!

[٢٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٢٥] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾: مَصْدرُ: «كَفَتَ» بِمَعنَى: ضَمَّ؛ أي: ضَامَّةً.

[٢٦] ﴿أَحْيَآءً﴾ عَلى ظَهْرِها ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ في بَطْنِها.

[٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾: جِبالًا مُرْتَفِعاتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾: عَذْبًا؟

[٢٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ويُقَالُ لِلمُكَذِّبِينَ يومَ القِيامَةِ:

[٢٩] ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ﴾ مِنَ العَذَابِ ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

[٣٠] ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ هُو دُخَانُ جهَنَّمَ، إِذَا ارتَفَعَ افتَرَقَ ثَلَاثَ فِرَقٍ لِعَظَمَتِه.

[٣١] ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾: كَنِينٍ يُظِلُّهُم مِنْ حَرِّ ذَلِكَ اليومِ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾: يَرُدُّ عَنهم شَيئًا ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [لِلنَّارِ][1].

[٣٢] ﴿إِنَّهَا﴾ أَيِ: النَّارَ ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ هُو مَا تَطَايرَ منها ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ مِنَ البِنَاءِ، في عِظَمِه وارْتِفَاعِه.

[٣٣] ﴿كَأَنَّهُۥ [جِمَالَاتٌ][2]﴾: جَمعُ: «جِمَالَةٍ»، جَمعِ: «جَمَلٍ» – وفي قِرَاءَةٍ: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ – ﴿صُفْرٌ﴾ في هَيئَتِها ولَوْنِها. وفي الحَدِيثِ: «شِرَارُ النَّارِ أَسْوَدُ كَالقِيرِ»[3]. والعَرَبُ تُسَمِّي سُودَ الإِبِلِ: صُفْرًا؛ لِشَوْبِ سَوَادِها بِصُفْرَةٍ، فَقِيلَ: «صُفْر» في الآيَةِ بِمَعنَى: سُودٍ؛ لِمَا ذُكِرَ. وقِيلَ: لَا. و«الشَّرَرُ»: جَمعُ: «شَرَرَةٍ». و«الشِّرَارُ»: جَمعُ: «شَرَارَةٍ». والقِيرُ: القَارُ[4].

[٣٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٣٥] ﴿هَٰذَا﴾ أَي: يَومُ القِيامَةِ ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ فِيه بِشَيءٍ.

[٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العُذْرِ ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾: عَطْفٌ عَلى ﴿يُؤْذَنُ﴾، مِنْ غَيرِ تَسبُّبٍ عنه[5]، فهو دَاخِلٌ في حَيِّزِ النَّفْيِ؛ أَي: لَا إِذْنَ فَلا اعْتِذَارَ.

[٣٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٣٨] ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ﴾ – أَيُّها المُكَذِّبُونَ مِنْ هَذِه الأُمَّةِ – ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ المُكَذِّبِينَ قَبْلَكُم، فتُحَاسَبُونَ وتُعَذَّبُونَ جَمِيعًا.

[٣٩] ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حِيلَةٌ، فِي دَفْعِ العَذَابِ عَنكُم ﴿فَكِيدُونِ﴾: فَافْعَلُوهَا. [٤٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤١] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ﴾ أَي: تَكَاثُفِ أَشْجَارٍ، إِذْ لَا شَمْسَ يُظَلُّ مِنْ حَرِّها ﴿وَعُيُونٍ﴾ نَابِعَةٍ مِنَ المَاءِ.

[٤٢] ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ – فِيه إِعْلَامٌ بِأَنَّ المَأْكَلَ والمَشْرَبَ في الجَنَّةِ بِحَسَبِ شَهَوَاتِهِم، بِخِلَافِ الدُّنيا فَبِحَسَبِ مَا يَجِدُ النَّاسُ في الأَغْلَبِ – ويُقَالُ لَهُم:

[٤٣] ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾: حَالٌ؛ أَي: مُتَهَنِّئِينَ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الطَّاعَةِ[6].

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كَمَا جَزَيْنَا المُتَّقِينَ ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٤٦] ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ – خِطَابٌ لِلكُفَّارِ في الدُّنيا – ﴿قَلِيلًا﴾ مِنَ الزَّمَانِ، وغَايَتُه إِلى المَوتِ. وفي هَذَا تَهدِيدٌ لَهم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾.

[٤٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ﴾: صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا يُصَلُّونَ. [٤٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٥٠] ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ أَي: القُرآنِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟ أَي: لَا يُمْكِنُ إِيمَانُهم بِغَيرِه مِنْ كُتُبِ الله بَعْدَ تَكْذِيبِهِم بِه؛ لِاشْتِمَالِه عَلى الإِعْجَازِ الذِي لَم يَشْتَمِلْ عليه غَيرُه.

---

(١) في الأَصلِ: (النَّارِ)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة والقَاضِي؛ واللَّهَبُ: اضْطِرَامُ النَّارِ ومَا يَرتَفِعُ مِنْ اشْتِعَالِها.

(٢) وهِي قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾.

(٣) ذَكَرَهُ البَغَوِيُّ في تَفسِيرِه (٨/ ٣٠٧) دُونَ أَنْ يُحِيلَه إِلى أَحَدٍ، قَائِلًا: «لِأَنَّهُ جَاءَ فِي الحَدِيثِ إِنَّ شَرَرَ نَارِ جَهَنَّمَ أَسْوَدُ كَالقِيرِ». ولم أَقِفْ عليه بِهَذا اللَّفْظِ. ورَوَاهُ بِنَحوِه البَيهَقِيُّ في البَعْثِ والنُّشُورِ (٥٠١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «تَحْسَبُونَ أَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ مِثْلُ نَارِكُمْ هَذِهِ، هِيَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ القَارِ، هِيَ جُزْءٌ مِنْ بِضْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا مِنْهَا، أَوْ نَيِّفٌ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا». وصَحَّحه الأَلبَانِيُّ في صحيحِ الترغيبِ والترهيبِ (٣٦٧٠). وأَخرَجَه مالكٌ في (٢/ ٩٩٤) مَوقُوفًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: «أَتُرَوْنَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ، لَهِيَ أَسْوَدُ مِنَ القَارِ. وَالقَارُ: الزِّفْتُ». وصَحَّحَ الدارقُطنِيُّ الموقُوفَ في العِلَلِ (١٠/ ٨٣)، والأَلبَانِيُّ في الضَّعِيفَةِ (٣/ ٤٧٠)، وقَالَ: «ولكنَّه في حُكْمِ المَرفُوعِ».

(٤) وهُو الزِّفْتُ. كَمَا في حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ المُتَقَدِّمِ.

(٥) أَي: ليستِ الفَاءُ في ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ فَاءَ السَّبَبِيَّةِ؛ لِيُقَدَّرَ بعدَها: «أَنْ»، ويُنصَبَ بِها الفِعْلُ المُضَارِعُ؛ نَحو: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر:٣٦].

(٦) في نُسخة قباوة: (الطَّاعَاتِ).

سورة النبإ — ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ٣٠ الحزب ٥٩

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾
وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ
ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

[سُورَةُ النَّبَإِ](١)

مَكِّيَّةٌ، إِحْدَى وأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَمَّ﴾: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يَسْأَلُ بَعْضُ قُرَيْشٍ بَعْضًا؟

[٢] ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾: بَيَانٌ لِذَلِكَ الشَّيْءِ- والاسْتِفْهَامُ لِتَفْخِيمِه، وهُو مَا جَاءَ به النَّبِيُّ ﷺ مِنَ القُرآنِ، المُشْتَمِلِ عَلى البَعْثِ وغَيرِه-.

[٣] ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فَالمُؤمِنُونَ يُثْبِتُونَه، والكَافِرُون يُنْكِرُونَه؟

[٤] ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ مَا يَحُلُّ بِهم عَلى إِنكَارِهِم لَه.

[٥] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تَأْكِيدٌ، وَجِيءَ فيه بِـ﴿ثُمَّ﴾ لِلإِيذَانِ بِأَنَّ الوَعِيدَ الثَّانِي أَشَدُّ مِنَ الأَوَّلِ. ثُمَّ أَوْمَأَ -تَعَالَى- إِلى القُدْرَةِ عَلى البَعْثِ، فقَالَ: [٦] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾: فِرَاشًا كَالمَهْدِ.

[٧] ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تُثَبَّتُ بِها الأَرْضُ، كَما تُثَبَّتُ الخِيَامُ(٢) بِالأَوْتَادِ؟ والاستِفْهَامُ للتَّقْرِيرِ.

[٨] ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: ذُكُورًا وإِنَاثًا. [٩] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: رَاحَةً لِأَبْدَانِكُم.

[١٠] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: سَاتِرًا بِسَوَادِه. [١١] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾: وَقْتًا لِلمَعَايِشِ.

[١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾: سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴿شِدَادًا﴾: جَمْعُ: «شَدِيدَةٍ»؛ أَي: قَوِيَّةً مُحْكَمَةً، لَا يُؤَثِّرُ فيها مُرُورُ الزَّمَانِ.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ مُنِيرًا ﴿وَهَّاجًا﴾ وَقَّادًا- يَعْنِي: الشَّمْسَ-.

[١٤] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: السَّحَابَاتِ التِي حَانَ لَها أَنْ تُمْطِرَ؛ كَالمُعْصِرِ: الجَارِيَةِ التِي دَنَتْ مِنَ الحَيْضِ ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾: صَبَّابًا. [١٥] ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ كَالحِنْطَةِ ﴿وَنَبَاتًا﴾ كَالتِّبْنِ.

[١٦] ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: بَسَاتِينَ ﴿أَلْفَافًا﴾: مُلْتَفَّةً(٣)؛ جَمْع: «لَفِيفٍ»؛ كَـ«شَرِيفٍ» و«أَشْرَافٍ»؟

[١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ بَيْنَ الخَلَائِقِ ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾: وَقْتًا لِلثَّوابِ والعِقَابِ.

[١٨] ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: القَرْنِ، بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾، أَوْ بَيَانٌ له، والنَّافِخُ إِسْرَافِيلُ ﴿فَتَأْتُونَ﴾ مِنْ قُبُورِكُم إِلى المَوْقِفِ ﴿أَفْوَاجًا﴾: جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةً.

[١٩] ﴿وَ[فُتِّحَتِ] ٱلسَّمَآءُ﴾ – بِالتَّشْدِيدِ والتَّخْفِيفِ(٤)-: شُقِّقَتْ؛ لِنُزُولِ المَلَائِكَةِ ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾: ذَاتَ أَبْوَابٍ.

[٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾: ذُهِبَ بِها عَنْ أَمَاكِنِها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: هَبَاءً؛ أَي: مِثْلَه في خِفَّةِ سَيرِهَا.

[٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: رَاصِدَةً، أَو مُرْصَدَةً. [٢٢] ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾: الكَافِرِينَ فَلا يَتَجَاوَزُونَها ﴿مَـَٔابًا﴾: مَرْجِعًا لَهم، فَيَدْخُلُونَها.

[٢٣] ﴿لَّٰبِثِينَ﴾: حَالٌ مُقَدَّرَةٌ؛ أَي: مُقَدَّرًا لَبْثُهم ﴿فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: دُهُورًا لَا نِهَايَةَ لَها، جَمْعُ: «حُقْبٍ» بِضَمِّ أَوَّلِه.

[٢٤] ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾: نَوْمًا(٥)، فَإِنَّهم لَا يَذُوقُونَه(٦) ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: مَا يُشْرَبُ تَلَذُّذًا.

[٢٥] ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿حَمِيمًا﴾: مَاءً حَارًّا غَايَةَ الحَرَارَةِ ﴿[وَغَسَاقًا]﴾ – بِالتَّخْفِيفِ والتَّشْدِيدِ(٧)-: مَا يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهم يَذُوقُونَه. جُوزُوا بذَلِكَ:

[٢٦] ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾: مُوَافِقًا لِعَمَلِهِم. فَلَا ذَنْبَ أَعْظَمَ مِنَ الكُفْرِ، ولَا عَذَابَ أَعْظَمَ مِنَ النَّارِ. [٢٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ﴾: [لَا يَخَافُونَ](٨) ﴿حِسَابًا﴾ لِإِنْكَارِهِمُ البَعْثَ.

[٢٨] ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿كِذَّابًا﴾: تَكْذِيبًا.

[٢٩] ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ مِنَ الأَعْمَالِ ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: ضَبَطْنَاهُ ﴿كِتَٰبًا﴾: كَتْبًا(٩) في اللَّوحِ المَحْفُوظِ؛ لِنُجَازِيَ عَلَيه. ومِنْ ذَلِكَ تَكْذِيبُهم بِالقُرآنِ.

[٣٠] ﴿فَذُوقُوا۟﴾ أَي: فَيُقَالُ لَهُم فِي الآخِرَةِ، عِندَ وُقُوعِ العَذَابِ عَلَيهم: ذُوقُوا جَزَاءَكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فَوقَ عَذَابِكُم.

---

(١) في الأَصْلِ ونُسْخَةِ الجَمَلِ وقُرَّةِ العَيْنَيْنِ: (سُورَةُ التَّسَاؤُلِ)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يُثَبَّتُ الخِبَاءُ).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أَي: مُلْتَفَّةً).

(٤) بِالتَّشْدِيدِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتَّخْفِيفِ.

(٥) قَالَ الرَّازِيُّ (٣١/ ١٦): «قَالَ الفَرَّاءُ: وَإِنَّما سُمِّيَ النَّوْمُ بَرْدًا لِأَنَّهُ يُبَرِّدُ صَاحِبَهُ، فَإِنَّ العَطْشَانَ يَنَامُ فَيَبْرُدُ بِالنَّوْمِ». وقَالَ القُرطُبِيُّ (١٩/ ١٨٠) قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «البَرْدُ: بَرْدُ الشَّرَابِ». وَقَالَ الزَّجَاجُ: «أَي: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدَ رِيحٍ، وَلَا ظِلٍّ، وَلَا نَوْمٍ». قَالَ القُرطُبِيُّ: «فَجَعَلَ البَرْدَ بَرْدَ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ رَاحَةٌ، وَهَذَا بَرْدٌ يَنْفَعُهُمْ، فَأَمَّا الزَّمْهَرِيرُ فَهُوَ بَرْدٌ يَتَأَذَّوْنَ بِهِ، فَلَا يَنْفَعُهُمْ...».

(٦) جُمْلَةُ: (فَإِنَّهم لَا يَذُوقُونَه) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٧) بِالتَّخْفِيفِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ وشُعبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿وَغَسَّاقًا﴾، بِالتَّشْدِيدِ.

(٨) في الأَصْلِ: (يَخَافُونَ)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (كَتَبْنَاهُ).

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: مَكَانَ فوزٍ في الجنَّةِ. [٣٢] ﴿حَدَآئِقَ﴾: بَسَاتِينَ، بَدَلٌ مِنْ ﴿مَفَازًا﴾، أَوْ بَيَانٌ لَه ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾: عَطفٌ عَلى ﴿مَفَازًا﴾. [٣٣] ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جَوارِيَ تَكَعَّبَتْ ثُدِيُّهُنَّ، جَمْعُ: «كَاعِبٍ» ﴿أَتْرَابًا﴾: عَلى سِنٍّ وَاحِدٍ، جَمْعُ: «تِرْبٍ»؛ بِكَسْرِ التَّاءِ وسُكُونِ الرَّاءِ.

[٣٤] ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: خَمْرًا مَالِئَةً مَحَالَّها- وفي «القِتَالِ»: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾[1]-.

[٣٥] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجَنَّةِ، عِنْدَ شُرْبِ الخَمْرِ، وغَيرِها[2] مِنَ الأَحْوَالِ ﴿لَغْوًا﴾: بَاطِلًا مِنَ القَولِ ﴿وَلَا [كِذَٰبًا][3]﴾ بِالتَّخْفِيفِ؛ أَي: كَذِبًا، وبِالتَّشْدِيدِ؛ أَي: تَكْذِيبًا مِنْ وَاحِدٍ لِغَيرِه، بِخِلَافِ مَا يَقَعُ في الدُّنيا عِنْدَ شُرْبِ الخَمْرِ. [٣٦] ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: جَزَاهُم اللهُ بِذَلِكَ جَزَاءً ﴿عَطَآءً﴾: بَدَلٌ مِنْ: ﴿جَزَآءً﴾ ﴿حِسَابًا﴾ أي: كَثِيرًا. مِنْ قَولِهم: أَعْطَانِي فَأَحْسَبَنِي؛ أَي: أَكْثَرَ عَلَيَّ حَتَّى قُلْتُ: حَسْبِي. [٣٧] ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ - بِالجَرِّ والرَّفْعِ[4]- ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾. كذَلِكَ[5]، وبِرَفْعِه مَعَ جَرِّ ﴿رَبِّ﴾[6] ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أَيِ: الخَلْقُ ﴿مِنْهُ﴾ -تَعَالَى- ﴿خِطَابًا﴾ أَي: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُخَاطِبَه، خَوفًا مِنهُ. [٣٨] ﴿يَوْمَ﴾: ظَرْفٌ لِـ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ جِبْرِيلُ، أَوْ جُنْدُ اللهِ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾: حَالٌ؛ أَي: مُصْطَفِّينَ ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أَيِ: الخَلْقُ ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الكَلَامِ ﴿وَقَالَ﴾ قَوْلًا ﴿صَوَابًا﴾ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمَلَائِكَةِ؛ كَأَنْ يَشْفَعُوا لِـمَنِ ارْتَضَى. [٣٩] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ وُقُوعُه، وهُو يَومُ القِيَامَةِ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: مَرْجِعًا؛ أَي: رَجَعَ إِلى اللهِ بِطَاعَتِه؛ لِيَسْلَمَ مِنَ العَذَابِ فيه.

[٤٠] ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: عَذَابَ يومِ القِيَامَةِ الآتِي- وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ- ﴿يَوْمَ﴾: ظَرْفٌ لِـ﴿عَذَابًا﴾ بِصِفَتِه[7] ﴿يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾: كُلُّ امْرِئٍ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا﴾: حَرْفُ تَنْبِيهٍ ﴿لَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ يَعنِي: فَلَا أُعَذَّبُ. يَقُولُ ذَلِكَ عِندَمَا يَقُولُ اللهُ -تَعَالَى- لِلبَهَائِمِ بَعْدَ الاقْتِصَاصِ مِنْ بَعْضِها لِبَعْضٍ: كُونِي تُرَابًا[8].

الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ — سُورَةُ النَّبَإِ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا
دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا (٣٥) جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا (٣٦) رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا (٣٩) إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ
ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا (٤٠)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

تَرْتِيبُهَا ٧٩ — آيَاتُهَا ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا (١) وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا (٢) وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا (٣)
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا (٤) فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (٦)
تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ (٩)
يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا۟
تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ
(١٤) هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥) إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)

٥٨٣

سُورَةُ [النَّازِعَاتِ][9]

مَكِّيَّةٌ، سِتٌّ وأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾: المَلَائِكَةِ تَنْزِعُ أَرواحَ الكُفَّارِ ﴿غَرْقًا﴾: نَزْعًا بِشِدَّةٍ. [٢] ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾: المَلَائِكَةِ تَنْشِطُ أَرْوَاحَ المُؤْمِنِينَ؛ أَي: تَسُلُّها بِرِفْقٍ.

[٣] ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾: المَلَائِكَةِ تَسبحُ مِنَ السَّماءِ بِأَمْرِه -تَعَالَى-؛ أَي: تَنزِلُ. [٤] ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾: المَلَائِكَةِ تَسْبِقُ بِأَرْوَاحِ المُؤْمِنِينَ إِلى الجَنَّةِ.

[٥] ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾: المَلَائِكَةِ تُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنيا؛ أَي: تَنْزِلُ بِتَدْبِيرِه. وجَوَابُ هذه الأَقْسَامِ مَحْذُوفٌ؛ أَي: لَتُبْعَثُنَّ - يَا كُفَّارَ مَكَّةَ- وهُو عَامِلٌ في:

[٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾: النَّفْخَةُ الأُولَى، بِها يَرْجُفُ كُلُّ شَيءٍ؛ أَي: يَتَزَلْزَلُ، فَوُصِفَتْ بِمَا يَحْدُثُ منها. [٧] ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ- وبَيْنَهُما أَرْبَعُونَ سَنَةً[10]. والجُمْلَةُ: حَالٌ مِنَ ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾. فاليَومُ وَاسِعٌ لِلنَّفْخَتَينِ وغَيرِهما، فَصَحَّ ظَرْفِيَّتُه لِلبَعْثِ الوَاقِعِ عَقِبَ الثَّانِيَةِ-. [٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: خَائِفَةٌ قَلِقَةٌ. [٩] ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾: ذَلِيلَةٌ؛ لِهَوْلِ مَا تَرَى.

[١٠] ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: أَرْبَابُ القُلُوبِ والأَبْصَارِ[11]، اسْتِهزَاءً وإِنْكَارًا لِلبَعْثِ: ﴿أَءِنَّا﴾ - بِتَحْقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِيَةِ، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَهما عَلى الوَجْهَينِ، في المَوضِعَينِ[12]- ﴿لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي: أَنُرَدُّ بَعْدَ المَوتِ إِلى الحَيَاةِ؟! والحَافِرَةُ: اسْمٌ لِأَوَّلِ الأَمْرِ- ومنه: رَجَعَ فُلَانٌ في حَافِرَتِه: إِذَا رَجَعَ مِنْ حَيثُ جَاءَ-.

[١١] ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ وفي قِرَاءَةٍ[13]: ﴿نَاخِرَةً﴾: بَالِيَةً مُتَفَتِّتَةً، نُحيَا؟ [١٢] ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ﴾ أي: رَجْعَتُنا إِلى الحَيَاةِ ﴿إِذًا﴾ إِنْ صَحَّتْ ﴿كَرَّةٌ﴾: رَجْعَةٌ ﴿خَاسِرَةٌ﴾: ذَاتُ خُسْرَانٍ. قَالَ تَعَالَى: [١٣] ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ أي: الرَّادِفَةُ التي يَعقِبُها البَعْثُ ﴿زَجْرَةٌ﴾: نَفْخَةٌ ﴿وَٰحِدَةٌ﴾، فَإِذَا نُفِخَتْ: [١٤] ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: كُلُّ الخَلَائِقِ ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: بِوَجْهِ الأَرْضِ أَحْيَاءً، بَعْدَما كَانُوا بِبَطْنِها أَمْوَاتًا. [١٥] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ - يَا مُحَمَّدُ- ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ عَامِلٌ في:

---

(١) سورة مُحَمَّد: ١٥. (٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وغَيرِه). (٣) بِالتَّخْفِيفِ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ. (٤) بِالرَّفْعِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأَبي عَمرٍو. (٥) أي: بِالجَرِّ والرَّفْعِ. والرَّفْعُ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدا ابنِ عَامِرٍ وعَاصِمٍ. (٦) وهِي قِرَاءَةٌ ثَالِثَةٌ سَبْعِيَّةٌ، لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ. (٧) وهِي قَولُه: ﴿قَرِيبًا﴾. (٨) كَما في حَدِيثِ أَبي هُرَيرَةَ مَرفُوعًا إِلى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ؛ الجِنِّ، وَالإِنْسِ، وَالبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الجَمَّاءَ مِنَ القَرْنَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ تَبِعَةً عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى، قَالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الكَافِرُ: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾». أخرجه ابنُ جَرِيرٍ في تَفسِيرِه (٣٠/ ١٧، ١٨)، وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في الصَّحِيحَةِ (١٩٦٦) (٤/ ٦٠٦).

(٩) في الأَصلِ: (والنَّازِعَاتِ)، والمُثْبَتُ مِنْ نُسخَةِ قَبَاوَة.

(١٠) ذَكَرَ ابنُ حَجَرٍ في الفَتْحِ (٨/ ٥٥٢) أَنَّه رُوِيَتْ رِوَايَاتٌ ضَعِيفَةٌ؛ بَعْضُها يُحَدِّدُها بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وبَعْضُها بِأَربَعِينَ جُمُعَةً. وهذا يُفِيدُ أَنَّه لَمْ يَصِحَّ في تَحدِيدِها شَيءٌ؛ فالأَوْلَى عَدَمُ التَّعيِينِ؛ وإِنَّما يُقَالُ: «أربعون» فَقَط، كَما في الصَّحِيحَينِ؛ البُخَارِيِّ (٤٩٣٥)، ومُسْلِمٍ (٢٩٥٥) -واللَّفْظُ لِمُسلِمٍ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ... الحَدِيث.

(١١) لو قَالَ المُصَنِّفُ: «أربابُ تِلكَ القُلُوبِ والأَبصَارِ»، لَكَانَ أَنسَبَ، وأَظْهَرَ في بَيَانِ مَقصُودِه بِعَودَةِ «تلك» إِلى القُلُوبِ الوَاجِفَةِ والأَبصَارِ الخَاشِعَةِ؛ ولَيسَ ما قَدْ يُفْهَمُ مِنْ ظَاهِرِ تِلكَ العِبَارَةِ.

(١٢) أي: وتَرْكِه، وقَرَأَ نَافِعٌ والكِسَائِيُّ وابنُ عَامِرٍ بِالاستِفهَامِ في الأَوَّلِ والإِخبَارِ في الثَّانِي. (١٣) لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وشُعْبَةَ.

ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ
إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ
ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾
ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾
أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ
مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ
﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن
ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا
﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ — ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

[١٦] ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: اسْمُ الوَادِي، بِالتَّنوِينِ وتَرْكِه(١)؟ فقَالَ:

[١٧] ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: تجَاوَزَ الحَدَّ، في الكُفْرِ.

[١٨] ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾: أدْعُوكَ ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ(٢) بتَشْدِيدِ الزَّاي؛ بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ في الأَصْلِ فيها-: تَتَطَهَّرَ مِنَ الشِّرْكِ؛ بِأَنْ تَشْهَدَ أنْ لا إِلَهَ إلَّا اللهُ.

[١٩] ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أَدُلُّكَ على مَعْرِفَتِه بِالبُرْهَانِ ﴿فَتَخْشَىٰ﴾: فتَخَافَه؟

[٢٠] ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ مِنْ آيَاتِه التِّسْعِ(٣)- وهِيَ اليَدُ أَوِ العَصَا-.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾ فِرعَونُ مُوسَى ﴿وَعَصَىٰ﴾ اللهَ -تَعَالَى-.

[٢٢] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عَنِ الإِيمَانِ ﴿يَسْعَىٰ﴾ في الأَرْضِ بِالفَسَادِ.

[٢٣] ﴿فَحَشَرَ﴾: جَمَعَ السَّحَرَةَ وجُنْدَهُ ﴿فَنَادَىٰ﴾.

[٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لا رَبَّ فَوقِي.

[٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾: أَهْلَكَه بِالغَرَقِ ﴿نَكَالَ﴾: عُقُوبَةَ ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: هَذِهِ الكَلِمَةِ ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: قَولِه قَبْلَها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾(٤). وكَانَ بَينَهما أَرْبَعُونَ سَنَةً(٥).

[٢٦] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذْكُورِ ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ اللهَ -تَعَالَى-.

[٢٧] ﴿ءَأَنتُمْ﴾ - بِتَحْقِيقِ الهَمْزَتَينِ، وإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا، وتَسْهِيلِها، وإِدْخَالِ أَلِفٍ بَينَ المُسَهَّلَةِ والأُخْرَى، وتَرْكِه(٦)- أي: مُنْكِرُو البَعْثِ ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أَشَدُّ خَلْقًا؟ ﴿بَنَىٰهَا﴾: بَيَانٌ لِكَيفِيَّةِ خَلْقِها.

[٢٨] ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: تَفْسِيرٌ لِكَيفِيَّةِ البِنَاءِ؛ أي: جَعَلَ سَمْتَها في جِهَةِ العُلُوِّ رَفِيعًا. وقِيلَ: ﴿سَمْكَهَا﴾: سَقْفَها ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: جَعَلَها مُسْتَوِيَةً بِلَا عَيبٍ.

[٢٩] ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أَظْلَمَهُ ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أَبْرَزَ نُورَ شَمْسِها- وأُضِيفَ إِليها اللَّيلُ؛ لِأَنَّهُ ظِلُّها، والشَّمْسُ؛ لِأَنَّها سِرَاجُها-.

[٣٠] ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: بَسَطَها، وكَانَتْ مَخْلُوقَةً قَبْلَ السَّماءِ مِنْ غيرِ دَحْوٍ.

[٣١] ﴿أَخْرَجَ﴾: حَالٌ بِإِضْمَارِ «قَدْ»؛ أي: مُخْرِجًا ﴿مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بِتَفْجِيرِ عُيُونِها ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾: مَا تَرْعَاه النَّعَمُ مِنَ الشَّجَرِ والعُشْبِ، ومَا يَأْكُلُه النَّاسُ مِنَ الأَقْوَاتِ والثِّمارِ- وإِطْلَاقُ المَرْعَى عَليه استِعَارَةٌ(٧)-.

[٣٢] ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾: أَثْبَتَها على وَجْهِ الأَرْضِ؛ لِتَسْكُنَ.

[٣٣] ﴿مَتَٰعًا﴾: مَفْعُولٌ له لِمُقَدَّرٍ؛ أي: فَعَلَ ذَلِكَ مُتْعَةً، أَوْ مَصْدَرٌ؛ أي: تَمْتِيعًا ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾: جَمْعُ: نَعَمٍ، وهِيَ الإِبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ.

[٣٤] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ. [٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: بَدَلٌ مِنْ: «إِذَا» ﴿مَا سَعَىٰ﴾ في الدُّنيا مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ.

[٣٦] ﴿وَبُرِّزَتِ﴾: أُظْهِرَتِ ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾: النَّارُ المُحْرِقَةُ ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾: لِكُلِّ رَاءٍ. وجَوَابُ «إِذَا»: [٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: كَفَرَ.

[٣٨] ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ. [٣٩] ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: مَأْوَاهُ.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: قِيَامَه بَينَ يَدَيهِ ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأَمَّارَةَ ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ المُرْدِي بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ.

[٤١] ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾. وحَاصِلُ الجَوَابِ: فَالعَاصِي في النَّارِ، والمُطِيعُ في الجَنَّةِ.

[٤٢] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: مَتَى وُقُوعُها وقِيَامُها؟ [٤٣] ﴿فِيمَ﴾: في أَيِّ شَيءٍ ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾؟ أي: لَيسَ عِندَكَ عِلْمُها، حَتَّى تَذْكُرَها.

[٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾: مُنْتَهَى عِلْمِها، لا يَعْلَمُه غَيرُه. [٤٥] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾: إِنَّما يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ ﴿مَن يَخْشَىٰهَا﴾: يَخَافُها.

[٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في قُبُورِهِم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي: عَشِيَّةَ يومٍ أَوْ بُكْرَتَه. وصَحَّ إِضَافَةُ الضُّحَى إِلى العَشِيَّةِ؛ لِمَا بَينَهما مِنَ المُلَابَسَةِ؛ إِذْ هُما طَرَفَا النَّهَارِ، وحَسَّنَ الإِضَافَةَ وُقُوعُ الكَلِمَةِ فَاصِلَةً.

---

(١) بِتَرْكِ التَّنوِينِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ وأبي عَمرٍو.

(٢) لِنَافعٍ وابنِ كَثيرٍ.

(٣) يُنظَرُ الآيَةُ (١٠١) مِن سُورَةِ الإِسرَاءِ.

(٤) القَصَص: ٣٨.

(٥) رَوَاهُ العقيليُّ في الضعفاءِ الكبيرِ (٢/ ١٨٩) عَنْ أَبي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ «مَا بَيْنَ كَلِمَتَيْ»: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وَ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، «وَكَانَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً». وعَزَاهُ الطَّبَرِيُّ (٢٤/ ٤٨) لِأَبِي بَكرِ بنِ عَيَّاشٍ قَولَه.

(٦) فالقِرَاءَاتُ خَمْسٌ كُلُّها سَبْعِيَّةٌ. رَاجِعِ التَّعلِيقَ على الآيَةِ رَقَم (١٧) مِنْ سُورَةِ الفُرقَانِ.

(٧) قَالَ القَاسِمِيُّ في مَحَاسِنِ التَّأوِيلِ (٩/ ٤٠١): «قَالَ الشِّهَابُ: والمَرعَى: مَا يَأكُلُه الحَيَوانُ غَيرُ الإِنسَانِ، فَأُرِيدَ به هنا، مَجَازًا، مُطلَقُ المَأكُولِ لِلإِنسَانِ وغَيرِه. فهو مَجَازٌ مُرسَلٌ». ونحوُه في حَاشِيَةِ الصَّاوي (٦/ ٢٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ
﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾
فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾
قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ
خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا
شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ
﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً
وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ
ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ
ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ
﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾

ربع الحزب ٥٩

سُورَةُ عَبَسَ

مَكِّيَّةٌ، اثْنَتَانِ وأَرْبَعُونَ آيَةً[*]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿عَبَسَ﴾ النَّبِيُّ: كَلَحَ وَجْهُه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أَعْرَضَ، لِأَجْلِ: [٢] ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ عَبدُ اللهِ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فقَطَعَه عَمَّا هُو مَشْغُولٌ بِه، مِمَّنْ يَرْجُو إِسْلَامَه، مِنْ أَشْرَافِ قُرَيشٍ، الذي[1] هو حَرِيصٌ عَلى إِسلَامِهم. ولَمْ يَدْرِ الأَعْمَى أَنَّه مَشْغُولٌ بِذَلِكَ، فنَادَاه: عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ. فانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ إلى بَيتِهِ؛ فَعُوتِبَ في ذَلِكَ بِمَا نَزَلَ في هَذهِ السُّورَةِ؛ فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَه إِذَا جَاءَ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي»[2] ويَبْسُطُ لَه رِدَاءَه. [٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعْلِمُكَ: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ – فيه إِدْغَامُ التَّاءِ في الأَصْلِ في الزَّايِ– أَي: يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، بِمَا يَسْمَعُ مِنكَ. [٤] ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ – فيه إِدْغَامُ التَّاءِ في الأَصْلِ في الذَّالِ– أَي: يَتَّعِظُ ﴿[فَتَنفَعَهُ] ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾: العِظَةُ المَسْمُوعَةُ مِنكَ؟ وفي قِرَاءَةٍ[3] بِنَصْبِ «تَنفعَهُ» جَوَابَ التَّرَجِّي. [٥] ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ بِالمَالِ. [٦] ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ وفي قِرَاءَةٍ[4] بِتَشْدِيدِ الصَّادِ؛ بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ في الأَصْلِ فيها: تُقْبِلُ وتَتَعَرَّضُ. [٧] ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: يُؤْمِنَ.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾: حَالٌ مِنْ فَاعِلِ: «جَاءَ». [٩] ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ اللهَ: حَالٌ مِنْ فَاعِلِ ﴿يَسْعَىٰ﴾ وهو الأَعْمَى. [١٠] ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ – فيه حَذْفُ التَّاءِ الأُخْرَى في الأَصْلِ– أَي: تَتَشَاغَلُ. [١١] ﴿كَلَّآ﴾ لا تَفْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ ﴿إِنَّهَا﴾ أَي: السُّورَةَ أَو الآيَاتِ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظَةٌ لِلخَلْقِ. [١٢] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: حَفِظَ ذَلِكَ، فَاتَّعَظَ به. [١٣] ﴿فِى صُحُفٍ﴾: خَبَرٌ ثَانٍ لِـ﴿إِنَّهَا﴾[5]، ومَا قَبْلَه اعتِرَاضٌ ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عِندَ اللهِ. [١٤] ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السَّمَاءِ ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾: مُنَزَّهَةٍ عَنْ مَسِّ الشَّيَاطِينِ. [١٥] ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾: كَتَبَةٍ يَنْسَخُونَها مِنَ اللَّوحِ المَحْفُوظِ. [١٦] ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾: مُطِيعِينَ للهِ -تَعَالَى-، وهُمُ المَلَائِكَةُ.

[١٧] ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾: لُعِنَ الكَافِرُ ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾؟ استِفْهَامُ تَوبِيخٍ[6]؛ أَي: مَا حَمَلَه عَلى الكُفْرِ؟

[١٨] ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾؟ استِفْهَامُ تَقْرِيرٍ. ثُمَّ بَيَّنَه، فقَالَ:

[١٩] ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، إلى آخِرِ خَلْقِه. [٢٠] ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾ أَي: طَرِيقَ خُرُوجِه مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ﴿يَسَّرَهُۥ﴾. [٢١] ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: جَعَلَه في قَبْرٍ يَسْتُرُه.

[٢٢] ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ لِلبَعْثِ. [٢٣] ﴿كَلَّا﴾: حَقًّا ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾: لَمْ يَفْعَلْ ﴿مَآ أَمَرَهُۥ﴾ بِه رَبُّه. [٢٤] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ نَظَرَ اعتِبَارٍ ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ كَيفَ قُدِّرَ ودُبِّرَ له؟

[٢٥] ﴿[إِنَّا][7] صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾ مِنَ السَّحَابِ ﴿صَبًّا﴾. [٢٦] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿شَقًّا﴾. [٢٧] ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كَالحِنْطَةِ والشَّعِيرِ. [٢٨] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ هُو القَتُّ[8] الرَّطْبُ.

[٢٩] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾. [٣٠] ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: بَسَاتِينَ كَثِيرَةَ الأَشْجَارِ. [٣١] ﴿وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا﴾: مَا تَرْعَاه البَهَائِمُ، وقِيلَ: التِّبْنُ.

[٣٢] ﴿مَّتَـٰعًا﴾: مُتْعَةً، أَوْ تَمْتِيعًا– كَمَا تَقَدَّمَ في السُّورَةِ قَبْلَها– ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ – تَقَدَّمَ فيها أَيضًا–[9]. [٣٣] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ.

[٣٤] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾. [٣٥] ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾. [٣٦] ﴿وَصَـٰحِبَتِهِۦ﴾: زَوجَتِه ﴿وَبَنِيهِ﴾ ﴿يَوْمَ﴾: بَدَلٌ مِنْ «إِذَا»، وجَوَابُها دَلَّ عليه:

[٣٧] ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: حَالٌ يَشْغَلُه عَنْ شَأْنِ غَيرِه؛ أَي: اشْتَغَلَ كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِه. [٣٨] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: مُضِيئَةٌ.

[٣٩] ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: فَرِحَةٌ– وهُمُ المُؤْمِنُونَ–. [٤٠] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: غُبَارٌ.

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ السُّورَةِ: أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُنْزِلَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فِي ابنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ المُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ، وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟» فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنزِلَ. التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٧٣) ومن سورة عبس. «صَحِيحُ الإِسنَادِ»، صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٥١).

---

(١) كَذَا في أَكثَرِ المَطبُوعِ، وقَالَ في حَاشِيَةِ الصَّاوِي (٦/ ٢٣٥): «نَعتٌ لِأَشْرَافِ قُرَيشٍ، وكَانَ المُنَاسِبُ التَّعبِير بِـ«الذين»». وقَالَ في حَاشِيَةِ الجَمَل (٤/ ٤٨٧): «... فَكَأَنَّه جَاءَ عَلَى الاستِعْمَالِ القَلِيلِ مِن استِعْمَالِ «الذي» في الجَمْعِ؛ على حَدِّ: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة:٦٩]». وفي قُرَّةِ العَينَينِ وبَعضِ المَطبُوعَاتِ: (الذين هو...).

(٢) ذَكَرَه الوَاحِدِيُّ في أَسبَابِ النُّزُولِ (ص٣٨٥)، وقَالَ ابنُ حَجَرٍ في الكَافي الشَّاف (ص١٨١): ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ بِلَا إِسنَادٍ. وأَخرَجَه الدَّيلَمِيُّ في الفِردَوسِ (٦٨٠٥) مِنْ حَدِيثِ أَنسٍ، مِنْ غَيرِ إِسنَادٍ. وهو في مسندِ أَبي يَعلَى (٤/ ٤٣١)، رَقَم (٣١٢٣) عَنْ أَنسٍ بِإِسنَادٍ ظَاهِرُه الصِّحَّةُ بِلَفظِ: «... فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعدَ ذَلِكَ يُكرِمُه». وقَالَ الأَلبَانِيُّ في السِّلسِلَةِ الضَّعِيفَةِ (٣/ ٦٣٥) بَعدَ أَنْ ذَكَرَه: «ولا أَعلَمُ لِهَذَا الحَدِيثِ أَصْلًا يُمكِنُ الاعتِمَادُ عَلَيه، وغَايَةُ مَا رُوِيَ في بَعضِ الرِّوَايَاتِ في (الدُّرِّ المنثورِ) أَنَّه ﷺ كَانَ يُكرِمُ ابنَ أُمِّ مَكتُومٍ إِذَا دَخَلَ عَلَيه. وهَذَا إِنْ صَحَّ لا يَستَلزِمُ أَنْ يَكُونَ إِكرَامُه ﷺ إِيَّاه بِالقِيَامِ لَه، فَقَدْ يَكُونُ بِالقِيَامِ إِلَيه، أَو بِالتَّوسِيعِ لَه في المَجلِسِ، أَو بِإِلقَاءِ وِسَادَةٍ إِلَيه، ونَحوِ ذَلِكَ من أَنوَاعِ الإِكرَامِ المَشرُوعِ....».

(٣) بالرَّفعِ: قِرَاءَةُ السَّبعَةِ عَدَا عَاصِمٍ، وقَرَأَ عَاصِمٌ: ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ بِالنَّصبِ. (٤) لِنَافِعٍ وابنِ كَثِيرٍ. (٥) والخَبَرُ الأَوَّلُ: ﴿تَذْكِرَةٌ﴾.

(٦) قَالَ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ في الدُّرِّ المَصُونِ (١٠/ ٦٩٠): «إِمَّا تَعَجُّبٌ، وإِمَّا استِفهَامُ تَعَجُّبٍ». وعَجَبُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ لَيسَ كَعَجَبِ المَخلُوقِ مِنْ أَمرٍ عَظِيمٍ خَفِيَ عليه سَبَبُه؛ فإِنَّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

(٧) قَرَأَ عَاصِمٌ وحَمزَةُ والكِسَائِيُّ بِفَتحِ الهَمزَةِ: ﴿أَنَّا﴾. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: بِكَسرِها، وهِيَ القِرَاءَةُ المُفَسَّرَةُ. (٨) نَبَاتٌ عُشبِيٌّ تُعلَفُه الدَّوَابُّ. (٩) جُملَةُ: (تَقَدَّمَ فيها أَيضًا) لَيسَتْ في نُسخَةِ قَبَاوَة.

تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سُورَةُ التَّكۡوِيرِ (ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ
سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ
﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا
ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ
﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ
أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ
ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾
فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن
يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

[٤١] ﴿تَرۡهَقُهَا﴾: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾: ظُلْمَةٌ وسَوَادٌ.

[٤٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أَهْلُ هَذِه الحَالَةِ ﴿هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾ أي: الجَامِعُونَ بَيْنَ الكُفْرِ والفُجُورِ.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

مَكِّيَّةٌ، تِسْعٌ وعِشْرُونَ آيَةً

[١] ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾: لُفِّفَتْ وذُهِبَ بِنُورِها.

[٢] ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾: انقَضَّتْ وتَسَاقَطَتْ عَلى الأَرْضِ(١).

[٣] ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾: ذُهِبَ بِها عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؛ فَصَارَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا.

[٤] ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ﴾: النُّوقُ الحَوامِلُ ﴿عُطِّلَتۡ﴾: تُرِكَتْ بِلَا رَاعٍ، أَوْ بِلَا حَلْبٍ؛ لِمَا دَهَاهُم مِنَ الأَمْرِ- وَلَمْ يَكُنْ مَالٌ أَعْجَبَ إِليهم منها-.

[٥] ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾: جُمِعَتْ بَعْدَ البَعْثِ؛ لِيُقْتَصَّ لِبَعْضٍ مِنْ بَعضٍ ثُمَّ تَصِيرُ تُرَابًا.

[٦] ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ [سُجِرَتۡ]﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(٢)-: أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نَارًا.

[٧] ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾: قُرِنَتْ بِأَجْسَادِهَا.

[٨] ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ﴾: الجَارِيَةُ تُدْفَنُ حَيَّةً، خَوفَ العَارِ [أَوِ المَسأَلَةِ](٣) والحَاجَةِ ﴿سُئِلَتۡ﴾ تَبْكِيتًا لِقَاتِلِها: [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾؟ - وقُرِئَ(٤) بِكَسْرِ التَّاءِ، حِكَايَةً لِمَا تُخَاطَبُ به، وجَوابُها أَنْ تَقُولَ: قُتِلْتُ بِلَا ذَنْبٍ-.

[١٠] ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾: صُحُفُ الأَعْمَالِ ﴿نُشِرَتۡ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(٥)-: فُتِحَتْ وبُسِطَتْ. [١١] ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾: نُزِعَتْ عَنْ أَمَاكِنِها، كَمَا يُنْزَعُ الجِلْدُ عَنِ الشَّاةِ.

[١٢] ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ﴾: النَّارُ ﴿[سُعِرَتۡ]﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(٦)-: أُجِّجَتْ.

[١٣] ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾: قُرِّبَتْ لِأَهْلِها، لِيَدْخُلُوها. وجَوَابُ «إِذَا» أَوَّلَ السُّورَةِ، ومَا عُطِفَ عليها: [١٤] ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ أي: كُلُّ نَفسٍ وَقتَ هذه المَذْكُورَاتِ- وهُوَ يومُ القِيَامَةِ- ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ. [١٥] ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ «لَا»: زَائِدَةٌ ﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾.

[١٦] ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ هِيَ النُّجُومُ الخَمْسَةُ: زُحَلٌ، والمُشْتَرِي، والمِرِّيخُ، والزُّهَرَةُ، وعُطَارِدٌ - تَخْنُسُ، بِضَمِّ النُّونِ؛ أي: تَرْجِعُ في مَجْرَاهَا وَرَاءَها، بَيْنَما تَرَى النَّجْمَ في آخِرِ البُرْجِ إِذْ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى أَوَّلِه. وتَكْنِسُ بِكَسْرِ النُّونِ: تَدْخُلُ في كِنَاسِها؛ أي: تَغِيبُ في المَوَاضِعِ التي تَغِيبُ فيها-.

[١٧] ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾: أَقْبَلَ بِظَلَامِه، أَوْ أَدْبَرَ. [١٨] ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: امْتَدَّ حَتَّى يَصِيرَ نَهَارًا بَيِّنًا.

[١٩] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ على اللهِ -تَعَالَى- وهو جِبْرِيلُ، أُضِيفَ إِليه لِنُزُولِه به.

[٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شَدِيدِ القُوَى ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: اللهِ -تَعَالَى- ﴿مَكِينٖ﴾: ذِي مَكَانَةٍ- مُتَعَلِّقٌ به ﴿عِندَ﴾-.

[٢١] ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي: تُطِيعُه المَلَائِكَةُ في السَّمَاوَاتِ ﴿أَمِينٖ﴾ عَلى الوَحْيِ.

[٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ: عَطْفٌ عَلَى: ﴿إِنَّهُۥ﴾، إِلى آخِرِ المُقْسَمِ عليه ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾ كَمَا زَعَمْتُم.

[٢٣] ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾: رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ جِبْرِيلَ(٧) عَلى صُورَتِه التي خُلِقَ عَلَيها ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾: البَيِّنِ. وهُو الأَعلَى بِنَاحِيَةِ المَشْرِقِ(٨).

[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: مُحَمَّدٌ ﷺ(٩) ﴿عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾: مَا غَابَ(١٠) مِنَ الوَحْيِ وخَبَرِ السَّمَاءِ ﴿[بِظَنِينٖ]﴾: بِمُتَّهَمٍ- وفي قِرَاءَةٍ: بِالضَّادِ(١١): أي: بِبَخِيلٍ، فَيَنْقُصَ شَيئًا منه-.

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ﴾ مُسْتَرِقِ السَّمْعِ ﴿رَّجِيمٖ﴾: مَرجُومٍ. [٢٦] ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾ أي(١٢): فَأَيَّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَ في إِنْكَارِكُم القُرآنَ وإِعرَاضِكُم عنه؟

[٢٧] ﴿إِنۡ﴾: مَا ﴿هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: عِظَةٌ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: الإِنْسِ والجِنِّ. [٢٨] ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾: بَدَلٌ مِنَ «العَالَمِينَ»، بِإِعَادَةِ الجَارِّ ﴿أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ بِاتِّبَاعِ الحَقِّ.

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامَةَ عَلى الحَقِّ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: الخَلَائِقِ، اسْتِقَامَتَكُمْ عَلَيْهِ(١٣).

---

(١) النُّجُومُ لا تَتَسَاقَطُ عَلى الأَرْضِ، وإِنَّما تَتَفَتَّتُ وتَتَنَاثَرُ. فَالأَوْلَى: عَدَمُ ذِكْرِ الأَرْضِ.

(٢) بِالتَّخْفِيفِ: قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿سُجِّرَتۡ﴾؛ بِالتَّشْدِيدِ.

(٣) عِبَارَةُ: (أَوِ المَسأَلَةِ) لَيسَتْ في الأَصلِ، وأَثْبَتْنَاها مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) أي: قُرِئَت شُذُوذًا: «قُتِلْتِ».

(٥) بِالتَّشْدِيدِ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو.

(٦) بِالتَّخْفِيفِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا نافِعٍ وابنِ ذَكْوَانَ وحَفْصٍ.

(٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ -عَلَيهما الصَّلاةُ والسَّلامُ-).

(٨) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآيَةِ (٧) مِن سُورَةِ النَّجْمِ.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ).

(١٠) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: مَا غَابَ).

(١١) القِرَاءَةُ المُفَسَّرَةُ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ وابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالضَّادِ؛ ﴿بِضَنِينٖ﴾.

(١٢) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(١٣) قَالَ الشَّيخُ عبدُ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي في تَعلِيقِه على تَفسِيرِ الجلالَينِ (ص٢٦١): «التَّعمِيمُ في مُتَعَلَّقِ المَشِيئَةِ أَوْلَى؛ لِحَذْفِ المفعُولِ. والتَّقْدِيرُ: وَمَا تَشَاءُونَ شَيئًا مِنْ خَيرٍ أو شَرٍّ، إِلَّا أن يَشَاءَ اللهُ ذَلِكَ. ويَدخُلُ في ذَلِكَ الاستِقَامَةُ دُخُولًا أَوَّلِيًّا لِلآيَةِ السَّابِقَةِ، وبِذَلِكَ تَدُلُّ الآيَةُ عَلى مَشِيئَةِ اللهِ الكَونِيَّةِ خِلَافًا لِلمُعتَزِلَةِ» اهـ.

سُورَةُ الانفطار

مَكِّيَّةٌ، تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾: انْشَقَّتْ. [٢] ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾: انْقَضَّتْ وتَسَاقَطَتْ.

[٣] ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾: فُتِحَ بَعْضُها في بَعْضٍ، فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا، واخْتَلَطَ(١) العَذْبُ بِالمِلْحِ.

[٤] ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: قُلِبَ تُرابُها، وبُعِثَ مَوتَاهَا. وَجَوَابُ: «إِذَا» ومَا عُطِفَ عَليها:

[٥] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كُلُّ نَفْسٍ وَقتَ هَذِه المذْكُورَاتِ، وهو يَومُ القِيَامَةِ ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ مِنَ الأَعْمَالِ ﴿وَ﴾ مَا ﴿أَخَّرَتْ﴾ مِنها، فَلَمْ تَعْمَلْه.

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكَافِرُ ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ حَتَّى عَصَيتَهُ. [٧] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾: جَعَلَك مُسْتَوِيَ الخِلْقَةِ، سَالِمَ الأَعْضَاءِ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(٢)-: جَعَلَكَ مُعتَدِلَ الخَلْقِ، مُتَناسِبَ الأَعْضَاءِ؛ لَيسَتْ يَدٌ أَو رِجْلٌ أَطْوَلَ مِنَ الأُخْرَى. [٨] ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا﴾: زَائِدَةٌ ﴿شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟

[٩] ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ عَنِ الاغْتِرَارِ بِكَرَمِ اللهِ -تَعالَى-(٣) ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿بِٱلدِّينِ﴾: بِالجَزَاءِ(٤) عَلى الأَعْمَالِ.

[١٠] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ مِنَ المَلَائِكَةِ لِأَعْمَالِكُم.

[١١] ﴿كِرَامًا﴾ عَلى اللهِ ﴿كَٰتِبِينَ﴾ لَها. [١٢] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ جَمِيعَه.

[١٣] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: المُؤمِنِينَ الصَّادِقِينَ في إِيمَانِهم ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾: جَنَّةٍ.

[١٤] ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾: الكُفَّارَ ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾: نَارٍ مُحْرِقَةٍ.

[١٥] ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يَدْخُلُونَها ويُقَاسُونَ حَرَّهَا ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: الجَزَاءِ.

[١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾: بِمُخْرَجِينَ. [١٧] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أَعْلَمَكَ: ﴿مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾؟

[١٨] ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾؟ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِه.

سُورَةُ الانفِطَارِ — ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحزب ٥٩

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى
خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ — ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

[١٩] ﴿يَوْمَ﴾ - بِالرَّفعِ(٥)- أي: هُوَ يَومُ ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ﴾ مِنَ المَنْفَعَةِ ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ لا أَمْرَ لِغَيرِه فيه؛ أي: لَمْ يُمَكِّنْ أَحَدًا مِنَ التَّوسُّطِ فيه، بِخِلَافِ الدُّنيا.

سُورَةُ التَّطفِيفِ(٦)

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، سِتٌّ وثَلَاثُونَ آيَةً[*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ، أَوْ وَادٍ في جَهَنَّمَ(٧) ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾. [٢] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى﴾ أي: مِنَ ﴿ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكَيلَ.

[٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كَالُوا لَهُم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي: وَزَنُوا لَهُم ﴿يُخْسِرُونَ﴾: يُنْقِصُونَ الكَيلَ أَوِ الوَزْنَ.

[٤] ﴿أَلَا﴾: استِفهَامُ تَوبِيخٍ ﴿يَظُنُّ﴾: يَتَيقَّنُ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾؟ [٥] ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: فيه- وهُوَ يَومُ القِيَامَةِ-.

[٦] ﴿يَوْمَ﴾: بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّ ﴿لِيَوْمٍ﴾؛ فَنَاصِبُه: ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾ ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ مِنْ قُبُورِهم ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الخَلَائِقِ؛ لِأَجْلِ أَمْرِه وحِسَابِه وجَزَائِه؟

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ السُّورَةِ: أخرجَ ابنُ مَاجه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيلًا، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فَأَحْسَنُوا الكَيلَ بَعْدَ ذَلِكَ. ابن ماجه - كتاب التجارات (١٢) باب (٣٥) التوقِّي في الكَيلِ والوَزنِ. (حَسَنٌ) صَحِيحُ سُنَنِ ابنِ مَاجه (١٨٠٨).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فَاختَلَطَ).

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِالتَّشدِيدِ والتَّخْفِيفِ)؛ بِتَقْدِيمِ قِرَاءَةِ التَّشدِيدِ؛ ﴿فَعَدَّلَكَ﴾، وهِيَ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وابنِ كَثيرٍ وأَبِي عَمرٍو وابنِ عَامِرٍ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿فَعَدَلَكَ﴾؛ بِالتَّخفِيفِ.

(٣) قَولُ المَحَلِّيِّ: «رَدْعٌ عَنِ الاغْتِرَارِ بِكَرَمِ اللهِ تَعالَى» يُفِيدُ أَنَّه ذَهَبَ إِلى أَنَّ جَوَابَ الإِنسَانِ الكَافِرِ عَلى سُؤَالِ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾؟ في الآيَةِ السَّادِسَةِ هُو: غَرَّه كَرَمُ اللهِ. وهَذا قَولٌ ضَعِيفٌ مَردُودٌ، والكَافِرُ إِنَّما غَرَّه جَهْلُه بِرَبِّه وبِصِفَاتِه. وقَدْ يَتَوجَّهُ هَذا الجَوَابُ ويُقْبَلُ لَو حُمِلَ عَلى أَنَّ السُّؤَالَ مُوَجَّهٌ إِلى المُؤمِنِ العَاصِي. لَكِنِ الخِطَابُ في الآيَةِ لِلكَافِرِ.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الجَزَاءِ) بِدُونِ البَاءِ.

(٥) وهِيَ قِرَاءَةُ ابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿يَوْمَ﴾ بِالفَتحِ.

(٦) وهِيَ سُورَةُ: المُطَفِّفِينَ. و«سُورَةُ التَّطفِيفِ» أَحَدُ أَسمَائِها، وهُوَ المُثْبَتُ في النُّسَخِ التي بَينَ أَيدِينا. وأَشَارَ قَبَاوَةُ إِلى أَنَّها (سُورَةُ المُطَفِّفِينَ) في بَعْضِ المَخطُوطَاتِ التي وَقَفَ عَلَيها.

(٧) رَوَى أَحمدُ (١١٧١٢)، والتِّرمِذِيُّ (٢٥٧٦)، والحَاكِمُ (٨٧٦٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مَرفُوعًا: «الوَيلُ وَادٍ في جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الكَافِرُ أَربَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبلُغَ قَعْرَهُ» وقَالَ الحَاكِمُ: «هَذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخرِجَاهُ»، ووَافَقَه الذَّهبِيُّ. وضَعَّفَ الأَرنَاؤوطُ إِسْنَادَه في تَخرِيجِه على المُسنَدِ (١٨/ ٢٤٠)، والأَلبَانِيُّ في ضَعِيفِ الجَامِعِ (٦١٤٨).

لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ
ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩
وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ
بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ
١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ
يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا
ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨
وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١
إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي
وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ
مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن
تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ
مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠
وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣

[٧] ﴿كَلَّآ﴾: حقًّا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ أي: كُتُبَ أعمالِ الكُفَّارِ ﴿لَفِي سِجِّينٖ﴾ قِيلَ: هو كِتَابٌ جَامِعٌ لِأَعمالِ الشَّياطِينِ والكَفَرَةِ(١). وقِيلَ: هو مَكَانٌ أَسفَلُ الأَرضِ السَّابِعَةِ(٢)، وهُو مَحَلُّ إِبلِيسَ وجُنُودِه(٣). [٨] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾: مَا كِتَابُ سِجِّينٍ؟ [٩] ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾: مَختُومٌ.

[١٠] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾. [١١] ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: الجَزَاءِ، بَدَلٌ، أَوْ بَيَانٌ لِلمُكَذِّبِينَ.

[١٢] ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾: مُتَجَاوِزِ الحَدِّ ﴿أَثِيمٍ﴾: صِيغَةُ مُبالَغَةٍ.

[١٣] ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: الحِكَايَاتُ التِي سُطِّرَتْ قَدِيمًا، جَمْعُ «أُسْطُورَةٍ» بِالضَّمِّ، أَوْ «إِسْطَارَةٍ» بِالكَسْرِ.

[١٤] ﴿كَلَّاۖ﴾: رَدْعٌ وزَجْرٌ لِقَولِهِم ذَلِكَ، ﴿بَلۡۜ رَانَ﴾: غَلَبَ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ فَغَشِيَها(٤) ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ مِنَ المَعَاصِي، فَهُو كَالصَّدَأِ.

[١٥] ﴿كَلَّآ﴾: حقًّا ﴿إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾: يومَ القِيَامَةِ ﴿لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ فَلَا يَرَوْنَه.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾: لَدَاخِلُو النَّارِ المُحْرِقَةِ.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لَهُم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العَذَابُ ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

[١٨] ﴿كَلَّآ﴾: حقًّا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ أي: كُتُبَ أعمالِ المُؤمِنِينَ، الصَّادِقِينَ في إيمانِهِم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قِيلَ: هو كِتَابٌ جَامِعٌ لِأَعمالِ الخَيرِ مِنَ المَلَائِكَةِ ومُؤمِنِي الثَّقَلَينِ(٥). وقِيلَ: هو مَكَانٌ في السَّماءِ السَّابِعَةِ تَحتَ العَرْشِ(٦).

[١٩] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾: أعلَمَكَ: ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾: ما كِتَابُ عِلِّيِّينَ؟ هو:

[٢٠] ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾: مَختُومٌ. [٢١] ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ مِنَ المَلَائِكَةِ.

[٢٢] ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: جَنَّةٍ. [٢٣] ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾: السُّرُرِ في الحِجَالِ(٧) ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما أُعْطُوا مِنَ النَّعِيمِ. [٢٤] ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: بَهجَةَ التَّنَعُّمِ وحُسْنَه.

[٢٥] ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ﴾: خَمْرٍ خَالِصَةٍ مِنَ الدَّنَسِ ﴿مَّخۡتُومٍ﴾ على إِنَائِها، لَا يَفُكُّ خَتْمَهُ(٨) إِلَّا هُمْ.

[٢٦] ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ أي: آخِرُ شُرْبِه، يَفُوحُ مِنه رَائِحَةُ المِسْكِ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾: فَلْيَرْغَبُوا بِالمُبَادَرَةِ إِلى طَاعَةِ اللهِ(٩).

[٢٧] ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: مَا يُمزَجُ بِه ﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾، فُسِّرَ بِقَولِه: [٢٨] ﴿عَيۡنٗا﴾ فنَصْبُه بِـ«أَمْدَحُ» مُقَدَّرًا ﴿يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ مِنهَا، أَوْ: ضُمِّنَ ﴿يَشۡرَبُ﴾ مَعنَى: يَلْتَذُّ.

[٢٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ كَأَبِي جَهْلٍ ونَحوِه ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كَعَمَّارٍ وبِلَالٍ ونَحوِهما ﴿يَضۡحَكُونَ﴾ استِهزَاءً بِهم.

[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّواْ﴾؛ أي: المُؤمِنُونَ ﴿بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾ أي: يُشِيرُ المُجْرِمُونَ إِلى المُؤمِنِينَ، بِالجَفْنِ والحَاجِبِ استِهزَاءً.

[٣١] ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾: رَجَعُوا ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ [فَكِهِينَ]﴾ وفي قِرَاءَةٍ(١٠): ﴿فَكِهِينَ﴾: مُعْجَبِينَ بِذِكْرِهِم المُؤمِنِينَ.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾: رَأَوا المُؤمِنِينَ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ لِإيمانِهِم بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

[٣٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: عَلَى المُؤمِنِينَ ﴿حَٰفِظِينَ﴾ لهم، أَوْ لِأَعمالِهِم(١١)؛ حَتَّى يَرُدُّوهم إِلى مَصَالِحِهم.

[٣٤] ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: يومَ القِيَامَةِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾.

---

(١) ذَكَرَهُ الشَّوكَانِيُّ وبعضُ المُفَسِّرِينَ دُونَ عَزوِه لأَحَدٍ. فتح القدير (٥/ ٤٨٤)، والدُّرُّ المَصُونُ (١٠/ ٧٢٠)، والتَّسهِيلُ لِعُلُومِ التَّنزِيلِ (٢/ ٤٦١).

(٢) رَوَى أحمدُ (١٨٥٣٤) وغيرُه، في حَدِيثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، الطَّوِيلِ، مَرفُوعًا، وفيه: «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا». وفي رِوايةٍ عِندَ الطبريِّ (٢٤/ ١٩٧): «فَيَقُولُ اللهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى...». وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ الجَامِعِ (١٦٧٦).

(٣) ذَكَرَهُ البَغَوِيُّ في تَفسِيرِه (٨/ ٣٦٧) دُونَ عَزوِه لِأَحَدٍ؛ قَالَ: «فِي سِجِّينٍ، وَهُوَ مَحَلُّ إِبْلِيسَ وَجُنْدِهِ».

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فغشَّاها).

(٥) ذَكَرَهُ الزمخشريُّ في تفسِيرِه (٤/ ٧٢٢)، ولم يَعزُه لِأَحَدٍ، قَالَ: «عِلِّيُّونَ: عَلَمٌ لِدِيوَانِ الخَيرِ الذي دُوِّنَ فيه كُلُّ مَا عَمِلَتْه المَلَائِكَةُ وصُلَحَاءُ الثَّقَلَيْنِ».

(٦) يُنظَرُ حَدِيثُ البَرَاءِ المُتَقَدِّمُ قَرِيبًا. ورَوى الطَّبَرِيُّ (٢٤/ ٢٠٧) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿عِلِّيِّينَ﴾، قَالَ: السَّمَاءُ السَّابِعَةُ. ورَوى عبدُ الرزَّاقِ (٣٥٣٩) عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عِنْدَ قَائِمَةِ الْعَرْشِ الْيُمْنَى».

(٧) وَاحِدُه: «حَجَلَةٌ» بِفَتحَتَينِ، وهِي المُسَمَّاةُ بِالنَّامُوسِيَّةِ. حَاشِيَةُ الصَّاوِي (٦/ ٢١٢). وهي: القُبَّةُ فَوقَ السَّرِيرِ.

(٨) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (خَتَمَها).

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (الله تَعَالَى)؛ بزيادة: (تَعَالَى).

(١٠) لِلسَّبعَةِ عَدَا حَفْصٍ. وقَرَأَ حَفْصٌ: ﴿فَكِهِينَ﴾.

(١١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (لَهُم ولأَعمالِهم).

[٣٥] ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ في الجَنَّةِ ﴿يَنظُرُونَ﴾ مِنْ مَنازِلِهم إلى الكُفَّارِ وهُمْ يُعَذَّبُونَ، فيَضْحَكُونَ منهم، كَمَا ضَحِكَ الكُفَّارُ مِنهم في الدُّنيا.

[٣٦] ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾: جُوزِيَ ﴿ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾؟ نَعَمْ.

سُورَةُ الانشقَاقِ

مَكِّيَّةٌ، ثَلَاثٌ، أَوْ: خَمْسٌ وعِشْرُونَ آيَةً[*]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾.

[٢] ﴿وَأَذِنَتۡ﴾: سَمِعَتْ وأَطَاعَتْ، في الانْشِقَاقِ ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ أي: حُقَّ لَها أَنْ تَسْمَعَ وتُطِيعَ.

[٣] ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾: زِيدَ في سَعَتِها، كَمَا يُمَدُّ الأَدِيمُ، ولَمْ يَبْقَ عَليها بِناءٌ ولا جَبَلٌ.

[٤] ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ مِنَ المَوتَى إلى ظَاهِرِهَا ﴿وَتَخَلَّتۡ﴾ عنه.

[٥] ﴿وَأَذِنَتۡ﴾: سَمِعَتْ وأَطَاعَتْ في ذَلِكَ ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ - وذَلِكَ كُلُّه يَكُونُ يومَ القِيَامَةِ- وجَوَابُ «إِذَا» ومَا عُطِفَ عَليها مَحْذُوفٌ، دَلَّ عليه مَا بَعدَه؛ تَقْدِيرُه: لَقِيَ الإِنسَانُ عَمَلَه.

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾: جَاهِدٌ في عَمَلِكَ ﴿إِلَىٰ﴾ لِقَاءِ ﴿رَبِّكَ﴾ - وهُو المَوتُ(١)- ﴿كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: مُلَاقٍ عَمَلَكَ المَذْكُورَ، مِنْ خَيرٍ أَوْ شَرٍّ، يَومَ القِيَامَةِ.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾: كِتَابَ عَمَلِه ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ - هُو المُؤْمِنُ-.

[٨] ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ هو عَرْضُ عَمَلِه عَليه، كَمَا في حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ- وفيه: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ»(٢)- وبَعْدَ العَرْضِ يُتَجَاوَزُ عنه.

[٩] ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ في الجَنَّةِ ﴿مَسۡرُورٗا﴾ بِذَلِكَ.

[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ - هُو الكَافِرُ، تُغَلُّ يُمْنَاهُ إلى عُنُقِهِ، وتُجْعَلُ يُسْرَاه وَرَاءَ ظَهْرِه؛ فيَأْخُذُ بِها كِتَابَه-. [١١] ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ﴾ عِندَ رُؤْيَتِه مَا فيه ﴿ثُبُورٗا﴾: يُنَادِي هَلَاكَه بِقَولِه: يَا ثُبُورَاهْ. [١٢] ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾: يَدْخُلُ النَّارَ الشَّدِيدَةَ. وفي قِرَاءَةٍ(٣) بِضَمِّ اليَاءِ وفَتْحِ الصَّادِ واللَّامِ المُشَدَّدَةِ.

[١٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ﴾: عَشِيرَتِه في الدُّنيا ﴿مَسۡرُورًا﴾: بَطِرًا، بِاتِّبَاعِه لِهَوَاهُ.

[١٤] ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن﴾ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسْمُها مَحْذُوفٌ؛ أي: أَنَّه ﴿لَّن يَحُورَ﴾: يَرجِعَ إلى رَبِّه.

[١٥] ﴿بَلَىٰٓ﴾ يَرْجِعُ إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا﴾: عَالِمًا(٤) بِرُجُوعِه إليه.

[١٦] ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ - «لَا»: زَائِدَةٌ- ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ هو الحُمْرَةُ في الأُفُقِ، بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

[١٧] ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾: جَمَعَ مَا دَخَلَ عَليه مِنَ الدَّوَابِّ وغَيرِها.

[١٨] ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: اجْتَمَعَ وتَمَّ نُورُه، وذَلِكَ في اللَّيَالِي البِيضِ.

[١٩] ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ - أَيُّها النَّاسُ. أَصْلُه: «تَركَبُونَنَّ»؛ حُذِفَتْ نُونُ الرَّفْعِ، لِتَوَالي الأَمْثَالِ، والوَاوُ؛ لِالتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ- ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ. وهُو المَوتُ ثُمَّ الحَيَاةُ، ومَا بَعْدَها مِنْ أَحْوَالِ القِيَامَةِ.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمۡ﴾ أي: الكُفَّارِ ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: أَيُّ مَانِعٍ لَهم مِنَ الإِيمانِ؟ أَوْ أَيُّ حُجَّةٍ لَهم في تَرْكِهِ، مَعَ وُجُودِ بَرَاهِينِه؟

[٢١] ﴿وَ﴾ مَا لَهُم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾: يَخْضَعُونَ؛ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِه لِإِعْجَازِه؟

[٢٢] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ بِالبَعْثِ وغَيرِه.

[٢٣] ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: يَجْمَعُونَ في صُحُفِهِم، مِنَ الكُفْرِ والتَّكْذِيبِ وأَعْمَالِ السُّوءِ.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾: أَخْبِرْهُم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤْلِمٍ.

[٢٥] ﴿إِلَّا﴾: لَكِنِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾: غَيرُ مَقْطُوعٍ ولَا مَنْقُوصٍ، ولَا يُمَنُّ بِه عليهم.

فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ (٣٤) عَلَى
ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ (٣٦)

سُورَةُ الانشِقَاقِ — ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربع الحزب ٥٩

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ (١) وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ
(٣) وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ (٤) وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ (٥) يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا (٨) وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا (٩) وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ (١٠) فَسَوۡفَ
يَدۡعُواْ ثُبُورٗا (١١) وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا (١٣)
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا (١٥) فَلَآ أُقۡسِمُ
بِٱلشَّفَقِ (١٦) وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ (١٨)
لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ (١٩) فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ
سجدة عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ (٢١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ
(٢٢) وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤)

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ» فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾». التِّرمِذِيُّ - كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨) باب (٧٤) مِنْ سُورَةِ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٥٣).

(١) لِقَاءُ العَبْدِ رَبَّه لِقَاءٌ حَقِيقِيٌّ كَيفَما يَشَاؤُه رَبُّنا سُبحَانَهُ وتَعالَى.

(٢) البُخارِيُّ (٤٩٣٩)، ومسلمٌ (٢٨٧٦) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها. وفي لَفْظٍ لهما: «عُذِّبَ».

(٣) لِنافعٍ وابنِ كَثيرٍ وابنِ عَامِرٍ والكِسائِيِّ: ﴿يُصَلَّى﴾.

(٤) البَصرُ غيرُ العِلْمِ، فالوَاجِبُ إِثبَاتُ مَا أَثبَتَه الله لِنَفْسِه أو أَثبَتَه لَه رَسُولُه ﷺ على الوَجْهِ اللَّائِقِ بِجَلَالِه -سُبحَانَهُ-.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ البُرُوجِ (٨٥) آياتها (٢٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟
مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن
وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ البُرُوجِ

مَكِّيَّةٌ، ثِنْتَانِ وعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ - لِلكَواكِبِ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا، تَقَدَّمَتْ في «الفُرْقَانِ»[1] -.

[٢] ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾: يَومِ القِيامَةِ. [٣] ﴿وَشَاهِدٍ﴾: يَوم الجُمُعَةِ ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: يَومِ عَرَفَةَ - كَذَا فُسِّرَتِ الثَّلَاثَةُ في الحَدِيثِ[2]؛ فَالأَوَّلُ: مَوعُودٌ به، والثَّاني: شَاهِدٌ بِالعَمَلِ فيه، والثَّالِثُ: تَشْهَدُه النَّاسُ والمَلَائِكَةُ - وجَوَابُ القَسَمِ مَحْذُوفٌ صَدْرُهُ، تَقْدِيرُه[3]: «لَقَدْ»:

[٤] ﴿قُتِلَ﴾: لُعِنَ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: الشَّقِّ في الأَرْضِ.

[٥] ﴿ٱلنَّارِ﴾: بَدَلُ اشْتِمَالٍ منه ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾: مَا تُوقَدُ به.

[٦] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: حَولَها عَلى جَانِبِ الأُخْدُودِ، عَلى الكَرَاسِيِّ ﴿قُعُودٌ﴾.

[٧] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالله، مِنْ تَعْذِيبِهم بِالإِلْقَاءِ في النَّارِ، إِنْ لَمْ يَرجِعُوا عَنْ إِيمَانِهم ﴿شُهُودٌ﴾: حُضُورٌ - رُوِيَ أَنَّ اللهَ أَنْجَى المُؤْمِنِينَ المُلْقَينَ في النَّارِ، بِقَبْضِ أَرْوَاحِهم قَبْلَ وُقُوعِهم فيها، وخَرَجَتِ النَّارُ إِلى مَنْ ثَمَّ فَأَحْرَقَتْهُم[4] -.

[٨] ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المَحْمُودِ.

[٩] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: مَا أَنْكَرَ الكُفَّارُ عَلى المُؤْمِنِينَ إِلَّا إِيمَانَهم.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بِالإِحْرَاقِ ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بِكُفْرِهِم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: عَذَابُ إِحْرَاقِهم المُؤْمِنِينَ في الآخِرَةِ، وقِيلَ: في الدُّنيا بِأَنْ أَخرجَتِ النَّارُ فَأَحْرَقَتْهم، كَمَا تَقَدَّمَ.

[١١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بِالكُفَّارِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بِحَسَبِ إِرَادَتِه.

[١٣] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخَلْقَ ﴿وَيُعِيدُ﴾ فَلَا يُعْجِزُه مَا يُرِيدُ.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِلمُذْنِبِينَ المُؤْمِنِينَ ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المُتَوَدِّدُ إِلى أَوْلِيَائِه بِالكَرَامَةِ.

[١٥] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: خَالِقُه ومَالِكُه[5] ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ بِالرَّفْعِ: المُسْتَحِقُّ لِكَمَالِ صِفَاتِ العُلُوِّ[6].

[١٦] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: لَا يُعْجِزُه شَيءٌ.

[١٧] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ - يَا مُحَمَّدُ - ﴿حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾.

[١٨] ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾؟ بَدَلٌ مِنَ ﴿ٱلْجُنُودِ﴾. واسْتَغْنَى بِذِكْرِ فِرْعَونَ عَنْ أَتْبَاعِه. وحَدِيثُهم: أَنَّهم أُهْلِكُوا بِكُفْرِهم. وهَذا تَنْبِيهٌ لِـمَنْ كَفَرَ بِالنَّبِيِّ ﷺ والقُرآنِ؛ لِيَتَّعِظُوا.

[١٩] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ بِمَا ذُكِرَ.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ لَا عَاصِمَ لَهُم منه.

[٢١] ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾: عَظِيمٌ.

[٢٢] ﴿فِى لَوْحٍ﴾ هُو في الهَوَاءِ، فَوقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ - بِالجَرِّ[7] - مِنَ الشَّيَاطِينِ، ومِنْ تَغْيِيرِ شَيءٍ منه، طُولُه مَا بَينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وعَرْضُه مَا بَينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، وهو مِنْ دُرَّةٍ بَيضَاءَ. قَالَه ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[8].

---

(١) الفُرقان: ٦١.

(٢) يُشِيرُ إِلى مَا أَخرَجَه التِّرمِذِيُّ في سننه (٣٢٦٢) عَن أَبي هُرَيرَةَ مَرفُوعًا، وحَسَّنَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ الجَامِعِ (٨٢٠١).

(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (تقديرُه: أي:).

(٤) نَقَلَه ابنُ أَبي حَاتِمٍ (١٠/ ٣٤١٤) وغَيرُه، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: «فَقُبِضَتْ أَرْوَاحُهُم مِن قَبْلِ أَنْ يَمَسَّهُمْ حَرُّهَا، وَخَرَجَتِ النَّارُ مِنْ مَكَانِهَا، فَأَحَاطَتْ بِالجَبَّارِينَ، فَأَحْرَقَهُمُ اللهُ بِهَا...». والرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ مِن صِغَارِ التَّابِعِينَ، وأَكثَرُ المُفَسِّرِينَ أَنَّ هذا العَذَابَ في جَهَنَّمَ.

(٥) اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ، والإِضَافَةُ هنا لِأَمرٍ اختَصَّ به العَرْشُ دُونَ سَائِرِ المَخلُوقَاتِ، وهو اسْتِوَاؤُه سُبْحَانَه عَليه بِنَفْسِه المُقَدَّسَةِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِه.

(٦) وبِالجَرِّ - في قِرَاءَةِ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ -: صِفَةٌ لِلعَرْشِ.

(٧) وهي قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ غَيرِ نَافِعٍ.

(٨) رَوَاهُ عنه الطَّبَرِيُّ (١٣/ ٥٧٠) قَالَ: «إِنَّ للهِ لَوْحًا مَحْفُوظًا، مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ لَهَا دَفَّتَانِ مِنْ يَاقُوتٍ...». وروَاهُ بنحوه الحَاكِمُ في مُستَدرَكِه (٣٧٧١، ٣٩١٧) وقَالَ: «صَحِيحُ الإِسْنَادِ ولَمْ يُخَرِّجَاه». وخَالَفَه الذَّهَبِيُّ، لِضَعْفِ أَحَدِ رُوَاتِه وهو أبو حَمْزَةَ ثَابِتٌ الثُّمَالِيُّ. وروَاهُ من وَجْهٍ آخَرَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَيضًا الطبرانيُّ في الكَبِيرِ (١٠٦٠٥). وضَعَّفَهُ الأَلبَانِيُّ في ضَعِيفِ الجَامِعِ (١٦٠٨). وتَحدِيدُ اللَّوحِ بِمَا ذُكِرَ مِنَ الأُمُورِ الغَيبِيَّةِ، يَحتَاجُ الجَازِمُ بِهَا إِلى دَلِيلٍ صَحِيحٍ ثَابِتٍ عَنِ المَعصُومِ ﷺ.

سورة الطارق ‏ ترتيبها ٨٦ ‏ آياتها ١٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ (٢) ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ
(٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥)
خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ (٧) إِنَّهُۥ عَلَىٰ
رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ (٩) فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ
(١٠) وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ (١١) وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُۥ
لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥)
وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا (١٧)

سورة الأعلى ‏ ترتيبها ٨٧ ‏ آياتها ١٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٦٠

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ
(٣) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)

٥٩١

سورة الطارق

مَكِّيَّةٌ، سَبْعَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: أَصْلُه: كُلُّ آتٍ لَيلًا، ومنه النُّجُومُ لِطُلُوعِها لَيلًا. [٢] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أَعْلَمَكَ: ﴿مَا ٱلطَّارِقُ﴾؟ مُبْتَدأٌ وخَبَرٌ، في مَحَلِّ المَفْعُولِ الثَّاني لِـ«أدرى»، ومَا بَعْدَ «مَا» الأُولَى: خَبَرُها. وفيه تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ الطَّارِقِ، المفَسَّرِ بِمَا بَعْدَه. [٣] هو: ﴿ٱلنَّجْمُ﴾؛ أَيِ: الثُّرَيَّا، أَوْ كُلُّ نَجْمٍ ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المُضِيءُ؛ لِثَقْبِهِ الظَّلَامَ بِضَوئِه. وجَوَابُ القَسَمِ: [٤] ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ [لَمَا] عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ بِتَخفِيفِ «مَا» فهِيَ مَزِيدَةٌ، و﴿إِن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسْمُها مَحذُوفٌ؛ أي: إِنَّه. واللَّامُ: فَارِقَةٌ. وبِتَشدِيدِها(١) فـ﴿إِن﴾ نَافِيَةٌ، و﴿لَّمَّا﴾ بِمَعنَى: «إِلَّا»، و«الحَافِظُ»: مِنَ المَلَائِكَةِ، يَحفَظُ عَمَلَها مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ. [٥] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نَظَرَ اعْتِبَارٍ: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾: مِنْ أَيِّ شَيءٍ؟ جَوَابُه: [٦] ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾: ذِي انْدِفَاقٍ مِنَ الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ، في رَحِمِهَا.

[٧] ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ لِلرَّجُلِ ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ لِلمَرْأَةِ؛ وهِيَ: عِظَامُ الصَّدْرِ. [٨] ﴿إِنَّهُۥ﴾ -تَعَالَى- ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾: بَعْثِ الإِنْسَانِ بَعْدَ مَوتِه ﴿لَقَادِرٌ﴾ - فإِذَا اعْتَبَرَ أَصْلَه عَلِمَ أَنَّ القَادِرَ على ذَلِكَ قَادِرٌ على بَعْثِه-. [٩] ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾: تُختَبَرُ وتُكْشَفُ ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾: ضَمَائِرُ القُلُوبِ في العَقَائِدِ والنِّيَّاتِ. [١٠] ﴿فَمَا لَهُۥ﴾: لِمُنْكِرِ البَعْثِ ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ يَمْتَنِعُ بِها مِنَ العَذَابِ ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يَدْفَعُه عنه. [١١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾: المَطَرِ؛ لِعَودِه كُلَّ حِينٍ. [١٢] ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾: الشَّقِّ عَنِ النَّبَاتِ. [١٣] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أَيِ: القُرآنَ ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يَفْصِلُ بَينَ الحَقِّ والبَاطِلِ. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾: بِاللَّعِبِ والبَاطِلِ. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أَيِ: الكُفَّارَ ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يَعْمَلُونَ المَكَايِدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: أَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حَيثُ لَا يَعْلَمُونَ.

[١٧] ﴿فَمَهِّلِ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ تَأْكِيدٌ، حَسَّنَه مُخَالَفَةُ اللَّفْظِ؛ أَيْ: أَنْظِرْهُم ﴿رُوَيْدًۢا﴾: قَلِيلًا، وهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَعنَى العَامِلِ، مُصَغَّرُ: «رُودٍ»، أَوْ «إِرْوَادٍ» عَلَى التَّرْخِيمِ(٢). وقَدْ أَخَذَهُم اللهُ -تَعَالَى- بِبَدْرٍ. ونُسِخَ الإِمْهَالُ بِآيَةِ السَّيفِ؛ أَيْ(٣): بِالأَمْرِ بِالقِتَالِ والجِهَادِ.

سورة الأعلى

مَكِّيَّةٌ، تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً[*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نَزِّهْ رَبَّكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِه، و﴿ٱسْمَ﴾: زَائِدٌ(٤) ﴿ٱلْأَعْلَى﴾: صِفَةٌ لِـ﴿رَبِّكَ﴾(٥). [٢] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ مَخْلُوقَه؛ جَعَلَه مُتَنَاسِبَ الأَجْزَاءِ، غَيرَ مُتَفَاوِتٍ. [٣] ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ مَا شَاءَ ﴿فَهَدَىٰ﴾ إِلى مَا قَدَّرَهُ مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ. [٤] ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾: أَنْبَتَ العُشْبَ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بَعْدَ الخُضْرَةِ ﴿غُثَآءً﴾: جَافًّا هَشِيمًا ﴿أَحْوَىٰ﴾: أَسْوَدَ يَابِسًا. [٦] ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القُرآنَ ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ مَا تَقْرَؤُه. [٧] ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أَنْ تَنْسَاهُ بِنَسْخِ تِلَاوَتِه وحُكْمِه- وكَانَ ﷺ يَجْهَرُ بِالقِرَاءَةِ مَعَ قِرَاءَةِ جِبْرِيلَ خَوفَ النِّسْيَانِ، فكَأَنَّه قِيلَ له: لَا تَعجَلْ بِها، إِنَّكَ لَا(٦) تَنْسَى- ولَا(٧) تُتْعِبْ نَفْسَكَ بِالجَهرِ بِها؛ ﴿إِنَّهُۥ﴾ تَعَالَى ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ مِنَ القَولِ والفِعْلِ ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ مِنهُما. [٨] ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ لِلشَّرِيعَةِ السَّهْلَةِ وهِيَ الإِسْلَامُ. [٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾: عِظْ بِالقُرآنِ ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ مَنْ تُذَكِّرُهُ، المَذْكُورَ في:(٨). [١٠] ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بِها ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾: يَخَافُ اللهَ -تَعَالَى- كَآيَةِ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(٩). [١١] ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أَيِ: الذِّكْرَى؛ أَيْ: يَترُكُها جَانِبًا لَا يَلتَفِتُ إِلَيها ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ بِمَعنَى: الشَّقِيِّ؛ أَيِ: الكَافِرِ. [١٢] ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ هِيَ نَارُ الآخِرَةِ، والصُّغْرَى نَارُ الدُّنيا. [١٣] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فَيَستَرِيحَ ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حَيَاةً هَنِيئَةً.

[١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: فَازَ ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾: تَطَهَّرَ بِالإِيمَانِ. [١٥] ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ مُكَبِّرًا ﴿فَصَلَّىٰ﴾ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ. وذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الآخِرَةِ، وكُفَّارُ مَكَّةَ مُعْرِضُونَ عنها.

---

[*] فَائِدَةٌ: أخرجَ النَّسَائِيُّ عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوتِر بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. النَّسَائِيُّ - كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر. وصَحَّحَه الأَلبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ (١٦٣٣).

---

(١) بِالتَّخْفِيفِ: قِرَاءَةُ نافعٍ وابنِ كثيرٍ والكِسَائِيِّ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لَّمَّا﴾، بِالتَّشْدِيدِ.

(٢) «تَصْغِيرُ التَّرْخِيمِ» هو نَوعٌ مِنْ أَنواعِ التَّصغِيرِ، وهُوَ أَنْ يُجَرَّدَ الاسمُ مِنَ الزَّوائِدِ التي فيه، ويُصَغَّرَ عَلَى أَحْرُفِه الأَصْلِيَّةِ. فَالمَصدَرُ: «إِرْوَاد»، أَحرُفُه الزَّائِدَةُ: الهَمْزُ والأَلِفُ، فحُذِفَتْ فَصَارَ: «رود»، فصُغِّرَ عَلَى: «رُوَيْد». يُنظَرُ: تفسيرُ القُرطُبِيِّ (٢٠/ ١٢)، والبحرُ المحيطُ (١٠/ ٤٤٩)، وفتحُ القديرِ للشَّوكَانِيِّ (٥/ ٥١١). (٣) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة.

(٤) بَلْ يَجِبُ تَنزِيهُ الأسمِ كذلِكَ، كَما يَجِبُ تَنزِيهُ ذَاتِه المُقَدَّسَةِ سُبحانَه. (٥) الأعلى: اسْمٌ مِنْ أَسماءِ الله عَزَّ وجَلَّ، وهو يَشتَمِلُ على إثباتِ صِفَةِ العُلُوِّ لله -تَعَالَى-، ومَعناه: الأعلى مِنْ كُلِّ شَيءٍ؛ ذَاتًا وقَهْرًا وشَأْنًا. (٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ما). (٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (فلا). (٨) في الأَصْلِ في هذا المَوضِعِ: جُملَةُ: (﴿سَيَذَّكَّرُ﴾؛ يَعني: وإِنْ لَم تَنفَعْ، ونَفعُها لِبَعضٍ، وعَدَمُ النَّفعِ لِبَعضٍ آخر)، وهذه الزِّيادةُ لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة، ولا القَاضِي. وفيها تَوجِيهٌ آخَرُ لِمَعنَى الآيةِ، وهو مُخَالِفٌ لِمَا سَيأتي في الآيَةِ: (١٠)، وهو قَولٌ لِبَعضِ المُفَسِّرِينَ. (٩) ق: ٤٥.

وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ — مكية ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ
لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ
مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ
إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى
ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾
فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾

٥٩٢

[١٦] ﴿بَلْ [يُؤْثِرُونَ]﴾ - بِالتَّحْتَانِيَّةِ والفَوْقَانِيَّةِ(١)- ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على الآخِرَةِ.

[١٧] ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ المُشْتَمِلَةُ على الجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إِفْلاحَ مَنْ تَزَكَّى، وكَوْنَ الآخِرَةِ خيرًا ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: المُنْزَلَةِ قَبْلَ القُرآنِ.

[١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وهي: عَشْرُ صُحُفٍ لِإِبْرَاهِيمَ(٢)، والتَّوراةُ لِمُوسَى.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مَكِّيَّةٌ، سِتٌّ وعِشْرُونَ آيَةً[*]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ﴾: قَدْ ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: القِيامَةِ؛ لِأَنَّها تَغْشَى الخَلائِقَ بِأَهْوالِها؟

[٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ - عُبِّرَ بِها عَنِ الذَّواتِ في المَوضِعَيْنِ- ﴿خَٰشِعَةٌ﴾: ذَلِيلَةٌ.

[٣] ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: ذاتُ نَصَبٍ وتَعَبٍ، بِالسَّلاسِلِ والأَغْلالِ.

[٤] ﴿[تُصْلَىٰ]﴾ - بِضَمِّ التَّاءِ وفَتْحِها(٣)- ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.

[٥] ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾: شَدِيدَةِ الحَرارَةِ.

[٦] ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ - هُو نَوعٌ مِنَ الشَّوكِ، لا تَرعَاهُ دابَّةٌ؛ لِخُبْثِهِ-.

[٧] ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾.

[٨] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: حَسَنَةٌ.

[٩] ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدُّنيا بِالطَّاعَةِ ﴿رَاضِيَةٌ﴾ في الآخِرَةِ، لَمَّا رَأَتْ ثَوابَهُ.

[١٠] ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ حِسًّا ومَعنًى.

[١١] ﴿لَّا [يُسْمَعُ]﴾ - بِالياءِ والتَّاءِ(٤)- ﴿فِيهَا [لَٰغِيَةٌ]﴾ أي: نَفْسٌ ذاتُ لَغْوٍ: هَذَيانٍ مِنَ الكَلامِ.

[١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بِالماءِ؛ بِمَعنَى: عُيونٍ.

[١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ ذاتًا وقَدْرًا ومَحَلًّا.

[١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: أَقْداحٌ لا عُرَى لها ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ على حافَاتِ العُيونِ، مُعَدَّةٌ لِشُرْبِهِم.

[١٥] ﴿وَنَمَارِقُ﴾: وسائِدُ ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بَعضُها بِجَنْبِ بَعْضٍ، يُستَنَدُ إِلَيها.

[١٦] ﴿وَزَرَابِىُّ﴾: بُسُطٌ طَنافِسُ لها خَمْلٌ(٥) ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مَبْسُوطَةٌ.

[١٧] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّةَ؛ نَظَرَ اعتِبارٍ ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟

[١٨] ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؟ [١٩] ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾؟

[٢٠] ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بُسِطَتْ؟ فَيَستَدِلُّونَ بِها على قُدْرَةِ اللهِ -تعالَى- ووَحْدانِيَّتِهِ؟ وصُدِّرَتْ بِالإِبِلِ؛ لِأَنَّهم أَشَدُّ مُلابَسَةً لها مِن غَيرِها. وقَولُه: ﴿سُطِحَتْ﴾ ظاهِرٌ في أَنَّ الأَرضَ سَطْحٌ؛ وعليه عُلَماءُ الشَّرْعِ، لا كُرَةٌ؛ كَما قالَهُ أَهْلُ الهَيئَةِ، وإِن لَمْ يَنقُضْ رُكْنًا مِن أَركانِ الشَّرعِ(٦).

[٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾هُمْ نِعَمَ اللهِ ودَلائِلَ تَوحِيدِهِ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾.

[٢٢] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم [بِمُسَيْطِرٍ](٧)﴾ وفي قِراءَةٍ بِالصَّادِ بَدَلَ السِّينِ؛ أي: بِمُسَلَّطٍ. وهَذَا قَبْلَ الأَمرِ بِالجِهادِ.

[٢٣] ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾: أَعْرَضَ عَنِ الإِيمانِ ﴿وَكَفَرَ﴾ بِالقُرآنِ.

[٢٤] ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ عَذابَ الآخِرَةِ. والأَصْغَرُ عَذابُ الدُّنيا بِالقَتْلِ والأَسْرِ.

[٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: رُجوعَهم بَعْدَ المَوتِ.

[٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: جَزاءَهم، لا نَترُكُهُ أَبَدًا.

---

[*] فائِدَةٌ: أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنِ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ قالَ: «كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقرَأُ في العِيدَيْنِ، وفي الجُمُعَةِ بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾»، قالَ: «وإِذا اجْتَمَعَ العِيدُ والجُمُعَةُ، في يَومٍ واحِدٍ، يَقرَأُ بِهِما أَيضًا في الصَّلاتَيْنِ». مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٦) ما يقرأ في صلاة الجمعة.

---

(١) بِالياءِ: لأَبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تُؤْثِرُونَ﴾؛ بِالتَّاءِ.

(٢) أَخرَجَه ابنُ حِبَّان (٢/ ٧٦) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، مَرفوعًا في حَديثٍ طَويلٍ، وفيه: «...وأَنزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشْرَ صَحَائِفَ». وقالَ الأرناؤوطُ في تعليقِه عليه (٢/ ٧٩): «إِسنادُه ضَعيفٌ جِدًّا».

(٣) بِالضَّمِّ: قِراءَةُ أبي عَمرٍو وشُعْبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَصْلَىٰ﴾ بِالفَتحِ.

(٤) بِالياءِ: لابنِ كَثيرٍ وأبي عَمرٍو، وقَرَأَ نافِعٌ بِالتَّاءِ مَعَ ضَمِّها؛ مَبْنِيًّا لِلمَجهولِ؛ ﴿تُسْمَعُ﴾ وضَمِّ: ﴿لَٰغِيَةٌ﴾، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ لِلفاعِلِ، مع نَصْبِ: ﴿لَٰغِيَةً﴾.

(٥) «زَرابِيُّ»: جمع: «زِرْبِيَّة» بِتَثليثِ الزَّاي. و«طَنافِس»: جَمْعُ: «طنفسة» بِتَثليثِ الفاءِ والطَّاءِ، وهي: البُسُطُ والثِّيابُ والحَصيرُ. وتُسَمَّى أيضًا: سِجَّادَة. والـ«خَمْل»: الـ«هُدْب».

(٦) هذا التَّفسيرُ لِلسَّطحِ والبَسْطِ خِلافُ قَولِ جُمهورِ المُفَسِّرينَ؛ حيثُ إِنَّهم قالوا: إِنَّ بَسْطَ الأَرضِ يَعني تَمهيدَها بِتَسطيحِ أَجزائِها، والقَولُ بِبَسطِها وتَسطيحِها لا يَتَنافَى مَعَ كَرَوِيَّتِها في نَفسِها؛ وذَلِكَ لِتَباعُدِ أَطرافِها، فَكُلُّ قِطعَةٍ منها على حِدَةٍ مَمدودَةٌ مُسَطَّحَةٌ، والكَرَوِيَّةُ كائِنَةٌ لِجُملَتِها، فالأَوَّلُ بِاعتِبارِ النَّظَرِ القَريبِ، والثَّاني بِاعتِبارِ النَّظَرِ البَعيدِ مِنَ الفَضاءِ ونَحوِه. يُنظَرُ في ذَلِكَ: مفاتيحُ الغيب لِلرَّازي (٣١/ ١٤٥)، روحُ المعاني للألوسي (١٠/ ١٤٦)، معجمُ البُلدانِ لِياقوت الحَمَوي (١/ ١٧)، مجموعُ فَتاوى ابنِ تَيمِيَّةَ (٥/ ١٥٠)، و(٦/ ٥٦٦)، و(٧/ ٣٣٤-٣٣٥)، و(٢٥/ ١٩٥).

(٧) لِهِشام، وقَرَأَ حَمزةُ بِخُلفٍ عَن خَلادٍ: بِإِشمامِ الصَّادِ الزَّايَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾؛ بِالصَّادِ، وهُو الوَجهُ الثَّاني لِخَلَّادٍ.

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ (٢٤)
إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦)

سُورَةُ الفَجْرِ — ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ (٣) وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)
هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦)
إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ (٧) ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ (٨) وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ
جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ (١٠) ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى
ٱلْبِلَٰدِ (١١) فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ (١٦) كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ
ٱلْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ
ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّآ ۖ إِذَا
دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)

سُورَةُ الفَجْرِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، ثَلاثُونَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ أي: فَجْرِ كُلِّ يومٍ.

[٢] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي: عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ.

[٣] ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾: الزَّوْجِ ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾: بِفَتْحِ الوَاوِ وكَسْرِها(1)؛ لُغَتَانِ: الفَرْدِ.

[٤] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ مُقْبِلًا ومُدْبِرًا.

[٥] ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ﴾ القَسَمِ ﴿قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾: عَقْلٍ؟ وجَوَابُ القَسَمِ مَحْذُوفٌ؛ أي: لَتُعَذَّبُنَّ، يَا كُفَّارَ مَكَّةَ. [٦] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعْلَمْ -يا مُحَمَّدُ- ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

[٧] ﴿إِرَمَ﴾ هِي عَادٌ الأُولَى. فـ﴿إِرَمَ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ، أَوْ بَدَلٌ، ومُنِعَ الصَّرْفَ؛ لِلعَلَمِيَّةِ والتَّأْنِيثِ ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أَيِ: الطُولِ، كَانَ طُولُ الطَّوِيلِ مِنهم أَرْبَعَمِائَةِ ذِرَاعٍ(2).

[٨] ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ في بَطْشِهِم وقُوَّتِهم.

[٩] ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟﴾: قَطَعُوا ﴿ٱلصَّخْرَ﴾: جَمْعُ: «صَخْرةٍ»، واتَّخَذُوهَا بُيُوتًا ﴿بِٱلْوَادِ﴾: وَادِي القُرَى(3).

[١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ - كَانَ يَتِدُ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ، يَشُدُّ إِلَيها يَدَي ورِجْلَي مَنْ يُعَذِّبُهُ(4)-.

[١١] ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟﴾: تَجَبَّرُوا ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾. [١٢] ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾: القَتْلَ وغَيرَه.

[١٣] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾: نَوعَ ﴿عَذَابٍ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ يَرْصُدُ أَعْمَالَ العِبَادِ، فلا يَفُوتُه مِنها شَيءٌ؛ لِيُجَازِيَهم عَليها.

[١٥] ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكَافِرُ ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾: اخْتَبَرَه ﴿رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ﴾ بِالمَالِ وغَيرِه ﴿وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾.

[١٦] ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ﴾: ضَيَّقَ ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾.

[١٧] ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ؛ أي: لَيسَ الإِكْرَامُ بِالغِنَى، والإِهَانَةُ بِالفَقْرِ، وإِنَّما هُو بِالطَّاعَةِ والمَعْصِيَةِ. وكُفَّارُ مَكَّةَ لا يَنتَبِهُونَ لِذَلِكَ ﴿بَل لَّا [يُكْرِمُونَ] ٱلْيَتِيمَ﴾: لَا يُحسِنُونَ إِلَيه مَعَ غِنَاهُم، أَوْ لَا يُعْطُونَه حَقَّهُ مِنَ المِيرَاثِ.

[١٨] ﴿وَلَا [يَحُضُّونَ]﴾ أَنفُسَهم ولَا غَيرَهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾ أي: إِطْعَامِ ﴿ٱلْمِسْكِينِ﴾.

[١٩] ﴿[وَيَأْكُلُونَ] ٱلتُّرَاثَ﴾: المِيرَاثَ ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي: شَدِيدًا، لِلَمِّهِمْ نَصِيبَ النِّسَاءِ والصِّبْيَانِ مِنَ المِيرَاثِ، مَعَ نَصِيبِهم مِنه، أَوْ مَعَ مَالِهم.

[٢٠] ﴿[وَيُحِبُّونَ] ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كَثِيرًا، فَلَا يُنفِقُونَه(5). وفي قِرَاءَةٍ: بِالفَوقَانِيَّةِ، في الأَفْعَالِ الأَرْبعةِ(6).

[٢١] ﴿كَلَّآ﴾: رَدْعٌ لَهم عَنْ ذَلِكَ ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: زُلْزِلَتْ، حَتَّى يَنهَدِمَ كُلُّ بِنَاءٍ عَليها ويَنْعَدِمَ.

[٢٢] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: أَمْرُهُ(7) ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ أَيِ: المَلَائِكَةُ ﴿صَفًّا صَفًّا﴾: حَالٌ؛ أي: مُصْطَفِّينَ، أَوْ ذَوِي صُفُوفٍ كَثِيرَةٍ.

[٢٣] ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلفَ زِمَامٍ، كُلُّ زِمَامٍ بِأَيدِي سَبْعِينَ أَلفَ مَلَكٍ(8)، لَهَا زَفِيرٌ وتَغَيُّظٌ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا﴾، وَجَوابُها: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكَافِرُ مَا فَرَّطَ فيه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؟ استِفْهَامٌ بِمَعنَى النَّفْيِ؛ أي: لا يَنفَعُه تَذَكُّرُه ذَلِكَ.

---

(١) بِالكَسْرِ: لِحَمْزَةَ والكِسَائِيِّ.

(٢) عَزَاهُ في عُمدَةِ القَارِي شَرحِ صَحِيحِ البُخَارِيِّ (١٩/ ٢٩٠) لِلكَلْبِيِّ؛ قَالَ: «كَانَ طُولُ الرَّجُلِ منهم أَربَعمِائَةِ ذِرَاعٍ». وذَكَرَ ذَلِكَ بَعضُ المُفَسِّرِينَ دُونَ إِسنَادِهِ لِأَحَدٍ، كَما قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ في الكَشَّافِ (٤/ ٧٤٨): «...لَمْ يُخلَقْ مِثلُها مِثلَ عَادٍ فِي البِلادِ عِظَمِ أَجرَامٍ وقُوَّةٍ، كَانَ طُولُ الرَّجُلِ منهم أَربَعمِائَةِ ذِرَاعٍ...». وهو يَتَنَافَى مَعَ مَا صَحَّ عنه ﷺ عِندَ البُخَارِيِّ (٣٣٢٦)، ومُسلِمٍ (٢٨٤١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ، مَرفُوعًا: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ وطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا... فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنقُصُ حَتَّى الآنَ». ومَعنَى: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾: أي: ذَاتِ الأَبنِيَةِ المَرفُوعَةِ على العَمَدِ، أَو: البِنَاءِ المُرتَفِعِ. وقَالَ مُجَاهِدٌ وقَتَادَةُ: كَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ لَا يُقِيمُونَ، أَي لِخِيَامِهم، واختَارَه ابنُ جَرِيرٍ (٢٤/ ٣٦٦)؛ حَيثُ قَالَ: «وَأَشبَهُ الأَقوَالِ فِي ذَلِكَ بِمَا دَلَّ عَلَيهِ ظَاهِرُ التَّنزِيلِ: قَولُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُم كَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ سَيَّارَةٍ، لِأَنَّ المَعرُوفَ فِي كَلَامِ العَرَبِ مِنَ العِمَادِ، مَا عُمِدَ بِهِ الخِيَامُ مِنَ الخَشَبِ، وَالسَّوَارِي الَّتِي يُحمَلُ عَلَيهَا البِنَاءُ...»، ووافَقَه ابنُ كَثِيرٍ (٦/ ١٥٤).

(٣) قَالَه ابنُ إِسحَاقَ، كَما نَقَلَه عنه غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ المُفَسِّرِينَ، دُونَ سَنَدٍ. وهو وَادٍ عَلى طَرِيقِ الشَّامِ مِنَ المَدِينَةِ، كَانَتْ مَنَازِلُهم فيه. فتحُ القَدِيرِ لِلشَّوكَانِيِّ (٥/ ٥٣٠)، وتفسيرُ القَاسِمِيِّ (٩/ ٤٦٨).

(٤) رَوى الطَّبَرِيُّ (٢٤/ ٣٧١) عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «كَانَ يُوتِدُ النَّاسَ بِالأَوْتَادِ». وتَقَدَّمَ في سُورَةِ ص الآية (١٢).

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (فلا يُنفِقُونَ)، بِدُونِ الهَاءِ.

(٦) والقِرَاءَةُ المُفَسَّرَةُ المَذكُورَةُ أَوَّلًا بِاليَاءِ فِي الأَربَعَةِ أَفعَالٍ لِأَبِي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿تُكْرِمُونَ﴾، ﴿وَتَأْكُلُونَ﴾، ﴿وَتُحِبُّونَ﴾ بِالتَّاءِ، وقَرَأَ نَافِعٌ وابنُ كَثِيرٍ وابنُ عَامِرٍ ﴿تَحُضُّونَ﴾؛ بِضَمِّ الحَاءِ بِدُونِ أَلِفٍ. وقَرَأَ بَقِيَّتُهم: ﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾؛ بِفَتحِ الحَاءِ بَعدَها أَلِفٌ تُمَدُّ مُشبَعًا.

(٧) تَأوِيلُ المَجِيءِ بِأَمرِ اللهِ خِلَافُ ظَاهِرِ النَّصِّ، وعُدُولٌ عَمَّا فَهِمَه السَّلَفُ مِنَ الآيَةِ. والمَجِيءُ مِنْ صِفَاتِ الفِعْلِ الثَّابِتَةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلى مَا يَلِيقُ بِه -سُبحَانَه-.

(٨) كما في حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ عِندَ مُسلِمٍ (٢٨٤٢) مَرفُوعًا: «يُؤتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لَهَا سَبعُونَ أَلفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ أَلفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». والزِّمَامُ: هو: الخِطَامُ الذي يُقَادُ به البَعِيرُ.

وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ
لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيَّتُهَا
ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾
فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ
﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ
ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟
بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾

ربع الحزب ٦٠

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مَعَ تَذَكُّرِهِ: ﴿يَا﴾: لِلتَّنبِيهِ ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخيرَ والإيمانَ ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطَّيِّبَةِ في الآخِرَةِ، أَوْ وَقْتِ حَيَاتِي في الدُّنيا.

[٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ بِكَسْرِ الذَّالِ ﴿عَذَابَهُ﴾ أي: اللهِ ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يَكِلُهُ إلى غيرِه.

[٢٦] ﴿وَ﴾ كَذَا ﴿لَا يُوثِقُ﴾ بِكَسْرِ الثَّاءِ ﴿وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ وفي قِراءَةٍ[١] بِفَتْحِ الذَّالِ والثَّاءِ، فَضَمِيرُ: ﴿عَذَابَهُ﴾ و﴿وَثَاقَهُ﴾ لِلكَافِرِ، والمَعنَى: لا يُعَذَّبُ أَحَدٌ مِثلَ تَعذِيبِه، ولا يُوثَقُ مِثلَ إيثَاقِه.

[٢٧] ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: الآمِنَةُ- وهِيَ المُؤْمِنَةُ-.

[٢٨] ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ - يُقَالُ لها ذَلِكَ عِندَ المَوتِ- أي: ارجِعي إلى أَمْرِه وإِرَادَتِه[٢] ﴿رَاضِيَةً﴾ بِالثَّوَابِ ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عِندَ اللهِ بِعَمَلِكِ؛ أي: جَامِعَةً بَينَ الوَصْفَينِ- وهُمَا حَالَانِ- ويُقَالُ لها في القِيَامَةِ: [٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جُمْلَةِ ﴿عِبَادِي﴾ الصَّالِحِينَ. [٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ مَعَهُم.

سُورَةُ البَلَدِ

مَكِّيَّةٌ، عِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا﴾: زَائِدَةٌ ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ مَكَّةَ.

[٢] ﴿وَأَنتَ﴾ - يا مُحَمَّدُ- ﴿حِلٌّ﴾: حَلَالٌ ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بِأَنْ يَحِلَّ لَكَ فَتُقَاتِلَ فيه- وقَدْ أَنجَزَ اللهُ له هَذا الوَعْدَ يومَ الفَتْحِ. فَالجُملَةُ اعتِرَاضٌ بَينَ المُقْسَمِ بِه، ومَا عُطِفَ عَلَيه-.

[٣] ﴿وَوَالِدٍ﴾ أي: آدمَ ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ذُرِّيَّتِه. و«مَا» بِمَعنَى: «مَنْ».

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ أي: الجِنْسَ ﴿فِي كَبَدٍ﴾: نَصَبٍ وشِدَّةٍ؛ يُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنيا وشَدَائِدَ الآخِرَةِ.

[٥] ﴿[أَيَحْسِبُ]﴾[٣]: أَيَظُنُّ الإِنسَانُ؛ قَوِيُّ قُرَيشٍ- وهو أبو الأَشَدِّ بنُ كَلَدَةَ[٤]- بِقُوَّتِه ﴿أَن﴾: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُها مَحذُوفٌ؛ أي: أَنَّه ﴿لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ واللهُ قَادِرٌ عَلَيه.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ عَلَى عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾: كَثِيرًا بَعْضُه عَلَى بَعْضٍ؟

[٧] ﴿[أَيَحْسِبُ][٥] أَن﴾ أي: أَنَّه ﴿لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فِيمَا أَنفَقَه، فَيَعلَمُ قَدْرَه؟ واللهُ عَالِمٌ[٦] بِقَدْرِه، وأَنَّه لَيسَ مِمَّا يُتَكَثَّرُ بِه، ومُجَازِيه عَلَى فِعْلِه السَّيِّئِ. [٨] ﴿أَلَمْ نَجْعَل﴾ - استِفهَامُ تَقرِيرٍ- أي: جَعَلْنَا ﴿لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾. [٩] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: بَيَّنَّا له طَرِيقَيِ الخَيرِ والشَّرِّ؟ [١١] ﴿فَلَا﴾: فَهَلَّا ﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: جَاوَزَها[٧].

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أَعْلَمَكَ: ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ الَّتي يَقتَحِمُها؟ تَعظِيمٌ لِشَأْنِها. والجُملَةُ اعتِرَاضٌ. وبَيَّنَ سَبَبَ جَوَازِها بِقَولِه: [١٣] ﴿[فَكَّ رَقَبَةً][٨]﴾ مِنَ الرِّقِّ بِأَنْ أَعتَقَها.

[١٤] ﴿أَوْ [أَطْعَمَ][٩] فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾: مَجَاعَةٍ. [١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: قَرَابَةٍ.

[١٦] ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: لُصُوقٍ بِالتُّرَابِ؛ لِفَقرِه- وفي قِراءَةٍ: بَدَلَ الفِعْلَينِ[١٠]؛ مَصْدَرَانِ مَرفُوعَانِ؛ مُضَافُ الأَوَّلِ لِـ﴿رَقَبَةٍ﴾[١١]، ويُنَوَّنُ الثَّاني[١٢]. فَيُقَدَّرُ قَبلَ ﴿الْعَقَبَةُ﴾: «اقْتِحَامُ»[١٣]. والقِراءَةُ المَذكُورَةُ[١٤] بَيَانُه-.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾: عَطفٌ عَلَى ﴿اقْتَحَمَ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ لِلتَّرتِيبِ الذِّكْرِيِّ. والمَعنَى: كَانَ وَقتَ الاقتِحَامِ ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾: أَوْصَى[١٥] بَعضُهُم بَعضًا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ، وعَنِ المَعصِيَةِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾: الرَّحمَةِ[١٦] عَلَى الخَلْقِ. [١٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ المَوصُوفُونَ بِهَذِه الصِّفَاتِ ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: اليَمِينِ.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: الشِّمَالِ. [٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ بِالهَمْزِ، والوَاوُ بَدَلَه[١٧]: مُطبَقَةٌ.

---

(١) لِلكِسَائيِّ.

(٢) الصَّوَابُ إِجرَاؤُها عَلَى ظَاهِرِها، وأَنَّ الرُّجُوعَ إلى اللهِ: لِقَاؤُه -سُبحَانَه- يومَ القِيَامَةِ، والوُقُوفُ بَينَ يَدَيه لِلحِسَابِ والجَزَاءِ، عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِه، أَوْ يَكُونُ المُرَادُ بِالنَّفْسِ: الرُّوحَ، ولِقَاؤُها رَبَّها حِينَ خُرُوجِها مِنَ الجَسَدِ سَاعَةَ المَوتِ.

(٣) ﴿أَيَحْسِبُ﴾؛ بِكَسْرِ السِّينِ: قِراءَةُ: ابنِ كَثِيرٍ وأبي عَمرٍو ونَافِعٍ والكِسَائيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿أَيَحْسَبُ﴾؛ بِفَتحِها.

(٤) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وهو أبو الأَشُدَّينِ كَلَدَة). وتَقَدَّمَ الحَدِيثُ عنه في تَفسِيرِ سُورَةِ المُدَّثِّرِ الآيَة (٣٠).

(٥) ﴿أَيَحْسِبُ﴾؛ بِكَسْرِ السِّينِ: قِراءَةُ: ابنِ كَثِيرٍ وأبي عَمرٍو ونَافِعٍ والكِسَائيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿أَيَحْسَبُ﴾؛ بِفَتحِها.

(٦) العِلْمُ غَيرُ الرُّؤْيَةِ، وإِنْ كَانَ مِنْ لَوَازِمِها؛ وصَنِيعُ المُفَسِّرِ جَرْيًا عَلَى طَرِيقَتِه في تَأْوِيلِ الصِّفَاتِ، كَمَا هي طَرِيقَةُ أَهلِ التَّأْوِيلِ. وفي الآيَةِ إِثبَاتُ صِفَةِ الرُّؤْيَةِ لله عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ بِه.

(٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (جَازَها). (٨) لِلكِسَائيِّ وابنِ كَثِيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾؛ بِضَمِّ الكَافِ، وكَسْرِ التَّاءِ.

(٩) لِلكِسَائيِّ وابنِ كَثِيرٍ وأبي عَمرٍو. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبعَةِ: ﴿إِطْعَامٌ﴾. (١٠) أي: قَولِه: «فَكَّ» و«أَطْعَمَ». (١١) أي: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.

(١٢) أي: ﴿إِطْعَامٌ﴾. وفي نُسخَةِ قَبَاوَة: (ومُنَوَّنٌ الثَّاني). (١٣) أي: «ومَا أَدرَاكَ مَا اقتِحَامُ العَقَبَةِ؟».

(١٤) أي: بِالمَصدَرَينِ المَرفُوعَينِ؛ ﴿فَكُّ﴾، و﴿إِطْعَامٌ﴾. وقَولُه: «بَيَانُه»؛ أي: هَذِه القِراءَةُ بَيَانٌ لِمَعنَى الاقتِحَامِ المُقَدَّرِ؛ أي: اقتِحَامُ العَقَبَةِ هو: فَكُّ رَقَبَةٍ أو إِطعَامٌ.

(١٥) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (أي: وَصَّى). (١٦) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (بِالرَّحمَةِ). (١٧) في نُسخَةِ قَبَاوَة: (وبِالوَاوِ). وقِراءَةُ الوَاوِ: قِراءَةُ السَّبعَةِ عَدَا حَمزَةَ وحَفصٍ وأبي عَمرٍو.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ — ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا
﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ
وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا
﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ — ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ

مَكِّيَّةٌ، خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾: ضَوئِها.

[٢] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾: تَبِعَها طَالِعًا عِنْدَ غُرُوبِها.

[٣] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ بِارْتِفَاعِه.

[٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: يُغَطِّيها بِظُلْمَتِه- و﴿إِذَا﴾ في الثَّلَاثَةِ لِمُجَرَّدِ الظَّرْفِيَّةِ(١)، والعَامِلُ فيها فِعْلُ القَسَمِ-.

[٥] ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾.

[٦] ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾: بَسَطَها.

[٧] ﴿وَنَفْسٍ﴾ بِمَعنَى: نُفُوسٍ ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ في الخِلْقَةِ- و﴿وَمَا﴾ في الثَّلَاثَةِ مَصْدَرِيَّةٌ، أَوْ بِمَعنَى: «مَنْ»-.

[٨] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: بَيَّنَ لَها طَرِيقَيِ الخَيرِ والشَّرِّ- وأُخِّرَ التَّقْوَى؛ رِعَايَةً لِرُؤُوسِ الآيِ- وجَوابُ القَسَمِ:

[٩] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حُذِفَتْ منه اللَّامُ لِطُولِ الكَلَامِ ﴿مَنْ زَكَّاهَا﴾: طَهَّرَها مِنَ الذُّنُوبِ.

[١٠] ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خَسِرَ ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾: أَخْفَاهَا بِالمَعْصِيَةِ. وأَصْلُه: «دَسَّسَهَا»؛ أُبْدِلَتِ السِّينُ الثَّانِيَةُ أَلِفًا تَخْفِيفًا.

[١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رَسُولَها صَالِحًا ﴿بِطَغْوَاهَا﴾: بِسَبَبِ طُغْيَانِها.

[١٢] ﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾: أَسْرَعَ ﴿أَشْقَاهَا﴾ واسْمُه قُدَارٌ(٢) إلى عَقْرِ النَّاقَةِ، بِرِضَاهُم.

[١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صَالِحٌ: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أَي: ذَرُوها ﴿وَسُقْيَاهَا﴾: شِرْبَها(٣) في يَومِها. وكَانَ لَها يَومٌ، ولَهُم يَومٌ.

[١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قَولِه ذَلِكَ، عَنِ اللهِ، المُرَتَّبِ عَلَيه نُزُولُ العَذَابِ بِهِم، إِنْ خَالَفُوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: قَتَلُوها؛ لِيَسْلَمَ لَهم مَاءُ شِرْبِها ﴿فَدَمْدَمَ﴾: أَطْبَقَ ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ العَذَابَ ﴿بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أَي: الدَّمْدَمَةَ عَلَيهِم؛ أَي: عَمَّهُم بِها، فَلَمْ يُفْلِتْ منهم أَحَدٌ.

[١٥] ﴿وَلَا﴾ -بِالوَاوِ والفَاءِ(٤)- ﴿يَخَافُ﴾ -تَعَالَى- ﴿عُقْبَاهَا﴾: تَبِعَتَها.

سُورَةُ واللَّيلِ

مَكِّيَّةٌ، إِحْدَى(٥) وعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾: بِظُلْمَتِه، كُلَّ مَا بَينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ.

[٢] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: تَكَشَّفَ وظَهَرَ- و﴿إِذَا﴾ في المَوضِعَينِ لِمُجَرَّدِ الظَّرْفِيَّةِ، والعَامِلُ فيها فِعْلُ القَسَمِ-.

[٣] ﴿وَمَا﴾ بِمَعنَى: «مَنْ» أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ آدَمَ وحَوَّاءَ، أو كُلَّ ذَكَرٍ وكُلَّ أُنْثَى- والخُنْثَى المُشْكِلُ عِنْدَنَا: ذَكَرٌ أَو أُنْثَى عِندَ اللهِ -تَعَالَى- فَيَحْنَثُ بِتَكْلِيمِه مَنْ حَلَفَ لا يُكَلِّمُ ذَكَرًا ولَا أُنْثَى-. [٤] ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾: عَمَلَكُم ﴿لَشَتَّىٰ﴾: مُخْتَلِفٌ؛ فَعَامِلٌ لِلجَنَّةِ بِالطَّاعَةِ، وعَامِلٌ لِلنَّارِ بِالمَعْصِيَةِ. [٥] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حَقَّ اللهِ [تعالى](٦) ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ اللهَ.

[٦] ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أَي: بِـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، في المَوضِعَينِ(٧). [٧] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾: لِلجَنَّةِ. [٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بِحَقِّ اللهِ ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ عَنْ ثَوَابِه.

[٩] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾. [١٠] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾: نُهَيِّئُه ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾: لِلنَّارِ. [١١] ﴿وَمَا﴾: نَافِيَةٌ ﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ في النَّارِ.

[١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: لَتَبيِينَ طَرِيقِ الهُدَى، مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ؛ لِيُمْتَثَلَ أَمْرُنَا بِسُلُوكِ الأَوَّلِ، ونَهْيُنا عَنِ ارتِكَابِ الثَّانِي.

[١٣] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أَي: الدُّنيا؛ فَمَنْ طَلَبَهُما مِنْ غَيرِنَا فَقَدْ أَخْطَأَ.

[١٤] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾: خَوَّفْتُكُم، يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ -بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَينِ مِنَ الأَصْلِ، وقُرِئَ(٨) بِثُبُوتِها- أَي: تَتَوَقَّدُ. [١٥] ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾: يَدْخُلُها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ بِمَعنَى: الشَّقِيُّ.

[١٦] ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ النَّبِيَّ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عَنِ الإِيمَانِ. وهَذَا الحَصْرُ مُؤَوَّلٌ؛ لِقَولِه -تَعَالَى-: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(٩). فَيَكُونُ المُرَادُ الصِّلِيَّ المُؤَبَّدَ.

---

(١) أي: فلا تُفِيدُ الشَّرْطِيَّةَ.
(٢) أكثرُ المَصادِرِ والمَراجِعِ أنَّه: قُدَارٌ؛ بِضَمِّ القَافِ، وفي بَعضِها: «قِدَارٌ»؛ بِكَسْرِها. وتَقَدَّمَ في تَفسِيرِ سُورَةِ الأعرافِ الآيَةِ (٧٧).
(٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وشِرْبَها).
(٤) بالفاءِ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ وابنِ عَامِرٍ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بالوَاوِ.
(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهي: إِحْدَى).
(٦) كلِمَةُ: (تعالى) لَيسَتْ في الأَصْلِ، وأَثْبَتْنَاها مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة.
(٧) أي: في هَذِه الآيَةِ، والآيَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ نَفسِ السُّورَةِ.
(٨) أي: شُذُوذًا.
(٩) النِّساء: ٤٨.

فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ
تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ (ترتيبها ٩٣ – آياتها ١١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ
﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ (ترتيبها ٩٤ – آياتها ٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٦٠
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾

[١٧] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: يُبْعَدُ عنها ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ بِمعنَى: التَّقِيُّ. [١٨] ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾: مُتَزَكِّيًا به عِندَ اللهِ -تعَالَى- بِأَنْ يُخرِجَهُ للهِ -تعَالَى- لَا رِياءً ولَا سُمْعَةً؛ فيَكُونُ زَاكِيًا عِندَ اللهِ [تَعَالى][1] - وهذا نَزَلَ في الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لَمَّا اشْتَرَى بِلَالًا المُعَذَّبَ عَلى إِيمانِه وأَعْتَقَهُ، فقَالَ الكُفَّارُ: إِنَّما فَعَلَ ذَلِكَ لِيَدٍ كَانَتْ لَه عِندَه فنَزَلَ[2]-: [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ فَعَلَ ذَلِكَ ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: طَلَبَ ثَوَابِ اللهِ[3]. [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بِمَا يُعْطَاه[4] مِنَ الثَّوَابِ في الجَنَّةِ. والآيَةُ تَشْمَلُ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِه، رَضِيَ اللهُ - تَعَالَى- عَنه[5]، فيُبْعَدُ عَنِ النَّارِ ويُثَابُ.

سُورَةُ الضُّحَى

مَكِّيَّةٌ، إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً

ولَمَّا نَزَلَتْ كَبَّرَ ﷺ آخِرَها، فَسُنَّ التَّكْبِيرُ آخِرَها[6]. ورُوِيَ[7] الأَمْرُ بِه خَاتِمَتَها وخَاتِمَةَ كُلِّ سُورَةٍ بَعْدَها، وهُو: «اللهُ أَكبَرُ»، أَوْ: «لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أي: أَوَّلِ النَّهَارِ، أَوْ: كُلِّه. [٢] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: غَطَّى بِظَلَامِه، أَوْ سَكَنَ. [٣] ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: تَرَكَكَ - يَا مُحَمَّدُ- ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: أَبْغَضَكَ. نَزَلَ هَذَا لَمَّا قَالَ الكُفَّارُ عِندَ تَأَخُّرِ الوَحْيِ عَنه خَمسَةَ عَشَرَ يومًا: إِنَّ رَبَّه وَدَّعَهُ وقَلَاهُ[8][*]. [٤] ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ لِمَا فيها مِنَ الكَرَامَاتِ لَكَ ﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الدُّنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخِرَةِ مِنَ الخَيرَاتِ عَطَاءً جَزِيلًا ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ به. فَقَالَ ﷺ: «إِذَنْ لَا أَرْضَى وَوَاحِدٌ مِن أُمَّتِي في النَّارِ»[9]. إِلى هُنَا تَمَّ جَوَابُ القَسَمِ بِمُثْبَتَيْنِ بَعْدَ مَنْفِيَّيْنِ. [٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ - استِفهَامُ تَقرِيرٍ- أي: وَجَدَكَ ﴿يَتِيمًا﴾ بِفَقْدِ أَبِيكَ قَبْلَ وِلَادَتِك، أَوْ بَعْدَها ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ بِأَنْ ضَمَّكَ إِلى عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ[10]. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عَمَّا أنتَ عَلَيه الآنَ، مِنَ الشَّرِيعَةِ ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي: هَدَاكَ إِليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾: فَقِيرًا ﴿فَأَغْنَىٰ﴾: أَغناكَ بِما قَنَّعَكَ بِه مِنَ الغَنِيمَةِ وغَيرِها؟

وفي الحَدِيثِ:

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ الآيَاتِ (١-٣): أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: «اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثًا -»، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثَةٍ - فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ (٩٣) باب (١) ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

---

(١) كَلِمَةُ: (تَعَالى) لَيسَتْ فِي الأَصْلِ، وأَثْبَتْنَاها مِنْ نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٢) أَخرَجَه الآجُرِّيُّ فِي الشَّرِيعَةِ (١٢٩٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قوله. والطبرانيُّ في الكبير (٢٣٧) عَنْ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. دُونَ ذِكْرِ قِصَّةِ بِلَالٍ وإِعتَاقِه لَه، ولا قَولِ الكُفَّارِ عن ذَلِكَ. وأَخْرَجَه الحَاكِمُ (٢/ ٥٧٢)، وقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وسَكَتَ عنه الذَّهبيُّ. فهو حَسَنٌ بِمَجمُوعِ طُرُقِه؛ وانظر الاستيعاب (٣/ ٥١٧). وقَالَ الشوكانيُّ في فَتحِ القدير (٥/ ٥٥٢): «قَالَ الوَاحِدِيُّ: الأَتْقَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِي قَوْلِ جَمِيعِ المُفَسِّرِينَ». (٣) وهَذا لاينَافي إِثبَاتَ صِفَةِ الوَجْهِ لله تعالى عَلَى الحَقِيقَةِ، على الوَجهِ اللائِقِ بِه، وقَدْ أَفاضَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في الرَّدِّ عَلى مَن قَالَ: إِنَّ لَفظَ الوَجْهِ مَجَازٌ، وبيَّنَ بُطلَانَ هَذا القَولِ مِنْ سِتَّةٍ وعِشرِينَ وَجهًا، في الصَّواعِقِ المُرسَلَةِ (ص٤٠٨-٤١٨). وقَالَ ابنُ كَثيرٍ في تفسيرِ الآيَةِ (٨/ ٤٢٢): «أي: طَمَعًا فِي أَنْ يَحْصُلَ لَهُ رُؤْيَتُهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ».
(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِما يُعطَى). (٥) جُملَةُ: (رَضِي الله -تَعَالَى- عنه) لَيسَتْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٦) قَالَ ابنُ كَثيرٍ (٨/ ٤٢٣): «فَهَذِهِ سُنَّةٌ تَفَرَّدَ بِهَا أَبُو الحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البَزِّيُّ، مِنْ وَلَدِ القَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ، وَكَانَ إِمَامًا فِي القِرَاءَاتِ، فَأَمَّا فِي الحَدِيثِ فَقَدْ ضَعَّفَهُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ وَقَالَ: لَا أُحَدِّثُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ أَبُو جَعْفَرٍ العُقَيْلِيُّ قَالَ: هُوَ مُنْكَرُ الحَدِيثِ، لَكِنْ حَكَى الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فِي شَرْحِ الشَّاطِبِيَّةِ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يُكَبِّرُ هَذَا التَّكْبِيرَ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ السُّنَّةَ، وَهَذَا يَقْتَضِي صِحَّةَ هَذَا الحَدِيثِ». ويُنظَرُ: الفتاوى لابنِ تيميةَ (١٣/ ٤١٧)، والآدابُ لابنِ مُفلح (٢/ ٣١٠)، ومَروِيَّاتُ دُعاءِ خَتمِ القُرآنِ لأبو زيد (ص٦)، ومجموعُ فتاوى ابن باز (٢٤/ ٤١٥). (٧) أَخرَجه الحَاكِمُ (٥٣٢٥)، والبَيهَقِيُّ في الشُّعَبِ (١٩١٣) عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعبٍ مَرفوعًا. وقَالَ الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وخَالَفَه الذَّهبيُّ بِأَنَّ البَزِّيَّ قَدْ تُكُلِّمَ فيه. ورَوَاهُ الحافظُ الذَّهبيُّ في ميزانِ الاعتدالِ (١/ ١٤٥) ثُمَّ قَالَ: «هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وهُو مِمَّا أُنكِرَ عَلى البَزِّيِّ، قَالَ أبو حاتِمٍ: مُنكَرٌ». وانظر الحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ. (٨) عَزَاهُ البَغَوِيُّ (٨/ ٤٥٠)، والقُرطُبِيُّ (٢٠/ ٩٢) لِابنِ عَبَّاسٍ. وأَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٤٩٥٠)، ومسلمٌ (١٧٩٧) مِن حَدِيثِ جُندُبِ بنِ سُفيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، بِلَفظِ: «اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ -أَوْ ثَلَاثًا-»، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ -أَوْ ثَلَاثَةٍ- فَأَنْزَلَ اللهُ... الحَدِيث. وهو في حَاشِيَةِ أَسبابِ النُّزُولِ. (٩) لَم أَجِدْه بِهذَا اللفظِ، وأَخرَجَ البَيهَقِيُّ في شُعَبِ الإِيمانِ (١٣٧٤) بِسنَدٍ ضَعِيفٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: رِضَاه أَنْ تَدخُلَ أُمَّتُه كُلُّهم الجَنَّةَ. قَالَ ابنُ القيِّمِ في الجوابِ الكَافي (ص٢١) في مَعرِضِ الرَّدِّ عَلى مَنْ يَحتجُّ ويتَّكِلُ على مِثلِ ذَلِكَ؛ قَالَ: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْتَرُّ بِفَهْمٍ فَاسِدٍ فَهِمَهُ هُوَ وَأَضْرَابُهُ مِنْ نُصُوصِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَاتَّكَلُوا عَلَيْهِ كَاتِّكَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ قَالَ: وَهُوَ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ! وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الجَهْلِ، وَأَبْيَنِ الكَذِبِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ، واللهُ تَعَالَى يُرْضِيهِ تَعْذِيبُ الظَّلَمَةِ وَالفَسَقَةِ وَالخَوَنَةِ وَالمُصِرِّينَ عَلَى الكَبَائِرِ، فَحَاشَا رَسُولَهُ أَنْ يَرْضَى بِمَا لَا يَرْضَى بِهِ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».
(١٠) أَخرَجَ التِّرمِذِيُّ (٣٦٢٠)، والحَاكِمُ (٤٢٢٩) عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ، في خَبَرِ خُرُوجِ أَبِي طَالِبٍ بِه إِلى الشَّامِ، ونُزُولِه بِجِوارِ الرَّاهِبِ، وفيه سُؤالُ الرَّاهِبِ؛ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ... وقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وخَالَفَه الذَّهبيُّ. وصَحَّحَه الأَلبانِيُّ في فِقهِ السِّيرَةِ. وانظرِ السيرةَ النَّبَوِيَّةَ الصَّحِيحَةَ لِلعُمَرِيِّ (ص١٠٥).

ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾
إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾

سُورَةُ التِّينِ — ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَقِ — ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ
وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ
مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ
﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا
إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾

«لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»(١). [٩] ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ بِأَخْذِ مَالِه، أَوْ غَيرِ ذَلِكَ. [١٠] ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾: تَزْجُرْهُ لِفَقْرِه. [١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ عَلَيكَ بِالنُّبُوَّةِ وغَيرِها ﴿فَحَدِّثۡ﴾: أَخبِرْ. وحُذِفَ ضَمِيرُه ﷺ في بَعْضِ الأَفْعَالِ رِعَايَةً لِلفَوَاصِلِ.

سُورَةُ الشَّرْح

مَكِّيَّةٌ، ثَمانُ آياتٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾ استِفهَامُ تَقرِيرٍ؛ أَي: شَرَحْنَا ﴿لَكَ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿صَدۡرَكَ﴾ بِالنُّبُوَّةِ وغَيرِها.
[٢] ﴿وَوَضَعۡنَا﴾: حَطَطْنَا ﴿عَنكَ وِزۡرَكَ﴾. [٣] ﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ﴾: أَثْقَلَ ﴿ظَهۡرَكَ﴾ وهَذا كَقَولِه -تَعَالَى-: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾(٢). [٤] ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ بِأَنْ تُذكَرَ مَعَ ذِكْرِي، في الأَذَانِ والإِقَامَةِ، والتَّشَهُّدِ والخُطبَةِ وغَيرِها؟ [٥] ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ﴾: الشِّدَّةِ ﴿يُسۡرًا﴾: سُهُولَةً.
[٦] ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾. والنَّبِيُّ ﷺ قَاسَى مِنَ الكُفَّارِ شِدَّةً، ثُمَّ حَصَلَ له اليُسْرُ بِنَصْرِه عَليهِم.
[٧] ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ مِنَ الصَّلَاةِ ﴿فَٱنصَبۡ﴾: اتْعَبْ في الدُّعَاءِ. [٨] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾: تَضَرَّعْ.

سُورَةُ والتِّينِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، ثَمانُ آياتٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ أَي: المأكُولَينِ، أَوْ: جَبَلَينِ بِالشَّامِ، يُنْبِتَانِ المأْكُولَينِ.
[٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: الجَبَلِ الذي كَلَّمَ اللهُ -تَعَالَى- عليه مُوسَى(٣)، ومَعنَى: ﴿سِينِينَ﴾: المبَارَك، أَوِ الحَسَن بِالأَشْجَارِ المُثْمِرَةِ. [٣] ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾: مَكَّةَ؛ لِأَمْنِ النَّاسِ فيها جَاهِلِيَّةً وإِسْلَامًا. [٤] ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجِنْسَ ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾: تَعْدِيلٍ لصُورَتِه.
[٥] ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ﴾ في بَعْضِ أَفْرَادِه ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: كِنَايَةً عَنِ الهَرَمِ والضَّعْفِ. فَيَنقُصُ عَمَلُ المُؤمِنِ عَنْ زَمَنِ الشَّبَابِ، ويَكُونُ لَه أَجْرُه؛ لِقَولِه تَعَالَى: [٦] ﴿إِلَّا﴾ أَي: لَكِنِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾: مَقْطُوعٍ. وفي الحَدِيثِ: «إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يُعْجِزُهُ(٤) عَنِ الْعَمَلِ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ»(٥). [٧] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ - أَيُّها الكَافِرُ - ﴿بَعۡدُ﴾: بَعْدَ مَا ذُكِرَ، مِنْ خَلْقِ الإِنسَانِ في أَحسَنِ صُورَةٍ، ثُمَّ رَدِّهِ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ، الدَّالِّ عَلى القُدْرَةِ على البَعْثِ ﴿بِٱلدِّينِ﴾: بِالجَزَاءِ المَسبُوقِ بِالبَعْثِ والحِسَابِ؟ أَي: مَا يَجْعَلُكَ مُكَذِّبًا بِذَلِكَ، ولَا جَاعِلَ لَه(٦)؟!
[٨] ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾؟ أَي: هو أَقْضَى القَاضِينَ، وحُكْمُه بِالجَزَاءِ مِنْ ذَلِكَ. وفي الحَدِيثِ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ إِلَى آخِرِهَا فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ»(٧).

سُورَةُ اقْرَأْ(٨)

مَكِّيَّةٌ، تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً. صَدْرُها إِلى: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ، وذَلِكَ بِغَارِ حِرَاءٍ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[*](٩)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱقۡرَأۡ﴾: أَوجِدِ القِرَاءَةَ، مُبْتَدِئًا ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ الخَلَائِقَ. [٢] ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجِنْسَ ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾: جَمْعُ: «عَلَقَةٍ»، وهِيَ القِطْعَةُ اليَسِيرَةُ مِنَ الدَمِ الغَلِيظِ. [٣] ﴿ٱقۡرَأۡ﴾: تَأكِيدٌ لِلأَوَّلِ ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ الذِي لَا يُوازِيه كَرِيمٌ، حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ في: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾. [٤] ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ﴾ الخَطَّ ﴿بِٱلۡقَلَمِ﴾ - وأَوَّلُ مَنْ خَطَّ به إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ(١٠) -. [٥] ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجِنْسَ ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ قَبلَ تَعْلِيمِه؛ مِنَ الهُدَى والكِتَابَةِ والصِّنَاعَةِ وغَيرِها. [٦] ﴿كَلَّآ﴾: حَقًّا ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾. [٧] ﴿أَن رَّءَاهُ﴾ أَي: نَفْسَه ﴿ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ بِالمَالِ. نَزَلَ في أَبِي جَهْلٍ(١١). و«رَأَى»: عِلْمِيَّةٌ(١٢)،

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ يَحْيَى بنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ: أَيُّ القُرْآنِ أُنزِلَ أَوَّلُ؟ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾. فَقُلْتُ: أُنبِئْتُ أَنَّهُ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ: أَيُّ القُرْآنِ أُنزِلَ أَوَّلُ؟ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فَقُلْتُ: أُنبِئْتُ أَنَّهُ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾. فَقَالَ: لَا أُخبِرُكَ إِلَّا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ...البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة المدثر (٧٤) باب (١). وأَشَارَ الحَافِظُ في الفَتحِ (٨/ ٥٤٦) إِلى أَنَّ: «المُرَادَ بِالأَوَّلِيَّةِ في قَوْلِهِ: «أَوَّلُ مَا نَزَلَ: سُورَةُ المُدَّثِّرِ» أَوَّلِيَّةٌ مَخْصُوصَةٌ بِمَا بَعْدَ فَتْرَةِ الوَحْيِ، أَوْ مَخْصُوصَةٌ بِالأَمْرِ بِالإِنْذَارِ، لا أَنَّ المُرَادَ أَنَّهَا أَوَّلِيَّةٌ مُطلَقَةٌ...». وقَالَ النَّوَوِيُّ: الصَّوَابُ أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ على الإِطْلَاقِ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، كَمَا صَرَّحَ به في حَدِيثِ عَائِشَةَ.

---

(١) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٦٤٤٦)، ومُسلِمٌ (١٠٥١) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ مَرفُوعًا. (٢) الفتح: ٢. (٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مُوسَى عليه). (٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (مَا يعجز). (٥) أَخرَجَه الطَّبَرِيُّ (٢٤/ ٥١٩) عَنْ إِبراهيمَ النَّخَعِيِّ قولَه، وأَخرَجَ البُخَارِيُّ (٢٩٩٦) عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ مَرفُوعًا: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا». (٦) أي: إِنَّ تَكذِيبَ الكَافِرِينَ بِالبَعْثِ بَعْدَ القُرآنِ، وبَعْدَ هذِه الحُجَجِ البَيِّنَاتِ، لا وَجْهَ له؛ بَلْ هُوَ مِمَّا يُتَعَجَّبُ منه! المُفَصَّل (ص٢١٣٦). (٧) أَخرَجَه التِّرمِذِيُّ (٣٣٤٧)، وأبو داودَ (٨٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ مَرفُوعًا، وضَعَّفَهُ الأَلبَانِيُّ في ضَعِيفِ الجامِعِ (٥٧٨٤). (٨) في قُرَّةِ العَينَينِ وبَعْضِ المَطبُوعَاتِ: (سُورَةُ العَلَقِ). (٩) البُخَارِيُّ (٤٩٥٣). (١٠) أَخرَجَه ابنُ حِبَّان (٢/ ٧٦) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، مَرفُوعًا في حَدِيثٍ طَوِيلٍ، وفيه: «...وَأَخْنُوخُ وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ». وقَالَ الأَرنَاؤُوط (٢/ ٧٩): «إِسنَادُه ضَعِيفٌ جِدًّا». (١١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ. (١٢) أي: تَنصِبُ مَفعُولَينِ.

أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ سجدة

سُورَةُ القَدْرِ (ترتيبها ٩٧ – آياتها ٥)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ (ترتيبها ٩٨ – آياتها ٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

و﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾: مَفْعُولٌ ثَانٍ. و﴿أَن رَّءَاهُ﴾: مَفْعُولٌ له. [٨] ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ -يَا إِنسَانُ- ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ أي[1]: الرُّجُوعَ، تَخْوِيفٌ له؛ فيُجَازِي الطَّاغِيَ بِمَا يَستَحِقُّه. [٩] ﴿أَرَءَيْتَ﴾ - في مَوَاضِعِها الثَّلاثَةِ لِلتَعَجُّبِ- ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ هو أبو جَهْلٍ. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النَّبِيَّ ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰٓ﴾. [١١] ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾ المَنهِيُّ ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾. [١٢] ﴿أَوْ﴾ لِلتَّقْسِيمِ[2] ﴿أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾؟ [١٣] ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أي: النَّاهِي النَّبِيَّ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ عَنِ الإيمَانِ؟ [١٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ مَا صَدَرَ منه؟ أي: يَعْلَمُه[3] فيُجَازِيه عليه؛ أي: اعْجَبْ منه -يَا مُخَاطَبُ[4]- مِنْ حَيثُ نَهْيُه عَنِ الصَّلاةِ، ومِنْ حَيثُ إِنَّ المَنهِيَّ عَلَى الهُدَى آمِرٌ بالتَّقْوَى، ومِنْ حَيثُ إِنَّ النَّاهِيَ مُكَذِّبٌ مُتَوَلٍّ عَنِ الإيمَانِ. [١٥] ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ له ﴿لَئِن﴾ - لَامُ قَسَمٍ- ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عَمَّا هُو عَليهِ مِنَ الكُفْرِ ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: لَنَجُرَّنْ بِنَاصِيَتِه إِلى النَّارِ. [١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾: بَدَلُ نَكِرَةٍ مِنْ مَعرِفَةٍ ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وَصْفُها بِذَلِكَ مَجَازٌ، والمُرَادُ صَاحِبُها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ أي: أَهْلَ نَادِيه. وهُو المَجْلِسُ يُنْتَدَى: يَتحَدَّثُ فيه القَوْمُ. وكانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا انتَهَرَه، حَيثُ نَهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بِها رَجُلٌ أَكْثَرُ نَادِيًا مِنِّي[5]. لَأَمْلأَنَّ عليكَ هَذا الوَادِي إِنْ شِئْتُ خَيلًا جُرْدًا ورِجَالًا مُرْدًا. [١٨] ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: المَلَائِكَةَ الغِلَاظَ الشِّدَادَ لِإِهْلَاكِه. في الحَدِيثِ: «لَو دَعَا نَادِيَه لَأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ عِيَانًا»[6]. [١٩] ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ لَه ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ -يَا مُحَمَّدُ- في تَرْكِ الصَّلَاةِ ﴿وَٱسْجُدْ﴾: صَلِّ للهِ ﴿وَٱقْتَرِب ۩﴾ مِنه بطَاعَتِه[*].

سُورَةُ القَدْرِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، خَمْسُ، أَوْ: سِتُّ آيَاتٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القُرآنَ، جُمْلَةً وَاحِدَةً، مِنَ اللَّوحِ المَحْفُوظِ إِلى السَّمَاءِ الدُّنيا[7] ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أي: الشَّرَفِ والعِظَمِ. [٢] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أَعلَمَكَ، يا مُحَمَّدُ: ﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؟ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِها، وتَعْجِيبٌ منه[8]. [٣] ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ لَيسَ فيها لَيلَةُ القَدْرِ. فالعَمَلُ الصَّالِحُ فيها خَيرٌ منه في أَلْفِ شَهْرٍ لَيسَتِ فيها. [٤] ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ - بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَينِ مِنَ الأَصْلِ- ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ أي: جِبْرِيلُ ﴿فِيهَا﴾: في اللَّيلَةِ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: بِأَمْرِه ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَضَاهُ اللهُ فيها، لِتلكَ السَّنَةِ إِلى قَابِلٍ. و﴿مِّن﴾ سَبَبِيَّةٌ؛ بِمَعنَى: البَاءِ.

[٥] ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ ومُبْتَدَأٌ[9] ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ بِفَتْحِ اللَّامِ وكَسْرِها[10]: إِلى وَقْتِ طُلُوعِه. جُعلَتْ سَلَامًا؛ لِكَثْرَةِ السَّلَامِ فيها مِنَ المَلَائِكَةِ، لَا تَمُرُّ بِمُؤْمِنٍ ولَا بِمُؤْمِنَةٍ إِلَّا سَلَّمتْ عَليه[11].

سُورَةُ لَمْ يَكُنْ[12]

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، تِسعُ[13] آيَاتٍ[**]

---

[*] مَا جَاءَ في نُزُولِ الآيَاتِ (٦-١٩): أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:... ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾. وأَخرَجَ أَحمَدُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَبُو جَهْلٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَنَهَاهُ، فَتَهَدَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: أَتُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ دَعَا نَادِيَهُ، لَأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ». أحمد - المسند (١/ ٣٢٩). وقَوَّى الأرناؤوط إسنادَه في تعليقه على المُسند (٤/ ١٦٥). وأخرجه التِّرمِذِيُّ بِنَحوِه. وهو في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٦٨).

[**] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ أَحمَدُ عَنْ أَبِي حَبَّةَ الْبَدْرِيِّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَمْ يَكُنِ﴾، قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلَامُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ هَذِهِ السُّورَةَ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أُبَيُّ، إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ هَذِهِ السُّورَةَ» فَبَكَى وَقَالَ: ذُكِرْتُ ثَمَّةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». أحمد - المسند (٣/ ٤٨٩)، وصحَّحه الأرناؤوط في تخريجه على المسند (٢٥/ ٣٨١)، رقم (١٦٠٠٠).

---

(١) كَلِمَةُ: (أي) لَيسَتْ فِي نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٢) قَالَ الصَّاوِي في حَاشِيَتِه: «الأَولَى أَنْ يَقولَ: بِمَعنَى الوَاوِ»؛ فهو ﷺ على الهُدى وآمِرٌ بالتقوى. (٣) العِلْمُ غَيرُ الرُّؤيَةِ، وإِن كَانَ مِنْ لَوَازِمِها.

(٤) ذَهَبَ المُفَسِّرُ لِذَلِكَ لِلفِرَارِ مِن إِثبَاتِ صِفَةِ التَّعَجُّبِ الثَّابِتَةِ لله عَزَّ وَجَلَّ. على الوَجهِ اللائِقِ به. (٥) رَوَاهُ أحمد (٢٣٢١)، والتِّرمِذِيُّ (٣٣٤٩) (٤/ ١٦٥)، وصَحَّحه الألبَانِيُّ في الصَّحِيحَةِ (١/ ٥٥٧). وبَقِيَّةُ قَولِ أبي جَهلٍ لم نَقِفْ عليه مُسنَدًا، وعَزَاهُ البَغَوِيُّ (٨/ ٤٨٠) لابنِ عَبَّاسٍ، قولَه. (٦) انظرِ التَّعلِيقَ السَّابِقَ. (٧) انظرْ تَفسِيرَ الآيَةِ (١٨٥) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

(٨) الله عَزَّ وَجَلَّ يَعجَبُ عَجَبًا يَلِيقُ بِجَلَالِه. وانظرِ التَّعلِيقَ على الآيَةِ (١٤) مِنْ سُورَةِ اقرأ. (٩) أي: هِيَ؛ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ. (١٠) بالكَسْرِ: قِرَاءَةُ الكِسَائِيِّ.

(١١) رَوَاهُ البَيهَقِيُّ في شُعَبِ الإِيمَانِ (٣٤٢٤) بِسنَدٍ رِجَالُه ثِقَاتٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «هُوَ تَسْلِيمُ المَلَائِكَةِ لَيلَةَ القَدْرِ عَلَى أَهْلِ المَسَاجِدِ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ». وَقِيلَ: هِيَ ذَاتُ سَلَامَةٍ مِنْ أَنْ يُؤثِّرَ فيها شَيطَانٌ في مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ. قَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ لَيلَةٌ سَالِمَةٌ، لَا يَستَطِيعُ الشَّيطَانُ أَنْ يَعمَلَ فِيهَا سُوءًا وَلَا أَذًى. فتح القدير لِلشَّوكَانِي (٥/ ٥٧٦).

(١٢) في بَعْضِ النُّسَخِ المطبوعة: (سُورَةُ البَيِّنَةِ). (١٣) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (ثَمَانٌ أو تِسْعٌ).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ — ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ
ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا
﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ — ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ
صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ﴾ -لِلبَيَانِ- ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عَبَدَةِ الأَصْنَامِ، عَطْفٌ عَلَى: ﴿أَهْلِ﴾ ﴿مُنفَكِّينَ﴾: خَبَرُ ﴿يَكُنِ﴾؛ أي: زَائِلِينَ عَمَّا هُم عليه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: أَتَتْهُم ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: الحُجَّةُ الوَاضِحَةُ، وهِي مُحَمَّدٌ ﷺ(١).

[٢] ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بَدَلٌ مِنَ: ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾، وهو النَّبِيُّ ﷺ(٢) ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ مِنَ البَاطِلِ.

[٣] ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾: أَحْكَامٌ مَكْتُوبَةٌ ﴿قَيِّمَةٌ﴾: مُسْتَقِيمَةٌ؛ أي: يَتْلُو مَضْمُونَ ذَلِكَ- وهُو القُرآنُ- فَمِنهُم مَنْ آمَنَ بِه، ومِنهُم مَنْ كَفَرَ.

[٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الإِيمَانِ بِه ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: هُو ﷺ، أَوِ القُرْآنُ الجَائِي بِه مُعْجِزَةً له، وقَبْلَ مَجِيئِه ﷺ كانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلى الإِيمَانِ بِه إِذَا جَاءَ، فحَسَدَه مَنْ كَفَرَ بِه منهم.

[٥] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في كِتَابَيْهِم؛ التَّورَاةِ والإِنْجِيلِ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: أَنْ يَعْبُدُوه- فَحُذِفَتْ «أَنْ» وَزِيدَتِ اللَّامُ- ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ ﴿حُنَفَآءَ﴾: مُسْتَقِيمِينَ عَلى دِينِ إِبراهِيمَ، ودِينِ مُحَمَّدٍ إِذَا جَاءَ، فكَيفَ كَفَرُوا بِه؟! ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ المِلَّةِ ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾: المُستَقِيمَةِ.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: حَالٌ مُقَدَّرَةٌ؛ أي: مُقَدَّرًا خُلُودُهم فِيها مِنَ اللهِ -تَعالَى- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾. [٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: الخَلِيقَةِ. [٨] ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إِقَامَةٍ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِه(٣) ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بِثَوَابِه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾: خَافَ عِقَابَه فَانْتَهَى عَنْ مَعْصِيَتِه -تَعَالَى(٤)-.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، تِسْعُ آيَاتٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: حُرِّكَتْ، لِقِيَامِ السَّاعَةِ ﴿زِلْزَالَهَا﴾: تَحْرِيكَها الشَّدِيدَ المُنَاسِبَ لِعِظَمِها.

[٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: كُنُوزَها ومَوْتَاها، فَأَلْقَتْها عَلى ظَهْرِهَا. [٣] ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكَافِرُ(٥) بِالبَعْثِ: ﴿مَا لَهَا﴾؟ إِنْكَارًا لِتِلكَ الحَالَةِ.

[٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا﴾، وجَوابُها: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: تُخْبِرُ بِمَا عُمِلَ عليها مِنْ خَيرٍ وشَرٍّ.

[٥] ﴿بِأَنَّ﴾: بِسَبَبِ أَنَّ ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أَمَرَها بِذَلِكَ. وفي الحَدِيثِ: «تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِكُلِّ مَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا»(٦).

[٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾: يَنْصَرِفُونَ مِنْ مَوْقِفِ الحِسَابِ ﴿أَشْتَاتًا﴾: مُتَفَرِّقِينَ؛ فَآخِذٌ ذَاتَ اليَمِينِ إِلى الجَنَّةِ، وآخِذٌ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلى النَّارِ ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جَزَاءَها؛ مِنَ الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ. [٧] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: زِنَةَ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾: يَرَ ثَوَابَه. [٨] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾: يَرَ جَزَاءَه[*].

سُورَةُ العَادِيَاتِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾: الخَيلِ تَعْدُو في الغَزْوِ، وتَضْبَحُ ﴿ضَبْحًا﴾ هو صَوتُ أَجْوَافِها إِذَا عَدَتْ. [٢] ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾: الخَيلِ، تُورِي النَّارَ ﴿قَدْحًا﴾ بِحَوَافِرِهَا؛ إِذَا سَارَتْ في الأَرْضِ ذَاتِ الحِجَارَةِ بِاللَّيلِ. [٣] ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: الخَيلِ، تُغِيرُ عَلى العَدُوِّ وَقْتَ الصُّبْحِ، بِإِغَارَةِ أَصْحَابِها. [٤] ﴿فَأَثَرْنَ﴾: هَيَّجْنَ ﴿بِهِۦ﴾: بِمَكَانِ عَدْوِهِنَّ، أَوْ بِذَلِكَ الوَقْتِ ﴿نَقْعًا﴾: غُبَارًا(٧)، بِشِدَّةِ حَرَكَتِهِنَّ. [٥] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: بِالنَّقْعِ ﴿جَمْعًا﴾ مِنَ العَدُوِّ؛ أي: صِرْنَ وَسْطَه- وعُطِفَ الفِعْلُ عَلى الاِسْمِ؛ لِأَنَّه في تَأْوِيلِ الفِعْلِ؛ أي: واللَّاتِي عَدَوْنَ فَأَوْرَيْنَ فَأَغَرْنَ-.

---

[*] فَائِدَةٌ: سَمَّى الرَّسُولُ ﷺ هذه الآيَةَ: «الجَامِعَةَ الفَاذَّةَ» كَمَا في الصَّحِيحَينِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ زَكَاةِ الحُمُرِ، فَقَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾». ومَعنَى «الفَاذَّة»: الوَحِيدَةُ الفَرِيدَةُ في أَحْكَامِها. البُخَارِيُّ (٢٣٧١)، ومسلمٌ (٩٨٧).

---

(١) جُمْلَةُ: (وهِي مُحَمَّدٌ ﷺ) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (وهُو النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ). (٣) إِنْ كَانَ مُرَادُ المُفَسِّرِ أَنَّ الرِّضَا حَصَل لهم بِسَبَبِ طَاعَتِهم لله -سُبْحَانَهُ- فهذا حَقٌّ، وإِنْ كَان يقصدُ تَفسِيرَ الرِّضَا بالتَّوفِيقِ إلى الطَّاعَةِ؛ فيكونُ مِنْ تَأْوِيلِ صِفَةِ الرِّضَا لله عز وجل بِبَعْضِ لَوَازِمِها. ومَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُها لله عز وجل على الوَجهِ اللائِقِ به -سُبْحَانَهُ-.

(٤) كَلِمَةُ: (تَعالى) لَيسَتْ في نُسْخَةِ قَبَاوَة. (٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: الكافِر).

(٦) أَخرَجَه التِّرمِذِيُّ (٣٣٥٣)، وأَحمدُ (٨٦٥٠)، والحَاكِمُ (٣٠١٢)، عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ مَرفُوعًا. وقَالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ». وقَالَ الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». وضَعَّفَهُ الأَلبَانِيُّ في السِّلسِلَةِ الضَّعِيفَةِ (٤٨٣٤). (٧) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أي: غُبَارًا).

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾
وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾

الحزب ٦٠

سُورَةُ القَارِعَةِ — ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوۡمَ
يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ
كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي
عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ
﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ — ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ
كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴿٦﴾
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

[٦] ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الكَافِرَ ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾: لَكَفُورٌ؛ يَجْحَدُ نِعْمَتَه[١] -تَعَالَى-.

[٧] ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: كُنُودِه ﴿لَشَهِيدٞ﴾: يَشْهَدُ عَلى نَفْسِه بِصُنْعِه.

[٨] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: المَالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لَشَدِيدُ الحُبِّ لَه، فَيَبْخَلُ به.

[٩] ﴿۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ﴾: أُثِيرَ وأُخْرِجَ ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ مِنَ المَوتَى؛ أي: بُعِثُوا.

[١٠] ﴿وَحُصِّلَ﴾: بُيِّنَ وأُفْرِزَ ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: القُلُوبِ مِنَ الكُفْرِ والإِيمَانِ.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾: لَعَالِمٌ؛ فَيُجَازِيهِم عَلى كُفْرِهِم؟ أُعِيدَ الضَّمِيرُ جَمْعًا نَظَرًا لِمَعنَى الإِنسَانِ. وهَذِه الجُمْلَةُ دَلَّتْ عَلى مَفعُولِ ﴿يَعۡلَمُ﴾؛ أي: إِنَّا نُجَازِيه وَقْتَ مَا ذُكِرَ. وتَعَلَّقَ «خَبِيرٌ» بِـ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ وهُو -تَعَالَى- خَبِيرٌ دَائِمًا؛ لِأَنَّه يَومُ المُجَازَاةِ.

سُورَةُ القَارِعَةِ

مَكِّيَّةٌ، إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً[٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ أي: القِيَامَةُ التِي تَقْرَعُ القُلُوبَ بِأَهوَالِها.

[٢] ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾؟ تَهْوِيلٌ لِشَأْنِها. وهُما مُبْتَدأٌ وخَبَرٌ: خَبَرُ ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾[٣].

[٣] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾: أَعْلَمَكَ: ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾؟ زِيَادَةُ تَهوِيلٍ لَها. و﴿مَا﴾ الأُولَى: مُبْتَدأٌ، ومَا بَعْدَها خَبَرُه، و﴿مَا﴾ الثَّانِيةُ وخَبَرُها: في مَحَلِّ المَفْعُولِ الثَّانِي لِـ«أَدْرَى».

[٤] ﴿يَوۡمَ﴾: نَاصِبُه دَلَّ عَليه: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ أي: تَقْرَعُ ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾: كَغَوْغَاءِ الجَرَادِ المُنْتَشِرِ، يَمُوجُ بَعضُهُم في بَعْضٍ لِلحَيْرَةِ، إِلى أَنْ يُدْعَوْا لِلحِسَابِ.

[٥] ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾: كالصُّوفِ المَنْدُوفِ[٤]، في خِفَّةِ سَيرِها حَتَّى تَسْتَوِيَ مَعَ الأَرْضِ. [٦] ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِأَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُه عَلى سَيِّئَاتِه ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ في الجَنَّةِ؛ أي: ذَاتِ رِضًى؛ بِأَنْ يَرْضَاها؛ أي[٥]: مَرْضِيَّةٍ لَه.

[٧] ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِأَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُه عَلى حَسَنَاتِه. [٨] ﴿فَأُمُّهُۥ﴾: فَمَسْكَنُه ﴿هَاوِيَةٞ﴾.

[٩] ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ أي: مَا هَاوِيَةُ؟ هِيَ: [١٠] ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾: شَدِيدَةُ الحَرَارَةِ. وهَاءُ ﴿هِيَهۡ﴾ لِلسَّكْتِ، تُثْبَتُ وَصْلًا ووَقْفًا، وفِي قِرَاءَةٍ[٦] تُحْذَفُ وَصْلًا.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

مَكِّيَّةٌ، ثَمانُ آيَاتٍ[*]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾: شَغَلَكُم عَنْ طَاعَةِ الله ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: التَّفَاخُرُ بِالأَموَالِ والأَوْلَادِ والرِّجَالِ. [٢] ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ بِأَنْ مُتُّم فَدُفِنْتُم فيها، أَوْ عَدَدْتُم المَوتَى تَكَاثُرًا[٧].

[٣] ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾. [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ سُوءَ عَاقِبَةِ تَفَاخُرِكُم، عِنْدَ النَّزْعِ، ثُمَّ في القَبْرِ. [٥] ﴿كَلَّا﴾: حَقًّا ﴿لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾: عِلْمًا يَقِينًا، عَاقِبَةَ التَّفَاخُرِ مَا اشْتَغَلْتُم به. [٦] ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾: النَّارَ، جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ- وحُذِفَ منه لَامُ الفِعْلِ وعَيْنُه، وأُلْقِيَ حَرَكَتُها عَلى الرَّاءِ[٨]-.

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾: تَأْكِيدٌ ﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾: مَصْدَرٌ؛ لِأَنَّ «رَأَى» و«عَايَنَ» بِمَعنًى وَاحِدٍ. [٨] ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ - حُذِفَ منه نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي النُّونَاتِ، ووَاوُ ضَمِيرِ الجَمْعِ لِالتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ- ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾: يَومَ رُؤْيَتِها[٩] ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: مَا يُلْتَذُّ[١٠] بِه في الدُّنيَا، مِنَ الصِّحَّةِ والفَرَاغِ والأَمْنِ والمَطْعَمِ والمَشْرَبِ، وغَيرِ ذَلِكَ.

---

[*] فَائِدَةٌ: أَخرَجَ أَحمَدُ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فَقَرَأَهَا حَتَّى بَلَغَ: ﴿لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، عَنْ أَيِّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ؟ وَإِنَّمَا هُمَا الأَسْوَدَانِ المَاءُ وَالتَّمْرُ، وَسُيُوفُنَا عَلَى رِقَابِنَا وَالعَدُوُّ حَاضِرٌ، فَعَنْ أَيِّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ؟ قَالَ: «إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ». أحمد - المسند (٥/ ٤٢٩). وأخرجه التِّرمِذِيُّ عَنِ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّام وعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، وفيه: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾. «حَسَنُ الإِسْنَادِ» صَحِيح سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

---

(١) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (نِعَمه)، بِالجَمْعِ.

(٢) في الأَصْلِ، وأَكثَرِ النُّسَخِ المَخْطُوطَةِ -كَما في قَبَاوَة-: (ثَمانُ آيَاتٍ)، وفي نُسخَةِ القَاضِي إِشَارَةٌ إِلى الاختِلَافِ في عَدَدِ آيَاتِها؛ فَقِيلَ: عَشْرُ آيَاتٍ، أَو: إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً. والخِلَافُ في عَدَدِ آيَاتِها سَبَبُه الاختِلَافُ في تَعيِينِ أَوَاخِرِ بَعْضِها.

(٣) أي: وجُمْلَةُ: ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ مِنَ المُبْتَدَإِ والخَبَرِ في مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرُ: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ في الآيَةِ الأُولى. التفسيرُ الوَسِيطُ لِطنطاوي (١٥/ ٤٨٩).

(٤) أي: المَضْرُوب بِالمِنْدَفِ، أو: بِالمِنْدَفَةِ. والنَّدْفُ: نَدْفُ القُطْنِ بِالمِطْرَقَةِ، وهُو القُطْنُ المَخْلُوجُ المَنْفُوشُ. جَمْهَرةُ اللغة (٢/ ٦٧٣)، ومختار الصحاح (ص٣٠٧)، وأسرار العربيَّة (ص٢٣٩).

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (أَوْ).

(٦) وهِي قِرَاءَةُ حَمْزَةَ.

(٧) قَالَ الشِّنقِيطِيُّ في أَضوَاءِ البَيَانِ (٩/ ٧٦): «اتَّفَقُوا عَلَى ذِكْرِ سَبَبِ نُزُولِهَا فِي الجُمْلَةِ، مِنْ أَنَّ حَيَّيْنِ تَفَاخَرَا بِالآبَاءِ وَأَمْجَادِ الأَجْدَادِ، فَعَدَّدُوا الأَحْيَاءَ، ثُمَّ ذَهَبُوا إِلَى المَقَابِرِ، وَعَدَّدَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَا لَهُمْ مِنَ المَوْتَى يَفْخَرُونَ بِهِمْ، وَيَتَكَاثَرُونَ بِتَعْدَادِهِمْ».

(٨) أي: مِنْ: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾، وأَصْلُه: «ترءيون» بوزن: «تفعلون»، فحُذِفَتْ لامُ الفِعْلِ وعَينُه؛ أي: الهَمْزَةُ والياءُ مِنْ أَصْلِ الفِعْلِ: «رَأَيَ»، ثُمَّ أُلقِيَتْ حَرَكَةُ الهَمْزَةِ، وهِي الفَتْحَةُ، عَلى الرَّاءِ قَبْلَها.

(٩) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (تَرَوْنَها).

(١٠) في نُسْخَةِ قباوة: (مَا الْتَذَّ)، بِصِيغَةِ المَاضِي.

سورة العصر — ترتيبها ١٠٣ — آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سورة الهمزة — ترتيبها ١٠٤ — آياتها ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سورة الفيل — ترتيبها ١٠٥ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾
تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

سُورَةُ العَصْرِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، ثَلَاثُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾: الدَّهْرِ، أَوْ مَا بَعْدَ الزَّوَالِ إِلى الغُرُوبِ، أَوْ صَلَاةِ العَصْرِ.

[٢] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ الجِنْسَ ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ في تِجارَتِه(١).

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فَلَيْسُوا في خُسْرَانٍ ﴿وَتَوَاصَوْا﴾: أَوْصَى بَعْضُهُم بَعْضًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي: الإِيمانِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَلى الطَّاعَةِ، وعَنِ المَعْصِيَةِ.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، وآياتُها تِسْعُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ، أَوْ وَادٍ في جَهَنَّمَ(٢) ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أَي: كَثِيرِ الهَمْزِ واللَّمْزِ؛ أَي: الغِيبَةِ- نَزَلَتْ فِيمَنْ كَانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ ﷺ والمُؤْمِنِينَ؛ كَأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ والوَلِيدِ بنِ المُغِيرَةِ وغَيرِهِما(٣)-. [٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ(٤) ﴿مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾: أَحْصَاهُ، وجَعَلَه عُدَّةً لِحَوادِثِ الدَّهْرِ(٥). [٣] ﴿[يَحْسِبُ]﴾(٦) لِجَهْلِه ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: جَعَلَه خَالِدًا لا يَمُوتُ. [٤] ﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾: جَوابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ؛ أَي: لَيُطْرَحَنَّ ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ التي تَحْطِمُ كُلَّ مَا أُلْقِيَ فيها. [٥] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أَعْلَمَكَ: ﴿مَا الْحُطَمَةُ﴾؟

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾: المُسَعَّرَةُ. [٧] ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾: تُشْرِفُ ﴿عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾: القُلُوبِ فَتُحْرِقُهَا، وأَلَمُهَا أَشَدُّ مِنْ أَلَمِ غَيرِها لِلُطْفِها. [٨] ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ - جُمِعَ الضَّمِيرُ رِعَايَةً لِمَعنَى: «كُلّ»- ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: بالهَمْزِ وبِالوَاوِ بَدَلَه(٧): مُطْبَقَةٌ. [٩] ﴿فِي [عُمُدٍ]﴾: بِضَمِّ الحَرْفَينِ، وبِفَتْحِهِما(٨) ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾: صِفَةٌ لِمَا قَبْلَه. فتَكُونُ النَّارُ دَاخِلَ العُمُدِ.

سُورَةُ الفِيلِ

مَكِّيَّةٌ، خَمْسُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استِفْهامُ تَعْجِيبٍ؛ أَي: اعْجَبْ(٩): ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾؟ هو: «مَحْمُودٌ». وأَصْحابُه: أَبْرَهَةُ مَلِكُ اليَمَنِ وجَيشُه؛ بَنَى بِصَنْعَاءَ كَنِيسَةً؛ لِيَصْرِفَ إِلَيها الحَاجَّ عَنْ مَكَّةَ؛ فأَحْدَثَ رَجُلٌ مِن كِنَانَةَ فيها، ولَطَّخَ قِبْلَتَها بالعَذِرَةِ احتِقارًا بِها؛ فحَلَفَ أَبْرَهَةُ لَيَهْدِمَنَّ الكَعْبَةَ، فَجاءَ مَكَّةَ بِجَيشِه على أَفْيالٍ، مُقَدَّمُها «مَحْمُودٌ». فحِينَ تَوَجَّهُوا لِهَدْمِ الكَعْبَةِ أَرْسَلَ اللهُ عَليهم مَا قَصَّه في قَولِه: [٢] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أَي: جَعَلَ ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هَدْمِ الكَعْبَةِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: خَسارٍ وهَلاكٍ. [٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ- قِيلَ: لا وَاحِدَ لَه؛ كَأَسَاطِيرَ، وقِيلَ: وَاحِدُه «إِبَّوْل»، أَوْ «إِبَّال»، أَوْ «إِبِّيل»؛ كعِجَّوْلٍ ومِفْتَاحٍ وسِكِّينٍ-. [٤] ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: طِينٍ مَطْبُوخٍ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: كَوَرَقِ زَرْعٍ أَكَلَتْه الدَّوَابُّ ودَاسَتْهُ وأَفْنَتْهُ؟ أَي: أَهْلَكَهُم اللهُ -تَعالَى- كُلَّ وَاحِدٍ بِحَجَرِه المَكْتُوبِ عَليه اسْمُه، وهو أَكْبَرُ مِنَ العَدَسَةِ، وأَصْغَرُ مِنَ الحِمَّصَةِ، يَخْرِقُ البَيْضَةَ والرَّجُلَ والفِيلَ، ويَصِلُ إِلى الأَرْضِ(١٠). وكَانَ هَذا عَامَ مَولِدِ النَّبِيِّ ﷺ(١١).

---

(١) أي: في مَتَاجِرِهم ومَسَاعِيهِم وصَرْفِ أَعْمَارِهم في أُمُورٍ لَا تَنفَعُهم في الآخِرَةِ. قَالَ الرَّازِيُّ (٣٢/ ٢٧٩): «إِذَا حَمَلْنَا الإِنْسَانَ عَلَى الجِنْسِ؛ كَانَ مَعْنَى الخُسْرِ: هَلَاكَ نَفْسِهِ وَعُمُرِهِ، إِلَّا المُؤْمِنَ العَامِلَ؛ فَإِنَّهُ مَا هَلَكَ عُمُرُهُ وَمَالُهُ، لِأَنَّهُ اكْتَسَبَ بِهِمَا سَعَادَةً أَبَدِيَّةً، وَإِنْ حَمَلْنَا لَفْظَ الإِنْسَانِ عَلَى الكَافِرِ: كَانَ المُرَادُ: كَوْنَهُ فِي الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ، إِلَّا مَنْ آمَنَ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَحِينَئِذٍ يَتَخَلَّصُ مِنْ ذَلِكَ الخَسَارِ إِلَى الرِّبْحِ».

(٢) يُنظَرُ التَّعلِيقُ على الآيَةِ (١) مِن سُورَةِ التَّطفِيفِ «المُطَفِّفِينَ».

(٣) قَالَ الوَاحِدِيُّ في الوَجِيزِ (ص١٢٣٢): «نَزَلَتْ في أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ. وقِيلَ: في الوَلِيدِ بنِ المُغِيرَةِ وكَانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ ﷺ». وقِيلَ غَيرَ ذَلِكَ. زَادُ المَسِيرِ (٤/ ٤٨٨). وقَالَ الطَّبَرِيُّ (٢٤/ ٦٢٠): «وَالصَّوَابُ مِنَ القَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ عَمَّ بِالقَوْلِ كُلَّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، كُلَّ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَ هَذَا المَوْصُوفَ بِهَا، سَبِيلُهُ سَبِيلُهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ».

(٤) بِالتَّشدِيدِ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وابنِ عَامِرٍ.

(٥) هذا قَولُ عِكْرِمَةَ. وقَالَ غَيرُه: المَعنَى: أَي: عَدَّه مَرَّةً بَعدَ أُخرَى حُبًّا لَه وشَغَفًا بِه. وقِيلَ: جَعلَه أَصْنَافًا وأَنْوَاعًا؛ كَعَقَارٍ، ومَتَاعٍ، ونُقُودٍ.

(٦) ﴿يَحْسِبُ﴾؛ بِكَسْرِ السِّينِ: قِرَاءَةُ: ابنِ كَثِيرٍ وأَبِي عَمرٍو ونَافِعٍ والكِسَائِيِّ. وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿يَحْسَبُ﴾ بِفَتْحِ السِّينِ.

(٧) بِالوَاوِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا حَمْزَةَ وحَفْصٍ وأَبِي عَمرٍو.

(٨) بِالضَّمِّ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ والكِسَائِيِّ وشُعْبَةَ، وقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿عَمَدٍ﴾ بِالفَتْحِ.

(٩) ذَهَبَ المُفَسِّرُ لِذَلِكَ لِلفِرَارِ مِن إِثْبَاتِ صِفَةِ التَّعَجُّبِ للهِ عَزَّوَجَلَّ. وهذه الصِّفَةُ نُثْبِتُها للهِ عَزَّوَجَلَّ على الوَجهِ اللائِقِ بِه، كَما هو مَذْهَبُ السَّلَفِ.

(١٠) البَيْضَةُ: خُوذَةُ الرَّأْسِ وغِطَاؤُه. ومَا ذَكَرَهُ المُفَسِّرُ مِن أَوْصَافٍ لِتِلْكَ الحِجَارَةِ وغَيرِهَا مِنَ التَّفَاصِيلِ، ذَكَرَها بَعْضُ المُفَسِّرِينَ والمُؤَرِّخِينَ، دُونَ سَنَدٍ. كَما في الدُّرِّ المَنْثُورِ (٨/ ٦٣١) وغَيرِه.

(١١) رَوَى القِصَّةَ البَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (١/ ١١٥) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، بِسَنَدٍ لا بَأْسَ بِه، ورَوَاهُ عنه الطَّبَرِيُّ في تَفسِيرِه (٢٤/ ٦٣٥). وأَمَّا خَبَرُ مَولِدِه ﷺ في عَامِ الفِيلِ؛ فَجَاءَ في سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٣٦١٩)، ومُسْنَدِ أَحمَدَ (١٧٨٩١)، ومُستَدرَكِ الحَاكِمِ (٤١٨٣) عن قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: «وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الفِيلِ...». وحَسَّنَه الأَرنَاؤوط بِمَجمُوعِ طُرُقِه، وقَالَ (٢٩/ ٤٢٢): «وقد ثَبَتَتْ وِلَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَامَ الفِيلِ عَنْ غَيرِ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وغَيرِهم». وقَالَ الحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». وضَعَّفَ الأَلبَانِيُّ إِسنَادَه. وقَالَ ابنُ القَيِّمِ في زَادِ المَعَادِ في هَدْيِ خَيرِ العِبَادِ (١/ ٧٤): «لَا خِلَافَ أَنَّهُ وُلِدَ ﷺ بِجَوْفِ مَكَّةَ، وَأَنَّ مَوْلِدَهُ كَانَ عَامَ الفِيلِ، وَكَانَ أَمْرُ الفِيلِ تَقْدِمَةً قَدَّمَهَا اللهُ لِنَبِيِّهِ وَبَيْتِهِ».

سورة قريش ترتيبها ١٠٦ آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ
﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم
مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سورة الماعون ترتيبها ١٠٧ آياتها ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ
ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سورة الكوثر ترتيبها ١٠٨ آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، أربعُ آياتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

[٢] ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾: تأكيدٌ - وهُو مَصدَرُ: «آلَفَ» بالمَدِّ- ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ إلى اليَمنِ ﴿وَ﴾ رِحلَةَ ﴿ٱلصَّيْفِ﴾ إلى الشَّامِ في كُلِّ عامٍ، يَستَعِينُونَ بالرِّحْلَتَينِ لِلتِّجارَةِ على المُقامِ بمَكَّةَ لِخِدْمَةِ البَيْتِ الذي هُو فَخْرُهُم- وهُم: وَلَدُ النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ-.

[٣] ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾: تَعَلَّقَ به لِـ﴿لِإِيلَٰفِ﴾، والفاءُ: زائِدةٌ ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾.

[٤] ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: مِنْ أجْلِهِ ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ أي: مِنْ أجْلِهِ. وكانَ يُصِيبُهُم الجُوعُ لِعَدَمِ الزَّرْعِ بِمَكَّةَ، وخافُوا جَيْشَ الفِيلِ.

سُورَةُ الماعُونِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، أَوْ: نِصْفُها ونِصْفُها، سِتٌّ، أَوْ: سَبْعُ آياتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾: بالجَزاءِ والحِسابِ؟ أي: هَلْ عَرَفْتَه؟ إنْ لَمْ تَعرِفْهُ:

[٢] ﴿فَذَٰلِكَ﴾ بتقديرِ: «هُو» بَعْدَ الفاءِ ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يَدْفَعُه بِعُنْفٍ عَنْ حَقِّهِ.

[٣] ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نَفْسَه ولا غَيْرَه ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: إطعامِه. نَزَلَتْ في العاصِ ابنِ وائِلٍ(١)، أَوِ الوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ(٢).

[٤] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾.

[٥] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: غافِلُونَ، يُؤَخِّرُونَها عَنْ وَقْتِها.

[٦] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ في الصَّلاةِ وغَيرِها.

[٧] ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ كالإِبْرَةِ والفَأْسِ والقِدْرِ والقَصْعَةِ.

سُورَةُ الكَوْثَرِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، ثَلاثُ آياتٍ[*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ -يا مُحَمَّدُ- ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ هُو نَهرٌ في الجَنَّةِ، هو: حَوضُه تَرِدُ عليه أُمَّتُه. أَوِ الكَوْثَرَ: الخَيرَ الكَثِيرَ؛ مِنَ النُّبُوَّةِ والقُرآنِ والشَّفاعَةِ ونَحوِها.

[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صَلاةَ عِيدِ النَّحْرِ ﴿وَٱنْحَرْ﴾ نُسُكَكَ.

[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مُبْغِضَكَ ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: المُنْقَطِعُ عَنْ كُلِّ خيرٍ، أَوِ المُنْقَطِعُ العَقِبِ. نَزَلَتْ في العاصِ بْنِ وائِلٍ(٣)؛ سَمَّى النَّبِيَّ ﷺ أَبْتَرَ، عِندَ مَوتِ ابنِه القاسِمِ.

---

[*] فائِدَةٌ: أخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ أنسٍ، قالَ: بَيْنا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أظهُرِنا؛ إذْ أغفَى إغفاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فقُلْنا: ما أضحَكَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ»، فقَرَأَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾» ثُمَّ قالَ: «أتَدْرُونَ ما الكَوْثَرُ؟». فقُلْنا: اللهُ ورَسُولُهُ أعلَمُ، قالَ: «إنَّهُ نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ العَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: ما تَدْرِي ما أحْدَثَتْ بَعْدَكَ». مسلم - كتاب الصلاة (٤) بابُ (١٤) حُجَّةِ مَنْ قالَ: البَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَراءَة.

---

(١) قالَه مُقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ (٤/ ٨٧١)، ونَقَلَه الثَّعلَبِيُّ (١٠/ ٣٠٤) عنه وعَنِ الكَلبِيِّ. وعَزاهُ في زادِ المَسيرِ (٤/ ٤٩٥) لابنِ السَّائِبِ. وقالَ القُرطُبِيُّ (٢٠/ ٢١٠): «فَذَكَرَ أبو صالِحٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: نَزَلَتْ في العاصِ بنِ وائِلٍ السَّهمِيِّ، وَقالَهُ الكَلبِيُّ ومُقاتِلٌ».

(٢) لم نَقِفْ على إسنادِه. وقالَ في تَفسيرِ البَغَوِيِّ (٨/ ٥٤٩): «وقالَ السُّدِّيُّ ومُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ وابنُ كَيسانَ: في الوَلِيدِ بنِ المُغِيرَةِ». وعَزاهُ ابنُ الجوزيِّ في زادِ المسيرِ (٤/ ٤٩٥) إلى السُّدِّيِّ.

(٣) أخرَجَه الواحِدِيُّ بِنَحوِه في أسبابِ النُّزولِ عَنْ يَزيدَ بنِ رُومانَ (ص٤٠٤)، وهو مُرسَلٌ. وأخرَجَ الطَّبَرِيُّ (٢٤/ ٦٩٨) عَنْ مُجاهِدٍ، قالَ: «العاصُ بنُ وائِلٍ، قالَ: أنا شانِئُ مُحَمَّدٍ، وَمَنْ شَنَأَهُ النَّاسُ فَهُوَ الأبتَرُ». وأخرَجَ الطَّبَرِيُّ (٥/ ٨٥)، وابنُ أبي حاتِمٍ في تفسيرِه (٣/ ٩٧٣)، وابنُ حِبَّان في صَحِيحِه (٦٥٧٢) عَنْ عِكرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قالَ: «لَمَّا قَدِمَ كَعبُ بنُ الأشرَفِ مَكَّةَ قالَتْ لَهُ قُرَيشٌ: أنتَ خَيرُ أهلِ المَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ؟ قالَ: نَعَمْ. قالُوا: ألا تَرَى إلى هَذا الصُّنبُورِ المُنبَتِرِ مِن قَومِهِ يَزعُمُ أنَّهُ خَيرٌ مِنَّا، وَنَحنُ أهلُ الحَجِيجِ وَأهلُ السِّدانَةِ وَأهلُ السِّقايَةِ؟ قالَ: أنتُمْ خَيرٌ مِنهُ. قالَ: فَأُنزِلَتْ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ وأُنزِلَتْ عَلَيهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾». قالَ الأرناؤوطُ: إسنادُه صَحِيحٌ على شَرطِ الصَّحِيحِ. وقالَ الوادِعِي في الصَّحِيحِ المُسنَدِ مِن أسبابِ النُّزولِ (ص٦٨): «ورِجالُه رِجالُ الصَّحِيحِ. إلَّا أنَّ الرَّاجِحَ إرسالُه، كَما ذَكَرَ في تَخريجِ تفسيرِ ابنِ كثيرٍ». وصَحَّحَه الألبانِيُّ في صَحِيحِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (ص٢٢٥). و«الصُّنبُورُ»: الرَّجُلُ الفَردُ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ بِلا أهلٍ وعَقِبٍ وناصِرٍ. لِسانُ العرب، لابن منظور (٤/ ٤٦٩)، و«المُنبَتِرُ»: الَّذي لا وَلَدَ لَهُ. النِّهايَةُ في غَريبِ الحَدِيثِ والأثَرِ، لابنِ الأثيرِ (١/ ٩٣). والآيَةُ تَعُمُّ كُلَّ مَنْ أبغَضَ النَّبِيَّ ﷺ. وتَقَدَّمَ في تفسيرِ سُورَةِ النِّساءِ الآيَة (٥١).

سُورَةُ الكَافِرُونَ (ترتيبها ١٠٩) (آياتها ٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ (ترتيبها ١١٠) (آياتها ٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ (ترتيبها ١١١) (آياتها ٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾
فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

سُورَةُ الكَافِرُون

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، سِتُّ آيَاتٍ

نَزَلَتْ لَمَّا قَالَ رَهْطٌ مِنَ المشْرِكِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ في الحَالِ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ مِنَ الأَصْنَامِ. [٣] ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الحَالِ ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ - وهو الله -تَعَالَى- وَحْدَه-. [٤] ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ في الاستِقْبَالِ ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾. [٥] ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الاستِقْبَالِ ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ عَلِمَ اللهُ منهم أَنَّهم لَا يُؤْمِنُونَ. وإِطْلَاقُ ﴿مَآ﴾ عَلَى اللهِ عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ(2). [٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشِّرْكُ ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ الإِسْلَامُ. وهَذَا قَبلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالحَرْبِ. وحَذَفَ يَاءَ الإِضَافَةِ القُرَّاءُ السَّبْعَةُ(3) وَقْفًا وَوَصْلًا، وأَثْبَتَها يَعقُوبُ(4) فِي الحَالَيْنِ.

سُورَةُ النَّصرِ

مَدَنِيَّةٌ، ثَلَاثُ آيَاتٍ[*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ نَبِيَّه ﷺ عَلى أعدَائِه ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾: فَتْحُ مَكَّةَ. [٢] ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أَيِ: الإِسْلَامِ ﴿أَفْوَاجًا﴾: جَمَاعَاتٍ، بَعْدَما كان يَدْخُلُ فيه وَاحِدٌ وَاحِدٌ(5)، وذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، جَاءَه العَرَبُ مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ طَائِعِينَ. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أَي: مُلتَبِسًا بِحَمْدِه ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ وكَانَ(6) ﷺ بَعْدَ نُزُولِ هَذِه السُّورَةِ يُكثِرُ مِنْ قَولِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، وعَلِمَ بِها أَنَّه قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُه. وكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمانٍ، وتُوفِّيَ ﷺ في رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرٍ(7).

سُورَةُ المَسَدِ

مَكِّيَّةٌ، خَمْسُ آيَاتٍ[**]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] لَمَّا دَعَا النَّبِيُّ(8) ﷺ قَومَه، وقَالَ: «إِنِّي نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فقَالَ عَمُّه أَبو لَهَبٍ: «تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا دَعَوْتَنا؟» نَزَلَ(9): ﴿تَبَّتْ﴾: خَسِرَتْ ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أَي: جُمْلَتُه. وعُبِّرَ عنها بِاليَدَيْنِ مَجَازًا؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الأَفْعَالِ تُزَاوَلُ بِهما، وهَذِه الجُمْلَةُ دُعَاءٌ ﴿وَتَبَّ﴾: خَسِرَ هو. وهَذِه(10) خَبَرٌ؛ كَقَولِهم: أَهلَكَه اللهُ. وقَدْ هَلَكَ. ولَمَّا خَوَّفَه النَّبِيُّ بِالعَذَابِ، فَقَالَ: «إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابنُ أَخِي حَقًّا؛ فَإِنِّي أَفْتَدِي منه بِمَالِي وَوَلَدِي»، نَزَلَ(11): [٢] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾: وكَسْبُه؛ أَي: وَلَدُه. و﴿أَغْنَىٰ﴾ بِمَعنَى: «يُغْنِي».

---

[*] **فَائِدَةٌ:** أَخرَجَ مُسلِمٌ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ القُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ؛ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾. قَالَ: صَدَقْتَ. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٢١). وأخرج عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها، قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) سورة (إذا جاء) (١١٠) باب (١).

[**] **مَا جَاءَ فِي نُزُولِ السُّورَةِ:** أَخرَجَ البُخَارِيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ»، - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾. البُخَارِيُّ - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢).

---

(1) رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ (٢٤/ ٧٠٣)، والطبرانيُّ في الكبير (٧٥١) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ. وفي إِسنادِه أَبو خَلَفٍ عَبْدُ الله بْنُ عِيسَى الخَزَّازُ. ضَعَّفه الحافظُ في الفَتْحِ (٨/ ٧٣٣). وحَسَّنَه الأَلبَانيُّ في صَحِيحِ السِّيرَةِ (ص٢٠٧). (2) لِأَنَّ ﴿مَا﴾ لِغَيرِ العَاقِلِ، واستُعمِلَتْ في حَقِّ الأَصْنَامِ، على بَابِها، لَكِنِ استِعمالُها في حَقِّ الله تعالى في قولِه: ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ إِنَّما هو عَلَى سَبِيلِ المُقَابَلَةِ، لِأَنَّ المُقَابَلَةَ يَسُوغُ فِيهَا مَا لَا يَسُوغُ مَعَ الانْفِرَادِ. وَقِيلَ: إِنَّهَا مَعَ مَا قَبْلَهَا مَصْدَرِيَّةٌ؛ أَي: مَا مَصْدَرِيَّةٌ؛ بِمَعْنَى: عِبَادَتِكُمُ البَاطِلَةِ، وَلَا تَعْبُدُونَ عِبَادَتِي الصَّحِيحَةَ. أضواء البيان (٩/ ١٣٥). (3) وهُم: نَافِعٌ المَدَنِيُّ، وابنُ كَثِيرٍ المَكِّيُّ، وأَبو عَمرٍو البَصْرِيُّ، وابنُ عَامِرٍ الدِّمَشْقِيُّ، وحَمْزَةُ الزَّيَّاتُ، والكِسَائِيُّ، وعَاصِمٌ. (4) وهو مِنَ القُرَّاءِ العَشَرَةِ. وهُمُ السَّبْعَةُ المُتَقَدِّمُونَ، ومَعَهم: يَعقوبُ الحَضْرَمِيُّ، وأَبُو جَعْفَرٍ، وخَلَفٌ. (5) في نُسْخَةِ قَبَاوَةَ: (وَاحِدٌ بعدَ وَاحِدٍ). (6) في قَبَاوَةَ: (كان). والحديث أَخرَجَه مسلم (٤٨٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟» فَقَالَ: «خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾». (7) أي: عَلَى رَأْسِها، وحِينَ كَمَالِها، بِالنَّظَرِ لِجَعْلِ التَّارِيخِ مِنَ الهِجْرَةِ. وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: تُوفِّيَ فِي الحَادِيَةَ عَشْرَةَ، بِالنَّظَرِ لِجَعْلِ التَّارِيخِ مِنْ أَوَّلِ السَّنَةِ الشَّرعيَّةِ. حَاشِيَةُ الجَمَلِ (٤/ ٦٠٠). وكَانَتْ وَفَاتُه ﷺ بَعْدَ أَحَدٍ وَثَمَانِينَ يَوْمًا مِنْ يَوْمِ الحَجِّ الأَكْبَرِ. السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لابنِ كَثِيرٍ (٤/ ١٩٤). ولَا خِلَافَ أَنَّها كَانَتْ فِي العَامِ الحَادِي عَشَرَ مِنَ الهِجْرَةِ، يَومَ الاثنينِ، في شهرِ رَبيعٍ الأَوَّلِ، والجُمْهُورُ أَنَّها فِي الثَّانِي عَشَرَ منه. ويُنظر: الرَّوضُ الأُنُفُ لِلسُّهَيلِي (٤/ ٤٣٩، ٤٤٠)، والسِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لابنِ كَثِيرٍ (٤/ ٥٠٩)، وفتح الباري (٨/ ١٣٠). (8) كَلِمَةُ: (النَّبِيُّ) لَيسَتْ في قباوة. (9) البُخَارِيُّ (٤٧٧٠)، ومسلمٌ (٢٠٨) وانظر حَاشِيَةَ أَسبَابِ النُّزُولِ. (10) في قَبَاوَةَ: (وهَذِه الجُمْلَةُ). (11) عَزَاهُ البَغَوِيُّ (٨/ ٥٨٢)، وابنُ كَثِيرٍ (٨/ ٥١٥) لابنِ مَسْعُودٍ.

سُورَةُ الإخلاص (ترتيبها ١١٢ - آياتها ٤)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣
وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤

سُورَةُ الفلق (ترتيبها ١١٣ - آياتها ٥)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤
وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سُورَةُ الناس (ترتيبها ١١٤ - آياتها ٦)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي
يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥
مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦

[٣] ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ أي: تَلَهُّبٍ وتَوَقُّدٍ- فهي مَآلُ تَكْنِيَتِه- لِتَلَهُّبِ وجْهِه إِشْرَاقًا وحُمْرَةً-. [٤] ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: عَطْفٌ على ضَمِيرِ «يَصْلَى»، سَوَّغَه الفَصْلُ بالمَفْعُولِ وصِفَتِه، وهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ(١) ﴿[حَمَّالَةُ]﴾ بِالرَّفْعِ والنَّصْبِ(٢) ﴿ٱلۡحَطَبِ﴾: الشَّوكِ والسَّعْدَانِ، تُلْقِيهِ في طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ. [٥] ﴿فِي جِيدِهَا﴾: عُنُقِها ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ أي: لِيفٍ. وهَذِه الجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ الذِي هُو نَعْتٌ لِـ﴿ٱمۡرَأَتُهُۥ﴾، أو خَبَرُ مُبْتَدَإٍ مُقَدَّرٍ.

سُورَةُ الإخلاصِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، أَرْبَعُ، أَوْ: خَمْسُ آيَاتٍ[*]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّه؛ فنَزَلَ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فـ﴿ٱللَّهُ﴾: خَبَرُ ﴿هُوَ﴾، و﴿أَحَدٌ﴾: بَدَلٌ منه، أَوْ خَبَرٌ ثَانٍ. [٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: مُبْتَدَأٌ وخَبَرٌ؛ أي: المَقْصُودُ في الحَوَائِجِ عَلَى الدَّوَامِ. [٣] ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ لِانْتِفَاءِ مُجَانَسَتِه ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ لِانْتِفَاءِ الحُدُوثِ عنه(٣). [٤] ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ [كُفُوًا](٤) أَحَدُۢ﴾ أي: مُكَافِئًا ومُمَاثِلًا. فـ﴿لَّهُۥ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿كُفُوًا﴾ وقُدِّمَ عليه؛ لِأَنَّه مَحَطُّ القَصْدِ بِالنَّفْيِ، وأُخِّرَ ﴿أَحَدُۢ﴾ -وهُو اسْمُ ﴿يَكُن﴾- عَنْ خَبَرِهَا؛ رِعَايَةً لِلفَاصِلَةِ.

سُورَةُ الفَلَقِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، خَمْسُ آيَاتٍ[**]

نَزَلَتْ هَذِه السُّورَةُ والتِي بَعدَها، لَمَّا سَحَرَ لَبِيدٌ اليَهُودِيُّ النَّبِيَّ ﷺ، في وَتَرٍ بِه إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَعْلَمَه اللهُ بِذَلِكَ وبِمَحَلِّه(٥)، فَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيه ﷺ، وأُمِرَ بِالتَّعَوُّذِ بِالسُّورَتَيْنِ؛ فكَانَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً منها انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووَجَدَ خِفَّةً، حَتَّى انْحَلَّتِ العُقَدُ كُلُّها، وقَامَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾: الصُّبْحِ. [٢] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ مِنْ حَيَوَانٍ مُكَلَّفٍ وغَيرِ مُكَلَّفٍ، وجَمَادٍ كَالسُّمِّ وغَيرِ ذَلِكَ. [٣] ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: اللَّيلِ إِذَا أَظْلَمَ، أَوِ القَمَرِ إِذَا غَابَ. [٤] ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السَّوَاحِرِ تَنْفُثُ ﴿فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ التي تَعْقِدُهَا في الخَيْطِ، تَنْفُخُ فيها بِشَيْءٍ تَقُولُه مِنْ غَيرِ رِيقٍ. وقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: مَعَه(٦). كَبَنَاتِ لَبِيدٍ المَذْكُورِ. [٥] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: أَظْهَرَ حَسَدَه وعَمِلَ بِمُقْتَضَاه؛ كَلَبِيدٍ المذكُورِ مِنَ اليَهُودِ الحَاسِدِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وذِكْرُ الثَّلَاثَةِ الشَّامِلِ لَها ﴿مَا خَلَقَ﴾ بَعْدَه لِشِدَّةِ شَرِّهَا.

سُورَةُ النَّاسِ

مَكِّيَّةٌ، أَوْ: مَدَنِيَّةٌ، سِتُّ آيَاتٍ

---

[*] مَا جَاءَ فِي نُزُولِ السُّورَةِ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ المُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾. التِّرمِذِيُّ، كتاب تفسير القُرآنِ (٤٨)، باب ومن سورة الإخلاص. وأخرَجه أحمدُ في المُسنَدِ (٥/ ١٣٤)، وحَسَّنَه الألبَانِيُّ في ضعيف سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٦).

[**] فَائِدَةٌ: أخرَجَ التِّرمِذِيُّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَنْزَلَ الله عَلَيَّ آيَاتٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ»: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. التِّرمِذِيُّ - كتاب فضائل القُرآنِ (٤٦) باب (١٢)، وقَالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وصَحَّحَه الألبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (٢٦٨٢)، وأخرجه مسلم (٨١٤) أيضًا مُختصرًا. وأخرَجَ التِّرمِذِيُّ أيضًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. التِّرمِذِيُّ - كتاب الطب (٢٩) باب (١٦) ما جَاءَ في الرُّقيةِ بِالمُعَوِّذَتَيْنِ. وصَحَّحَه الألبَانِيُّ في صَحِيحِ سُنَنِ التِّرمِذِيِّ (١٦٨١).

---

(١) وَاسْمُهَا: أَرْوَى بِنتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ. وَكَانَتْ عَوْنًا لِزَوْجِهَا عَلَى كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ وَعِنَادِهِ؛ فَلِهَذَا تَكُونُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَوْنًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. ابن كثير (٨/ ٥١٥).

(٢) كَلِمَةُ: (وبِالنَّصْبِ) لَيسَتْ في قَبَاوَة. والرَّفْعُ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا عَاصِمٍ. وقَرَأَ عَاصِمٌ: ﴿حَمَّالَةَ﴾، بِالنَّصْبِ.

(٣) فهو سُبْحَانَه الأَوَّلُ الذِي لَيسَ قَبْلَه شَيْءٌ، والآخِرُ الذِي لَيسَ بَعْدَه شَيْءٌ.

(٤) بالهَمْزَةِ وضَمِّ الفَاءِ: قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا عَاصِمٍ وحَمْزَةَ. وقَرَأَ حَمْزَةُ بِالهَمْزَةِ مَعَ سُكُونِ الفَاءِ، ويَقِفُ بِالنَّقْلِ، والإِبْدَالُ وَاوًا عَلَى الرَّسْمِ. وقَرَأَ عَاصِمٌ: ﴿كُفُوًا﴾ بِإِبْدَالِ الهَمْزَةِ وَاوًا مَعَ ضَمِّ الفَاءِ.

(٥) جَاءَ نَحْوُ هَذَا عَن زَيدِ بنِ أرقمَ؛ قَالَ: سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ؛ قَالَ: فَاشتَكَى؛ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَنَزَلَ عليه بِالمُعَوِّذَتَيْنِ، وقَالَ: «إِنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، والسِّحْرُ فِي بِئْرِ فُلَانٍ»، قَالَ: فَأَرْسَلَ عَلِيًّا فَجَاءَ به. قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَحُلَّ العُقَدَ ويَقْرَأَ آيَةً، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيَحُلُّ، حَتَّى قَامَ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ... أخرَجه عبدُ بن حُمَيدٍ في مُسنَدِه (١/ ٢٤٧)، رقم (٢٧١)، وأخرجه بِنَحوِه -دُونَ ذِكْرِ النُّزُولِ بِالمُعَوِّذَتَيْنِ- النَّسَائِيُّ (٤٠٨٠)، وأحمدُ في المُسنَدِ (٤/ ٣٦٧)، وصَحَّحَه في الاستيعاب (٣/ ٥٨٩). وقَالَ الشيخُ عفيفي في تَعلِيقِه عَلَى الجَلَالَينِ (ص٣١٥): «...وإِذَا ثَبَتَ أَنَّ السُّورَتَينِ مَكِّيَّتَانِ؛ بَعُدَ أَن يَكُونَ سِحْرُ الرَّسُولِ ﷺ سَبَبَ نُزُولِهِمَا؛ إِلَّا أَنْ يُقَالَ بِجَوَازِ تَكْرَارِ النُّزُولِ لِلآيَةِ، أَوِ السُّورَةِ، أَوِ السُّوَرِ» اهـ.

(٦) أي: الرِّيقُ؛ فَفِي النَّفْثِ قَولَانِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: خَالِقِهِم ومَالِكِهِم - خُصُّوا بالذِّكْرِ تَشْرِيفًا لهم، ومُنَاسَبَةً لِلاستِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ المُوَسْوِسِ في صُدُورِهِم -.

[٢] ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

[٣] ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: بَدَلَانِ، أَوْ صِفَتَانِ، أَوْ عَطْفَا بَيَانٍ، وأُظْهِرَ المُضَافُ إليه فيهما زِيَادَةً لِلبَيَانِ.

[٤] ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الشَّيطَانِ، سُمِّيَ بِالحَدَثِ[١] لِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِهِ له ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ لِأَنَّهُ يَخْنِسُ ويَتَأَخَّرُ[٢] عَنِ القَلْبِ، كُلَّمَا ذُكِرَ اللهُ.

[٥] ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: قُلُوبِهِم، إِذَا غَفَلُوا عَنْ ذِكْرِ اللهِ.

[٦] ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: بَيَانٌ لِلشَّيطَانِ المُوَسْوِسِ أَنَّهُ جِنِّيٌّ وإِنْسِيٌّ؛ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[٣]، أَوْ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: بَيَانٌ له، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: عَطْفٌ عَلَى ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾. وعلى كُلٍّ يَشْمَلُ[٤] شَرَّ لَبِيدٍ وبَنَاتِهِ المَذْكُورِينَ. واعْتُرِضَ الأَوَّلُ بِأَنَّ النَّاسَ لا يُوَسْوِسُ في صُدُورِهِم النَّاسُ[٥]؛ إِنَّمَا يُوَسْوِسُ في صُدُورِهِمُ الجِنُّ. وأُجِيبَ بِأَنَّ النَّاسَ يُوَسْوِسُونَ أَيْضًا، بِمَعْنًى يَلِيقُ بِهِم في الظَّاهِرِ، ثُمَّ تَصِلُ وَسْوَسَتُهُم إلى القَلْبِ، وتَثْبُتُ فيه، بِالطَّرِيقِ المُؤَدِّي إلى ذَلِكَ.

[واللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وإِلَيهِ المَرْجِعُ والمَآبُ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ،
وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ، وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، دَائِمًا أَبَدًا، وحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ،
ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ][٦].

خَاتِمَةٌ

(نَسْأَلُ اللهَ حُسْنَهَا)

يَقُولُ مُرَاجِعُهُ وجَامِعُ حَوَاشِيهِ
الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ مَولَاهُ ورِضَاهُ وجَمِيلِ سَتْرِهِ وحُسْنِ لِقَاهُ
هِشَامُ بنُ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ آل بَرْغَش:
كَانَ الفَرَاغُ مِنْ مُرَاجَعَةِ تَفْسِيرِ الجَلَالَيْنِ، وجَمْعِ حَوَاشِيهِ لَيلَةَ الجُمُعَةِ غُرَّةَ جُمَادَى الأُولَى ١٤٢٨هـ
وكَانَ البَدْءُ في هَذَا العَمَلِ قَبْلَ قُرَابَةِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، واللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ.

***

(١) أي: المَصْدَرُ. وقَولُهُ: «لِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِهِ لَهُ»؛ أي: مُلَازَمَتِهِ لِلوَسْوَسَةِ. ومَا ذَكَرَهُ المُفَسِّرُ لَيسَ بِمُتَعَيِّنٍ؛ فَإِنَّ الوَسْوَاسَ يُطْلَقُ كَذَلِكَ عَلَى نَفْسِ الشَّيطَانِ، وعَلَى مَا يَخْطُرُ بِالقَلْبِ مِنْ شَرٍّ.

(٢) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (يَخْنِسُ: يَتَأَخَّرُ)؛ أي: إِنَّ مَعنَى: يَخْنِسُ: يَتَأَخَّرُ.

(٣) الأنعام: ١١٢.

(٤) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (شَمَلَ).

(٥) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (بِأَنَّ النَّاسَ لا يُوَسْوِسُونَ في صُدُورِ النَّاسِ).

(٦) في نُسْخَةِ قَبَاوَة: (واللهُ -تَعَالَى- أَعْلَمُ). وما بَينَ المعقُوفَينِ مَوجُودٌ في الأَصْلِ وفي الفُتُوحَاتِ في نِهَايَةِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ، وأَثْبَتُّهُ هُنَا لِلمُنَاسَبَةِ. وقَالَ في حَاشِيَةِ الجَمَلِ (٤/ ٤٢٦) مُعَلِّقًا عليها: «كَأَنَّ هذه العِبَارَةَ مِنْ وَضْعِ تَلَامِذَةِ المَحَلِّيِّ، أو مِنْ وَضْعِ السُّيُوطِيِّ، قَصَدَ بها خَتْمَ تَفسِيرِ المَحَلِّيِّ، والإِشَارَةَ إلى فَرَاغِهِ وانقِضَائِهِ، ويَبْعُدُ جِدًّا أَنَّها مِنْ كَلَامِ المَحَلِّيِّ؛ لِمَا عَرَفْتَ سَابِقًا أَنَّه كَانَ قَدْ شَرَعَ في تفسيرِ النِّصْفِ الأَوَّلِ، وأَنَّه ابتداؤه بالفَاتِحَةِ، وأَنَّه اخْتَرَمَتْهُ المَنِيَّةُ بعدَ الفَرَاغِ مِنها، وقَبلَ الشُّرُوعِ في البَقَرَةِ وما بَعدَها، وإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَيَبْعُدُ منه أَنْ يَأْتِيَ بِعِبَارَةٍ تُشْعِرُ بالانتِهَاءِ والاختِتَامِ أَثْنَاءَ تفسيرِ النِّصْفِ الأَوَّلِ. فتَأَمَّلْ». ثُمَّ قَالَ: «... فعلى هَذَا يَكُونُ ما في هذه النُّسْخَةِ مِنْ قَولِهِ: وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ... إلى آخِرِهِ» لَيسَ مِنْ نُسْخَةِ المَحَلِّيِّ، وإِنَّمَا هُوَ مِنْ وَضْعِ بَعْضِ النَّاسِ، ويَدُلُّ عليه ثُبُوتُه في بَعْضِ النُّسَخِ دُونَ بَعْضٍ». والله أعلم.

فهرس الكتاب

تَقريظُ فَضيلةِ الشيخ د. أحمد عِيسَى المَعصَراوِي .... أ
مُقَدمةُ الطبعَةِ الأُولَى والثانِيَةِ ....ج
التَّعرِيفُ بِالتَّفسِيرِ والمُفَسِّرِيْنِ ٥
خَاتِمَةُ السُّيوطِيِّ ٥
منهجُ العَمَلِ في الكِتَابِ ....ك
مقدمة الطبعة الثالثة ....س
سُورَةُ الفَاتِحَةِ.................. ١
سُورَةُ البَقَرَة ٢
سُورَةُ آلَ عِمرَان ٥٠
سُورَةُ النِّسَاء ٧٧
سُورَةُ المَائِدَة ١٠٦
سُورَةُ الأنعَام ١٢٨
سُورَةُ الأعْرَاف ١٥١
سُورَةُ الأَنْفَال ١٧٧
سُورَةُ التَّوبَةِ.................. ١٨٧
سُورَةُ يُونُس ٢٠٨
سُورَةُ هُودِ.................. ٢٢١
سُورَةُ يُوسُف ٢٣٥
سُورَةُ الرَّعْدِ ٢٤٩
سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ.................. ٢٥٥
سُورَةُ الحِجْرِ.................. ٢٦٢
سُورَةُ النَّحْلِ.................. ٢٦٧
سُورَةُ الإِسرَاءِ ٢٨٢
سُورَةُ الكَهفِ.................. ٢٩٣
سُورَةُ مَريَمَ ٣٠٥
سُورَةُ طَهَ ٣١٢
سُورَةُ الأَنبِيَاءِ ٣٢٢
سُورَةُ الحَجِّ ٣٣٢
سُورَةُ المُؤمِنُون.................. ٣٤٢
سُورَةُ النُورِ ٣٥٠
سُورَةُ الفُرْقَانِ.................. ٣٥٩
سُورَةُ الشُّعَرَاءِ.................. ٣٦٧
سُورَةُ النَّمْلِ ٣٧٧
سُورَةُ القَصَصِ ٣٨٥
سُورَةُ العَنكَبُوت.................. ٣٩٦
سُورَةُ الرُّومِ.................. ٤٠٤
سُورَةُ لُقمَانِ ٤١١
سُورَةُ السَّجْدَةِ ٤١٥
سُورَةُ الأَحْزَابِ.................. ٤١٨
سُورَةُ سَبَأ ٤٢٨
سُورَةُ فَاطِرِ ٤٣٤
سُورَةُ يس ٤٤٠
سُورَةُ الصَّافَاتِ.................. ٤٤٦
سُورَةُ (ص) ٤٥٣
سُورَةُ الزُّمَرِ ٤٥٨
سُورَةُ غَافِرِ أو المُؤْمِن.................. ٤٦٧
سُورَةُ ﴿حم﴾ السَّجْدَة.................. ٤٧٧
سُورَةُ الشُّورَى.................. ٤٨٣
سُورَةُ الزخْرُف ٤٨٩
سُورَةُ الدُّخَان.................. ٤٩٦
سُورَةُ الجَاثِيَة.................. ٤٩٩
سُورَةُ الأحْقَاف.................. ٥٠٢
سُورَةُ القِتَالِ (محمد) ٥٠٧
سُورَةُ الفَتْح.................. ٥١١
سُورَةُ الحُجُورَات ٥١٥
سُورَةُ (ق).................. ٥١٨
سُورَةُ الذَّارِيَات ٥٢٠
سُورَةُ الطُّور ٥٢٣
سُورَةُ النَّجْم ٥٢٦
سُورَةُ القَمَرِ.................. ٥٢٨
سُورَةُ الرَّحْمَن ٥٣١
سُورَةُ الوَاقِعَةِ ٥٣٤
سُورَةُ الحَدِيدِ ٥٣٧
سُورَةُ المُجَادَلَة ٥٤٢

سُورَةُ الحَشْر ٥٤٥
سُورَةُ المُمتَحِنَة........................ ٥٤٩
سُورَةُ الصَّفّ ٥٥١
سُورَةُ الجُمُعَة ٥٥٣
سُورَةُ المُنَافِقُونَ........................ ٥٥٤
سُورَةُ التَّغَابُن........................ ٥٥٦
سُورَةُ الطَّلاق........................ ٥٥٨
سُورَةُ التَّحْرِيم ٥٦٠
سُورَةُ المُلْك........................ ٥٦٢
سُورَةُ القَلَم........................ ٥٦٤
سُورَةُ الحَاقَّة ٥٦٦
سُورَةُ المَعَارِج ٥٦٨
سُورَةُ نُوح ٥٧٠
سُورَةُ الجِنّ ٥٧٢
سُورَةُ المُزَّمِّل ٥٧٤
سُورَةُ المُدَّثِّر ٥٧٥
سُورَةُ القِيامَة........................ ٥٧٧
سُورَةُ الإنسَان ٥٧٨
سُورَةُ المُرسَلات ٥٨٠
سُورَةُ النَّبَأ (التَّسَاؤل) ٥٨٢
سُورَةُ النَّازِعَات........................ ٥٨٣
سُورَةُ عَبَس........................ ٥٨٥
سُورَةُ التَّكْوِير........................ ٥٨٦
سُورَةُ الانفِطَار........................ ٥٨٧
سُورَةُ التَّطْفِيف ٥٨٧
سُورَةُ الانشِقَاق........................ ٥٨٩
سُورَةُ البُرُوج ٥٩٠
سُورَةُ الطَّارِق........................ ٥٩١
سُورَةُ الأَعْلَى........................ ٥٩١
سُورَةُ الغَاشِيَة........................ ٥٩٢
سُورَةُ الفَجْر ٥٩٣
سُورَةُ البَلَد ٥٩٤
سُورَةُ الشَّمس ٥٩٥
سُورَةُ والليل ٥٩٥
سُورَةُ الضُّحَى ٥٩٦
سُورَةُ الشَّرح ٥٩٧
سُورَةُ والتِّين........................ ٥٩٧
سُورَةُ اقرأ ٥٩٧
سُورَةُ القَدْر........................ ٥٩٨
سُورَةُ لَمْ يكُنْ........................ ٥٩٨
سُورَةُ الزَّلْزَلَة ٥٩٩
سُورَةُ العَادِيَات........................ ٥٩٩
سُورَةُ القَارِعَة........................ ٥٩٩
سُورَةُ التَّكَاثُر ٦٠٠
سُورَةُ العَصْر........................ ٦٠١
سُورَةُ الهُمَزَة ٦٠١
سُورَةُ الفِيل........................ ٦٠١
سُورَةُ قُرَيش........................ ٦٠٢
سُورَةُ المَاعُون........................ ٦٠٢
سُورَةُ الكَوثَر ٦٠٢
سُورَةُ الكَافِرُون........................ ٦٠٣
سُورَةُ النَّصر ٦٠٣
سُورَةُ المَسَد ٦٠٣
سُورَةُ الإِخلاص........................ ٦٠٤
سُورَةُ الفَلَق........................ ٦٠٤
سُورَةُ النَّاس ٦٠٤

تم بحمد الله